الجزء الأول من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب نسيج زمانه
ونادرة أوانه العلامة أحمد المقري المغربي
المالكي الأشعري تغمده الله تعالى
برحمته وأسكنه فسيح
جنته آمين
آمين

هذا هو الجزء الأول والثاني والثالث [illegible] في التاريخ
المسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر للإمام الحسن [illegible] المسعودي الحسين للهجرة
في دار المستقر وهو الجزء الرابع والكتاب الذي [illegible] وبغية الطلاب في الخصوص والمزايات والتراجم وقناع المآرب وما [illegible] السخاوي الهمام مطر الله تعالى بهراميز كرام

(الطبعة الأولى)

(بالمطبعة الأزهرية المصرية)
(سنة ١٣٠٢ هجرية)

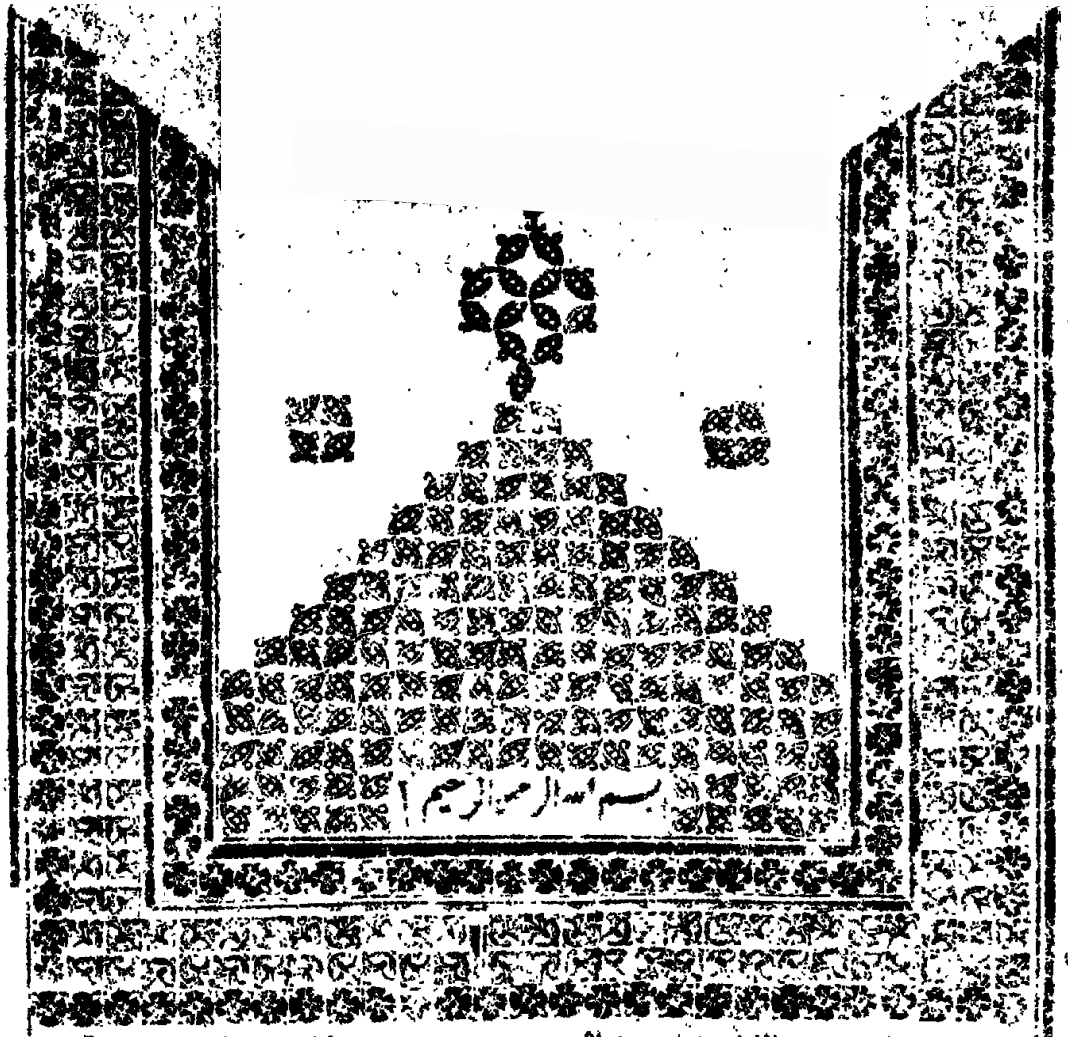

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله اهل الحمد
ومستوجب الثناء والمجد
وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم النبيين وعلى آله
الطاهرين وسلم تسليما الى
يوم الدين
*(باب ذكر جوامع اغراض
هذا الكتاب)*
اما بعد فانا صنفنا كتابنا
في اخبار الزمان وسميناه
القول فيه في هيئة الارض
ومدنها وبحارها
وانهارها وجبالها وانهارها
وبدائع معادنها واصناف
نباتها واخبار غرائبها
وعجائب الآثار والبحور
الصغار واخبار الامة
العظمة والممالك
المتفرقة وذكر زمان المدة
واصل النسل وتباين
الاوطان وما كان نهرا
صار بحرا وما كان بحرا
صار برا وما كان برا
صار بحرا على مر الايام
والدهور وعلة ذلك
بسببه الفلكي والطبيعي

يقول العبد الفقير * الذليل المضطر الحقير * من هو من صالح الاعمال عرى * أحمد
بن محمد بن المقري * المغربي المالكي الاشعري * أصلح الله تعالى حاله * وجعل
في مرضاته حله وترحاله * وما بغيت الطاعة والرضوان أمحاله * وأنجح بلوغ آماله
انه سميع مجيب * (أحمد) من عرف من حلى الامصار وعلى الاعيان * على تداول الاعصار
وتطاول الاحيان * ما فيه ذكرى لاولى الابصار وارشاد الى معرفة الديان * واعتبار
لاهل الاتعاظ والاتقان * (وشرف) من صرف المطامح والمطامع * الى تحصيل ما أفاد
لسان الدين من كلم جوامع * وتحصيل ما أجاد من حكم نوالغ سحب بلاغته هوامع *
واقتفاء ذخائر المهتدين التي تشنفت بدرها اللوامع الآذان والمسامع * من كل منطاع من
ربقة البراعة أوراق * (حتى) توج الكتاب المجيد رؤوس المنابر بفرائد الكلام * وجعل
الكاتب الاديب المجيد صدور المزابر من فوائد الاعلام * وكحل الحكيم اللبيب الاريب
المفيد من اثمد المحابر بمراود الاقلام * عيون أوراق * (وأشهد) أن لا اله الا الله
لا شريك له الذي ابتدأ الخلق من غير مثال وبرأ * وقسم العباد الى معاقر وبار
وخامل وفاضل وكامل * تشرأبت نحوه الآمال أيدي الكبرياء * والذي فاخلا
وأعراضهم وتباين أدوائهم وأمراضهم وتعاثر السنتهم وأقلامهم وأ

وأكوانهم ومناصبهم ومناسبهم عبرا * وجعل الدنيا لمن أتيح صغرا أو كبرا * ولبس منهم مسوحا وحبرا * أو أخلد الى الارض او صعد منبرا * جسرا الى الآخرة ومعبرا وحكم وهو الفاعل المختار على الجميع بالموت فكان لمبتداهم خبرا * فياله من داء أعيا كل معالج أو راق * (فسبحانه) من اله انفرد بوجوب القدم والبقا واختص بفضله من شاء فارتقى وعم تعالى ذوى السعادة والشقا بالحدوث والفنا * وأذاق من فراق الدنيا كل من فيها بلا ثنيا فمن وفق فنفى عن جفنه وسنا * اوخذل فخر فى ميدان الاغترار رسنا وزين له عياذا بالله سوء عمله فرآه حسنا * طعم شعوب المزاج الجنى * فلم يغن منه عن ذوى الغنى والغنا * وأهل الثناء والسنا * من استظهر وابه من أرباب الصوارم والقنا وأصحاب النظم والنثر والجدال والفخر والمدح والثنا * فأولئك ألقوا السلاح مذعنين مستبصرين موقنين اذجاء الحق وزهق الباطل وولى الامترا * وهؤلاء تركوا الاصطلاح معلنين عالمين انهم لم يكونوا فى التمويه محسنين وكيف لاوقد اضمحل الغرور والاجترا * وذهب والله الجور والافترا * وبدل مذق الاطراء بصدق الاطراق * (وأشكره) جل وعلا على أن علم بالقلم مالم نعلم * ونبه بآثاره الدالة على اقتداره الى سلوك الطريق الاقوم الواضح المعلم * وأرشد من أشرق فكره وأضا الى التعويض لاحكام القضا ومن ذا يرد ما أمضى أو ينقض ما أبرم والتسليم على كل حال أسلم * وأمر جل اسمه بالتدبر فى أنباء من مضى والنظر فى عواقب أحوال الذين زال أمرهم وانقضى من صنوف الامم * ووبخ من دحا قلبه بالاعراض عن ذلك وأظلم * وشتان مابين اللاهى والمتذكر والساهى والمتفكر والناجى والهالك المتحير والداجى الحالك والمشرق النير * ومايستوى الظل والحرور والحزن والسرور والظلمات والنور ذو البهجة والاشراق * (وأصلى) ازكى الصلاة والسلام هدية لحضرة سيد الانام ولبنة التمام من زويت له من الارض المغارب والمشارق * وتم به نظام أنبياء الله ورسله العظام وأزاح نور الضلال والظلام حتى أضاءت بوسمه المساجد وازدانت باسمه المهارق * وألقى الموفق الموافق لدعوته بيد الاستسلام وذلك شأن ذوى العقول الراجحة والأحلام غير خائف من عتب ولامترقب لملام فأمن من الطوارق والطوارق * وتمت كلمة الاسلام الذى اتضح برهانه لذى بصر وبصيرة لايحتاج الى زيادة الاعلام وعلت سيوف توحيد الملك العلام * من المعاند المفارق المفارق * وخضبتها بحناء النجيع الرقراق * (النبى) الامى الامين الداعى جميع العالمين الى سلوك منهاج ماله من هاج ذى أضواء شوارق * سيد الرسل الغر الميامين ملجا الامة جعلنا الله ممن نجا باللجا اليه آمين الذى أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وانشق له الزبرقان ونبع الماء من بين أصابعه زيادة فى الايقان * وسلمت عليه الاحجار وانقادت لامره الاشجار متفيئة ظلاله الشريفة وخطت فى الارض أسطرا مبدعة الاتقان الى غير ذلك من معجزاته الخوارق * فهو صاحب الدعوة الجامعه والبراهين اللامعه والادلة التى سقت الشجرة الطيبة غيومها النافعه الصيبة الهامية الهامعة الصادقة البوارق * فثمرت النجاة والفوز والفلاح وأورقت بالهدى أحسن ايراق * (أسنى) رسول بعث الى

والى القديم واختلافهم فى بد وأوليته من الهند وأصنا الملحدين وماورد فى ذلك عن الشرعيين وما نطق به الكتب وورد على الديانين (ثم اتبعنا ذلك باخبار الملوك الغابر والامم الداثره والقرون الخاليه والطوائف البائد على مرسير هم فى تغير أوقاته وتخييف اعصارهم من الملوك والفراعنة العاديه والاكاسرة واليونانية وم ظهر من حكمهم ومقالا فلاسفتهم واخبار ملوكه وأخبار العناصر الى مافى تضاعيف ذلك من أخبا الانبياء والرسل والاتقياء الى ان أفضى الله بكرامته وشرف برسالته محمد انبيه صلى الله عليه وسلم فذكرنا مولده ومنشاه وبعثته وهجرته ومغازيه وسراياه الى أوان وفاته واتصال الخلافة واتساق المملكة بزمر زمن ومقاتل من ظهر من الطالبيين الى الوقت الذى شرعنا فيه تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقى لله أمير المؤمنين وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (ثم اتبعناه) بكتابنا الاوسط فى الاخبار على التاريخ وما اندرج فى السنين الماضية (ومن لدن البدء الى الوقت الذى عنده انتهى كتابنا الاعظم وماتلاه من الكتاب الاوسط أينما) ايجازما بسطناه

واختصارنا وبخطنا في كتاب لطيف نودعه لمع ما في ذينك الكتابين مما مضى هما وغير ذلك من انواع العلوم

واخبار الامم الماضية والاعصار الخالية مما لم يتقدم ذكره فيهما على انا نعتذر من تقصير ان كان ونتنصل مما قد شاب خواطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الاسفار وقطع القفار تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعملين بدائع الامم بالمشاهدة عارفين خواص الاقالم بالمعاينة فقطعنا بلاد السند والزنج والصنف والصين والرانج وتقحمنا الشرق والغرب فتارة بأقصى خراسان وتارة بوسائط ارمينية واذربيجان والموات والطالقان وطورا بالعراق وطورا بالشام فسيرى في الآفاق سرى الشمس في الاشراق كما قال بعضهم

تيمم أقطار البلاد فتارة
لدى شرقها الاقصى وطورا
الى الغرب
سرى الشمس لا ينفك تقذفه
النوى
الى أفق ناء يقصر بالركب

قال المصنف ثم مفاوضتنا في أصناف الملوك على تغاير اخلاقهم وتباين هممهم وتباعد دارهم وأخذنا بسلك مسالك من مواقفهم على ان العلم فذ نادي آثاره وطمس مناره وكثر فيه الغثاء وقل الفهماء فلا تعاين الا مؤها جاهلا ومتعاطيا من

الارض وأعظمهم جلاله * وأكثرهم تابعا في الطول منها والعرض ولما وقد ظهر به الحق لمن أمه مسترشدا وجلاله * وأسمى من جاء بتبيين السنة والفرض وأعمهم دلاله منقذ البرايا في الدنيا ويوم العرض الآخذ بحجزهم عن النار والضلاله * الداعي الى تقديم الخير وحسن القرض الحريص على هداية الخلق المبلغ لهم أحكام الحق من غير ضجر ولا ملاله * ذو الفضل العظيم الذي لم يختلف فيه من أهل العقول اثنان والمجد الصميم الثابت الاصول الباسق الافنان المنتمي من محتد معد بن عدنان المنتخب من خير عنصر وأطهر سلاله * شفيعنا وملاذنا وعصمتنا ومعاذنا وثمالنا الذي نجحت به آمالنا وزكت أقوالنا وأعمالنا * ووسيلتنا الكبرى وعمدتنا العظمى في الاولى والاخرى وكنزنا الذي أعددناه لازاحة الغموم ذخرا * وغيثنا وغوثنا وسيدنا ونبينا ومولانا محمد الطيب المنابت والاعراق (صلى) الله وسلم عليه ووجه وفود التعظيم اليه من مفرد في جماله صار بجمع الانبياء تماما * وفذ في كماله تقدم في حضرة التقديس التي أسست على التشريف أعظم تاسيس بالمرسلين اماما * وصدر تحلى بجميل الاوصاف كالوفاء والعفاف والصدق والانصاف فزكا في أعماله وبلغ الراجي منتهى آماله ولم يخلف وعدا ولم يخفر ذماما * وسيد كسى حلل العصمه من كل مخالفة وذنب ووصمه فلم يصرف لغير طاعة مولاه الذي اولاه من التفضيل ما أولاه اهتبالا واهتماما * وعلى آله وعترته الفائزين بأثرته أنصار الدين والمهاجرين المهتدين وأشياعه وذريته الطالعين نجوما في سماء شهرته وأتباعهم القائمين بحقوق نصرته * أرباب العقل الرصين الفاتحين بسيوف دعوته أبواب المعقل الحصين حتى بلغت أحكام ملته وأعلام بعثته من بالاندلس والصين فضلا عن الشأم والعراق * (ورضي) الله تعالى عن علماء أمته المصنفين في جميع العلوم والفنون وعظماء سنته الموفين للطلاب بالاوراب المحققين لهم الظنون * وحكماء شرعته المتبصرين بحدوث من مرت عليه الايام والشهور وكرت عليه الآناء والدهور والاعوام والسنون * المتدبرين في عواقب من كان بهذه البسيطة من السكان المتذكرين على قدر الامكان عن ظعنه رحا المنون * من أملاك العصور الخاليه وملاك القصور العاليه وذوى الاحوال التي هي بسلوك الاختلاف حاليه * من بصير وأعمى وفقير وذي نعمى ومختال تردى بكبريائه ومحتال على ما بايدى الناس بسمعته وريائه * وعاقل أحسن العمل وغافل افتتن بالامل * وكارع في حياض الشريعه ورائع برياض الآداب المريعه وذي ورع سد عما رابه الذريعه وأخي طمع في أن يدرك آرابه من الدنيا الوشيكة الزوال السريعه * ومقتبس من نبراس الروايه وملتبس بأدناس الغوايه * وشاعر هام في كل واد وقال ما لم يفعل فكان للغاوين من الرواد * وجاهل عمر الخراب وخدع بالسراب عن أعذب الشراب * ومحقق علم أنه اذا جاء القدر عمي البصر ممن كان أحذر من غراب وموفق تيقن أن غير الله فان وكل الذي فوق التراب تراب * ومن متخلق متجرد تصوف ومتعلق متفرد تشوق الى ما فيه رضا الرب وتشوف وناه ذكر بايام الله ووعظ وخوف * ولاه اغتر بالباطل فهو بالحق عما طل وطالما أخره وسوف * وأبعد الانتجاع ثم أوى

ناقصا قد قنع بالظنون وعمى عن اليقين لم ير الاشتغال بهذا الضرب من العلوم • والتفرغ لهذا الفن من الآداب حتى

من باطنه الى بيت قعيدته لكاع نفض أمارة بعد ما طوف * ومن مادح نظم الآل الاعظم
اللآل وكادح طمس لألاء العز بظلمة ذل السؤال * فجعل القصائد مصايد والرسائل
وسائل والمقطعات مرقعات فآل أمره الى ما آل * ومن مخبر بما سمع ورأى حين
اغترب عن مكانه ونأى او أقام في أوطانه فبلغ ما قدر ورأى * ومن مجازف لا يفرق بين
الغث والسمين والامرار والاحلاء * وعارف ثمنة أمين نظم درر الصدف الثمين في
أسلاك الكتابة والاملاء * وعاشق خنساء فكره ذات الصدار من الشجون والشعار
تبكي على صخر قلب المحبوب * وتذكره كلما طلعت شمس أو كان للصباهبوب فتأتي بما
يطفي وقود الجوى المشبوب من بحار الاشعار * وليلى شوقه العفيفة عن العار ترفل
في ثوب من التصبر معار وفيس توقه من ثوب السلوعار * قد تولاه واشتاق خصوصا عند
انتشاق البشام والعرار * وقلق لما ارق فلم يقترب به قرار * فاعتراه ما براه وألف البكاء بحكم
الاضطرار * ولبس ثياب النحول والاصفرار وأسر لما هزمت جيوش صبره وأزعجت
الفرار * فتحير مما شجاه وسأل النجاء من أسر الفراق

سبحان من قسم الحظو * ظ فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو * بصر وزرقاء اليمامه
ومسدد أو جائر * أو حائر يشكو ظلامه
لولا استقامة من هدا * ى لما تبينت العلامه
ومحاور الغرر الخيو * ف له البشارة بالسلامه
وأخو الحجا في سائر الانفاس مرتقب حمامه
وكما مضى من قبله * يمضي ولم يقض الترامه
والجاهل المغترمن * لم يجعل التقوى اغتنامه
فليرفض العصيان من * يخشى من الله انتقامه
وليعتبر بسواه من * لصلاحه صرف اهتمامه
فالعيش في الدنيا الدنية غير مرجو الادامه
من أرضعته ثديها * في سرعة تبدي فطامه
من عز جانبه بها * تنوى على الفور اهتضامه
واذا نظرت فأين من * منعته أو منحت مرامه
ومن الذي وهبته صـ * ـحة لم يخش انصرامه
ومن الذي مدت له * حبلا فلم يخف انفصامه
كم واحد غرته اذ * سرته مخفية الدمامه
قعدت به من حيث لم * يعلم فلم يملك قيامه
أين الذين قلوبهم * كانت بهاذات استهامه
أين الذين تفيؤا * ظل السيادة والزعامه
أين الملوك ذوو الربا * سة والسياسة والصرامه

صنفنا كتبنا من ضروب المقالات وأنواع الديانات ككتاب الابانة عن أصول الديانة وكتاب المقادير في اصول الديانات وكتاب سر الحياة وكتاب نظر الادلة في اصول الملة وما اشتمل عليه من اصول الفنون وقوانين الاحكام كتيقن القياس والاجتهاد في الاحكام ووقع الرأي والاستحسان ومعرفة الناسخ من المنسوخ وكيفية الاجماع وماهيته ومعرفة الخاص والعام والاوامر والنواهي والحظر والاباحة وما أتت به الاخبار من الاستفاضة والآحاد وافعال النبي صلى الله عليه وسلم وما الحق بذلك من اصول الفتوى ومناظرة أبناء الخصوم فيما نازعونا فيه وموافقتهم في شئ منه وكتاب الاستبصار في الامامة ووصف اقاويل الناس في ذلك من اصحاب النص والاخبار وحجاج كل فريق منهم وكتاب الصفوة في الامامة وما احتواه ذلك مع سائر كتبنا في ضروب علم الظواهر والبواطن والخفي الدائر وايقاظنا على ما يرتقيه المرتقون ويتوقعه المحدثون وما ذكروه من نور يلمع في الارض وينبسط في الجدب والخصب وما في عقب الملاحم السكائنة الظاهر لنباؤها المنجلي اوائلها الى سائر كتبنا في السياسة كالسياحة المدنية واجزاء

و بنو أمية حين جمع عصرهم لهم فثامه
وتمكنوا من يحيا * ول نقمن ماشاؤا ابرامه
وتعشقوا المبادا * لهم محيا الارض شامه
وتاملوا وجه البسيطة فانثنوا يهوون شامه
حتى تقلص ظلهم * وأراهم الدهر اختزامه
أين الخلائف من بني العباس والبر القسامه
أين الرشيد وأهله * و بنوه أصحاب الشهامه
ووزيره يحيى وجعفر ابنه الراوى احتشامه
والفضل مدنى من يقو * ل لمن يلوم على الندى مه
أم أين عنترة الشجا * ع وذو الجدا كعب بن مامه
وانزاعمون بجهلهم * أن القبور صدى وهامه
والمكثرون من المحو * ن اذا شكا الفكر اغتمامه
أين الغريض ومعبد * أو أشعب وأبو دلامه
أين الألى هاموا بسعدى أو بثينة أو أمامه
و بكوا الفرط جواهم * والليل فد أرخى ظلامه
وتتبعوا آثار من * عشقوا بجد أو تهامه
وتعللوا والشوق يغلب بالاراكة والبشامه
أضنى النوى قيسا فقا * سى لا عجا أغرى غرامه
وغوى هوى غيلان مذ * أبدى بمنته هيامه
أين الاكاسرة القيا * صرة المحلون القمامه
أين الذى الهرمان من * بنيانه الحاكى اعتزامه
أم أين غمدان وسيـ * ـف والوفود به أمامه
أين الخورنق والدو * ـر ومن شفى بهما أوامه
ومدائن الاسكندر اللاتى لها أعلى دعامه
أين الحصون ومن يصو * نبها من الاعداء حطامه
أين المراكب والموا * كب والعصائب والعمامه
أين العساكر والدسا * كر والندامى فى المدامه
وسقاتها المتلاعبو * ن بلب من أعطوه جامه
من كل أهيف يزدرى * بالغصن ان يهتز قوامه
ذى غرة لألاؤها * تسمو عن النادى ظلامه
فالشمس فى أزراره * والبدر فى يده قلامه
يصمى القلوب اذا رمى * عن قوس حاجبه سهامه

ويروق حسنا ان رنا * ويفوق آراما براممه
أنى لها نفر حلا * نوقا لمن رام التئامه
أنى لها وجه يشب بقلب مبصره ضرامه
استغفر الله للغـ * ـولا يرى الشرع اعتبامه
بل اين اوباب العلو * م اولوا التصدر والامامه
وذو والوزارة والحجا * بة والكتابة والعلامه
كانت سكنوا بانـ * ـدلس فلم يشكوا سآمه
هي جنة الدنيا التي * قد اذكرت دار المقامه
لاسيما غرناطة الـ * ـغراء رائقة الوسامه
وهي التي دعيت دمشـ * ـق وحسبها هذا فخامه
لنزول اهليها بها * اذ أظهر الكفر انهزامه
وأتت جيوش الشأم من * باب نفى الفتح انبهامه
فسلوا بها عن جلق * اذ أشبهتها في الفخامه
وبدا لهم وجه المنى * واراهم الثغر ابتسامه
وتبوؤها حضرة * تبرى من المضنى سقامه
بروائها وبمائها * وهوائها النائي الوخامه
ورياضها المهتزة الاعطاف من شدو الحمامه
وبمرجها النضر الذي * قد زين الله ارتسامه
وقصورها الزهر التي * يأبى بها الحسن انقسامه
يا ليت شعري أين من * امضى بها الملك احتكامه
واتيح في حمرائها * عزا به زان اتسامه
ابن الوزير ابن الخطيـ * ـب بها فما احلى كلامه
فلكم ابان العدل في * ارجائها وبها اقامه
ولكم اجار عداوكم * اجرى ندى والى انسجامه
راعت صروف الدهر دو * لته وما راعت ذمامه
حتى ثوى اثر التوى * في حفرة نثرت نظامه
من زارها في ارض فا * س اذهبت شجوا منامه
اذ نبهته لكل شمـ * ـل شتت الموت التئامه
هذا لسان الدين اسـ * ـكنته واسكنه رجامه
ومحا عبارته فمن * حياه لم يرد سلامه
فكأنه ما امسك الـ * ـقلم المطاع ولا حسامه
وكأنه لم يعل متـ * ـن مطهم باري النعامه
وكأنه لم يرق غا * رب الاعتزاز ولا سنامه

معمر بن المثنى و
العباس الهمداني والهـ
ابن عدي الطائي والمثـ
ابن القطامي وحماد الراو
والاصمعي وسهل بن هر
وعبد الله بن المقفع واليزيـ
ومحمد بن عبد الله الخـ
والآمدي وأبي ز
سعيد بن أوس الانصار
والنضر بن شميل وعبيد
ابن عائشة وابي عبيـ
القاسم بن سلام وعلي
محمد المداتني ودما
ربيع بن سلمة ومحمد بـ
سلام الجمحي وأبي عثمان
عمرو بن بحر الجاحظ وابـ
زيد عمر بن شبة النميري
والزرقي الانصاري وابـ
السائب المخزومي وعلـ
ابن محمد بن سليمان النوفلـ
والزبير بن بكار والانجيلـ
والرياشي وابن عائشة وعما
ابن وسيمة المصري وعيسى بـ
لهيعة المصري وعبد الرحمن بـ
عبد الله بن عبد الحكم
المصري وابي حسان الزيادي
ومحمد بن عيسى الخوارزمي
وابي جعفر محمد بن أبي السر
ومحمد بن الهيثم بن شبابه
الخراساني صاحب كتاب
الدولة واسحق بن ابراهيم
الموصلي صاحب كتاب
الاغاني وغيره من الكتب
والخليل بن الهيثم الخرقي

صاحب كتاب الحيل والمكايد في الحروب وغيره ومحمد بن يزيد المبرد الازدي ومحمد بن سليمان المقرى الجوهري ومحمد بن

الخزاعي المعروف بالخاقاني الانطاكي وعبد الله محمد بن محفوظ البلدي الانصاري صاحب أبي يزيد عمارة بن زيد اليمني ومحمد البرقي بن خالد البرقي الكاتب صاحب التبيان وولده احمد بن محمد بن خالد البرقي وأحمد ابن ابي طاهر صاحب الكتاب المعروف باخبار بغداد وغيره وابي الوشاء وعلي بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف باخبار الامويين وغيره ومحمد بن صالح بن النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره ويوسف بن ابراهيم صاحب أخبار ابراهيم بن المهدي وغيرها ومحمد بن الحرث الثعلبي صاحب الكتاب المعروف باخبار الملوك المؤلف للفتح بن خاقان وغيره وأبي سعيد السكري صاحب كتاب أبيات العرب وعبد الله بن عبد الله بن حسن بن دارية فانه كان اماما في الالف متنوعا في ملاحة التصنيف اتبعه من يعتمد وأخذ منه ووطئ على عقبه وقفا أثره واذا اردت ان تعلم صحة ذلك فانظر الى كتابه الكبير في التاريخ فانه أجمع هذه الكتب حدا وأبدعها نظما وأكثرها علما وأحوى لاخبار الامم والملوك وسيرها من الاعاجم وغيرها ومن كتبه النفيسة في المسالك والممالك بضائع

وكأنه لم يجل وجها حاز من بشر نمامه
وكأنه ماحال في * امر ولا نهي وسامه
وكأنه ماأ ل من * ملك حباه ولا احترامه
وكأنه لم يلق في * يده لتدبير زمامه
مذ فارق الدنيا وقوض عن منازلها خيامه
أمسى بقبر مفردا * والترب قد جمعت عظامه
من بعد تثنية الوزا * رة جاده صوب الغمامه
لم يبق الا ذكره * كالزهر مفتر الكمامه
والعمر مثل الضيف او * كالطيف ليس له اقامه
والموت حتم ثم بعـ * ـد الموت أهوال القيامه
والناس مجزيون عن * أعمال ميل واستقامه
فذوو السعادة يضحكو * ن وغيرهم يبكي ندامه
والله يفعل فيهم * ماشاء ذلا او كرامه
ويشفع المختار فيـ * ـهم حين يبعثه مقامه
وعليه خير صلاته * مع صحبه تتلو سلامه
والتابعين ومن بدا * برق الرشاد له فشامه
ما فاز بالرضوان عبـ * ـد كانت الحسنى ختامه

والله سبحانه المسؤل في الفوز والنجاة كرما منه وحلما * فبيده الخير لا اله الا هو العلي الكبير العليم الخبير الذي احاط بكل شئ علما * فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء من مخلوقاته على الشمول والاستغراق * (أما بعد) حمدا لله مالك الملك * والصلاة على رسوله المنجي من الهلك * والرضا عن آله وصحبه الذين تجلت بأنوارهم الظلم الحلك وعن العلماء الاعلام الخائضين بحار الكلام المستوين من البلاغة على الفلك * (فيقول) العبد الحقير * المذنب الذي هو الى رحمة ربه الغني فقير * المفتقر المنبرئ من الحول والقوة المتمسك بأذيال الخدمة للسنة والنبوة وذلك بفضل امان وبراءه * الضعيف الفاني الخطاء الجاني من هو من لباس التقوى عرى * احمد بن محمد بن احمد الشهير بالمقري المعربي المالكي الاشعري التلمساني المولد والمنشا والقراءة * نزيل فاس الباهره ثم مصر القاهره أصلح الله احواله الباطنة والظاهره وجعله من ذوي الاوصاف الزكية والخلال الطاهره وسدد في كل قصد انحاءه وآراءه * ووفقه بمنه وكرمه للاعمال الصالحه والطاعات الناجحة الرابحه والمتاجر المغبوطة الرابحه والمساعي الغادية بالخير الرائحه ووقاه ما بين يديه ووراءه * وكفاه مكر الكائد واقتراءه * وجدال الحاسد المستأسد ومراءه * وجعل فيما يرضيه سوقه وشراءه * آمين انه لما قضى الملك الذي ليس لعبيده في أحكامه تعقب اورد * ولا محيد عما شاءه سواء كره ذلك المرء او ورد * برحلتي من بلادي ونقلتي عن محل طار في وتلادي بقطر المغرب الاقصى * الذي تمت محاسنه لولا أن سماسرة الفتن سامت

بضائع أمنه نقصا * وطما به بحر الاهوال فاستملت شعراء العيث فى كامل رونقه من الزحاف اضمارا وقطعا ووقصا

قطر كأن نسيمه * نفحات كافور ومسك
وكأن زهر رياضه * درهوى من نظم سلك

وذلك أواخر رمضان من عام سبعة وعشرين بعد الالف تاركا المنصب والاهل والوطن والالف

بلد طاب لى به الانس حينا * وصفا العود فيه والابداء
فسقت عهده العهاد وروت * منه تلك النوادى الأنداء

وماعسى أن اذكر فى اقليم تعين بحجة فضله التسليم

أضواؤه طبق المنى وهواؤه * يشتاقه الولهان فى الاسحار
والطبع معتدل فقل ماشئته * فى الظل والازهار والانهار

محل فتح الكمائم ومسقط الرأس وقطع التمائم

به كان الشباب اللدن غضا * ودهرى كله زمن الربيع
ففرق بيننا زمن خؤون * له شغف بتفريق الجميع

لم أنس تلك النواسم التى أيامها للعمر مواسم وثغورها بالسرور بواسم فصرت اشير اليها وقد زمت للرحيل القلص الرواسم

ولنا بها تيك الديار مواسم * كانت تقام لطيبها الاسواق
فأبانتنا عنها الزمان بسرعة * وغدت تهلنا بها الاشواق

وأنشد قول غيلان

أمنزلتى منى سلام عليكما * هل الازمن اللائى مضين رواجع

واتمثل فى تلك الحدائق التى حمائمها سواجع بقول من جفونه من الموت غيره واجع

تشدو بعيدان الرياض حمائم * شدوا النيان عزفن بالاعواد
ماد النسيم بقضبها فتمايلت * مهتزة الاعطاف والاجياد
هذى تودع تلك توديع التى * قد آذنت منها بوشك بعاد
واستعبرت لفراقها عين الندى * فابتل مئزر عطفها المياد

وأحدق النظر الى روض لانسان العين من فراقه فى بحر الدموع سبح وخوض

روض به أشياء ليست فى سواه تؤلف
فمن الهزار ترنم * ومن القضيب تقطف
ومن النسيم تلطف * ومن الغدير تعطف

والتفت كالمستريب والحى اذ ذاك قريب وحديث العهد ليس بمنكر ولاغريب

أهذا ولما تمض للبين ساعة * فكيف اذا مرت عليه شهور

والآثار لائحة والشمال غادية ورائحة

أرى آثارهم فأذوب شوقا * وأسكب من تذكرهم دموعى

٢ ط ل وما بانوا به عن غيرهم وما أحدثوه من السير فى أيامهم تأليف أبى عبد الرحمن خالد بن هشام الامو

عليه وسلم من الخلفاء والملوك الى خلافة المعتضد بالله وما كان من الاحداث والكوائن فى أيامهم وأخبارهم تاليف محمد بن على وكتاب النسب لاحمد بن على البلاذرى وكتابه أيضا فى البلدان وفتوحها اصلها معنوة [illegible] وما وقع فى أيامه وفى أيام الخلفاء بعده وما كان من الاخبار فى ذلك ووصف البلدان فى الشرق والغرب والجنوب ولانعلم فى فتوح البلدان أحسن منه وكتاب داود بن الجراح فى التاريخ الجامع لكثير من اخبار الفرس وغيرها من الامم وهو جد الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الاخبار والكوائن فى الاعصار قبل الاسلام وبعده تأليف أبى عبد الله محمد بن الحسن بن سواد المعروف بابن اخت عيسى ابن برخان شاه بلخ فى تصنيفه الى سنة عشرين وثلثمائة وتاريخ أبى عيسى بن المنجم على ما أنبأت به التوراة وغير ذلك من اخبار الانبياء والملوك وكتاب التاريخ وأخبار الامويين ومثالبهم وذكر فضائل

وكتاب القاضي أبي بشر الدولابي في التاريخ ١٠ والكتاب الشريف تأليف أبي بكر محمد بن خلف وكيع القاضي في

التاريخ وغيره من الاخبار وكتاب السير والاخبار لمحمد بن خالد الهاشمي وكتاب السير والاخبار لاسحق بن سليمان الهاشمي وكتاب سير الخلفاء لابي بكر محمد بن زكريا الرازي صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره فأما عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري فمن كثرت كتبه واتسع تصنيفه كسكتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته واما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات والزائد على الكتب المصنفات فقد جمع أنواع الاخبار وحوى فنون الآثار واشتمل على صنوف العلم وهو كتاب تكثر فائدته وتنفع عائدته وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه فقيه عصره وناسك دهره اليه انتهت علوم فقهاء الامصار وجملة السنن والآثار وكذلك تاريخ ابي عبد الله ابراهيم ابن محمد بن عرفة الواسطي النحوي الملقب بنفطويه فمحشو من ملاحة كتب الخاصة مملوء من فوائد السادة وكان أحسن اهل عصره تأليفا وافهمهم تصنيفا وكذلك سلك محمد ابن يحيى الصولي في كتابه المترجم بكتاب الاوراق في اخبار الخلفاء من بني العباس وبني امية وشعرائهم ووزرائهم بطاح

وأسأل من قضى بفراق حبي * يمن علي منهم بالرجوع
والنفس متعللة ببعض الانس والمشاهد الحميدة لم تنس
تلك العهود بشدها محتومة * عندي كما هي عقدها لم يحلل
غير ان الرحيل عن الربع المحيل فصل به بين الشائق والمشوق وحيل
وقفنا بربع الحب والحب راحل * نحاول رجعاه لنا ويحاول
وألفت دموع العين فيه مسائلا * لها عن عبارات الغرام دلائل
وبالسفح منها كم سقيت لبانها * فيلتئم والسفح للبان ماثل
اذا نسمة الاحباب منها تنسمت * تطيب بها اسحارنا والاصائل
تثير شجوني ساجعات غصونها * فنهنا على الحالين هاجت بلابل
مرابع ليلى في مراتع لذتي * مطالع انسي بها والمنازل

فحياها الله من منازل ذات آثار سائرة فيها ومنازه لا يحصى الواصف محاسنها وامداح اهلها ولا يستوفيها

حلوا عقود اصطباري عند ما رحلوا * وفي الحمائل حلوا مثل امطار
ان المنازل قد كانت منازه اذ * باتوا بها وهي اوطاني واوطاري

ورعى الله من بان وشاق حتى الرند والبان

يا نوا لعيني اقمارا تقلهم * لدن الغصون فلما آنسوا بانوا
عهودهم لست انساها وكيف وقد * رثى لبيني عنها الرند والبان

وفي مثل هذا الموطن تذوب القلوب الرقاق كما قال حائز قصب السبق بالاستحقاق الاديب الاندلسي الشهير بابن الزقاق

وقفت على الربوع ولي حنين * لساكنهن ليس الى الربوع
ولو أني حننت الى مغاني * احبائي حننت على ضلوعي

وكما قال بعض من له في هذه الفجاج مسير

دخولك من باب الهوى ان اردته * يسير ولكن الخروج عسير

وابن من له صفاة لا يطمع الدهر القوي في تحتها وجنات دنيوية لا تجرى انهار الفراق من تحتها

فسقى رضيع النبت من ذاك الحمى * بحيا تدور على الربا كاساته
سفح سفحت عليه دمعي في ثرى * كالمسك ضاع من الفتاة فتاته

ولم ازل بعد انفصالي عن الغرب بقصد الشرق واتصالي في اثر ذلك الجمع بالفرق

احن اذا خلوت الى زمان * تقضى لي بأفنية الربوع
واذكر طيب ايام تولت * لنا فتفيض من اسف دموعي

وأتوق وقد اتسع من البعد الخرق وخصوصا اذا شد اصادح أو أومض برق الى ديار لا يعدوها اختيار

واربع احباب اذا ما ذكرتها * بكيت وقد يبكيك ما انت ذاكر

بطاح وادواح يروقك حسنها * بكل خليج غمته الازاهر
فما هو الافضة فى زبرجد * تساقط فيه اللؤلؤ المتناثر
بحيث الصبا والترب والماء والموى * عبير وكافور وراح وعاطر
وما جنة الدنيا سوى ما وصفته * وما ضم منه الحسن نجد وحاجر
بلادى التى اهلى بها واحبتى * ور وحى وقلبى والمنى والخواطر
تذكرنى انجادها ووهادها * عهودا مضت لى وهى خضر نواضر
اذا العيش صاف والزمان مساعد * فلا العيش ممول ولا الدهر جائر
بحيث ليالينا كغض شبابنا * وايامنا سلك ونحن جواهر
ليالى كانت للشبيبة دولة * بها ملك اللذات ناه وآمر
سلام على تلك العهود فانها * موارد افراح تلتها مصادر

واتذكر تلك الايام التى مرت كالاحلام فأتمثل بقول بعض الاكابر الاعلام

يا ديار السرور لا زال يبكى * فيك اذ تضحك الرياض غمام
رب عيش صحبته فيك غض * وعيون الفراق عنا نيام
فى ليال كانهن أمان * فى زمان كانه احلام
وكأن الاوقات فيك كؤس * دائرات وانسهن مدام
زمن مسعد والف وصول * ومنى تستلذها الاوهام

ويقول الحائك الامى عند ما يكثر شجوى وغمى

لم انس اياما مضت ولياليا * سلفت وعيشا بالصريم تصرما
اذ نحن لا نخشى الرقيب ولم نخف * صرف الزمان ولا نطيع اللوما
والعيش غض والحواسد نوم * عنا وعين البين قد كحلت عمى
فى روضة ابدت تغور زهورها * لما بكى فيها الغمام تبسما
مد الربيع على الخمائل نوره * فيها فاصبح كالخيام مخيما
تبدو الاقاحى مثل ثغر أشنب * اضحى الحبب به كثيبا مغرما
وعيون نرجسها كاعين غادة * ترنو فترمى بالملاحظ اسهما
وكذلك المنثور منثور ربها * لما رأى ورد الخدود منظما
والطير تصدح فى فروع فنونها * سحرا فتوقظ بالهديل النوما

واميل الى بلاد محياها جميل

كساها الحيا برد الشباب فانها * بلاد بها عق الشباب بقائمى
ذكرت بها عهد الصبا فكانما * قدحت بنار الشوق بين الحيازم
ليالى لا الوى على رشد ناصح * عنانى ولا اثنيه عن غى لائم
انال سهادى من عيون نواعس * واجنى مرادى من غصون نواعم
وليل لنا بالسد بين معاطف * من النهر ينساب انسياب الاراقم
تمر الينا ثم عنا كانها * حواسد تمشى بيننا بالنمائم

مرزوقا من التصنيف وحسن التأليف وكذلك كتاب الوزراء واخبارهم لابى الحسن على بن الحسن المعروف بابن المأشطة فانه بلغ فى تصنيفه الى آخر أيام الراضى بالله وكذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فانه كان حسن التاليف بارع التصنيف موجزا للالفاظ معربا للمعانى واذا أردت علم ذلك فانظر فى كتابه فى الاخبار المعروفة بأخبار زهر الربيع وأشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج فانك تشاهد منه حقيقة ما قد ذكرنا وصدق ما وصفنا وما صنفه ابو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه فى كتابه فى الاخبار الذى يعارض فيه كتاب الروضة ولقبه بالباهر وكتاب ابراهيم بن ماهويه الفارسى الذى عارض فيه المبرد فى كتابه الملقب بالكامل وكتاب ابراهيم بن موسى الواسطى الكاتب فى أخبار الوزراء الذى عارض فيه كتاب محمد بن داود الجراح فى الوزراء وكتاب على بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق فى أخبار عدة من وزراء المقتدر بالله وكتاب زهرة العيون وجلاء القلوب تأليف المصرى وكتاب التاريخ تأليف عبد الرحمن بن عبد الرزاق

ابن أبى يعقوب المصرى فى اخبار العباسيين وغيرهم وكتاب التاريخ فى اخبار الخلفاء من بنى العباس وغيرهم لعبد الله بن الحسين ابن معدّ الكاتب وكتاب محمد بن مزيد بن أبى الازهر فى التاريخ وغيره وكتابه المترجم بكتاب الفرج والاحداث ورأيت سنان ابن ثابت بن قرة الحرجانى حين انتحل ما ليس من صناعته واستنهج ما ليس من طريقته قد ألف كتابا جعله رسالة الى بعض اخوانه من الكتاب واستفتحه بجوامع من الكلام فى اخلاق النفس واقسامها من الناطقة والغضبية والشهوانية وذكر لها من السياسات المدنية مما ذكره افلاطون فى كتابه فى السياسة المدنية وهو عشر مقالات ولها مما يجب على الملوك والوزراء ثم خرج الى اخبار يزعم أنها صحت عنده ولم يشاهدها ووصل ذلك باخبار المعتضد بالله وذكر صحبته به وايامه السالفة ثم ترقى الى خليفة خليفة فى التصنيف مضادة لرسم الاخبار والتواريخ وخروجا عن جملة أهل التأليف وهو وان أحسن فيه ولم يخرجه عن معانيه فانما عيبه أنه خرج عن مركز صناعته وتكلف ما ليس من مهنته ولو أقبل على الذى انفرد لانطل

وبتنا ولا واش نخاف كاشحا * حللنا مكان السر من صدر كاتم

واهفو الى قصور ذات بهجة وصروح توضح معالمها للرائد نهجه

ورياض تختال منها غصون * فى برود من زهرها وعقود

فكأن الادواح فيها غوان * تتبارى زهوا بحسن القدود

وكأن الاطيار فيها قيان * تتغنى فى كل عود بعود

وكأن الازهار فى حومة الرو * ض سيوف تسل تحت بنود

وأصبو الى بطاح وادواح تروّح النفوس والارواح

سقيا لها من بطاح خز * ودوح زهر بها مطل

اذ لا ترى غير وجه شمس * اطل فيه عذار ظل

وانهار جارية وازهار نواسمها سارية وأربع وملاعب تزيح عن مبصرها المتاعب

تلك المنازل والملا * عب لا أراها الله محلا

أوطفتها زمن الصبا * وجعلت فيها لى محلا

حيث التفت رأيت ما * ئحا ورأيت ظلا

والنهر يفصل بين زهـ * ـر الروض فى الشطين فصلا

كبساط وشى جرّدت * ايدى القيون عليه نصلا

والى منازل يستفز حسنها الرائق الجاد والهازل ويشفى منظرها عليلا ويكفى مخبرها للمستفهم دليلا

وجنان ألفتها حين غنت * حولها الورق بكرة واصيلا

نهرها مسرع اجرى وتمشت * فى رباها الصبا قليلا قليلا

وأتمثل ان ذكرت حال وداعى بقول الشاعر الاديب الوداعى

الغرب خير وعند ساكنه * امانة اوجبت تقدمه

فالشرق من نيريه عندهم * يودع دينار ه ودرهمه

وبقول غيره اشارة لفضل الغرب وخيره

أشتاق للغرب واصبو الى * معاهد فيه وعصر الصبا

ياصاحبى نجواى والليل قد * ارخى جلابيب الدجى واختبا

لا تعجبا من ناظر ساهر * بات يراعى انجما غيبا

القلب فى آثارها طائر * لما رآها تقصد المغربا

وأهيم كلما حللت من غيران أرضى بمكان وقد صير السائق جد السير معمولا لما انفك كما جعله خبر السكان بقول قاضى القضاة العالم الكبير الشمس بن خلكان

أى ليل على المحب اطاله * سائق الظعن يوم زمّ جماله

يزجر العيس طاويا يقطع المهـ * ـمه عسفا سهوله ورماله

أيها السائق المجدّ ترفق * بالمطايا فقد سئمن الرحاله

وانخها هنيهة وارحها * اذبراها السرى وفرط الكلاله

به من علم اقليدس والمعظمات والمجسطى والمدورات ولو استفتح بسقراط وافلاطون وارسطاطاليس فاخبر عن الاشياء الفلكية والآثار العلوية والمزاجات الطبيعية والنسب والتأليفات والنتائج والمقدمات والصنائع المركبات ومعرفة الطبيعيات من الالهيات والجواهر والهيآت ومقادير الاشكال وغير ذلك من أنواع الفلسفة لكان قد سلم مما تكلفه وأتى بما هو اليق بصنعته ولكن العارف بقدره يعود والعالم بمواضع الخلة مفقود وقد قال عبد الله بن المقنع من وضع كتابا فقد استهدف فان اجاد فقد استشرف وان أساء فقد استقذف

(قال أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) ولم نذكر من كتب التواريخ والاخبار والسير والآثار الا ما اشتهر مصنفوها وعرف مؤلفوها ولم نتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الاحاديث فى معرفة أسماء الرجال واعصارهم وطبقاتهم اذ كان ذلك أكثر من أن نأتى على ذكره فى هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع تسمية أهل الاعصار من جملة الآثار ونقلة السير والاخبار وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة ثم من تلاهم من التابعين وأهل كل عصر على اختلاف انواعهم وتنازعهم فى آرائهم من فقهاء الامصار وغيرهم من اهل الآراء والنحل

لا تطل سيرها النعيف فقد برح بالصب فى سراها الاطاله
وارث للنازح الذى ان رأى ربعك اثوى فيه نادبا أطلاله
يسأل الربع عن ظباء المصلى * ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحال من المحيل جواب * غير ان الوقوف فيه علاله
هذه سنة المحبين يبكو * ن على كل منزل لاحاله
يا ديار الاحباب لا زالت الاعـ * ـين فى تربساحتيك مذاله
وتمشى النسيم وهو عليل * فى مغانيك ساحبا اذياله
اين عيش مضى لنا فيك ما اسـ * ـرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الزمان طلق نضير * والتدانى غصونه ميساله
ولنا فيك طيب أوقات انس * ليتنا فى المنام نلقى مثاله

وارد قول الذى سحر الالباب منادبا من له من الاحباب

احبابنا لو لقيتم فى اقامتكم * من الصبابة ما لاقيت فى الظعن
لأصبح البحر من انفاسكم يبسا * كالبر من ادمعى ينشق بالسفن

وقوله

وما تغيرت عن ذاك الوداد ولا * حالت بى الحال فى عهدى وميثاقى
درسى غرامى بكم دهرى اكرره * وقد تفقهت فى وجدى واشواقى

وقول المجد بن شمس الخلافه معلما أنه لا يريد بدل معهده وخلافه

يا زمان الهوى عليك السلام * وعلى السلو عنك حرام
أى عيش قطعته فيك لودا * م وهل يرتجى لظل دوام
كنت حلما والعيش فيك خيالا * وسريعا ما تنقضى الاحلام
لهف نفسى على ليال تقضت * سلبتنى برودها الايام
فطمتنى الاقدار عنك وليدا * وشديد على الوليد الفطام
لا تلمنى على البكاء عليها * من بكى شجوه فليس يلام

وقول أبى طاهر الخطيب الموصلى

حى نجدا عنى ومن حل نجدا * أربعا هيجن لى غراما ووجدا
واقر عنى السلام آرام ذاك الـ * ـشعب والاجرع الخصيب المفدى
وابك عنى حتى ترنح بالوجـ * ـد أراكاته وبانا ورندا
فلكم وقفة اطلت على الضا * ل بدمع اذاع سرى وأبدى
وعلى البان كم من البين أذريـ * ـت لآلى للدمع مثنى ووحدا
آه والمفتى على طيب عيش * كنت قطعته وصالا وودا
حيث عود الشباب غض نضير * ويد المكرمات بالجود تندى
والخليل الودود ينعم اسعا * فاو صرف الزمان يزداد بعدا
والليالى مساعدات على الوصـ * ـل وعين الرقيب اذ ذاك رمدا

كم بها من لبانة لى وأوطا * رتقضت وجازت الحد حدا
فاستعاد الزمان ما كان أعطى * خلسة لى ببخله واستردا

وقول بعضهم

سلام على تلك المعاهد انها * شريعة وردى أو مهب شمالى
ليالى لم نحذر حزون قطيعة * ولم نخش الا فى سهول وصال
فقد صرت أرضى من نواحى جنابها * بخلب برق أو بطيف خيال

وقول الجرجانى

للحبين من حذار الفراق * عبرات تجول بين الماقى
فاذا ما استهلت العيس للبين * وسارت حداتها بالرفاق
استهلت على الخدود انحدارا * كانحدار الجمان فى الاتساق
كم محب برى التجلد دينا * فهو يخفى من الهوى ما يلاقى
ازدهاه النوى فأعرب بالوجد * لسان عن دمعه المهراق
وانحدار الدموع فى موقف البين * على الخد آية العشاق
هون الخطب لست أول صب * فضحته الدموع يوم الفراق

وقول الخطيب الحصكفى الشافعى

ساروا وأكبادنا جرحى وأعيننا * قرحى وأنفسنا سكرى من القلق
تشكو بوا طننا من بعدهم حرقا * لكن ظواهرنا تشكو من الغرق
كأنهم فوق أكوار المطى وقد * سارت مقطرة فى حالك الغسق
دراريّ الزهر فى الابراج زاهرة * تسير فى الفلك الجارى على نسق
يا موحشى الدار مذ بانوا كما أنست * بقربهم لا خلت من صيب غدق
ان غبتم لم تغيبوا عن ضمائرنا * وان حضرتم حللتم كل على الحدق

وما أحسن قول بعضهم فى هذا المعنى الذى كرر ناذكره وبه ألمعنا

سلام على أهل الوداد وعهدهم * اذا الانس روض والسرور فنون
رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا * ففاضت لروعات الفراق عيون

وكم أنشدت ولياليّ النوى عاتمة قول الاندلسى من حاتمة

أيامنا بالحمى ما كان أخلاك * كم بت أرعاه اجلالا وأرعاك
لا تنكرى وقفتى ذلا بمغناك * يا دار لولا أحبائى ولولاك
لما وقفت وقوف القائم الباكى

فهل لهم عطفة من بعد ذلهم * تالله ما تسمح الدنيا بمثلهم
آها لقلبى على تبديد شملهم * ما كان أحلاك يا أيام وصلهم
ويا ليالى الرضا ما كان أضواك

يا بدر تم تناءت عنه أربعنا * ولم تزل تحتويه الدهر أضلعنا
ما للنوى يضرب البين بوجعنا * اذا تذكرت دهرا كان يجمعنا

لاياه بما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين وسلبه الله تفطرت

بسمت كتابى هذا بكتاب
روج الذهب ومعادن
جوهر) لنفاسة ما حواه
عظم خطر ما استولى عليه
ن طوالع بوارع ما تضمنته
تبنا السالفة فى معناه
غرر مؤلفاتنا فى مغزاه
وجعلته تحفة للاشراف
من الملوك واهل الدرايات
ما قد ضمنته من جمل
ما تدعو الحاجة اليه وتنازع
لنفوس الى علمه من دراية
ما سلف وغبر فى الزمان
وجعلته مسهما على
غراض ما سلف من كتبنا
ومشتملا على جوامع يحسن
لاديب العاقل معرفتها ولا
يعذر فى التغافل عنها ولم
نترك نوعا من العلوم ولا فنا
من الاخبار ولا طريقة
من الآثار الا اوردناه فى
هذا الكتاب مفصلا أو
ذكرناه مجملا أو اشرنا اليه
بضرب من الاشارات أو
لوحنا اليه بفحوى
العبارات فمن حرف شيأ
من معناه او زال ركنا من
مبناه او طمس واضحة من
معالمه او لبس شاهدة من
تراجمه او غيره او بدله او
اشحنه او اختصره او نسبه
الى غيرنا او اضافه الى
سوانا فوافاه من غضب
الله ووقوع نقمه وفوادح

تقطرت كبدى شوقا لمرآ ك

أحباب أنفسنا كم ذا النوى وكم * و يامعاهد نجوانا بذى سلم
تالله ماشبت دمعا للاسى بدم * ولا لثمت تراب الارض من كرم
الا مراعاة خل ظل يرعاك

على التعلل يدنى منهم وعسى * فيعمر القرب ما بالبين قد درسا
كم ذا انادى بربع بالنوى طمسا * ياقلب صبرا فان الصبر عاد أسى
و يامنازل سلمى أين سلماك

وقول بعض من اشتد به الهيام فخاطب حيرته ماحا لياالى القرب وذاما تقلب الايام

أيام أنسى قد كانت بقربكم * بيضا فصرن نأيتم أصبحت سودا
ذممت عيشى مذ فارقت أرضكم * من بعد ما كان مغبوطا ومحسودا

وقول صاحب مصارع العشاق وقد شاقه من الهوى ماشاق

بانوا فادمع مقلتى * وجدا عليهم تستهل
وحدا بهم حادى الفرا * ق عن المنازل فاستقلوا
قل للذين ترحلوا * عن ناظرى والقلب حلوا
ماضرهم لو أنهلوا * من ماء ود لهم وعلوا

وقوله حين زحزحته يد الفراق عن أوطان العراق

قد قلت والعبرات تسـ * ـفحها على الخد المآ قى
حين انحدرت الى الجزيـ * ـرة وانقطعت عن العراق
وتخبطت أيدى الرفا * ق فى مهامه البيد الرقاق
يابؤس من سل الزما * ن عليه سيفا للفراق

وقوله أيضا

يامنزل الحى بذات النقا * سقاك دمع مذنأوا مارقا
هل سلوة هيهات لا سلوة * قد بلغ السيل الزبى وارتقى
وأنت يايوم النوى عاجلا * أدال منك الله يوم التقا

وقولى موطئا للثالث وقد تغير لى فيمن تغير حادث

لم أنس معهدنا والشمل مجتمع * والعيش غض وروض الانس معطار
فهل أبا بعد بعدعنه فى قلق * وقد نبت بى أرجاء وأقطار
تمضى الليالى وأشواقى مجددة * وما انقضت لى من الاحباب أوطار

وكلما مررت بمرأى بروق لمعت لى من ناحية المغنى بالمنى بروق فتذكرت قول بعض من له على غير من يهوى طروق

ما نظرت عينى سواك منظرا * مستحسنا الا عرضت دونه
وما تمنيت لقاء غائب * الا سالت الله أن تكونه

وربما رمت اتعالى مذهب السلو وانتحالى خلال أحوال اقامتى وارتحالى فلم ينتقل

انه على كل شئ قدير وقد جعلت هذا التعريف فى أول كتابى هذا وآخره ليكون رادعا لمن ميله هوى اوغلبه شقاء فليراقب امر ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير وهذا حين نبدأ بجمل ما استودعناه هذا الكتاب من الابواب وما حوى كل باب منها من انواع الاخبار و بالله التوفيق

(ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب)

قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكرنا لاغراضه فلنذكر الآن جملا من كمية ابوابه على حسب مراتبها فيه واستحقاقها منه لكى يقرب تناولها على مريدها فأول ذلك

ذكر المبدا وشأن الخليقة وذرء البرية من آدم الى ابراهيم عليهما الصلاة والسلام

ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بنى اسرائيل

ذكر ملك اردشير بن سليمان ابن داود ومن تلا عصره من ملوك بنى اسرائيل وجمل من اخبار الانبياء والملوك من بنى اسرائيل

ذكر اهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم

ذكر جمل من اخبار المندوار بابها ومدد

عن تلك الصفات حالى وأنى وجيدى بقلائد البنات حالى

والله ما انا منصف ان كان لى * عيش يطيب وجيرتى غياب

وكيف ولا ماق صب ولا تواق زيادة اذا سرى نسيم اوهب

شربت حميا البين صرفا وطالما * جلوت محيا الوصل وهو وسيم

فيعاودنى ان تنوح حمامة * وميقات شوقى أن يهب نسيم

فان لاح سنى بارق شاقنى او ترنم شادحدانى الى الهيام وساقنى أو رنا ظبى فلاة راعنى وراقنى

والى ليصبينى سنى كل بارق * وكل حمام فى الاراك ينوح

وأرتاع من ظبى الفلاة اذا رنا * وارتاح للتذكار وهو سنوح

ولم يك ذاك لامر من حيث ذاته * ولكن لمعنى فى الحبيب يلوح

ولا أستطيع الاعراب عن أمرى العجيب لما بى من النوى المذهل والجوى المدهش والوجيب

ولا تسألوا عما أجن فليس لى * لسان يؤدى ما الغرام يقول

يطارحنى البرق الاحاديث كلما * أضاء كان البرق منه رسول

وما بال خفاق النسيم يميلنى * هل الريح راح والشمال شمول

اذ دموع شؤنى عند الذكرى لا ترقا وجفونى ليس لها عن الارق مرقى وشجونى تنموا ذا صدحت بغنها ورقا

رب ورقاء فى الدياجى تنادى * الفها فى غصونها الميادة

فتثير الهوى بلحن عجيب * يشهد السمع أنها عوّاده

كلما رجعت توجعت حزنا * فكأنا فى وجدنا نتباده

فيا لها من ذات طوق مثيرة لكامن شوق جالبة له من يمين وشمال وفوق

ذكرتنى الورقاء أيام أنس * سالفات ذبت أذرى الدموعا

ووصلت السهاد شوقا لحبى * وغراما وقد هجرت الهجوعا

كيف يخلو قلبى من الذكر يوما * وعلى حبهم حنيت الضلوعا

كلما أولع العذول بعتبى * فى هواهم يزداد قلبى ولوعا

وربما أتخيل قول من قال انها بالحزن باثحة وعلى فقد الالف نائحة فأنشد قول خليل وهو بالحب مدنف وعليل

ورب حمامة فى الدوح باتت * تجيد النوح فنا بعد فن

أقاسمها الهوى مهما اجتمعنا * فمنها النوح والعبرات منى

ولا غروان ظهر سر بائح فبالك مثلى من الشجون نائح

فرجعت بعد فراق أيام الهوى * أصف الصبابة للحبب المولع

دامى الجفون اذا الحمامة غردت * من فوق خوط البانة المترعرع

أستى الديار وقد تباعد أهلها * عنها عز الى٣ الدموع الهمع

٣ قوله عز الى يقرأ بتشديد الياء للضرورة اه

ونواعب الاطلال ليس يجيبني * مابينهن سوى الصدى بتوجع
وهواتف فوق الغصون يجيبني * منهن تغريد الحمام السجع
ناحت على عذب الفروع وانفها * منها بمر أى فوقها وبمسمع
مافارقت الفاكم افارقته * كلا ولا أجرت سواكب أدمعي

على أوان عيون سعوده روان وزمان معمور بأماني وامان وآمال دوان وتهاني مابين بكروعوان وفي عذر من طال ليله فاضطرب فيه لولوعه وسكن جواه بجوانحه وضلوعه

ان طال ليلي بعدهم فلطوله * عذر وذاك لما اقاسي منهم
لم تسر فيه نجومه لكنها * وقفت لتسمع ما أحدث عنهم

فأرقى الزائد في حرقي أظهر المكنون وأبان ووجدي بمن ناى وبان لم يجد فيه تعلل برند وبان

تنبهي ياعذبات الرند * كم ذا الكرى هب نسيم نجد
فلست مثلي في جوى أو أرق * وحرقة من فرقة أو صد
عوفيت مما حل بي من جيرة * في الغرب لم يرثوا الفرط وجدي
أعلل القلب ببيان عنهم * وهل ينوب غصن عن قد
بانوا فلا مغنى السرور بعدهم * مغنى ولا عهد الرضا بعهد
آها من البعد ومن لم يدره * لم يشجه تأوهي للبعد

وفي شغل من ابكته الربوع والطلول وذهبت برهة من زمانه بين الترحل والحلول فركب من الاخطار الصعب والذلول وحافظ على العهود ولم يسلك سبيل الغادر الملول

سقاها الحيا من أربع وطلول * حكت دننى من بعدهم ونحولي
ضمنت لها أجفان عين قريحة * من الدمع مدرار الشؤن هطول

ومن الغريب الذي ينكره غير الاريب أن الحادي ان سار القلب بكشف دين فقد تسبب في اجتماع أمرين متنافيين متنافرين

ترنم حاديا لصريم فشاقني * الى ذكر من باتت ضلوعي تضمه
فسروساء النفس شحوا فربما * كلفت به من حيث صرت أذمه

وارتجلت حين مللت من طول المسرى مضمنا ذكرها أروم له تيسرا وقد أكثر الرفاق عند رؤية مالم يألفوه من الآفاق تلهفا وتحسرا

قلت لما طال النوى عن بلادي * ولاهل النوى جوى وعويل
هل أرى للفراق آخر عهد * ان عمر الفراق عمر طويل

ثم قلت مضمنا

لائمي في ذكر أحباب نأوا * لاتلم من أضعف الشوق قواه
ان يوما جامعا شملي بهم * ذاك عيدي ليس لي عيد سواه

ثم قلت مضمنا أيضا

لك الله من صب اضر به النوى * وليس له غير اللقاء طبيب

ذكر ملوك الموصل وبنوى وهم الوزيرون
ذكر ملوك قبائل من النبط وغيرهم
وهم الكلدانيون
ذكر ملوك الفرس الاولى وسيره وجوامع من اخبارها
ذكر ملوك الطوائف الاشغانيين وهم بين الفرس الاولى والثانية
ذكر انساب فارس وماقال الناس في ذلك
ذكر ملوك الساسانية وهم الفرس الثانية وسيره وجوامع من أخبارهم
ذكر ملوك اليونانيين واخبارهم وماقال الناس في بدء أنسابهم
ذكر جوامع من اخبار ورد الاسكندر بارض الهند
ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر
ذكر الروم وما للناس في بدء انسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم وجوامع من سيرهم
ذكر ملوك اروم المتنصرة وهم ملوك القسطنطينية ولمع مما كان في اعصارهم
ذكر ملوك الروم عند ظهور الاسلام الى أرمينوس وهو الملك في سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة
ذكر مصر ونيلها واخبارها وبنائها وعجائبها واخبار ملوكها
ذكر أخبار الاسكندرية وبنائها وملوكها
ذكر السودان وانسابهم
ذكر الصقالبة ومساكنهم

وان صباحا نلتقي بمسائه * صباح الى قلبي المشوق حبيب

ثم عدت الى الصبر بعد امعان النظر والتدبر

واني لادري أن في الصبر راحة * ولكن انفاقي على الصبر من عمري

فلا تطفنار الشوق بالشوق طالبا * سلوا فان الجمر يسعر بالجمر

ثم سلكت منهج التفويض والتسليم منشدا قول ابن قطرال المغربي في مقام النصح والتعليم ووجهت القصد الى سكان الضمير بذلك التكليم

ان ايام الرضا معدودة * والرضا اجمل شئ بالعبيد

لا تضنوا عنكم لي سلوة * ما على شوقي اليكم من مزيد

وارجعوا انفسكم تسئية وا * أنكم في الوقت اقصى ما أريد

ان يوما يجمع الله بكم * فيه شملي ذاك عندي يوم عيد

وقول بعض من ندم على البعد عن المعاهد وامل العود والعود أحمد الى المشاهد وغفر للدهر ذنبه ان عاد وتلهف ان لم يعامله بغير الابعاد

ان عاد جمع الشمل في ذاك الحمى * غفرت لدهري كل ذنب تقدما

وان لم يعد مني تيت نفسي بعودة * وماذا عسى تجدي الاماني وقلما

يحق لقلبي أن يذوب صبابة * وللعين أن تجري مدامعها دما

على زمن ماض بهم قد قطعته * لبست به ثوب المسرة معلما

وقول آخر يخاطب أحبابه ويذكر فواصل بحر النوى الطويل وأسبابه

أعيذكم من لوعتي وشجوني * ونار جوى تذكى بماء شؤوني

وبرح أسى لم يبق في بقية * سوى حركات تارة وسكون

أرى القلب أضحى بعد طارقة الاسى * أسير صبابات رهين شجون

وكيف سبيل القرب منكم ودونكم * رمال زرود والاجارع دوني

سلوا مضجعي هل قر من بعد بعدكم * وهل عرفت طعم الرقاد جفوني

سهرنا بنعمان وغتم ببابل * فيا لعيون ما وفت لعيون

وفي بعض الاحيان أتسلى بقول بعض الاندلسيين الاعيان

لا تكترث بفراق اوطان الصبا * فعسى تنال بغيرهن سعودا

فالدر ينظم عند فقد بحاره * بجميل أجياد الحسان عقودا

وقول غيره

فعسى الليالي أن تمن بنظمنا * عقدا كما كنا عليه وأكملا

فلربما نثر الجمان تعمدا * ليعاد أحسن في النظام وأجملا

وأرغب لمن أطال ذيول الغربة أن يقلصها واطلب ممن اجال النفوس في سيول الكربة ان يخلصها

فمتى يعاودني الدهر غافلة * عما نروم وعقد البين محلول

والدار آنسة والشمل مجتمع * والطير صادحة والروض مطلول

وأخبار ملوكهم وتفرق أجناسهم وسيرهم وسيرهما
ذكر الافرنجة والجلالقة وملوكهما وجوامع من اخبارهما وسيرهما
ذكر التوكيرد وملوكها والاخبار عن مسالكها
ذكر عاد وملوكها وما من اخبارها ومافيل في طول اعمارهم
ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها عليه السلام وما من اخبارها
ذكر مكة واخبارها وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرهم وما لحق بهذا الباب
ذكر جوامع من الاخبار في وصف الارض والبلدان وحنين النفوس الى الاوطان
ذكر تنازع الناس في المعنى الذي من أجله سمي اليمن يمنا والشام شاما والعراق والحجاز
ذكر اليمن وانسابها وما قاله الناس في ذلك
ذكر اليمن وملوكها من التبابعة وغيرهم وسيرها ومقادير سنيها
ذكر ملوك الحيرة من اليمن وغيرهم واخبارهم
ذكر ملوك الشام من اليمن وغيرهم واخبارهم
ذكر البوادي من العرب وغيرهم من الامم وعلة سكناها البدو والكراد الجبال وانسابهم وجمل من أخبارهم وغير ذلك مما اتصل بهذا الباب
ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية وتفرقها في البلاد وأخبار اصحاب الفيل وأمر الاحابيش وغيرهم واضرع

وأضرع اليه سبحانه فى تيسير العود الى أوطانى ومعهدى الذى مطايا العز أوطانى وأن يلحقنى بذلك الافق الذى خيره موفور وحق من فيه معروف لا منكر ولا مكفور

اذا ظفرت من الدنيا بقربهم * فكل ذنب جناه الدهر مغفور

وكأنى بعاتب يقول ما هذا التطويل فأقول له جوابى قول ابن أبى الاصبع الذى عليه التعويل

أكثرت عذلى كأنى كنت أول من * بكى على مسكن أو حن للسكن

لا تلح ان من الايمان عند ذوى الايمان مناحتين النفس للوطن

على أننى أقول اللهم يسر لى ما فيه الخيرة لى بالمشارق أو المغارب وجدلى من فضلك حيث حللت بجميع ما فيه رضاك من المآرب بجاه نبينا وشفيعنا المبعوث رحمة للاحمر والاسود والاعاجم والاعارب عليه أفضل صلاة وأزكى سلام وعلى آله وأصحابه الاعلام والتابعين لهم باحسان ما ذر شارق وتعاقب طالع وغارب ثم جدّ بنا السير فى البر أياما ونأينا عن الاوطان التى أطنبنا فى الحديث حبا لها وهياما وكنا عن تفاعيل فضلها نيأما الى ان ركبنا البحر وحللنا منه بين السحر والنحر وشاهدنا من أهواله وتنائى أحواله ما لا يعبر عنه ولا يبلغ له كنه

البحر صعب المرام جدّا * لا جعلت حاجتى اليه

أليس ما ونحن طين * فما عسى صبرنا عليه

فكم استقبلتنا أمواجه بوجوه بواسر وطارت الينا من شراعه عقبان كواسر قد أزعجتها أكف الريح من وكرها كما نبهت اللجج من سكرها فلم تبق شيأ من قوتها ومكرها فسمعنا للجبال صفيرا وللرياح دويا عظيما وزفيرا وتيقنا أنا لا نجد من ذلك الا فضل الله مجيرا وخفيرا واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه وايسنا من الحياة لصوت تلك العواصف والمياه فلا حيا الله ذلك الهول المزعج ولا بياه والموج يصفق لسماع أصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب فكأنه من كأس الجنون يشرب أو شرب فيبتعد ويقترب وفرقه تلتطم وتصطفق وتختلف ولا تكاد تتفق فتنال الجو بأخذ بنواصيها وتجذبها أيدى من قواصيها حتى كاد سطح الارض يكشف من خلالها وعنان السحب يخطف فى استقلالها وقد أشرفت النفوس على التلف من خوفها واعتلالها وآذنت الاحوال بعد انتظامها باختلالها وساءت الظنون وتراءت فى صورها المنون والشراع فى قراع مع جيوش الامواج التى أمدت منها الافواج بالافواج ونحن قعود كقعود على عود ما بين فرادى وأزواج وقد نبت بنا من القلق أمكنتنا وخرست من الفرق ألسنتنا وتوهمنا أنه ليس فى الوجود أغوار ولا نجود الا السماء والماء وذلك السفين ومن فى قبر جوفه دفين مع ترقب هجوم العدو فى الرواح والغدو لاجتيازه على عدة من بلاد الحرب دمر الله سبحانه من فيها وأذهب بفتحها عن المسلمين الكرب لاسيما مالطة الملعونة التى يتحقق من خلص من معرتها أنها مدبتأييد المسيء ومعونة فقد اعترضت فى لهوات البحر الشامى شجا وقل من ركبه فأفلت من كيدها ونجا فزادنا ذلك الحذر الذى لم يبق ولم يذر على ما وصفناه من

ذكر أقاويل العرب فى التغول والغيلان وما غيرهم من الناس فى ذلك وغير ذلك مما الحق بهذا الباب واتصل بهذه المعانى

ذكر أقاويل الناس فى الهواتف والجان من العرب وغيرهم ممن أثبت ذلك ونفاه

ذكر ما ذهب اليه العرب من القيافة والعيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك

ذكر الكهانة وصفتها وما قاله الناس فى ذلك من أخبارها وحدّ الناطقة وغيره من النفوس وما قيل فيما يراه النائم وما اتصل بهذا الباب

ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم بأرض سبأ ومأرب وتفرق الازد فى البلدان وسكناهم فى البلاد

ذكر سنى العرب والعجم وشهورها وما اتفق منها وما اختلف

ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف فى اسمائها وجمل من التاريخ وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى

ذكر شهور السريانيين ووصف موافقتها لشهور

هول البحر ونحن بأرض العدو في ميدان الالتقاء عاليد الى الهلكة طلقا وتشتت أفكارنا فرقا وذبنا سي وبدسا وفرقا اذا البحر وحده لاكمي يقارعه ولا قوى يصارعه ولا شكل يضارعه لا يؤمن على كل حال ولا يفرق بين عاطل وحال ولا بين أعزل وشاكي ومتبالك وباكي

ثلاثة ليس لها أمان * البحر والسلطان والزمان

فكيف وقد انضم اليه خوف العدو الغادر الخائن والكافر الحائن الى أن قضى الله بالنجاة وكل ما أراد فيه والكائن وان نهى عنه وأخطأ المائن فرأينا البر وكأنا نيل لم نره وشفيت به أعيننا من المره وحصل بعد الشدة الفرج وشممنا من السلامة أطيب الارج فيالها من نعمة كشفت عن وجهها النقاب يقل شكر الها رم الاحقاب وعتق الرقاب جعلنا الله بآلائه معتبرين وعلى طاعته مصطبرين ولم نخل في البر من معاناة خطوب ومداراة وجوه للاعب ذات تجهم وقطوب فكم جبنا منه مهامه فيها ومسحنا بالخطا منها أثيرا وصفيها وقلينا الفجاج وفرأنا من الطرق خطوطا دات استقامة واعوجاج وتلوب الرفقة من الفرقة في اضطراب وارتجاج وربما عميت على الجهتهد الادلة التي يتحصل بها على المذهب الاحتجاج فترى الانفاس تعثر في زمرة الاشواق والاجرام قد زرن عليها من التعب الاطواق هذا والليل بصفحة البدر مرتاب وقد شدت رحال وأقتاب وزمت ركاب ورفعت احداج وفريت من الدعة عدية النصب أوداج وتساوى في السير نهار مشرق وليل مقمر أوداج وأديم التأويب والاسآد وحمل العربة قد أثقل وآد ثم وصلنا بعد خوض بحار يدهش فيها الفكر ويحار وجوب وياف مجاهل يضل فيها القطاع المناهل الى مصر المحروسة فشفينا برؤيتها من الاوجاع وشاهدنا كثيرا من محاسنها التي تعجز عن وصفها الافواه والاسماع وتمثلنا في بدائعها التي لا تستوفيها بقول ابن ناهض فيها

شاطئ مصر جنة * ما مثلها في بلد
لا سيما مذ زخرفت * بنيلها المطرد
وللرياح فوقه * سوابغ من زرد
مسرودة مامسها * داود ها بمبرد
سائلة وهو بها * يرعد عاري الجسد
والفلك كالافلاك بين حادر ومصعد

وبقول آخر

انظر الى النيل الذي * ظهرت به آيات ربي
فكأنه في فيضه * دمعي وفي الخفقان قلبي

وبقول ابي المكارم الخطير المعروف بابن عماني في جزيرتها

جزيرة مصر لا عدمتك مسرة * ولا زالت اللذات فيك اتصالها
فكم فيك من شمس على غصن قامة * يميت ويحيي هجرها ووصالها
مغانيك فوق النيل أضحت هوادجا * ومختلفات الموج فيك حبالها

ذكر الاقوال في تأثير القمرين في هذا العالم وجمل مما يدل في ذلك مما اتصل بهذا الباب

ذكر انواع العالم وما خص به كل جزء منه من الشرقي والغربي واليمني والجنوبي وغير ذلك من سكان الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم

ذكر البيوت المعظمة والهيا كل المشرفة وبيوت النيران والاصنام وعبادات الهنود وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم

ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين ووصفها

ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة ووصفها

ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم ووصفها

ذكر بيوت معظمة أخر وهيا كل مشرفة للصابئة من الحرانيين وغيرهم وما فيها من العجائب والاخبار وغيرها

ذكر الاخبار عن بيوت النيران وكيفية بنائها واخبار المجوس فيها وما لحق بنائها

ذكر جامع تاريخ العالم من بدئه الى مولد النبي صلى الله عليه وسلم وما اتصل بهذا الباب من العلوم

ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ذكر مبعثه عليه الصلاة والسلام وما ومن

قيل فى ذلك الى هجرته صلى الله عليه وسلم ذكر هجرته وجوامع ما كان فى ايامه الى ان توفاه الله عليه وسلم ذكر الاحباء من امور وأحوال كانت من ولادته الى حين وفاته صلى الله عليه وسلم
ذكر ما بدئ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما يحفظ عليه عن احد من الانام
ذكر خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه ونسبه وطرف من اخباره وسيره
ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونسبه وطرف من اخباره وسيره
ذكر خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ونسبه وطرف من اخباره وسيره
ذكر خلافة على بن ابى طالب رضى الله عنه ونسبه وطرف من اخباره وسيره ونسب اخوته واخواته
ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحروب وغير ذلك
ذكر جوامع مما كان بين اهل العراق واهل الشام بصفين
ذكر الحكمين وبدء التحكيم
ذكر حربه رضى الله عنه مع اهل النهروان وهم الشراة وما الحق بهذا الباب
ذكر مقتل على بن ابى طالب رضى الله عنه
ذكر طرف من كلامه وزهده وما الحق بهذا المعنى من اخباره
ذكر خلافة الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنه وطرف من اخباره وسيره
ذكر ايام معاوية بن ابى سفيان

ومن أعجب الاشياء أن جنسه * نمد على أهل الضلال ظلالها

لعله أراد بأهل الضلال اليهود والنصارى المستولين اذ ذاك على الدولة وتذكرت فى مصر قول القاضى الفاضل

بالله قل للنيل عنى انني * لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لى شاهد * ان كان طرفى بالبكاء بخيلا
يا قلب كم خلفت ثم بثينه * وأظن صبرك أن يكون جميلا

وقول احمد بن فضل الله العمرى

لمصر فضل باهر * يعيشها الرغد النضر
فى سفح روض يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقول آخر

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى حين حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

وقول آخر

ولله مجرى النيل منه اذا الصبا * ارتنا به من سرها عسكرا مجرا
بشط يهز السعد فيه دبلا * وموج يهز البيض فيه ذبابة بترا
اذا مدحاكى الورد لونا وان صفا * حكى ماءه لونا ولم يحكه مرا

وقول آخر

واها لهذا النيل اى عجيبة * يكر بمثل حديثها الا يسمع
يلقى الذرى فى الماء وهو مسلم * حتى اذا ما مان عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره * ابدا يزيد كما يزيد ويرجع

وقول ابن القنيب

الصب من بعدهم مفرد * ودمعه النيل وعلبته
وخده لما بكاهم دما * مقياسه والدمع تحليته

وقول الصفدى

سقيا لمصر وما حوت * من أنسها وأناسها
ومحاسن قد مقسها * تبدو وفى مقياسها
ومسرة كاساتها * تجلى على اكياسها
وسطور قرطاسها البارى على قرطاسها
ودمى كنائسها ولا * تنسى ظباء كناسها
ولطافة بجلالة * تبدو على جلاسها
ونواسم كل المنى * للنفس فى انفاسها
ومراكب لعبت بها الامواج فى وسواسها

وقول ابن جابر الاندلسى

ذكر الخلافة وبدء امرها وعلى ابن أبي طالب والعباس رضي الله عنهما وولدهما
ذكر ايام يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان
ذكر مقتل الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما ومن قتل من أهل بيته وشيعته
ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنهم
ذكر لمع من اخبار يزيد بن معاوية وشيره ونوادر من بعض افعاله وما كان منه في الحرة وغيرها
ذكر ايام معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم والخبر ابن عبد الله وعبد الله بن الزبير ولمع من اخبارهم وسيرهم وبعض ما كان في ايامهم
ذكر ايام عبد الملك بن مروان ولمع من اخباره وسيره والحجاج بن يوسف وافعاله ونوادر من بعض اخباره
ذكر لمع من اخبار الحجاج بن يوسف وخطبه وما كان منه في بعض افعاله
ذكر ايام الوليد بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره وما كان من الحجاج في ايامه
ذكر ايام سليمان بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره
ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم رضي الله عنه ولمع من اخباره وسيره وزهده
ذكر ايام يزيد بن عبد الملك ولمع من

مرت بنا ندمن محاسن ارضها * خبرا تحبرنا لبس بالمقطوع
كم مرّ من نيلها ومسلسل * ومدبج من هضبها المرفوع

وقول ابراهيم بن عبدون

والنيل بين الجانبين كأنما * صدئت بصفحتها صفيحة دارع
يأتيك من كدر انزواخر مذه * بمسك من مائه ومصندل
وكأن ضوء البدر في تمويجه * برق تموّج في سحاب مسبل
وكأن نور السرج من جنباته * زهر الكواكب تحت ليل أليل
مثل الرياض سفقتها انوار * تبدو لعين مشبه وممثل

وقول ابن الداحب

فرح الانام بنيلهم * اذ صار احمر كالشقيق
وتبركوا شروقه * فكأنه وادي العقيق

وقول آخر

احمرّ للنيل حدّ * حتى غدا كالشقيق
وحدثرعت فيه * اذ صار وادي العقيق

ثم شمرت عن ساعد العزم بعد الاقامة بمصر مدة قليلة الى المهم الاعظم والمقصد الاكبر الذي هو سر المطالب الجليلة وهو وفيه الحرمين الشريفين والعلمين المنيفين زادهما الله تنويها ويلمع النور من بركة من شرفا به يا رب لم تزل نتوبها فسافرت في البحر الى الحجر راجيا من الله سبحانه في الاجر الانباز الى ان بلغت جدة بعد مكابدة خطوب اشدت لها مع الصبر عدة فحين حصل القرب واكتحلت العين باثمد تلك الترب ترغت بقول مرتال محرّدا على الوخد والارقال

بدا لك الحق فاقطع ظهر بيداء * واهجر مقالة احباب واعداء
واقصد على عزمة ارض الحجاز تجد * بعدا عن السخط في نزل الاوداء
وقل اذا نلت من ام القرى أربا * وهو الوصول باسرار وابداء
يا مكة الله قد مكنت لي حرما * مؤمنا لست اشكو فيه من داء
فذاك النازح المسكين مسكنه * في قطرك الرحب لم ينكب بارداء
شوق الفؤاد الى مغناك متصل * شوق الرياض الى طل وأنداء

ثم انشدت عند ما بدت اعلام البيت الحرام قول بعض من غلب عليه الشوق والغرام وقد بلغ من امانيه الموجبة بشائره وتهانيه المرام

واى الحجيج الى البيت العتيق وقد * سجا الدجى فرأوا انواره بزغا
عجوا عجيجا وقالوا الله أكبرما * الجوّ مؤتلقا بالنور قد صبغا
قال الدليل الا هاتوا بشارتكم * فمن نوى كعبة الرحمن قد بلغا
نادوا على العيس بالاشواق وانتجبوا * وحن كل فؤاد نحوها وصغا
وكل من ذم فعلا نال محمدة * في مكة ومحاما قد جنى وبغى

ولما وقع بصري على البيت الشريف كدت أغيب عن الوجود واستشعرت قول العارف بالله الشبلي لما وفد الى حضرة الجود

قلت للقلب اذ تراءى لعيني * رسم دار لهم فهاج اشتياقي
هذه دارهم وأنت محب * ما احتباس الدموع في الآماق
والمغاني للصب فيها معاني * فهي تدعى مصارع العشاق
حل عقد الدموع واحلل رباها * واجر الصبر وارع حق الفراق

ثم أكملت العمرة ودعوت الله أن أكون ممن عمر بلاغة ربه عمره وذلك أوائل القعدة من عام ثمانية وعشرين وألف من الهجرة السنية وأقمت هنالك منتظرا وقت الحج الشريف ومتنعما ذلك الظل الوريف ومقتطفا ثمار القرب الجنية الى أن جاء الاوان فأحرمت بالحج من غير توان وحين حللت بمنابه أحرمت بزيت الاقامة هنالك وأبرمت فحال من دون ذلك حائل وكنت حريا بأن أنشد قول القائل

هذي أباطح مكة حولي وما * جمعت مشاعرها من الحرمات
أدعو بها لبيك تلبية امرئ * يرجو الخلاص بها من الازمات
نالت المنى بمنى لاني لم أحف * بالخيف من ذنب أحال سماتي
وعرفت في عرفات أني ناشق * للعفو عرفا عاطر النسمات

وأن أتمثل في المطاف اذ حفتني الالطاف بقول من ربعه بالتقوى مشيد البغدادي الشهير بابن رشيد

على ربعهم لله بيت مبارك * اليه قلوب الناس تهوى وتهواه
يطوف به الجاني فيغفر ذنبه * ويسقط عنه جرمه وخطاياه
وكم لذة او فرحة ان لوافه * فيه ما أحلى الموافق واهناه

ثم قصدنا بعد قضاء تلك الاوطار طيبة الشريفة التي لها الفضل على الاقطار واستشعرت قول من أنشد وطير عزمه عن اوكاره بدطار

حمد مرادي اذ بلغت مرادي * بأم القرى مستمسكا بعمادي
ومذ رويت من ماء زمزم غلتي * فلست بمحتاج لماء ثماد

فلله سبحانه الحمد على نعمه التي جلت ومنته التي نزلت بها النفوس مواطن التشريف وحلت

من بهده الرحمن خير هداية * يحل بمكة كي يتاح المقصدا
واذا قضى من حجة الفرض انثنى * يشفي برؤية طيبة داء الصدى

وكان حظي في هذه الحال نذكر قول بعض الوشاحين من الاندلسيين الذين كان لهم ارتحال الى تلك المعاهد الطاهرة والمشاهد الزاهرة التي تشد اليها الرحال

يا من لعبد افتقار الى أياد له جسام فضل مدن لخير مدن حل بها سيد الانام

لم يهف قلبي لحب ليلى * ولا سعاد ولا الرباب
لاقى شجونا ونال ويلا * من هام في ذلك الجناب

وما كان منهم في ايامهم ذكر خلافة الامين وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه ذكر خلافة المأمون وجمل

اخباره وسيره
ذكر ايام يزيد بن الوليد ابن عبد الملك وابرا ابن الوليد بن عبد الملك من اخبارهما
ذكر السبب في العصبية بين اليمانية والمرادية ولد ذلك على بني امية
العصبية
ذكر ايام مروان بن محمد مروان بن الحكم وجمل ومقتله
ذكر مقدار المدة التي ارسان وما ملكت في تلك المدة من الاعوام
ذكر الدولة العباسية من اخبارها وسيرها ولمع من جمل ما كان في ايامه
ذكر خلافة السفاح وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المنصور وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المهدي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة الهادي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة الرشيد وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر البرامكة وأخبارهم

بل من في الفؤاد ميلا * لمن له الحب لا يعاب

قلبي والله مستعار منه حل في بيته الحرام ذي الحجر والركن خير ركن وزمزم الخير والمقام

دانت قلوب المطي عشقا * وركبها واستوى المراد
الى حبيب القلوب حقا * الحي والميت والجماد
الى الذي ليس فيه يشقى * من حبه داخل الفؤاد

شكروا وقد طالت السفار هم ومطاياهم السقام فهي قسي من التثني والقوم من فوقها سهام

ولست من سكرتي مفيقا * حتى ارى حجرة الرسول
فان يسهل لي الطريقا * فذاك أقصى مني وسول
متى ترني عيني العقيقا * ويفرح القلب بالوصول

كم قلت والصبر مستعار للركب اذ غادر والمقام ونسمة الشوق حركتني
وزادني الوجد والغرام

قوموا فقد طال ذا الجلوس * وبادروا زورة الحبيب
تافت الى طيبة النفوس * لا عيش من دونها يطيب
لا حبذا دونها الغروس * والماء والشادن الربيب

وحبذا الرمل والقفار والعرب في تلكم الخيام وام غيلان ظللتني والايلك والاثل والثمام

يا طيبة حزن كل طيب * يا مدفيك ذي حلول
نداء مستضعف غريب * في غربة أمداحه يقول
وهو من السامع المجيب * لمدحه يسأل القبول
أنت الغنى لي فلا افتقار * وانت عزي فلا أضام
مستمسك منك حسن ظني * بعروة مالها انفصام
بسيد العالمين أجمع * بأحمد المجتبى الرسول
ومن هو الشافع المشفع * في موقف الحشر المهول
اذ لا كلام هنالك يسمع * للغير والنفس في ذهول

اذا السماء لها انفطار والكوكب منثورة النظام كذا الجبال انثنت كعهن سريعة المر كالغمام

يا أول الرسل والفضيله * وان تأخرت في الزمن
شفاعة نالت مع وسيله * فمن يضاهي علاك من
علت بك الرتبة الجليله * وطبت في السر والعلن

فأنت من خبرهم خبار فمن يضاهيك في المقام والرسل نالت بك التمني وأنت بدرلهم تمام

الوجد قد قر في فؤادي * فما الصبر به قرار
ولا تجلي صاعدا تنهاد * ودمع عيني له انهمار
وداعا أيا جئت من بلادي * لطيبة أبتغي الجوار

فحبذا تلكم الديار والمصطفى مسكنه الختام عليه أزكى الصلاة مني وصحبه الغر والسلام

ذكر خلافة المتوكل وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المنتصر وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المستعين وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المعتز وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المهتدي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المعتمد وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المعتضد وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المكتفي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة المقتدر وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة القاهر وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه
ذكر خلافة الراضي وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان في ايامه

وقول أبي جعفر أحمد بن علي العربي الطنجي رحمه الله تعالى وهو من التشريع أحد أنواع البديع

يا راحلا يبغي زيارة طيبة * نحب المنى بزيارة الاخيار
حي العقيق أذا وصلت وقف لنا * وادي مي باطيب الاخبار
واذا وقعت لدى المعرف داعيا * زال الغنا وطفرت بالاوطار

ولما من الله تعالى علينا بالحلول بالمشاهد التي قام الدين بها وظهر والمعاهد التي بان الحق فيها واشتهر والمواطن التي هزم الله تعالى حزب الشيطان فيها وقهر ونصرت النبوة وعضدت وقلعت غصون الكفر وحصدت ورمت سواعد الرجيد ونضدت وقرت العيون وفقدت الدنون أنشد لسان الحال قول بعض من جرى بمحاسن طيبة حال

يا من به طيبة طابت لي وطلى * ومن بتشريفه شرف العرب
يا أحمد المصطفى قد جئت من بلد * فاس ولي حمد فاس ولي أرب
وقد دهتني ذنوب ما لها أذ عظمت * لله منها رطبه المربي المرب

ونسبا بما شاهدة ذلك الجناب ما كنه وسبق الدمع الذي لا يعارض الريح ولا يناقيه

أيها المعرم المشوق هنيئا * ما نالوك من لديدا تنالك
قل لعينيك هملان سرورا * طالما أسعد الدموع الغراق
واجمع الوجد والسرور بهما حا * وجميع الاشجان والاشواق
وأمر العين أن تفيض انهمالا * وتوالى بدمعها المهراق
عند دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع في الاماق

وملأ عين الاكوار وثلثنا من عرف تلك الانجاد والانوار وغلبنا من هاتيك الانوار وتخلينا عن الاغيار وعلينا بالحلى الاخيار وكيف لا وطيبة مركز تلك الدوار

اذا لم تطب لي طيبة عند طيب * به طيبة طابت فاين نطيب
وان لم تجب لي أرضها بالدعا * ففي اي أرض للدعاء تجيب
أياسا كني أكناف طيبة كلكم * الى القلب من اجل الحبيب حبيب

وما أحسن قول علم الاندلس المالكي الاديب عبد الملك السلمي المذهور بابن حبيب

لله در عصابة صاحبها * نحو المدينة تقطع الفلوات
ومهامه فدجية ومفاوز * ما زلت أذكرها بلون حباني
حتى اتينا القبر قبر محمد * خص الاله محمدا بصلات
خير البرية والنبي المصطفى * هادي الورى لطرائق النجاة
لما وقفت بقربه لسلامه * جادت دموعي واكف العبرات
ورايت حجرته وموضعه الذي * قد كان يدعوفيه في الخلوات
مع روضة قد قال فيها انها * مشتقة من روضة الجنات
وبمنزل الانصار وسط قبابهم * بيت الهداية كاشف الغمرات
وبطيبة طابوا وطابوا رحمة * مغنى الكتاب ومحكم الآيات
وبقبر حمزة والصحابة حوله * فاشتد دموع العين منهمرات

من الهجرة الى هذا الو
وهو جمادى الاولى ـ
ست وثلاثين وثلثما
وقد انتهى فيه الى الم
من هذا الكتاب
ذكر من حج الناس
أمر الاسلام الى سنة خم
وثلاثين وثلثمائة و
آخر الكتاب
ذكر جمل القابهم وما و
عن ذوي الدرا بة
اسدادهم
قال المسعودي فهذه جم
ما حوى هذا الكتاب
الابواب على اتيانى في
با ، عماد كرنا من أنو
العلوم وفنون الاخبار والا
مالم نات عليه نواجد
الابواب وترتيب
حبيب بالمعاد من ابوا
على تفصيل ما
الخلفاء وفنادر اعمارهم
بابواب تفردها عن سيرهم
وأخبارهم ثم نعقب بعد
ذلك الغرر من أخبارهم
والعيون من سيرهم
والجوامع مما كان
أعصارهم وأخبار وزرائهم
وما جرى من انواع العلو
في مجالسهم ملوحين بذلك
الى ما سلف من تقدم
وتقدم من تأليفنا في هذ
المعاني والفنون وعند
ما اجتمع من جميع ما اشتم

٤ ط ل عليه هذا الكتاب من الابواب ثمانية واثنان وثلاثون بابا أولها ذكر جميع اغراض هذا الباب

بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيقى الا بالله

(ذكر المدا وشأن الخليقة وذرء البرية)

اتفق أهل العلم جميعا من أهل الاسلام ان الله عز وجل خلق الاشياء على غير مثال وابتدعها من غير أصل ثم روى عن ابن عباس وغيره أن أول ما خلق الله عز وجل الماء وكان عرشه عليه فلما أراد ان يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع الدخان فوق الماء فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين فى يومين الاحد والاثنين وخلق الارض على حوت والحوت هو الذى ذكره الله سبحانه فى القرآن فى قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون والحوت فى الماء والماء على السما والسما على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة على الريح وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن حكاية عن قول لقمان لابنه يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات او فى الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير فاضطرب الحوت فتزلزلت الارض فأرسى الله عليها عليك

سقى المآثم ما دما شاهدتها * وشهدتها بالخطو والخطرات
لازلت زوارا لقبر نبينا * ومدينه زهراء بالبركات
صلى الاله على النبى المصطفى * هادى البرية كاشف الكربات
وعلى ضجيعيه السلام مرددا * مالاح نور الحق فى الظلمات

وقول كمال الدين ناظر توص

أيخ هذه واحمد الله يا خرب * تبشر الدهر بالذى كنت تطلب
فعفر بهذا الترب وجهك انه * أحق به من كل طيب وأطيب
وقبل ربوعا حولها قد تشرفت * عن جاورت والشئ بالشئ يحبب
وسكن فؤادا لم يزل باشتياقه * اليها على جمر الغضى يتقلب
وكفكف دموعا ما لها قد سفحتها * وبرد جوى نيرانه تتلهب

وقول الرعينى الغرناطى

هذه روضة الرسول فدعنى * أبذل الدمع فى الصعيد السعيد
لا تلمنى على انسكاب دموعى * انما صنتها لهذا الصعيد

ولما سلمت على سيد الانام عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ذبت حياء وخجلا مما أتاه عليه من ارتكاب ما يقتضى وجلا غير أنى توسلت بجاهه صلى الله عليه وسلم فى أن أكون ممن وضع له وجه الصفح وجلا

اليك أفزع زللى * فدا الخائف الوجل
وكان مزار قبرك بالمدينة منتهى أملى
فوفى الله ما طمحت * له نفسى بلا خلل
تخذ بيدى غريق نى * بحار القول والعمل
وهب لى منك عارفه * تعرف ما تنكر لى
وتهدينى الى رشدى * وتمنعنى من الزلل
وتحملنى على سنن * يؤمننى من الوجل
فأنت دليل من عميت * عليه مسالك السبل
وانك شافع بر * وموئلنا من الوهل
وانك خير مبتعث * وانك خاتم الرسل
فيا أزكى الورى شرفا * وشافيهم من العلل
ويا أندى الانام يدا * وأكرم ناصر وولى
نداء مقصر وجل * بثوب الفقر مشتمل
على جدواك معتمدى * فأنقذنى من الدخل
وألحقنى بجنات * لدى درجاتها الاول
بصديق وفاروق * وعثمان الرضى وعلى
فأنت ملاذ معتصم * وأنت عماد متكل

عليك صلاة ربك جل زائد العدوات ولا زل

ومذ شممنا من أرج تلك الارجاء الذاكية واستضأنا بسرج تلك الاضواء الزاكية ظهر من الشوق ما كان بطن ولم يخطر ببالنا مكن ولا وطن ويا سعادة من اقام بتلك البقاع الشريفة وقطن

مرا النسيم بربعهم فتلمذا * حتى كأن المشرصار اغذا
فصحا وصح وداح لا اشكو أذى * بل للصبا ماذا حملت من الشذا
أمسست طيبا أم علاك عبير

يا أيها الحادي الذي من وسمه * قصد الحبيب وأن يلم برسمه
هذي منازله فزمزم باسمه * بأبي الذي لم تذو زهرة جسمه
لكنه غض الجمال نضير

لله شوق قد تجاوز حده * أوفى على الصبر المشيد فهده
ياناشق الكافور لا تتعده * طوبى لمشتاق يعفر خده
في روضة الهادي اليه يشير

فهناك يبذل في التوسل وسعه * و يصيح نحو خطيب طيبة سمعه
ويريق فوق حصى المصلى دمعه * ويرى معالم من يحب وربعه
ومحمد للعالمين بشير

صلى عليه الله خير صلاته * وحيا معاليه جليل صلاته
ماحن ذو الاشواق في حالاته * وأتى مغانيه على علاته
فأتيح حسن الختم وهو يسير

ووقفنا بباب طلب الآمال خاشعين وتوسلنا الى الله بذلك المقام العلي خاضعين وغبطنا قوما سكنوا هنالك فكانوا الخدود لهم متى شاؤا على تلك الاعتاب واضعين

أكرم بعيد نحو طيبة مغتدى * متوسل مستشفع مسترشد
يعلي الفلاة لها بعزم أيد * واف الى قبر النبي محمد
ولربعه الاسمى يروح ويغتدي

أزجاه صادق حبه المتمكن * وحداه سائق عزمه المتعين
فحكى لدى شجو حمام الاغصن * هزجا يردد فيه صوت ملحن
ويعد للاطراب صوت المنشد

و يقول جئت بعزمة نزاعة * ونهضت والدنيا تمزكساعة
لمحل أحمد قائلا باذاعة * هذا النبي المرتجى لشفاعة
يوم القيامة بين ذاك المشهد

هذا الرؤف بجاره ونزيله * هذا سراج الله في تنزيله
هذا الذي لا ريب في تفضيله * هذا حبيب الله وابن خليله
هذا ابن بانى البيت أول مسجد

وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والاربعاء وذ قوله تعالى قل ائنك لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلو له أندادا ذلك رب العالم وجعل فيها رواسي م فوقها وبارك فيها وقد فيها أقواتها في أربعة أيا سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخا فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتي طائعين فكان ذلك الدخا من نفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحد ثم فتقها فجعلها سبعا في يومين في يوم الخميس والجم وانما سمي الجمعة لان الله جمع فيه خلق السموا والارض ثم قال وأوحى في كل سماء أمرها يعني خلق في كل سماء خلقه من الملائكة والبحار وجب البرد وان سماء الدنيا م زمردة خضراء والسما الثانية من فضة بيضا والسماء الثالثة من ياقو حمراء والسماء الرابعة من درة بيضاء والسما الخامسة من ذهب أح والسماء السادسة من يا و صفراء والسماء السابع من نور قد طبقها الله ملائ

قيام على رجل واحدة تعظيما لله لقربهم منه قد خرقت أرجلهم الارض السابعة واستقرت أقدامهم على سيرة تحتها

هذا الذي اصطفت النبوة حبه * هذا الذي اسلام الهدى تعديه
هذا الذي سقى غداة استسقيه * هذا الذي جبريل كان خديمه

في حضرة التشريف أزكى مصعد

هذا الذي شهد الوجود بخصه * بمزيه التفضيل من مختصه
و أبانه من وحيه في نصه * هذا الذي ارتفع البراق بشخصه

في ليلة الاسراء أشرف مشهد

هذا الذي غدت الظلول حديقه * بجواره و بدت تروق أنيقه
هذا المكمل خلقه وخليقه * هذا الذي سمع الدعاء حقيقه

ودنا وأول بالقبول المبعد

فهنالك رسل به تتوسل * وعلى حماه لدى المعاد يعول
يا ارحم الرحماء أنت الموئل * يا خاتم الارسال أنت الاول

فرق في اسنى المكارم واسعدي

الله رفع في سراه منارة * وأبان في السبع العلا أنواره
فغدت ملائكة السما آثاره * وأراه جنته هنالك وناره

فزيد وعلد خطه

كم داده من وجل وجلى ظلمه * واتى بالرحمى ومن حرمه
لما دجا في الضلال ذهيمه * بعث الاله به لرحم امه

لولاه كانت بالضلال تردى

حار الشفوف فكل لمس دونه * فالغيث يسأل اذ يسيل يمينه
والشمس تسهدى الشروق جبينه * والله قد لهواطهر دينه

ووفى لذ فيه وقد دنى الموعد

نطقي ينادي ذكره و يراوح * وبه بنافح مسكه و بنافح
تعيي اللسان محامد ومدائح * طوبى لمن قد عاش وهو يكافح

عنه يناضل باللسان و باليد

هو صفوة العرب الالى أحسابهم * اسنافهم قرنت بها انسابهم
فهم لباب المجد وهو لبابهم * من آل بيت لم تزل انسابهم

تنمي لهم عن طيب عنصر مولد

شرف النبوة قد رسا في اصلها * وسما على الزهر العلا بمحلها
ساف السوابق للفخار برسلها * نطق الكتاب كما علمت بفضلها

وقضى به نص الحديث المسند

فوق السماك توطنت وتوطدت * وتفردت بالمصطفى وتوحدت
فهي الخلاصة صفيت فتجردت * من معدن فيه الرسالة قد بدت

من عصر آدم الى العصر محمد

انجيد فهم على ذلك وقد خلقوا الى ان يقوم الساعة وتحت العرش بحر من منه أوزق الحيوان يوحي الله تعالى اليه بما شاء الله من سماء الى سماء حتى ينتهي الى موضع يقال له الابرم فيوحي الله الى الرعد فحمله الى السحاب وهو ملك وتحت سماء الدنيا بحر من ماء يضفع دون السحاب يسمى ماني يحور الارض وتمسك بالعزة وان الله تعالى لو كس ظهر الارض لما سرع من حملها الجن قبل آدم فجعلهم من سارج من نار وابليس منهم فنهاهم الله ان يسفكوا دم البهائم و يظهروا المعصية بينهم فسفكوا وعدا بعضهم على بعض فلما رآهم ابليس لا يعلمون عن ذلك سأل الله تعالى ان يرفعه الى السماء فصار مع الملائكة يعبد الله أشد عبادة وأرسل الله الى الجن وهم حرب ابليس فبيلا من الملائكة تطردهم الى جزائر البحار ونجا من شاء الله منهم وجعل الله ابليس على سماء الدنيا خازنا فوقع في صدره كبر ثم شاء الله عز وجل ان يخلق آدم فقال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة

فقالوا ربنا ومايكون ذلك الخليفة قال تكون له ذرية و يفسدون في الارض و يتحاسدون و يقتل بعضهم بعضا فقالوا طالوا

طالوا ولم يبقوا لمجد مصعدا * دانوا على أيمانهم حيف العدا
سئلوا فهم لعفاتهم غيث الجدا * أهل السقاية والرفادة والندى
والكعبة البيت الحرام المنضد

المطعمون وقد طوى أم القرى * النهضون اذا الصريخ دعاهم نوى
العاطفون اذا الطريق بهم نوى * أهل السدانة والحجابة واللوى
اهل المقام وزمزم والمسجد

المصلحون اذا الجموع تخاذلت * المنجحون اذا المساعي دافعت
الدافعون اذا الاعادي قارعت * المؤثرون اذا السنون تتابعت
وعد الحجيج بنيل كل تفضل

لا يقرب الخطب الملم منيعهم * لا يطرق الكرب المخيف قريعهم
والله شرف بالنبي جميعهم * من نال رتبتهم وحاز صنيعهم
نال الشرف وحاز معنى السودد

حلوا من المجد الاشم بمنعة * في خير معتصم وأسمى موطن
فهم بمنعة أحمد في هجعة * الله خصصهم بأشرف مسكن
محجوجة محفوفة بالاسعد

لما انتمت لرسالة أصل السرى * من بعد صدى مكة أم القرى
انشدت جهرا فيه أنثر جوهرا * راليكها يا خير من وطئ الثرى
عذراء تزرى بالعذارى الخرد

كل الحسان لحسنها انقادت شا * ما مثلها في تربها نشأت نشا
سفرت بعزم ما اجدوا طبشا * نشأت بطيبة القلب وارتوت الحشا
زهراء من برها يهل ويسعد

امتك تشأى في مداك الالسنا * وترى اجادتها المجيد الحسنا
تغدو ولا تثنى العنان عن المنا * واتتك تمرح كالقضيب اذا انثنى
مترنحا بين الغصون المياد

فداعملت في المدح ثاقب ذهنها * ترجو الحلول لدى فراة امنها
وعسى اذا غديت بتربة عدنها * يحلوك الاحسان بارع حسنها
والحسن يحلوها وان لم تنشد

مدحى لخير العالمين عقيدتى * ومطيتى بل طيبتى ونشيدتى
ونتيجتى وهدى اليقين مفيدتى * ولئن مدحت محمدا بقصيدتى
فلقد مدحت قصيدتى بمحمد

يا خير خلق الله دعوة حائر * يشكو اليك صروف دهر جائر
والله يعلم في هواك سرائرى * وهو الذى أرجو لعفو جرائرى
متوسلا بجنابك المتأطد

جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت له الارض اني أعوذ بالله منك ان تنقصني ورجع ولم يأخذ منها شيأ وقال يا رب انها عاذت بك ثم بعث الله ميكائيل فقالت له مثل ذلك فرجع ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله ملك الموت فعاذت بالله منه فقال وأنا أعوذ بالله ان أرجع ولم أنفذ الامر فاخذ من تربة سوداء وحمراء وبيضاء فلذلك خرج نو آدم مختلفين فمن الالوان والحمى أدم لانه أخذ من أديم الارض وقيل غير ذلك ووكل الله ملك الموت بالموت وجعله الله تعالى وتركه حتى صار طينا لازبا يلزق بعضه ببعض أربعين سنة ثم تركه حتى أنتن وتغير أربعين سنة وذلك قوله تعالى من حما مسنون أي متغير منتن ثم صوره وتركه بلا روح من صلصال كالفخار حتى أتى عليه مائة وعشرون سنة وقيل أربعون سنة وهو قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا وكانت الملائكة تمر به فيفزعون منه وكان أشدهم فزعا ابليس كان يمر به فيضربه

له فيظهر له صوت كظهوره من الفخار وتكون له صلة له وذلك قوله تعالى من صلصال كالفخار وقد قيل ان الصلصال غير

ماذكرناه وكان ابليس يدخل من فيه ٣٠ ويخرج من دبره ويقول لامر شاخلقت فلما أراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح قال للملائ

لولا خوف عدت بمغارب * لمكثت عندك في تتاح مآربي
ويكون في ازرقاء عذب مشاربي * حتى احلى من ثراك ترائبي
وانال دفنا في بقيع الغرقد
وعليك من رب حباك صلاته * وسلامه وهباته وصلاته
ما أم بابك من هديته فلاته * لعلاك حتى زحزحت علاته
فأتيح حسن الختم دون تردد

ثم ودعته صلى الله عليه وسلم والقلب من فراقه سقيم ووقعت من البعد عن تلك المعاهد في المقعد المقيم وأنا أرجو أن يكون شكل منطقي غير عقيم وان أحشر في زمرة من سلك الصراط المستقيم

يا شفيع العصاة أنت رجائي * كيف يخشى الرجاء عندك خيبه
واذا كنت حاضرا بفؤادي * غيبة الجسم عنك ليست بغيبه
ليس بالعيش في البلاد انتفاع * أطيب العيش ما يكون بطيبه

ثم عدت الى مصر وقد زال عني بركته صلى الله عليه وسلم الا صر وذلك في محرم سنة ١٠٢٩ ثم قصدت زيارة بيت المقدس في شهر ربيع من هذا العام وقد شملني بفضل الله جوائز الانعام وتذكرت عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة قول حافظ الحفاظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى وهو مما زادني هذه الزيارة رغبة

الى البيت المقدس جئت أرجو * جنان الخلد نزلا من كريم
قطعنا في مسافته عقابا * وما بعد العقاب سوى النعيم

فلما دخلت المسجد الاقصى وابصرت بدائعه التي لا تستقصى بهرني جماله الذي تجلى الله به عليه وسألت عن محل المعراج الشريف فأرشدت اليه وشاهدت محلا أم فيه صلى الله عليه وسلم الرسل الكرام الهداة وكان حقي أن أنشده نالك ما قاله بعض الموفقين وهو مما ينبغي أن تزنزم به الحداة

ان كنت تسأل أين تد * رمحمد بين الانام
فأصخ الى آياته * تظفر بريك في الاوام
اكرم بعبد سمت * تقديمه لرسل الكرام
في حضرة للقدس وا * فاها بعز واحترام
صفوا وصلوا خلفه * ان الجماعة بالامام
للشهب نور بين * والفضل للقمر التمام
سلك النبوة باهر * وباحمختم النظام
هذا الكتاب دلالة * تبقى الى يوم القيام
شهدت له من بعد عجـ * ـز ألسن اللد الخصام
خير الورى واجل آ * يات لخير الكلام
فعليه من رب الورى * أزكى صلاة مع سلام

اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وقال يا رب أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وانا أشرف من الضين وأنا الذي كنت مستخلفا في الارض وأنا الملبس بالريش والموشح بالنور والمتوج بالكرامة وأنا الذي عبدت في سمائك وأرضك فقال الله تعالى اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين فسأل الله المهلة الى يوم يبعثون فانظره الله الى الوقت المعلوم وذهب على ابليس المعنى الذي من أجله أمر آدم بالسجود فمن الناس من رأى أن آدم كان محرابا للمامورين بالسجود والمقصود بذلك الخالق عز وجل وموافقة الامر والطاعة له على سبيل البلوى والاختبار واتخذ الواقعة بالمكلفين ومنهم من رأى غير ذلك ثم نفخ الله تعالى في آدم من روحه فكان كلما دخل في بعضه الروح يذهب ليجلس فقال الله تعالى وكان الانسان عجولا ولما تتابع فيه الروح عطس فقال الله له قل الحمد لله يرحمك الله يا آدم (قال المسعودي) وما ذكرناه من الاخبار في مبدإ الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف والباقي عن الماضي فعن ابن

ب ماتقل الينا من ألفاظهم ووجدناه فى كتبهم مع شهادة الدلائل بحدوث ١٣ العالم واتضاحها بكونه ولم نتعرض لوصف

بما يقول من يقف على سرد هذه الامداح النبوية الى متى وهذا الميدان تكل فيه فرسان
ديهة والروية فأنشده فى الجواب قول بعض من أم نهج الصواب

لأدين مديح المصطفى * فعل من فى الله قوى طمعه
فعسى أنعم فى الدنيا به * وعسى يحشرنى الله معه

واذا كان التقريض فى بعض الاحيان كذبا صراحا والموفق من تركه والحالة هذه رغبة عنه
واطراحا فخيره ما كان حقا وهو مدح الله ورسوله وبذلك يحصل للعبد منتهى سوله

ليس كل التقريض يقبله السمـــع وتصغى لذكره الافهام
ان بعض التقريض ما كان هزأ * ليس شيأ وبعضه أحكام
واجل الكلام ما كان فى مد * ح شفيع الورى عليه السلام
طيب العرف دائم الذكر لا تأ * تى الليالى عليـــه والايام
مثل زهر قد شق عنه كمام * أو كمسك قد فض عنه ختام
ليس تحصى صفات أحمد بالعد كما لم تحط به الاوهام
ولو أن البحار حـــبر وماق الارض من كل نابت أقلام
فطويل المديح فيه قصير * وحسام ماض لديه كهام
ولسان البليغ اللبيب يمى * وكذا صيب الفصيح جهام
كيف يحصى مديح مولى عليه الله أثنى وذكره مســـتدام
وله المعجزات والآى تبدو * لا يغطى وجوههن لثام
من المعجزات أن سار ليلا * وجميع الانام فيه نيام
راكبا للبراق حتى أتى القد * س وفيه رسل الاله الكرام
فاستووا خلفه صفوفا وقالوا * صل يا أحمد فأنت الامام
فعليـــه من ربه صلوات * زاكيات مع صحبه وسلام

م رجعت الى القاهرة وكررت منها الذهاب الى البقاع الطاهرة فدخلت لهذا النارع الذى
وعام تسعة وثلاثين وألف مكة خمس مرات وحصلت لى بالمجاورة فيها المسرات وأمليت
يها على فصد التبرك دروسا عديدة والله يجعل أيام العمر بالعود اليها مديدة ووفدت على
لمية المعظمة مع امنا هجها السديدة سبع مرار واطفأت بالعود اليها ما بالاكباد الحرار
استضات بتلك الانوار وألفت بحضرته صلى الله عليه وسلم بعض ما من الله به على فى ذلك
لجوار وأمليت الحديث النبوى بمرأى منه عليه الصلاة والسلام ومسمع ونلت بذلك
غيره ولله المنة ما لم يكن لى فيه مطمح ولا مطمع ثم أبت الى مصر مفوضا لله جميع الامور
لازما خدمة العلم الشريف بالازهر المعمور وكان عودى من الحجة الخامسة بصفر سنة سبع
ثلاثين وألف للهجرة فتركت همتى أوائل رجب هذه السنة للعود للبيت المقدس وتجديد
لعهد بالمحل الذى هو على التقوى مؤسس فوصلت أواسط رجب وأقمت فيه نحو خمسة
عشرين يوما بادا لى فيها بفضل الله وجه الرشد وما احتجب وألقيت عدة دروس بالاقصى

من وافق ذلك وانقاد اليه
من أهل الملل القائلين
بالحدوث ولا الرد على من
سواهم ممن خالف ذلك
وقال بالقدم لذكرنا ذلك
فيما سلف من كتبنا وتقدم
من تصنيفنا وقد ذكرنا فى
مواضع كثيرة من كتابنا
هذا جملا من علوم النظر
والبراهين والجدل تتعلق
بكثير من الآراء والنحل على
طريق الخبر وروى عن أمير
المؤمنين على بن ابى طالب
عليه السلام انه قال ان الله
حين شاء تقدير الخليقة
وذرء البرية وابداع المبدعات
نصب الخلق فى صورها
قبل دحو الارض ورفع
السماء وهو فى انفراد ملكوته
وتوحد جبروته فأتاح نورا
من نوره فلمع ونزع قبسا من
ضيائه فسطع ثم اجتمع
النور فى وسط تلك الصور
الخفية فوافق ذلك صورة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فقال الله عز من قائل أنت
المختار المنتخب وعندك
مستودع نورى وكنوز
هدايتى من اجلك أسطح
البطحاء وموج الماء
وارفع السماء واجعل الثواب
والعقاب والجنة والنار
وأنصب أهل بيتك للهداية
وأوتيهم من مكنون علمى

الا يشكل عليهم دقيق ولا يعييهم خفى واجعلهم حجتى على بريتى والمنبهين على فدرى ووحدانيتى ثم أخذ الله الشهادة عليهم

والنخرة المنيفة وزرت مقام الخليل ومن معه من الانبياء ذوى المقامات الشريفة وكنت حقيقا بأن أنشد قول ابن مطروح في ذلك المقام الذي فضله معروف وأمره مشروح

خليل الله قد جئناك نرجو * شفاعتك التي ليست ترد
ألم تنادعوة واشفع تشفع * الى من لا يخيب لديه قصد
وقل يارب أضياف وفد * لهم بمحمد صلة وعهد
اتوا يستغفرونك من ذنوب * عظام لا تعد ولا تحد
اذا وزنت بيذبل او شمام * برجن ودونها رضوى وأحد
ولكن لا يضيق العفو عنهم * وكيف يضيق وهو لهم معد
وقد سالوا رضاك على لساني * الهي ما أجيب وما اراد
فيا مولاهم عطفا عليهم * فهم جمع اتوك وانت فرد

ثم استوعبت أكثر تلك المزارات المباركة كمزار موسى الكليم على نبينا وعليهم وعلى سائر المرسلين والانبياء أجمعين افضل الصلاة والتسليم ثم حدث لي منتصف شعبان عزم على الرحلة الى المدينة التي ظهر فضلها وبان دمشق الشام ذات الحسن والبهاء والحياء والاحتشام والادواح المتنوعة والارواح المتضوعة حيث المشاهدة المكرمة والمعاهدة المحترمة والغوطة الغناء والحديقة والمكارم التي يباري فيها المرء شانئه وصديقه والاظلال الوريقة والافنان الوريقة والزهر الذي تخاله مبسما والندى ريقه والقضبان الملد التي تشوق رائيها بجنة الخلد

بحيث الروض وضاح الثنايا * انيق الحسن معقول الاديم

وهي المدينة المستولية على الطباع المعمورة البقاع بالفضل والرباع

تزيد على مر الزمان طلاوة * دمشق التي رافت بحلو المشارب
لها في اقاليم البلاد مشارق * منزهة اقمارها عن مغارب

ودخلتها أواخر شعبان المذكور وحمدت الرحلة اليها وجعلها الله من السعي المشكور

وجدت بها ما يملأ العين قرة * ويسلي عن الاوطان كل غريب

وشاهدت بعض مغانيها الحسنة ومبانيها المستحسنة

نزلنا بها انوى المقام ثلاثة * فطابت لنا حتى اقتنا بها شهرا

ورأينا من محاسنها ما لا يستوفيه من تأنق في الخطاب وأطال في الوصف وأطاب وان ملأ من البلاغة الوطاب كما قلت

محاسن الشام أجلى * من ان تحاط بحد
لولا حمى الشرع قلنا * ولم نقف عند حد
كانها معجزات * مقرونة بالتحدي

فالجامع الجامع للبدائع يبهر الفكر والغوطة المنوطة بالحسن تسحر الالباب لا سيما اذا حياها النسيم وانتكر

أحب الحمى من اجل من سكن الحمى * حديث حديث في الهوى وقديم

وسلم في ظاهر الفترات فدعا الناس ظاهرا وباطنا وندبهم سرا واعلانا واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد فلله

م آدما الجميل الجليل وبيوتها التي لم تخرج عن عروض الخليل ومخبرها الذي هو على
لها وفضل اهلها أدل دليل ومنظرها الذي يتقلب البصر عن بهجته وهو كليل

والروض قد راق العيون بحلة * قدحا كما بسجاية آذار
وعلى غصون الدوح خضر غلائل * والزهر في أكمامه أزرار

كم لها من حسن ظاهر وكامن كما قلت موطئا للبيت الثامن

أما دمشق فجنة * لعبت بها لبب الخلائق
هي بهجة الدنيا التي * منها بديع الحسن فائق
لله منها الصالحية فاخرت بذوي الحقائق
والغوطة الغناء حيث بالورد والشقائق
والنهر صاف والنسيم اللدن للاشواق سائق
والطير بالعيدان أبدت في الغنا احلى الطرائق
ولآلئ الازهار حلت جيد غصن فهو رائق
وموارد الامطار قد * كملت بها حدق الحدائق
لازال مغناها مصو * با آمنا كل البوائق

وكما قلت مرتجلا ايضا مضمنا الرابع والخامس

دمشق راقت رواء * وبهجة وغضاره
فيها نسيم عليل * صح فوافت بشاره
وغوطة كعروس * تزهى باعجب شاره
ياحسنها من رياض * مثل النضار نضاره
كالزهر زهرا وعنها * عرف العبير عباره
والجامع الفرد منها * أعلى الاله مناره
وحاصل القول فيها * لمن أراد اختصاره
تذكيرها من رآها * عدنا وحسبي اشاره
دامت تفوق سواها * انالة وانارة

وكما ارتجلت فيها ايضا

قال لي ما تقول في الشام حبر * كملا لاح بارق الحسن شامه
قلت ماذا أقول في وصف قطر * هو في وجنة المحاسن شامه

وقلت ايضا

قال لي صف دمشق مولى رئيس * جمل الله نحلته واحتشامه
قلت كل اللسان في وصف قطر * هو في وجنة البسيطة شامه

وقلت أيضا

واذا وجدت لها محاسن الدنيا فلا * تبد أبغير دمشق فيها اولا
بلد انيخ وذو الحجا رفلت نحوه * لم تلق الا جنة أو جدولا

واضح أمره ومن ألبسته الغفلة استحق السخط ثم انتقل النور الى غرائزنا واع في أئمتنا فنحن انوار السماء وانوار الارض فبنا النجاة ومنا مكنون العلم والينا مصير الامور وبمهدينا تقطع الحجج خاتمة الائمة ومنقذ الامة وغاية النور ومصدر الامور فنحن أفضل المخلوقين واشرف الموحدين وحجج رب العالمين فليهنا بالنعمة من تمسك بولايتنا وقبض عروتنا فهذا ما روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن امير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولم نتعرض لكثير من اسانيد هذه الاخبار وطرقها لانا قد اتينا على جميع ذكرها واتصالها في النقل بمن ذكرناها عنه وعزوناها اليه فما سلف من كتبنا خوف الاكثار والتطويل في هذا الكتاب واما ما وجدت في التوراة فهو أن الله تعالى ابتدأ الخلق في يوم الاثنين وكان انتهاء الفراغ يوم السبت فاتخذ اليهود لذلك يوم السبت عيدا وزعم أهل الانجيل ان المسيح عليه

* ط ... السلام احد الاربعة قام من قبره يوم الاحد فاتخذوا ذلك اليوم عيدا واما ما ذهب اليه الجمهور من أهل الفقه

ذا وصف بعض صفاتها وهي التي * يعيا البليغ وان اجاد وطولا

والعابة في هذا الباب من الوصف لبعض محاسنها الفاتنة الالباب قول ابي الوحش سبعي ابن خلف الاسدي يصف ارضها المشرقة ورياضها المورقة ونسيمها العليل وزهرها البليل

سقى دمشق الشام غيث ممرع * من مستهل ديمة دفاقها
مدينة ليس يضاهي حسنها * في سائر الدنيا ولا آفاقها
تود رو راء العراق أنها * تعزى اليها لا الى عراقها
فأرضها مثل السماء بهجة * وزهرها كالزهر في اشراقها
نسيم ريار وضها متى سرى * فلك اخا المهموم من وثاقها
قد ربع الربيع في ربوعها * وسيقت الدنيا الى اسواقها
لا تسأم العيون والانوف من * رؤيتها يوما ولا انتشاقها

وقول شمس الدين الاسدي الطبي

اذا ذكرت بقاع الارض يوما * فقل سقيا لخلق ثم رعيا
وقل في وصفها لا في سواها * بها ما شئت من دين ودنيا

وكأن لسان الدين ذا الوزارتين بن الخطيب عناها بقوله المصيب

بلد تحف به الرياض كانه * وجه جميل والرياض عذاره
وكانما وادية معصم غادة * ومن الجسور لمحكمات سواره

وكنت قبل رحلتي اليها ووفادتي عليها كثيرا ما اسمع عن اهلها زاد الله في ارتقائهم ما يشوقني الى رؤيتها ولقائهم وينشقني على البعد اريج الادب الفائق من تلقائهم حتى لقيت بمكة المعظمة أوحد كبرائها الذين فرائدهم بلبة الدهر منظمة عين الاعيان وصدر أرباب التفسير بها والبيان صاحب القلم الذي طبق الكلى والمفاصل والفتاوى التي حكمها بين الحق والباطل فاصل والتأليف التي وصفها بالاجادة من باب تحصيل الحاصل وارث العلم عن غير كلالة ذو الحسب المشرق بدره في سماء الجلالة صاحب المعارف التي زانت خلاله وساحب اذيال العوارف التي أبانت عن فضله دلالة مفتي السلطان في تلك الاوطان على مذهب الامام النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن ابن شيخ الاسلام عماد الدين لازال سالكا سبيل المهتدين فكان جل الله به عصرا وأوانا لقضية هذا القياس عنوانا فلما حللت بدارهم ورأيت ما أذهلني من سبقهم للفضل وبدارهم صدق الخبر وتمثلت فيهم بقول بعض من غبر

ألمت بنا أوصافهم فامتلأ الفضا * عبيرا وأضحى نوره متألقا

وقد كان هذا من سماع حديثهم * بلاغا فصح النقل اذ حصل اللقا

وقابلوني أسماهم الله بالاحتفال والاحتفاء وعرفني بديع برهم فن الاكتفاء

غمرتني المكارم الغر منهم * وتوالت على منها فنون
شرط احسانهم تحقق عندي * ليت شعري الجزاء كيف يكون

وقابلوني بالقبول مغضين عن جهلي

من نيسان ثم خلقت حواء من آدم واسكنا الجنة لثلاث ساعات مضت منه فمكثا ثلاث ساعات وهو ربع يوم بمائتي سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا وأهبط الله آدم بسرنديب وحواء بجدة وابليس بيسان والحية باصبهان فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الراهون وعليه الورق الذي خصفه من ورق الجنة فيبس فذرته الرياح فانتشر في بلاد الهند فيقال والله اعلم ان علة كون الطيب بارض الهند من ذلك الورق وقيل غير ذلك ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والافاويه والمسك وسائر الطيب وكذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت وكان منه الماس وفي جزائر بحره السنباذج وفي قعره مغائص اللؤلؤ وان آدم لما أهبط من الجنة أخرج منها معه صرة من الحنطة وثلاثين قضيبا من شجرات الجنة مودعة اصناف الثمار منها عشرة عماله قشر وهي الجوز واللوز والجلوز وهو البندق والفستق والخشخاش والشاهبلوط والرانج والرمان والموز والبلوط ومنها عشرة ذات نوى وهي الخوخ والمشمش والاجاص والرطب والغبيراء والنبق والزعرور وما

ومازال بى احسانهم وجميلهم * وبرّهم حتى حسبتهم اهلى

بل الاولى أن اتمثل فيهم بما هو أبلغ من هذا المقول فى آل المهلب وهو قول بعض من نزل بقوم برق قصدهم غير خلب فى زمن به تقلب

ولما نزلنا فى ظلال بيوتهم * أمنا ونلنا الخصب فى زمن المحل

ولو لم يزد احسانهم وجميلهم * على البر من أهلى حسبتهم أهلى

لاسيما المولى الذى امداحه تحلى اجياد الطروس العاطلة وسماحه يخجل انواء الغيوث الهاطلة صدر الاكابر الاعاظم الحائز قصب السبق فى ميدان الاجادة بشهادة كل ناثر وناظم الصديق الذى بوده أغتبط والصدوق الذى بأسباب عهده ارتبط الاوحد الذى ضربت البراعة رواقها بناديه والماجد الذى لم يزل بديع البلاغة من كثب يناديه السرى الحائز من الخلال ما أبان تفضيله اللوذعى الذى لم تزل أوصافه تحكم له بالسودد وتقضى له والحق أبلج لا يحتاج الى زيادة براهين الاجل المولى احمد افندى بن شاهين لازالت العزة مقيمة بواديه ولا برحت حضرته جامعة لبواطن الفخر وبواديه والسعد يراوح مقامه ويغاديه وانجد يترنم بذكره حاديه فكم له أسماه الله ولغيره من اعيان دمشق لدى من أياد يعجز عن الابانة عنها لو أراد وصفها قس اياد ولو تعرضت لاسمائهم وحلاهم أدام الله تعالى سوددهم وعلاهم لضاق عن ذلك هذا النطاق وكان من شبه التكليف بما لا يطاق فليت شعرى بأى أسلوب أؤدى بعض حقهم المطلوب أم بأى لسان أثنى على مزاياهم الحسان وماعسى أن اقول فى قوم نسقوا الفضائل ولاء وتعاطوا أكواب المحامد ملاء وسحبوا من المجد مطارف وملاء وحازوا المكارم وبذوا الموادد والمصارم سودادا وعلاء

فما رياض زهر الربيع * اذا بدت فى وشيها البديع

ضاحكة عن شنب الاقاح * عند سفور طلعة الصباح

غنى بها مطوق الحمام * وصافحتها راحة الغمام

وباكرتها نسمة من الصبا * فاصبحت كأنها عهد الصبا

نضارة ورونقا وبهجه * تفدى بكل ناظر ومهجه

أطيب من ثنائهم عبيرا * بين الورى فاسال به خبيرا

دامت معاليهم على طول الزمن * يروى حديث الفضل عنها عن حسن

وثابت وقرة وسعد * وأسعفوا بنيل كل وعد

فهم الذين نوهوا بقدرى الخامل وظنوا مع نقصى أن بحر معرفتى وافر كامل حسبما اقتضاه طبعهم العالى فلو شريت بعمرى ساعة ذهبت من عيشى معهم ما كان بالغالى فتعين حقهم لا يترك وحبهم لا يخالط بغيره ولا يشرك وان اطلت الوصف فالغاية فى ذلك لا تدرك

يزداد فى مسمعى ترداد ذكرهم * طيبا ويحسن فى عينى مكرره

واذا كان المديح الصادق لا يزيدهم رفعة قدر فهم كما قال الاعرابى الذى ضلت ناقته فى مدح البدر والبيداء تعرف ذلك سيان والحق ابلج والباطل لجلج وليس الخبر

وهذه سنة آدم عليه السلام صار نبيا طالا أبصى ما يمكنه فى ذوى التعارم لموضع الاضطرار وعجز النسل عن التباين والاغتراب

التفاح والسفرجل والعنب والكمثرى والتين والتوت والاترج والقثاء والخيار والخروب ويقال ان آدم لما هبط من الجنة هو وحواء هبطا متفارقين فتعارفا بالموضع الذى يسمى عرفة وبتعارفهما فيه سمى بهذه التسمية وقيل غير ذلك وان آدم عليه السلام تاق الى حواء فغشيها فاشتملت على ذكر وانثى فسمى الذكر قاين والانثى لوبذا ثم عاود الغشيان فاشتملت حواء أيضا على ذكر وانثى فسمى الذكر هابيل والانثى اقليميا وقد تنوزع فى اسم الولد الاول فذهب الاكثر من أهل الكتاب وغيرهم ان اسمه قاين على ماذكرنا ومنهم من رأى ان اسمه قابيل وهو قول فريق من الناس والاغلب ماقدمناه وتذكر على بن الجهم فى قصيدته فى بدء الخلق والذرء ذلك فقال

واقتنيا الابن فسمى قاينا
وعاينا من نشئه ما عاينا
فشب هابيل وشب قاين

ولم يكن بينهما تباين

وذكر أهل الكتاب ان آدم زوج أخت هابيل لقاين وأخت قاين لهابيل وفرق فى النكاح بين البطنين

كالعيان

هب الروض لا يثنى على الغيث نشره * أتحسبه تخفى مآثره الحسنى

وقد ذكرت بلادى النائية بذلك المرأى الشامى الذى يبهر رائيه فعاشت من أنهار ذات انسجام أترع فيها من جريال الانس جام وازهار متوجة للارواح مروحة للنفوس بعاطر الارواح وحدائق تغشى أنوارها الاحداق وعيانها للخبر عنها مصداق وأى مصداق

فهى التى ضحك النهار صباحها * وبكت عشيتها عيون النرجس

واخضر جانب نهرها فكأنه * سيف بسل وغمده من سندس

وجنان أفنانها فى الحس ذوات أفنان

صافحتها الرياح فاعتنق السر * ووالت طواله للقصار

لا تذبعضه ببعض كقوم * فى عتاب مكرر واعتذار

وبطاح راق سناها وكل حسنها وتناهى كما قلت مضمنا فى ذلك المعنى لقول بعض من نال فى البلاغة مناومنحا

دمشق لا يقاس بها سواها * ويمتنع القياس مع النصوص

حلاها راقت الابصار حسنا * على حكم العموم أو الخصوص

بساط زمرد نثرت عليه * من الياقوت الوان الفصوص

ولله در القائل فى وصف تلك الفضائل

ان تكن جنة الخلود بارض * فدمشق ولا يكون سواها

او تكن فى السماء فهى عليها * قد امدت هواءها وهواها

بلد طيب ورب غفور * فاغتنمها عشية أو ضحاها

وعند رؤيتى لتلك الاقطار الجليلة الاوصاف العظيمة الاخطار تفاءلت بالعود الى اوطان لى بها اوطار اذ التشابه بينهما قريب فى الانهار والازهار ذات العرف المعطار وزادت هذه بالتقديس الذى همعت عليها منه الامطار وتمثلت بقول الاصفهانى وان غيرت يسيرا منه لما اسفرت وجوه التهانى

لما وردت الصالحية حيث مجتمع الرفاق

وشممت من أرض الشآم نسيم أنفاس العراق

أيقنت لى ولمن احب بجمع شمل واتفاق

وضحكت من فرح اللقا * وبكيت من الفراق

لم يبق لى الا تجشم ازمن السفر البواقى

حتى يطول حديثنا * بصفات ما كنا نلاقى

وكنت قبل حلولى بالبقاع الشامية مولعا بالوطن لا سواه فصار القلب بعد ذلك مقسما بهواه

ولى بالحمى اهل وبالشعب جيرة * وفى حاجر خل ويكون نحى صحب

تقسم ذا القلب المتيم بينهم * سألتكم بالله هل يقسم القلب

وقد زعمت المجوس ان ادم لم فيه الفضل فى الصلاح بتزويج الاخ من أخته والام من ابنها وقد أتينا به فى الفن الرابع عشر من كتابنا الموسوم باخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وان هابيل وقابين قربا قربانا فتحر هابيل أجود غنمه وأفضل طعامه وتقرب به ونحر قابين شر ماله وقرب به فكان من أمرهما ما قد حكاه الله تعالى فى كتابه العزيز من قتل قابين هابيل ويقال انه اغتاله فى برية قاع ويقال ان ذلك كان ببلاد دمشق من أرض الشام وكان قتله شدخا بحجر فيقال ان الوحوش هنالك استوحشت من الانسان وذلك انه بدأ فبلغ الغرض بالشر والقتل فلما قتله تغير فى توريته وحمله يطوف به فبعث الله غرابا الى غراب فقتله ثم دفنه فأسف قابين ثم قال ما حكاه القرآن عنه يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فدفنه عند ذلك فلما علم آدم بذلك حزن وجزع وارتاع وهلع (قال المسعودى) وقد استفاض فى الناس شعر يعزو الى آدم قاله حين حزن على ولده * وأسف على فقده وهو

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الا[illegible] فبالك

فيالك من صب مراع للذمام منقاد لشوقه بزمام يخيل له انه سمع صوت قيان يقول الاول

الى الله أشكو بالمدينة حاجة * وبالشام أخرى كيف يلتقيان

وفرد تعددت جموعه ووشت بما أكنت ضلوعه دموعه فانشد وقد تحير مابدل فيه من عظم مابه وغير

كتمت شان الهوى يوم النوى فوشى * بسره من جفوني أي غمام
كانت ليالي بيضا في دنوهم * فلا تسل بعدهم عن حال أيامي
ضنيت وجدا بهم والناس تحسب بي * سقما فابهم حالي عند لوامي
وليس أصل ضنى جسمي النحيل سوى * فرط اشتياقي لاهل الغرب والشام

وحصل التغير حيث لم يمكن الجمع ولا الحلو عند التغير كما قال ابن دقيق العيد في مثل هذا الغرض البعيد

اذا كنت في نجد وطيب نعيمه * تذكرت أهلي باللوى فتعسر
وان كنت فيهم زدت شوقا ولوعة * الى ساكني نجد وعيل تصبري
فقد طال مابين الفريقين موقفي * فمن لي بنجد بين اهلي ومعشري

وبالجملة فالاعتراف بالحق فريضة ومحاسن الشام وأهله طويلة عريضة ورياضه بالمفاخر والكمالات أريضة وهو مقر الاولياء والانبياء ولا يجهل فضله الا الاغمار الاغبياء الذين قلوبهم مريضة

أني يرى الشمس خفاش يلاحظها * والشمس تبهر أبصار الخفافيش

ولله در من قال في مثل هذا من الاغبياء

وهبني قلت هذا الصبح ليل * أيعمى العالمون عن الضياء

وقال آخر فيمن عن الحق ينفر

اذا لم يكن للمرء عين بصيرة * فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

وحسب الفاضل اللبيب أن يروى قول البدر بن حبيب

عرج اذا ما شمت برق الشام * وحي اهل الحي وافر السلام
وانزل باقليم جزيل الحيا * بارك فيه الله رب الانام
العز والنصر لديه وما * لعروة الاسلام عنه انفصام
من اولياء الله كم قد حوى * ركنا بمرآه يطيب المقام
وهو مقر الانبياء الالى * والاصفياء الاتقياء الكرام
كم من شهيد في حماه وكم * من عالم فرد وكم من امام

ولذلك اعتنت الجهابذة بتخليد أخباره في الدواوين وابتنت الاساتذة بيوت افتخاره المنيفة الاواوين وتناقلت أنباءه البديعة ألسن الراوين وهامت باماكنه المريعة هداة الشريعة فضلا عن الشعراء المداوين ومع ذلك فهم في التعبير عن عجائبه غير متساوين أولا يرى انهم يأتون من مقولها بقدر رأيهم وعقولهم ولم يبلغ جمع منهم ما كانوا يداوين

بجنات من الفردوس نيح
وجاورنا عدو ليس ينسى
لعين لا يموت فتستريح
وقتل قابيل هابيل ظلما
فوا أسفا على الوجه المليح
فقالي لا أجود بسكب دمع
وهابيل نضمنه الضريح
أرى طول الحياة على عمى
وما أنا من حياتي مستريح
ووجدت في عدة من كتب التواريخ والسير والانساب أن آدم لما نطق بهذا الشعر أجابه ابليس من حيث يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول
نحى عن البلاد وساكنيها
فقد في الارض ضاق بك الفسيح
وكنت وزوجك الحواء فيها
أآدم من اذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتي ومكري
الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الرحمن اضحت
بكفك من جنان الخلد ريح

ووجدت أن آدم عليه السلام سمع صوتا ولا يرى شخصا وهو يقول بيتا آخر مفردا دون ماذكرنا من هذا الشعر وهو هذا البيت

أباهابيل قد قتلا جميعا
وصار الحي بالموت الذبيح

فلما سمع آدم ذلك ازداد حزنا وجزعا على المعاصر لما بقي وعلم ان القاتل مقتول فاوحى الله اليه اني مخرج منك نوري الذي به السلوك في القنوات

على قدرك الصهباء تولين نشوة * بهاسيء اعداء وسر أصحاب
ولو أنها تعطيك منها بقدرها * لضاقت بك الاكوان وهي رحاب

وكنا في حلال الاقامة بدمشق المحوطة واثناء التأمل في محاسن الجامع والمنازل والقصور والغوطة كثيرا ما ننظم في سلك المذاكرة درر الاخبار الملقوطة ونتفيأ من ظلال التبيان مع أولئك الاعيان في مجالس مغبوطة تتجاذب فيها اهداب الآداب ونشرب من سلسال الاسترسال وتتهادى لباب الالباب ونمد بساط الانبساط ونسدل أطناب الاطناب ونقضي اوطار الاقطار ونستدعي أعلام الاعلام فينجر بنا الكلام والحديث شجون وبالتفنن يبلغ المستفيدون مايرجون الى ذكر البلاد الاندلسية ووصف رياضها السندسية التي هي بالحسن منوطة وقنا ياها الموجهة التي لا يستوفيها المنطق مع انها ضرورية وممكنة وشروطة والفطر السليمة والافهام المستقيمة بتسليم براهينها قاضية لاسيما ان كانت بالانصاف مربوطة فصرت أورد من بدائع بلغائها مايجري على لساني من الفيض الرحماني وأسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السلماني صب الله عليه شآبيب رحماه و بلغه من رضوانه الامانى ماتثيره المناسبة وتقتضيه وتميل اليه الطباع السليمة وترتضيه من النظم الجزل في الجد والهزل والانشاء الذي يدهش به ذاكره الالباب ان شاء وتصرفه في فنون البلاغة حالى الولاية والعزل اذ هو أعني لسان الدين فارس النظم والنثر في ذلك العصر والمنفرد بالسبق في تلك الميادين بأداة الحصر وكيف لا ونظمه لم تستول على مثله أيدي الدهر ونثره تزري صورته بالخريدة ودمية القصر فلما تكرر ذلك غير مرة على أسماعهم لهجوا به دون غيره حتى صار كأنه كلمة اجماعهم وعلق بقلوبهم وأضحى منتهى مطلوبهم ومنية آمالهم واطماعهم وصاروا يقطفون بيد الرغبة فنونه ويعترفون ببراعته ويستحسنونه ويستشقون من أزهاره كل ذلك فطلب مني المولى احمد الشاهيني اذ ذاك وهو الماجد المذكور ذو السعي المشكور أن اتصدى للتعريف بلسان الدين في مصنف يعرب عن بعض احواله وأنبائه وبدائعه وصنائعه ووقائعه مع ملوك عصره وعلمائه وأدبائه ومفاخره التي قلدبها جيد الزمان ولبته وماثره التي ارج بها مسرى الشمال ودبته و بعض ماله من النثار والنظام والمؤلفات الكبار العظام الرائقة للابصار الفائقة على كلام كثير من أهل الامصار السائرة مسير القمر والشمس المعقود عليها بالخناصر بل الخمس كي مايكون ذلك لهذه الاغراض مشيعا ويخلع على مطالعه بهذه البلاد المشرقية من اغراضه البديعة ومنازعه وشيعا فاجبته اسمى الله قدره الكبير وأدام عرف فضائله المزري بالعنبر والعبير بان هذا الغرض غير سهل ولست علم الله له باهل من جهات عديدة اولها قصوري عن تحمل تلك الاعباء الشديدة اذ لا يوفي بهذا الغرض الا الماهر بطرق المعارف السديدة وثانيها عدم تيسر الكتب المستعان بها على هذا المرام لاني خلفتها بالمغرب واكثرها في المشرق كعنقاء مغرب وثالثها شغل الخاطر باشجان الغربة الجالبة للفكر غاية الكربة وقلة رأس المال بين شغل عائق و بلبال وأنى يطيق سلوك هذا المضيق من اكتحلت عينه بالسهاد ونبت

الطاهرة والارومات الشريفة وأباهي به الانوار واجعله خاتم الانبياء واجعله خيار الائمة الخلفاء واختم الزمان بمدتهم وأغص الارض بدعوتهم واشرها بشيعتهم فتثمر وتطهر وتقدس وتسبح واغشى زوجتك على طهارة منها فان وديعتي تنتقل الى الولد الكائن منكما فواقع آدم حواء فحملت لوقتها وأشرق جبينها وتلألأ النور في مخايلها ولمع من محاجرها حتى اذا انتهى حملها وضعت نسمة كأشرف مايكون من الذكران واتمهم وقارا واحسنهم صورة واكملهم هيئة واعدلهم خلقا مجللا بالنور والهيبة موشحا بالجلالة والابهة فانتقل النور من حواء اليه حتى لمع في اسارير جبهته وبسق في غرة طلعته فسماه آدم شيثا وقيل شيث هبة الله حتى اذا ترعرع ويفع وكمل واستبصر أوعز اليه آدم وصيته و عرفه محل ما استودعه واعلمه انه حجة الله بعده وخليفته في الارض والمؤدي حق الله الى اوصيائه وانه ثاني انتقال الذرة الطاهرة والجرثومة الزاهرة ثم ان آدم حين ادى الوصية الى شيث احتقبها واحتفظ بمكنونها وأتت وفاة آدم عليه السلام وقرب انتقاله فتوفي يوم الجمعة لست خلون من نيسان في الساعة التي كان فيها خلقه وكان عمره عليه السلام تسعمائة سنة وثلاثين سنة

جنوبه عن المهاد وسدد نحوه الاسف سهمه وشغل باله ووهمه وبث قلبي تبريحا
وعناء لم يجد منه الان يلطف الله تسريحا فما شام بارقة أمل الا في النادر ولا ورد منهل
صفاء الا وكدره مكر غادر وقد كثر الجفاء وبرح بلاشك الخفاء واستوخمت الموارد
والمصادر والقلب مكلوم وذو اللب غير ملوم اذا كان على تلفيق ما يليق غير قادر ولا
مؤنس الا شاكي ذهر بلسان صريح او باكي قاصمة ظهر بجفن قريح او مناضل في
معترك الهجر طريح او فاضل دفن من الخمول في ضريح اذ رمته سهام الاوهام الصوائب
وعضت منه ابهام الابهام بنابها النوى والنوائب فقلوبه من تقلبات أحواله ذوائب وكم
شابت من أمثاله بصروف الدهر واهواله ذوائب

على أنها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

وأدمع احجارها تسلط فجارها فكم من عدو منهم في ثياب صديق وحسود لنظره الى نعم
الله على عباده تحديق لا تخدعه المداراة ولا تردعه المماراة يتتبع العثرات ويقنع
بالم البثرات ويتبسم وقلبه من الغل يتقسم ويتودد ومكايده تتجدد فتتعدد

لا ترم من مماذق الود خيرا * فبعيد من السراب الشراب
رونق كالحباب يعلو على الما * ء ولكن تحت الحباب الحباب
عظمت في النفاق ألسنة القو * م وفي الالسن العذاب العذاب

والصديق الصدوق في هذا الزمن قليل وقد ألف بعض العلماء شعاء الغليل في ذم
الصاحب والخليل وهو غير محمول على الاطلاق وان قال به بعض من رهنه من أبناء
عصره ذو اغلاق

أبناء دهرك فالقهم * مثل العدا بسلاحكا
لا تغتر ربتبسم * فالسيف يقتل ضاحكا

وداء الحسد أعيا الاول والآخر وقد عظم الامر في هذا الاوان وكثر المزدري والساخر
مع ان أسواق الدفاتر كاسدة وأمزجة المحابر فاسدة

والدهر دهر الجاهلين وأمر أهل العلم فاتر
لا سوق أكسد فيه من * سوق المحابر والدفاتر

فالمنسوب للعلم في هذا الزمن زمن وهو بان ينشد قول الاول قن

لاى وميض بارقة أشيم * ورعى الفضل عندهم هشيم

وليت شعري علام يحسد من ابدل الاغتراب شارته واضعف الاضطراب اشارته وانهل
بالدموع انواءه واقلل اضواءه وكثر علله وادواءه وغير عند التأمل رواءه وثنى عن
المأمول عنانه وارهف بالخمول سنانه حتى قدح الذكر جنانه وملأ الفكر جاشه وجنانه
فهو في ميدان التزوح مستبق ومن راحة التعب مصطبح ومغتبق

له أنة المشتاق في كل ساعة * تمر وما للثاكلات من الحزن
ومن مرسلات للدموع واقعة الاسى * ومن عاديات البين قارعة السن

تثير الذكرى منه كوامن الشجون وتدير عليه جام الهيام ولو كان بين الصفا والجون

قبره فمنهم من زعم ان قبره بني مسجد الخيف ومنهم من رأى انه في كهف جبل أبي قبيس وقيل غير ذلك والله أعلم بحقيقة الحال وان شيثا حكم في الناس واستشرع صحف أبيه وما انزل عليه في خاصته من الاسفار والاشراع وان شيثا واقع امرأته فحملت بانوش فانتقل النور اليها حتى اذا وضعته لاح النور عليه فلما بلغ الوصاة اوعز اليه شيث في شان الوديعة وعرفه شانها واتاه شرفهم وكرسهم واوعز اليه ان ينبه ولده على حقيقة هذا الشرف وكبر محله وان ينبهوا أولادهم عليه ويجعل ذلك فيهم وصية منتقلة مادام النسل فكانت الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان أدى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا موضع تنازع الناس فيه من أهل الملة فمن قال بالنص وغيرهم من اصحاب الاختيار والقائلون بالنص هم الاباضية أهل الامامة من شيعة علي بن ابي طالب رضي الله عنه والطاهرين من ولده الذين زعموا ان الله لم يخل عصرا من الاعصار من قائم بحق الله اما انبياء واما اوصياء منصوص عن اسمائهم واعيانهم من الله ورسوله واصحاب

وتحت ضلوع المستهام كآبة * يخاف على الاحشاء منها التفطرا
ولو ان احشاء تبوح بما حوت * لتمتلئ الارض كتبا واسطرا

وشتان ما بين الاقتراب والاغتراب والسكون في الركون والنبوّ عنها والاضطراب فذلك تسهل غالبا فيه الاغراض والمآرب وهذا تتعفر فيه المقاصد وتتكدر المشارب

وما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز * ولكن أرى تحصيلها بالدنية
وان طاوعتني رقة الحال مرة * أبت فعلها أخلاق نفس أبية

وكما قلت عند ما صرت الى الاغتراب وألت

تركت رسوم عزي في بلادي * وصرت بمصر منسي الرسوم
ورضت النفس بالخبز يدزهدا * وقلت لها عن العلياء صومي
مخافة أن أرى بالحرص ممن * يكون زمانه احد الخصوم

وكما قال بعض الاكابر من أهل الزمان الغابر

لا عار ان عطلت يداي من الغنى * كم سابق في الخيل غير محجل
صان اللئيم وصنت وجهي ماله * دوني فلم يبذل ولم أتبذل
أبكي لهم ضافني متأوبا * ان الدموع قرى الهموم النزل
لا تنكروا شيبا ألم بمفرقي * عجلا كأن سناه سلة منصل
فلقد دفعت الى الهموم تنوبني * منها ثلاث شدائد جمعن لي
اسف على ماضي الزمان وحيرة * في الحال منه ووحشة المستقبل
ما ان وصلت الى زمان آخر * الا بكيت على الزمان الاول
لله عهد بالحمى لم انسه * ايام اعصي في الصبابة عذلي

ويرحم الله ابن قلاقس الاسكندري اذ قال في معنى التمني المصدري

لعل زماني بالعذيب يعود * فيقرب قرب او يصد صدود
وابصر كثبانا وهز روادف * عليهن اغصان وهن قدود
واقطف ورد الخد وهو مضرج * واجني اقاح الثغر وهو برود
وادني ذراعي للعناق ذريعة * فتنهى عن الاطراف فيه نهود
ويسري الى البدر وهو ممنع * ويغدو الى الظبي وهو شرود
ونكرع في شكوى الفراق كأننا * فوارط هيم راقهن ورود
واكبر مقدار الهوى عن كبيرة * واحمى عفاف دونه واذود

وفرق ما بين الجوهر والعرض والصحة البينة والمرض والدر والحصا والحسام والعصا والرجوع الى التفويض للاقدار في امور هذه الدار الكثيرة الاكدار هو المطلوب والمرجو من الله سبحانه جبار القلوب

يارب نفس همومي * واكشف كروبي جميعا
فقد رجوت كريما * وقد دعوت سميعا

ولم يجعل لي الذكور حفظه الله فسحة ولا منوحة بعد هذه الا الاذار المحمودة في الصدق

فزعم هؤلاء ان الله ورسوله فوّض الى الامة ان تختار رجلا منها فتنصبه لها اماما وان بعض الاعصار قد يخلو من حجة الله وهو الامام المعصوم عند الشيعة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من ايضاح ما وصفنا من اقاويل المتنازعين وتباين المختلفين وان أنوش قد لبث في الارض يسيرها وقد قيل والله أعلم ان شيثا أصل النسل من آدم دون سائر ولده وقيل غير ذلك وفي زمن انوش قتل قاين بن آدم قابل أخيه ولقابله خبر عجيب قد أوردناه في اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وكانت وفاة أنوش لثلاث خلون من تشرين الاول فكانت مدته تسعمائة سنة وستين سنة وكان قد ولد له قينان ولاح النور في جبينه وأخذ عليه العهد فعمر البلاد حتى مات فكانت مدته تسعمائة سنة وعشرين سنة وقد قيل ان موته كان في تموز بعد ما ولد له مهلائيل فكانت مدة مهلائيل ثمانمائة سنة وقد ولد له لود والنور متوارث والعهد ماخوذ والحق قائم ويقال ان كثيرا من الملاهي احدثت في ايامه احدثها ولد قاين قاتل أخيه ولولد قاين مع ولد لود حروب وفصص

قد أتينا على ذكرها فى كتابنا اخبار الزمان ووقع التحارب بين ولد شيث وبين غيرهم ٤١ من ولد قابن واكثر هذا النوع بارض قار

المدوحة ولسان حالى وقالى يثبتان عجزى عن اداء هذا الحق بشهادة من هو واد وقالى اذ من كان بصفة غير ممكنة مما تكون به متصفة واتسم بنعوت مختلفة وارتسم فى غير ذوى الاحوال المؤتلفة كيف يحير فى التصنيف جوابا أو ينحى من التأليف صوابا ومن جفنه هام هامل وقصوره عام شامل كيف يقبض بالانامل على ماء البحر الوافر الكامل ومن لبس من العى ملاه لا يعبر عن طبق مفاصل الكلام وكلاه وقصرت ألسن البلغاء عن علاه وزانت صدور الدواوين حلاه وجمع خلا لاحسانا وكان للدين لسانا وزاحمت مفاخره بالمناكب الكواكب وازدانت بمرآه النوادى والمواكب ونفحات الازهار من آدابه ونسمات الاسحار عطر أذياله وأهدابه والسحر من كتابته والسحر من كنايته وروح النسيم من تعريضه والنثرة من نثره والشعرى من شعره وقريضه وحلل المجد لباسه وأنوار العلم اقتباسه

له ذهن يغوص ببحر علم * فيأتى منه بالدر النظيم
معانيه الرياض لاجل هذا * سرت ألفاظه مثل النسيم

ومباهيه النجوم ومضاهيه الغيث السجوم الى آباء يحسدهم القمر والشمس واباء لو كان للشرف لما تحيفه لمس وشرف لامدّعى ولا منتحل وهمه لو نالها البدر لاستجدى له زحل وبراعة أرهفت سنان قلمه وبراعة سارت أمراؤها تحت علمه فكم فتح بفكره اقفالها ووسم بذهنه الثاقب أغفالها وسبك معانيها فى قالب قلبه ابريزا ورقم بيان لسانه برود احسانه بلفظه البديع تطريزا فرفع فى ميدان الاجادة لواؤه وأتيح من انهار البراعة العذبة ارواؤه ونال سبقا وتبريزا

وما زمن الشباب وانت تجرى * مع الاحباب فى لهو وطيب
ووصل من حبيب بعد هجر * بأحلى من كلام ابن الخطيب

فقصائده ارخصت جواهر البحور المنظومة فى قلائد اللبات والنحور من حسان العقائل الحور

معان وألفاظ تنظم منهما * عقودا لآل فى نحور الشمائل
وزهر كلام كالحدائق نسجه * غنينا به عن حسن زهر الخمائل

وكلماته غدت للابداع أفليدا وجمعت طريفا من البلاغة وتليدا

كسون عبيدا ثياب العبيد * واضحى لبيد لديها بليدا

ومقطعاته ألذ فى الاسماع من مطرب السماع وأبهى فى الاحداق والنواظر من الحدائق ذوات الاغصان الملد النواضر يعترف بفضلها من انتحل الانصاف دينا وانتحل الاوصاف فاختار العدل منها خدينا

رقيقات المقاطع محكمات * لو أن الشعر يلبس لارتدينا

ورسائله كنقط العروس اللائحة فى البياض او كوشى الربيع او قطع الرياض برزت اغصانها الحالية وتبرجت وتضوعت أفنانها العالية وتارجت وقد لبسها القطر زهرا وفجر خلالها نهرا فأحدقت زخرفها وازينت ولاحت محاسنها غير محتجبة وتبدت فبهرت

من ارض الهند والى بلدهم اضيف العود القمارى فكانت حياته لوقد سبعمائة سنة واثنتين وثلاثين سنة وكانت وفاته فى اداروفام بعده ولده (خنوخ) وهو ادريس النبى صلى الله عليه وسلم والصابئة تزعم انه هو هرمس ومعنى هرمس عطارد وهو الذى اخبر الله عزوجل فى كتابه انه رفعه مكانا عليا وهو أول من درز الدروز وخاط بالابرة وأنزل عليه ثلاثون صحيفة وكان قد نزل قبل ذلك على آدم احدى وعشرون صحيفة وانزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح وقام بعده (متوشلخ) بن خنوخ فعمر البلاد والنور فى جبينه وولد له أولاد وقد تكلم الناس فى كثير من ولده وان البلغر والروس والصقالبة من ولده وكانت حياته تسعمائة سنة وستين سنة ومات فى ايلول وقام بعده (لمك) وكانت فى أيامه كوائن واختلاف وتوفى وكانت حياته سبعمائة سنة وتسعين سنة وقام بعده (نوح) بن لمك عليه السلام وقد كثر الفساد فى الارض فاشتدت دياجى الظلم فقام فى الارض داعيا

الى الله فابوا الاطعيانا وكفرا فدعا الله عليهم فاوحى الله اليه أن اصنع الفلك فلما فرغ من السفينة

من لها قابل أستغفر الله لابل

هي الحديقة الا أن صيبها * صوب النهى وجناها زهرة الكلم

وقوافيه ريشت بها قوادم الاتقان وخوافيه بنان مجاريها يستدر الحصر وباع مباريها يستشعر القصر

خطها روضة والفاظها الاز * هار يضحكن والمعانى ثمار

تبدى لمبصرها وترى ماقاله أبو عبادة البحترى

وكلام كأنه الزهر النا * ضر فى رونق الربيع الجديد

مشرق فى جوانب السمع ما يخـ ـلقه عوده على المستعيد

ومعان لو فصلتها القوافى * هجنت ما الجرول من نشيد

حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنب ظلمة التعقيد

بل هى أجل مما وصف عند التحقيق وامعان النظر الصحيح والتدقيق

اين زهر الرياض وهو اذا ما * طال عهدا بالغيث عاد هشيما

من قوافٍ كانها الانجم الزهـ ـر سناها زان الظلام البهيما

وناهيك ممن اطلعته العلوم على جلائلها ودقائقها وأرته الفنون ماشاء من يانعات حدائقها وحبته الحكم الرياضية بأزاهرها وشقائقها وارضعته الوزارة من ثديها وحلت به الامارة صدر نديها وجعلته المرجوع اليه فى تمييز جيد الامور ورديها فغرس فى ارض الرياسة من نخل السياسة وديها وأعلى علم العدل وأغمد سيف الانتقام ودفع تنين الفتنة الذى فغرفاه للالتقام والعهد اذ ذاك قريب فى وطن الاندلس الغريب باختلال الحال وتوالى الامحال والتجرى على قتل الملوك والنحرى لقطع الطرق ومنع السلوك حيث أهواء المارقين ذات افتراق وضلوع الصادفين فى قلق واحتراق وأيدى الاحن باطشة وسيوف المحن الى الدماء عاطشه وعرش الحماية مثلول وصارم الكفاية مفلول ونطاق الرعاية مطلول وجيب النصيحة مملول والنور السلطانى بنار اختلاف الكلمة ملتهب والعدو ينتهز الفرصة ويستلب الانفس والاموال وينتهب وليس له فى غير قطع شأفة المسلمين ابتغاء وان عقد المهادنة فى بعض الاحيان فهو يسر حسوا فى ارتغاء وكلاب الباطل فى دماء أهل الحق والغة والله سبحانه وتعالى فى خلقه ارادة نافذة وحكمة بالغة فرفع لسان الدين ثوب الاندلس ورفاه وأرغم رحمه الله الكفر الذى فعرفاه وشمر عن ساعد اجتهاده وحض باللسان واليد على دفاعه وجهاده حتى لاحت للنصر بوارق وأمنت بالحزم المواري والطوارق ثم ضرب الدهر ضربانه وأحرق الحاسد بنار أحقاده أنضر بانه وأظهر ما فى قلبه على لسان الدين وأبانه وتقرب الوشاة وهم ممن كان يخدمه ويغشاه الى سلطانه الذى كان عزة أوطانه الذى كان يأمنه ولا يخشاه حتى فسد عليه ضميره وتكدر ومن يسمع يخل نميره فاحس بظاهر التغير وصار فى الباطن من أهل التحير وأجال قداح آرائه والتفت الى جهة العدو من ورائه ففر مشمرا عن ذيله فى لمة من خيله الى أسد العرب سلطان بنى مرين وكان اذ ذاك بتلمسان وهو من أهل العلم والعدل والاحسان فاهتز لمقدمه ولقيه بخاصته

خلت من اذار فاقام نوح ومن معه فى السفينة على ظهر الماء وقد غرق جميع الارض خمسة اشهر ثم امر الله الارض ان تبتلع الماء والسماء ان تقلع واستوت السفينة على الجودى والجودى ببلاد ماسور جزيرة ابن عمر الموصلى وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ وموضع خروج السفينة على رأس هذا الجبل الى هذه الغاية وذكر أن بعض الارض لم يسرع الى بلع الماء ومنها ما أسرع الى بلعه عند ما أمرت به فاطاع كارماؤه عذبا اذا احتفر وما تاخر عن القبول أعقبها الله بماء ملح وملاحات ورمال وما تخلف من الماء الذى امتنعت الارض من بلعه انحدر الى نهر رمواضع من الارض هن ذلك البحار وهى بقية ماء غضب أهلك به أمم وسنذكر بعد هذا الموضع من كتابنا هذا أخبار البحار ووصفها * ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة وهم (سام وحام ويافث) وكنائنه الثلاث أزواج أولاده وأربعون رجلا وأربعون امرأة وصاروا الى سفح هذا الجبل فابتنوا هنالك مدينة سموها ثمانين وهو اسمها الى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ودير قب هؤلاء

وجعلنا ذريته هم الباقين والله أعلم بهذا التاويل والمتخلف عنه من ولده الذى قال له يا بنى اركب معنا هو يام وقسم الارض نوح بين أولاده أقساما وخص كل واحد بموضع ودعا على ولده حام لامر كان منه معه ما قد اشتهر فقال ملعون حام عبد عبيد يكون لاخوته ثم قال مبارك سام ويكثر الله يافث ويحل يافث فى مسكن سام ووجدت فى التوراة ان نوحا عاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فجميع عمر نوح تسعمائة سنة وخمسون سنة ٣ فانطلق حام واتبعه ولده فنزلوا مساكنهم فى البر والبحر على حسب ماذكره بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وسنذكر تفرق النسل فى الارض ومساكنهم فيها من ولد يافث وسام وحام (فاما سام) فسكن وسط الارض من بلاد الحرم الى حضرموت الى عمان الى عالج فمن ولده ارم بن سام وارفخشذ بن سام بن نوح ومن ولد ارم ابن سام عاد بن عوص بن ارم بن سام وكانوا ينزلون الاحقاف من الرمل فارسل اليهم هود وثمود بن غاثر ابن ارم بن سام وكانوا اه

وخدمه وأكرم مثواه وجعله صاحب نجواه ثم أدرك السلطان الحمام وكسف بدره وقت التمام فرجع لسان الدين الى فاس واستنشق بها أطيب الانفاس وكثرت بعد ذلك الاهوال وتغيرت بسببه بين رؤساء العدوة والاندلس الاحوال فانجا من مكر العدا ولاسلم وآل أمره من الاغتيال ومانفع الاحتيال الى ماعلم على يدى بعض أعدائه الذين كانوا يتربصون الدوائر لاردائه فاصبح كأمس الذاهب وصارت أمواله وضياعه عرضة للناهب وغص بذلك من كان من أودائه وأخذ الله ثاره من بعض من حرك عليه المكر وأثاره وتسبب فى هلاكه حتى انتثرت جواهر أسلاكه ومات بدائه فالعيون لى هذا الوقت على لسان الدين باكية ونفوس الاكابر وغيرهم مما فعل به شاكية ولا لسنة والاقلام لمقاماته فى الاسلام حاكية فمن كان بهذه السمات وأكثر منها موصوفا لايقدر مثلى على تحبير التعبير عنه ويخشى أن تكون فكرته نكرة فاء نقضت قضنا أو صوفا ثم انى لما تكرر على فى هذا الغرض الاكاح ولم تقبل أعذارى التى زندها شحاح عزمت على الاجابة لما للذكور على من الحقوق وكيف أقابل بره حفظه الله بالعقوق وهو الذى يروى من أحاديث الفضل الحسان والصحاح فوعدته بالشروع فى المطلب عند الوصول الى القاهرة المعزية وأزمعت السير عن دمشق المعروفة المزية وألبسنى السفر منها من الخلع زيه ورحانا عن تلك الارجاء المتالقة والقلوب بها وبمن فيها متعلقة

حللنا ديار اللغرام سرت بها * الينا صبا نجد بطيب نسيم
وبان ردا الاشجان لما تجاذبت * أكف المنى فيها رداء نعيم
فما انشبتنا العيس أن قذفت بنا * الى فرقة والعهد غير قديم
فان نك ودعنا الديار وأهلها * فما عهد نجد عندنا بذميم

فخرج معنا أسماه الله مع جملة من الاعيان الى داريا المضافية لدارين فى رباها وحبذا ريا فالفيناها

ريا من الانداء طيبة لها القدر الجليل
تهدى لنا أرجاؤها * أرجا من الزهر البليل
وبها الغصون تمايلت * ميل الخليل على الخليل

ونزلنا عند الظهيرة وسرحنا العيون فى محاسنها الشهيرة

منزل كالربيع حلت عليه * حاليات السحاب عقد النطاق
يمتع العين من طرائق حسن * تتجافى بها عن الاطراق

وقلنا بها لما نزلنا بجانبها

وبتنا والسرور لنا نديم * وماء عيونه الصافى مدام
يسايره النسيم اذا تغنت * حمائمه و يسقيه الغمام

فيالك من ليلة أربت فى طيب النفح على ليلة الشريف الرضى بالسفح

ونحن فى روضة مفوفة * قد وشيت بالغمائم الوكف
تغفى على زهرها فيوقظنا * وهنا هدير الحمائم الهتف

٣ قول المسعودى فجميع عمر نوح الخ يتامل فيه وتراجع كتب التفسير

ودوحها من نداه في وشح * ومن لآلي الازهار في شنف
والغصن من فوقه حمامته * كأنها همزة على ألف

وما أقرب قول الوزير ابن عمار من وصف ذلك المضمار الجامع للاقمار

ياليلة بتنابها * في ظل أكناف النعيم
من فوق أكمام الربا * ض وتحت أذيال النسيم

وناهيك بجعل قرب من دمشق الغراء فخلعت عليه حلل الحبور والسراء وأمدته بضيائها وأودعته برق حياها وماء حيائها فصار ناضر الدوحات عاطر الغدوات والروحات مونق الانفاس والنفحات مشرق الاسرة والصفحات هذا والقلوب من الفراق في قلق ولسان الحال ينشد

وبي علالة وجد ليس يعلمها * الا الذي خلق الانسان من علق

ويحث على انتهاز فرصة اللقاء اذ هي غنيمة ويذكر بقول من قال وأكف الدهر موقظة ونمة

تمتع بالرقاد على شمال * فسوف يطول نومك باليمين
ومتع من يحبك باجتماع * فانت من الفراق على يقين

ثم حضر بعد تلك الليلة موقف الوداع والكل ما بين واجم وباك وداع فتمثلت بقول من قلبه لفراق الاحباب في انصداع

ودعتهم ودموعي * على الخدود غزار
فاستكثروا دمع عيني * لما استقلوا وساروا

وقول آخر

ياوحشة من جيرة قد نأوا * علو قدري في الهوى انحطا
حكمت دموعي البحر من بعدهم * لما رأت منزلهم شطا

وحق لي أن أتمثل في ذلك بقول الفزاري

لا تسلني عما جناه الفراق * جلتني بداه مالا يطاق
أين صبري أم كيف أملك دمعي * والمطايا بالظاعنين تساق
قف معي نندب الطلول فهذي * سنة قبل سنها العشاق
وأعدلي ذكر الغوير فكم ما * ل بعطفي نسيمه الخفاق
في سبيل الغرام ما فعلت بالـ * ـعاشقين التدود والاحداق
يوم ولت طلائع الصبر منا * ثم شنت غاراتها الاشواق

وبقول غيره

كنا جميعا والدار تجمعنا * مثل حروف الجمع ملتصقه
واليوم صار النوى يجعلنا * مثل حروف الوداع مفترقه

وقول آخر

حين هم الحبيب بالتوديع * عيروني أني سفحت دموعي

ينزلون الحجر بين الشام والحجاز فارسل الله اليهم أخاهم صالحا وكان من أمرهم مع صالح ما قد اتضح أمره واشتهر خبره وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب لمعا من أخباره وأخبار غيره من الانبياء عليهم السلام وطسم وجديس ابنا لاوذ بن ارم وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين وأخوهما عملیق بن لاوذ بن ارم نزل بعضهم الحرم وبعضهم الشام ومنهم العمالیق تفرقوا في البلاد واخوهم أميم بن لاوذ نزل أرض فارس وسنذكر في باب تنازع الناس في انساب الفرس من هذا الكتاب من ألحق كيومرث باميم وقيل ان أميما نزل أرض وبار وهي التي غلبت عليها الجن على ما زعم الاخباريون من العرب ونزل بنو عميل ابن عوص أخي عاد بن عوص مدينة الرسول عليه السلام وولد سام بن نوح ماس بن ارم بن سام نزل بابل فولد نمروذ بن ماس وهو الذي بنى الصرح ببابل وجسر جسر ابابل على شاطئ الفرات وملك خمسمائة سنة وهو ملك النبط وفي زمانه فرق الله الالسن فجعل في ولد سام تسعة عشر لسانا وفي ولد حام سبعة عشر لسانا وفي ولد يافث ستة وثلاثين لسانا وتشعبت بعد ذلك اللغات وتفرعت الالسن وسنذكر هذا في موضعه الذي يوجد في كتابنا لم

لم يذوقوا طعم الفراق ولا ما * أحرقت لوعة الأسى من ضلوعى
كيف لا أسفح الدموع على ربـ * ـع حوى خيرساكن وجموع
هبك أنى كتمت حالى أتخفى * زفرات المتيم المصدوع
انما يعرف الغرام بمن لا * ح عليه الغرام بين الربوع

وقول من قال

أقول له عند توديعه * وكل بعبرته مبلس
لئن قعدت عنك أجسادنا * لقد سافرت معك الانفس

وقول الصابى

ولما حضرت لتوديعه * وطرف النوى نحونا اشوس
عكست له بيت شعر مضى * يليق به الحال اذ يعكس
لئن سافرت عنك أجسادنا * فقد قعدت معك الانفس

وقول المهذب بن أسعد الموصلى

دعنى وماشاء التفرق والاسى * واقصد بلومك من يطيعك أو يعى
لا قلب لى فاعى الملام فانى * أودعته بالامس عند مودعى
هل يعلم المتحملون لنجعة * أن المنازل أخصبت من أدمعى
كم غادروا حرضا وكم لوداعهم * بين الجوانح من غرام مودع
والسقم آية ما أجن من الجوى * والدمع بينة على ما أدعى

وقول الكمال التنوخى

كم ليلة قد بتها ارعى السها * جزعا لفرقتهم بمقلة أرمد
قضيتها مابين نوم نافر * وزفير مهجور وقلب مكمد
فالفيـ لم أنس أيام السرور وطيبها * بين السدير وبين برقة ثهمد
والروض قد بدى بدائع نوره * من أزرق ومفضض ومورد
والماء يبد وكالصوارم سار يا * فيعيده مر الصبا كالمبرد
والطير بين مسجع ومرجع * ومغرد ومعدد ومردد

ووقف القاضى بهاء الدين السنجارى

أحبابنا مالى على بعد المدى * جلد ومن بعد النوى يتجلد
لله أوقات الوصال ومنظر * نضر وغصن الوصل غض أملد
أنى يطيق أخو الهوى كتمانه * والخد بالدمع المصون مخدد
مابعد مفترق الركاب تصبر * عمن أحب فهل خليل يسعد
ياسعد يساعد بالبكاء أخا هوى * يوم الوداع بكى عليه الحسد

وقول ابن الأثير

لم أنس ليلة ودعوا * صبا وسار وا بالحمول
والدمع من فرط الاسى * يجرى فيعثر بالذيول

بارض العراق ويقال ان فالغ هو الذى قسم الارض بين الامم ولذلك سمى فالغ وهو فالغ أى فاسم ابن شالخ بن ارفخشذ ابن سام بن نوح فولد شالخ فالغ بن شالخ الذى قسم الارض وهو جد ابراهيم عليه السلام وعابر ابن شالخ وابنه قحطان بن عابر وابنه يعرب بن قحطان وهو اول من حياه ولده تحية الملك انعم صباحا وأبيت اللعن وقيل ان غيره حياه بهذه التحية لملك من ملوك الحيرة وقحطان ابو اليمن كلها على حسب ما يذكر ان شاء الله تعالى فى باب تنازع الناس فى انساب اليمن من هذا الكتاب وهو أول من تكلم بالعربية لاعرابه عن المعانى وابانته عنها ويقطن ابن عابر بن شالخ وهو جرهم وجرهم ابن عم يعرب وكانت جرهم ممن سكن اليمن وتكلم بالعربية ثم نزلوا بمكة فكانوا بها على حسب ما تورده من اخبارهم وتطور بنوعهم لهم ثم أسكنها الله اسمعيل عليه السلام ونكح فى جرهم فهم اخوال ولده وذكر أهل الكتاب ان مالك بن سام بن نوح حى لان الله عز وجل اوحى الى سام ان الذى وكلته بجسد آدم بقيته الى آخر الابد وذلك ان سام بن نوح دفن تابوت آدم فى وسط الارض فوكل ما لكا بقبره وكانت وفاة سام يوم الجمعة وذلك فى اول

وقول الارجانى

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفى وقلبى هامع وخفوق
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة * كانى سحاب والوشاة بروق

وقول ابن نباتة السعدى

ولما وقفنا للوداع عشية * ولم يبق الا شامت وغيور
وقفنا فمن باك يكفكف دمعه * وملتزم قلبا يكاد يطير

وقول بعضهم

لما حدا الحادى بترحالهم * هيج أشواقى وأشجانى
وراح يثنى القلب عن غيرهم * فهو لهم حاد ولى ثانى

وقول الصفدى

لما اعتنقنا لوداع النوى * وكدت من حر الجوى أحرق
رأيت قلبى سار قدامهم * وأدمعى تجرى ولا تلحق

وقوله أيضا

نذكرت عيشا مر حلوا بقربكم * فهل لليالينا الذواهب واهب
وما انصرفت آمال نفسى لغيركم * ولا أنا عن هذى الرغائب غائب
سأصبر كرها فى الهوى غير طائع * لعل زمانى بالحبائب آئب

وقول ابن نباته المصرى

فى كنف الله وفى حفظه * مسرا لكم والعود بعزم صريح
لو جاز أن تسلك اجفاننا * كنا فرشنا كل جفن قريح
لكنها بالبعد معتلة * وأنت لا تسلك الا الصحيح

وقول الحافظ ابى الحسن على بن الفضل

عجبت لنفسى بعدهم ما بقاؤها * ولم أحظ من لقياهم بمرادى
لعمرك ما فارقتهم متعمدا * ولكنما فارقت طيب رقادى
وقد منعوا منى زيارة طيفهم * وكيف يزور الطيف حلف سهاد
وأعجب ما فى الامر شوقى اليهم * وهم فى سوادى ناظرى وفؤادى

وقوله رحمه الله تعالى

رعى الله أيام المقام بروضة * تروح علينا بالسرور وتغتدى
كأن الشقيق الغض بين بطاحها * نجوم عقيق فى سماء زبرجد

وقول القاضى الرشيد الاسوانى

رحلوا فلا خلت المنازل منهم * وناى فلا سلت الجوانح عنهم
وسروا وقد كتموا الغداة مسيرهم * وضياء نور الشمس لا يكتم
وتبدلوا ارض العقيق عن الحمى * روت جفونى أى أرض يمموا
نزلوا العذيب وانما هو مهجتى * رحلوا وفى قلب المنيم خيموا

الى ان قبضه الله عز وجل اربعمائة سنة وخمسا وستين سنة وكانت وفاته فى نيسان ولما قبض الله ارفخشذ قام بعده ولده (شالخ) بن ارفخشذ وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اربعمائة سنة وثلاثين سنه ولما قبض الله شالخ قام بعده ولده (عابر) فعمر البلاد وكانت فى ايامه كوائن ومنازع فى مواضع من الارض وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اليه ثلثمائة واربعين سنة ولما قبض الله عابر قام بعده (فالغ) دلى نهج من سلف من آبائه وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتى سنة وسبعا وثلاثين سنه وقد قدمنا ذكره فى هذا الكتاب فيما سلف وما كان بارض بابل عند تبلبل الالسن ولما قبض الله فالغ قام بعده (رعو) بن فالغ وقيل ان فى زمنه كان مولد نمروذ الجبار وكان عمره الى ان قبضه الله مائتى سنة وكانت وفاته فى نيسان ولما قبض الله رعو قام بعده (ساروغ) بن رعو وقيل انه فى ايامه ظهرت عبادة الاصنام والصور لضروب من العلل احدثت فى الارض

بمن سلف من ابائه وحدث فى أيامه رجف وزلازل لم تعهد فيما سلف من الايام قبله وأحدثت فى أيامه ضروب من المحن والآلات وكانت فى ايامه حروب وتحزيب الاحزاب من الهند وغيرها وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وستا وأربعين سنة ولما قبض الله ناحور قام بعده ولده (تارح) وهو آزر ابو ابراهيم الخليل وفى عصره كان نمروذ بن كنعان وفى ايام نمروذ حدثت فى الارض عبادة النيران والانوار وجعل لها مراتب فى العبادات وكان فى الارض رهج عظيم من حروب واحداث حروب وممالك بالشرق والغرب وغير ذلك وظهر القول باحكام النجوم وصور الافلاك وعملت لها الآلات وضرب فهم ذلك الى قلوب الناس فنظر اصحاب النجوم الى طالع السنة التى ولد فيها ابراهيم عليه السلام وماذا يوجب فاخبر النمروذ ان مولودا يولد يسفه احلامهم ويزيل عبادتهم فامر النمروذ بقتل الولدان واخفى ابراهيم عليه السلام ومات آزر وهو تارح وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتين وستين سنة والله الموفق للصواب

(ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بنى اسرائيل وغيرهم) ولما نشأ ابراهيم عليه السلام وخرج من المغارة التى كان بها وتامل آفاق الارض والعالم وما فيه من دلائل

ماضرهم لو ودعوا من أودعوا * نار الغرام وسلموا من أسلموا
هم فى الحشا ان أعرقوا أو أيمنوا * او أشاموا أو أنجدوا أو أتهموا

وقول الشاعر أبى طاهر الاصفهانى المعروف بالوثانى

أشاعوا فقالوا قفة ووداع * وزمت مطايا للرحيل سراع
فقلت وداع لا أطيق عياله * كفانى من البين المشت سماع
ولم يملك الكتمان قلب ملكته * وعند النوى سر المكتوم مذاع

وقول أبى المجد قاضى ماردين

رعى الله ربعا أنتم فيه أهله * وجاد عليه هاطل وهتون
ولا زال مخضر الجوانب مترع الـ * ـحياض وفيه للنعيم فنون
لئن قدر الله اللقاء وأينعت * غصون التدانى فالبعاد يهون
وان حكمت أيدى الفراق بعسرة * فكم قضيت للعسرين ديون

وقول آخر

غبتم فمالى فى التصبر مطمع * عظم الجوى واشتدت الاشواق
لا الدار بعدكم كما كانت ولا * ذاك البهاء بها ولا الاشراق
اشتاقكم وكذا المحب اذا نأى * عنه أحبة قلبه يشتاق

وقول أبى الحسن الهمذانى

و يوم ولت الاظعان عنا * وقوض حاضر وأرن بادى
مددت الى الوداع يدا وأخرى * حبست بها الحياة على فؤادى

وقول ابن الصائغ

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل فى الليل مثل النجم حيرانا
فالفيه راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا

مدر بن الادمى مكتفيا

يوم تودينى لاحبابى غدا * ذكرى شاغلى عن كل شى
قرنت نحوى وقالت ياترى * أنت حى فى هوانا قلت مى

وقول غيره

ولى فؤاد مذ نأى شخصهم * ظل كئيبا مدنفا موجعا
ومقلة مهما تذكرتهم * تذرف دمعا أربعا أربعا
وليس لى من حيلة كلما * لجت بى الاشواق الا الدعا
أسأل من ألف ما بيننا * وقدر الفرقة أن يجمعا

وقول الرعينى الغرناطى

محاسن ربع قد محاهن ماجرى * من الدمع لما قيل قد رحل الركب
تناقض حالى مذ شجانى فراقهم * فمن أضلعى نار ومن أدمعى سكب

وفى معناه قوله ايضا

وقائلة ماهذه الدر التى * تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت لها هذا الذى قد حشا به * أبو مضر اذنى تساقط من عينى انتهى

وقول الزمخشرى

لم يبكنى الاحديث فراقهم * لما أسر به الى مودعى
هو ذلك الدر الذى أودعتم * فى مسمعى اجريته من مدمعى

وقول الزعارى

قد بعتهم قلبى يوم بينهم * بنظرة التوديع وهو يحترق
ولم اجد من بعدها الرده * وجها وكان الرد لو لم نفترق

وقول بعض الاندلسيين

سار وا فودعهم طرفى واودعهم * قلبى فما بعدوا عنى ولا قربوا
هم الشموس ففى عينى اذا طلعوا * فى الغادمين وفى قلبى اذا غربوا

وقلت انا مضمنا بديهة

لا كان يوم فراق * ساق الشجون الينا
فكم اذل نفوسا * يامن يعز علينا

وقلت ايضا مضمنا

سلا أحبته من لم يذب كمدا * يوم الوداع وان اجرى الدموع دما
يامن يعز علينا أن نفارقهم * من بعدكم هدر كل الصبر وانهدما
وان نأى الجسم كرها عن منازلكم * فالقلب ثاو بها لم يعص القدما
وما نسينا عهودا للهوى كرمت * نعم قرعنا عليها سن نادما
واظلمت بالنوى ارجاء مقصدنا * وصار وجدان ألف غيركم عدما

وقلت ايضا مضمنا

لم أنس بالشام أنسا شمت بارقه * جادت معاهده أنواء نيسان
لهفى لعيش قضينا فى مشاهدها * ما بين حسن من الدنيا واحسان

وقلت كذلك

ياحسرة بانوا وابقوا حسرة * تجرى دموعى بعدهم وفق القنا
كم قلت اذ ودعتهم والانس لا * ينسى وعهد ودادهم لن يرتنا
يا موقف التوديع ان مدامعى * فضت وفاضت فى ثرى ذا المنحنا

ولم تفاعلت بقول الاول مع علمى بان على الله المعول

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البين
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع ظ

وضاقت بى الرحاب عند مفارقة اعيان الاحباب والاصحاب وت دموعى من بينهم السحاب وزند التذكر يقدح الاسف فيهيج الانتحاب وقد اذ ذاك والجوانح من الجوى فى التهاب وذخائر الصبرات انتهاب بقول بعض من رزق ا منه الاهاب

سنورده بعد هذا الموضع وآمن به لوط بن هاران بن تارح بن ناحور وهو ابن اخى ابراهيم عليه السلام رسل الله ولما

ولما نزلنا منزلا طله الندى * ابقا وبستانا من النور حالیا
اجدلنا طيب المكان وحسنه * منى فقمنينا فكنت الاماتيا
وقد طفت فى شرق البلاد وغربها * وسرت خيلى بينها وركابيا
فلم أرمنها مثل بغداد منزلا * ولم أرفيها مثل دجلة واديا
ولا مثل اهليها ارق شمائلا * واعذب الفاظا واحلى معانيا

ويقول من تاسف على مغانى التدانى وهو ابو الحجاج الاندلسى الدانى

الى الله الان افارق منزلا * يطالعنى وجه المنى فيه سافرا
كأن على الايام حين غشيته * يمينا فلم احلله الا مسافرا

وتخيلنا ان اقامتنا بدمشق وقاها الله كل صرف ما كانت الا خطرة طيف ملم او لمحة طرف

وقفنا ساعة ثم ارتحلنا * وما يغنى المشوق وقوف ساعه
كأن الشمل لم يلئ فى اجتماع * اذا ما شتت البين اجتماعه

وطالما علات النفس بالعود اليها ثم الى بقاعى منشدا قول الاديب الشهير ابن الفقاعى

منى عايت عينای أعلام حاجر * جعلت مواطى العيس فوق محاجرى
وان لاح من ارض العواصم بارق * رجعت باحشاء صوادى صوادر
سقى الله هاتيك المواطن والربا * مواطر أجفان هوام هوامر
وحيا الحيا من ساكنى الحى اوجها * سفرن بانوار زواه زواهر
بحيث زمار الوصل غض وروضه * اريض بارهار بواه بواهر
وحيث جفون الحاسدين غضيضة * ومقلة باماق سواء سواهر

ثم حاولت خاطرى الكليل فيما يشفى بعض الغليل فقال على طريق التضمين وقد غلب عليه الشوق والتضمين

بأبى من أودعوا مذ ودعوا * قلبى الشوق وللعيس ذميل
جيرة غر كرام خيرة * كل شئ منهم يبدو جميل
وعلى اجماله مالى غيرهم * لو ارادوا ان يميلوا او يميل

وقفوا ت وقد سدد التنائى الى نبله موطئا للبيت الثالث كما فى الابيات قبله

يا دمشقا حياك غيث غزير * ووفاك الا له مما يضير
حسنك الفرد والبدائع جمع * متناه فيه فعز النظير
أين ايامنا بظلك والشمل جميع والعيش غض نضير

ثم اكثرت الالتفات عن اليمن وعن الشمال وقد شبهت البيداء والشوق ببدل الكل والاشتمال وتنسمت من نواحى تلك الارجاء اريج الشمال وضمنت فى المعنى قول بعض من ثنى الحب عطفه وأمال

تنسمت ارواحا سرت من ديارمن * بهم كان جمع الشمل لمحة حالم
وجاوبت من يلحى على ذاك جاهلا * بقول لبيب بالعواقب عالم
وما انا مشتاق الارواح الا لانها * تمر على تلك الربا والمعالم

مشتق من الافك وهو الكذب على رأى من ذهب الى الاشتقاق وقد ذكرهم الله فى كتابه بقوله والمؤتفكة اهوى وهذه بلاد بين قوم النمام والحجاز مما يلى الاردن وبلاد فلسطين الان ذلك فى حيز الشام وهى مبقاة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة خرابا لا أحد بها والحجارة المسومة موجودة فيها يراها الناس السفار سوداء فاقام فيهم لوط بضعا وعشرين سنة يدعوهم الى الله فلم يؤمنوا فاخذهم العذاب على حسب ما اخبر الله من شأنهم ولما ولد (اسمعيل) هاجر الى مكة فاسكنهم بها وذلك قوله عز وجل يخبر عن ابراهيم رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فاجاب الله دعوته وآنس وحشتهم بجرهم والعماليق وجعل افئدة من الناس تهوى اليهم واهلك الله قوم لوط فى عهد ابراهيم لما كان من فعلهم واتضح من خبرهم ثم أمر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ولده فبادر الى طاعة ربه وتله للجبين ففداه الله بذبح عظيم ورفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ثم ولد

 لابراهيم من سارة (اسحق) عليه السلام وذلك بعد مضى عشرين ومائة سنة من عمره وقد تنازع الناس

في الذبيح فمنهم من ذهب الى انه اسحق ٥٠ ومنهم من رأى انه اسمعيل فان كان الامر وقع بالذبح بالحجاز فالذبيح اسمعيل لان اسحق لم يدخل الحجاز وان كان الامر بالذبح وقع بالشام فالذبيح اسحق لان اسمعيل لم يدخل الشام بعد ان حمل منه وتوفيت سارة وتزوج ابراهيم بعد ذلك بقنطوراء فولدت له مناسته ذكور وهم مرو ونفس ومدن ومدين وسنان وسرح وتوفي ابراهيم بالشام وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمسا وتسعين سنة وانزل الله عليه عشرا من الصحف وتزوج اسحق بعد ابراهيم بوحاء ابنة بنوايل فولدت له (العيص ويعقوب) في بطن واحد وكان البادئ منهما الى الفصل عيص ثم يعقوب وكان لاسحق في وقت مولدهما ستون سنة وذهب بصر اسحق فدعا ليعقوب بالرياسة على اخوته والنبوة في ولده ودعا لعيص بالملك في ولده وكان عمر اسحق الى ان قبضه الله مائة وخمسا وثمانين سنة ودفن مع أبيه الخليل ومواضع قبورهم مشهورة وذلك على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد ابراهيم ومراعيه وقد كان اسحق أمر ولده يعقوب بالمسير الى أرض الشام وبشره بالنبوة ونبوة أولاده الاثني عشر وهم (لاوي ويهوذا ويساخر وزبولون ويوسف وبنيامين ودان

وما احسن قول الآخر

سرت من نواحي الشام لي نسمة الصبا * وقد اصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرف مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب انفاسها متتابعه

وقلت انا

حدث وحق الله للشام رحلة * اتاحت لعيني اجتلاء محياه
وبعد التنائي صرت اوناح للصبا * لان الصبا تسري بعاطر رياه
فلله عهد قد اناح بجلق * سرورا لقلبي لا الاله وحياه

واستحضرت عند جد السير قول صعوان بن ادريس المرسي ذكره الله تعالى بالخير

أين ايامنا اللواتي تقضت * اذ زجرنا للوصل ايمن طير

ثم قول غيره ممن حن وأنّ وقلق قلبه وما اطمان

احن الى مشاهد انس الفي * وعهدي من زيارته قريب
وكنت اظن قرب العهد يطفي * لهيب الشوق فازداد اللهيب

وربما تجلدت مغالطا متعللا بقول من كان لا لفه مخالطا

حضرت فكنت في بصري مقيما * وغبت فكنت في وسط الفؤاد
وما شطت بنا دار ولكن * نقلت من السواد الى السواد

وقول غيره

وكن كما شئت من قرب ومن بعد * فالقلب يرعاك ان لم يرعك البصر

ويقول الوداعي

يا عاذلي في وحدتي بعدهم * وأين ربعي ما به من جليس
وكيف يشكو وحدة من له * دمع حميم وأنيس انيس

ثم رددت هذه الطريقة بقول بعض من لم يبلعه السلو ريقه

لا رعى الله عزمة ضمنت لي * سلوة القلب والتصبر عنهم
ما وفت غير ساعة ثم عادت * مثل قلبي تقول لا بد منهم

ويقول ابن آجروم في مثل هذا الغرض المروم

يا غائبا كان أنسي رهن طلعته * كيف اصطباري وقد كابدت بعدهما
دعواي أنك في قلبي يعارضها * شوقي اليك فكيف الجمع بينهما

ثم جد بي السير الى مصر واستمر فتذكرت قول الصفدي وقد اشتد بالرمل السير

اقول وحر الرمل قد زاد وقده * ومالي الى شم النسيم سبيل
اظن نسيم الجو قد مات وانقضى * فعهدي به في عالم وهو ليل

وقول ابن الخياط

قصدت مصرا من رباجلق * بهمة تجري بتجرير
فلم أر الطرة حتى جرت * دموع عيني بالمرازيب

وحين وصلت مصر لم أنس عهد الشام المرعى وانشدت قول الشهاب الحجازي

احييتنا

احبتنا والله مذ غبتم عنكم * سهادى سميرى والمدامع مدرار
ووالله ما اخترت الفراق وانه * برغمى ولى فى ذلك الامر أعذار
اذا شام برق الشام طرفى تتابعت * سحائب جفنى والفؤاد به نار
الا ليت شعرى هل يعودن شملنا * جميعا وتحوينا بروع واقمار

وقول ابن عنين

دمشق بنا شوق اليك مبرح * وان ش واش اوأشع عذول
بلادبها الحصباء در وتربها * عبير وانفاس الرياح شمول
تسلسل منها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وقول آخر

نفسى الفداء لانس كنت اعهده * وطيب عيش تقضى كله كرم
وجيرة كان لى انف بوصلهم * والانس افضل ما نالوصل يغتنم
بالشام خلفتهم ثم انصرفت الى * سواهم فاعترانى بعدهم ألم
كانوا نعيم فؤادى والحياة له * والآن كل وجود بعدهم عدم

فان أنشد لسان الحال فيما اقتضاه معنى البعد عنها والارتحال

ياغائبا فد كنت أحسب قلبه * يسوى دمشق وأهلها الا يعلى
ان كان صدك نيل مصر عنهم * لاغر وفهولنا العدو الازرق

اتيت فى جوابه بقول بعض من برح الجوى به

لله دهر جمعنا شمل لذته * بالشام أعذب من أمن على فرق
مرت لياليه والايام فى خلس * كأنما سلبته كف مسترق
ما كان احسنها لولا تنقلها * من النعيم الى ذاك من الحرق
رق النذول لحالى بعدها ورثى * لى فى الجوى والبلوى والشجو والارق

له فتلك الايام من مواسم العمر محسوبة والسعود الى طوالعها منسوبة

وكانت فى دمشق لنا ليال * سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالى * وعنوان المسرة والامانى

وقول

ى مغانى التهانى التى مانسيناها وأمانى زمانى التى نعمت بطو رسياها عليها وعلى
وطنى مقصورة والقلب فى المعنى متيم بهما وان كان فى غيرهما بالصورة والاشواق اليهما
قضايا هاموجهة وان كانت غير محصورة

ولله عهد قد تقضى وان يعد * فانى عن الايام أعفو وأصفح
يقلبى من ذكراه مالس ينقضى * ومن برحاء الشوق مالس يبرح
اذا مسحت كفى الدموع تسترا * بدت زفرة بين الجوانح تقدح
فان جمعت شملى الليالى بقربهم * فجمع غيلان ومى وصيدح
على انها الايام جد مزاحها * ورب مجد فى الاذى وهو يمزح

وكثيرا مايلهج لسان بقول من قال

والملك فى عقب اربعة منهم لاوى ويهوذا ويوسف وبنيامين وكذلك جرى ليعقوب من اخيه العيص فآمنه الله من ذلك وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم فاعطى يعقوب لاخيه العيص العشر من غنمه استكفافا للشر وخوفا من سطوته من بعد ان آمنه الله عز وجل من خوفه وان لا سبيل له عليه فعاجله الله فى ولده فخالفه لوعده فاوحى الله تعالى اليه ألم تطمئن الى تولى ولا جعلن ولد العيص عملكون وذلك خمسمائة وخمسين عاما وكانت المدة مدة أخربت الروم بيت المقدس واستعبدت بنى اسرائيل الى ان فتح عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وكان أحب ولد يعقوب اليه (يوسف) فحسده اخوته على ذلك وكان من امره مع اخوته ماقص الله عز وجل فى كتابه وأخبر على لسان نبيه واشتهر ذلك فى امته وقبض الله عز وجل يعقوب ببلاد مصر وهو ابن مائة واربعين سنة فحمله يوسف فدفنه ببلاد فلسطين عند تربة ابراهيم واسحق وقبض الله يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة وجعل فى تابوت من الرخام وسد بالرصاص وطلى

بالاطلية الدافعة للهواء والماء وطرح فى نيل مصر نحو مدينة منف وهناك مسجده وقيل ان يوسف اوصى ان يحمل فيدفن

وما تعضل الاوقات احرى لذاها * ولكن اوقات الحسان حسان

ويردد قول من شوقه متجدد

سقى معهد الاحباب ناقع صيب * من المزن عن مغناه ليس يريم
وان لم اكن من ساكنيه فانه * يحل به خل على كريم

وينشد من يلوم قول من فى حشاه وله وفى قلبه كلوم

قد اصبح آخر الهوى اوله * فالعاذل فى هواك مالى وله
بالله عليك خل ما اوله * وارحم دنفا الدى حشاه وله

وقد امتد بنا الكلام وربما يجعله اللاحى ذريعة لزيادة الملام فلنرجع الى ما كنا بصدده من اجابة المولى الشاهينى أمده الله سبحانه بمدده فاقول مستمدا من واهب العقول انى شرعت بعد الاستقرار بمصر فى المطلوب وكتبت منه نبذة تستحسنها من المحبين الاسماع والقلوب وسلكت فى ترتيبه احسن أسلوب وعرضت فى سوقه كل نفيس غريب من العرب الى الشرق مجلوب تستحسن الابصار ما عليه احتوى وتعرف الافكار أنه غير مجتوى ثم وقف بى مركب العزم عن التمام واستوى فاخرته تاخير الغريم لدين الكريم وعدتنى أعراض عن تكميل ما يشتمل عليه من أغراض وأضربت برهة عما له من منحى لاختلاف احوال الدهر تنفعا ودفعا ومنعا ومنعا ومرقت عن هدف الاصابة نبال وطرقت فى سدف ليالى الكتابة أمورا لم تكن تخطر ببال فجاءتنى من المولى المذكور آنفا رسالة دلت على انه لم يكن عن انجاز الوعد منبانفا فعدت لقضاء الوطر مستقبلا وللجملة مستانفا وحدا بى خطابه الجسيم للاتمام وساقنى وراقنى كتابه الكريم لتلك الايام وشاقنى وذكرنى تلك الليالى التى لم انسها وحركنى لتلك المعاهد التى لم ازل اذكر انسها الالف لا يصبر عن الفه الا كما يطرف بالعين وقد صبرنا عنهم مدة ما هكذا شأن المحبين فيا كتاب كريم اعرب عن ودصميم وذكر بعهد غير ذميم وود طيب العرف وخجل ابن المعتز لبلاغته وابن المعز تميم

ولم ترعينا ى من قبله * كتابا حوى بعض ما قد حوى
كأن المباسم سماته * ولا ماته الصدغ لما التوى
واعينه كعيون الحسان * تغازلنا عند ذكر الهوى
كتاب ذكرنا بالفاظه * عهودا زكت بالحمى واللوى

فكأنه الروض المطرد الانهار والدوح المديج الازهار

رأينا به روضا تديج وشيه * اذا جاد من تلك الايادى غمائم
به ألفات كالغصون وقد علا * عليها من الهمز المطل جماثم

وقد سقيت بانهار البراعة السلسالة حدائق حلت بها غانية تلك الرسالة تشفى صبها بالزيارة وتشرف بدنو هاديارة

زارت الصب فى ليال من البعد فلما دنت رأى الصبح يلمع
فلدت بالعقيان جيد بيان * ليس فيه للفتح من بعده الزمع

عند قبر أبيه يعقوب فى مسجد ٥٢ ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان فى عصره (أيوب) النبى صلى الله عليه وسلم وهو ايوب بن موص ابن رزاح بن رعوايل بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وذلك فى بلاد الشام من اردن حوران والبثنية من بلاد دمشق والجابية وكان كثير المال والولد فابتلاه الله فى نفسه وماله وولده فصبر ورد الله عليه ذلك وأقاله عثرته واقتص ما اقتص من اخباره فى كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومسجده والعين التى اغتسل منها فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة مشهوران ببلاد نوى والجولان فيما بين دمشق وضبرية من بلاد الاردن وهذا المسجد والعين على ثلاثة اميال من مدينة نوى ونحو ذلك والحجر الذى كان يأوى اليه فى حال بلائه هو وزوجته واسمها رحمة فى ذلك المسجد الى هذا الوقت وذكر أهل التوراة والكتب الاولى ان (موسى) بن ميشا بن يوسف ابن يعقوب نبى قبل موسى ابن عمران وانه هو الذى طلب الخضر بن ملكان بن فالغ بن عابور بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وذكر بعض اهل الكتب ان الخضر هو خضرون بن عميائيل بن النضر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم وانه ارسل الى قومه فاستجابوا له فكان (موسى) بن عمران فشفت

فشفت النفس من آلامها وأحيت ميت الهوى فحيت بعد كلامها

كلام كالجواهر حين يبدو * وكالند المعنبر اذ يفوح

له فى ظاهر الالفاظ جسم * ولكن المعانى فيه روح

فصيرت لى ذلك الكتاب سميرا ووردت من السرور مشرعا عميرا وتمثلت بقول بعض من اخلص فى الود ضميرا

يا مفردا أهدى الى كتابه * جلا بحار الدهن فى أثنائها

كالدر اشرق فى سموط عقوده * وازهر والانوار غب سمائها

فافادنى جذلا وبالى كاسد * واجار نفسى من جوى برحائها

وحسبت ايام الشباب رجعن لى * فلبست حلى جمالها وبهائها

لا يعدم الاخوان منك محاسنا * كل المفاخر فطرة من ذاتها

فاكرم به من كتاب جاء من السرى العلى والماجد الاخ الولى

فضضت ختامه فتبدت لى * معانيه عن الخبر الجلى

وكان ألذ فى عينى وأندى * على كبدى من الزهر الجنى

وضمن صدره مالم تضمن * صدور العانيات من الحلى

وأعرب عن اعتماد متماد وود ادمرداد وأطاب حين أطال وادى دين الفصاحة دون مطال واشتمل من فصول العبارة على احسن من الحدق المراص * وأبى من اصول البراعة بيراهين ابن شاهين التى لا تخلف فيها ولا اعتراض وروينا من نبث امامه المتون وروينا عنه مسندا حمد حسن الاسانيد والمتون وحثنا على العود والرجوع وكان اجدى من الماء الزلال لذى ظمأ والمشتهى من الطعام لذى سغب وجوع

واشهى فى القلوب من الامانى * واحلى فى العيون من الهجوع

الا ان امور ظلام استيحاشى وحشر الى اشتات المسرات دون ان يحاشى ووجدنى مشغوب واشغال اشربت القلب الكسل واللغوب وحيرت الخواطر وصيرت الاقلام غير مواطر فزحزح عنى الغموم وسلانى واولانى شكر الله صنيعه وأثابه ما اولانى

وقول حديثا وحديث عنه يطربنى * هذا اذا غاب او هذا اذا حضرا

كلاهما حسن عندى أسر به * لكن احلاهما ما وافق النظرا

وقال آخر

لست مستأنسا بشئ اذا غبت سوى ذكرك الذى لا يغيب

أنت دون الجلاس عندى وان كنت بعيدا فالانس منك قريب

وضمنت فيه لما ورد مع جلة كتب من تلك الناحية وأنوار أهلها ذوى الفضائل الشهيرة أطهر من شمس الظهيرة فى السماء الصاحية

قلت لما أتت من الشام كتب * من أجلاء نورهم يتألق

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا * بعيون رأت محاسن جلق

الهلواس بن ليث بن هران ابن عمر بن عملاق وهو الرابع من فراعنة مصر وقد كان طال عمره وعظم جسمه وكان بنو اسرائيل قد اشتد عليهم البلاء واحتر أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون ان سيولد سيولد ويزيل ملكه ويحدث ببلاد مصر امورا عظيمة فجزع لذلك فرعون وامر بذبح الاطفال وكان من امره موسى ما اوحى الله عز وجل الى امه فى امره أن القذفيه فى التابوت فى اليم الى آخر ما اقتص من خبره واوحى الله عز وجل الى نبيه صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الزمان (شعيب) صلى الله عليه وسلم وهو شعيب بن نويب بن رعويل بن عزا ابن متفاء بن مدين بن ابراهيم فكان لسانه عربيا وكان مبعوثا من اهل مدين فلما خرج موسى عليه السلام هاربا من فرعون مر بشعيب النبى صلى الله عليه وسلم وكان من امره معه وتزويجه ابنته ما قد ذكره الله عز وجل فكلم الله موسى تكليما وشد عضده باخيه (هرون) وبعثهما الى فرعون فخالفهما فافرق الله عز وجل فرعون وامره الله عز وجل بالخروج ببنى اسرائيل الى التيه وكان عددهم ستمائة الف

وقت أيضا

ذلت لما وافت من الشام كتب * والليالى تقبح قربا و بعدا
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا * بعيون رأت محاسن سعدى

وكان من فصول هذا الكتاب الوارد من المولى الشاهينى الذى اقتنص بفضله كل شارد مانصه ومما اختلس قلبى من يدى ترحى وجدد سرورى ونبه فرحى حديث الكتاب وماحديث الكتب حديث نسخ بحلاوته مرارة العتاب وأنسانى حرارة المصاب فى الاسال والاحتساب ونضى به من حق لسان الدين دينه الذى تبرع به غزير ملىء من البلاغة وهو غير مدين حتى كانى ياسيدى بهذه البشرى أحرزت سوارى كسرى وكان فى سمعى كل حرف الهيا منسوب فيض يوسف فى أجفان يعقوب وحتى كدت أشعر اهلى وبيتى وأسرج لاستقبال هذه البشرى أشهى وكيتى وحتى انى حاربت نومى وقومى وعزمت على ان أرحل ناقتى فى وقتى ويومى وان ذلك التغليس والتهجير فى جنب مابشرت به لحقير وان موقعها لدى عبد العبد الحقير لخطير وقد كنت سألت شيخى حين ورد دمشق الشام وانتظم به العز والشام وشرفنى فعرفنى وشاهدنى فعاهدنى على ان يجرى مادار بيننا لدى المجاورة من المسامرة والمحاورة فى ديباجة ذلك الكتاب الذى فتن العقول خبره وسحر الالباب وماقصدت الا أن يجرى اسمى على قلمه و يرقم رسمى فى مطاوى تحريره ورقمه و يكون ذكرى مختلطا بذكره كما أن سرى مرتبط فى المحبة بسره فرأيت شيخى لم يتصد فى أثناء هذه البشرى لما يفهمنى بالذكرى لانظر النجاح فى الاخرى ولم يساعدنى على ذلك الملتمس وحبس عنان القلم فاحتبس فانكسرت سورة سرورى بفتورى وتبين لنفسى عن بلوغ ذلك الامل تخلفى وقصورى انتهى قال) بعد كلام طويل لم نذكره لعدم تعلقه بهذا الغرض ماصورته

وجدت أن سيدى وحاشاه نسى من ابس ينساه وتفنت به المتفنون لامور تكاد تكون وهل يره سبنى وشينى أن يهدى لدنيانى طبق ثم الاحرى على ذلك اندل أن خطه هو الروضة الغنا لا بل جنة المأوى فطوبى لنفسى ان جنت ثمر ولعمر شيخى انى بذلك لجدير والى كنت أملك به الخورنق والسدير انتهى بالغرض من ذلك الرقيم الذى شكل منطقه غير عقيم سلك الله تعالى بى و بمن وجهها المستقيم وأتى فى المكتوب بانواع من البلاغه مما تركت ذكره هنا لعدم تعلقه بهذا الامر الخاص الذى يسر لكارع الادب مساغه وختمه بقصيدة نفيسة من نظمه يستنجز فيها ذلك الوعد وأشهد انه قد حاز فيها قصب السبق والمجد وماقلت الا بالذى علمت سعد*

وهذه صورتها

ياسيدا أفديه بالاكثر * من أصغر العالم والاكبر
و ياوحيدا ليس مولى له * عطارد أنت مع المشترى
و يامجيدا ليس عندى له * الامقال المادح المكثر
أقسمت بالبيت العتيق الذى * حجت اليه الناس والمشعر

بالغ دون من لبس بمالغ وكانت فيها كتابه بادهب فلما نزل من الجبل راى قوما من بنى اسرائيل قد اعتكفوا على عبادة عجل لهم فاوقد فيه فصنعت النواح من يده فتكسر لوحيه واودعها تابوت الشهادة مع شظاياها وجعله فى الهيكل وكان هرون كاهنا وهو قيم الهيكل وتم الله عز وجل نزول التوراة على موسى بن عمران وهو فى التيه وبعض المفسرين فى التيه فى جبل حوريب من جبل الشراة مما يلى الشمال وغيره مشهور فى معارة عاديه يسمع منها فى بعض الليالى دوى عظيم يخشع منه كل ذى روح وقيل انه غير مدفون بل هو موضوع فى تلك المغارة وبهذا الموضع جزم عبد الرحمن بن عبد الحكم كاتب اخبار الزمان من الامم الماضيه والممالك الدائرة ومن وصل الى هذا الموضع علم ما وصفنا وكان ذلك قبل وفاة موسى بسبعة اشهر وقبض الله هرون وهو ابن مائة وثلاث وعشرين سنة وقيل انه قبض وهو ابن مائه وعشر بن وقيل ان موسى قبض بعد وفاة هرون بثلاث سنين وانه خرج الى الشام وكان له بها حروب من سرايا كانوا يسرونها من البر الى العماليق والعربانيين والمدينيين وغيرهم ممن كان بالشام وغيرها

ما للعلا والعلم الا ابو العباس شيخى أحمد المقرى
ذاك الذى أثرنى منه بالعلم الذى للغير لم يؤثر
وخصنى منه باشياء لم * يفز بها غيرى ولم يعثر
فرحت عبدا واوفاه له * معترفا بالرق لا امترى
فيا أبا العباس يا من غدا * أعنتم فى نفسى من معشرى
ومن اذا ما غاب عن ناظرى * كان سميرا للب المحضر
هات أفدنى سيدى عن علا المولى لسان الدين ذاك السرى
ذاك الوحيد الفذ فى عصره * بن أوحد الادهر والاعصر
ذاك الذى أخبرنى سيدى * عنه مرايا بعد لم تحصر
ذاك الذى المعروف لا يعتلى * الى معاليه ملا مجترى
ما قد وعدت العبد فى جمعه * من خبر عن فضله مستطر
بخطك الوضاح وهو الذى * مخبره يربى على المنتظر
والشئ لا يرجى اذا ما غدا * منتظره يربى على الخبر
نقش على طرس بياض كما * لاحت عيون الرشا الاحور
وأسطر قد سلسلت مثل ما * لاح عذار الشادن الاحفر
ونزهة الانفس معنى غدا * ما بينها ينساب كالكوثر
عذب رقيق مثل ظبى غدا * يلوح طاوى الكشح أوجؤذر
آثار اقلامك وهى التى * أغنت عن الابيض والاسمر
براعك الجامع راوغدا * يروى اللغى عن لغة الجوهرى
بنثر مسكا تارة ناظما * وينظم الجوهر بالعنبر
هذا ابن شاهين الفتى أحمد * عن ذكرك المأنوس لم يفتر
فاجعل له ذكرا كريما به * يردان مغبوطا الى المحشر
واذكر بيوتانى وكل الذى * كتبته تحوك فى دفترى
أنت حدير بمديحى فكن * ذا كرعبد بالوفا أجدر
وها لها سيارة انطقت * على جواد كان للبحترى
طرف كريم سابق صافن * مطهم ذى ادب او فر
ورثته منه ولكنما * من شاعر وانى الى أشعر
ما للفتى الطائى شوط امرئ * يطاد نسر الجو بالمنسر
واسلم لعبد لا يرى سيدا * سوى الذى فى ثوبك الاطهر
فى كرم العنصر فرد اغدا * طبعك فاشكر كرم العنصر
ما حن مشتاق أخو صبوة * الى خليل فى الهوى معكر انتهت

فلما وصلنى هذا الخطاب الذى ملأ من الفصاحة الوطاب وحلى فى عينى وقلبى وطاب تحركت دواعى الوجد لذلك المجد الذى ولعت به ولوع ابن الدمينه بصبا نجد وأثار من

فاستنسخ مائة صحيفة ثم انزل الله عليه التوراة بالعبرية وفيها الامر والنهى والترهيب والترغيب والسنن والاحكام مدرجة فى خمسة اسفار والسفر يريدون به الصحيفة وكان موسى قد ضرب التابوت الذى فيه السكينة من الذهب من سنخ ثمانية الف مثقال وسبعمائة وخمسين مثقالا فصارا لكاهن بعد هرون (يوشع بن نون) من سبط يوسف وبعض الله موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ولم يحدث لموسى ولا لهرون شئ من الشيب ولا حال عن صفة الشباب ولما قبض الله عز وجل موسى بن عمران سار يوشع بن نون بنى اسرائيل الى بلاد الشام وقد كان غلب عليها الجبابرة من ملوك العمالقين وغيرهم من ملوك الشام وأسرى اليهم يوشع بن نون سرايا وكانت له معهم وقائع فاوطئ بلاد أريحاء من أرض الغور وهى أرض البحيرة المنتنة التى لا تنبل العرفاء ولا يتكون فيها ذو روح من سمك ولا غيره وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم وتأخر من عصره واليها

ينتهى ماء بحيرة طبريه وهو الاردن وبدء ماء بحيرة طبريه من بحيرة كقولى وفرعون من أرض دمشق فاذا انتهى مصب

غاص من غير ان يزيد من البحيرة ولا ينقص منها ولهذه البحيرة اعنى المنتنة اخبار عجيبة وقصة طويلة وقد اتينا على ذلك فى كتابنا اخبار الزمان عن الامم الماضية والملوك الداثرة وذكرنا اخبار الاحجار التى تخرج منها على صورة الضبع على شكلين ويعرف الواحد منها بالحجر اليهودى وذكرنه الفلاسفة واستعملوه فى الطب لما به وجع الحصاة فى المثانة وهو نوعان ذكر وانثى فالذكر للرجال والانثى للنساء ومن هذه البحيرة تخرج لعبار المعروف بالحمرة وليس فى الدنيا والله اعلم بحيرة لا يكون فيها دود وروح من سمك وغيره الا هذه البحيرة وبحيرة ركبتها ببلاد وبين بين مدينة ارمينية ومنارة وهى المعروفة هذا لا يكنودان وقد ذكر الناس ممن قدم عذر عدم تكون الحيوان فى البحيرة المنتنة فلم يتعرضوا لبحيرة كنودان ويبنى على قياس قولهم ان تكون عينهما واحدة وسار ملك الشام وهو السميدع بن هوبر بن مالك الى يوشع بن نون فكانت بينهم حروب الى ان قتله يوشع واحتوى على جميع ملكه والحق به غيره من الجبابرة والعمالقة وشن الغارات بارض الشأم القوادم

الهدم والاوار مايزيد على ماحصل للعرزدق لما فارق النوار وتضاعف الشوق الى تلك الانجاد والاغوار منشدا قول الاول لعل أبى المغوار وتذكرت والذكرى شجون وأطوار تلك الاضواء والانوار المشرفة بقطر أزهر بالمحاسن وجرى نهره غير آسن فلم يذم فيه الجوار

وان اصطبارى عن معاهد جلق * غريب فما اجفى الفراق واجفانى
سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها * كحلت بها من شدة الشوق أجفانى

وحصل التصميم على التكميل للتاليف والتتميم رعيا لهذا الولى الحميم أفاض الله تعالى عليه غيث البر العميم وأبقى ظل عزه ممدودا وحلى سوددة مودودا وأناله من الخيرات مالبس محصورا ولا معدودا وجمعنى واياه واطلع لى بشر محياه وانشقنى عرف اجتماعه ورياه وكيف لا أستديم أمد بقياه وأعتقد النشائر فى لقياه واستى غروس الود بسقياه وهو الصدر الذى أصفى لى الوداد والركن الذى لى بثبوته اعتماد واعتداد

فعليه من مصفى هواه تحية * كالمسك لما فض عنه ختام
تترى بساحته السنية ادعت * فوق العصون هديلهن حمام

ودامت فضائله طاهرة كالشمس محروسة بالسبع المثانى معوذة بالخمس

ولا انفك ما يرجوه أقرب من غد * ولا زال ما يخشاه أبعد من أمس

وبقى من العنايه لى حرم امين آمين * (ولما) حصل لى كمال الاغتباط بما دل على صحة حال الارتباط نشر بساط الانبساط وحدثت لى قوة النشاط وانقشعت عنى سحائب الكسل وانجابت ونا ديت فكرى فلبت مع ضعفها وأجابت فاقتدحت من القلب بحرا زندا كان شحاحا وجمعت من مقيدانى حسابا وصحاحا وكنت كتبت شطره و تيسر هامشه وسطره ورقت من انباء لسان الدين بن الخطيب حللا لا تخلق جدته وسلكت من التعريف به رحمه الله مهامه تكل فيها واسعات الخطا وتقصر بعد ذلك عزم على زيادة ذكر الاندلس جملة ومن كان يعتنديه الاسلام وينصر مفاخرها الباسقة ومآثر أهلها المتناسقة لان كل ذلك لا يستوفيه القلم ولا يحصر من النظم والنثر بنبذة توضح للطالب سبله وتظهر له ونبله وتترع كاس محاسنه المذاكرة وانائه حتى يرى حسن هذا التاليف ابناء هذا التصنيف وادباؤه فى المغرب وظلال الشباب ضافية وسماء الافكار من مزع الاكدار صافية معنيا بالفحص عن أنباء أبناء الاندلس واخبار اهلها التى تنشرح لها الصدور والانفس وما لهم من السبق فى ميدان العلوم والتقدم فى جهاد العدو الظلوم ومحاسن بلادهم ومواطن جدالهم وجلادهم حتى افتنيت منها ذخائر يرغب فيها الافاضل الاخيار وانتقيت جواهر فرائدها للعقول بواهر واقتطفت ازاهر انجمها فى افق المحاضرة زواهر وحصلت فوائد بواطن وظواهر طالما كانت اعين الالباء اليها سواهر وجمعت من ذلك كتابا عالية لو خاطب بها الداعى صم الجلامد لانبجس حجرها وحكما غالية لو عامل بها الايام ربح متجرها واسجاعا تستزلف الاعطاف ومواعظ يعمل بمقتضاها من حفت به الالطاف وقوافى موقورة

وكانت مدة يوشع بن نون فى بنى اسرائيل بعد وفاة موسى بن عمران تسعا وعشرين سنة وهو يوشع بن نون بن افرائيم ابن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقيل ان يوشع بن نون كان بدء محاربته لملك العماليق وهو السميدع ببلاد ايلة نحو مدين فمن ذلك يقول عوف بن سعيد الجرهمى

ألم تر ان العلقمى بن هوبر
بايلة أمسى جمعه قد تمزعا
تداعت اليه من يهود جحافل
ثلاثون ألفا حاسرين ودرعا
فامست عداة الله للعماليق بعده
على الارض مشياما صعدين ونزعا

كأن لم يكونوا بين أجبال مكة
ولم يرهم قبل ذلك السميدعا

وكان بغريه من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل يقال له بلعم بن باعوراء بن سنور بن وسيم بن لاب بن لوط ابن هاران وكان مستجاب الدعوة فخافه قومه على الدعاء على يوشع بن نون فلم يئت له ذلك وعزعنه فاشار على بعض ملوك العماليق ان يبرزوا الحسان من النساء نحو عسكر يوشع بن نون ففعلوا فتسرعوا الى النساء فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم سبعون ألفا وقيل ان يوشع بن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة وقام فى بنى اسرائيل بعد يوشع بن نون (كاب)

القوادم والخوافى يثنى عليها من سلم من الغباوة والصمم ويعترف ببراعتها من لا يعتريه اللمم وطالما اعرض الجاهل المعرض بوجهه عن مثله واشاح وانصت لها الحراصات السوار لجرس الحلى ونغم الوشاح وفرح ان ظفر بشئ منها فرح الصائد بالقميص والسارى العارى دى البطن الخميص بالزاد والقميص وتركت الجمح بالمعرب ولم استصحب معى منه ما يبين عن المقصود ويعرب الا ورايسيرا على تحفظى وحليت بجواهره جيد انتظامى وبعض اوراق سعد فى جواب السؤال بها حظى ولو حضرنى الآن رحلته مما جمعت فى ذلك الغرض والفته لقرت به عيون وسرت الباب اذ هو والله الغاية فى هذا الباب ولكن المرء ابن وقته وساعته وكل ينفق على قدر وسعه واستطاعته وعذره مثلى باد للمنصفين من العباد ان قصرت فيما تبصرت أو تخلفت فى الذى تكلفت أو أسأت تحريرا وصنعت والتقمت ثدى التقصير ورضعت أو أطعت داعى النوانى فتاخرت عمن سبق وانقطعت ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ومن كانت بضاعته مزجاة فهو من الانصاف بمنجاة اذا أتى بالمتدور وتبرأ من الدعوى والورود والصدور وعين ارتاعت عن كل عيب كليلة والسلامة من الملامة متعذرة أو مستحيلة وقد قال امامنا مالك صاحب المذاهب الجليلة كل كلام يؤخذ منه ويرد الا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم أزكى صلاة وأتم سلام وشفى بجاهه من الآلام تلونا فى الليلة وجمعنا ممن كان اتباع سنته رائده ودليله آمين والحمد لله الذى يسر لى هذا القدر مع ضيق الصدر وقلة بضاعتى وكثرة اضاعتى فان حمده جل جلاله تضوع به المذانب طيبا وتحلى ببركته المآرب فيرتقى صاحبها على منبر القبول خطيبا وتعذب به المشارب فتنبت فى أرض القرطاس من زاكى الغراس ما يروق نضيرا ويورق غصنا ونورا طريا وورقا وريا وتأتى من المعانى بما يقر ان شاء الله تعالى عين وأمل ويقال قال وان كنت ممن هو فى ثوب الحى راقل وعن نسبته للقصور غير غافل وممن هو فى مس هدفا وصير مكان الدر صدفا اذ لسان الدين بن الخطيب امام هذه الفنون وذو الآمال الضنون المستخرج من بحار البلاغة درها المكنون وله اليد الطولى فى اجتلاب أجناسها والالفاظ الرائقة التى تزعج وحشة الانفس بايناسها

ناهيك من فرد أشرم مدح * رحب الذراع الكلام محمد
بهر الانام رياسة وسياسة * وجلالة فى المنتمى والمحتد
وأتى بكل بديعة فى نوعها * لم تخترع وغريبة لم تعهد
ما شئت من شعر أرق من الصبا * وكتابة أرهى من الزهر الندى
وبديع قرطاس توشح متنه * بمنمنم من رقمه ومنجد
بهج كأن الحسن حل أديمه * فكساه ريعان الشباب الاغيد
كالبرد فى توشيعه والسلك فى * ترصيعه والوشى نمق بالبد
وكأنما سال العذار عليه أو * خطته أيدى الغانيات بأتمد
يختال بين موصل ومفصل * ومطرز ومنظم ومنضد
قد قيد الابصار والافكار من * ألفاظه بمنتف ومقيد

ابن يونثا بن بارض بن يهوذا ويوشع وكاب الرجلان اللذان انعم الله عليهما (قال المسعودى) ووجدت

ما فيه معرز أصبع الا وفيه نتيجة لمفرع ومولد
ولكل جزء حكمة أو ملحة * أو بدعة لمرسل ومقصد
أو ليس مثلي قاصرا عن وصفه * والحق نور واضح للمهتدي

وكما قلت وقد عجزت عن أداء الواجب وحاولت المستون وفضل الله سبحانه على من يشاء من عباده ليس بممنوع ولا ممنون

ليت شعري أي العبارات توفي * واجب ابن الخليب مما أروم
وأنا عاجز عن البعض منها * لقصوري وما العي ملوم
وهو يدعي لسان دين وبيان * قد حباه افتناره تم الرسوم
فبأي الحلى أحلى على من * نال فضلا روته عرب وروم
وعلى الغرض ما الذي أنتمي منه لدى الوصف ان يخص العموم
ألحظ قدار توى من معين * اصواب علا به كل يحوم
أم انهم يستخرج الدر غوصا * من بحار يحشى بها من يعوم
أم انكر مؤلف في فنون * عن دهاء به تداوى الكلوم
أم لنظم كأنه جوهر السلك غلا قدره على من يسوم
تتباهى به الصدور حليا * وتروق العيون منه نجوم
أم لنثر وافى بسحر بيان * فهو كالروح والمعاني جسوم
وأظلنه للبديع سماء * تتلالا في جانبيها العلوم
فاستزادت منه النفوس رشادا * واستزانت منه النهى والحلوم
أم لخط منمنم فاق حسنا * مثل وشي تلوح منه الرقوم
أو كزهر في بهجة ورواء * وأريج به تزاح الغموم
والعصون الاقلام والقرس روض * ناضر والمداد غيث سجوم
تلك ست أعجز وصفي فاني * بسواها مما يجل أقوم

ولم يكن جمعي علم الله هذا التأليف لرفد أستهديه أو عرض نائل أستبديه بل لحق ودين وعد أقدمه وأبديه ووقوف عند حد لا يجوز تعديه وتلبية داع أحبيه وأنذر منه

ان من يرجو نوالا وندى * من بني الدنيا لذو حظ غبين
فلقد كان على غير الهدى * من يسويهم برب العالمين
ويرجي منهم الرزق فهل * خالق الكل فقير أو ضنين
أتخلى قصد رب مالك * ونرى للخلق جهلا قاصرين
مالنا من خلاص نأتي به * غير جاه المصطفى الهادي مين
سيد الخلق العماد المرتجى * للملمات شفيع المذنبين
فعليه صلوات تنتمي * حضرة حل بها في كجين
والرضا من بعد عن أربعة * هم بحق أمراء المؤمنين
فبمينا ان من يهواهم * ليكونن من أحاب اليقين

في سجه ان السلام في بني اسرائيل وملك (عمايل) بن فائم من سبط يهوذا أربعين سنة وقيل (كوش) جبار كان في آب من أرض البلقاء وان بني اسرائيل كفرت بعد ذلك فملك الله عليهم (كنعان) عشر سنين وهلك فكان على بني اسرائيل (عملان) الاخباري أربعين سنة (ثم قام سمويه) الى أن وليهم طالوت وحرج عليهم جالوت الجبار ملك البربر من أرض فلسطين (قال المسعودي) فاما على الرواية الاولى التي قدمنا ذكرها فالقائم بعده في بني اسرائيل والمدبر لهم فنحاص ابن العازر بن هرون بن عمران ثلاثين سنة وكان عمد الى مصاحف موسى بن عمران عليه السلام فجعلها في خابية فخاس ورصص رأسها وأتى بها صخرة بيت المقدس وذلك قبل بنائه وانفرجت فادخل مغارة فيها صخرة ثابتة فوضع الخابية فيها وانصمت الصخرة على ذلك كما كونها أولا ولما هلك فنحاس بن العزر دبر امرهم كوشان بن لاسم ملك الجزيرة فتعبد بني اسرائيل واخذهم البلاء ثمان سنين ثم دبرهم عثنيئال بن قناز اخو كالاب من سبط يهودا اربعين سنة ثم دبرهم عفلور ملك هاب بجهد شديد ثمان عشرة سنة ثم دبرهم اهود من ولد افرايم

بعد وفاة يوشع بن نون (وشان) الاعرى وانه اقام فيهم ما ثمن سنة وهلك

وسط

خمسا وعشرين سنة وخمس وثلاثين سنة خلت من ايامهم للعالم اربعة آلاف سنة ٩٠٠ وقيل غير ذلك من التاريخ ثم دبرهم ساعان بن اهون خمسا وعشرين سنة ثم دبرهم رابين الكنعاني ملك الشام عشرين سنة ثم دبرهم امراة يقال لها دبورا وقيل انها ابنة وضمت البها رجلا من سبط نفتالي يقال له باراق اربعين سنة ثم تداولهم رؤساء بني اسرائيل وهم عريب وزئب وزسونا ودارع وصلماع تسع سنين وثلاثة اشهر ثم دبرهم كدعون من آل منشا اربعين سنة وقيل ملوك مدين ثم ابنه ابيماع ثلاث سنين وثلاثة اشهر ثم توبع من آل فرابن ثلاثة وعشرين سنة ثم سابه من من آل منشا اثنتين وعشرين سنة ثم ملوك عمان ثمانى عشرة سنة وثلاثة اشهر ثم يجثون من بيت لحم تسع سنين ثم قهرهم ملوك فلسطين اربعين سنة ثم عالى الكاهن بعد ذلك اربعين سنة وفى زمانه ظفر البابليون ببني اسرائيل وغنموا التابوت وكان بنو اسرائيل يستفتحون به فحملوه الى بابل وأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم وكان ما كان من أمر قوم حزقيل وهم الذين أخرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم وكان قد أصابهم الصاعون فمنى منهم ثلاثة أسباط فدقت فرقة بالرمل وفرقة بشواهق الجبال وفرقة بجزيرة

وسط جنات تجيء بها * آنسات قاصرات الطرف عين
بقوارير بجين شربه * وابارين وكاس من معين
والذى شرفهم يمنحنا * حبهم والكون معهم اجمعين

فدونك ايها الناظر فى هذا الكتاب المنبانى عن مذهب النقد والعتاب كلمات سواتح اختلست مع اشتعال الجوانح وتضاد الامور الواتح واللوائح والباطن بوارح اقتنصت بين اشغال الجوارح وطرقا أسمت الصرف فى مرعاها وكانت هملا نير سوارح ونحفا يحصل بها الناظره الامتاع ولا يعدها من خط المتاع المراع ويلهج بها المرتاح ويستانس المستوحش المراع

وبعد فان خمنت تمام هذا التصنيف وامعنت النظر فيما يحصل به التفريط لما معه التشنيف قسمته قسمين وكل منهما مستقل بالمطلوب بصحبان يسميا باسمين

* (القسم الاول) * فيما يتعلق بالاندلس من الاخبار والمرعة الاكواب والانباء المنتخبة صوب الصواب الرائد من الاودة فى سوابغ الاثواب وهب بحسب القصد والاقتصار ويجرى المتوسط فى بعض المواضع دون الاختصار ثمانية من الابواب

(الباب الاول) فى وصف جزيرة الاندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيرها وكمالها واستوائها واشتمالها على كثير من المنافع والمحاسن واحتوائها وكرم نباتها الذى سقته سماء البركات من جنابها بنافع انوائها وذكر بعض ما ثرها المحلوة الصور وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور المستمدة من اضوائها

(الباب الثانى) فى القاء بلاد الاندلس للمسلمين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وعبورهما ميدانا السبق الجياد ومحط رحال الارتياد والارتياد وما يتبع ذلك من خبر حصل بازدياده ونباء وصل اليه اعتنامه وتغرر عنه اعتمامه

(الباب الثالث) فى سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العز السامى العماد والقهر الذى الرواح والعدو والتحرك للهدى البالغ غايته الاسعاد واعمال اهلها للجهاد بالجد فى الجهاد فى الجبال والوهاد بالاسنة المشرعة والسيوف المستلئمة من الاحماد

(الباب الرابع) فى ذكر قرطبة التى كانت الخلافة بمصرها للاعداء قاهرة وجامعها الاموى من البدائع الباهية الباهرة والالماع بحصر فى الملك الزهراء الناصرية والعامرية الزاهرة ووصف جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات الحاس الباطنة والظاهرة وما يجر اليه شجون الحديث من أمور تقضى بحسن ايرادها القرائح الوقادة والافكار الماهرة

(الباب الخامس) فى التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق الذاكية العرار والبشام ومدح جماعة من اولئك الاعلام ذوى الالباب الراجحة والاحلام الناسمة وجملة الارض دمشق الشام وما اقتضته المناسبة من كلام اعيانها وارباب بيانها ذوى السودد والاحتشام ومخاطباتهم للمؤلف المقترحين حلها عام سبعة وثلاثين والف وشاهد برق فضلها المبين وشام

(الباب السادس) فى ذكر بعض الوافدين على الاندلس من اهل المشرق المهتدين فى

قصدهم اليها بنور الهداية المتلألئ المشرق والآثار الدين حلوا منها بحلولهم فيها الجيد والمعرف وافتخروا برؤية قطرها المونق على المشم والمعرق

(الباب السابع) في نبذة مما من الله تعالى به على اهل الاندلس من توفد الاذهان و بذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عز أوهان وحوزهم في ميدان البراعة من نصب اليراعة خصل الرهان وجملة من اجوبتهم الدالة على لوذعيتهم واوصافهم المؤذنة بالمعيتهم وغير ذلك من احوالهم التي لها على فضلهم اوضح برهان

(الباب الثامن) في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة بعد صرفه وجوه الكيد اليها وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها بمكره واستعماله في امرها حيل فكره حتى استولى دمره الله عليها ومحا منها التوحيد واسمه وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث والرأي الخبيث لديها واستعانه مع ذلك بالنظم والنثر اهل ذلك العصر من سائر الاقطار حين تعذرت بحصارها مع ذلك جماته وانصارها المآثر والاوطار وجاءها لاسداء من حلفها ومن بين يديها اعاد الله نعالى اليها كلمة الاسلام واقام فيها شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر عنها وعما حوالها آمين ولم اخل بابا في هذا القسم من كلام للسان الدين بن الخطيب وان قل مع ان القسم الثاني بذلك كما سقف عليه قد استقل وهذا آخر ما تعلق بالقسم الاول وعلى الله سبحانه المتكل والمعول

(القسم الثاني) في التعريف بلسان الدين بن الخطيب وذكر أبياته التي يروق سماعها ويتأرج نفحها ويطيب وما يناسبها من أحوال العلماء الافراد والاعلام الذين اقتضى ذكرهم شؤون الكلام والاستطراد وفيه ايضا من الابواب ثمانية موصلة الى جنات ادب قطوفها دانية وكل غصن منها رطيب

(الباب الاول) في ذكر أولية لسان الدين وذكر اسلافه الذين ورث عنهم المجد وارتضع منهم اخلاقه وما يناسب ذلك مما لا يذهب المنصف الى خلافه

(الباب الثاني) في نشأته وترقيه ووزارته وسعادته ومساعدة الدهر له ثم قلبه الينا على عادته في مصافاته ومنافاته وارتباكه في شباكه وما لقي من احن الحادي المذهب الفاسد ومحن الكائد المستأسد وآفاته وذكر نصوره واموواله وغير من احواله في تعلبانه عند ما قابله الزمان باهواله في بدئه واعادته الى وفاته

(الباب الثالث) في ذكر مشايخه الجلة هداة الناس ونجوم الملة وما يتصل بذلك من الاخبار الشافية للعلة والمواعظ المنجية من الاهواء المضلة والمناسبات الواضحة البراهين والادلة

(الباب الرابع) في مخاطبات الملوك والاكابر الموجهة الى حضرته العلية وثناء غير واحد من اهل عصره عليه وصرف الناصدين وجوه التأميل اليه واجتلائهم انوار رياسته الجلية

(الباب الخامس) في ايراد جملة من نثره الذي عبق ارج البلاغة من فحاته ونظمه الذي بالق نور البراعة من لحانه وصفحاته وما يتصل بذلك من بعض أزجاله وموشحاته

لا ولا سمعت بقوم فروا من الله فرارهم فسلط الله عليهم الطاعون سبعة ايام فماتوا عن آخرهم ودمر بني اسرائيل بعد غيلام الكاهن شمويل بن بروحام ابن ياحور او ذي هكث فمكث فيهم عشرين سنة ووضع الله عز وجل عنهم الضلال وصلح امرهم فخلطوا بعد ذلك فبعث لهم شمويل ابعث لنا ملكا نقاتل معه في سبيل الله فامر بنا طالوت وهو ساود بن شر بن ابنال بن طروس بن بحرون بن أفيح بن سميداح بن فالح بن بنيامين ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام فملكه عليهم ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت وكان بين خروج موسى عليه السلام ببني اسرائيل من مصر الى ان ملك على بني اسرائيل طالوت خمسمائة سنة واثنتان وسبعون وثلاثة أشهر وكان طالوت دباغا يعمل الأدم فاخبرهم نبيهم شمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فقالوا فيه ما أخبر الله عز وجل في كتابه أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم واخبرهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية ومناسبات

ومناسبات رائقة من فنون الادب ومصطلحاته

(الباب السادس) في مصنفاته في الفنون ومؤلفاته المحققة للواقف عليها الآمال والظنون وما كمل منها أو اخترمته دون اتمامه المنون

(الباب السابع) في ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه المستدلين به على المنهاج المتلقين انواع العلوم منه والمقتبسين انوار الفهوم من سراجه الوهاج

(الباب الثامن) في ذكر اولاده الرافلين في حلل الجلالة المتحفين اوصافه الحميدة وخلاله الوارثين العلم والحلم والرياسة والمجد عن غير كلالة ووصيته لهم الجامعة لآداب الدين والدنيا المشتملة على النصائح الكافية والحكم الشافية من كل مرض بلا ثنيا المنقذة من أنواع الضلالة وما يتبع ذلك من المناسبات القوية والامداح النبوية التي لها على حسن الختام اظهر دلالة (وقد كنت) ولاسميته بعرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب ثم وسمته حين ألحقت اخبار الاندلس به (بنفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) وله بالشام تعلق من وجوه عديدة هادية لمتأمله الى الطرق السديدة أولها أن الداعي لتاليفه أهل الشام أبى الله الا شرهم وجعلها على مر الزمان مديدة ثانيها أن القائمين للاندلس هم أهل الشام ذو والنجدة والنهضة الحديدة ثالثها أن غالب اهل الاندلس من عرب الشام الذين اتخذوا الاندلس وطنا مستانفا وحضرة جديدة ورابعها أن غرناطة نزل بها أهل دمشق وسموها باسمها الشهابها في التصره النهر والدوح والزهر والغوطة الغيد وهذه مناسبة قوية العرا شديدة * هذا واني أسال ممن وقف عليه أن ينظر بعين الاغضاء اليه كما أطلب ممن كان السبب في تصنيفه والداعي الى تاليفه وترصيفه استنادا لركن الثقة واعتمادا على الود والمتقة ان يصغي عما وجه اليه الصور ويسمع ويلاحظه بعين الرضا الكليلة ويلمع ادركبت شكل منطقه من غالبة وقضية الغربة موجبة للكربة وبعض الآمال سالبة وهو على النفي بكل الغرض فلا يخلو من فائدة وقد يستدل على الجوهر بالعرض فان أديت لي ذلك المرام الذي أرتضيه ويوجب الود ويقتضيه والا فحسبي أن بذلت له جهدي ممن وجدي على قدر ماعندي وقد توهمت أني لم أسبق الى مثله في بابه اذ لم أقف على نظير أتعلق باسبابه ورجوت أن يكون هدية مستملحة مستعذبة وطرفة مقبولة مستطربة

هديتي تقصر عن همتي * وهمتي أكثر من مالي
وخالص الود ومحض الاخا * أكثر ما يهدى امثالي

وأوردت فيه من نظم وانشاء مايكفي المقتصر عليه ان شاء ومن اخبار ملوك ورؤساء وطبقات من احسن اواساء مافيه اعتبار للمتامل واذكار للراحل المتحمل وزينة للذاكر المتجمل وتنكيت على أهل البطر وتبكيت لمن خرج من دنياه ولم يقض من الطاعة اوطر

اري اولاد آدم ابطرتهم * حظوظهم من الدنيا الدنيه
فلم يبطروا وأولهم مني * اذا نسبوا وآخرهم منيه

بابل عشرسنين فتجمعوا عند النهر حفيف الملائكة تحمل التابوت واشتد سلطان جالوت وكثرت عساكره وقواده وبلغه انقياد بني اسرائيل الى طالوت فسار جالوت من فلسطين باجناس من البربر وهو جالوت بن بايول بن ريال بن حطال بن فارس فنزل بساحة بني اسرائيل فامر شمويل طالوت بالمسير ببني اسرائيل الى حرب جالوت فابتلاهم الله عزوجل بنهر بين الاردن وفلسطين وسلط الله عليهم العطش وقد قص الله ذلك في كتابه وأمرهم أن لا يشربوا من النهر ولغه أهل الريبة ولغ الكلاب فقتلهم طالوت عن آخرهم ثم فضل من خيارهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم داود عليه السلام ولحق داود بأخوته فتوافق الجيشان جميعا وكانت الحروب بينهما سجالا وندب طالوت الناس وجعل لمن يخرج الى جالوت ثلث ملكه ويتزوج ابنته فبرز داود فقتله بحجر كان في مخلاته رماه بمقلاع فخر جالوت ميتا وقد اخبر الله عزوجل بذلك في كتابه بقوله وقتل داود جالوت وقد ذكر ان الحجر الذي كان في مخلاة داود كان ثلاثة احجار فاجتمعت وصارت حجرا واحدا وهي التي قتل بها جالوت وان القوم الذين ولغوا في الماء

وقد أتينا على خبر الدرع التي كان أخبرهم نبيهم انه لا يقتل جالوت

وفيه ايقاظ لمثلي من سفه الغفلة وحث على عدم الاغترار بامهله وتنبيه للابس برد الشباب المشيب انه لابد من حادث الموت قبل أو بعد المشيب

لله در المشيب من واعظ * وناصح منهاجه واضح
كل امرئ يجمعه شانه * وحادث الدهر له فاضح

وكم بك على عصر الشباب وشاك اعراق عهد الصبا والاحباب أنساه طارق الزمان الصبى والرباب

مضى عصر الشباب كلمح برق * وعصر الشيب بالاكدار شيبا
وما اعددت قبل الموت زادا * ليوم يجعل الولدان شيبا

وما احسن قول بعض الاسلام

مضى ما مضى من حلو عيش ومره * كأن لم يكن الا كأضغاث احلام

وقول من اوشد سفيها

انما هذه الحياة متاع * فالجهول الجهول من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي انت فيها

وفي معناه لغيره

دنياك شيآن فانظر * ما دانك الشيآن
ما فات منها فحلم * وما بقى فامانى

وما احكم قول ابن حضان مع وقوعه من البدعة في أشطان

يا سعف المرء على ما فاته * من لبسات اذا لم يقضها
وتراه ضاحكا مستبشرا * بالى امضى كأن بعضها
ايها المسى كاحلام الكرى * لقريب بعدها من بعضها

ولغيره

والله وكانت الدنيا باجمعها * تبقى لمن اويانى ورزقها رغدا
ما كان من حق حر أن يذل لها * فكيف وهى متاع يضمحل غدا

ولآخر

لاحظ في الدنيا لمستبصر * يلمحها بالفكرة الباصره
ان كدرت مشربه ملها * وان صفت كدرت الآخره

ويعجبني قول الوزير ابن المغربي

انى ابثك من حديثي والحديث له شجون
فارحت موضع مرقدى * ليلا ففارقني السكون
قل لي فداك ليلة * للقبر كيف ترى أكون

وقول سامية

تامل في الوجود بعين فكر * ترالدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعا سوف يفنى * ويبقى وجه ربك ذو الجلال

وحارب داود أهل سوا من ارض البلقاء وأنزل الله عز وجل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة

الا من صلحت عليه تلك الدرع اذا لبسها وانها صلحت على داود وما كان من عدده الحروب وخوض الدهش التي [illegible] وحين انزل عليه الزبور وبين [illegible] انهم كانوا في أخبار [illegible] وغزوه بعد ذلك [illegible] من ديار البربر [illegible] في البلاد التي [illegible] هذا الكتاب (ورفع الله ذكر داود) واتصل ذكر طالوت وأبي طالوت الى نبي الله داود بما تقدم من شرطه فلما رأى سيل الناس اليه زوجه بنته وسلم اليه ثلث الجباية وثلث الحكم وثلث الناس ثم حسده بعد ذلك فاستدل صنعه الله عز وجل من ذلك فلما اراد ان يبدل [illegible] بناصبه في ملكه ولما أمر داود فقبائل طارت على سرير ملكه فكان من أمرهما كذا وانتقلت بنو اسرائيل الى داود عليه السلام وكان مدة طالوت عشرين سنة وذكر ان الموضع الذي قتل فيه طالوت نبسان من ارض لغور من بلاد الاردن وأن الله عز وجل لداود الحديد فعمل منه الدروع ومحراث الجبال والطير يسبحن معه

وقول بعض العارفين

استعدى يانفس للموت واسعى * لنجاة فالحازم المستعد
قد تبينت انه ليس للحى خلود ومامن الموت بد
انما أنت مستعيرة ماسو * ف تردين والعوارى ترد
أنت تسهين والحوادث لاتسهو وتلهين والمنايا تحد
أى ملك فى الارض أوأى حظ * لامرئ حظه من الارض لحد
لاترجى البقاء فى معدن المو * ت ودار حتوفها لك ورد
كيف يرجو امرؤ لذاذة أيا * م عليه الانفاس فيها تعد

وأسال من مبلغ السائلين مايرجون أن يصفح عن زلاتى ويسامحنى فيما أوردت فى هذا الكتاب من الهزل والمجون الذى جرت المناسبة اليه والحديث شجون وما القصد منه الا ترويح قلوب الذين يسوقون عيس الاسمار ويزجون وفيما أوردت من المواعظ والنصائح وحكايات الاولياء الذين طيب زهر منا قبهم فائح والتوسل بمحاسن الامداح النبوية أن يستر بفضله سبحانه القبائح ويرينا وجه القبول بلا كتمان ويمنحنا الزلفى وحسن الختام ومن يتوسل بالنبى محمد شفيع البرايا السيد السند الاسنى فذاك جدير أن يكفر ذنبه ويمنحه نيل القصد والختم بالحسنى وهذا أوان الشروع فى الاصول من هذا الكتاب والفروع وعلى الله سبحانه أعتمد ومن معونته استمد

(القسم الاول)

فيما يتعلق بالاندلس من الاخبار المترعة الاكواب والانباء المنتجبة صوب الصواب اذ الاقلة من الافادة فى سوابغ الاثواب وفيه بحسب القصد والاقتصار وتحرى التوسط وذلك من المواضع دون الاختصار ثمانية من الابواب

(الباب الاول)

فى الجزيرة الاندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيراتها واستوائها والهاء على كثير من المحاسن واحتوائها وكرم بقعتها التى سقتها سماء البركات بنافع وذكر بعض ما ثرها المحلوة الصور وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور عدة من اضوائها فاقول محاسن الاندلس لاتستوفى بعبارة ومجارى فضلها لايشق غباره وأنى تجارى وهى الحائزة قصب السبق فى أقطار الغرب والشرق (قال ابن سعيد) انما سميت بالاندلس بن طوبال بن يافث بن نوح لانه نزلها كما ان اخاه سبت بن يافث نزل العدوة المقابلة لها واليه تنسب سبتة (قال) وأهل الاندلس يحافظون على قوام اللسان العربى لانهم اما عرب اومتعربون انتهى (وقال ابن غالب) انه اندلس بن يافث والله تعالى أعلم (وقال الوزير) لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فى بعض كلام له اجرى فيه ذكر البلاد الاندلسية أعادها الله تعالى للاسلام ببركة المصطفى عليه من الله افضل الصلاة وازكى السلام مانصه خص الله تعالى بلاد الاندلس من الربيع وغدق السقيا ولذاذة الاقوات بفراهة الحيوان ودرور الغواكه وكثرة المياه وتبحر العمران وجودة

موعظة وترغيب ومحبة وترهيب ليس فيه أمر ولا نهى ولا تحليل ولا تحريم واستقامت الامور لداود ولحقت الخوارج من الاكراد باطراف الارض لهيبة داود وبنى داود بيتا للعبادة باورشليم وهى بيت المقدس وهو البيت الباقى لوقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يدعى بمحراب داود عليه السلام وليس فى بيت المقدس اعلى منه فى هذا الوقت وقد يرى من اعلاه البحيرة المنتنة ونهر الاردن المتقدم ذكره وكان من أمر داود مع الخصمين ماقص الله عز وجل فى كتابه من خبره وقوله لاحدهما قبل استماعه من الآخر لقد ظلمك وقد تنازع الناس فى خطيئة داود فمنهم من رأى ماوصفنا ونفى عن الانبياء المعصى وتعمد الفسق وانهم معصومون فكانت الخطيئة ماذكرنا وذلك قوله عز وجل يادواود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ومنهم من رأى ان ذلك كان قضية أوريا بن حيان ومقتله على ماذكرنا فى كتاب المبتدا واخبر

وغيره وتاب الله عز وجل على داود بعد أربعين يوما كان فيها باكيا وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة ونشا

انابيس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وابيضاض ألوان الانسان وتبل لاذهان وفنون الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الادراك واحكام التمدن والاعتمار بما حرمه الكثير من الاقطار مما سواها انتهى (قال أبو عامر السلمى) فى كتابه المسمى بدرر القلائد وغرر الفوائد الاندلس من الاقليم الثانى وهو خير الاقاليم وأعدلها هواء وترابا وأعذبها ماء وأطيبها هواء وحيوانا ونباتا وهو أوسط الاقاليم وخير الامور أوساطها انتهى (قال ابو عبيد البكرى) الاندلس شامية فى طيبها وهوائها يمانية فى اعتدالها واستوائها هندية فى عطرها وذكائها اهوازية فى عظم جبايتها صينية فى جواهر معادنها عدنية فى منافع سواحلها فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملى الفلسفة وكان من ملوكهم لدين أثروا الآثار بالاندلس هرقلس واد الاثر فى الصنم بجزيرة قادس وصنم جليقية والاثر فى مدينة طركونة الذى لا نظير له (قال المسعودى) بلاد الاندلس تكون مسيرة عمائرها ومدنها نحو شهرين ولها من المدن لموصوفة نحو من أربعين مدينة انتهى باختصار ونحوه لابن لبسع اذ قال طولها من اربونه الى اشبونة وهو قطع ستين يوما للفارس المجد والمقتصد بامرين أحدهما أنه يقتضى أن اربونه داخلة فى جزيرة الاندلس والصحيح انها خارجة عنها والثانى ان قوله ستين يوما للفارس المجد اعياء وافراط وقد قال جماعة انها شهر ونصف (قال ابن سعيد) وهذا يقرب اذا لم يكن للفارس المجد والصحيح ما نص عليه الشريف من أنها مسيرة شهر وكذا قال الحجارى وقد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حسابا بالمراحل الجيدة افضى الى نحو شهر بنيف قليل (قال الحجارى) فى موضع من كتابه ان طول الاندلس من الحاجز الى اشبونة الف ميل ونيف اه وبالجملة فالمراد التقريب من غير مناقشة كما قاله ابن سعيد واطال فى ذلك ثم قال بعد كلام ومسافة الحاجز الذى بين بحر الزقاق والبحر المحيط اربعون ميلا وهذا عرض الاندلس عند رأسها من جهة الشرق ولذلك سميت جزيرة والا فليست بجزيرة على الحقيقة لاتصال هذا القدر بالارض الكبيرة وعرض جزيرة الاندلس فى موسطها عند طليطلة ستة عشر يوما واتفقوا ان جزيرة الاندلس مثلثة الشكل واختلفوا فى الركن الذى فى الشرق والجنوب فى اربونة هل هو فى اربونة وان هذه المدينة تقابلها مدينة برشيل التى فى الركن الشمالى احمد بن محمد الرازى وابن حيان وفى كلام غيرهما انه فى جهة اربونة وحقق الشريف وهو اعرف بتلك الجهة لتردده فى الاسفار براو بحرا اليها وتقرر عنده لهذا الفن (قال ابن سعيد) وسألت جماعة من علماء هذا الشان فاخبرونى أن الصحيح ما ذهب اليه الشريف وان اربونة وبرشلونة غير داخلتين فى ارض الاندلس وان الركن الموفى على بحر الزقاق بالمشرق بين برشلونة وطركونة فى موضع يعرف بوادى زنلقطو وهنالك الحاجز الذى يفصل بين الاندلس والارض الكبيرة ذات الالسن الكثيرة وفى هذا المكان جبل البرت الفاصل فى الحاجز المذكور وفيه الابواب التى فتحها ملك اليونانيين بالحديد والنار والحيل ولم يكن للاندلس من الارض الكبيرة قبل ذلك طريق فى البر وذكر الشريف أن هذه الابواب يقع فى مقابلتها بحر الزقاق البحر الذى بين جزيرتى ميورقة ومنورقة قال فاخبر بذلك

عنهما بقوله وكلا آتينا حكما وعلما ولما حضرت داود الوفاة أوصى الى ابنه سليمان وقبض وكان ملكه أربعين سنة على فلسطين والاردن وكان عسكره ستين الفا أصحاب سيوف جردا مردا أصحاب باس ونجدة وكان بلاد مدين وأيلة فى عصر داود عليه السلام (لقمان الحكيم) وهو لقمان بن عنقاء بن مرد بن صاوون وكان نوبيا مولى لقمين بن حسر ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام وكان عبدا صالحا لله عز وجل حليما بالحكمة ولم يزل باقيا فى الارض مظهرا الحكمة والرشد فى هذا العالم الى ايام يونس بن متى حين أرسل الى أهل نينوى من بلاد الموصل ولما قبض الله داود عليه السلام قام بعده ولده (سليمان) بالنبوة والحكم وغمر عدله رعيته واستقامت له الامور وانقادت له الجيوش وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس وهو المسجد الاقصى الذى بارك الله عز وجل حوله فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتا وهو الموضع الذى يسمى فى وقتنا هذا

كنيسة القمامة وهى الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى ولهم كما أس غير هامعظمة ببيت المقدس جهور

جمهور المسافرين لتلك الناحية ومسافة هذا الجبل الحاجز بين الركن الجنوبي والركن الشمالي أربعون ميلا قال وشمال الركن المذكور عند مدينة برديل وهي مدن لافرنجة مطلة على البحر المحيط في شمال الاندلس وبينها وبين البربر دعبر هذا الركن الى الشمال في بلاد الفرنجة ولهم بها جزائر كثيرة وقد ذكرنا من الركن الشمالي عند ثنية باموه من ساحل الجلالقة في شمال الاندلس حيث تبتدئ جزيرة برطانيه الكبيرة وتنصرف منها لك بحر داخل بين أرضين من الناس من يجعله بحرا منفردا خارجا من البحر المحيط ذاهبا الى الركن المتقدم الذكر عند مدينة برديل (وذكر الشريف) ان عند ثنية باموه في هذا الركن المذكور على جبل يجمع البحر بر ما صورته مشبها بصنم فادس والركن الثالث عند ربقة من جبل الاعن حيث صنم فادس والجبل المذكور يدخل من بر به مع جنوبه بحر ازوف من البحر المحيط مارا مع ساحل الاندلس الجنوبي الى جبل البرت المذكور انتهى والكلام في مثل هذا طويل الذيل * (قال الشيخ احمد بن محمد بن موسى الرازي) بلد الاندلس هو آخر الاقليم الرابع الى المغرب وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة طيب التربة خصب الجناب منجس الانهار العزار والعيون العذاب قليل الهوام دوات السموم معتدل الهواء الجو والنسيم ربيعه وخريفه ومشتوه ومصيفه على قدر من الاعتدال وبعض الحال لا يولد في أحدها فصل يولد منه فيما يليه اسقاص محصل فواكهها اكثر الازمنه ويدوم منلاحقة غير مفسودة أما الساحل منه ونواحيه فيبادر بها كروه وأما الشعر وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء فتأخر بالكثير من ثمره عادة الخيرات بالبلد منادية في كل الاحيان وفواكهه على الجملة غير معدومة في كل أوان وله خواص كرم انبات نواتي في بعضها أرض الهند المخصوصة بكرم الساج وجواهرها أن الحلب وهو المقدم وذلك من تمام ية والمحصل في أنواع الاشجار لا ينبت بشئ من الارض الا بالهند والاندلس جعل الناس المدن الحصينة والمعاقل المنيعة والقلاع الحربية والمصانع الجليلة ولها البحر والسهل والوعر وشكلها مثلث وهي معتمدة على ثلاثة أركان الاول وضع الذي وبه صنم فادس المذكور بالاندلس ومنه مخرج البحر المتوسط الشامي بقبلي الاندلس والركن الثاني هو بشرقي الاندلس بين مدينة برشونه ومدينة برديل بلدي الفرنجة اليوم بازاء جزيرة ميورقة ومنورقة بمجاورة من البحرين البحر المحيط والبحر المتوسط وبينهما البر الذي يعرف بالابواب وهو المدخل الى بلاد الاندلس من الارض الكبيرة على بلد افرنجة ومسافته بين البحرين مسيرة يومين ومدينة برشونه تقابل البحر المحيط والركن الثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حيز جابية حيث الجبل الموفي على البحر وفيها الصنم العالي المشبه بصنم فادس وهو الناظر على بلد برطانيه قال والاندلس اندلسان في اختلاف هبوب الرياح عليها ومراقع أمطارها وجريان انهارها أندلس غربي وأندلس شرقي فالغربي منهما ما جرت أوديته الى البحر المحيط الغربي وقطر بالرياح الغربية وحد هذا الحوز من ناحية المشرق مع المنارة الخارجة مع الجوف الى بلد شنتمرية طالعا الى حوز اغرناطة الجوفية ثم يحيط ماثلا الى الغرب ومجاورا للبحر المتوسط الموازي لقطر جنده

بالجسمانية ويزعمون ان فيها قبر داود عليه السلام وأعطى الله عز وجل لسليمان عليه السلام من الملك ما لم يعطه لاحد من خلقه وسخر له الجن والانس والطير والريح على حسب ما ذكر الله عز وجل في كتابه وكان ملك سليمان بن داود على بني اسرائيل أربعين سنة وقبض وهو ابن اثنتين وخمسين سنة والله ولي التوفيق

* (ذكر مالك بن رحيم ابن سليمان بن داود عليهما السلام ومن ملك من بني اسرائيل وجل من اخبار الانبياء)

وملك على بني اسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام مالك بن رحيم بن سليمان واجتمعت عليه الاسباط ثم افترقوا عنه الا سبط يهودا وسبط بنيامين وكان ملكه الى أن هلك سبع عشرة سنة وملك على العشرة اسباط (نوهم) وكانت له كرائس وحروب واتخذ له عجلا من الذهب والجوهر واعتكف على عبادته فاهلكه الله عز وجل فكان ملكه عشرين سنة وملك بعده (نودم) فاطهر عبادة الاصنام والثعابين وكان ملكه

سنة ثم ملكت بعده امرأة يقال لها (عيلان) فبذلت السيف في ولد داود عليه السلام فلم يبق منهم الا غلام

فانكرت بنو اسرائيل ذلك من فعله فقتلوه ٦٦ وكان ملكها سبع سنين وقيل غير ذلك وملكوا عليهم (الغلام) الذى بقى من

نسل داود فملك وله سبع سنين فاقام ملكا اربعين سنة وقيل دون ذلك وملك بعده (مليصا) وكان ملكه اثنين وخمسين سنة وكان فى عصره (شعياء) النبى ولشعياء معها اخبار وكانت الحروب قد اتصلت على ذكرها فى كتاب اخبار الزمان وملك بعده (نوفا) ابن عدل عشر سنين وقيل ست عشرة سنة وملك بعده (احام) فاظهر عبادة الاصنام فقفى واظهر البغى فصار اليه بعض ملوك بابل وكان يقال له فلغمس وكان من عظماء ملوك بابل وكان للاشر تبى معه حروب الى ان اسره البابلى وخرب مدن الاسباط ومساكنهم وكان فى ايامه تنازع بين اليهود فى الديانة فبذ منهم الاسامرة وانفردوا نبوة داود عليه السلام ومن تلاه من الانبياء وابوا ان يكون بعد موسى نبى وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون بن عمران والاسامرة فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بيلاد فلسطين والاردن وفى قرى متفرقة مثل العريش المعروفة بعزا وهى بين ارمله وغير هامن القرى الى مدينة بابلس واكثرهم هذه المدينة اعنى بابلس ولهم جبل يقال له طوريك وللاسامرة منهم

الحاء اتى من الدلو به ونهوز الشرقى المعروف بالاندلس الاقصى وتجرى أوديته الى الشرق وأمطاره بالريح الشرقية وهو من حد جبل البشكنش هابطا مع وادى ابرة الى بلد شنت مرية وهو حوف هذا البحر وغربه المحيط وفى المقابلة منه البحر العربى الذى منه يجرى البحر المتوسط الخارج الى بلاد الشام وهو البحر المسمى بحر تيران ومعناه الذى يشق دائرة الارض ويسمى البحر الكبير انتهى قال أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن الشام ببلد الاندلس عند علمائها أهله اندلسان فالاندلس الشرقى منه ما صبت أوديته الى البحر الرومى المتوسط المنصب عدمى اسفل ارض الاندلس الى المشرق وذلك ما بين مدينة برشلونة الى سرقسطة والاندلس العربى ما صبت أوديته الى البحر الكبير المعروف بالمحيط أسفل من ذلك الحد الى ساحل المغرب فالشرقى منهما يمطر بالريح الشرقية ويصلح عليها والعربى يمطر بالريح العربية وبها اصلاحه وجبال هابطة الى الغرب جبلا بعد جبل وانما وصفته الاوائل جزءين لاختلافهما فى حال أمطارهما وذلك أنه مهما استحكمت الريح الغربية كثر مطر الاندلس الغربى وقحط الاندلس الشرقى ومتى استحكمت الريح الشرقية كثر مطر الاندلس الشرقى وقحط الغربى وأوديته هذا القسم تجرى من الشرق الى الغرب بين هذه الجبال وجبال الاندلس العربى تمتد الى الشرق جبلا بعد جبل تقطع من الجوف الى البحر الاوديته التى تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها الى البحر وبعضها الى الشرق وتنصب كلها الى البحر المحيط بالاندلس القاطع الى الشام وهو البحر الرومى وما كان من بلاد جوف فى الاندلس من بلاد جليقية وما يليها فان اوديته تنصب الى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف (وصفة الاندلس) شكل مركن على مثال الشكل المثلث ركنها الواحد فيما بين الجنوب والمغرب حيث اجتماع البحرين عند صنم قادس وركنها الثانى فى بلاد جليقية حيث الصنم المشبه بهم قادس مقابل جزيرة برطانية وركنها الثالث بين مدينة برشلونة فى بر دليل من بلاد الفرنجة بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامى المتوسط فيكادان يجتمعان فى ذلك الموضع فيصير بلد الاندلس جزيرة بنهما فى الحقيقة لولا أنه بقى بينهما برزخ الى صحراء وهما رقعة مسافتها مسيرة يوم للراكب منه المدخل الى الارض الكبيرة التى وبعض البلاد التى وراءه يتصل بلد الاندلس بتلك البلاد المعروفة بالارض الكبيرة دار وجثت احتمالة قال واول من سكن بالاندلس على قديم الايام فيما نقلته الاخبار يونان من بنى راح الذين وقفوا على ما يذكره علماء عجمها قوم يعرفون بالاندلش منجمهم الثابتين بهم سمى المكان بهم بعد ما بادوا بالجملة كانوا الذين عمروها وتناسلوا فيها واتخذوا ملكها دهرا على دين المجوس والاهوال والافساد الارض ثم أخذهم الله بذنوبهم فحبس المطر عنهم ووالى القحط عليهم وأعطش بلادهم حتى نضبت مياهها وغارت عيونها ويبست أنهارها وتشعثت أشجارها وهلك أكثرهم وفر من قدر على الفرار منهم فاقفرت الاندلس من بعدهم وبقيت خالية فيما يزعمون مائة سنة وبضع عشرة سنة وذلك من حد بلد الفرنجة الى حد بحر المغرب الاخضر وكان مدة ما عمرتها هذه الامة البائدة مائة عام وبضع عشرة سنة ثم ابتعث الله لعمارتها الافارقة فدخل اليها بعدا فاردا ذلك المدة الطويلة قوم منهم اجلاهم ملك الشرق افريقية تخفقا

قتم

منهم

٣٣

منهم لا محال توالى على أهل مملكته وتردد عليهم حتى كاد يفنيهم فحمل منهم جملة الى الرقس
مع فائدة من قبله يدعى ابطر بقس فارسوا بريف الاندلس العربى واحتلوا جزيرة قادس
فصاروا الاندلس هذا مطر غزيرا فدامت خمس سنين فجرت انهارها وانفجرت عيونها ونبتت اشجارها
فنزلوا الاندلس مغتبطين بها مستكثرين منها معتمرين وتوالدوا فيها فكثروا واستوسقوا فى عمارة
الارض ما بين الساحل الذى أرساهم به الى ما الامر نجيس سرقسطة وما وصل بوادى
أنفسهم ملوكا فلما تمهد لهم ذلك أمرهم ونواهيهم على اقامة دولتهم وهم مع ذلك على دينه من قبلهم
من الجاهلية وكانت دار ملكهم طليطلة الخراب اليوم من ارض اشبيلية واحرزها ملوكهم
وسكنوها فاتسق ملكهم بالاندلس مائة وسبعة وخمسين عاما الى ان أزالكهم الله تعالى
وسحقهم بحجر رومية بعد ان ملك من هؤلاء الاقارنة فى مدتهم ثلاث احد عشر ملكا ثم ارتحال
الاندلس بعدهم الى عجم رومية وملكهم اشبان بن طيطش وباسمه سميت الاندلس اشبانية
وذكر بعضهم ان اسمها اسبان فاحيل باسان العجم وقيل بل كان مولد ملكها اسبان فغلب
اسمها عليه وهو الذى بنى اشبيليه وكان اشبانيه اسما لجالب البلد اشبيليه الذى كان يسكنها اشبان
هذا ثم غلب الاسم بعده على الاندلس كلها فالعجم الآن يسمونه اشبانيه لا آثار اشبان هذا
فيه وكان احد الملوك الذين ملكوا أقطار الدنيا فعمرا عمرا وكان غزا الافرنجة فلما ملكه الله
عليهم فى جموعه فمضى عساكره وأثخن فيهم ونزل بهم بقاعدتهم طلبطلة وحاصروها
منه فابتنى عليهم مدينة اشبيلية اليوم واتصل حصره وقتاله لهم حتى فتحها الله لهم وأنالهم
واستوثق له مملكة الاندلس بأسرها ودان له من شرقيها فهدم مدينة طلبطلة وعفى رسومها
وآلاها الى مدينة اشبيلية فاستتم بناءها واتخذها دار مملكته واستعظم سلطانه فى الارض
وكثر جموعه فعلا وعظم عتوه ثم غزا ايليا وهى القدس الشريف من اشبيلية بعد سنتين
من ملكه حرج اليها فى السفن مغنمها وهدمها وقتل فيها من اليهود مائة ألف واسترق
مثلها ألف ونقل رخام ايليا وآلاتها الى الاندلس فقهر الاعداء واشتد سلطانه (وذهبت)
فى هذا (بعض المؤرخين) أن العرائب التى اصيبت فى مغانم الاندلس أيام فتحها كانت
فى هذا (وذكر بعض المؤرخين) أن العرائب التى اصيبت فى مغانم الاندلس أيام فتحها كانت
وشمعدان عليه الصلاة والسلام التى ألفاها طارق بن زياد بكنيسة طليطلة وطليلة الدر التى
انتزعها موسى بن نصير بكنيسة ماردة وغيرهما من طرائف الذخائر مما كانت محاصار
المسيحيين بالاندلس من غنيمة بيت المقدس اذ حصر فيها مع محتصر وكان اسم ذلك الملك
بربان وفى سهمه وقع ذلك ومثله مما كانت الجن تأتى به نبى الله سليمان على نبينا وعليه
وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام انتهى (ودخل غير واحد من المؤرخين) كان أهل
المغرب الاقصى يضرون باهل الاندلس لاتصال الارض ويلفون منهم الجهد الجهيد
فى كل وقت الى أن اجتازهم الاسكندر فشكوا حالهم اليه فاحصر المهندسين وحصر
الى الرقاق فامرا لمهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامى فوجدوا المحيط يعلو
البحر الشامى شيئا يسيرا فامر بربوع البلاد التى على ساحل البحر الشامى ونقلهم الى الجبل
الى الاعلى ثم أمر بحصر ما بين طنجه وبلاد الاندلس من الارض بحفرت حتى ظهرت الجبال
السفلية وبنى عليها ردما بالحجر والجير بناء محكما وجعل طوله اثنى عشر ميلا وهى المسافة

بالبس هى بيت المقدس وهى
مدينة يعقوب النبى عليه
السلام وهدمها نبوخذ نصر وهم
صنفان منباينان كل باينهم
فى الاثرة الا هود واحد الصنفين
يقال له الكوسان والآخر
الدرسان احد الصنفين
يقول بعدم العالم وبعاد
غير ذلك أعرضنا عن
ذكرها مخافة التطويل
وان كنا بنا هذا الكتاب خبر
لا كتاب آراء ونحل وكان
ملك احام الى ان اسره الملك
الثانى سبع عشرة سنة ولما
أسر الملك احام ولده ولد
يقال له (حزقيل احام)
فاظهر عباد الرحمن وأمر
بتكسير التماثيل والاصنام
وفى ملكه سار (سنحاريب)
ملك بابل الى بيت المقدس
وكانت له حروب كثيرة مع
بنى اسرائيل وقتل من
اصحابه خلق كثير ورمى
من الاسباط عددا كثيرا
وكان ملك حزقيل الى ان
هلك سبعا وعشرين سنة ثم
ملك بعد حزقيل ولده يقال
له (منشا) فعمر عشرة سنين
ملكه وهو الذى قتل
شعياء النبى فبعث الله
قسطنطين ملك الروم فسار
اليه فى الجيوش فهزم جيشه
وأسره فاقام فى ارض الروم
عشرين سنة واطلع عما كان

عليه وعاد الى ملكه فكان ملكه الى ان هلك خمسا وعشرين سنة وقيل ثلاثين سنة ثم ملك بعده ولده يقال له (أمون) بن منشا

التي كانت بين البحرين وبني رصيفا آخر يليه من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين سعة ستة أميال فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الاعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين فدخل في البحر الشامي ثم فاض ماؤه فاغرق مدنا كثيرة وأهلك امما عظيمة كانت على الشطين وطفا الماء على الرصيفين احدى عشرة قامة فاما الرصيف الذي يلي بلاد الاندلس فانه يظهر في بعض الاوقات اذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة وأما الرصيف الذي من جهة العدوة فان الماء حمله في صدره واحتفر ما خلفه من الارض اثني عشر ميلا وعلى طرفه من جهة المغرب قصر الجواز وسبتة وطنجة وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبل طارق بن زياد وجزيرة طريف وغيرهما والجزيرة الخضراء وبين سبتة والجزيرة الخضراء عرض البحر انتهى ملخصا وقد تكرر بعضه مع ما جلبناه والعذر بين لارتباط الكلام بعضه ببعض (وقال ابن سعيد) ذكر الشريف أن لاحظ لارض الاندلس في الاقليم الثالث قال وبمر بجزيرة الاندلس الاقليم الرابع على ساحلها الجنوبي وما قاربه من قرطبة واشبيلية ومرسيه وبلنسية ثم يمر على جزيرة صقلية وعلى ما في سمتها من الجزائر والشمس مدبرة له * والاقليم الخامس يمر على طليطلة وسرقسطة وما في سمتهما الى بلاد أرغون التي في جنوبها برشلونة ثم يمر على رومية وبلادها ويشق بحر البنادقة ثم يمر على القسطنطينية ومدبرته الزهرة * والسادس يمر على ساحل الاندلس الشمالي الذي على البحر المحيط وما قاربه وبعض البلاد الداخلة في شمالة وبرتقال وما في سمتها وعلى بلاد برجان والصقالبة والروس ومدبره عطارد ويمر الاقليم السابع في البحر المحيط الذي في شمال الاندلس الى جزيرة انقلطرة وغيرها من الجزائر وما في سمتها من بلاد الصقالبة وبرجان قال البيهقي وفيه تقع جزيرة تولى وجزيرتا اجبال والنساء وبعض بلاد الروس الداخلة في الشمال والبلغار ومدبره القمر انتهى (وقال بعض العلماء) ان النصارى حرموا جنة الآخرة فاعطاهم الله جنة بستانا متصلا من البحر المحيط بالاندلس الى خليج القسطنطينية وعندهم عموم شمالي والبندق والجوز والفستق وغير ذلك مما يكون اكثر وأمكن في الاقاليم الباردة وليس عندهم معدوم وكذا الموز وقصب السكر وبما يكون شيء من ذلك في الساحل لان البحر يدفئ انتهى (قال ابن حيان في المقتبس) ذكر رواة العجم ان الخضر عليه السلام وقف على اشبان المذكور وهو يحرث الارض بفدن له ايام حراثته فقال له يا اشبان لذوشان وسوف يحظيك زمان ويملك سلسان فاذا أنت غلبت على ايليا فارفق بذرية الانبياء فقال له اشبان أساخر بي رحمك الله أني يكون هذا مني وانا ضعيف ممتهن حقير فقير ليس مثلي ينال السلطان فقال له قد قدر ذلك فيك من قدر في عصالك اليابسة ما تراه فنظر اشبان الى عصاه فاذا بها قد أورقت فريع لما رأى من الآية وذهب الخضر عنه وقد وقع الكلام بخلده ووفرت في نفسه الثقة بكونه فترك الامتهان من وقته وداخل الناس وصحب اهل الباس منهم وسما به جده فارتقى في طلب السلطان حتى أدرك منه عظما وكان منه ما كان ثم اتى عليه ما أتى على القرون قبله وكان ملكه كله عشرين سنة وتمادى ملك الاشبانيين بعده الى

الجيوش فلما عن ذا الذل واسره ومضى به الى مصر فمات هنالك وكان ملكه خمس سنين وقيل غير ذلك وملك بعده اخ له يقال له (نوفين) وهو ابو داود الذي قال عليه السلام وفي عصره ذا الملك سار البختنصر وهو مرزبان العراق والعرب من نبائل فارس وكان بابل وكانت قصبة الملك فامعن البختنصر في القتل لبني اسرائيل والاسر وحملهم الى ارض العراق واخذ التوراة وما كان في بيت المقدس من كتب الملوك وطرحه في بئر وعمد الى تابوت السكينة فاودعه بعض المواضع من الارض فيقال انه كان عدة من سبي من بني اسرائيل ثمانية عشر الفا وفي هذا العصر كان (أشمونا) النبي عليه السلام وسار بختنصر الى مصر فقتل فرعون الاعرج وكان يومئذ ملك مصر وسار نحو المغرب فقتل ملوكا وفتح مدائن وكان ملك فارس تزوج جارية من سبايا بني اسرائيل فولدها ولدا فرد بني اسرائيل الى ديارهم وكان ذلك بعد ستين ولما رجعت بنو اسرائيل الى بلادهم ملكت عليها (زربابل) بن سلسان فابتنى مدينة بيت المقدس وعمر ما كان خرب واخرجت بنو اسرائيل الوراة من البئر واستقامت لهم الامور ان

فانفهر الضفدع ان وكفر بالرص

فاقام هذا الملك على عمارة أرضهم ستا وأربعين سنة وشرع لهم الصلوات وغيرها من الشرائع مما كان تالفه منهم فى حال الس
ن ملك منهم الاندلس خمسة وخمسون ملكا ثم دخل على هؤلاء الاشبانيين من عجم رومه ا
يدعون البشتولقات وملكهم طلويش بن بيطه وذلك زمن بعث المسيح عيسى بن مريم عليه
السلام اتوا الاندلس من قبل رومة وكانوا ملكون افرنجة معها ويبعثون عمالهم اليها
فاتخذوا دار مملكتهم بالاندلس مدينة ماردة واستولوا على مملكة الاندلس واتصل ملكهم
بها مدة الى ان ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخل على هؤلاء البشتولات أمة القوط
مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس وانتطعوها من يومئذ من صاحب رومة وتفردوا بسلطانهم
واتخذوا مدينة طليطلة دار مملكتهم وأقروا بها سرير ملكهم فبقى باشبيلية علم الاشبانيين
ورياسة اوليتهم (وقد كان عيسى المسيح عليه السلام) بعث الحواريين فى الارض يدعون
الى ديانته فاختلف الناس عليهم وقتلوا بعضهم واستجاب لهم كثير منهم وكان من
اسرعهم اجابة لمن جاءه من هؤلاء الحواريين خشندش ملك القوط فتنصر ودعا قومه الى
النصرانية وكان من صميم اعاظمهم وخير من تنصر من ملوكهم واجمعوا على انه لم يكن فيهم
اعدل منه حكما ولا أرشد رأيا ولا احسن سيرة ولا اجود تدبيرا فكان الذى اصل النصرانية
فى مملكته ومضى اصلها على سنته الى اليوم وحكموا بها والانجيلات فى المصاحف الاربعة
التى يختلفون فيها من انتساخه وجمعه وتثقيفه فتناسقت ملوك القوط بالاندلس بعده الى ان
غلبتهم العرب عليها واظهر الله تعالى دين الاسلام على جميع الاديان (فوجد فى تواريخ العجم
القديمة) ان عدة ملوك هؤلاء القوط بالاندلس من عهد اتانا ويتوس الذى ملك فى السنة
الخمسة من مملكة فليش القيصرى لمضى اربعمائة وسبع من تاريخ الصفر المشهور عند
العجم الى عهد لذريق آخرهم الذى ملك فى السنة التاسعة والاربعين وسبعمائة من تاريخ
الصفر وهو الذى دخلت عليه العرب فازالت دولة القوط ستة وثلاثون ملكا وان مدة ايام
ملكهم بالاندلس ثلثمائة واثنتان وأربعون سنة انتهى (وقال جماعة) ان القوط غير
البشتولقات وان البشتولقات من عجم رومة وانهم جعلوا دار ملكهم ماردة واتصل ملكهم
فى ولدهم منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخل عليهم القوط واتخذوا طليطلة دار مملكة
ومقر ملكهم خشندش مثل ما تقدم ثم ذكر أن عدة ملوك القوط ستة وثلاثون
واشتمل ذكر الرازى) أن القوط من ولد ياجوج بن يافث بن نوح وقيل غير ذلك انتهى
أنوائها الرازى) فى موضع آخر نحو ما تقدم وزيادة ونصه ان الاندلس فى آخر الاقليم الرابع
اقليم لسبعة التى تقدم ذكرها التى هى ربع معمور الدنيا فهى وسطه من البلدان
كريمة البقعة بطبع الخلقة طيبة التربة خصبة الناحية منبجسة العيون الثرار منفجرة
الانهار الغزار قليلة الهوام ذوات السموم معتدلة الهواء أكثر الازمان لا يزيد قيظها زيادة
منكرة تضر بالابدان وكذا سائر فصولها فى اعم سنيها تأتى على قدر من الاعتدال وتوسط
من الحال وفواكهها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعدم لان الساحل ونواحيه يبادر
بما كوره كما أن الثغور وجهاته والجبال التى يخصها برد الهواء وكثافة الجو تستأخر بما فيها من
ذلك حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان فمادة الخيرات فيها متصلة كل اوان ومن بحرها الجهة
الغربية يخرج العنبر الجيد المتقدم على أجناسه فى الطيب والتبرعلى النار وبها شجر الخلف

ر الاسامرة تزعم ان التوراة
التى فى يد اليهود ليست
التوراة التى أوحى موسى
ابن عمران عليه السلام
وان تلك حرفت وبدلت
وغيرت وان الحق لها هذا
الملك لانه جمعها من كان
يحفظها من بنى اسرائيل
وان التوراة الصحيحة هى
فى ايدى الاسامرة دون
غيرهم وكان ملك هذا
الملك ستة وأربعين سنة
ووجدت فى نسخة أخرى
ان المتزوج فى بنى اسرائيل
هو بختنصر وهو الذى
ردهم ومن عليهم وفيه نظر
(وبر اسمعيل بن ابراهيم
أمرا البيت بعد ابراهيم عليه
السلام) ونباه الله تعالى وجل
وأرسله الى اليمانيين وقبائل
اليمن فنهاهم عن عبادة
الاوثان فآمن طائفة منهم
وكفر اكثرهم وولد
اسمعيل اثنى عشر ذكرا وهم
نابت وقيدار وأدبل ومسمع
ومسمع ودوما ودوام
ومسما وحداد ويطور وناش وكانت
وصية ابراهيم الى ابنه
اسمعيل عليه السلام ووصى
اسمعيل الى أخيه اسحق
عليهما السلام وقد قيل
الى ولده قيدار بن اسمعيل
وكان عمر اسمعيل الى ان

قبضه الله اليه مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالمسجد الحرام فى الموضع الذى كان فيه الحجر الاسود ودبر أمر البيت بعده

وكان بين سليمان بن داود
وبين المسيح عليهما السلام
انبياء وعباد وصالحون
منهم اردميا وداميال
وحزقيا وغيرهم رفع الناس
في ايامه توبوب واشعياء
وحزقيل واليشاع والسع
ويونس وذي الكفل
والخضر وروى عن اسحق
ارداريه وقيل بل كان
عبدا صالحا وزكريا وهو
من ولد داود من سبط يهوذا
وكانت ايساع بنت عمران
اخت مريم بنت عمران ام
المسيح عليهم السلام وهو
عمران بن ماثان بن يعاصم
من ولد داود ايضا واسم ام
ايساع ومريم حنة وقد
لزكريا يحيى ابن خالة
المسيح عليهم السلام
وكان زكريا نجارا فاشتاءت
اليهود انه ركب من مريم
الفاحشة فقتلوه وكان لما
احس بهم لجأ الى شجرة
فدخل في جوفها فدلهم
عليه ابليس لعنه الله عز
وجل فنشروا الشجرة وهو
فيها فقطعوه وقطعوها
ولما ولدت ايساع ابنة
عمران اخت مريم ام المسيح
يحيى بن زكريا عليهما
السلام هربت به من بعض
الملوك الى مصر فلما دار
وجلا بعثه الله عز وجل الى
بني اسرائيل فقام فيهم بامر الله عز وجل ونهيه فقتلوه وكثرت الاحداث في بني اسرائيل فبعث الله عليهم ملكا

المعمود الافاويه المقدم ذكر انواع الاشنان كثير واسع وقد زعموا انه لا يكون الا بالهند وبها
فقط وهذا خبر ليس بنافيه يكثر تعدادها انتهى (وقد ذكر غيره تفصيل بعض ذلك فقال)
يوجد في ناحية دلاية من اقليم البشرة عود الالجوج لا يفوقه العود الهندي ذكاء وعطر رائحة
وقد بقي منه الى خمسمائة صاحب المرية وان اصل منبته كان بين أحجار هنالك
وباكشونية جبل كثير اما يتفوح ريحه ريح العود الذكي اذا ارسلت فيه النار وبحر
شدونه يوجد العنبر الشحيم الغرقي وفي جبل منت ليون الخلنج ويوجد بالاندلس القسط
الطيب والسنبل الطيب والجنطيانا يحمل من الاندلس الى جميع الآفاق وهو عقار رفيع
والمر الطيب بناحية اوريوا طيب كرباء الارض شدونه درهم منها يعدل دراهم من الجلوبة
واطيب المر مر فحر الاندلس واكثر ما يكون بنواحي اشبيلية وبلة وشدونة وبنسية
ومن الاندلس يحمل الى الآفاق وبناحية لورقة من عمل تدمير يكون حجر اللازورد الجيد
وقد يوجد في غيره او لى مقربة من حضرة لورقة من عمل قرطبة معدن البلور وقد يوجد
بجبل شحيران وهو شرقي بيرة وحجر النجادي يوجد بناحية مدينة الاشبونة في جبل هنالك
يتلألأ فيه ليلا كالسراج والياقوت الاحمر يوجد بناحية حصن منت ميور من كورة مالقة
الا انه دون جدا لا يصلح للاستعمال لصغره ويوجد حجر يشبه الياقوت الاحمر بناحية بجانة
في خندق يعرف بقريه باشرة أشكالا مختلفة كانه مصبوغ حسن اللون صبور على النار
وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد في كورة تدمير وحجر النادنة بجبال قرطبة كثير
ويستعمل ذلك في الذهب وحجر اليهودي في ناحية حصن البونت وهو انفع شيء للعصاة
وحجر المرقشيثا الذهبية في جبال ابدة لا نظير لها في الدنيا من الاندلس تحمل الى جميع
الآفاق اصلها والمغنسيا بالاندلس كثير وكذلك حجر الطلق ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة
برشلونة الا انه جامد اللون ويوجد المرجان بساحل بيرة من عمل المرية يلتقط منه في اقل
من شهر نحو ثمانين رطلا ومعدن الذهب بنهر لاردة يجمع منه كثير ويجمع ايضا في ساحل
الاشبونة ومعادن الفضة في الاندلس كثيرة في كورة تدمير وجبال جيان بجانة وبادلم
كرنش من عمل قرطبة معدن فضة جليل وباشكونية معدن الفضة لا نظير له يشبه الفولاذ
ولد معادن بناحية افرنجة وليون ومعدن الزئبق في جبل البرانس ومن هنالك يتهوا
الآفاق ومعادن الكبريت الاحمر والاصفر بالاندلس كثيرة ومعدن التوتيا
بساحل البيرة بقرية نسمى بطرنة وهي ازكى توتيا وأقواها في صبغ النحاس وبجبال تلك
توتيا وليست كالبطرنية ومعدن الكحل اشبه بالاصفهاني بناحية مدينة طرطوشة
يحمل منها الى جميع البلاد ومعادن الشبوب والحديد والنحاس بالاندلس اكثر من
ان تحصى وما ذكرت هنا وان تكرر بعضه مع ما سبق او ياتي فهو جمع النظائر وما لم
نذكره اكثر والله تعالى اعلم (ومن خواص طليطلة) ان حنطتها لا تتغير ولا تسوس على
طول السنين يتوارثها الخلف عن السلف وزعفران طليطلة هو الذي يعم البلاد ويتجهز
به الرفاق الى الآفاق وكذلك الصبغ السماوي انتهى (وقال المسعودي) في مروج
الذهب بعد كلام ما نصه وانعنبر كثير يجهز بحر الاندلس يجهز الى مصر وعسيرها ويحمل الى

من ناحية المشرق يقال له حردوس فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا الوفا من الناس ٧١ وهو يفور الى ان هدأ الدم بعد خطب

قرطبة من ساحل لها يقال له شنتبرين وشدونة تبلغ الاوقية منه بالاندلس ثلاثة مثاقيل ذهبا والاوقية بالبغدادى وتباع بمصر اوقيته بعشرين دينارا وهو عنبر جيد ويمكن ان يكون هذا العنبر الواقع الى بحر الروم ضربته الامواج من بحر الاندلس الى هذا البحر لاتصال الماء وبالاندلس معدن عظيم للفضة ومعدن للزئبق ليس بالجيد يجهز الى سائر بلاد الاسلام والكفر وكذلك يحمل من بلاد الاندلس الزعفران وعروق الزنجبيل واصول الطيب خمسة اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من ارض الهند وما اتصل بها الا الزعفران والعنبر انتهى وهو وان تكرر مع ماذكرته عن غيره فلا يخلو من فائدة والله تعالى اعلم (وذكر البعض) ان فى بلاد الاندلس جميع المعادن الكائنات عن النيرات السبعة وهى الرصاص من زحل والقصدير الابيض من المشترى والحديد من قسم المريخ والذهب من قسم الشمس والنحاس من الزهرة والزئبق من عطارد والفضة من القمر (وذكر الكاتب ابراهيم بن القاسم القروى المعروف بالرقيق بلد الاندلس) فقال اهله اصحاب جهاد متصل يحاربون من اهل الشرك المحيطين بهم امة يدعون الجلالقة يتاخمون حوزهم ما بين غرب الى شرق قوم لهم شدة ولهم جمال وحسن وجوه فاكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال والفراهة منهم ليس بينهم وبينهم درب فالحرب متصلة بينهم مالم تقع هدنة ويحاربون بالاقى الشرقى امة يقال لهم الفرنجة هم اشد عليهم من جميع من يحاربونه من عدوهم اذ كانوا خلقا عظيما فى بلاد كثيرة واسعة جليلة متصلة العمارة آهلة تدعى الارض الكبيرة هم اكثر عددا من الجليقيين واشد باسا واحد شوكة واعظم امدادا وهذه الامة يحاربون امة الصقالبة المتصلين بارضهم لمخالفتهم اياهم فى الديانة فيسبونهم ويبيعون رقيقهم بارض الاندلس فلهم هنالك كثرة وتخصيصهم للفرنجة يهود ذمتهم الذين بارضهم وفى ثغر المسلمين المتصل بهم فيحمل خصيانهم من هنالك الى سائر البلاد وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هنالك فصاروا يخصون ويستغلون المثلة (قال ابن سعيدا) ويخرج بحر الروم المتصاعد الى الشام هو بساحل الاندلس الغربى بمكان ثم كله الخضراء ما بين طنجة من ارض المغرب وبين الاندلس فيكون مقدار عرضه هنالك ماكة وثمانية عشر ميلا وهذا عرض جزيرة طريف الى قصره مصمودة بالقرب من سبتة (وذكر كانت القنطرة التى يزعم الناس أن الاسكندر بناها ليعبر عليها من بر الاندلس الى بر العدوة ويعرف هذا الموضع بالزقاق وهو مضيق بحر الحجاز لانه مجمع البحرين لا تزال الامواج تتناول فيه والماء يدور وطول هذا الزقاق الذى عرضه ثمانية عشر ميلا مضاعف ذلك الى ميناء سبتة ومن هنالك ياخذ البحر فى الاتساع الى ثمانمائة ميل وأزيد ومنتهاه مدينة صور من الشام وفيه عدد عظيم من الجزائر (قال بعضهم) انها ثمان وعشرون جزيرة منها صقلية ومالطة وغيرهما انتهى وبعضه بالمعنى (وقال بعضهم) عند وصفه ضيق بحر الزقاق قرب سبتة ما صورته ثم يتسع كلما امتد حتى يصير الى ما لا ذرع له ولا نهاية (وقال بعضهم) وكان مبلغ خراج الاندلس الذى كان يؤدى الى ملوك بنى امية قديما ثلثمائة ألف دينار دراهم اندلسية كل سنة قوانين وعلى كل مدينة من مدائنهم مال معلوم فكانوا يعطون جندهم

طويل ولما بلغت مريم بنت عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل اليها جبريل فنفخ فيها الروح فحملت بالسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وولدت بقرية يقال لها بيت لحم على أميال من بيت المقدس وولدته فى يوم الاربعاء لاربع وعشرين ليلة خلت من كانون الاول وكان من أمره ماذكره الله عز وجل فى كتابه واتضح على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد زعمت النصارى ان المسيح الناصرى أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة فى مدينة طبرية من بلاد الاردن فى كنيسة يقال لها المدراس ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وانه فى بعض الايام كان يقرأ فى سفر اشعياء فنظر فى السفر الى كتاب من نور فيه أنت نبيى وخالصتى اصطفيتك لنفسى فاطبق السفر ودفعه الى خادم الكنيسة وخرج وهو يقول الآن تمت المشيئة لله فى ابن البشر وقد قيل ان المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من أعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية ورأيت فى هذا القرن كنيسة تعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة

ذهاعظام الموتى يسيل منها ريح نحس
وانقهارون وقد ذكر أن
ميرو حنا وشمعون بن يوناس
وتوفاهم الحواريون
الاربع الذين بقوا
الانجيل فالتواجر عيسى
عليه السلام وما كان من
أمره وحبره وولده وكيف
محمد يحيى بن زكريا وهو
يحيى المعمدانى فى بحيرة
طبرية ونيل فى بحر الاردن
الذى يخرج من بحيرة
طبرية ويجرى الى البحيرة
المنتنة وما فعل من الاعاجيب
وأتى من المعجزات وما قالت
اليهود الى ان رفعه الله
عزوجل اليه وهو ابن ثلاث
وثلاثين سنة وفى الانجيل
خطب طويل فى أمر المسيح
ومريم عليهما السلام
وبرئ النجار عيسى
عن ذلك لان الله عزوجل
لم يخبر شيأ من ذلك فى كتابه
ولا اخبر به محمدا نبيه صلى
الله عليه وسلم
(ذكر ما فى الفترة ممن كان
بين المسيح ومحمد صلى الله
عليهما وسلم)
وكان بين المسيح ومحمد صلى
الله عليهما وسلم جماعة من
أهل التوحيد ممن يقر
بالبعث وحد اختلف فيهم
من الناس من رأى انهم
أنبياء ومنهم من رأى غير
ذلك ممن ذكر انه نبى
حنظلة بن صفوان وكان

وكان حكام الثلث من ذلك مائة ألف دينار ويتقوون فى أمورهم وتؤتى أموالهم ومؤن أهليهم مائتا ألف دينار ويدخرون لحادث ايامهم مائة ألف دينار انتهى (وذكر غيره) ان الجباية كانت بالاندلس ايام عبد الرحمن الاوسط ألف ألف دينار فى السنة وكانت قبل ذلك لا تزيد على ستمائة ألف حكاه ابن سعيد وقال ان الاندلس مسيرة شهر مدن وعمائر (وقال قاضى القضاة) ابن خلدون الحضرمى فى تاريخه الكبير ما صورته كان هذا القطر الاندلسى من العدوة الشمالية من عيون البحر الرومى وبالجانب الغربى منها يسمى عند العجم الاندلوش فتسكنه امم من اورنجة المغرب أشدهم وأكثرهم الجلالقة وكان القوط قد تغلبوه وغلبوا على اهله لمئين من السنين قبل الاسلام بحدحروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها رومة ثم عقدوا معهم السلم على أن ينصرف القوط الى الاندلس فصاروا اليها وملكوها ولما أخذ الروم واللطينيون بملة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من أمم الاورنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط يقرون طليطلة وكانت دار ملكهم وربما تنقلوا ما بينها وبين قرطبة واشبيلية ومارده وأقاموا كذلك نحوا من أربعمائة سنة الى أن جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سمة لملوكهم كما أن جرجير سمة لملوك صقلية انتهى (ومن اشهر بلاد الاندلس) غرناطة وقيل ان الصواب اغرناطة بالهمز ومعناه بلعتهم الرمانة وكفاها شرفا ولادة لسان الدين بها (وقال الشقندى) أما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس ولم تحل من أشراف اماثل وعلماء أكابر وشعراء افاضل ولو لم يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من المرج الطويل العريض ونهر شنيل لكفاها (وفى بعض كلام لسان الدين) ما صوره بها والمصر تخترقه نيلها وألف منه فى شنبلها يعنى أن النين عند أهل المغرب عددها ألف فقولنا شنيل اذا اعتبرنا عدد شبيه كان ألف نيل وفيها قيل

غرناطة ما لها نظير * ما مصرها الشام ما العراق
ما هى الا العروس تجلى * وتلك من جملة الصداق

وتسمى كورة البيرة التى منها غرناطة دمشق لان جند دمشق نزلوها عند الفتح وقيل انما سميت بذلك لشبهها بدمشق فى غزارة الانهار وكثرة الاشجار حكاه صاحب منهاج الفكر قال ولما استولى الافرنج على معظم بلاد الاندلس انتقل أهلها اليها وصارت المصر المقصود والمعقل الذى تنضوى اليه العساكر والجنود ويشتمها نهر عليه قناطر يجاز عليها وفى قبليها جبل شلير وهو جبل لا يفارقه الثلج صيفا ولا شتاء وفيه سائر النبات الهندى لكن ليس فيه حصائصه انتهى (ومن أعمال غرناطة) قطر لوشة وبها معدن للعنة جيد ومنها أعنى لوشة أصل لسان الدين بن الخطيب وهذا القطر ضخم يضاف اليه من الحصون والقرى كثير وقاعدته لوشة بينها وبين غرناطة مرحلة وهى ذات أنهار وأشجار وهى على نهر غرناطة الكبير بشنيل * (ومن أعمال غرناطة الكبار) * عمل باغة والعامة يقولون بيغة واذا نسبوا اليه قالوا بيغى وقاعدته باغة طيبة الزرع كثيرة الثمار غزيرة المياه يجود فيها الزعفران * (ومن أعمال غرناطة) وادى آش ويقال وادى الاشات وهى مدينة جليلة

ولد اسمعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم وارسل الى أصحاب الرس وكانوا قد

من ولد اسمعيل بن ابراهيم وهم قبيلتان يقال لاحداهما ادمان وللاخرى يامن ٧٣ وقيل رعويل وذلك باليمن فقام فيهم حنظلة

قد أحدقت بها البساتين والانهار وقد خص الله اهلها بالادب وحب الشعر وفيها يقول ابو الحسن بن نزار

وادى الاشاة يهيج وجدى كلما * اذكرت ما افضت بك النعماء
لله ظلك والمجير مساط * صدبردت لنحاته الانداء
والشمس ترغب أن تغور بلحظة * منه فتطرف طرفها الاغياء
والنهر يبسم بالحباب كأنه * سلخ نضته حية رقشاء
فلذاك تحذره الغصون فيلها * ابدا على جنباته ايماء

(ومن اعمال وادى آش) حصن جليانة وهو كبير يضاهى المدن وبه التفاح الجليانى الذى خص الله به ذلك الموضع يجمع عظم الجرم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء وبين الحصن المذكور ووادى آش اثنا عشر ميلا (ومن غرائب الاندلس) ان به شجرتين من شجر القسطل وهما عظيمتان جدا احداهما بسندوادى آش والاخرى ببشترة غرناطة فى جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب وهذا أمر مشهور قاله ابو عبد الله بن جزى وغيره * وكانت البيرة هى المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجيون مدينة غرناطة وقصدتها وأسوارها انتقل الناس اليها ثم زاد فى عمارتها ابنه باديس بعده (وذكر غير واحد) أن فى كورة سر قسطة الملح الاندرانى الابيض الصافى الاملس الخالص وليس فى الاندلس موضع فيه مثل هذا الملح (قال) وسر قسطة بناها قيصر ملك روما الذى تؤرخ من مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة والسلام وتفسير اسمها قصر السيد لانه اختار ذلك المكان بالاندلس (وقيل ان موسى بن نصير) شرب من ماء نهر جلق بسر قسطة فاستعذبه وحكم أنه لم يشرب بالاندلس أعذب منه وسأل عن اسمه فقيل جلق ونظر الى ما عليه من البساتين فشبهها بغوطة جلق الشام وقيل انها من بناء الاسكندر والله اعلم * وبمدينة برجة وهى من اعمال المرية معدن الرصاص وهى على واد مبهج يعرف بوادى عذراء وهو محدق بالازهار والاشجار وتسمى برجة بهجة لبهجة منظرها وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيروانى رحمه الله تعالى

رياض تعشقها سندس * توشت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خدّى ربا * لها نضرة فتنت من نظر
وكل سكان بها جنة * وكل طريق اليها سقر

وفيها ايضا قوله

حط الرحال ببرجه * وارتد لنفسك بهجه
فى قلعة كالراح * ودوحة مثل لجه
فضمنها لك امن * وروضها لك فرجه
كل البلاد سواها * كعمرة وهى حجه

وبمالقة التين الذى يضرب المثل بحسنه ويجلب حتى للهند والصين وقيل انه ليس فى الدنيا مثله وفيه يقول ابو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوى المالقى حسبما انشده غير واحد منهم

بامر الله عز وجل فقتلوه فاوحى الله الى نبى من أنبياء بنى اسرائيل من سبط يهوذا ان يامر بختنصر بسبر اليهم فسار اليهم فانى عليهم فذلك قوله عز وجل فلما احسوا باسنا الى قوله حصيدا خامدين وقيل ان القوم كانوا من حمير وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم فى مرثية له فقال

بكت عينى لاهل الرس
رعويل وقدمان
واسلم من ابى زرع
بكال الحى نحطان

وقد حكى عن وهب بن منبه ان ذا القرنين وهو الاسكندر كان بعد المسيح عليه السلام فى الفترة وانه كان حلم حلما رأى فيه انه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها فى شرقيها وغربيها فقص رؤياه على قومه فسموه بذى القرنين وللناس فى ذى القرنين تنازع كبير قد أتينا على ذلك فى كتاب أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وسنذكر لمعاصر خبره عند ذكرنا لملوك اليونانيين والروم وكذلك تنازع الناس فى أصحاب الكهف فى أى الاعصار كانوا فمنهم من زعم انهم كانوا فى زمن الفترة ومنهم

١٠ ط ل ، من رأى غير ذلك وسنأتى بلمع من خبرهم فى ذكر ملوك الروم فى هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على ذلك

بعض الحواريين فارسله الله الى بعض ملوك الموصل فدعاه الى الله عز وجل فقتله فاحياه الله وبعثه اليه ثانية فقتله فاحياه الله فامر بنشره ثالثة واحراقه واذراته فى دجله فاهلك الله عز وجل الملك وجميع أهل مملكته ممن اتبعه على حسب ماوردت به الاخبار عن أهل الكتاب ممن آمن وذلك موجود فى كتاب المبتدا والسير لوهب بن منبه وغيره وممن كان فى الفترة حبيب النجار وكان يسكن انطاكية من أرض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصور فسار اليه اثنان من تلامذة المسيح فدعوه الى الله عز وجل فحبسهما وضربهما فعززهما الله بثالث وقد تتوزع فيه فذهب كثير من الناس الى انه بطرس وهذا بالرومية واسمه بالعبرية شمعان وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفاء وذكر كثير من الناس واليه ذهب سائر فرق النصرانية ان الثالث المعزز به بولس وان الاثنين المتقدمين اللذين أودعا الحبس توما وبطرس فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما أظهروا من الاعجاز والاعاجيب والبراهين من ابراء الاكمه والابرص واحياء الميت وحيلة بولس عليه بداخلته انتهى

ابن سعيد

ما لقلبة حيث يا تينها * الفلك من أجلك يا تينها
نهى طبيبي عنه علتي * ما الطبيب عن حيائي نهى

وذيل عليه الامام الخطيب ابو محمد عبد الوهاب المنشي بقوله

وحمص لا تنس لها تينها * واذكر مع التين زياتينها

وفى بعض النسخ

لا تنس لاشبيلية تينها * واذكر مع التين زياتينها

وهو نحو الاول لان حمص هى اشبيلية لنزول اهل حمص من المشرق بها حسبما سنذكره (ونسب) ابن جزى فى ترتيبه لرحلة ابن بطوطة البيتين الاولين للخطيب ابى محمد عبد الوهاب المالقى والتذييل للقاضى اجماعة ابى عبد الله بن عبد الملك فالله اعلم * وقال ابن بطوطة وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى اقاصى البلاد ومسجدها كبير الساحة كثير البركة شهير هاوصحنه لا نظير له فى الحسن وفيه أشجار النارنج البديعة انتهى وقال قبله ان مالقة احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه رأيت العنب يباع فى أسواقها بحساب ثمانية ارطال بدرهم صغير ورمانها المرسى اليها قوتى لا نظير له فى الدنيا واما التين واللوز فيجلبان منها ومن احوازها الى بلاد المشرق والمغرب انتهى (وبكورة اشبونة) المتصلة بشنترين معدن التبر وفيها عسل يجعل فى كيس كتان فلا يكون له رطوبة كأنه سكر ويوجد فى ريفها العنبر الذى لا يشبهه ألا الشحرى (ومن اشهر مدن الاندلس) مدينة مرطبة اعادها الله تعالى للاسلام وبها الجامع المشهور والقنطرة المعروفة بالجسر (وقد ذكر ابن حيان) أنه بنى على امر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ونصه وقام فيها بامره على النهر الاعظم بدار مملكتها قرطبة الجسر الاكبر الذى ما يعرف فى الدنيا مثله انتهى وفيها يقول بعض علماء الاندلس

اربع فاقت الامصار قرطبة * منهن قنطرة الوادى وجامعها
هاتان نقتان والزهراء ثالثة * والعلم اعظم شئ وهو رابعها

(وقال الحجارى فى المسهب) كانت قرطبة فى الدولة المروانية قبة الاسلام ومجتمع اعلام الامام بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها تمخضت خلافة القبائل المعدية واليمانية واليها كانت الرحلة فى الرواية اذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء وهى من الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد ونهرها من أحسن الانهار مكتنف بديباج المروج معطرز بالازهار تصدح فى جنباته الاطيار وتنعر النواعير ويبسم النوار وقرطاها الزاهرة والزهراء حاضرتا الملك وافقاه النعماء والسراء وان كان قد أخنى عليها الزمان وغير بهجة أوجهها الحسان فتلك عادته وسل الخورنق والسدير وغمدان وقد أعذر بانذاره اذ لم يزل ينادى بصروفه لا أمان لا أمان وقد قال الشاعر

ومازلت أسمع ان الملو * ك تبنى على قدر اخطارها

انتهى وقال السلطان يعقوب المنصور ابن السلطان يوسف ابن السلطان عبد المؤمن بن على لاحد رؤساء اجناده ما تقول فى قرطبة فخ طبه على ما يقتضيه كلام عامة الاندلس بقوله جوفها شمام وغربيها قمام وقبلتها مدام والجنة هى والسلام يعنى بالشمام جبال الورد ويعنى بالقمام ما يؤكل اشارة الى محرث الكنبانية ويعنى بالمدام النهر ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد المؤمن لابى عمران موسى بن سعيد العنسى ما عندك فى قرطبة قال له ما كان لى أن أتكلم حتى اسمع مذهب أمير المؤمنين فيها فقال السلطان ان ملوك بنى امية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعلى بصيرة الديار المفسحة لكبيرة والشوارع المتسعة والمبانى الفخمة المشيدة والنهر الجارى والهواء المعتدل والخارج الناضر والمحرث العظيم والشعراء الكافية والنوسط بين شرف الاندلس وغربها قال فقلت ما ابقى لى امير المؤمنين ما أقول (فان ابن سعيد) ولاهلها ياسة ووفاء لم تزل سمة العلم والملك متوارثة فيهم الا ان عامتها اكثر الناس فضولا واشدهم تشغيبا ويضرب بهم المثل ما بين اهل الاندلس فى القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا بامورهم حتى ان السيد ابا يحيى اخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها كيف وجدت اهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خفت عنه الحمل صاح وان أثقلته صاح ما ندرى أين رضاهم فنقصده ولا أين سخطهم فنجتنبه وما سلط الله عليهم حجاج العتنة حتى كان عامتها شرا من عامة العراق وان العزل عنها لما قاسيته من اهلها عندى ولايته وانى ان كلفت العود اليها لفاعل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انتهى (وقال ابو الفضل التيفاشى) جرت مناظرة بين يدى ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه ابى الوليد بن رشد وارئيس ابى بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر فى تفضيل قرطبة ما أدرى ما تقول غير انه اذا ما عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية قال وقرطبة اكثر بلاد الله كتبا انتهى (وحكى) الامام ابن بشكوال عن الشيخ ابى بكر بن سعادة انه دخل مدينة طليطلة مع اخيه على الشيخ الاستاذ ابى بكر المخزومى قال فسالنا من اين قفلتما من قرطبة فقال متى عهدكم بها قلنا الآن وصلنا منها فقال اقربا الى اشم نسيم قرطبة فقربنا منه فشم راسى وقبله وقال لى اكتب

اقرطبة الغراء هل لى اوبة * البك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربى منك غمامة * وقعقع فى ساحاتك الرعد
ليالىك اسحار وارضك روضة * وتربك فى استنشاقها عنبر ورد

وكتب الرئيس الكاتب ابو بكر بن القبطرنة للعلامة ابى الحسين بن سراج بقوله

ياسيدى وابى هوى وجلالة * ورسول ودى ان طلبت رسولا
عرج بقرطبة اذا بلغتها * بابى الحسين وناده نمويلا
واذا سعدت بنظرة من وجهه * اهد السلام لكفه تقبيلا
واذكر له شوقى وشكرى مجملا * ولو استطعت شرحته تفصيلا
بتحية تهدى اليه كانما * جرت على زهر الرياض ذيولا

لما رأى من آيات الله عز وجل وقد

أخبر الله عز وجل بذلك فى كتابه بقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما الى قوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى وقتل بولس وبطرس بمدينة روميه وصلبا منكسين وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ومع سليمان الساحر ثم جعلا بعد ذلك فى خزانة من البلور وذلك بعد ظهور دين النصرانية وحرمهما فى كنيستهما ثم ذكرناها فى الكتاب الاوسط عند ذكرنا عجائب رومية واخبار تلاميذ المسيح عليه السلام وتفرقهم فى البلاد وسنورد فى هذا الكتاب لمعا من أخبارهم ان شاء الله تعالى فاما أصحاب الاخدود فانهم كانوا فى الفترة فى مدينة نجران باليمن فى ملك ذى نواس وهو القاتل لذى سار وكان على دين اليهودية فبلغ ذا نواس ان قوما بنجران على دين المسيح عليه السلام فسار اليهم بنفسه واحتفر لهم اخاديد فى الارض وملأها جمرا واضرمها نارا ثم عرضهم على اليهودية فمن تبعه تركه ومن أبى قذفه فى النار فانى بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر فابت ان تتخلى عن دينها فادنيت من النار فجزعت فانطق الله عز وجل الطفل فقال يا أمه امض على دينك فلا نار بعد هذه فالقاها فى النار وكانوا

يستنجده فكتب الى النجاشى لانه كان أقرب اليهم دارا فكان من أمر الحبشة وعبورهم الى أرض اليمن وتغلبهم عليها الى ان كان من أمر سيف بن ذى يزن واستنجاده الملوك الى أن أنجده انوشروان ما قد أتينا على ذكره فى كتابنا فى اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من ذلك فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لاخبار الاذواء وملوك اليمن وقد ذكر الله عز وجل فى كتابه قصة أصحاب الاخدود بقوله عز وجل قتل أصحاب الاخدود الى قوله وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد وممن كان فى الفترة خالد بن سنان العبسى وهو خالد بن سنان بن عتبة بن عبس وقد ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فقال ذلك نبى أضاعه قومه وذلك ان نارا ظهرت فى العرب فافتتنوا بها وكانت تتقتل وكادت العرب تتمجس وتغلب عليها المجوسية فاخذ خالد بن سنان هراوة وشد عليها وهو يقول بدأ كل ذى دين يرد الى الله الأعلى لادخلنها وهى تتلظى ولاخرجن منها ومابى سدى فاطفأها فبذا حضرت خالد بن سنان الوفاة قال لاخوته اذا أنا دفنت فانه سيجيء عانة من حمير وحش يقدمها عير أبتر فتضرب قبرى ذلك

وفى باب ليهود بقرطبة يقول ابو عامر بن شهيد

لقد أظلموا عند باب اليهو * د بدر أبى الحسن ان يكسفا
تراه اليهود على بابها * اميرا فتحسبه يوسفا

واستبجحوا قولهم باب اليهود فقالوا باب الهدى وسنذكر قرطبة والزهراء والزاهرة ومسجدها فى الباب المنفرد بها ان شاء الله تعالى وكذلك القنطرة (ومن اعظم مدن الاندلس اشبيلية) قال الشقندى من محاسنها اعتدال الهواء وحسن المبانى ونهرها الاعظم الذى يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شق النسيم عليه جيب قميصه * فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وقيل لاحد من رأى مصر والشام ايهما رأيت احسن اهذان ام اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية شرفها غابة بلاسد ونهرها نيل بلامساح انتهى (ويقال) ان الذى بنى اشبيلية اسمه توليس وانه اول من سمى قيصر وانه لما دخل الاندلس اعجب بساحاتها وطيب ارضها وجبلها المعروف بالشرف فردم على النهر الاعظم مكانا واقام فيه المدينة واحدق عليها باسوار من صخر صلد وبنى فى وسط المدينة قصبتين بديعتى الشان تعرفان باخوين وجعلها أم قواعد الاندلس واشتق لها اسما من رومية ومن اسمه فسماها رومية توليس انتهى (وقد تقدم) شئ من هذا وكان الاولون من ملوك الاعاجم يتداولون بسكناهم اربعة بلاد من بلاد الاندلس اشبيلية وقرطبة وقرمونة وطليطلة ويقسمون أزمانهم على السكينونة بها واما شرف اشبيلية فهو شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة فرسخ فى فرسخ طولا وعرضا لا تكاد تشمس فيه بقعة لالتفاف زيتونه (واعلم) ان اشبيلية لها كور جليلة ومدن كثيرة وحصون شريفة وهى من الكور المجندة برها جند حمص ولواؤهم فى الميمنة بعد لواء جند دمشق وانتهت جباية اشبيلية ايام الحكم بن هشام الى خمسة وثلاثين الف دينار ومائة دينار

*وفى اقليم طالقة من اقاليم اشبيلية وجدت صورة جارية من مرمر معها صبى وكأن مخ ساقه تريده لم يسمع فى الاخبار ولا رؤى فى الآثار صورة أبدع منها جعلت فى بعض الحمامات تعشقها جماعة من العوام وفى كورة ماردة حصن شنت افرج فى غاية الارتفاع لا يعلوه طائر البتة لا نسر ولا غيره (ومن عجائب الاندلس) البلاط الاوسط من مسجد جامع اقليش فان طول كل جائزة منه مائة شبر واحد عشر شبرا وهى مربعة منحوتة مستوية الاطراف (وقال بعض من وصف اشبيلية) انها مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة وعليه جسر مربوط بالسفن وبها اسواق قائمة وتجارات رابحة واهلها ذوو اموال عظيمة واكثر متاجرهم الزيت وهو يشتمل على كثير من اقليم الشرف وقليم الشرف على تل عال من تراب احمر مسافته اربعون ميلا فى مثلها يمشى به السائر فى ظل الزيتون والتين ولها فيما ذكر بعض الناس قرى كثيرة وكل قرية عامرة بالاسواق ولديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق (وقال صاحب منهاج الفكر) عند ذكر اشبيلية وهذه المدينة من احسن مدن الدنيا وباهلها يضرب المثل فى الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة ويعينهم على

بحافرها فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فاني سأخرج اليكم فاخبركم بجميع ما هو كائن فلما مات ودفنوه رأوا ما قال فارادوا ان

ذلك واديها الفرج وناديها البهيج وهذا الوادي ياتيها من قرطبة ويحرزق كل يوم ولها جبل الشرف وهو تراب أحمر طوله من الشمال الى الجنوب أربعون ميلا وعرضه من المشرق الى المغرب اثنا عشر ميلا يشتمل على مائتين وعشرين قرية قد التفت باشجار الزيتون واشتملت انتهى * ولكورة باجة من الكور الغربية التي كانت من أعمال اشبيلية أيام بني عباد خاصية في دباغة الاديم وصناعة الكتان وفيها معدن فضة وبها ولد المعتمد بن عباد وهي متصلة بكورة ماردة والجبل طارق حوز قصب السبق بنسبته الى طارق مولى موسى ابن نصير اذ كان أول ما حل به مع المسلمين من بلاد الاندلس عند الفتح ولذا اشهر بجبل الفتح وهو مقابل الجزيرة الخضراء وقد تجوّن البحر هنالك مستديرا حتى صار مكان هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء وفيه يقول مترف شاعر غرناطة

وأقود قد ألقى على البحر متنه * فأصيح عن قود الجبال بمعزل
يعرض نحو الافق وجها كانما * تراقب عيناه كواكب منزل

واذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة في البحر بان كأنه سرج قال أبو الحسن علي ابن موسى بن سعيد أقبلت عليه مرة مع والدي فنظرنا اليه على تلك الصفة فقال والدي أجز

انظر الى جبل الفتح را كبا متن ج * فقلت
وقد تفتح مثل الافقان في شكل سرج

(وأما جزيرة طريف) فليست بجزيرة وانما سميت بذلك الجزيرة التي أمامها في البحر مثل الجزيرة الخضراء وطريف المنسوبة اليه بربري من موالي موسى بن نصير ويقال ان موسى بعثه قبل طارق في أربعمائة رجل فنزل بهذه الجزيرة في رمضان سنة احدى وتسعين وبعده دخل طارق والله أعلم (ومن أعظم كور الاندلس) كورة طليطلة وهي من متوسط الاندلس وكانت دار مملكة بني ذي النون من ملوك الطوائف وكان ابتداء ملكهم صدر المائة الخامسة وسماها قيصر بلسانه بزليطلة وتأويل ذلك أنت فارح فعربتها العرب وقالت طليطلة وكانوا يسمونها وجهاتها في دولة بني أمية بالثغر الادنى ويسمون سرقسطة وجهاتها بالثغر الاعلى وتسمى طليطلة مدينة الاملاك لانها فيما يقال ملكها اثنان وسبعون انسانا ودخلها سليمان بن داود عليهما السلام وعيسى بن مريم وذو القرنين وفيها وجد طارق مائدة سليمان وكانت من ذخائر اشبان ملك الروم الذي بني اشبيلية أخذها من بيت المقدس كما مر وقوّمت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار وقيل انها كانت من زمرد أخضر ويقال انها الآن برومة والله أعلم بذلك ووجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة منها مائة وسبعون تاجا من الدر والياقوت والاحجار النفيسة وايوان ممتلئ من أواني الذهب والفضة وهو كبير حتى قيل ان الخيل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسعه وقد قيل ان أواني المائدة من الذهب وصحافها من الشم والجزع وذكروا فيها غير هذا مما لا يكاد يصدقه الناظر فيه * وبطليطلة بساتين محدقة وانهار مخترقة ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعوم والالوان ولها من جميع جهاتها اقاليم رفيعة ورساتيق مريعة وضياع بديعة ونلاع منيعة وبالجملة فمحاسنها كثيرة ولو لم نأت ببعض منتزهاتها فيما يأتي من هذا الكتاب ان

فيرجوه فذكر ذلك بعضهم وقالوا نخاف ان تنسبنا العرب الى نبشنا عن ميت لنا وأتت ابنته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول هو الله احد فقالت كان أبي يقول هذا وما ورد فيما ورد من هذا الكتاب لمعالم اخباره مما يدعو الحاجة الى ذكره ان شاء الله تعالى (قال المسعودي) ومن كان في العمرة وثاب السني وكان من عبد القيس ثم من بني وكان على دين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يموت احد من ولده وثاب فيدعى الاراوا واسطا على قبره ومنهم اسعد ابو كرب الحميري وكان مؤمنا وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة قال

شهدت على احمد انه
رسول من الله باري النسم
فلو مدّ عمري الى عمره
لكنت وزيرا له ابن عم
وألزم طاعته كل من
على الارض من عرب او عجم
وهو اول من كسا الكعبة الديباج والبرود فلذلك يقول بعض حمير

وكسوت البيت الذي حرم الله ملاءً معصبا وبرودا

ومنهم قس بن ساعدة بن اياد بن نزار بن معد وكان حكيم العرب وكان مقرا بالبعث وهو الذي يقول من عاش مات ومن مات

شاء الله تعالى * وطليطلة قاعدة ملك القوطيين وهى مطلة على نهر باجة وعليه كانت القنطرة التى يعجز الواصفون عن وصفها وكانت على قوس واحد تكتنفه فرجتان من كل جانب وطول القنطرة ثلثمائة باع وعرضها ثمانون باعا وخربت أيام الامير محمد لما عصى عليه اهلها فغزاهم واحتال فى هدمها وفى ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس

اضحت طليطلة معطلة * من أهلها فى قبضة الصقر
تركت بلا أهل تؤهلها * مهجورة الاكناف كالقبر
ما كان يبقى الله قنطرة * نصبت لحمل كتائب الكفر

وسياتى بعض اخبار طليطلة (ومن مشهور مدن الاندلس المرية) وهى على ساحل البحر ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران بناها عبد الرحمن الناصر وعظمت فى دولة المنصور ابن أبى عامر وولى عليها ولاه خيران فنسبت القلعة اليه وبها من صنعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد وفيها دار الصناعة وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام ومن ابوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر (وقال بعضهم) كان بالمرية لنسج طرز الحرير ثمانمائة نول وللحلل النفيسة والديباج الفاخر ألف نول وللاستلاطون كذلك وللثياب الحرجانية كذلك وللاصفهانية مثل ذلك وللعنابى والعاجر المدهشة والستور المكللة ويصنع بها من صوف آلات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف وفاكهة المرية يقصر عنها الوصف حسنا وساحلها أفضل السواحل وبها قصور الملوك القديمة الغريبة العجيبة وقد ألف فيها ابو جعفر بن حاتمة تاريخا حافلا سماه بغزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية فى مجلد ضخم تركته من جملة كتبى بالمغرب والله سبحانه المسؤل فى جمع الشمل فله الامر من بعد ومن قبل * ووادى المرية طوله اربعون ميلا فى مثلها كلها بساتين بهجة وجنات نضرة وانهار مطردة وطيور مغردة (قال بعضهم) ولم يكن فى بلاد الاندلس اكثر مالا من أهل المرية ولا اعظم متاجر وذخائر وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الالف وهى بين الجبلين بينهما خندق معمور وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة وعلى الآخر ربضها والسور محيط بالمدينة والربض وغير بيهار بض لها آخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات وخنادق وصناعات وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة واحجار أولية وكأنما غربلت ارضها من التراب * ولها مدن وضياع عامرة متصلة الانهار انتهى (وقال ابن البسع) عند ذكره مدينة شنترة ان من خواصها ان القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضى اربعين يوما من زراعته وان التفاح فيها دور وكل واحدة ثلاثة اشبار واكثر قال لى ابو عبد الله الباكورى وكان ثقة ابصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعا من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها دور وكل واحدة خمسة اشبار وذكر الرجل بحضرة ابن عباد ان المعتاد عندهم أقل من هذا فاذا ارادوا أن يجيء بهذا العظم وهذا القدر قطعوا أصلها وابقوا منه عشرا أو اقل وجعلوا تحتها دعامات من الخشب انتهى * وبحصن شنش على مرحلة من المرية التوت الكثير وفيها الحرير والقرمز ويعرف واديها بوادى طبرنش * وبغربى مالقة عمل سهيل وهو عمل عظيم

بذى العى من حفان أصبح
خادرا
وقدم على النبى صلى الله
عليه وسلم وفد من ايادفسألهم
عنه فقالوا هلك فقال رحمه
الله كأنى انظر اليه بسوق
عكاظ على جمل له أحمر وهو
يقول أيها الناس اجتمعوا
واسمعوا وعوا من عاش
مات ومن مات فات وكل
ما هو آت آت امابعد فان
فى السماء خبرا وان فى الارض
لعبرا نجوم تمور وبحار تنور
وسقف مرفوع ومهاد موضوع
اقسم بالله قسما لا اثم فيه
ولا آثما ان لله دينا هو
ارضى من دينكم أنتم عليه
مالى اراهم يذهبون ولا
يرجعون ارضوا بالمقام
فاقاموا ام تركوا فناموا
سبيل مؤتلف وعمل
مختلف وقال ابيات لا
احفظها فقام ابو بكر رضى
الله عنه فقال انا أحفظها
يا رسول الله فقال هاتها فقال
فى الذاهبين الاولين
ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها
تمضى الاوائل والاواخر
لا يرجع الماضى ولا
يبقى من الباقين غابر
ايقنت انى لا محا
لة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا انى لأرجو ان يبعثه الله امة كثير

كتاب اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط * ومن كان فى الفترة زيد بن عمرو ابن نفيل ابو سعيد بن زيد احد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وكان زيد يرغب عن عبادة الاصنام وعابها فاولع به عمه الخطاب من سفهاء مكة وسلطهم عليه فآذوه فسكن كهف بحراء وكان يدخل مكة سرا وصار الى الشام يبحث عن الدين فسمه بعض ملوك غسان بدمشق وقد اتينا عليه فيما سلف من كتبنا * ومنهم أمية بن أبى الصلت الثقفى وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشام فتلقاه أهل الكتاب من اليهود والنصارى وقرأ الكتب وكان علم ان نبيا يبعث من العرب وكان يقول أشعارا على آراء أهل الديانة يصف فيها السموات والارض والشمس والقمر والملائكة وذكر الانبياء والبعث والجنة والنار ويعظم الله عز وجل ويوحده من ذلك قوله

الحمد لله لا شريك له
من لم يقلها فنفسه ظلما

ووصف أهل الجنة فقال

فلا لغو ولا تأثيم فيها
وما فاهوا به لهم مقيم

ولما بلغه ظهور النبى صلى الله عليه وسلم اغتاظ وتأسف وجاء المدينة ليسلم فرده الحسد فرجع الى الطائف فبينما هو ذات يوم فى فتية يشرب اذ وقع

كثير الضياع وفيه جبل سهيل لا يرى نجم سهيل بالاندلس الا منه (ومن كور الاندلس الشرقية تدمير) وتسمى مصر ايضا لكثرة شبهها لان لها ارضا يسيح عليها نهر فى وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها فتزرع كما تزرع ارض مصر وصارت النصبة بعد تدمير مرسية وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها ولها نهر يصب فى قبليها * واعلم أن جزيرة الاندلس اعادها الله للاسلام مشتملة على موسطة وشرق وغرب * فالموسطة فيها من القواعد الممصرة التى كل مدينة منها مملكة مستقلة لها أعمال ضخام واقطار متسعة قرطبة وطليطلة وجيان وغرناطة والمرية ومالقة فمن أعمال قرطبة استجة وبلكونة وبرة وبيدة وغافق والمدور واسطبة وبيانة والبسانة والقصير وغيرها ومن أعمال طليطلة وادى الحجارة وقلعة رباح وطلمنكة وغيرها ومن أعمال جيان ابذة وباسة وفسطلة وغيرها ومن أعمال غرناطة وادى آش والمنكب ولوشة وغيرها ومن أعمال المرية الدرش وغيرها ومن أعمال مالقة بلش والحامة وغيرهما وببلش من الفواكه منها لقة وبالحامة العين الحارة على ضفة واديها * واما شرق الاندلس ففيه من القواعد مرسية وبلنسية ودانية والسهلة والثغر الاعلى فمن أعمال مرسية اوريولة ولقنت ولورقة وغير ذلك ومن أعمال بلنسية شاطبة التى يضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذى لا نظير له وجزيرة شقر وغير ذلك واما دانية فهى شهيرة ولها أعمال واما السهلة فانها متوسطة بين بلنسية وسرقسطة ولذا عدها بعضهم من كور الثغر الاعلى ولها سدن وحصون ومن أعمال الثغر الاعلى سرقسطة وهى أم ذلك الثغر وكورة لاردة وقلعة رباح وتسمى بالبيضاء وكورة تطيلة ومدينتها طرسونة وكورة وشقة ومدينتها تمريط وكورة مدينة سالم وكورة لمعة ايوب ومدينتها بليانة وكورة برطانية وكورة باروشة * واما غرب الاندلس ففيه اشبيلية ومارده واشبونة وشلب فمن أعمال اشبيلة شريش والخضراء ولبلة وغيرها ومن اعمال مارده بطليوس وبابرة وغيرها ومن أعمال اشبونة شنترين وغيرها ومن أعمال شلب شنت ريه وغيرها (واما الجزر البحرية بالاندلس) فمنها جزيرة قادس وهى من أعمال اشبيلية وقال ابن سعيد انها من كورة شريش ولا منافاة لان شريشا من اعمال اشبيلية كما مر قال وبيد ضم قادس مفتاح ولما نار بقادس ابن اخت القائد أبى عبد الله بن ميمون وهو على بن عمى قائد البحر بها ظن ان تحت الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيأ انتهى وهى اعنى جزيرة قادس فى البحر المحيط وفى المحيط الجزائر الخالدات السبع وهى غربى مدينة سلا لوح للناظر فى اليوم الصاحى الحالى الجو من الابخرة الغليظة وفيها سبعة اصنام على أمثال الآدميين تشير أن لا عبور ولا مسلك وراءها وفيه بجهة الشمال جزائر السعادات وفيها من المدن والقرى ما لا يحصى ومنها يخرج قوم يقال لهم المجوس على دين النصارى اولها جزيرة برطانية وهى بوسط البحر المحيط باقصى شمال الاندلس ولا جبال فيها ولا عيون وانما يشربون من ماء المطر ويزرعون عليه (وقال ابن سعيد) وفيه جزيرة شلياش وهى آهلة وفيها مدينة وبحرها كثير السمك ومنها يحمل ملحا الى اشبيلية وهى من كورة لبلة مضافة الى عمل أو بنسه انتهى (وقال بعضهم) لما اجرى ذكر قرطاجنة من بلاد الاندلس ان الزرع فى بعض أقطارها يكتفى بمطرة واحدة وبها أقواس

من الحجارة المقربصة وفيها من التصاوير والتماثيل واشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة ومن أعجب بنائها الدواميس وهي اربعة وعشرون على صف واحد من حجارة مسدسة طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة في عرض ستين خطوة وارتفاع كل واحد اكثر من مائتي ذراع بين كل داموسين أنقاب محكمة تتصل فيها المياه من بعضها الى بعض في العلو الشاهق بهندسة عجيبة واحكام بديع انتهى (قلت) أظن هذا غلطا فان قرطاجنة التي بهذه الصفة قرطاجنة افريقية لا قرطاجنة الاندلس والله أعلم (وقال صاحب مناهج الفكر) عند ما ذكر قرطاجنة وهي على البحر الرومي مدينة قديمة بقي منها آثارها فحص طوله ستة أيام وعرضه يومان معمور بالقرى انتهى وذكر قبل ذلك في ورقة ان بناحيتها يوجد حجر اللازورد وفي البحر الشامي الخارج من المحيط جزيرتي ميورقة ومنورقة وبينهما خمسون ميلا وجزيرة ميورقة مسافة يوم بها مدينة حسنة وتدخلها ساقية جارية على الدوام وفيها يقول ابن اللبانة

بلد أعارته الحمامة طوقها * وكساه حلة ريشه الطاوس
فكأنما الانهار فيه مدامة * وكأن ساحات الديار كؤوس

وقال يخاطب ملكها ذلك الوقت

وغمرت بالاحسان ارض ميورقه * ونبهت ما لم ينبه الاسكندر

وجزيرة يابسة * واستقصاء ما يتعلق بهذا الفصل يطول ولو تتبع لكان تاليفا مستقلا وما أحسن قول ابن خفاجة

ان للجنة بالاندلس * مجتلى حسن وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب * ودجى ليلتها من لعس
واذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقي الى الاندلس

وقال بعضهم في طليطلة

زادت طليطلة على ما حدثوا * بلد عليه نضرة ونعيم
الله زينه فوشح خصره * نهر المجرة والغصون نجوم

ولا حرج ان أوردنا هنا ما خاطب به اديب الاندلس ابو بحر صفوان بن ادريس الامير عبد الرحمن ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي فانه مناسب (ونصه) مولاي امتع الله ببقائك الزمان وابنائه كما ضم على حبك احناءهم واحناءه وأوصل لك ما شئت من المنن والاسن كما نظم قلائد فخرك على لبة الدهر نظم الجمان فابك الملك الهمام والقمر التمام ايا ملك غر روحجول وفرند بهائها في صفحات الدهر يجول البتر الرعية برود التأمين فتنافست فيك من نفيس ثمين وتلقت دعوات خلدك لها باليمن فكم للناس من امن بك واياس وللايام من لوعة فيك وهيام وللاقطار من ابانات لديك واوطار وللبلاد من قراع على تملكك لها وجلاد يتمنون شخصك الكريم على الله ويقترحون ويغتبقون في رياض ذكرك العاطر بمدام حبك ويصطبحون كل حزب بما لديهم فرحون محبة من الله ألقاها لك حتى على الجماد ونصرا مؤزرا تنطق به ألسنة السيوف على أفواه الاغماد ومن

الثالثة حتى يموت فقال القوم لتكذبن فرسك ثم قال احسوا كاسكم فحسوها ثم انتهت النوبة اليه فبكى عليه فسكت طويلا ثم أفاق وهو يقول

لبيكما لبيكما
ها أنا ذا لديكما
أنا من حفت به النعمة
والحمد والشكر
ان تغفر اللهم تغفر جما
واي عبد لك لا ألما
أو فال انا من حفت به النعمة ولم يجهد في الشكر ثم أنشأ يقول

ان يوم الحساب يوم عظيم
شاب فيه الصغير يوما طويلا
ليتني كنت عند ما قد بدا لي
في رؤوس الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وان تطاول حينا
فنصاري أيامه ان يزولا

ثم شهق شهقة فكانت فيها نفسه (قال المسعودي) وقد ذكر جماعة من أهل العلم بايام الناس وأخبار من سلف كأبي دأب والهيثم بن عدي وأبي محنف لوط بن يحيى ومحمد ابن السائب الكلبي ان السبب في كناية قريش واستفتاحها في أوائل كتبها باسمك اللهم هو ان امية بن أبي الصلت الثقفي خرج الى الشام في نفر من ثقيف وقريش في عيرلهم فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا واجتمعوا لعشائهم اذ أقبلت حية صغيرة حتى

دنت منهم فخصبها بعضهم بشئ فى وجهها فرجعت فشدّوا على اثرها وارتحلوا من منزلهم فلما برزوا عن المنزل أشرفت عليهم عجوز من كثب ورمل متوكئة على عصاها فقالت ما منعكم ان تطعموا رحمة الجارية اليتيمة التى جاءتكم عشيته قالوا ومن أنت قالت أم العوّام أوغت منذ أعوام أماورب العباد لتفترقن فى البلاد ثم ضربت بعصاها الارض أثارت بها الرمل وقالت أطيلى اياهم وأنفرى ركابهم فوثبت الابل وكان كل بعير منها على ذروة ما تملك منها شيأ حتى افترقت فى البوادى فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما أنخناها عادت الى مقالتها ما منعكم أن تطعموا رحمة الجارية اليتيمة ألا أطيلى اياهم وأنفرى ركابهم فخرجت الابل ما تملك منها شيأ فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما أنخناها فعلت مثل فعلتها الاولى والثانية فتفرقت الابل وأمسينا فى ليلة مقمرة وقد يئسنا من ظهورنا فقلنا لاميمة بن أبى الصلت أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك فتوجه الى ذلك الكثيب الذى تأتى منه العجوز حتى هبط منه من ناحية أخرى ثم صعد كثيبا آخر حتى

اسر سريرة ألبسه الله رداءها ومن طوى حسن نية ختم الله له بالجميل اعادتها وابداءها ومن قدم صالحا فلا بدّ ان يوازيه ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه ولما تخاصمت فيك من الاندلس الامصار وطال بها الوقوف على حبك والاقتصار كلها يفصح قولا ويقول انا احق وأولى ويصيخ الى اجابة دعوته ويصغى ويتلو اذا شربك ذلك ما كنا نبغى تمرت حمص غيظا وكادت تفيظ فيظا وقالت مالهم يزيدون وينقصون ويطمعون ويحرصون ان يتبعون الا الظن وانهم الا يخرصون ألهم السهم الاسدّ والساعد الاشدّ والنهر الذى يتعاقب عليه الجزر والمدّ أما مصر الانداس والنيل نهرى وسمائى التانس والنجوم زهرى ان تجاريتم فى ذلك الشرف فحسبى ان افيض فى ذلك الشرف وان تبجحتم باشرف اللبوس فاى ازار اشتملتموه كشتبوس الى ما شئت من ابنية رحاب وروض يستغنى بنضرته عن السحاب قد ملأت زهراتى وهاداه ونجاداه وتوشح سيف نهرى بحدائق نجادا فانا اولاكم بسيدنا الهمام واحق الآن حمحص الحق (فنظرتها قرطبة شزرا) وقالت لقد كثرت نزرا وبذرت فى الصخر الاصم بزرا كلام العداضرب من الهذيان وأنى للايضاح والبيان متى استمال المستقيح مستحسنا ومن أودع اجفان المهجور وسنا افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يا عجبا للمراكز تقدّم على الاسنة وللاثفار تفضل على الاعنة ان ادعيتم سبقا فما عند الله خير وأبقى لى البيت المطهر الشريف والاسم الذى ضرب عليه رواقه التعريف فى بقيع محل الرجال الافاضل فلبرغم انف المناضل وفى جامعى مشاهد ليلة القدر حسبى من نباهة القدر فما الاحدان يستأثر على بهذا السيد الاعلى ولا ارضى له ان يوطئ غبر ترابى نعلا فاقروا الى بالابوّة وانقادوا الى على حكم البنوّة ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوّة وكفوا عن تباريكم ذلكم خير لكم عند باريكم (فقالت غرناطة) لى المعقل الذى يمتنع ساكنه من النجوم ولا تجرى الا تحته جياد الغيث السجوم فلا يلحقنى من معاند ضرر ولا حيف ولا يهتدى الى حيال طارق ولا طيف فاستسلموا قولا وفعلا فقد افلح اليوم من استعلى لى بطاح تقلدت من جداولها اسلاكا وأطلعت كواكب زهرها فعادت أفلاكا ومياه تسيل على اعطافى كادمع العشاق وبرد نسيم يرد دماء المستجير بالانتشاق فحسبى لا يطمع فيه ولا يحتال فدعونى فكل ذات ذيل تختال فانا اولى بهذا السيد الاعدل ومالى به من عوض ولا بدل ولم لا يعطف على عنان مجده ويثنى وان أنشد يوما فايا ى يعنى

بلادبها عق الشباب تمائمى * واول ارض مس جلدى ترابها

فما لكم تعتزون لفخرى وتنتمون وتتأخرون فى ميدانى وتتقدّمون تبرؤا الى مما تزعمون دلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * (فقالت مالقة) اتتركونى بينكم هملا ولم تعطونى فى سيدنا املا ولم ولى البحر العجاج والسبل الهجاج والجنات الاثيرة والفواكه الكثيرة لدى من البهجة ما تستغنى به الثمام عن الهديل ولا تجنح الانفس الرقاق الحواشى الى تعويض عنه ولا تبديل فما لى لا أعطى فى ناديكم كلاما ولا أشرى فى جيش فخاركم أعلاما فكأن الامصار فخرتها ازدراء فلم ترحد يثها فى ميدان الذكر اجراء لانها موطن لا يحلى منه

---

١١ ط ل هبط منه ثم رفعت له كنيسة فيها قناديل فاذا رجل وهو مضطجع معترض على بابها واذا رجل جالس أبيض

من أذنى اليسرى قال فيأى الثياب يأمرك قلت بالسواد قال خطب الحوادث ولم فعل وليكن يكلمك فى أذنك اليمنى وأحب الثياب اليه البياض فجاء بل وما احتلت فحدثته حديث العجوز قال صدقت وليست بصادقة هى امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام وانها لا تزال تصنع بكم ذلك حتى تهلككم ان استطاعت قال أمية فما الحيلة قال اجمعوا ظهوركم فاذا جاءتكم ففعلت ما كانت تفعل فقولوا لها سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فانها لا تضركم فرجع الى أصحابه فأخبرهم بما قيل له فجاءتهم ففعلت كما كانت تفعل فقالوا سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فلم تضرهم فلما رأت الابل لم تتحرك قالت عرفت صاحبكم ليبيعنكن أعلاه ويسودن أسفله وسرنا فلما أدركنا الصبح نظرنا الى أمية قد برص فى عذاريه ورقبته وصدره واسودت أسفله فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث وكان أمية أول من كتب باسمك اللهم الى أن جاء الله عز وجل بالاسلام وكتب بسم الله الرحمن الرحيم وله أخبار غير هذه قد أتينا عليها وعلى ذكرها فى أخبار حرسها

بطائل وتنس البلاد ما أولت فيها قول القائل

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت

(فقالت مرسية) أمامى تتعاطون الفخر وبحضرة الدر تتفقون الصخر ان عددت المفاخر فلى منها الاول والآخر اين أوتيتم الكم من بحرى وخرزكم من لؤلؤ نحرى وجمجمتكم من نفثات سحرى فلى الروض النضير والمرأى الذى ماله من نظير ورتقاى التى سار مثلها فى الآفاق وتبرفع وجه جمالها بغرة الاصفاق فمن دوحات كمها من بكور وروحات ومن ارجاء اليها تمد أيدى الرجاء فابنائى فيه فى الجنة الدنيوية مودعون يتنعمون فيما ياخذون ويدعون ولهم فيها ما تشتهى انفسهم ولهم فيها ما يدعون فانقادوا لامرى وحاذروا اصطلاء جرى وخلوا بينى وبين سيدنا الى زيد والاضربتكم ضرب زيد فانا أولاكم بهذا الملك المستأثر بالتعظيم وما يلقاها الا ذو حظ عظيم *(فقالت بلنسية)* فيم الجدال والقراع وعلام الاستهام والاقتراع والام التعريض والتصريح وتحت الرغوة اللبن الصريح أنا أحوزه من دونكم فأخمدوا ناري تحركم وهدونكم فلى المحاسن الشاخة الاعلام والجنات التى تلقى اليها الآفاق بدا الاستسلام وبرصافتى وجسرى أعارض مدينة السلام فأجمعوا على الانقياد لى والسلام والافعنوا بابنانا واقرعوا أسنانا فانا حيث لا تدركون وأنى ومولانا لا يهلكنا بما فعل السفهاء منا (فعند ذلك ارتمت جمرة تدمير بالشرار) واستدت أسهمها لنحور الشرار وقالت عش رجبا ترجبا أبعد العصيان والعقوق تتهيأ ان لرتب ذوى الحقوق هذه سماء الفخر فى ضمك أن تعرجى ليس بعشك فادرجى لك الوصب والخبل الآن وقد عصبت قبل أيتها الصانعة العاملة من ادراك أن نضرتى وما أنت فاعلة ما الذى يجدينك الروض والزهر أم ما يفيدك الجدول والنهر وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر هل أنت الا محط رحل النفاق ومنزل ما لسوق الخصب فيه من نفاق ذراك لا يكتحل الطرف فيه بهجوع وقراك لا يسمن ولا يغنى من جوع فالام تبرز الاماء فى منصة العقائل ولكن اذكرى قول القائل

بلنسية بينى عن القلب سلوة * فانك روض لا أحن لزهرك

وكيف يحب المرء دارا تقسمت * على صارمى جوع وفتنة مشرك

بيد أنى أسأل الله تعالى ان يوقد من توفيقك ما تخمد ويسيل من تسديدك ما تجمد ولا يطيل عليك فى الجهالة الامد واياه سبحانه نسأل أن يرد سيدنا ومولانا الى أفضل عوائده ويجعل مصائب اعدائه من فوائده ويمكن حسامه من رقاب المشغبين ويقيه وجيهاى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويصل له تأييدا وتأبيدا ويمهد له الايام حتى تكون الاحرار لعبيد عبيده عبيدا ويمد على الدنيا بساط سعده ويهبه ملكا لا ينبغى لاحد من بعده

آمين آمين لا أرضى بواحدة * حتى أضيف اليها ألف آمينا

ثم السلام الذى يتناتق عبقا ونشرا ويتألق رونقا وبشرا على حضرتهم العلية ومطالع انوارهم السنية الجلية ورحمة الله تعالى وبركاته (انتهى) ولما ألم الرحالة ابن بطوطة فى رحلته بدخوله بلاد الاندلس أعادها الله تعالى للاسلام قال فوصلت الى بلاد الاندلس

حرسها الله تعالى حيث الاجر موفور للساكن والثواب مذخور للقيم والظاعن الى ان قال عند ذكره غرناطة من نصه قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجها نظير له فى الدنيا وهو مسيرة أربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة والبساتين الجليلة والجنات والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل لها بسواها انتهى (وقال الشقندى) غرناطة دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس ولم تخل من أشراف اماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل ولو لم يكن بها الا ما حفها الله تعالى به من كونها قد نبع فيها النساء الشواعر كزهون التلعبية والركونية وغيرهما وناهيك بهما فى الظرف والادب انتهى (وبعضهم) يتشوق الى غرناطة فيما ذكره بعض المؤرخين والصواب أن الابيات قيلت فى قرطبة كما مر والله أعلم

اغرناطة الغراء هل لى اوبة * اليك وهل يدنو لمثلك انعهد
سنى الجانب الغربى منك نسائمه * وتسفح فى ساحاتك الرو تنهل الرعد
ليالىك أسحار وأرضك جنة * وتربك فى استنشاقها عنبر ورد

وقال ابن مالك الزعينى

رعى الله بالحمراء عيشا قطعته * نذمت به للانس والليل قد ذهب
ترى الارض منها فضة فاذا اكتست * بشمس الضحى عاد سبيكها ذهب

وهو القائل

لا تظنوا أن شوقى خمد * بعدكم أو أن دمعى جمد
كيف اسلو عن اناس مثلهم * قل ان تبصر عينى احدا

(وغرناطة) من أحسن بلاد الاندلس وتسمى بدمشق الاندلس لانها أشبه شئ بها وبشقها نهر حدرة ويطل عليها الجبل المسمى بشلير الذى لا يزول الثلج عنه شتاء ويبدو يحمد عليه حتى يصير كالحجر الصلد وفى أعلاه الازاهر الكثيرة وأجناس الافاويه الرفيعة ونزل بها أهل دمشق لما جاؤا الى الاندلس لاجل الشبه المذكور * وقرى غرناطة فيما ذكر بعض المتأخرين مائتان وسبعون قرية (وقال ابن جزى) مرتب رحلة ابن بطوطة بعد ذكر كلامه ما نصه قال ابن جزى لولا خشيته أن انسب الى العصبية لاطلت القول فى وصف غرناطة فقد وجدت مكانه ولكن ما اشتهر كاشتهارها فلا معنى لاطالة القول فيه ولله در شيخنا أبى بكر ابن محمد بن شبرين السبتى نزيل غرناطة حيث يقول

رعى الله من غرناطة متبوأ * يسر حزينا أو يجير طريدا
تبرم منها صاحبى عند ما رأى * مسارحها بالثلج عدن جليدا
هى الثغر صان الله من أهلت به * ومخبر ثغر لا يكون برودا انتهى

وقال ابن سعيد عند ما اجرى ذكر قرية نارجة وهى قرية كبيرة تضاهى المدن قد أحدقت بها البساتين ولها نهر يفتن الناظرين وهى من أعمال مالقة أنه اجتمع زمرة عليها مع والده أبى عمران موسى وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم وقد ضربوا فى بطن الوادى بين

عبد العزى بن قصى وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم لحا وكان قد قرأ الكتب وطلب العلم ورغب عن عبادة الاصنام وبشر خديجة بالنبى صلى الله عليه وسلم وانه نبى هذه الامة وانه سيؤذى ويكذب ولقى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى اثبت على ما أنت عليه فوالذى نفس ورقة بيده لئن أطاعنى لتهبطن هذه الامة والمؤذين والمكذبين ولترجمن وتقاتل ولكن ان أدركت ذلك لانصرن الله نصرا يعلمه وقد اختلف فيه فمنهم من زعم انه مات نصرانيا ولم يدرك ظهور النبى صلى الله عليه وسلم ولم يدركه أبوه ومنهم من رأى انه مات مسلما وانه مدح النبى صلى الله عليه وسلم فقال

يعفو ويصفح لا يجزى بسيئة
ويكظم الغيظ عند الشتم والغضب

ومنهم عداس مولى عتبة ابن أبى ربيعة وكان من أهل نينوى ولقى النبى صلى الله عليه وسلم بالطائف حين خرج يدعوهم الى الله عز وجل وكان له مع النبى صلى الله عليه وسلم

خطب فى الحدقة وسهل يوم بدر على النصرانية وكان ممن يبشر بالنبى صلى الله عليه وسلم * ومنهم أبو قيس صرمة بن أبى أنس

ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلم وحسن اسلامه وفيه نزلت آية المحور وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وهو القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يمكة لا يلقى صديقا مواتيا

ومنهم أبو عامر الاوسي وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيدا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان له معه خطب فخرج في خمسين غلاما فجاءت على النصرانية بالشام * ومنهم عبد الله بن جحش الاسدي من بني أسد بن خزيمة وكانت عنده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب قبل ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ الكتب فمال الى النصرانية فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى أرض الحبشة فيمن هاجر من المسلمين ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ثم انه ارتد عن الاسلام وتنصر ومات بارض الحبشة وكان يقول للمسلمين انا فتحنا وصاتم ترجسه فان

متقطعا له خيما وبعضهم يشرب وبعضهم يغني ويطرب وسألوا عم يعرف ذلك الموضع فقالوا الطراز فقال والدي اسم طابق مسماه ولفظ وافق معناه

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

ثم قال أجز

بنا رجة حيث الطراز المنمنم فقلت أقم فوق نهر ثغره يتبسم
فقال وسمعك نحو الهاتفات فانها فقلت لما أبصرت من بهجة تترنم
فقال أيا جنة الفردوس لست بآدم فقلت فلا يبك حظي من جنانك التندم
فقال يعز علينا أن نزورك مثل ما فقلت يزور خيال من سليمى مسلم
فقال فلو أني أعطى الخيار لما عدت فقلت محالك لي عين بمرآك تنعم
فقال بحيث الصبا والطل من نفثاتها فقلت وقت لسع روض فيه للنهر أرقم
فقال فوا أسفي ان لم تكن لي عودة فقلت فكن ما كان اني عليك متمم
فقال فأحسب هذا آخر العهد بيننا فقلت وند يلحظ الرحمن شوقي فيرحم
فقال سلام سلام لا يزال مرددا فقلت عليك ولا زالت بك السحب تسجم انتهى

(وقال ابن سعيد) ان كورة بلنسية من شرق الاندلس ينبت بها الزعفران وتعرف بمدينة التراب وبها كثرى تسمى الارزة في قدر حبة العنب قد جمع مع حلاوة الطعم ذكاء الرائحة اذا دخل دارا عرف بريحه ويقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الاندلس وبها منارة ومسارح ومن أبدعها وأشهرها الرصافة ومنية ابن أبي عامر * وقال الشرف أبو جعفر بن مسعدة الغرناطي من أبيات فيها

هي الفردوس في الدنيا جمالا * لساكنها وكارهها البعوض

وقال بعضهم فيها

حماقت بلنسية بي * وذا دعني غموضي
رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

وفيها لابن الرقاق البلنسي

بلنسية اذا فكرت فيها * وفي آياتها اسنى البلاد
وأعظم شاهدي منها عليها * وأن جمالها للعين بادي
كساها ربها ديباج حسن * لها علمان من بحر ووادي

(وقال ابن سعيد أيضا) أنشدني والدي قال أنشدني مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ملك بلنسية لنفسه بمراكش قوله

كأن بلنسية كاعب * ولبسها سندس أخضر
اذا جئتها سترت نفسها * باكمامها فهي لا تظهر

وأما قول أبي عبد الله بن عياش بلنسية بين البيتين وقد سبقا فقال ابن سعيد لما صارت ثغرا يصابحها العدو ويماسيها انتهى (وقال ابو الحسن) بن حريق يجالة ان ذلك حيث

بلنسية قرارة كل حسن * حديث صح في شرق وغرب لاد

اوب ابن عياش

أبصرناوأنتم تلتمسون البصر وهذا مثل ضربه لهم وذلك انه يقال للكلب اذا فتح عينيه بعد ما يولد وهو وجرو قد فتح واذا كان يريد ان يفتحهما ولم يفتحهما قيل صأصأ ولما مات عبد الله بن جحش تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان زوجها اياه النجاشي ومهرها عنه أربعمائة دينار ومنهم بحيرى الراهب وكان مؤمنا على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واسم بحيرى في النصارى جرجيس وكان من عبد القيس ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه الى الشام في تجارة أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومعهما أبو بكر وبلال مروا ببحيرى وهو في صومعته فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ودلائله وما كان يجده في كتابه ان الغمام تظله حيث ما جلس فانزلهم بحيرى وأكرمهم واصطنع لهم طعاما ونزل من صومعته حتى نظر الى خاتم النبوة بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده على موضعه وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وأعلم أبا بكر وبلالا بقصته وما يكون من أمره وساله ان يرجع به من وجهه ذلك وحذرهم عليه من أهل الكتاب وأخبر عمه أبا طالب بذلك فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة

فان قالوا محل غلاء سعر * وسقد يمي طعن وضرب
فقل هي جنة حفت رباها * بمكروهين من جوع وحرب

وقال الرصافي في رصافتها

ولا كالرصافة من منزل * سقته السحائب صوب الولي
احن اليها ومن لي بها * وأين السرى من الموصلي

(وقال ابن سعيد) وبرصافة بلنسية مناظر وبساتين ومياه ولا نعلم في الاندلس ما يسمى بهذا الاسم الا هذه ورصافة قرطبة انتهى * ومن أعمال بلنسية قرية المنصف التي منها الفقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفي وقبره كان بسنته بزار رحمه الله تعالى ومن نظمه

قالت لي النفس أتاك الردى * وأنت في بحر الخطايا مقيم
فما ادخرت الزاد قلت انصري * هل يحمل الزاد لدار الكريم

ومن عمل بلنسية قريه بطرنه وهي التي كانت فيها الوقعة المشهورة للنصارى على المسلمين وفيها يقول ابو اسحق بن يعلى الطرسوني

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم * حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها * لو لم يكن بيطرنة ما كانا

ومن عمل بلنسية متبتة التي نسب اليها جماعة من العلماء والادباء * ومن عمل بلنسية مدينة اندة التي في جبلها معدن الحديد واما رندة بالراء فهي في متوسط الاندلس ولها حصن يعرف باندة أيضا * وفي اشبيلية اعادها الله من المتفرجات والمتنزهات كثير ومن ذلك مدينة طريانة فانها من مدن اشبيلية ومنزهاتها وكذلك تيطل فقد ذكر ابن سعيد جزيرة تيطل في المتفرجات (وقال ابو عمران) موسى بن سعيد في جوابه لابي يحيى صاحب سبتة لما استوزره مستنصر بني عبد المؤمن وكتب الى المذكور يرغبه في النقلة عن الاندلس الى مراكش ما نص محل الحاجة منه وأما ما ذكر سيدي من التخيير بين ترك الاندلس وبين الوصول الى حضرة مراكش فكفى الفهم العالي من الاشارة قول القائل

والعز محمود وملتمس * وألذه ما كان في الوطن
فاذا نلت بك السماء في تلك الحضرة فعلى من أسود فيها ومن داضاهى بها
لا رقت لي همة ان لم أكن * فيك قد أملت كل الامل

وبعد هذا فكيف افارق الاندلس وقد علم سيدي أنها جنة الدنيا بما حباها الله به من اعتدال الهواء وعذوبة الماء وكثافة الافياء وان الانسان لا يبرح فيها بين مرة عين وقرار نفس

من الارض لا ورد لديها مكدر * ولا ظل مقصور ولا روض مجدب

افق صقيل وبساط مديج وماء سائح وطائر مترنم بليل وكيف يعدل الاديب عن أرض على هذه الصفة فيا سمؤال الوفاء ويا حاتم السماح ويا جذيمة الصفاء كمل لمن أملك النعمة بتركه في موطنه غير مكدر لخاطره بالتحرك من معدنه متلفتا الى قول القائل

وسولت لي نفسي أن افارقها * والماء في المزن اصفى منه في الغدر

ورتب فى بيت الذهب حساب الدور الاول والثانى الاقدم الذى عليه عملت الهند فى توارخ البردة وظهورها فى أرض الهند دون سائر الممالك وهم فى البردة خطب طويل أعرضنا عن ذكره اذ كان كتابنا كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر وقد أتينا على جمل من ذلك فى الكتاب الاوسط ومن المسد من يذكر ان ابتداء العالم فى كل سبعين ألف سنة هاز روان زان العالم اذا قطع هذه المدة عاد الكون فظهر النسل ومرحت البهائم ونعلغل الماء وطب الحيوان وبتل العشب وخرف المسيم الهواء وأما أكثر الهند فانهم قالوا بكور منصوبات على دوائر تبتدئ القوى متلاشية الشخص موجودة القوة منتسبة الذات وحدوا لذلك أجلا فربوه ووقتا نصبوه وجعلوا الدائرة العظمى والحادثة الكبرى ووسموا ذلك بعمر العالم وجعلوا المسافة بين البدء والانتهاء مدة ستة وثلاثين ألف سنة مكررة فى اثنى عشر ألف عام وهذا عندهم الهاز روان الضابط لقوى هذه الاشياء والمدبر لها وان الدوائر تقبض وتبسط

اليه والوصول والفوز بما لديه والحصول وعند مارد الله تعالى علينا ملكنا الرد الجميل وانا لنافضله الجزيل وكان لعثارنا المقيل خاطبنا كم بذلك لمكانكم من ودادنا ومحلكم من حسن اعتقادنا ووجهنا الى وجهة دعائكم وجه اعتدادنا والله ينفعنا بجميل الظن فى دينكم المتين وفضلكم المبين ويجمع الشمل بكم فى الجهاد عن الدين وتعرفنا الآن بمن له بأنبائكم اعتناء وعلى جلالكم حدونناء ولجناب ودكم اعتراء وانتماء يتطاول عزمكم بين جمر وروتر غبون من أجره فى ازدياد وتجددون العهد منه باليف اعتياد وبين رباط فى سبيل الله وجهاد وتوثيره مهاد بين ربا ثيرة عند الله ووهاد يحشر يوم القيامة شهداؤها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين فرحين بما آتاهم الله من فضله والله اصدق القائلين الصادقين حيث لاغارة لغير عدو الاسلام تتقى الا ابتغاء مالدى الله ترتقى حيث رحمة الله فدفتحت أبوابها وحور الجنان قدزينت أترابها دار الغرب الذين قرعوا باب الفتح وفازوا بجزيل المنح وخلدوا الآثار وأرغموا الكفار وأقالوا العثار وأخذوا الثار وأمنوا من لهيج جهنم بما علا على وجوههم من ذلك الغبار فكتبنا اليكم هذا تقوى بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمين ونهب بكم الى احدى الحسنيين والصبح غير خاف على ذى عينين والفضل ظاهر لاحدى المنزلتين فانكم ان جبتم أعدتم فرضا اديتموه وفضلا اردتموه فائدته عليكم مقصورة وفضيلته فيكم محصورة واذا القتم الجهاد جلبتم الى حسناتكم عملا غريبا واستانفتم سعيا من الله قريبا وتعدت المنفعة الى الوف من النفوس المستشعرة لباس البوس ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لاطنبنا وأعنة الاستدلال أرسلنا هذا لوقد تم على هذا الوطن وفضلكم غفل من الاشتهار ومن به لا يوجب لكم نر فيع المقدار فكيف وفضلكم أشهر من محيا النهار ولقاؤكم أشهى الآمال وآثر الاوطار فان قوى عزمكم والله ينصره ويعيننا من بركم على ما تنويه فالبلاد بلادكم وما فيها طريفكم وتلادكم وكهولها اخوانكم وأحداثها أولادكم ونرجو أن تجدوا لذكركم الله فى رباها حلاوة زائدة ولا تعدموا من روح الله فيها فائدة وتكيف نفسكم فيها تكيفات تقصر عنها خلوات الملوك الى ملك الملوك حتى تغتبطوا بفضل الله الذى يوليكم وتروا أثر رحمته فيكم وتحلفوا لغير هذا الانقطاع الى الله فى قبيلكم وبنيكم وتختموا العمر الطيب بالجهاد الذى يعليكم ومن الله تعالى يدنيكم فنبيكم العربى صلوات الله عليه وسلامه نبى الرحمة والملاحم ومعمل الصوارم وبجهاد الفريضة ختم عمل جهاده والاعمال بالخواتم هذا على بعد بلادهم من بلاده وأنتم أحق الناس باقتفاء جهاده والاستباق الى آماده هذا ما عندنا حثثناكم عليه وندبناكم اليه وأنتم فى ايثار هذا الجوار ومقارضة ما عندنا بقدومكم من الاستئثار بحسب ما يخلق عنكم من بيده مقادة الاختيار وتصريف حيل وتقليب القلوب واجالة الافكار واذا تعارضت الحظوظ فما عند الله خير للانسان ومنها الآخرة دار القرار وخير الاعمال عمل أوصل الى الجنة وباعد من النار ولأهل الكشف والاطلاع بهذه الارجاء والاصقاع قد اتفقت أخبارها وانا على البشارة بفتح قرب أوانه واظل زمانه فنرجو الله أن تكونوا ممن يحضره

جميع المعاني التي تستودعها وان الاعمار تطول في اول الكر لانفساح الدوائر وتمكن ٨٩ القوى من المحال وتقصر الاعمار في آخر

فيه مسعاه ويسلف فيه العمل الذي يشكره الله ويرعاه والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * ولما دخل الاندلس أمير المسلمين علي ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الملتوني ملك المغرب والاندلس وأمعن النظر فيها وتأمل وصفها وحالها قال انها تشبه عقابا مخالبه طليطلة وصدره تلعة رباح ورأسه جيان ومنقاره غرناطة وجناحه الايمن باسط الى المغرب وجناحه الايسر باسط الى المشرق في خبر طويل لم يحضرني الآن اذ تركته مع كتبي بالمغرب جعني الله بها على أحسن الاحوال * ومع كون أهل الاندلس سباق حلبة الجهاد مهطعين الى داعيه من الجبال والوهاد فكان لهم في الترف والنعيم والمجون ومداواة الشعراء خوف الهجاء محل وثير المهاد وسيأتي في الباب السابع من هذا القسم من ذلك وغيره ما يشفي ويكفي ولكن سمح لي ان اذكر هنا حكاية أبي بكر المخزومي الهجاء المشهور الذي قال فيه لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة انه كان أعمى شديد الشر معروفا بالهجاء مسلطا على الاعراض سريع الجواب ذكي الذهن فطنا للمعاريض سابقا في ميدان الهجاء فاذا مدح ضعف شعره (والحكاية) هي ما حكاه أبو الحسن بن سعيد في الطالع السعيد اذ قال حكاية عن أبيه فيما أظن قدم المذكور يعني المخزومي على غرناطة أيام ولاية أبي بكر بن سعيد ونزل قريبا مني وكنت اسمع به بنا رصاعقة يرسلها الله على من يشاء من عباده ثم رأيت ان ابدأه بالتانيس والاحسان فاستدعيته بهذه الابيات

يا ثانيا للمعرى * في حسن نظم ونثر
وفرط ظرف ونبل * وغوص فهم وفكر
صل ثم واصل حفيا * بكل بر وشكر
وليس الاحديث * كمازها عقدد
وشادن يتغنى * على رباب وزمر
وما يسامح فيه الـ * ـغفور من كاس خمر
وبيننا عهد حلف * ليا سر حلف كفر
نعم فجدده عهدا * يطيب شكر ويسر
والكاس مثل رضاع * ومن كمثلك يدري

ووجه له الوزير أبو بكر بن سعيد عبدا صغيرا قاده فلما استقر به المجلس وأفعمته روائح الند والعود والازهار وهزت عطفه الاوتار قال

دار السعيدى ذى ام دار رضوان * ما تشتهى النفس فيها حاضر دانى
سقت ابار يقها للند سحب ندى * تحدى برعد لا وتار وعيدان
والبرق من كل دن ساكب مطرا * يحيي به ميت أفكار وأشجان
هذا النعيم الذي كنا نحدثه * ولا سبيل له الا بآذان

فقال أبو بكر بن سعيد والى الآن لا سبيل له الا بآذان فقال حتى يبعث الله ولدي كلما انشدت هذه الابيات قال انها لاعمى فقال اما انا فلا انطق بحرف فقال من صمت نجا وكانت نزهون بنت القلاعي حاضرة فقالت وتراك يا استاذ قديم النعمة بمجمر ند وغناء

الكر لضيق الدائرة وكثرة ما يعرض فيها من الاكدار الباترة للاعمار وذلك ان أقوى الاجسام وصفوها في أول الكر يظهر ويسرح وان الصفو سابق الكدر والصافي يبادر العقل والاعمار تطول بحسب صفاء المزاج وتكامل القوى المدبرة لعناصر أخلاط الكائنات الفاسدات المستحيلات البائدات وان آخر الكر الاعظم وغاية البدء الاكبر تظهر الصور منسوبة والنفوس ضعيفة والامزجة مختلطة وتتناقض القوى وتبيد المواصل وترد المواد في الدوائر منعكسة مزدحمة فلا تخطئ ذوي الابصار تمام الاعمار وللهند فيما ذكرناه علل وبراهين في المبادي الاول وفيما بسطناه من تفريقهم في الدوائر الهازوانات ورموز واسرار في النفوس واتصالها بما علا من العوالم وكيفية بدئها من أعلى الى أسفل وغير ذلك عما رتب لهم البرهمن في بدء الزمان وكان ملك البرهمن الى ان هلك ثلثمائة سنة وستين سنة وولده يعرفون بالبراهمة

١٢ ط ل الى وقتنا والهند تعظمهم وهم أعلى اجناسها واشرفهم ولا يغتذون بشيء من الحيوان وفي رقاب الرجال

والنساء منهم حيوط صفر يتقلدون بها ٩٠ كحمائل السيوف فرقا بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند وقد كان اجتمع منهم في

وشراب فتعجب من تأتيه وتشبهه بنعيم الجنة وتقول ما كان يعلم الا بالسماع ولا يبلغ اليه بالعيان ولكن من يجيء من حصن المدور وينشأ بين تيوس وبقر من أين له معرفة بمجالس النعيم فلما استوفت كلامها تنحنح الاعمى فقالت له ذبحة فقال من هذه الفاضلة فقالت عجوز مقام أمك فقال كذبت ما هذا صوت عجوز انما هذه نغمة قحبة مخترقة تشم روائح ههنا على فراسخ فقال له أبو بكر يا استاذ هذه نزهون بنت القلاعي الشاعرة الاديبة فقال سمعت بها لا اسمعها الله خيرا ولا أراها الا أيرا فقالت له ياشيخ سوءتنا قضت وأي خير للمرأة مثل ماذكرت ففكر ساعة ثم قال

على وجه نزهون من الحسن مسحة * وان كان قد أمسى من الضوء عاريا
قواصد نزهون توارك غيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فاعملت فكرها ثم قالت

قل للوضيع مقالا * يتلى الى حين يحشر
من المدور أنشئت والخرا منه اعطر
حيث البداوة أمست * في مشيها تتبختر
لذاك أمسيت صبا * بكل شئ مدور
خلقت أعمى ولكن * تهيم في كل اعور
جازيت شعرا بشعر * فقل لعمري من اشعر
ان كنت في الخلق انثى * فان شعري مذكر

فقال له اسمعي

الا قل لنزهونة مالها * تجر من التيه أذيالها
ولو أبصرت فيئة شمرت * كما عودتني سربالها

فخاف أبو بكر بن سعيد ان لا يزيد أحدهما على الآخر في هجو كلة (فقال المخزومي) أكون هجاء الاندلس واكف عنها دون شئ فقال انا اشتري منك عرضها فاطلب فقال بالعبد الذي ارسلته فقادني الى منزلك فانه ليس اليه طريق المشي فقال أبو بكر لولا كونه صغيرا كنت أبلغك به مرادك واهبه لك ففهم قصده وقال أصبر عليه حتى يكبر ولو كان كبيرا ما آثرتني به على نفسك فضحك أبو بكر وقال ان لم تهج نظما هجوت نثرا فقال أيها الوزير لا تبديل لخلق الله وانفصل المخزومي بالعبد بعد ما اصلح الوزير بينه وبين نزهون انتهى * وفي كتاب الدر المنضد في وفيات اعيان أئمة محمد تاليف الامام صارم الدين ابراهيم بن دقاق قال أبو القاسم بن خلف كان يعني المخزومي المذكور حيا بعد الاربعين وخمسمائة انتهى * ونسلت من كتاب قطب السرور لابن الرقيق المغربي ما ملخصه وممن ادركته وعاشرته عبد الوهاب بن حسين ابن جعفر الحاجب وذكرته هنا لانه ملحق بالامراء المتقدمين غير خارج منهم ولا مقصر عنهم بل كان واحد عصره في الغناء الرائق والادب الرائع والشعر الرقيق واللفظ الانيق ورقة الطبع واصابة النادر والتشبيه المصيب والبديهة التي لا يلحق فيها مع شرف النفس وعلو الهمة وكان قد قطع عمره وافنى دهره في اللهو واللعب والنكاهة والطرب

قدم الزمان في ملك البرهمن سبعة من حكمائهم المشهور اليهم في بيت الذهب فقال بعضهم لبعض اجلسوا حتى نتناظر فنتظر ما فصة العالم وماسره ومن أين أقبلنا والى أين نمر وهل خرجنا من عدم الى وجود حكمة أوضد ذلك وهل خالقنا اخترع لنا ولمنشئ لاجسامنا يجتلب بخلقنا منفعة أم هل يدفع بفنائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرة أم هل يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا أم هل هو غني من كل وجه عن ابقائنا ايانا واعدامنا بعد وجودنا وآلامنا وملاذنا فقال الحكيم المنظور اليه منهم أترى احدا من الناس ادرك الاشياء الحاضرة والعتيقة على حقيقة الادراك فظفر بالبغية واستراح الى الثقة فقال الحكيم الثاني لو تناهت حكمة الباري عز وجل في احد العقول كان ذلك نقصا من حكمته وكان الغرض غير مدرك وكان التقصير مانعا من الادراك فقال الحكيم الثالث الواجب علينا ان نبتدئ بمعرفة انفسنا التي هي أقرب الاشياء منا ونحن أولى بها وهي أولى بنا من قبل ان نتفرغ الى علم ما بعدنا فقال الحكيم الرابع لو شاء وقوع أمر وقع وقوعا احتاج وكان

فيه بنفسه قال الحكيم الخامس من ههنا وجب الاتصال بالعلماء الممدودين بالحكمة ١ قال الحكيم السادس الواجب

وكان اعلم الناس بضرب العود واختلاف طرائقه وصنعة اللحون وكثيرا ما يقول المغاني اللطيفة في الابيات الحسنة ويصوغ عليها الالحان المطربة البديعة المعجبة اختراعا منه وحذقا وكانت له في ذلك قريحة وطبع وكان اذا لم يزره أحد من اخوانه احضر مائدته وشرابه عشرة من أهل بيته منهم ولده وعبد الله ابن أخيه وبعض غلمانه وكلهم يغني فجيد فلا يزالون يغنون بين يديه حتى يطرب فيدعو بالعود ويغني لنفسه ولهم وكان شارة الزامر الذي يزمر عليه من حذاق زمرة المشرق وكان بعيد الهمة سمحا بما يجد تغل عليه ضياعه كل عام اموالا جليلة فلا تحول السنة حتى ينفد جميع ذلك ويستسلف غيره فكان لا يطرأ من المشرق مغن الا سأل من يقصد بهذا الشان فيدل عليه ومن وصله منهم استقبله بصنوف البر والاكرام وكساه وخلطه بنفسه ولم يدعه الى أحد من الناس فلا يزال معه في صبوح وغبوق وهو مجدد له كل يوم كرامة حتى يأخذ جميع ما معه من صوت مطرب أو حكاية نادرة وجلس يوما وقد زاره رجلان من اخوانه وحضر أقرباؤه فطعموا وشربوا وأخذوا في الغناء فارتج المجلس اذ دخل عليه بعض غلمانه فقال بالباب رجل غريب عليه ثياب السفر ذكر انه ضيف فامر بادخاله فاذا رجل أسمر سناطرث الهيئة فسلم عليه قال اين بلد الرجل قال البصرة فرحب به وأمره بالجلوس فجلس مع الغلمان في صفة وأتي بطعام فاكل وسقي اقداحا ودار الغناء في المجلس حتى انتهى الى آخرهم فلما سكتوا اندفع يغني بصوت ندي وطبع حسن

الا يا دار ما الهجر ... لسكانك من شاني
سقيت الغيث من دار ... وان هيجت أشجاني
ولو شئت لما استسقيت غيثا غير اجفاني
بنفسي حل اهلوك ... وان بانوا بسلواني
وما الدهر بمأمون ... على تشتيت خلان

فطرب عبد الوهاب وصاح وتبين الحذق في اشارته والطيب في طبعه وقال يا غلام خذ بيده الى الحمام وعجل علي به فادخل الحمام ونظف ثم دعا عبد الوهاب بخلعة من ثيابه فالقيت عليه ورفعه فأجلسه عن يساره وأقبل عليه وبسطه فغنى له

قومي امزجي التبر باللجين ... واحتملي الرطل باليدين
واغتنمي غفلة الليالي ... فربما أيقظت لحين
فقد لعمري أفرعنا ... هلال شوال كل عين
ذات الخلاخيل أبصرته ... كنصف خلخالها اللجين

فطرب وشرب واستزاده فغناه

من لي على رغم الحسود بقهوة ... بكر ربيبة حانة عذراء
موج من الذهب المذاب تضمه ... كاس كقشر الدرة البيضاء
والنجم في افق السماء كأنه ... عين تخالس غفلة الرقباء

فشرب عبد الوهاب ثم قال زدني فغناه

وأنت الذي أشرقت عيني بمائها ... وعلمتها بالهجر أن تهجر الغمضا

على المرء المحب لسعادة نفسه ان لا يغفل عن ذلك لاسيما اذا كان المقام في هذه الدنيا ممتنعا والخروج منها واجبا قال الحكيم السابع أما لا أدري ما تقولون غيري اخرجت الى هذه الدنيا مضطرا وعشت فيها حائرا وأخرج منها مكرها فاختلف الهند من سلف وخلف في آراء هؤلاء السبعة وكل قد اقتدى بهم وتيمم مذهبهم ثم تفرعوا بعد ذلك في مذاهبهم وتنازعوا في آرائهم والذي وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة (قال المسعودي) وقد رأيت ابا القاسم البلخي ذكر في كتاب عيون المسائل والجوابات وكذلك الحسن ابن موسى النوبختي في كتابه المترجم بالآراء والديانات مذاهب الهند وآراءهم والعلة التي من اجلها احرقوا أنفسهم في النيران وقطعوا أجسامهم بانواع العذاب فما تعرضنا لشئ مما ذكرنا ولا يممنا نحو ما وصفنا وقد تنوزع في البرهمن فمنهم من زعم انه آدم عليه السلام وانه رسول الله عز وجل الى الهند ومنهم من يقول انه كان ملكا على حسب ما ذكرنا وهذا اشهر ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزعا شديدا وفزعت الى نصب ملك عليها

وأغرقتها بالسمع حتى جفونها * لينكر من فقد الكرى بعضها بعضا

فى يوم من أحسن الايام وأطيبها ووصله وأحسن اليه ولم يزل عنده مقربا مكرما وكان خليعا ماجنا مشتهرا بالتبذل فخلاه وما أحب ثم وصف له الاندلس وطيبها وكثرة خمورها فمضى اليها ومات بها وعلى نحو هذه الحال كان يفعل بكل طارئ يطرأ من المشرق ولو ذكرتهم لطال بهم الكتاب انتهى وغرضى من ايراد هذه الحكاية هنا كونه وصف للشرقى الاندلس وطيبها وذلك أمر لا يشك فيه ولا يرتاب والله المسؤل فى حسن المتاب * ورأيت فى بعض كتب تاريخ الاندلس فى ترجمة السلطان باديس الصنهاجى صاحب غرناطة مانصه وهو الذى اكمل ترتيب نصبة مالقة وكان افرس الناس وابلهم ذا مروءة ونجدة وقصره بغرناطة ليس ببلاد الاسلام والكفر مثله فيما قيل انتهى وهذا التصر هو الذى عناه لسان الدين بن الخطيب فى قصيدته السينية المذكورة فى الباب الخامس من القسم الثانى من هذا الكتاب فلتراجع ثمة * وذكر غير واحد من المحدثين والمؤرخين أن مدينة سرقسطة لا يدخلها الثعبان من قبل نفسه واذا ادخله احد لم يترك ونظير هذا المعنى فى بعض الحيوانات بالنسبة الى بعض البلاد كثير وذلك برصد او طلسم وقد استطرد بعض علماء اصول الدين ذلك عند ما تكلموا على السحر حسبما قرر فى محله والله أعلم هكذا رأيت فى كلام بعض علماء المشارقة والذى رأيته لبعض مؤرخى المغرب فى سرقسطة أنها لا تدخلها عقرب ولا حية الا ماتت من ساعتها ويؤتى بالحيات والعقارب اليها حية فبنفس ما تدخل الى جوف البلد تموت قال ولا يتسوس فيها شئ من الطعام ولا يعفن ويوجد فيها القمح من مائة سنة والعنب المعلق من ستة أعوام والتين والخوخ وحب الملوك والتفاح والاجاص اليابسة من أربعة أعوام والفول والحمص من عشرين سنة ولا يسوس فيها خشب ولا ثوب كان صوفا او حريرا او كتانا وليس فى بلاد الاندلس اكثر فاكهة منها ولا اطيب طعما ولا أكبر جرما والبساتين محدقة بها من كل ناحية ثمانية اميال ولها اعمال كثيرة مدن وحصون وقرى مسافة اربعين ميلا وهى تضاهى مدن العراق فى كثرة الاشجار والانهار وبالجملة فامرها عظيم وقد اسلفنا ذكرها * واعلم ان بارض الاندلس من الخصب والنضرة وعجائب الصنائع وغرائب الدنيا مالا يوجد مجموعه غالبا فى غيرها فمن ذلك ماذكره الجارى فى المسهب ان السمور الذى يعمل من وبره الفراء الرفيعة يوجد فى البحر المحيط بالاندلس من جهة جزيرة برطانية ويجلب الى سرقسطة ويصنع بها ولما ذكر ابن غالب وبر السمور الذى يصنع بقرطبة قال هذا السمور المذكور هنا لم اتحقق ماهو ولا ما عنى به ان كان هو نباتا عندهم او وبر الدابة المعروفة فان كانت الدابة المعروفة فهى دابة تكون فى البحر وتخرج الى البر وعندها قوة ميز وقال حامد بن سمعون الطبيب صاحب كتاب الادوية المفردة هو حيوان يكون فى بحر الروم ولا يحتاج منه الا خصاه فيخرج الحيوان من البحر فى البر فيؤخذ وتقطع خصاه ويطلق فربما عرض للقناصين مرة أخرى فاذا أحس بهم وخشى أن لا يفوتهم استلقى على ظهره وفرج بين فخذيه ليرى وضع خصييه خاليا فاذا رآه القناصون كذلك تركوه قال ابن غالب ويسمى هذا الحيوان أيضا الجندبادستر والدواء الذى يصنع من خصييه من الادوية الرفيعة ومنافعه

وزاد فى بناء الهياكل وقدم الحكماء وزاد فى مراتبهم وحثهم على تعليم الناس الحكمة وبعثهم على طلبها فكان ملكه الى ان هلك مائة سنة وفى أيامه عمل النرد واحدث اللعب بها وجعل ذلك مثالا للمكاسب وانها لا تنال بالكسب ولا بالحيل فى هذه الدنيا وان الرزق لا يتأتى فيها بالحذق وقد ذكر ان اردشير ابن بابك اول من صنع النرد ولعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها واختلاف أمورها وجعل بيوتها اثنى عشر بيتا بعدد الشهور وجعل كلا بها ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل القصير مثلا للقدر ومثله باهل الدنيا وان الانسان يلعب فيبلغ باسعاد القدر اياه بما فى مراده باللعب بها ومراده ان الحازم الفطن لا يتأتى له ما تأتى لغيره الا اذا اسعده القدر وان الارزاق والحظوظ فى هذه الدنيا لا تنال الا بالجدود ثم ملك (دامان) بعد الناهود فكان ملكه نحوا من خمسين ومائة سنة ولدامان سير واخبار وحروب مع ملوك فارس وملوك الصين قد أتينا على العرر منها فيما سلف من كتبنا ثم ملك (فور) وهو الذى واقعه الاسكندر فقتله الاسكندر مبارزة وكان ملك فور الى ان هلك اربعين ومائة سنة ثم كثيرة

كثيرة وخاصيته فى العلل الباردة وهو حار يابس فى الدرجة الرابعة والقنفلية حيوان أدق من الارنب وأطيب فى الطعم وأحسن وبرا وكثيرا ما يلبس فراؤها ويستعملها أهل الاندلس من المسلمين والنصارى ولا توجد فى بر البربر الا ما جلب منها الى سبتة فنشأ فى جوانبها قال ابن سعيد وقد جلبت فى هذه المدة الى تونس حضرة أفريقية ويكون بالاندلس من الغزال والايل وحمار الوحش وبقره وغير ذلك مما لا يوجد فى غيرها كثيرا وأما الاسد فلا يوجد فيها البتة ولا الفيل والزرافة وغير ذلك مما يكون فى أقاليم الحرارة ولها سبع يعرف بالتاب أكبر بقليل من الذئب فى نهاية من القحة وقد يفترس الرجل اذا كان جائعا ويغال الاندلس فارهة وخيلها ضخمة الاجسام حصون للقتال لحملها الدروع وثقال السلاح والعدو فى خيل البربر الجنوبى ولها من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول وكذلك حيوان البحر ودواب بحرها المحيط فى نهاية من الطول والعرض قال ابن سعيد عاينت من ذلك العجب والمسافرون فى البحر يخافون منها المثلا تقلب المراكب فيقطعون الكلام ولها نفخ بالماء من فيها يقوم فى الجو ذا ارتفاع مفرط وقال ابن سعيد قال المسعودى فى مروج الذهب فى الاندلس من أنواع الافاويه خمسة وعشرون صنفا منها السنبل والقرنفل والصندل والقرفة وقصب الذريرة وغير ذلك وذكر ابن غالب أن المسعودى قال أصول الطيب خمسة اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها من ارض الهند الا الزعفران والعنبر فانهما موجودان فى ارض الاندلس ويوجد العنبر فى ارض الشحر قال ابن سعيد وقد تكلموا فى اصل العنبر فذكر بعضهم انه عيون تنبع فى قعر البحر يصير منها ما تبلعه الدواب وتقذفه قال الحجارى ومنهم من قال انه نبات فى قعر البحر وقد تقدم قول الرازى ان المحلب وهو المقدم فى الافاويه والمفضل فى انواع الاشنان لا يوجد فى شئ من الارض الا بالهند والاندلس قال ابن سعيد وفى الاندلس مواضع ذكروا أن النار اذا أطلقت فيها فاحت بروائح العود وما أشبهه وفى جبل شلير افاويه هندية قال واما الثمار واصناف الفواكه فالاندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ويوجد فى سواحلها قصب السكر والموز ويوجدان فى الاقاليم الباردة ولا يعدم منها الا التمر ولها من انواع الفواكه ما يعدم فى غيرها أو يقل كالتين القوطى والتين السفرى باشبيلية قال ابن سعيد وهذان صنفان لم ترعينى ولم اذق لهما منذ خرجت من الاندلس ما يفضلهما وكذلك التين المالقى والزبيب المنكى والزبيب العلى والرمان السفرى والخوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره وقد ذكر ابن سعيد ايضا ان الارض الشمالية المغربية فيها المعادن السبعة وانها فى الاندلس التى هى بعض تلك الارض واعظم معدن للذهب بالاندلس فى جهة شنت باور قاعدة الجلالقة على البحر المحيط وفى جهة قرطبة الفضة والزئبق والنحاس فى شمال الاندلس كثير والصفر الذى يكاد يشبه الذهب وغير ذلك من المعادن المتفرقة فى اماكنها والعين التى يخرج منها الزاج فى ليلة مشهورة وهو كثير مفضل فى البلاد منسوب لجبل طليطلة جبل الطفل الذى يجهز الى البلاد ويفضل على كل طفل بالمشرق والمغرب وبالاندلس عدة مقاطع للرخام وذكر الرازى أن بجبل قرطبة مقاطع الرخام الابيض الناصع اللون والحمرى وفى

كتابا ترجمه بقلة وعفرة يعارض به كتاب كليلة ودمنة فى ابوابه وامثاله يزيد عليه فى حسن نظمه وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقيل غير ذلك ثم ملك بعده (بلهيت) وصنعت فى ايامه الشطرنج فقضى بلهبها على النرد وبين الشطرنج الذى يناله الحازم والبليغ التى تلحق الجاهل وحسب حسابهما ورتب لذلك كتابا للهند يعرف بلهر وحكما يتداولونه بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائه وجعلها مصورة تماثيل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان مما لبس بناطق وجعلهم درجات فى مراتب ومثل الشاه بالمدبر الرئيس وكذلك من يليه من القبائع واقام ذلك مثالا للاجساد العلوية التى هى الاجسام السماوية من السبعة والاثنى عشر وافرد كل قطعة منها بكوكب وجعلها ضابطة للمملكة واذا كان عدو من اعدائه فوقعت منه حيلة فى الحروب نظر وامن اين يؤتون فى عاجل وآجل وللهند فى لعب الشطرنج سر

يسرونه فى تضاعيف حسابها ويتعلقون بذلك الى ما علا من الافلاك وما اليه منتهى العلة الاولى واعداد اضعاف

الشطرنج ثمانية عشر الف الف الف الف الف الف وسبعمائة واربعون الف الف الف الف ألف ألف وتسعة آلاف
ألف ألف ألف وخمسمائة
آلاف ألف ألف وأحد
وخمسون ألف ألف وستمائة
وخمسة عشر ألفا وهراب
هذه الالوف الستة الاولى
ثم الخمسة التي هي ألف
ألف خمس مرات ثم الاربع
ثم الثلاث ثم الاثنتين ثم
الواحدة لهاعندهم معان
يذكرونها في الدهور
والاعصار وما تقتضيه
سائر المؤثرات العلوية في
هذا العالم لارتباط نفوس
الناطقين بها والليونانيين
والروم وغيرهم من الامم في
الشطرنج كلام ونوع من
اللعب بها فقد ذكر ذلك
الشطرنجيون في كتبهم ممن
تقدم منهم الى الصولي
والعدلي واليهما كان
انتهاء اللعب بالشطرنج في
هذا العصر وكان ملك
بلهيت ملك الهند الى أن
هلك ثمانين سنة وفي بعض
النسخ انه ملك ثلاثين
ومائة سنة ثم ملك بعده
(كورس) فأحدث للهند
آراء في الديانات على حسب
ما رأى من صلاح الوقت
وما يحتمله من التكليف
أهل العصر وخرج عن
مذاهب من سلف وكان في
مملكته وعمره سندباد دون
له كتاب الوزراء السبعة
والمعلم وامرأة الملك وهو الكتاب المترجم بالسندباد وعمل في خزانة هذا الملك الكتاب الاعظم في معرفة العلل

ناشرة قطع عجيب للعمد وباغة من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة موشاة في
حمرة وصفرة وغير ذلك من المقاطع التي بالاندلس من الرخام الحالك والمجزع وحصى المربة
يحمل الى البلاد قوله كالدر في رونقه وله ألوان عجيبة ومن عادتهم ان يضعوه في كيزان الماء
في الاندلس من الامنان التي تنزل من السماء القرمز الذي ينزل على شجرة البلوط فيجمعه
الناس من الشعراء ويصبغون به فيخرج منه اللون الاحمر الذي لا تفوقه حمرة قال ابن سعيد
وانتهى الى مصنوعات الاندلس ينتهي التفضيل وللمتعصبين لها في ذلك كلام كثير فقد اختصت
المرية ومالقة ومرسية بالموشى المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق اذا رأوا
منه شيأ وفي نتالة من عمل مرسية تعمل البسط التي يغالى في ثمنها بالمشرق ويصنع في غرناطة
وبسطة من ثياب اللباس المحررة الصنف الذي يعرف بالملبد المختم ذو الالوان العجيبة
ويصنع في مرسية من الاسرة المرصعة والحصر الفائقة الصنعة وآلات الصفر والحديد من
السكاكين والامقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندي مما يبهر العقل ومنها
تجهز هذه الاصناف الى بلاد افرنجية وغيرها ويصنع بها وبالمرية ومالقة الزجاج الغريب
العجيب وفخار مزجج مذهب ويصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف في المشرق
بالفسيفساء ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجي يشبه المفضض وهو ذو ألوان عجيبة
يقيمونه مقام الرخام الملون الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم كالشاذروان وما
يجري مجراه واما آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والاجم والدروع والمغافر
فاكثرهم أهل الاندلس فيما حكى ابن سعيد كانت مصروفة الى هذا الشان ويصنع فيها في
بلاد الكفر ما يبهر العقول قال والسيوف البرذليات مشهورة بالجودة وبرذيل آخر بلاد
الاندلس من جهة الشمال والمشرق والفولاذ الذي باشبيلية اليه النهاية وفي اشبيلية من
دقائق الصنائع ما يطول ذكره وقد افرد ابن غالب في فرحة الانفس للآثار الاولية التي
بالاندلس من كتابه مكانا فقال منها ما كان من جلبهم الماء من البحر الملح الى الارحى التي
بطركونة على وزن لطيف وتدبير محكم حتى طحنت به وذلك من أعجب ما صنع ومن ذلك
ما صنعه الاول أيضا من جلب الماء من البحر المحيط الى جزيرة قادس من العين التي في أقليم
الاصنام جلبوه في جوف البحر في الصخر المجوف ذكرات أنثى وشقوا به الجبال فاذا وصلوا به
الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا فاذا جاوزها واتصل بالارض المعتدلة رجعوا
الى البنيان المذكور فاذا صادف سبخة بنى له رصيف وأجرى عليه هكذا الى ان انتهى به
الى البحر ثم دخل به في البحر واخرج في جزيرة قادس والبنيان الذي دخل عليه الماء في البحر
ظاهر بين قال ابن سعيد الى وقتنا هذا ومنها الرصيف المشهور بالاندلس قال في بعض اخبار
رومية انه لما ولي يوليش المعروف بجاشر وابتدأ بتذريع الارض وتكسيرها كان ابتداؤه
بذلك من مدينة رومية الى المشرق منها والى المغرب والى الشمال والى الجنوب ثم بدأ بفرش
البطائح وأقبل بها على وسط دائرة الارض الى ان بلغ بها أرض الاندلس وركزها شرقي
قرطبة بيابها المتطامن المعروف بباب عبد الجبار ثم ابتدأها من باب القنطرة قبلي قرطبة
الى شقندة الى استجة الى قرمونة الى البحر واقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه من

والادواء والعلاجات وشكلت الحشائش وصورت وكان مدة ملك الهند

مدينة رومية وذكر أنه أراد تسقيفها فى بعض الاماكن راحة للحاطرين من وهج الصيف وهول الشتاء ثم توقع ان يكون ذلك فسادا فى الارض وتغييرا للطرق عند انتشار اللصوص وأهل الشر فيها فى المواضع المنقطعة النائية عن العمران فتركها على ما هى عليه وذكر فى هذه الآثار صنم قادس الذى ليس له نظير الا الصنم الذى بطرف جليقية وذكر قنطرة طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة وملعب مريدة (قال ابن سعيد) وفى الاندلس عجائب * منها الشجرة التى لولا كثرة ذكر العامة لها بالاندلس ماذكرتها فان خبرها عندهم شائع متواتر وقد رأيت من يشهد بخبرها ورؤيتها وهم جم غفير وهى شجرة زيتون تصنع الورق والنور والثمر من يوم واحد معلوم عندهم من ايام السنة الشمسية * ومن العجائب السارية التى بغرب الاندلس يزعم الجمهور أن أهل ذلك المكان اذا أحبوا المطر أقاموها فيمطر الله جهتهم * ومنها صنم قادس طول ما كان قائما كان يمنع الريح أن تهب فى البحر المحيط فلا تستطيع المراكب الكبار على الجرى فيه فلما هدم فى أول دولة بنى عبد المؤمن صارت السفن تجرى فيه * وبكورة قبرة مغارة ذكرها الرازى وحكى انه يقال انها باب من أبواب الريح لا يدرك لها قعر * وذكر الرازى ان فى جهة ذلعة ورد جبلا فيه شق فى صخرة داخل كهف فيه فاس حديد متعلق من الشق الذى فى الصخرة تراه العيون وتلمسه اليد ومن رام اخراجه لم يطق ذلك واذا رفعته اليد ارتفع وغاب فى شق الصخرة ثم يعود الى حالته * وأما ما أورده ابن بشكوال من الاحاديث والآثار شاهدة بفضل الاندلس والمغرب فقد ذكرها ابن سعيد فى كتابه المغرب ولم اذكرها أنا والله أعلم بحقيقة أمرها وكذلك ما ذكره ابن بشكوال من ان فتح القسطنطينية انما يكون من قبل الاندلس قال وذكر سيف عن عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه والله أعلم بصحة ذلك ولعل المراد بالقسطنطينية رومية والله أعلم قال سيف وذلك ان عثمان ندب جيشا من القيروان الى الاندلس وكتب لهم أما بعد فان فتح القسطنطينية انما يكون من قبل الاندلس فانكم ان فتحتموها كنتم الشركاء فى الاجر والسلام انتهى قلت عهدة هذه الامور على ناقلها وأنا برىء من عهدتها وان ذكرها ابن بشكوال وصاحب المغرب وغيرواحد فانها عندى لا أصل لها وأى وقت بعث عثمان الى الاندلس مع أن فتحها بالاتفاق انما كان زمان الوليد وانما ذكرت هذا للتنبيه عليه لا غير والله أعلم (قال ابن سعيد) وميزان وصف الاندلس أنها جزيرة قد أحدقت بها البحار فكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة فتى سافرت من مدينة الى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع والعمارى فيها معدومة ومما اختصت به أن قراها فى نهاية من الجمال لتصنع أهلها فى أوضاعها وتبييضها لئلا تنبو العيون عنها فهى كما قال الوزير ابن الحمارة فيها

لاحت قراها بين خضرة أيكها * كالدر بين زبرجد مكنون

ولقد تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التى تكدر العين بسوادها وبضيق الصدر بضيق أوضاعها وفى الاندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة الممصرة من مثلها والمثال فى ذلك انك اذا توجهت من اشبيلية فعلى مسيرة يوم وبعض آخر مدينة شريش وهى

هلك هذا الملك اختلفت الهند فى آرائها فتحزبت الاحزاب وتحيلت الحيل وانفرد كل رئيس بناحية فملك على أرض السند ملك وملك على أرض القنوج ملك وتملك على أرض قشمير ملك وتملك على مدينة الملايبار وهى الحوزة الكبرى ملك يسمى بالبلهرا وهذا أول ملك سمى من ملوكهم بالبلهرا فصارت سمة لمن ادرج من الملوك لهذه الحوزة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وأرض الهند أرض واسعة فى البر والبحر والجبال وملكهم متصل بملك الزابج وهى دار مملكة المهراج ملك الجزائر وهذه المملكة قد بين مملكة الهند والصين ونضاف الى الهند والهند متصل مما يلى الجبال بأرض خراسان والسند الى أرض البيت وبين هذه الممالك تباين وحروب ولغاتهم مختلفة وآراؤهم غير متفقة والاكثر منهم يقول بالتناسخ وتنقل الارواح على حسب ما قدمناه آنفا واعتنى عقولهم وسياساتهم وحكمهم وألوانهم وصفاتهم وصحة أمزجتهم وصفاء أذهانهم ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان من الزنج والدادم وسائر الاجناس وقد ذكر جالينوس فى الاسود عشر خصال اجتمعت

في نهايه من الحمارة وانحطاط ثم يليها الجزيرة الحمراء كذلك ثم مالقة وهذا كثير في الاندلس ولهذا كثرت مدنها وأكثرها مسوّر من أجل الاستعداد للعدو فحصل لها بذلك التشييد والتحصين وفي حصونها ما يبقى في محاربة العدو ما ينيف على عشرين سنة لامتناع معاقلها ودربة أهلها على الحرب واعتيادهم بمحاورة العدو بالطعن والضرب وكثرة ما تختزن العلة في مصايرها فمنها ما يطول صبره عليها نحو ما مائة سنة قال ابن سعيد ولذلك أدامها الله تعالى من وقت الفتح الى الآن وان كان العدو قد انتقصها من أطرافها وشارك في أوساطها ففي البقية منعة عظيمة فأرض بني فيها مثل أشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية وما ينضاف الى هذه الحواضر العظيمة المصرة الرجاء فيها قوي بحول الله وقوته انتهى قلت قد خاب ذلك الرجاء وصارت تلك الارجاء للكفر معرجا ونسأل الله تعالى الذي جعل للهم فرجا وللغيوم مخرجا أن يعيد اليها كلمة الاسلام حتى يستنشق أهله منه فيها أرجا امين (ومن غرائب الاندلس) البلدان اللتان بطليطلة صنعهما عبد الرحمن لما سمع بخبر الطلسم الذي بمدينة أرين من أرض الهند وقد ذكره المسعودي وانه يدور بأصبعه من طلوع الفجر الى غروب الشمس فصنع هو هاتين البيلتين خارج طليطلة في بيت مجوّف في جوف النهر الاعظم في الموضع المعروف بباب الدباغين ومن عجبهما أنهما يمتلئان وينحسران مع زيادة القمر ونقصانه وذلك أن أول انهلال الهلال يخرج فيهما يسيرا فاذا أصبح كان فيهما سبعهما من الماء فاذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف سبع حتى يكمل من الشهر سبعة أيام وسبع ليال فيكون فيهما نصفهما ولا يزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم والليلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر فاذا كان في ليلة خمسة عشر وأحد القمر في النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف سبع فاذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شيء من الماء واذا تكامل أحد حين ينقصان أن يملأهما وجاب لهما الماء ابتلعتا ذلك من حينهما حتى لا يبقى فيهما الا ما كان فيهما في تلك الساعة وكذا لو تكلف عند امتلائهما افراغهما ولم يبق منهما شيأ ثم رفع يده عنهما خرج فيهما من الماء ما يملؤهما في الحين وهما أعجب من طلسم الهند لان ذلك في نقطة الاعتدال حيث لا يزيد الليل على النهار وأما تان فلستا في مكان الاعتدال ولم تزالا في بيت واحد حتى ملك النصارى دمرهم الله طليطلة فأراد الفنش أن يعلم حركتهما فأمر أن تقلع الواحدة منهما ليفتش من أين يأتي اليها الماء وكيف الحركة فيهما فقلعت فبطلت حركتهما وذلك سنة ٥٢٨ وقيل ان سبب فسادهما خان اليهودي لذي جلب حمام الاندلس كلها الى طليطلة في يوم واحد وذلك سنة ٥٢٧ وهو الذي أعلم الفنش ان ولده سيدخل قرطبة ويملكها فأراد أن يكشف حركة البيلتين فقال له أيها الملك أنا أفلعهما وأردهما أحسن مما كانتا وذلك أني أجعلهما تمتلئان بالنهار وتحسران في الليل فلما قلعت لم يقدر على ردها وقيل انه قلع واحدة ليسرق منها الصنعة فبطلت ولم تزل الاخرى تعطي حركتها والله أعلم بحقيقة الحال (وقال بعضهم) في اشبيلية انها قاعدة بلاد الاندلس وحاضرتها ومدينة الادب واللهو والطرب وهي على ضفة النهر الكبير عظيمة الشان طيبة المكان لها البر المديد والبحر

وسواد الحدق وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر وكثرة الضرب نال حالينوس وانما نال على الاسود الضرب لفساد مائه فصعف لذلك عقله وقد ذكر حالينوس في طب السودان وغلبة الفرح عليهم وما خص به الزنج دون سائر السودان في الاكثر من الطرب امورا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ولقد كان طاوس اليماني صاحب عبد الله بن عباس لا يأكل من ذبيحة الزنجي ويقول انه عبد مشوه الخلقة ويعلمنا أن أبا العباس الراضي بن المقتدر بالله كان لا يتناول شيأ من السودان ويقول انه عبد مشوه الخلقة فلست أدري اذلك طاوسا في مذهبه أم لضرب من الآراء والنحل وقد صنف عمرو بن بحر الجاحظ كتابا في فخر السودان ومناظرتهم مع البيضان والهند لا نملك الملك عليها حتى يبلغ من عمره أربعين سنة ولا تكاد ملوكهم تظهر لعوامهم الا في كل برهة من الزمان معلومة ويكون ظهورها في أمور الرعية لان في نظر العوام عند هذا الى ملوكهم خرقا لهيبتها واستخفافا بحقها والرياسات عند هؤلاء لا تجوز الا بالتخير ووضع الاشياء مواضعها من مراتب السياسة (قال المسعودي) ورأيت في بلاد سرنديب الساكن

الساكن والوادى العظيم وهى قريبة من البحر المحيط الى أن قال ولو لم يكن لها من الشرف الا موضع الشرف المقابل لها المطل عليها المشهور بالزيتون الكثير الممتد فراسخ فى فراسخ لكفى وبها منارة فى جامعها بناها يعقوب المنصور ليس فى بلاد الاسلام أعظم بناء منها وعسل الشرف يبقى حينا لا يترمل ولا يتبدل وكذلك الزيت والتين وقال ابن معلى ان اشبيلية عروس بلاد الاندلس لان تاجها الشرف وفى عنقها سمط النهر الاعظم وليس فى الارض أتم حسنا من هذا النهر يضاهى دجلة والفرات والنيل تسير القوارب فيه للنزهة والسير والصيد تحت ظلال الثمار وتزيد الاطيار أربعة وعشرين ميلا ويتعاطى الناس السرح من جانبيه عشرة فراسخ فى عمارة متصلة ومنارات مرتفعة وأبراج مشيدة وفيه من أنواع السمك مالا يحصى وبالجملة فهى قد حازت البر والبحر والزرع والضرع وكثرة الثمار من كل جنس وقصب السكر يجمع منها القرمز الذى هو أجل من اللك الهندى وزيتونها يخزن تحت الارض أكثر من ثلاثين سنة ثم يعتصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طرى انتهى ملخصا

*ولما ذكر ابن البسع الاندلس قال لا يتزود فيها أحد ماحيث سلك لكثرة أنهارها وعيونها وربما لقى المسافر فيها فى اليوم الواحد أربع مدائن ومن المعاقل والقرى مالا يحصى وهى بطاح خضر وقصور بيض قال ابن سعيد وأنا أقول كلاما فيه كفاية منذ خرجت من جزيرة الاندلس وطفت فى بر العدوة ورأيت مدنها العظيمة كمراكش وفاس وسلا وسبتة ثم طفت فى أفريقية وما حاورها من المغرب الاوسط فرأيت بجاية وتونس ثم دخلت لديار المصرية فرأيت الاسكندرية والقاهرة والفسطاط ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبا وما بينهما لم ار ما يشبه رونق الاندلس فى مياهها وأشجارها الا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام وفى حماة مسحة اندلسية ولم ار ما يشبهها فى حسن المبانى والتشييد والتنميق الا ماشيد بمراكش فى دولة بنى عبد المؤمن وبعض اماكن فى تونس وان كان الغالب على تونس البناء بالحجارة كالاسكندرية ولكن الاسكندرية افسح شوارع وابسط وابدع ومبانى حلب داخلة فيما يستحسن لانها من حجارة صلبة وفى وضعها وترتيبها اتقان انتهى ومن احسن ما جاء من النظم فى الاندلس قول ابن سفر المرينى والاحسان له عادة

فى أرض أندلس تلتذ نعماء * ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس فى غيرها بالعيش منتفع * ولا تقوم بحق الانس صهباء
وأين يعدل عن أرض تحض بها * على المدامة أمواه وأفياء
وكيف لا يبهج الابصار رؤيتها * وكل روض بها فى الوشى صنعاء
أنهارها فضة والمسك تربتها * والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق به * من لا يرق وتبدو منه أهواء
ليس النسيم الذى يهفو بها سحرا * ولا انتثار لآلى الطل أنداء
وانما أرج الند استثار بها * فى ماء ورد فطابت منه أرجاء
وأين يبلغ منها ما أصفه * وكيف يحوى الذى حازته احصاء
قد ميزت من جهات الارض حين بدت * فريدة وتولى ميزها الماء

لهذا المعنى وشعره ينجر على الارض وأمر أن يبدعا مكنسة تحثو التراب على رأسه وتنادى أيها الناس هذا ملككم بالامس قد صار فيكم حكمة وقد صار الى ما ترون من ترك الدنيا وقبض روحه ملك الموت والحى القديم الذى لا يموت فلا تغتروا بالحياة بعده وتقول كلاما هذا معناه من الترهيب والتزهيد فى هذا العالم ويطاف به شوارع المدينة ثم يفصل أربع قطع وقد هيئ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب فيحرق بالنار ويذر رماده فى الرياح وكذلك فعل أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم لغرض يذكرونه ونهج يتممونه فى المستقبل من الزمان والملك مقصور فى اهل بيت لا ينتقل عنهم الى غيرهم وكذلك بيت الوزارة والقضاة وسائر أهل المراتب لا تغير ولا تبدل والهند تمنع من شرب الشراب ويعنفون شاربه لا على طريق التدين ولكن تنزها أن يردوا على عقولهم ما يغشيها ويزيلها عما وضعت له فيهم وادا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شربه استحق الخلع عن ملكه اذ كان

وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا وأعظم ملوك الهند فى وقتنا هذا البلهزا صاحب مدينة المامليرو أكثر ملوك الهند تتوجه فى صلواتها نحوه وتصلى لرسله اذا وردوا عليهم وتلى مملكة البلهزا ممالك كثيرة للهند منهم ملوك فى الجبال لا بحر لهم مثل الراى صاحب القمسين وملك الطافى وغير ذلك من ملوكهم أعنى ملوك الهند ومنهم من يملكه بر وبحر فأما البلهزا فان بين ديار ملكه و بين البحر مسيرة ثمانين فرسخا سنديه والفرسخ ثمانية أميال وله جيوش وفيله لا يدرى كثرتها وأكثر جيوشه رجالة لان دار ملكه بين الجبال و يساويه من ملوك الهند من لا بحر له يزوره صاحب مدينة القنوج وهذا الاسم تفسيره الذى على الشمال والجنوب والصبا والدبور لانه فى كل وجه من هذه الوجوه يلقى ملكا محاذيا له وسنذكر جملا من أخبار ملوك السند والهند وغيرهم من ملوك الارض فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وغير ذلك وان كنا قد اسلفنا ذلك فيما تقدم من كتبنا والله تعالى أعلم الجمهور

دارت عليها نطافا أبحر خفقت * وجدابها اذ تبدت وهى حسناء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب * والطير يشدو وللاغصان اصغاء
فيها خلعت عذارى ما بها عوض * فهى الرياض وكل الارض صحراء

ولله در ابن خفاجة حيث يقول

ان للجنة بالاندلس * مجتلى مرأى و ريا نفس
فسنى صبحتها من شنب * ودجى ظلمتها من لعس
فاذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقى الى الاندلس

وقد تقدمت هذه الابيات قال ابن سعيد قال ابن خفاجة هذه الابيات وهو بالمغرب الاقصى فى مرآ العدوة ومنزله فى شرق الاندلس بجزيرة شقر وقال ابن سعيد فى المغرب ما نصه قواعد من كتاب الشهب الراقية فى الانصاف بين المشارقة والمغاربة اول ما نقدم الكلام على قاعدة السلطنة بالاندلس فنقول انها مع ما بأيدى عباد الصليب منها أعظم سلطنة كثرت ممالكها وتشعبت فى وجوه الاستظهار للاطان اعانتها وندع كلامنا فى هذا الشأن وننقل ما قاله ابن حوقل النصيبى فى كتابه لما دخلها فى مدة خلافة بنى مروان بها فى المائة الرابعة وذلك انه لما وصفها قال وأما جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة طولها دون الشهر فى عرض نيف وعشرين مرحلة تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة فى الاحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر الى أسباب التملك الفاشية فيها ولما هى به من أسباب رغد العيش وسعته وكثرته يملك ذلك منهم مهينهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤنتهم وصلاح معاشهم و بلادهم ثم أخذ فى عظم سلطانها ووصف وفور جباياته وعظم مرافقه وقال فى اثناء ذلك ومما يدل بالقليل منه على كثيره ان سكة دار ضربه على الدراهم والدنانير دخلها فى كل سنة مائتا ألف دينار وصرف الدينار سبعة عشر درهما هذا الى صدقات البلد وجباياته وخراجاته وأعشاره وضماناته والاموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة وغير ذلك وذكر ابن بشكوال ان جباية الاندلس بلغت فى مدة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألفا من السوق والمستغلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار ثم قال ابن حوقل ومن أعجب ما فى هذه الجزيرة بقاؤها على من هى فى يده مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم و بعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الانجاد والابطال مع علم أمير المؤمنين بحملها فى نفسها ومقدار جبايانها ومواقع نعمها ولذاتها قال على بن سعيد مكمل هذا الكتاب لم أر بدا من اثبات هذا الفصل وان كان على أهل بلدى فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ولسان الحال فى الرد أنطق من لسان البلاغة وليت شعرى اذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء والهمم والشجاعة فمن الذين دبروها بآرائهم وعقولهم مع مراصدة أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ومن الذين حموها بسالتهم من الامم المتصلة بهم فى داخلها وخارجها نحو ثلاثة أشهر على كلمة واحدة فى نصرة الصليب وانى لاعجب منه اذ كان فى زمان قد دلفت فيه عباد الصليب الى الشام والجزيرة وعاثوا كل العيث فى بلاد الاسلام حيث

الجمهور والقبة العظمى حتى انهم دخلوا مدينة حلب وما أدراك وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة الى غير ذلك مما هو مسطور فى كتب التواريخ ومن أعظم ذلك وأشده انهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الاسلام التى يتمكنون بها من بسائط بلادهم فيسبون ويأسرون فلا تجتمع هممهم الملوك الخاورة على حسم الداء فى ذلك وقد يستعين به بعضهم على بعض فيتمكن من ذلك الداء الذى لا يطب وقد كانت جزيرة الاندلس فى ذلك الزمان بالعدد من البلاد التى ترك وراءظهره وذلك موجود فى تاريخ ابن حيان وغيره وانما كانت الفتنة بعد ذلك الاعلام بينة والطريق واضح فلنرجع الى ما نحن بسبيله كانت سلطنة الاندلس فى صدر الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها من سلاطين أفريقية واختلاف الولاة داعى الى الاضطراب وعدم تأثل الاحوال ونزعة الفخامة فى الدولة ولما صارت الاندلس لبنى أمية وتوارثوا تمالكها وانقاد اليهم كل أبى فيها وأطاعهم كل عصى عظمت الدولة بالاندلس وكبرت الهمم ونرتبت الاحوال وترتبت القواعد وكانوا صدرا من دولتهم يخطبون لانفسهم بأبناء الخلائف ثم خطبوا لانفسهم بالخلافة وملكوا من بر العدوة ما ضخمت به دولتهم وكانت قواعدهم اظهار الهيبة وتمكن الناموس من قلوب العالم ومراعاة أحوال الشرع فى كل الامور وتعظيم العلماء والعمل بأقوالهم واحضارهم فى مجالسهم واستشارتهم ولهم حكايات فى تاريخ ابن حيان منها ما هو مذكور من توجه الحكم على خليفتهم أو على ابنه أو أحد حاشيته المختصين وانهم كانوا فى نهاية من الانقياد الى الحق لهم أو عليهم وبذلك انضبط لهم أمر الجزيرة ولما خرقوا هذا الناموس كان اول ما تهتك أمرهم ثم اضمحل وكانت ألقاب الاول منهم الامراء أبناء الخلائف ثم الخلفاء أمراء المؤمنين الى أن وقعت الفتنة بحسد بعضهم لبعض وابتغاء الخلافة من غير وجهها الذى رتبت عليه فاستبدت ملوك الممالك الاندلسية ببلادها وسموا بملوك الطوائف وكان فيهم من خطب للخلفاء المروانيين وان لم يبق لهم خلافة ومنهم من خطب للخلفاء العباسيين المجمع على امامتهم وصار ملوك الطوائف يتباهون فى أحوال الملك حتى فى الالقاب فآل أمرهم الى أن تلقبوا بنعوت الخلفاء وترفعوا الى طبقات السلطنة العظمى وذلك بما فى جزيرتهم من أسباب الترفه والفخامة التى تنوزع على ملوك شتى فتكفيهم وتنهض بهم للمباهاة ولاجل توثبهم على النعوت العباسية قال ابن رشيق القيروانى

مما يزهدنى فى أرض اندلس * تلقيب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صولة الاسد

وكان عباد بن محمد بن عباد قد تلقب بالمعتضد واقتفى سيرة المعتضد العباسى أمير المؤمنين وتلقب ابنه محمد بن عباد بالمعتمد وكانت لبنى عباد مملكة اشبيلية ثم انضاف اليها غيرها وكان خلفاء بنى أمية يظهرون للناس فى الاحيان على أبهة الخلافة وقانون لهم فى ذلك معروف الى أن كانت الفتنة فازدرت العيون ذلك الناموس واستخفت به وقد كان بنو حمود من ولد ادريس العلوى الذين توثبوا على الخلافة فى أثناء الدولة المروانية بالاندلس يتعاظمون و يأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بنى العباس وكانوا اذا حضرهم منشد لمدح أو من

قسمت الحكماء الارض الى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب وقسموا ذلك الى قسمين مسكون وغير مسكون وعامر وغير عامر وذكروا ان الارض مستديرة ومركزها فى وسط الفلك والهواء محيط بها من كل الجهات وانها عند ذلك البروج بمنزلة النقطة وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات فى بحر أوقيانوس الغربى وهى ستة اجزاء عامرة الى اقصى عمران الصين فوجدوا ذلك اثنى عشر فعلموا ان الشمس اذا غابت فى اقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التى فى بحر أوقيانوس الغربى واذا غابت فى هذه الجزائر كان طلوعها فى اقصى الصين وذلك نصف دائرة الارض وهو طول العمران الذى ذكروا انهم وقفوا عليه ومقداره من الاميال ثلاثة عشر ألف ميل وخمسمائة ميل من الاميال التى عملوا عليها فى مساحة دور الارض ثم نظروا الى العرض فوجدوا العمران مما وضع خط الاستواء عليه من الارض الى ناحية الشمال تنتهى الى جزيرة تولى التى فى برطانية حيث يكون طول النهار الاطول عشرين ساعة وذكروا أن موضع خط الاستواء من الارض يقطع فيما بين

يحتاج الى الكلام بين أيديهم يتكلم من وراء حجاب والحاجب واقف عند الستر يجاوب عما يقول له الخليفة ولما حضر ابن مقانا الاشبونى أمام حاجب ادريس بن يحيى الحمودى الذى خطب له بالخلافة فى مائقة وأنشده قصيدته المشهورة النونية التى منها قوله

وكأن الشمس لما أشرقت * فانثنت عنها عيون الناظرين

وجه ادريس بن يحيى بن على بن حمود أمير المؤمنين

وبلغ فيها الى قوله

انظروا نقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين

رفع الخليفة الستر بنفسه وقال انظر كيف شئت وانبسط مع الشاعر وأحسن اليه ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة وكثير من العامة ويظهرون مداراة الجند وعوام البلاد وكان أكثرهم يحاضر العلماء والادباء ويحب أن يظهر عنه ذلك عند مباديه فى الرياسة ومذ وقعت الفتنة بالاندلس اعتاد أهل الممالك المتفرقة الاستبداد عن امام الجماعة وصار فى كل جهة مملكة مستقلة يتوارث أعيانها الرياسة كما يتوارث ملوكها الملك ومرنوا على ذلك فصعب ضبطهم الى نظام واحد وتمكن العدو منهم بالتفرق وعداوة بعضهم لبعض بقبيح المنافسة والطمع الى أن انقادوا الى عبد المؤمن وبنيه وتلك القواعد فى رؤسهم كامنة والثوار فى المعاقل تثور وتروم الكرة الى أن ثار ابن هود وتلقب بالمتوكل ووجد القلوب منحرفة عن دولة بنى العدوة مهيأة للاستبداد فملكها بأيسر محاولة مع الجهل المفرط وضعف الرأى وكان مع العامة كأنه صاحب شعوذة يمشى فى الاسواق ويضحك فى وجوههم ويبادرهم بالسؤال وجاء للناس منه مالم يعتادوه من سلطان فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامتهم العمياء وكان كما قيل

أمور يضحك السفهاء منها * ويبكى من عواقبها الحليم

فآل ذلك الى تلف القواعد العظيمة وملك الامصار الجليلة وخروجها من يد الاسلام والضابط فيما يقال فى شأن أهل الاندلس فى السلطان أنهم ان أداو جدوا فارسا يبرع الفرسان او جوادا يبرع الاجواد تهافتوا فى نصرته ونصبوه ملكا من غير تدبير فى عاقبة الامر الا ما يؤول وبعد أن يكون الملك فى مملكة فدتو ورثت وندو ولت ويكون فى تلك المملكة قائد من قوادها قد شهرت عنه وقائع فى العدو وظهر منه كرم نفس للاجناد ومراعاة ذمموه ملكا فى حصن من الحصون ورفضوا عيالهم وأولادهم ان كان لهم ذلك بكرسى الملك ولم يزالوا فى جهاد وتلاف أنفس حتى يظفر صاحبهم بطلبته وأهل المشرق أصوب رأيا منهم فى مراعاة نظام الملك والمحافظة على نصابه لئلا يدخل الخلل الذى يقضى باختلال القواعد وفساد التربية وحلول الاوضاع ونحن نمثل فى ذلك بما شاهدناه لما كانت هذه الفتنة الاخيرة بالاندلس تمخضت عن رجل من حصن يقال له أرجونة ويعرف الرجل بابن الاحمر كان يكثر مغاورة العدو من حصنه وظهرت له مخايل وشواهد على الشجاعة الى أن طار اسمه فى الاندلس وآل ذلك الى أن قدمه أهل حصنه على أنفسهم ثم نهض فملك قرطبة العظمى وملك اشبيلية وقتل ملكها الباجى وملك جيان أحسن بلد بالاندلس وأجله قدرا

بين الجزائر العامرة واقصى عمران الصين وهو قبة الارض المعروفة بماذكرنا ويكون العرض من خط الاستواء الى جزيرة نولى قريبا من ستين جزأ وذلك سدس دائرة الارض واذا ضرب هذا السدس الذى هو مقدار العرض فى النصف الذى هو مقدار الطول كان مقدار ما ظهر من العمران من ناحية الشمال مقدار نصف سدس دائرة القمر وأما الاقاليم السبعة فاولها أرض بابل تنسه خراسان وفارس والاهواز والموصل وأرض الجبال له من البروج الحمل والقوس ومن الانجم السبعة المشترى والاقليم الثانى الهند والسند والسودان له من البروج الجدى ومن الانجم السبعة زحل والاقليم الثالث مكة والمدينة واليمن والطائف والحجاز وما بينها له من البروج العقرب ومن الانجم السبعة الزهرة وهى سعد الفلك والاقليم الرابع مصر وأفريقية والبربر والاندلس وما بينها له من البروج الجوزاء ومن الانجم السبعة عطارد والاقليم الخامس الشام والروم والجزيرة له من البروج الدلو ومن الانجم السبعة القمر والاقليم السادس الترك والخزر والديلم والصقالبة

في الامتناع وملك غرناطة وما لقيه وسموه بامير المسلمين وهو الآن المشار اليه بالاندلس والمعتمد عليه * وأما قاعدة الوزارة بالاندلس فانها كانت في مدة بني أمية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للاعانة والمشاورة ويخصهم بانجالسة ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب وكانت هذه المراتب لضبطها عندهم كالتوارثة في البيوت المعلومة لذلك الى أن كانت ملوك الطوائف فكان الملك منهم لعظم اسم الحاجب في الدولة المروانية وأنه كان نائبا عن خليفتهم يسمي بالحاجب ويرى أن هذه السمة أعظم ما تنوفس فيه وظفر به وهي موجودة في أمداح شعرائهم وتواريخهم وصار اسم الوزارة عاما لكل من يجالس الملوك ويحتص بهم وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بدى الوزارتين وأكثر ما يكون فاضلا في علم الادب وقد لا يكون كذلك بل عالما بأمور الملك خاصة * وأما الكتابة فهي على ضربين أعلاهما كاتب الرسائل والحافظ للقلوب والعيون عند أهل الاندلس وأشرف أسماء الكاتب بهذه السمة بخصه من يعتمه في رسالة وأهل الاندلس اكثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن عثراته لخفة فان كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الالسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه والكاتب الآخر كاتب الرمام هكذا يعرفون كاتب الجهبذة ولا يكون بالاندلس ويرا العدوة لا نصرانيا ولا يهوديا البتة اذ هذا الشغل نبيه يحتاج الى صاحبه عظماء الناس ووجوههم وصاحب الاشغال الخراجية في الاندلس أعظم من الوزير واكثر أتباعا وأصحابا واجدى منفعة فاليه تميل الاعناق ونحوه تمد الاكف والاعمال مضبوطة بالشهود والنظار ومع هذا ان تأملت حاله واعتبر بكثرة البناء والاكتساب تكسب وصدور وهذا راجع الى تقلب الاحوال وكيفية السلطان * وأما خطة القضاء بالاندلس فهي اعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بامور الدين وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي هذا وصفها في زمان بني أمية ومن سلك مسلكهم ولاسبيل أن يتسم بهذه السمة الا من هو وال للحكم الشرعي في مدينة جليلة وان كانت صغيرة فلا يطلق على حاكمها الا مسدد خاصة وقاضي القضاة يقال له قاضي القضاة وقاضي الجماعة * وأما خطة الشرطة بالاندلس فانها مضبوطة الى الآن معروفة بهذه السمة ويعرف صاحبها في ألسن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل واذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له التنزل لمن وجب عليه دون استئذان السلطان وذلك قليل ولا يكون الا في حضرة السلطان الاعظم وهو الذي يحد على الزنا وشرب الخمر وكثير من الامور الشرعية راجع اليه فقد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضي وكانت خطة القاضي او قروانتي عندهم من ذلك * واما خطة الاحتساب فانها عندهم موضوعة في اهل العلم والفطن وكأن صاحبها قاض والعادة فيه ان يمشي بنفسه راكبا على الاسواق واعوانه معه وميزانه الذي يزن به الخبز في يد احد الاعوان لان الخبز عندهم معلوم الاوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم وكذلك للثمن وفي ذلك من المصلحة ان يرسل المبتاع الصبي الصغير او الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق في معرفة الاوزان

الانجم السبعة الشمس ذكر نحس المنجم صاحب كتاب الزيج في النجوم من خالد بن عبد الله المروزي وغيره وقد كانوا رصدوا الشمس لامير المؤمنين المأمون في برية سنجار من بلاد ديار ربيعة ان مقدار درجة واحدة من وجه الارض ستة وخمسون ميلا بصري بواقع مدار درجة واحدة في ثلثمائة وستين درجة دور منطقة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر عشرين ألف ميل وستمائة وستين ميلا ثم قسموا دور الارض في سبعة فاجتمع مائة ألف ميل وأحد واربعون ألف ميل ومائة وعشرون ميلا فسموا ذلك على اثنين وعشرين وخرج القسم الذي هو مقدار قطر الارض ستة آلاف واربعمائة واربعة عشر ميلا ونصف عشر بالتقريب ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف ميل ومائتا ميل وسبعة اميال وست عشرة دقيقة وثلثا ثانية يكون ربع ميل وربع عشر ميل والميل أربع آلاف ذراع بالاسود وهي الذراع التي وضعها امير المؤمنين المأمون للثياب ومساحة البناء

وقسمة المنازل والذراع مائة وعشرون أصبعا (قال المسعودي) وقد ذكر بطليموس في الكتاب المعروف بجغرافيا

وكذلك اللحم يكرن عليه ورقة بسعره ولا يحسر الجزار ان يبيع باكثر ودون ما حدله المحتسب الا ورقة ولا يكاد تخفى خيانته فان المحتسب يدس عليه صبيا او جارية يبتاع احدهما منه ثم يختبر الوزن المحتسب فان وجد نقصا قاس على ذلك حاله مع الناس فلا تسأل عما يجني وان كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس في الاسواق نفي من البلد ولهم في اوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه لانها عندهم تدخل في جميع المناعات وتتفرع الى ما يطول ذكره * واما خطة الطواف بالليل وما يقابل من المغرب أصحاب ارباع في المشرق فانهم يعرفون في الاندلس بالدرابين لان بلاد الاندلس لها دروب باغلاق تغلق بعد العتمة ولكل زقاق بائت فيه لسراج معلق وكلب يسهر وسلاح معد وذلك لشدة عامتها وكثرة شرهها واعيائهم في أمور التلصص الى ان يظهروا على البنى المشيدة ويفتحوا الاغلاق الصعبة ويقتلوا صاحب الدار خوف ان يقر عليهم أو يطالبهم بعد ذلك ولا تكاد في الاندلس تخلو من سماع دار فلان دخلت البارحة وفلان ذبحه اللصوص على فراشه وهذا يرجع التكثير منه والتقليل الى شدة الوالي ولينه ومع افراطه في الشدة وكون سيفه يقطر دما فان ذلك لا يعدم وقد آل الحال عندهم الى ان قتلوا على عنقود سرقه شخص من كرم وما اشبه ذلك ولم ينته اللصوص * واما قواعد أهل الاندلس في ديانتهم فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر الى السلاطين ولكن الاغلب عندهم اقامة الحدود وانكار التهاون بتعطيلها وقيام العامة في ذلك وانكاره ان تهاون فيه أصحاب السلطان وقد يملي السلطان في شيء من ذلك ولا ينكره فيدخلون عليه قصره المشيد ولا يعبؤن بخيله ورجله حتى يخرجوه من بلدهم وهذا كثير في اخبارهم وأما الرجم بالحجر للقضاة والولاة للاعمال اذا لم يعدلوا فكل يوم * وأما طريقة القراء على مذهب اهل الشرق في الدورة التي تكمل عن الكد وتخرج الوجوه للطلب في الاسواق مستقبحة عندهم الى النهاية واذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه فضلا عن ان يتصدقوا عليه فلا تجد بالاندلس سائلا الا ان يكون صاحب عذر * واما حال اهل الاندلس في فنون العلوم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم احرص الناس على التميز فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ويرى بنفسه ان له فراغا عالة على الناس لان هذا عندهم في نهاية القبح والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار اليه ويحال عليه وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك ومع هذا فليس لاهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤن جميع العلوم في المساجد بأجرة فهم يقرؤن لأن يعلموا الا لأن يأخذوا جارا فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه ويتفرغ من عنده حتى يعلم وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظا عظيما عند خواصهم ولا يتظاهر بها خوف العامة فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم اطلقت عليه العامة اسم زنديق وقيدت عليه انفاسه فان زل في شبهة رجموه بالحجارة او حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان أو يقتله السلطان تقربا الى قلوب العامة وكثيرا ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشان اذا وجدت

العمرفون عددها أربعة آلاف وخمسمائة وثلاثون مدينة في عصره وسماها مدينة مدينة في اسم اقليم وذكر في هذا كله الوان جبال الدنيا من الحمر والصفر والخضر وغير ذلك من الالوان وان عددها مائتا جبل ونيف وذكر مقاديرها وما فيها من المعادن والجواهر وذكر الفيلسوف هذا ان عدد البحار المحيطة بالارض خمسة البحر وذكر فيها من الجزائر والعامر منها وغير العامر وما اشتهر من الجزائر دون ما لم يشتهر وذكر ان في البحر الحبشي جزائر متصلة نحو من ألف جزيرة يقال لها الدمجات عامرة كلها وذكر بطليموس في جغرافيا ان ابتداء بحر مصر من الروم الى بحر الاصنام النحاس وان جميع العيون الكبار التي تنبع من الارض مائتا عين وثلاثون عينا دون ما عداها من الصغار وان عدد الانهار الكبار الجارية في الاقاليم سبعة على حسب ما قدمناه في عدة الاقاليم وكل اقليم سبعة تسعماته فرسخ في مثلها وفي البحار ما هو معمور بالحيوان ومنها ما ليس بمعمور وهو أوقيانوس البحر المحيط وسنأتي فيما يرد من هذا الكتاب على ذكر جمل في تفصيل وبذلك

وبذلك تقرب المنصور بن أبى عامر لفلوبهم اول نهوضه وان كان غير حال من الاشتغال بذلك فى الباطن على ماذكره الحجارى والله اعلم وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة وللفقه رونق ووجاهة ولا مذهب لهم الا مذهب مالك وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم وهى لهمم فى العلوم وسمة الفقيه عندهم جليلة حتى ان المسلمين كانوا يسمون الامير العظيم منهم الذى يريدون تنويهه بالفقيه وهى الآن بالمغرب بمنزلة القاضى بالمشرق وقد يقولون للكاتب والنحوى واللغوى فقيه لانها عندهم ارفع السمات * وعلم الاصول عندهم متوسط الحال والنحو عندهم فى نهاية من علو الطبقة حتى انهم فى هذا العصر فيه كأصحاب عسر الحليل وسيبويه لابرد امع هرم ابرد ان الاحدة وهم كثير والبحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه وكل عالم فى أى علم لا يكون متمكنا من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء مع ان كلام اهل الاندلس الشائع فى الخواص العوام كثير الانحراف عما تقتضيه اوضاع العربية حتى لو ان شخصا من العرب سمع كلام الشلوبينى او على المشار اليه بعلم النحوى عصرنا الذى غربت تصانيفه وشرقت وهو يقرئ درسه لضحك بل فيه من ثلمة التحريف الذى فى لسانه والخاص منهم اذا تكلم بالاعراب واخذ يجرى على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ولكن ذلك مراعى عندهم فى القراءات والمخاطبات فى الرسائل وعلم الادب المشهور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أجل علم عندهم وبه يتقرب من مجالس ملوكهم واعلامهم ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستثقل * والشعر عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم خط ووظائف والمحدون منهم ينشدون فى مجالس عظماء ملوكهم المختلفة ويوقع لهم بالصلات على اقدارهم الآن بمثل الوقت ويغلب الجهل فى حين ما ولكن هذا الغالب واذا كان الشخص بالاندلس نحويا او شاعرا فانه يعظم فى نفسه لامحالة ويستخف ويظهر العجب عادة قد جبلوا عليها * واما رى اهل الاندلس فالغالب عليهم ترك العمائم لاسيما فى شرق الاندلس فان اهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا اليه الا وهو بعمامة وقد نسامحوا بشرفها فى ذلك ولقد رأيت عزيز بن خطاب اكبر عالم بمرسية حضرة السلطان فى ذلك الاوان واليه الاشارة وقد خطب له بالملك فى تلك الجهة وهو حاسر الرأس وشيبه قد غلب على سواد شعره واما الاجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمة فى شرق منها أو فى غرب وابن هود الذى ملك الاندلس فى عصرنا رأيته فى جميع احواله ببلاد الاندلس وهو دون عمامة وكذلك ابن الاحمر الذى معظم الاندلس الآن فى يده وكثير امما ينزيا سلاطينهم واجنادهم برى النصارى المجاورين لهم فسلاحهم كسلاحهم واهيئتهم من الشرلاط وغيره كاهيئتهم وكذلك اعلامهم وسروجهم * ومحاربهم بالتراس والرماح الطويلة للطعن ولا يعرفون الدبابيس ولا قسى العرب بل يعدون قسى الافرنج للحاصرا فى البلاد او تكون للرجالة عند المصافة للحرب وكثيرا ما تصبر الخيل عليهم أو تمهلهم لان يؤثروها ولا تجد فى خواص الاندلس واكثر عوامهم من يمشى دون طيلسان الا ان يدفعه على رأسه منهم الا الاشياخ

على صورة الطيلسان ومنها ما هو على صورة الشابورة ومنها مصرا الى الشكل ومنها مدورة ومنها مثلث الا أن أسماءها فى هذا الكتاب باليونانية متعذر فهمها وان قطر الارض الفا ومائة فرسخ تقدير كل فرسخ ستة عشر الف ذراع والذى محيطه باسهل دائرة النجوم هو فلك القمر فانه ألف فرسخ وخمسة وعشرون ألفا وثمانمائة وستون فرسخا وان قطر الارض من حد راس الجبل الى المكان أربعون ألف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ ويقدر هذه الافلاك تسعة فاولها وهو اصغرها واقربها الى الارض للقمر والثانى لعطارد والثالث للزهرة والرابع للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشترى والسابع لزحل والثامن للكواكب الثابتة والتاسع للبروج وهيئة هذه الافلاك هيئة الاكر بعضها فى جوف بعض فذلك البروج يسمى فلك الكل وبه يكون الليل والنهار لانه يدير الشمس والقمر وسائر الكواكب من المشرق الى المغرب فى كل يوم وليلة دورة واحدة على قطبين ثابتين احدهما مما يلى الشمال وهو قطب بنات نعش والآخر مما يلى الجنوب وهو قطب سهيل وليس للبروج

المعضلون وعلى أثر الصوف كثيرا ما يلبسونها حمرا وخضرا والاصفر مخصوصة باليهود ولا سبيل ليهودي ان يتعمم البتة والذؤابة لا يرخيها الا العالم ولا يصرفونها بين الاكتاف انما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى وهذه الاوضاع التي بالمشرق في العمائم لا يعرفها أهل الاندلس وان رأوا في رأس مشرقي داخل الى بلادهم شكلا منها أظهروا التعجب والاستظراف ولا يأخذون أنفسهم بتعلمها لانهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم وكذلك في تفصيل الثياب * وأهل الاندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم وفيهم من لا يكون عنده الا ما يقوته يومه فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها * وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال فلذلك قد ينسبون للبخل وهم مروآت على عادة بلادهم لو فطن لها حاتم لفضل دفائنها على عظائمه ولقد اجتزت مع والدي على قرية من قراها وقد نال منا البرد والمطر أشد النيل فأوينا اليها وكنا على حال ترقب من السلطان وخلو من الرفاهية فنزلنا في بيت شيخ من أهلها من غير معرفة متقدمة فقال لنا ان كان عندكم ما أشتري لكم فخما تستحنون به فاني أمضي في حوائجكم وأجعل عيالي يقومون بشأنكم فأعطيناه ما اشترى به فخما فأضرم نارا لجاء ابن له صغير ليصطلي فضربه فقال له والدي لم ضربته فقال تعلم استغنام أموال الناس والفجر للبرد من الصغر ثم لما جاء النوم قال لابنه أعط هذا الشاب كساءك الغليظة يزيدها على ثيابه فدفع كساءه الى ثم لما هنا عند الصباح وجدت الصبي منتبها ويده في الكساء فقلت ذلك لوالدي فقال هذه مروآت أهل الاندلس وهذا احتياطهم أعطاك الكساء وفضلك على نفسه ثم أفكر في أنك غريب لا يعرف هل أنت لصة أو لص فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه خوفا من انفصالك بها وهو نائم وعلى هذا الشيء الحقير فقس الشيء الجليل انتهى كلام ابن سعيد في المغرب باختصار يسير ولله دره فانه أبدع في هذا الكتاب ما شاء وقسمه الى أقسام منها كتاب وشي الطرس في حلى جزيرة الاندلس وهو ينقسم الى أربعة كتب الكتاب الاول كتاب حلى العرس في حلى غرب الاندلس الكتاب الثاني كتاب الشفاة اللعس في حلى موسطة الاندلس الكتاب الثالث كتاب الانس في حلى شرق الاندلس الكتاب الرابع كتاب لحظات المريب في ذكر ما حماه من الاندلس عباد الصليب والقسم الثاني كتاب الالحان المسلية في حلى جزيرة صقلية وهو أيضا ذو أنواع والقسم الثالث كتاب الغاية الاخيرة في حلى الارض الكبيرة وهو أيضا ذو أقسام وصور رحمه الله تعالى أجزاء الاندلس في كتاب وشي الطرس وقال أيضا ان كلا من شرق الاندلس وغربها ووسطها يقرب في قدر المساحة بعضه من بعض وليس فيها جزء يجاوز طوله عشرة أيام ليصدق التثليث في القسمة وهذا دون ما بقي بأيدي النصارى وقدم رحمه الله كتاب حلى العرس في حلى غرب الاندلس لكون قرطبة قطب الخلافة المروانية واشبيلية التي ما في الاندلس أجل منها فيه وقسمه الى سبعة كتب كل كتاب منها يحتوي على مملكة منحازة عن الاخرى الكتاب الاول كتاب الحلة المذهبة في حلى مملكة قرطبة الكتاب الثاني كتاب

تكون الفروج تضيق من ناحية التضيين وتتسع وسط الكرة وأحط اتساع للكرة نصفين واحد وان سمي دائرة معدل النهار لان الشمس اذا صارت عليها استوى الليل والنهار في جميع البلدان فما كان من الفلك آخذا من الجنوب الى الشمال يسمى العرض وما كان آخذا من المشرق الى المغرب يسمى الطول والافلاك مستديرة محيطة بالعالم وهي تدور على مركز الارض والارض في وسطها مثل النقطة في وسط الدائرة وهي تسعة أفلاك فأقربها من الارض فلك القمر وفوقه فلك عطارد وفوق ذلك فلك الزهرة ثم فلك الشمس والشمس متوسطة الافلاك السبعة وفوقها فلك المريخ وفوقه فلك المشتري وفوق ذلك فلك زحل وفي كل فلك من هذه الافلاك السبعة كوكب واحد فقط وفوق فلك زحل الفلك الثامن والفلك التاسع وهو أرفع وأعظم جسما وهو الفلك الاعظم محيط بالافلاك التي دونه مما سمينا وبالطبائع الاربع وبجميع الخليقة وليس فيه كوكب ودوره من المشرق الى المغرب في كل يوم دورة واحدة تامة ويدير بدورانه ما تحته من الافلاك المتقدم وصفها وأما الافلاك السبعة التي الذهبية

قدمنا ذكرها فانها تدور من المغرب الى المشرق وللاوائل فيما ذكرنا حجج يطول الخطب بذكرها والكواكب المرئية التي نشاهدها وسائر الكواكب في الفلك الثامن وهو يدور على قطبين غير قطبي الفلك الاعظم المتقدم ذكره وزعموا ان الدليل على ان حركة فلك البروج غير حركة الافلاك هو ان البروج الاثني عشر يتلو بعضها بعضا في مسيرها ولا تتنقل عن اماكنها ولا تتغير حركتها في طلوعها وغروبها وان الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ولها تفاوت في حركتها فربما اسرع الكوكب في حركته ومسيره وربما أخذ في الجنوب وربما أخذ في الشمال وحد الفلك عندهم انه نهاية لما تصير اليه الطبائع علوا وسفلا وحده من جهة الطبائع انه شكل مستدير وهو اوسع الاشكال كلها واما مقادير حركة هذه الكواكب في افلاكها فمقام القمر في كل برج يومان ونصف ويقطع الفلك في شهر ومقام الشمس في كل برج شهر ومقام عطارد في كل برج خمسة عشر يوما ومقام المريخ في كل برج خمسة واربعون يوما ومقام المشتري في كل برج سنة ومقام زحل في كل برج ثلاثون شهرا زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطي ان استدارة الارض كلها جبالها وبحارها اربعة

الذهبية الاصبانية في حلى المملكة الاشبيلية الكتاب الثالث كتاب خدع الممالقة في حلى مملكة مالقة الكتاب الرابع كتاب الفردوس في حلى مملكة بطليوس الكتاب الخامس كتاب الخلب في حلى مملكة شلب الكتاب السادس كتاب الدياجة في حلى مملكة باجة الكتاب السابع كتاب الرياض المصوبة في حلى مملكة أشبونة وتذكر رحمه الله تعالى في كل قسم ما يليق به وصور أجزاءه على ما ينبغي فالله تعالى يجازيه خيرا والكلام في الاندلس طويل عريض * وقال بعض المؤرخين طول الاندلس ثلاثون يوما وعرضها تسعة أيام ويشقها أربعون نهرا كبارا وبها من العيون والحمامات والمعادن ما لا يحصى وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار وأزيد من ثلثمائة من المتوسطة وفيها من الحصون والقرى البروج ما لا يحصى كثرة حتى قيل ان عدد القرى التي على نهر اشبيلية اثنا عشر ألف قرية وليس في معمور الارض صقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأربعا من يومه الا الاندلس ومن بركتها أن المسافر لا يسافر فيها فرسخين دون ماء أصلا وحيثما سار من الاقطار يجد الحوانيت في الفلوات والصحاري والاودية ورؤس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من صروب الاطعمة * وذكر صاحب الجغرافيا ان جزيرة الاندلس مسيرة أربعين يوما طولا في ثمانية عشر يوما عرضا وهو مخالف لما سبق * وقال ابن سيده أخذت الاندلس في عرض الاقليمين الخامس والسادس من البحر الشامي في الجنوب الى البحر المحيط في الشمال وبها من الجبال سبعة وثمانون جبلا انتهى ولبعضهم

لله اندلس وما جمعت بها * من كل ما ضمت لها الاهواء
فكأنما تلك الديار كواكب * وكأنما تلك البقاع سماء
وبكل قطر جدول في جنة * واعت به الاقياء والانداء

وقال غيره

في أرض اندلس تلمح بعماء * ولا يفارق فيها القلب مراء
وليس في غيرها بالعيش متمتع * ولا تقوم بحق الانس صهباء
واين يعدل عن ارض يخص بها * على الشهادة ازواج وابناء
واين يعدل عن أرض تحث بها * على المداناة تاموا وأقياء
وكيف لا تبهج الابصار رؤيتها * وكل ارض بها في الوشي صنعاء
انهارها فضة والمسك تربتها * والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق به * من لا يرق ويبدو منه أهواء
ليس النسيم الذي يهفو بها سحرا * ولا انتشار لآل المسك أنداء
وانما ارج النداستثار بها * في ماء ورد فطابت منه ارجاء
واين يبلغ منها ما اصفه * وكيف يحوي الذي حازته احصاء
قد مزقت من جهات الارض ثم بدت * فريدة وتولى ميزها الماء
دارت عليها نطاقا البحر خفتت * وجدا بها اذ بدت وهي حسناء
لذا ك يبسم فيها الزهر من طرب * والغير يشدو وللاغصان اصغاء

١٤ ط ل

عشرون الف ميل وان عرضها وهو عمقها تسعة آلاف وستمائة وستة وثلاثون ميلا وانهم انما استدركوا

فيها جلعت ... ى ماؤها عوض * فهى ارياض وكل الارض صحراء

وقد تقدمت هذه القصيدة قال آخر

حمدا لله ... من بلد * لم تزل تنتابها كل سرور

طائر شاد وظل وارف * ومياه ساجحات وقصور

وقال آخر

ياحسن اندلس وما جمعت لنا * فيها من الاوطار والاوطان

تلك الجزيرة لست أنسى حسنها * بتعاقب الاحيان والازمان

نسيم از بيع نباتها من سندس * موشية ببدائع الالوان

وغدا النسيم بها عليلا هائما * بربوعها وتلاطم البحران

ياحسنها والظل ينثر وقها * درر اخلال الورد والريحان

وسواعد الانهار قد مدت الى * ندمائها بشقائق النعمان

وتجاوبت فيها شوادى طيرها * والتفت الاغصان بالاغصان

مازرتها الا وحيانى بها * حدق البهار وأغل السوسان

من بعدها ما أعجبتنى بلدة * مع ما حللت به من البلدان

وحكى بعضهم أن بالجامع من مدينة اشبيلية بلاطا فيه جوائز منشورة مع بعضه مستوية الاطراف طول الجائزة منها مائة شبر واحد عشر شبرا * وفى الاندلس جبل من شرب من مائه كثر عليه الاحتلام من غير ارادة ولا تفكر وفيها غير ذلك مما يطول ذكره والله اعلم ولنمسك العنان فى هذا الباب فان بحرا اندلس طويل مديد وربما كررنا الكلام لارتباط بعضه ببعض أو لنقل ذاهبه الروى عنه او لاختلاف ما أو غير ذلك من غرض سديد

* (الباب الثانى) *

فى ابتداء الاندلس للمسلمين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وصيرورتها ميدانا للسبق الجياد ومحط رحل الانباء والارتياد وما يتبع ذلك من خبر حصل بازديانه ازدياد ونبأ وصل اليه اهتمام وتفكر بمثله اعتياد

اعلم انه لما قضى الله سبحانه بتحقيق قول رسوله صلى الله عليه وسلم زويت لى مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها وقع الخلاف بين الفريق ملك القوط وبين ملك سبتة لدى على مجاز الزقاق فكان مما يذكر من فتح الاندلس على يد طارق وطريف ومولاهما الامير موسى بن نصير رحمه الله الجميع * وذكر الحجارى وابن حيان وغيرهما ان اول من دخل جزيرة الاندلس من المسلمين برسم الجهاد طريف البربرى مولى موسى بن نصير الذى نسبها اليه جزيرة طريف التى على المجاز غزاها بمعونة صاحب سبتة يليان النصرانى فى التثليث الذى تحقد لذريق صاحب الاندلس وكان فى مائة فارس وأربعمائة راجل جاز البحر العرس فى اربعة مراكب فى شهر رمضان سنة احدى وتسعين وانصرف بغنيمة جليلة فعقد موسى التى ما فى الامر فى المغرب لمولاه طارق بن زياد على الاندلس ووجهه مع يليان صاحب سبتة انتهازة عن ابن نصير صاحب فى أمر طريف وغيره ما يخالف هذا السياق وهى اقوال * وقال ابن حيان ان الثانى كان اول اسباب

الدهور ورأى هذين الخورين اعنى القطب الشمالى والقطب الجنوبى فاما اهل البلد التى مالت الى ناحيه الدهيبة الاندلس

الاندلس كان أن ولى الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير ولى جميع عبد العزيز على افريقية وما خلفها سنة ثمان وثمانين فخرج في نفر قليل من المطوعة فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا وفعل ذلك في افريقية وجعل على مقدمته مولاه طارقا فلم يزل يقاتل البربر ويفتح مدائنهم حتى بلغ مدينة طنجة وهي قصبة بلادهم وام مدائنهم فحصرها حتى فتحها واسلم اهلها ولم تكن فتحت قبله وقيل بل فتحت ثم انتقضت * وذكر ابن حيان ايضا استصحابا سبتة على موسى بتدبير صاحبها الداهية لشجاع ليليان النصراني وانه في اثناء ذلك وقع بينه وبين الذريق صاحب الاندلس ما سردنا بأبي ذكره * وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله وحديث الفتح ومن الله به على الاسلام من المنة واجبارنا افاء الله من الخبر على موسى ابن نصير وكتب من جهاد لطارق بن زياد مولى قصاص واوراق وحديث افول واشراق وارتادوا براق وعظم امتشاش وآلة معلقة في دكان قداش انتهى * وقال في المعرب طارق بن زياد من افريقية * وقال ابن بشكوال اسم طارق بن عمرو وتخرج برة الاندلس ودوحها واليه ينسب جبل طارق الذي يعرفه العامة بجبل الفتح وقبله الجزيرة الخضراء ورحل مع سيده بعد فتح الاندلس الى الشام وانقطع خبره انتهى * وقال ايضا ان طارقا كان حسن الكلام متتم ما يجور كتبه واما طارق السلطانية فيكتبه ولابه سلطنة الاندلس وما فتح فيها من البلاد الى ان وصل سيده موسى بن نصير * ومن تاريخ ابن بشكوال اخل طارق بالجبل المنسوب اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين في اثني عشر الفا غير اثني عشر رجلا من البربر ولم يكن فيهم من العرب الا شيء يسير وانه لما ركب البحر راى رؤيا ثم النبي صلى الله عليه وسلم وحواريه المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتسكبوا القسي فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك وتنشر اليه والى اصحابه وقد دخلوا الاندلس قدامه فهب من نومه مستبشرا وبشر اصحابه وثابت نفسه بشراه ولم يشك في النفر فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلد ثاما للغارة واصاب عجورا من اهل الجزيرة فقالت له في بعض ما قالته له كان لها زوج عالما بالحدثان فكان يحدثهم عن امر يدخل الى بلدهم هذا فيغلب عليه ويصف من نعته انه ضخم الهامة فأنت كذلك ومنها ان في كتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت فيك فأنت هو فكشف ثوبه فاذا بالشامة في كتفه على ما ذكر فاستبشر بذلك ومن معه * ومن تاريخ ابن حيان لما عرض ليليان النصراني صاحب سبتة للامر الذي وقع بينه وبين صاحب الاندلس موسى بن نصير على غزو الاندلس وهزلها مولاه طارقا المذكور في سبعة آلاف من المسلمين جلهم البربر في اربع سفن وحط بجبل طارق المنسوب اليه يوم السبت في شعبان سنة ٩٢ ولم تزل المراكب تعود حتى توافى جميع اصحابه عنده بالجبل قال ووقع على لذريق صاحب الاندلس الخبر وان ليليان السبب فيه وكان يومئذ غازيا في جهة البشكنش فبادر في جموعه وهم نحو مائة الف ذوي عدة وعدد وكتب طارق الى موسى بأنه قد زحف عليه لذريق بما لا طاقة له به وكان عمل من السفن عدة فجهز له فيها خمسة آلاف من المسلمين فكملوا ممن تقدم اثني عشر الفا ومعهم ليليان صاحب

قرية منه وكذلك لا يرى الكوكب المعروف بسهيل بناحية خراسان ويرى في العراق السنة اياما ولا تقع عين جل من الجبال عليه الا هلك على حسب ما ذكرناه وما ذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان وأمات البلدان الجموسية فانه يرى في السنة كلها وقد تنازع طوائف الملكيين وأصحاب العروم في هذين الحورين اللذين يعمد عليهما الفلك اساكانا هما أم مدركان وذهب الاكثر منهم الى انهما غير متحركين وقد أتينا على ما يلزم كل فريق منهم في بيان هذين الحورين أمن جنس الافلاك هما أم من غير ذلك فيما سلف من كتبنا وقد تنوزع في شكل البحار فذهب الاكثر من الفلاسفة المتقدمين من الهند وحكماء البوادين الا من خالفهم وذهب الى قول الشرعيين ان البحر مستدير على مواضع من الارض واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة منها اذا سجت فيه غابت عنك الارض والجبال شيأ بعد شيء حتى يغيب ذلك كله ولا ترى شيأ من شوامخ الجبال واذا أقبلت اليه نحو الساحل ظهرت تلك الجبال شيأ بعد شيء وظهرت الاشجار والارض وهذا

جبل دباوند بين بلاد الري وطبرستان ١٠٨ يرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه في الجو ويرتفع في اعاليه الدخان والثلوج متزادفة

عليه خاليه اعاليه منها ويخرج من اسفله نهر كثير الماء نهر اصفر كريتي ذهبي اللون مسافة الصعود عليه في نحو ثلاثة أيام بلياليها وان من علاه وصار في قلته وجده ساحة رأس القنة نحو ألف ذراع في مثل ذلك وهي ترى في رأي العين من أسفل نحو الثلثة المنخرضة وان في هذه المساحة في أعاليه رملا تغوص فيه الاقدام أحمر وان هذه النبتة لا يلحقها شيء من الوحش ولا من الطير لشدة الرياح وسمومها في الهواء وشدة البرد وان في أعاليه نحوا من ثلاثين ثقبة يخرج منها الدخان الكبريتي العظيم ويخرج مع ذلك دوي عظيم كأشد ما يكون من الرعد وذلك صوت تلهب النيران وربما يحمل من غرر بنفسه وصعد الى أعاليه من أفواه هذه الثقوب كبريتا أصفر كأنه الذهب يقع في أنواع الصنعة والكيمياء وغير ذلك من الوجوه وان من علاه يرى ما حوله من الجبال الشاهقة كأنها رواب وتلال اعلوه عليها وبرهذا الجبل وبحر طبرستان في المسافة نحو من عشرين فرسخا والمراكب اذا لجت في هذا البحر غاب عنها جبل دباوند فلم يره أحد فاذا صاروا في هذا البحر على

الرابطة

سمته في حشد يدلهم على العورات ويتبسس لهم الاخبار واقبل نحوهم لذريق ومعه خيار الجند والملاك وفرسانها وقلوبهم عليه فلافوا فيما بينهم وقالوا ان هذا الخبيث غلب على سلطاننا وليس من بيت الملك وانما كان من اتباعنا ولسنا نعدم من سيرته خبالا واضطرابا وهؤلاء لقوم الذين طرقو لاحاجة لهم في ابطان بلدنا وانما مرادهم أن يملؤا أيديهم من الغنم ثم يخرجوا عنا فهم فلننهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم فلعلهم يكمونه امره فاذا هم انصرفوا عنا أقعدنا في ملكنا من يدخنه فاجمعوا على ذلك اه * وقال ابن خلدون بعد ذكره ان القوط بين كان لهم ملك الاندلس وان ملكهم لعهد الفتح يسمى لذريق ما نصه وكانت لهم خطوة وراء البحر في هذه العدوة الجنوبية خطوها من فرضة المجاز بطنجة ومن زقاق البحر الى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البربر بذلك القطر الذي هو البوم جبال غمارة يسمى يليان فكان يدين بطاعتهم وبملتهم وموسى بن نصير أمير الغرب اذ ذاك عامل على افريقية من قبل الوليد بن عبد الملك ومنزله بالقيروان وكان قد أغزى لذلك العهد عساكر المسلمين بلاد المغرب الاقصى ودوخ أقطاره وأثخن في جبال طنجة هذه حتى وصل حليج الزقاق واستنزل يليان لطاعة الاسلام وخلف مولاه طارق بن زياد الليثي واليا بطنجة وكان يليان يتقرب على لذريق ملك القوط لعهده بالاندلس فعلها زعموا بابنته الناشئة في داره على عادتهم في بناتهم في بعض زيارتهم فغضب لذلك وأجاز الى لذريق وأخذ ابنته منه ثم لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط ودلهم على عورة فيهم أمكنت طارقا فيها العرصة وانتهزها لوقته وأجاز البحر سنة ثنتين وتسعين من الهجرة باذن أميره موسى بن نصير في نحو ثلثمائة من العرب واحتشد معهم من البربر زهاء عشرة آلاف فصيرهما عسكرين أحدهما على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمي جبل طارق به والآخر على طريف بن مالك النخعي ونزل بمكان مدينة طريف فسمي به وأداروا الاسوار على انفسهم للتحصن وبلغ الخبر الى لذريق فنهض اليهم بجم أمم الاعاجم واهل ملته النصرانية في زهاء اربعين ألفا وزحفوا اليه فالتقوا بحصن شريش فهزمه الله وتملك اموال اهل الكفر ورقابهم وكتب طارق الى موسى بن نصير بالفتح وبالغنائم فحركته العيرة وكتب الى طارق يتوعده ان توغل بغير اذنه ويأمره ان لا يتبارح مكانه حتى يلحق به واستخلف على القيروان ولده عبد الله وخرج ومعه حبيب بن مذده الفهري ونهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة في عسكر ضخم من وجوه العرب الموالي وعرفاء البربر ووافى حليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز الى الاندلس وتلقاه طارق فاقتادوا تبع وأتم موسى الفتح وتوغل في الاندلس الى برشلونة في جهة الشرق وأربونة في الجوف وصنم قادس في الغرب ودوخ اقطارها وجمع غنائمها وأجمع ان يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويجتاز الى الشام دروبه ودروب الاندلس ويخوض اليه ما بينهما من أمم الاعاجم النصرانية مجاهدا فيهم مستلحما لهم الى ان يلحق بدار الخلافة ونمى الخبر الى الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى ان ما هم به موسى غرر بالمسلمين فبعث اليه بالنهي والانصراف وأسر الى سفيره ان يرجع بالمسلمين ان لم يرجع وكتب بذلك عهده فمضت ذلك في عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد أن أنزل

ارابطه واحاميه بثغورها وتزل ابن عبد العزيز بالمدينة وجه دعدوها وابراهيم بقرطبة فاتخذها دار امارة واحتل موسى بالثغر وان سنة خمس وتسعين وارتحل الى المشرق سنة ست بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على النجائب والبغال يقال ان من جملتها ثلاثين ألف رأس من السبي وولى على افريقية ابنه عبد الله وقدم على سليمان بن عبد الملك فسخطه ونكبه وتتبع عساكر الاندلس بابه عبد العزيز بن اغراء سليمان وقتلوه لسنتين من ولايته وكان خيرا فاضلا واجتبى ولايته فدائن كثيرة : وولى من بعده أيوب ابن حبيب اللخمي وهو ابن اخت موسى بن نصير وولى على جماعته اشهرا ثم تتابعت ولاة العرب على الاندلس تارة من قبل الخليفة وتارة من قبل عامله بالقيروان وأخذوا في تمام الكثير وافتتحوا ما وراءه من جهة المشرق وحصنوا شمالها التي تواثبها من جهة الجوف وانتزعت امم القوط وأوى الجلالقة ومن بقي من أمم العجم الى جبال منتالة وأربونة وأواه الدروب فتحصنوا بها وأحاط عساكر المسلمين ما وراءهم من درب الحجارة حتى حملوا النساء وراءها وتوغلوا في بلاد الافرنجة وحصنت ربض الاسلام بأمم الكفر من كل جهة : وربما كان بين جنود الاندلس من العرب اختلاف ونزاع أو جد للعدو بعض الثغرة يرجع الافرنج بما كانوا غلبوهم عليه من بلاد برشلونة لعهد ثمانين سنة لدن فتحها واستمر الامر على ذلك وكان محمد ابن يزيد عامل افريقية سليمان بن عبد الملك لما بلغه مهلك عبد العزيز بن موسى بن نصير بعث الى الاندلس الحر بن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي فقدم الاندلس وعزل أيوب بن حبيب وولى سنتين وثمانية أشهر ثم بعث عمر بن عبد العزيز على الاندلس السمح بن مالك الخولاني على راس اثنتين ومائة من الهجرة وأمره أن يحمس أرض الاندلس لخيلها وبني مضر ليرطمه واستشهد غازيا بأرض افرنجة سنة اثنتين ومائة فقدم أهل الاندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الى أن قدم عنبسة بن سحيم الكلبي من قبل يزيد بن أبي مسلم عامل افريقية فقدمها في صفر سنة ثلاث ومائة فاستقام أمر الاندلس وغزا الافرنجة وترغل في بلادهم واستشهد سنة سبع ومائة لاربع سنين وأربعة أشهر ثم تنازعت ولاة الاندلس من قبل أمراء افريقية فكان أولهم يحيى بن سلمة الكلبي أنفذه بشر بن صفوان الكلبي والي افريقية لما استدعى منه أهل الاندلس واليا بعد مقتل عنبسة فقدمها آخر سنة تسع وأقام في ولايتها سنتين ونصفا ولم يغز ودخل اليها عثمان بن أبي نسعة اللخمي والي طرفة قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية وعزله بعد خمسة أشهر بحذيفة بن الاحوص القيسي فوافاها سنة عشر ونزل بها يقال لسنة من ولايته واختلف هل تقدمه عثمان أو هو ثم قدم عثمان ثم ولي بعده الهيثم بن عبيد الكلابي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن أيضا قدم في المحرم سنة احدى عشرة وغزا أرض مقوشة فافتتحها وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائة لسنتين من ولايته وقدم بعده محمد بن عبد الله الاشجعي فولي شهرين ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا الافرنجة وكانت الدفيهم وفاتح وأصيب عسكره في رمضان سنة أربع عشرة في موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عرفت الغزوة وكانت ولايته سنة وثمانية أشهر ثم ولي عبد الملك بن قطن الفهري وقدم في

وهذا دليل على ما ذهبوا اليه من كرية الماء والهواء مستديرا مثل الكل وكذلك من يكون في بحر الروم الذي هو بحر الشام يرى الجبل الاقرع وهو جبل لا يدرك علوه مطل على بلنسية انطاكية واللاذقية وطرابلس وجزيرة قبرس وغيرها من بلاد الروم فيعجب من ابصار من في المراكب ولا يخفى عنهم في المسير في البحر في الموضع الذي يرى منها وقد ذكر فيما يرد من هذا الكتاب جبل داود وسيأتي الفرس في ذلك قال الفحل ذو الارواء وممن اعانه بالحديد بعد النار التي في أعالي هذا الجبل اطم عظيمة من آطام الارض وبخاتمها وقد تكلم الناس في بعد الارض فذكر الاكثر ان من مركز الارض الى ما ينتهي اليه الهواء والنار مائة ألف وثمانية عشر ألف ميل وأما القمر فان الارض أعظم منه بتسع وثلاثين مرة والارض أعظم من عطارد بثلاث وعشرين ألف مرة والارض أعظم من الزهرة بأربع وعشرين ألف مرة والشمس أعظم من الارض بمائة وسبعين مرة وربع وثمن وأعظم من القمر بألف وستمائة وأربع وأربعين مرة والارض كلها نصف عشر ثمن من الشمس وقدر

وعشرين سنة أربع عشرة فولى ستتين وقال الواقدى أربع سنين وكان ظلوما جائرا ثم حكومته وغزا أرض النوبة فلم يمكنه سنة خمس عشرة ومائة فأوقع بهم وغنم ثم عزل فى رمضان سنة ست عشرة وولى عقبة بن الحجاج السلولى من قبل عبيد الله بن الحبحاب فأقام خمس سنين محمود السيرة مجاهدا منتهرا حتى بلغ بكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر ردونة ثم وثب عليه عبد الملك بن قطن الفهرى سنة احدى وعشرين فخلعه وقتله ويقال اخرجه من الاندلس وولى مكانه الى أن دخل بلج بن بشر باهل الشام سنة أربع وعشرين فغلب عليه وولى الاندلس سنة أو نحوها وقال الرازى ثار أهل الاندلس بأميرهم عقبة فى صفر سنة ثلاث وعشرين فى خلافة هشام بن عبد الملك وولوا عليهم عبد الملك بن قطن ولايته الثانية فكانت ولايته عقبة ستة أعوام واربعة اشهر وتوفى بقرمونة فى صفر سنة ثلاث وعشرين واستتام الامر لعبد الملك فدخل بلج بن بشر القشيرى بجند الشام ناجيا منهزما كلثوم بن عياض مع البربر بعلوية فثار على عبد الملك وقتله وهو ابن سبعين سنة واستوسق له الامر بعد مقتل عبد الملك واختار الفهريون الى جانب فاتبعوا عليه وكاشفوه واجتمع اليهم من انكر فعلته من قيس وقام بامرهم قطن وأمية ابنا عبد الملك بن قطن والتقوا فكانت الدائرة على الفهريين وهلك بلج من الجراح التى نالته فى حربهم وذلك سنة اربع وعشرين لسنة أو نحوها من امارته ثم ولى ثعلبة بن سلامة الجذامى غلب على امارة الاندلس بعد مهلك بلج واختار عنه الفهريون فبايعوه وولى ستتين اظهر فيهما العدل ودانت له الاندلس عشرة اشهر الى ان ولت به انعجمية فى يمانيته ففسد أمره وهاجت العصبة وقدم أبو الخطار حسام ابن ضرار الكلبى من قبل حنظلة بن صفوان عامل افريقية ركب اليها البحر من تونس سنة خمس وعشرين فدان له أهل الاندلس وأقبل اليه ثعلبة وابن أبى نسعة وابنا عبد الملك فلقبهم وأحسن اليهم واستقام أمره وكان شجاعا كريما ذا رأى وحزم وكثر أهل الشام عنده ولم تحملهم قرطبة فنفرقهم فى البلاد وأنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق وأنزل أهل حمص اشبونة وسماها حمص واهل قنسرين جيان وسماها قنسرين وأهل الاردن رية ومالقة وسماهما الاردن واهل فلسطين شذونة وهى شريش وسماها فلسطين واهل مصر تدمير وسماها مصر ونقل ثعلبة الى المشرق ولحق بمروان بن محمد وحضر حروبه وكان أبو الخطار أعرابيا عصبيا أفرط عنده ولايته فى التعصب لقومه من اليمانية وتحامل على المضرية وأسخط نفسا وأمر فى بعض الايام بالصميل بن حاتم كبير القيسية وكان من طوالع بلج وهو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن ورأس على المضرية فأقيم من مجلسه وتقنع فقال له بعض الحجاب وهو خارج من القصر أقم عمامتك يا ابا الجوشن فقال ان كان لى قوم فسيقيمونها فسار الصميل بن حاتم امير هم يومئذ وزعيمهم وألب عليه قومه واستعان بالمتحرفين عنه من اليمانية فخلع ابو الخطار سنة ثمان وعشرين لاربع سنين وتسعة اشهر من ولايته وقدم مكانه ثوابة بن سلامة الجذامى وهاجت الحرب المشهورة وخاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية فكتب الى ثوابة بعهده على الاندلس مستهل رجب سنة تسع وعشرين فضبط الاندلس وقام بامره الصميل واجتمع عليه العريقان وذلك لسنة من

وأبعد بعد المشترى من الارض أربعة وخمسون الف الف ومائة الف وستون الف ميل الا شيأ وأبعد بعد زحل ولايته

مثل الارض احدى وثمانين مرة ونصف ورابع ونصفه ثلاثة والاثنين ألف ميل وستة عشر ميلا وزحل أعظم من الارض تسعا وسبعين مرة ونصفا وسدسه الا ثلثين والاثنين ألف ميل وسبعمائة وسبعة والاثنين والاثنين اجرام الكواكب الثابتة التى فى المنطقة الاولى وهى خمسة عشر كوكبا فكل كوكب منها اعظم من الارض بربع وتسعين مرة ونصف مرة وأمر بعدها من الارض فان قرب بعد القمر منها سبعة آلاف وثمانية وعشرون الف ميل وأبعد بعده من الارض مائة الف وأربعة وعشرون الف ميل وأبعد بعد عطارد من الارض سبعمائة الف الف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون الف ميل وأبعد بعد الزهرة من الارض أربعة آلاف ومائة وسبعة عشر الف ميل وستمائة ميل وأبعد بعد الشمس من الارض أربعة آلاف الف الف وثمانمائة الف وعشرون الفا ونصف ميل وأبعد بعد المريخ من الارض ثلاثة وثلاثون الف ميل وستمائة ميل وشئ

ولايته ووقع الخلاف بافريقيه والتف أمر بني أميه بالمشرق وشغلوا عن قاصية الثغور بثورة الخوارج وعظم أمر المسودة في بقي اهل الاندلس فوضي وصبوا للاحكام خاصة عبد الرحمن ابن كثير ثم اتفق جند الاندلس على اقتسام الامارتين المضريه واليمانيه واداة التهابين الجندين سنة لكل دولة وقدم المضرية على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة تسع وعشرين واستتم سنه ولايته بقرطبة دار الامارة ثم وفقته اليمانية ليعاد دالهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيهم وانما فهم فيهم يوسف بمكان بر ولهم من شدة في قرى قرطبة بعمالاتهم من الصميل بن حاتم والفسيه وسائر المضرية فاستلحموهم وثار أبو الخطار فقاتله الصميل وهزمه وقتله سنه تسع وعشرين واستبد يوسف بما وراء البحر من عدوة الاندلس وغلب اليمنية على أمرهم فاستكنوا للغلبه وتربصوا الدوائر الى أن جاء عبد الرحمن الداخل وكان يوسف ولى الصميل سرقسطة فلما ظهر أمر المؤيد بالمشرق ثار الحباب الزهري بالاندلس داعيا له وحاصر الصميل بسرقسطة واستمد يوسف فلم يمده رجاء هلاكه لما كان يغص به وأمده بالعساكر فأفرج عنه الحباب وفارق الصميل سرقسطة فملكها الحباب وولى يوسف الصميل على طليطلة الى أن كان من عبد الرحمن الداخل ما كان انتهى كلام ولى الدين بن خلدون ببعض اختصار (وقال بعض المؤرخين) ان عبد الله بن مروان أخا عبد الملك كان واليا على مصر وافريقيه فبعث اليه ابن أخيه الوليد الخليفة يأمره بارسال موسى بن نصير الى افريقية وذلك سنه ٨٧ للهجرة فامتثل أمره وذلك وقال ابن عبد ربه في بدوة الاقتباس ان موسى بن نصير ولى افريقيه والمغرب سنه ٧٧ فدهاوصه جميع ما في الجزيره فبلغه أن بأطراف البلاد من خوارج عن طاعته فوجه ولده عبد الله فاتاه بمائة الف رأس من السبايا ثم ولده مروان الى جهة أخرى فاتاه بمائة الف رأس : وقال الليث بن سعد بلغ الخمس ستين الف رأس وقال الحدقي لم يسمع في الاسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد أكثر مدن افريقيه خالية لاختلاف أيدي البربر عليها وكانت البلاد في عهد شديد فأمر الناس بالصوم والصلاة واصلاح دابهم وخرج بهم الى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ والضجيج وأقام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الواقدي عبد الملك فقيل له ألا تدعو لامير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه لغير الله تعالى فسار حتى رواثم خرج موسى غازيا وتتبع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى سبيا عظيما وسار حتى انتهى الى السوس الادنى لا يدافعه أحد فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا وبذلوا الطاعة فقبل منهم وولى عليهم واليا واستعمل على ضجنه وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربري وقيل انه من الصدف وترك عنده تسعة عشر الفا من البربر بالاسلحة والعدد الكامله وكانوا قد أسلموا وحسن اسلامهم وترك موسى عنده خلقا يسيرا من العرب ليعلموا البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقية ولم يبق بالبلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم ولما استقر له النواعد كتب الى طارق وهو بضجنة يأمره بغزو بلاد الاندلس فغزاها في اثني عشر الفا من البربر خلا اثني عشر رجلا وصعد على الجبل المنسوب اليه يوم الاثنين خامس رجب سنة ٩٢

القبله ولاخذ ما قايس استدرك اليوم الساعات ربها من جوالاين والاسطرلابات وعليها صنفوا كتبهم كلها وهذا سبب ان شرعنا في ايراد المعضل منه كنوا تسع الاقلام وانا ذاكر بالمعا من هذه العمود لتدل على ما لم نورده وقد رتبت الصابئة من الحرانيين وهم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين في هياكلها مراتب على ترتيب هذه الافلاك السبعة وأعلى كلهم يسمى رأس كمرو ودون يعده الصابئون بربر الكهنة كلهم على ما عدمت دينه الصابئة في مذهبهم وسمى النصارى هذه المراتب الرتبات فأولها الساط والثاني اعنسط والثالث بودنا والرابع شماس والخامس قنبس والسادس بودوط والسابع حرر العيغطس وهو الذي يحدث الاسفف والثامن اسقف والتاسع مطران ونفسير مطران ورئيس المدينة والذين فوق هؤلاء كلهم في المرتبة البترك وتفسيره ابو الآباء ممن تقدم ذكرهم من اصحاب المراتب وغيرهم من الادانى وعوامهم هذا عند حواص النصارى فأما العوام منهم فيذكرون في هذه المراتب غير ما ذكرناه وان ملكا ظهر واظهر امورا يذكرونها الاحاجة

وذكر عن طارق أنه كان ناشئا في المركب وقت النعدية فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد هكذا ذكر ابن بشكوال وقيل ان موسى ندم على تأخره وعلم أن طارقا ان فتح شيأ سبق اليه دونه فأخذ في جمع العساكر وولى على القبر وان ابنه عبد الله وبيع طارقا فلم يدركه الا بعد الفتح وقال بعض العلماء ان موسى بن نصير كان عاقلا شجاعا كريما تقيا لله تعالى ولم يهزم له قط جيش وكان والده نصير على جيوش معاوية ومرتبته لديه مكينة ولما خرج معاوية لصفين لم يخرج معه فقال له ما منعك من الخروج معي وليس عندك بدلم ولا فتى على بابك فقال لم يمكني أن أشرك بكفري من هو أولى بشكري منك فقتل من هو فقال الله عز وجل وأطرق مليا ثم قال أستغفر الله ورضي عنه * (رجع الى حديث طارق) * قال بعض المؤرخين كان لذريق ملك الاندلس استخلف عليها شخصا يقال له تدمير والله تنسب تدمير بالاندلس فلما نزل طارق من الجبل كتب تدمير الى لذريق انه قد نزل بارضنا قوم لا ندري أمن السماء هم أم من الارض فلما بلغ لذريق ذلك وكان قصد بعض الجهات البعيدة لعزو فلي بعض أعدائه رجع عن مقصده في سبعين ألف فارس ومعه العجل تحمل الاموال والمتاع وهو على سريره بين دابتين وعليه مظلة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقا دنوه قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم ثم قال أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مأدبة اللئام وقد استفتح عليكم عدوكم بجحفله وأسلحته وأقواته موفورة وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تنالونه من أيدي عدوكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم مرادهم رعيكم وتعرضت القلوب من رهبتها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم حد لان هذه العاقبة ان أمرت بمنجرة هذا الطاغية فقد العنه اليكم مدينته الحصينة وان العجز لاحد به فهو لكم ان سمحت لنفسكم بالموت والى لم أحذركم مرا أتاعمه بنجوة ولا حملكم على حظه ارخص منا عنها النفوس أبدا أنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارغد الاطول فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي هذا حظكم فيه بأوفى من حظي وقد علمتم أن هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المنصورات في قصور الملوك ذوي التيجان وقد اصبحكم الوليد بن عبد الملك أميرا ثومنين من الابطال عربانا ورضيكم للملوك هذه الجزيرة أصهارا واختانا فتفقه منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بجالدة الابطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا أني ان أجب الى ما دعوتكم اليه وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فان كان الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون

بنا الى وصفها وذا ترتيب الملكية وهم عبدة النصرانية وقطنها الان المسارقة وهم العباد والملقبون بالنسطورية واليعاقبة من هؤلاء تفرعوا ومنهم تبددوا وانما احدث النصارى جملا من هذه المراتب على ما ذكرت من الكنائس وأما الناقوس والشماس وغير ذلك فعن المماسة الا الناقوس والسماع وكان مالي حدث بعد موسى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وكذلك ابن ديصان ومرقيون والى من أدى ديمقراطيسية والى مرقيون أضيفت المرقيونية والى ابن ديصان أضيفت الديصانية ثم تفرعت بعد ذلك آراء وغيرها من سبك طريقة مذهب الاباحيين وقد تقدم كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط جمل من نوادر هذه المذاهب وما أوردوه من الخبر والشر وفوا الشبه المرضوعة وما ذكروه من مذاهبهم في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وما ذكرناه من الآراء وهدم هذه المذاهب فيه كتبنا المترجم بكتاب الامامة في أصول الديانات واعاد ذكر في هذه الابواب ما يتعلق الكلام اليه وبتعلل هذا الوصف فحوه وورد معناه على طريق الخبر والحكاية لمذهب لا على طريق النظر والجدل لئلا يخلو كتابنا هذا مما يدعو الحاجة فيما

فلما فرغ من تحريض أصحابه على الصبر فى قتال لذريق وأصحابه وما وعدهم من الخير الجزيل انبسطت نفوسهم وتحققت آمالهم وهبت رياح النصر عليهم وقالوا له قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فاحضر اليه فانا معك وبين يديك فركب وأصحابه فباتوا ليلتهم فى حرس الى الصبح فلما أصبح الفريقان تكتبوا وعبوا جيوشهم وحمل لذريق وهو على سريره وقد حمل على رأسه رواق ديباج يظله وهو مقبل فى غاية من النود والاعلام وبين يديه المقاتلة والسلاح وأقبل طارق فى أصحابه عليهم الزرد من فوق رؤسهم العمائم البيض وبايديهم القسى العربية وقد سلوا السيوف واعتقلوا الرماح فلما نظر اليهم لذريق خاف وقال ان هذه الصور هى التى رأيناها بيت الحكمة ببلدنا فدخله منهم الرعب فلما رأى طارق لذريق قال هذا طاغية القوم فحمل وحمل أصحابه معه فتفرقت المقاتلة من بين يدى لذريق فخلص اليه طارق فضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريره فلما رأى أصحابه مصرع صاحبهم اقتحمهم الحمشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة العدو على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا ولما سمع موسى بن نصير بما حصل من النصرة لطارق عبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له يا طارق انه لن يجاريك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يجعلك الاندلس فاستجهه هنيئا مريئا فقال له طارق أيها الامير والله لا أرجع عن قصدى هذا مالم انته الى البحر المحيط أخوض فيه بفرسى يعنى البحر الشمالى الذى تحت بنات نعش ولم يزل طارق يفتح وموسى معه الى أن بلغ الى جليقية وهى ساحل البحر المحيط انتهى * (وقال الحافظ الحميدى فى كتابه جذوة المقتبس) ان موسى بن نصير تقدم على مولاه طارق اذ غزا بغير اذنه وهم بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه فأطلقه وخرج معه الى الشام انتهى * وقول لذريق ان هذه الصور هى التى رأيناها فى بيت الحكمة اشارة الى بيت حكمة اليونان وكان من خبره فيما حكى بعض علماء التاريخ ان اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكم كانوا يسكنون بلاد الشرق قبل عهد الاسكندر فلما ظهرت الفرس واستولت على البلاد وزاحمت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك انتقل اليونان الى جزيرة الاندلس لكونها طرفا فى آخر العمارة ولم يكن لها ذكر اذ ذاك ولا ملكها أحد من الملوك المعتبرة ولم تك عامرة وكان أول من عمر فيها واختطها اندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كانت الصورة المعمورة منها عندهم على شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال رجلاه وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه وكانوا يزدرون المغرب لنسبته الى اخس أجزاء الطير وكانت اليونان لاترى فناء الامم الا بالحروب لما فيه من الاضرار والاشتغال عن العلوم التى كان الاشتغال بها عندهم من اهم الامور فلذلك انحازوا من بين يدى الفرس الى الاندلس فلما صاروا اليها اقبلوا على عمارتها فنقوا الانهار وبنوا المعاقل وغرسوا الجنان والكروم وشيدوا الامصار وملؤها حرثا ونسلا وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما رأى بهجتها ان الطائر الذى صورت هذه العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاوسا معظم جماله فى ذنبه (وحكى) ان الرشيد هرون رحمه الله لما حضر بين يديه بعض اهل

البحار تنتقل على مرور السنين وطويل الدهر حتى تصير مواضع مختلفة وأن جملة البحار متحركة الا ان تلك الحركة اذا أضيفت الى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعد غورها صارت كالهاكنة وليست مواضع الارض الرطبة أبدا رطبة ولا مواضع الارض اليابسة أبدا يابسة لكنها تتغير وتستحيل لسبب الانهار اليها وانقطاعها عنها ولهذه العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر فليس موضع البر أبدا برا ولا موضع البحر أبدا بحرا بل قد يكون براحيث كان مرة بحرا ويكون بحرا حيث كان مرة برا وعلة ذلك الانهار وبدؤها فان لمواضع الانهار شبابا وهرما وحياة وموتا ونشورا كما يكون ذلك فى الحيوان والنبات غير ان الشباب والكبر فى الحيوان والنبات لا يكون جزأ بعد جزء لكنها تشب وتكبر اجزاؤها كلها معا وكذلك تهرم وتموت فى وقت واحد فاما الارض فانها تهرم وتكبر جزأ بعد جزء وذلك بدوران الشمس وان بحرا ها كلها أعنى البحار واحد وذلك من

١٥ ط ل البحر الاعظم وان ذلك بحر عذب ليس هو بحر أوميانوس وزعمت طائفة ان البحار فى الارضين كالعروق

المغرب قال الرشيد يقال ان الدنيا بمثابة طائر ذنبه المغرب فقال الرجل صدقوا يا امير المؤمنين
وانه طوس فضحك امير المؤمنين الرشيد وتعجب من سرعة جواب الرجل وانتصاره لقطره
(رجع) قال فاغتبط اليونان بالاندلس اتم اغتباط واتخذوا دار الحكمة والملك بها طليطلة
لانها اوسط البلاد وكان اهم الامور عندهم تحصينها عمن يتصل به خبرها من الامم فنظروا
فاذا هو انه لا يحسدهم على رغد العيش الا ارباب الشظف والشقاء والتعب وهم يومئذ
طائفتان العرب والبربر فخادنوهم على جزيرتهم العامرة فعزموا على ان ينتدبوا لهذين الجنسين
من الناس ضلسما فرصدوا لذلك ارصادا ولما كان البربر بالقرب منهم وليس سوى تعدية
البحر وردا عليهم منهم طوائف معروفة الطباع خارجة عن الاوضاع ازدادوا منهم نفورا
واكثر تحذرهم من نسب أو مجاورة حتى ثبت ذلك في طبائعهم وصار بعضه مركبا في
غرائزهم فلما علم البربر عداوة أهل الاندلس وبغضهم لهم ابغضوهم وحسدوهم فلم تجد
أندلسيا الا مبغضا بربريا وبالعكس الا أن البربر أحوج الى أهل الاندلس لوجود بعض
الاشياء عندهم وفقدها ببلاد البربر وكان بنواحي غرب الاندلس ملك يوناني بجزيرة يقال
لها قادس وكانت له ابنة في غاية الجمال فتسامع بها ملوك الاندلس وكانت الاندلس كثيرة
الملوك لكل بلد او بلدتين ملك فخطبوها وخشي أبوها ان زوجها من واحد أسخط الباقين
فتحير وأحضر ابنته وكانت الحكمة مركبة في طباع القوم ذكورهم واناثهم ولذا قيل
ان الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة اعضاء من أهل الارض أدمغة اليونان وايدي اهل
الصين وألسنة العرب فقال لها يا بنية اني أصبحت على حيرة في أمرك ممن يخطبك من الملوك
وما أرضيت واحدا الا أسخطت الباقين فقالت له اجعل لامر الى تخلص فقال وما تقترحين
وقالت أن يكون ملكا حكيما فقال نعم ما اخترته لنفسك فكتب في اجوبة الملوك الخطاب
انها اختارت من الازواج الملك الحكيم فلما وقفوا على الجواب سكت من لم يكن حكيما وكان
في الملوك الخاطبين حكيمان فكتب كل واحد منهما أنا الملك الحكيم فلما وقف على كتابيهما
قال لها يا بنية بقي الامر على اشكال وهذان ملكان حكيمان أيهما أرضيت اسخطت
الآخر فقالت سأقترح على كل واحد منهما أمرا يأتي به فأيهما سبق الى الفراغ مما التمست
كنت زوجته قال وما الذي تقترحين عليهما قالت انا ساكنون بهذه الجزيرة ومحتاجون
الى أرحى تدور بها وانى مقترحة على أحدهما ادارتها بالماء العذب الجاري اليها من ذلك
البر ومقترحة على الآخر أن يتخذ لي طلسما نحص به جزيرة الاندلس من البر برفاستظرف
أبوها ذلك وكتب الى الملكين بما قالت ابنته فأحاباه الى ذلك وتقاسماه على ما اختارا
وشرع كل واحد منهما في عمل ما أسند اليه من ذلك فأما صاحب الرحى فانه عمد الى أشكال
اتخذها من الحجارة نضد بعضها الى بعض في البحر المالح الذي بين جزيرة الاندلس والبر
الكبير في الموضع المعروف برقاق سبتة وسد الفرج التي بين الحجارة بما اقتضت حكمته
واوصل تلك الحجارة من البر الى الجزيرة وآثاره باقية الى اليوم في الرقاق الذي بين سبتة
والجزيرة الخضراء وأكثر أهل الاندلس يزعمون أن هذا أثر منطرة كان الاسكندر قد عملها
ليعبر عليها الناس من سبتة الى الجزيرة والله أعلم أي القولين أصح غير أن الشائع الى الآن

في البدن وقد آخرون حتى الماء أن يكون على سطح فلما اختلفت الارض فكان منها العالي والهابط انحاز الماء الى أعماق
الارض فاذا انحصرت الماه في اعماق الارض وقعورها طلبت النفس حينئذ لعلاج الارض وضغطها اياها من أسفل فيندفق من ذلك العيون والانهار وربما تتولد في باطن الارض من الهواء المكتنف هناك وان الماء ليس بناقص وانما هو متولد من عفونات الارض وبخارها وقالوا في ذلك كلاما كثيرا أعرضنا عن ذكره طلبا للايجاز وميلا للاختصار وبسطنا ذلك في غير كتاب من كتبنا وأما مبادئ الانهار الكبار ومقاديرها ومقادير جريانها فنهر مهران السند وجيحون وهو نهر عظيم بأرض الهند ونهر سامه وهو نهر عظيم ونهر اطفاس الذي يصب الى نهر نيفش وغيرها مما كبر من الانهار قد تكلم الناس في مقادير جريانها على وجه الارض فرأيت في جغرافيا (النيل) مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدأ ظهوره من اثنتي عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحرين هناك كالبطائح ثم يجتمع الماء جاريا فيمر برمال هنالك وجبال ويخرق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج فيتشعب منه خليج يصب الى بحر الزنج وهو بحر جزيرة فنبلوه هي جزيرة عامرة فيها قوم عند

من المسلمين الا انهم لغتهم زنجية غلبوا على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من ١٥ الزنج كافة المسلمين على جزيرة اقريطش

عند الناس هو الثاني فلما تم تشييد الحجارة للملك الحكيم جلب الماء العذب من جبل عال في البر الكبير وسلطه من ساقية محكمة وبني بجزيرة الاندلس رحى على هذه الساقية وأما صاحب الطلسم فانه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد المواتي لعمله غير أنه عمل أمره واحكمه وابتنى بفيافا مر بعامن حجر أبيض على ساحل البحر في رمل عالج حفر أساسه الى أن جعله تحت الارض بمقدار ارتفاعه فوق الارض ليثبت فلما انتهى البناء المربع الى حيث اختار صور من النحاس الاحمر والحديد الصفي المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجل مربوط يداه ولحيته وفي رأسه ذؤابة من شعر جعد قائمة في رأسه تجعودها وهو متأبط بصورة كساء قد جمع طرفيه على يده اليسرى بألطف تصوير وأحكمه في رجله نعل وهو قائم من رأس البناء على مستهدف بمقدار رجليه فقط وهو شاهق في الهواء طوله نيف عن ستين أو سبعين ذراعا وهو محدودب الاعلى الى ان ينتهي ماسعته قدر ذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابض عليه مشيرا الى البحر كأنه يقول لا عبور وكان من تأثير هذا الطلسم في البحر الذي تجاهه انه لم يرق قط ساكنا ولا كانت تجري فيه قط سفينة مر رأ لاسقط المفتاح من يده وكان الملكان اللذان عملا الرحى والطلسم يتسابقان الى فراغ العمل اذا السبق يستحق زواج امرأة وكان صاحب الرحى فرغ أولا لكنه أخفى امره عن صاحب الطلسم لئلا يترك عمله فيبطل الطلسم لتحظى المرأة بالرحى والطلسم فلما علم باليوم الذي يفرغ صاحب الطلسم في آخره اجرى الماء في الجزيرة من اوله واداره الرحى واشتهر ذلك فاتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو في أعلى القبة يصقل وجهه وكان الطلسم مذهبا فلما تحقق انه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من أعلى البناء ميتا وحصل صاحب الرحى على المرأة والرحى والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان يمشي على الاندلس من البر بالسبب الذي قدمنا ذكره فاتفقوا وجعلوا الطلسمات في اوقات اختاروا ارصادها واودعوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه في بيت بطليطلة وركبوا على ذلك الباب قفلا تأكيدا لحفظ ذلك البيت فاستمر امرهم على ذلك ولما حان وقت انقراض دولة من كان بالاندلس ودخول العرب والبربر اليها وذلك بعد مضي ستة وعشرين ملكا من ملوكهم من تاريخ عمل الطلسمات بطليطلة وكان لذريق المذكور آنفا هو تمام السابع والعشرين من ملوكهم فلما اقتعد اريكة الملك قال لوزرائه وخواص دولته واهل الرأي منهم قد وقع في نفسي من امر هذا البيت الذي عليه ستة وعشرون قفلا شيء واريد ان افتحه لانظر ما فيه لانه لم يعمل عبثا فقالوا أيها الملك صدقت انه لم يصنع عبثا ولم يقفل سدى والرأي والمصلحة أن تلقي انت ايضا عليه قفلا اسوة بمن تقدمك من الملوك وكان آباؤك واجدادك لم يهملوا هذا فلا تهمله وسر سيرهم فقال لهم ان نفسي تنازعني الى فتحه ولا بد لي منه فقالوا له ان كنت تظن ان فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من اموالنا نظيره ولا تحدث علينا بفقده حادثا لا نعرف عاقبته فأصر على ذلك وكان رجلا مهيبا فلم يقدروا على مراجعته وأمر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلقا فلما فتح الباب لم ير في البيت شيأ الا مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجواهر وعليها مكتوب هذه مائدة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ورأى في البيت ذلك التابوت وعليه قفل ومفتاحه معلق فقده

في البحر الرومي وذلك في مبدأ الدولة العباسية وتقضي الامرية ومنها الى عمان في البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حزرا منهم لذلك على طريق التحصيل والمساحة وذكر جماعة من نواخذة هذا البحر من السيرافيين والعمانيين ومنهم أرباب المراكب انهم يشاهدون في هذا البحر في الوقت الذي يذكر فيه زيادة النيل بمصر أو قبل الاوان بمدة يسيرة ماء يخرف هذا البحر ويشقه من شدة جريانه يخرج من جبال الزنج عرضه أكثر من ميل عذبا حلوا يتكدر في اثارة الزيادة فيه السموسار وهو التمساح الكائن في نيل مصر ويسمى أيضا الورل وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ ان نهر مهران الذي هو نهر السند من النيل ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه فلست أدري كيف وقع له هذا الدليل وذكر ذلك في كتابه المترجم بكتاب الامصار وهو كتاب في نهاية الغثاثة لان الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر الاسفار ولا يعرف المسالك والامصار وانما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين أو لم يعلم ان نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالي بلاد

فلم يجد فيه سوى رق وفى جوانب التابوت صور فرسان مصورة بأصباغ محكمة التصوير على اشكال العرب وعليهم الفراء وهم معممون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيل العربية وهم متقلدون السيوف المعلاة معتقلون الرماح فأمر بنشر ذلك الرق فاذا فيه متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم فى التابوت الى جزيرة الاندلس وذهب ملك من فيها من أيديهم وبطلت حكمتهم فلما سمع لذريق ما فى الرق ندم على ما فعل وتحقق انتراض دولتهم فلم يلبث الا يسيرا حتى سمع ان جيشا وصل من المشرق جهزه ملك العرب ليفتتح بلاد الاندلس انتهى * فهذا هو بيت الحكمة الذى أشار اليه لذريق والله أعلم بحقيقة الامر فى ذلك كله على أن فى هذا السياق مخالفة لما سنذكره عن بعض ثقات مؤرخى الاندلس وغيرهم فى شأن المائدة وغيرها وما ذكر فى هذه القصة من جلب الماء من بر العدوة الخ فيه بعد عندى لان بلاد الاندلس أكثر بلاد الله مياها وأنهارا فأنى تحتاج الى جلب الماء اليها من العدوة الاخرى الا أن يقال ان المرأة أرادت تعجيز الرجل بذلك أو اختبار حكمته حتى يفعل هذا الامر الغريب وعلم الله من وراء ذلك كله وفوق كل ذى علم عليم وينتهى العلم الى الله الحكيم (وقال ابن حيان فى المقتبس) ذكروا أن لذريق لم يكن من أبناء الملوك ولا بصحيح المنسب فى القوط وأنه انما نال الملك من طريق الغصب والتسور عند مامات غيطشة الملك الذى كان قبله وكان أثير الدية مكينا فاستصغر أولاده لمكانه واستمال طائفة من الرجال مالوا معه فانتزع الملك من أولاد غيطشة واستبقاهم فكانوا هم الذين دبروا عليه فيما ذكر عند مانى رجال العرب المقتحمين عليه بالاندلس من ناحية بحر الزقاق وعليهم طارق بن زياد مولى موسى بن نصير طماعة منهم فى أن يودى ويخلص اليهم ملك أبيهم فالتقوا بموضع يدعى وادى لكة من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الاندلس القبلى مكان عبورهم وذلك لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين من الهجرة فانهزم القوط أعظم هزيمة وقتل ملكهم لذريق وغلبت العرب على الاندلس فصارت أقصى فتوحهم من أرض المغرب ومصداق موعد نبيهم صلى الله عليه وسلم الكفيل بفتح ما بين المشرق والمغرب عليهم بوحى الله تعالى اليه أنجزه لهم بفتح الاندلس ولله القوة قال وقام بأمر العرب بالاندلس منذ فتحت الامراء المرسلون منهم عليها من قبل أئمة المسلمين بالمشرق طوال دولة بنى أمية رضى الله تعالى عنهم الى أن طرأ اليها فلهم عند غلبة بنى العباس عليهم ودخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان فملكها وأعاد اليها الدولة الاموية التى أورثها عقبه حقبة فكانت عدة هؤلاء الامراء من لدن أولهم طارق بن زياد الى آخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى عشرين عاملا وعدة سنيهم بالشمسى خمس وأربعون سنة وبالقمرى سبع وأربعون سنة غير أشهر انتهى (وقال فى موضع آخر) نقلا عن الرازى وافتتحت الاندلس فى أيام الوليد بن عبد الملك فكان فتحها من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت فى ظهور الملة الحنيفية وكان عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه متهمما بها معتنيا بشأنها وقد حولها عن نظره الى افريقية وجرد اليها عاملا من قبله اختاره له دلالة على معنيته بها ووقعت المقاسم فيها عن أمره وبفضل رأيه انتهى (وفى

ومن هناك يسمى مهران وتفسير المولتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤى بن غالب والمولتان منه الى خراسان متصلة وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبار بن الاسود وهذا الملك فى هؤلاء وملك صاحب المولتان متواريان من يومنا هذا صدر الاسلام حتى ينتهى نهر مهران الى بلاد المنصورة ويصب نحو بلاد الديبل فى بحر الهند والتماسيح كثيرة فى أجواف هذا البحر وفى خليج ميدابون من مملكة باغر من أرض الهند وخلجان الرانج من بحر مملكة المهراج وكذلك فى خلجان الاعباب وفى عب التى تلى جزيرة سرنديب والاغلب على التماسيح كونها فى الماء العذب وماذكرنا من خلجانات الهند فالاغلب من أمواهها أن تكون عذبة لصب مياه الامطار اليها فلنرجع الآن الى الاخبار عن قبل مصر فنقول ان الذى ذكره الحكماء انه يجرى على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ فى عامر وغير عامر حتى يأتى اسوان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر وعلى أميال من اسوان جبال وأحجار يجرى النيل فى وسطها

الكتاب الجزائى وغيره) سياقة فتح الاندلس على أتم الوجوه نلتذكر ملخصه قالوا استعمل أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك رحمه الله تعالى موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز ابن مروان ويقال بل هو بكرى وذلك أن أباه نصيرا أصله من علوج أصابهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فى عين التمر فادعوا انهم رهن وأنهم من بكر بن وائل فصار نصير وصيفا لعبد العزيز بن مروان فأعتقه فمن هنا اختلف فيه وقيل انه ثمنى وعقد له على افريقية وما خلفها فى سنة ثمان وثمانين فخرج الى ذلك الوجه فى نفر قليل من المطوعة فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا وأتى افريقية عمله فأخرج من أهلها معه ذوى القوة والجلد وصبر على مقدمته طارق بن زياد فلم يزل يتناول البربر ويفض جموعهم ويفتتح بلادهم ومدائنهم حتى بلغ طنجة وهى نصبة ملك البربر وأم مدائنهم فحصرها حتى افتتحها وقيل انها لم تمكن افتتحت قبله وقيل افتتحت ثم ارتجعت فأسلم أهلها وخطها قيروان المسلمين ثم ساروا الى مدائن على شط البحر يحمل لصاحب الاندلس قد غنموا عليها وعلى ما حولها وأس تلك المدائن سبتة وعليها يليان يسمى يليان قابله موسى فألفاه فى نجدة وقوة وعدة فلم يطقه فرجع الى مدينة طنجة فاقام عن معه وأخذ فى الغارات على ما حولهم والتضييق عليهم والسفن تختلف اليهم بالميرة والامداد من الاندلس من قبل ملكها غيطشة فهم يذبون عن حريمهم ذبا شديدا ويحسنون بلادهم حماية تامة الى أن هلك غيطشة ملك الاندلس وترك أولادا لم يرضهم أهلها للملك فاضطربوا حينئذ وكان بها بيت مغلق متحامى الفتح على الايام عليه عدة من الاقفال يلزمه قوم من ثقات القوط قد وكلوا به لئلا يفتح وقد عهد الاول فى ذلك الى الآخر فكلما قعد منهم ملك أتاه أولئك الموكلون بالبيت فأخذوا منه قفلا وصيروه على ذلك الباب من غير أن يزيلوا قفلا من تقدمه فلما قعد لذريق هذا وكان متهما يقتنا ذا مكر أتاه الحراس يسألونه أن يقفل على الباب فقال لهم لا افعل أو اعلم ما فيه ولا بد لى من فتحه فقالوا له أيها الملك انه لم يفعل هذا احد من قبلك وتناهوا عن فتحه فلم يلتفت اليهم ومشى الى البيت فأعظمت ذلك العجم وضرع اليه أكابرهم فى الكف فلم يفعل وظن انه بيت مال فمضى الاقفال عنه ودخل فأصابه فارغا لا شئ فيه الا تابوتا عليه قفل فامر بفتحه يحسب أن مضمونه يقنعه نفاسة فألفاه أيضا فارغا لا شئ فيه الا شقة مدرجة قد صورت فيها صور العرب عليهم العمائم وتحتهم الخيول العراب متقلدى السيوف متنكبى القسى رافعى الرايات على الرماح وفى أعلاها أسطر مكتوبة بالعجمية فقرئت فاذا فيها اذا كسرت الاقفال عن هذا البيت وفتح هذا التابوت فظهر ما فيه من هذه الصور فان هذه الامة المصورة فى هذه الشقة تدخل الاندلس فتغلب عليها وتملكها فوجم لذريق وندم على ما فعل وعظم غمه وغم العجم بذلك وأمر برد الاقفال واقرار الحراس على حالهم وأخذ فى تدبير الملك وذهل عما أنذر به وقد كان من سير أكابر العجم بالاندلس وقوادهم أن يبعثوا أولادهم الذين يريدون منفعتهم والتنويه بهم الى بلاد الملك الاكبر بطليطلة ليصير وا فى خدمته ويتأدبوا

ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ثم يأتى النيل الفسطاط وقد قطع الصعيد ومر بجبل الطيلمون وجزر الاهواز من بلاد الفيوم وهو الموضع المعروف بالجزيرة التى اتخذها يوسف النبى صلى الله عليه وسلم وطنا فيقطعه وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار مصر والفيوم وضياعها وكيفية فعل يوسف عليه الصلاة والسلام فى مائها ثم يمضى جاريا فتقسمه خلجانات الى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية ثم يصب الى البحر الرومى وقد أحدث فيه بحيرات فى هذه المواضع وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل هذه الزيادة التى زادها فى هذه السنة وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونمى الى وأنا بمدينة انطاكية نهر الشام ان النيل زاد فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعا فلست أدرى أفى هذه الزيادة تحمل حلية الاسكندرية أم لا وقد كان الاسكندر بن الفيلقوس المقدونى بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان يتفجر اليه عظيم ماء النيل وبين الاسكندرية وبلاد مريوط وكان بلد مريوط هذا وبين نهاية العمارة والجبال المتصلة بارض برقة من بلاد المغرب

وكانت السفن تجرى فى النيل فتتصل باسواق الاسكندرية وقد بلط أرض نيلها فى المدينة بالرخام والمرمر فانقطع الماء عن ارض سدت خلجانها وسمعت المياه من دخوله وقيل لعلل غير ذلك منعت من مجيئه وردت الماء الى كسنه لايحملها كذا هذا الاستعمال فيه الاخصار فصار سرهم من الآثار وصار النيل على نحو يوم منها وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب فى باب ذكر بلاد اسكندرية جملا من أخبارها واخبار بنائها وما ذكر من الماء الجارى الى بحيرة مريوط وما هو آخذ من معالى مصب ابره وفرق بين بلاد ارمنية وبين أقاصى بلاد الحبش ونولاد ذلك الحبيج ومفاوز من رمل ودهاس لم يكن للحبشة مقام فى ديارهم من أنواع الزنج لكثرتهم وبسطها (وأما نهر بلخ) الذى يسمى جيحون فانه يخرج من أعين تجرى حتى تأتى بلاد خوارزم وقد احتفر قبل ذلك ببلاد الريد واسراتيل وغيرها من بلاد خراسان فاذا ورد الى بلاد خوارزم تفرق فى مواضع هناك ويمضى باقيه فيصب فى البحيرة التى عليها القصر يه المعروفة بالجرجانية اسفل خوارزم وليس فى ذلك المستقع أكبر من هذه البحيرة ويقال انه ليس فى العمران بحيرة اكبر منها لان طولها مسيرة شهر فى نحو ذلك من العرض تجرى وذلك

بادينه وبين لوامر كراميه حتى اذا بلغوا انكسع بعضهم بعضا استثلافا لآبائهم وحمل صدقاتهم ونولى تجهيز اثنيهم الى أزواجهن فاتفق أن فعل ذلك يليان عامل لذريق على سبتة وكانت يومئذ فى يد صاحب الاندلس وأهلها على النصرانية ركب الطريق فنزل بابنة له بارعة الجمال فاكرم عليه فلما صارت عند لذريق وقعت عينه عليها فاعجبته وأحبها حبا شديدا ولم يملك نفسه حتى استكرهها وافتضها فاحتالت حتى أعلمت أباها بذلك سرا بمكاتبة خفية فأحفظه شأنها جدا واشتدت حميته وقال ودين المسيح لأزيلن ملكه وسلطانه ولاحفرن تحت قدميه فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب فى فتح الاندلس بالذى سبق من قدر الله تعالى ثم ان يليان ركب بحر الزقاق من سبتة فى أصعب الاوقات فى صنبر قلب الشتاء فصار بالاندلس وأقبل الى طليطلة نحو الملك لذريق فأنكر عليه مجيئه فى مثل ذلك الوقت وسأله عما لديه وما جاء فيه ولم جاء فى مثل وقته فذكر خبرا واعتل بذكر زوجته وشدة شوقها الى رؤية بنتها التى عنده وتمنتها لنفاسها فيمل الموت والحاحها عليه فى احضارها وأنه أحب اسعافها وجاء بلونها أمنيتها منه وسأل الملك اخراجها اليه وتعجيل اطلاقه للمبادرة بها ففعل وأحار الجارية ونوثق منها بالكتمان عليه وأفضل على أبيها فانقلب عنه وذكروا أنه لما ودعه قال له لذريق اذا قدمت علينا فاستفره لنا من الشذا نقات التى لم تزل تطرق بلادها فانها أثر جوار حمالديبا فقال له أيها الملك وحق المسيح لئن بقيت لادخلن عليك شذا نقات ما دخل عليك مثلها قط عرض له بالذى أضمره من السعى فى ادخال رجال العرب عليه وهو لا يفض فلم يتهمه يليان عند ما استفر سفينة عمله أن تهيأ للمسير نحو موسى بن نصير الامير فمضى نحوه بافريقية وكلمه فى غزو الاندلس ووصف له حسنها وفضلها وما جمعت من أشتات المنافع وأنواع المرافق وطيب المزارع وكثرة الثمار وثرارة المياه وعذوبتها وهون عليه مع ذلك حال رحالها ووصفهم بضعف البأس وقلة الغناء فشوق موسى الى ما هنالك وأخذ بالحزم فيما دعاه اليه يليان فعاقده على الانحراف الى المسلمين واستظهر عليه بأن سامه مكاشفة أهل ملته من الاندلس المشركين والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ففعل يليان ذلك وجمع جمعا من أهل عمله فدخل بهم فى مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء فاغار وقتل وسبى وغنم وأقام بها أياما ثم رجع بمن معه سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فأنسوا ليليان واطمأنوا اليه وكان ذلك عقب سنة تسعين فكتب موسى بن نصير الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك يخبره بالذى دعاه اليه يليان من أمر الاندلس ويستأذنه فى اقتحامها فكتب اليه الوليد أن حصها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الاهوال فراجعه انه ليس ببحر زخار وانما هو خليج منه بين للناظر ما خلفه فكتب اليه وان كان فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه من البرابرة اسمه طريف يكنى أبا زرعة فى أربعمائة رجل معهم مائة فرس سار بهم فى أربع مراكب فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التى هى اليوم معبر سفائنهم ودار صناعتهم وينال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها وأقام بها أياما حتى التام اليه أصحابه ثم مضى حتى أغار على الجزيرة فأصاب سبيا لم ير موسى ولا أصحابه مثله حسنا ومالا جسيما وأمتعة

وذلك فى شهر رمضان سنة احدى وتسعين فلما رأى الناس ذلك تسرعوا الى الدخول ودخل طريف فى ألف رجل فأصاب غنائم وسبايا ودخل بعده أبو زرعة شيخ من البرابرة وليس بطريف فى ألف رجل منهم أيضا فأصابوا أهل الجزيرة قد تفرقوا عنها فصرموا ما عامنها بالنار وحرقوا كنيسة بها كانت عندهم معظمة وأصابوا سبايا يسيرا وقتلوا وانصرفوا سالمين وقال الرازى هو أبو زرعة طريف بن مالك المغافرى الاسم طبونة الكنية قال والثم عاود بليان القدوم على موسى بن نصير محركا فى الاقدام على أهل الاندلس وحرضه على ذلك واستدعاه فى اقتحام المسلمين فيها فدعا مولى له كان فى مقدمته يسمى طارق بن زياد بن عبد الله فارسيا همدانيا وقيل انه ليس بمولى لموسى وانما هو رجل من صدف وقيل مولى لهم ونسبه بعض عقبه بالاندلس ينكرون ولاء موسى انكارا شديدا وقيل انه بربرى من نفزة فعبد له موسى وبعثه فى سبعة آلاف من المسلمين جلهم البربر والموالى وليس فيهم عربى قليل ووجه معه بليان فهيأ له بليان المراكب فركب فى أربع سفن لاصناعة له غير هاوحط بجبل طارق المنسوب اليه يوم سبت فى شعبان سنة اثنتين وتسعين فى شهر أغسطس ثم صرف المراكب الى من خلفه من أصحابه فركب من بنى من الناس ولم تزل السفائن تختلف اليهم حتى توافى جميعهم عنده بالجبل وقيل حل طارق بجبله يوم الاثنين لخمس خلون من رجب من السنة فى اثنى عشر ألفا غير ستة عشر رجلا من البرابرة ولم يكن فيهم من العرب الا يسير أجازهم بليان الى ساحل الاندلس فى مراكب الخمار من حيث لم يعلم بهم أولا أولا وركب أميرهم طارق آخرهم قيل وأصاب طارق عجوزا من أهل الجزيرة فسألت له فى بعض قولها انه كان لها روح عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن أمير يدخل الى بلادهم هذا ويغلب عليه ويصف من نعته انه ضخم الهامة فانت كذلك ومنها أن فى كتفه الايسر شامة عليها شعرات فان كانت بك هذه العلامة فانت هو فكشف طارق ثوبه فاذا بالشامة فى كتفه على ما ذكرته العجوز فاستبشر بذلك هو ومن معه * وذكر عن طارق أنه كان نائما فى المركب فرأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة أصحابه عليه الصلاة والسلام يمشون على الماء حتى مروا به فبشره النبى صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد وقيل انه لما ركب البحر غلبته عينه فكان يرى النبى صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسى فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لتأمل وتظر اليه والى أصحابه فدخلوا الاندلس قدامه فهب من نومه مستبشرا وبشر أصحابه وثابت اليه نفسه ثقة ببشراه فقويت نفسه ولم يشك فى الظفر فخرج من الوادى أقدم بسيط البلاد شانا للغارة فالوا ووقع على لذريق الملك خبر اقتحام العرب ساحل الاندلس وتوالى غاراتهم على بلد الجزيرة وان بليان السبب فيها وكان يومئذ غائبا بأرض بنبلونة فى غزاة له الى البشكنس لامر كان استصعب عليه بناحيتهم فعظم عليه وفهم الامر الذى منه أتى وأقبل مبادرا الفتق فى جموعه حتى احتل بمدينة قرطبة من المتوسطة ونزل القصر المدعو بها ببلاط لذريق المنسوب اليه وليس لانه بناه أو اخترعه وهو بناء من تقدمه من الملوك اتخذوه لمنزلهم فى قرطبة اذا أتوها

فيها السفن والى المدينة تنسب السفن الى هذه البحيرة وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة وفيها المسلمون والاغلب من الاتراك على هذا الموضع الذى يسمونه وهم برادى الترك وحضرهم ايضا وهذا الجنس من الاتراك هم اصناف ثلاثة الاساقل والاعالى والاواسط وبعضهم اشد الترك بأسا واقصرهم واصغرهم عيانا وفى الترك اصغر من هؤلاء على ما ذكر صاحب المسطور فى كتاب الحيوان فى المقالة الرابعة عشرة والثلاثين عشرة حين ذكر الطير المعروف بالعرانيس وسنذكر مبلغا من أخبار اجناس الترك فيما يرد من هذا الكتاب مجتمعا ومفترقا وبمدينة بلخ رباط يعال له الاحسان على نحو من عشرين يوما منها وهو فى آخر أعمالها وبازائهم انواع من الكفار من الترك يعال لهم اوحار وبت وعلى اليمين من هؤلاء جنس آخر يعال لهم العار لم وبخرج من هذا الجبل نهر عظيم يعرف بنهر انهار زعم قوم من أهل الخبرة انه مبتدأ نهر جيحون وهو نهر بلخ ومقدار جريانه على وجه الارض نحو من خمسين ومائة فرسخ من مبدا نهر الترك وهو النهار وقيل اربعمائة فرسخ وقد غلط قوم من مصنفى الكتب فى هذا المعنى وزعموا ان جيحون ينصب الى نهر مهران السند ولم يذكروا نهر

الا أن العرب لما غلبوا الذريق وهذا القصر من مواطنه نسبوه اليه اذ لم يعرفوا من بناه ويزعم العجم أن الذى بناه ملك منهم كان ساكنا بحص المدور أسفل قرطبة وخرج يوما يتصيد حتى انتهى الى مكان قرطبة وهى يومئذ خراب وكان فى موضع قصرها غيضة عليق ملتفة أشبة فأرسل الملك بازياله يكرم عليه على حجلة عنت له من ناحية الكدية المنسوبة بعد الى أبى عبيدة فذهبت فى ذلك العليق وجاء البازى فى الانقضاض عليها فركض الملك خلفه حتى وقف على مكانه لخروجه وأمر بقطعها لاستنقاذ بازيه فضاع منه فقطعت وبدا له تحتها أساس قصر عظيم رآه رصه وقد كان داثرا فأمر بالكشف عنه وتقصى حدوده طولا وعرضا وتتبع اسه واصله فوجده مبنيا من وجه الماء بصم الحجارة قوى رجون وضع بينها وبين الماء باحكم صانعه فقال هذا أثر ملك كريم وأنا أولى من جدده فأمر باعادته الى هيأته واتحاده منزلا من منازل راحاته فكان اذا طاف باعماله أو مضى فى متصيده نزل فيه وصار السبب فى بناء قرطبة الى جنبه ونزل الناس فيها ونوارث الملوك قصرها من بعده ونزله الذريق فى رحفه الى العرب أما ما والحشود من أعماله تتوافى اليه ثم مضى نحو كورة شذونة يبغى لقاءهم فى حشوده الكثيرة. وقيل ان آخر ملوك الاندلس الذين تلتهم العرب غيطشة وانه هلك عن أولاد ثلاثة صغار لم يصلحوا للملك فضعفت أمورهم على بهم ملك والدهم بطليطلة وانحرف الذريق قائد الخيل لوالدهم فيمن تبعه عنهم فصار بقرطبة فلما اقتحم طارق الاندلس نفر اليه الذريق واستمر اليه اجناد أهل الاندلس وكتب الى اولاد غيطشة وقد نزعوا وركبوا الخيل واتخذوا الرجال يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب ويحذرهم من القعود عنه ويحضهم على أن يكونوا على عدوهم يدا واحدة فلم يجدوا بدا وجندوا وقدموا عليه بقرطبة فنزلوا اكناف قريته فتقندة بعدوة نهرها قبالة القصر ولم يطمئنوا الى الدخول على الذريق أخذا بالحزم الى أن استتب جهاز الذريق وخرج فانضموا اليه ومضوا معه وهم مرصدون لمكروهه والاصح والله أعلم ما سبق ان ملك القوط اجتمع للذريق واختلف فى اسمه فقيل رذريق بالراء أوله وقيل باللام لذريق وهو الاشهر وقيل ان أصله من اصبهان ويسمى الاشبان والله اعلم قالوا وعسكر لذريق فى نحو مائة ألف ذوى عدد وعدة فكتب طارق الى موسى يعتمده ويعرفه ان فتح الجزيرة الخضراء فرضة الاندلس وملك المجاز اليها واستولى على احمالها الى البحيرة وان الذريق زحف اليه بما لا قبل له به الا أن يشاء الله وكان موسى منذ وجه طارقا لوجهه قد أخذ فى عمل السمن حتى صار عنده منها عدة كثيرة فحمل الى طارق فيها خمسة آلاف من المسلمين مددا كملت بهم عدة من معه اثنى عشر ألفا أقوياء على المغانم حراصا على اللقاء ومعهم يليان المستأمن اليهم فى رجاله واهل عمله يدلهم على العورات ويتجسس الاخبار وأفيض نحوهم لذريق فى جموع العجم وملوكها وفرسانها فلما تواقفا بينهم وقال بعضهم لبعض ان هذا ابن الخبيثة فدغلب على سلطاننا وليس من أهله وانما كان من أتباعنا فلسنا نعدم من سيرته خبالا فى أمرنا وهؤلاء القوم الطارقون لا حاجة لهم فى استيطان بلدنا وانما مرادهم أن يملؤا أيديهم من الغنائم ثم يخرجوا عنا فهلم فلنهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقيناه القوم لعلهم يكفوننا اياه فاذا انصرفوا عنا قعدنا فى ملكنا

جيحون وعلى هذين النهرين العذرية من الترك وبذين احاط لم نحط بها لما بينها وبيننا على وجه الارض فنذكر ذلك (وكذلك) بجيحون نهر اهندذ يؤذى من جبل أفاصى أرض الهند مما يلى الصين من بحر الهند غرس الترك وهو مقدار مرباله الى ان ينصب فى البحر الحبشى مما يلى جبل المقمر أربعمائة فرسخ (وامر الفرات) يبدؤه من بلاد قاليقلا من ثغور أرمينية من جبل هناك يدعى افردحس على نحو يوم من قاليقلا ومقدار جريانه من بلاد الروم الى أن أتى بلد منبج وأخبرنى بعض اخواننا من المسلمين ممن كان أسيرا فى أرض بلاد النصرانية ان الفرات اذا توسط أرض الروم غلبت اليه مياه كثيرة من نهر يخرج مما يلى بحيرة نادر مون وليس فى أرض الروم بحيرة أكبر منها وهى نحو من شهر وقيل أكثر من ذلك طولا وعرضا تجرى فيها السفن وتنتهى الى الفرات الى جسر منبج وقد اجتاز تحت قلعة سميساط وهى قلعة الطين ثم ينتهى الى مالبس وهى نصفان موضع حرب أهل العراق وأهل الشام ثم ينتهى الى الرقة والى الرحبة وهيت والانبار ويأخذ منه انهار من

مثل نهر عيسى وغيره مما ينتهى الى مدينة السلام فيصب فى دجلة وينتهى الفرات ١٢١ الى بلاد سوار وقصر ابن هبيرة والكوفة

من يستحقه فأجمعوا على ذلك والقضاء يبرم ما ارتأوه وكان لذريق ولى ميمنته احد ابنى غيطشة وميسرته الآخر فكانا رأسى الذين أداروا عليه الهزيمة وأداهما الى ذلك طمع رجوع ملك والدهما اليهما * وقيل لما تقابل الجيشان أجمع أولاد غيطشة على الغدر بلذريق وأرسلوا الى طارق يعلمونه أن لذريق كان تابعا وخادما لابيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه وأنهم غير تاركى حقهم لديه ويسألونه الامان على أن يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وأن يسلم اليهم اذا ظفر ضياع والدهم بالاندلس كلها وكانت ثلاثة آلاف ضيعة نفائس مختارة وهى التى سميت بعد ذلك صفايا الملوك فأجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه فالتقى الفريقان من الغد فانحاز الاولاد الى طارق فكان ذلك أقوى أسباب الفتح وكان الالتقاء على وادى لكة من كورة شدونة فهزم الله الطاغية لذريق وجموعه ونصر المسلمين نصرا لا كفاء له ورمى لذريق نفسه فى وادى لكة وقد أثقلته الجراح فلم يعلم له خبر ولم يوجد * وقيل نزل طارق بالمسلمين قريبا من عسكر لذريق منسلخ شهر رمضان سنة ٩٢ فوجه لذريق عليما من أصحابه قد عرف نجدته ووثق ببأسه ليشرف على عسكر طارق فيحزر عددهم ويعاين هيآتهم ومراكبهم فاقبل ذلك العلج حتى طلع على العسكر ثم شد فى وجوه من استشرفه من المسلمين فولوا اليه فولى منصرفا راكضا وفاتهم بسبق فرسه فقال العلج للذريق أتلك الصور التى كشف لك عنها التابوت فخذ على نفسك فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت أو اصابة ما تحت قدميك قد حرقوا مراكبهم اياسا لانفسهم من التعلق بها وصاروا فى السهل موطنين أنفسهم على الثبات اذ ليس لهم فى أرضنا مكان هرب فرعب وتضاعف جزعه والتقى العسكران بالبحيرة واقتتلوا قتالا شديدا الى أن انهزمت ميمنة لذريق وميسرته انهزم بهما أبناء غيطشة وثبت القلب بعدهما قليلا وفيه لذريق فغدر أهله بشئ من قتال ثم انهزموا ولذريق أمامهم فاستمرت هزيمتهم وأذرع المسلمون القتل فيهم وخفى أثر لذريق فلا يدرى أمره الا أن المسلمين وجدوا فرسه الاشهب الذى فقدوه وراكبه وعليه سرج له من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد ووجدوا أحد خفيه وكان من ذهب مكلل بالدر والياقوت والزبرجد وقد ساخ الفرس فى طين وحمأة وغرق العلج فثبت أحد خفيه فى الطين فاخذ وخفى الآخر وغاب شخص العلج ولم يوجد حيا ولا ميتا والله أعلم بشأنه (وقال الرازى) كانت الملاقاة يوم الاحد للليلتين بقيتا من شهر رمضان فاتصلت الحرب بينهم الى يوم الاحد لخمس خلون من شوال بعده تمة ثمانية أيام ثم هزم الله المشركين فقتل منهم خلق عظيم أقامت عظامهم بعد ذلك بدهر طويل ملبسة بتلك الارض قالوا وحاز المسلمون من عسكرهم ما يجل قدره فكانوا يعرفون كبار العجم وملوكهم بخواتيم الذهب يجدونها فى أصابعهم ويعرفون من دونهم بخواتيم الفضة ويميزون عبيدهم بخواتيم النحاس فجمع طارق الفىء وخمسه ثم اقتسمه أهله على تسعة آلاف من المسلمين سوى العبيد والاتباع وتسامع الناس من أهل برّ العدوة بالفتح على طارق بالاندلس وسعة المغانم فيها فأقبلوا نحوه من كل وجه وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا بطارق وارتفع اهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال ثم اقبل طارق حتى نزل باهل مدينة شدونة فامتنعوا عليه فشد الحصر عليهم حتى نهكهم

والجامعين واحداباذ والفرس والطفوف ثم تنتهى غايته الى البطيحة التى بين البصرة وواسط فيكون مقدار جريانه على وجه الارض نحوا من خمسمائة فرسخ وقد قيل أكثر من ذلك وقد كان الفرات الاكثر من مائه ينتهى الى بلاد الحيرة ونهر هاتين الى هذا الوقت فيصب فى البحر الحبشى حينئذ فى الموضع المعروف بالجحف فى هذا الوقت وكانت تتقدم هنالك سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة وقد ذكر ما قلنا عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغسانى حين خاطب خالد ابن الوليد فى أيام أبى بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه حين قال له ما تذكر قال اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون فلما انقطع الماء عن ذلك الموضع انتقل البحر برا فصار من البحر فى هذا الوقت على مسيرة أيام كثيرة ومن رأى النجف وأشرف عليه تبين له ما وصفنا وكثر رمل دجلة العوراء فصار بينها وبين الدجلة فى هذا الوقت مسافة بعيدة وصارت تدعى بطن حرجى وذلك من جهة مدينة فارس من أعمال واسط الى

١٦ ط ل دقوقاء الى نحو بلاد السوس وكذلك ما حدث فى الجانب الشرقى ببغداد من الموضع المعروف برقة النماسية

المعروف بالعمر وغير ذلك من ضياع قطربل وقد كان لاهلها مطالبات مع أهل الجانب الشرقي ممن ملك رقة الشماسية في أيام المقتدر بحضرة الوزير أبي الحسن علي بن عيسى وبما أجاب به أهل العلم في ذلك وما ذكرناه مشهور بمدينة السلام فاذا كان الماء في نحو من ثلاثين سنة قد ذهب بنحو من تسعمائة ميل فانه يسير ميلا في قدره في سنة فاذا سار اليهم أربعة آلاف ذراع من عرضه الاول خربت بذلك السير مواضع وعمرت مواضع واذا وجد الماء سبيلا منخفضا وانصبابا واسع بالحركة وشدة الجرية انهسه فاقتلع المواضع من الارض من أبعد غاياتها وكلما وجد موضعا متسعا من الوهاد ملأه في طريقه من شدة جريته حتى يعمل بحيرات وبطائح ومستنقعات وتخرب بذلك بلاد ونعمر بذلك بلاد ولا يغيب فهم ما وصفنا عن مرام ذي فكر ولنبدأ بذكر (دجلة ومبدأ جريانها ومصبها) فنقول دجلة تخرج من بلاد آمد من ديار بكر من أعين بلاد خلاط من أرمينية ويصب اليها نهر سريط وسائر ما يخرج من بلاد أردن وميافارقين وغير ذلك من الانهار كنهر دمنا والخابور الخارج من بلاد ارمينية عن

وأضرهم فتهيأ له فتحها عنوة فحاز منها غنائم ثم مضى منها الى مدورثم عطف على قرمونة فحربها عنوة ومنها اليه ثم مال على اشبيلية فصالحه أهلها على الجزية ثم نازل أهل استجة وهم في قوة ومعهم فل عسكر لذريق فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين ثم ان الله تعالى أظهر المسلمين عليهم فانكسروا ولم يلق المسلمون فيما بعد حربا مثلها وأقاموا على الامتناع الى أن ظفر طارق بالعلج صاحبها وكان مغتراسيء التدبير فخرج الى النهر لبعض حاجاته وحده فصادف طارقا هناك قد أتى لمثل ذلك وطارق لا يعرفه فوثب عليه طارق في الماء فأخذه وجاء به الى العسكر فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة فصالحه طارق على ما أحب وضرب عليه الجزية وخلى سبيله فوفى بما عاهد عليه وقذف الله الرعب في قلوب الكفرة فما رأوا طارقا ولا غل في البلاد وكانوا يحسبونه راغبا في المغنم عاملا على القفول فسقط في أيديهم وتطايروا عن السهول الى المعاقل وصعد ذوو القوة منهم الى دار مملكتهم طليطلة قيل وكان من ارهاب طارق لنصارى الاندلس وحيله أن تقدم الى أصحابه في تفصيل لحوم القتلى بحضرة أسراهم وطبخها في القدور يرونهم أنهم يأكلونها فجعل من انطلق من الاسرى يحدثون من وراءهم بذلك فمتلئ منه قلوبهم رعبا ويجفلون فرارا فقالوا وقال يليان لطارق قد فضضت جيوش القوم ورعبوا فاصمد لبيضتهم وهؤلاء أدلاء من أصحابي مهرة ففرق جيوشك معهم في جهات البلاد واعمد أنت الى طليطلة حيث معظمهم فاشغل القوم عن النظر في أمرهم والاجتماع الى أولى رأيهم ففرق طارق جيوشه معهم من استجة فبعث مغيثا الرومي مولى الوليد بن عبد الملك الى قرطبة وكانت من أعظم مدائنهم في سبعمائة فارس لان المسلمين ركبوا جميعا خيل العجم ولم يبق فيهم راجل وفضلت عنهم الخيل وبعث جيشا آخر الى مالقة وآخر الى غرناطة مدينة البيرة وسار هو في معظم الناس الى كورة جيان يريد طليطلة وقد قيل ان الذي سار لقرطبة طارق بنفسه لا مغيث قالوا فكمنوا بعدوة نهر شقندة في غيضة أرز شامخة وارسلت الادلاء فأمسكوا راعي غنم فسئل عن قرطبة فقال رجل عنها عظماء أهلها الى طليطلة وبقي فيها أميرها في أربعمائة فارس من حماتهم مع ضعفاء أهلها وسئل عن سورها فأخبر انه حصين عال فوق أرضها الا أنه فيه ثغرة ووصفها لهم فلما جنهم الليل اقبلوا نحو المدينة ووطأ الله لهم أسباب الفتح بان أرسل السماء رذاذا أخفى دقدقة حوافر الخيل وأقبل المسلمون رويدا حتى عبروا نهر قرطبة ليلا وقد أغفل حرس المدينة احتراس السور فلم يظهروا عليه ضيقا بالذي نالهم من المطر والبرد فترجل القوم حتى عبروا النهر وليس بين النهر والسور الا مقدار ثلاثين ذراعا أو اقل وراموا التعلق بالسور فلم يجدوا متعلقا ورجعوا الى الراعي في دلالتهم على الثغرة التي ذكرها فأراهم اياها فاذا بها غير متسهلة التسنم الا انه كانت في اسفلها شجرة تين مكنت افنانها من التعلق بها فصعد رجل من اشداء المسلمين في اعلاها ونزع مغيث عمامته فناوله طرفها واعان بعض الناس بعضا حتى كثروا على السور وركب مغيث ووقف من خارج وامر اصحابه المرتقين للسور بالهجوم على الحرس ففعلوا وقتلوا نفرا منهم وكسروا اقفال الباب وفتحوه فدخل مغيث ومن معه وملكوا المدينة عنوة فصمد الى البلاط منزل الملك ومعه ادلاؤه وقد بلغ الملك دخولهم المدينة فبادر بالفرار

عن البلاد فى أصحابه وهم زهاء أربعمائة وخرج الى كنيسة بغربى المدينة وتحصن بها وكان الماء يأتيها تحت الارض من عين فى سفح جبل ودافعوا عن أنفسهم وملك مغيث المدينة وماحولها وقال من ذهب الى أن طارقا لم يحضر فتح قرطبة وان فاتحها مغيث انه كتب الى طارق بالفتح وأقام على محاصرة العلج بالكنيسة ثلاثة أشهر حتى ضاق من ذلك وطال عليه فتقدم الى أسود من عبيده اسمه رباح وكان ذا بأس ونجدة بالكمون فى جنان الى جانب الكنيسة ملتفة الاشجار لعله أن يظفر له بعلج يقف به على خبر القوم ففعل ودعاه ضعف عقله الى أن صعد فى بعض تلك الاشجار وذلك أيام الثمر ليجنى ما يأكله فبصر به أهل الكنيسة وشدوا عليه فأخذوه فلكموه وهم فى ذلك هائبون له منكرون لخلقه اذ لم يكونوا عاينوا أسود قبله فاجتمعوا عليه وكثر لغطهم وتعجبهم من خلقه وحسبوا أنه مصبوغ أو ممالئ ببعض الاشياء التى تسود فجردوه وو.ط جاعتهم وأدنوه الى القناة التى منها كان يأتيهم الماء وأخذوا فى غسله وتدليكه بالحبال الخرش حتى أدموه وأعنتوه فاستغاثهم وأشار الى أن الذى به خلقة من بارئهم عز وجل ففهموا اشارته وكفوا عنه وعن غسله واشتد فزعهم منه ومكث فى اسارهم سبعة أيام لا يتركون التجمع عليه والنظر اليه الى أن يسر الله له الخلاص ليلا ففر وأتى الامير مغيثا فخبره بشأنه وعرفه بالذى اطلع عليه من شأنهم وموضع الماء الذى ينتابونه ومن أى ناحية يأتيهم فأمر أهل المعرفة بطلب تلك القناة فى الجهة التى أشار اليها لاسود حتى أصابوها فقطعوها عن جريتها الى الكنيسة وسدوا منافذها فأيقنوا بالهلاك حينئذ فدعاهم مغيث الى الاسلام أو الجزية فأبوا عليه فأوقد النار عليهم حتى أحرقهم فسميت كنيسة الحرق والنصارى تعظمها لصبر من كان فيها على دينهم مع شدة البلاء غير أن العلج أميرهم رغب بنفسه عن بليتهم عندايقان الهلاك ففر عنهم وحده وقد استغفلهم ورام اللحاق بطليطلة فبلغ خبره الى مغيث فبادر الركض خلفه وحده فلحقه بقرب قرية تطيرة هار باوحده وتحته فرس أصفر ذريع الخطو وحرك مغيث خلفه فالفت العلج ودهش لما رأى مغيثا قد رهقه وزاد فى حث فرسه فقصر به فسقط عن الفرس واندق عنقه فقعد على ترسه مستأسرا قد هاضته السقطة فقبض عليه مغيث وسلبه سلاحه وحبسه عنده ليقدم به على أمير المؤمنين الوليد ولم يؤسر من ملوك الاندلس غيره لان بعضهم استأمن وبعضهم ضرب الى جليقية وفى رواية ان مغيثا استنزل أهل الكنيسة بعد أسر ملكهم فضرب أعناقهم جميعا فمن أجل ذلك عرفت بكنيسة الاسرى وان مغيثا جمع يهود قرطبة فضمهم الى مدينتها استتمامة اليهم دون النصارى للعداوة بينهم وانه اختار القصر لنفسه والمدينة لاصحابه * وأما من وجه الى مالقة ففتحوها ولجأ علوجها الى جبال هنالك ممتنعة ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه الى البيرة فحاصر وا مدينتها غرناطة فافتتحوها عنوة وضموا اليهود الى قصبة غرناطة وصار ذلك لهم سنة فى كل بلد يفتحونه أن يضموا يهوده الى القصبة مع قطعة من المسلمين لحفظها ويمضى معظم الناس لغيرها واذا لم يجدوا يهودا وفروا عدد المسلمين المخلفين لحفظ ما فتح ثم صنعوا عند فتح كورة رية التى منها ما لقه مثل ذلك ومضى الجيش الى تدمير وتدمير اسم العلج صاحبها سميت به واسم قصبتها

وفى قردى وبازندى يقول الشاعر

بقردى وبازندى مصيف ومربع
وعذب يحاكى السلسلى برود
و بغداد ما بغداد أما ترابها
فحمى واما حرها فشديد

وليس هذا الخابور خابور النهر الذى يخرج من مدينة راس العين من اعينها و يصب فى الفرات اسفل مدينة قرقيسيا ثم تمر دجلة بمدينة بلاد الموصل و يصب اليها نهر الزاب وهو من بلاد ارمينية (وهو الزاب الاكبر) بعد الموصل وفوق حديثة ثم يصب فيها زاب آخر فوق مدينة السحرة يأتى من بلاد ارمينية واذربيجان ثم ينتهى الى مدينة تكريت وسر من أى ومدينة السلام فيصب اليها الخندق والصراة ونهر عيسى وهى الانهار التى ذكرنا أنها تأخذ من الفرات وتصب فى دجلة ثم تخرج دجلة عن مدينة السلام فينصب فيها أنهار كثيرة مثل النهر المعروف بدالى ونهر بين والنهروان مما يلى بلاد جرجرايا والسبب ونيل النعمانية فاذا خرجت

دجلة من مدينة واسط تفرقت فى أنهار هنالك أخر الى بطيحة البصرة مثل بردود اليهودى ومسامى والمصب الذى ينتهى الى

اربولة ولها ثأر في المنعة وكان ملكها علجا داهية وقاتلهم مصحيا ثم استمرت عليه الهزيمة في حصنها فبلغ السيف في أهلها مبلغا عظيما أفنى أكثرهم ولجأ العلج الى اربولة في يسير من أصحابه لا يغنون شيأ فأمر النساء بنشر الشعور وحمل القصب والظهور على السور في زي الرجال متشبهات بالرجال وتصدر قدامهن في بقية أصحابه يغالط المسلمين في قوته على الدفاع عن نفسه فكره المسلمون مراسه لكثرة من عاينوه على الامور وعرضوا عليه الصلح فأظهر الميل اليه وتسكر زبه فنزل اليهم بأمان على انه رسول فصالحهم على أهل بلده ثم على نفسه وتوثق منهم فلما تم له من ذلك ما أراد عرفهم بنفسه واعتذر اليهم بالابقاء على قومه وأخذهم بالوفاء بعهده وأدخلهم المدينة فلم يجدوا فيها الا العيال والذرية فندموا على الذي اعطوه من الامان واستراحوه فيما احتال به ومضوا على الوفاء له وكان الوفاء عادتهم فسلمت كورة نينوى من معرة المسلمين بتدبير مرتد ميروصارت كلها صلحا ليس فيها عنوة وكتبوا الى أميرهم طارق بالفتح وخلفوا بقصبة البلد رجالا منهم ومضى معظمهم الى أميرهم لفتح طليطلة قال ابن حيان وانتهى طارق الى طليطلة دار مملكة القوط فألفاها خالية قد فر عنها أهلها ولجؤا الى مدينة بها خلف الجبل فضم اليهود الى طليطلة وخلف بها رجالا من أصحابه ومضى خلف من فر من أهل طليطلة فسلك وادي الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سمي به بعد فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل وهي المنسوبة لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وهي خضراء من زبرجد حافاتها منها وارجلها وكان لها ثلثمائة وخمسة وستون رجلا فاحرزها عنده ثم مضى الى المدينة التي تحصنوا بها خلف الجبل فأصاب بها حليا ومالا ورجع ولم يتبا وزها الى طليطلة سنة ثلاث وتسعين وقيل انه لم يرجع بل اقتحم أرض جليقية واخترقها حتى انتهى الى مدينة استرقة فدوخ الجهة وانصرف الى طليطلة والله أعلم وقيل ان طارقا دخل الاندلس بغير أمر مولاه موسى بن نصير فالله أعلم قال بعضهم وكانت اقامته في الفتوح وتدويخ البلاد الى ان وصل سيده موسى بن نصير سنة وكان ماسيذكر وأنشد في المسهب وابن اليسع في المغرب لطارق من قصيدة قالها في الفتح

ركبنا سفينا بالمجاز مقيرا * عسى ان يكون الله منا قد اشترى
نفوسا وأموالا واهلا بجنة * اذا ما اشتهينا الشئ فيها تيسرا
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا * اذا نحن ادركنا الذي كان اجدرا

قال ابن سعيد وهذه الابيات مما يكتب للراعاة قائلها ومكانته لا لعلو طبقتها انتهى * واما اولاد غيطشة فانهم لما صاروا الى طارق بالامان وكان سبب الفتح حسبما تقدم قالوا لطارق أنت امير نفسك ام فوقك امير فقال بل على رأسي امير وفوق ذلك الامير أمير عظيم فاستأذنوه في اللحاق بموسى بن نصير بافريقية ليؤكدوا سببهم به وسألوه الكتاب اليه بشأنهم معه وما اعطاهم من عهده ففعل وساروا نحو موسى فتلقوه في انحداره الى الاندلس بالقرب من بلاد البربر وعرفوه بشأنهم ووقف على ما خاطبه به طارق في ذمتهم وسابقتهم فأنفذهم الى امير المؤمنين الوليد بالشام بدمشق وكتب اليه بما عرفه به طارق من جميل أثرهم فلما وصلوا الى الوليد أكرمهم وأنفذ لهم عهد طارق في ضياع والدهم وعقد لكل واحد منهم سبلا وجعل

فرسخ وقيل اربعمائة وقد اعرضنا عن كثير من ذكر انهارها الاما كبر واشتهر اذ كنا قد اتينا على ذكر ذلك على الاتساع في الكتاب المترجم باخبار الزمان وكذلك في الكتاب الاوسط وندكر في هذا الكتاب ما لم نسمه ومما نسمه وللبصرة انهار كبار مثل نهر سيرين ونهر الرس ونهر ابن عمرو كذلك ببلاد الاهواز وما بينها وبين بلاد البصرة اعرضنا عن ذكر ذلك اذ كنا قد تقصينا الاخبار عنها واخبار منتهى بحر فارس الى بلاد البصرة والابلة وخبر الموضع المعروف بالحدارة وهي دخلة من البحر الى البر تقرب من نحو بلاد الابلة ومن اجلها ملح الاكثر من بلاد البصرة ولهذه الحدارة انحدرت الاخشاب في فم البحر مما يلي الابلة وعباد ان عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرسي في جوف الليل خوفا على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرهما ان تقع في تلك الحدارة فلا يكون لها خلاص وقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وهذه الديار عجيبة في مصبات مياهها واتصال البحر بها والله أعلم

لهم أن لا يقوموا الداخل عليهم فقدموا الاندلس وجاز واضياع والدهم اجمع واقتسموها على موافقة منهم فصار منها لكبيرهم ألمند ألف ضيعة في غرب الاندلس فسكن من أجلها اشبيلية مقترنا منها وصار لارطباش ألف ضيعة وهو تلوه في السن وضياعه في موسطة الاندلس فسكن من أجلها قرطبة وصار لشانهم وذلة ألف ضيعة في شرقي الاندلس وجهة الثغر فسكن من أجلها مدينة لمليطله فكانوا على هذه الحال صدر الدولة العربية الى أن هلك ألمند كبيرهم وخلف ابنته سارة المعروفة بالقوطية وابنين صغيرين فبسط يده ارطباش على ضياعهم وضمها الى ضياعه وذلك في خلافة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فأنشأت سارة بنت ألمند مركبا اشبيلية حصينا كامل العدة وركبت فيه مع اخويها الصغيرين تريد الشام حتى نزلت بعسقلان من ساحلها ثم قصدت باب الخليفة هشام بداره دمشق فأنهت خبرها وشكت ظلامتها من عمها وتعديه عليها واحتجت بالعهد المنعقد لابيها واحوته على الخليفة الوليد بن عبد الملك فأوصلها هشام الى نفسه وأعجبه صورتها وحزمها وكتب الى حنظلة ابن صفوان عامله بافريقية يأمره أن يضم لها من عمها ارطباش وامضائها واخويها على سنة الميراث فيما كان في يد والدهما مما قاسم فيه اخوته فأنفذ لها الكتاب بذلك الى عامله بالاندلس أبي الخطار ابن عمه فتم لها ذلك وانكحها الخليفة هشام من عيسى بن مزاحم فابتنى بها بالشام ثم قدم بها الى الاندلس وقام لها في دفاع عمها ارطباش عن ضياعها فنال بها نعمة عظيمة وولد له منها ولداه ابراهيم واسحق فادركا الشرف المؤثل والرياسة باشبيلية وشهرا ونسلهما بالنسبة الى أمهما سارة القوطية وكانت أيام وفادتها على الخليفه هشام رأت عنده حفيده عبد الرحمن ابن معاوية الداخل بعد الى الاندلس وعرفها فتوسلت اليه لما ملك الاندلس ووفدت اليه فاعترف بذمامها وأكرمها وأذن لها في الدخول الى قصره متى جاءت الى قرطبة فيجدد تكرمتها ولا يحجب عياله منها وتوفي زوجها عيسى في السنة التي ملك فيها عبد الرحمن الاندلس فزوجها عبد الرحمن من عمير بن سعيد وكان لها ولابيها ألمند وعمها ارطباش في صدر الدولة العربية بالاندلس أخبار ملوكية فمنها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المالكي انه قصد ارطباش يوما الى منزله عشرة من رؤساء رجال الشاميين فيهم الصميل وابن الطفيل وابو عبدة وغيرهم فأجلسهم على الكراسي وبالغ في تكريمهم ودخل على اثرهم ميمون العابد جد بني حزم وكان في عداد الشاميين الا انه كان شديد الانقباض عنهم لزهده وورعه فلما بصر به ارطباش قام اليه دونهم اعظاما وارقاه الى كرسيه الذي كان يجلس عليه وكان ملبسا صفائح الذهب وجذبه ليجلسه مكانه فامتنع عليه ميمون وقعد على الارض فقعد ارطباش معه عليها واقبل عليه قبلهم فقال له ياسيدي ما الذي جاء بك الى منزلي فقال له ما تسمعه انا قدمنا الى هذا البلد غزاة نحسب ان متأمنا فيه لا يطول فلم نستعد للمقام ولا كثر نا من العدة ثم حدثت بعدنا على موالينا وفي اجنادنا ما قد ايسنا معه من الرجوع الى اوطاننا وقد وسع الله عليك فأحب أن تدفع الي ضياعا من ضياعك اعتمره بيدي وأؤدي اليك الحق منها وآخذ الفضل لي طيبا اتعيش منه فقال لا ارضى لك بالمساهمة بل اهب لك هبة مسوغة ثم دعا بوكيل له فقال له سلم اليه المحشر الذي لنا على وادي شوش بما لنا فيه من العبيد والدواب والبقر وغير ذلك وادفع اليه

قوله زاد بحر الهند وهو الحبشي حتى امتد ساحله من المغرب الى المشرق من أقصى الحبش الى اقصى الهند والصين وصار ثمانية آلاف ميل وعرضه الفان وثمانمائة ميل وعرضه في مواضع اخر الف وثمانمائة ميل وقد يتقارب في ذلة العرض في موضع دون موضع ويكثر كذلك وقد قيل في طوله وعرضه غير ما وصفنا من الكثرة واعرضنا عن ذكره لعدم قيام الدلالة على صحته عند اهل هذه الصناعة وليس في المعمور اعظم من هذا البحر وله خليج متصل بارض الحبشة يمتد الى ناحية بربري من بلاد الزنج والحبشة ويسمى الخليج البربري طوله خمسمائة ميل وعرض طرفيه مائة ميل وليست هذه بربري التي ينسب اليها البرابرة الذين ببلاد المغرب من ارض افريقية لان هذا موضع آخر يدعى بهذا الاسم واهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج الى جزيرة فنبلو من بحر الزنج وفي هذه البحيرة مسلمون من الاكابر من الزنج والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون ان هذا الخليج المعروف بالبربري وهم يعرفونه ببحر بربري وبلاد جمونى أكثر مسافة مما ذكرنا وموجه عظيم كالجبال الشواهق فانه

الضيعة التي بجيان فتسلم ميمون الضيعتين وورثهما ولده واليهم نسبت قلعة حزم فشكره ميمون وأثنى عليه وقام عنه وقد أنف الصميل من قيامه اليه فأقبل على ارطباش وقال له كنت أظنك أرجح وزنا أدخل عليك وأنا سيد العرب بالاندلس في أصحابي هؤلاء وهم سادة الموالي فلا نزيدنا من الكرامة على الاقعاد على أعوادك هذه ويدخل هذا الصعلوك فتصير من اكرامه الى حيث صرت فقال له يا أباجوشن ان أهل دينك يخبروننا أن أدبهم لم يرهقك ولو كان لم تنكر علي ما فعلته انكم أكرمكم الله انما تكرمون لدنياكم وسلطانكم وهذا انما أكرمته لله تعالى فقد روينا عن المسيح عليه السلام أنه قال من أكرمه الله تعالى من عباده بالطاعة له وجبت كرامته على خلقه فكأنما ألقمه حجرا وكان الصميل أميا فلذلك عرض به فقال له القوم دعنا من هذا وانظر فيما قصدناك له فحاجتنا حاجة الرجل الذي قصدك فاكرمته فانظر في شأننا فقال له أنتم ملوك الناس وليس يرضيكم الا الكثير وها أنا أهب لكم مائة ضيعة تقتسمونها عشرا عشرا وكتب لهم بها وأمر وكلاءه بتسليمها اليهم فكان القوم يرونها من أطيب املاكهم انتهى * قال ابن حيان وغيره ولما بلغ موسى بن نصير ماصنعه طارق بن زياد وما اتيح له من الفتوح حسده وتهيأ للمسير الى الاندلس فعسكر وأقبل نحوها ومعه جماعة الناس واعلامهم وقيل انهم كانوا ثمانية عشر ألفا وقيل أكثر فكان دخوله الى الاندلس في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وتنكب الجبل الذي حله طارق ودخل على الموضع المنسوب اليه المعروف الآن بجبل موسى فلما احتل الجزيرة الخضراء قال ما كنت لاسلك طريق طارق ولا اقفو أثره فقال له العلوج الادلاء أصحاب يليان نحن نسلكك طريقا هو أشرف من طريقه وندلك على مدائن هي أعظم خطرا وأعظم خطبا وأوسع غنما من مدائنه لم تفتح بعد يفتحها الله عليك ان شاء الله تعالى فلئ سرورا وكان شغوف طارق قد غمه فساروا به في جانب ساحل شدونة فافتتحها عنوة وألقوا بايديهم اليه ثم سار الى مدينة قرمونة وليس بالاندلس أحصن منها ولا أبعد على من يرومها بحصار أو قتال فدخلها بحيلة توجهت باصحاب يليان دخلوا اليهم كأنهم فلال وطرقهم موسى بخيله ليلا ففتحوا لهم الباب وأوقعوا بالاحراس فملكت المدينة ومضى موسى الى اشبيلية جارتها فحاصرها وهي أعظم مدائن الاندلس شأنا وأعجبها بنيانا وأكثرها آثارا وكانت دار الملك قبل القوطيين فلما غلب القوطيون على ملك الاندلس حولوا السلطان الى طليطلة وبقي رؤساء الدين فيها أعني اشبيلية فامتنعت أشهرا على موسى ثم فتحها الله عليه فهرب العلوج عنها الى مدينة باجة فضم موسى يهودها الى القصبة وخلف بها رجالا ومضى من اشبيلية الى القنت الى مدينة ماردة وكانت أيضا دار مملكة لبعض ملوك الاندلس في سالف الدهر وهي ذات عز ومنعة وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس جليلة القدر فائقة الوصف فحاصرها أيضا وكان في أهلها منعة شديدة وباس عظيم فنالوا من المسلمين دفعات وآذوهم وعمل موسى دبابة دب المسلمون تحتها الى برج من أبراج سورها جعلوا ينقبونه فلما فلعوا الحجر أفضوا بعده الى العمل المدعو بلسان العجم الاشه ماسنه فنبت عنه معاولهم وعدتهم وثار بهم العدو على غفلة فاستشهد بايديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة فسمي ذلك الموضع برج الشهداء

يظهر من ذلك زبد كتكسر أمواج سائر البحار ويزعمون انه موج مجنون وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الازد فاذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين ماذكرنا من الامواج ترفعهم وتخفضهم فيرتجزون ويقولون

بربري وجفوني
وموجك المجنون
جفوني وبربري
وموجها كما ترى

وينتهي هؤلاء في بحر الزنج الى جزيرة قنبلو على ماذكرنا والى بلاد سفالة الواق واق من أقاصي أرض الزنج والاسافل من نحوهم ويقطع هذا البحر السيرافيون وقد ركبت أنا هذا البحر من مدينة سنجار ومن بلاد عمان (وسنجار قصبة بلاد عمان) مع جماعة من نواخذة السيرافيين وهم أرباب المراكب مثل محمد بن الريدوم السيرافي وجوهر ابن أحمد وهو المعروف بابن نسوة وفي هذا البحر تلف ومن كان معه في مركبه وآخر مرة ركبت فيه في سنة أربع وثلثمائة من جزيرة قنبلو الى مدينة عمان وذلك في مركب أحمد وعبد الصمد أخوي عبد الرحيم بن جعفر السيرافي بمكان وفيه غرقا في مركبهما وجميع من كان معهما ثم

ثم دعا القوم الى السلم فترسل اليه فى تقرير قوم من أماثلهم أعطاهم الامان واحتال فى توهيمهم فى نفسه فدخلوا عليه أول يوم فاذا هو أبيض الرأس واللحية كما نصل خضابه فلم يتفق لهم معه أمر وعاودوه قبل الفطر بيوم فاذا هو قد فنى لحيته بالحناء فجاءت كضرام عرفج فعجبوا من ذلك وعاودوه يوم الفطر فاذا هو قد سوّد لحيته فازداد تعجبهم منه وكانوا لا يعرفون الخضاب ولا استعماله فقالوا لقومهم انا نقاتل أنبياء يتخلقون كيف شاؤا ويتصوّرون فى كل صورة احبوا كان ملكهم شيخا فقد صار شابا والرأى أن نقاربه ونعطيه ما يسأله فما لنا به طاقة فأذعنوا عند ذلك وأكملوا صلحهم مع موسى على أن أموال القتلى يوم الكمين وأموال المحاربين الى جليقية وأموال الكنائس وحليها للمسلمين ثم فتحوا له المدينة يوم الفطر سنة أربع وتسعين فملكها ثم ان عجم اشبيلية انتفضوا على المسلمين واجتمعوا من مدينتى باجة ولبلة اليهم فاوقعوا بالمسلمين وقتلوا منهم نحو ثمانين رجلا وأتى فلهم الامير موسى وهو بماردة فلما أن فتحها وجه ابنه عبد العزيز بن موسى فى جيش اليهم ففتح اشبيلية وقتل أهلها ونهض الى لبلة ففتحها واستقامت الامور فيما هنالك وعلا الاسلام وأقام عبد العزيز باشبيلية وتوجه الامير موسى من ماردة فى عقب شوّال من العام المؤرّخ يريد طليطلة وبلغ طارقا خبره فاستقبله فى وجوه الناس فلقيه فى موضع من كورة طلبيرة وقيل ان موسى تقدّم من ماردة فدخل جليقية من فج نسب اليه فخرقها حتى وافى طارق بن زياد صاحب مقدمته بمدينة استرقة فغض منه علانية وأظهر ما بنفسه عليه من حقد والله أعلم وقيل لما وقعت عينه عليه نزل اليه اعظاما له فقنعه موسى بالسوط ووبخه على استبداده عليه ومخالفته لرأيه وسار والى طليطلة فطالبه موسى بأداء ما عنده من مال الفيء وذخائر الملوك واستعجله بالمائدة فأتاه بها وقد خلع من أرجلها رجلا وخبأه عنده فسأله موسى عنه فقال لا علم لى به وهكذا اصبتها فأمر موسى فجعل لها رجل من ذهب جاء بعيد الشبه من أرجلها يظهر عليه التعمل ولم يقدر على أحسن منه فأخل بها وقال ابن القرضى موسى بن نصير صاحب فتح الاندلس تحتى يكنى أبا عبد الرحمن يروى عن تميم الدارى وروى عنه يزيد بن مسروق اليحصبى وقيل غزا موسى بن نصير فى المحرّم سنة ثلاث وتسعين فأتى طنجة ثم عبر على الاندلس فأداخها لا يأتى على مدينة الا فتحها ونزل أهلها على حكمه وسار الى قرطبة ثم قفل على الاندلس سنة أربع وتسعين فأتى افريقية وسار عنها سنة خمس وتسعين الى الشام يؤمّ الوليد بن عبد الملك يجرّ الدنيا بما احتمله من غنائم الاندلس من الاموال والامتعة يحملها على العجل والظهر ومعه ثلاثون ألف رأس من السبى فلم يلبث أن هلك الوليد بن عبد الملك وولى سليمان فنكب موسى نكبا اداه الى المتربة فهلك فى نكبته تلك بوادى القرى سنة سبع وتسعين (قال ابن حيان) وهذه المائدة المنوّه باسمها المنسوبة الى سليمان النبى عليه الصلاة والسلام لم تكن له فيما يزعم رواة العجم وانما أصلها ان العجم فى أيام ملكهم كان أهل الحسبة منهم اذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسى وأشباهها من الذهب والفضة تحمل الشماسة والقسوس فوقها مصاحف الاناجيل اذا أبرزت فى أيام المناسك ويضعونها على

وكان ركوبى فيه أخيرا والامير على عمان أحمد بن هلال ابن أخت القتال وقد ركبت عدّته من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم واليمن وأصابنى فيها من الاهوال مالا أحصيه كثرة فلم أشاهد أهول من بحر السند الذى قدمنا ذكره وفيه السمك المعروف بالفال طول السمكة نحو من اربعمائة ذراع بالذراع العمرية وهى ذراع البحر والاغلب من هذا السمك طوله مائة باع وربما يجاوز البحر فيظهر شيأ من جناحه فيكون كالقلع العظيم وهو الشراع وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء فى الجوّ أكثر من غمر السفن والمراكب تفزع منه فى الليل والنهار وتضرب له بالدبادب والخشب لينفر من ذلك ويحشر باجنحته وذنبه السمك الى فيه وقد تقدّم ذكره وذلك السمك يهوى الى جوفه جرمه فاذا نغت هذه السمكة بعث الله عليها سمكة نحو الذراع يدعى السلّ فتلصق باصل أذنها فلا يكون لها منها خلاص فتطلب قعر البحر وتضرب بنفسها حتى تموت فتطفو فوق الماء فتكون كالجبل العظيم وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة بالسل بالمراكب فلا يدنو الافال مع عظمه من المركب ويهرب اذا رأى السمكة الصغيرة اذ كانت آفته وقاتلته وكذلك التمساح يموت من دويبة تكون

المذابح في الاعياد للمباهاة بزينتها فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صنع في هذه السبيل وتأنقت الاملاك في تفخيمها بزيد الآخر منهم على الاول حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات وطار الذكر مطاره عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد لم تر الاعين مثلها ويبالغ في تفخيمها من أجل دار المملكة وانه لا ينبغي أن تكون بموضع آلة جمال او متاع مباهاة الا دون ما يكون فيها وكانت توضع على مذبح كنيسة طليطلة فأصابها المسلمون هنالك وطار النبأ الفخم عنها وقد كان طارق ظن بموسى أميره مثل الذي فعله من غيرته على ما تهيأ له ومطالبته له بتسليم ما في يده اليه فاستظهر بانتزاع رجل من أرجل هذه المائدة خبأه عنده فكان من فلجه به على موسى عدوه عند الخليفة اذ تنازعا عنده بعد الاثر في جهادهما ما هو مشهور انتهى * وقال بعض المؤرخين ان المائدة كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد وكلها مكللة بالجواهر انتهى * وما ذكره ابن حيان من ان الذي نكب موسى بن نصير هو سليمان ابن عبد الملك صواب وأما ما حكاه ابن خلكان من ان المنكب له الوليد فليس بصحيح والله أعلم * (رجع الى كلام ابن حيان) فالوا ان موسى اصطلح مع طارق وأظهر الرضا عنه وأقره على مقدمته على رسمه وأمره بالتقدم امامه في اصحابه وسار موسى خلفه في جيوشه ذا رتق الى الثغر الاعلى واقتحم سرقسطة واعمالها واوغل في البلاد وطارق امامه لا يمر ان بموضع الا فتح عليهما واغفهما الله تعالى ما فيه وندافق الله الرعب في قلوب الكفرة فلم يعارضهما احد الا بطلب صلح وموسى يجيء على اثر طارق في ذلك كله ويكمل ابتداءه ويوثق للناس ما عاهدوه عليه فلما صفا القطر كله وطأمن نفوس من اقام على سلمه ووطأ لاقدام المسلمين في الحلول به اقام لتمييز ذلك وقتا وامضى المسلمين الى افرنجة ففتحوا وغنموا وسلموا وعلوا واوغلوا حتى انتهوا الى وادي ردونة فكان انصى اثر العرب ومنتهى موطئهم من ارض العجم وتمدوخت بعوث طارق وسراياه بلد افرنجة فملكت مدينتي برشلونة واربونة وصخرة اينيون وحصن لودون على وادي ردونة فبعدوا عن الساحل الذي منه دخلوا جدا وذكر ان مسافة ما بين قرطبة واربونة من بلاد افرنجة ثلثمائة فرسخ وخمسة وثلاثون فرسخا وقيل ثلثمائة فرسخ وخمسون فرسخا ولما اوغل المسلمون الى اربونة ارتاع لهم قارله ملك الافرنجة بالارض الكبيرة وانزعج لانبساطهم فحشد لهم وخرج عليهم في جمع عظيم فلما انتهى الى حصن لودون وعلمت العرب بكثرة جموعه زالت عن وجهه وأقبل حتى انتهى الى صخرة اينيون فلم يجد بها أحدا وقد عسكر المسلمون قدامه فيما بين الاجبل المجاور لمدينة أربونة وهم بحال غرة لا عيون لهم ولا طلائع فباشروا حتى أحاط بهم عدو الله قارله فاقتطعهم عن اللجا الى مدينة اربونة ووا ضعهم الحرب فقاتلوا قتالا شديدا استشهد فيه جماعة منهم وحمل جمهورهم على صفوفه حتى اخترقوها ودخلوا المدينة ولاذوا بحصانتها فتازلهم بها أياما اصيب له فيها رجال وتعذر عليه المقام وخامره ذعر وخوف مدد للمسلمين فزال عنهم راحلا الى بلده وقد نصب في وجوه المسلمين حصونا على وادي ردونة شكها بالرجال فصيرها ثغرا بين بلده والمسلمين وذلك بالارض الكبيرة خلف الاندلس (وقال الحجاري في المسهب) ان موسى

البر فاستلقى على قفاه فاغرا فاه فينقض الطير الماء كالطيحوى والحصافي وغير ذلك من أنواع السيور وقد اعتاد ذلك منه فيأكل ما ظهر في جوفه من ذلك الدود وتكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل تراعيه فتثب الى حلقه وتصير في جوفه فيخبط بنفسه في الارض فيطلب قعر النيل حتى تأتي الدويبة على حشوة جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج وربما يقتل نفسه قبل ان تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحو من ذراع على صورة ابن عرس ولها قوائم ومخالب وفي بحر الزنج أنواع من السمك بصور شتى ولولا ان النفوس تنكر ما لم تعرفه وتدفع ما لم تألفه لاخبرنا عن عجائب هذه البحار وما فيها من الحيات والدواب وغير ذلك من عجائب المياه والجماد فلنرجع الآن الى ذكر تشعب مياه هذا البحر وخلجانه ودخوله في البر ودخول البر فيه فنقول ان خليجا آخر يمتد من هذا البحر الحبشي فينتهي الى مدينة القلزم من أعمال مصر وبينها وبين فسطاط مصر ثلاثة أيام وعليه مدينة ايلة والجد وجدة واليمن طوله ألف وأربعمائة ميل وعرض طرفيه مائتا ميل ابن

ابن نصير نصره الله نصرا ما عليه مزيد وأجفلت ملوك النصارى بين يديه حتى خرج على باب الاندلس الذي في الجبل الحاجز بينها وبين الارض الكبيرة فاجتمعت الاعاجم الى ملكها الاذلم فارله وهذه سمة ملكهم فقالت له ما هذا الحزي الباقي في الاعقاب كما سمع بالعرب ونخائهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس وعظم ما فيها من العدة والعدد بجمعهم القليل وقلة عددهم وكثرتهم لا دروع عليهم فقال لهم ما معناه الرأي عندي ان لا نعترضهم في خروجهم من هذه فانهم كالسيل لا يحمل مرية صادره وهم على اهمال أمرهم ولهم نيات تغني عن كثرة العدد وقلوب تغني عن حصانة الدروع ولكن امهلهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم ويريدوا المسالمة ويتباعدوا في الرباط ويتفرق بعضهم عن بعض حينئذ تمكنون منهم بأيسر أمر فقال له ذلك بالله انه التي طرأت بين الشام بن والبلدين والبربر والعرب والمضرية واليمانية وصار بعض المسلمين يستعين على بعض بمن جاورهم من الاعداء انتهى وقيل ان موسى بن نصير احرج ابنه عبد الاعلى الى تدمير ففتحها والى غرناطة ومالقة وكورة رية ففتح الكل وقيل انما خاصم ولده وكان ملكها ضعيف الرأي قليل الحيلة فكان يخرج الى جيان له بجانب المدينة طلبا للراحة من همه الذي هو من غير نصب بين وعديم طليعة وعرف عبد الاعلى باموره فاكمن له في جنبات الجنة التي كان يقتنيها دونها وجوه فرسانه ذوي راى وحزم ارصدوا له ليلا فصرعوا به وملكوه وأحد المسلمون البلد عنوة وملؤا ايديهم غنيمة. وقيل كانت نفس موسى بن نصير في ذلك كله تنزعج الى دخول دار الكفر جليقية فيما هو يعمل من ذلك ويعد من اداة ومغيث الرومي رسول الوليد بن عبد الملك ومولاه يأمره بالخروج عن الاندلس والاصرار على الوغول فيها وياخذه بالعقول اليه فساءه ذلك واطلع به على ارادته اذ لم يكن في الاندلس بلد لم يدخله العرب الى وقته ذلك عبر جليقية فكان شديد الحرص على اقتحامها فلاطف موسى مغيثا رسول الخليفة وسأله اشارته الى ان ينفذ عزمه في الدخول اليها والمسير منه في البلاد اباسا ويكون شريكه في الاجر والغنيمة فعمل ومشى معه حتى بلغ المفازة فاشتد حينئذ ثار ووجد ذلك فأقام هنالك وبث السرايا حتى بلغوا الحجرة بلاي على البحر الاخضر فلم يبق كنيسة الا هدمت ولا ناقوس الا كسر وطاعت الاعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية وسكنت العرب المفاوز وكان العرب والبربر كلما مر قوم منهم بموضع اشد سموه حصونا به ونزلوه فاصغين فاتسع نطاق الاسلام بأرض الاندلس وحدث الشرك وبيما موسى كذلك اشتد الطهور وقوة الامل اذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى ابا نصر اردف به الوليد مغيثا لما استبطأ مرسى في النفول وكتب اليه يوبخه ويأمره بالخروج والزم رسوا ازعاجه فانفلع حينئذ من مدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق في الطريق منصرفا من الثغر الاعلى فأقفله مع نفسه ومضيا جميعا ومعهما من الناس من اختار النفول وافاموا من آثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها واستوطنوها وقفل معهم الرسولان مغيث وأبو نصر حتى احتلوا باشبيلية فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس واخره بمدينة اشبيلية لاتصالها بالبحر نظرا لقربه من مختاره للجواز وركب موسى البحر الى المشرق

وبلادا لهم من غربية الساحل الآخر من هذا الخليج بلاد العلاقي وبلاد العذاب من أرض مصر أرض النوبة ثم أرض الحبشة والاحابش والسودان الى أن يتصل ذلك بأقاصي أرض الزنج وأسافلها يتصل الى بلاد سمالة من أرض الزنج ويتشعب من هذا البحر خليج آخر وهو بحر فارس وينتهي الى بلاد الابلة والجبلان وسيبادان من أرض البصرة وعرضه في الاصل خمسمائة ميل وطول هذا الخليج ألف واربعمائة ميل وربما يصير عرض طرفيه مائة وخمسين ميلا وهذا الخليج مثلث الشكل ينتهي أحد زواياه الى بلاد الابلة وليه مما يلي المشرق ساحل فارس من بلاد دورق الفرس ومهربان ومدينة حسان والبها تضاف الثياب الحسابية ومدينة أجمرة بلاد سيراف ثم بلاد ابن عمارة ثم ساحل كرمان ويتصل به على ساحله هذا بلاد مكران وهي أرض الحوارج الشراة وهذه كلها أرض تحن ثم ساحل السند وفيه مصب نهر مهران وهناك مدينة الديبل ثم يكون ما رامتصلا

بدى الحجة خمس وتسعين وطرق معه وكان متقدم طارق بالاندلس قبل دخول موسى سنة
وبعد دخوله ستين واربعة اشهر وحمل موسى الغنائم والسبي وهو ثلاثون الف رأس
والمائدة منوها بها ومعها من الذخائر والجواهر ونفيس الامتعة مالا يقدر قدره وهو مع ذلك
يتلهف على الجهاد الذي فاته أسف على ما لحقه من الازعاج وكان يؤمل ان يخترق ما بقي
عليه من بلاد افرنجة ويقتحم الارض الكبيرة حتى يتصل بالناس الى الشام مؤملا ان يتخذ
مخترقه بتلك الارض طريقا مهيعا يسلكه اهل الاندلس في مسيرهم ومجيئهم من المشرق
واليه على البر لا يركبون بحرا وقيل انه أوغل في ارض الفرنجة حتى انتهى الى مفازة كبيرة
وارض سهلة ذات انهار فأصاب فيها ماء غثيا فائما كالسارية مكتوبا فيه بالنقر كتابة
عربية رثة فادامى يا بني اسمعيل انهيم فارجعوا فها له ذلك وقال ما كتب هذا الا لامعى
كبير قد ورد أصحابه في الاعراض عنه وجوازه الى ماوراءه فاختلفوا عليه فاخذ برأي
جمهورهم وانصرف بالناس وقد أشرفوا على قطع البلاد وتقصى الغاية (وحكى الرازي) ان
موسى خرج من افريقية الى الاندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين واستخلف على افريقية
ابن ولده عبد الله بن موسى وكان موسى في عشرة آلاف قال وكان عبد الملك بن مروان هو
الذي أغزى موسى المغرب في خلافته ففتح له في اهله البرابرة فتوح كبار حتى لقد بعث الى
عبد الملك في الخمس بعشرين الف سبية ثم أردفها بعشرين الفا أخرى كل ذلك من البربر فعجب
عبد الملك يومئذ من كثرة ذلك * وزعم ابن حبيب انه دخل الاندلس رجل واحد من اصاغر
الصحابة وهو المنذر قال ودخلها من التابعين ثلاثة موسى الامير وعلي بن رباح اللخمي
وحيوة بن رجاء التميمي وقيل ان ثالثهم انما هو حنش بن عبد الله الصنعاني صنعاء الشام
وانهم رجعوا عنها بقفول موسى واهل سرقسطة يزعمون أن حنشا مات عندهم ولم يقفل للمشرق
وقبره لديهم مشهور يتبركون به ولا يختلفون فيه فالله اعلم * وقيل ان التابعين اربعة
بأبي عبد الرحمن الجيلي الانصاري واسمه عبد الله بن يزيد والله اعلم وخمسهم بعضهم بحيان بن
ابي جبلة مولى بني عبد الدار وكان في ديوان مصر فبعث به عمر بن عبد العزيز الى
افريقية في جماعة من الفقهاء ليفقهوا اهلها وكان روى عن عمرو بن العاص وابن عباس
وابن عمر وحدث عنه عبد الرحمن بن زياد بن انعم وغيره وغزا مع موسى حين افتتح الاندلس
وانتهى معه الى حصن من حصون العدو يقال له فرقشونة وقيل بل قفل الى افريقية فتوفي
بها بعد العشرين ومائة * وقال بعضهم ان بين قرشونة هذه وبرشلونة مسافة خمسة
وعشرين يوما وفيها الكنيسة المعظمة عند الفرنج المسماة شنت مريه وقد حكى ابن حيان ان
فيها سبع سوار من فضة خالصة لم ير الراؤن مثلها لا يحيط الانسان بذراعيه على واحدة منها
مع طول مفرط * وحنش الصنعاني المذكور تابعي جليل كان مع علي رضي الله عنه بالكوفة
وقدم مصر بعد قتله فصار عداده في المصريين وكان فيمن قام مع ابن الزبير على عبد الملك بن
مروان فعفا عنه وكفى الاندلس شرف دخوله لها * وعلي بن رباح بصري تابعي يكنى اباعبد الله
وهو خمي ولد عام اليرموك سنة خمس عشرة قال ابن معين اهل مصر يقولونه بفتح العين
واهل العراق يقولونه بضمها وروى الليث عن ابنه موسى بن علي وكانت لعلي بن رباح عند

و يقابل ماذكرنا من ساحل عبد القيس كرمان والسند بلاد البحرين وجزائر فطن وسط بني خزيمة وبلاد عمان وارض
مهرة الى رأس الجمجمة
الى أرض الشحر والاحقاف
وفيه جزائر كثيرة مثل جزيرة
حارك وهي بلاد حبابة
لان حارك مدافعة الى حبابة
وبينها وبين البر سراسخ فيها
مغاص اللؤلؤ المعروف
بالحاركي وجزيرة ولى فيها
يعمر عين وابن معاوية وحلزنو
كثيرة من العرب بينها وبين
مدن ساحل البحر نحو يوم
بل اقل من ذلك وفي ذلك
الساحل مدينة البرارة
والعسقل واللطيف من
ساحل هجر ثم بعد جزيرة
اولى جزائر كثيرة منها جزيرة
لافت وتدعى جزيرة بني
كلوان وقد كان افتتحها
عمرو بن العاص وفيها
مسجده الى هذه الغاية وفيها
خلق من الناس وقرى
وعمارة متصلة وتقرب هذه
الجزيرة الى جزيرة هيبان
ومنها يستقي ارباب المراكب
الماء ثم الجبال المعروفة
بكسير وعويرو ثلاث
ليس فيه طير ثم الدردور
المعروف بدردور مسدم
وتسكنه البحريون بابي
جهرة وهذه مواضع من
البحر وجبال سود ذاهبة في
الماء لا نبات عليها ولا
حيوان تحيط بها مياه من
البحر عظيمة نعرة وامواج
متلاطمة تجزع منها النفوس اذا اشرفت عليها وهذه المواضع من بلاد عمان وسيراف لا يتلمراكب من الجزار عبد

عبد العزيز بن مروان مكانه وهو الذى زف ابنته أم البنين لزوجها الوليد ثم عتب عليه عبد العزيز فأغزاه أفريقية * وأما المنيذر الصحابى فلم ينسبه ابن حبيب وذكره ابن عبد البر فى الصحابة وقال انه المنيذر الافريقى وروى عنه أبو عبد الرحمن الجيلى قال حدثنا المنيذر الافريقى وكان سكن أفريقية وكان صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمعه صلى الله عليه وسلم يقول من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فأنا الزعيم له فلأخذن بيده فلأدخلنه الجنة ورواه عنه ابن عبد البر بسنده اليه وسيأتى ان شاء الله تعالى فى حق المنيذر مزيد بيان * ولما نقل موسى بن نصير الى المشرق وأصحابه سأل مغيثا أن يسلم اليه العلج صاحب قرطبه الذى كان فى اساره فامتنع عليه وقال لا يؤديه للخليفة سواى وكان يدل بولائه من الوليد فهجم عليه موسى فانتزعه منه فقيل له ان سرت به حيا معك ادعاه مغيث والعلج لا ينكر قوله ولكن اضرب عنقه ففعل فاعتنقها عليه مغيث وصار البامع طارق الساعى عليه واستخلف موسى على طنجة وما يليها من المغرب ابنه الآخر عبد الملك وقد كان كما مر استخلف بافريقية أكبر أولاده عبد الله فصار جميع الاندلس والمغرب بيد أولاده وابنه عبد الله الذى خلفه بافريقية هو الذى تجاز برقمبورية وسار موسى فورد الشام واستخلف الناس هل كان ورود قبل موت الوليد أو بعده من يقول بالثانى فان قدم على سليمان حين استخلف وكان منحرفا عليه فسبق اليه طارق ومغيث بالشكية منه ورمياه بالخيانة وأخبراه بما صنع بهما من خبر المائدة والعلج صاحب قرطبة وقالا له انه تدخل جوهرا عظيما لقدر أصابه ولم تحو الملوك من بعد فتح فارس مثله فلما وافى سليمان وجده متغيرا عليه فأغلظ له واستقبله بالتأنيب والتوبيخ فاعتذر له ببعض العذر وسأله عن المائدة فأحضرها فقال له زعم طارق انه الذى أصابها دونك قال لا ومارآها قط الا عندى فقال طارق فلم سألته أمير المؤمنين عن الرجل التى تنقصها فسأله فقال هكذا أصبتها وعوضتها رجلا صنعها لها فحول طارق يده الى قبائه فأخرج الرجل فعلم سليمان صدقه وكذب موسى فحنق جميع ما رمى به عنده وعزله عن جميع أعماله وأقصاه وحبسه وأمر بتقصى حسابه فأغرمه غرما عظيما كشفه فيه حتى اضطر الى ان سأل العرب معونته فيقال ان الحمالة حملت عنه فى أعطيتها تسعين ألفا ذهبا وقيل حمله سليمان غرم مائتى ألف فأدى مائة ألف وعجز فاستجار ببزيد بن المهلب أسير سليمان فاستوهبه من سليمان فوهبه اياه الا انه عزل ابنه عبد الله عن افريقية (وقال الرازى) ان الذى أزعج موسى عن الاندلس أبو نصر رسول الوليد فبعض على عنانه وثناه فافلا وقفل معه من أحب المشرق وكان اكثر الناس قطنوا ببلاد الاندلس لما فيها فأقاموا فيها * وذهب جماعة من أهل التاريخ الى أن موسى انما قدم على الوليد وأن سليمان ولى العهد لما سمع بقرب موسى بن نصير من دمشق وكان الوليد مريضا كتب أى سليمان الى موسى يأمره بالتربص رجاء ان يموت الوليد قبل قدوم موسى فيقدم موسى على سليمان فى أول خلافته بتلك الغنائم الكثيرة التى ما رى ولا سمع مثلها فيعظم بذلك مقام سليمان عند الناس فأبى موسى من ذلك ومنعه دينه منه وجد فى السير حتى قدم والوليد حى فسلم له الانحاس والمغانم والتحف والذخائر فلم يمكث الوليد الا يسيرا بعد قدوم موسى وتوفى واستخلف سليمان فخفد

وفارس والبصرة وعمان الى رأس الجمجمة وما بين هذا الخليج وخليج القلزم ايلة والحجاز واليمن ويكون بين الخليجين من المسافة الف وخمسمائة ميل وهى داخلة من البر فى البحر والبحر يطيف بها من اكثر جهاتها على ما وصفنا فهذا بحر الصين والهند وفارس وعمان والبصرة والبحرين واليمن والحجاز والقلزم والزنج والسند وسن وجزائره ومن قد احاط به من الامم الكثيرة التى لا يعلم وصفهم ولا عددهم الا من خلقهم سبحانه وتعالى ولكل قطعة منه اسم يفردها من غيرها والماء واحد متصل غير منفصل وفى هذا البحر مغاصات الدر والياقوت وفيه العقيق والبادبيج وهو نوع من البجادى وانواع الياقوت والماس والسنباذج وفيه معادن ذهب وفضة نحو بلاد كلة وسريرة وحوله معادن حديد مما يلى بلاد كرمان ونحاس بأرض عمان وفيه انواع الطيب والافاويه والعنبر والساج والخشب المعروف بالرداسجى والقنا والخيزران وسنذكر بعد هذا الموضع تفصيل مواضع فيه ادركناها وكل ما ذكرنا من الجواهر والطيب والنبات ففيه وحوله وسائر ما ذكرنا من هذا البحر يدعى بالبحر الحبشى ورياح ما وصفنا من قطعه التى تدعى كل واحدة منها بحرا

من قعر البحر يظهر فيه منه وبعضهم وجه كالقدر تفور مما يلحقها من مداجرة النار ومنها ما ريحه طيبة فيه من قعره وتنسم ومنها ما يكون مهبه من النسيم دون ما يظهر من قعره ومنها ما وصفناه شيء يظهر من قعره من الرياح نفسات من الارض تظهر الى وجه الماء تظهر في سخطه والله عز وجل اعلم بكيفية ذلك ولكل من ركب هذه البحار من الناس أو رياح يعرفونها في اوقات تكون فيها وبها قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب يتوارثون علم ذلك قولا وعملا ودلائل وعلامات يعلمون بها ابان هبوبه واحوال ركوبه وثوراته والروم والمسافرون في البحر الرومي سبيلهم كذلك وكذلك من يركب بحر الخزر الى بلاد جرجان وطبرستان والديلم وسنأتي بعد هذا الموضع على جمل وفصول من علم معرفة هذه البحار وعجائب اهوالها واخبارها ان شاء الله تعالى

(ذكر تنازع الناس في المد والجزر وجوامع مما قيل في ذلك)

والمد هو ضي الماء في قعر البحر وسيحته وسنن جريه والجزر رجوع الماء على تلك السنن مدة ما وانكشاف ما مضى عليه في هيئته وذلك البحر المهلب

عليه وانتشاره وأمر بإقامته في الشمس حتى كاد يهلك وأغرمه أموالا عظيمة ودس الى أهل الاندلس بقتل ابنه الذي استخلفه على الاندلس وهو عبد العزيز بن موسى وكان تولى الاندلس بعد نفرن أبيه عنها باستخلافه اياه كما سبق فضبط سلطانها وضم نشزها وسد ثغورها واستقر في ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقي على أبيه موسى منها وكان من خير الولاة الا ان مذ تم نطق لوثوب الجند به وقتلهم اياه عقب سنة خمس وتسعين في خلافة سليمان المولع بابنه موسى لاشياء تقموها عليه منها زعموا تزوجه لزوجة لذريق الملكناة أم عاصم وكانت قد صالحت على نفسها واموالها وقت الفتح وباءت بالجزية وأقامت على دينها في ظل نعمتها الى ان نكحها الامير عبد العزيز فحظيت عنده ويقال انه سكن بها كنيسة باشبيلية وانها قالت له لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد لذريق زوجها الاول أهل مملكته فقال لها ان هذا حرام في ديننا فلم تقنع منه بذلك وفهم لكثرة شغفه بها ان عدم ذلك مما يزري بقدره عندها فتحجب باصغيرا بالة مجلسه يدخل عليه الناس منه فينحنون وأفهمها ان ذلك الفعل منهم تحيته فرضيت بذلك فمشى الخبر الى الجند مع ما انضم الى ذلك من دسيسة سليمان لهم في قتله فقتلوه سامحه الله تعالى * وذكر بعض المؤرخين أنهم وجدوا في الحجر بعد ما تقدم من الكتابة التي هي ارجعوا يا بني اسمعيل الخ ما معناه وان سألتم لم ترجعون فاعلموا أنكم ترجعون ليضرب بعضكم رقاب بعض انتهى (قال ابن حيان) وليحيى بن حكم الشاعر المعروف بالغزال في فتح الاندلس ارجوزة حسنة مطولة ذكر فيها السبب في غزوها نظما وتفصيل الوقائع بين المسلمين وأهلها وعداد الامراء عليها وأسماءهم فأجاد وتقصى وهي بايدي الناس موجودة انتهى وقد عرفت بما سبق تفصيل ما اجمله ابن خلدون والروايات في فتح الاندلس مختلفة وقد ذكرنا نحن بحسب ما اقتضاه الوقت فيه كفاية وأشرنا الى بعض الاختلاف في ذلك ولو بسطنا العبارة في الفتح لكان وحده في مجلد أو اكثر ولم مما ألمعنا به من كلام ابن خلدون السابق ذكر الولاة للاندلس من لدن الفتح وهم من قبل بني مروان بالمشرق المنفردين بامامة المسلمين أجمعين فمن قبل تفرقهم الى ان انقرضت دولتهم العظيمة التي هي ألف شهر فانقطع الاندلس عن بني العباس الدائلين على بني مروان الناسخين لهم فلما رواتيين عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان واقتعدها دار مملكة مستقلة لنفسه ولاعقابه وجمع بها شمل بني أمية وموالهم وأورثها بنيه حقبة من الدهر بعد ان قاسى في ذلك خطوبا واجتمع عليه ثم على دينه من بعده اهل الاندلس اجمعون رضا بهم دون بني العباس بعد ان حاول بنو العباس ملكها بان ولوا بعض رؤساء العرب وامروهم بالقيام على عبد الرحمن والدعاء للعباسيين القاطعين جرثومة دولة بني مروان فلم يتيسر ذلك وظفر عبد الرحمن بمن نصب له الحرب في ذلك وقتل منهم آلافا وذلك في مدة المنصور كما سيأتي ان شاء الله تعالى عند ذكر عبد الرحمن الداخل في موضع آخر وسنذكر هنا ولاة الاندلس من حين الفتح الى امارة الداخل وان سبق في كلام ابن خلدون * وقال بعضهم كانت ولادة موسى بن نصير في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٩ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وأجل السلام وعلى آله وصحبه اجمعين انتهى * وقال الجاري في المسهب يحكى ان موسى بن نصير اتى بنفسه على يزيد بن

المهلب لما كانه من امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وطلب منه ان يكاتبه وان يخفف عنه فقال له يزيد اذا ان اسألك فاصغ الى فان سل عمر بن عبد الملك فقال له لم ازل اسمع عنك انك من اعقل الناس واعرفهم بمكايد الحرب ومداراة الدنيا فقل لى كيف حصلت فى يد هذا الرجل بعد ما ملكت الاندلس والفيت بينك وبين هؤلاء القوم البحر الزخار وبيقنت بعد المرام واستصعابه واستلمست بلادا انت اخبرها واستملكت رجالا لا يعرفون غير خيرك وشرك وحصل فى يدك من الذخائر والاموال والمعاقل والرجال ما لو اطهرت به الامتناع ما القيت عنقك فى يد من لا يرحمك ثم انك علمت ان سليمان ولى عهد وابنه المولى بعد أخيه وقد أشرف على الهلاك لاشتماله وبعد ذلك خالفته وألفيت يدك الى الهلكة وأحدثت ما لكاك ومولاك قال يعنى سليمان وصار فما ومارساه هذا الرجل عنك الا بعد ولكن لا آلو جهدا فقال موسى يا ابن الكرام ليس هذا وقت تعديد اما سمعت اذا جاء الحين نحصى على العين فقال ما قلت بما قلت لك تعديدا ولا تبكيتا انما قصدت تلقيح العقل وتنبيه الرأى وان أرى ما عندك فقال موسى اذا رأيت هذه هدير الماء فتحت الارض عن بعدو يقع فى الفم وهو بمرأى عينيه ثم كلم فيه سليمان فكان من جوابه انه قد اشتمل رأسه بما يمكن له من الظهور وانقياد الجمهور والتحكم فى الاموال والايثار على ما لا يجدوه الا السيف ولكن قد وهبت لك دمه وأنا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يرد ما غل من مال الله قال وآلت حاله الى ان كان يضاف به لمسأل من احياء العرب ما يفك به نفسه وفى تلك الحال مات وهو من أفقر الناس وأذلهم بوادى أغرى سائلا من كان نازلا به وقال احمد لما نه مع وفى حال الفقر والخمول لقد رأيتنا نطوف مع الامير موسى بن نصير على احياء العرب فواحد شيئا وآخر يحتجب عنا ولربما دفع الينا على جهة الرحمة الدرهم والدرهمين فيفرح بذلك الامير ليدفعه الى الموكلين به فينفعون عنه من العذاب ولقد رأيتنا أيام الفتوح العظام بالاندلس ناخذ السلوب من قصور القصارى فنفصل منها ما يكون فيها من الذهب وغير ذلك ونرمى به ولا نأخذ الدر الفاخر فسبحان الذى بيده العز والذل والغنى والفقر قال وكان له مولى قد وفى له وصبر عليه الى ان ضاق ذرعه بامتداد الحال فعزم على ان يسلمه وهو بوادى القرى فى اسواء حال وشعر بذلك موسى فخضع للمولى المذكور وقال له يا فلان انسلمنى فى هذه الحالة فقال له المولى من شدة ما كان فيه من الضجر دعنا سلمك الله فقل بما لك الذى هو ارحم الراحمين فدمعت عيناه وجعل يرفعهما الى السماء خاشعا ومهجا بنفسه فما سفرت تلك الليلة الا عن بعض روحه رحمة الله عليه فقد كان له من الاثر ما يوجب ان يترحم عليه وان فعل سليمان به وبولده وكونه طرح راس ابنه عبد العزيز الذى تركه نائبا عنه بالاندلس وقد جىء به من اقصى المغرب بين يديه من وصماته التى تعد عليه طول الدهر لا جرم أن الله تعالى لم يمتعه بعده بملكه وشبابه * وذكر ابن حيان ان موسى كان عربيا فصيحا وقد سبق من مراجعة يزيد بن المهلب ما يدل على بلاغته ويكفى منها ذكره ابن حيان انه كتب الى الوليد بن عبد الملك فيما اهاله من فتوح الاندلس وغنائمها انها ليست الفتوح ولكنها الحشر وقال الحجرى ان منازعة جرت بينه وبين عبد الله بن يزيد بن اسيد بحضرة عند عبد الملك بن

ذلك بالنار اذا سخنت ما فى القدر واغلته وان الماء يكون فيها على قدر النصف او الثلثين وكلما انبسط فى القدر ارتفع

فيه الجزر والمدو يظهر طورا بينا وطورا لا يتبين فيه الجزر والمدو يكون مستنقعا ومنها ما لا يجزر ولا يمد كالبحار التى لا يكون فيها الجزر والمد امتنع منها الجزر والمد لعلل ثلاث وهى على ثلاثة اصناف فاولها ما يضيف الماء فيه رمالا فيغلظ وتموت ملوحته وتتكيف فيه الارياح لانه ربما صار الماء الى بعض المواضع من بعض فيصير كالبحيرة وينقص فى الصيف ويزيد فى الشتاء ويتبين فيه زيادة ما ينقص فيه من الانهار والعيون والصنف الثانى الذى يبعد عن مدار القمر ومسافته بعدا كثيرا فيمتنع منه المد والجزر والصنف الثالث المياه التى يكون الغالب على ارضها التلخل لانه اذا كانت ارضها مخلخلة بعد الماء منها الى غيرها من البحار وتخلخل وانشب الرياح الكائنة فى ارضها اولا وغلبت الرياح عليها واكثر ما يكون هذا فى ساحل البحار واجزائر وقد تنازع الناس فى علة المد والجزر فمنهم من ذهب الى ان ذلك من اجل القمر لانه مجانس للماء وهو يسخنه فيبسه وشهروا

مروان بحاله الى ان قال شعرا منه

حاربت غير سؤوم فى مطاولة * لو نازع الحقل لم ينزع الى حضر

وتقدم ذكره غير مرة وقد كان بين موسى مولى عبد العزيز بن مروان وكذا ذكره الحجارى تشهر مع ام ابنين بيت عبد العزيز حين ابتنى بها الوليد بن عبد الملك فكانت تنمى مكانته عند الوليد الى ان بلغ ما بلغ واشهر من كان فى صحبة موسى بن نصير من مواليه طارق المشهور بالفتوح العظيمة وطريف ومجرى ذكرهما فى كتابنا هذا بما اقتضاه الاجتهاد * وقال ابن سعيد بعد ذكره الخلاف فى ان موسى هل هو نخمى صريح او بالولاء وبربرى او مولى لعبد العزيز بن مروان ما صورته وكان فى عقبه نباهة فى السلطنة ولى ابنه عبد العزيز سلطنة الاندلس وعبد الملك سلطنة المغرب الاقصى وعبد الله سلطنة افريقية وذكر الحجارى ان اصله من وادى القرى بالحجاز وانه خدم بنى مروان بدمشق وتنبه شأنه فصرفوه فى مما لكهم الى ان ولى افريقية وما وراءها من المغرب فى زمن الوليد بن عبد الملك فدوخ اقاصى المغرب ودخل الاندلس من جبل موسى المنسوب اليه المجاور لسبتة ودوخ بلاد الاندلس ثم اوفده الوليد الى الشام فوافق موته وخلافة اخيه سليمان فعذبه واستصفى اموالة وآل امره الى ان وجهه الى قومه بوادى القرى لعلهم يعطفون عليه ويؤدون عنه فمات بها وقد نص ابن بشكوال على انه مات بوادى القرى * اما معارفه السلطانية فيكفيه ولاية ما خلف مصر الى البحر المحيط بين بربر البربر والاندلس * واما الادبية فقد جاءت عنه بلاغة فى النثر والنظم تدخله مع نزارتها فى اصحاب درر الكلام وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين رووا الحديث وان روايته عن تميم الدارى وذكره فى كتب الائمة من المصنفين انبه واوجب من ان يخصص بذكره واحدا منهم وهو غرة النوارخ الاندلسية وذكره الى الآن جديد فى ألسن الخاصة والعامة من أهلها * ومن مسهب الحجارى كان قد جمع رحمه الله من خلال الخير ما اعانه الله سبحانه به على ما بنى له من المجد المشيد والذكر الشهير الخلد الذى لا يبليه الليل والنهار ولا يعفى جديده بلى الاعصار الا انه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيس يسلم منه وهو الحقد والحسد والمنافسة لا تخلو من ذلك وأنشد بعض الرؤساء * ولبس رئيس القوم من يحمل الحقدا * فقلبه الرئيس وقال من يترك الحقدا ثم قال ان السيد انما ترك اضمار الخير والشر والمجازاة عليهما اجترأ عليه ونسب للضعف والغفلة وهل رأيت صعقة أخسر من غفلة رئيس احقده غيره فنسى ذلك او تناساه وعدوه لا يغفل عنه وحاسده لا ينفعه عنده الا الراحة منه وهو فى واد آخر عنه ولله در القائل

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ولكن الاصوب أن يكون الرأى ميزانا لا يزن الوافى لناقص ولا يزن الناقص لوافٍ ويدبر أمره على ما يقتضيه الزمان ويقدر فيه حسن العاقبة * ونص ابن بشكوال على ان موسى بن نصير مات بوادى القرى سنة سبع وتسعين وغزا الاندلس سنة احدى وتسعين ودخلها سنة ثلاث وتسعين وقفل عنها الى الوليد بن عبد الملك بالغنائم سنة أربع وتسعين وذكر ان ولايته على الاندلس بالمباشرة قد دخلها الى حين خروجه منها سنة واحدة ومكث فيها مولاه طارق سنة

وتدافع حتى تمور فيتضاعف عن كميته فى الحس وينقص فى الوزن لان من شرط الحرارة ان تبسط الاجسام ومن شرط البرودة ان تقبضها وذلك ان تمور بحار نحسى فيتولد فى ارضه عسوبة وتسجيل وتحس كما فى البلاليع والآبار وقد حمى ذلك الماء انسه وراد وادارادا رتمع فدفع تكرجزيره فضفا على سمعه وبان عن بعره واحتاج الى اكثر من هديه وان التمر ادا امتلأ حمى الجوف حميا شديدا فظهرت زردة الماء فسمى ذلك لمد الشهرى وان هذا البحر تحت معدل النهار آخذا من جهة المشرق الى المغرب ودور الكواكب المنيرة عليه مع الشامية من الكواكب الجامية اذا كانت المنيرة فى القدر مثل الميل على نحاوزه واذا زالت عنه كانت منه قريبة فاصله فيه من اول الى آخره فى كل يوم وليله وهى مع ذلك فى الموضع المقابل الحمى فقليل ما يعرض فيه من الزيادة ويكون فى النهر الذى عرف فيه المدمن اطرافه وما يجتمع اليه من سائر المياه وقالت طائفة اخرى لو كان الجزر والمد بمنزلة النار اذا أسخنت الماء الذى فى البحر وبسطته فطلب اوسع منها فيفيض حتى اذا خلا تعرد الماء طلب الماء بعد خروجه منها فى الارض لطبعه فيرجع اضطرارا بمنزلة رجوع ما يغلى من الماء فى المرجل والتمقم انتهى

انتهى وقد تقدم شئ من ذلك : وذكر ابن بسكوال ايضا ان ابا حبيب قال عن رسله عن الناس كلهم يوم فتح الاندلس الا اربعة نفر فقط كانوا من اتباعين احدهم الصعالى وابو عبد الرحمن الجيلى وابن شماسه وعياض بن عقبه انتهى ، قال ابن سعيد ومن دخل الاندلس من غير هؤلاء الاربعة من التابعين على بن رباح اللخمى وموسى بن نصير فاتح الاندلس وحبان ابن أبى جبلة القرشى مولاهم وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقى صاحب الاندلس المذكور فى سلاطينها ومحمد بن أوس بن ثابت الانصارى وزوجته فاصدا السكسكى والمغيرة بن أبى بردة الكنانى وعبد الله بن المغيرة الحبشى وحيوة بن رجاء التميمى وعبد الجبار بن أخى له من عبد الرحمن بن عوف ومسعود بن حرامه وعبد الله بن عثمان بن حطاب : وذكر ابن حبيب ان عدته من دخل الاندلس من التابعين ثمانيه وعشرون رجلا وهم اسماؤهم المذكورة الجامع بغرطبة وعلى الحارى فى المسهب هؤلاء المتقدمين : وذكر ابن سعيد انه لم يقف فى المواضع التى يخص بها هؤلاء التابعين من بلاد الاندلس مع جزمه بأنهم دخلوا الاندلس وسكنوا بها وسيأتى ذكر التابعين الداخلين الاندلس بما هو أتم من هذا وقد تقدم نقول من عدا التابعين من العنائم : وقال الليث بن سعد بعد ذكره ان طارقا اصاب بالاندلس معائم كثيرة من الذهب والفضه ان كانت الطاوسه لتوجد مسوجه بعصان الذهب وتنظم السلك من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وكان الدر يوجد بها ولا يستطعون حملها حتى يأتوا بالماس فيضربون به وسطها فيأخذ أحدهم نصفها والآخر النصف الآخر لنفسه ويسير معهم جماعة والناس مشغولون بغير ذلك : وعن يحيى بن سعيد لما افتتح الاندلس أصاب الناس فيها غنائم فحملوا منها سلولا كثيرة احملوه فى المراكب وركبوا البحر فسمعوا منادیا يقول اللهم غرق بهم وتقلدوا المصاحف وعاشوا أساورهم ونحو ذلك وضربت المراكب بعضها بعضا حتى تكسرت وغرق بهم وأهل مصر ينكرون ذلك ويقولون أهل الاندلس لبس هم الذين غرقوا انما هم أهل سردانيه والله أعلم بحقيقة الحال ، ورأيت فى بعض كتب التاريخ انه وجد فى طليطلة حين فتحت من الذخائر والاموال مالا يحصى من ذلك مائة وسبعون تاجا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر والجواهر الثمينة ووجد فيها ألف سيف ملوكى ووجد فيها من الدر والياقوت أكيال ومن أوانى الذهب والفضة مالا يحيط به وصف ومائدة سليمان وكانت فيما يذكرون زمردة خضراء وزعم بعض العجم انها لم تكن لسليمان وانما أصلها أن الروم أيام ملكهم كان أهل الحرب فى ديارهم اذا مات أحد منهم أوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم مال له قدر اعملوا منه مائدة من الجواهر المحببة والكراسى من الذهب والفضة تحمل الشمامسة والقسوس فيها الاناجيل فى أيام المناسك ويصنعونها فى الاعياد للباباة فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صنع فى هذا السبيل وتأنق الملوك فى تحسينها يزيد الآخر منهم فيها على الاول حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات وطار الذكر بها كل مطار وكانت مصوغة من الذهب الخالص مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد وقيل انها من زبرجدة خضراء حافاتها وأرجلها منها

يدل على توحيد الله عز وجل وحكمته ليس للمد والجزر علة فى الطبيعة البسيطة ولا يوجد فى شئ من كتب آخرون ما هو بيان البحر

لكن بمد مع بدء طلوع الشمس وبحزر مع غيبتها فزعم هؤلاء ان علة الجزر والمد فى الاخر تتولد من الابخرة التى تتولد من بطن الارض فانها لا تزال تتولد حتى تكثف وكلما تجمع حينئذ سماه هذا السر لكثافتها فلا تزال كذلك حتى يفيض مواده فاذا امتلأ فاذا انقطعت مراسلها راجع الماء حينئذ الى قعر البحر وكان الجزر من أجل ذلك والمد لأوبارها وامتلائه وضيقها وفى غيبة القمر وفى طلوعه وكذلك فى غيبة الشمس وطلوعها فاما وهذا يدرك بالحس لانه ليس يستكمل الجزر أجمع حتى يبدو أول المد ولا ينقضى آخر المد حتى يبتدى أول الجزر ولانه لا يتعرى تلك القعارات حتى اذا خرجت ولم تظهر فكانها بذلك ان البحر اذا عارت مياهه ورجعت الى قعره تولدت تلك الابخرة لمكان ما تسفل منها من الارض بمائه وكلما عارت تولدت وكلما فاض سخنت ودهب آخرون من أهل الديانات ان كل ما لم يعرف له من الطبيعة مجرى ولا يوجد له فى القياس فهو فعل الاله

وكان له ثلثمائة وخمس وستون رجلا وكانت توضع في كنيسة مليطلة فأصابها طارق
الهوى وقد ذكر ذلك بأسره ابن حيان ما فيه نظير هذا وذكر بأسره مضى من أمر المائدة
وغير ما فيه بعض تخليف ولعل ذلك الا لانا نقل كلام المؤرخين وان خالف بعضهم بعضا
وغير ذلك كثيرا فائدة وبالجملة فالمائدة جليلة المقدار وان حصل الخلاف في صفتها وجنسها
وعدد أرجلها وهي من أجل مغنم بالاندلس على كثرة ما حصل فيها من الغنائم المتنوعة
الاجناس التي ذكرها الى الآن شائع بين الناس فاعلم أنه لما استولى قوم أهل الاسلام
بالاندلس وتمام ذلك بها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم الى الحلول بها فنزل بها
من أكابرهم العرب وقوادهم جماعة أورثوها أعقابهم الى أن كان من أمرهم ما كان فأما
العدنانيون فهم حمير ومنهم قريش وأما القحطانيون فهاشم من قريش فقال ابن غالب في فرحة
الانفس بالاندلس منهم جماعة كلهم من ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن
علي بن أبي طالب ومن هؤلاء بنو حمود ملوك الاندلس بعد انتثار سلك بني أمية وأما بنو أمية
منهم ملوك الاندلس قال ابن سعيد ويعرفون هنالك الى الآن بالقرشيين وأما عمواتهم
الى أسد في الآخر فلما اختلف الناس عنهم وذكروا افعالهم في الحسين رضي الله عنه وأما
بنو زهرة منهم بالشديلية اعيان متأمرون وأما المخزوميون منهم ابو بكر المخزومي الشاعر
الشاعر المذكور من اهل حصن المدور ومنهم الوزير الفاضل في النظم والنثر ابو بكر بن
زيدون ووالده الذي هو اعظم منه ابو الوليد بن زيدون وزير معتضد بني عباد قال ابن
غالب ومن الاندلس من ينسب الى جمح والى بني عبد الدار وكثير من قريش المعروفون
بالفهريين من بني محارب بن فهر وهم من قريش الظواهر ومنهم عبد الملك بن قطن سلطان
الاندلس وقد ولده بعد الخامس الامراء الفصلاء وبواقي الاعيان العلماء ومن بني محارب
ابن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهري سلطان الاندلس الذي خلعه عليها عبد الرحمن الاموي
الداخل وجدير يوسف عبد الله بن ناصح الفهري صاحب الروح بافريقية قال ابن حزم ولهم
بالاندلس عدد وثروة والمنتسبون الى عمرو كثير وجلهم في طليطلة واعمالها ولهم
بيوتات الوشاة والكاتبون الاعيان الفضلاء الذين منهم القاضي ابو الوليد الوزير ابو
جعفر ومنهم أبو الحسين بن جبير العالم صاحب الرحلة وقد ذكرناه في محله واما هذيل بن
مدركة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ان منزلهم بجهة اربولة من كورة تدمير واما عمهم
ابن مدركة بن طابخة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ايضا انهم خلق كثير بالاندلس
ومنهم ابو الظاهر صاحب المقامات اللزومية واما ضبة بن ادبن طابخة فذكرانهم قليل بالاندلس
وهؤلاء احمدي من العدنانية واما قيس عيلان بن الياس بن مضر من العدنانية
في الاندلس كثير منهم ينتمون الى العموم ومنهم من ينتسب الى بني سليم منصور بن
عكرمة بن حصفة بن قيس كعبد الملك بن حبيب السلمي الفقيه وكان ينتسب الى صاحب الامام مالك رضي
الله عنه وكالقاضي أبي حفص بن عمر القاضي قرطبة ومن بني سليم بن منصور بن عكرمة
منصور بن عكرمة قال ابن غالب وهم بالشبيلية خلق كثير ومنهم من ينتسب الى بكر بن
هوازن قال ابن غالب ولهم منزل بجوز بلسيه على ثلاثة اميال منها وبالشبيلية وغيرها منهم

حلق

في منازل البر والبحر بالصين وما وراء ذلك الصفع ومرة يمدن شهورا لنتاء غربا بالجنوب ستة أشهر فاد

حتى يعود وقد مات طائفة
أخرى الى ابنائهم
وصفه من القول وزخرفه
والهواء الذي في البحر
يستحيل دائما ابدا
عظيم البحر وقد عمر
ذلك واداوس البحر وهو
المدة وذلك ستة اشهر وقوة
وهو الى كل ليلة وهو
الجزر وهو راتم مرادف
معنى لان الماء
هو الهواء يسيل ساعة
فتواقوه يجور ان يكون
ذلك عدا متلا الغير
اكثر لان التمر دا اصلا
ان الهواء كثيرا
كثيرا يتحمل واعلم القمر
سبب لكثرة المد لانه
لابد ان يكون في محله
والمد والجزر في بحر فارس
يكونان على مقدار اكبر
والاطلب من الاوقات وقد
ذهب كثير من نواخذة هذا
البحر وهم ارباب المراكب
من السيرافيين والعمانيين
ممن يقصدون هذا البحر
ويترددون الى عمارة من
الاعمال التي في جزائره وجزائره
الى ان المد والجزر لا يكونان
في معظم هذا البحر الا مرتين
في السنة مرة يمدن شهور
ستة شرقا الى الشمال سنة
أشهر فاد كان ذلك على الماء

حاق كثير ومنهم بنو حزم وهم بيت غير البيت الذى منه ابو محمد بن حزم الحافظ الظاهرى وهو فارسى الاصل ومنهم من ينتسب الى سعد بن بكر بن هوازن وذكر ابن غالب ان منهم بغرناطة كثيرا كبنى جودى وقد رأس بعض بنى جودى ومنهم من ينتسب الى سلول امرأة نسب اليها بنوها وابوهم مرتين صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى نمير بن عامر بن صعصعة قال ابن غالب وهم بغرناطة كثير ومنهم من ينتسب الى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ومنهم بلج بن بشر صاحب الاندلس وآله وبنو رشيق ومنهم من ينتسب الى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ومنهم من ينتسب الى اشجع بن ريث بن غطفان ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الاشجعى سلطان الاندلس وفى ثقيف اختلاف فمنهم من قال انها قيسية وان ثقيفا هو قيس ابن منبه بن بكر بن هوازن ومنهم بالاندلس جماعة والدهم ينتسب الحر بن عبد الرحمن الثقفى صاحب الاندلس وقيل انهما من بقايا ثمود انتهى قيس بن عيلان وجميع مضر * وأما ربيعة بن نزار فمنهم من ينتسب الى أسد بن ربيعة بن نزار قال فى فرحة الانفس ان افليم هؤلاء مشهور باسمهم بجوف مدينة وادى آش انتهى ولاشهر بالنسبة الى أسد أبدا بنو أسد ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ومنهم من ينتسب الى محارب بن عمرو بن ودبعة ابن بكير بن افصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة قال ابن غالب فى فرحة الانفس ومنهم بنو عطية اعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى النمر بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد كبنى عبد البر الذين منهم الحافظ أبو عمر بن عبد البر ومنهم من ينتسب الى ثعلب بن وائل بن قاسط بن هنب كبنى حديس أعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى بكر بن وائل كالبكريين أصحاب أوتنة وشلطيش الذين منهم أبو عبيد البكرى صاحب المصانيف انتهت ربيعة * وأما اياد بن نزار وقد يقال انه ابن معد والصحيح الاول فينتسب اليهم بنو زهرة المشهورون باشبيلية وغيرهم انتهت العدنانية وهم المضرية من ولد اسمعيل عليه السلام واختلف فى القحطانية هل هم من ولد اسمعيل أو من ولد هود على ما هو معروف وظاهر صنيع البحارى الاول والاكثر على خلافه والقحطانية هم المعروفون باليمانية وكثيرا ما يقع بينهم وبين المضرية وسائر العدنانية الحروب بالاندلس كما كان يقع بالمشرق وهم الاكثر بالاندلس والملك فيهم ارسخ الا ما كان من خلفاء بنى أمية فان القرشية قدمتهم على الفرقتين واسم الخلافة لهم بالمشرق وكان عرب الاندلس يتميزون بالمآثر والقبائل والبطون والافخاد الى ان جاء ذلك المنصور بن أبى عامر الداهية الذى ملك سلطنة الاندلس وقصد بذلك تشتيتهم ومنع التحامهم وتعصبهم فى الاعتزاء وقدم العوّاد على الاجناد فيكون فى جند القائد الواحد فرق من كل قبيل فانحسمت مادة الفتن والاعتزاء بالاندلس الا ما جاءت على غير هذه الجهة قال ابن حزم جماع أنساب اليمن من جرم بن كهلان وحمير بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل قحطان ابن الهميسع بن تيهان بن نابت بن اسمعيل وقيل قحطان ابن هود بن عبد الله بن رباح بن جارف

الجهة الجنوبية فكذلك تكون البحار فى جهة الجنوب فى الصيف جنوب الشمال طامية عالية وتقل المياه فى جهة البحار الشمالية وكذلك اذا كانت الشمس فى الجنوب وسال الهواء من الجنوب فى جهة الشمال سال معه ماء البحر من الجهة الجنوبية الى الجهة الشمالية قلت المياه فى الجهات الجنوبية مسه وينتقل ماء البحر فى هذين الميلين أعنى فى جهتى الشمال والجنوب فسمى جزرا ومدا شتويا وذلك ان مد الجنوب جزر الشمال ومد الشمال جزر الجنوب فان وافق القمر بعض الكواكب السيارة فى أحد الميلين زائدا قوى الحمى واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر الى الجهة المخالفة للجهة التى ليس فيها الشمس (قال المسعودى) فهذا رأى يعقوب بن اسحق الكندى واحمد بن الطيب السرخسى فيما حكاه عنه ان البحر يتحرك بالرياح ورأيت مثل ذلك ببلاد كنبايه من أرض الهند وهى المدينة التى تضاف اليها النعال الكنبانية الصرارة وفيها يعمل وفيما يليها مثل مدينة

 ل سدارة وسريدره وكان دخولى اليها فى سنة ثلاث وثلثمائة والملك بها وكان منهزما من قبل البلهرا

ابن عاد بن عوص بن ارم بن سام والخلف فى ذلك مشهور فمنهم كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان واليهم ينتسب محمد ابن هانئ الشاعر المشهور الاليبرى وهو من بنى المهلب ومن الازد من ينتسب الى غسان وهم بنو مازن بن الازد وغسان ماء شربوا منه وذكر ابن غالب ان منهم بنى القسيى من أعيان غرناطة وكثير منهم بصالحة قرية على طريق مالقة ومن الازد من ينتسب الى الانصار على العموم وهم الجم الغفير بالاندلس * قال ابن سعيد والعجب انك تعدم هذا النسب بالمدينة وتجده منه بالاندلس فى اكثر بلدانها ما يشذ عن العدد كثرة ولقد أخبرنى من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجد منه الا شيخا من الخزرج وعجوزا من الاوس قال ابن غالب وكان جزء الانصار بناحية طليطلة وهم اكثر القبائل بالاندلس فى شرقها ومغربها انتهى ومن الخزرج بالاندلس ابو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء من ولد سعد بن عبادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المشهور بالموشحات والى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الاحمر سلاطين غرناطة الذين كان لسان الدين بن الخطيب أحد وزرائهم وعليهم انقرض ملك الاندلس من المسلمين واستولى العدو على الجزيرة جميعا كما يذكر ومن أهل الاندلس من ينتسب الى الاوس أخى الخزرج ومنهم من ينتسب الى غافق بن عك بن عدنان بن ازان بن الازد وقد يقال عك بن عدنان بالنون فيكون أخا معد بن عدنان وليس بصحيح قال ابن غالب من غافق أبو عبد الله بن أبى الخصال الكاتب واكثر جهات شقورة ينتسبون الى غافق ومن كهلان من ينتسب الى همدان وهو اوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن الخيار بن مالك ابن زيد بن كهلان ومنزل همدان مشهور على ستة أميال من غرناطة ومنهم أصحاب غرناطه بنو أضحى ومن كهلان من ينتسب الى مذحج ومذحج اسم امكة حمراء باليمن وقيل اسم أم مالك وطيئ ابن ادد بن زيد بن كهلان قال ابن غالب بنو سراج الاعيان من أهل غرطبة ينتسبون الى مذحج ومنزل طيئ بقبلى مرسية ومنهم من ينتسب الى مراد بن مالك بن ادد وحصن مرادبين اشبيلية وغرطبة مشهور قال ابن غالب وأعرف بمرادمنهم خلقا كثيرا ومنهم من ينتسب الى عنس بن مالك بن ادد ومنهم بنو سعيد مصنفو كتاب المغرب وقلعة بنى سعيد مشهورة فى مملكة غرناطة ومن مذحج من ينتسب الى زبيد قال ابن غالب وهو منبه بن سعد العشيرة بن مالك بن ادد ومن كهلان من ينتسب الى مرة بن ادد بن زيد بن كهلان قال ابن غالب منهم بنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة ومنهم من ينتسب الى عاملة وهى امرأة من قضاعة ولدت للحرث بن عدى بن الحرث مرة بن أدد فغلب ولدها منه اليها قال ابن غالب منهم بنو سماك القضاة من أهل غرناطة وقوم زعموا أن عاملة هو ابن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وقيل هم من تضاعة ومن كهلان خولان بن عمرو بن الحرث بن مرة ونلعة خولان مشهورة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية ومنهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة بن منهم المنصور بن أبى عامر صاحب الاندلس ومنهم من ينتسب الى لخم بن عدى بن الحرث بن مرة منهم بنو عباد أصحاب أشبيلية وغيرها ومنهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة ومنهم بنو الباجى اعيان اشبيلية وبنو وافد

صاحب البابكين وكان المال وهذه المدينة على خور من أخوار البحر وهو الخليج أعرض من النيل أو دجلة أو الفرات عليه المدن والصياع والعمائر والنخل والنارجيل والطواويس والببغاء وغير ذلك من أنواع طيور الهند بين تلك الجبال والمياه وبين مدينة كنباية وبين البحر الذى يأخذ منه هذا الخليج يومان وأقل من ذلك فيجزر الماء عن هذا الخليج حتى يبدو الرمل الذى ينصب عنه الماء وقعر الخليج قد صار كالصحراء وقد أقبل المد من نهاية الجزر كالخيل فى الحلبة فربما أحس الكلب بذلك فاقبل يحضر ما استطاع خوفا من الماء فيطلب البر الذى لا يصل اليه الماء فيلحقه الماء بسرعته فيغرقه وكذلك المد يرد بين البصرة والاهواز فى الموضع المعروف بالباسيان وبلاد الهند ويسمع هنالك أزيب له ضجيج ودوى وغليان عظيم يفزع منه أصحاب السفن وهذا المرضع يعرفه من يسلك هذا الملك الى بلاد مرق من أرض فارس والله أعلم

*(ذكر بحر الروم ووصف ما قيل فى طوله وابتدائه وانتهائه) *اما بحر الروم وطرسوس وادرنة والمصيصة وانطاكية واللاذقية الاعيان

الاعيان ومنهم من ينتسب الى جذام مثل ثوابة بن سلامة صاحب الاندلس وبنى هوده ملوك شرق الاندلس ومنهم المتوكل بن هود الذى صحت له سلطنة الاندلس بعد الموحدين ومنهم بنو مردنيش أصحاب شرق الاندلس قال ابن غالب وكان لجذام جزء من قلعة رباح واسم جذام عامر واسم لخم مالك وهما ابنا عدى ومن كهلان من ينتسب الى كندة وهو ثور بن عفير بن عدى بن مرة بن ادد ومنهم يوسف بن هرون الرمادى الشاعر ومنهم من ينتسب الى تجيب وهى امرأة اشرس بن السكون بن اشرس بن كندة ومن كهلان من ينتسب الى خثعم بن أنمار ابن اراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ومنهم عثمان بن أبى نسعة سلطان الاندلس وقد قيل أنمار ابن نزار بن معد بن عدنان انتهت كهلان * وأما حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فنهم من ينتسب الى ذى رعين قال ابن غالب وذو رعين هم ولد عمرو بن حمير فى بعض الاقوال وقيل هو من ولد سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن الهميسع بن حمير قال ومنهم أبو عبد الله الحناط الاعمى الشاعر قال الحازمى فى كتاب النسب واسم ذى رعين عريم ابن زيد بن سهل ووصل النسب ومنهم من ينتسب الى ذى أصبح قال ابن حزم هو ذو أصبح بن مالك بن زيد من ولد سبا الاصغر ابن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ووصل النسب وذكر الحازمى أن ذا أصبح من كهلان وأخبر أن منهم مالك بن أنس الامام والمشهور أنهم من حمير والاصبحيون من أعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى يحصب قال ابن حزم انه أخو ذى أصبح وهم كثير بقلعة بنى سعيد وقد تعرف من أجلهم فى التواريخ الاندلسية بقلعة يحصب ومنهم من ينتسب الى هوازن بن عوف بن عبد شمس بن وائل بن الغوث قال ابن غالب ومنزلهم بشرق اشبيلية والهوازنيون من أعيان اشبيلية * ومنهم من ينتسب الى قضاعة بن مالك بن حمير وقد قيل انه قضاعة بن معد بن عدنان وليس بمرضى ومن قضاعة من ينتسب الى مهرة كالوزير أبى بكر بن عمار الذى وثب على ملك مرسية وهو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف ابن قضاعة ومنهم من ينتسب الى خثعم بن تنوخ قال ابن غالب وهو ابن مالك بن فهم بن غنم ابن وبرة بن تغلب قال الحازمى تنوخ هو مالك بن فهر بن فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة ومنهم من ينتسب الى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ومنهم البلويون الاشبيلية * ومنهم من ينتسب الى جهينة بن اسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة قال ابن غالب وبقرطبة منهم جماعة * ومنهم من ينتسب الى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان كبنى أبى عبدة الذين منهم بنو جهور ملوك قرطبة وو زراؤها * ومنهم من ينتسب الى عذرة بن سعد هذيم بن زيد ابن اسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة * ومنهم أعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة ومن أهل الاندلس من ينتسب الى حضرموت منهم الحضرميون بمرسية وغرناطة واشبيلية وبطليوس وقرطبة قال ابن غالب وهم كثير بالاندلس وفيه خلاف قيل ان حضرموت هو ابن قحطان وقيل هو حضرموت بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بالجيم ابن قطن بن العريب بن الغرز بن نبت بن أيمن بن الهميسع بن حمير كذا نسق النسب الحازمى * ومن أهل الاندلس من ينتسب الى سلامان ومنهم الوزير لسان

الزيجات فى كتبهم منهم محمد بن جابر النسائى وغيره ان طوله خمسة آلاف ميل وعرضه مختلف فمنه ثمانمائة ميل ومنه سبعمائة ميل ومنه ستمائة ميل واقل من ذلك على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر ومبدا هذا البحر من خليج يخرج جاريا من بحر اوقيانوس واضيق موضع من هذا الخليج بين ساحل طنجة من بلاد المغرب وبين ساحل الاندلس وهذا الموضع المعروف بنيطاء وعرضه فيما بين الساحلين نحو من عشرة اميال وهذا الموضع هو المعبر لمن اراد العبور من الغرب الى الاندلس ومن الاندلس الى الغرب وعلى الحد بين البحرين اعنى بحر الروم وبحر اوقيانوس المنارة النحاس والحجارة التى بناها هرقل الجبار على اعلاها الكتابة والتماثيل مشيرة بأيديها ان لا طريق ورائى لجميع الداخلين الى ذلك البحر بحر الروم اذ كان بحرا لا تجرى فيه جارية ولا عمارة فيه ولا حيوان ناطق يسكنه ولا يحاط بمقداره ولا تدرى غايته ولا يعلم منتهاه وهو بحر الظلمات والاخضر المحيط وقد ذهب قوم ان هذا البحر أصل ماء البحار وله أخبار عجيبة قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان فى أخبار من غبر وخاطر بنفسه ركوبه ومن نجا منهم

ومن تلف وما شاهد وانه وما رأوا بين هذه المنارة المنصوبة وبين موضع الاحجار مسافة فى طول

الدين بن الخطيب حيث ذكر فى محله * وقد رأيت أن أسرد هنا اسماء ملوك الاندلس من لدن الفتح الى آخر ملوك بنى أمية وان تقدم ويأتى ذكر جملة منهم بما هو أتم مما هنا فنقول طارق ابن زياد مولى موسى بن نصير ثم الامير موسى بن نصير وكلاهما لم يتخذ سرير السلطنة ثم عبد العزيز بن موسى بن نصير وسريره اشبيلية ثم أيوب بن حبيب اللخمى وسريره قرطبة وكل من يأتى بعده فسريره قرطبة والزهراء والزاهرة بجانبيها الى ان انقضت دولة بنى مروان على ما ينبيه عليه ثم الحر بن عبد الرحمن الثقفى ثم السمح بن مالك الخولانى ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى ثم عنبسة بن سحيم الكلبى ثم عذرة بن عبد الله الفهرى ثم يحيى ابن سلمة الكلبى ثم عثمان بن أبى نسعة الخثعمى ثم حذيفة بن الاحوص القيسى ثم الهيثم بن عبيد الكلابى ثم محمد بن عبد الله الاشجعى ثم عبد الملك بن قطن الفهرى ثم بلج ثم بشر بن عياض القشيرى ثم ثعلبة بن سلامة العاملى ثم أبو الخطار بن ضرار الكلبى ثم ثوابة بن سلامة الجذامى ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وههنا انتهى الولاة الذين ملكوا الاندلس من غير موارثة أفرادا عددهم عشرون فيما ذكر ابن سعيد ولم يتعدوا فى السمة لفظ الامير * قال ابن حيان مدتهم منذ تاريخ الفتح من لذريق سلطان الاندلس النصرانى وهو يوم الاحد لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين الى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وتغلب عبد الرحمن بن معاوية المروانى على سرير الملك قرطبة وهو يوم الاضحى لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة ست وأربعون سنة وخمسة أيام انتهى * ثم كانت دولة بنى امية أولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ثم ابنه هشام الرضى ثم ابنه الحكم بن هشام ثم ابنه عبد الرحمن الاوسط ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه المنذر بن محمد ثم أخوه عبد الله بن محمد ثم ابن ابنه عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله ثم ابنه الحكم المستنصر وكرسيهما الزهراء ثم هشام بن الحكم وفى أيامه بنى حاجبه المنصور بن أبى عامر الزاهرة ثم المهدى محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن الناصر وهو وأول خلفاء الفتنة وهدمت فى أيامه الزهراء والزاهرة وعاد السرير الى قرطبة ثم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ثم تخللت دولة بنى حمود العلويين وأولهم الناصر على بن حمود العلوى الادريسى ثم أخوه المأمون القاسم بن حمود ثم كانت دولة بنى أمية الثانية وأولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر ثم المستكفى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ثم المعتمد هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وهو آخر خلفاء الجماعة بالاندلس وحين خلع استطال ملوك الاندلس الدعوة للخلافة المروانية واستبدت ملوك الطوائف كابن جهور فى قرطبة وابن عباد باشبيلية وغيرهما ولم يعد نظام الاندلس الى شخص واحد الى ان ملكها يوسف بن تاشفين الملثم من براز العدوة وقتل فى ملوك الطوائف وبعد ذلك ما خلصت له ولا لولده على بن يوسف لان بنى هود نازعوه فى شرقها بالثغر الى ان جاءت دولة عبد المؤمن وبنيه فاصفت لعبد المؤمن بمحمد بن مردنيش الذى كان ينازعه فى شرق الاندلس ثم صفت ليوسف بن عبد الرحمن بموت ابن مردنيش ثم لمن بعده من بنيه وحضرتهم مراكش وكانت ولاتهم تتردد على الاندلس وما لكها ولم

ومن عظائم ما ذكر يعقوب بن اسحق الكندى وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسى فى طول هذا البحر وعرضه يولوا

مصب هذا الخليج وجريانه ودلك انما يجرى فى بحر الروم والشام ومصر وهو متصل بمدينة فحوص من خمسمائة ميل تسمى بالرومية درس وعلى هذا الخليج من جانب المغرب قرية يقال لها بنة وهى وطنة من ساحل واحد وبابل سبتة هذه من ناحية الاندلس الجبل المعروف بجبل طارق مولى موسى بن نصير ويعبر الناس من سبتة الى ساحل الاندلس من غدوة الى الظهر وفى هذا الخليج موج عظيم والماء من هناك يخرج من بحر اوقيانوس ويصب الى البحر الرومى وفى هذا الخليج مواضع تعلو أمواجها ويعلو الماء من غير ريح وهذا الخليج تسميه أهل المغرب وأهل الاندلس الزقاق اذ كان على هيئة ذلك وفى بحر الروم جزائر كثيرة منها جزيرة قبرس بين ساحل الشام والروم وجزيرة رودس فى مقابلة الاسكندرية وجزيرة اقريطش وجزيرة صقلية وسنذكر صقلية بعد هذا الموضع عند ذكرنا جبل البركان الذى تظهر منه النار فيها اجسام وجثث

يولوا على جميعها شخصا واحدا لعظم مما لكها الى ان انقرضت منهاد واتهم بالمتوكل محمد بن هود من بني هود ملوك سرقسطة وجهاتها فملك معظم الاندلس بحيث يطلق عليه اسم السلطان ولم ينازعه فيها الا زيان بن مردنيش في بلنسية من شرق الاندلس وابن هلالة في طبيرة من غرب الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته ولما قتله وزيره ابن الرميمي بالمرية زاد الامر الى أن ملك بنو الاحمر وكان غرب أهل الاندلس في المائة السابعة يحطبون لصاحب افريقية السلطان أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص ثم خلصت تلك الخلال ودخل الجزيرة الانحلال الى أن استولى عليها حزب الضلال والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين * (وقد ذكرت) في هذا الكتاب جملة من أخبار ملوك الاندلس مما يصلح للمذاكرة وربما سرحت طرف القلم في بعضهم وبوجوه المشار اليهم قريبا كانوا وزراء الامويين ثم انه لما انتظم سلك الخلافة تبدبترطبه فالوزير أبو الحزم بن جهور من غير أن يتعدى اسم الوزارة * قال في المطمح الوزير الاجل جهور بن محمد ابن جهور أهل بيت وزارة اشتهروا كاشتهار ابن هبيرة في فزارة وأبو الحزم أمجدهم في المكرمات وأنجدهم في الملمات ركب متون الفتون فراضها ووقع في بحور المحن فخاضها سنبسط غير منكمش لا طائش اللسان ولا رعش ومدكان وزر في الدولة العامرية فشرفت بجلاله واعترفت باستقلاله فلما انقرضت وعاقت الفتن واعترضت تحيز عن التدبير مدتها وخلى لخلافه أبناء الخلافة وشدتها وجعل يقبل مع اولئك الوزراء ويدبر ويدبر الامر معهم ويدبر غيرهم مظهرا للانفراد ولا متصرف في ميدان ذلك الطراد الى أن بلغت الفتنة مداها وسوخت ماشاءت رداها وذهب من كان يجد في الرياسة ويخب ويسعى في الفتنة ويدب ولما ارتفع الوبال وأدبر ذلك الاقبال رأى أهل النهى مستمدا بهم ومعتمدا على بعضهم تحيلا منه ونموها وناداها على أهل الخلافة وذويها وعرض عليهم تقديم المعتمد هشام وأومض منه لاهل قرطبة برق خلب بنام بسرعة النائها وتعجيل انتكاثها فأنابوا الى الاجابة وأجابوا الى استرعائه الوزارة والحجابة وتوجهوا مع ذلك الامام وألموا بقرطبة أحسن الملمام فدخلوها بعد فتن كثيرة واضطرابات مستثيرة والبلد متقفر والجلد مسفر فلم يبق غير يسير حتى حيد واضطرب أمره فخلع واختطف من الملك وانتزع وانقرضت الدولة الاموية وارتفعت الدولة العلوية واستولى على قرطبة عند ذلك أبو الحزم ودبر أمرها بالجد والعزم وضبطها ضبطا أمن خائفها ورفع طارق تلك الفتنة وطائفها وخلاله الجو فطار وانضى اللبانات والاوطار فعادت له قرطبة الى أكمل حالتها وانجلى بنور جلالتها ولم تزل به مشرقة وغصون الآمال فيها مورقة الى أن توفي (سنة ٤٠٣) فانتقل الامر الى ابنه أبي الوليد واشتمل منه على طارف وتليد وكان لابي الحزم أدب ووقار وحلم سارت به الامثال وعدم فيها المثال وقد أثبت من شعره ما هو لائق وفي سماء الحسن رائق وذلك قوله في تفضيل الورد

الورد أحسن ما رأت عيني وأز * كى ما سقى ماء السحاب الجائد
خضعت نواوير الرياض لحسنه * فكذلك تنقاد وهي شوارد

من التصنيف ان شاء الله تعالى

*(ذكر بحر نيطش وبحر مانطش وخليج القسطنطينية)

فاما بحر نيطش فانه يمتد من بلاد ملنرقة الى القسطنطينية بطول النهر العظيم المعروف ببطنانس وقد قدمنا ذكره ومبدأ هذا النهر من الشمال وعليه كثير من ولد يافث وخروجه من بحيرة عظيمة في الشمال من أعين وجبال ويكون مقدار جريانه على وجه الارض نحو ثلثمائة فرسخ عمائر متصلة بولد يافث ويسير بحر مانطش فيما زعم قوم من اهل العناية بهذا الشأن حتى يصب في بحر نيطش وهذا البحر عظيم فيه انواع من الاحجار والحشائش والعقاقير قد ذكره جماعة ممن تقدم من الفلاسفة ومن الناس من يسمي بحر مانطش بحيرة ويجعل طوله ثلثمائة ميل وعرضه مائة ميل ومنه ينفجر خليج القسطنطينية الذي يصب الى بحر الروم وطوله ثلثمائة ميل وعرضه نحو من خمسين ميلا وعليه القسطنطينية والعمائر من أوله الى آخره والقسطنطينية في الجانب الغربي من هذا الخليج وهو متصل ببر رومية والاندلس وغيرهما يصب والله أعلم على قول المنجمين من أصحاب الربعات وغيرهم ممن تقدم في بحر البلغر

والروس وهو بحر نيطش وسيأتي ذكر هؤلاء الامم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى على حسب استحقاقهم في ذكرهم واتصال عمائرهم ومن يركب هذا البحر ومن لا يركبه والله أعلم

(ذكر بحر الباب والابواب والخزر وجرجان وجبل من الاخبار على ترتيب البحار)

وأما بحر الاعاجم الذي عليه دورها ومساكنها فهو معمور بالناس من جميع جهاته وهو المعروف ببحر الباب والابواب والخزر والجيل وجرجان وطبرستان وعليه أنواع من الترك وينتهي في لدى جهاته نحو بلاد خوارزم وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وهو مدور الشكل الى الطول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ذكر الامم المحيطة بهذه البحار المعمورة وهذا البحر الذي هو بحر الاعاجم كثير التنانين وكذلك بحر الروم فالتنانين فيهما كثيرة وكثيرا ما تكون مما يلي بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الابرع من أعمال انطاكية وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره ويسمى عجز البحر وعاينه الى ساحل انطاكية ورشيد والاسكندرية وحمص المنصب وساحل المصيصة وفيه مصب نهر جيحان وساحل أذنة وفيه مصب نهر سيحان وساحل طرسوس وفيه مصب نهر برد دار وهو نهر طرسوس ثم البلد الخالي البيان

واذا تبدى العصن في أغصانه * بزهو فذا ميت وهذا حاسد
واذا أتى وفد الربيع مبشرا * بطلوعه فدته فنعم الوافد
ليس المبشر كالمبشر باسمه * خبر عليه من النبوة شاهد
واذا تعذى الورد من أوراقه * بقيت عوارفه فهن خوالد

انتهى المقصود منه وكأنه عارض بهذه الابيات في تفضيل الورد قول ابن الرومي في تفضيل النرجس عليه من قصيدة

للنرجس الفضل المبين وان أبى * آب وحاد عن الحقيقة حائد

وهي مشهورة وردّ على ابن الرومي بعضهم بقوله

يا من يشبه نرجسا بنواظر * دعه فتنبه ان فهمك فاسد الخ

وهي أيضا مشهورة * (رجع الى ما كنا فيه) وكانت لاهل الاندلس بين زمان الفتح وما بعده وقائع في الكفار شفت الصدور من أمراضها ووفت النفوس باغراضها واستولت على ما كان لملة الكفر من جواهرها وأعراضها ثم وقع الاختلاف بعد ذلك الائتلاف فعصفت ريح العدو والحروب سجال وأعيا العلاج حكماء الرجال فصار أهل الاندلس يتذكرون موسى بن نصير وطارق ومن بعدهما من ملوك الاندلس الذين راعت العدو الكافر منهم طوارق * وما أحسن ما أعرب الامام الكاتب القاضي أبو المطرف بن عميرة عما يشمل هذا المعنى وغيره في كتاب بعثه به الى الشيخ أبي جعفر بن أمية حين حل الرزء بملسية وهو

ألا أيها القلب المصرح بالوجد * أما للأسى بادي الصبابة من بد
وهل من سلو يرتجى لمتيم * لدلوعة الصادي ورعة ذي الصد
بحن الى نجد وهيهات حرمت * صروف الليالي ان يعود الى نجد
فيا جبل الريان لا روى بعدنا * عدت غير الايام عن ذلك الورد
ويا أهل ودي والحوادث تقتضي * خلوي عن أهل يضاف الى الود
ألا متعة يوما بعارية المنى * فانا نراها كل حين الى الرد
امن بعد رزء في بلنسية ثوى * باحشائنا كالنار مضمرة الوقد
يرجى اناس جنة من مصائب * تطاعن فيهم بالمثقفة الملد
ألا ليت شعري هل لهامس طالع * معاد الى ما كان فيها من السعد
وهل أذنب الابناء ذنب أبيهم * فصاروا الى الاخراج من جنة الخلد

مرحبا بالسحاءة وما أعارت افقي من الاضاءة وردت تسحر النهى وتسحب ذيلا على السها وتهز من المسرة أعطافا وتردّ من نجوم المجردة نطافا عامت من الظلمة في موجها ثم غلبت الشهب على أوجها فقلب العقرب يجب وسهيل بداره يخجب والطرف غضيض وجناح الطائر بهيض وصاحب الاخبية يقرض والذابح عن ذبيحته يعرض ورامح السماكين تخونه السلاح وواقع النسرين يود لو أنه يخفيه الصباح بلاغة تفتن كل لبيب ونرعى روض كل أديب وتغض على رغم العدو من حبيب ان من

البيان لبحرا ويا أيها الجواد وجدناك بحرا أدريت أى بحر بريت وبأى قمر اهتديت ليلة سريت افتحت بأبياتك الحسان ونظمتها نظم الجمان فعوذت سننها بالسبع وعرفت منها براعة ذلك الطبع ثم نثرت على القرطاس شذور النثور بل من جواهر التحور ما استوقف النظار وبهرج اللجين والنضار ورايتك استمددت ولك الباع الامد وأعرت محاسنك والعارية ترد وجئت باللآلاء تروق أربعها وتحرس بها قعقعة الاشعار وجعجعتها فأدت من حسنها ما يسر واجتمع لمن روى النطعتين ما نظم فيهما وهو الدر واجريت خبر الحادثة التى محقت بدر التمام وذهبت بصبارة الايام فيا من حضر يوم البطشة وعزى فى أنسه بعد تلك الوحشة احقا انه دكت الارض ونزف المعين والبرض وصوح روض المنى وصرح الخطب وما كنى أبن لى كيف فقدت رجاحة الاحلام وعقدت مناحة الاسلام وجاء اليوم العسر وأوقدت نار الحزن فلا تزال تستعر حلم ما ترى بل ما رأى ذا عالم طوفان يقال عنده لا عاصم من يتصفنا من الزمان انظالم الله بما يلقى الفوائد عالم بالله اى نحو تنحو ومسطور تثبت وتمحو وقد حذف الاصلى والزائد وذهب الصلة والعائد وباب النجب طال وحال البائس لا تخشى الانتقال وذهبت علامة الرفع وفقدت سلامة الجمع والمعتل اعدى الصحيح والمثلث اردى الفصيح وامتنعت العجمة من الصرف وامنت زيادتها من الحذف ومالت قواعد الملة وصرنا الى جمع القلة وللشرك صيال وتخمط ولقرنه فى شركه تخبط وقد عاد الدين الى غربته وشرق الاسلام بكربته كأن لم يسمع بنصر بن نصير وطرق طارق بكل خير ونهشات حنش وكيف اعيت الرقى واذالت بليل السليم يوم المأتى ولم تخبر عن المروانية وصوائفها وقفى معافر وتعفيره للاوثان وطوائفها لله ذاك السلف لقد طال الاسى عليهم والاسف وبقى الحكم العدل والرب الذى قوله الفصل وبيده الفضل ربنا امرت فعصينا ونهيت فما انتهينا وما كان ذلك جزاء احسانك الينا انت العليم بما اعلنا وما اخفينا والمحيط بما لم نأت وما اتينا لو أنا فيك احببنا وقلينا لم ترنا من الفرقة ما رأينا ولم تسلط عدوك وعدونا علينا لكن انت أرحم من ان تؤخذنا بما جنينا واكرم من ان لا تهب حقوقك الينا واشرت ايها الاخ الكريم الى استراحة الى وتنسم بالدى لتبرد كما زعمت حر نفس وتقدح زناد نبس وهيهات حملد الزند وذوى العرار والرند واقشع الشؤبوب وركد ما كان يظن به الهبوب فالقلم فين لا يحشر وميت لا ينشر والطبع قد نكص القهقرى وقل منزلا ان يدعى له النقرى فهاه ولا يملك مبينا ولا يجد لقلمه تثبيتا وانت ابقاك الله عز وجل بمقتبل الآداب طائر هيعة الشباب واين سن السمر من سن الانحطاط ووقت الكسل من وقت النشاط وقد راجعتك لا داخلا فى حلبتك بل قاضيا حق رغبتك والله تعالى يجعلك بوسيلة العلم مترقيا وبجنة الطاعة متوقيا ولهباء الانفس مستقبلا ومتلقيا بمنه والسلام انتهى *(وكتب) رحمه الله الى سلطان افريقية الوارث ملك بنى عبد المؤمن بتلك النواحى المستولى على البلدان والضواحى وقد كان لاهل الاندلس امل فى أخذه بثارهم وضم انتشارهم ما صورته

ونهرها العظيم الذى يصب فى هذا البحر ثم حصون الروم الى خليج القسطنطينية وقد أعرضنا عن ذكر انهار كثيرة بارض الروم وما يصب الى هذا البحر كنهر البارد ونهر العسل وغيرهما من الانهار والعمارة على هذا البحر من المضيق الذى قدمنا ذكره وهو الخليج الذى عليه طنجة متصلة بساحل المغرب وبلاد افريقية والسوس ورشيد والسويس ودمياط وساحل الشام وساحل الثغور الشامية ثم ساحل الروم مارا متصلا الى بلاد رومية الى ان يتصل بساحل الاندلس الى ان ينتهى الى ساحل الخليج الضيق المقابل لطنجة على ما ذكرنا لا تنقطع من هذا البر كله العمائر التى وصفناها من الاسلام والروم الى الانهار الجارية الى البحر وخليج القسطنطينية وعرضه نحو سن ميل وخلجانات أخر داخلة فى البر لا نفذلها فجميع ما ذكرنا على شاطئ هذا البحر الرومى متصلو الديار غير منفصلين لا يقطعهم أو يمنعهم الا ما ذكرنا من الانهار وخليج القسطنطينية ومثال هذا البحر الرومى ومثال ما ذكرنا من العمائر عليه الى ان ينتهى الى مدى الخليج الضيق الآخذ من اوقيانوس الذى عليه اعلام النحاس ويلى الاعلام طنجة

ساحل الاندلس شمال الكرنب فصيصة ١٠٠ الحابج والكرنب على صفة البحر الا انه ليس بمدور الشكل لما ذكرنا من طوله

ولبس بعرف التنين في البحر الحبشي ولا في شيء من جبانه من حيث وصفنا في نهايته واكثر ما يظهر شمالي بحر اقيانوس وقد اختلف الناس في التنين فمنهم من رأى انه ريح سوداء تكون في قعر البحر وتظهر الى النسيم وهو الحلو وتلحق السحب كزوبعة فاذا ثارت من الارض واستدارت وأثارت معها الغبار ثم استطالت في الهواء اذا هبت الصعداء توهم الناس انها حيات سود ومنهم من رأى انها دواب تتكون في قعر البحر فتعظم وتؤذي دواب البحر فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها وانها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص لا تمر بمدينة الا أتت على ما فيها ويقدر عليه من بناء عظيم أو شجر أو جبل وربما تنفس فيحرق الشجر الكبير فيلهبها نار شديدة يأجوج ومأجوج ويعظم الشغب بالناس فيقتل ذلك الناس فمنه يتغذى يأجوج ومأجوج وهذا الاول يعزى الى ابن عباس وقد ذكر قوم في التنين غير ما ذكرنا وكذلك حكى قوم من أهل السير وأصحاب الفحص أمورا فيما ذكرنا أعرضنا عن ذكرها منها خبر عمران الذي عمر في الدهر فأدرك غايته الاوطان

ثاقب غب الحيان الوارد * بارق هاج غرام الهاجد
صادق وعد للتلاقي ثم ما * طرفا الا بخلف الواعد
وكلا الرورين من طيف ومن * وافد تحت الدياجي وارد
لم يكن بعد السرى مستمتع * فيه للرائي ولا للرائد
وشديد بث قلب هائم * يشتكيه عند ربع هامد
بالامير المرتضى عز الهدى * وثني عطف المنى الواجد
وبه أصحب ما كان يرى * حامد الأنف الابي الشارد
انما الخير لمولانا أبي * زكريا بن عبد الواحد
ملك لو لاحلاه العلم * يجتر بالحمد لسان الحامد
ولوان العذب أبدى رغبة * عنه لم يثغ غليل الوارد
فضه مثل سنى الشمس وهل * لسنى الشمس يرى من جاحد
نهر البغي بجد صادع * ما تعداه وجد صاعد
انما آل أبي حفص هدى * للورى من نائب أو شاهد
سعدوا فوق النجوم الزهر عن * همم نبهن عزم القاعد
وعن الاسلام ذادوا عندما * فل طول العهد غرب الذائد
أي فخر عمري المنتمى * ورثوه ماجدا عن ماجد
ما الفتوح العر الاهم * بين ماض بادئ أو عائد
نحيا الحق من سابق * وعلى المولود سما الوالد
ولهي راجح الحلم الذي * ترك الطود بعلق ماند
عقد أحسابهم تم به * مثل ما تم حساب العاقد
أيها الجامع ما قد أحرزوا * جمع من همته في الرائد
هذه الامة قد أوسعتها * نظرا يكلأ ليل الراقد
لم تزل منك بخير طارف * ريشه نال تدامى نالد
ولهم منك ليوم حاضر * وغد رأي البصير الناقد
أرشد الله لاولى نظر * بالورى رأي الامام الراشد
وتولاه بتوفيق الالى * سعدوا من عاقد أو عاهد
وله في الله أوفى كافل * بالذي نفى رأكى في عاضد

نصر الله تعالى مولانا وأيده وشد ملكه وشيده وأبقى للفضل أيامه وللفضل أحكامه وأطفر بأعناق الاشقياء حسامه ووفر من اساف الدم والا لاء حظوظه وأقسامه والحمد لله ثم الحمد لله على أن جعل به حرم الامة آمنا ووهج الفتنة ساكنا وأبواب الصلة والمعروف لا تعرف الا واصلا ولا أوآذنا وتلافى قل الاسلام منه بفياته التي منها يتثارون الاكر وبها يوعدون الفتح الاعز والنصر الاخير فهم بين جد تقبضوها وعدة رضوها وارتقاب للفتح أكبر همهم منه درك النار والتحاف لاهل الجنة من أهل النار فأما

الاوطان فقد استلهم عنها جهة تنبت العز فما تنبته وتنفى من الصميم ما تلك تثبته وما ذكر الساخط على المحل الساقط منازل عادت على مبانيها اطلالا ومعانيها أمحالا وللعبد حال يستقبل بها من النظر الكريم أدامه الله تعالى ما أعين الآمال اليه صور ورجاء الجميع عليه مقصور انتهى * والغاية فى هذا الباب ما كتب به رحمه الله من جملة كتاب بعض ذوى الالباب ونص محل الحاجة منه نخص الجهة البعيدة الصيت والاسم الشهيرة العمل والعلم درة تاجنا وضوء سراجنا ونكتة حجاجنا أبقاه الله تعالى فى أعيننا منارا ولا اندلسنا فخارا على انه وان بقيت المفاخر فقد أودى المفاخر وان أضاء الطالع فقد درجت المطالع وغلب عليها عداة زووا عنها وجوهنا وأروافيها مكروهنا حتى انى أتبت بشعر فيه استسقاء للديار على عادة الاشعار فقلت

زدنا على النائين عن اوطانهم * وان اشتركنا فى الصبابة والجوى
انا وجدناهم قد استقوالها * من بعد أن شطت بهم عنها النوى
ويصدنا عن ذاك فى أوطاننا * مع حبها الشرك الذى فيها ثوى
حسناء طاعتها استقامت بعدنا * لعدونا أفستقيم لها الهوى انتهى

(قلت) وما رأيت ولا سمعت مثل هذه الابيات فى معناها العالية فى مبناها فان فيها الاشارة الى استيلاء النصارى دمرهم الله على تلك الديار وثبوت قدمهم فيها على طبق ما حصل لهم فيه اختيار مع ادماج حبه لها الذى لا يشك فيه ولا يرتاب واشتمالها على المحاسن التى هى بغية الرائد ونجعة المنتاب ولكل أجل كتاب واذا نفذ سهم المقدور فلا عتاب (ومما يستولى على الخواطر ويروى رياض الافكار بسحب بلاغته المواطر قوله رحمه الله تعالى يخاطب أبا الحسن الرعينى سنة ٦٣٤)

ياصاحبى والدهر لولا كرة * منه على حفظ الذمام ذميم
أمنازعى أنت الحديث فانه * ما فيه لاالغو ولا تأثيم
ومروض مرعى منايا فتنته * من طول اخلاف الغيوم هشيم
طال اعتبارى بالزمان وانما * داء الزمان كما علمت قديم
مجفرّ حظ لا ينادى ثم لا * ينفك عنه الحذف والترخيم
وأرى امالته تدوم وقصره * فعلام يلفى المدّ والتفخيم
وعلام أدعو والجواب كأنما * فيه بنص قد أتى التحريم
لم ألق الا مقعدا غير الاسى * والدى منه مقعد ومقيم
وشرابى الهم المعتق خالصا * فتى يساعدنى عليه نديم
غارات أيام على جوارح * فعديها فى طبعه التحكيم
ولواعج يحتاج صالى حرها * امرا به قد خص ابراهيم
ولقد أقول لصاحبى هو بالذى * أدركت من علم الزمان عليم
لا يأس من روح الاله وان قست * يوما قلوب الخلق فهو رحيم

ويهزنى ويستفزنى ما كتبه رحمه الله تعالى من رسالة * كتبته الى سيدى وهو السيد

من قوائمها تغادى قرن الشمس من مبدا طلوعها الى حال غروبها فعبر على ماوصفنا من تعلقه بشعرها البحر ودار بدورانها طلبا لعين الشمس حتى صار الى ذلك الجانب فرأى النيل منحدرا من قصور الذهب من الجنة وأعطاه الملك العنقود العنب وأنه أتى الرجل الذى رآه فى ذهابه ووصف له كيف يفعل فى وصوله الى مبدا النيل فوجده ميتا وخبر ابليس معه والعنقود العنب وغير ذلك من خرافات حدوثه عن اصحاب الحديث ومنها ما روى أن فيه من الذهب وأنواع الجوهر فى وسط البحر الاخضر على أربعة أركان من اليافوت الاحمر بقدر من كل ركن من هذه الاركان ماء عظيم من رشحه فيقسم الى جهات أربع فى ذلك البحر الاخضر غير مخالط له ولا ممتاس به ثم ينتهى الى جهات من البر من سواحل ذلك البحر أحدها النيل والثانى سيحان والثالث جيحان والرابع الفرات ومنها أن الملك الموكل بالبحار يضع عقبه فى أقصى بحر الصين فيغور منه البحر فيكون منه المد ثم يرفع عقبه من البحر فيرجع الماء

الى مركزه ويطلب قعره فيكون الجزر ومثل ذلك بانا فيه ماء فى مقدار

أن الملك يضع ابهامه من كفه الايمن فى البحر فيكون منه المد ثم يرفعها فيكون الجزر وماذكر نا فغير ممتنع كونه ولا واجب وهو داخل فى حيز الممكن والجائز لان طريقه فى النقل طريق الافراد والآحاد ولم يرد مورد التواتر والاستفاضة كالاخبار الموجبة للعلم والعلل القاطعة للعذر فى النقل فان قارنها دلائل توجب صحتها وجب تسليم لها والانقياد الى ما أوجب الله عز وجل علينا من أخبار الشريعة والعمل بها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وان لم يصح ماذكرنا فقد وصفنا آنفا ماقال الناس فى ذلك ليعلم من قرأ هذا الكتاب انا قد اجتهدنا فيما أوردناه فى هذا الكتاب وغيره من كتبنا ولم يعزب عنا فهم ما قاله الناس فى سائر ما ذكرنا وبالله التوفيق فهذه جمل البحار وعند أكثر الناس انها أربعة فى المعمور من الارض ومنهم من يعدها خمسة ومنهم من يجعلها ستة ومنهم من يرى أنها سبعة منفصلة غير متصلة وعلى أنها ستة فأولها البحر الحبشى ثم الرومى ثم نيطش ثم مانطش ثم الخزرى ثم أوفيانوس الذى لا يعلم أكثر نهاياته وهو الاخضر المظلم المحيط وبحر نيطش متصل وصدر

حقيقته وأخى وقد كتب الدهر بذلك وثيقة أبقى الله تعالى جلاله محروسا وربع وفائه لا يخشى دروسا من رباط الفتح وأنا بحقه عليم وعلى عهده مقيم وشأنى توقيره وتعظيم وحب فيه خالص كريم ووصلنى خطابه الخطير المبرور فكنت به كالصائم رأى الهلال والهائم عاين ماء الزلال علق ليس يوازيه علق وسحر لكنه حلال طلق ونظم لذكر الطائى طاو وصنعة لم يرها ولم يروها راء ولا راو رمت ابن الرومى بالخمول وبشرت اسم بشار من الفحول وحكمت باب النمرى فى نمرة الهوان مدرج والسرى عن سراوة الاحسان مخرج فاما النثر فصهيل لا يجاوبه الرغاء وطراز لا يحسنه البلغاء ونقد تزيف معه النقود ومدى تقطع دونه الضمر القود غادر الصابى وصباه غير ذات هبوب والصاحب وهو من العجز مع شره محبوب والميكالى وميكاله مرفوض والحريرى وحريره فى سوق الكساد معروض فأما بحر رئيس أرجان فقد استخرج منه اللؤلؤ والمرجان وأبقاه فى ضحضاح بل تركه يمشى باذرح ضاح فمن ذا يجارى فارس الصفين وامام الصنفين أبلغ من خط بقلم وأشهر من نار على علم وماذا يقال فى أنامل تطرز بها الصحف وخمائل تفغر بها الروضة الانف واسم فى شرق البلاد وغربها ظاهر ووسم بالكتابة والنجابة لم يكن لبنى وهب وآل طاهر فالزمان يأثر ماينثر ويعظم ماينظم ولو أن الازمنة قبله عمرت الحاضر بكل ناجم ونشرت المقابر عن الصنوبرى وكتاجم وجاءت بالكتاب من كل جيل والشعراء رعيلا بعد رعيل لطال هذا العصر بواحده آلافها وأنسى بخلفه أسلافها انتهى * وكتب رحمه الله تعالى الى صاحبين له فى معنى ما ألمعنا به آنفا ما صورته

تحية منكما أتتنى * طابت كما طاب مرسلاها
وبالهما اذكرت عهودا * قلبى والله ماسلاها
حللتما فى البلاد أرضا * ريح صباها عنى سلاها
لم يصب قلبى الى سواها * يوما ولم يسل فى سلاها

كتابى أيها الاخوان اللذان بودهما أقول وعن عهدهما لا أحول أنزلكما الله تعالى خير منزل وجعلكما من النوائب والشوائب بمعزل من رباط الفتح ولبى قديما ملكتما رقه وقلبى تعلما وتعليما عرفتما صدقه كيف حالكما من سفر طويتما خبره حين تحشمتما غرره وكيف سمحت نفوسكما بأم الحصون وذات الظلال والعيون تربة الآباء ومنزلة الجميعين النجباء حتى صرتما حبلها وهجرتما حزنها وسهلها وخضتما غبر الفجاج وخضر الامواج وماذاك الا لتغلب الحادث الذكر وتأثب المعشر الغدر ومن أجل الداهية النكاد والحادثة الشنيعة على البلاد أزعجتكم حين أزعجتنا وأخرجتكم كما أخرجتنا وطوحت بناطوائحها واجتاحت ثمرنا وشجرنا جوائحها فشكر الله تعالى على قضائه ونصر عافيما نرفعه من دعائه وهنيأ لكم معشر الشرداء المنطوين من الشجن على شرداء ذلك الطود الذى اليه أويتما وفى ظله ثويتما وعن رأيه تريان وبسعيه تسعيان فوجهه المبارك لا يعدم رأيه نجحا ولا يعدو لصبحه اذا دجا ليل الهم صبحا انتهى وكان أبو المطرف بن عميرة المذكور كما قال فيه بعض علماء المغرب قدوة البلغاء وعمدة العلماء

وصدر الجلة الفضلاء وهو أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومى ونكتة البلاغة التى قد أحرزها وأودعها وشمسها التى أخفت ثواقب كواكبها حيث أبدعها مبدع البدائع التى لم يحظ بها قبله انسان ولا ينطق عن تلاوتها لسان اذ كان ينطق عن قريحة صحيحة وروية بدرر العلم فصيحة ذلك له صعب الكلام وصدقت رؤياه حين وضع سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهو الذى أوتى جوامع الكلم فى يديه الاقلام وأصل سلفه من جزيرة شقر وولد بمدينة بلنسية وروى عن أبى الخطاب بن واجب وأبى الربيع بن سالم وابن نوح والشلوبين النحوى وابن عات وابن حوط الله وغيرهم من الحفاظ وأجازه من أهل المشرق جماعة وكان شديد العناية بشان الرواية فأكثر من سماع الحديث وأخذه عن مشايخ أهله ثم تفنن فى العلوم ونظر فى المعقولات وأصول الفقه ومال الى الادب فبرع براعة عد فيها من مجيدى النظم فأما الكتابة فهو فارسها الذى لا يجارى وصاحب عنيها الذى لا يبارى وله وعظ على طريقة ابن الجوزى ورسائل خاطب بها الملوك وغيرهم من الموحدين والحفصيين وله تأليف فى كائنة ميورقة وتغلب الروم عليها نحا فى الخبر عنها منحى الامام الاصبهانى فى الفتح القدسى وله كتاب تعقب فيه على العنخر الرازى فى كتاب المعالم وله كتاب رد به على كمال الدين الانصارى فى كتابه المسمى بالتبيان فى علم البيان المطلع على اعجاز القرآن وسماه بالتنبيهات على ما فى البيان من التمويهات وله اختصار نبيل من تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك * وورد رحمه الله حضرة الامامة مراكش صحبة أمير المؤمنين الرشيد حين قفوله من مدينة سلا واستكتبه مدة يسيرة ثم صرفه عن الكتابة وقلده قضاء هيلانة ثم نقله الى قضاء سلا ثم نقله السعيد الى قضاء مكناسة الزيتون ثم قصد سبتة وأخذ ماله فى قافلة بنى مرين ثم توجه الى بلاد افريقية ووصف حاله فى رسالة خاطب بها ابن السلطان أبا زكريا الحفصى وهو أبو زكريا ابن السلطان أبى زكريا وكان صاحب بجاية لابيه ولم يزل رحمه الله تعالى مذ فارق الاندلس متطلعا لسكنى افريقية معمور القلب بسكناها ولما قدم تونس مال الى صحبة الصالحين والزهاد وأهل الخير برهة من الزمان ثم استقضى بالاريس من افريقية ثم بقابس مدة طويلة ثم استدعاه أمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصى وأحضره مجالس أنسه وداخله مداخلة شديدة حتى تغلب على أكثر أمره ومولده بجزائر شقر فى شهر رمضان المعظم سنة ٥٨٠ وتوفى ليلة الجمعة الموفية عشرين من ذى الحجة سنة ٦٥٨ ألحقه الله رضوانه وجدد عليه غفرانه * قال ابن الابار فى تحفة القادم فى حق أبى المطرف المذكور فائدة هذه المادة والواحد فى بالعثة الذى اعترف باتحاده الجميع واتصف بالابداع فماذا يتصف به البديع ومعاذ الله أن أحابيه بالتقديم لماله من حق التعليم كيف وسبقه الاشهر ونطقه الياقوت والجوهر تحلت به الصحائف والمهارق وما تخلت عنه المغارب والمشارق فحسبى أن أجهد فى أوصافه ثم اشهد بعدم انصافه هذا على تناول الخصوص والعموم لذكره وتناوب المنثور والمنظوم على شكره ثم أورد له جملة منها قوله

وأجلت فكرى فى وشاحك فانثنى * شوقا اليك يجول فى جوال

ماذكرنا والرومى بدؤه من بحر اوقيانوس الاخضر فيجب على هذا القياس أن يكون ماوصفنا بحرا واحدا الاتصال مياهها وليست هذه المياه ولا شئ منها والله أعلم متصلة بشئ من بحر الحبش فبحر نيطش وبحر مانطش يجب أن يكونا أيضا بحرا واحدا وان تضايق البحر فى بعض المواضع بينهما أو صار بين الماءين كالخليج وليست تسمية ما اتسع منه وكثر ماؤه بمانطش وما ضاق منه وقل ماؤه بنيطش ينبغى أن تجمعهما فى اسم مانطش أو نيطش فاذا عبرنا بعد هذا الموضع فى مبسوط هذا الكتاب فقلنا مانطش أو نيطش فانما نريد به هذا المعنى فيما اتسع من البحر وضاق (قال المسعودى) وقد غلط قوم زعموا ان البحر الخزرى يتصل ببحر مانطش ولم أر فمن دخل بلاد الخزر ممن اتصل اليها ببحر من هذه البحار أو بشئ من مائها أو من خلجانها الا من نهر الخزر وسنذكر ذلك عند ذكرنا لجبل الفتح ومدينة الباب والابواب ومملكة الخزر وكيف دخل الروس فى المراكب الى بحر الخزر وذلك بعد الثلثمائة ورأيت أكثر من تعرض لوصف البحار ممن تقدم وتأخر يذكرون فى كتبهم ان خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر ولست أدرى

وسمت اليه نواظرهم واشترك فيه باديهم وحاضرهم فخاب أملهم فسيح ومتجر خدمتهم ربيح وحديث طاعتهم حسن صحيح وبسنى النظر الى اقتداؤهم وفى الباب الكريم رجاؤهم وبصدق العبودية اعتزازهم واليها اعتزاؤهم والله تعالى ينهضهم بوظائف المثابة العلية ويحملهم على المناهج السويه ووصل الكتاب الكريم متدليا برواء الحق ناطقا بلسان الصدق واصفا من التشريف والفخار المنيف ما صدر عن امام الخلق فلا بيان أعجب من ذلك البيان ولا يوم كذلك اليوم تبدى نظره للعيان أو تادى خبره فى أخبار الزمان نثرت فيه الخلع العباسية فى اعلى الصور وبرزمنها للعيون ما يعثر البليغ عند وصفه فى ذيل الحصر ويهدى سواده سواد القلب والبصر فيالله ما أعجب ما كان ومرآها الذى راع الكفر وراق الايمان وأشبه يومه بالاندلس يوم خرجت الرايات السود من خراسان وكفى بهذا فخارا لا يحتاج ثابته مثبتا أن باشرت بردا باشر البدن الذى طاب حيا وميتا فهو علو فى الاسناد ولا نظير له فى العوالى وفخار ضلت عن مثله العصور الخوالى وجلت بهجته أن تخلق جدتها الايام والليالى ودل الكتاب العزيز على التسمية المشتقة من الجهاد والسمة من سيف أمير المؤمنين بما لا يدخل فى جنس ذوات الاغماد وخير الاوصاف ما صدقه الموصوف والكريم النسب نسبته بما هى بها الدين وتزهى السيوف

فان نحن سمينا لك خلنا سيوفنا * من التيه فى أغمادها تتبسم

ومما أفاده الكتاب المبهج بطيب أنبائه نص علامة سيدنا صلوات الله عليه وعلى آبائه فانها تضمنت صفة لله عز وجل من صفات الكمال ودلت على مذهب أهل السنة فى خلق الله عز وجل الاعمال وأشعرتنا معشر العبيد بعناية سبقت بالمقام المجاهدى المتوكلى أحسن الله تعالى اليه حين تولى خلافة أمير المؤمنين صلوات الله عليه فانه لما شايعه بعزيمة مساعدة ونية فى مشارع الصفاء والاخلاص واردة ألهم زيادة فى العلامة شاركت الامامة فى صفة واحدة فهذه كرامة فى العلامة هى علامة الكرامة وهبة من مواهب الكشف يجدها من امتثل قوله فاستقم كما أمرت فكان من أهل الاستقامة وتضمن الكتاب الكريم بيعة اهل جيان ومامعها وان هذه البشائر وما تبعها لفروع عن هذا الاصل الصحيح وأقيسة من هذا النص الصريح بادلة الخلاف قد استقلت وشبهة الخلاف قد بطلت واضمحلت والحمد لله على أن منح جزيل النعماء وشرح باليقين صدور الاولياء وشرف هذه الامة بامامة نجل الائمة الخلفاء وابن عم سيد الرسل وخاتم الانبياء والعبيد يهنئون بهذه النعم التى لا يستقل بذكرها قلم ولا يقطع علم من وصفها الا بداعلم وبهم من الاشواق الى مشاهدة المعالم السنية ولثم اليمن الطاهرة العلية ما أكده دنو الدار وجدده ما تجدد للمقام العالى المتوكلى من نعم الله تعالى الجليلة المقدار والشاهدة له باسعاد الايام واسعاف الاقدار فلو أمكنهم الاقدام لا قدموا ولو وجدوا رخصة فى المسير لعزموا وهم يستلمون البساط الاشرفى توهما ومن أملهم انهم فى الحقيقة قد استلموا انتهى وبه تعلم ان الدولة العباسية خطب لها ببلاد الاندلس أعادها الله للاسلام ولا يخفاك أن ما جلبناه من ذلك وغيره مناسب للمقام فلا انتقاد ولا ملام (وقد رأيت) أن اذكر هنا مخاطبة صدرت من الغنى بالله

ممتزجين فالشمس ترفع لطيفه بالاستحالة ماء اذا صار بارتفاعه الى الموضع الذى يحصره البرد فيه ويكثفه ومنهم من ذكر ان الماء الذى هو اسفس ما كان منه عن الهواء وما يعرض منه من البرد يكون حلوا وما كان منه فى الارض لما يناله من الاحتراق والحرارة يكون مرا ومن اهل البحث من قال ان جميع الماء الذى يفيض الى البحر من جميع ظهور الارض وبطونها اذا صار الى تلك الحفرة العظيمة فهو مض من مصاص والارض تقذف اليه ما فيها من الملوحة والاذان فى الماء من اجزاء النار التى تخرج اليه من بطون الارض ومن اجزاء النيران المختلطة برفعان لطائف الماء بارتفاعهما وتبخرهما فاذا رفعا اللطائف صار منها ما يشبه المطر وكان ذلك دابها وعادتها ثم يعود ذلك الماء مالحا الان الارض اذن كانت تعطيه الملوحة ولذلك يكون ماء البحر على كيل واحد ووزن واحد لان البحر يرفع للتبخير فيصير طلا وماء ثم تعود تلك الاندية سيولا وتطلب الحدور والقرار وتجرى فى اعماق الارض حتى تصير الى ذلك الغور فليس يضيع من ذلك الماء شئ ولا يبطل منه شئ والاعيان قائمة كمخزون غرف من نهر وصب الى

صاحب الاندلس الى السلطان المنصور أحمد ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من انشاء الوزير الكبير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله لما اشتملت عليه من أحوال الاندلس ونصها الابواب التى تفتح لنصرها أبواب السماء وتستدر من آفاقها سحاب النعماء وتجلى بانوارسعدها دياجى الظلماء وتعرف نكرة البلاد والعباد بالانتساب الى محبتها والانتماء على أختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد الاسماء ويجتزأ من صلات صلاتها عند الموانع من كمال حالات صفاتها بالايماء وتحمل لها التحية ذوات الدسر والالواح طاعنة نحر الصباح على كتد الماء أبواب السلطان الكبير الجليل الشهير الطاهر الظاهر الاوحد الاسعد الاصعد الامجد الاعلى العادل العالم الفاضل الكامل سلطان الاسلام والمسلمين عماد الدنيا والدين رافع ظلال العدل على العالمين جمال الاسلام علم الاعلام فخر الليالى والايام ملك البرين والبحرين امام الحرمين مؤمن الامصار والاقطار عاصب تاج الفخار هازم الفرنج والترك والتتار الملك المنصور ابن الامير الرفيع الجادة الكريم الولادة الطاهر الظاهر الكبير الشهير المعظم المعجد الاسمى الموقر الاعلى فخر الجلة سيف الملة تاج الامارة عز الاسلام مستظل الانام قمر الميدان أسد الحرب العوان المقدس المطهر الامير احمد ابن والد السلاطين ومالك المسلمين وسيف خلافة الله على العالمين وولى المؤمنين سلطان الجهاد والحج ومقيم رسم العج والثج محيي معالم الدين قامع المعتدين قاهر الخوارج والمتمردين ناصر السنة محيي الملة ملك البرين والبحرين سلطان الحرمين الملك العادل العالم العامل المنصور المؤيد المعان المرفع المعظم المبجل المؤمل المجاهد المرابط المغازى المعجد المكمل المظهر الكبير الشهير المقدس الملك الناصر أبى عبد الله محمد بن قلاوون الصالحى جعل الله فسطاط دعوته معمودا بعمود الصبح وحركات عزمه مبنية على الفتح ومجمل سعادته غنيا عن الشرح وجياد أوصافه متبارية فى ميدان المدح وزناد رأيه وارية على القدح من موجب حقه وجوب الشعائر الخمس المرحب لاجل أفقه الشرقية بوفادة الشمس المجدد فى اليوم حكم ما تقرر بين السلف رحمهم الله بالامس أمير المسلمين بالاندلس عبد الله الغنى بالله الغالب به محمد بن يوسف بن اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم كما زحفت راية الصبح تقدمها طلائع مبشرات الرياح يفاوح أرجه زهير الادواح ويحاسن طرر الوجوه الملاح يخص أبوتكم التى رتب العز فصولها وعضدت نصوص النصر نصولها ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى جعله فاتحة القرآن وخاتمة دعاء أهل الجنان وشكره على ما أولى من مواهب الاحسان حمدا وشكرا يستخدمان من الانسان ملكتى القلب واللسان والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله زهرة كمامة الاكوان وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والالوان الذى أذل بعزة الله نفوس أهل الطغيان وغطى بدينه الحق على الاديان وزويت له الارض فرأى ملك أمته يبلغ ما زوى له فكان الخبر وفق العيان والرضا عمن له من الاصحاب والاحباب والاعمام والاخوال والاخوان صلاة يجددها الجديدان ويمليها الملوان وتتزاحم على تربته المقدسة مع الاحيان ما سجعت طيور البراعة من أعواد اليراعة على الافنان والتفتت

ماء عذبا الى الاعضاء المغتذية به وخلفت ما ثقل منه وهو الملح والمر فمن ذلك البول والعرق وهذه فضول الاغذية فيها ولما كانت عن رطوبات عذبة أحالتها الحرارة الى المرارة والملوحة وان الحرارة لو زادت أكثر من مقدارها لصارت الفضول مرا زائدا على ما يوجد من العرق والبول لوجود مأكل محترق هذا قول جماعة ممن تقدم وأما ما يوجد بالعيان وايقاع المحنة عند المباشرة فان كل الرطوبات ذوات الطعوم اذا صعدت بالقرع والانابيق بقيت روائحها وطعومها فما يرتفع منها كالخل والنبيذ والورد والزعفران والقرنفل الا المالحة فانها تختلف طعومها وروائحها ولا سيما ان صعدت مرتين وأسخنت مرة بعد أخرى وقد ذكر صاحب المنطق فى هذا المعنى كلاما كثيرا من ذلك أن الماء المالح أثقل من الماء العذب وجعلت الدلالة على ذلك أن الماء المالح كدر غليظ والماء العذب صاف رقيق وأنه اذا أخذ شئ من الشمع فعمل منه اناء ثم سد رأسه وصير فى ماء مالح وجد

ذلك الماء الذى وصل الى الاناء عذبا فى الطعم خفيفا فى الوزن ووجد الماء المالح المحيط به على خلاف ذلك وكل ما يجرى فهو نهر

واكثروا وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان فى الفن الثانى من جملة الثلاثين فنا ما أوردوه من البراهين فى مساحة البحار ومقاديرها والمنفعة فى لوحة ماتها واتصال بعضها ببعض وانفصالها وعدم بيان الزيادة فيها والنقصان ولا علة كان الجزر والمد فى البحر الحبشى أظهر من دون سائر البحار ووجدت نواخذة بحر الصين والهند والسند والزنج واليمن والقلزم والحبشة من السيرافيين والعمانيين يخبرون عن البحر الحبشى فى أغلب الامور على خلاف ماذكرته الفلاسفة وغيرهم ممن حكينا عنهم المقادير والمساحة وان ذلك لا غاية له وفى مواضع منه شاهدت ارباب المراكب فى البحر الرومى من الحربية والعمالة وهم النوانى وأصحاب الرحل والرؤساء ومن يلى تدبير المراكب والحرب فيهم مثل لاوى المكنى بأبى الحرب غلام زرافة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق وذلك بعد الثلثمائة يعظمون طول البحر الرومى وعرضه وكثرة خلجانه وتشعبه وعلى هذا وجدت

عيون المعانى مابين أجفان البيان والدعاء لابوابكم الشريفة جعل الله تعالى عصمته تقيم بها وظيفتى الاجابة والاستئذان وضرب بدعوتها التى هى لذة الاقامة والاذان على الآذان واستدم بروج الفلك الدوار فى أمرها العزيز استخدام الانصار والاعوان حتى يعلم مافى المدافعة عن حماها مخالب السرحان وفى الاشادة بعدلها كفتى الميزان ويهدى لها من الزهرة كرة الميدان ومن الهلال عوض الصولجان وأبقى فى عواملها ضمير الامر والشان الى يوم تعنو وجوه الملوك الى الملك الديان فانا كتبناه الى تلك الابواب كتب الله لعتبتها النصرة الداخلة كما أدخل بكارمها السحب الباخلة وجعل مفارق مناصلها المختضبة من نجيع عداها غير ناصلة وقرن بكل سبب من اضدادها فاصلة من دار ملك الاسلام بالانداس حمراء غرناطة وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن ارجائها وشد بأيدى اليقين عرا أملها فى الله ورجائها حيث المصاف المعقود وثمن النفوس المنقود ونار الحرب ذات الوقود حيث الافق تدثردى بالقتام وتعمم والسيف قد تجرد وتيمم وغبار الجهاد يقول انا الامان من دخان جهنم حيث الاسلام من عدوه كالشامة من جلد البعير والتمرة من أوسق العير حيث المصارع تتزاحم الحور على شهدائها والابطال يعلوبالتكبير مسمع ندائها حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة قد زينتها الكلوم بدمائها وان ذا القطر الذى مهدت لياستذاكوار مطاياه وجعلت بيدنا والمنة لله عياب عطاياه فطر مستقل بنفسه مرب يومه فى البر على امسه زكى المنابت عذب المشارب متمم المآمل مكمل المآرب فاره الحيوان معتدل السحن والالوان وسيطة فى الاقاليم السبعة شاهدة لله باحكام الصنعة أماخيله ففارهة والى الركض شارهة وأما سيوفه فلمواطن الغمود كارهة وأما اسله فتدار كة الخطف وأما عوامله فبينة الحذف وأما نباله فمحذورة القذف الا أن الاسلام به فى سفط مع الحيات وذريعة للمنيات الوحيات وهدف للنبال واكلة للشمال تئوهم الغارات المتعاقبة وتخيفهم الحدود المصاقبة وتجوس خلالهم العيون المراقبة وتريب من أشكال محتظهم الا أن يتفضل الله بحسن العاقبة فليس الا الصبر والضرب الهبر والهمز والنبر والمقابلة والجبر وقد حال البحر بينهم وبين اخوان ملتهم وأساة علتهم يقومون بهذا الفرض عن أهل الارض ويقرضون ملك يوم العرض أحسن القرض فلولا بعد المدى وغول الردى ولغط العدا وماعدا لما بدا لسمعت تكبير الحملات وزئير تلك الفلات ودوى الحوافر وصليل السيوف من فوق المغافر وصراخ الثكالى وارتفاع الادعية الى الله تعالى ولو ارتفع هذا المكان وهو للاولياء مثلكم من حيز الامكان لقلتم مقل الاسنة الزرق حالة من أطراف قصب الرماح محال الورق وأبصرتم القنا الخطار قد عاد أخلة والسيوف قد صارت فوق بدور الخود أهلة وعقود الشهادة عند قاضى السعادة مستقلة وكان كما تحصره علومكم الشريفة حدق سور الفتح وآخر ولاء ذلك المنح عرض على الفاروق فاحتاط وأغرى به من بعده فاشتاط وسرحت خيل ابن أبى سرح فى خبر يدعو الى شرح حتى اذا ولد مروان تقلدوا كرتها التى هوت وقضوا ما انفجت ورثة الحق وشوت ويدهم على الامر احتوت وفازت منه بمانوت

عبد الله بن وزير صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص ولم يبق فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة نقل

نقل ولائذه الوليد وجلب له الطريف والتليد وطرقت خيل طارق وضاقت عن اخباره المهارق وجلت الفائدة وظهر على الذخيرة التى منها المائدة ثم استرسل المهب ونصر الرب ويكثر الطير حين يثير الحب وصرفت أشراف الشام أعنتها الى التماس خبره وطارت بأجنحة العزائم تيمنا بطيره وقصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر وغيره ففقدت الاقفال ونفلت الانفال ونجع القفال ووسمت الاغفال وافتتحت البلاد الشهيرة وانتقيت العذارى الخيرة واقتنيت الذخيرة وتجاوز الاسلام الدروب وتخطى وخضد الارطى وأركب وأمطى واستوثق واستوطا وتثاءب وتمطى حتى تعددت مراحل البريد وسخنت عين الشيطان المريد واستوسق للاسلام ملك ضخم السرادق مرهوب البوارق رفيع العمد بعيد الامد تشهد بذلك الآثار والاخبار والوقائع الكبار والاوداق والامطار وهل يخفى النهار ولكل هبوب ركود والدهر حسود لمن يسود فراجعت الفرنج كرتها واستدركت معرتها فدوّخت جوارحها وحلقت وأومضت بوارقها وتألقت وتشبثت وتعلقت وأرسلت الاعنة وأطلقت وراجعت العقائل التى طلقت حتى لم يبق من الكتاب الا الحاشية ولا من الليل الا الناشية وسقطت الغاشية وأخلدت العثة المتلاشية وتقلصت الظلال الفاشية الا أن الله تدارك بقوم رجع من سلفنا اثبتوا فى مستنقع الحرب أقدامهم وأخلصوا لله بأسهم واقدامهم ووصلوا سيوفهم البارقة بخطاهم وأعطاهم منشور العز من أعطاهم حين تعين الدين وتحيز واشتد بالمدافعة وتميز وعادت الحروب سجالا وعلم الروم أن لله رجالا وقد أوفد جدنا رضى الله عنه على ابواب سلفكم من وقائعه فى العدو كل مبشرة ووجوديه منتشرة ضحكت لها ثغور الثغور وسرت بها فى الاعطاف حميا السرور وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور وتمائم فى درر النحور وخفرا فى وجوه البدور فان ذمام الاسلام موصول وفروعه تجمعها فى الله أصول وما أقرب الحزن ممن داره صول والملة والمنة لله واحدة والنفوس لامنكرة للحق ولا جاحدة والاقدار معروفة والآمال الى ما يوصل الى الله مصروفة فاذا لم يكن الاستدعاء أمكن الدعاء والخواطر فعالة والكل على الله عالة والدين غريب والغريب يحن الى أهله والمرء كثير بأخيه على بعد محله انتهى المقصود من المخاطبة مما يتعلق بهذا الباب والله الموفق للصواب

(الباب الثالث)

فى سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العز السامى العماد والقهر للعدو فى الرواح والغدو والتحرك والمدو والارتياح البالغ غاية الآماد واعمال أهلها للجهاد بالجد والاجتهاد فى الجبال والوهاد بالاسنة المشرعة والسيوف المسلة من الاغماد

(اقول) قد مهدنا فى الباب قبل هذا ما كان من نصر المسلمين وفتحهم الاندلس وما حصل لهم من السلطان بها الى مجىء الداخل فتقررت القواعد السلطانية وعلت الكلمة الايمانية كما نسرده هنا ان شاء الله تعالى (وذكر غير واحد) منهم ابن حزم ان دولة بنى أمية بالاندلس كانت أنبل دول الاسلام وانكاها فى العدو وقد بلغت من العز والنصر ما لا مزيد عليه كما

ويقرله بالنصر والحذق مع ما هو عليه من الديانة والجهاد المقدم فيها وقد ذكرنا عجائب هذه البحار وما سمعناه ممن ذكرنا من أخبارها وآفاتها وما شاهدوا فيها فيما سلف من كتبنا وسنورد بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وقد ذهب قوم ممن تكلم فى علامات المياه ومستقرها من الارض الى انه يرى فى المواضع التى فيها الماء نبت القصب والحلفاء والسل من الحشيش فذلك دلالة على قرب الماء لمن اراد الحفر وان ما عدا ذلك فعلى البعد ووجدت فى كتاب الفلاحة ان من اراد أن يعلم قرب الماء وبعده فليحفر فى الارض ثلاثة أذرع او أربعة ثم ياخذ قدرا من نحاس أو سحابة خذف فيدهنها بشحم من داخلها مستويا ولتكن القدر واسعة الفم فاذا غابت الشمس فخذ صوفة بيضاء منفوشة مغسولة وخذ حجرا قدر بيضة فلف ذلك الصوف عليه مثل الكرة ثم اطل جانب الكرة بموم مذاب والصقها فى أسفل ذلك القدر الذى قد دهنته بدهن او بشحم ثم ألقها فى أسفل الحفيرة فان الصوف يصير معلقا والموم يمسكه ويصير الى مكان الحجر معلقا ثم احث على الاناء التراب

الاناء فان رأيت الماء ملزقا بالاناء من داخل قطرا كثيرا بعضه قريب من بعض والصوفة ممتلئة فان في ذلك المكان ماء وهو قريب وان كان القطر سفترقا لا بالمجتمع ولا بالمتقارب والصوفة ماؤها وسط فان الماء ليس بالبعيد ولا بالقريب وان كان القطر ملتزقا متباعدا بعضه من بعض والماء في الصوفة قليل فان الماء بعيد وان لم تر على الاناء قطرا قليلا ولا كثيرا ولا على الصوفة ماء فانه ليس في ذلك الموضع ماء فلا تتعنى في حفره ووجدت في بعض النسخ من كتب الفلاحة هذا المعنى ان من أراد علم ذلك فلينظر الى قرى النمل فان وجد النمل غلاظا سردا ثقيلة المشي فلينظر فعلى قدر ثقل مشيهن الماء قريب منهن وان وجد النمل سريع المشي لا يكاد يلحق فالماء منهن على أربعين ذراعا والماء الاول يكون عذبا طيبا والثاني ثقيلا مالحا فهذه جملة علامات لمن يريد استخراج الماء وقد أتينا على مبسوط ما ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان وانما نذكر في هذا الكتاب ما تدعو الحاجة الى ذكره بالاشارة اليه دون بسطه وايضاحه وقد ذكرنا جملا من أخبار البحار وغيرها فلنقل في أخبار

ستري بعضه (واصل هذه الدولة) كما قال ابن خلدون وغير واحد أن بني أمية لما نزل بهم بالمشرق ما نزل وغلبهم بنو العباس على الخلافة وأزالوهم عن كرسيها وقتل عبد الله بن علي مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفائهم سنة ثنتين وثلاثين ومائة وتتبع بني مروان بالقتل فطلبوا بطن الارض من بعد ظهرها وكان ممن أفلت منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان قومه يتحينون له ملكا بالمغرب ويرون فيه علامات لذلك يأثرونها عن مسلمة بن عبد الملك وكان هو قد سمعها منه مشافهة فكان يحدث نفسه بذلك فخلص الى المغرب ونزل على اخواله نفزة من برابرة طرابلس وشعر به عبد الرحمن بن حبيب وكان قد قتل ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما دخلا افريقية فلحق بقبيلة وقيل بمكناسة وقيل بقوم من زناتة فاحسنوا قبوله واطمأن فيهم ثم لحق بمليلة وبعث بدرا مولاه الى من بالاندلس من موالي المروانيين واشياعهم فاجتمع بهم وبثوا له في الاندلس دعوته ونشروا له ذكرا ووافق قدومه ما كان من الاحن بين اليمنية والمضرية فاصفقت اليمنية على أمره ليكون الامر كان ليوسف بن عبد الرحمن الفهري وصاحبه الصميل ورجع بدر مولاه اليه بالخبر فاجاز البحر سنة ثمان وثلاثين ومائة في خلافة ابي جعفر المنصور ونزل بساحل المنكب وأتاه قوم من اهل اشبيلية فبايعوه ثم انتقل الى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور ثم الى شذونة فبايعه عتاب بن علقمة اللخمي ثم الى مورور فبايعه ابن الصباح ونهد الى قرطبة فاجتمعت اليه اليمنية ونمى خبره الى والي الاندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري وكان غازيا بجليقية فانفض عسكره ورجع الى قرطبة وأشار عليه وزيره الصميل بن حاتم بالتلطف له والمكر به لكونه صغير السن حديث عهد بنعمة فلم يتم ما أراده وارتحل عبد الرحمن من المنكب فاحتل بمالقة فبايعه جندها ثم برنده ثم بشريش كذلك ثم باشبيلية فتوافت اليه جنود الامصار وتسايلت المضرية اليه حتى اذا لم يبق مع يوسف بن عبد الرحمن غير الفهرية والقيسية لمكان الصميل منه زحف حينئذ عبد الرحمن الداخل وناجزهم الحرب بظاهر قرطبة فانكشف يوسف ولجأ الى غرناطة فتحصن بها واتبعه الامير عبد الرحمن فنازله ثم رغب اليه يوسف في الصلح فعقد له على ان يسكن قرطبة ثم أقفله معه ثم نقض يوسف عهده وخرج سنة احدى واربعين ومائة ولحق بطليطلة واجتمع اليه زهاء عشرين ألفا من البربر وقدم الامير عبد الرحمن للقائه عبد الملك بن عمر المرواني وكان وفد عليه من المشرق وكان ابوه عمر بن مروان بن الحكم في كفالة أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلما دخلت المسودة أرض مصر خرج عبد الملك يؤم الاندلس في عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن سنة اربعين فعقد له على اشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على مورور وسار يوسف اليهما وخرجا اليه ولقياه وتناجزا الفريقان فكانت الدائرة على يوسف وأبعد المفر واغتاله بعض اصحابه بناحية طليطلة واحتز رأسه وتقدم به الى الامير عبد الرحمن فاستقام أمره واستقر بقرطبة وثبت قدمه في الملك وبنى المسجد الجامع والقصر بقرطبة وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه وبنى مساجد ووفد عليه جماعة من اهل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور ثم قطع دعوته ومهد الدولة بالاندلس وأثل بها

الملك

الملك العظيم لبني مروان والسلطان العزيز وجدد ما طمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها واستلحم الثوار عليه على كثرتهم في النواحي وقطع دعوة آل العباس من منابر الاندلس وسد المذاهب منهم دونها وهلك سنة ثنتين وسبعين ومائة وكان يعرف بعبد الرحمن الداخل لانه اول داخل من ملوك بني مروان الى الاندلس وكان أبو جعفر المنصور يسميه صقر قريش لما رأى انه فعل بالاندلس ما فعل وما ركب اليها من الاخطار وانه نهد اليها من أنأى ديار المشرق من غير عصابة ولا انصار فغلب أهلها على أمرهم وتناول الملك من ايديهم بقوة شكيمة ومضاء عزم حتى انقاد له الامر وجرى على اختياره وأورثه عقبه * وكان يسمى بالامير وعليه جرى بنوه من بعده فلم يدع أحد منهم بامير المؤمنين تأدبا مع الخلافة بمقر الاسلام ومنتدى العرب حتى كان من عقبه عبد الرحمن الناصر وهو ثامن من بني أمية بالاندلس فتسمى بأمير المؤمنين على ما سنذكره لما رأى من ضعف خلفاء بني العباس بعد الثلثمائة وغلبة الاعاجم عليهم وكونهم لم يتركوا لهم غير الاسم وتوارث التلقيب بأمير المؤمنين بنو عبد الرحمن الناصر واحدا بعد واحد (قال ابن حيان) وكان لبني عبد الرحمن الداخل بالعدوة الاندلسية ملك ضخم ودولة متسعة اتصلت الى ما بعد المائة الرابعة وعند ما شغل المسلمون بعبد الرحمن وتمهيد أمره قوى أمر الجلالقة واستفحل سلطانهم وعمد فرويلة بن ادفونش ملكهم الى ثغور البلاد فاخرج المسلمين منها وملكها من أيديهم فملك مدينة لك وبرتقال وسمورة وقشتالة وشقوبية وصارت للجلالقة حتى افتتحها المنصور بن ابي عامر آخر الدولة ثم استعادوها بعده فيما استعادوا من بلاد الاندلس واستولوا على جميعها حسبما يذكر ولله سبحانه الامر اه وخاطب عبد الرحمن فارله ملك الافرنج وكان من طغاة الافرنج بعد أن تمرس به مدة فأصابه صلب المكر تام الرجولية فمال معه الى المداراة ودعاه الى المصاهرة والسلم فاجابه للسلم ولم تتم المصاهرة قال ابن حيان ولما ألفى الداخل الاندلس ثغرا قاصيا غفلا من حلية الملك عاطلا أرهف أهلها بالطاعة السلطانية وحنكهم بالسيرة الملوكية وآخذهم بالآداب فاكسبهم عما قليل المروءة وأقامهم على الطريقة وبدا فدوّن الدواوين ورفع الاواوين وفرض الاعطية وعقد الالوية وجند الاجناد ورفع العماد وأوتق الاوتاد فاقام للملك آلته وأخذ للسلطان عدته فاعترف له بذلك أكابر الملوك وحذروا جانبه وتحاموا حوزته ولم يلبث أن دانت له بلاد الاندلس واستقل له الامر فيها فلذلك ما ظل عدوه ابو جعفر المنصور يصدق حده وبعد غوره وسعة احاطته يسترجع عبد الرحمن كثيرا ويعدله بنفسه ويكثر ذكره ويقول لا تعجبوا لامتداد أمر نامع طول مراسه وقوة اسبابه فالشان في أمر فتى قريش الاحوذي الفذ في جميع شؤنه وعدمه لاهله ونشبه وتسليه عن جميع ذلك ببعد مرقى همته ومضاء عزيمته حتى قذف نفسه في لجج المهالك لابتناء مجده فاقتحم جزيرة شاسعة المحل ناشئة المطمع عصبية الجند ضرب بين جندها بخصوصيته ووقع بعضهم ببعض بقوة حيلته واستمال قلوب رعيتها بقضية سياسته حتى انقاد له عصيهم وذل له أبيهم فاستولى فيها على أريكته ملكا على قطيعته قاهر الاعدائه حاميا لذماره مانعا لحوزته خالطا الرغبة اليه بالرهبة منه ان ذلك لهو الفتى كل الفتى

وأخبار الصين وغير ذلك مما لحق بهذا الباب) *

قد تنازع الناس في أنساب أهل الصين وبدئهم فذكر كثير منهم ان ولد عابور بن بتويل بن يافث بن نوح لما قسم فالغ بن عابور وارفخشذ بن سام بن نوح الارض بين ولد نوح سار وسيرة في الشرق فسار قوم منهم من ولد رعو على سمت الشمال وانتشروا في الارض فصاروا عدة ممالك منهم الديلم والجيل والطيلسان والتروفرغان فاهل جبل الفتح أنواع اللكريم واللان والخزر والابخاز والسرير وكشلك وسائر تلك الامم المنتشرة في ذلك الصقع والارمن الى بلاد طوابريدة الى بحر مانطش ونيطش وبحر الخزر والبلغر ومن اتصل بهم من الامم وعبر ولد عابور نهر بلخ ويم بلاد الصين الاكثر منهم وتفرقوا عدة ممالك في تلك البلاد وانتشروا في تلك الديار فمنهم الجيل وهم سكان جيلان والاشروسية والصقر وهم بين بخارى وسمرقند ثم الفراغنة والشاش واسبجار وأهل بلاد العبرات فبنوا المدن والضياع وانفرد منهم اناس غير هؤلاء فسكنوا البوادي فمنهم الترك الخرمخ والطغرغر ومنهم أصحاب مدينة كوسن وهي مملكة بين خراسان وبلاد الصين

لا يكذب مادحه وجعل ابن حيان من النوادر العجيبة موافقة عبد الرحمن هذا لابى جعفر المنصور فى الرجولية والاستيلاء والصرامة والاجتراء على الكبائر والقساوة فان أم كل واحد منهما بربرية وكان الداخل يقعد للعامة ويسمع منهم وينظر بنفسه فيما بينهم ويتوصل اليه من أراده من الناس فيصل الضعيف منهم الى رفع ظلامته اليه دون مشقة وكان من عادته ان يأكل معه من اصحابه من أدرك وقت طعامه ومن وافق ذلك من طلاب الحوائج أكل معه * (وفى كتاب ابن زيدون) انه كان أصهب خفيف العارضين بوجهه خال طويل القامة نحيف الجسم له ضفيرتان أعور أخشم والاخشم الذى لا يشم وكان يلقب بصقر قريش لكونه تغرب وقطع البر والبحر وأقام ملكا قد أدبر وحده ولما ذكر الحجارى انه أعور قال ما أنشد فيه الا قول امرئ القيس

لكن عوير وفى بذمته * لا عور شانه ولا قصر

(وقال ابن خلدون) وفى سنة ست واربعين سار العلاء بن مغيث اليحصبى من افريقية الى الاندلس ونزل ببلجة الاندلس داعيا لابى جعفر المنصور واجتمع اليه خلق فسار عبد الرحمن اليه ولقيه بنواحى اشبيلية فقاتله أياما ثم انهزم العلاء وقتل فى سبعة آلاف من اصحابه وبعث عبد الرحمن برؤس كثير منهم الى القيروان ومكة فألقيت فى اسواقها سرا ومعها اللواء الاسود وكتاب المنصور للعلاء فارتاع المنصور لذلك وقال ما هذا الا شيطان والحمد لله الذى جعل بيننا وبينه البحر أو كلاما هذا معناه وقد مر ذكر ذلك وكثرت ثورة رؤساء العرب بالاندلس على عبد الرحمن الداخل ونافسوه ملكه ولقى منهم خطوبا عظيمة وكانت العاقبة له واستراب فى آخر أمره بالعرب لكثرة من قام عليه منهم فرجع الى اصطناع القبائل من سواهم واتخاذ الموالى ثم غزا بلاد الافرنج والبشكنس ومن وراءهم ورجع بالظفر وكان فى نيته ان يجدد دولة بنى مروان بالمشرق فات دون ذلك الامل وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر اذ دخل الاندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة ومات سنة اثنتين وسبعين وقيل احدى وسبعين ومائة فى خلافة الرشيد وأمه أم ولد بربرية اسمها راح ومولده سنة ثلاث عشرة ومائة بدير حنا من أرض دمشق وقيل بالعليا من تدمير ومات ابوه فى ايام ابيه هشام سنة ثمان عشرة عن احدى وعشرين سنة وكفله واخوته جدهم هشام ووهب لعبد الرحمن هذا جميع الاخماس التى اجتمعت للخلفاء بالاندلس وأقطعه اياها ووجه لحيازتها من الشام سعيد بن أبى ليلى وقيل انه لما قصد المغرب من فلسطين خرج معه أربعة بدر مولى أبيه وابو شجاع وزياد وعمرو وقيل ان بدرا لحقه ولم يخرج معه فالله أعلم وخلف من الولد عشرين منهم احد عشر رجلا وتسع اناث * (وحكى غير واحد) انه لما هرب من الشام الى افريقية قاصدا الاندلس نزل بغميلة فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس ويكنى أبا قرة فاستتر عنده وقتا ولحق به بدره ولى أبيه بجوهر وذهب أنفذته أخته اليه فلما دخل الاندلس واستتب أمره به سار اليه أبو قرة وانسوس البربرى فاحسن اليه وحظى عنده واكرم زوجته تكفات البربرية التى خبأته تجت ثيابها عند ما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه فقال لها عبد الرحمن مداعبا حين استظلت بظله فى الاندلس لقد عذبتنى بريح ابطيك

البيت وملكوا عليهم ملكا وكان ينقاد الى ذلك الخافان على ما قدمناه وسمى اهل التبت ملكهم بخاقان يا تكفات

تشبيها بمن تقدم من الملوك وسار الجمهور من ولد عابور على ساحل البحر حتى انتهوا ١٥٧ الى قاصيه من بلاد الصين فتفرقوا فى

يا تكفات على ما كان بى من الخوف وسطعتنى بأنتن من ريح الجيف فكان جوابها له مسرعة بل ذلك كان والله ياسيدى منك خرج ولم تشعر به من قرط فزعك فاستظرف جوابها وأغضى عن مواجهتها بمثل ذلك وهذا من آفات المزاح * ومن محاسنه انه أدار السور بقرطبة رحمه الله (وتولى الملك بعده ابنه هشام بعهد منه اليه) وأمه أم ولد اسمها حلل وأفضى اليه الملك وهو بمادة وال عليها وكان أبوه يوليه فى صباه ويرشحه للامر وكان الداخل كثيرا ما يسأل عن ابنيه سليمان وهشام فيذكر له ان هشاما اذا حضر مجلسا امتلأ أدبا وتاريخا وذكر الامور الحرب ومواقف الابطال وما أشبه ذلك واذا حضر سليمان مجلسا امتلأ سخفا وهذيانا فيكبر هشام فى عينه بمقدار ما يصغر سليمان وقال يوما لهشام لمن هذا الشعر

وتعرف فيه من أبيه شمائلا * ومن خاله أو من يزيد ومن حجر
سماحة ذا مع برذا ووفاء ذا * ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

فقال له ياسيدى لامرئ القيس ملك كندة وكأنه قاله فى الامير أعزه الله فضمه اليه استحسانا بما سمع منه وأمر له باحسان كثير وزاد فى عينه ثم قال لسليمان على انفراد لمن هذا الشعر وأنشده البيتين فقال لعلهما لاحد أجلاف العرب أما لى شغل غير حفظ أقوال بعض الاعراب فاطرق عبد الرحمن وعلم قدر ما بين الاثنين من المزية * وأما ولى هشام أشخص المنجم المعروف بالضبى من وطنه الجزيرة الخضراء الى قرطبة وكان فى علم النجوم والمعرفة بالحركات العلوية بطليموس زمانه حذقا واصابة فلما أتاه خلا به وقال له ياضبى لست أشك انه قد عنك من أمرنا اذ بلغك ما لم ندع تحديد النظر فيه فانشدك الله الا ما نبأتنا بما ظهر لك فيه فلج وقال اعفنى أيها الامير فانى ألمت به ولم أحقق النظر فيه لجلالته فى نفسى فقال له قد أجلتك لذلك فتفرغ للنظر فيما بقى عليك منه ثم أحضره بعد أيام فقال ان الذى سألتك عنه جدتنى مع أنى والله ما أثق بحقيقته اذ كان من غيب الله الذى استأثر به ولكنى أحب أن أسمع ما عندك فيه فالنفس طلعة وألزمه الصلة أو العقوبة فقال اعلم أيها الامير انه سوف يستقر ملكك سعيدا جدك قاهرا لمن عاداك الا ان مدتك فيه فيما دل عليه النظر تكون ثمانية أعوام او نحوها فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال ياضبى ما أخوفنى ان يكون التذير كلمى بلسانك والله لو أن هذه المدة كانت فى سجدة لله تعالى لقلت طاعة له ووصلة وخلع عليه وزهد فى الدنيا ولزم افعال الخير والبر (ومن حكاياته فى الجود) انه كان قاعدا لراحته فى علية على النهر فى حياة والده فنظر الى رجل من قدماء صنائعه من اهل جيان قد اقبل يوضع السير فى الهاجرة فانكر ذلك وقدر شرا وقع به من قبل اخيه سليمان وكان واليا على جيان فامر بادخاله عليه فقال له مهيم يا كنانى فلا مرحبا ولا اهلا ما احسبك الا مزعجا لشئ دهمك فقال نعم ياسيدى قتل رجل من قومى رجلا خطأ فحملت الدية على العاقلة فاخذ بها من كنانة عامة وحملنا على من بينهم خاصة وقصدنى أخوك بالاعتداء اذ عرف مكانى منك فدهشام يده الى جارية كانت وراء الستر وقطع قلادة عقد نفيس كان فى نحرها وقال له دونك هذا العقد يا كنانى وشراؤه على ثلاثة آلاف دينار فلا تخذ عن عنه وبعه وأد عن نفسك وعن قومك ولا تمكن الرجل من اهتضامك فقال ياسيدى لم آتك مستجديا ولا لضيق المال عما حملته ولكنى لما اعتمدت

تلك البقاع والبلاد وقطنوا الديار وكوروا الكور ومصروا المدن واتخذوا لمملكتهم مدينة عظيمة وسموها انموا وبينها وبين ساحل البحر الحبشى وهو بحر الصين مسافة ثلاثة أشهر مدن وعمائر متصلة وكان أول ملك تملك عليهم فى هذه الديار وهى انموا (اسطرماس) ابن فاعور بن بريح بن عابور بن يافث بن نوح فكان ملكه ثلثمائة سنة ونيفا وفرق أهله فى تلك الديار وشقق الانهار وقتل السباع وغرس الاشجار وأطعم الثمار وهلك فملك ولده يقال له (عرون) فجعل جسد أبيه فى تمثال من الذهب الاحمر رعاية عليه وتعظيما له وأجلسه على سرير من الذهب الاحمر مرصع بالجواهر وجعل مجلسه دونه وأقبل يسجد لابيه وهو فى جوف تلك الصورة هو وأهل مملكته فى طرفى النهار اجلالا له وعاش مائتى سنة وخمسين سنة وهلك فملك ولده يقال له (عبرور) فجعل جسد أبيه عرون فى تمثال من الذهب الاحمر وجعله دون مرتبة جده على سرير من الذهب ورصعه بانواع الجواهر وكان يسجد له ويبدأ بالاول ثم بابيه واهل مملكته يسجدون له وأحسن السياسة للرعية وسوا بينهم فى جميع امورهم

ولده (عيسيان) فجعل اباه
في تمثال من الذهب الاحمر
وجرى على ماسلف من
افعالهم في السجود والتعظيم
وطال ملكه واتصلت بلاده
ببلاد الترك من بني عمه
فعاش اربعمائة سنة
واتخذ في ايامه كثير من
المهن مما لطف في الدور من
الصنائع وملك بعده ولده
(حرامان) فأحدث الفلك
وحمل فيها الرجال وحمل لطائف
بلاد الصين وصيرها نحو بلاد
السند والهند الى اقليم بابل
والى سائر الممالك مما قرب
منها وأبعد في البحر وأهدى
الهدايا العجيبة والرغائب
النفيسة الى الملوك وأمرهم
ان يجلبوا اليه ما في كل بلد
من الظرائف والتحف من
المآكل والمشارب والملابس
وسائر الفرش وان يعرفوا
سياسة كل ملك وكل أمة
وشريعتها ونهجها التي هي
عليه وان يرغبوا الناس
فيما في بلداتهم من الجواهر
والطيب والآلات فتفرقت
المراكب في البلاد ووردوا
الممالك لما أمروا به فلم يردوا
على اهل مملكة الا وأعجبوا
بهم واستظرفوا ما أوردوه
من ارضهم فبثت الملوك
المطيفة بالبحار المراكب
وجهزت نحوهم السفن
وحملوا اليهم ما ليس عندهم وكاتبوا ملكهم وكافؤه على ما كان من هداياه اليهم فعمرت بلاد الصين واستقامت وتسعة

ظلم صراح أحببت ان يظهر على عز نصرك وأثر ذبك وامتعاضك فاعمد بذلك عند من
يحسد ني على الانتماء اليك فقال هشام فما وجه ذلك فقال أن تكتب الى أخيك في الامساك
عني والقيام بذمتك لي فقال امسك العقد وركب من حينه الى والده الداخل واستأذن عليه
في وقت أنكره فانزعج وقال ما اتى بأبي الوليد في هذا الوقت الا امر مقلق ائذنوا له فلما دخل سلم
عليه ومثل قائما بين يديه فقال له اجلس ياهشام فقال اصلح الله الامير سيدي وكيف
جلوسي بهم وذل مزعج وحق لمن قام مقامي أن لا يجلس الا مطمئنا ولن يقعدني الا طيب
نفسي باسعاف الامير لحاجتي والا رجعت على عقبي فقال له حاشى لك من انقلابك خائبا
فاقعد مجابا مشفعا فجلس فقال له أبوه فما الحدث المقلق فأعلمه فأمر بحمل الدية عنه وعن
عشيرته من بيت المال فسر هشام واطنب في الشكر وكتب الامير الى ولده سليمان في ترك
التعرض لهذا الكناني بمالم يدر في خلده * ولما دخل الكناني لوداع هشام قال له ياسيدي
قد تجاوزت بك حد الامنية وبلغت غاية النصر وقد اغنى الله عن العقد المبذول بين يدي
العناية الكريمة فتعيده الى صاحبته فأبى من ذلك وقال لا سبيل الى رجوعه الينا * وكان
هشام يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته الى الكور
فيسألون الناس عن سير عماله ويخبرونه بحقائقها فاذا انتهى اليه حيف من احدهم اوقع
به واسقطه وانصف منه ولم يستعمله بعد ولما وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن أنس قال
نسأل الله تعالى ان يزين موسمنا بمثل هذا وفي أيامه فتحت أربونة الشهيرة واشترط على
المعاهدين من أهل جليقية من صعاب شروطه انتقال عدد من أحمال التراب من سور أربونة
المفتتحة يحملونها الى باب قصره بقرطبة وبنى منه المسجد الذي قدام باب الجنان وفضلت
منه فضلة بقيت مكومة وقاسى مع المخالفين له من أهل بيته وغيرهم حروبا ثم كانت الدائرة
له وقصد الى بلاد الحرب غازيا وقصد ألبة والقلاع فلقي العدو وظفر بهم وفتح الله عليه
سنة خمس وسبعين وبعث العساكر الى جليقية مع يوسف بن بختي فلقي ملكها ابن منده وهزمه
وأثخن في العدو وفي سنة ست وسبعين بعث وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث لغزاة
العدو فبلغ ألبة والقلاع فاثخن في نواحيها ثم بعثه في العساكر سنة سبع وسبعين الى
أربونة وجريدة فاثخن فيها ووطئ أرض برطانية وتوغل عبد الملك في بلاد الكفار وهزمهم
ثم بعث العساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد الى ألبة والقلاع سنة ثمان وسبعين ومع
أخيه عبد الملك بن عبد الواحد الى بلاد جليقية فانتهى الى استرقه فجمع له ملك الجلالقة
واستمد بملك البشكنس ثم خام عن اللقاء ورجع ادراجه واتبعه عبد الملك وكان هشام
قد بعث الجيوش من ناحية اخرى فالتقوا بعبد الملك واثخنوا في البلاد واعترضتهم جموع
الفرنج فنالوا منهم بعض الشيء ثم خرجوا سالمين ظافرين * ومن محاسنه انه جدد القنطرة التي
يضرب بها المثل بقرطبة كما سبق وكان بناها السمح الخولاني عامل عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه فاحكم هشام بناءها الى الغاية وقال يوما لاحد وزرائه ما يقول أهل قرطبة فقال
يقولون ما بناها الا امير الا ليمضي عليها الى صيده وقنصه فأبى هشام على نفسه أن لا يسلك
عليها فلم يمر عليها بعد ووفى بما حلف عليه ثم توفي سنة ثمانين ومائة لسبع سنين

وتسعة أشهر من امارته وقيل لثمان وكان من أهل الخير والسلاح كثير الغزو والجهاد ومن محاسنه أيضا اكمال بناء الجامع بقرطبة وكان أبوه شرع فيه * ومن محاسنه انه أخرج المصدق لاخذ الزكاة على الكتاب والسنة رحمه الله وعمره أربعون سنة وأربعة أشهر وولد فى شوال سنة ١٣٧ (وولى بعده ابنه الحكم بعهد منه اليه) فاستكثر من المماليك وارتبط الخيل واستفحل ملكه وباشر الامور بنفسه وفى خلال فتنة كانت بينه وبين عميه اغتنم العدو الكافر الفرصة فى بلاد المسلمين وقصد برشلونة فملكوها سنة خمس وثمانين وتأخرت عساكر المسلمين الى مادونها وبعث الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الجلالقة فأثخنوا فيها وخالفهم العدو الى المضايق فرجع على التعبية وظفر بهم وخرج الى بلاد الاسلام ظافرا وكانت له الوقعة الشهيرة مع أهل الربض من قرطبة لانه فى صدر ولايته كان فدانهمك فى لذاته فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثى صاحب مالك وأحد رواة الموطا عنه وطالوت الفقيه وغيرهما فثاروا به وخلعوه وبايعوا بعض قرابته وكانوا بالربض الغربى من قرطبة وكان محله متصلا بقصره فقاتلهم الحكم فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من أرض العدوة وبالاسكندرية من أرض المشرق ونزل بها جمع منهم ثم ثاروا بها فزحف اليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمأمون بن الرشيد وغلبهم وأجازهم الى جزيرة اقريطش فلم يزالوا بها الى أن ملكها الافرنج من أيديهم بعد مدة * وكانت فى أيام الحكم حروب وفتن مع الثوار المخالفين له من أهل طليطلة وغيرهم (وفى سنة ثنتين وتسعين) جمع لذريق بن قارله ملك الفرنج جموعه وسار الى حصار طرسونة فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن فى العساكر فهزمه ففتح الله على المسلمين وعاد ظافرا ولما كثر عيث الفرنج فى الثغور بسبب اشتغال الحكم بالخارجين عليه سار بنفسه الى الفرنج سنة ست وتسعين فافتتح الثغور والحصون وخرب النواحى وأثخن فى القتل والسبى والنهب وعاد الى قرطبة ظافرا * (وفى سنة مائتين) بعث العساكر مع ابن مغيث الى بلاد الفرنج فخرب وهدم عدة حصون وأقبل عليه أليط ملك الجلالقة فى جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه أياما ونال المسلمون منهم أعظم النيل وأقاموا كذلك ثلاث عشرة ليلة ثم كسرت الامطار ومد النهر وقفل المسلمون ظافرين ظاهرين وهو أول من جند الاجناد واتخذ العدة وكان أدخل بنى أمية بالاندلس وأشدهم اقداما ونجدة وكان يشبه بأبى جعفر المنصور من خلفاء بنى العباس فى شدة الملك وتوطيد الدولة وقمع الاعداء وكان يؤثر الفقيه زياد بن عبد الرحمن وحضر يوما عنده وقد غضب فيه على خادم له لايصاله اليه كتابا كرهه وصوله فأمر بقطع يده فقال له زياد أصلح الله الامير فان مالك بن أنس حدثنى فى خبر رفعه أن من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملأه الله تعالى أمنا وايمانا يوم القيامة فأمر أن يمسك عن الخادم ويعفى عنه فسكن غضبه وقال آلله ان مالكا حدثك بهذا فقال زياد آلله ان مالكا حدثنى بهذا وكانت المجاعة الشديدة سنة سبع وتسعين ومائة فاكثر فيها مواساة أهل الحاجات وفى ذلك يقول عباس بن ناصح الجزيرى فيه

نسكد الزمان فآمنت ايامه * من أن يكون بعصره عسر

وأقاموا النياحة عليه شهرا ثم فزعوا الى الاكبر من أولاده فصيروه عليهم ملكا فعمل جسد أبيه فى تمثال من الذهب وسلك طريقته ومن كان قبله فى فعلهم مقتديا بمن مضى من آبائه وكان اسم هذا الملك (ثومامان) واستقامت له الامور واحدث من السنن المحمودة مالم يحدثه أحد من ملوكهم وزعم ان الملك لايثبت الا بالعدل فان العدل ميزان الرب وان من العدل الزيادة فى الاحسان مع الزيادة فى العمل وحصن وشرف وتوج ورتب الناس فى رتبهم على طرائقهم وخرج يرتاد موضعا ليبنى فيه هيكلا فوافى موضعا عامرا بالنبات حسن الاعتمام بالنهر تخترقه المياه فخط الهيكل هناك وجلبت له أنواع الاحجار المختلفة الالوان لتشييد الهيكل وجعل على علوه قبة وجعل لها مخارج للهواء متساوية ونصب فيها بيوتا لمن أراد التفرد بالعبادة فلما فرغ منها نصب فى أعلاها تلك التماثيل التى فيها أجسام من سلف من آبائه وأمر بتعظيمها وجمع الخواص من أهل مملكته وأخبرهم ان من رأيه ضم الناس الى ديانة يرجعون اليها لجمع الشمل وتساوى النظام فانه متى عدم الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ودخول الفساد والزلل فرتب لهم سياسة شرعية

وفرائض عقلية وجعلها لهم رباطا ورتب لهم قصاصا في الانفس والاعضاء ومستحلات مناكح يستباح بها النسوان وتصح بها الانساب وجعلها مراتب فمنها لوازم موجبة يحرجون من تركها ومنها نوافل يتقلون بها وأوجب عليهم صلوات لخالقهم تقر بالمعبود هم منها ايماء لا ركوع فيها ولا سجود في اوقات من الليل والنهار معلومة ومنها بركوع وسجود في أوقات من السنين في شهور محدودة ورسم لهم أعيادا وجعل على الزناة منهم حدا وعلى من أراد من نسائهم البغاء جزية مفروضة وأن لا يستبحن النكاح في وقت من الاوقات وان أقلعن عما كن عليه تكف الجزية عنهن وما يكون من أولادهن ذكورا يكون للملك عبيدا وجندا وما يكون من أولادهن اناثا فلأمهاتهن ويلحقن بصنعتهن وأمرهم بقرابين للهياكل وذخر وأبخرة للكواكب وجعل لكل كوكب منها وقتا يتقرب اليه فيه بذخر معلوم من أنواع الطيب والعقاقير وأحكم لهم جميع الامور واستقامت أيامه وكثر النسل فكانت حياته نحوا من مائة وخمسين سنة وهلك فجزعوا عليه جزعا شديدا فجعلوه في تمثال من الذهب الاحمر ورصعوه بأنواع الجواهر وبنوا له هيكلا عظيما وجعلوا سقفه سبعة الوان الحصون

ظلع الزمان بأزمة فخلت له * تلك الكريهة جوده الغمر

وكان نقش خاتمه بالله يثق الحكم ويعتصم * وذكور ولده عشرون واناثهم عشرون وامه جارية اسمها زخرف وكان أسمر طوالا أشم نحيفا ومدة ملكه ست وعشرون سنة سامحة الله * وقال غير واحد انه أول من جعل للملك بأرض الاندلس أبهة واستعد بالمماليك حتى بلغوا خمسة آلاف منهم ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل ثم توفي الحكم بن هشام آخر سنة ست ومائتين لسبع وعشرين سنة من ولايته ومولده سنة ١٥٤ * وقال ابن خلدون وغير واحد انه أول من جند بالاندلس الاجناد والمرتزقة وجمع الاسلحة والعدد واستكثر من الخدم والحواشي والحشم وارتبط الخيول على بابه واتخذ المماليك وكان يسميهم الخرس لعجمتهم وحكى في عدتهم ما تقدم ثم قال وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس وكان يباشر الامور بنفسه ويقرب الفقهاء والعلماء والصالحين وهو الذي وطأ الملك لعقبه بالاندلس انتهى وكان له فيما حكى غير واحد ألفا فرس مرتبطة على شاطئ النهر بقبلي قصره يجمعها داران وهو القائل لما قتل أهل الربض وهدم ديارهم وحرثها

رأيت صدوع الارض بالسيف راقعا * وقد مالأمت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة * أبادرها مستنضي السيف دارعا
تنبيك أني لم أكن في قراعهم * بوان وقد ما كنت بالسيف فارعا
وهل زدت اذ وفيتهم صاع قرضهم * فوافوا منايا قدرت ومصارعا
فهذي بلادي اني قد تركتها * مهادا ولم أترك عليها منازعا

وقال ابن حزم في حقه انه كان من المجاهرين بالمعاصي السافكين للدماء ولذلك قام عليه الفقهاء والصلحاء وقال غير واحد انه تنصل أخيرا وتاب سامحه الله ومن نظمه قوله متغزلا

قضب من البان ماست فوق كثبان * ولين عني وقد أزمعن هجراني

ومنها

من لي بمقتضبات الروح من بدني * يغصبنني في الهوى عزي وسلطاني

وقيل انه كان يمسك أولاد الناس ويخصيهم ونقلت عنه أمور ولعله تاب منها كما قدمنا والله أعلم بحقيقة أمره * (ومن بديع أخبار الحكم) أن العباس الشاعر توجه الى الثغر فلما نزل بوادي الحجارة سمع امرأة تقول واغوثاه بك يا حكم لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأبمنا وأيتمنا فسألها عن شأنها فقالت كنت مقبلة من البادية في رفقة فخرجت علينا خيل عدو فقتلت وأسرت فصنع قصيدته التي أولها

تململت في وادي الحجارة مسئدا * اراعي نجوما ما يرون تغيرا
اليك أبا العاصي نضيت مطيتي * تسير بهم سارا ومهجرا
تدارك نساء العالمين بنصرة * فانك أحرى ان تغيث وتنصرا

فلما دخل عليه انشده القصيدة ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد فخرج بعد ثلاث الى وادي الحجارة ومعه الشاعر وسأل عن الخيل التي اغارت من اي ارض العدو كانت فأعلم بذلك فغزا تلك الناحية واثخن فيها وفتح

الحصون وخرب الديار وقتل عددا كثيرا وجاء الى وادى الحجارة فأمر باحضار المراة وجميع من أسره احد فى تلك البلاد فاحضر فامر بضرب رقاب الاسرى بحضرتها وقال للعباس سلها هل أغاثها الحكم فقالت المراة وكانت نبيلة والله لقد شفى الصدور وانكى العدو واغاث الملهوف فاغاثه الله واعز نصره فارتاح لقولها وبدا السرور فى وجهه وقال

الم تر ياعباس انى اجبتها * على البعد أقتاد الخميس المظفرا
فادركت اوطارا وبردت غلة * ونفست مكروبا واغنيت معسرا

فقال عباس نعم جزاك الله خيرا عن المسلمين وقبل يده *(ومما عيب به) انه قتل الفقيه ابا زكريا يحيى بن مطر الغسانى وكان قدوة فى الدين والورع سمع من سفيان ومالك بن انس وروى عنه مالك وقال حدثنا يحيى بن مطر عن سفيان الثورى ان الطلح المنضود هو الموز وكان قتل المذكور مع جماعة من العلماء وغيرهم *(وقام بامره من بعده ابنه عبد الرحمن بعهده منه اليه ثم لاخيه المغيرة بعده) فغزا عبد الرحمن لاول ولايته الى جليقية وأبعد وأطال المغيب وأثخن فى أمم النصرانية هنالك ورجع وقدم عليه سنة ست ومائتين زرياب المغنى من العراق وهو مولى المهدى ومتعلم ابراهيم الموصلى واسمه على بن نافع فركب بنفسه لتلقيه على ماحكاه ابن خلدون وبالغ فى اكرامه وأقام عنده بخير حال وأورث صناعة الغناء بالاندلس وخلف أولادا خلفه كبيرهم عبد الرحمن فى صناعته وحظوته * وفى سنة ثمان أغزى حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد الى البة والقلاع فخرب كثيرا من البلاد وانتسفها وفتح كثيرا من حصونهم وصالح بعضها على الجزية واطلاق أسرى المسلمين وانصرف ظافرا * وفى سنة أربع وعشرين بعث قريبه عبيد الله بن البلنسى فى العساكر لغزو ألبة والقلاع فساروا لقى العدو فهزمهم وأكثر القتل والسبى ثم خرج لذريق ملك الجلالقة وأغار على مدينة سالم بالثغر فسار اليه فرتون بن موسى وقاتله فهزمه وأكثر القتل والسبى فى العدو والاسر ثم سار الى الحصن الذى بناه أهل ألبة بالثغر نكاية للمسلمين فافتتحه وهدمه ثم سار عبد الرحمن فى الجيوش الى بلاد جليقية فدوخها وافتتح عدة حصون منها وجال فى أرضهم ورجع بعد طول المقام بالسبى والغنائم * وفى سنة ست وعشرين بعث عبد الرحمن العساكر الى أرض الفرنجة وانتهوا الى أرض برطانية وكان على مقدمة المسلمين موسى بن موسى عامل تطيلة ولقيهم العدو فصبر حتى هزم الله عدوهم وكان لموسى فى هذه الغزاة مقام محمود * وفى سنة تسع وعشرين بعث ابنه محمدا بالعساكر وتقدم الى بنبلونة فأوقع بالمشركين عندها وقتل فرسية صاحبها وهو من أكبر ملوك النصارى وفى أيامه ظهر المجوس ودخلوا اشبيلية فأرسل اليهم عبد الرحمن العساكر مع القواد من قرطبة فنزل المجوس من مراكبهم وقاتلهم المسلمون فهزموهم بعد مقام صعب ثم جاءت العساكر مددا من قرطبة فقاتلهم المجوس فهزمهم المسلمون وغنموا بعض مراكبهم وأحرقوها ورحل المجوس الى شذونة فاقاموا عليها يومين وغنموا بعض الشئ ووصلت مراكب عبد الرحمن الى اشبيلية فأقلع المجوس الى لبلة وأغاروا وسبوا ثم الى باجة ثم اشبونة ثم انقطع خبرهم حين أقلعوا من اشبونة وسكنت البلاد وذلك سنة ثلاثين وتقدم عبد الرحمن باصلاح

يوم وفاته صلوات وعيدا يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل وصوروا صورته على أبواب المدينة وعلى الدنانير والفلوس وعلى الثياب واكثر أموالهم الفلوس الصفر والنحاس فاستقرت هذه المدينة بدار ملك الصين وهى مدينة انموا وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أشهر واكثر من ذلك على حسب ماقدمنا أيضا ولهم مدينة عظيمة بحرها يلى من ارضهم مغرب الشمس يقال لها مدوتلى بلاد التبت والحرب بين بلاد التبت واهل المدسجال فلم تزل الملوك ممن طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة واحوالهم مستقيمة والخصب والعدل لهم شامل والجور فى بلادهم معدوم يقتدون بما نصبه لهم من الشرع من قدمنا ذكرهم وحروبهم على عدوهم قائمة وثغورهم مشحونة والرزق على الجنود دار والتجار يختلفون اليهم فى البر والبحر من كل بلد بأنواع الجهاز ودينهم دين من سلف وهى ملة تدعى السمنية عباداتهم نحو من عبادات قريش قبل مجئ الاسلام يعبدون الصور ويتوجهون نحوها بالصلوات

 والليب منهم يقصد بصلاته الخالق ويقيم التماثيل من الاصنام والصور مقام قبلة والجاهل

منهم ومن لا علم له يشرك الى الله زلفى وان منزلتهم فى العبادة تنقص عن عبادة البارئ لجلالته وعظمته وسلطانه وان عبادتهم لهذه الاصنام طاعة له ووسيلة اليه وهذا الدين كان بدء ظهوره فى خواصهم من الهند لمجاورتهم اياهم وهو رأى الهند فى العالم والجاهل على حسب ما ذكرنا فى أهل الصين ولهم آراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية وأهل الدهر فتغيرت أحوالهم وبحثوا وتناظروا الا انهم ينقادون فى جميع أحكامهم الى ما نصب لهم من الشرائع المتقدمة ومن حيث ان ملكهم متصل بملك الصغر غر على حسب ما تقدم صاروا على آرائهم من اعتقادهم مذاهب المانية والقول بالنور والظلمة وقد كانوا جاهلية سبيلهم فى الاعتقاد سبيل أنواع الترك الى أن وقع لهم شيطان من شياطين المانية فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تضاد ما هذا العالم وتباينه من موت وحياة وصحة وسقم وضياء وظلام وغنى وفقر واجتماع وافتراق واتصال وانفصال وشروق وغروب ووجود وعدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لاجناس الحيوان من الناطقين وغيرهم مما ليس بناطق من البهائم وما يعرض للاطفال بنى

ماخربوه من البلاد واكتنف حاميتها * (وفى سنة احدى وثلاثين بعث العساكر الى جليقية فدوخوها وحاصروا مدينة ليون ورموها بالمجانيق وهرب أهلها عنها وتركوها فغنم المسلمون ما فيها وأحرقوها وأرادوا هدم سورها فلم يقدروا عليه لان عرضه كان سبعة عشر ذراعا فتلوه وافيه ثلمة ورجعوا ثم اغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم فى العساكر الى بلاد برشلونة فعاث فى نواحيها وأجاز الدروب التى تسمى البرت الى بلاد الفرنجة فدوخها قتلا وأسرا وسبيا وحاصر مدينتها العظمى جرندة وعاث فى نواحيها وقفل وقد كان ملك القسطنطينية من ورائهم نوفاس بعث الى الامير عبد الرحمن سنة خمس وعشرين بهدية يطلب مواصلته ويرغبه فى ملك سلفه بالمشرق من أجل ما ضيق به المأمون والمعتصم حتى انه ذكرهما له فى كتابه له وعبر عنهما بابنى مراحل ومادة فكافأه الامير عبد الرحمن عن الهدية وبعث اليه يحيى الغزال من كبار أهل الدولة وكان مشهورا فى الشعر والحكمة فأحكم بينهما الوصلة وارتفع لعبد الرحمن ذكر عندهم فاغيه من بنى العباس ويعرف الامير عبد الرحمن بالاوسط لان الاول عبد الرحمن الداخل والثالث عبد الرحمن الناصر ثم توفى عبد الرحمن الاوسط سنة ثمان وثلاثين ومائتين بربيع الآخر لاحدى وثلاثين سنة من امارته ومولده بطليطلة فى شعبان سنة ست وسبعين ومائة وكان عالما بعلوم الشريعة والفلسفة وكانت أيامه أيام هدوء وسكون وكثرت الاموال عنده واتخذ القصور والمتنزهات وجلب اليها المياه من الجبال وجعل لفضله مصنعا اتخذه الناس شريعة وأقام الجسور وبنيت فى أيامه الجوامع بكور الاندلس وزاد فى جامع قرطبة روافير ومات قبل أن يستتمه فاتمه ابنه محمد بعده وبنى بالاندلس جوامع كثيرة ورتب رسوم المملكة واحتجب عن العامة * وعدد ولده مائة وخمسون من الذكور وخمسون من الاناث ونقش خاتمه عبد الرحمن بقضاء الله راض * وفى ذلك قيل

خاتم للملك أضحى * حكمه فى الناس ماضى
عبد الرحمن فيه * بقضاء الله راضى

وهو أول من أحدث هذا النقش وبقى وراثة لمن بعده من ولده (قال ابن سعيد) وفى أيامه انتهى مال الجباية الى ألف ألف دينار فى السنة وكان قبل لا يزيد على ستمائة ألف وقد ذكرنا فى غير هذا الموضع ما يخالف هذا فليراجع والله أعلم ومن توقيعاته من لم يعرف وجه طلبه فالحرمان أولى به ومن شعر عبد الرحمن المذكور قوله

ولقد تعارض أوجه لاوامر * فيقودها التوفيق نحو صوابها
والشيخ ان يحو النهى يتجارب * فشباب رأى القوم عند شبابها

وفى زيادته فى جامع قرطبة يقول ابن الشنى رحمه الله تعالى

بنيت لله خير بيت * يخرس عن وصفه الانام
حج اليه بكل أوب * كأنه المسجد الحرام
كأن محرابه اذا ما * حف به الركن والمقام

وقال آخر

بنى مسجدا لله لم يك مثله * ولا مثله لله فى الارض مسجد
سوى ما ابتنى الرحمن والمسجد الذى * بناه نبى المسلمين محمد
له عمد حمر وخضر كأنما * تلوح ياقيت بها وزبرجد
ألا يا أمين الله لازلت سالما * ولازلت فى كل الامور تسدد
فيا ليتنا نفديك من كل حادث * وأنك للدنيا وللدين تخلد

وكان كثير الميل للنساء وولع بجارية طروب وكلف بها كلفا شديدا وهى التى بنى عليها الباب ببدر المال حين تجنت عليه وأعطاها حليا قيمته مائة ألف دينار فقيل له ان مثل هذا لا ينبغى أن يخرج من خزانة الملك فقال ان لابسه أنفس منه خطرا وأرفع قدرا واكرم جوهرا وأشرف عنصرا وفيها يقول

اذا مابدت لى شمس النهار * رطالعة ذكرتنى طروبا
انا ابن الميامين من غالب * أشب حروبا واطفى حروبا

وخرج غازيا الى جليقية فطالت غيبته فكتب اليها

عدانى عنك مزار العدا * وقودى اليهم سهاما صيبا
فكم قد تخطيت من سبسب * ولاقيت بعد دروب دروبا
ألاقى بوجهى سموم الهجير * اذا كاد منه الحصى أن يذوبا
تدارك بى الله دين الهدى * فأحييته وأمت الصليبا
وسرت الى الشرك فى جحفل * ملأت الحزون به والسهوبا

(وساق) بعض المؤرخين قضية طروب هذه بقوله ان السلطان المذكور أغضبها فهجرته وصدت عنه وأبت أن تأتيه ولزمت مقصورتها فاشتد قلقه لهجرها وضاق ذرعه من شوقها وجهد أن يترضاها بكل وجه فأعياه ذلك فأرسل من خاصة خصيانه من يكرهها على الوصول اليه فأغلقت باب مجلسها فى وجوههم وآلت أن لاتخرج اليهم طائعة ولو انتهى الامر الى القتل فانصرفوا اليه وأعلموه بقولها واستأذنوه فى كسر الباب عليها فنهاهم وأمرهم بسد الباب عليها من خارجه ببدر الدراهم ففعلوا وبنوا عليها بالبدر وأهبل حتى وقف الباب وكلها مسترضيا راغبا فى المراجعة على ان لها جميع ماسد به الباب فأجابت وفتحت الباب فانهالت البدر فى بيتها فاكبت على رجله تقبلها وحازت المال وكانت تبرم الامور مع مضر الخصى فلا ترد شيأ مما تبرمه * واحب اخرى اسمها مدثرة فاعتقها وتزوجها وأخرى كذلك اسمها الشفاء وأما جاريته قلم فكانت أديبة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الادب وكان مولعا بالسماع مؤثرا له على جميع لذاته وله اخبار كثيرة رحمه الله (ولما مات ولى مكانه ابنه محمد) فبعث لاول ولايته عساكر مع موسى بن موسى صاحب طليطلة فغاث فى نواحى ألبسة والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع وبعث عساكر أخرى الى نواحى برشلونة وماوراءها فغاثوا فيها وفتحوا حصونا من برشلونة ورجعوا * ولما استمد أهل طليطلة المخالفون من أهل بلاد الامير محمد عليه بملكى جليقية والبشكنس لقيهم الامير محمد على وادى سليطة وقد أكمن لهم فأوقع بهم وبلغت عدة القتلى من أهل طليطلة والمشركين

الفاضل فى فعله وهو الله عز وجل فاجتنب بما وصفنا وغيره من الشبه عقولهم فدانوا بما وصفنا فان كان ملك الصين ينتمى لمذهب ذبح الحيوان كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك ابرخان سجالا واذا كان ملك الصين متنافى المذهب كان الامر بينهم بتنافى الملل متباعا وملوك الصين ذوو آراء ونحن الا انهم مع اختلاف اديانهم غير خارجين عن قضية العقل والحق فى نصب القضاة والحكام وانقياد الخواص والعوام الى ذلك وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وافخاذها وتشعبها فى انسابها ولهم مراعاة لذلك وحفظ له وينسب الرجل الى خمسين أبا الى ان يتصل بعابور وأكثر من ذلك وأقل ولا يتزوج أهل كل فخذ الا من فخذهم مثال ذلك ان يكون الرجل من مضر فلا يتزوج فى ربيعة اومن ربيعة فلا يتزوج فى مضر أو من كهلان فلا يتزوج فى حمير اومن حمير فلا يتزوج فى كهلان ويزعمون ان فى ذلك صحة النسل وقوام البنية وانه اصح للبقاء واتم للعمر

واسبابا يذكرونها نحو ماذكرنا فلم تزل امور الصين مستقيمة فى العدل على حسب ماجرى به الامر فيما سلف من ملوكهم الى سنة اربع

سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وهو ان بابغا نبغ فيهم من غير بيت الملك كان فى بعض مدائن الصين يقال له (ياسر) وكان شريرا يطلب الفتوة ويجتمع اليه اهل الدعارة والشر فلحق الملك وارباب التدبير غفلة عنه لشغل ذكره وكثر عتوه وقويت شوكته وقطع اهل الشر المسافات نحوه وعظم جيشه فسار من موضعه وشن الغارات على العمائر حتى نزل مدينة عاصور وهى مدينة عظيمة على نهر عظيم اكبر من دجلة يصب الى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة ايام او سبعة يدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الرانج والصنف وغيرها من الممالك بالامتعة والجهاز وتقرب الى مدينة خانقو وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك من أهل الصين فقصد هذا العدو الى هذه المدينة فحاصرها وأتته جيوش الملك فهزمها واستباح ما فيها فكثرت جنوده وافتتح مدينة خانقو عنوة وقتل من اهلها خلق لا يحصون كثرة واحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس من قتل وغرق

عشرين ألفا * (وفى سنة خمس وأربعين) ظهرت مراكب المجوس وعاثوا فى الاندلس فلقيهم مراكب الامير محمد فقاتلوهم وغنموا منهم مركبين واستشهد جماعة من المسلمين * (وفى سنة سبع وأربعين) أغزى محمد الى نواحى بنبلونة وصاحبها حينئذ غرسية بن وبقة وكان يظاهر اردن بن أدفنش فعاث فى نواحى بنبلونة ورجع وقد دوخها وفتح كثيرا من حصونها وأسر فرتون ابن صاحبها فبقى أسيرا بقرطبة عشرين سنة ثم بعث سنة احدى وخمسين أخاه المنذر فى العساكر الى نواحى ألبة والقلاع فعاثوا فيها وجمع لذريق للقائهم فلقيهم وانهزم واثخن المسلمون فى المشركين بالقتل والاسر فكان فتحا لا كفاء له * ثم غزا الامير محمد بنفسه سنة احدى وخمسين بلاد الجلالقة فأثخن وخرب * وفى سنة ثلاث وستين اغزى الامير محمد ابنه المنذر الى دار الحرب وفى السنة التى بعدها الى بلاد بنبلونة فدوخها ورجع * وفى سنة ثمان وستين أغزاه أيضا الى دار الحرب فعاث فى نواحيها وفتح حصونا * وفى أيام الامير محمد خربت ـ ردة وهدمت ولم يبق لها أثر * وذكر بعضهم انه رأى بالمشرق هذه الابيات قبل أن تخرب ماردة بأعوام ولم يعلم قائلها وذلك سنة ٢٥٤

ويل لماردة التى مردت * وتكبرت عن عدوة النهر
كانت ترى لهم بها زهر * فخلت من الزهرات كالقفر
فالويل ثم الويح حين غزا * بجميعهم من صاحب الامر

ثم توفى الامير محمد فى شهر صفر سنة ثلاث وسبعين ومائتين لخمس وثلاثين سنة من امارته ومولده سنة سبع ومائتين * وولى بعده ابنه المنذر ولم تطل مدته وأقام فى الملك سنتين الا نصف شهر وتوفى منتصف صفر سنة خمس وسبعين ومائتين وفيه قيل

بالمنذر بن محمد * صلحت بلاد الاندلس

ثم ولى أخوه عبد الله قال ابن خلدون كان خراج الاندلس قبله ثلثمائة ألف دينار مائة ألف للجيوش ومائة ألف للنفقة فى النوائب وما يعرض ومائة ألف ذخيرة ووفر فأنفق الوفر حين اضطربت عليه نواحى الاندلس بالثوار والمتغلبين فى تلك السنين وقل الخراج انتهى ومن نظم الامير عبد الله قوله

يا مهجة المشتاق ما أوجعك * ويا أسير الحب ما أخشعك
ويا رسول العين من لحظها * بالرد والتبليغ ما أسرعك
تذهب بالسر فتأتى به * فى مجلس يخفى على من معك
كم حاجة أنجزت ابرازها * تبارك الرحمن ما أطوعك

وهذه الابيات عنوان فضله وبراعة استهلال نبله * وكان الوزراء يطالعون بآرائهم الخليفة فى بطاقة فطالعه وزيره النضر بن سلمة برأيه فى امر فى ورقة فلما وقف عليها لم يعجبه ذلك الرأى فكتب

انت يا نضر آبده * ليس ترجى لفائده
انما انت عدة * لكنيف ومائده

وتوفى الامير عبد الله سنة ثلثمائة ومدة ملكه نحو من خمس وعشرين سنة * (وولى حافده عبد

عبد الرحمن الناصر ابن ابنه محمد قتيل أخيه المطرف) وكانت ولايته من الغريب لانه كان شابا واعمامه وأعمام أبيه حاضرون فتصدى اليها واحتازها دونهم ووجد الاندلس مضطربة بالمخالفين مضطرمة بنيران المتغلبين فأطفأ تلك النيران واستنزل اهل العصيان واستقامت له الاندلس في سائر جهاتها بعد نيف وعشرين سنة من ايامه ودامت ايامه نحو خمسين سنة استفحل فيها ملك بني أمية بتلك الناحية وهو اول من تسمى منهم بالاندلس بأمير المؤمنين عند ما التاث امر الخلافة بالمشرق واستبد موالي الترك على بني العباس وبلغه ان المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلثمائة فتلقب بألقاب الخلافة وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو الى دار الحرب الى ان هزم عام الخندق سنة ثلاث وعشرين ومحص الله فيها المسلمين فقعد عن الغزو بنفسه وصار يردد الطوائف في كل سنة فأوطأ عساكر المسلمين من بلاد الافرنج مالم يطؤه قبل في أيام سلفه ومدت اليه أمم النصرانية من وراء الدروب يد الاذعان وأوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعن في مرضاته ووصل الى سدته الملوك من اهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة وبنبلونة وما ينسب اليها من الثغور الجوفية فقبلوا يده والنسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مراكبه ثم سما الى ملك العدوة فتناول سبتة ونقل الفرضة من أيدي اهلها سنة سبع عشرة وثلثمائة وأطاعه بنو ادريس امراء العدوة وملوك زناتة والبربر وأجاز اليه الكثير منهم كما يعلم من اخباره وبدا امره اول ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا انتهى كلام ابن خلدون وفيه يقول ابن عبد ربه صاحب العقد يوم تولى الملك

بدا الهلال جديدا * والملك غض جديد
يا نعمة الله زيدي * ان كان فيك مزيد
ان كان للصوم فطر * فانت للدهر عيد

واراد بأول الابيات انه ولي مستهل ربيع الاول كما علم * وما أشار اليه ابن خلدون في غزوة الخندق فصله المسعودي فقال بعد ان اجرى ذكر مخالفة أمية بن اسحق على الناصر ودخوله أرض النصارى ودلالته اياهم على عورات المسلمين ما ملخصه وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس مسمورة دار الجلالقة وكان عبد الرحمن في مائة الف او يزيدون وكانت الوقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة في شوال سنة ٣٢٧ بعد الكسوف الذي كان في هذا الشهر بثلاثة ايام فكانت للمسلمين عليهم ثم ثابوا بعد ان حوصروا والجؤا الى المدينة فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق خمسين الفا وقيل ان الذي منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين امية بن اسحق وخوفه الكمين ورغبه فيما كان في عسكر المسلمين من الاموال والعدة والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان امية استأمن بعد ذلك الى عبد الرحمن وتخلص من ردمير وقبله عبد الرحمن أحسن قبول * وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكره مع عدة من قواده الى الجلالقة فكانت لهم بهم عدة حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين في الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى

تحصى من في مملكتها من رعيتها وكذا من جاورها من الامم ليصير ذمة لها في دواوين لها بكتاب قد وكلوا باحصاء ذلك لما يراعون من حياطة من شمله ملكهم وقطع هذا العدو ما كان حول مدينة خانقو من غابات شجر التوت اذ كان يحتفظ به لما يكون من ورقه وما يطعم منه لدود القز الذي يغزل به الحرير فكان ذهاب الشجر داعيا الى انقطاع الحرير الصيني وجهازه الى ديار الاسلام وسار (ياسر) بجيوشه الى بلد بلد فافتتحه وانضاف اليه أمم من الناس ممن يطلب الشر والنهب وغيرهم ممن يخاف على نفسه وقصد نحو مدينة حران وهي دار الملك فتحصن بها في مائتي ألف ممن بقي معه من خواصه والتقى هو وياسر وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من شهر وصبر الفريقان جميعا ثم كانت على الملك فولى منهزما وامعن الخارجي في طلبه فانحاز الملك الى مدينة في اطراف ارضه واستولى الخارجي على الحوزة واحتوى على ديار الملك وملك خزائن الملوك السالفة وما أعدوه للنوائب وشن الغارات في سائر العمارات واقتحم المدن وعلم أن لا قوام له بالملك اذ كان ليس من اهله فامعن في خراب البلاد واستباحة الاموال وسفك الدماء وكاتب

ملك الصين من المدينة التي انحاز اليها المتاخمة لبلاد التبت وهي مدينة مدا المتقدم ذكرها ملك الترك ابن خاقان فاستنجده

واعلمه مانزل به واعلمه مايلزم الملوك من الواجبات اذا استنجدها اخوانهما من الملوك وان ذلك من فرائض الملك وواجباته فانجده ابن

٣ بياض بالاصل

خاقان بولد له بنحو من أربعمائة ألف فارس وراجل وقد استفحل أمر ياسر فالتقى الفريقان جميعا فكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة وتفانى من الفريقين خلق كثير فقتل ياسر فقيل انه قتل وقيل انه أحرق وأسر ولده والخواص من اصحابه وسار ملك الصين الى دار المملكة وعاد الى ملكه والعامة تسميه (يعبور) وتفسير ذلك ابن ماء السماء تعظيما له وهو الاسم الأخص لملوك الصين والذي يخاطبون به جميعا (جان) ولا يخاطبون بيعبور وتغلب كل صاحب ناحية من عمله على ناحيته كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الاسكندر بن فيلقوس المقدوني لدارا بن داراه ملك فارس ونحو ما نحن بسبيله في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فرضي ملك الصين منهم بالطاعة له ومكاتبته بالملك

هذه الغاية ورد مير ملك الجلالقة الى هذا الوقت) ٣ وهو سنة ٣٢٦ انتهى * وقال في موضع آخر ما ملخصه ان عبد الرحمن غزا في أزيد من مائة ألف من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهي مدينة سمورة وعليها سبعة أسوار من أعجب البنيان قد أحكمته الملوك السالفة وبين الاسوار فصلات وخنادق ومياه واسعة وافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثابوا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدركه ٣ وممن غرق أربعون ألفا وقيل خمسون ألفا وكانت للجلالقة والبشكنس على المسلمين انتهى كلام المسعودي * (رجع الى أخبار الناصر) فنقول ان الناصر رحمه الله كان له نظم ومما نسب اليه بعضهم قوله

لا يضر الصغير حدثان سن * انما الشان في سعود الصغير
كم مقيم فازت يداه بغنم * لم تنله بالركض كف مغير

هكذا ألفيت البيتين منسوبين اليه بخط بعض الاكابر ثم كتب بإثره ما نصه الصحيح أنهما لغيره والله أعلم انتهى وكان الناصر رحمه الله قد استحجب موسى بن محمد بن حدير واستوزر عبد الملك بن جهور وأحمد بن عبد الملك بن شهيد وأهدى له ابن شهيد هديته المشهورة المتعددة الاصناف وقد ذكرها ابن حيان وابن خلدون وغيرهما من المؤرخين قال ابن خلدون وهي مما يدل على فخامة الدولة الاموية واتساع أحوالها وكان ذلك سنة سبع وعشرين وثلثمائة لثمان خلون من شهر جمادى الاولى وهي هدية عظيمة الشان اشتهر ذكرها الى الآن واتفق على انه لم يهد احد من ملوك الاندلس بمثلها وقد أعجبت الناصر وأهل مملكته جميعا وأقروا ان نفسا لم تسمح باخراج مثلها ضربة عن يدها وكتب معها رسالة حسنة بالاعتراف للناصر بالنعمة والشكر عليها فاستحسنها الناس وكتبوها وزاد الناصر وزيره هذا حظوة واختصاصا واسمى منزلته على سائر الوزراء جميعا وأضعف له رزق الوزارة وبلغه ثمانين ألف دينار اندلسية وبلغ معروفه الى ألف دينار وثنى له العظمة لتثنيته له الرزق فسماه ذا الوزارتين لذلك وكان اول من تسمى بذلك بالاندلس امتثالا لاسم صاعد بن مخلد وزير بني العباس ببغداد وامر بتصدير فراشه في البيت وتقديم اسمه في دفتر الارتزاق اول التسمية فعظم مقداره في الدولة جدا وتفسير هديته المذكورة على ما ثبت في كتاب ابن خلدون على ما يفسر خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين واربعمائة رطل من العنبر ومصارفة خمسة واربعون الف دينار من سبائك الفضة في مائتي بدرة واقتصر ابن الفرضي على خمسمائة ألف دينار فقط واثنا عشر رطلا من العود الهندي الذي يختم عليه كالشمع ومائة وثمانون رطلا من العود المتخير ومائة رطل من العود الشبه المنتقى هكذا ذكره ابن خلدون وقال ابن الفرضي مستندا الى الكتاب الذي وجهه ابن شهيد مع الهدية ان العود العالي من ذلك أربعمائة رطل منها قطعة واحدة مائة وثمانون رطلا * وقال ابن خلدون ومائة أوقية من المسك الذكي المفضل في جنسه انتهى * وقال ابن الفرضي نقلا عن الكتاب المحبوب مع الهدية ان المسك مائتا أوقية واثنتا عشرة أوقية ومن العنبر الاشهب الباقي على خلقته بغير صناعة خمسمائة أوقية منها قطعة عجيبة مملمة الشكل وزن

٣ قوله وهو سنة ٣٢٦ الخ سنة ٣٢٩ اذ تاريخ الوقعة الاولى كان سنة ٣٢٧ وليحرر اه مصححه

مائة أوقية هكذا في تاريخ ابن خلدون وفي ابن الفرضي ان الكل مائة اوقية واما هذه القطعة أربعون أوقية ومن الكافور المرتفع النقي الذكي ثلثمائة أوقية * قال ابن خلدون ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المخمل المرقوم بالذهب كاباس الخلفاء المختلف الالوان والصنائع وعشرة افريه من عالي جلود الفنك الخراسانية * وخالفه ابن الفرضي اذ قال ومن انواع الثياب ثلاثون شقة وخنج خاصية للباسه بيضاء وملونة وخمس ظهائر شعيبية خاصية له وعشر فراء من عالي الفنك منها سبعة بيض خراسانية وثلاث ملونة وستة مطارف عراقية خاصية له وثمان وأربعون ملحفة زهرية لكسوته ومائة ملحفة زهرية لرفاده ولم يذكر ابن خلدون ذلك وابن الفرضي أعرف لاسيما وقد استند الى كتاب المهدي وصاحب البيت أدرى * قال ابن خلدن وعشرة قناطير شد فيها مائة جلد سمور وقاله ابن الفرضي ايضا وزاد ابن خلدون وستة من السرادقات العراقية وثمانية وأربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ثم قال اما معاوار بعة آلاف رطل من الحرير المغزول وألف رطل من لون الحرير المنتقى للاستغزال وزاد ابن خلدون وثلاثون شقة من الفربون لسروج الهبات وزاد ابن الفرضي في الحرير المذكور قيل انه قبضه منه صاحب الطراز ولم يأت به مع الهدية وانما دفعه لصاحب الطراز وأثبته في الدفتر فالا وثلاثون بساطا من الصوف مختلفة الصناعات طول كل بساط منها عشرون ذراعا وقال ابن خلدون منتقاة مختلفة الالوان فالا ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة زاد ابن الفرضي الصناعات من جنس البسط فالا وخمسة عشر نوعا من عمل الخز المقطوع شطرها قال ابن الفرضي وسائرها من جنس البسط قال ابن خلدون ومن السلاح والعدة ثمانمائة من النجانيف المزينة أيام البروز والمواكب وقال ابن الفرضي مائة تجفاف بأبدع الصناعات وأغربها وأكملها فالا وألف ترس سلطانية ومائة ألف سهم زاد ابن خلدون من النبال البارعة الصنعة قال ابن خلدون ومن الظهر خمسة عشر فرسا من الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت وقال ابن الفرضي ومن الخيل مائة فرس منها من الخيل العراب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرسا وخمس من عرض هذه الخيل مسرجة ملجمة لمراكب الخلافة مجالس سروجها خز عراقي وثمانون فرسا مما يصلح للوصفاء والحشم وقال ابن خلدون مائة فرس من الخيل التي تصلح للركوب في التصرف والغزوات وقال ابن الفرضي وخمسة أبغال عالية الركاب وقال ابن خلدون وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافية مجالس سروجها خز جعفري عراقي قال ومن الرقيق اربعون وصيفا وعشرون جارية من متخير الرقيق بكسوتهم وجميع آلاتهم وقال ابن خلدون في الجواري متخيرات بكسوتهن وزينتهن وقال ابن خلدون ومن سائر الاصناف ية نقل آلافا من امداد الزرع ومن الصخر للبنيان ما انفق عليه في عام واحد ثمانون ألف نار وعشرون ألف عود من الخشب من أجل الخشب واصيله واقومه قيمتها خمسون الف نارا انتهى وقال ابن الفرضي نقلا عن كتاب ابن شهيد المحبوب مع الهدية عند ما ذكر الرقيق ما صورته وكان قد اربى ايده الله بابتياعهم من مال الاخماس فابتعتهم من نعمته عندي

اليه فتاركهم مسالمهم وعدا كل فريق منهم على ما يليه على حسب قوته وتمكنه فعدم انتظام الملك واستقامته على حسب ما سلف من ملوكهم وقد كان لمن سلف من ملوكهم سيروسياسات للملك وانقياد للعدل على حسب ما توجبه قضية العقل (وحكى) ان رجلا من التجار من أهل مدينة سمرقند من بلاد خراسان خرج من بلاده ومعه متاع كثير حتى انتهى الى العراق فحمل من جهازه وانحدر الى البصرة وركب البحر حتى أتى الى بلاد عمان وركب الى بلاد كلة وهي النصف من طريق الصين أو نحو ذلك والبها تنتهي مراكب الاسلام من السيرافيين والعمانيين في هذا الوقت فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم وقد كانوا في بدء الزمان بخلاف ذلك وذلك ان مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف من ساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة فلذلك كانت المراكب تختلف في المواضع التي ذكرنا الى ما هنالك ولما عدم العدل وفسدت النيات

كان من امر الصين ما وصفنا التقى الفريقان جميعا في هذا النصف ثم ركب هذا التاجر من مدينة كلة في مراكب

والامتعة فسر حسنيا من خواص خدمه ممن يثق به في أسبابه وذلك ان أهل الصين يستعملون الخصيان من الخدم في الخراج وغيره من الاعمالات والمهمات وفيهم من يخصي ولده طالبا للرياسة واعتقادا النعمة فسار الخصي حتى أتى مدينة خانقو فاحضر التجار ومعهم التاجر الخراساني فعرضوا عليه ما احتاج اليه من المتاع وما يصلح له فسأل الخراساني ان يحضر متاعه فاحضره وجرت بينهم محادثة ودار الامر بينهم في التثمين للمتاع فام الخصي بسحب الخراساني واكراهه وذلك انه راده ثقة منه بعدل الملك فمضى الخراساني من فوره حتى أتى الى مدينة انغواوهي دار الملك فوقف موقف المتظلم اذا أتى من البلد الشاسع قد تقمص نوعا من الحرير الاحمر ووقف موضعا قد رسم للظلامة وقد رتب بعض الملوك ملوك النواحي للقبض على من يرد من المتظلمين ويقف ذلك الموقف فيحمل مسيرة شهر من أرضهم على البريد ففعل ذلك بالتاجر الخراساني ووقف بين يدي صاحب تلك الناحية المرتب لما ذكرناه فاقبل عليه وقال أيها الرجل لقد تعرضت لامر عظيم وخاطرت بنفسك انظر ان كبتة

وصيرتهم من بعض ومع ذلك عشر قناطير سكر طبرزذ لا سماق فيه وفي آخر الكتاب ولما علمت تطلع مولاي ايده الله تعالى الى قرية كذا بالقيتانية المنقطعة الغرس شرفها وترداده ايده الله تعالى لذكرها لم اهنأ بعيش حتى اعملت الحيلة في ابتياعها بأحوازها واكتبت وكيله ابن بقية الوثيقة فيها باسمه وضمها الى ضياعه وكذلك صنعت في قرية شيرة من نظر حيان عندما اتصل بي من وصفه لها وتطلعه اليها فما زلت اتصدى لمسرته بها حتى ابتعتها الآن بأحوازها وجميع منازلها وربوعها واحتاز ذلك كله الوكيل ابن بقية وصار في يده له ابقاه الله سبحانه وارجو انه سيرفع فيها في هذه السنة آلاف امداد من الاطعمة ان شاء الله تعالى ولما علمت نافذ عزمه ابقاه الله تعالى في البنيان وكلفه به وفكرت في عدد الاماكن التي تطلع نفسه الكريمة الى تخليد آثاره في بنيانها مد الله تعالى في عمره وأوفى بها على اقصى أمله علمت ان اسه وقوامه الحفر والاستكثار منه فاثارت لي همتي ونصيحتي حكمة حيلة احكمها سعدك وجدك اللذان يعثمان مالا يتوهم عليه حيلة اقيم لك فيها بعام واحد عدد ما كان يقوم على يدي عبدك ابن عاصم في عشرين عاما وينتهي بتحصيل النفقة فيه الى نحو الثمانين ألفا أعجل شانه في عام سوى التوفير العظيم الذي يسديه العيان قبلا ان شاء الله تعالى وكذلك ما ثاب الي في أمر الخشب لهذه المنية المكرمة فان ابن خليل عبدك المجتهد الدؤب انتهى في تحصيل عدد ما تحتاج اليه ثلثمائة ألف عود ونيف على عشرين ألف عود على انه لا يدخل منه في السنة الا نحو الالفي عود فتح لي سعدك رأيا اقيم له بتمامه جميع هذا الخشب العام على كماله بورود الجلبة لوقتها وقيمته على الرخص ما بين الخمسين ألفا والستين ألفا انتهى * ومن غريب ما يحكى عن أمير المؤمنين الناصر المذكور انه أراد الفصد فقعد بالبهو في المجلس الكبير المشرف باعلى مدينته بالزهراء واستدعى الطبيب لذلك وأخذ الطبيب الآلة وجس يد الناصر فبينما هو اذ أمال زرزور فصعد على اناء ذهب بالمجلس وأنشد

أيها الفاصد رفقا * بامير المؤمنينا
انما تفصد عرقا * فيه محيا العالمينا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف وسر به غاية السرور وسأل عمن اهتدى الى ذلك وعلم الزرزور فذكر له أن السيدة الكبرى مرجانة أم ولده ولي عهده الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك واعدته لذلك الامر فوهب لها ما ينيف على ثلاثين ألف دينار * وذكر ابن بسام أن أبا عامر بن شهيد أحمد بن عبد الملك الوزير أهدى له غلام من النصارى لم تقع العيون على شبهه فلحظه الناصر فقال لابن شهيد أين تعثر لك هذا فقال هو من عند الله فقال له الناصر تحفونا بالنجوم وتستأثرون بالاقمار ولولا الضرورة ما سمحت نفسي بك وكتب معه بهذه الابيات

أمولاي هذا البدر سارلا فقكم * وللافق أولى بالبدور من الارض
أرضيكم بالنفس وهي نفيسة * ولم أر قبلي قبله من بمهجته يرضى

فحسن ذلك عند الناصر واتحفه بمال جزيل وتمكنت عنده منزلته ثم انه بعد ذلك اهديت

اليه جارية من اجل نساء الدنيا فخاف ان ينتهي ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصة العلام فاحتفل في هدية اعظم من الاولى وبعثها معها وكتب له

أمولاي هذي الشمس والبدر اقبلا * تقدم كيما يلتقي العسكران
فان لعمري بالسعادة قد أتى * قدوم منهما في كوثر جنان
فما لهما والله في الحسن ثالث * وملك في ملك البرية ثاني

فتضاعفت مكانته عنده ثم ان احد الوشاة رفع للملك انه بقي في نفسه من الغلام حرارة وانه لا يزال يذكره حين تحركه الشمول ويقرع السن على تعذر الوصول فقال للواشي لا تحركن به لسانك والا طار رأسك وأعمل الناصر حيلة في أن كتب على لسان الغلام رقعة منها يا مولاي تعلم انك كنت لي على انفرادي ولم أزل معك في نعيم وانى وان كنت عند الخليفة مشاركك في المنزلة محاذرما يبدو من سطوة الملك فتحيل في استدعائي سمه وبعثها مع غلام صغير السن وأوصاه ان يقول من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط ان سأله عن ذلك فلما وقف أبو عامر على تلك الرسالة واستخبر الخادم علم من سؤاله ما كان في نفسه من الغلام وما تكلم به في مجالس المدام فكتب على ظهر الرقعة ولم يرد حرفا

أمن بعد احكام النجارب ينبغي * لدى سقوط الطير في غابة الاسد
وما أنا ممن يغلب الحب قلبه * ولا جاهل ما يدعيه ذوو الحسد
فان كنت روحي فدو هيتك طائعا * وكيف يرد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى استماع واشيه ودخل عليه بعد ذلك فقال له كيف خلصت من الشرك فقال لان عقلي بالهوى غير مشترك فأدام عليه وزادت محبته عنده وممن ذكر هذه الحكاية صاحب مطالع البدور في منازل السرور * واخبار الناصر طويلة جدا وقد مع الظفر على الثوار واستنزلهم من معاقلهم حتى صفا له الوقت وكانت له في جهاد العدو اليد البيضاء في غزواته انه غزا سنة ثمان وثلثمائة الى جليقية وملكها اردون بن ادفونش فاستنجد بالبشكنس والافرنجة وظاهر شانجة بن فرويله صاحب بنبلونة أمير البشكنس فهزمهم ووطئ بلادهم ودوخ أرضهم وفتح معاقلهم وخرب حصونهم ثم غزا ببلونة سنة ثنتي عشرة ودخل دار الحرب ودوخ البسائط وفجع المعاقل وخرب الحصون وأفسد العامر وجال فيها وتوغل في فاصيتها والعدو يحاذيه في الجبال والاوعار ولم يظفر منه بشيء ثم بعد مدة ظفر ببعض الثوار عليه وكان استمد بالنصارى فقتل الناصر من كان مع الثائر من النصارى أهل ألبة وفتح ثلاثين من حصونهم وبلغه انتقاض طوطه ملكة البشكنس فغزاها في بنبلونة ودوخ أرضها وسبا حها ورجع الى قرطبة ثم غزا غزوة الخندق سنة سبع وعشرين الى جليقيه فانهزم وأصيب فيها المسلمون وفعد بعدها عن الغزو بنفسه وصار يرد البعوث والطوائف الى الجهاد وبعث جيوشه الى المغرب فملك سبتة وفاسا وغيرهما من بلاد المغرب وطار صيته وانتشر ذكره كما سبق ولما هلك شانجة بن فرويله ملك البشكنس قام بأمرهم بعده أمه طوطه وكفلت ولده ثم انقضت على الناصر سنة خمس وعشرين فغزا الناصر بلادها وخرب نواحي بنبلونة وردد عليها كما مر الغزوات وكان قبل ذلك

حضانه لمن تظلم فان رآه قد جزع وضرع في القول ضربه مائة خشبة ورده من حيث جاء وان هو صبر على ما هو عليه حمل الى حضرة الملك واوقف بين يديه وسمع كلامه فصمم الخراساني في المطالبة والظلامة مرآه محفا غير ضرع ولا منجلج فحمل الى الملك فوقف بين يديه وقص حديثه على الملك فلما ان ادى الترجمان اليه ما قاله وفهم ظلامته أمر به الى بعض المواضع واحس اليه وأحضر الوزير وصاحب الشرطة وصاحب القلب وصاحب المسرة وهم أناس قد تبوأ الدلك عند الملمات وحين الحروب قد عرف كل واحد منهم مرتبته والمراد منه فامرهم الملك أن يكتب كل واحد منهم الى صاحبه بالناحية ولكل واحد منهم خليفة في كل ناحية فكتبوا الى اصحابهم بخانقوا أن يكتبوا اليهم بما كان من خبر التاجر والخادم وكتب الملك الى خليفته بالناحية بمثل ذلك وقد كان خبر الخادم والتاجر اشتهر واستفاض فوردت الكتب على بغال البريد بتصحيح ما قاله التاجر وذلك ان ملوك الصين لهم في سائر الطرق من أعمالها بغال للبريد فلما وقف بين يديه

 مسرجة محذوة الآلات للاخبار والحراسة فبعث الملك فاستحضر الخادم فلما وقف بين يديه

سنة ثنتين وعشرين غزا الى خشتمة ثم رحل الى بنبلونة فجاءته طوطة بطاعتها وعقد لابنها غرسية على بنبلونة ثم عدل الى ألبة وبسائطها فدوخها وخرب حصونها ثم اقتحم جليقية وملكها يومئذ ردمير بن أردون فقام عن لقائه ودخل خشتمة فنازله الناصر فيها وهدم برغش وكثيرا من معاقلهم وهزمهم مرارا ورجع ثم كانت بعدها غزوة الخندق السابقة وهابته أمم النصرانية ثم وفدت عليه سنة ست وثلاثين رسل صاحب قسطنطينية وهديته وهو يومئذ قسطنطين واحتفل الناصر لقدومهم في يوم مشهود قال ابن خلدون ركبت في ذلك اليوم العساكر بالسلاح في أكمل شكة وزين القصر الخلافي بانواع الزينة وأصناف الستور وحمل السرير الخلافي بعقاعد الابناء والاخوة والاعمام والقرابة ورتب الوزراء والخدمة في مواقفهم ودخل الرسل فهالهم ما رأوه وقربوا حتى أدوا رسالتهم وأمر يومئذ الاعلام ان يخطبوا في ذلك المحفل ويعظموا من أمر الاسلام والخلافة ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه واعزازه وذلة عدوه فاستعدوا لذلك ثم بهرهم هول المجلس فوجموا وشرعوا في القول فارتج عليهم وكان فيهم أبو علي القالي وافد العراق كان في جملة الحكم ولي العهد وندبه لذلك استئثارا فعجز فلما وجموا كلهم قام منذر بن سعيد البلوطي من غير استعداد ولا روية ولا تقدم له أحد بشيء من ذلك فخطب واستضر وجلى في ذلك القصد وأنشد شعرا طويلا ارتجله في ذلك الغرض ففاز بفخر ذلك المجلس وعجب الناس من شأنه أكثر من كل ما وقع وأعجب به الناصر وولاه القضاء بعدها وأصبح من رجالات المعالم وأخباره مذكورة وخطبته في ذلك اليوم منقولة في كتب ابن حيان وغيره ثم انصرف هؤلاء الرسل وبعث الناصر معهم هشام بن هذيل بهدية حافلة ليؤكد المودة ويحسن الاجابة ورجع بعد سنتين وقد احكم من ذلك ما شاء وجاءت معه رسل قسطنطين ثم جاء رسول من ملك الصقالبة وهو يومئذ دوقوة ورسول آخر من ملك الالمان ورسول آخر من ملك الافرنجة وراء البرت وهو يومئذ اوقة ورسول آخر من ملك الافرنجة بقاصية المشرق وهو يومئذ كلدة واحتفل الناصر لقدومهم وبعث مع رسول الصقالبة ربيعا الاسقف الى ملكهم دوقوة ورجع بعد سنتين * (وفي سنة أربع وأربعين) جاء رسول أردون يطلب السلم فعقد له ثم بعث في سنة خمس وأربعين يطلب ادخال فردلند قومس قشتيلة في عهده فأذن له في ذلك وأدخل في عهده وكان غرسية بن شانجة قد استولى على جليقية بعد أبيه شانجة بن فرويلة ثم انتقض عليه أهل جليقية وتولى كبرهم قومس قشتيلة فردلند المذكور ومال الى اردون بن ردمير وكان غرسية بن شانجة حافدا لطوطة ملكة البشكنس فاستعضت لحافدها غرسية ووفدت على الناصر سنة سبع وأربعين ملقية بنفسها في عقد السلم لها ولولدها شانجة بن ردمير الملك واعانة حافدها غرسية بن شانجة على ملكه ونصره من عدوه وجاء الملكان معها فاحتفل الناصر لقدومهم وعقد الصلح لشانجة وامه وبعث العساكر مع غرسية ملك جليقية فرد عليه ملكه وخلع الجلالقة طاعة أردون اليه وبعث الى الناصر يشكره على فعلته وكتب الى الامم في المواحي بذلك وبما ارتكبه فردلند قومس قشتيلة في نكثه ووثوبه ويعيره بذلك عند الامم ولم يزل الناصر على موالاته واعانته الى أن هلك ولما وصل رسول كلدة ملك

واجتاز ملوكا في بر وبحر فلم يتعرض لها يؤمل الوصول الى ملكي ثقة منه بعدلي ففعلت به ما فعلت وكان ينصرف عن ملكي ويقبح الاحدوثة عن سيرتي أما لولا قديم حرمتك بنا لقتلتك لكن اعاقبك بعقوبة ان عملت فانها اكبر من القتل وهو ان اوليك مقابر الموتى من الملوك السالفة أن عجزت عن تدبير الاحياء والقيام بما اليه ندبت واحسن الى التاجر وحمله الى خانقو وقال له ان سمحت نفسك ان تبيع منا ما اخترت من متعلق بائس الجزيل والا فانت الحكم في مالك افعل ما شئت وبع كيف شئت وانصرف راشدا حيث شئت وصرف الخادم الى مقابر الملوك (قال المسعودي) ومن طرائف اخبار ملوك الصين ان رجلا من قريش من ولد هبار بن الاسود لما كان من امر صاحب الزنج بالبصرة ما كان واشتهر خرج هذا الرجل الى مدينة سيراف وكان من ارباب البصيرة وارباب النعم بها وذوي الاحوال الحسنة ثم ركب منها في بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب الى مركب ومن بلد الى بلد يخترق ممالك الهند الى ان انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو ثم دعته همته

الى ان سار الى ديار ملك الصين وكان الملك يومئذ بمدينة جمدان وهى من
الافرنجة باشرف كما تقدم وصل معه رسول ملك برشلونة وطركونة راغبا فى الصلح
فأجابه الناصر ووصل بعده رسول صاحب رومة يخطب المودة فأجيب انتهى كلام ابن
خلدون ببعض اختصار ولنفصل بعض ما أجمله فنقول ذكر ابن حيان وغيره واحد أن ملك
الناصر بالاندلس كان فى غاية الفخامة ورفعة الشان وهادنه الروم وازدلفت اليه تطلب
مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس
وسائر الامم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ومن جملتهم صاحب
القسطنطينية العظمى فانه هاداه ورغب فى موادعته وكان وصول ارساله فى صفر سنة ثمان
وثلاثين وثلثمائة وتقدم فى كلام ابن خلدون انها ست وثلاثون فالله أعلم أيهما أدعى
وتأهب الناصر لورودهم وأمر أن يتلقوا أعظم تلق وأفخمه وأحسن قبول وأكرمه
وأخرج الى لقائهم بجاية بحيي بن محمد بن الليث وغيره لخدمة أسباب الطريق فلما صاروا
بأقرب المحلات من قرطبة خرج الى لقائهم القواد فى العدد والعدّ والتعبية فتلقوهم قائدا
بعد قائد وكل اختصاصهم بعد ذلك بأن اخرج اليهم الفتيين الكبيرين الخصيين ياسرا
ونماما بلاغا فى الاحتفال بهم فلقياهم بعد القواد فاستبان لهم بخروج الفتيين اليهم بسط
الناصر واكرامه لان الفتيان حينئذ هم عظماء الدولة لانهم أصحاب الحلوة مع الناصر وحرمه
وبيدهم القصر السلطانى وأنزلوا بمدينة ولى العهد الحكم المنسوبة الى نصير بعدوة قرطبة
فى الربض وممنوعا من لقاء الخاصة والعامة جملة ومن ملابسة الناس طرا ورتب لحجابتهم
رجال مخيرة من الموالى ووجوه الحشم فصيروا على باب قصره هذا ثمانية ستة عشر رجلا الاربع
دول لكل دولة أربع منهم ورحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء الى قصر قرطبة لدخول
وفود الروم عليه فقعد لهم يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول من السنة
المذكورة فى بهو المجلس الزاهر قعودا حسنا نبيلا وقعد عن يمينه ولى العهد من بنيه الحكم ثم
عبد الله ثم عبد العزيز ثم الاصبغ ثم مروان وقعد عن يساره المنذر ثم عبد الجبار ثم سليمان
وتخلف عبد الملك لانه كان عليلا لم يطق الحضور وحضر الوزراء على مراتبهم يمينا وشمالا
ووقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالى والوكلاء وغيرهم وقد بسط صحن
الدار اجمع بعتاق البسط وكرائم الدرانك وظللت أبواب الدار وحناياها بظلل الديباج
ورفيع الستور فوصل رسل ملك الروم حائرين عمارة من هجة الملك وفخامة السلطان
ودفعوا كتاب ملكهم صاحب قسطنطينية العظمى قسطنطين بن ليون وهو فى رق
مصبوغ لونا سماويا مكتوبا بالذهب بالخط الاغريقى وداخل الكتاب مدرجة مصبوغة
أيضا مكتوبة بفضة بخط اغريقى أيضا فيها وصف هديته التى ارسل بها وعددها وعلى
الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل على الوجه الواحد منه صورة المسيح وعلى الآخر
صورة قسطنطين الملك وصورة ولده وكان الكتاب بداخل درج فضة منقوش عليه عطاء
ذهب فيه صورة قسطنطين الملك معمولة من الزجاج الملون البديع وكان الدرج داخل جعبة
ملبسة بالديباج وكان فى ترجمة عنوان الكتاب فى سطر منه قسطنطين ورومانين المؤمنان
بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم وفى سطر آخر العظيم الاستحقاق الفخر الشريف

كبار منهم ومن عظيم
أمتهم فاقام ببا
الملك مدة طويلة يرفع
الرفاع ويذكر انه من أهل
بيت نبوة العرب فاعر
هذه المدة الطويلة
بانزاله فى بعض المسا
وازاحة العلة عما يحتاج
اليه من جميع أموره وكتب
الى الملك المقيم بخانقو وباعره
بالبحث عنه ومسألة التجار
عما يدعيه الرجل من قرابة
نبى العرب صلى الله عليه
وسلم فكتب صاحب خانقو
بصحة نسبه واذن له فى الوصول
اليه ووصله بمال واسع واعاده
الى العراق وكان شيخانهما
فاخبر أنه لما وصل اليه
ورأى ما هو عليه من عبادة
النيران والسجود للشمس
والقمر من دون الله عز وجل
فقال له لقد غلبت العرب
على اجل الممالك وأنفسها
واوسعها ربعا وأكثرها
أموالا واعقلها رجالا واهداها
صوتا ثم قال له فما منزلة سائر
الملوك عندكم فقال مالى بهم
علم فقال للترجمان قل له انا
نعد الملوك خمسة فاوسعهم
ملكا الذى يملك العراق
لانه فى وسط الدنيا والملوك
محدقة به ونجد اسمه عندنا
ملكا وبعده ملكنا هذا
ونجده عندنا ملك الناس
لانه لا احد من الملوك أسوس

مناولا اضبط لملكه من ضبطا لملكنا ولا رعية من الرعايا طوع لملكها من رعيتنا فنحن ملوك الناس ومن بعده ملك

النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالاندلس أطال الله بقاءه ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لتذكر جلالة مقعده وعظيم سلطانه وتصف ما تهيأ من توطيد الخلافة فى دولته ولما تقدم الى الامير الحكم ابنه ولى عهده باعداد من يقوم بذلك من الخطباء ويقدمه أمام تنشيد الشعراء فأمر الحكم صنيعه الفقيه محمد بن عبد البر السكيبانى بالتأهب لذلك واعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدى الخليفة وكان يدعى من القدرة على تأليف الكلام ما ليس فى وسع غيره وحضر المجلس السلطانى فلما قام يحاول التكلم بما رأى هاله وبهره هول المقام وأبهة الخلافة فلم يهتد الى لفظة بل غشى عليه وسقط الى الارض فقيل لابى دلى البغدادى اسمعيل بن القاسم القالى صاحب الامالى والنوادر وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق وأمير الكلام وبحر اللغة قم فارتع هذا الوهى فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم هكذا ذكر ابن حيان وغيره وكلام ابن خلدون السابق يقتضى أن القالى هو المأمور بالكلام أولا والمعد لذلك ونحوه فى المطمح والخطب سهل ثم انقطع القول بالقالى فوقف ساكتا مفكرا فى كلام يدخل به الى ذكر ما أريد منه وقال فى المطمح ان أبا على القالى انقطع وبهت وما وصل الا قطع ووقف ساكتا متفكرا لا ناسيا ولا متذكرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد وكان ممن حضر فى زمرة الفقهاء قام من ذاته بدرجة من مرقاته فوصل افتتاح أبى على لاول خطبته بكلام عجيب ونادى من الاحسان فى ذلك المقام كل مجيب يسحه سحا كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة وبدأ من المكان الذى انتهى اليه أبو على البغدادى فقال أما بعد حمد الله والثناء عليه والتعداد لآلائه والشكر لنعمائه والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال وليس بعد الحق الا الضلال وانى قد قمت فى مقام كريم بين يدى ملك عظيم فاصغوا الى معشر الملا بأسماعكم وأنقنوا عنى بأفئدتكم ان من الحق أن يقال للحق صدقت وللبطل كذبت وان الجليل تعالى فى سمائه وتقدس بصفاته واسمائه أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه أن يذكر قومه بأيام الله جل وعز عندهم وفيه وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وانى أذكركم بأيام الله عندكم وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التى لمت شعثكم وأمنت سربكم ورفعت فوقكم بعد أن كنتم قليلا فكثركم ومستضعفين فقواكم ومستذلين فنصركم ولاه الله رعايتكم وأسند اليه امامتكم ايام ضربت القنة سرادقها على الآفاق وأحاطت بكم شعل النفاق حتى صرتم فى مثل حدقة البعير من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء وانتقلتم بيمن سياسته الى تمهيد كنف العافية بعد اساءة طغيان البلاء أنشدكم بالله معاشر الملا ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها والسبل مخوفة فأمنها والاموال منتهبة فاحرزها وحصنها ألم تكن البلاد خرابا فعمرها وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بامامته حتى اذهب الله عنكم غيظكم وشفى صدوركم وصرتم يدا على عدوكم بعد أن كان باسكم بينكم فانشدكم الله ألم تكن خلافته

نجده عندنا ملك الحكمة أيضا لان اصلها منهم ومن بعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرحمان لانه ليس فى الارض أتم حلقا من رجاله ولا أحسن وجوها منهم فهؤلاء أعيان الملوك والباقون دونهم ثم قال للترجمان قل له أتعرف صاحبك ان رأيته يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرشى وكيف لى برؤيته وهو عند الله عز وجل فقال ثم أرد هذا وانما اردت صورته فقلت أجل فامر بسفط فاخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجا وقال للترجمان اره صاحبه فرأيت فى الدرج صور الانبياء فحركت شفتى بالصلاة عليهم ولم يكن عندهم انا نعرفهم فقال للترجمان سله عن تحريكه لشفتيه فسألنى فقلت أصلى على الانبياء فقال ومن أين عرفتهم فقلت بما صور من امورهم هذا نوح عليه السلام فى السفينة بمن معه لما امر الله عز وجل الماء فعم الماء الارض كلها بمن فيها وبأهله ومن معه فقال اما نوح فصدقت فى تسميته وانه غرق الارض كلها فلا نعرفه وانما أخذ الطوفان قطعة من الارض ولم يصل الى أرضنا ان كان

خبركم صحيحا عن هذه القطعة ونحن معاشر أهل الصين والهند والسند وغيرنا من الطوائف والامم

قفل الفتنة بعد انطلاقها لم يتلاف صلاح الامور بتفسده بعد اضطراب احوالها ولم يكل ذلك الى القواد والاجناد حتى باشره بالقوة والمهجة والاولاد واعتزل النسوان وهجر الاوطان ورفض الدعة وهي محبوبة وترك الركون الى الراحة وهي مطلوبة بطوية صحيحة وعزيمة صريحة وبصيرة ثابتة نافذة ثاقبة وربح هابة عالية ونصرة من الله واقعة واجبة وسلطان قاهر وجد ظاهر وسيف منصور تحت عدل مشهور متحملا للنصب مستقلا لما نال في جانب الله من التعب حتى لانت الاحوال بعد شدتها وانكسرت شوكة الفتنة عند حدتها ولم يبق لها غارب الا جبه ولا جمع لاهلها قرن الا جذه فاصبحتم بنعمة الله اخوانا وبلم أمير المؤمنين لشعثكم على اعدائه أعوانا حتى توافرت لديكم الفتوحات وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات وصارت ديار الروم وافدة عليه وعلاكم وآمال الاقصين والادنين مستخدمة اليه واليكم يأتون من كل فج عميق وبلد سحيق لاخذ حبل بينه وبينكم جملة وتفصيلا ليقضي الله أمرا كان مفعولا ولن يخلف الله وعده ولهذا الامر بعده وتلك أسباب ظاهرة بادية تدل على امور باطنه خافية دليلها قائم وجفنها غير نائم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب ولكل نبأ مستقر ولكل أجل كتاب فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه واسألوه المزيد من نعمائه فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله بالعصمة والسداد وألهمه خالص التوفيق الى سبيل الرشاد أحسن الناس حالا وأنعمهم بالا وأعزهم فرارا وأمنعهم دارا وأكثفهم جمعا وأجلهم صنعا لا تباحون ولا تذادون وأنتم بحمد الله على اعدائكم ظاهرون فاستعينوا على صلاح احوالكم بالمناصحة لامامكم والتزام الطاعة لخليفتكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم فان من نزع يده من الطاعة وسعى في تفريق الجماعة ومرق من الدين فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقد علمتم أن في التعلق بعصمتها والتمسك بعروتها حفظ الاموال وحقن الدماء وصلاح الخاصة والدهماء وأن بقوام الطاعة تقام الحدود وتوفى العهود وبها وصلت الارحام ووضحت الاحكام وبها سد الله الخلل وأمن السبل ووطأ الاكناف ورفع الاختلاف وبها طاب لكم القرار واطمأنت بكم الدار فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به فانه تبارك وتعالى يقول أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم الآية وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين وصنوف الملحدين الساعين في شق عصاكم وتفريق ملاكم الآخذين في مخاذلة دينكم وهتك حريمكم وتوهين دعوة نبيكم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين أقول قولي هذا وأختم بالحمد لله رب العالمين مستغفرا الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين * وساق ابن سعيد الى المغرب هذه الحكاية فقال ما صورته منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة خطيب مصقع وله كتب مؤلفة في القرآن والسنة والورع والرد على أهل الاهواء والبدع شاعر بليغ ولد سنة خمس وستين ومائتين وأول سببه في التعلق بعبد الرحمن الناصر لما احتفل لدخول

تفزع النفوس الى حفظه وتتداوله الامم ما قلته له قال القرشي فهمت الرد عليه وافامة الحجة العلمي بدفعه ذلك ثم قلت وهذا موسى صلى الله عليه وسلم وبنو اسرائيل فقال نعم على ذلك البلد الذي كان به وعاد قومه عليه ثم قلت هذا عيسى بن مريم عليه السلام على حماره والحواريون معه فقال لعله كان قليل مدته انما كان امده نيف على ثلاثين شهرا شيأ يسيرا وعدد من ذكرنا من الانبياء عليهم السلام فسترت على ذكر بعضه ويريد هذا القرشي وهو المعروف بابن وهبان انه رأى فوق كل صورة كتابة طويلة قد زيد فيها ذكر اسمائهم ومواضع بلدانهم ومقادير اعمارهم وأسباب نبوتهم وسيرهم قال ثم رأيت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل واصحابه محدقين به كل ارجلهم نعال عربية من جلود الابل وفي اواسطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك فبكيت فقال للترجمان سله عن بكائه فسألت هذا فينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت لقد هلك قومه اجل الممالك الا انه لم يعاين من الملك شيأ انما عاينه من بعده ومن تولى الامر على امته من خلائفه ورأيت صور انبياء الله ورسله منهم من قد اشار بيده جامعا بين

رسول ملك الروم صاحب قسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لذكر جلالة مقعده ووصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة ورمي ملوك الامم بسهام بأسه ونجدته وتقدمه الى الامير الحكم ابنه وولي عهده باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ويقدمه أمام انشاد الشعراء فتقدم الحكم الى ابي علي البغدادي ضيف الخليفة وأمير الكلام وبحر اللغة أن يقوم فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انقطع وبهت فما وصل ولا قطع ووقف ساكتا مفكرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام قائما بدرجته من مرقاة أبي علي ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جزالة وملأ الاسماع جلالة ثم ذكر الخطبة كما سبق وقال بعد ايرادها ما صورته فصلب العلج وغلب على لبه وقال هذا كبير القوم أو كبش القوم وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات جنانه وبلاغة لسانه وكان الناصر اشدهم تعجبا منه وأقبل على ابنه الحكم ولم يكن يثبت معرفته فسأله عنه فقال له هذا منذر بن سعيد البلوطي فقال والله لقد احسن ما شاء ولئن اخرني الله بعد لارفعن من ذكره فصع يدك باحكم عليه واستخلصه وذكرني بشأنه فما الا صنيعة مذهب عنه ثم ولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضاء الجماعة بقرطبة واقره على الصلاة بالزهراء * ومن شعره في هذه الواقعة قوله

مقالي كحد السيف وسط المحافل * فرقت به ما بين حق وباطل
يغلب ذكي ترتمي جمراته * كبارق رعد عند رعش الانامل
فما دحضت رجلي ولا زل منطقي * ولا طاش عقلي يوم تلك الزلازل
وقد حدقت حولي عيون احالها * كمثل سهام اثبتت في المقاتل
لخير امام كان او هو كائن * لمقتبل او في العصور الاوائل
ترى الناس افواجا يؤمون بابه * وكلهم ما بين راج وآمل
وفود ملوك الروم وسط فنائه * مخافة باس او رجاء لنائل
فعش سالما اقصى حياة مؤملا * فأنت رجاء الكل حاف وناعل
ستملكها ما بين شرق ومغرب * الى درب قسطنطين او ارض بابل

انتهى كلام ابن سعيد وهو يؤيد كلام ابن خلدون ان المأمور بالخطبة هو القالي وذكر أن الناصر قال لابنه الحكم بعد ان سأله عنه لقد احسن ما شاء فلئن كان حبر خطبته هذه واعدها لمخاطبة ان يدور ما دار فيتلافى الوهي فانه لبديع من قدرته واحتياطه ولئن كان اتى بها على البديهة لوقته فانه لاعجب واغرب قال ابن سعيد ولما فرغ منذر من خطبته انشد

هذا المقام الذي معاليه فند * لكن قائله ازرى به البلد
لو كنت فيهم غريبا كنت مطرفا * لكنني منهم فاغتالني النكد

ويروى بدل هذا الشطر * ولادهاني لهم بغي ولا حسد *

لولا الخلافة أبقى الله حرمتها * ما كنت أرضى بارض ما بها أحد

انتهى قلت كأنه عرض بابي علي القالي وتقديمهم اياه في هذا المقام والله أعلم ومن

كالمرهب للخليفة بما فوق وغير ذلك ثم سألني عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع فاجبته على قدر ما اعلم منها ثم قال كم عمر الدنيا عندكم فقلت قد تنوزع في ذلك فبعض يقول ستة آلاف وبعض يقول دونها وبعض يقول أكثر منها فقال ذلك عن نبيكم فقلت نعم فضحك كثيرا ووزيره ايضا وهو واقف على انكار ذلك وقال حسبت نبيكم قال هذا فزللت فقلت بلى هو قول ذلك فرأيت الانكار في وجهه ثم قال للترجمان قل له ميز كلامك فان الملوك لا تكلم الا عن تحديد أما زعمت انكم تختلفون في ذلك فانكم انما اختلفتم في قول نبيكم وما قالت الانبياء لا يجب ان يختلف فيها هو مسلم فاحذر هذا وشبهه أن تحكيه وذكر أشياء كثيرة ذهبت عني لطول المدة ثم قال لي لم عدلت عن ملكك وهو أقرب اليك دارا ومنسبا قلت بما حدث على البصرة ووقوعي الى سيراف ونزعت بي همتي الى ملكك أيها الملك لما بلغني من استقامة ملكك وحسن سيرتك وكثرة جنودك فأحببت الوقوع الى هذه المملكة ومشاهدتها وأنا راجع عنها الى بلادي وملك ابن عمي وأخبر بما شاهدت من جلالة هذا نظم

نظم منذر بن سعيد قوله

الموت حوض وكل نافرد * لم ينج مما يحاذره أحد
فلا تكن مغرما برزق غد * فلست تدري بما يجيء غد
وخذ من الدهر ما أتاك به * ويسلم الروح منك والجسد
والخير والشر لا تذعه فما * في الناس الا التشنيع والحسد

وله وقد آذاه شخص فخاطبه بالكنية فقيل له ايؤذيك وانت تخاطبه بالكنية فقال

لا تعجبوا من أنني كنيته * من بعد ما قد سبنا وأذانا
فالله قد كنى أبا لهب وما * كناه الا تزية وهوانا

وقال في المطمح منذر بن سعيد البلوطي آية حركه وسكون وبركة لم تكن معدة ولا تكون وآية سفاهة في تحلم وجهامة ورع في طي تبسم اذا جد وجد واذا هزل نزل وفي كلتا الحالتين لم ينزل للورع من مرقب ولا اكتسب اثما ولا احتقب ولي قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن ناهيك من عدل أظهر ومن فضل أشهر ومن جور تبرص ومن حق رفع ومن باطل خفض وكان مهيبا صليبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم واستمر في القضاء الى ان مات الناصر لدين الله ثم ولي ابنه الحكم فأقره وفي خلافته استعفى مرارا فما أعفي وتوفي بعد ذلك لم يحفظ عنه مدة ولايته قضية جور ولا عدت عليه في حكومته زلة وكان غزير العلم كثير الادب متكلما بالحق متبينا بالصدق له كتب مؤلفة في السنة والورع والرد على أهل الاهواء والبدع وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا ولد عند ولاية المنذر بن محمد وتوفي سنة ٣٠٠ ومن شعره في الزهد قوله

لم تصابي وقد علاك المشيب * وتعامى عمدا وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير * أن سيأتي الحمام ممن قريب
يا سفيها ادحاه منه رحيل * بعد ذاك الرحيل برم عصيب
ان للموت سكرة فاز نفسها * لا يداوى اذا أتتك طبيب
لم تواني حتى تصير رهينا * ثم تاتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم * فاعملن طاهد الا ريب
وتذكر يوما تحاسب فيه * ان من تذكر فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر الا * للمنايا بها عليك رقيب

ولعلنا نذكر شيأ من أحوال منذر في غير هذا الموضع (رجع لاخبار الناصر لدين الله) حتى أنه لما اعتذر لاولاد ابنه أبي مروان عبد الله اتخذ لذلك صنيعا عظيما بسر الزهراء لم يتخلف أحد عنه من أهل مملكته وأمر أن يندر لشهوده الفقهاء المشاورون ومن يليهم من العلماء والعدول ووجوه الناس فتقدم من بينهم المشاور أبو ابراهيم وافتقد مكانه لارتفاع منزلته فسال في ذلك الخليفة الناصر اذ أبو ابراهيم من أكابر علماء المالكية الذين عليهم المدار وعهد الناصر بسبب ذلك على أبي ابراهيم وأمر ابنه ولي العهد الحكم بالكتاب اليه

واثنى بكل جميل فسره ذلك وامر لي بجائزة سنية وخلع شريفة وأمر بحملي على البريد الى مدينة خانفو وكتب الى ملكها يا كرامي وقدومي على من في ناحيته من الامم واقامة النزل الى وقت خروجي عنه فكنت في اخصب عيش وانعمه الى ان خرجت من بلاد الصين (قال المسعودي) واخبرني ابو زيد الحسن ابن يزيد السيرافي بالبصرة وكان قد قطعها وانتقل عن سيراف وذلك في سنة ثلاث وثلثمائة وابو زيد هذا هو ابن عمر بن يزيد بن محمد بن مرد بن ساسيان السيرافي وكان الحسن بن يزيد من أهل التحصيل والتمييز فانه سأل ابن وهبان الفرشي عن مدينة جدان التي بها الملك وصفها وذكر سعتها وكثرة اهلها وانها مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع عظيم طويل عريض فالملك ووزيره وقاضي القضاة وجنوده وخصيانه وجميع أسبابه في الشق الايمن منه مما يلي المشرق لا يخالطهم أحد من العامة وليس فيه شيء من الاسواق بل انهار في سككهم مطردة واشجار عليها منتظمة ومنازل فسيحة وفي الشق الايسر مما يلي المغرب الرعية والتجار والميرة والاسواق فاذا وضح النهار رايت فيها فهارمة الملك وغلمانه وغلمان

وا[illegible] عليه الحكم رقعة نسخها بسم الله الرحمن الرحيم حفظك الله وتولاك وسددك
ورعاك يا محمد بن أمير المؤمنين مولاي وسيدي أبعاه الله الاولياء الذين يستعذبهم وجدك
تعمدني الزلة منا حراص الصلة على انه قد أدرك أبقاه الله خصوصا للمشاركة في السرور
الذي كان عنده لا أعدمه الله تواتي المسرة ثم ادرت من قبل ابلاغي التكرمة فكان منك
على ذلك كله من التخلف ما نافت عليك فيه المعذرة واستباع أمير المؤمنين في انكاره
وما تعللت عليه فأعنت على ذلك الحجة وعرفني أكرمك الله ما العذر الذي أوجب توقفك
عن اجابة دعوته وشاهدة السرور الذي سر به ورغب المشاركة فيه لنعرفه أبقاه الله بذلك
فان نفسه العزيزة الى ما شاء الله تعالى فأجابه أبو ابراهيم سلام على الامير سيدي ورحمة
الله وبركاته أبى الله الامير سيدي هذا الكتاب وهممنه ولم يكن توقفي لنفسي انما كان لامير
المؤمنين سيدنا أبقى الله سلطانه لعلمي بمذهبه وسكوني الى تقواه واقتفائه لاثر سلفه الطيب
رضوان الله عليهم فانهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يتهمونها بما يشينها ولا بما يغض
منها ويطرق الى تنقيصها يستعدون بها الدينهم ويتريمون بها عند رعاياهم ومن بعدهم
من نظرائهم ولهذا تحفلت ولعلمي بمذهبه توقفت ان شاء الله تعالى فلما أقرأ الحكم أباه
الناصر لدين الله جواب أبي ابراهيم استحق أعجبه واستحسن اعتذاره وزال ما بنفسه عليه
وكان الفقيه أبو ابراهيم المذكور معظما عند الناصر وابنه الحكم وحق لهما ان يعظماه وقد
حكى ابنه ابو القاسم بن معرج قال كنت اختلف الى الفقيه أبي ابراهيم رحمه الله تعالى
ومن يختلف اليه للاقعاده والرواية فاني لعنده في بعض الايام في مجلسه بالمسجد المنسوب لابي
عثمان الذي كان يصلي به قرب داره بحوفي قصر فرطبه ومجلسه حافل بجماعة الطلبة وذلك
بعد الصلاتين اذ دخل عليه خصي من أصحاب الرسائل جاء من عند الخليفة الحكم فوقف
ولم يقل له بافعه أجب أمير المؤمنين أبقاه الله فان الامر خرج فيك وها هو قاعد ينتظرك
وقد أمرت بانجالك فالله الله فقال له سمعا وطاعة لامر المؤمنين ولا عجله فارجع اليه وعرفه
ومعه الله عني أنك وجدتني في بيت من بيوت الله تعالى معي طلاب العلم أسمعهم حديث ابن
عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يقيدونه عني وليس بمكني ترك ما أنا فيه حتى يتم
المجلس المعهود لهم في رضا الله وطاعته فذلك أو كد من مسيري اليه الساعة فاذا انقضى
أمرت من اجتمع الى من هؤلاء المحتسبين في ذات الله السائلين لمرضاته مشيت اليه ان شاء الله
تعالى ثم أقبل على شأنه ومضى الخصي بهم متعجبا من توقفه فلم يلبث الا يسيرا أدى جوابه
وانصرف سريعا سكن الطيش فقال له يا فقيه أنهيت قولك على نصه الى أمير المؤمنين
أبقاه الله فأدعى اليه وهو يقول لك جزاك الله خيرا عن الدين وعن امير المؤمنين وجماعة
المسلمين ومتعهم بك وادا أنت أوعيت فامض اليه راشدا ان شا الله تعالى وقد أمرت أن أبقى
معك حتى يغدى شغلك ومضى معي فقال له حسر حمل ولكني أضعف عن المشي الى باب
البلدة وهو بعيد على ركوب دابة لشيخوختي وضعف أعضائي وباب الساعة الذي يقرب الى
من أبواب القصر المكرم أحوط لي وأقرب وأرفق بي فان رأى أمير المؤمنين أيده الله تعالى
أن يأمر بفتحه لادخل اليه منه وتر على المشي وودع جسمي وأحب أن تعود وتنهي اليه

وجوانحهم ثم انصرفوا راجعين
عودوا لحدهم لي هذا
السوق الاتي اليوم الثاني
وان هذا الخبر
نزهه وبيعه محسنه وشاو
مطرده لا الخبر وبه
معدوم عندهم واهل
الصين
له سعر وصنعه وكل
عمل لا يعلمونه احد
من سائر الامم والرجل
منهم يصنع كذا يقدر
أن غيره يجيء عنده ويصنعه
باب الملك الحاكم الجياه
على الضيف ما يتبع به أمر
الملك بذلك على يديه مرة
ذلك الى منزله فلم يخرج
أحد فيه عن حاضر صاحبه
وادخله في جملة عياله وان
احرج احدهم عن الطريقه
ولم يجره وان رجلا منهم
سوء سلطانه سقط عليها
عصفور في ثوب حرير ولم
يشك الناظر انها سلطته
سقط عليها عصفور في
الثوب مدة واد اجتاز به
احد من اصحاب العمل
فادخل الى الملك وأخبر
صاحب العمل فسأل
الاحدب عن العيب فقال
المعارف عند الناس
جميعا انه لا يقع عصفور
على ثيابه الا أمات صاحبه
هذا المعروف له فعلها

قائمة لا يميل فيها وأثبت العصفور رفوقها منتصبا فاخطأ فصدق الاحدب ولم يثب صاحبها بشئ ذلك

ذلك عني حتى تعرف رأيه فيه وكذلك تعود الى فاني أراك فتى شديدا فكن على الخير معينا ومضى عنه الفتى ثم رجع بعد حين وقال يا فقيه قد أجابك أمير المؤمنين الى ما سألت وأمر بفتح باب الصناعة وانتظارك من قبله ومنه خرجت اليك وأمرني بملازمتك مذكرا بالنهوض عند فراغك وقال افعل راشدا وجلس الخصي جانبا حتى أكمل أبو ابراهيم مجلسه ما كمل وأصح ما جرت به عادته غير منزعج ولا قلق فلما انفضضنا عنه قام الى داره فاصلح من شأنه ثم مضى الى الخليفة الحكم فوصل اليه من ذلك الباب وقضى حاجته من لقائه ثم صرفه على ذلك الباب فأعدنا غلاقه على اثر خروجه قال مفرج ولقد تعمدنا في تلك العشية اثر قيامنا عن الشيخ ابي ابراهيم المرور بهذا الباب المعهود اغلاقه بدير القصر الذي تحشم الخليفة به فوجدناه مفتوحا كما وصف الخصي وقد حفنه الخدم والاعوان منزعجين ما بين كناس وفراش وآهبين لانتظار أبي ابراهيم فاشتد عجبنا لذلك وطال تحدثنا عنه انتهى فهكذا تكون العلماء مع الملوك والملوك مع العلماء قدس الله تلك الارواح * ثم توفي الناصر لدين الله ثاني اثوثالث شهر رمضان من عام خمسين وثلثمائة اعظم ما كان سلطانه واعز ما كان الاسلام بملكه (قال ابن خلدون) خلف الناصر في بيوت الاموال خمسة آلاف ألف ألف ثلاث مرات انتهى وقال غيره واحد انه كان يقسم الجباية أثلاثا ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار وأما أخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان وحكي انه وجد بخط الناصر رحمه الله أيام السرور التي صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ويوم كذا من كذا وعدة تلك الايام فكانت أربعة عشر يوما فاعجب ايها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها وتحلها بكمال الاحوال لاوليائها هذا الخليفة الناصر حلف السعود المضروب به المثل في الارتفاع في الدنيا والسعود ملكها خمسين سنة وستة أو سبعة اشهر وثلاثة ايام ولم تصف له الا أربعة عشر يوما فسبحان ذي العزة القائمة والمملكة الدائمة لا اله الا هو ومما ينسب للناصر من الشعر وقيل لابنه الحكم قوله

ما كل شئ فقدت الا * عوضني الله منه شيا
اني اذا ما سمعت خيرى * نسا عدا خير من يديا
من كان لي نعمة عليه * فانها نعمة عليا

ومما زين الله به دولة الناصر وزراؤه الذين من جملتهم ابن شهيد قال في المطمح أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد مفخر الامامة وزين تلك الكلمة وصاحب الناصر عبد الرحمن وحامل الوزارتين على سموها في ذلك الزمان استقل بالوزارة على ثقلها وتصرف فيها كيف شاء على حد نظرها والتفات مقلها فظهر على أولئك الوزراء واشتهر مع كثرة الظراء وكانت امارة عبد الرحمن اسعد امارة بعدها كل نعس بالسوء أمارة فلم يطرقها صرف ولم يرمقها محذور بطرف فقرع الناس فيها هضاب الامانى ورياها ورتعت ظباؤها في ظلال طباها وهو اسد على براثنه رابض وبطل ابدا على قائم سيفه قابض يروع الروم طيفه ويجوس

واحد منهم بيده ولاهل الصين أخبار عظيمة عجيبة ولبلادهم اخبار نظريفة سوردها فيما يرد من هذا الكتاب جملا وان كنا قد أتينا على سائر الاخبار من ذلك في كتابنا اخبار الزمان في الامم الماضية والممالك الداثرة وذكرنا في الكتاب الاوسط جملا لم نتعرض لذكرها في كتاب أخبار الزمان وذكرنا في هذا الكتاب ما لم يتقدم ذكره في ذينك الكتابين والله اعلم

* (ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك واخبار الاندلس وغير ذلك ومعادن الطيب وأصوله وعدد انواعه) *

وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب جملا من ترتيب البحار المتصلة والمنفصلة فلنذكر الآن في هذا الباب جملا من اخبار ما اتصل بنا من البحر الحبشي والممالك والملوك وجملا من ترتيبها وغير ذلك من انواع العجائب فنقول ان بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مياهها غير منفصلة على ما ذكرنا الا أن هيجانها

 ورکودها مختلف لاختلاف مهاب رياحها وآثار ثورانها وغير ذلك فبحر فارس تكثر أمواجه ويصعب

خلال تلك الديار حيه ويروى بل يحسم كل آونة سيفه وابن شهيد يتبع الآراء ويلقحها ويعد تلك الانحاء ويقحها والدولة مشتملة بغنائه متجملة بثنائه وكرمه منتشر على الآمال ويكسو الاولياء بذلك الاجمال وكان له ادب تزهر بجه وتبهر بجه وشعره رقيق لا ينقد ويكاد من اللطافة يعقد فمن ذلك قوله

ترى البدر منها طالعا فكأنما * يجول وشاحاها على لؤلؤ رطب
بعيدة مهوى القرط خطفة الحشى * ومفعمة الخلخال مفعمة القلب
من اللاء لم يرحلن فوق رواحل * ولا سرن يوما في ركاب ولا ركب
ولا أبرزتهن المدام لنشوة * وشدوكما شدوا القيان على الشرب

وكان بينه وبين الوزير عبد الملك بن جهور متولي الامر معه ومشاركه في التدبير اذا حضر مجتمعه منافسة لم تنفصل لهما بها مداخله ولا ملابسة وكلاهما يتربص بصاحبه دائرة السوء ويغص فيه غصص الاقى بالنوء فاجتاز يوما الى بعضه ومال الى زيارته ولم يكن من غرضه فلما استأمر عليه تأخر خروج الاذن اليه فثنى عنانه حنقا من حجابه وضجرا من أحجابه وكتب اليه معرضا وكان يلقب بالحمار

أتيناك لا عن حاجة عرضت لنا * اليك ولا قلب اليك مشوق
ولكن تزورنا بفضل حلومنا * فكيف تلاقي برنا بعقوق

فراجعه ابن جهور ببعض ما كان يشيع عنه بان جده أبا هشام كان بيطارا بالشام بقوله

حجبناك لما زرتنا غير تائق * بقلب عدو في ثياب صديق
وما كان بيطار الشآم بموضع * بشاشر فيه برنا بخليق

ومن شعره قوله يتغزل

حلفت بمن رمى فأصاب قلبي * وقلبه على جمر الصدود
لقد أودى تذكره بقلبي * ولست أشك أن النفس تودى
فقيد وهو موجود بقلبي * فوا عجبا لموجود ففقيد انتهى

وقد تقدم الكلام على هدية ابن شهيد وبعض أخباره رحمة الله عليه ولما توفي الناصر لدين الله تولى الخلافة بعده ولي عهده الحكم المستنصر بالله فجرى على رسمه ولم يعقد من ترتيبه الا شخصه وولى حجابته جعفر الصقلبي وأهدى له يوم ولايته هدية كان فيها من الاصناف ذكره ابن حيان في المقتبس وهي مائة مملوك من الافرنج ناشبة على خيول صافنة كاملوا الشكة والاسلحة من السيوف والرماح والدرق والتراس والفلانس الهندية وثلثمائة وسيف وعشرون درعا مختلفة الاجناس وثلثمائة خوذة كذلك ومائة بيضة هندية وخمسون هندية حشيبة من بيضات الفرنجة من غير الحشب يسمونها الشطانة وثلثمائة حربة افرنجية ومائة ترس سلطانية وعشرة جواشن فضة مذهبة وخمسة وعشرون قرنا مذهبة من قرون الجاموس انتهى * قال ابن خلدون ولاول وفاة الناصر طمع الجلالقة في الثغور فغزا الحكم المستنصر بنفسه وافتتح بلد فرلندين عبد شاب فنازل شنت اشتبين وفتحها عنوة واستباحها ونقل فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا ديه ثم أغزى غالبا مولاه بلاد جليقية

ركوبه عدلين بحر الهند عدا رتجاج بحر الهند واضطراب أمواجه وطلمته وصعوبة ركوبه وولى متقدى صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقرب الاستواء الحريفي ولا يزال في كل يوم تكثر أمواجه الى ان تصير الشمس الى برج الحوت فاشد ما يكون ذلك في آخر الخريف عند كون الشمس في القوس ثم يلين الى أن تعود الشمس الى السنبلة وآخر ما يكون ذلك في آخر الربيع عند كون الشمس في الجوزاء وبحر الهند لا يزال كذلك الى أن تصير الشمس الى السنبلة فيركب حينئذ وأهدأ ما يكون عند كون الشمس في القوس وبحر فارس يركب في ستة اشهر من عمان الى سيراف وهو سبعون وماته فرسخ ومن سيراف الى البصرة وهو أربعون وماته فرسخ ولا يجاوز قوم ركوبه غير مدكر ما من هذين الموضعين ونحوهما وقد حكى أبو معشر المنجم في كتابه المترجم بالمدخل الكبير الى علوم البحر مدكر ما من اضطراب هذه البحار وهدوئها عند كون الشمس فيما ذكرنا من البروج وليس يكاد يفصح من عمان نحو الهند في انتهائه الا مركب معزز وحوالته يسيرة سيما

وسار الى مدينة سالم لدخول دار الحرب فجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباحهم وأوطأ العساكر بلد فردلند ودوّخها وكان شانجة بن ردمير ملك البشكنس قد انتقض فاغزاه الحكم التجيبي صاحب سرقسطة في العساكر وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم وامتنعوا بقورية وعاثوا في نواحيها وقفل ثم أغزى الحكم أحمد بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونة وعاثت العساكر في نواحيها وأغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالبا الى بلاد القومس فعاثا فيها وقفلا وعظمت فتوحات الحكم وقوّادا الثغور في كل ناحية وكان من أعظمها فتنة قلسرية من بلاد البشكنس على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح قطوبيه على يد قائد وشقة وغنم فيه من الاموال والسلاح والاقوات والاثاث وفي بسيطه من الغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبي ما لا يحصى (وفي سنة أربع وخمسين) سار غالب الى بلد الثة ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي المون فابني حصن عرماج ودوّخ بلادهم وانصرف وظهرت في هذه السنة مراكب المجوس في البحر الكبير وأفسدوا بساتين اشبونة وناشهم الناس القتال فرجعوا الى مراكبهم وأخرج الحكم القوّاد لاحتراس السواحل وأمر قائد البحر عبد الرحمن رماحس بتجهيل حركة الاسطول ثم وردت الاخبار بان العساكر نالت منهم من كل جهة من السواحل ثم كانت وفادة اردون بن أدفونش ملك الجلالقة وذلك أن الناصر لما أعان عليه شانجة بن ردمير وهو ابن عمه وهو المملك من قبل اردون وحمل النصرانية على طاعته واستظهر اردون بصهره فردلند قومس قشتيلة توقع مظاهرة الحكم لشانجة كما ظاهره أبوه الناصر فبادر الى الوفادة على الحكم مستجيرا به فاحتفل لقدومه وعبى العساكر ليوم وفادته وكان يوما مشهودا وصفه ابن حيان كما وصف ايام الوفادات قبله ووصل الى الحكم واجلسه ووعده بالنصر من عدوه وخلع عليه وكتب بوصوله ملتميا بنفسه وعاقده على موالاة الاسلام ومقاطعة فردلند القومس واعطى على ذلك صفقة بمينه ورهن ولده غرسية ودفعت الصلات والحملات له ولاصحابه وانصرف معه وجوه نصارى الذمة ليوطدوا له الطاعة عند رعيته ويقبضوا رهنه وعند ذلك بعث ابن عمه شانجة بن ردمير بيعته وطاعته مع وامبس أهل جليقية وسمورة واساقفتهم يرغب في قبول وبيعت بما فعل أبوه الناصر معه فتقبل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون والابراج القريبة من ثغور المسلمين ثم بعث ملكا برشلونة وطركونة وغيرهما يسألان تجديد الصلح واقرارهما على ما كانا عليه وبعثا بهدية وهي عشرون صبيا من الخصيان الصقالبة وعشرون قنطارا من صوف السمور وخمسة مناطير من الخز وعشرة أدرع صقلبية ومائتا سيف فرنجية فتقبل الهدية وعقد على ان يهدموا الحصون التي تضر بالثغور وان لا يظاهروا عليه أهل ملتهم وأن يتذرعوا بما يكون من النصارى في الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل غرسية بن شانجة ملك البشكنس في جماعة من الاساقفة والقوامس يسألون الصلح بعد أن كان توقف واظهر المكر فقد لهم الحكم فاغتبطوا ورجعوا ثم وفد على الحكم أم لذريق بن بلاشك القومس بالقرب من جليقية وهو القومس الاكبر فأخرج الحكم اليها أهل دولته واحتفل لقدومها في يوم مشهود ومشهور فوصلت وأسعفت وعقد السلم لابنها كما رغبت ودفع لها ما لا تقسمه بين وفدها دون ما وصلت به هي

السيارة وهو الشتاء ودوام المطار وكانون وكانون وشباط عندهم صيف وعندهم الشتاء كما يكون عندنا الحر في حزيران وتموز وآب فشتاؤنا صيفهم وصيفهم شتاؤنا وكذلك سائر مدن السند والهند وما اتصل بذلك الى اقاصي هذا البحر ومن شتى في صيف بارض الهند قيل فلان شتى في أرض الهند أي شتى هنالك وذلك لغرب الشمس وبعدها والغوص على اللؤلؤ في بحر فارس وانما يكون في أول تيسان الى آخر أيلول وما عدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيه وقد أتينا على ما سلف من كيفنا عن سائر مواضع الغوص في هذا البحر اذ كان ما عداه من البحار لا لؤلؤ فيه وهو خاص بالبحر الحبشي من بلاد حارك وقطن وعمان وسريديب وغير ذلك من هذا البحر وقد ذكرنا كيفية تكون اللؤلؤ وتنازع الناس في تكوينه ومن ذهب منهم الى ان ذلك من المطر ومن ذهب منهم الى أن ذلك من غير المطر وصفة صدف اللؤلؤ العتيق منه والحديث الذي يسمى باخاور والمعروف بالبلل واللحم في الصدف والشحم وهو حيوان يفرغ ما فيه من اللؤلؤ والدر خوف العاصفة كخوف المرأة على ولدها وقد أتينا على ذكر

وحملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مشملين بالذهب وملحفة ديباج ثم عاودت مجلس الحكم الربداع فعاودها بالصلات لسفرها وانطلقت ثم اوطأ عساكره أرض العدوة من المغرب الاقصى والاوسط وتلقى دعوته ملوك زناتة من مغراوة ومكناسة فبثوها فى اعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ووفد عليه من بنى الحرز وبنى أبى العافية وأجزل صلاتهم واكرم وفادتهم وأحسن منصرفهم واستنزل بنى ادريس من ملكهم بالعدوة فى ناحية الريف واجازهم البحر الى قرطبة ثم جلاهم الى الاسكندرية * وكان محبا للعلوم مكرما لاهلها جامعا للكتب فى انواعها بما لم يجمعه احد من الملوك قبله قال أبو محمد بن حزم اخبرنى قليد الخصى وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بنى مروان ان عدد الفهارس التى فيها تسمية الكتب أربع واربعون فهرسة وفى كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين لا غير واقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت اليه بضائعه من كل قطر * قال ابو محمد بن خلدون ولما وفد على ابيه أبو على القالى صاحب كتاب الامالى من بغداد أكرم مثواه وحسنت منزلته عنده وأورث أهل الاندلس علمه واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه وكان يبعث فى شراء الكتب الى الاقطار رجالا من التجار ويرسل اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يعهدوه وبعث فى كتاب الاغانى الى مصنفه أبى الفرج الاصفهانى وكان نسبه فى بنى أمية وارسل اليه فيه بألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه قبل ان يخرجه الى العراق وكذلك فعل مع القاضى أبى بكر الابهرى المالكى فى شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وأمثال ذلك وجمع بداره الحذاق فى صناعة النسخ والمهرة فى الضبط والاجادة فى التجليد واوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده الا ما ذكر عن الناصر العباسى بن المستضىء ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى أن بيع اكثرها فى حصار البربر وأمر باخراجها وبيعها الحاجب واضح من موالى المنصور بن أبى عامر ونهب ما بقى منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم اياها عنوة انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار * (ولنبسط الكلام على الحكم فنقول) ان الحكم المستنصر اعتلى سرير الملك ثانى يوم وفاة أبيه يوم الخميس وقام بأعباء الملك اتم قيام وانفذ الكتب الى الآفاق بتمام الامر له ودعا الناس الى بيعته واستقبل من يومه النظر فى تمهيد سلطانه وتثقيف مملكته وضبط ثغوره وترتيب أجناده وأول ما احدث البيعة على صفائح قصره القتيان المعروفين بالخلفاء الاكابر لجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم وتكفلوا بأخذها على من وراءهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم وأوصل الى نفسه فى الميل دون هؤلاء الاكابر من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء فبايعوه فلما كملت بيعته اهل القصر تقدم الى عظيم دولته جعفر بن عثمان بالنهوض فى أخيه شقيقه أبى مروان عبيد الله المتخلف بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة وتقدم الى موسى بن أحمد بن حدير بالنهوض ايضا عن أبى الاصبغ عبد العزيز شقيقه الثانى فمضى اليهما كل واحد منهما فى قطيع من الجند وأتيا بهما الى قصر مدينة الزهراء وعند

كيفية الغوص وأن الغاصة الاقوات وما يلحقهم وذكر شئ أصول آدابهم لخروج الغوص من هذا البحر بين البلدين المغربين يجعل عليهما شئ من الدفل أو من القطران يضمهما كالملصاص لا من الخشب ومن يجعل فى آذانهم من القطن فيه شئ من الدهن يعصرمن ذلك الدهن البسير فى الماء فى دعره يضئ له بذلك فى البحر ضياء بينا وما يطلون به أقدامهم وشفاههم من السوادخوفا من بلع دواب البحر اياهم ولتفورها من السواد وصياح الغاصة فى البحر كالكلاب وخرق الصوت الماء فسمع بعضهم صياح بعض وللغواص واللؤلؤ وحيوانه اخبار عجيبة وقد أتينا على جميع أوصاف ذلك وصفات اللؤلؤ وعلاماته واثمانه ومقادير أوقاته فيما سلف من كتبنا فاول هذا البحر مما يلى البصرة والابلة والبحرين من خشاب البصرة ثم بحر لاوى وعليه بلاد حمور وسربارة وثانيه وستدار وكسانه وغيرها من السند والهند ثم بحر مكران كيد ثم بحر كلاه مار وهو بحر كله والجزائر ثم بحر كورنج ثم بحر الصنف واليه يصاف العود الصنفى الى بلاده ثم بحر الصين وهو بحر صجولبس بعده بحر فاول بحار فارس على ما ذكرنا خشاب غيرهما

غيرهما من وجوه الرجال في الخيل لاتيان غيرهما من الاخوة وكانوا يومئذ ثمانية فوافى جميعهم الزهراء في الليل فنزلوا في مراتبهم بفصلان دار الملك وقعدوا في المجلسين الشرقي والغربي وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الاوسط من الابهاء المذهبة القبلية التي في السطح الممزد فاول من وصل اليه الاخوة فبايعوه وأنصتوا للصحيفة البيعة وانثرموا الايمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ثم بايع بعدهم الوزراء واولادهم واخوتهم ثم أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة وقعد الاخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله الاعيسى بن فطيس فانه كان قائما يأخذ البيعة على الناس وقام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة فاصطف في المجلس الذي قعد فيه أكابر الفتيان يمينا وشمالا الى آخر البهو وكل منهم على قدره في المنزلة عليهم الظهائر البيض شعار الحزن قد تقلدوا فوقها السيوف ثم تلاهم الفتيان الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفين منتظمين في السطح وفي الفصلان المتصلة به ذوو الاسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابسين البياض بأيديهم السيوف يتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم وجعابهم ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين في الاسلحة الرائقة والعدة الكاملة وقامت التعبية في دار الجند والترتيب من رجالة العبيد عليهم الجواشن والاقبية البيض وعلى رؤسهم البيضات الصقلبية وبأيديهم التراس الملونة والاسلحة المزينة انتظموا صفين الى آخر الفصل وعلى باب السدة الاعظم البوابون وأعوانهم ومن خارج باب السدة فرسان العبيد الى باب الاقباء واتصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرماة موكبا اثر موكب الى باب المدينة الشارع الى الصحراء فلما تمت البعة أذن للناس بالانفضاض الا الاخوة والوزراء واهل الخدمة فانهم مكثوا بقصر الزهراء الى ان احتمل جسد الناصر رحمه الله الى قصر قرطبة للدفن هنالك في تربة الخلفاء (وفي ذي الحجة من سنة خمسين) تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحكم من البلاد للبيعة والتماس المطالب من اهل طليطلة وغيرها من قواعد الاندلس واصقاعها فتوصلوا الى مجلس الخليفة بمحضر جمع الوزراء والقاضي منذر بن سعيد والملا أخذت عليهم البيعة ووقعت الشهادات في نسخها (وفي آخر صفر من سنة احدى وخمسين) اخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله مولييه محمد اوز يادا ابني أفلح الناصري بكتيبة من الحشم لتلقي غالب الناصري الذي خرجوا اليه صاحب مدينة سالم المورد للطاغية أردون بن أدفونش الخبيث في الدولة المتملك على طوائف من الامم الجلالقة والمنازع لابن عمه المملك قبله شانجة بن ردمير وتبرع هذا اللعين اردون بالمسير الى باب المستنصر بالله من ذاته غير طالب اذنا ولا مستظهر بعهد وذلك عند ما بلغه اعتزام الحكم المستنصر بالله في عامه ذلك على الغزو اليه وأخذه في التأهب له فاحتال في تأميل المستنصر بالله والارتماء عليه وخرج قبل أمان يعقد له أو ذمة تعصمه في عشرين رجلا من وجوه أصحابه تكنفهم غالب الناصري الذي خرجوا اليه فجاءه نحو مولاه الحكم وتلقاهم ابنا أفلح بالجيش المذكور فانزلاهم ثم تحركا بهم ثاني يوم نزولهم الى قرطبة فأخرج المستنصر بالله اليهم هشاما المصحفي في جيش عظيم كامل

الى عمان مسافة ثلثمائة فرسخ وعلى ذلك ساحل فارس وبلاد البحرين ومن عمان وقصبتها سمي سنجار والفرس يسمونها مرون الى المسقط وهي قرية منها يستقي أرباب المراكب الماء من آبار هنالك عذبة خمسون فرسخا ومن المسقط الى رأس الجمجمة خمسون فرسخا وهذا آخر بحر فارس وطوله أربعمائة فرسخ هذا تحديد النواتي وأرباب المراكب ورأس الجمجمة جبل متصل ببلاد اليمن من أرض الشحر والاحقاف والرمل منه نبت البحر لا يدري أين تنتهي غايته في الماء فمن هنالك تنطلق المراكب الى البحر الثاني وهو المعروف بلاوري لا يدري عمقه ولا يحصر طوله وعرضه عند البحريين ور بما يقطع في الشهرين والثلاثة وفي الشهر على قدر مهاب الريح والسلامة وليس في هذه البحار أعمى ما احتوى عليه البحر الحبشي أكبر من هذا البحر بحر لاوري ولا أشد في عرضه بحر الزنج وبلادهم وعنبر هذا البحر قليل وذلك ان

العنبر أكثره يقع على بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب وأهل الشحر اناس من قضاعة وغيرهم من العرب وهم مهرة

انتعيه ورتدوا الى باب قرطبة فمروا بباب قصرها فلما انتهى اردون الى ما بين باب السدة وباب الحنان سأل عن مكان رمس الناصر لدين الله فاشير الى ما بوازى موضعه من داخل السور فى الروضة فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا ثم رد قلنسوته الى رأسه وأمر المستنصر بانزال أردون فى دار انشاءوه وقد كان تقدم فى رشها بضروب الغطاء والوطاء وانتهى من ذلك الى الغاية وتوسع له فى الكرامة ولاصحابه فاقام بها الخميس والجمعة فلما كان يوم السبت تقدم المستنصر بالله باستدعاء أردون ومن معه بعد اقامة الترتيب وتعبية الجيوش والاحتفال فى ذلك من العدد والاسلحة والزينة وقعد المستنصر بالله على سرير الملك فى المجلس الشرقى من مجالس السطح وقعد الاخوة وبنوهم والوزراء والنظراء وهم صفان فى الخامس منهم القاضى منذر بن سعيد والحكام والفقهاء فانى محمد بن القاسم بن طمليس بالملك اردون وأصحابه وعالى لبوسه ثوب ديباج رومى أبيض وبلبوان من جنسه وفى لونه وعلى رأسه قلنسوة رومية منظومة بجوهر وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالاندلس يؤنسونه ويبصرونه فهم وليد بن حيزون قاضى النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة وسيرهما فدخل بين صفى الترتيب يقلب الطرف فى نظم الصفوف ويجيل الفكر فى كثرتها وتظاهر أسلحتها وراثى حليها فراعهم ما أبصروه وصلبوا على وجوههم وتاملوا ناكسى رؤسهم عاضين من اجفانهم حتى وصلوا الى باب الاقباء أول باب قصر ازهراء فترجل جميع من كان خرج الى لقائه وتقدم الملك اردون وخاصته قوامه على دوابهم حتى انتهوا الى باب السدة فأمر القوامس بالترجل هنالك والمشى على الاقدام فترجلوا ودخل الملك اردون وحده راكبا مع محمد بن طمليس فانزل فى بطن البهو الاوسط من الابهاء القبلية التى بدار الجند لى كرسى مرتفع مكسو الاوصال بالفضة وفى هذا المكان بعينه نزل قبله عدوه وصاحبه بشانجة بن ردمير الواقد على الناصر لدين الله رحمه الله تعالى فقعد اردون على الكرسى وقعد أصحابه بين يديه وخرج الاذن لاردون الملك من المستنصر بالله بالدخول عليه فتقدم بمشى وأصحابه يشيعونه الى أن وصل الى السطح فلما قابل المجلس الشرقى الذى فيه المستنصر بالله وقف وكشف رأسه وخلع برنسه وبقى حاسرا عظيما لما بان له من الدنو الى السرير واستنهض فمضى بين الصفين المرتبين فى ساحة السطح الى أن قطع السطح وانتهى الى باب البهو فلما قابل السرير خر ساجدا سويعة ثم استوى قائما ثم نهض خطوات وعاد الى السجود والى ذلك مرارا الى أن قدم بين يدى الخليفة وأهوى الى يده فناوله اياها وكر راجعا منهقرا على عقبه الى وسادة ديباج مثقل بالذهب جعل له هنالك ووضع على قدر عشرة أذرع من السرير يجلس عليه والبهو قد علاه وانهض خلفه من استدنى من قوامه واتباعه قد توا ممتثلين فى تكرير الخضوع وناولهم الخليفة يده فقبلوها وانصرفوا منهقرين فوقفوا على رأس ملكهم ووصل بوصولهم وليد بن حيزون قاضى النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن الملك اردون ذلك اليوم فأطرق الخليفة الحكم عن تكليم الملك اردون اثر قعوده أمامه وقبل كما يفرح روعه فلما رأى أن قد خفض عليه افتتح تكليمه فقال ليسرك افبالك ويغطك تاسيلك فاديناك من حسن رأينا ورحب قبولنا فوق ما قد طلبته فلما

والجبال مشتور من نطعه ويستخرجون العنبر منه فما خرج من بصمه يكون سمكا ويعرفه العطارون بالعراق ترجم

وفارس و الهند وما بقي على ظهر الحوت منه كان نفيا جيدا على حسب لبثه في

ترجم له كلامه اياه تطاول وجه اردون وانحط عن رتبته فقبل الساطو وقال أنا عبد امير المؤمنين مولاي المتورك على فضله القصد الى مجده المحكم في نفسه ورحاله لخيث وضعني من فضله وعوضني من خدمته رجوت ان اتقدم فيه بنية صادقة ونصيحة خالصة فقال له الخليفة أنت عندنا بمحل من يستغني حسن رأينا وسنالك من تعديدنا لك وتفضيلنا اياك على أهل ملتك ما يغبطك وتتعرف به فضل جنوحك الينا واستظلالك بظل سلطاننا فعاد اردون الى السجود عند فهمه مقالة الخليفة وابتهل داعيا وقال ان شاخة ابن عمي تقدم الى الخليفة الماضي مستجيرا به مني فكان من اعزازه اياه ما يكون من مثله من اعاظم الملوك وأكارم الخلفاء لمن قصدهم واملهم وكان مقصده قصدا مضطرا قد شأنه رعيته وأنكرت سيرته واحتاز بني لمكانه من غير سعي مني علم الله ذلك ولا ادعاء اليه فخلعته واخرجته عن ملكه مضطرا مضهدا وتطول عليه رحمه الله بأن صرفه الى ملكه ونوى سلطانه وأعز نصره ومع ذلك لم يتم بمرض النعمة التي اسديت اليه وقصر في أداء المفروض عليه وحقه وحق مولاي امير المؤمنين من بعده واما وقد قصدت باب امير المؤمنين لغير ضرورة من قرارة سلطاني وموضع احكامي محكماته في نفسي ورحالي ومعاقلي ومن تحويه من رعيتي فشأن ما بيننا بقوة الثقة ومطرح الهمة فقال الخليفة قد سمعنا مولاك وفهمنا مغزاك وسوف يظهر من اقراضنا اياك على الخصوصية شأنه ويترادف من احساننا اليك اضعاف ما كان من أبينا رضي الله تعالى عنه الى تذللك وان كان له فضل التقدم بالخضوع الينا والقصد الى سلطاننا فليس ذلك مما يؤثر عنه ولا ينقصك مما أنالك وسنصرفك مغبوطا الى بلدك ونشدا واحي ملكك وعلكك جميع ما انحاش اليك ونعقد لك بذلك كتابا يكون بيدك ونقرر به حد ما بيننا وبين ابن عمك ونقبضه عن كل ما يتصرفه من البلاد الى يدك وسيترادف عليك من افضال التفوق ما احتسبته والله على ما نقول وكيل فكرر اردون الخضوع وأسهب في الشكر وقام للانصراف فقهقر الا ان الخليفة ظهره وقد تكنفه الفتيان من جلة الفتيان وأخرجوه الى المجلس العربي في السطح وقد علاه البهر وأدهله الروع من هول ما باشره وجلالة ما عاينه من فخامة الخليفة وبهاء العزة فلما ان دخل المجلس ووقعت عينه على من بعد أمير المؤمنين حاليا منه انحط ساجدا اعظاما له ثم تقدم الفتيان به الى البهو الذي يجوى هذا المجلس فاجلسوه هنالك على وساد منقل بالذهب وأقبل نحوه الحاجب جعفر فلما بصر به قام اليه وخضع له وأومأ الى تقبيل يده فقبضها الحاجب عنه وانحنى اليه فعانقه وجلس معه فبسطه ووعده من انجاز عدات الخليفة له بما ضاعف سروره ثم أمر الحاجب جعفر فصبت عليه الخلع التي أمر لبها الخليفة وكانت درانعة مسوجة بالذهب وبرساه نلها له لزرة مفرغة من حالص التبر مرصعة بالجوهر والياقوت ملأت عين الغلي تحلت فخر ساجدا وأذن بالدعاء ثم دعا الحاجب احتجابه رجلا رجلا لخلع عليهم على قدر اسنقامهم وتكمل جميع ذلك بحسب ما يليق لهم وخر جميعهم خاضعين شاكرين ثم انطلق الملك اردون وأصحابه وقدم لركابه في أثر البهو الاوسط فرس من عتاق خيل الركاب عليه سرج حلي ولجام حلي مفرغ وانصرف مع ابن طميس الى مصر الرصافة مكان تصييفه وقد أعد له فيه كل ما يصلح لمثله من الآلة والعرش والماعون واستمر

وبين البحر الثالث و هو ركبه والبحر الثاني وهو لاوري على ما ذكر بالجزائر كثيرة وهي قرى بين هذين البحرين ويقال انها نحو من الفي جزيرة وفي قول الحسن ألف وتسعمائة جزيرة كلها عامرة بالناس وملكة هذه الجزائر كلها امرأة وبذلك جرت عادتهم في قديم الزمان لايملكهم رجل والعنبر يوجد في هذه الجزائر أصابقذفه البحر ويوجد في بحرها كاكبر ما يكون من طبع البحر وأخبرني غير واحد من نواخذة السيرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرها من التجار ممن كان يختلف الى هذه الجزائر ان العنبر ينبت في قعر هذا البحر ويكون كما تكون انواع العطر من الابيض والاسود والكمأة والمعاريد وينبات أو نحو ذلك فاذا هاج البحر واشتد قذف من قعره الصخور والاحجار وطبع العنبر وأهل هذه الجزائر منقطعون وكلمتهم واحدة لا يحصرهم العدد لكثرتهم ولا يحصى جيوش هذه الملكة عليهم وبين الجزيرة والجزيرة نحو الميل والفرسخ والفرسخين والثلاثة وحملهم بحر

الساحل لا يتعقد من النخلة الا التمر وقد زعم اناس ممن عنى بتولدات الحيوان وتطعيم الاشجار ان الذكر من النخل

أصحابه فيما لا كفاءة من سعة التصنيف وارغاد المعاش واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعزة الاسلام فيه ما أفاضوا من التبجح به والتحدث عنه أياما وكانت للخطباء والشعراء بمجلس الخلافة في هذا اليوم مقامات حسان وانشادات لاشعار محكمة متقان يطول القول في اختيارها فمن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المرادي من قصيدة حيث يقول

ملك الخلافة آية الاقبال * وسعوده موصولة بنوال
والمسلمون بعزة وبرفعة * والمشركون بذلة وسفال
ألفت بأيديها الاعاجم نحوه * متوقعين لصولة الرئبال
هذا أميرهم أناه آخذا * منه أواصر ذمة وحبال
متواضعا لجلاله متخشعا * منبرعا لما يرع بقتال
سينال بالتأميل للملك الرضا * عزا يعم عداه بالا ذلال
لا يوم أعظم للولاة مسرة * وأشد غبطا على الاقبال
من يوم اردون الذى اقباله * أمل المدى ونهاية الاقبال
ملك الاعاجم كلها ابن ملوكها * والى الرعاة الى الاعاجم والى
ان كان جاء صرورة فلقد أتى * عن عز مملكة وطوع رجال
فالحمد لله المبيد لها منا * حط الملوك بقدره المتعالى
هو يوم حشر الناس الا انهم * لم يسئلوا فيه عن الاعمال
أضحى الفضاء مخيما بجيوشه * والافق أقتم أغبر السربال
لا يهتدى الساري لليل قتامه * الا بضوء صوارم وعوالى
وكأن اجسام الكماة نسر بلت * مذعريت عنه جسوم ضلال
وكأنما العقبان عقدن العلا * منفضة لخطف الضلال
وكأن مقتصب القنا هزة * اشطان نازحة بعيدة جال
وكأنما قيل النجافيف اكتست * نارا تؤججها بلا اشعال

وقال بعض المؤرخين في حق الحكم المستنصر عن فتاه نليد صاحب خزانته العلمية فيما حدث عنه الحافظ أبو محمد بن حزم ان عدة الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر الدواوين فقط انتهى وقد قدمناه عن ابن خلدون ونقله ابن الابار في التكملة * وقال بعض المؤرخين في حق الحكم انه كان حسن السيرة مكرما للقادمين عليه جمع من الكتب ما لا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة حتى قيل انها كانت أربعمائة ألف مجلد وانهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها وكان عالما بما فيها صافي السريرة وسمع من قاسم بن أصبغ وأحمد بن دحيم ومحمد بن عبد السلام الخشني وزكريا بن خطاب وأكثر عنه وأجازله ثابت بن قاسم وكتب عن خلق كثير سوى هؤلاء وكان يستجلب المصنفات من الاقاليم والنواحي باذلا فيها ما أمكن من الاموال حتى ضاقت عنها خزائنه وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك فاتسع علمه ودق نظره ووجت استفادته وكان في المعرفة بالرجال والاخبار والانساب أحد يا نسيج وحده وكان ثقة فيما

وأما أثرت فيه تربة المسجد المتبجح بالقضايا والتجارب ما تؤثره كل بقعة من بقاع الارض وهو نهاية ما وجد من الماء العذب وغيره مما تؤثر البقاع في النامي من النبات وفيما نبس بسم كثير أرض البرك في وجوههم وصغر أعينهم حتى أثر ذلك في جمالهم فقصرت قوائمها وعلظت رقابها وابيض وبرها وأرض باجوج وماجوج في صورهم وغير ذلك مما اذا تبعه ذوو المعرفة في مكان الارض من المشرق والمغرب وجدوه على ما ذكرناه وليس يوجد في جزائر البحر ألطف صنعة من هذه الجزائر في ساتر المهر والصانع في الثياب والآلات وغير ذلك وبيوت أموال هذه المملكة أودع ودلك ان هذا الودع نوع من الحيوان واذا قتل ماتها أمر أهل هذه الجزائر أن يبضعوا من سمك نحل النارجيل نحو صه ويطرحوه على وجه الماء ينزا كب عليه ذلك الحيوان فيجمع ويطرح على رمل الساحل فتحرق الشمس ما فيه من الحيوان ويبقى الودع خالصا مما كان فيه فتحمل من ذلك بيوت الاموال وهذه الجزائر تعرف جميعها بالديبجات ومنها يحمل أكثر الرانج وهو النارجيل

ينقله بهذا وصفه ابن الابار وباضعافه وقال عجبا لابن الفرضي وابن بشكوال كيف لم يذكراه وقلما يوجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة او نصر في اى فن كان ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده لعنايته بهذا الشأن ومما ينسب اليه من النظم قوله

الى الله أشكو من شمائل مسرف * عن ظلوم لابد بن بماذنت
تأت عنه داري فاستزاد دوده * وانى على وجدى القديم كما كنت
ولو كنت أدري أن شوقي بالغ * من الوجد ما بلغته لم أكن بنت

وقوله

عجبت وقد ودعتها كيف لم أمت * وكيف انثنت بعد الوداع يدي معي
فيا ملقى العبرا عليها المكبي دما * ويا كبدي الحرا عليها تقطعي

وتوفي رحمه الله تعالى بقصر قرطبة ثاني صفر سنة ست وستين وثلثمائة لست عشرة سنة من خلافته وكان أصابه الفالج فلزم الفراش الى ان هلك رحمه الله تعالى وكان قد شدد في ابطال الخمر في مملكته شديدا عظيما (وولي بعده ابنه) هشام صغيرا سنه تسع سنين ولا بنا فيه قول ابن خلدون قد ناهز الحلم وكان الحكم قد استوزر له محمد بن أبي عامر ونقله من خطة القضاء الى وزارته وفوض اليه اموره فاستقل قال ابن خلدون وترقت حال ابن أبي عامر عند الحكم فلما توفي الحكم وبويع هشام ولقب المؤيد بعد أن قتل ليلتئذ المغيرة أخو الحكم المرشح لامره تناول القتل به محمد بن أبي عامر هذا بما لأمه من جعفر بن عثمان المصحفي حاجب أبيه وغالب مولى الحكم صاحب مدينة سالم ومن خصيان القصر يومئذ ورؤسائهم فائق وجودر فقتل ابن أبي عامر المغيرة بما لأمه من ذكرونمت البيعة لهشام ثم سعى لابن أبي عامر أهل في التغلب على هشام لما كان به في السن وثاب له رأي في الاستبداد فكر باهل الدولة وضرب بين رجالها وقتل بعضا ببعض وكان من رجال اليمنية من معافر دخل جده عبد الملك مع طارق وكان عظيما في قومه وكان له في الفتح أثر وعظم ابن أبي عامر هذا وغلب على المؤيد ومنع الوزراء من الوصول اليه الا في النادر من الايام يسلمون وينصرفون وأرضخ للجند في العطاء وأعلى مراتب العلماء وقمع أهل البدع وكان داهية عقل ورأي وشجاعة وبصر بالحروب ودين متين ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم وقتل بعضا ببعض كل ذلك عن هشام وخطه وتوقيعه حتى استأصلهم وفرق جموعهم وتوغل مبدأ بالصقالبة الخصيان الخدام بالقصر فحمل الحاجب المصحفي على نكبتهم فنكبهم وأخرجهم من القصر وكانوا تمانمائة او يزيدون ثم اصهر الى غالب مولى الحكم وبالغ في خدمته والتنصح له واستعان به على المصحفي فنكبه ومحا أثره من الدولة ثم استعان على غالب بجعفر بن احمد بن علي بن حمدون صاحب المسيلة وقائد الشيعة ممدوح بن هانئ بالفائية المشهورة وغيرها وهو النازع الى الحكم أول الدولة ومن كان معه من زناتة والبربر ثم قتل جعفرا بما لأمه ابن عبد الودود ابن جهور وابن ذي النون وأمثالهم من أولياء الدولة من العرب وغيرهم ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشحين للرياسة رجع الى الجند فاستدعى أهل العدوة من

وفيها ملوك وفيها معادن من ذهب كثيرة وبلادها بلاد قيظ ورواليها يضاف الكافور العيصوري والسنة التي تكون كثيرة الصواعق والبروق والرجف والقذف والزلازل يكثر فيها الكافور والناس في ذلك كان نقصانا في وجوده وأكثر ما ذكر من الجزائر غذاؤهم النارجيل ويحمل من هذه الجزائر خشب البقم والخيزران والذهب وفيلتها كثيرة ومهاما يأكل لحوم الناس وتحمل هذه الجزائر بالحبوس وهي أمم عجيبة الصور عراة يخرجون في الحروب عند اجتياز المراكب بهم معهم العنبر والرجل منهم يتعاوضون بالحرير وشيء من الثياب ولا يبيعون ذلك بالدراهم ولا بالدنانير وتليهم جزائر يقال لها أبرامان فيها أناس سود عجيبو الصورة والمنظر قدم الواحد منهم أكبر من الدراع لا مراكب لهم فاذا وقع العريق اليهم عاقدا انكسر في البحر أكلوه وكذلك فعلهم بالمراكب اذا وقعت اليهم وذكر لي جماعة من الرواحذة أنهم ربما رأوا في هذا البحر سحابا أبيض قطعا صغارا تخرج

٢٤ ط ل منه لسان أبيض طويل حتى يتصل بماء البحر فاذا اتصل به علا الماء البحر وارتفعت منه زوابع عظيمة

رحال رياسة والبرابرة فرتب منهم جندا واصطنع أولياء وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراوة وبني يعزرو بني يرزال ومكناسة وغيرهم فتغلب على هشام وجرد واستولى على الدولة وملأ الدنيا وهو في حرف بيته من تعظيم الخلافة والخضوع لها وورد الامور اليها وترديد الغزو والجهاد وقدم رجال البرابرة وزناتة وأخر رجال العرب واسقطهم عن مراتبهم فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالامر وبنى لنفسه مدينة لنزل سماها الزاهرة ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة وقعد على سرير الملك وأمر أن يحيا بتحية الملوك وتسمى بالحاجب المنصور ونفذت الكتب والمخاطبات والاوامر باسمه وأمر بالدعاء له على المنابر باسمه عقب الدعاء للخليفة ومحا رسم الخلافة بالجملة ولم يبق لهشام المؤيد من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء على المنابر وكتب اسمه في السكة والطرز وأغفل ديوانه مما سوى ذلك وجند البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على تلك الرتبة وقهر من تطاول اليها من العلية فظفر من ذلك بما أراد ورد العز وبنفسه الى دار الحرب فغزا ستا وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه لم تنتكس له فيها راية ولا فل له جيش وما أصيب له بعث وما هلكت له سرية وأجاز عساكره الى العدوة وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض فاستوثق له ملك المغرب وأخبت له ملوك زناتة وانقادوا لحكمه وأطاعوا سلطانه وأجاز ابنه عبد الملك الى ملوك مغراوة بفاس من آل خزر ولما سخط زيري بن عطية ملكهم لما بلغه ما بلغه من اعلانه بالنيل منه والغض من منصبه والتأوف لحجر الخليفة هشام أودعه عبد الملك سنة ست وثمانين ونزل بفاس وملكها وعقد لملوك زناتة على ممالك المغرب وأعماله من سجلماسة وغيرها وشرد زيري بن عطية الى ناهرت فابعد المغزو وهلك في مفره ذلك ثم قفل عبد الملك الى قرطبة واستعمل واضحا على المغرب وهلك المنصور أعظم ما كان ملكا وأشد استيلاء سنة أربع وتسعين وثلثمائة بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته ودفن هنالك وذلك لسبع وعشرين سنة من ملكه انتهى كلام ابن خلدون وبعضه بالمعنى وزيادة يسيرة ولا باس ان نزيد عليه فنقول مما حكى انه مكتوب على قبر المنصور رحمه الله تعالى

آثاره تنبيك عن أخباره * حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله * ابدا ولا يحمي الثغور سواه

وعن شجاع مولى المستعين بن هود لما توجهت الى أدفونش وجدته في مدينة سالم وقد نصب على قبر المنصور بن ابي عامر سريره وامر اتباعه متكئه الى جانبه فقال لي يا شجاع اما ترى قد ملكت بلاد المسلمين وجلست على قبر ملكهم فال فحملتني الغيرة أن قلت له لو تنفس صاحب هذا القبر وأنت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه ولا استقر بك قرار فهم بي فحالت امرأته بيني وبينه وقالت له صدق فيما قال أيفخر مثلك بمثل هذا * وهذا تلخيص ترجمة المنصور من كلام ابن سعيد قال رحمه الله ترجمة الملك الاعظم المنصور أبي عامر محمد بن عبد الله بن عامر ابن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري من قرية ترکش وعبد الملك جده هو الوافد على الاندلس مع طارق في اول الداخلين من العرب وأما المنصور فقد ذكره ابن حيان في كتابه المخصوص بالدولة العامرية والفتح في المطمح والحجاري في المسهب والقشندي في الطرف

لا ترى بعضه منها بشئ الا أتلفه ١٨٦ ويطرون عقيب ذلك مطارسها كما فيه أنواع من قذى البحر (وأما البحر الرابع) فهو كالهاوية على حسب ما ذكرنا وتفسير ذلك بحر كله وهو بحر قليل الماء واذا قل ماء البحر كان أكثر آفة وأشد خطرا وهو كثير الحيات والضفادع واحدها ضفدع وزعم ان أهل المراكب يسمون بحر الخليجين اذا كان طريقهم فيه الصفر وبهذا البحر أنواع من الحيات والحيل عجيبة وانما غرضنا التنبيه بما ذكر من الاخبار عنها لا البسط وكذلك (البحر الخامس) المعروف بكردع فيه كثير الحيتان والجزائر وفيه الكافور وهو قليل الماء كثير المطر لا يكاد يخلو منه وفيه أجناس من الامم منهم جنس يقال له الفنت شعورهم معلقة وصورهم ومناظرهم عجيبة يتعرضون في قوارب لهم خفاف للمراكب اذا اجتازت بهم ويرمون بنوع من السهام عجيبة قد سقيت السم وبين هذه الامة وبين بلاد كوكه جبال معادن الرصاص الابيض وجبال من الفضة وفيها أيضا معادن من الذهب والرصاص لا يكاد يتميز منه ثم يليه (بحر الصنف) على ما رتبناه آنفا وفيه مملكة المهراج ملك الجزائر وملكه لا يضبط كثرة ولا تحصى جنوده ولا يستطيع أحد

من الناس فى أسرع مايكون من المراكب أن يمر بجزائره فى سنتين وتدحاز هذا

وذكر جميع أن أصله من قرية تركش وأنه رحل الى قرطبه وتأدب بها ثم اقعد كاتبا عند باب القصر يكتب فيه لمن يعن له كتب من الخدم والمراقبين للسلطان الى أن طلبت السيدة صبح أم المؤيد من يكتب عنها فعرفها به من كان يراسليه بالجلوس من فتيان القصر فترقى الى أن كتب عنها فاستحسنه ونبهت عليه الحكم ورغبت فى تشريفه بالخدمة فولاه قضاء بعض المواضع فظهرت منه نجابة فترقى الى الزكاة والمواريث باشبيلية وتمكن فى قلب السيدة بما استماهاه به من التحف والخدمة مالم يتمكن لغيره ولم يقصر مع ذلك فى خدمة المصحفى الحاجب الى أن توفى الحكم وولى ابنه هشام المؤيد وهو ابن اثنتى عشرة سنة فخاشت الروم فجهز المصحفى ابن أبى عامر لقتالهم فنصره الله عليهم وتمكن حبه من قلوب الناس وكان جوادا عاقلا ذكيا استعان بالمصحفى على الصقالبة ثم غالب على المصحفى وكان غالب صاحب مدينة سالم وتزوج ابن أبى عامر ابنته اسماء وكان أعظم عرس بالاندلس ثم بجعفر بن الاندلسى تمدوح ابن هانئ على غالب ثم بعبد الرحمن بن محمد بن هشام التجيبى على جعفر وله فى الحزم والكيد والجلد ما افرد له ابن حيان تأليفا وعدد غزواته المنشأة من قرطبة نيف وخمسون غزوة ولم يهزم له راية وقبره بمدينة سالم فى أقصى شرق الاندلس ومن شعره

رميت بنفسى هول كل عظيمة * وخاطرت والحر الكريم يخاطر
وماصاحبى الاجنان مشيع * وأسمر خطى وأبيض باتر
فسدت بنفسى أهل كل سيادة * وفاخرت حتى لم أجد من افاخر
وماشدت بنيانا ولكن زيادة * على مابنى عبد المليك وعامر
رفعنا العوالى بالعوالى مثلها * وأورثناها فى القديم معافر

وجوده مع صاعد البغدادى اللغوى مشهور وصدر عن بعض غزواته فكتب اليه عبد الملك ابن شهيد وكان قد تخلف عنه

أناشيخ والشيخ يهوى الصبايا * يابنفسى اقبل كل الرزايا
ورسول الاله أسهم فى الغى * فمن لم يحب فيه المطايا

فبعث اليه بثلاث جوار من أجمل السبى وكتب معهن وكانت واحدة أجمل من قوله

قد بعثنا بها كشمس النهار * فى ثلاث من المها أبكار
وامتحنا بعذرة البكران كنت ترجى بوادر الاعذار
فاجتهد وابتدر فانك شيخ * قد جلا ليله بياض النهار
صانك الله من كلالك فيها * من العار كله المسمار

فاقتصهن من ليلته وكتب له بكرة

قد قضينا ختام ذاك السوار * واصطبغنا من النجيع الجارى
وصبرنا على دفاع وحرب * فلعبنا بالدر أو بالدرارى
وقضى الشيخ ماقضى بحسام * ذى مضاء عضب الظبا بتار
فاصطنعه فليس يجزيك كفرا * واتخذه خلا على الكفار

وقدم بعض التجار ومعه كيس فيه ياقوت نفيس فتجرد ليسبح فى النهر وترك الكيس وكان

لاحد من الملوك مالدوما يحمل من بلاد دبتهرس أرضه الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوز والبسباسة والقاقلة والكبابة وغير ذلك مما نذكره وجزائره تتصل بحر لاتدرك غايته ولايعرف منتهاه مما يلى بحر الصين وفى أطراف جزائره جبال فيها أمم كثيرة بيض آدابهم عجزمه ووجوههم كقطع الراس مطرقة يجزون شعورهم كما يجز الشعر من الرقم مدرجا بدرج تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار فنهارها حمراء وبالليل تسود وتلحس بعنان السماء لعلوها ونهارها فى الجو تنفذ بأشد مايكون من صوت الرعد والصواعق وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع ينذر بموت ملكهم وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم قد عرف ماينذر من ذلك بطول العادات والتجارب على قديم الزمان وان ذلك غير مختلف وهذه أحد آطام الارض الكبار وتليها الجزيرة التى يسمع منها على دوام الاوقات أصوات الطبول والسرنايات والعيدان وسائر أنواع الملاهى المطربة المستلذة ويسمع ايقاع الرقص والتصفيق ومن يسمع ذلك ميزه بين كل نوع

أحمر على يديه فرمه محمد أقى مخالبها فجرى تابعها وقد دهل فتغلغلت فى الساتين وانقطعت عن عينه فرجع متحيرا فشكا ذلك الى بعض من يأنس به فقال له صف حالك لابن أبى عامر فتلطف فى وصف ذلك بين يديه فقال تنصر ان شاء الله تعالى فى شأنك وجعل يستدعى أصحاب تلك الساتين ويسأل حدامها عمن ظهر عليه تبديل حال فاخبروه ان شخصا يقال له الزيال اشترى حمارا وظهر من حاله ما لم يكن قبل ذلك فامر بمجيئه فلما وقعت عينه عليه قال له أحضر الكيس الاحمر فملك الرعب قلبه وارتعش وقال دعنى آتى به من منزلى فوكل به من حمله الى منزله وجاء بالكيس وقد نقص منه مالا يقدح فى مسرة صاحبه فخبره ودفعه الى صاحبه فقال والله لاحدثن فى مشارق الارض ومغاربها أن ابن أبى عامر يحكم على الطيور وينصف منها والنعت ابن أبى عامر الى الزيال فقال له لو اتيت به أغنيناك لكن تخرج كفافا لا عقابا ولا ثوابا وتوفى رحمه الله فى غزاته للافرنج بصفر سنة اثنتين وتسعين وثلثمائه وحمل فى سريره على اعناق الرجال وعسكره يحف به وبين يديه الى ان وصل الى مدينة سالم ودامت دولته ستا وعشرين سنة غزا فيها اثنتين وخمسين غزوة واحدة فى الشتاء واخرى فى الصيف انتهى كلام ابن سعيد وفى بعضه مخالفة لبعض كلام ابن خلدون * وقال الفتح فى المطمح فى حق المحفى الحاجب جعفر بن عثمان المحفى ما صورته تجرد للعليا وغمر فى طلب الدنيا حتى بلغ المنى وتسوغ ذلك الجنى ووصل الى المنتهى وحصل على ما اشتهى دون مجد تفرع من دوحته ولا اخ ترشأ بين مغداه وروحته فسما دون سابقة ورمى الى رتبة لم تكن لمعه مطابقة فبلغ بنفسه ونزع عن جنسه ولم يزل يستقل ويطلع وينتقل من مطلع الى مطلع حتى التاح فى افق الخلافة وارتاح اليه معظمها كنشوان السلافة واستوزره المستنصر وعنه قد كان يسمع وبه يبصر وجب الامام وأسكب برأيه ذلك الغمام فادرك لذلك ما أدرك ونصب لامانيه الحبائل والشرك فاقتنى اقتناء مدخر وأزرى بمن سواه وسخر واستعطفه ابن أبى عامر وتجمه عائر فلم يلح وسره مكتوم لم يبح فما عطف ولا جنى من روضة دنياه ولا قطف وأقام فى تدبير الاندلس ما أقام وبرهانه مستقيم ومن الفتن عقيم وهو يجرى من السعد فى ميدان رحب ويباع من العز فى مشرب عذب ويفض ختام السرور وينهض من الملك على لبنة مرور وكان له أدب بارع وخاطر الى نظم القريض مسارع فمن محاسنه التى يهنأ بها ابناس دهره واسعاده وقاله حين ألهته سلامه وسعاده قوله

لعينيك فى قلبى عليك شجون * وبين ضلوعى للشجون فنون
نصيبى من الدنيا هواك وانه * غذائى ولكنى عليه ضنين

وستأتى هذه الترجمة من المطمح الصغير ان شاء الله تعالى بما فيه بعض زيادة ونقصان فى الباب الرابع * وقال فى المطمح فى حق ابن أبى عامر انه غمر بسلاد الشرك أعظم غمر وعم من طواغيتها كل تعرف وتعطرس وغادرهم صرعى البقاع وتركهم أذل من وتد بقاع ووالى على بلادهم الوقائع وسدد الى أكبادهم سهام المعائع وأغص بالحمام أرواحهم ونغص بتلك الآلام بلدورهم ورواحهم ومن أوضح الامور هنالك وأصح الاخبار فى ذلك أن أحد رسله كان كثير الانتياب لذلك الجناب فسار فى بعض مسيراته الى غرسية

والبحريون ممن اجتاز بتلك الديار يزعمون ان الدجال بتلك الجزيرة وفى

من أصوات الملاهى وغيره
ملكة المهرانى جزيرة سريرة
ومسافتها فى البحر نحو
من أربعمائة فرسخ
متصل بها جزيرة الزنج
والرامى وغير ذلك مما لا
يؤتى على ذكره من جزائره
وملكها هو صاحب
(البحر السادس) وهو
بحر الصين ثم (البحر
السابع) وهو بحر الصين
على ما ورد فى الآثار ويعرف
ببحر صيحى وهو بحر جبيث
كثير الموج والحباب وتعسير
الخبب الشدة العظيمة
فى البحر وانما نخبر عن
عبارة أهل كل بحر وما
يستعملونه فى خطابهم وفيه
جبال كثيرة لا يسلم راكب
من النفوذ بينها ثم ان ذلك
البحر اذا عظم خببه وكثر
موجه ظهرت فيه اشخاص
سود طول الواحد منهم نحو
الخمسة أشبار أو الاربعة
كأنهم أولاد الاحابش
الصغار شكلا واحدا وقدا
واحدا فيصعدون على
المراكب ويكثر منهم الصعود
من غير صور فاذا شاهد
الناس ذلك تيقنوا الشدة
وظهورهم علامة للخبب
فيستعدون لذلك فعافى
ومبتلى وربما كان كذلك
ربما شاهد المعافى منهم فى
أعلى الدقل (وتسميه أرباب
المراكب فى بحر الصين وغيره فى البحر الحبشى الدولى وتسميه الرجال فى البحر الرومى الصارى) شيأ

صاحب

صاحب البشكنس هو الى فى اكرامه وتماهى فى بره واحترامه فطالت مدته فلما تهزه الامر عليه متقرحا ولا منزل الا سار عليه معرجا فخل فى ذلك أكثر الكنائس هنالك فبينما هو يجول فى ساحتها ويجيل العين فى مساحتها اذ عرضت له امرأة قريبة الامر نوبة على طول الكسر فكلمته وعرفته بنفسها واعلمته وقالت له أيرضى المنصور أن ينسى بنعمه بؤسها ويتمتع بلبوس العافية وقد نفت لبوسها وزعمت أن لها مدة سنين بتلك الكنيسة محبسة و بكل ذل وصغار ملبسة وناشدته الله فى انهاء قصتها وابراء غصتها واستحلفته باغلظ الايمان وأخذت عليه فى ذلك أوكد المواثيق الرحمن فلما وصل الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه به واعلامه وهو مصغ اليه حتى تم كلامه فلما فرغ قال له المنصور هل وقفت هنالك على أمر أنكرته أم لم تقف على غير ما ذكرته فأعاد عليه بعض المرة وما خرجت عنه اليه وبالمواثيق الذى أخذت عليه فعتبه ولامه على أن لم يبدأ بها كلامه ثم أخذ للجهاد من فوره وعرض من اجناد فى مجده وغوره وأصبح غازيا على سرحه مباهيا مروان يوم مرجه حتى وافى ابن شنجة فى جمعه فأخذت مهابته بصره وسمعه فبادر بالكتاب اليه يتعرف ما الجلية ويحلف له باعظم آلية انه ما جنى ذنبا ولا اجفا عن مضجع الطاعة جنبا فعنف ارساله وقال لهم كان قد عاقدنى أن لا يبنى ببلاده ماسورة ولا ماسور ولو حملته فى حواصلها النسور وقد بلغنى بعد بقاء فلانة المسلمة فى تلك الكنيسة ووالله لانتهى عن أرضه حتى اكنسها فأرسل اليه المرأة فى اثنتين معها وأقسم انه ما أبصرهن ولا سمع بهن وأعلمه ان الكنيسة التى أشار بعلمها قد بالغ فى هدمها تحقيقا لقوله وتضرع اليه فى الاخذ فيه بطوله فاستحيا منه وصرف الجيش عنه وأوصل المرأة الى نفسه وألحق توحشها بأنسه وغير من حالها وعاد بسوا كب نعماه على جدبها واصحالها وحملها الى قومها وكما انها كان شرد من قومها انتهى. وقال فى المطمح أيضا فى حقه ما نصه فزد نابه على من تقدمه وصوته واستحزمه فانه كان أمضاهم سنانا واذكاهم جنانا وأنهم جلالا وأعظمهم استقلالا فآل أمره الى ما آل وأوهم العقول بذلك المآل فانه كان آية الله فى اتفاق سعده وقربه من الملك بعد بعده بهر برفعة القدر واستظهر بالاناة وسعة الصدر وتحرك فلاح نجم الهدوء وتملك فاخفق بارضه لواء عدو بعد خول كابد منه غصصا وشرقا وتعذر ما مول طار دفيه سهرا وأرقا حتى أنجز له الموعود وفرخ له أمام تلك السعود فقام بتدبير الخلافة وأقعد من كان له فيها انافة وساس الامور أحسن سياسة وداس الخطوب باخشن دياسة فانتظمت له الممالك وانفتحت به المسالك وانتشر الامن فى كل طريق واستشعر اليمن بكل فريق وملك الاندلس بضعا وعشرين حجة لم تدحض لسعادتها حجة ولم تزحلق بها لجة لبست فيه البلاد الاشراق وتنفست عن مثل أنفاس العراق وكانت أيامه أحد أيام وسهام بأسه أشد سهام غزا الروم شاتيا وصائفا ومصى فيما يروم زاجرا وعائفا فما رد غير سنيح ولا فاز الا بالمعلى لا بالمنيح فتوغل فى تلك الشعاب وتغلغل حتى راع ليث الغاب ومشى تحت أفنيه صيد القنابل واشتجر فى ظلها بيض الظبا وسمر الذوابل وهو يقتضى الارواح بغير سوم ويقتضى الصفاح على

استقل على أعلى الدقل
برون البحر بهد أو الامواج
تصغر والخب يسكن تحال
ذلك المور يفتعل لا ترى
كيف أقبل ولا كيف
ذهب فذلك علامة الخلاص
ودليل النجاة وما ذكر هنا
تنا كر فيه عند أهل البصرة
وسيراف وعمان وغيرهم
من قطع هذا البحر وا
ذكرناه عنهم هو كن عير
ممتنع ولا واجب اذ كان
جائزا فى مقدور البارئ جل
وعز خلاص بعض عباده من
الهلاك واستنعادهم من
البلاء وفى هذا البحر نوع
من السراطين يخرج من
البحر كالذراع والشبر وأصغر
من ذلك وأكبر فاذا بان
عن الماء بسرعة حركة
وصار على البر صار حجارة
وزالت عنه الحيوانية وبطل
تلك التجارة فى الحال العين
وأدوينها وأمره مستفيض
أيضا ولبحر الصين أيضا
وهو السابع المعروف
بصيحى أخبار عجيبة وقد
أتينا على جمل من اخباره
وأخبار ما اتصل به من البحار
فيما سبق من كتبنا
وأسلفنا من تصنيفنا فى هذا
المعنى ونحن ذاكرون فيما
يرد من هذا الكتاب من
أخبار الملوك جوامع وجمل

من ذلك وليس بعد بلاد الصين مما يلى البحر مما لك تعرف ولا توصف الابلاد السلى وجزائرها ولم يصل اليها من الغرباء

كل روم وينلف من ينساق للخلافة وينقاد ويخضع منهم كل كوكب وقاد حتى استبد وانفرد وأنس إليه من الطاعة ما نفر وشرد وانتظمت له الاندلس بالعدوة واجتمعت في ملكه اجتماع قريش بدار الندوة ومع هذا لم يخلع اسم الخلافة ولم يدع السمع لمخالفته والاجابة ظاهر يخالفه الباطن واسم تنفره مواقع الحكم والمواطن وأذل قبائل الاندلس باجازة البرابر واحمل بهم أولئك الاعلام الاكابر فانه قاومهم بأضدادهم واستكثر من اعدادهم حتى تغلبوا على الجمهور وسلبوا عنهم لظهور ووثبوا عليهم الوثوب المشهور الذي اعاد أكثر الاندلس قفرا يبابا وملاهـ وحشا وذئابا واعراها من الامان برهة من الزمان وعلى هذه الهيئة فهووا بنيه المظفر كما آخر سعد الاندلس وحد السرور بهما والتانس وعزوانه فيهما شائعة الاثر رائعة كالسيف ذي الاثر وحسبه وافر ونسبه معافر ولذا قال يفخر رميت نفسي الابيات وزاد هنا بعد قوله وابيض باتر بيتا وهو

والى لزجاء الجيوش الى الوغى * اسود تلاقيها اسود خوادر

وكانت امه يمنية فحاز الشرف بطرفيه والنحف بطرفيه ولذا قال القسطلي فيه

تلاقت عليه من تميم ويعرب * شموس تلالا في العلا وبدور
من الحمير بين الدين اكفهم * سحائب تهمي بالندى وبحور

وتصرف قبل ولايته في شتى الولايات وجاهر التحدث بمنهى أمره بآيات حتى صح زجره وجاء بصحيح خبره تؤثر عنه في ذلك أخبار فيها عجب واعتبار وكان أديبا محسنا وعالما متفننا في ذلك قوله يمني نفسه بملك مصر والحجاز ويستدعي صدور تلك الاعجاز

منع العين ان تدوق المناما * حبها أن ترى الصفا والمقاما
لي دون بالشرف عند اناس * قد احلوا بالمشعرين الحراما
ان قضوها نالوا الامانى والا * جعلوا دونها النهار قتاما وهياما
عن قريب نرى خيول هشام * يلمع السيل خطوها والشآما

انتهى ما نقله من المطمح * وفي المنصور المذكور ايضا قال بعض مؤرخي المغرب ما زجا كلامه ببعض كلام الفتح بعد ذكر استعانته ببعض الناس على بعض وذكر قتله لجعفر بن عثمان فقال بعده ما صورته ثم انفرد بنفسه وصار ينادي هل من مبارز فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه فانقاد وساعده فاستقام أمره منفردا بالملكة لا سلف له فيها ومن أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينكب قط في حرب شهدها وما توجهت عليه هزيمة وما انصرف عن موطن الا فاتحا غالبا على كثرة ما زاول من الحروب ومارس من الاعداء وواجه من الامم وانها لخاصة ما احسب احدا من الملوك الاسلامية شاركه فيها ومن أعظم ما اعين به مع قوة سعده ونكن جده سعة جوده وكثرة بذله فقد كان في ذلك أعجوبة الزمان وأول ما اتكأ على أرائك الملوك وارتفق وانتشر عليه لواء السعد وخفق حط صاحبه المحسن وأثاره كامن حقده الحسن حتى اصاره للهموم لبيدا وفي غايات السجن حبيسا فكتب اليه يستعطفه بقوله

هبني أسأت فاين العفو والكرم * اذ فاتني نحوك الاذعان والندم

لماء فيطرحون أنفسهم في ذلك الماء لما قد نالهم من شدة الكرب وحر النوشادر ولا يسلك ذلك

ياخير من مدت الايدي اليه أما * ترثي لشيخ رماه عندك القلم
بالغت في الخط فاصفح صفح مقتدر * ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

فازاده ذلك الاحتقار وحقدا وما أفادته الابيات الا تصرما ووقدا فراجعه بما يأسه وأراه مسه وأطبق عليه محبسه وضيق تروحه من المحبة وتنفسه

الآن ياجاهلا زلت بك القدم * تبغي التكرم لما فاتك الكرم
أغريت بي ملكا لولا تثبته * ما جاز لي عنده نطق ولا كلم
فايأس من العيش اذ قد صرت في طبق * ان الملوك اذا ما استفقموا انقموا
نفسي اذا سخطت ليست براضية * ولو تشفع فيك العرب والعجم

وكان من أخباره الداخلة في أبواب البر والقربة بنيان المسجد الجامع الى أن قال ومن ذلك بناؤه قنطرة على نهر قرطبة الاعظم ابتدأ بناءها المنصور سنة ثمان وسبعين وثلثمائة وفرغ منها في النصف من سنة تسع وسبعين وانتهت النفقة عليها الى مائة ألف دينار واربعين ألف دينار فعظمت بها المنفعة وصارت صدرا في مناقبه الجليلة وكانت هنالك قطعة أرض لشيخ من العامة ولم يكن للقنطرة عدول عنها الا أمر المنصور أمناءه بارضائه فيها فحضر الشيخ عندهم فساوموه بالقطعة وعرفوه وجه الحاجة اليها وأن المنصور لا يريد الا انصافه فيها فرماهم الشيخ بالغرض الاقصى عنده فيما ظنه أنها لا تخرج عنه بأقل من عشرة دنانير ذهبا كانت عنده أقصى الامنية وشرطها صحاحا فاغتنم الامناء غفلته ونقدوه الثمن وأشهدوا عليه ثم أخبروا المنصور بخبره ففحك من جهالته وأنف من غبنه وأمر أن يعطى عشرة أمثال ما سأل وتدفع له صحاحا كما قال ففبض الشيخ مائة دينار ذهبا فكاد أن يخرج من عقله وان يجن عند قبضها من الفرح وجاء محتفلا في شكر المنصور وصارت قصته خبرا سائرا (ومن ذلك أيضا) بناء قنطرة على نهر أستجة وهو نهر شنيل وتحشم لها أعظم مؤنة وسهل الطريق الوعرة والشعاب الصعبة (ومن ذلك أيضا) انه خط بيده مصحفا كان يحمله معه في أسفاره وغزواته يدرس فيه ويتبرك به ومن قوة رجائه أنه اعتنى بجمع ماء لمى بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازله حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد بتصييره في حنوطه وكان يحملها حيث سار معه كما نه توقعا لحلول منيته وقد كان اتخذ الاكفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل بناته وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد فكان كذلك وكان متسما بصحة باطنه واعترافه بذنبه وخوفه من ربه وكثرة جهاده واذا ذكر بالله ذكر واذا خوف من عقابه ازدجر ولم يزل متنزها عن كل ما يفتتن به الملوك سوى الخمر لكنه أقلع عنها قبل موته بسنتين وكان عدله في الخاصة والعامة وبسط الحق على الاقرب فالاقرب من خاصته وحاشيته أمرا مضروبا به المثل * (ومن عدله) انه وقف عليه رجل من العامة بمجلسه فنادى يا ناصر الحق ان لي مظلمة عند ذلك الوصيف الذي على رأسك وأشار الى الفتى صاحب الدرقة وكان له فضل محل عنده ثم قال وقد دعوته الى الحاكم فلم يأت فقال له المنصور أو عبد الرحمن بن القطيس بهذا العجز والمهانة وكما ظنه أمضى من ذلك اذكر مظلمتك يا هذا فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما

كان الشتاء وكثر الثلوج والابداء وقع في ذلك الموضع فأطفأ حر النوشادر ماءه فسلك الناس حينئذ ذلك الوادي والبهائم لا صبر لها على ما ذكرناه من حره وكذلك من ورد من بلاد الصين فعل به كذلك من الضرب الذي فعل بالماضي والمسافة من بلاد خراسان على الموضع الذي ذكرناه الى بلاد الصين نحو من أربعين يوما عامر وغير عامر وديماس ورمل وفي غير هذه الطريق مما يسلكه البهائم نحو من أربعة أشهر اه أن ذلك في حفارات أنواع من الترك وقد رأيت بمدينة طراز شيحا جميلا اذا رأى وهم وقد دخل الصين مرارا كثيرة ولم يركب البحر قط ورأيت عدة من الناس ممن سلك على جبال الرونادر الى أرض التبت والصين بلاد خراسان والسند ما يلي بلاد المنصورة والملتان والقوافل متصلة من السند الى خراسان وكذلك الى الهند الى أن تتصل هذه الديار ببلاد ارسلستان وهي بلاد واسعة تعرف بمملكة فيروزبن كبك وفيها أقوام عجيبة ممتنعة ولغات مختلفة وأمم كثيرة وقد تنازع الناس في أسمائهم فمنهم من ألحقهم بولد يافث بن نوح ومنهم من ألحقهم بالفرس الاولى في نسل طويل وبلاد التبت مملكة متميزة من بلاد الصين والتغاب

منهم اما من يرتصف فقال المنصور ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية ثم نظر الى الصقلبي وقد ذهل عقله وقال له ادفع الدرقة الى فلان وانزل صاغرا وساوخصمك فى مقامه حتى يرفع الحق أو يصطلحا وفعل ومثل بين يديه ثم قال لصاحب شرطته الخاص به خذ بيده هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره ففعل ذلك وعاد الرجل اليه شاكرا فقال له المنصور قد انتصفت أنت اذهب لسبيلك وبقى الانصاف فى أيامن تهاون بمن اتى فتناول الصقلبي بانواع من المذلة وأبعده عن الخدمة * (ومن ذلك) قصة فتاة الكبير المعروف بالبوري مع التاجر المغربي فانهما تنازعا فى خصومة توجهت فيها اليمين على الفتى المذكور وهو يومئذ أكبر خدم المنصور والده أمر داره وحرمه فدافع الحاكم وظن أن جاهه يمنع من احلافه فصرخ التاجر بالمنصور فى طريقه الى الجامع متظلما من الفتى فوكل به فى الوقت من حمله الى الحاكم فأنصفه منه وسخط عليه المنصور وقبض بعضه منه ونفاه * (ومن ذلك) قصة محمد وعباد المنصور وخادمه وأمنه على نفسه فان المنصور احتاجه يوما الى الفصد وكان كثير التعهد له فأنفذ رسوله الى محمد وألفاه الرسول محبوسا فى سجن القاضي محمد بن روب لحيف ظهر منه على امرأته قد رأى أن سبيله من الخدمة يحميه من العقوبة فلما عاد الرسول الى المنصور بقصته أمر باخراجه من السجن مع رقيب من رجاله السجن يلزمه الى أن يفرغ من عمله عنده ثم يرده الى محبسه ففعل ذلك على ما رسمه وذهب العباد الى شكوى ما نابه فقطع عليه المنصور وقال له يا محمد انه القاضي وهو فى عدله لم يأخذني بالحق وما أطلقت الامتناع منه عد الى محبسك واعترف بالحق فهو الذي يطلقك فسكن الحاجم وزالت عنه وربته العناية وبلغت قصته للقاضي وصالحه مع زوجته وزاد القاضي شدة فى أحكامه * وقال ابن حيان انه كان جالسا فى بعض الليالي وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر فدعا بأحد الفرسان وقال له انهض الآن الى موضع طاس وأقم فيه فأول حاضر يحضر عليك سعه الى قال فنهض الفارس وبقى فى الفيح فى البرد والريح والمطر واقفا على فرسه اذ وقف عليه ضرب المجر شيخ هرم على حماره ومعه آلة الحطب فقال له الفارس الى أين تريد يا شيخ فقال وراء الحطب فقال الفارس فى نفسه هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حظا فما دا سى أن يريد المنصور منه قال فتركته فسار عني قليلا ثم فكرت فى قول المنصور وخفت سطوته فنهضت الى الشيخ وقلت له ارجع الى مولانا المنصور فقال له وما دا عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي سألتك بالله أن تتركني أذهب لطلب معيشتي فقال له الفارس لا أفعل ثم لدم به على المنصور ومثله بين يديه وهو جالس لم ينم ليلته تلك فقال المنصور للصقالبة فتشوه فتشوه فلم يجدوا معه شيأ فقال فتشوا بردعة حماره فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى أصحابهم من النصارى لمصر براويتطلعوا الى احدى النواحي الموطومة فلما انبلج الصبح أمر باخراج أولئك النصارى الى باب ابراهيرة فضربت أعناقهم وضربت رقبة الشيخ معهم ثم ذكر هذا المؤرخ قصة الجوهري التي قدمنا نقلها من مغرب ابن سعيد ولكنا رأينا اعادتها بلفظ هذا المؤرخ لانه أتم سياقا فقال عطفا على دهائه ومن ذلك قصة الجوهري التاجر وذلك ان رجلا

جوهريا

جوهريا من تجار المشرق قصد المنصور من مدينة عدن بجوهر كثير وأحجار نفيسة فاخذ المنصور من ذلك ما استحسنه ودفع الى التاجر الجوهري صرته وكانت مطمئنة فاخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شط النهر فلما توسطها اليوم قائظ وعرق منصب دعته نفسه الى التبرد في النهر فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط وترجد أة فاختطفت الصرة لتحسبها لحما وصاعدت في الافق بها ذاهبة فقطعت الافق الذي نظر اليه عين التاجر فقامت قيامته وعلم انه لا يقدر أن يستدفع ذلك بحيلة فأسر الحزن في نفسه ولم يعلم لاجل ذلك على اضطراب فيها وحضر الدفع الى التجار فحضر الرجل لذلك بنفسه فاستبان للمنصور بسائر جمل من المهانة والكآبة وفقدها كان عنده من النشاط وشدة العارضة فسأله المنصور عن شانه فاعلمه بقصته فقال له هلا أتيت الينا بحدثان وقوع الامر فكنا نستظهر على الحسبة بل هديت الى الناحية التي أخذ الطائر اليها قال مرمشرفا على سمت هذا الجبل الذي يلي قصرك يعني الرملة فدعا المنصور شرطيه الخاص به فقال له جئني بخفيفة أهل الرملة الساعة فمضى وجاءهم سريعا فامرهم بالبحث عمن غير حال الاقلال منهم سريعا وانتقل عن الاضافة دون تدريج فتناظروا في ذلك ثم قالوا يا مولانا ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بايديهم ويتناولون السبق باقدامهم بجراعن شراء دابة فابتاع اليوم دابة واكتسى هو وولده كسوة متوسطة فامر باحضاره من الغد وأمر التاجر بالغدو الى الباب فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور فاستدناه والتاجر حاضر وقال له بسبب ضياع متاعك اليك ما فعلت به قال هو ذا يا مولاي وضرب بيده الى حجزة سراويله فاخرج الصرة بعينها فصاح التاجر فرحا وكاد يطير فرحا فقال له المنصور صف لي حديثها فقال بينما أنا أعمل في جنابي تحت نخلة اذ سقطت أمامي فاخذتها وراقني منظرها فقلت ان الطائر اختلسها من قصرك لعرب الجوار فاجتزت بها ودعتني فاقتي الى أخذ عشرة مثاقيل عينا كانت معها مصرورة وقلت قل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها فاعجب المنصور ما كان منه وقال للتاجر خذ صرتك وانثرها واصدقني عن عددها ومعلم وقارحق رأسك يا مولاي ما ضاع منها شئ سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبتها له فقال له المنصور نحن أولى بذلك منك ولا نتعرض عليك فرحلك ولولا جمعه بين الاصرار والافرار لكان ثوابه موفورا عليه ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضا من دنانيره وللجمالي بعشرة دنانير ثوابا لتأنيه عن فساد ما وقع بيده وقال لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لاوسعناه جزاء قال فاخذ التاجر في الثناء على المنصور وقد عاوده نشاطه وقال والله لا بين في الاقطار عظيم ملكك ولا بين أن ملكك طير أعمالك كما ملك أنفسها فلا تعتصم منك ولا تمتنع ولا تؤدي جارك فضحك المنصور وقال اقصدي في دولتك يغفر الله لك وعجب الناس من تلطف المنصور في أمره وحيلته في تعريف كربه * (ومن ذلك) غزوه المنصور لمدينة شنت ياقب [٣] فاصية غليسية وأعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الاندلس وما يتصل بها من الارض الكبيرة وكانت كعبتها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا وللكعبة المثل الاعلى فيها يحلمون واليها يحجون من اقصى بلاد رومة وما وراءها ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقب الحواري أحد الاثني عشر وكان أخصهم بعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهم يسمونه

وقد ذكر عبد الجليل بن علي الخراعي بذلك في قصيدته التي يناقض فيها الاكميت ويفخر بقحطان على نزار وهل وهم كتبوا الكتاب بنو مروان

وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا السهام بسمرقند
وهم غرسوا هناك التينا

وسنذكر في باب اخبار ملوك اليمن طرفا من اخبار ملوكهم ومن طاف منهم البلاد وبلاد التبت متاخمة لبلاد الصين وأرضها من احدى جهاته ولارض الهند وخراسان ولما وراء الترك ولهم مدن وعمائر كثيرة ودولة متسعة وقوة وقد كانوا في قديم الزمان يسمون ملوكهم تبعا لاتباع اسم تبع ملك اليمن ثم ان الدهر ضرب ضربانه وغيرت لعاديهم عن الخير به وحالت الى لعنة تلك البلاد عن جاورهم من الامم وسموا ملوكهم بخاقان وفي بلادهم الارض التي بها طباء المسك الندي الذي يفصل على الصدى بجهتين احداهما ان طباء التبت ترعى سبل الطيب وانواع الافاويه وطباء الصين ترعى الحشيش دون ما ذكرنا من انواع حشائش الطيب التي ترعاها الندية والجهة الاخرى ان اهل التبت لا

٢٥ ط ل يتعرضون الى احراج المسك من نوافجه ويتركونه على ما هو به واهل الصين يخرجونه عن النوافج

٣ قوله ياقب الذي في تقويم البلدان لابي الفداء ياقو اه مصححه

اخاه للزومه اياه و ياقب باسمهم يعقوب وكان أسقفا ببيت المقدس فجعل يستقرى الارضين داعما لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى أرض الشام فمات بها وله مائة وعشرون سنة شمسية فاحتمل أصحابه رمته فدفنوها بهذه الكنيسة التى كانت أقصى أثره ولم يطمع أحد من ملوك الاسلام فى قصدها ولا الوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبعد شقتها فخرج المنصور اليها من قرطبة غازيا بالصائفة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثلثمائة وهى غزوته الثامنة والاربعون ودخل على مدينة قورية فلما وصل الى مدينة غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمسكين بالطاعة فى رجالهم وعلى أتم احتفالهم فصاروا فى عسكر المسلمين وركبوا فى المعاونة سبيلهم وكان المنصور تقدم فى انشاء اسطول كبير فى الموضع المعروف بقصر أبى دانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجالة البحريين وصنوف المترجلين وحمل الاقوات والاطعمة والعدة والاسلحة استظهارا على نفوذ العزيمة الى أن خرج بموضع برتقال على نهر دويرة فدخل فى النهر الى المكان الذى عمل المنصور على العبور منه فعقد هنالك من هذه الاسطول جسرا بقرب الحصن الذى هنالك ورجه المنصور ما كان فيه من الميرة الى الجند فتوسعوا فى التزود منه الى أرض العدو ثم نهض منه يريد شنت ياقب فقطع أرضين متباعدة الاقطار ومطع بالعبور عدة أنهار كبار وحلجان يمدها البحر الاخضر ثم أفضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليلة من بلاد قرطاس وما يتصل بها ثم أفضى الى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه ولا طريق لم يهتد الادلاء الى سواه فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه فقطعه العسكر وعبر وابعده وادى منية وانبسط المسلمون بعد ذلك فى بسائط عريضة وأرضين وانتهت مغيرتهم الى دير قشتان وبسيط بلنبو على البحر المحيط وفتحوا حصن شنت بلايه وغنموه وعبروا بساحته الى جزيرة من البحر المحيط لجأ اليها حلق عظيم من أهل تلك النواحى فسبوا من فيها ممن لجأ اليها وانتهى العسكر الى جبل مراسية المتصل من اكثر جهاته بالبحر المحيط فغلغلوا أقطاره واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليجا فى معبرين أرشد الادلاء اليهما ثم نهر أبلة ثم افضوا الى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد ياقب صاحب العبر تلو مشهد قبره عند النصارى فى الفصل يقصدونه اكثرهم لمن أقاصى بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرهما فغادره المسلمون قاعا وكان النزول بعده على مدينة شنت ياقب البائسة وذلك يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شعبان فوجدها المسلمون خالية من أهلها فحاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها وعفوا آثارها ووكل المنصور بتبر ياقب من يحفظه ويدفع الادى عنه وكانت مصانعها بديعة محكمة فغودرت هشيما كأن لم تغن بالامس وانتسفت بعد ذلك سائر البسائط وانتهت الجيوش الى مدينة شنت مانكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط وهى غايته لم يبلغها قبلهم مسلم ولا وطئها لغير أهلها اقدم فلم يكن بعدها للخيل مجال ولا وراءها انتقال وانكفأ المنصور عن باب شنت ياقب وقد بلغ غايته لم يبلغها مسلم قبله فجعل فى طريقه القصد على عمل برمندن اردون يستقر به عائثا ومفسدا حتى وقع فى عمل القوامس المعاهدين الذين فى عسكره فامر بالكف عنها ومر مجتازا حتى

ويلحق العشر بالدم وغيره من وكثرة الادواء واختلاف الاهوية وان عدم من اهل الصين تعيش فى مسافتهم وأودع برانى الرياح واحكم وأورد الى بلاد الاسلام من خمان وفارس والعراق وغيرها من الامصار كان كالبتى واجود المسك وصيبه ما خرج من الضاء بعد بلوغه النهاية فى الصحة وذلك انه لا فرق بين غزلان المسك فى الصورة والشكل والالوان والقرن وانما تتبين تلك بأسباب لها كانساب الفيلة لكل طى فبان حار خان من العكس قاتمان منتصبان نحو الشبر وأقل وأكثر فتنصب لها فى بلاد التبت والصين الحبائل والاشراك وانشبالك فيعاد ونها ويعاروها بالسهام فيصرعونها فيقصعون عنها نوافجها والدم فى سررها حار لم يضج وطرى لم يدرك فيكون لرائحته سهوكة فيبقى زمانا حتى تزول منه تلك الرائحة الكريهة ويستحيل بعوادى من الهواء فيصير مسكا وسبيل ذلك سبيل الثمار اذا أبينت عن الاشجار وقطعت قبل ان تكمل نضجها فى شبرها واستحكام مواسمها وخير المسك ما نضج فى وعائه وأدرك فى سره واستحكم فى حيوانه وتمام مواده فى ذلك أن

خرج على حسن بليغة من افتتاحه فاجازها لك القوامس بجملتهم على أفدادهم وكساهم وكسا رجالهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بليغة وكان مبلغ ما كساه في غزاته هذه الملوك الروم ولمن حسن ثناؤه من المسلمين ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي واحدى وعشرين كساء من صوف البحر وكساء من عبرين وأحد عشر سقلاطونا وخمس عشرة مريشا وسبعة أنماط ديباج وثوب ديباج رومي وفروي ملك ووافى جميع العسكر قرطبة غانما وعظمت النعمة والمنة على المسلمين ولم يجد بشنت ياقب الا شيحا من الرهبان جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال اونس يعقوب فامر بالكف عنه قال وحدث شعلة قال قلت للمنصور ليلة اطال سهره فيها قد أفرطت ولا نافي السهر وبدنه يحتاج الى أكثر من هذا النوم وهو أعلم بما يحركه عدم النوم من علة العصب فقال ياشعلة الملك لا ينام اذا نامت الرعية ولو استوفيت نوما لما كان في دور هذا البلد العظيم عين تأنة انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور * وقد رأيت أن أذكر هنا أخبارا نقلتها من كتاب الازهار المنثورة في الاخبار المأثورة (قال في الزهرة التاسعة والعشرين) تقدم الى المنصور واتر مار بن أبي بكر البربري والي أحد جنود المعاريب وقد جلس للعرض والتمييز والميدان عاص بالناس فقال له بكلام يضحك الثكلى يا مولاي مالي ولك أسكني فاني في الفحص فقال وما دالك ياواتر مار وأين دارك الواسعة الاقطار فقال أخرجتني عنها والله نعمتك اعطيتني من الضياع ما انصب على منها من الاطعمة ما ملأ بيوتي وأخرجني عنها وأنا بربري مجوّع حديث عهد بالبؤس اترانى أبعد القمح عمى ليس ذلك من رأيي فتطلق المنصور وقال لله درك من فدعي لعيلك في شكر النعمة ابلغ عندنا وآخذ بقلوبنا من كلام كل أشدق متزيد وبليغ متفنن وأقبل على من حوله من أهل الاندلس فقال يا أصحابنا هكذا فلتشكر الايادي وتستدام النعم لا ما أنتم عليه من الجحد اللازم والتشكي المبرح وأمر له بافضل المنازل الخالية * (وفي الموفية ثلاثين) ما نصه أصبح المنصور صبيحة أحد وكان يوم راحة للخدمة الذي أعفو افيه من قصد الخدمة في مطر وابل غب أيام مثله فقال هذا يوم لا عهد بمثله ولا حيلة للواطبين لقصدنا في مكابدته فلبيت شعري هل شذ أحد منهم عن التقرير فاغرب في البكور اخرج وتأمل يقوله لحاجبه فخرج وعاد اليه ضاحكا وقال يا مولاي على الباب ثلاثة من البرابرة ابو الناس بن صالح واثنان معه وهم بحال من البلل انما توصف بالمشاهدة فقال أوصلهم الي وعجل بدخولهم عليه في حال الملاح بالملا ونداوة فضحك اليهم وادنى مجلسهم وقال خبروني كيف جئتم وعلى أي حال وصلتم وقد استكان كل ذي روح في كنه ولاذ كل طائر بوكره فقال له أبو الناس بكلامه يا مولانا ليس كل التجار قعد عن سوقه واداعذر التجار على طلب الربح بالملوس فنحن أعذر بادرا كما بالبدر ومن غير رؤس الاموال وهم يتناوبون الاسواق على أفدامهم ويذيلون في قصدها ثيابهم ونحن ناتيك على خيلك ونذيل على صهواتها ملابسك ونجعل الفضل في قصدك مضمونا اذ جعلته أولى طمعا ورجاء فترى لنا أن نجلس عن سوقنا هذا فضحك المنصور ورد عابا لكسا والصلات فدفعت لهم وانصرفوا مسرورين بغدوتهم * (وفي الزهرة الرابعة والاربعين) ما نصه كان بقرطبة على عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر فتى من أهل الادب قد رقت

الصخور والاحجار الحارة من حر الشمس فيتلك بها مستلد ابدلك فينفجر حينئذ ويسيل على تلك الاحجار كانهار الخراج والدمل ونضج ما فيه عند ترادف المواد عليه فيجد لخروجه لذة فاذا فرغ ما في ناحيته اندمل حينئذ ثم اندفعت اليه مواد من الدم ويجتمع ثانية ككونه بدأ فتخرج رجال التبت يقصدون مراعيها بين تلك الاحجار والجبال فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور والاحجار وقد أحكمته المواد وانضجته الطبيعة في حيوانه وجففته الشمس وأثرت به الهواء فيأخذونه فذلك أفضل المسك فيودعونه نوافج معهم قد أخذوها من غزلان قد اصطادوها مستعدة معهم فذلك الذي تستعمله ملوكهم وينهادونه بينهم ويحمله التجار في النار دمن بلادهم والتبت ذو مدن كثيرة فيضاف مسك كل ناحية اليها وقد انقادت الى ملكه ملوك الصين والترك والهند والزنج وسائر ملوك العالم وان منزلته فيها كمنزلة القمر في الكواكب لان اقليمه أشرف الاقاليم

ولانه أكثر الملوك مالا وأحسنهم طبعا وأكثرهم سياسة وأتمهم قدما وهذا وصف ملوك هذا الاقليم فيما مضى الى هذا

حاذق لسلب وعلق بكتاب العمر واختلف الى الخزانة مدة حتى تلد بعض الاعمال فاستهلك كثيرا من المال فلما ضم الى الحساب ابرز عليه ثلاثة آلاف دينار فرفع خبره الى المنصور فامر باحضاره فلما مثل بين يديه ولزم الاقرار بما برز عليه قال له يا فاسق ما الذي جرأك على مال السلطان تنتهبه فقال قضاء غلب الرأي وفقر أفسد الامانة فقال المنصور والله لاجعلنك نكالا لغيرك ليحضر كبل وحدادا فاحضر فكبل الفتى وقال احملوه الى السجن وامر الضابط بملازمته والشدة عليه فلما قام أنشأ يقول

اواه أواه ولكن ذا ارى * أكثر من تكراراواه
مالامرئ حول ولا قوة * الحول والقوة لله

فقال المنصور ردوه فلما رد قال أعثلت أم قلت قال بل قلت فقال حلوا عنه كبله فلما حل عنه أنشأ يقول

أما ترى عفو أبي عامر * لابد ان يتبعه منه
كذلك الله اذا ما عفا * عن عبده أدخله الجنه

فأمر باطلاقه وسوغه ذلك المال وأبرأه من التبعة فيه * (وفي الخامسة والاربعين) عرض على المنصور بن أبي عامر اسم أحد خدمه في جملة من طال سجنه وكان شديد الحقد عليه فوقع على اسمه بان لا سبيل الى اطلاقه حتى يلحق بامه الهاوية وعرف الرجل بتوقيعه فاهتم واغتم وجهد نفسه في الدعاء والمناجاة فأرق المنصور اثر ذلك واستدعى النوم فلم يقدر عليه وكان يأتيه عند تنومه آت كريه الشخص عنيف الاخذ يامره باطلاق الرجل ويتوعده على حبسه فاستدفع شأنه مرارا الى أن علم ان نذير من ربه فانتقد لامره ودعا الدواة في مرقده فكتب باطلاقه وقال في كتابه هذا طليق الله على رغم أنف ابن أبي عامر وتحدث الناس زمانا بما كان منه * (وفي السادسة والاربعين) ما نصه انتهت هيبة المنصور بن ابي عامر وضبطه للجند واستخدام ذكور الرجال وقوام الملك الى غاية لم يصلها ملك قبله فكانت مواقفهم في الميدان على احتفال مثلا في الاطراق حتى ان الخيل لتتمثل اطراق فرسانها فلا تكثر الصهيل والحمحمة ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد سله بعض الجند بأقصى الميدان لهزل أو جد بحيث ظن ان لحظ المنصور لا يناله فقال على بشاهر السيف مثل بين يديه لوقته فقال ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن اذن فقال اني أشرت به الى صاحبي معتمدا فدلق من عمده فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودي عليه بذنبه * (وفي السابعة والاربعين) ان المنصور كان به داء في رجله واحتاج الى الكي فأمر الذي يكويه بذلك وهو قاعد في موضع مشرف على أهل مملكته فجعل يأمر وينهى ويفري الفري في أموره ورجله تكوى والناس لا يشعرون حتى شموا رائحة الجلد واللحم فتعجبوا من ذلك وهو غير مكترث * (وأخباره رحمه الله تعالى) تحتمل مجلدات فلنمسك العنان على أنا ذكرنا في الباب الرابع والسادس من هذا الكتاب جملة من أخباره رحمه الله تعالى فلتراجع الى آخره * (وفي الثامنة والاربعين) وكان مما أعين به المنصور على المضي في ميل الوزراء اليه وايثارهم اياه عليه وسعيهم في

أوقات وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وكانوا يلقبون هذا الملك شاه وتفسيره ملك الملوك ومنزلته في العالم كمنزلة القلب من جسد الانسان والواسطة من القلادة ثم يتلوه ملك الهند وهو ملك الحكمة وملك الفيل لان عديدهم الاكثر ان الحكمة من الهند بدؤها ثم يتلوه في المرتبة ملك الصين وهو ملك الرعاية والسياسة واتقان الصنعة وليس في ملوك العالم أكثر رعاية ونفقدا من ملك الصين لرعيته من جنده وعوامه وهو ذو بأس شديد وقوة ومنعة له الجنود المستعدة والاكراع والسلاح ويرزق جنده كعمل ملوك بابل ثم يتلوه ملك الصين ملك من ملوك الترك صاحب مدينة كوسان وهو ملك الثغر غير من الترك ويدعى ملك السباع وملك الجبل اذ ليس في ملوك العالم أشد بأسا من رجاله ولا أشد استشعارا منه على سفك الدماء ولا أكثر حيلا منه وعملكته ورزبين بلاد الصين وما وراء خراسان ويدعى بالاسم الاعم أبرجان وللترك ملوك كثيرة واجناس مختلفة ولا تنقاد الى ملكه الا أنه ليس فيهم من يدانى ملكه ثم ملك الروم ويدعى ملك الرجان وليس في ملوك العالم أصعب وجوها من رجاله ثم ان ملوك العالم متفاوتة مراتبها ولا تتساوى وقد قال دوعماية بأخبار

ترقيه وأخذهم بالعصبية فيه فانها وان لم تكن حمية أعرابية فقد كانت سلفية نضابة يقتفي القوم فيها سبيل سلفهم ويحفلون بها ابتذال شرفهم غادروها سيرة وتحفظوها عادة أثيرة تشاح الخلف فيها تشاح سلفهم أهل الديانة وصانوا بها مراتبهم أعظم صيانة ورأوا ان أحدا لا يلحق فيها غاية ولا يتعاقد لها راية فلما اصطفى الحكم المستنصر بالله جعفر بن عثمان واصطنعه ووضعه من أثرته حيث وضعه وهو نزيع بينهم ونابع فيهم حسدوه وذموه وخصوه بالمطالبة وعموه وكان أسرع صنف الدائفة من أعالي الوزراء وأعاظم الدولة على معاودة المنصور عليه والانحراف عنه آل أبي عبيدة وآل شهيد وآل وصير من الخلفاء وأصحاب الدائفة من أولي الشرف والامانة وكانوا في الوقت ازمة الملك وقوام الخدمة ومصابيح الامة وأغير الخلق على جاه وحرمة فأحفظوا محمد بن أبي عامر مشايعة وبعض أسبابه الجامعة متابعة وشايعوه وفادوا الى عنصره سناءه حتى بلغ الامل والهدف بناءه واكتحل وعند التئام هذه الامور لابن أبي عامر استكان جعفر بن عثمان للحادثة وأيقن بالنكبة وزوال الحال وانسحال الرتبة وكف عن اعتراض محمد وشركته في التدبير وانقبض الناس من الرواح اليه والتبكير وانثالوا على ابن أبي عامر فحف موكبه وغارس سماء العز كوكبه وتوالى عليه سعي ابن أبي عامر وطلبه الى أن صار يغدو والى دولته ويروح ولبس بيده من الحجابة الامجرد اسمها وابن ابي عامر مشتمل على رسمها حتى حجه وهتك ظله وأضحاه قال ابن اسمعيل وأينه يساق الى مجلس الوزارة للحاسبة راجلا أقبل يدرم وجوارحه باللواعج تضطرم ووائق الدائفة يقهره والزمع يقهره والهم والهرم قد هاضاه وقصر اخضاه فسمعته يقول رفعاني مستدرك ما فجعه وتشفيه وترى ما كنت ترتجيه وياليت أن الموت يباع فأعلى سومه حتى يرده من اطال عليه حومه

لا تأمنن من الزمان تقلبا * ان الزمان بأهله يتقلب
ولقد أراني والليوث تحافني * فأحافني من بعد ذاك الثعلب
حسب الكريم مذلة ومهانة * أن لا يزال الى لئيم يطلب

فلما بلغ المجلس جلس في آخره دون أن يسلم على أحد أو يومئ اليه بعين أو يد فلما أخذ مجلسه تسرع اليه الوزير محمد بن حفص بن جابر معنفه واستخفاه وأنكر عليه ترك السلام وجفاه وجعفر معرض عنه الى أن كثر القول منه فقال له يا هذا جهلت الميزة فاستجهلت معلمها وكفرت النعم فقصدت بالاذى ولم ترهب معدمها ولو أتيت نكرا لكان غيرك أدرى وقد وقعت في أمر ما أظنك تخلص منه ولا يسعك السكوت عنه ونسيت الايادي الجملة والمبرات الجليلة فلما سمع محمد بن حفص ذلك من قوله قال هذا البهت بعينه وأي أياديك العرا التي منيت بها وعييت اداء واجبها أيد كذا أم يد كذا وعين أشياء أنكرها منه أيام امارته وتصرف الدهر طوع اشارته فقال جعفر هذا ما لا يعرف والحق الذي لا يرد ولا يصرف رفعي القطع عن يمناك وتبليغي لك الى منالك فأصر محمد بن حفص على الجحد فقال جعفر أنشد الله من له علم بما أذكره الا اعترف به فلا ينكره وأنا أحوج الى السكوت ولا تجب دعوتي فيه عن الملكوت فقال الوزير أحمد بن عباس ندكان بعض ما ذكرته يا أبا الحسن

الدار دارا ن ابوان وعمدان
والملك ملكان ساسان وقحطان
والارض فارس والاقليم بابل والـ
اسلام مكة والدنيا خراسان
والجانبان العليان الله حسبنا
منها بحاري وبلخ الشاهد اران
والبيلقان وطبرستان مادرها
والصين سروانها والجيل جيلان
قد رتب الناس فيها في مراتبهم
دهرا بان وبطريق وطرخان
للفرس كسرى وللروم القياصرة وال
حبش النجاشي والترك خاقان
وصاحب صقلية وافريقية من بلاد المغرب قبل ظهور الاسلام كان يدعى جرجير وصاحب الاندلس كان يدعى لزريق هذا كان اسم ملوك الاندلس وقد قيل انهم كانوا من الاسبان وهم أمة من ولد ياسث بن نوح واتصلت هنا لك والاشهر عنده من سكن الاندلس من المسلمين أن لزريق كان من ملوك الاندلس الجلالقة وهم نوع من الافرنجة وأخو لزريق الذي كان بالاندلس قتله طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الاندلس ودخل الى مدينة طليطلة وكانت

وغير هذا أولى بك وأنت فيما أنت فيه من محنتك وطلبك فقال أحوجني الرحل فتكلمت وأحوجني الى ماته أعلمت فأقبل الوزير ابن جهور على محمد بن حفص وقال اسأت الى الحاجب وأوحشت عليه غير الواجب أوما علمت أن منكوب السلطان لا يسلم على أوليائه لانه ان فعل ألزمهم الرد لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فان فعلوا طاف بهم من انكار السلطان ما يخشى ويخاف لانه تأنيس لمن أوحش وتأمين لمن أخاف وان تركوا الرد اسخطوا الله فصار الامساك أحسن ومثل هذا لا يخفى على أبي الحسن فانكسر ابن حفص وخجل مما أتى به من النقص و بلغه أن قوما لو جعوا له وتفجعوا لما وصله فكتب اليهم

أحن الى أنفاسكم فأظنها * بواعث انفاس الحياة الى نفسي
وان زمانا صرت فيه مقيدا * لاثقل من رضوى وأضيق من أمس

انتهى ما ترجم به المنصور بن أبي عامر ولم يرجع فيقول ولما توفي المنصور قام بالامر بعده ابنه عبد الملك المظفر أبو مروان فجرى على سنن أبيه في السياسة والغزو وكانت أيامه اعيادا دامت مدة سبع سنين وكانت تسمى بالسابع تشبيها بسابع العروس ولم يزل مثل اسمه مظفرا الى أن مات سنة تسع وتسعين وثلثمائة في المحرم وقيل سنة ثمان وتسعين وكاتبه المعز بن زيري ملك مغراوة بعدان استرجع فاس والمغرب اثر موت أبيه فكتب اليه العهد على المغرب وثارت الطوائف في ممالكهم وتحركت الجلالقة لاسترجاع معاقلهم وحصونهم (قال ابن خلدون) ثم قام بالامر بعده أخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وقيل بالمأمون وجرى على سنن أبيه وأخيه في الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه ثم ثاب له رأي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيد أن يوليه عهده فاجابه وأحضر لذلك الملأ من أرباب الشورى وأهل الحل والعقد فكان يوما مشهودا فكتب عهده من انشاء أبي حفص بن برد بما نصه هذا ما عهد به هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين الى الناس عامة وعاهد الله عليه من نفسه خاصة وأعطى به صفقة يمينه بيعة تامة بعد أن امعن النظر وأطال الاستخارة وأهمه ما جعل الله اليه من الامامة وعصب به من أمر المؤمنين واتقى حلول القدر بما لا يؤمن وخاف نزول القضاء بما لا يصرف وخشي ان هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدوره به ولم يرفع لهذه الامة علما تاوي اليه وملجأ تنعطف عليه أن يكون يلقى ربه تبارك وتعالى مفرطا ساهيا عن أداء الحق اليها ونقص عند ذلك من احياء قريش وغيرها من يستحق أن يسند هذه الامر اليه ويعول في القيام به عليه ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهديه وصيانته بعد اطراح الهوى والتحري للحق والرافي الى الله جل جلاله بما يرضيه وبعد أن قطع الاواصر واسخط الاقارب فلم يجد أحدا أجدر أن يوليه عهده ويفوض اليه الخلافة بعده لفضل نفسه وكرم خيمه وشرف مرتبته وعلو منصبه مع تقاه وعفافه ومعرفته وحزمه من المأمون الغيب الناصح الحبيب أبي المظفر عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر وفقه الله اذ كان أمير المؤمنين أيده الله تعالى قد ابتلاه واختبره ونظر في شأنه واعتبره فرآه مسارعا في الخيرات سابقا في الحلبات مستولبا على الغايات حامعا للمأثرات ومن كان المنصور

الى هذا الوقت ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو اباه

أباه والمظفر أخاه فلا غرو أن يبلغ من سبل البر مداه ويحوى من خلال الخير ما حواه مع أن امير المؤمنين أيده الله بما عاصالح من مكنون العلم ووعاه من مخزون الاثر يرى أن يكون ولى عهده القحطانى الذى حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاصى وأبو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه فلما استوى له الاختيار وتقابلت عنده وجوه الانظار ولم يجد عنه مذهبا ولا الى غيره معدلا خرج اليه من تدبير الامور فى حياته وفوض اليه الخلافة بعد وفاته طائعا راضيا مجتهدا وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازه وأنجزه وأنفذه ولم يشرط فيه مثنوية ولا اختيارا واعطى على الوفاء به فى سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه وذمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذمم الخلفاء الراشدين من آبائه وذمة نفسه أن لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يزول وأشهد الله على ذلك والملائكة وكفى بالله شهيدا وأشهد وهو جائز الامر ماضى القول والفعل بحضر من ولى عهده المأمون أبى المظفر عبد الرحمن بن المنصور وفقه الله تعالى وقبوله ما قلده والزامه نفسه ما ألزمه وذلك فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم وتسمى بعدها بولى العهد * وتقلم عليه أهل الدولة ذلك فكان فيه حتفه وانتراض دولته ودولة قومه وكان اسرع الناس كراهة لذلك الامويين والقرشيين فغصوا امره واسفوا من تحويل الامر حملة من المضرية الى اليمنية فاجتمعوا وتشاوروا ونمشت من بعض الى بعض رجالاتهم واجمعوا أمرهم فى غيبة من المذكور ببلاد الجلالقة فى غزاة من صوائفه ووثبوا بصاحب الشرطة فقتلوه بمقعده من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة تسع وتسعين وثلثمائة وخلعوا هشاما المؤيد * وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن امير المؤمنين الناصر لدين الله من اعقاب الخلفاء ولقبوه المهدى بالله وطار الخبر الى عبد الرحمن الحاجب بن المنصور بمكانه من الثغر فانفض جمعه وقفل الى الحضرة مدلا بمكانه زعيما بنفسه حتى اذا قرب من الحضرة سأل عنه الناس من الجند ووجوه البربر ولحقوا بثغر طبنه وبايعوا المهدى القائم بالامر وأغروه بعبد الرحمن الحاجب لكونه ما جما منهتبا غير صالح للامر فاستعرضه منهم من قبض عليه واحتز رأسه وحمله الى المهدى والى الجماعة وذهبت دولة العامريين كأن لم تكن ولله عاقبة الامور وفى المهدى يقول بعضهم

فقام مهديا ولا ن : بعله الفسق والمجون
وشارك الناس فى حريم * فلولا ما زال بالمصون
من كان من قبل ذا أجا * فاليوم قد صار ذا فرون

وكان رؤساء البربر وزناتة لحقوا بالمهدى لما رأوا من سوء تدبير عبد الرحمن وانتقاض أمره وكانت الامويه تعتد عليهم ما كان من مظاهرتهم العامريين وتنسب تغلب المنصور وغيره على الدولة اليهم فسخطتهم القلوب وخزرتهم العيون ولولا ما لهم من العصبية لاستأصلهم الناس ولفظت ألسنة الدهماء من اهل المدينة بكراهتهم وأمر المهدى أن لا يركبوا ولا يتسلحوا وردد بعض رؤسائهم فى بعض الايام من باب القصر فانتهبت العامة دورهم وشكا

فصلان وخنادق ومياه واسعة فافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدرك الاحصاء

ومدنها قحوم شهر بن ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة وتدعى بنو أمية الخلائف ولا يخاطبون بالخلفاء لان الخلافة لا يستحقها عندهم الا من كان مالكا للحرمين غير أنه يخاطب بامير المؤمنين وقد كان عبد الرحمن ابن معاوية أو هشام بن عبد الملك بن مروان سار الى الاندلس فى سنه تسع وثلاثين ومائه فملكها ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ثم هلك فملكها ابنه هشام ابن عبد الرحمن سبعين ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحو اثنى عشر بن سنه وولده ولاتها الى اليوم على ما ذكر لنا أن صاحبها عبد الرحمن بن محمد وولى عبد الرحمن فى هذا الوقت قاضى الحكم وكان أحسن الناس سيرة وأجلهم عدلا وقد كان عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت المقدم ذكره غزا سنه تسع وعشرين وثلثمائة فى أربعمائة ألف فارس من الناس ينزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة يقال لها سمورة عليها سبعة اسوار من عجيب البنيان قد أحكمتها الملوك السالفة بين الاسوار

بعضهم الى المهدى ما أصابهم فاعتذر وقيل من انهم من العامة فى أمرهم وهو مع ذلك مظهر لبعضهم ما غر بسوء الثناء عليهم ويلغهم انه يريد الفتك بهم فتمشت رجالاتهم وأسروا محراهم وشتوروا فى تقديم هشام بن سليمان ابن امير المؤمنين الناصر وفشا فى الخاصة حديثهم فعوجلوا عن مرامهم ذلك وأغرى بهم السواد الاعظم فثاروا بهم وأزعجوهم عن المدينة وتقبض على هشام واخيه أبى بكر واحضرا بين يدى المهدى فضرب أعناقهما والحق سليمان ابن اخيهما الحكم بجنود البربر وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتوافروا فبايعوه ولقبوه المستعين بالله ونهضوا به الى ثغر طليطلة فاستجاش بابن ادفونش ثم نهض فى جموع البرابرة والنصرانية الى قرطبة وبرز اليه المهدى فى كافة أهل البلد وخاصة الدولة فكانت الدائرة عليهم واستلحم منهم ما يربد على عشرين ألفا وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد وسدنتها ومؤدبها عالم ودخل المستعين قرطبة فى تمام المائة الرابعة ولحق المهدى بطليطلة واستجاش بابن أدفونش ثانية فنهض معه الى قرطبة وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهر قرطبة ودخل قرطبة أعنى المهدى وملكها وخرج المستعين مع البربر وتفرقوا فى البسائط ينهبون ولا يبقون على أحد ثم ارتحلوا الى الجزيرة الخضراء فخرج المهدى ومعه ابن أدفونش لاتباعهم فكروا عليهم فانهزم المهدى وابن ادفونش ومن معه من المسلمين والنصارى واتبعهم المستعين الى قرطبة فأخرج المهدى هشاما المؤيد للناس وبايع له وقام بأمر حجابته ظنا منه ان ذلك ينفعه وهيهات وحاصرهم المستعين والبربر فخشى أهل قرطبة من اقتحامهم عليهم فاغروا أهل القصر وحاشية المؤيد بالمهدى وان الفتنة انما جاءت من قبله وتولى كبر ذلك واضح العامرى فقتلوا المهدى واجتمع الكافة على المؤيد وقام واضح بحجابته واستمر الحصار ولم يغن عن أهل قرطبة ما فعلوه شيأ الى أن هلكت القرى والبسائط بقرطبة وعدمت المرافق وجهدهم الحصار وبعث المستعين الى أهل ادفونش يستعديهم لمظاهرته فبعث اليهم هشام وحاجبه واضح يكفونهم عن ذلك بأن ينزلوا لهم عن ثغور فشتالة التى كان المنصور افتتحها فسكن عن مناهرتهم عزم ادفونش ولم يزل الامر حتى دخل المستعين قرطبة ومن معه من البربر عنوة سنة ثلاث وأربعمائة وقتل هشام سرا ولحق بيونات قرطبة معرة فى نسائهم وابنائهم وظن المستعين أن قد استحكم امره وتوثبت البرابرة والعبيد على الاحمال فولوا المدن العظيمة وتقلدوا البلاد الواسعة مثل رباديس بن حبوس فى غرناطة والبرزالى فى قرمونة واليفرنى فى رندة وهرزون فى شريش وافترق شمل الجماعة بالاندلس وصار الملك طوائف فى آخرين من اهل الدولة مثل ابن عباد باشبيلية وابن الافطس ببطليوس وابن ذى النون بطليطلة وابن أبى عامر بلنسية وابن هود بسرقسطة وجاهد العامرى ببدانية والجزائر قال ابن خلدون وكان ماثلا لبنى حمود يهجو سليمان المستعين

لارحم الله سليمانكم * فانه ضد سليمان
ذاك به غلت شياطينها * وحل هذا كل شيطان
فباسمه ساحت على أرضنا * لملك سكان واوطان

من مدن الاندلس وثغورها مما يلى لاوربة خرجت من أيدى المسلمين من مدة ثلاثين سنة بالاندلس وثغورها سنة ثلاثين وثلثمائة مع غيرها مما كان فى أيديهم من المدن والحصون وفى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ست وثلاثين وثلثمائة من شرقى الاندلس طرطوشة وما يلى بحر الروم مما يلى طرطوشة آخذا فى الشمال ادراغة على نهر عظيم ثم لاردة ثم بلعى من هذه الثغور آخرها الذى الى درجة وهى أحصين مواجه ثغر الاندلس طرطوشة وكان قبل الثمانمائة ورد الى الاندلس مراكب فى البحر فيراها أنوف من الناس أغارت على سواحلهم زعم أهل الاندلس أنهم ناس من الخوس تذرأ اليهم فى هذا البحر فى كل مائتين من السنين وأن وصولهم الى بلادهم من خليج يعترض من بحر أوقيانوس وليس بالخليج الذى عليه المنارة النحاس وأرى والله أعلم أن هذا الخليج متصل ببحر مانطش ونيطش وان هذه الامة هم الروس الذين تقدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب اذ كان لا يقطع هذه البلاد المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم وقد أصيب فى البحر الرومى فيما

*(وكان من أعظم الاسباب) فى فساد دولة المستعين أنه قال هذه الابيات مستر بحا بها الى خواصه وهى قوله

حلفت بمن صلى وصام وكبرا * لاحمدها فيمن طغى وتجبرا
وأبصر دين الله تحيا رسومه * فبدل ما قد كان منه وغيرا
فوا عجبا من هاشمى مملك * يرغم العوالى والمعالى تبرا
فلو أن أمرى بالخيار لبدتهم * وحانتهم للسيف حكما محررا
فاما حياة تستلذ بفقدهم * واما حمام لا نرى فيه مأزرا

وقد سلك هذا المسلك المرتضى المروانى فقال

قد بلغ البربر فينا بغيا * ما أفسد الاحرار والنضما
كالسهم للطائر لولا الذى * فيه من الريش لما اصمى
قوموا بنا فى شأنهم قومة * تزيل عنا العار والرغما
اما بها نملك أو لا نرى * ما يرجع الطرف به أعمى

وكان على بن حمود الحسنى واخوه قاسم من عقب ادريس ملك فاس وما نيها قد أجازوا مع البربر من العدوة الى الاندلس فدعوا لانفسهم واعتصب عليهم البربر فملكوا قرطبة سنة سبع وأربعمائة وقتلوا المستعين ومحوا ملك بنى أمية واتصل ذلك فى خلف منهم سبع سنين ثم رجع الملك الى بنى أمية وكان المستعين المذكور أديبا بليغا ومن شعره يعارض هرون الرشيد فى قوله * ملك الثلاث الآنسات عنانى * الابيات قوله

عجبا يهاب الليث حد سنانى * وأهاب لحظ فواتر الاجفان
وتقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسى ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان
ككواكب الظلماء لحن لناظرى * من فوق أغصان على كثبان
حاكمت فيهن السلو الى الهوى * فقضى بسلطان على سلطانى
هذى الهلال وتلك بنت المشترى * حسنا وهذى اخت غصن البان
فأبحن من قلبى الحمى وتركننى * فى عز ملكى كالاسير العانى
لا تعذلوا ملكا تذلل فى الهوى * ذل الهوى عز وملك ثانى
ماضر أنى عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبدانى
ان لم اطع فيهن سلطان الهوى * كن ايهن فلست من مروان

(وولى) الامر بعده ابن حمود الحسنى تلقب بالناصر وخرج عليه العبيد وبعض المغاربة وبايعوا المرتضى أخا المهدى ثم اغتيل المرتضى واستقام الملك لعلى بن حمود نحو عامين الى أن قتلته صقالبته بالحمام سنة ثمان وأربعمائة فولى مكانه أخوه القاسم وتلقب بالمأمون ونازعه الامر بعد أربع سنين من خلافته يحيى ابن اخيه وكان على سبتة فاجاز الى الاندلس سنة عشر واحتل بمالقة وكان أخوه ادريس بها منذ عهد أبيهما فبعثه الى سبتة ثم زحف يحيى الى قرطبة فملكها سنة ثنتى عشرة وأربعمائة وتلقب المعتلى وفر عمه المأمون الى اشبيلية وبايع له

مراكب المسامير فى الالواح وتضعف فتخذ أهلها الحياطة بالليف بدلا منها وطليت بالشحوم والنورة وهذا يدل والله أعلم على اتصال البحار وأن البحر مما يلى الصين وبلاد السلى يدور على بلاد الترك ويفضى الى بحار المغرب من بعض خلجان أوقيانوس المحيط وقد كان وجد بساحل بلاد الشام عنبر قذف به البحر وهذا من المستنكر فى البحر الرومى الذى لم يعهد فيه فى قديم الزمان مثل ذلك ويمكن أن يكون سبيل وقوع العنبر الى هذا البحر سبيل ما ذكرناه من الواح مراكب البحر الصينى والله أعلم بكيفية ذلك وعلمه ولبحر المغرب وما قرب منه من عمائر السودان وأقاصى أرض المغرب أخبار عجيبة وقد ذكر ذوو العناية باخبار العالم أن أرض الحبشة وسائر السودان كلها مسيرة سبع سنين وان أرض مصر جزء واحد من ستين جزأ من أرض السودان وأن أرض السودان جزء واحد من الارض كلها وان الارض

كلها مسيرة خمسمائة سنة ثلث عمران ٢٠ ، مسكون مأهول وثلث براري غير مسكون وثلث بحار وتتصل أقاصي السودان العراة بآخر بلاد ولد ادريس ابن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام من أرض المغرب وهي بلاد تلمسان وتاهرت وبلاد فاس ثم السوس الادنى وبينه وبين بلاد القيروان نحو ألفي ميل وثلثمائة ميل وبين السوس الادنى والسوس الاقصى من المسافة نحو من عشرين يوما عامرة متصلة الى أن تتصل بوادي الرمل والقصر الاسود ثم يتصل ذلك بمفاوز الرمل التي فيها المدينة المعروفة بمدينة النحاس وقباب الرصاص التي سار اليها موسى بن نصير في أيام عبد الملك بن مروان ورأى فيها ما رأى من العجائب وقد ذكر ذلك في كتاب يتداوله الناس وقد قيل ان ذلك في مفاوز تتصل ببلاد الاندلس وهي الارض الكبيرة وقد كان ميمون ابن عبد الرحمن بن رستم الفارسي وهو أباضي المذهب وهو الذي انشأ في ذلك البلد مذهب الخوارج وقد قيل انهم من بقايا الاسنان عمر تلك الديار وكانت له حروب مع الطالبيين وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب تنازع الناس في الاسنان ومن قال انهم من الفرس نازلة من بلاد أصبهان وفي هذا الصقع

لقي ابن عباد واستجاش بعض البرابرة ثم رجع الى قرطبة سنة ثلاث عشرة وملكها ثم لحق المعتلي بمكيدة من مالقة وتغلب على الجزيرة الخضراء وتغلب اخوه ادريس على طنجة ومن وراء البحر دون المأمون يعتدها حصنا لنفسه وفيها ذخائره فلما بلغه الخبر اضطرب وثار عليه أهل قرطبة ونقضوا طاعته وخرج لحاصرهم فدافعوه ولحق باشبيلية فمنعوه وكان بها ابنه فأخرجوه اليه وضبطوا البلد ، واستبد ابن عباد بملكها ولحق المأمون بشريش ورجع عنه البربر الى يحيي المعتلي ابن اخيه فبايعوه سنة خمس عشرة وزحف الى عمه المأمون فتغلب عليه ولم يزل عنده أسيرا وعند أخيه ادريس بمالقة الى أن هلك بمحبسه سنة سبع وعشرين وقيل انه خنق كما سيأتي واستقل المعتلي بالامر واعتقل بني عمه القاسم وكان المستكفي من الامويين استولى على قرطبة في هذه المدة عندما أخرج أهلها العلوية ثم خلع أهل قرطبة المستكفي الاموي سنة ست عشرة وصاروا الى طاعة المعتلي واستعمل عليهم ابن عطاف من قبله ثم نقضوا سنة سبع عشرة وصرفوا عاملهم وبايعوا المعتلي الاموي أخا المرتضى وبقي المعتلي يردد لحصارهم العساكر الى ان اتفقت الكلمة على اسلام الحصون والمدائن له فعلا سلطانه واشتد أمره الى أن هلك سنة تسع وعشرين اغتاله أصحابه بدسيسة ابن عباد الثائر باشبيلية فاستدعى أصحابه أخاه ادريس بن علي من سبتة وملكوه ولقبوه المتأيد وبايعته رندة وأعمالها والمرية والجزيرة الخضراء وبعث عساكره لحرب ابي القاسم اسمعيل بن عباد والد المعتضد بن عباد فجاؤه برأسه بعد حروب وهلك ليومين بعد ذلك سنة احدى وثلاثين وبويع ابنه يحيي ولم يتم له أمر وبويع حسن المستنصر بن المعتلي وفر يحيي الى قارش فهلك بها سنة أربع وثلاثين ويقال انه قتله نجاه وهلك حسن مسموما بيد ابنة عمه ادريس ثأرا منه بأخيها وكان ادريس بن يحيي المعتلي معتقلا بمالقة فأخرج بعد خطوب وبويع بها فأطاعته غرناطة وقرمونة ولقب العالي وهو الممدوح بالقصيدة المشهورة بالمعرب التي فالها فيه ابو زيد عبد الرحمن بن مقانا الفنداقي الاشبوني من شعراء الذخيرة وهي

البرق لائح من أندرين * ذرفت عيناك بالماء المعين
لعبت أسيافه عارية * كخاريق بأيدي اللاعبين
ولصوت الرعد زجر وحنين * ولقلبي زفرات وانين
وأناجي في الدجى عاذلتي * ويك لا أسمع قول العاذلين
عيرتني بسقام وضنى * ان هذين لدين العاشقين
قد بدا لي وضح الصبح المبين * فاسقنيها قبل تكبير الاذين
اسقنيها مرة مشمولة * لبثت في دنها بضع سنين
ثار المزج على مفرقها * درر اعامت فعادت كالسبرين
مع فتيان كرام نجب * يتهادون رياحين المجون
شربوا الراح على خد رشا * نور الورد به والياسمين
وجلت آياته عامرة * سبج الشعر على عاج الجبين
لوت الصدغ على حاجبه * ضمة اللام على عطفة نون

فترى

فترى غصناء على دعص نقا * وترى ليلا على صبح مبين
وسيسقون اذا ما ثربوا * بابارين وكأس من معين
ومصابيح الدجى قد طفئت * فى بقاع من سواد الليل جون
وكأن الظل مسك فى الثرى * وكأن الطل در فى الغصون
والندى يقطر من نرجسه * كدموع أسكبهن الجفون
والثريا قد هوت من أفقها * كقضيب زاهر من ياسمين
وانبرى جنح الدجى عن صبحه * كغراب طار عن بيض كنين
وكأن الشمس لما أشرقت * فاثنت عنها عيون الناظرين
وجه ادريس بن يحيى بن على * بن حمود أمير المؤمنين
سلك ذو هيبة لكنه * خاشع لله رب العالمين
خط بالمسك على أبوابه * ادخلوها بسلام آمنين
فاذا ما رمعت رايته * خفقت بين جناحى جبرئين
واذا أشكل خطب معضل * صدع الشك بصباح اليقين
فبيسراه يسار المعسرين * وبيمناه لواء السابقين
يابنى أحمد ياخير الورى * لابيكم كان وفاء المسلمين
نزل الوحى عليه فاحتبى * فى الدجا فوقهم الروح الامين
خلقوا من ماء عدل وتقا * وجميع الناس من ماء وطين
انظروا نقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين

قيل انه أنشده اياها من وراء حجاب اتقاء لطريقة خلفاء بنى العباس فلما بلغ الى قوله

انظروا نقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين

أمر حاجبه أن يرفع الحجاب وقابل وجهه وجه الشاعر دون حجاب وأمر له باحسان جزيل فكان هذا من أنبل ما يحكى عنه وخلع العالى سنة ثمان وثلاثين وولى ابن عمه محمد بن ادريس بن على ولقب بالمهدى وتوفى سنة أربع وأربعين وبويع ادريس بن يحيى بن ادريس ولقب الموفق ولم يخطب له بالخلافة وزحف العالى ادريس المخلوع الممدوح بالقصيدة السابقة وكان بقمارش فدخل عليه مالقة وأطلق ايدى عبيده عليها بحقده عليهم ففر كثير منهم وتوفى العالى سنة ست أو سبع وأربعين وبويع محمد بن ادريس ولقب المستعلى ثم سار اليه باديس بن حبوس سنة تسع وأربعين وأربعمائة فتغلب على مالقة وسار محمد الى المرية فخلعا ثم استدعاه أهل المغرب الى ملكه وبايعوه سنة ست وخمسين وتوفى سنة ستين وكان محمد بن القاسم بن حمود لما اعتقل أبوه القاسم بمالقة سنة أربع عشرة فر من الاعتقال ولحق بالجزيرة الخضراء وملكها وتلقب بالمعتصم الى أن هلك سنة أربعين ثم ملكها بعده ابنه القاسم الواثق الى أن هلك سنة خمسين وصارت الجزيرة للمعتضد بن عباد ومالقة لابن حبوس مزاحما لابن عباد وانقرضت دولة الاشراف الحموديين من الاندلس بعد أن كانوا يدعون الخلافة وأما قرطبة فان أهلها لما قطعوا دعوة الحموديين بعد سبع سنين من ملكهم وزحف

وفيها معدن كبير من فضة وهو مما يلى الجنوب ويتصل ببلاد الحبشة والحرب بينهم سجال وقد ذكرنا كتابنا أخبار الزمان خبر المغرب ومدنه ومن سكنها من الخوارج الاباضية والصفرية ومن سكن المغرب من المعتزلة وما بينهم وبين الخوارج من الحروب وذكرنا خبر الاغلب التميمى وتولية المنصور له على المغرب ومقامه ببلاد افريقية وغيرها من أرض المغرب وما كان من أمره فى أيام الرشيد وتداول ولده ببلاد أفريقية وغيرها الى أن انتهى الامر الى أبى منصور زيادة الله بن عبد الله ابن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الاغلب بن ابراهيم ابن محمد بن الاغلب بن سالم بن سوادة فأخرجه عنها أبو عبد الله المحتسب الصوفى الداعية لصاحب المهدية حين ظهر من كتامة وغيرها من أجيال البربر وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين فى أيام المقتدر ومسيره الى الرافقة والرقة وكان هذا المحتسب من مدينة رام هرمز من كور الاهواز ونعود الى ذكر مراتب الملوك ونسق ما بقى من الممالك على البحر الحبشى

الذى شرعنا فى وصف من عليه فنقول ملك الزنج وقليمان ملك اللان كركبداغ ملك الحيرة من بنى نصير النعمانية

والمنارة ملك جبال طبرستان كان يدعى ٤٠٠ فارس والجبل معروف به وبولده فى هذا الوقت ملك الهند البلهرا ملك القنوج من ملوك السند فورة وهو اسم بلد باسم ملوكهم وقد صارت اليوم فى حيز الاسلام وهى من أعمال المولتان ومن هذه المدينة يخرج أحد الانهار التى اذا اجتمعت كان نهر (مهران السند) لدى زعم الجاحظ أنه من النيل وزعم غيره انه من جيحون خراسان وفورة هذا الذى هو ملك القنوج هو ضد البلهرا ملك القندهار من ملوك السند وجبالها ويدعى جج وهذا اسمه الاعم ومن بلاده يخرج النهر المعروف (بزايد) وهو احد الانهار الخمسة التى منها مهران السند والقندهار ببلاد الدهبوط ونهر من الخمسة يخرج من بلاد السند وجبالها يعرف (بنهاطل) ويجتاز ببلاد الدهبوط وهى بلاد القندهار والنهر الرابع يخرج من بلاد كابل وجبالها وهى تحوم الهند مما يلى بلاد بسيط وعرس ونفس والرخج وبلاد الدوار مما يلى بلاد سجستان ونهر من الخمسة يخرج من بلاد تشمير وملك تشمير يعرف بالرائى هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وتشمير هذه من ممالك الهند وجبالها مملكة عظيمة حصينة يحتوى ملكها من مدن وضياع على نحو من ستين الفا الطوائف

اليه الحسن بن حمود فى البر برفهزموهم أهل قرطبة ثم اجتمعوا واتفقوا على رد الامر لبنى أمية واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أخا المهدى وبايعوه فى رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة ولقبوه المستظهر وقاموا بأمره ومن شعره قوله

طال عمر الليل عندى * قد تولعت بصدى
ياغزالا نقض العهـ * ـدولم يوف بوعـد
انسيت العهد اذ بتنا على مفرش ورد
واجتمعنا فى وشاح * وانتظمنا نظم عقد
ونجوم الليل تحكى * ذهبا فى لازورد

قال الجارى لو قال لؤلؤا فى لازورد لكان أحسن تشبيها وأشد تمثلا

انا عصابتك الالى * كنا كايدما تكايد
هذا أوان غنائك الـ ـنعمى وانجاز المواعد

وكان حسن بن أبى عبيدة من وزراء المستظهر ولما أكثر المستظهر دونه الاستبداد كتب اليه بقوله

اذا غبت لم أحضر وان جئت لم أسل * فسيان منى مشهد ومغيب
فأصبحت تيميا وما كنت قبلها * لتيم ولكن الشبيه نسيب

يشير الى قول الاول

ويقضى الامر حين يغيب تيم * ولا يستأذنون وهم شهود

وعاتبه أيضا بقوله

اذا كان مثلى لا يجار بصبره * فمن ذا الذى بعدى يجار على الصبر
وكم مشهد جاريت فيه عدوكم * وأملت فى حربى له راحة الدهر
أخوض الى أعدائكم لجج الوغى * واسرى اليهم حيث لا أحد يسرى
وقد نام عنهم كل مستبطن الحشى * أكول الى المسى نؤوم الى الظهر
فما بال هذا الامر أصبح ضائعا * وأنت أمين الله تحكم فى الامر

وسيأتى ان شاء الله تعالى من كلام الوزير المذكور ما يدل على عظيم قدره وهنالك نذكر تحلية الفتحله ثم ثار عليه المهدى بن من خلافته محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن أمير المؤمنين الناصر لدين الله فبايعه الغوغاء وقتل بالمستظهر ولقب بالمستكفى واستقل بأمر قرطبة وهو والد الاديبة الشهيرة ولادة ولعلنا نلم ببعض أخبارها ان شاء الله تعالى فيما بعد وكان أبو عبد الرحمن قتله المنصور بن أبى عامر لسعيه فى الخلافة ثم بعد ستة عشر شهرا من بيعة المستكفى رجع الامر الى المعتلى يحيى بن على بن حمود سنة ست عشرة وخلع أهل قرطبة المستكفى وولى عليهم المعتلى من قبله وفر المستكفى الى ناحية الثغر ومات فى فرة ثم بدا لاهل قرطبة فخلعوا المعتلى بن حمود سنة سبع عشرة وبايع الوزير أبو محمد جهور بن محمد بن جهور عميد الجماعة وكبير قرطبة لهشام بن محمد أخى المرتضى وكان بالثغر فى لاردة عند ابن هود وذلك سنة ثمان عشرة وتلقب المعتمد بالله وأقام مترددا فى الثغر ثلاثة أعوام واشتدت الفتن بين رؤساء

الى سبعين ألفا سبيل لاحد من الناس على بلده الامن وجه واحد ويغلق على جميع ما ذكرناه من ملكه باب واحد

الطوائف واتفقوا على أن ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جهور واجماعة ونزل آخر سنة عشرين وأقام بها يسيرا ثم خلعه الجند سنة ثنتين وعشرين وصار الى لاردة فهلك بها سنة ثمان وعشرين وانقطعت الدولة الاموية من الارض وانتثر سلك الخلافة بالمغرب وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف واتترى الامراء والرؤساء من البربر والعرب والموالى بالجهات واقتسموا خطتها وتغلب بعض على بعض واستقل أخيرا بأمرها منهم ملوك استفحل أمرهم وعظم شأنهم ولاذوا بالجزى للطاغية أن يظاهر عليهم أو ينتزعهم ملكهم وأقاموا على ذلك برهة من الزمان حتى قام عليهم البحر ملك العدوة وصاحب مراكش أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين اللمتونى فخلعهم وأخلى منهم الارض من أشهرهم بنو عباد ملوك اشبيلية فى عرب الاندلس الذين منهم المعتمد بن عباد الشهير الذكر بالمغرب والمشرق وفى الحيرة والقلائد من أخباره ما هو كف شاف ومنهم بنو جهور كانوا بقرطبة فى صورة الوزارة حتى استولى عليهم المعتمد بن عباد وأخذ قرطبة وجعل عليها ولدا ثم كانت له وعليه حروب وخطوب وعرف أبناءه على قواعد الملك وأنزلهم بها واستفحل أمره بغرب الاندلس وعلت يده على من هنالك من ملوك الطوائف مثل ابن بادیس بغرناطة وابن الافطس ببطليوس وابن صمادح بالمرية وغيرهم فكانوا يخطبون سلمه ويغلون فى مرضاته وكلهم يداورون الطاغية ويتقونه بالجزى الى أن ظهر يوسف بن تاشفين واستفحل ملكه فتعللت آمال الاندلس باعانته وضايقهم الطاغية فى طلب الجزية فقتل المعتمد اليهودى الذى جاء فى طلب الجزية للطاغية بسبب كلمة قالها آسفه بها ثم أجاز البحر مرتين الى يوسف بن تاشفين فاجاز معه البحر والتقوا مع الطاغية فى الزلاقة فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى ونصر الله تعالى الاسلام نصرا لا كفاء له حتى قال بعض المؤرخين انه كان عدد النصارى ثلثمائة الف ولم ينج منهم الا القليل وصبر فيها المعتمد صبر الكرام وكان قد أعطى يوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء ليتمكن من الجواز متى شاء ثم طلب الفقهاء بالاندلس من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلامات عنهم فتقدم بذلك الى ملوك الطوائف فأجابوه بالامتثال حتى اذا رجع من بلادهم رجعوا الى حالهم وهو خلال ذلك يردد عساكره للجهاد ثم أجاز اليهم وخلع جميعهم ونازلت عساكره جميع بلادهم واستولى على قرطبة واشبيلية وبطليوس وغرناطة وغيرها وصار المعتمد بن عباد كبير ملوك الاندلس فى قبضته أسيرا بعد حروب ونقله الى أغمات قرب مراكش سنة أربع وثمانين وأربعمائة واعتقله هنالك الى ان مات سنة ثمان وثمانين وسلم بما قاله الوزير لسان الدين بن الخطيب فيه لما زار قبره وللمعتمد هذا أخبار مأثورة خصوصا مع زوجته أم أولاده الرميكية الملقبة باعتماد وقد روى أنها رأت ذات يوم باشبيلية نساء البادية يبعن اللبن فى القرب وهن رافعات عن سوقهن فى الطين فقالت له يا سيدى اشتهى ان أفعل أنا وجوارى مثل هؤلاء النساء فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد وصير الجميع طينا فى القصر وجعل لها قربا وجعلا من ابريسم وخرجت هى وجواريها تخوض فى ذلك الطين فيقال انه لما خلع وكانت تتكلم معه مرة تجرى بينهما ما يجرى بين الزوجين فقالت له والله ما رأيت منك خيرا فقال لها ولا يوم الطين تذكيرا لها

لان ذلك فى جبال شوامخ منيعة لا سبيل للرجال أن يتسلقوا عليها ولا للوحش أن يلجئ بعلوها ولا يخفق الا الطير وما لا جبل فيه فاوديه وعرة وأشجار وغياض وأنهار دائمة منعة من شدة الاقتصاب والجريان وماذكرناه من منعة ذلك البلد مشهور فى أرض خراسان وغيرها من البلاد وذلك أحد عجائب الدنيا فاما ملك غرورة وهو ملك الغز وج فان مساحة مملكته تكون نحوا من عشرين ومائة فرسخ فى مثلها فراسخ سندية الفرسخ عثمانية آميال بهذا الميل وهو الملك الذى قدمنا فى ذكره فيما سلف أن له من الجيوش أربعة على مهاب الرياح الاربع كل جيش منها سبعمائة ألف وقيل تسعمائة ألف وقيل تسعة آلاف ألف فيحارب بجيش الشمال صاحب المولتان ومن معه فى تلك الثغور من المسلمين ويحارب بجيش الجنوب البلهرا ملك المانكبر وبالجيوش الباقية من يلقاه فى كل وجه من الملوك ويقال ان ملكه يحيط فى مقدار ما ذكرناه من

المسافة من المدن والقرى والضياع مما يدركه الاحصاء والعدد بألف ألف وثمانمائة ألف قرية بين أنهار وشجير

وجبال ومروج وهو قليل الغيلة من بين الملوك ورسمه القاتيل حربية تقاتل وذلك أن الفيل اذا كان فارها عمارسائعا وكان راكبه فارسا وفي خرطومه القرطل وهو نوع من السيوف وخرطومه مغشى بالزرد والحديد وعليه تجافيف قد أحاطت بأترجسده من الفرق والحديد وكان حوله خمسمائة رجل يمنعونه ويحرزونه من ورائه حارب ستة آلاف فارس وقام بها وأثناها اذا كان معه خمسمائة رجل كرفي خمسة آلاف فارس ودخل وخرج وصال عليها كأرجل على الفرس وهذا رسم فيلتها في سائر حروبها فأما صاحب المولتان فقد قلنا انه من ولد سامة بن لؤي ابن غالب وهو ذ وجيوش ومنعة وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار وحول ثغر المسلمين المولتان من ضياعه وقراه عشرون ومائة ألف قرية مما يقع عليه الاسماء والعدو فيه على ماذكرنا الصنم المعروف بالمولتان يقصده السند والهند من أقاصي بلاده بالنذور والاموال والجواهر والعود وأنواع الطيب ويجبى اليه الالوف من الناس وأكثر أموال صاحب المولتان مما يحمل الى هذا الصنم من العود القماري الخالص الذي يبلغ ثمن الاوقية منه مائة دينار واذا ختم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر في الشمع وغير ذلك

بهذا اليوم الذي أباد فيه من الاموال ما لا يعلمه الا الله تعالى فاستحيت وسكتت وولي بعده غير من تقدم بنو رزين أصحاب السهلة وبنو الفهري أصحاب البونت وتغلب عليهما أخيرا يوسف بن تاشفين * ومن أعظم ملوك الطوائف بنو ذي النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفي وكانت لهم دولة كبيرة وبلغوا في البذخ والترف الى الغاية ولهم الاعذار المشهور الذي يقال له الاعذار الدنوني وبه يضرب المثل عند أهل المغرب وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق والمأمون من بني ذي النون هو صاحب ذلك وهو الذي عظم بين ملوك الطوائف سلطانه وكان بينه وبين الطاغية مواقف مشهورة وغلب على قرطبة وملكها من يد ابن عباد المعتمد وقتل ابنه أبا عمرو وغلب أيضا على بلنسية وأخذها من يد بني ابن أبي عامر * وفي أيام حافد المأمون وهو القادر بن ذي النون كان الطاغية بن أدفونش قد استفحل أمره لما خلا الجو من مكانة الدولة الحلافية وخف ما كان على كاهله من أصر العرب فاكتسح البسائط وضايق ابن ذي النون حتى أخذ من يده طليطلة فخرج له عنها سنة ثمانين وسبعين وأربعمائة كما سبق وشرط عليه أن يظاهره على أهل بلنسية فقبل شرطه وتسلمها الفونش ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم زحف على الموالي العامريين مثل خيران وزهير وأشباههما وأخبارهم الجميع تطول * ومن ملوك الطوائف بالانداس بنو هود ملوك سرقسطة وما اليها ومن أشهرهم المقتدر بالله وابنه يوسف المؤتمن وكان المؤتمن قائما على الامور الرياضية وله فيها تآليف ومنها كتاب الاستكمال والمناظر وولي بعده ابنه المستعين أحد سنة أخذ طليطلة وعلى يده كانت وقعة وشقة وكان زحف سنة تسع وثمانين في آلاف لا تحصى من المسلمين لمدافع الطاغية عن وشقة وكان محاصر الها فلقيه الطاغية وهزمه وهلك من المسلمين نحو عشرة آلاف وهلك هو شهيدا سنة ثلاث وخمسمائة بظاهر سرقسطة في زحف الطاغية اليها وولي ابنه عبد الملك عماد الدولة وأخرجه الطاغية من سرقسطة سنة ثنتي عشرة وتولى ابنه سيف الدولة وبالغ في النكاية بالطاغية ثم اتفق معه وانتقل بحشمه الى طليطلة فكان فيها حمامه * ومن شعر المقتدر بن هود قوله رحمه الله في مبانيه

قصر السرور ومجلس الذهب * بكما بلغت نهاية الارب
لو لم يحز ملكي خلافكما * كانت لدى كفاية الطلب

ومن مشاهير ملوك بني الافطس أصحاب بطليوس وما اليها والمظفر منهم هو صاحب التأليف المسمى بالمظفري في نحو الخمسين مجلدا والمتوكل منهم قتل على يد جيش يوسف بن تاشفين وفيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وهي من غرر القصائد الاندلسية وأزالوا ملوك الطوائف منها وبقيت عمالهم تتردد اليها وبنوهم حتى فشلت ريحهم وهبت ريح الموحدين أعني عبد المؤمن بن علي وبنيه فحاربوا لمتونة واستولوا على ملكهم بالمغرب بعد حروب كثيرة ثم جازوا البحر الى الاندلس وملكوا أكثر بلاد الاندلس وملك بنو مردنيش شرق الاندلس * ولخص ذلك أن الاندلس كان ملكها مجموعا للمتونة بعد خلعهم ملوك الطوائف فلما اشتغل لمتونة في العدوة بحرب الموحدين

اضطربت

اضطربت عليهم الاندلس وعادت الى الفرقة بعض الشيء ثم خلص أكثرها لعبد المؤمن وبنيه بعد حروب ومنها ما حصل بين عبد المؤمن وبين ابن مردنيش وفائدة ابن همشك بفحص غرناطة وقد استعان ابن مردنيش بالنصارى على الموحدين فهزمهم عبد المؤمن وقتلهم أبرح قتلة واستخلص غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة من يد ابن مردنيش * وولي الامر بعد عبد المؤمن ابنه يوسف وأجاز الى الاندلس وكانت له مواقف في جهاد العدو * وولي بعده ابنه يعقوب المنصور الطائر الصيت وكانت له في النصارى بالاندلس نكاية كبيرة ومن أعظمها غزوة الارك التي تصاهي وقعة الزلاقة أو تزيد والارك موضع بنواحي بطليوس وكانت سنة احدى وتسعين وخمسمائة وغنم فيها المسلمون ما عظم قدره وكان عدة من قتل من الفرنج فيما قيل مائة ألف وستة واربعين ألفا وعدة الاسارى ثلاثين ألفا وعدة الخيام مائة ألف وخمسين ألف خيمة والحمل ثمانين ألفا والبغال مائة ألف والحمير أربعمائة ألف جاءبها الكفار تحمل أثقالهم لا بهم لا ابل لهم وأما الجواهر والاموال فلا تحصى وبيع الاسير بدرهم والسيف بنصف درهم والفرس بخمسة دراهم والحمار بدرهم وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ونحى الفنش ملك النصارى الى طليطلة في أسوأ حال فحلق رأسه ولحيته ونكس صليبه وآلى أن لا ينام على فراش ولا يقرب النساء ولا يركب فرسا ولا ابنة حتى يأخذ بالثار وصار يجمع من الجزائر والبلاد البعيدة ويستعد ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه الى طليطلة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيق عليها ولم ينفك الا فتحها فخرجت اليه والدة الادفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألنه ابقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن بها ووهب لهن من الاموال والجواهر ما جل وردهن مكرمات وعفا بعد القدرة وعاد الى قرطبة فأقام شهرا يقسم الغنائم وجاءته رسل الفنش يطلب الصلح فصالحه وأمن الناس مدته وفيه يقول بعض شعراء عصره

أهل بأن يسعى اليه ويرتجى * ويزار من أقصى البلاد على الرجا
من قد غدا بالمكرمات مقلدا * وموشحا ومختما ومتوجا
عمرت مقامات الملوك بذكره * وتعطرت منه الرياح تأرجا

ولما أرسل له السلطان صلاح الدين بن أيوب شمس الدين بن منقذ يستنجد به على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المقدسة ولم يخاطبه بأمير المؤمنين فلم يجبه الى ما طلبه وكل ذلك في سنة ٥٨٧ ومدحه ابن منقذ بقوله من قصيدة

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته * الى بحر جود ما الأخواه ساحل
الى معدن التقوى الى كعبة الندى * الى من سمت بالذكر منه الاوائل
اليك أمير المؤمنين ولم تزل * الى بابك المأمول تزجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقنا * بان ندالك العمر بالنجح كافل
وحزت بقصديك العلا فبلغتها * وأدنى عطاياك العلا والفواضل
فلازلت للعليا والجود بانيا * تبلغك الآمال ما أنت آمل

وعدتها أربعون بيتا فاعطاه بكل بيت ألفا وقال له انما أعطيناك لفضلك ولبيتك وكان

هذا الصنم وتعويره فرحل الجيوش عليهم عند ذلك وكان دخولي الى بلاد المولتان بعد الثلثمائة والملك بها أبو الدلهاث المنبه ابن أسد القرشي وكذلك كان دخولي الى بلاد المنصورة في هذا الوقت والملك عليها أبو المنذر عمر بن عبد الله ورأيت بها وزيره زيادا وابنيه محمدا وعليا ورأيت بها رجلا سيدا من العرب وملكا من ملوكهم وهو المعروف بحمزة وبها خلق من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم من ولد عمر ابن علي ولد محمد بن علي وبين ملوك المنصورة وبين أبي الشوارب القاضي قرابة ووصلة نسب وذلك أن ملوك المنصورة الدين الملك منهم في وقتنا هذا من ولد هبار ابن الاسود ويعرفون ببني عمر بن عبد العزيز القرشي وليس هو عمر بن عبد العزيز الاموي فاذا اجتاز جميع ما ذكرنا من الانهار ببلاد مرج بيت الذهب وهو المولتان فاجتمع بعد المولتان بثلاثة أيام فيما بين المولتان والمنصورة في الموضع المعروف بدوسات ثم انتهى جميع ذلك الى مدينة الروذ من غربيها وهي من أعمال المنصورة سمي ماهنا لك مهران ثم ينقسم قسمين

وينصب كل من القسمين من هذا
انهندى وذلك على مقدار
يومين من مدينة الديبل
والمسافة من المولتان الى
المنصورة خمسة وسبعون
فرسخا سيد على ما ذكرنا
والفرسخ ثمانية آلاف ذراع
وجميع مدن المنصورة من
الضياع والقرى مما يضاف
اليها ثلثمائة ألف قرية
ذات زروع وأشجار وعمائر
متصلة وفيها حروب كثيرة
من جنس يقال لهم
السند وهم نوع من السند
وغيرهم من الاحابش ثم
ثغور السند وكذلك المولتان
من ثغور السند وما أضيف
اليها من العمائر والمدن
وسميت المنصورة باسم
منصور بن جمهور عامل
بني أمية وملك المنصورة
فيلة حربية وهي ثمانون
فيلا رسم كل فيل أن يكون
حوله على ما ذكرنا خمسمائة
راجل وأنه يحارب الوفا من
الخيل على ما ذكرنا ورأيت
له فيلين عظيمين كانا
موصوفين عند ملوك
السند وانهند لما كانا عليه
من البأس والنجدة والاقدام
على قتل الجيوش كان
اسم أحدهما (منعرفلس)
والآخر (حدرة) ولمنعرفلس
هذا أخبار عجيبة وأفعال
حسنة وهي مشهورة في
تلك البلاد وغيرها (منها) انه مات بعض سواسته فمكث أياما لا يطعم ولا يشرب بيدي الخنين ويظهر

عنوان الكتاب الذي أرسله صلاح الدين الى أمير المسلمين وفي أوله الفقير الى الله
تعالى يوسف بن أيوب وبعده من انشاء الفاضل الحمد لله الذي استعمل على الملة الحنيفية
من استعمر الارض وأغنى من أهلها من سأله القرض وأجرى من أجرى على يده النافلة
والفرض وزين سماء الملة بدراري النجوم التي بعضها من بعض وهو كتاب طويل
أداه فيه أن يقطع عنه مادة البحر واستبعده على الافرنج اذ كانت له اليد عليهم وعاد ابن
منقذ من هذه الرسالة سنة ٥٨٨ بغير فائدة وبعث معه هدية حقيرة وأما ابن منقذ فانه
أحسن اليه وأغناه لاجل صلاح الدين بل لنبله وفضله كما مر وما وقع من يعقوب في صلاح
الدين انما هو لاجل انه لم يوفه حقه في الخطاب * (رجع) ولما استفحل أمر الموحدين
بالاندلس استعملوا القرابة على الاندلس وكانوا يسمونهم السادة واقتسموا ولايتها
بينهم ولهم مواقف في جهاد العدو مذكورة وكان صاحب الامر بمراكش باقي الاندلس
للجهاد وهزم يعقوب المنصور كما سبق قريبا بالارك ابن ادفونش ملك الجلالقة الهزيمة
الشنعاء وأجاز ابنه الناصر الوالي بعده البحر الى الاندلس من المغرب سنة تسع وستمائة
ومعه من الجنود ما لا يحصى حتى حكى بعض الثقات من مؤرخي المغرب انه اجتمع معه
من أهل الاندلس والمغرب ستمائة ألف مقاتل فحص الله المسلمين بالموضع المعروف بالعقاب
واستشهد منهم عدة وكانت سبب ضعف المغرب والاندلس أما المغرب فبخلاء كثير من قراه
وأقصاره وأما الاندلس فبطلب العدو عليها لانه لما التأث أمر الموحدين بعد الناصر
ابن المنصور انتزى السادة بنواحي الاندلس كل في عمله وضعف ملكهم بمراكش فصاروا
الى الاستجاشة بالطاغية بعضهم على بعض واسلام حصون المسلمين اليه في ذلك فشت رجالات
الاندلس وأعقاب العرب منذ الدولة الاموية وأجمعوا على اخراجهم فساروا به لحين واحد
وأخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي الثائر بالاندلس وابن مردنيش
وثوار آخرون * وقال ابن خلدون ثم خرج على ابن هود في دولته من اعقاب دولة العرب أيضا
وأهل بيتهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وتلقب محمد هذا بالشيخ فغلب به الحمل
وكانت لكل واحد منهما دولة أو رثها بنيه انتهى * وكان ابن هود يخطب للعباسي صاحب
بغداد ثم حصلت لابن هود وأعقابه حروب وخطوب الى أن كان آخرهم الواثق بن المتوكل
فصايفه الفنش والرشلوني فبعث بالطاعة لابن الاحمر فبعث اليه ابن اشقيلولة وتسلم مرسية
منه وخطب لابن الاحمر بها ثم خرج منها راجعا الى ابن الاحمر فأوقع به النصارى في طريقه ثم
رجع الواثق الى مرسية ثالثة فلم يزل بها الى ان ملكها العدو من يده سنة ثمان وستين وستمائة
وعوضه عنها حصنا يسمى يسر وهو من عملها فبقي فيه الى أن هلك وانقرضت دولة ابن هود
والله وارث الارض ومن عليها (رجع) الى ذكر دولة أولاد الاحمر لان لسان الدين وزير
أحدهم ولانهم آخر ملوك الاندلس ومن يدهم استولى النصارى على جميعها كما سنذكره
وقيل أن أصلهم من أرجونة من حصون قرطبة ولهم فيها سلف من أبناء الجند ويعرفون ببني
نصر وينتسبون الى سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان كبيرهم لآخر دولة الموحدين نصر بن
يوسف بن نصر ويعرف بالشيخ وأخوه اسمعيل وكانت له وجاهة في ناحيتهم * ولما فشلت ريح

الموحدين

الموحدين وانتزى الثوار بالاندلس وأعطى السادة حصونهم للطاغيه واستقل بامر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الثائر بمرسية بدعوة العباسية وتغلب على شرق الاندلس أجمع فتصدى الشيخ هذا الثورة عليه وبويع له سنة تسع وعشرين وستمائة ودعا لابي زكريا صاحب افريقية وأضاعه جيان وشريش سنة ثلاثين بعدها واستفحر على أمره بفراره عن بني نصر واصهاره بني اشقيلولة ثم بايع لبني هود سنة احدى وثلاثين عند سماعه بالعواصف الخليفه من بغداد ثم ثار باشبيلية أبو مروان الباجي عند خروج ابن هود عنها ورجوعه الى مرسية فداخله محمد بن الاحمر في الصلح على أن يزوجه ابنته فأطاعه ودخل اشبيلية سنة اثنتين وثلاثين ثم فتك بابن الباجي فقتله وتناول البطش به على بن اشقيلولة ثم راجع أهل اشبيلية بعد هذا بشهر دعوة ابن هود واخرج ابن الاحمر ثم تغلب على غرناطة سنة خمس وثلاثين عند اجاحة أهلها حين ثار ابن أبي خالد بدعوته فيها ووصلته بيعتها وهو بجيان فقدم اليها على بن اشقيلولة ثم جاء على اثره ونزلها وابتنى بها حصن الحمراء لنزوله ثم تغلب على مالقه ثم تناول المريه من يد ابن الرميمي وزير ابن هود الثائر بها سنة ثلاث وأربعين ثم بايعه أهل لورقة سنة ثلاث وستين وكان ابن الاحمر أول أمره وصل يده بالطاغية استنصارا على أمره فعضده وأعطاه ابن هود ثلاثين حصنا الى ان كتب عربه بسبب ابن الاحمر وليعينه على ملك قرطبة فشلسها ثم تغلب على قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة أعادها الله ثم نازل اشبيلية سنه ست وأربعين وابن الاحمر معه ثم دخلها صلحا وملك أعمالهم ثم ملك مرسية سنه خمس وستين ولم يزل الطاغية يقتطع ممالك المسلمين كورة كورة وثغرا ثغرا الى أن ألجأ المسلمين الى سيف البحر ما بين رندة من المغرب الى شرق الاندلس نحو عشرة مراحل ثم سخط ابن الاحمر وطمع في الاستيلاء على سائر الجزيرة فامتنعت عليه وتلاحق بالاندلس العزاة من بني مرين وغيرهم وعقد ملك المغرب يعقوب بن عبد الحق لنحو الثلاثة آلاف منهم فأجاروا في حدود السبعين وستمائة وتقبل ابن الاحمر اجارتهم ودفع بهم في نحر عدوهم ورجعوا ثم تناسلوا اليه بعد ذلك ولم يزل الامر على ذلك الى أن هلك الشيخ ابن الاحمر سنة احدى وسبعين وستمائة وولي بعده ابنه محمد الفقيه وأوصاه باستصراخ بني مرين ملوك المغرب بعد الموحدين ان طرقه أمر أن يعتضد بهم فأجاز الفقيه الى يعقوب بن عبد الحق سلطان فاس والمغرب سنة اثنتين وسبعين فاجاب صريخه وأرسل ابنه وعساكره معه ثم أجاز على اثره وتسلم الجزيرة الخضراء من ثائر كان بها وخطها ركابا بالجهاد ونزل اليه ابن الاحمر عن طريف وما اليها من الحصون وهزم هو وابن الاحمر زعيم النصرانية ديته وفرق جمعه وأوقع بجموع الطاغية من كل جهة وبث سراياه وبعوثه في أرض النصرانية ثم خاف ابن الاحمر على ملكه وصاح الطاغية ثم عاد انتهى كلام ابن خلدون ملخصا وثبتت عقب ابن الاحمر بالاندلس واستولوا على جميع ما بايدي المسلمين من ملكها مثل الجزيرة وطريف ورندة التي كانت بيد بني مرين وبعد مدة ألب ملوك النصارى سنة تسع عشرة وسبعمائة على غرناطة وجاءه الطاغية دون بطره في جيش لا يحصى ومعه خمسة وعشرون ملكا وكان من خبر هذه الوقعة أن الافرنج حشدوا وجمعوا وذهب سلطانهم دون بطره الى طليطلة ودخل على مرجعهم الذي يقال له البابا وسجد له وتضرع وطلب منه

دات يوم من حائرة وهي دار الفيلة وحيدرة وراءه وباقي الثمانين تبع لهما فانثنى منعرفلس في سيره الى شارع قليل العرض من شوارع المنصورة فهاجاني مسير امرأة على حين غفلة فلما بصرت به دهشت واستلقت على قفاها من الجزع وانكشف عنها أطمارها في وسط الطريق فلما رأى ذلك منعرفلس وقف بعرض الشارع مستقبلا نحسه الايمن من وراءه من العلة مانعا لهم من النفوذ من أجل المرأة وأقبل يشير اليها بخرطومه بالقيام ويجمع عليها أثوابها ويستر منها ما بدا الى ان انتقلت المرأة ونزحت عن الطريق بعد أن عاد اليها روحها فاستقام الفيل في طريقه واتبعه القبيلة والفيلة أحبار عجمية الحربية منها والعمالة الثلاثة منها ما لا يحارب فيجر العجل وتحمل عليه الاثقال ويستعمل في دياس الارز وغيره من الاقوات كدوس البقر في البيدر وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار الزنج والفيلة وكونها في بلادها وليس في سائر الممالك أكثر منها في بلاد الزنج وهي وحشية هنالك فهذه جمل من أخبار ملوك

٢٧ طل السند والهند ولغة السند خلاف لغة الهند والسند مما يلي الاسلام ثم الهند ولغة أهل المانكير وهي دار مملكة البلهرا أكثرها

مضافة الى الصقع وهى كبيرة ولعة ٢١٠ احله مثل صيمور وسومار ومايه وغير ذلك من مدن الساحل مثل لاروى وبادهم
مضافة الى البحر الذى هم
عليه وهو لارى وقد
تقدم ذكره فيما سلف من
هذا الكتاب وبهذا
الساحل أنهار عظيمة
تجرى من الجنوب بالقرب
من أنهار العلم وليس فى
انهار العلم ما يجرى من
الشمال الى الجنوب وقد
ذكرنا وجه العلة فى ذلك
وما قاله الناس فى هذا
المعنى فى كتابنا أخبار
الزمان وقد ذكرنا
ما انخفض من الانهار وما
ارتفع وليس فى ملوك السند
واهنده من يعز المسلمين فى
ملكه الا البلهرا فالاسلام
فى ملكه عزيز مصون ولهم
مساجد مبنية وجوامع
معمورة الصلوات للمسلمين
وملك الملك منهم الاربعين
سنة والخمس سنة فصاعدا
وأهل مملكته يزعمون أنه
اعمر طالت أعمار ملوكهم
لسنة العدل واكرام
المسلمين وهو ملك يرزق
الجنود من بيت ماله كفعل
المسلمين بجنودهم وله
دراهم ظاطرية وزن الدرهم
منها وزن درهم ونصف
مكتبه بدء تاريخ ملكهم وفيلته الحربية لا تحصى كثرة وتدعى بلاده أيضا بلاد السكنكر ويجاريهم ملك الخزر بينائه

استنصار ما بقى من المسلمين بالاندلس وأكد عزمه فعلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا
على الاستنجاد بالمرينى أبى سعيد صاحب فاس وأنفذوا اليه رسلا فلم يجبهم ذلك الدواء
فرجعوا الى أعظم الادوية وهو اللجأ الى الله تعالى وأخلصوا النيات وأقبل الافرنج فى جموع
لا تحصى وعصى ناصر من لا ناصر له سواه بهزم أمم النصرانية وقتل طاغيتهم دون بطرة ومن
معه وكان نصرا عزيزا ويوما مشهورا مذكورا وكان السلطان اذ ذاك الاندلس الغالب بالله
أبو الوليد اسمعيل بن الرئيس أبى سعيد فرج بن نصر المعروف بابن الاحمر وغلب أن يحصن
البلاد والثغور فلما بلغ النصارى ذلك عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب السلطان
ابن الاحمر لردهم وجهز الاساطيل والرجال فلما رأوا ذلك طلبوا الى طليطلة وعزموا على
استئصال المسلمين وبلادهم وتأهبوا لذلك غاية الاهبة ووصلت الاثقال والمجانيق وآلات
الحصار والاقوات فى المراكب ووصل العدو الى غرناطة وامتلأت الارض بهم فتقدم
السلطان الى شيخ الغزاة الشيخ العالم أبى سعيد عثمان بن أبى العلاء المرينى بالخروج الى
اعدائهم بأنجاد المسلمين وشجعانهم فخرج اليهم يوم الخميس الموفى عشرين لربيع الاول ولما
كان ليلة الاحد أغارت سرية من العدو على سرية من المسلمين فخرجت اليهم جماعة من
فرسان الاندلس الرماة فقطعوهم عن الجيش وفرت تلك السرية أمامهم الى جهة سلطانهم
فتبعهم المسلمون الى الصبح فاستأصلوهم وكان هذا أول النصر ولما كان يوم الاحد ركب
الشيخ أبو سعيد لقتال العدو فى خمسة آلاف من أبطال المسلمين المشهورين فلما شاهدهم
الفرنج عجبوا من اقدامهم مع قلتهم فى تلك الجيوش العظيمة فركبوا وحملوا بجملتهم عليهم
فانهزم الفرنج أقبح هزيمة وأخذتهم السيوف وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة
أيام وخرج أهل غرناطة بجمع الاموال وأخذ الاسرى فاستولوا على أموال عظيمة منها من
الذهب فيما قيل ثلاثة وار بعون قنطارا ومن الفضة مائة وأربعون قنطارا ومن السبى
سبعة آلاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطيين الى الديار المصرية وكان من جملة
الاسارى ام أة الطاغية وأولاده فبذلت فى نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر
حصنا فيما حكى بعض المؤرخين فلم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدة القتلى فى هذه الغزوة على
خمسين ألفا ويقال انه هلك منهم بالوادى مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطريق وأما الذين
هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل الملوك الخمسة والعشرون جميعهم واستمر البيع فى
الاسرى والاسباب والدواب ستة أشهر ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد
ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين والاجناد سوى ثلاثة عشر فارسا وقيل عشرة أنفس وقيل
كان عسكر الاسلام نحو ألف وخمسمائة فارس والرجالة نحو من أربعة آلاف راجل وقيل دون
ذلك وكانت الغنيمة تفوق الوصف وسلخ الطاغية دون بطره وحشى جلده قطنا وعلق على باب
غرناطة وبنى معلقا سنوات وطلبت النصارى الهدنة فعقدت لهم وبعد أن ملكوا جبل الفتح
الذى كان من أعمال فاس والمغرب وهو جبل طارق لم يرل بايديهم الى أن ارتجعه أمير المسلمين
أبو الحسن المرينى صاحب فاس والمغرب بعد ان انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود
والحشود ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين واهنم

ببنائه وتحصينه وأنفق عليه اجمال مال فى بنائه وحصنه وسوره وابراجه وجامه ودوره ومحاريبه وبنا كاديم ذلك نازله العدو براو بحرا فصبر المسلمون وخيب الله سعى الكافرين وأراد السلطان المذكور أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو فى منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فانفق الاموال وأنصف العمال فاحاط بجموعه احاطة الهالة بالهلال وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو نيفا وعشرين سنة وحاصره السلطان أبو الحسن ستة أشهر وزاد فى تحصينه ابنه السلطان أبو عنان ولما اجاز السلطان أبو الحسن المذكور الى الاندلس واجتمع عليه ابن الاحمر وقاتلهم الطاغية هزمهم فى وقعة طريف واستولى على الجزيرة الخضراء حتى قيض الله من بنى الاحمر الغنى بالله محمدا الذى كان لسان الدين بن الخطيب وزيره فاسترجعها وجملة بلاد كجيان وغيرها وكانت له فى الجهاد مواقف مشهورة وامتد ملكه حتى حاد ولاة سلاطين فاس عما وراء البحر وملك جبل الفتح ونصر الله الاسلام على يده كما ستقف عليه فى بعض مكاتبات لسان الدين رحمه الله فى مواضع من هذا الكتاب وسعد هذا الغنى بالله من النجائب وبقى ملك الاندلس فى عقبه الى أن اخذ ما بقى من الاندلس العدو الكافر واستولى على حضرة الملك غرناطة أعادها الله للاسلام كما نبين ذلك ان شاء الله وخلت جزيرة الاندلس من اهل الاسلام فابدلت من النور بالظلام حسبما اقتضته الاقدار النافذة والاحكام والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين قال ابن خلدون واتفق بنو الاحمر سلاطين غرناطة ان يجعلوا مشيخة العزاة لواحد يكون من أقارب بنى مرين سلاطين المغرب لانهم أول من ولى الاندلس عند استيلاء بنى عمهم على ملك المغرب لما بينهم من المنافسة وكان لهؤلاء فى الجهاد مواقف مشهورة منها ما كتب على قبر شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلاء لتستدل عند ذلك على ما ذكرناه بحمد الله تعالى هذا قبر شيخ الحماة وصدر الابطال والكماة واحد الجلالة ليث الاقدام والبسالة علم الاعلام حامى ذمار الاسلام صاحب الكتائب المنصورة والافعال المشهورة والمغازى المسطورة وامام الصفوف القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم الاعادى واسد الآساد العالى الهمم الثابت القدم الهمام الجاهد الارضى البطل الباسل الامضى المقدس المرحوم أبى سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل الهمام الكبير الاصيل الشهير المقدس المرحوم أبى العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفقه ما بين روحة فى سبيل الله وغدوة حتى استوفى فى المشهور سبعمائة واثنتين وثلاثين غزوة وقطع عمره مجاهدا مجتهدا فى طاعة الرب محتسبا فى ادارة الحرب ماضى العزائم فى جهاد الكفار مصادما بين جموعهم تدفق التيار وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ما سارذ كره فى الاقطار أشهر من المثل السيار حتى توفى رحمه الله وغبار الجهاد طى أثوابه وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه فمات على ما عاش عليه وفى ملحمة الجهاد قبضه الله تعالى اليه واستأثر به سعيدا مرتضى وسيفه على رأس ملك الروم منتضى مقدمة قبول واسعاد ونتيجة جهاد وجلاد ودليلا على نيته الصالحة وتجارته الرابحة فارتجت الاندلس لبعده اتحفه الله تعالى رحمة من عنده

فابل بابل وهو الاقليم الرابع وذلك ان هذا الملك ذو نخوة وسورة على سائر الملوك وهو مع ذلك مبغض للمسلمين وهو كثير الحيلة وملكه على لسان من الارض وفى أرضه معادن الذهب والفضة ومبايعاتهم بهما ثم يلى هذا الملك ملك الطالقان موادع لمن حوله من الملوك وهو مكرم للمسلمين وليست جيوشه كجيوش من ذكرنا من الملوك وليس فى نساء الهند أحسن من نسائهم ولا أكثر منهن جمالا وبياضا وهن موصوفات الحلوات مذكورات فى كتب الباه وأهل الحرير يتنافسون فى شرائهن يعرفن بالطالقيات ثم يلى هذا الملك مملكة رهمى وهذه سمة الملوك وهو الاعم من أسمائهم وبناتلهم ملك الخزر وملكه متاخم لملكهم ورهمى بحارب البلهرا أيضا من احدى جهات مملكته وهو أكثر جيوشا وحيلة وحيولا من البلهرا ومن ملك الخزر ومن ملك الطالقان واذا خرج فى حروبه فرسمه أن يكون فى خمسين ألف فيل ولا يكون حربه الا فى الشتاء لقلة صبر الفيلة على العطش وقلة لبثها والمكثر من الناس يغلو بالقول فى كثرة جنوده فيزعمون أن عدد القصارين والغسالين فى عسكره

توفى يوم الاحد الثانى لذى الحجة من عام ثلاثين وسبعمائة انتهى * ومنها ما كتب به لسان الدين بن الخطيب رحمه الله فى تولية على بن بدر الدين مشيخة الغزاة ما نصه هذا شيخ الغزاة الذى فتح على الاسلام أبواب السراء وراق طرازا مذهبا على عاتق الدولة الغراء واعمل حوامل الجهاد فى طاعة رب العباد شارعة لاهل الكفر والعناد من باب الاعمال والاغراء ثربه بالان صدر صدورا وادائه وحسامه المشهور وعلى اعدائه ووليه الذى جبر صدع وفائه وجلى فى مضمار الخلوص له مغبرا فى وجوه اكفائه شيخ شيوخ المجاهدين وفائد كتائبه المنصورة الى غزو الكافرين والمعتدين وعترته التى يدافع بها عن الدين وسابق رده المبرور فى الميادين الشيخ الاجل الى آخر ما وصفه به مما ضاق الوقت عن مثله والله ولى التوفيق

(الباب الرابع)

فى ذكر قرطبة التى كانت الخلافة بمصرها للاعداء قاهرة وجامعها الاموى ذى البدائع الباهية الباهرة والالماع بحضرة الملك الناصر بقلعة الناصرة والعامرية الزاهرة ووصف جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة وما يجر اليه شجون الحديث من أمور تقضى بحسن ادائها القرائح الوقادة والافكار الماهرة * قال ابن سعيد رحمه الله مملكة قرطبة فى الاقليم الرابع وايالته للشمس وفى هذه المملكة مدن الفضة الخالصة فى قرية كرتش ومعدن الزئبق والزنجفر فى بلد بسطائسة ولاجائها خواص مذكورة فى متفرقاتها وأرضها أرض كريمة النبات انتهى وقدم رحمه الله فى المغرب الكلام عليها على سائر أقطار الاندلس وقال انما قدمنا هذه المملكة من بين سائر الممالك الاندلسية لكون سلاطين الاندلس الاول اتخذوها سرير السلطنة الاندلس ولم يعدلوا عن حضرتها ثم سلاطين بنى أمية وخلفاؤهم ولم يعدلوا عن هذه المملكة وتقلبوا منها فى ثلاثة أقطار أداروا فيها خلافتهم قرطبة والزهراء والزاهرة وانما اتخذوها لهذا الشان لما رأوها لذلك أهلا وقرطبة أعظم علما وأكثر فضلا بالنظر الى غيرها من الممالك لاتصال الحضارة العظيمة والدولة المتوارثة فيها ثم قسم ابن سعيد كتاب الحلة المذهبة فى حلى ممالك قرطبة بالنظر الى الكور الى أحد عشر كتابا الكتاب الاول كتاب الحلى الذهبية فى حلى الكورة القرطبية الكتاب الثانى كتاب الدرر المصونة فى حلى كورة بلكونة الكتاب الثالث كتاب محادثة السير فى حلى كورة القصير الكتاب الرابع كتاب الوشى المصور فى حلى كورة المدور الكتاب الخامس كتاب نيل المراد فى حلى كورة مراد الكتاب السادس كتاب المزينة فى حلى كورة كزنة الكتاب السابع كتاب الدر الناطق فى حلى كورة غافق الكتاب الثامن كتاب النفحة الارجية فى حلى كورة استجة الكتاب التاسع كتاب الكواكب الدرية فى حلى الكورة القبرية الكتاب العاشر كتاب رقة المحبة فى حلى كورة اسنبة الكتاب الحادى عشر كتاب السوسانة فى حلى كورة البسانة انتهى قال رحمه الله تعالى ان العمارة اتصلت فى مبانى قرطبة والزهراء والزاهرة بحيث انه كان يمشى فيها الضوء السرج الممتدة عشرة أميال حسبما ذكره الشقندى فى رسالته ثم قال ولكل

من عشرة آلاف الى خمسة أوجه كل وجه من الكردوس خمسة آلاف ومملكة رهص تعاملهم بالودع وهو مال البلد وفى بلده العود والذهب والفضة والثياب التى ليست لغيره رتة ودفة ومن بلده يحمل لشعر المعروف بالصمر الذى يتخذ منه المذاب بضم الميم والصاد المهملة والعصب نوع من الخدم على رؤس الملوك فى مجالسها وفى بلده الحيوان المعروف بالسيبان المعلم وهو الذى تسميه العوام الكركدن وله فى مقدم جبهته قرن واحد وهو دون الفيل فى الخلقة وأكبر من الجاموس الى السواد وهو يحتر كما تحتر البقر وغيرها مما يجتر من الحيوان والفيله تهرب منه وليس فى أنواع الحيوان والله أعلم أشد منه وذلك أن أكثر عظامه أصم ولا مفصل فى قوائمه ولا يرمك فى نومه فاذا كان بين الشجر والاجم يستند اليها عند نومه وافتقدنا كل جمه وكذلك من فى بلادهم من المسلمين لانه نوع من البقر والجواميس بارض السند والهند كثيرة وهذا النوع من السيبان يكون فى أكثر غابات الهند الا أنه فى مملكة رهص أكثر وقرونه أصفى وأحسن وذلك أن قرنه أبيض وفى وسطه صورة سوداء فى ذلك البياض اما صورة

انسان أو صورة طاوس بتخطيطه وشكله أو صورة سمكة أو صورته فى نفسه أو صورة ٢١٣ رج من الحيوان مما يوجد فى تلك

مدينة من مدن قرطبة وأعمالها ذكر مختص به ثم ذكر المسافات التى بين عمالات قرطبة المذكورة فقال بين المدور وقرطبة سبعة عشر ميلا وبين قرطبة ومرادة خمسة وعشرون ميلا وبين قرطبة والقصير ثمانية عشر ميلا وبين قرطبة وعافق مرحلتان وبين قرطبة واستجة ستة وثلاثون ميلا وبين قرطبة ومالكوبه مرحلتان وبين قرطبة واشبيلية أربعون ميلا وبين قرطبة وقبرة ثلاثون ميلا وبين قرطبة وبسانة مرحلتان وبين قرطبة واشجة ثلاثون ميلا وكورة رندة كانت فى القديم من عمل قرطبة ثم صارت من مملكة اشبيلية وهى أرب وأدخل فى المملكة الاشبيلية انتهى (ثم قسم رحمه الله كتابه الحلل السندسية فى حلى الكورة القرطبية الى خمسة كتب) * الكتاب الاول كتاب النعم المطربة فى حلى حضرة قرطبة الكتاب الثانى كتاب الصبحة العراء فى حلى حضرة الزهراء الكتاب الثالث كتاب السدائع الباهرة فى حلى حضرة الزاهرة الكتاب الرابع كتاب الورد فى حلى مدينة شقندة الكتاب الخامس كتاب الحرعة السيعة فى حلى كورة رية. قال رحمه الله تعالى فى كتاب النعم المطربة فى حلى حضرة قرطبة ان حضرة قرطبة احدى عرائس ممالكها وفى اصطلاح الكتاب ان العروس الكاملة الزينة حصنة وهى محصنة بما يعلى بذكر المدينة فى نفسها وتاجها وهو مختص بالايالة السلطانية وسلكها وهو مختص باصحاب درر الكلام من الشعر والنظام وحلقها وهى مختصة باعلام العلماء المصنفين الذين لهم نظم ولا نثر ولا يجب اهمال تراجمهم وأهدابها وهى مختصة بأصحاب فنون الهزل وما يحاكيها انتهى ثم فصل رحمه الله ذلك كله بما تعددت منه الاجزاء وقد لخصت منه هنا بعض ما ذكر ثم أردفته بكلام غيره فأقول قال فى كتاب احبار قرطبة بالنون المعجمة ومعناه أحرسا كنها العربت بالطاء ثم قال ودور مدينة قرطبة ثلاثون ألف ذراع انتهى وقال غيره ان تكسيرها ومساحتها التى دار السور عليها دون الارباض طولا من القبلة الى الجوف ألف وسبعمائة ذراع وانصلت العمارة بها أيام بنى أمية ثمانية فراسخ طولا وفرسخين عرضا وذلك من الاميال أربعة وعشرون فى الطول والعرض ستة وكل ذلك ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول صفة الوادى الكبير وليس فى الاندلس واد يسمى باسم عربى غيره ولم يزل قرطبة فى الزيادة منذ الفتح الاسلامى الى سنة أربعمائة فانحطت واستولى عليها الخراب بكثرة الفتن الى أن كانت الطامة الكبرى عليها بأخذ العدو الكافر لها فى ثانى وعشرى شوال سنة ستمائة وثلاث وعشرين. ثم قال هذا القائل ودور قرطبة المصورة مع الارباض ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ودور قصر امارتها ألف ذراع ومائة ذراع انتهى وعدد أرباضها احد وعشرون فى كل ربض منها من المساجد والاسواق والحمامات ما يقوم بأهله ولا يحتاجون الى غيره وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية فى كل واحدة منبر وفقيه مفلص تكون الفتيا فى الاحكام والشرائع له وكان لا يجعل القالص منهم على رأسه الا من حفظ الموطأ وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وحفظ المدونة وكان هؤلاء المقلصون المحاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه ويطالعونه بأحوال بلدهم انتهى قال وانتهت جباية قرطبة أيام ابن أبى عامر الى ثلاثة آلاف ألف دينار بالانصاف

ا... وينشر هذا القرن و... من الماطق والسيور ... على صورة الحلية من الذهب واضعه يتلبسها ملوك الصين وحواشيها تماثيل فى لبسه ... فى أثمانه متبع المثل ألفى دينار الى أربعة آلاف فهما فوق الذهب وما فى نهاية الحسن والاتقان وعليها تقاسيم بأنواع من الجواهر على هيئات الذهب ووجوه تلك الصور مكتنفة سوادا فى بياض وربما يوجد فى ذوائبه بياض فى سواد وليس فى كل بلد يوجد فى قرون الوعول ما ذكر من الصور وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن الظبى الركدن تحمل فى بطن أمه سبع سنين وأنه يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى ثم يدخل رأسه فى بطنها وهذا القول أورده فى كتاب حياة الحيوان على طريق الحكاية والتعجب فيعنى هذا الوصف على مسألة من سلك تلك الديار من أهل سيراف وعمان ومن رأى بأرض الهند من التجار وكل يتعجب من قوله اذا أخبر به عما عندى من هذا وسألته عنه ويخبرونى

أن حمله وفصاله كالبقر والجواميس ولست أدرى كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ أمن كتاب نقله أو من خبر خبره

وقد ذكر في موضع آخر ما فيه مخالفة لهذا فالله أعلم وما أحسن قول بعضهم

دع عنك حضرة بغداد وبهجتها * ولا تعظم بلاد الفرس والصين

فما على الأرض قط مثل قرطبة * وما مشى فوقها مثل ابن حمدين

(ذكر بعض أوصافها) وهي قاعدة الاندلس ودار الملك التي يجبى لها ثمرات كل جهة وخيرات كل ناحية واسطة بين الكور موفية على النهر زاهرة مشرقة أحدقت بها المنى فحسن مرآها وطاب جناها وفي كتاب فرحة الانفس لابن غالب أما قرطبة فانها لفظة يونانية والى لفظ اليونانيين وتأويله العلو بالمشكلة وقال أبو عبيد البكري انها في لغة القوط بالطاء المعجمة وقال الجواري الضبط فيها باهمال الطاء وضمها وقد يكسرها المشرقيون في الضبط كما يجمعها آخرون النهي (وقال بعض العلماء) أما قرطبة فهي قاعدة الاندلس وقطبها وقطرها الاعظم وأم مدائنها ومساكنها ومستقر الخلفاء ودار المملكة في النصرانية والاسلام ومدينة العلم ومستقر السنة والجماعة نزلها جملة من التابعين وتابع التابعين ويقال نزلها بعض الصحابة وفيه كلام * وهي مدينة عظيمة ازلية من بنيان الاوائل طيبة الماء والهواء أحدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب وبها الخرث العظيم الذي ليس له في بلاد الاندلس نظير ولا أعظم منه بركة * وقال الرازي قرطبة أم المدائن وسرة الاندلس وقرارة الملك في القديم والحديث والجاهلية والاسلام ونهرها أعظم أنهار الاندلس وبها الحضرة التي هي احدى غرائب الارض في الصنعة والاحكام والجامع الذي ليس في بلاد الاندلس والاسلام أكرم منه * وقال بعضهم هي أعظم مدينة بالاندلس وليس بجميع المغرب لها ثاني شبيه في كثرة أهل وسعة محل وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق ويزعم قوم من أهلها انها كأحد جانبي بغداد وان لم تكن كأحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولاحقة به وهي مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة وفيها كان سلاطينهم قديما ودورهم داخل سورها المحيط بها وأكثر أبواب القصر السلطاني من البلد وجنوب قرطبة على نهرها قال وقرطبة هذه باثنة عن مساكن اريافها ظاهرة ودرت بها في غير يوم في قدر ساعة وقد قطعت الشمس نحس عشرة درجة ماشيا * وقال وكانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الاسلام ومجتمع علماء الانام الاعلام بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها نجمعت خلاصة القبائل المعدية واليمانية واليها كانت الرحلة في رواية الشعر والشعراء اذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء ولم تزل تملأ الصدور منها والجعائب ويباري فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتائب ولم تبرح ساحاتها مجرعوالى ومجرى سوابق ومحطم عوالى وحمى حقائق وهي من بلاد الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد والزور من الاسد ولها الداخل الفسيح والخارج الذي يمتع البصر بامتداده فلا يزال مسرحا وهو من تردد النظر طليح * وقال الجواري حضرة قرطبة منذ افتتحت الجزيرة وهي كانت العاية ومركز الراية وأم القرى وقرارة اولى الفضل والتقى ووطن اولى العلم والنهى وقلب الاقليم وينبوع متفجر العلوم وقبة الاسلام وحضرة الامام ودار صوب العقول وبستان ثمر الخواطر وبحر درر القرائح ومن أفقها طلعت نجوم الارض وأعلام العصر

المعادن وجبايات الاموال والولايات وغيرها كفعل ملوك الصين على حسب ما وصفنا من أخبارهم وفرسان

فرسان النظم والنثر وبها أنشئت التأليفات الرائقة وصنفت التصنيفات الفائقة والسبب فى تبريز القوم حديثا وقديما على من سواهم أن أفقهم القرطبى لم يشتمل قط الا على البحث والطلب لانواع العلم والادب انتهى * (وقال على بن سعيد) أخبرنى والدى أن السلطان الاعظم أبا يعقوب بن عبد المؤمن قال لوالدى محمد بن عبد الملك بن سعيد ما عندك فى قرطبة قال فقلت له ما كان لى أن أتكلم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها فقال السلطان ان ملوك بنى أمية حين اتخذوها حضرة ملكهم لعلى بصيرة الديار الكثيرة المنفسحة والشوارع المتسعة والمبانى الفخمة والنهر الجارى والهواء المعتدل والخارج المضر والمحرث العظيم والشعراء الكافية والتوسط بين شرق الاندلس وغربها * قال فقلت ما أبقى لى أمير المؤمنين ما أقول * ثم قال ابن سعيد ومن كلام والدى فى شأنها هى من أحسن بلاد الاندلس مبانى وأوسعها مسالك وأبرعها ظاهرا وباطنا وتفضل اشبيلية بسلامتها فى فصل الشتاء من كثرة الطين ولاهلها رياسة ووفاء ولا تزال سعة العلم وارثة فيهم الا أن عامتها أكثر الناس فضولا وأشدهم تشنيعا وتشغيبا ويضرب بهم المثل ما بين أهل الاندلس فى القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا بامورهم حتى ان السيد أبا يحيى بن يعقوب بن عبد المؤمن لما انفصل عن ولايتها قيل له كيف وجدت أهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خففت عنه الحمل صاح وان أثقلته به صاح ما ندرى أين رضاهم فنقصده ولا أين سخطهم فنجتنبه وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرا من عامة العراق وان العزل عنها لما فاسيت من أهلها عندى ولاية وانى ان كلفت العود اليها لقائل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين * (قال والدى) ومن محاسنها ظرف اللباس والتظاهر بالدين والمواظبة على الصلاة وتعظيم أهلها لجامعها الاعظم وكسر أوانى الخمر حيثما وقع عين أحد من أهلها عليها والستر بأنواع المنكرات والتهاون باصالة البيت وبالجندية وبالعلم وهى أكثر بلاد الاندلس كتبا وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة حتى ان الرئيس منهم الذى لا تكون عنده معرفة يحتفل فى أن تكون فى بيته خزانة كتب ويحتجب فيها ليس الا لان يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلانى ليس عند أحد غيره والكتاب الذى هو بخط فلان قد حصله وظفر به * (قال الحضرمى) أخبرنى مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة اترقب فيه وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء الى أن وقع وهو بخط فصيح وتسعير مليح ففرحت به أشد الفرح فجعلت أزيد فى ثمنه فيرجع الى المنادى بالزيادة على الى أن بلغ فوق حده فقلت له يا هذا أرنى من يزيد فى هذا الكتاب حتى بلغه الى ما لا يساوى قال فأرانى شخصا عليه لباس رياسة فدنوت منه وقلت له أعزك الله سيدنا الفقيه ان كان لك غرض فى هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده فقال لى لست بفقيه ولا أدرى ما فيه ولكنى أفتح خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بها بين أعيان البلد وبقى فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير قال الحضرمى فأعجبنى وحملنى على أن قلت له نعم لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك يعطى الجوز من لا له أسنان وأنا الذى أعلم ما فى هذا الكتاب واطلب

وعنبات صعبة والمابد بأعظم البطش والقوة واذا دخل رسل ملك المابد مملكة الصين يهولون ملك الصين بهم وبغيرهم ينتشرون فى بلادهم جوعا أن يقووا على ضربهم وعورات بلادهم انتهى * المابد فى نفوسهم وقد ذكرنا من الهند والصين فى بلادهم ولغيرهم من الامم أخلاق وشيم فى المأكل والمشارب والمناكح والملابس والعلاج والادوية والكى بالنار وغيره وقد ذكر عن جماعة ممن ملوكهم انهم لا يرون حبس الريح فى أجوافهم لانه داء يؤدى ولا يحتشمون فى اظهارها فى سائر أحوالهم وكذلك فعل حكمائهم ورأيهم ان حبسها داء يؤدى وأن ارسالها شفاء يشفى وان فى ذلك العلاج الاكبر وأن فيه راحة لصاحب الاوجاع والخصور وأن فيه داء للسقيم المطحول ولا يحتشمون من الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا وللهند الاقدم فى صناعة الطب ولهم فيه اللطافة والحذق وذكر هذا الخبر عن الهند أن السعال عندهم أقبح من الضراط وان الجشاء فى وزن الفساء وأن صوت الضرطة دباغها والمذهب عنها ريحها واستشهد هذا المخبر على صحة ما حكاه عن الهند باستفاضة

الاستماع به يكون الرزق عندى قليلا وتحول قلة ما بيدى بينى وبينه * (قال ابن سعيد) وجرت مناظرة بين يدى منصور بن عبد المؤمن بين الفقيه العالم أبى الوليد بن رشد والرئيس أبى بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر فى كلامه ما أدرى ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها واذا مات مطرب بقرطبة فاريد بيع تركته حملت الى اشبيلية * (وسئل ابن بشكوال) عن قصر قرطبة فقال هو قصر أولى تداولته ملوك الامم من لدن عهد موسى النبى صلى الله على نبينا وعليه وسلم وفيه من المبانى الاولية والآثار العجيبة ما يوناني بين ثم للروم والقوط والامم السالفة ما يعجز الوصف ثم ابتدع الخلفاء من بنى مروان منذ فتح الله عليهم الاندلس بما فيها فى قصرها البدائع الحسان وأثروا فيه الآثار المحيية والرياض الانيقة وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة ونمونوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها الى القصر الكريم وأجروها فى كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه فى قنوات الرصاص تؤديها منها الى المصانع صور مختلفة الاشكال من الذهب الابريز والفضة الخالصة والنحاس المموه الى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج الغريبة فى احواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة قال وفى هذا القصر القصاب العالية السمو المنيفة العلو التى لم ير الراؤن مثلها فى مشارق الارض ومغاربها * (قال) ومن قصوره المشهورة وبساتينه المعروفة الكامل والمجدد والحائر والروضة والزاهر والمعشوق والمبارك والرشيق وقصر السرور والتاج والبديع (قال) ومن أبوابه التى فتحها الله لنصر المظلومين وغياث الملهوفين والحكم بالحق الباب الذى عليه السطح المشرف الذى لا نظير له فى الدنيا وعلى هذا الباب باب حديد وفيه حلق لاطون قد أثبتت فى قواعدها وقد صورت صورة انسان فتحفه وهى حلق باب مدينة أربونة من بلد الافرنج وكان الامير محمد قد افتتحها فجلب حلقها الى هذا الباب وله باب قبلى أيضا وهو المعروف بباب الجنان وقدام هذين البابين المذكورين على الرصيف المشرف على النهر الاعظم مسجدان مشهوران بالفضل كان الامير هشام الرضى يستعمل الحكم فى المظالم فيهما ابتغاء ثواب الله الجزيل وله باب ثالث يعرف بباب الوادى وله باب بشماليه يعرف بباب قورية وله باب رابع يدعى بباب الجامع وهو باب قديم كان يدخل منه الخلفاء يوم الجمعة الى المسجد الجامع على الساباط وعدد أبوابا بعد هذا طمست أيام فتنة المهدى بن عبد الجبار * (وذكر ابن بشكوال رحمه الله) أن ابواب قرطبة سبعة أبواب باب القنطرة الى جهة القبلة ويعرف بباب الوادى وبباب جزيرة الخضراء وهو على النهر وباب الحديد ويعرف بباب سرقسطة وباب ابن عبد الجبار وهو باب طليطلة وباب رومية وفيه تجتمع الثلاثة أرصفة التى تشق دائرة الارض من جزيرة قادس الى فرمونة الى قرطبة الى سرقسطة الى طركونة الى أربونة سرة فى الارض الكبيرة ثم باب طليرة وهو أيضا باب ليون ثم باب عامر القرشى وقدامه المقبرة المنسوبة اليه ثم باب الحور ويعرف بباب بطليوس ثم باب العطارين وهو باب اشبيلية انتهى وذكر ايضا ان عدد أرباض قرطبة عند انتهائها فى التوسع والعمارة احد وعشرون ربضا منها القبلية بعدوة النهر وربض شقندة وربض منية عجب وأما الغربية فتسعة ربض حوانيت

فى الارجوزة المعروفة بذات الجمل وهى تدل على ان علم الفقيه الهندى

مقالة فيد يب عندى لانحبس الصرصة امحصرن وخلها وافقها ما تنفعت فى أدوا الراء فى امسكها والروح والراحة فى اخراجها والقحة فى السعال والخاط والشزم فى اسعال الضراط اما الجشاء ففساء صاعد وتتنه على الفساء زائد

وأن الربح والحدد فى الجوف وانما تختلف أسماؤها باختلاف مخرجها فما يذهب الصعداء يسمى جشاء وما يذهب سفلا يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يعلل الصفعة واللطمة لا أن اللطمة فى الوجه والصفعة فى مؤخر الرأس والقفا والمعنى واحد وانما اختلفت أسماؤها لاختلاف المواضعين وتباين المكانين وأن الحيوان الناطق انما كثرت علله وترادفت أدواؤه واتصلت أمراضه كالقولنج وأوجاع المعدة وغيرها من العوارض لحبس الداء فى جوفه وبركه اظهاره فى حال هيجانه وتفرق الطبيعة لدفعه واخراجه وأن سائر

الريحانى وربض الرقاقين وربض مسجد الكهف وربض بلاط مغيث وربض مسجد الشفاء وربض حمام الابيرى وربض مسجد السرور وربض مسجد الروضة وربض السجن القديم وأما الشمالية فثلاثة ربض باب اليهود وربض مسجد أم سلمة وربض الرصافة وأما الشرقية فسبعة ربض سبلار وربض قرن بريل وربض البرج وربض منية عبدالله وربض منية المغيرة وربض الزاهرة وربض المدينة العتيقة قال ووسط هذه الارباض قصبة قرطبة التى تختص بالسور دونها وكانت هذه الارباض بدون سور فلما كانت أيام الفتنة صنع لها خندق يدور بجميعها وحائط مانع *(وذكر ابن غالب) انه كان دور هذا الحائط أربعة وعشرين ميلا وشتندة معدودة فى المدينة لانها مدينة قديمة كانت مسورة *(قال ابن سعيد) فى المغرب ولنذكر الآن من منتزهات قرطبة ومعاهدها المذكورة فى الالسن نظما ونثرا ما انتهى اليه الضبط من غير تغلغل فى غير المشهور منها والاهم ونوشى ذلك بجميع ما يحضرنى من مختار النظم فى قرطبة وما يحتوى عليه نطاقها المذكور فأول ما نذكر من المنتزهات منتزهات الخلفاء المروانية وهو قصر الرصافة فنقول كان هذا القصر مما ابتناه عبد الرحمن ابن معاوية فى أول ايامه لنزهه وسكناه أكثر أوقاته منية الرصافة التى اتخذها بشمال قرطبة منحرفة الى الغرب فاتخذ بها قصرا حسنا ودحاجنا واسعة ونقل اليها غرائب الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية وأودعها ما كان استجلبه بزيد وسفر رسولاه الى الشام من النوى المختارة والحبوب الغريبة حتى نمت بيمين الجد وحسن التربية فى المدة القريبة أشجارا معتمة أثمرت بغرائب من الفواكه انتشرت عما قليل بارض الاندلس فاعترف بفضلها على أنواعها قال وسماها باسم رصافة جده هشام بارض الشام الاثيرة لديه وليله فى اختيار هذه وكلفه بها وكثرة تردده عليها وسكناه أكثر أوقاته بها طار لها الذكر فى أيامه واتصل من بعده فى ايثارها قال وكلهم فضلها وزاد فى عمارتها وانبرى أوصاف الشعراء لها فتنازعوا فى ذلك فيما هو الى الآن مشهور مأثور عنهم مستجاد منهم *وقال ابن سعيد والرمان السفرى الذى فاض على أرجاء الاندلس وصاروا لا يفضلون عليه سواه أصله من هذه الرصافة وقد ذكر ابن حيان شأنه وأفرد له فصلا فقال انه الموصوف بالفضيلة المسلم على أجناس الرمان بعذوبة الطعم ودقة الجرم وغزارة الماء وحسن الصورة وكان رسولاه الى الشام فى توصيل اخته منها الى الاندلس قد جلب طرائف منها من رمان الرصافة المنسوبة الى هشام قال فعرضه عبد الرحمن على خواص رجاله مباهيا به وكان فيمن حضره منهم سعيد ابن زيد الكلاعى من جند الاردن ويقال هو من الانصار الذين كانوا يحملون ألوية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزواته قال وهم يحملون الالوية بين يدى الخلفاء من بنى أمية فاعطاه من ذلك الرمان جزأ فراقه حسنه وخبره فساربه الى قرية بكورة رية فعالج عجمه واحتال لغرسه وغذائه وتنقيله حتى طلع شجرا أثمر وأينع فنزع الى عرقه وأغرب فى حسنة فجاءه عما قليل الى عبد الرحمن فاذا هو أشبه شئ بذلك الرصافى فسأله الامير عنه فعرفه وجه حيلته فاستبرع استنباطه واستنبل همته وشكر صنعه وأجزل صلته واغترس منه بمنية الرصافة وبغيرها من جنانه فانتشر نوعه واستوسع الناس فى غراسه ولزمه النسب اليه فصار

الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين كديمقراطيس وفيثاغورث وسقراط وروحانس وغيرهم من حكماء الامم لم يكونوا يرون حبس شئ من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته ويؤول اليه من متعقباته وان ذلك يجده فى نفسه كل ذى حس وان ذلك يعلم بالطبيعة ويدرك بضرورة العقل واذا استقبح ذلك أناس من اصحاب الشرائع لما وردت به الشرائع ومنعت منه الملل ولم يجر ذلك فى عاداتهم (قال المسعودى) وقد اتينا على أخبارهم وما احكمنا من ذكر شيمهم وعجائب سيرهم ومتصرفاتهم فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وكذلك أتينا على ذكر أخبار المهراج ملك الجزائر والطيب والافاويه مع ملك قمار وما جرى للملك قمار مع المهراج واخبار ملوك الصين وملك سرنديب مع ملك منذرى وهى بلاد مقابلة لجزيرة سرنديب كمقابلة بلاد قمار لجزائر المهراج من الراج وغيرها وكل ملك غلك بلاد منذرى يسمى القابدى وسنأتى بجمل من أخبار ملوك

 الشرق والغرب واليمن والحيرة فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار ملوك اليمن والفرس واليونانيين

يعرف الى الآن بالرمان السفرى قال وقد وصف هذا الرمان محمد بن روح الشاعر فى أبيات كتب بها الى بعض من أهداه له فقال

وبابسة صدف أحمرا * أتتك وقد ملئت جوهرا
كأنك فاتح حق لطيف * تضمن مرجانه الاحمرا
حبوبا كمثل لثات الحبيب * رضابا اذا شئت أو منظرا
وللسفر تعزى وما سافرت * فتشكو النوى أو تقاسى السرى
بلى فارقت ايكها ناعما * رطيبا وأغصانها نضرا
وجاءتك معتاضة اذ أتتك * يا كرم من عودها عنصرا
بعود ترى فيه ماء الندى * ويورق من قبل أن يثمرا
هدية من لو غدت نفسه * هديته ظنه قصرا

(وقال ابن سعيد) وأخبرنى والدى قال أخبرنى الوشاح المبرزا الحسن أبو الحسن المرينى قال بينما أنا أشرب مع ندمانى بازاء الرصافة اذ بانسان رث الهيئة مجفو الطلعة قد جاء فجلس معنا فقلنا له ما هذا الاقدام على الجلوس معنا دون سابق معرفة فقال لا تعجلوا على ثم فكر قليلا ورفع رأسه فانشدنا

اسقنيها ازاء قصر الرصافه * واعتبر فى ما آل أمر الخلافه
وانظر الافق كيف بدل ارضا * كى يطيل اللبيب فيه اعترافه
ويرى أن كل ما هو فيه * من نعيم وعز أمر سخافه
كل شئ رأيته غير شئ * ماخلا لذة الهوى والسلافه

قال المرينى فقبلت رأسه وقلت له بالله من تكون فقال قاسم بن عبود الرياحى الذى يزعم الناس انه موسوس أحمق قال فقلت له ما هذا شعر أحمق وان العقلاء لتعجز عنه فبالله الا ما نمت مسرتنا بمؤانستك ومنادمتك ومناشدة طرف أشعارك فنادم وأنشد ومازلنا معه فى طيبة عيش الى أن ودعناه وهو يتلاطم مع الحيطان سكرا ويقول اللهم غفرا انتهى

(قال) ومن قصور خارج قرطبة قصر السيد أبى يحيى بن أبى يعقوب بن عبد المؤمن وهو على متن النهر الاعظم تحمله اقواس ونيل للسيد كيف تأنقت فى بنيان هذا القصر مع انحرافك عن أهل قرطبة فقال علمت انهم لا يذكرون والياً بعد عزله ولا له عندهم قدر لما بقى فى رؤسهم من الخلافة المروانية فاحببت أن يبقى لى فى بلادهم أثر أذكر به على رغمهم * قال ابن سعيد وأخبرنى والدى أن ناهض بن ادريس شاعر وادى آش فى عصره أنشد لنفسه فى هذا القصر

ألا حبذا القصر الذى ارتفعت به * على الماء من تحت الحواجب اقواس
هو المصنع الاعلى الذى انف الثرى * ورفعه عن لثمه المجد والناس
فأركب متن النهر عزا ورفعة * وفى موضع الاقدام لا يوجد الراس
فلا زال معمورا بالجناب وبابه * يغص وحلت أفقه الدهر أعراس

وقال الفتح فى قلائده لما ذكر الوزير ابن عمار وتنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجرى فى اتقانه الى غير أمد وأبدع بناؤه ونمقت ساحاته وفناؤه

(ذكر جبل الفتح وأخبار الامم من اللان والسرير والخزر وأنواع من الترك وغيرهم وأحداث الباب والابواب ومن حرفهم من الامم)

أما جبل الفتح فهو جبل عظيم وصقعه صقع جليل فد اشتمل على كثير من الممالك ولام وفى هذا الجبل اثنان وسبعون أمة كل أمة لها ملك ولسان يخالف لغة غيرها وهذا الجبل دوشعاب وأودية ومدينة الباب والابواب والسور على شعب من شعابه بناها كسرى نوشروان وجعلها بينه وبين الخزر وجعل هذا السور من جوف البحر على مقدار ميل منه مادا الى البحر ثم على جبل الفتح مادا فى أعاليه ومنخفضاته وشعابه نحو من أربعين فرسخا الى أن ينتهى ذلك الى قلعة يقال لها طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور أو أقل أو أكثر على حسب الطريق الذى جعل الباب من أجله بابا من حديد وأسكن من داخله على كل باب أمة تراعى ذلك الباب وما يليه من السور كل ذلك ليدفع اذى الامم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان والسرير وغيرهم من انواع الكفار وجبل الفتح يكون فى المسافة علوا وطولا وعرضا

واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار أفراحهم وحكوا به قصرهم بالشرق وأطلعوه كالكوكب المشرق وأنشد فيه لابن عمار

كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى ولذ المشم
منظر رائق وماء نمير * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندى * عنبر أشهب ومسك أحم

وهى منسوبة للحاجب ابى عثمان جعفر بن عثمان المصحفى * وذكر الجارى فى المسهب أن الرئيس أبا بكر محمد بن أحمد بن جعفر المصحفى اجتاز بالمنية المصحفية التى كانت لجده أيام حجابته للخليفة الحكم المستنصر فاستعبر حين تذكر ما آل اليه حال جده مع المنصور بن أبى عامر واستيلائه على ملكه وأملاكه فقال

قف قليلا بالمصحفية وانذب * مقلة أصبحت بلا انسان
واسألنها عن جعفر وسطاه * وندداه فى سالف الازمان
جعفر مثل جعفر حكم الدهـ * ـر عليه بعزة وهوان
واعلم حذر الردى فصممنا * لا أمان لصاحب السلطان
بينما يعتلى غدا خافضا منـ * ـه اكتئاب كخفة الميزان

ومنية الزبير منسوبة الى الزبير ابن عم الهاشم ملك قرطبة (قال ابن سعيد) أخبرنى والدى عن أبيه قال خرج معى الى هذه المنية فى زمان فتح النوار ابو بكر بن بقى الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر من اشجار اللوز قد نوّرت فقال ابن بقى

سطر من اللوز فى البستان قابلنى * ما زاد شئ على شئ ولا نقصا
كأنما كل غصن كم جارية * اذا النسيم ثنى اعطافه رقصا

ثم قال شعرا منه

عجبت لمن ابقى على خمر دنه * غداة رأى لون الحديقة نوّرا

ولا اذكر بقية الابيات قال جدى ثم اجتمعت به بعد ذلك بغرناطة فذكرته باجتماعه فى منية الزبير فتنهد وفكر ساعة وقال اكتبوا عنى فكتبنا

سقى الله بستان الربيع ودام فى * ذراه مسيل النهر ما غنت الورق
فكائن لنا من نعمة فى جنابه * كبزته الخضراء طالعها طلق
هو الموضع الزاهى على كل موضع * أماط له ضاف أماماؤه دفق
أهيم به فى حالة القرب والنوى * وحق له منى التذكر والعشق
ومن ذلك النهر الخفوق فؤاده * بقلبى ما غيبت عن وجهه خفق

قال فقلت له جمع الله بينك وبينه على الحالة التى تشتهى قال ذلك لك قلت وكيف ذلك قال تدفع لى هذا السيف الذى تقلدت به أتزوّد به اليه وأنفق الباقى فيه على ما تعلم قال فقلت له هذا السيف شرفنى به السلطان أبو زكريا بن غانية وما العطائه سبيل ولكن اعطيك قيمته فخرج وأتى بشخص يعرف قيمة السيوف فقدره وجعل يقول انه سيف السلطان ابن غانية ليعظم قدره فى عينه فيزيد فى قيمته ثم قبض ما قدر به وأنشد ارتجالا

شعابه يلى بحر الخزر
يلى الباب والابواب على
ماذكر ومن شعابه ما يلى
بحر ما نطش المتقدم ذكره
فيما سلف من هذا الكتاب
الذى ينتهى اليه حلج
القسطنطينية وعلى هذا
البحر طرابزنده وهى مدينة
على شاطئ هذا البحر لها
أسواق فى السنة يأتى اليها
كثير من الامم للتجارة
من المسلمين والروم والارمن
وغيرهم وبلاد كسكر ولما
بنى أنوشروان هذه المدينة
المعروفة بالباب والابواب
والسور فى البر والبحر والجبل
أسكن هنالك أمما من الناس
وملوكا وجعل لهم مراتب
رتبهم عليها ووسم كل أمة منهم
بسمة معلومة وحد لها حدا
معلوما على حسب فعل
أردشير بن بابك حين رتب
ملوك خراسان فمن رتب
أنوشروان من الملوك فى
بعض هذه البقاع والمواضع
مما يلى الاسلام من بلاد
بردعة ملك يقال له شروان
ومملكته مضافة الى اسمه
فيقال لها شروان شاه وكل
ملك يلى هذا الصقع يقال
له شروان وتكون مملكته
فى هذا الوقت وهو سنة
اثنتين وثلاثين وثلثمائة
نحو شهر لانه كان تغلب
على مواضع لم يكن رسمها له
أنوشروان فانضافت الى ملكه والملك فى هذا الوقت المؤرخ والله أعلم مسلم يقال له محمد بن يزيد وهو من ولد بهرام جور

ولد اسمعيل بن أحمد واسمعيل من ولد بهرام جور لا خلاف فيما ذكرنا من شهرة انسابهم وقد ملك محمد هذا وهو شروان على مدينة لب والابواب وذلك بعد موت صهره يقال له عبد الملك ابن هشام وكان رجلا من الانصار وكان قد بايعه اهل الباب والابواب وقد كانوا قطعوا اتباث ندباره منذ دخلها مسلمة بن عبد الملك وغيره من أمراء الاسلام فى صدر الزمان وتلى مملكة شروان مملكة أخرى من جبل الفتح يقال لها الاران وملكها يدعى الاران شاه وقد غلب على هذه المملكة فى هذا الوقت شروان أيضا وعلى مملكة أخرى يقال لها مملكة الموفانية والمعول فى مملكته على مملكة اللكز وهى أمة لا تحصى كثرة ساكنة فى أعالى هذا الجبل ومنهم كفار لا ينقادون الى ملك شروان يقال لهم الدودانية جاهلية لا يرجعون الى قبلة ولهم أخبار طريفة فى المناكح والمعاملات وهذا الجبل ذو أودية وشعاب وفجاج فيه أمم لا يعرف بعضهم بعضا لكثرتهم هذا الجبل وامتناعه وذهابه فى الجو وكثرة غياضه وأشجاره وتسلسل المياه من أعلاه وعظم صخوره واحجاره وغلب هذا الرجل المعروف واغن

أطال الله عمر فتى سعيد * وبقاه ورقته السعود
غدا الى جوده سببا لعودى * الى وطنى فها أنا ذا اعود
وألثم كفه شكرا ويتلو * طريقى آى نعماه النشيد
حمانى من ذخائره بسيف * به لم يبق للاحزان جيد

والقصر الفارسى من القصور المقصودة للنزاهة بخارج قرطبة وقد ذكره الوزير ابو الوليد ابن زيدون فى قصيد ضمنه من منتزهات قرطبة ما تقف عليه وكان قد قدم من قرطبة أيام بنى جهور فخضره فى فراره عيد ذكره بأعياد وطنه ومعاهده الانسية مع ولادة التى كان يهواها ويتغزل فيها فقال

خلبلى لا مطر بسر ولا أضحى * فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى

وستاتى هذه القصيدة فى هذا الباب كما ستأتى قصيدة أبى القاسم بن هشام القرطبى التى أولها

* ياهبة باكرت من نحو دارين * وفيها كثير من منتزهات قرطبة * قال ابن سعيد كان والدى كثيرا ما يأمرنى بقراءتها عليه ويقول والله لقد أنبأت عن فضل لهذا الرجل قال وكان أبو يحيى الحضرمى يحفظها ويزين بها مجالسه ويحلف أن لا ينشدها بمحضر جاهل لا يفهم وحاسد لا ينصف فى الاهتزاز لها وانه لجدير بذلك وانها لمن كنوز الادب ثم قال والمرج النضير المذكور بها هو مرج الخز اخبرنى والدى انه حضر فى زمان الصبا بهذا المرج على راحة ومعه الرئيس الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبى جعفر الوقشى والمسن ابن دويدة المشهور بخفة الروح قال فسبحت أمامنا أوزة وجعلت تمرح وتنثر ما عليها من الماء فوق المرج والمرج قد أحدق به الوادى والشمس قد مالت عليه للغروب فقال لى أبو الحسين بالله صف يومنا وحسن هذا المنظر فقلت لا أصفه أو تصفه أنت ولك منى ذلك فافكر كل منا على انفراد بعد ما ذكرنا ما نصف نثرا فقال أبو الحسين الوقشى

لله يوم بمرج الخز طاب لنا * فيه النعيم بحيث الروض والنهر
وللاوز على أرجائه لعب * اذا جرت بددت ما بيننا الدرر
والشمس تجنح نحو البين ماثلة * كأن عاشقها فى الغرب ينتظر
والكاس جائلة باللب حائرة * وكلنا غفلات الدهر يبتدر

قال فقلت

الا حبذا يوم ظفرنا بطيبه * بأكناف مرج الخز والنهر يسم
وقد مرحت فيه الاوز وأرسلت * على سندس درا به ينتظم
ومد به للشمس فهو كأنه * لثام لها ملقى من النور معصم
ادرنا عليها كؤسا بعثت به * من الانس ميتا عاد وهو يكلم
غدونا اليه صامتين سكينة * فرحنا وكل بالهوى يترنم

فأظهر كل منا لصاحبه استحسان ما قال تنشيطا وتتميما للمسرة ثم قلنا للمسن ما عندك أنت تعارض به هاتين القطعتين قال بهذا ورفع رجله وحبق حبقة فرفعت منها أرجاؤه فقال له أبو الحسين ما هذا يا شيخ السوء فقال الطلاق يلزمه ان لم تكن أوزن من شعركما وأطيب رائحة

وأغن صوتا وأطرب معنى فضحكنا منه أشد ضحك وجعلنا نهز غاية الاهتزاز لموضع نادرته فقال والدليل على ذلك أنكم طربتم لما جئت به أكثر مما طربتم من شعركم * ثم قال ابن سعيد ومن منتزهات قرطبة المشهورة فحص السرادق مقصود للفرجة يسرح فيه البصر وتبتهج فيه النفس أخبرني والدي عن أخيه أبي جعفر بن عبد الملك بن سعيد قال خرجت مع الشريف الاصم القرطبي الى بسيط الجزيرة الخضراء وقد تدبج بالنوار فلما حركنا حسن المكان وتشوقنا الى الاركان قال الشريف لقد ذكرني هذا البسيط بسيط فحص السرادق فقلت له فهل ثار في خاطركم نظم فيه قال نعم ثم أنشد

ألا قد عوادي ذكر العذيب وبارق * ولا تسأموا من ذكر فحص السرادق
مجر ذيول السكر من كل مترف * ومجرى الكؤس المترعات السوابق
قصرت عليه اللحظ ما دمت حاضرا * وفكري في غيب لمرآه شائقي
أيا طيب أيام تقصت بروضة * على لمح غدران وشم حدائق
اذا غردت فيها حمائم دوحها * تحيلتها الاكتاب بين المهارق
وما باختيار الطرف فارقت حسنها * ولكن بكيد من زمان منافق

قال أبو جعفر فلما سمعت هذا الشعر لم أتمالك من الاستعبار وحركني ذلك الى أن قلت في حور مؤمل سيد منتزهات رناطة ولم يذكرها ما قاله فيه وذكره في موضع آخر لم يحضرني الآن حتى أورده هنا والله أعلم ومن منتزهات قرطبة السد قال ابن سعيد أخبرني والدي ان الشاعر المبرز أبا شهاب المالقي انشده لنفسه واصفا يوم راحة بهذا السد

ويوم لنا بالسد لورد عيشه * بعشية أيام الزمان رددناه
بكرناله والشمس في خدر شرقها * الى أن اجابت اذ دعا الغرب دعواه
قطعناه شدوا واغتباقا ونشوة * ورجع حديث لو رقى الميت أحياه
على مثله من منزه تبتغي المنى * فلله ما أحلى وأبدع مرآه
شدت تنابه الارجاء وألقت نثارها * علينا فأصغينا له وقبلناه
لئن بان أنا بالانين لفقده * وبالدمع في اثر الفراق حكيناه

وأنشدني والدي موشحة لابي الحسن المريني معاصره وصاحبه يذكر فيها هذا السد وهي

(مطلع)

في نغمة العود والسلافه * والروض والنهر والنديم
اطال من لامني خلافه * فظل في نصحه مليم

(دور)

دعني على منهج التصابي * ما قام لي العذر بالشباب
ولا تطل في المنى عتابي * فلست اصغي الى عتاب
لا ترج ردي الى جواب * والكاس تفتر عن حباب
والغصن يبدي لنا انعطافه * اذا هفا فوقه النسيم
والروض أهدى لنا قطافه * واختال في برده الرقيم

محمد بن زيد الى ملكه منها خراسان شاه وارادان شاه وسنذكر بعد هذا الموضع تغلبه على مملكة شروان وقد كان قبل ذلك على الاران هو وأبوه من قبل ثم على سائر الممالك وتلى مملكة شروان في جبل القبق مملكة طبرستان ومملكها في هذا الوقت مسلم وهو ابن أخت عبد الملك الذي كان أمير الباب وهي أقرب الامم المتصلة بالباب والابواب وبلادي أهل الباب والابواب مملكة يقال لها حيدان وهذه الامة الخزر في جملة ملوك الخزر وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها سمندر وهي اليوم يسكنها خلق من الخزر وذلك انها افتتحت في يده الزمان افتتحها سليمان ابن ربيعة الباهلي رضي الله تعالى عنه فانتقل الملك عنها الى مدينة آمل وبينها وبين الاولى سبعة أيام وآمل التي يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي بلاد الترك يتشعب منه شعبة نحو بلاد البدعر وتصب في بحر مانطش وهذه المدينة جانبان وفي وسط النهر جزيرة فيها دار الملك وقصر الملك في وسط هذه الجزيرة وبها جسر الى أحد الجانبين من سفن وفي هذه المدينة

(دور)

ياجذا عهدى القديم * ومن به همت مسعدى
ريم عن الوصل لا يريم * مولع بالتودد
ماتم الا به النعيم * طوعا على رغم حسدى
معتدل القد ذو نحافه * اسقمنى طرفه السقيم
ورام طرفى به انتصافه * فخد فى خده الكليم

(دور)

غصن الصبا عاطر المقبل * أحلى من الامن والامل
ظامى الحشا مفعم المخلخل * حلو اللمى ساحر المقل
لكل من رامه توصل * لم يخش رد ابما فعل
اشكو فيبدى لى اعترافه * ان حاد عن نهجه القويم
لا أعدم الدهر فيه رافه * فحق لى فيه أن أهيم

(دور)

لله عصر لنا تقضى * بالسدو المنير البهيج
أرى ادكارى اليه فرضا * وشوقه دائما يهيج
فكم خلعنا عليه غمضا * وللصبا مسرح أريج
ورد أطال المنى ارتشافه * حتى انقضى شربه الكريم
لله ما أسرع انحرافه * وهكذا الدهر لا يديم

(دور)

يا من يحث المطى غربا * عرج على حضرة الملوك
وانثر بها ان سمحت غربا * من مدمع عاطل سلوك
واسمع الى من أقام صبا * واحك صداه لافض فوك
بلغ سلامى قصر الرصافه * وذكره عهدى القديم
وحى عنى دار الخلافه * وقف بها وقفة الغريم

قال ابن سعيد والمنبر المذكور فى هذه الموشحة من منتزهات قرطبة والسدو الارجاء التى ذكرها فى زجله قاسم بن عبود الرياحى رويته عن والدى عن قائله وهو

(مطلع)

بالله أى نصيب * من ليس لى فيه نصيب
محبوبا مخالف * ومعشوقه رقيب

(دور)

حين نقصد مكانو * يقم فى المقام
و يخل علينا * بردا السلام
أدخلت يا قلبى * روحك فى زحام

خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه وكان تهود ملك الخزر فى خلافة هرون الرشيد وقد انضاف اليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم وذلك أن ملك الروم نقل من كان فى ملكه من اليهود الى دين النصرانية واكرههم وهو أرميوس ملك الروم فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية أخبار ملوك الروم وأعدادهم وأخبار هذا الملك ومن قد شاركه فى ملكه فى هذا الوقت المؤرخ فنهارب خلق من اليهود من أرض الروم الى أرضه على ما وصفنا وكان لليهود مع ملك الخزر خبر ليس هذا موضع ذكره وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا وأما من فى بلاده من الجاهلية فأجناس منهم الصقالبة والروس وهم فى احدى جانبى هذه المدينة ويحرقون موتاهم ودوابهم وآلاتهم والحلى واذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهى فى الحياة وان ماتت المرأة لم يحرق الرجل وان مات أعزب زوج بعد وفاته والنساء يرغبن فى تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة وهذا فعل من أفعال الهند على حسب ما ذكرنا آنفا الا أن الهند سلامتك

سلامتك عندى * هى شئ عجيب
وكيف بالله يسلم * من هو فى لهيب

(دور)

يا لله يا حبيبى * اتركك ذا النقار
واعمد أن نطيب * فى هذا النهار
واخرج معى للوادى * لشرب العقار
تمم نهارنا * فى لذة وطيب
فى الارحا والا * فى المرج الخصيب

(دور)

أو عند النواعير * والروض الشريق
أو قصر الرصافه * أو وادى العقيق
حرق والله دونك * هو عندى الحريق
وفى حبك امسيت * فى أهلى غريب
وما الموت عندى * الا حين تغيب

(دور)

اتكل على الله * وكن فظ جسور
وان رميت فضولى * فقل أى نمور
كمش عنى وجهك * فان رآك نفور
يهرب عنك خائف * ويبقى مريب
وامش انت موقر * كانك خطيب

(دور)

ما أعجب حديثى * وايش هذا الجنون
تطلب وتدبر * امرا لا يكون
وكم ذا هوّن * شيأ لا يهون
وايش مقدار ما نصبر * لبعد الحبيب
رب اجمعنى معو * عاجلا قريب

قال ابن سعيد وأما نهر قرطبة فانه يصغر عن عظمه عند اشبيلية بحيث صنع عليه قنطرة من حجارة لا يتأتى مثلها فى نهر اشبيلية ومنبعه من جهة شقورة يمر النصف منه الى مرسية مشرقا والنصف الى قرطبة واشبيلية مغربا ولما ذكر الرازى قرطبة قال ونهرها الساكن فى جريه اللين فى انصبابه الذى تؤمن مغبة ضرره فى حمله وقال هذا لانه بعظم عند اشبيلية فاذا حان حمله فى ايام الامطار أشفت اشبيلية على الغرق وتوقع اهلها الهلاك والقنطرة التى على هذا النهر عند قرطبة من اعظم آثار الاندلس واعجبها اقواسها سبعة عشرة قوسا وبانيها على ما ذكره ابن حيان وغيره السمح بن مالك الخولانى صاحب الاندلس بامر عمر بن عبد

يعبرون فى هذا البلاد باللارشية وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم وكان فى قديم الزمان بعد ظهور الاسلام وقع فى بلادهم جدب ووباء فانتقلوا الى ملك الخزر وهم ذو وباس وشدة وعليهم يغزو ملك الخزر فى حروبه وأقاموا فى بلده على شروط بينهم أحدها اظهار الدين والمساجد والاذان وثانيها أن تكون وزارة الملك فيهم والوزير فى وقتنا هذا منهم هو أحمد بن كويه وثالثها أنه متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا فى عسكر منفردين عن غيرهم لا يحاربون أهل ملتهم ويحاربون معه سائر الناس من الكفار وركب منهم مع الملك فى هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخود ومنهم راجله أيضا على حسب ما فى المسلمين من آلات السلاح ولهم قضاة مسلمون ورسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة اثنان منهم للمسلمين واثنان للخزر يحكمون بحكم التوراة واثنان لمن بها من النصرانية يحكمون بحكم النصرانيه وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية وهى قضايا عقلية فاذا ورد عليهم ما لا علم لهم به من الموازل

المسلمين فتحاكموا اليهم وانقادوا الى ماتوجبه شريعة الاسلام وليس فى

العزيز رضى الله عنه وشيدها بنو أمية بعد ذلك وحسنوها قال ابن حيان وقيل انه قد كانت فى هذا المكان قنطرة من بناء الاعاجم قبل دخول العرب بنحو مائتى سنة أثرت فيها الازمان بمكابدة المدد حتى سقطت حنايا ها ومحيت أعاليها وبقيت أرجلها وأسافلها وعليها بنى السميح فى سنة احدى ومائة انتهى وقال فى مناهج الفكر ان قنطرة قرطبة احدى العجائب الدنيا بنيت زمن عمر بن عبد العزيز على يد عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقى وطولها ثمانمائة ذراع وعرضها عشرون باعا وارتفاعها ستون ذراعا وعدد حنايا ها ثمان عشرة حنية وعدد أبراجها تسعة عشر برجا انتهى * (رجع الى قرطبة) * ذكر ابن حيان والرازى والحجارى أن التنبان ثانى قياصرة الروم الذى ملك أكثر الدنيا وصفح نهر رومية بالصفر فأرخت الروم من ذلك العهد وكان من قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثمان وثلاثين سنة أمر ببناء المدن العظيمة بالاندلس فبنيت فى مدته قرطبة واشبيلية وماردة وسرقسطة وانفرد الحجارى بأن التنبان المذكور وجه أربعة من اعيان ملوكه للاندلس فبنى كل واحد منهم مدينة فى الجهة التى ولاه عليها وسماها باسمه وان هذه الاسماء الاربعة كانت أسماء لاولئك الملوك وعبر الحجارى جعل أن هذه المدن مشتقة مما تقتضيه اوضاعها كما مر وذكروا انه قد تداولت على قرطبة ولاة الروم الاخيرة الذين هم بنو عيصو بن اسحق بن ابراهيم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام الى أن انتزعها من أيديهم القوط من ولد يافث المتغلبون على الاندلس الى أن اخذها منهم المسلمون ولم تكن فى الجاهلية سرير السلطنة الاندلس بل كرسيا لخاص مملكتها وسعدت فى الاسلام فصارت سرير السلطنة العظمى الشاملة وقطبا للخلافة المروانية وصارت اشبيلية وطليطلة تبعا لها بعدما كان الامر بالعكس والله يفعل مايشاء بيده الملك والتدبير وهو على كل شئ قدير لا اله الا هو العلى الكبير وقال صاحب نشق الازهار عند ما تعرض لذكر قرطبة هى مدينة مشهورة دار خلافة واهلها أعيان ناس فى العلم والفضل وبها جامع ليس فى الاسلام مثله انتهى ومن الاسباب فى سلب محاسن قرطبة عيث البربر بها فى دخولهم مع سليمان المستعين الاموى حين استولى على قرطبة فى دولته التى افتتحت بالقهر وسفك الدماء وكان من امراء البربر المعاضدين لسليمان على بن حمود من بنى على بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم أجمعين وجده ادريس هرب من هرون الرشيد الى البربر فتبربر ولده وبنى ابنه ادريس مدينة فاس وكان المؤيد هشام يشتغل بالملاهى ووقف على أن دولة بنى امية تنقرض بالاندلس على يد علوى أول اسمه عين فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة ومحوا كثيرا من محاسنها ومحاسن أهلها كان من اكبر أمرائهم على بن حمود وبلغ هشاما المؤيد وهو محبوس خبره واسمه ونسبه فدس اليه ان الدولة صائرة اليك وقال له ان خاطرى يحدثنى أن هذا الرجل يقتلنى يعنى سليمان فان فعل فخذ بثارى وكان هذا الامر هو الذى قوى نفس ابن حمود على طلب الامامة وحمله على الاخذ بثار هشام المؤيد فكان المؤيد أحد من اخذ بثاره بعد موته وتولى بعد ذلك على بن حمود وبويع بقرطبة فى قصرها فى اليوم الذى قتل فيه سليمان المستعين واخذ الناس بالارهاب والسطوة واذل رؤس البربر وبرقت للعدل فى ايامه بارقة خلب لم تكد

تقد

نعظام اجتمعوا الى قصاة ملوك الشرق فى هذا الصقع من جند من بربر وغير ملك الخزر وكل مسلم من تلك الديار يعرب باسمه هؤلاء اتوم الارشة والروس والصقالبة ومن ذكرنا انهم بهذه من جند الملك وعبيده وفى بلاده خلق من المسلمين تجار وصناع غير الارشية فى طرف بلده العدل وأمنه ولهم مسجد جامع والمنارة تشرف على قصر الملك ولهم مساجد أخر فيها المكاتب لتعليم الصبيان القرآن وهذا اتفق المسلمون ومن بهامن النصارى لم يكن للملك بهم طاقة (قال المسعودى) ونحن اخبارنا عن ملك الخزر نريد به خاقان يدل ان للخزر ملكا يقال له خاقان وسمه أن يكون فى يدى ملك آخر هو وغيره تحف فان فى جوف قصر لا يعرف اتركوب ولا الظهور للخاصة ولا للعامة ولا الخروج من مسكنه معه حرمه لا أمر ولا نهى ولا بد من أمر المملكة شيأ ولا تستقيم مملكة الخزر لملكهم الا خاقان يكون عنده فى دار مملكته ومعه فى حيزه فاذا أجدبت ارض الخزر أو نابت بلادهم نائبة أو توجهت عليهم حرب لغيرهم من الامم أو فاجأهم أمر من الامور نفرت الخاصة والعامة الى

تقدحتى خبت وجلس للظالم وقدمت له جماعة من البربر فى اجرام فضرب رقابهم واهلهم وعشائرهم ينظرون وخرج يوما على باب عامر فالتقى فارسا من البربر وامامه حمل عنب فاستوقفه وقال له من اين لك هذا فقال أخذته كما يأخذ الناس فأمر بضرب عنقه ووضع رأسه وسط الحمل وطيف به فى البلد واستمر على هذا مع اهل قرطبة فى أحسن عشرة نحو ثمانية أشهر حتى بلغه قيام الاندلسيين بالمرتضى المروانى فى شرق الاندلس فتغير عما كان عليه وعزم على اخلاء قرطبة وابادة أهلها فلا يعود لائمتهم بها سلطان آخر الدهر وأعضى للبربر عن ظلمهم فعاد البلاء الى حاله وانتزع أهل قرطبة وهدم المنازل واستهان بالاكابر ووضع المغارم وقبض على جماعة من أعيانهم وألزمهم عمالا فلما غرموه سرحهم فلما جيء اليهم بدوابهم ليركبوها أمر من أخذ الدواب وتركهم ينزلون الى منازلهم على أرجلهم وكان منهم أبو الحزم الذى ملك قرطبة بعد وصارت دولته بوراثة ولده معدودة فى دول الطوائف فانجمعت عن على النفوس وتوالى عليه الدعاء فقتله صبيان أغمار من صقالبة بنى مروان فى الحمام وكان قتله غرة ذى القعدة سنة ثمان وأربعمائة وكان الصقالبة ثلاثة فهربوا واختفوا فى اماكن يعرفونها وصح عند الناس موته ففرحوا وكانت مدته كام نحو عامين وحقنها بعض فقال أحد وعشرون شهرا وستة أيام وكان الناصر على بن حمود على عجمته وبعده من الفضائل يصغى الى الامداح ويثيب عليها ويظهر فى ذلك آثار النسب العربى والكرم الهاشمى ومن شعرائه المختصين به ابن الخياط القرطبى ومن شعره قوله

راحت تذكر بالنسيم الراحا * وطفاء تكسر للجنوح جناحا
أخفى مسالكها الظلام فأوقدت * من برقها كى تهتدى مصباحا

وعبادة بن ماء السماء وكان معروفا بالتشيع وفيه يقول من قصيدة

أبوكم على كان بالشرق بدءنا * ورثتم وذا بالغرب أيضا سميه
فصلوا عليه أجمعون وسلموا * له الامر اذ ولاه فيكم وليه

ومدحه ابن دراج القسطلى بقوله

لعلك ياشمس عند الاصيل * شجيت لشجو الغريب الذليل
فكوني شفيعى لابن الشفيع * وكوني رسولى لابن الرسول

وكان أخوه القاسم بن حمود أكبر منه بعشر سنين وامهما واحدة وهى علوية ولما قتل الناصر كان القاسم واليا على اشبيلية وكان يحيى بن على واليا على سبتة فاختلف هؤلاء البربر فمال أكثرهم الى القاسم لكونه غبن أولا وقدم عليه اخوه الاصغر وكونه قريبا من قرطبة وبينهم وبين يحيى البحر فلما وصلت رسلهم الى القاسم لم يظهر فرحا بالامامة وخاف ان تكون حيلة من أخيه عليه فتقهقر الى أن اتضح له الحق فركب الى قرطبة وبويع فيها بعد ستة أيام من قتل أخيه واحسن السيرة وأحس من البربر الميل الى يحيى ابن أخيه على صاحب سبتة فتهالك فى اقتناء السودان وابتاع منهم كثيرا وقوّدهم على أعماله فأنفت البربر من ذلك وانحرفوا عنه وفى سنة تسع وار بعمائة قام عليه بشرق الاندلس المرتضى عبد الرحمن من اعقاب الناصر لان اهل الاندلس صعب عليهم ملك بنى حمود العلويين بسبب البربر فأرادوا

اليها تقتله وبما سلمه اليهم فقتلوه وربما تولى هو قتله وربما رق له فدافع عنه لان قتله بلا جرم استحقه ولا ذنب أتاه هذا رسم الخزر فى هذا الوقت فلست أدرى فى قديم الزمان كان ذلك أم حدث وانما ينسب خاقان هذا الى أهل بيت واعيانهم ارى ان الملك كان فيهم قديما والله اعلم وللخزر زوارق يركب فيها التجار فى نهر فوق المدينة يصب الى نهرها من اعاليها يقال له برطاس عليه امم من الترك حاضرة داخلة فى جملة ممالك الخزر وعشائرهم متصلة بين ملك الخزر والبلغر يرد هذا النهر من حد بلاد البلغر والسمن تختلف فيه من البلغر والخزر وبرطاس امة من الترك على ماذكرنا على هذا النهر المعروف بهم ومن بلادهم تحمل جلود الثعالب السود والحمر التى تعرف بالبرطاسية بلغ الجلد منها مائة دينار وأكثر ذلك من السود والحمر اخفض ثمنا منها وتلبس السود منها ملوك العرب والعجم وتتنافس فى لبسه وهو اغلى عندهم من السمور والفنك وماشاكل ذلك وتتخذ الملوك منه القلانس والخفاف ويتخذ فى الملوك من ليس له خفان ودواج مبطن من هذه الثعالب البرطاسية السود وفى اعالى

رجوع الامامه الى بنى مروان واجتمع له أكثر ملوك الطوائف وكان معه حين أقبل لقرطبة مسلم التجيبى صاحب سرقسطة وخيران العامرى الصقلبى صاحب المرية وانضاف اليهم جميع من المرتضى وتأهب القاسم والبرابرة للقائهم فكان من الاتفاق العجيب أن فسدت نية مندر وخيران على المرتضى وقالا أرانا فى الزلل وجها ليس بارجه الذى نراه حين اجتمع البه الجم لغيه وهذا ما كرغير صاحبى الغية فكتب خيران الى ابن زيرى الصنهاجى المتغلب على غرناطة وهو داهية البربر يوصمن له أنه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه الى قرطبة خذل عن نصرته الموالى العامريين أعداء المروانيين وأصحاب رياسة الثغور فأصغى ابن زيرى الى ذلك وكتب المرتضى الى ابن زيرى يدعوه لطاعته فقلب الكتاب وكتب فى ظهره قل يا أيها الكافرون السورة فارسل اليه كتابا ثانيا يقول فيه جئتك بجميع أبطال الاندلس وبالفرنج فاذا تصنع وختم الكتاب بهذا البيت

ان كنت منا أثير بخير * أولا فأيقن بكل شر

وأمر الكاتب ان يحول الكتاب ويكتب فى ظهره ألهاكم التكاثر السورة فازداد حنقه وحمله الغيظ لى أن ترك السير الى حضرة الامامة قرطبة وعدل الى محاربته وهو يرى أن يصطلمه فى ساعة من نهار ودامت الحرب أياما وأرسل ابن زيرى الى خيران يستحثه وعده فاجابه انما توقفت حتى ترى مقدار حربنا وصبرنا ولو كنا بيوا طننا معك فأثبت جعلك لنا ونحن نهزم عنه ونخذله فى غد ولما كان من الغد رأى اعلام خيران واعلام منذر وأصحاب الثغور قد ولت عنه فسقط فى يد المرتضى وثبت حتى كادوا يأخذونه واستحر القتل وصرع كثير من أصحابه فلما خاف القبض على يسوولى فوضع عليه خيران عيونا فلحقوه بقرب وادى آش وقد جاوز بلاد البربر وأمن على نفسه فهجموا عليه فقتلوه وجاؤا برأسه الى المرية وقد حل بها خيران ومنذر فتحدث الناس انهما اصطبحا عليه سرورا بهلاكه وبعد هذه الواقعة اذعن أهل الاندلس للبرابرة ولم يجتمع لهم بعدها جمع ينهضون به اليهم وضرب القاسم ابن حمود سرادق المرتضى على نهر قرطبة وغشيه خلق من النظارة وقلوبهم تنقطع حسرات وأنشد عبادة بن ماء السماء قصيدته التى أولها

لك الخير خيران مضى لسبيله * وأصبح أمر الله فى ابن رسوله

وتمكنت امور القاسم وولى وعزل وقال وفعل الى أن كشف وجهه فى خلع طاعته ابن أخيه يحيى بن على وكتب من سنته الى أكابر البرابر بقرطبة ان عمى أخذ ميراثى من أبى ثم انه قدم فى ولاياكم التى أخذتموها بسيوفكم العبيد والسودان وأنا اطلب ميراثى وأوليكم مناصبكم واجعل العبيد والسودان كما هو عند الناس فاجابوه الى ذلك فجمع ما عنده من المراكب وأعانه اخوه ادريس صاحب مالقة فحاز البحر بجمع وافر وحصل بمالقة مع اخيه وكتب الله خيران صاحب المرية مذكرا بما أسلفه فى اعانة أبيه وأكد المودة فقال له اخوه ادريس أن خيران رجل خداع فقال يحيى ونحن مخدعون فيما لا يضرنا ثم ان يحيى أقبل الى قرطبة واتفقا بان البرابر معه ففر القاسم الى اشبيلية فى حمسة فرسان من خواصه ليلة السبت ٢٨ شهر ربيع الآخر سنة ٤١٣ وحل يحيى بقرطبة فبايعه البرابر والسودان وأهل البلد يوم

نهر الخزر مصب متصل
من سواحلهم وهى امة
عظيمة جاهلية لا تتقاد الى
ملك ولا شريعة وفيهم تجار
يختلفون الى مدينة بحر
البلغر والروس ترد عليهم
معدن العصقرى كثير نحو
معدن العصقرى بجبل
مهجير من أرض خراسان
ومدينة البلغر على ساحل
بحر سنطش وأرى انهم فى
الاقليم السابع وهم نوع
من الترك والنوافل
متصلة بهم من بلاد خوارزم
من ارض خراسان ومن
خوارزم اليهم لا أن ذلك
بين برادى غيرهم من الترك
والنوافل محفرة منهم
وملك البلغرى وقتنا هذا
وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة مسلم اسلم فى أيام
المقتدر وذلك بعد العشر
والثلثمائة وذلك لرؤيا
رآها وقد كان له ولد حج
وورد مدينة السلام وحمل
معه المقتدر لواء وبنودا ولهم
جامع وهذا الملك غزا بلاد
القسطنطينية فى نحو ألف
فارس فصاعدا فش لغارات
حولها الى بلاد رومية
والاندلس وأرض أرجان
واجلا القوة والافرنجة ومنهم
الى القسطنطينية فى خليج
آخر من البحر الرومى لا منفذ
له الى غيره وانتهوا الى بلاد
حرفيديه وأتاهم فى البحر جماعة من البلغر يجدونهم وأخبروهم أن ملكهم بالغرب وهذا يدل على ما

بخليج من بحر اقريطش وهو بحر (الروس) لا يسلكه غيرهم وهو على ساحل

لم يمت منهم جمادى الآخرة وكان يحيى من الجبناء واسمه قطنية وانما كانت آفته العجب واصطناع السفلة واشتط أكابر البرابر عليه وطلبوا امارة عدهم من اسقاط مراتب السودان فبذل لهم ذلك فلم يقنعوا منه وصاروا يفعلون معه ما يخرق الهيبة ويقرع بيت المال وفر السودان الى عمه باشبيلية ومن البرابر ومن جند الاندلس من احتجب عنهم يحيى وتكبر عليهم ولم يمل اليه ملوك الطوائف وبقي منهم كثير على الخطبة لعمه القاسم الى أن اختلت الحال بحضرة قرطبة وأيقن يحيى انه متى أقام بها قبض عليه وكان قد ولي على سبتة أخاه ادريس وبلغه أن أهل مالقة خاطبوا خيران وكاتبوه فطمع خيران فيها وفر يحيى في خواصه تحت الليل الى مالقة ولما بلغ القاسم فراره ركب من اشبيلية الى قرطبة فخطب له بها يوم الثلاثاء ١٢ ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٤١٣ ولم يصلح الحال للقاسم منذ وصل الى الحضرة ووقع الاختلاف وكان هوى السودان معه وهوى كثير من البرابرة مع يحيى وهوى أهل قرطبة مع قائم من بني أمية يشيعون ذكره ولا يظهرونه وكثر الارجاف بذلك ووقع الطلب على بني أمية فتفرقوا في البلاد ودخلوا في أغمار الناس وأخفوا رءوسهم ثم ان الخلاف وقع بين البربر وأهل قرطبة ونكاثر البلديون وأخرجوا القاسم وبرابرته فضرب خيمة بعريبها وقاتلهم مدة خمسين يوما قتالا شديدا وبنى العرطبيون أبواب مدينتهم وقاتلوا القاسم من الاسوار الى أن طال عليهم الحصار فهدموا بابا من الابواب وخرجوا خرجة رجل واحد وصبروا فهزمهم الله تعالى الظفر وفر السودان مع القاسم الى اشبيلية وفر البرابرة الى شنتبرية وهو بمالقة وكان فرار القاسم من ظهر قرطبة يوم الخميس ١٢ ليلة خلت من شعبان سنة ٤١٤ وكان ابنه محمد ابن القاسم واليا على اشبيلية وثقته المدبر لامره محمد بن زيري من أكابر البرابرة وفاضيها محمد ابن عباد فعمل القاضي لنفسه وهو جد المعتمد بن عباد وأطمع ابن زيري في التملك فأغلق الابواب في وجه مصطنعه وحاربه فقتل من البرابر والسودان خلق كثير وابن عباد يضحك على الجميع فيئس القاسم وقنع أن يخرجوا اليه ابنه وأصحابه ويسير عنهم فاخرجوهم اليه فسار بهم الى شريش وعندما استقر بها وصل اليه يحيى ابن أخيه من مالقة ومعه جمع عظيم وحاصره في المدينة عشرين يوما كان فيها حروب صعاب وقتل من الفريقين خلق كثير وأجلت الحرب عن تهور يحيى لعمه واسلام أهل شريش له وفر سودانه وحصل القاسم وابنه في يد يحيى وكان قد أدسم أنه ان حصل في يده ليقتلنه ولا يتركه حتى يلي الامامة بقرطبة مرة ثالثة فرأى التربص في قتله حتى يرى رأيه فيه فحدث عنه بعض أصحابه انه حمله بغير دالى مالقة وحبسه عنده وكان كلما سكر وأراد قتله رغبه ندماؤه في الابقاء عليه لانه لا قدرة له على الخلاص وكان كلما نام رأى والده عليا في النوم ينهاه عن قتله ويقول له أخي أكبر مني وكان محسنا الي في صغري ومسلما الى عند اما ربي الله الله فيه وامتدت الحال على ذلك الى أن قتله خنقا بعد ١٣ سنة من حين القبض عليه لانه قد كان حبسه في حصن من حصون مالقة فمضى اليه أنه قد تحدث مع أهل الحصن في القيام والعصيان فقال أو بقي في رأسه حديث بعد هذا العمر فقتله سنة ٤٢٧ وبنى أهل قرطبة بعد فرار القاسم نيفا عن عشرين يوما ورأيهم فيمن يبايعونه بالامامة ولما كان يوم الثلاثاء نصف شهر رمضان سنة ٤١٤ أحضر المستظهر وسليمان بن المرتضى وأمرى

في مراكب الترسوسيين وأتوا بهم الى بلاد ترسوس والبلغر أمة عظيمة منيعة شديدة البأس ينقاد اليها من جاورها من الامم والفارس ممن قد أسلم مع ذلك يقاتل المائة من الفرسان والمائتين من الكفار ولا يمنع أهل القسطنطينية منهم هذا الوقت الاسورها وكذلك من في هذا الصقع لا يعتصم منهم الا بالحصون والجدران والليل في بلاد البلغر في نهاية من القصر في بعض السنة ومنهم من زعم أن أحدهم لا يستطيع أن يفرغ من طبخ قدره حتى يأتي الصباح ويعد كرنا نحن سلف من كتبنا على ذلك الوجه من القلب وعلى الموضع الذي يكون الليل فيه ستة أشهر لا نهار فيه والنهار ستة أشهر متصلة لا ليل فيه وذلك نحو الجدي وقد ذكر أصحاب الريحان في النجوم على ذلك من الوجه الفلكي والروس أمم كثيرة وأنواع شتى ومنهم من يقال لهم المودعانه وهم الاكثرون يختلفون بالتجارة الى بلاد الاندلس ورومية وقسطنطينية والخزر وقد كان بعد الثلثمائة ورد عليهم نحو من خمسمائة

مركب في كل مركب مائة نفس فدخلوا خليج نيطش المتصل بنهر الخزر وهنالك رجال ملك الخزر مرتبين بالعدد القوية

آخر سعد فبايعا لمستظهر وجلا يده بعدما كان قبل البيعة باسم سليمان بن المرتضى على ما ارتضاه الاماثل فبشر اسمه وكتب اسم المستظهر وركب الى القصر وحمل معه ابنى عمه المذكورين لحبسهما وكان قد رفع جماعة من الاتباع ذهب بهم الحب كل مذهب كأبى عامر بن شهيد المنهمك فى بطالته وأبى محمد بن حزم المشهور بالرد على العلماء فى مقالته وابن عمه عبد الوهاب بن حزم الغزل المترف فى حالته فأحقد بذلك مشايخ الوزراء والاكابر وبادر المستظهر باصطناع البرابر وأكرم مثواهم وأحسن ماواهم واشتغل مع ابن شهيد وابنى حزم بالمباحثة فى الآداب ونظم الشعر والتمسك بتلك الاهداب والناس فى ذلك الوقت أجهل ما يكون وكان جماعة من أهل الشر فى السجون يتعين أن لا يخرج منهم انسان فأخرج منهم شخصا يقال له أبو عمران وقد كان أشار بعض الوزراء عليه بعدم اخراجه فأخرجه وخالفه فى ذلك ولم يقبل النصيحة وفعل ما أداه الى الفضيحة فسعى القوم الذين خرجوا من المحبوس على افساد دولته وابدال فرحه بالبوس لما اشتغل عنهم بالادباء والشعراء حسبما اقتضاه رأيه المعكوس فسعوا فى خلعه مع البرابر وقتل فى ذى القعدة من السنة التى بويع فيها وصار كأمس الدابر بعد سبعة وأربعين يوما من يوم بويع بالخلافة واذا أراد الله أمرا فلا يقدر أحد أن يأتى خلافه وعمره ثلاث وعشرون سنة كأنها سنة ومن شعر المستظهر المذكور وهو من القريض المسدوح صاحبه بالبلاغة المشكور

ظل عمرا لليل عندى * مذ تولعت بصدى
يا عز الانقض العهـ ـد ولم يوف بوعدى
أنسيت العهد اذ بتـ ـنا على مفرش ورد
واعتنقنا فى وشاح * وانتظمنا نظم عقد
ونجوم الليل نسرى * ذهبا فى لازورد

وكتب اليه شاعر فى طرس مكشوط السطر مبشور وفيه بشارة ببقاء الامام الفاضل المستظهر

ملك أعاد العيش غضا ملكه * وكذا يكون به طوال الاعصر

فاجزل صلته وكتب فى ظهر الورقة

قبلنا العذر فى بشر الكتاب * لما أحكمت فى فصل الخطاب

وقد قدمنا فى الباب الثالث شيأ من هذه الاخبار وما حصل بعد ذلك بقرطبة الى أن تولى الامر ابن جهور فى صورة الوزارة ثم ابنه الى أن أخذ قرطبة منه المعتمد بن عباد حسبما ذكر فى أخباره ثم آل الامر بعد ذلك كله الى استيلاء ملوك العدوة من الملثمين والموحدين على قرطبة الى أن تسلمها النصارى أعادها الله تعالى للاسلام كما يذكر فى الباب الثامن * وقال صاحب مناهج الفكر فى ذكر قرطبة ما ملخصه فاما ما اشتمل عليه غرب الجزيرة من البلاد الخطيرة فمنها قرطبة وكانت مقر الملك ودار الامارة وأم ما عداها من البلاد منذ افتتحها المسلمون سنة ٩٢ زمن الوليد بن عبد الملك الى أن خرجت عن أيديهم وتنقلت فى أيدى ملوك المسلمين الى أن وصلت الى الناصر عبد الرحمن بنى فى تجاهها مدينة سماها الزهراء يجرى بينهما نهر عظيم انتهى * واعلم أن المبانى دالة على عظم قدر بانيها كما ذكرناه فى كلام الناصر الذى طابت له

يصدون من يرد من ذلك البحر ومن ٢٢٨ يرد من ذلك الوجه من البر الذى سفنه فى نهر الخزر تتصل بنهر يقطش وذلك ان بوادى العزاز ترد الى ذلك الكنز وتشتى هنالك فربما يجمد هذا الماء المتصل من نهر الخزر الى خليج يقطش فتعبر عليه بجيوشها وهو ماء عظيم يخسف من تخمهم لشدة استحجاره وتغير على بلاد الخزر وربما تجرح اليهم ملك الخزر اذا الخزر من هنالك من رجاله المرتبين عن دونهم ومنعهم العبور على ذلك الجمد وأما فى الصيف فلا سبيل للترك الى العبور فلما وردت مراكب الروس الى رجال الخزر المرتبين على فم الخليج راسلوا ملك الخزر على ان يجتازوا البلاد ويبحروا فى نهره فيدخلوا بحر الخزر الذى هو بحر جرجان وطبرستان وغيرهما من بلاد الاعاجم على ما ذكرنا ويجعلوا الملك الخزرى نصف ما يغنمون من هنالك من الامم على ذلك البحر فأباحهم ذلك فدخلوا الخليج واتصلوا بعصب النهر فيه وصاروا مصعدين فى تلك الشعبة من الماء حتى وصلوا الى نهر الخزر وانحدروا فيه الى مدينة آمل وهو نهر عظيم وماء كثير وانتشرت مراكب الروس فى هذا البحر وطارحت سراياها الى الجبل والديلم وبلاد طبرستان وآبسكون وهى بلاد ساحل جرجان وبلاد من

من الزهراء مجانيها ولم يزل البلغاء يصفون المباني باحسن الالفاظ والمعاني ورأينا أن نذكر هنا بعض ذلك زيادة في توسيع المسالك فمن ذلك قول ابن حمديس الصقلي في دار بناها المعتمد على الله

ويا حبذا دار قضى الله أنها * يجدد فيها كل عز ولا يبلى
مقدسة لو أن موسى كليمه * مشى قدماه أرضها خلع النعلا
وما هي الا خطة الملك الذي * يخط اليه كل ذي أمل رجلا
اذا فتحت أبوابها خلت انها * تقول بترحيب لداخلها أهلا
وقد نقلت صنعا عها من صفاته * اليها فأنينا فأحسنت النقلا
فمن صدره رحبا ومن نوره سنى * ومن صيته فرعا ومن حلمه أصلا
فأعلت به في رتبة الملك ناديا * وقل له فوق السماكين أن يعلى
نسيت به ايوان كسرى لانني * اراه له مولى من الحسن لا مثلا
كأن سليمان بن داود لم يجج * مخافته للجن في صنعه مهلا
ترى الشمس فيه لبنة تستمدها * أكف أقامت من تساويرها شكلا
لها حركات أودعت في سكونها * فما اتبعت في نقلهن يد رجلا
ولما عشينا من توقد نورها * تخذنا سناه في نواظرنا كحلا

وقال من أخرى يصف دارا بناها المنصور بن أعلى الناس بجاية

أعمر بقصر الملك نادبك الذي * اضحى بمجدك بيته معمورا
قصر لو انك قد كملت بنوره * اعمى لعاد الى المقام بصيرا
واشتق من معنى الجنان نسيمه * فيكاد يحدث بالعظام نشورا
تنسى الصبيح مع الفصيح بذكره * وسما ففاق خورنقا وسديرا
لو أن بالايوان توبل حسنه * ما كان شيأ عنده مذكورا
أعيت مصانعه على الفرس الالى * رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا * لملوكهم شبهاله ونظيرا
أذكرتنا الفردوس حين أريتنا * غرفا رفعت بناءها وقصورا
فالمحسنون تزيدوا أعمالهم * ورجوا بذلك جنة وحريرا
والمذنبون هدوا الصراط وكفرت * حسناتهم اذنوبهم تكفيرا
فلك من الافلاك الا أنه * حقر البدور فأطلع المنصورا
أبصرته فرأيت أبدع منظر * ثم انثنيت بناظري محسورا
فظننت أني حالم في جنة * لما رأيت الملك فيه كبيرا
واذا الولائد فتحت أبوابه * جعلت ترحب بالعفاة صريرا
عضت على حلقاتهن ضراغم * فغرت بها أفواهها تكبيرا
فكأنها لبدت لتهصر عندها * من لم يكن بدخولها مأمورا
تجري الخواطر مطلقات أعنة * فيه فتكبو عن مداه قصورا

أدربيجان الى هذا البحر نحو من ثلاثة ايام فسفكت الروس الدماء واستباحت النسوان والولدان وغنمت الاموال وشنت الغارات وأحرقت وخربت من حول هذا البحر من الامم لانهم ليسوا يعهدون في قديم الزمان عدوا يظهر فيه وانما يختلف فيه مراكب التجار والصيد وكان لهم حروب كثيرة مع الجيل والديلم وساحل جرجان ونفر أهل مودعه واران والسفلان وأدربيجان مع فائد لابن أبي الساج فانتهوا الى ساحل نفاطة من مملكة شروان المعروفة بالكوى وكانت الروس تاوي عند رجوعها من غاراتها الى جزائر بقرب النفاطة على أميال منها وكان ملك شروان يومئذ علي بن الهيثم فاستعد الناس وركبوا في القوارب ومراكب التجار وساروا نحو تلك الجزائر فحالت عليهم الروس فقتل من المسلمين وغرق ألف وأقام الروس شهورا كثيرة في البحر على ما وصفنا لا سبيل لاحد ممن جاور هذا البحر من الامم اليهم والناس مهتابون له حذرون منهم لانهم بحر

غار لمن حوله من الامم فلما غنموا وسئموا ما هم فيه ساروا الى فم نهر الخزر ومصبه فراسلوا ملك الخزر وحملوا اليه

بمرحم الساحات تحسب أنه * فرش المها وتوشحت الكافورا
وتحصب بالدر تحسب تربه * مسكا تضوع نشره وعبيرا
تتخلف الابصار منه اذا اتى * صبحا على غسق الظلام منيرا

ثم ذكر بركه فيه عليها الشجار من ذهب وفضه ترمى فروعها المياه وتمن وذكر اسودا على حافتها قاذفه المياه أيضا فقال

وصراغم سكنت عرين رياسه * تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما مشى النضار جسومها * وأذاب فى أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها مذعورك * فى النفس لو وجدت هناك مثيرا
وبذكرته سكتها وكأنما * أبعت على أدبارها التثويرا
وتحالها والشمس تحلو لونها * بارا والسنها اللواحس نورا
وكأنما سلت سيوف جداول * دابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج السيم لمائه * درعا تقدر سردها تعديرا
وبديعه الثمرات تعبر نحوه * عيناى بحر عجائب مسجورا
نحو يه دهمه برعت الى * سحر يؤثر فى الهوى تأثيرا
قد صورت أغصانها فكأنما * قصت بهن من الفضاء طيورا
وكأنما أبى لوقع طيرها * أن تستقل بهصها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها * ماء كسلسال اللجين غديرا
حرس بعد من الفصاح فان شدت * جعلت تعرد بالمياه صفيرا
وكأنما فى كل غصن فضة * لانت فأرسل خيطها مجرورا
وترين فى الصهريج موضع قطرها * فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحكت محاسنه اليك كأنما * جعلت لها زهر النجوم ثغورا
ومصمع الابواب تبرا نثروا * بالعش فوق شكوله تنظيرا
تبدو مسامير المسار كما علت * تلك النهود من الجنان صدورا
حلمت عليه فلا بلاء وسيه * شمس يرد الطرف عنه حسيرا
واذا نظرت الى مرائب سقفه * أبصرت روضا فى السماء نضيرا
وعجبت من خطاف عشبده التى * حامت لتبنى فى ذراه وكورا
وصنعت به صنعها أقلامها * فأرتك كل طريفة تصويرا
وكأنما للشمس فيه لعبه * مشعوا بها البريق والتشجيرا
وكأنما اللازورد فيه محرم * بالخط فى ورق السماء سطورا
وكأنما وشوا عليه ملاءة * تركوا مكان وشاحها مقصورا

ثم مدح المنصور بعد ذلك وختم القصيدة بقوله

يا مالك الارض الذى أضحى له * ملك السماء على العداة نصيرا
كم من قصور للملوك تقدمت * واستوجبت بقصورك التأخيرا

فعمرتها وملكت كل رياسة * منها ودمرت العداة تميرا

قلت لم أر لهذه القصيدة من نظير في معناها لبانع النصير ولفضها لنعذر الميز الذي شمر فيه قائلها عن ساعد الاجادة أي تشمير غير أن فيها عندي شيئا واحدا وهو ختمها لمعض التدمير وعلى كل حال فالحسن والاحسان يتعادان في أرمان لعمر الجبار بن حديس المذكوردي المقاصد الحسان وخصوصا في وصف المباني والبرك فما أبقى نسواه في ذلك حسنا ولا ترك * (ومن ذلك) قوله في وصف بركة تجري اليها الماء من شادروان من أفواه طيور وزرافات وأسود وكل ذلك في قصر أطنب في وصفه في قصيدة طويلة

والماء منه سبائك من فضة * ذابت على درجات شادروان
وكأنما السيف هناك مشطب * ألقته يوم الحرب كف حسان
كم شاخص فيه يطيل تعجبا * من دوحه نبتت مع العسجان
عجبا لها تسقى الرياض ينابعا * نبعت من الثمرات والاعصان
خصت بطائره على فنن لها * حسنت فأفرد حسنها من ثنى
قس الطيور الحاشعات بلاعة * وفصاحة من منطق وبيان
فاذا أبيح لها الكلام تكلمت * بحرير ماء دائم الهملان
وكأن صانعها استبد بصنعة * سحر اتجاد بها على الحيوان
أوقفت على حوض لها فكأنها * منها على العجب العجاب رواني
فكأنها طلعت حلاوة مائها * شهدا فدا قد منه كل لسان
وزرافة في الجوف من أنبوبها * مع ريك أجرى في الطيران
مركوزة كالرمح حيث ترى له * من طعنة الحلق العطاف سنان
وكأنها ترمي السماء بمندق * مستنبط من لؤلؤ وجمان
لو عاد ذاك الماء نفطا أحرقت * في الجو منه هيص كل عنان
في بركة قامت على حافاتها * أسد تذل لعزة السلطان
نزعت الى ظلم النفوس نفوسها * فلذلك انتزعت من الابدان
وكأن برد الماء منها مطفئ * نار المضرمة من العدوان
وكأنما الحيتان ادلم تحتها * أخذت من المنصور عقد أمان

وهاتان القصيدتان لابن حديس كما في المناهج مع طولهما تدلان على الابداع الذي ابتكره والاختراع الذي ساوئ سمع أحد من العصلاء الا شكره لما أسكره وقال أبو السلت امية بن عبد العزيز الاندلسي يصف قصرا بمصر يسمى منزل العز بناه حسن بن علي بن عميم بن المعز العبيدي

منزل العز كاسمه معناه * لا عدا العز من به سماه
منزل ودت المنازل في اعـ * ـلي ذراه لو صيرت اياه
فأجل فيه لحظ عينيك تبصر * أي حسن دون القصور حواه

التسطيلية ولو كان
هذا البحر انفصال خليج
القسطن
مانطش
كان دار
ولا خلاف
من مقاومة
في ان
له متصل
لا يتسع
ويدل
الى
والسعة
بعد
على
ان
مدينة
مرسى
مدينة
النهار
عما
هذا
تلاثة
هذا
ويختلف
بالحجارات
أهل

اليها وتختلف المراكب فيه بالحجارات مع المواضع التي سميناها من ساحله الى باكوى وهي

وليس فى الدنيا والله أعلم نقط أبيض الا فى هذا الموضع وهى على ساحل مملكة شروان وفى هذه النقاطة أطمة وهى

سال فى سقفه النضار ولكن * جمدت فى قراره الامواه
وبأرجائه مجال طراد * ليس تنفك من وغى خيلاه
تبصر الفارس المدجج فيه * ليس تدمى من الطعان قناه
وترى النابل المواصل للنز * ع بعيدا من قرنه مرماه
وصفوفا من الوحوش وطير الـ * ـجو كل مستحسن مرآه
سكنات تخالها حركات * واختلاف كأنه أشباه
كحيا الجيب حرفا بحرف * ما تعدى صفاته اذ حكاه
ورده وجنتاه نرجسه الفتـ * ـان عيناه آسه عارضاه
وكأن الكافور والمسك فى الطيـ * ـب وفى اللون صبحه ومساه
منظر يبعث السرور ومرأى * يذكر المرء طيب عصر صباه

وقال أبو الصلت أمية الاندلسى المذكور يذكر بناء بناه على بن تميم بن المعز العبيدى

لله مجلسك الذى قبابه * بمؤطد فوق السماك مؤسس
موف على حبك المجرة تلتقى * فيه الجوارى بالجوارى الكنس
تتقابل الانوار من جنباته * فالليل فيه كالنهار المشمس
عطفت حناياه دوين سمائه * عطف الاهلة والحواجب والقسى
واستشرفت عمد الرخام وظوهرت * بأجل من زهر الربيع وأنفس
فهواؤه من كل قد أهيف * وقراره من كل خد أملس
فالليل تحيرفيه كل منجم * وأقر بالتقصير كل مهندس
فبدا لحظ العين أحسن منظر * وغدا لطيب العيش طيب معرس
فطلع به فرأى اذا ما أطلعت * شمس الحدور عليك شمس الاكؤس
فالناس أجمع دون قدرك رتبة * والارض أجمع دون هذا المجلس

ويعجبنى من قول أبى الصلت أمية المذكور يصف حال زيادة النيل ونقصانه

ولله مجرى النيل منها اذا الصبا * أرتنا به من مرها عسكرا مجرا
اذا زاد يحكى الورد لونا وان صفا * حكى ماءه لونا ولم يحكه مرا

وقال رحمه الله تعالى يصف الرصد الذى بظاهر مصر

يا نزهة الرصد التى قد اشتملت * من كل شئ حسنا فى جانب الوادى
قد اغدر وذا روض وذا جبل * والضب والنون والملاح والحادى

وهو ماخوذ من قول الاول يصف قصرا أنس بالبصرة

زر وادى القصر نعم القصر والوادى * لابد من زورة من غير ميعاد
زره فلبس له عندى شاكله * من منزل حاضر ان شئت أو بادى
تلقى به السفن والظلمان حاضرة * والضب والنون والملاح والحادى

وقال رحمه الله تعالى يذكر الهرمين

بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا * على طول ما عاينت من هرمى مصر

عين من عيون الباب لا تمد على سائر الارقات تضرم الصعداء ويقابل هذا الساحل فى البحر جزائر بعضها جزر يرد على نحو ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمة عظيمة نرفرفى وقات من فصول السنة فيظهر منها نار تذهب فى الهواء كأشبه ما يكون من الجبال العالية تضىء الاكثر من هذا البحر ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر وهذه الاطمة تشبه أطمة جبل البركان من بلاد صقلية من أرض الافرنجة ومن بلاد أفريقية من أرض المغرب وابسر فى آصام الارض أشد صونا ولا أسرد دخانا ولا أكثر تلهبا من الاطمة التى فى أعمال المهراج وبعدها أطمة وادى برهوت وهى نحو بلاد سبا وحضرموت من بلاد الشحر وذلك من بلاد اليمن وبلاد عمان وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة ثم ينعكس سفلا يهوى الى قعرها وحولها الحجر الذى يظهر منها حجارة وقد احترت مما قد أحاله من سواد حرارة النار وقد أتينا على علة تكون عيون النيران فى الارض وما سبب موادها فى كتابنا أخبار الزمان وفى هذا البحر جزائر أخر مقابلة لساحل جرجان يصاد منها أنافا

أنافا بأكناف السماء وأشرفا * على الجو اشراف السماك على النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا * كأنهما نهدان قاما على صدر

وستأتى ترجمته ان شاء الله تعالى فى الباب الخامس * وعلى ذكر الانهار والبرك فما أحسن قول بعض الاندلسيين يصف بركة عليها عدة قوارات

غضبت مجاريها فأظهر غيظها * ما فى حشاها من خفى مضمر
وكأن نبع الماء من جنباتها * والعين تنظر منه أحسن منظر
قضب من البلور أثمر فرعها * لما انتهت باللؤلؤ المتحدر

وقال ابن صارة الاندلسى يصف ماء بالرقة والصفا يجرى على الصفا

والنهر قد رقت غلالة خصره * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور ونهزها الاعجاز

وما أحسن قول بعض الادباء ولم يحضرنى الآن اسمه

والنهر سكسو غلالة فضة * فاذا جرى سلاقشيب نضار
واذا استقام رأيت صفحة منصل * واذا استدار رأيت عضب سوار

وقال ابن حمديس المغربى يصف نهرا بالصفاء

ومطرد الامواج يصقل متنه * صبا أعلنت للعين ما فى ضميره
جرى باطراف الحصى كلما جرى * عليها شكا أو حاعه فخريره

وهذا النهج متسع ولم نطل السير فى هذه المهامه وانما ذكرنا بعض كلام المغاربة ليتنبه به منتقصهم من سننه أو هامه ولان فى أمرها عبرة لمن عقل اذ أصدأ مرآة حسنها واطلاقها كان لمثلها صقل وقد وقفت على كلام لصاحب المناهج فى هذا المعنى فأحببت ذكره ملخصا وهو ولنلحق بذكر المنازل التى راق منظرها وفاق مخبرها وارتفع بناؤها واتسع فناؤها طرفا من الكلام على ما عفاه الدهر من رسومها ومحاه من محاسن صور كانت أرواحا لجسومها وصف أعرابى محلة قوم ارتحلوا عنها فقال نثرا ارتحلت عنها ربات الخدور وأقامت بها أثافى القدور ولقد كان أهلها يعفون آثار الرياح فعفت الرياح آثارهم وذهبت بأبدانهم وأبقت أخبارهم والعهد قريب واللقاء بعيد وقال عمر بن أبى ربيعة فأحسن

يادار امسى دارسا رسمها * وحشا قفارا مابها أهل
قد جرت الريح بها ذيلها * واستن فى أطلالها الوابل

ومن كلام الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان يذكر آل عباد من فصل أكثر فيه التفجع وأطال به التوجع والقصور تختال فى أدواحها والازاهر يحيى ميت العشبة شذا أرواحها وأطيار الرياض كشكالى يحن على خرابها وانقراض أترابها والوهى بمشيدها لاعب وعلى كل جدار منها غراب ناعب وقد محت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها وأفناءها ولطالما أشرفت بالخلائق وابتهجت وفاحت من شذاهم وتأرجت أيام نزلوا خلالها وتفيؤا ظلالها وعمروا حدائقها وجناتها ونبهوا الآمل من سناتها وراعوا الليوث فى آجامها وأخجلوا الغيوث عند انسجامها فصبحت ولها تلفع واعتجار ولم يبق

شيأ من الضعف لان الصائد يصطادها من هذه الجزائر فيغذيها بالسمك فاذا اختلف عليها الغذاء عرض لها الضعف وقد قال الجمهور من أهل المعرفة بالضوارى وأنواع الجوارح من الفرس والترك والروم والهند والعرب ان البازى اذا كان الى البياض فى اللون فانه أسرع البزاة وأحسنها وأنبلها أجساما وأجرؤها قلوبا وأسهلها رياضة فانها أقوى جميع البزاة على السمو فى الجو وأذهبها الصعداء وأبعدها غاية فى الهواء لان فيها من حرف الحرارة وجراءة القلب ما ليس فى غيرها من جميع أنواع البزاة وأن اختلاف ألوانها لاختلاف مواضعها وان من أجل ذلك خلصت البيض الكثيرة الثلج فى أرمينية وأرض الخزر وجرجان وما والاها من بلاد الترك وقد حكى عن حكيم من خوافين الترك وهم الملوك المنقادة الى ملكهم جميع ملوك الترك أنه قال ان بزاة أرضنا اذا أسقطت أنفس فراخها من الوعاء الى الفضاء سمت فى الجو الى الهواء البارد الكثيف فانزلت دواب تسكن هذا فتغذيها

٣٠ ط ل فى أوكارها من تلك الدواب أضراها وقد قال جالينوس ان الهواء فيه نشأوسا كن وعن بليناس انه قال

الهواء والنار خلق وساكن
ووجدت في بعض أخبار
هرون الرشيد أن الرشيد
خرج ذات يوم الى الصيد
بلادا موصل وعلى يده
باز أبيض فاضطرب على
يده فار له فلم يرل يحلق
حتى غاب في الهواء ثم طلع
بعد الاياس منه وقد علق
شيأ فهوى به يشبه الحية
والسمكة وله ريش كاجنحة
السمك فأمر الرشيد فوضع
في طست فلما عاد من قنصه
أحضر العلماء فسالهم هل
تعلمون للهواء ساكنا
فقال مقاتل يا أمير المؤمنين
روينا عن جدك عبد الله
ابن عباس أن الهواء معمور
بأمم مختلفة الخلق سكان
أقربها منا دواب بيض في
الهواء تفرخ فيه يرفعها
الهواء الغليظ ويربيها
حتى تنشأ في هيئة الحيات
والسمك لها أجنحة ليست
بذات ريش تأخذها بزاة
بيض تكون بارمينية
فأخرج الطست اليهم
فأراهم الدابة وأجاز مقاتلا
يومئذ وقد أخبرني غير
واحد من أهل التحصيل
بمصر وغيرها من البلاد
أنهم شاهدوا في الجوّ حيات
تسعى كأسرع ما يكون من
البرق وأنها ربما تقع على
الحيوان فتقتله وربما يسمع لطيرانها في الليل وحركتها في الهواء صوت كنشر ثوب جديد وربما يتولد من

من آثارها الانوى وأحجار قد هوت قبابها وهرم شهابها وقد يلين الحديد ويبلى على
طيه الجديد * وقال ابو صخر القرطبي يذكر ذلك من أبيات ينعاهم بها

ديار عليها من بشاشة أهلها * بقايا تسر النفس أنسا ومنظرا
ربوع كساها المزن من خلع الحيا * برودا وحلاها من النور جوهرا
تسرك طورا ثم تشجيك تارة * فتر تاح تأنيسا وتشجى تذكرا

(ومن كلام أبي الحسن القاشاني) يصف نادي رئيس خلا من ازدحام الملا وعوضه الزمان
عن تواصل أحبابه هجرا وملا قد كان منزله مألف الاضياف ومأنس الاشراف
ومنتجع الركب ومقصد الوفد فاستبدل بالانس وحشة وبالضياء ظلمة واعتاض من
تزاحم المواكب تلاطم النوادب ومن ضجيج النداء والصهيل عجيج البكاء والعويل
* (ومن رسالة لابن الاثير الجزري يصف دمنة لعبت بها أيدي الزمن وفرقت بين المسكن
والسكن كانت مقاصير جنة فأصبحت وهي ملاعب جنة وقد عميت اخبار قطانها
وآثار أوطانها حتى شابهت احداهما في الخفاء الاخرى في العفاء وكنت أظن انها
لا تسقى بعدهم بغمام ولا يرفع عنها جلباب ظلام غير أن السحاب بكاهم فأجرى بها
هوامع دموعه والليل شق عليهم جيوبه فظهر الصباح من خلال صدوعه) * وقد لمح
في بعض كلامه قول الشريف من أبيات يصف فيها ما كان في الحيرة من منازل النعمان
ابن المنذر

مازلت أطرق للمنازل بالاسى * حتى نزلت منازل النعمان
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت * شم العماد عريضة الاعطان
شهدت بفضل الراسعين قبابها * وبين بالبنيان فضل الباني
ما ينفع الماضين أن بقيت لهم * خطط معمرة بعمر فاني

يقول فيها

ولقد رأيت بدير هند منزلا * ألمامن الضراء والحدثان
يغضي كمستمع الهوان تغيبت * أنصاره وخلا من الاعوان
بالي المعالم أطرقت شرفاته * اطراق منجذب القرينة عاني
أمقاصر الغزلان غيرك البلى * حتى غدوت مرابض الغزلان
وملاعب الانس الجميع طوى الردى * منهم فصرت ملاعب الجنان

ومنها

مسكية النفحات تحسب تربها * برد الخليع معطر الاردان
وكأنما نسي التجار لطيمة * جرت الرياح بها على العقيان
ماء كجيب الدرع يصقله الصبا * ويقي بدوحته النسيم الواني
زفر الزمان عليهم فتفرقوا * وجلوا عن الاقطار والاوطان

وقال أبو اسحق الصابي وتوارد مع الشريف الرضي في المعنى والقافية يصف قصر روح
بالبصرة

أحب الى بقصر روح منزلا * شهدت بنبته بفضل البانى
سور علا وتمنعت شرفاته * فكأن احدهن هضب أبان
وكانما يشكو الى زواره * بين الخليط وفرقة الجيران
وكانما يبدى لهم من نفسه * اطراق محزون الحشا حران

ولاحمد بن فرج الالبيرى من أبيات

سألت بها فاردت جوابا * عليك وكيف تخبرك الطلول
ومن سفه سؤالك رسم دار * مضى لعفائه زمن طويل
فان تك أصبحت قفرا خلاء * لعينك فى معانيها هموم
فقد ما قد نعمت قرير عين * بها وبربعها الرشأ الكحيل

وقال أبو عبد الله بن الخياط الاندلسى الاعمى

لو كنت تعلم ما بالقلب من نار * لم توقد النار بالهندى والغار
يادار علوة قد هيجت لى شجنا * وزدتنى حرقا حييت من دار
لم بت فيك على اللذات معتكفا * والليل مدرع ثوبا من القار
كانه راهب فى المسح ملتحف * شد الجدائل وسط بزنار
يدير فيه كؤس الراح ذو حور * يدير من لحظه الحاظ سحار

ولا مزيد فى التفجع على الديار والتوجع للدمن والآثار على قول البحترى من قصيدة يرثى بها المتوكل

محل على العاطول أخلق داثره * وعادت صروف الدهر حيثا تغادره
كأن الصبا توفى نذورا اذا انبرت * تراوحه أذيالها وتباكره
ورب زمان ناعم تم عهده * ترق حواشيه ويونق ناضره
تغير حسن الجعفرى وأنسه * وقوض بادى الجعفرى وحاضره
تحمل عنه ساكنوه لجاءة * فمادت سواء دوره ومقاصره
اذا نحن زرناه أحدث لنا الاسى * وقد كان قبل اليوم يبهج زائره
ولم انس وحش القصر اذ ربع سربه * واذ ذعرت أطلاؤه وجآذره
واذ صيح فيه بالرحيل فهتكت * على عجل أستاره وستائره
وأوحشه حتى كأن لم يكن به * أنيس ولم تحسن لعين مناظره
كان لم تبن فيه الخلافة طلقة * بشاشتها والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها * وبهجتها والعيش غض مكاسره
فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت * بهيبتها أبوابه ومقاصره
واين عميد الناس فى كل نوبة * تنوب وناهى الدهر فيهم وآمره

وعلى قول أبى اسحق بن خفاجة الاندلسى

ومرتبع حططت الرحل فيه * بحيث الظل والماء القراح
تخرم حسن منظره مليك * تخرم ملكه القدر المتاح

كلام كثير فيما ذكر واستدلالهم على هذا انما هو بما يحدث فى استقص الماء من الحيوان وانه يجب على هذه القصة أن يحدث ذلك بين الاستقصين الآخرين وهما الارض والماء (قال المسعودى) وقد وصفت الحكماء والملوك البزاة وأغربت فى الوصف وأطنبت فى المدح فمن ذلك ما قال الترك البازى شجاع مريد وقال كسرى أنوشروان البازى رقيق يحسن الاشارة لا يؤخر الفرص اذا أمكنت وقال قيصر البازى ملك كريم ان احتاج أخذ وان استغنى ترك وقالت العلا سفة حسبك من البازى نزعه فى المطالب والرزق فى السمو اذا طالت قوادمه وبعدما بين منكبيه فذلك أبعد لغايته وأحب لسرعته ألا ترى الى الفهود لا تزداد فى غاياتها الا بعدا وسرعة وقوة على التكرار وذلك لطول قوائمها مع كثافة أجسامها وانما قصرت غاية البازى لقصر جناحيه ورقة جسمه فاذا طالت به الغاية أخره ذلك حتى تشتد نفسه ولا تؤتى الجوارح الا من قصر القوادم الا ترى الدراج والسمان والحجل واشباهها حين قصرت قوادمها قصرت غاياتها وقال أرسيخاس البازى طير عارى الحجاب وما

يفوته فى كسوره زيد فى أخصه ورجليه وهو أضعف الطير جسما وأقواها قلبا وأشجعها وذلك لفضله على سائر الطير فى الجزء الذى فيه من الحرارة التى ليست فى شئ منها وهو جد ناصد رها منسوجة للعصب لا لحم عليها وفى الحيوس مريدا سذهب اليه أرسطاليس ان البازى لا يقنو ترا الى شجرة نما مشكه بالشوك مختلفة الجون بين شجر عيسى ظ لذكى ودعما لأنه الحر وابرد فاذا أراد أن يفرخ بنى لنفسه بيتا وسقفه تسقيفا لا يصل اليه منه مضرة ولا تبلغ اشعاعا على نفسه وفراخه من البرد وذكر الأدهمى بن محرز أن أول من لعب بالسفور الحرث بن معاوية بن ثور ابن كندى وهو ابن كندة وانه وقف يوما بفناء نص وقد نصب حبالة للعصافير فنفض أكدر على عصفور منها قد علق وعلقه الاكدر وهو الصقر ومن أسمائه أيضا الاجدن لحمل العصفور وقد علق وجعل الملك فأتى به وهو يأكل العصفور فرمى به فى كسر البيت فرآه قد دجن ولم يبرح مكانه ولم ينفر واذا رمى اليه طعاما أكله واذا رأى شيئا نهض الى يد صاحبه ثم دعى فأجاب فضم على اليد وكانوا يتباهون بحمله اذ رأى يوما حمامة فطار اليها من يد حامله فعلقها فأمر الملك باتخاذها والتصيد بها فبينما الملك يسير يوما اذ الغنى

لخبر به ما عجد وله بكاء * عليه وشد وطائره نواح

وهذا النوع من البكاء على الدمن والتأسف على ما فعلت بها أيدى الزمن كثير جدا لا يعرف الباحث عنه له حدا وذلك لشدة ولوع النفوس بذكر أحبابها وحنينها الى أماكنها التى هى مواضع امرارها وهذا اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة وجعلناها تابعة لما يشفى المشوق بها غليله وقد ذكره بعض العقلاء التاسف على الديار لعلمهم انه لا يجدى ولا يدفع عادية الدهر لحون ولا يعدى ونهوا عنه لما فيه من تجديد المصاب المجزع لصاحبه الصاب والاوصاب قال أبو عمر بن عبد البر

عفت المنازل غير أرسم دمنة * حيتها من دمنة و رسوم
كم ذا الوقوف ولم تقف فى مسك * كم ذا الطواف ولم تطف بحريم
فدع الديار الى الجمائب والصبا * ودع القفار لى الصدى والبوم

انتهى كلامه رحمه الله تعالى بأكثر لفظه مع بعض اختصار * (رجع الى قرطبة فنقول) وقد أتم لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى بذكر قرطبة وبعض أوصافها فى كتاب له كتبه على لسان سلطانه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه بجملته فى الباب الخامس من القسم الثانى فليراجع ثمة ونص محل الحاجة منه هنا ثم كان العز والى أم البلاد ومثوى الطارف والتالد قرطبة ومن قرطبة المدينة التى على عمل أهلها فى القديم بهذا الاقليم كان العمل والكرسى الذى بعصاه رعى الهمل والمصر المعمور الذى فى خطه الناقة والجمل والافق الذى هو لشمس الخلافة العبشمية أجمل مخيم الاسلام فى عفرتها المستباحة وأجاز نهرها المغنى عن السباحة وعم دوحها الاشب بوارا وادار احلات بسورها سوارا وأخذ بخنقها حصارا وأعمل المصر بشجرة أصلها اجتثاثا ما شاء واهتصارا وجدل مرابطها من لم يرض انحجارا فأعمل الى المسلمين اصحارا حتى قرع بعض جهاتها غلابا جهارا ورفعت الأعلام اعلاما بعز الاسلام واضهارا فلولا استهلال الغوادى وان آتى الوادى لافضت الى فتح الفتوح تلك البادى ولقضى تفثه العاكف والبادى انتهى * (ومما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى فى وصف هذه الغزوة لسلطان بنى مرين على لسان صاحب الاندلس ما صورته) * المسام الذى نطالعه بأخبار الجهاد ونهدى اليه عوالى العوالى صحيحة الاسناد ونبشره بأخبارا فتح البعيد لآماد ونسأل الله تعالى دوام الاسعاد والامداد ونرتقب من صنع الله تعالى على يديه تكييفا يخرق حجاب المعتاد وامتعاضا يطلع بآفاق البلاد نجوم غرر الجياد ويفتح أبواب الفتوح باقاليد السيوف الحداد وينبئ عن مكارم من سلف من الآباء الكرام والاجداد مقام محل اخينا الذى نستفتح له بالفتح الظهور ونهدى الى مجده لما نعلم من فضل نيته وحسن قصده لطائف السرور ونستظهر بملكه المؤيد المؤمل ونجده المشهور ونتوعد منهما العدو والحبيب المدخور والولى المنصور السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى عالى القدر قرير العين منشرح الصدر ولا زال حديث مفاخره سائرا مسير الشمس والبدر عظم سلطانه الخليق بالتعظيم الوائق منه بالدخر الكريم المثنى على مجده الصميم وفضله العميم امير المسلمين عبد الله

الغنى بالله محمد بن أمير المسلمين أبى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم برعيم يخص مقامكم الاعلى واخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله رب العباد وملهم ارشاد ومكيف الاسعاف والاسعاد الولى النصير الذى نلفى الى التوكل عليه مقاليد الاعتماد ونمد الى انجاده وامداده أيدى الاعتداد ونرفع اليه أكف الاستمداد ونخلص لوجهه الكريم عمل الجهاد فنعرف عوارف الفضل المزداد ونجتنى ثمار النصر من أغصان القنا المياد ونجتلى وجوه الصنع الوسيم ابهر من وجه الصباح الباد ونظفر بالنعيم العاجل فى الدنيا والنعيم الآجل يوم قيام الاشهاد ونتفيأ ظلال الجنة من تحت أوراق السيوف الحداد والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله النبى الهاد رسول الملحمة المؤيد بالملائكة الشداد ونبى الرحمة الهامية العهاد أكرم الخلق بين الرائح والغاد ذى اللواء المعقود والحوض المورود والشفاعة فى يوم التناد الذى يجاهه نضع أنوف الاعادى يوم الجلاد ويبركته ننال أقصى الامل والمراد وفى مرضاته نصل أسباب الوداد فنعود بالتجر الرابح من مرضاة رب العباد ونستولى فى ميدان السعادة المعادة على الآماد والرضا عن آله وصحبه وأنصاره وحزبه الكرماء الاجواد دعائم الدين من بعده وهداة العباد انجاد الانجاد وآساد الاساد الذين ظاهروه فى حياته بالحلوم الراجحة الاطواد والمسالة التى لم تنل بالمداد فى سبيل الله والاعداد حتى بوؤا الاسلام فى القواعد الشهيرة والبلاد وأرغموا أنوف اهل الجحود والالحاد فأصبح الدين وفيع العماد منصور العساكر والاجناد مستصحب العز فى الاصدار والايراد والدعاء لمقامكم الاعلى بالسعد الذى يغنى عن اختيار الطوالع وتقويم الملاد والنصر الذى تشرق انباؤه فى جنح ليل المداد والصنع الذى تشرع له أبواب التوفيق والسداد من جراء غرناطة حرسها الله والمسرد وطأ المهاد والخير واضح الاشهاد والحمد لله فى المبدا والمعاد والشكر له على آلائه المتصلة التراد ومقامكم الذخر الكافى العتاد والمرد المتكفل بالانجاد والى هذا وصل الله سعدكم وحرس مجدكم ووالى نصركم وعضدكم وعددكم وعديدكم وبلغكم من فضله العميم أملكم وقصدكم فانا نؤثر تعريفكم بنافه المتزيدات ونوردعليكم اشتات الاحوال المتجددات اقامة لرسم الخلوص فى التعريف بما فاتل ومودة خالصة فى الله عز وجل فكيف اذا كان التعريف بما يهتز له منابر الاسلام انباء حاله وروده وتنشرح الصدور منه لمواقع فضل الله وجوده والمكرمات البديعة الصفات فى وجوده وهو أننا قدمنا اعلامكم بما نوينا ه من غزو مدينة قرطبة ام البلاد الكافرة ومقر الحامية المشهودة والخيرات الوافرة والقطر الذى عهده بالمام الاسلام متقادم والركن الذى لا يتوقع صدمة صادم وقد اشتمل سورها من زعماء ملة الصليب على كل رئيس بئيس وهزبر خيس وذى مكر وتلبيس ومن له سمة تذييع مكانه وتشيعه وأتباع على المنشط والمكره تطيعه فاستدعينا المسلمين من أقاصى البلاد واذعنا فى الجهات نفير الجهاد وتقدمنا الى الناس بسعة الازواد وأعطينا الحركة التى يحلف المسلون فيها وراءهم جمهور الكفر من الاقطار والاعداد حتى هامن الاستعداد واقصينا العطاء والاستلحاق والاستركاب فى أهل الغناء وأبطال الجهاد والجلاد فحشر الخلق فى صعيد

بعده ما استقامت فى أيدى الناس فاما الشواهين فان ابن عباس الحكيم ذكر فى كتاب كان وجهه الى المهدى حمل اليه من أرض الروم أهداه اليه ملك أحد ملوك الروم يقال له سنان نظر يوما الى شاهين يهوى متحدرا على طير الماء فيضربه ثم يسمو فى الهواء حتى فعل ذلك مرارا فقال هذا طير ضار وله قوة انحداره على الطير فى الماء اكثر فصار يدلى سرعة انحداره وارتفاعه فى جو السماء على انه طير أنوف فلما رأى حسن ارادته أعجبه فكان أول من اتخذ الشواهين وقد ذكر سعيد ابن عفير عن هشام بن غدى قال خرج قسطنطين ملك عمورية متصيدا بالمراة حتى انتهى الى خليج قسطنطينية الجارى الى بحر الروم فمر الى مرج بين الخليج والبحر فسيح مديد فنظر الى شاهين ينكب على طير الماء وعجب مما رأى من سرعته وضراوته ولم يدر الحيلة فى صيده فامر ان يصطاد له فصراه وكان قسطنطين أول من لعب بالشواهين ونظر ذلك المرج طويل البساط مفروش بالوان الزهر فقال هذا موضع حصين من نهر وبحر وسعة وامتداد يصلح أن يكون فيه مدينة فبنى فيه مدينة القسطنطينية وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكر الملوك

واحدوا لاهبة وازينة فى عيد سعيد وشمل الاستدعاء كل قريب وبعيد عن وعد ووعيد
اورحلنا وفضل الله شامل والتوكل عليه كاف كافل وخيمنا بظاهر الحصرة حتى استوفى
الناس اقسامهم واستكملوا أسرابهم ودسنا منهم بلادا النصارى بجموع كثرها الله وله الحمد
وتاهه وأبعدنى التماس ماعنده من الاجر متماها وعندما حللنا قاشرة وجدنا السلطان دون
بحرة مزمل نصرها وانجادا ومستعيد حظه من مواقع جهادا ومقتضى دين كدحه باعانتنا
اياه وانجادا قد نزل بظاهرها فى محلات ممن استقر على دعوته وتمسك بطاعته وشمله
حكم جماعته فكان لقاؤنا اياه على حال اقرت عيون المسلمين وتكملت باعزاز الدين ومحلها
يغنى عن التعيين والشرح والتبيين ورأى هو ومن معه من وفور جيش الله ماهالهم وأشك
فى حال البقضة حيالهم من جموع تسد الفضا وأبطال تقارع أسد الغضى وكتائب منصورة
وريات منشورة وأمم محشورة تفضل عن مرأى العين وتردى العدو فى مهاوى الحين فاعترفوا
بما لم يكن فى حسابهم واعتبروا فى عزة الله سبحانه أولوا البابهم واذا كثر الله تعالى العدد
عاودركا واذا أزاح العلل ما اعتذر عار ولا شكا وسالت من الغد الاباطح بالاعتراف
وسمت الهوادى الى الاستشراف وأخذ الترتيب حقه من المواسط الجهاديه والاطراف
وأحكمت التعبيه التى لا ترى العين فيها خللا ولا يجد الاعتبار عندها دخلا وكان النزول
على فرسخ من عدوة النهر الاعظم من خارج المدينة أنجز الله تعالى وعده واعادها
الى عهدها فى الاسلام وشعارها ومحا ظلام الكفر من آفاقها بله الاسلام وأنوارها وقد
برزت من حاميها شوكة سابغة الدروع وافرة الجموع واستحمت من اسوار القطرة
الغضى بحمى لا يحفر وأخذ عقابها من الحماة والكماة العدد الاوفر فبادر اليهم سرعان
خيل المسلمين فصدقوهم الدفاع والقراع والمصال والمصاع وخالطوهم هبرا بالسيوف
ومباكرة بالحتوف فتركوهم حصيدا واذاقوهم بالا شديدا وجدلوا منهم جملة وافرة
وأمة كافرة وملكوا بعض تلك الاسوار فارتفعت بها راياتهم الخافقة وظهرت عليها عرماتهم
الصادقة واقتحم المسلمون الوادى سيما فى عمره واستهانة فى سبيل الله بأمره وخالطوا
حامية العدو فى ضفته فاقتلعوها وتعلقوا باوائل الاسوار ففرعوها فلو كنا فى ذلك اليوم
على عزم من القتال وتيسير الآلات وترتيب الرجال لدخل البلد وملك الاهل والولد
لكن أحار الكفار من الليل كافر وقد هلك منهم عدد وافر ورجع المسلمون الى محلاتهم
ونصر الله سافر والعزم ظافر ومن الغد خضنا البحر الذى جعلنا العزم فيه سفينا والتوكل
على الله للبلاغ ضمينا ونزلنا من صفة القوى العزيز منزلا عزيزا مكينا بحيث يجاوز سورها
طنب القباب وتصيب دورها من بين الخيمات بوارق النشاب وبرزت حاميتها على متعددات
الابواب مقيمة أسواق الطعان والضراب فاثبت بصفقة الخسر والتباب ولما شرعنا فى
قتالها ورتبنا اشتات النكايات لنكالها وان كنا لم نبق على مطاولة نزالها أنزل الله المطر
الذى قدم بعهاده العهد وساوى النجد من من طوفانه الوهد وعظم به الجهد ووقع
الابقاء على السلاح والكف بالضرورة عن الكفاح وبلغ المقام عليها والاخذ بخنقها
والثواء لديها خمسة أيام لم تحل فيها الاسوار من اقتراع ولا الابواب من دفاع عليها وقراع

اروم سطحين بزهلانى هذا من السبب ابداعى ببناء القسطنطينية وقد ذكر ابن سعيد عن ابى زيد المهدى انه كان من رسله ملوك الاندلس الاوارنة انه لما ركب الملك منهم صارت الشواهين فى الهواء تضرب العساكر وتحمية على مركبه وعساكره وترتفع أخرى بعدة ذلك لم نر ما وصفنا فى حال سعيد حتى يرى ما صنع حوله الى أن ركب يوما ملك منهم وصارت الشواهين معه على ما وصفناه سنة ثار طائرا وبعض عليه شاهين فاخذه فعجب ذلك الملك وصراها على الصيد فكان أول من تصيد بها المغرب وبلاد الاندلس (من المسعودى) وكذلك ذكر جماعة من أهل العلم بهذا الشان انه كان أول من لعب بالعقبان أهل المغرب لما نظر الروم الى شدة شرها وافراط سلاحها وفرحكامهم هذه التى لا يقوم خيرها بشرها وذكر أن قيصر أهدى الى كسرى عقابا وكتب اليه يعلمه أنها تعمل أكثر من عمل الصقر الذى أعجبه صيده فاخذ بها كسرى وسلت على ظبى عرض فدقته وعجب مما رأى منها فانصرف مسرورا بالحوعها لصيد بها فوثبت على صبى له فقتلته فقال كسرى وترنا قيصر فى أولادنا بغير جيش ثم ان كسرى أهدى الى وانفذ

وأنفذت مقاتل الستائر أنقابا وارتقب الفتح الموعود ارتقابا وفشت فى أهلها الجراح والعبث الصراح وساءهم المساء بعزة الله والصباح ولولا عائق المطر لكان الاجهاز والاستفتاح والله بعدها الفتاح وصرفت الوجوه الى تخريب العمران وتسليط النيران وعقر الاشجار وتعفية الآثار وأتى منها العفاء على المسرا الشهير فى الامصار وتركت زروعها المائحة عبرة للابصار ورحلنا عنها وقد ألبسها الدخان حدادا ونكس من طغاتها احيادا فاعتادت الذل اعتيادا وألفت الهون قيادا وكادت أن تستباح عنوة لولا أن الله تعالى جعل لها ميعادا وأنى القتل من أبطالها ومشاهير رجالها ممن يبارز ويناضل ويماسى بالناس ويصابح على عدد جم اخبرت سيماهم المشهورة بأسمائهم ونبهت علاماتهم على نباهاتهم وظهر اقدام المسلمين فى المعتركات وبروزهم بالحدود المشتركات وتنفيلهم الاسلاب وقودهم الخيل المسومة قود الغلاب وكان القفول ومشمل الامن والقبول وحصل الجهاد المقبول وراع الكفر العز الذى يهول والاقدام الذى شهدت به الرماح والخيول وخاض المسلمون من ذرع الطرق التى ركبوها والمنازل التى استباحوها وانتهبوها بحورا بعدمنها الساحل وفلاحة مورکة تتعدد فيها المراحل فصيروها صريما وسلطوا عليها النار غريما وحلوا بظاهر حصن اندجر وقد أصبح مالف ادما رعيرا وشاب ووكر طير نشاب فلم يلو نام اسه صعبا وابراجه ملئت حراشديدا وشهبا ضغنا بانفوس أن تفيض دون افتتاحه فسلطنا العفاء على ساحه وأغرينا الغدرات باستيعاب ما باحوزه واكتساحه وسلطنا النار على حروته وبطاحه والصقنا بالرغام ذوائب أدواحه وأصرفنا بفضل الله والمناجل دامية والاجور نامية وقد وطئنا المواطئ التى كانت على الملوك مبلنا بسلا ولم نترك بها حرفا يرفد ولا نسلا ولا ضرعا يرسل رسلا والحمد لله الذى يتم النعيم بحمده ونسأله حلة النصر فانا النصر الامن عنده عرفتكم بهذه الكيفيات الكريمة الصفات والصنائع الروائع التى بعد العهد بمثلها فى هذه الاوقات علما بأنها لديكم من أحسن الهديات الوديات ولما نعلمه لديكم من حسن النيات وكرم الطويات فانكم سلالة الجهاد المقبول والرفد المبذول ووعد النصر المفعول ونرجو الله عز وجل أن يتفضل خيلكم للمعاهد الجهادية الى المعاينة ونصر الملة المحمدية وان يجمع الله بكم كلمة الاسلام على عبدة الاصنام ويتم النعمة على الانام وودنا لكم ما علمتم يزيد على ممر الايام والله يجعله فى ذاته لكم متصل الدوام مبلغا الى دار السلام وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويضاعف الآلاء عندكم والسلام الكريم يحفكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن هذا المنحى) ما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى عن سلطانه ونصه المقام الذى أحاديث سعادته لا تمل على الاعادة والتكرار وسبيل مجادته الشهيرة أوضح من شمس الظهيرة عند الاستظهار وأخبار صنائع الله لملكه ونظم فرائد الآمال فى سلكه تخلدها أقلام الاقدار بمداد الليل فى قرطاس النهار وترسمها بتذهيب الاسفار فى صفحات الافار وتجعلها هجيرى جلاء الاسفار وحداة القطار فى مسالك الاقطار مقام محل اخينا الذى نلذ عادته هنائه مع الاعادة ونتلقى أنباء علائه بالاذاعة والاشادة ونطرز بأعلام ثنائه صحائف الجادة ونشكر الله أن

فاعجب قيصر حسن الثمر وطابق صفته بوصف من العهد وعمل عنه بما فقد من بعض فنانه فسأل حاذقا كسرى فان كما فقد صنعه فلياس هذا وقد بعلل بنا الكلام عند ذكرنا حر جرجان وجزائره الى الكلام فى انواع الجوارح واشكالها عند ذكرنا الملوك اليونانيين فلنرجع الآن الى ذكر الباب والابواب ومن يل السوره الامم وجبل الفتح وقد قلنا ان شر الملوك من جاورها من الامم ملكة حيزان وملكهم رجل مسلم زعم انه من العرب من قحطان ويعرف بسلفان فى هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وليس فى مملكته مسلم غيره وولده واهله وارى ان هذه السمة سمى بها كل ملك لهذا الصقع وبين مملكة حيزان وبين الباب والابواب اناس من المسلمين عرب لا يحسنون شيأ من اللغات غير العربية فى آجام هناك وغياض واودية وانهار كبار من قرى قد سكنوها اقطنوا ذلك الصقع منذ الوقت الذى افتتحت فيه تلك الديار ممن طرأ من وادى العرب اليها فهم مجاورون لمملكة حيزان الا انهم ممتنعون بنائه لا تدب روالانهار دونهم على نحو ثلاثة اميال من مدينة الباب والابواب واهل

وهب لنا من اخوته المضافة الى المحبة والودادة ما رجح في ميزان الاعتبار أخوة الولادة وعرفنا بيمن ولايته عوارف السعادة السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أفاد الله تعالى في أعلام الملك السعيد بيت القصيد ووسطى القلادة ومجلى الكمال الذي باري عيدان بأسه وجوده جنسا الافادة والافادة ولا زالت آماله القاصية تتنال طوع الارادة ومن نقيبته يجمع من اشتات الفتوح والعز الممنوح بين الحسنى والزيادة معظم سلدانه العالي المثنى على مجده المرفوع اساده في عوالي المعالي المسرور بما يسنيه الله له من الصنع المتوالي والفتح المقدم والتالي أمير المسلمين عبد الله الغني بالله محمد بن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر أيد الله أمره وأسعد نصره سلام كريم يتأرج في الآفاق شذا طيبه وتسمع في ذروة الود بلاغة خطيبه ويتضمن نوره سواد المداد عند مراسلة الوداد فيكاد يذهب بعبوسة المجهول وتقطيبه ورحمة الله وبركاته اما بعد حمد الله فاتح الابواب بمفاليد الاسباب مهما استصعبت ومسير الامور بمحكم المقدور اذا أجهدت الحيل وأتعبت محمد نبيه ان لفتن ما التهبت وجامع كلمة الاسلام وقد تصدعت وتشعبت ومسكن رجفان الارض بعد ما اضطربت ومحييها بعهاد الرحمة مهما اهتزت وربت اللطيف الخبير الذي قدرت حكمته الامور وربت منهى كل نفس الى ما خطت الاقلام عليها وكتبت ونفت وأوجبت وشاءت وأبت ومجازيها يوم العرض بما كسبت والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله هازم الاحزاب لما ألفت وقالبت وجالب الحتف اليها عند ما أجلبت رسول الملحمة اذا الليوث وثبت ونبي الرحمة التي هيأت النجاة وسببت وأبلغت النفوس المطمئنة من السعادة ما طلبت ومداوي القلوب المريضة وقد انتكبت وانقلبت بلطائفه التي راضت وهذبت وقادت الى الجنة العليا واستجلبت وادت عن الله وأدبت الذي بجاهه نستكشف الغماء اذا اطنبت ونستوكف النعماء اذا أخفت البروق وكذبت ونتحاب في طاعته ابتغاء الوسيلة الى شفاعته فنقول وجبت حسبما ثبت والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره واحزابه التي استحقت المزية المرضية واستوجبت لما انتمت الى كماله وانتسبت و ببذل نفوسها في الله ومرضاته تقربت والى نصرته حيثما انتدبت والمناصل قد رويت من دماء الاعداء وأخصبت وخلفته في أمته بعد ما نابه بالهمم التي عن صدق اليقين اعربت فتداعت لمجاهدة الكفار وانتدبت وابعدت المغار وادربت حتى بلغ ملك أمته أقاصي البلاد التي نبت فكسرت الصلب التي نصبت ونعلت التيجان التي عصبت ماهمت السحب وانسحبت وطلعت الشمس وغربت والدعاء لمثابتكم العليا بالنصر العزيز كلما جهزت الكتائب وتكتبت والفتح المبين كلما ركنت عقائل المواعد اذا خضبت والصنائع التي مهما احدقت فيها العيون تعجبت أو جالت في نطائفها الافكار فاسنطابت مذاق الشكر واستعذبت حتى تنجز لكم مواعيد النصر فقد اقتربت فانا كتبنا اليكم كتب الله لكم أغيا ما سألت الالسن السائلة واستوعبت من جمراء غرناطة حرسها الله تعالى وجنود الله بفضل الله تعالى ونعمته قد غلبت وفتحت وسلبت وأسود جهاده قد أردت الاعداء بعد ما كابت ومراعي الآمل قد اخصبت

انساب يحذرونهم واهل مملكة بلده بالكرخ وهم اصحاب الاعمدة وكل ملك يلي هذه المملكة يدعى مدرمان مدرمان مملكة شيريلي مملكة مدرمان مملكة يقال لها تيق واحده الناس نصارى لا يقادون لملك ولهم رؤساء وهم مهادنون لمملكة اللان ثم يليهم مما يلي السور والجبل مملكة يقال لها درلكران وتفسير ذلك عمال الزرد لان أكثرهم يعمل الزرد والنبل واللجم والسيوف وغير ذلك من أنواع الحديد وهم ذوو ديانات مختلفة مسلمون ويهود ونصارى وبلدهم بلد خشن قد امتنعوا لخشونته على من جاورهم من الامم ثم يلي هؤلاء مملكة السرير وملكها يدعى قلان شاه بدين بدين الفهرانية وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب انه من ولد بهرام جور وتسمى صاحب السرير لان يزدجرد وهو الآخر من ملوك ساسان حين ولى منهزما قدم سرير الذهب وخزائنه وأمواله مع رجل من ولد بهرام ليسير بها الى هذه المملكة فيحرزها هناك الى وقت موافاته وصى يزدجرد الى خراسان فنقل هنالك وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه على ما ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من تبدا فقط ذلك الرجل في هذه المملكة واستولى عليها وصار الملك

والحمد لله حمدا يجلو وجوه الرضا بعد ما احتجبت ويفتح أبواب المزيد كلما استقبلها الامل رحبت والشكر لله شكرا يقيد شوارد النعم مما أبقت وما هربت والى هذا وصل الله لمقامكم أسباب الظهور والاعتلاء وعرفكم عوارف الآلاء على الولاء فاسلما وردا علينا كتابكم البر الوفادة الجم الافادة الجامع بين الحسنى والزيادة جالى غرة الفتح الاعظم من ثنايا السعادة وواهب المنن المتاحة وواصف النعم المعادة فأوقفنا من رقمه المنشور على تحف سنية وأمانى هنية وطاف للمصر جسة صمت سكون البلاد وقرارها وأن الله قد أذهب الفتن وأوارها وأخمد نارها ونصح عن وجه الاسلام عارها وجمع الاهواء على من هويته السعادة بعد أن أجهد اختيارها فاصبح الشتيت مجمعا وجمع الجماح مرتعا والجبل المخالف خاشعا منصدعا وأصحى فى العباد من كان مسمعا فاستر ثقت الطاعة ونجحت السنة والجماعة وارتفعت الشناعة ومسكت البلاد المكرهة بأديان وليها لما رأته وعادت الاجياد العاطلة الى حليها بعد ما أسكرته أجلنا جياد الاقلام فى ملعب الهناء وميدانه لاول أوقات امكانه على بعد مكانه وجهدنا عبارة الكلام فى اجلال هذا الصنع وتعظيم شانه وأعربنا الثناء بشيم مجدكم فى شرحه لما ولياه رأينا أن لا نكل ذلك الى اليراع ونفرده فيه بالاجتماع وما يساعاطا من مه الدراع وأن نشد برده من المشافهه أزره ونعضد بيمين من اللسان أمره فعينا ذلك من يفسر مه الخمل وعهد المعضد المعمل حتى يجمع بين اغراض البر والعلن منه والسر ويقيم شهى الادله على الوداد المستقر ووجهنا فى عرض الرسالة به اليكم ولتخر بالشرحه بين يديكم خطيب الوفود وبركة المشاهد فى هذا المقام المحمود الشيخ الجليل الشهير الكبير الصالح الفاضل أبا البركات ابن الحاج وصل الله حفظه وأجزل من الحمد والطف حظه وهو البطل الذى لا يعلم الاجالة فى الميدان ولا يصر بوطائف ذلك الشان ومرادنا منه أن يطيل ويطنب ويجمل فى وصف محاسنكم اللسان الرطب ويقرر ما عندنا لمقامكم من التشيع الذى قام على الحب المتوارث أساسه واطرد حكمه وانتج قياسه وليجعل تلو مقصد الهناء بمجلكم الباهر السناء الصارف الى الجهاد فى سبيل الله والعناء وجه الهمم والاعتناء على مر الآناء متحد دلدينا من الانباء فى جهاد الاعداء وان كان رسولكم أعزه الله تعالى قد شارك فى السرى والسير ويمن الطير وأغنى فى الحكاية عن العير فلا سرف فى الخبر وهو أنا لما انصرفنا من منازلة قرطبة نظر اللحشود التى نفذت معدات أزوادها وشابت بهشيم العلة المستعلة مفارق بلادها واشعافا لفساد أدوانها بفوات أوقاتها رحلنا عنها وحدانا طوينا من اعناء أكثر تلك الروع المائلة العروع على هم مض وأسف للضاجع مقض اذ كان عادل المطر يكف السنة الغارس المبالغة فى التهابها وحلاق اهابها ونفض أعوارها ونهب شوارها واداعه أسرارها وهى النجو والمتلاطمه اذا حطمها الرياح الحاطمة والثلج الزاخرة اذا حركها السوافى الماحرة تود العيون أن تحدى حدودها العاصية فلا تطيق والركائب الرا كضه أن تشرف على غاياتها فيفصل عن مراحلها الطريق فدخلنا الربيع أرزافا تنفض بها الحزائن والاطباق وحبوا مفضه

فريه يستعد منهم من شاء وله بلد حشر صيح لحشوته وهو شعب من جبل الس وهو يعير على الحزر منصفها عليهم لانهم فى سهل وهو فى جبل ثم تلى هذه الممالك مملكة اللان وملكها يقال له كر كداح هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وكذلك قيلان شاه فهو الاسم الاعم لسائر ملوك السرير ودار مملكة ملك اللان يقال لها معص وتسير ذلك المسافة وله حصور ومعرهات فى غير هذه المدينة يتنقل فى السكنى اليها وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة فى هذا الوقت وتدبر وح كل واحد منهما أحت الاخرى وقد كان ملوك اللان بعد ظهور الاسلام فى الدولة العباسية اذ عدوا دين النصرانية وكانوا قبل ذلك جاهلية فلما كان بعد العشرين والثلثمائة رجعوا الى ما كانوا عليه من النصرانية وطردوا من كان قبلهم من الاساقفة والقسيسين وذلك أن عندهم انهم ملك الروم وبين ملك اللان وجبل الفتح قلعة وقنطرة على واد عظيم يقال لهذه القلعة قلعة اللان بنى هذه القلعة ملك فى قديم الزمان من الفرس

ثم الاعلى هذه القنطرة من تحت هذه القلعة والقلعة على صخرة صماء لا سبيل

الى جبل الفتح ولا طريق الى فتحها والوصول اليها الا بادن من صاحبها وهذه القلعة ممتنعة على أعلى هذه الصخرة عين من الماء عذبة تنفجر في وسطها من اعلى هذه الصخرة وهذه القلعة احدى قلاع العالم الموصوفة بالمنعة وقد ذكرها الفرس في اشعارها وما كان لاسفنديار بن كشتاسب في بنائها ولاسفنديار في الشرق حروب كثيرة مع أصناف من الامم وهو السائر الى بلاد الترك لحرب مدينة الصغر وكانت من المنعة بالموضع العظيم الذي لابرام وبها صنوف العرس الاشال وما كان من أفعال اسفنديار وما وصفها فقد كور في الكتاب المعروف بكتاب السيكس نقله ابن المقفع الى لسان العرب وقد كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان حين وصل الى هذا الصقع ووطئ اهله أسكن في هذه القلعة أناسا من العرب الى هذه الغاية يحرسون هذا الموضع وربما يحمل اليهم الرزق واقوات من البر من ثغر تفليس وبين تفليس وهذه القلعة مسيرة خمسة أيام كبار ولو كان رجل واحد في هذه القلعة لمنع سائر الملوك الكبار أن يجتازوا بهذا الموضع لتعلقها بالجو واشرافها على الطريق والقنطرة والوادي وصاحب

لا يرزؤها الانفاد والانفاق ولو اعتصت على انتسافها الآفاق لخفقا في سبيل الله لتعقيب غزو تلك الاقطار المخانف بمحق الصائفة واعانة تلك الطائفة بكلوم الجماع الحائفة حتوفا لم تنفع فيه بالاستنابة حرصا على استئصال الصبابة وأعفينا الرحل من اتصال الكد وقابلنا قبولهم على استصحابنا فيها بالرد وأطللنا على قرطبة بمحلاتنا تنسف الجبال نسفا وتمم الارض زلزالا وخسفا ونستقري مواقع البذر احتراقا وتخترق أجوابها المحترقة تحت الحصيد اختراقا وتسلط عليها من شرر النار أمثال الجمالات الصفر مدت من السواط أنفاقا وتوسع القرى الواسعة تلالا واسترقاقا وتدير على مستديرها كؤس الحتوف دهاقا وأحدث الايران وادها الاعظم من كل جانبيه حتى كان العيون أحمت بمكتحله فاستحالت واذابت صفيحته فسالت وأتت الكفار سماؤهم بالدخان المبين وصار ضوء الشمس من بعد سفورها وعموم نورها منعبة الحيا معصبة الجبين وخضنا أحشاء الغبرة مع أشتات النعم انتساقا وأقوات أهلها اتلافا وآمال سكانها اخلافا وقد بهتوا بسرعة الرجوع ودهشوا لوقوع الجوع وتسبيب تخريب الربوع فمن المنكر البعيد أن يتأتى بعد عمرانها المعهود وقد اصطلم الزرع واجتث العود وصار الى العدم منها الوجود ورأوا من عزائم الاسلام خوارق تشذ عن نطاق العوائد وعجائب تستريب فيها عين المشاهد اذا شتمل هذا العام المتعرف فيه من الله تعالى الانعام على غرفات أربع دمرن فيها القواعد الشهيرة تدميرا وعلا فوق مرافيها الاذان عزا جهيرا وضويقت كراسي الملك تضييقا كبيرا وأديقت وبالا مبيرا وريح الادالة ان شاء الله تعالى نستأنف هبوبا وبأسا مشبوبا والثقة بالله قد ملأت نفوسا مؤمنة وقلوبا والله سبحانه المسؤل أن يوزع شكر هذه النعم التي أثقلت الاكتاد وأبهظت الطوق المعتاد وابهجت المشيم والمرتاد فبالشكر يستدر قربها ويتوالى تجديدها وقطعها في بحبوحة تلك العمالة المستجرة العمارة والعلم المعنى وصفها عن الشرح والعبارة مراحل حفلنا بالتعريج على حرب جيان حربها فقللنا ثانية غربها وجددنا كربها واستوعبنا حرقها وخربها ونظمنا البلاد في سلك البلاء وحشونا في أجادها وأغوارها كائب الاستيلاء فلم نترك بها ملقط طير فصلا عن معاف عير ولا أسأرنا على الحروب بالا تخير وقفلنا وقد تركنا بلاد النصارى التي منها الكبادنا المدد والعدة والعدد وفيها الخصام واللدد قد لبست الحداد حريقا وسلكت الى الخلاء والجلاء طريقا ولم نترك لها مضغة تخالط ريقا ولا نعمة تصون من الفراق فريقا وما كانت تلك النعم لولا أن أعان الله تعالى من عنصري النار والهواء بجنود كونه الواسع ومدركة البعيد الشاسع لتولي الايدي البشرية تغييرها ولا نزرا كثيرها الا التماسا بالاعتراف غديرها بل لله القدرة جميعا فقدرته لا تحامي ريعا ولا حمى مريعا منيعا وعدنا والعود في مثله أحمد وقد بعد من شفاء النفوس الامد ونسخ بالسرور الكمد ورفعت من عز الاسلام العمد والحمد لله حمد الشاكرين ومنه نلتمس عادة النصر على أعدائه فهو خير الناصرين عرفنا كم به ليسر دينكم المتين ومحدكم الذي راف منه الجبين والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويبلغكم أملكم من فضله وقصدكم

اللان يركب فى ثلاثين ألف فارس وهو ذو منعة وبأس شديد ودو

بمنه وطوله والسلام الكريم يحكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (رجع الى ما كنا بسبيله) من أخبار قرطبة الجليلة الوصف وذكر جامعها البديع الاتقان والوصف فمقول قد شاع وذاع على السنة الجم الغفير من الناس فى هذه البلاد المشرقية وغيرها أن فى جامع قرطبة ثلثمائة ونحو ستين طاقا على عدد أيام السنة وأن الشمس يدخل كل يوم من طاق الى أن يتم الدور ثم تعود وهذا شئ لم أقف عليه فى كلام المؤرخين من أهل المغرب والاندلس ولو كان كما شاع لذكروه وتعرضوا له لانه من أعجب ما يستغرب مع أنهم ذكروا ما هو دونه فالله أعلم بحقيقة الحال فى ذلك وستأتى فى الباب الرابع رسالة الشقندى الطويلة وفيها من محاسن قرطبة وسائر بلاد الاندلس الطم والرم وقد ذكرنا فى الباب الاول جملة من محاسن قرطبة فاغنى ذلك عن اعادتها هنا على ان رسالة الشقندى تكرر فيها بعض ما ذكرناه لانا لم نرد أن نحذف منها بحرف فاتبنا بها بلفظها وان تكرر بعض ما فيها مع بعض ما أسلفناه والعذر واضح بالمنصف المغضى والله نسأل سلوك السبيل الذى يرضى بمنه وكرمه * وقال صاحب نشق الازهار ان فى جامع قرطبة تنورا من نحاس أصفر يحمل ألف مصباح وفيه أشياء غريبة من الصنائع العجيبة يعجز عن وصفها الواصفون قيل أوحكم عمله فى سبع سنين وفيه ثلاثة أعمدة من رخام أحمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف وعلى الآخر صورة غراب نوح عليه الصلاة والسلام الثلاثة خلقها الله تعالى ولم يصنعها صانع انتهى قلت لم أر أحدا من محققى المؤرخين للاندلس وغيرهم ذكر هذا على قلة اطلاعى وهو عندى بعيد لانه لو كان لذكره الائمة * وقد حكى عياض فى الشفاء أشياء وجدت لها اسما بيننا صلى الله عليه وسلم ولم يذكر هذا ويستبعد أن يكون بجامع قرطبة ولا يذكره والله تعالى اعلم بحقيقة الامر * وقال فى موضع آخر من هذا الكتاب ان دور قرطبة أربعة عشر ميلا وعرضها ميلان وهى على النهر الكبير وعليه جسران وبها الجامع الكبير الاسلامى وبها الكنيسة المعظمة بين النصارى وبهذه المدينة معدن الفضة ومعدن الشادنج وهو حجر من شأنه أن ينفع الدم وكان يجلب منها البغال التى تباع كل واحدة منها بخمسمائة دينار من حسنها وعلوها الزائد انتهى * (رجع الى أخبار البنيان) ولاخفاء أنه يدل على عظم قدر باسسه ولذلك قال أمير المؤمنين الناصر المروانى بانى الزهراء رحمه الله تعالى حسبما نسبهما له بعض العلماء وبعض يدعيهما لغيره وسيأتيان فى ترجمة نور الدين بن على منجو بين

هم الملوك اذا اردت ذكرهما * من بعدهم فبألسن البنيان
ان الباء اذا تعاظم قدره * أبحى يدل على عظيم الشان

وقد ذكرت هنا قصيدة قالها بعض الشاميين وهو الاديب الفاضل الشيخ أسد بن معين الدين مما يكتب على أبراج دار الحسيب النسيب الشهير البيت الكبير المحى والميت القاضى عبد الرحمن بن الفرفور الدمشقى وضمنها بيتى الناصر المذكورين

زر مجلسا أضحى اعز مكان * ومحل أهل العلم والعرفان
المجد خيم فى ذرى أبراجه * والسعد عبد الباب طول زمان

متصلة غير منفصلة اذا تصايحت الديوك تجاوبت فى سائر مملكته لاشتباك العماثر واتصالها ثم بلى مملكة اللان أمة يقال لها كشث وهم بين جبل الفتح وبحر الروم وهى أمة مطيعة منقادة الى دين النصرانية وليس فيمن ذكرنا من الامم فى هذا الصقع أنقى أبشارا ولا أصفى ألوانا ولا أحسن نساء ولا أقوم قدودا ولا أدق أخصارا ولا أظهر أكفالا وأردافا ولا أحسن شكلا من هذه الامة ونساؤهم موصوفات بشدة الخلوات ولباسهم البياض والديباج الرومى والسقلاطونى وغير ذلك من أنواع الديباج المذهب وبياضهم أنواع من الثياب يصنع من القب منها نوع يقال له الطلى أرق من الديباج وأبقى على الكد يبلغ الثوب عشرة دنانير يحمل الى ما بينهم من الاسلام وقد تحمل هذه الثياب عن جاورهم من الامم الا أن الموصوف منها ما يحمل من قبل هؤلاء واللان مستظهرة على هذه الامة لا تنتصف هذه الامة من اللان الا أنها تمتنع من اللان بقلاع لها على ساحل البحر وقد تتوزع فى البحر الذى هم عليه فمن الناس من يرى انه بحر الروم ومنهم من يرى انه بحر نيطش الا أنهم يقربون فى البحر من بلاد

كأن قلدر فوع البناء وأرضه * مفر وشة بالدر والعقيان
بيت به نخر البيوت لانه * بيت القصيد ومنزل السيفان
مغنى فسيح فيه معنى مفصح * عن قدر بانيه بغير لسان
تدول بعض ذوى الفضائل قبلنا * قولا بديعا واضح التبيان
هم الملوك اذا أردت ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم قدره * اضحى يدل على عظيم الشان
قد شاده من ساد أهل زمانه * بالاصل والافضال والرجحان
ورث السيادة كابرا عن كابر * وسما برفعته على كيوان
قاضى القضاة ومفخر العصر الذى * قد جاء فيه سابق الاقران
فى العلم بحر لاينال قراره * فى الحكم مثل مهند وسنان
يروى عطاء عن يديه قد افتنى * آثار آباء ذوى احسان
لازال يبقى شائد ابيت العلا * وعدوه فى الوهن والنقصان

يا أيها المولى الذى يجرى مع الاقبال والاسعاد طلق عنان
دم شامخ المقدار مرتفع البنا * والناس تحت رضاك كالغلمان
منعما بنيك سادات الورى * فى عز رب دائم السلطان
ما رجع القمرى فى تغريده * فى الروض فوق منابر الاغصان

وكان القاضى عبد الرحمن بن فرفور المذكور على الهمة تضيق يده عما يريد فلذلك كان كثيرا ما يبث شكواه فى الطروس والدفاتر ويعتب على الزمان الذى أخنى على أهل الادب وتطمع آمالهم بحسامه الباتر ويرحم الله القائل

هذا زمان درهمى لاغيره * فدع الدفاتر للزمان الفاتر

فمن نظم المذكور وقد أبطأ بجزء استعاره من بعض اخوانه فكتب اليه معتذرا وأدمج شكوى الزمان الذى كان من شمائله الاعداء به حذرا

ابطأت فى ذا الجزء ياسيدى * كتابة من جوره بغيض
صارته فالجسم منى لقى * تجلدا والقلب منى مريض
فاذا أبى الاتلافى وقد * أحلنى منه محل النقيض
واقتادنى قسرا الى مصرع * قد رق منه اللحم والعظم هيض
سلمت للاقدار مستسرعا * لباب مولى ذى عطاء عريض
جوم صبر كنت اسطوبه * على روايا الدهر بالهم غيض
فلا تلم ياصاح من بعدنا * اذا تغشلت بحال الجريض

ورأيت بخطه رحمه الله تعالى مما نسبه جده القطب الخيضرى الحافظ لابراهيم بن نصر الحوى ثم المصرى المعروف بابن الفقيه

يازمانا كلما حا * ولت امرا يمتنع
ان تعصبت فانى * باصطبارى أقتنع

صار بندة والجارة تتصل أن يملكوا عليهم ملكا يجمع كلمتهم ويراجعت كلمتهم لم يطقهم اللار ولا غيرها من الامم وتفسير هذا الاسم وهو فارسى الى العربية الصعب وذلك أن الفرس اذا كان الانسان ناتها صعبا قالوا كمثل وتلى هذه الامة التى على هذا البحر امة أخرى يقال لبلادهم السبع بلدان وهى أمة كثيرة ممتنعة بعيدة الدار لا أعلم ملتها ولا انتهى الى خبرها فى دينها وتليها أمة عظيمة بينها وبين بلاد كشلة نهر عظيم كالفرات يصب الى البحر الروم وقيل الى بحر ماتش ويقال لدار مملكة هذه الامة ارم ذات العماد وهم ذوو خلق عجيب وآراؤهم جاهلية ولهذا البلد على هذا البحر خبر ظريف وذلك أن سمكة عظيمة تاتيهم فى كل سنة فيتقاولون منها ثم توجد نحوهم من الشق الآخر فيتقاولون منها وقد عاد اللحم على الموضع الذى أخذ منه اولا وخبر هذه الامة مستفيض فى تلك الديار من الكفار ويلى هذه الامة أمة بين جبال أربعة كل جبل منها ممتنع ذاهب فى الهواء وبين هذه الجبال الاربعة من المسافة نحو من مائة ميل صحراء حتى وسط تلك الصحراء دارة مقورة كانها قد خطت

وهذه تورية بديعة للغاية فى التعصب والتقنع مع حلاوة النظم وجودة السبك وخفة الوزن والله سبحانه يروح تلك الارواح فى الجنان ويعاملنا واياهم بمحض الفضل والامتنان ويكفينا شجون دهر جرى بنا طلق العنان (رجع الى ما كنا فيه) وكنت وقفت فى كلام بعض العلماء على ان البيتين السابقين المنسوبين الى أمير المؤمنين الناصر المروانى رحمه الله تعالى قالهما فى الزهراء التى بناها وسيأتى ذكرها قريبا وقال الشيخ سيدى محيى الدين بن العربى فى المسامرات قرأت على مدينة الزهراء بعد خرابها وصيرورتها ماوى الصرو الوحش وبناؤها عجيب فى بلاد الاندلس وهى قريبة من قرطبة ابياتا تذكر الغافل وتنبه الغافل وهى

ديار بأكناف الملاعب تلمع * وما ان بها من ساكن وهى بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب * فيصمت احيانا وحينا يرجع
تخاطبت منها طائرا متغردا * له شجن فى القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكى * فقال على دهر مضى ليس يرجع

(ثم قال) وأخبرنى بعض مشايخ قرطبة عن سبب بناء مدينة الزهراء أن الناصر غنمت له سرية وتركت مالا كثيرا وأمر أن يفك بذلك المال اسرى المسلمين وطلب فى بلاد الافرنج أسيرا فلم يوجد فشكر الله تعالى على ذلك فقالت له جارية الزهراء وكان يحبها حبا شديدا اشتهيت لو بنيت لى به مدينة تسميها باسمى وتكون خاصة لى فبناها تحت جبل العروس من قبلة الجبل وشمال قرطبة وبينها وبين قرطبة اليوم ثلاثة اميال أو نحو ذلك واتقن بناءها وأحكم الصنعة فيها وجعلها مستنزها ومسكنا للزهراء وحاشية أرباب دولته ونقش صورها على الباب فلما قعدت الزهراء فى مجلسها نظرت الى بياض المدينة وحسنها فى حجر ذلك الجبل الاسود فقالت ياسيدى الا ترى الى حسن هذه الجارية الحسناء فى حجر ذلك الزنجى فامر بزوال ذلك الجبل فقال بعض جلسائه أعيذ أمير المؤمنين أن يخطر له ما بين العقل سماعه لو اجتمع الخلق ما ازالوه حفرا ولا قطعا ولا يزيله الا من خلقه فأمر بقطع شجره وغرسه تينا ولوزا ولم يكن منظر أحسن منها ولا سيما فى زمان الازهار وتفتح الاشجار وهى بين الجبل والسهل انتهى ببعض اختصار وقال ابن خلكان فى ترجمة المعتمد بن عباد ما صورته الزهراء بفتح الزاى وسكون الهاء وفتح الراء بعدها همزة ممدودة وهى من عجائب أبنية الدنيا انشأها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر أحد ملوك بنى أمية بالاندلس بالقرب من قرطبة فى أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلثا ميل وطول الزهراء من الشرق الى الغرب ألفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة الى الجنوب ألف وخمسمائة ذراع وعدد السوارى التى فيها أربعة آلاف سارية وثلثمائة سارية وعدد أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب وكان الناصر يقسم جبايه البلاد أثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس خمسة آلاف ألف ألف دينار وأربعمائة ألف ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق المستخلصة سبعمائة ألف دينار وخمسة وستون ألف دينار وهى من أهول ما بناه الانس وأجله خطرا واعظمه شأنا

ميلا لطيع قديم يرى
سهلا كما تضبنى من سفل
الى علو يكون قعره على نحو
ميلى طريق لا عدل الى
الوصول الى مستوى تلك
الدائرة ويرى فيها بالليل
نيران كثيرة فى مواضع
مختلفة وبالنهار يرى فيها
قرى وعمائر وأنهارا تجرى
من تلك السرى وماش
وبهائم الا أنهم يرون لاضاف
الاجسام لبعد فعل الموضع
لا ندرى من أى الامم هم
ولا سبيل لهم الى الصعود
من جهة من الجهات ولا
سبيل لمن فوق الى النزول
اليهم بوجه من الوجوه
ووراء تلك الجبال الاربعة
على ساحل البحر حسعة
أخرى قريبة المعهد بها
آجام وغياض فيها نوع من
العرود منتصبة القامات
مستديرة الوجوه الاغلب
عليها صور الناس
وانسكالهم الا أنهم دو وشعر
وربما وقع فى النادر الفرد
منهم اذا احتيل فى اصطياده
فيكون فى نهاية الفهم
والدراية الا أنه لا لسان له
فيعبر بالنطق ويفهم كل ما
يخاطب به بالاشارة وربما
حمل الواحد منهم الى ملوك
الامم من هنالك فعلمهم
القيام على رؤسها بالمذاب
على موائدها ويلقى الملك له من طعامه فان أكله أكل الملك منه وان اجتنبه علم أنه مسموم فحذر منه وكذلك الا كثرون

من القرد في مناقع سلوكهم به عند الطعام وذكر باحر السرود بالسين واللوح الحديد الذي لا يعض ابن داود وهذا للسرود بالسين رسالة من أمرهم مع عامل معاوية وكتب بدفي أمره ووصف القرد العظيم الذي كان في رقته اللوح الحديد وللسرد في سرود العالم أوصاف من هذا النوع ولا أحبث وذلك أن القردة تكون في بقاع الأرض الحارة منها أرض النوبة وأعلى بلاد الأحابش مما يلي أعالي مصب النيل السرود المعروفة بالنوبية وهي صغيرة الجثة صغيرة الوجوه دائمة السواد سير حالك كأنه زنجي وهو الذي يكون مع القرادين ويصعد على رمح فيصير على أعلاه ومنها ما يكون في ناحية الشام في آجام وغياض نحو أرض الصنابلة وغيرها من ممالك من الأمم كثيرة وما وصفناه من هذا النوع من السرود وغريب شكله من صورة الانسان ومنها بخلجانات بلاد الزاج وبحر الصين في مملكة الماهراج ملك الجزائر وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن ملكه يوازي ملك الصين وهو بين مملكة البلهرا ومملك الصين وهذه السرود مشهورة في الصقع معروفة الملون

سرت كله ابن شكوال في تاريخ الاندلس انتهى كلامه * وحكى في المطمح أن الوزير الكبير الشهير بالحزم بن جهور قال وقد وقف على قصور الامويين التي تقوضت أنديتها وعوضت من أنيسها الوحش افنيتها

قلت يوما لدار قوم تعانوا * أين سكانك العزاز علينا
فأجابتني أقاموا قليلا * ثم ساروا ولست أعلم أينا

وفيه أن أبا عامر بن شهيد بات ليلة باحدى كنائس قرطبة وقد فرشت بأضغاث آس وعرشت بسرور وائتناس وبرع النواقيس بهيج سمعه وبرق الحميا يسرع لمعه والقس قد برز في عيده المسيح متوشحا بالزبار أبدع توشيح قد هجروا الافراح واطرحوا النعم كل اطراح لا يعمدون الى معاناة له الا استراقا من العدوان بالراح وأقام بينهم يعملها جيا كأنما رشف من كاسها شقة دنيا وهي تفعل به بأطيب عرف كلما رشفها أعذب رشف ثم ارتحل بعد ما ارتحل فقال

ولرب جان قد شممت بدره * خمر الصبا مرجت بصرف عصيره
في فتية جعلوا السرور شعارهم * متصافرين تحشعا لكبيره
والقس مما شاء طول مقامنا * يدعو بعود حولنا بربوره
يهدي لنا بالراح كل مصفر * كالخشف خفره التماح خفيره
يتناول الظرفاء فيه وشربهم * لا لافهم والاكل من خنزيره

انتهى * (رجع الى أنباء الزهراء) قال بعض من أرخ الاندلس كان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الخدام والعمله عشرة آلاف رجل ومن الدواب ألف وخمسمائة دابة وكان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة وكان يصرف فيها كل يوم من الحجر المنحوت المعدل ستة آلاف حجرة سوى الآجر والحجر غير المعدل انتهى وسيأتي في الزهراء مزيد كلام وقال ابن حيان ابتدأ الناصر بناء الزهراء أول يوم من محرم سنة ٣٢٥ وجعل طولها من شرق الى غرب ألفين وسبعمائة ذراع وتكسيرها تسعمائة ألف ذراع وتسعون ألف ذراع كذا نقله بعضهم وللظرفيه محال قار وكان يثيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير سوى ما كان يلزم على قطعها ونقلها ومؤنة حملها وجلب اليها الرخام الابيض من المرية والمجزع من رية والوردي والاخضر من افريقية من اسفاقس وقرطاجنة والحوض المنقوش المذهب من الشام وقيل من القسطنطينية وفيه نقوش وتماثيل وصور على صور الانسان وليس له قيمة ولما جلبه أحد الفيلسوف وقيل غيره أمر الناصر بنصبه في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس ونصب عليه اثني عشر تمثالا وبنى في قصرها المجلس المسمى بقصر الخلافة وكان سمكه من الذهب والرخام العليظ الصافي لونه المتلونة أجناسه وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك وجعلت في وسطه اليتيمة التي اتحف الناصر بها أليون ملك القسطنطينية وكانت قوائمه هذا القصر من الذهب والفضة وهذا المجلس في وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والآبنوس المرصع بالذهب وأصناف الجواهر قامت على سواري من الرخام

الملون والبلور الصافى وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيصير شعاعها فى صدر المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالابصار وكان لناصر اذا رأى أن يفزع أحدا من أهل مجلسه أومأ الى أحد صقالبته فيحرك ذلك الرئبق فيظهر فى المجلس كهيئات البرق من النور ويأخذ بمجامع القلوب حتى يخيل لكل من فى المجلس ان المجلس قد طار بهم مادام الرئبق يتحرك وقيل ان هذا المجلس كان يدور ويستقبل الشمس وقيل كان ثابتا على صفة هذا الصهريج وهذا المجلس لم يتقدم لاحد بناؤه فى الجاهلية ولا فى الاسلام وانما بناه الكثير الرئبق عندهم وكان بناء الزهراء فى غاية الاتقان والحسن وبها من المرمر والعمد كثير وأجرى فيها المياه وأحدق بها البساتين وفيها يقول الناصر الشمس

وقفت بالزهراء مستعبرا ... معتبرا أندب أترابا
وقلت يازهراء ألا فارجعى ... قالت وهل يرجع من ماتا
فلم أزل أبكى وأبكى بها ... نهبا بعينى الدمع هتابا
كأنما آثار من قد مضى ... نوادب يندبن أمواتا

انتهى كلام هذا المؤرخ ملخصا وسأل بأبوافى جلب ومحانف له والله سبحانه يعلم الامر كله وهو بالمنظر المتأمل هذا الكتاب فقد فى بعض الاحيان ما قاله ويحمل ذلك على العلم وليس كذلك وانما السبب الحامل لذلك حلب كلام الناس بعضهم الى بعض والله اعلم وذكر ما وصفه من مجلس الناصر سمعت واحدا حكاه غير واحد عن العصر الذى شاده ذلك طليطلة المأمون ابن ذى النون بها وذلك أنه أنفذه الى العاية وأمر على عامة أمور الاطلاع فوضع فى وسطه بحيرة وصنع فى وسط البحيرة بيمة من رخام ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على رأس العمد بتدبير أحكمه المهندسون فكان الماء يرسل من أعلى العمد على جوانبها تحيطانها وسائل بعضه بعض فكانت صفة الرخام فى ذلك كصفة حلف الرخام لا يعرف من الجرى والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شئ ولا يصله وترفد بها الشموع فيرى لذلك منظرا عجيبا وبنى هناك فيها مع جواريه دار اللهو فسمع منشدا ينشد

أتى بناء الخالدين وانما ... مقامك فيها لو علمت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية ... لمن كل يوم بقصه رحيل

فنغص عليه حاله وقال انا لله وانا اليه راجعون أظن أن الاجل قد قرب ولم ألث بعده غير شهر وتوفى ولم يجلس فى تلك البقعة بعدها وذلك سنة ٤٦٣ تحاور الله تعالى عنه هكذا حكاه بعض مؤرخى المغرب وقد ذكرنى غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكاية هذه البقعة فليراجع ان شئت وذكر ابن بدرون شارح العدوية فليراجع وذكر هناك قول أبى محمد المصرى فى صفة قصر طليطلة

قصر تقصر عن مداه الفرقد ... عدمت مصادره وطاب المورد
شمر الصباح عليه ثوب مكارم ... وعليه ألوية السعادة تعقد
وكأنما المأمون فى ارجائه ... بدر تمام قابله إسعد
وكأنما الاقداح فى راحاته ... درجان داب فيه عسجد

وجاءت فى سائر عصام وكان فى العرود وفى الحى والكرم أنواع من الهدايا [illegible] حمل ذلك أحد بنى ذى النون أمير عمان يوشئ وهذه العرود أمرها [illegible] وكان من [illegible] له والراجح وكما ذكرنا بالحاء المهملة لصيد الماء وهو خوف الماء على أن الحاء قد ذكر أن الماء يجئ لتكون الاسل عصير وهو ان [illegible] احدها ما ذكر فى هذا الكتاب عن اصحاب ذلك رأى [illegible] فى الماء فاما الذى ذكر بعض [illegible] أن العرود [illegible] واضع كثيرة لاصيرها عدد الكثير فى وادى [illegible] وهى من الاد [illegible] العرود الذى [illegible] أميرها فى هذا الوقت وهو [illegible] وثلاثين وثلاثمائة [illegible] ابراهيم بن زياد صاحب الخرمى وبين هذا الرأس وبين بلد يوم وبين الجبل يوم او اكثر من ذلك وهذا الوادى كثير العمار ومنساب المياه اليه كثيرة وشجر المورد فيه كثير والعرود فيه كثير وهو بين جبلين والعرود قطعة من

كل قصيع منها بسوقه هدر والهدر الذكر العضم كالفحل العضم المعدم منها وقد تلد العردة فى بطن واحد عدة من [illegible] نحو

وله فى صفة البركة والقبة عليها

شمسية الانساب بدرية * بحار فى تشبيهها الخاطر
كأنما المأمون بدر الدجى * وهى عليه الفلك الدائر

وكان ملوك الاندلس فى غاية الاحتفال بالمجالس والقصور وللوزير الجزيرى رحمه الله تعالى فى وصف مجلس للمنصور بن أبى عامر ما يشهد لذلك وهو قوله

وتوسطتها الجنة فى تعرها * ثبت السلاحف ما تزال تنقنق
تنساب من فلكى هزبر ان يكن * ثبت الجنان فان فاه أخرق
صاغوه من بدد وخلق صفحتى * هذا به محض الدرفهو مخلق
للياسمين تطلع فى عرشه * مثل الملبك غداة وهو مطوق
ونضائد من نرجس و بنفسج * و جنى خيرى و ورد يعبق
ترنو بسحر عيونها وتكاد من * طرب اليك بلا لسان تنطق
وعلى يمينك سوسنات أطلعت * زهر الربيع فهن حسنا تشرق
فكأنما هى فى اختلاف رقومها * رايات نصرك يوم باسك تخفق
فى مجلس جمع السرور لأهله * ملك اذا جمعت قناه يفرق
حازت بدولته المغارب رفعة * فغدا يحسدها عليه المشرق

ومن هذه القصيدة

أما الغمام فشاهد لك انه * لاشك صنوك أو أخوك الاوثق
وافى الصنيع فحين تم غمامه * فى الصحو انشا ودقه يتدفق
وأظنه يحكيك جودا اذ رأى * فى اليوم يحركه زاخرا يتعهق

وكان السبب فى هذه الابيات أن المنصور صنع فى ذلك الاوان صنيعا لتطهير ابنه عبد الرحمن وكان عام قحط فارتفع السعر بقرطبة و بلغ ربع الدقيق الى دينارين فجلا الناس من قرطبة فلما كان يوم ذلك الصنيع نشأت فى السماء سحابة عمت الافق ثم أتى المطر الوابل فاستبشر الناس وسر المنصور بن أبى عامر فقال الجزيرى بديهة أما الغمام الخ وهو القائل على لسان نرجس العامرية

حييتك يا فخر العلا والمجلس * أزكى تحيتها عيون النرجس
زهر تريك بحسنها وبلونها * زهر النجوم الجاريات الكنس
ملكن افئدة الندامى كلما * دارت بمجلسهم مدار الاكؤس
ملك الهمام العامرى محمد * للمكرمات وللنهى والانفس

قال ابن بسام ومن شعر الجزيرى ما اندرج له أثناء مدحه الذى ملح فيه مخاطبته للناصر على السنة اسماء كرائمه برهر رياضه فمن ذلك عن بهار العامرية

حدق الحسان تقرلى وتغار * وتضل فى صفتى النهى وتحار
طلعت على قضبى عيون نمائمى * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شئ بى اذا شبهتنى * درر تنطق سلكها دينار

باقيين ولهن مجالس يجتمع فيها خلق منهن فيسمع لهن حديث ومخاطبات وهمهمة والاناث متميزات عن الذكور فاذا سمع السامع محادثتهن وهو لا يرى أشخاصهن بين تلك الحيطان والاشجار المورقة بالليل لم يشك أنهم أناس لكثرتهن بالليل والنهار وليس فى جميع البقاع التى تكون فيها القرود أحسن ولا أخبث ولا أسرع قبولا للتعليم من قردة اليمن وأهل اليمن يسمون القرد الرباح وهم جمع للذكور والاناث قد سرحت سود كسود ما يكون من الشعر واذا طلبوا بمجلسوه مراتب دون مرتبة الرئيس ويشهون فى سائر اعمالهم بالناس ومن القردة باليمن ببلاد مأرب من بلاد صنعاء رقلعة كحلان ما يكون فى براروجبال هنالك كانها السحب فى تلك البرارى والجبال لكثرتها وذلك هذه قلعة من مخاليف اليمن فيها أسعد بن يعفر ملك اليمن فى هذا الوقت محتجب عن الناس الا خواصه وهو بقية من ملوك حمير حوله من الجنود من الخيل والرجال نحو خمسين ألف مرتقة يقبضون الرزق فى كل شهر ويدعى وقت القبض البركة

أهدى له قضب الزمرد ساقه * وحباه أنفس عطره العطار

أنا نرجس حتى بهرت عقولهم * ببديع تركيبي فقل بهار

ومن أخرى عن بنفسج العامرية اذا تدافعت الخصوم أبدا الله مولانا المنصور في مذاهبها وتعاقرت في مفاخرها فاليه معزعها وهو المقنع في فصل القضية بينهما لاستيلائه على المفاخر باسرها وعلمه سرها وجهرها وقد ذهب البهار والنرجس في وصف محاسنها وافتخر عشابهما كل مذهب ومامنهما الا ذو فضيلة غير ان فضلي عليهما أوضح من الشمس التي تعلونا وأعذب من الغمام الذي يسقينا وان كانا قد نشهاني شعرهما بعض ما في العالم من جواهر الارض ومصابيح السماء وهي من المواد الصامتة فاني أتشبه باحسن عارس الله به الانسان وهو الحيوان الناطق مع أني اعطر منهما عطرا وأحدث خبرا وأكرم امتاعا شاهدا وغائبا وبائعا وذائبا ولكلاهما الابتياع الاريثما يبيع ثم اراد بل تستزه النفوس شمه وتستدفع الاكف ضمه وأنا أمتع بياسا ورطبا وتدخر في الملوك في خزائنها وسائر الاطباء وأصرف في منافع الاعضاء فان خرابا قلالهما على ساق هي أقوى من ساق فلاغر وأن الوني ضعيف والهوى لطيف والمسك حيف وانس الحديد يدرك بالصراع وقد أودعت ايدا الله مولانا قوافي الشعر من وصف مشابهي ما أوعاه وحصرت بمعنى لئلا أغيب عن حصرنهما بعد ما فضل الحاضر وان كان معصولا ولد اقالوا الدالطعم ما حضر لوقته وأشعر الناس من أنت في شعره فلولا أنهم الحكم في أن يفصل بحكمه العدل وأقول

شهدت لزوار البنفسج أنفس * من لونه الاحوى ومن ابناعه

لشبابه الشعر الاغم أعاره الـ * ـقمر المنير الطفل نور شعاعه

ولربما جمع الجميع من الطلى * من صارم المنصور يوم قراعه

حكاه غير مخالف في لونه * لاقى رواتحه وطيب طباعه

ملك جهلنا فيه سبل العلا * حتى وضحن بهجه وشراعه

في سيفه قصر الطول بجاده * وعلم ساعده وصحة باعه

ذو همة كالبرق في اسراعه * وعزمه كالحين في ايقاعه

تلقى الزمان له مطيعا سامعا * وترى الملوك الشم من أتباعه

وما أحسن قول بعض الاندلسيين يصف حديقة

وحديقة محصرة أثوابها * في فوهها بطير كل معرد

بادمت فيها سيه صحابهم * مثل البدور تميز بين الاسعد

والجدول الذهبي يخجل ماؤه * حكايته في العين صفح مهند

واذا تحدد بالنسيم حسبته * لما نراه مشبها للمبرد

وبما ثرت نقط على حافاته * كالعقد بين مجمع ومبدد

وتدحرجت للناظرين كانها * درنثير في بساط زبرجد

وكان بحمام الشطارة باشبيلية صورة بديعة الشكل ووصفها بعض أهل الاندلس بقوله

ودمية مرمرية بجيد * تناهى في التورد والبياض

وقد كانت لهذا الرجل حروب باليمن مع العرامطة وصاحب المدينة وهو على ابن الفضل وذلك بعد السبعين والمائتين وقد كان لعلي باليمن شان عظيم حين قتل وتوطأ اليمن لهذا الرجل وباليمن للعرود مواضع كثيرة وكذلك في سائر بقاع الارض أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على عامة تكونها في بعض البقاع دون بعض من الارض وأخبار الناس في كتابنا أخبار الزمان وكذلك الاخبار عن العرب وهو نوع كالحيات يكون ببلاد حمير واليمامة فيما ذكروا واحدها عربد وقد كان المعتضد في يد خلامه سلم جبير بن الحدق ان يأتي له في حمل الشخاص من النساس والعربد فلم يسلم منهم الى سرمن رأى الا اثنان من النساس ولم يسلم له الحيلة في حمل العربد من اليمامة وذلك أن العربد هذا اذا خرج عن اليمامة وصار الى موضع منها معروف المسافة عدم من الوعاء الذي حمل فيه وأهل اليمامة ينتفعون به لمنع الحيات والعقرب وسائر الهوام كمنفعة أهل

ط ل سجستان بالسماذ ولذلك كان في عهد سجستان العديم لا يقتل فنفذ بلدهم لانه بلد كبير

لها ولدولم تعرف حليلا * ولا ألمت بأوجاع المخاض
ونعلم أنها حجر ولكن * تقيمنا بألحاظ مراض

وكان بسرمن رأى في العصر المسمى بدار السرور مجلس الذهب أحد قصور المقتدر بن هرون وفيه يقول دعبل الوراد بن عبد شلب يهجو وزيرا كان ينبز بتحقون

ضج من تحقون بيت الذهب * ودعا مما به واحربي
رب طهرني فقد دنسني * عارة تحقون ألوف الدنب

(وكان) بعض كبراء الاندلس الى احوازه كابي هذا من وادي الزيتون وتحف فيه تحتلفون معها كتب سمر السندس الاخضر وتحف بانواع الزهر وتحايل بأنهار تحللها وانحار تظلها تحجب أدواحها الشمس لالتفافها وأدن للنسيم مدخل من أصافها فمنهم من تحاسن تروق وتحب واطيار تجاوب بالحان تلهي وتطرب في مثلها يعود لزمان كله صبا وتحري الحياة على الامل والمنى وأنا فيها أنقاكم الله سبحانه بحان من طاب غداؤه وحسن استمراؤه وصحا من جنون العقار واستراح من مخض الخمار وزايلته وساوسه وحلت من الحياط هواجسه ثم ذكر كلاما من هذا النمط في وصف الخمار والدعاء الى العقار * فراجعه أبو الفضل بن حشداي بردة قال في صدرها الى سيدنا الذي ألزمنا باستتابة التذكر وكبيرنا الذي علمنا بيانه السحر وسيدنا الذي عقدنا بحرمه الحل ورمانا بدائه وانسل أبقاك الله تعالى لتوبه تصوح عمرها وعين تموس تبرها وورد أبقاك الله تعالى كتابك الذي اهديته من معرستك بوادي الزيتون ووقفنا على ما لفظت به أوصافه من حلية المصون واعجابك بالمعاف ثجره ودوحاته واهترازك بالطيف بواكره وروحاته وسرورك به وهو جوتلاعه مورودة هضابه وأجراعه وكل المشارب ما حلاه نعيم ومرؤه الدهر حضرموت لما جم ولك عادة تلوينك وسجية تحضرمك وشاكلة ملالك وسآمتك واشعر الناس عندك من أنت في شعره وأحب البلاد اليك ما أنت في عمره وأين منك بساتين جلق وجنانه وريا غوطته المونقة وحلجانه وغباله البيض في حدائقه الخضر وجون العضرفي جنانه النضر وما تضمه حيطانه ونعمه أنجاده وغطاته من أمهات الراح التي هجيرها بعمك ومورد الشمول التي طلقتها بعمك وهيهات فوالله ما فارقتك تلك الاحارع والجانى ولا شاقتك تلك المنازل والمغانى الا بذكرا لما لدسام من طيب المعاهد وحيا المساعد من جميل المشاهد وأين من مشتاق عنقاء مغرب * ثم ذكر كلاما في جواب ما عرض من الخمار لم يتعلق لي به غرض * (وما أحلى) ما كتب به ابو الحسن بن حماجه من رسالة في كرمته ولما أكب العمام اكبابا لم أجد منه انفكاكا ولا انصرف المصر انصالا لم ألف منه انفصالا اذن الله تعالى للصحو أن يطلع صفحته ويشرح صحيفته فقشعت ارث السحاب كما طوى السجل الكتاب وطفقت السماء تتحلى حلبابها والشمس تميط نقابها وطلعة الديماس تتبهج كأنها عروس تحلت وقد تحلت ذهبت في لمة من الاحوان نستبق الى الراحة ركضا ونطوي المعرج أرضا فلا أندفع الا الى مدير غير فدا استدار معه في كل قرارة سماء سحابة عماء وانثاب في تلعته حباب

فتردد بينك الاباطح نهادى أعصانه - وتصاحك ضاحك اقحوانها وللنسيم أثناء ذلك المنظر الوسيم ترسل مشى على بساط وشى قادام بعد برنيه درعا واحكمه صنعا وارعثر بجدول شط منه بصلا وأحاصه صقلا فلا ترى الا بعاما ملوءة سلاحا كلما انهزمت هنالك كتائب فألبت بالسنة من درع مصقول وبيض مسلول ومن فصل منها فاحتلها قيسة خضراء ممدودة اشطان الاغصان سندسية رواق الاوراق وما زلنا نتلف منها بين ظل طليل ونشتمل عليه مراد نسيم عليل وخيل الطرف فى نهر صقيل مافى لجين الماء كانه مجرة السماء مؤتلق جوهر الحباب كانه من ثغور الاحباب وقد حضرنا مسمع يجرى مع النفوس لطافة فهو يعلم غرضها وهواها ويعى لها منزحها ومناها فصيح لسان النفر يشفى من الوقر كانه كاتب حاسب يمشق بماء ويعقد بسراء

تحرك حين يشدو ساكنات * وتبعث الطبائع للسكون

انتهى * (وكانت) بنو أبى الخير وبعض اخوانه مقاطعة فاتفق أن ولى ذلك الصديق حصنا فخاطبه أبو الخير برقعة منها أطال الله بقاء سيدى البهية أوصاله البريئة عن الاستثناء المرفوعة أمارته الكريمة بالابتداء ما الحدث يا سيدى الجزم والعلل والبغى ولموضع النعم كتبت عن ود قديم هو الحال لم يلحقها التغير وعهد كريم هو الفعل لم يدخله الاعتلال والله يجعل ما تيك من الاحوال الثابتة اللازمة ونعيم هذا بعد من الحروف الجازمة وانما استنهض طرفك الى تجديد عهدك بمطالعة ألف الوصل وتعديه فعل الفصل وعدولك عن باب ألف القطع الى باب الوصل والجمع حتى يسقط درج الكلام بيننا هاء السكت ويدخل الانتقال حال الصمت فلا تتخل أعزك الله ان رسم احائك عندى دوحه قد درس عفاء ولا أن صدرى دارمية أمسى من وده خلاء وانما أنا فعل اذا تنى ظهر من ضمير ودك ما بطن وبدا منه ما كمن وهنيئا أعزك الله أن فعل وزارتك حاضر لا يلحق رفعه تغيير وأن فعل سيفك ماض ماله للعوامل تأثير وأنت بحمدك جماع أبواب الظرف تأخذ نفسك العلية بمطالعة باب الصرف ودرس حروف العطف وتدخل لام التبرئة على ما حدث من عتبك وتوجب بعد النفى ما سلف من عدلك وتدع ألف الالفة أن تكون بعد من حروف اللين وترفع بالاضافة بيننا وجود التنوين وتسوم ساكن الود أن يحركه ومعتل الاخاء أن يصح وكتابى هذا حرف صله فلا تحذفه حتى تعود الحال الاولى صبية وتصير هذه البرهة معرفة فأنت أعزك الله مصدر فعل السرور والسبل وملك اشتقاق اسم السؤدد والفضل وابك وان تأخر العصر بك كالفاعل وقع مؤخرا وعدوك وان تكبر كالكميت لم يبع الا مصغرا وللايام حال تبسط وتقبض وعوامل ترفع وتخفض فلا تدخل عروضك قبض ولا عاقب رفعك خفض ولا زلت مرتبطا بالفضل شرطك وجزاؤك جاريا على الرفع سرورك الكريم وسناؤك حتى يخفض الفعل وتبنى على الكسر قبل ان شاء الله * وكتب رحمه الله تعالى يستدعى عود غناء * انتظم من احوانك أعزك الله تعالى عقد شرب يتساقون فى ودك ويتعاطون ريحانة شكرك وحمدك وساء منهم الاشره المسامع الى رنة حامة تنادى لاحمامه بفن واد والطول لك فى

ملك الخزر مهادنة وكذلك مع صاحب اللان وديارهم متصلة ببلاد الخزر فانه يقال لواحد منهم يغان له شيبى ثم تليها أمه ثانية يقال لها جعرد ثم تليها أمة يقال لها ايجنانك وهى أشد هذه الامم الاربعة بأسا ثم تليها أمة ثالثة يقال لها البوكرد وملوكهم بدو وكان لهم حروب مع الروم بعد العشرين والثلثمائة أو قبلها وقد كان للروم فى قديم أزمنتهم تيسايلى من ذكرنا من هذه الاجناس الاربعة مدينة عظيمة برنانية يقال لها وليدر فيها خلق من الناس ومنعه بين الجبال والبحر فكل من فيها مانع لمن ذكرنا من الامم ولم يكن لهؤلاء الترك سبيل الى أرض الروم لمنع الجبال والشجر اياهم ومن فى هذه المدينة وكان بين هؤلاء الاجناس حروب بختلاف وقع بينهم على رأس رجل مسلم ناجر من أرض اردبيل كان نازلا على أرض بعضهم فاستضافه ناس من الجبل الآخر فاختلفت الكلمة وأغار من فى وليدر من الروم على ديارهم وهم عنها خلوف فسبوا كثيرا من البرنية وساقوا كثيرا من الاموال وفى ذلك البهم وهم مشاغيل فى حربهم فاجتمعت كلمتهم وتواهبوا ما كان بينهم من الدماء وعمد الروم جميعا فنو

مدينة وليدر فساروا اليها في نحو ستين ألف فارس وذلك على غير احتفال منهم ولا تجمع ولو كان ذلك لكانوا في نحو مائة ألف فارس فلما نمى خبرهم الى أرمنوس ملك الروم في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة سير اليهم اثني عشر ألف فارس من المتنصرة على الجمال بفارسها في زي العرب وأضاف اليهم خمسين ألفا من الروم فوصلوا الى مدينة وليدر في ثمانية أيام وعسكروا وراءها ونازلوا القوم وقد كانت الترك قتلت من أهل وليدر خلقا من الناس وامتنع أهلها بسورهم الى أن أتاهم هذا المدد لما صح عند الملوك الاربعة من سار اليهم من المتنصرة والروم بعثوا الى بلادهم فجمعوا من كان قبلهم من تجار المسلمين ممن يطرأ الى بلادهم من نحو بلاد الخزر والباب واللان وغيرهم وفي هؤلاء الاجناس الاربعة من قد أسلم وهم غير مخالطين لهم الا عند حروب الكفار فلما تصاف القوم وبرزت المتنصرة أمام الروم خرج اليهم من كان قبل الترك من التجار المسلمين فدعوهم الى ملة الاسلام وانهم ان دخلوا في أمان الترك أخرجوهم من بلادهم الى أرض الاسلام فأبوا ذلك وتواقف الفريقان في ذلك الوقت فكانت للمتنصرة والروم على الترك لانهم كانوا في عشرون

ولم يجد ناطق قد استعار من بنان لسانا وصار لضمير صاحبه ترجمانا وهو على الاساءة والاحسان لا ينفك من ايقاع به من غير ايجاع له فان هفا عركت أذنه وأدب وان تأبى واستوى بعج بضنه وضرب لازلت منتظم الجذل ملتئم الأمل انتهى *(ومن نظمه) رحمه الله تعالى يتفجع ويوجع

شراب الامانى لو علمت سراب * وعتبى الليالى لو عرفت عتاب
وهل مهجة الانسان الا طريدة * يحوم عليها للحمام عقاب
يخب بها في كل يوم وليلة * مطايا الى دار البلى وركاب
وكيف يغيض الدمع أو يبرد الحشا * وقد باد أقران وفات شباب
أهاب مطر في لا أرى غير ليله * وقد حط عن وجه الصباح نقاب
كأني وقد طار الصباح حمامة * يمد جناحيه على غراب
دعا بهم داعي الردى فكأنما * تبارت بهم خيل هناك عراب
فها هم وسلم الدهر حرب كأنما * جنا بينهم طعن لهم وضراب
هجود ولا غير التراب حشية * لجنب ولا غير القبور قباب
ولست بناس صاحبا من ربيعة * اذا نسيت رسم الوفاء صحاب
ومما شجاني أن نضى حتف أنفه * وما اندق رمح دونه وكعاب
وأنا تحار ينا ثلاثين حقبة * فمات سباقا والحمام قصاب
كأن لم يبت في منزل القصف ليله * يجيب بها داعي الصبا ويجاب
اذا قام منا قام ثم هز عطفه * شباب أرقناه بها وشراب
ولما تراءت للمشيب بريقة * وأقشع من ظل الشباب سحاب
نهضنا باعباء الليالي حرالة * وأرست بها في النائبات هضاب
فيا ظاعنا قد حط في ساحة البلى * بمنزل بين ليس عنه مآب
كفى حزنا أن لم يرزني على النوى * رسول ولم ينفذ اليك كتاب
وأني اذا بمت قبرك زائرا * وقفت ودوني للتراب حجاب
ولو أن حيا كان حاور ميتا * لطال كلام بيننا وخطاب
وأعرب عما عنده من جلية * فأقشع عن شمس هناك طباب

وقد أبعدنا نجما كنا بعدده من ذكر قرطبة أعادها الله للاسلام فنقول *قال بعض من أرخ الاندلس انهت مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل الى اربعمائة وتسعين مسجدا ثم زادت بعد ذلك كثيرا كما سيأتي ذكره *وقال بعضهم كانت قرطبة قاعدة الاندلس وأم المدائن ودار امارة الملك وكان عدد شرفاتها أربعة آلاف وثلثمائة وكانت عدة الدور في القصر الكبير أربعمائة دار ونيفا وثلاثين وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها الواجب على أهلها المبيت في السور مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار حاشا دور الوزراء والاكابر الناس والبياض *ورأيت في بعض الكتب أن هذا العدد كان أيام لمتونة والموحدين قال وكانت ديار أهل الدولة اذ ذاك ستة آلاف دار وثلثمائة دار انتهى وعدد أرباضها ثمانية

وعشرون وقيل أحد وعشرون ومبلغ المساجد بها ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وثلاثون مسجدا وعدد الحمامات المبرزة للناس سبعمائة حمام وقيل ثلثمائة حمام وقال ابن حيان ان عدة المساجد عندنا هي في مدة ابن أبي عامر ألف وستمائة مسجد والحمامات تسعمائة حمام وفي بعض التواريخ القديمة كان بقرطبة في الزمن السالف ثلاثة آلاف مسجد وثمانمائة وسبعون مسجدا منها بشقندة ثمانية عشر مسجدا وتسعمائة حمام وأحد عشر حماما وستمائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار للرعية خصوصا وربما نصف العدد أو أكثر لارباب الدولة وخاصتها هكذا نقله في المعرب وهو أعلم بما أتى وبذر رحمه الله تعالى * وقال بعض المؤرخين بعد ذكره نحو ما تقدم ووسط الارباض قبة قرطبة التي تحيط بالسور دونها وأما البيعة التي كانت في الخلس البديع وانها كانت من تحف قصر اليونانيين بعث بها صاحب القسطنطينية الى الناصر مع تحف كثيرة سنية انتهى ونحوه لابن الفرضي وغيره واحد لكن حاله فهم صاحب المسالك والممالك فذكر أن عدد المساجد بقرطبة أربعمائة مسجد وأحد وسبعون مسجدا وهو بعيد وقال قبله ان دور قرطبة في كمالها ثلاثون ألف دار * وتفسيرها بالسان القوطي القلوب اختلفة وهي بالقوطية بالظاء المشالة وقيل ان معنى قرطبة أجرفاسكها قال وبقرطبة أفاليم كثيرة وكور جليلة * وكانت جبايتها في أيام الحكم بن هشام مائة ألف دينار وعشرين آلاف دينار وعشرين دينارا وسبق ما يخالف هذا ومن القمح أربعة آلاف مدى وستمائة مدى ومن الشعير سبعة آلاف مدى وستمائة مدى وسبعة وأربعين مدا وقال بعض العلماء أحصيت دور قرطبة التي بها وأرباضه أيام ابن أبي عامر فكان مائتي ألف دار وسبعة وسبعين دارا وهذه دور الرعية وأما دور الاكابر والوزراء والكتاب والاجناد وخاصة الملك فستون ألف دار وثلثمائة دار سوى مصاري الكراء والحمامات والحانات وعدد الحوانيت ثمانون ألف حانوت وأربعمائة وخمسة وخمسون ولما كانت الفتنة على رأس المائة الرابعة غيرت رسوم ذلك العمران ومحيت آثار تلك القرى والبلدان انتهى ملخصا * وسيأتي في رسالة الشقندي ما هو أشمل من هذا * ولما رفعت حال أبي القاسم عامر بن هشام القرطبي بقرطبة وزين له بعض أصحابه الرحلة الى حضرة ملك الموحدين بمراكش قال وذكر المترجمان القرطبية

يا هبة بأكرت من نحو دارين * وافت الي على بعد تحيني
سرت على صفحات النهر ناشرة * جناحها بين خيري ونسرين
ردت الى جسدي روح الحياة وما * خلت النسيم اذا ما مات يحييني
لولا تنسمها عن نشر أرضكم * ما أصبحت من أليم الوجد تبريني
مرت على عقدات الرمل حاملة * من سركم خبرا بالوحي يشفيني
عرفت من عرفه ما كنت أجهله * لما تبسم في تلك الميادين
نزوت من طرب لما هففا سحرا * وظل ينشر في طورا ويطويني
خلت الشمال شمالا اذ سكرت بها * سكرا بما لست أرجوه يمنيني

فقال لهم ملك بجاية قلدوني التدبير في غداة غد فأنعموا له بذلك فلما أصبح جعل في جناح الميمنة كراديس كثيرة كل كردوس منها ألف وكذلك في جناح الميسرة فلما تصاف القوم خرجت الكراديس من ناحية الميمنة فرشقت في قلب الروم فصارت الى موضع من خرج من جناح الميمنة واتصل الرمي واتصلت الكراديس كالرحا والقلب والميسنة والميسرة للترك ثابتة والكراديس تعمل عليها في ألف ألف وذلك أن من خرج من كراديس الترك من جناح ميمنتهم كان يمدي فيرمي في جناح ميسرة الروم ويرمي بميمنتهم فيرمي وينهي الى القلب وما يخرج من كراديسهم من جناح الميسرة يرمي في جناح ميمنة الروم وينهي الى الميسرة فيرمي وينهي الى القلب فيرمي فيكون ما في الكراديس في القلب دائرا على ما وصفنا فلما نظرت المتنصرة والروم الى ما لحقهم من تشويش صفوفهم وتواتر الرمي عليهم حملوا على القوم مشوشين في مصافهم وصادفوا صفوف الترك ثابتة فاخرجت لهم الكراديس فرشقتهم الترك كلها رشقا واحدا فكان ذلك الرشق سبب هزيمة الروم وعجزهم

أهديت الى أرى بحاس شمائلكم * ففلت قربني من كان يقصيني
وحلت من طمع أن اللقاء على * اثر النسيم وأضحى الشوق يحدوني
مطلت ألثم من تعظيم حقكم * مجر أذيالها والوحد يغريني
مسارح كم بها سرحت من كمد * قلبي وطرفي ولا سلوان يثنيني
بين المصلى الى وادي العقيق وما * يزال مثل اسمه ان بان يبكيني
أن الرصافة فالمرج النضير فوا * دي الدير فالعطف من بطحاء عبدون
لباب عد سقته السحب وابلها * فلم يزل بكؤس الانس يسقيني
لا ما عدا الله عيني عن مسارحه * ولا يقرب لها أبواب جيرون
حاشا لها من محلات مفارقة * من شيق دونها في الغرب محزون
أن المسرو رزق الله أدركه * من دون جهد وتأميل يعنيني
يا من يرين لي الترحال عن بلدي * كم ذا تحاول نسلا عند عنين
وأين يعدل عن أرجاء قرطبة * من شاء يظفر بالدنيا و بالدين
ظرف فسيح ونهر مابه كدر * حفت بشطيه ألفاف الدساتين
باليت لي بمرو نوح في اقامتها * وأن سالي فيه كنز قارون
كلاهما كنت أفديه على نشوا * ت الراح نهبا ووصل الحور والعين
وانما أسفي أني أهيم بها * وان حظي منها حظ مغبون
أرى بعيني مالا تستطيل يدي * لو قد حازه من قدره دوني
وانكد الناس عيشا من تكون له * نفس الملوك وحالات المساكين
بعض طرف التصابي حين يبهته * قضبان نعمان في كثبان بيرين
قالوا الكفاف مقيم قلت ذاك لمن * لا يستخف الى بيت الزواجين
ولا يلم له هب الصبا سحرا * ولا يلطفه عرف الرياحين
ولا تهيم بفتاح الحدود ومن * الصدو رو ترجيع التلاحين
لا فتى راحة الاعلى تعب * ولا تنال العلا الا من الهون
وصاحب العقل في الدنيا أخو كدر * وانما الصفو فيها للمجانين
يا آمري أن أحث العيس عن وطني * لما رأى الرق فيه ليس يرضيني
صحت لكن لي نفسا يازعني * فلو نزلت عنه حلت دوني
لا لزمن وطني طوعا تطاوعني * قود الامانى وطورا فيه تعصيني
منللا بين عرفاني وأضرب عن * سير الارض بهام ليس يدريني
هذا يقول غريب ساقه طمع * وذاك حين أريد البر يجفوني
اليك عني آمالي فبعدك يهـ * ـديني وقربك يطغيني ويغويني
بالحظ كل غزال لست أملكه * يدنو ومالي حال منه تدنيني
ويا مدامة دير لا ألم به * لولاكما كان ما أعطيت يكفيني
لاصبرن على ما كان من كدر * لمن عطاياه بين الكاف والنون

الا ان عبد الرشيق بالخلاف على صفوفهم غير مشوفين ما كانوا عليه من التعبية وركضت الكراديس من اليمين والشمال وأخذ القوم السيف وعاد الامن والكرى الى الجبل فقتل من الروم وانهزم منهزمون الى الخندق الذي كان يعد الى سور المدينة على جنبها وغلقت المدينة وأقام السيف يعمل فيها أياما وسئل أهلها وخرج منها البقية بعد ثلاث يوما من القسطنطينية ثم نهضوا العساكر والمروج والسباع قتلا وأسرا وسبيا حتى نزلوا على سور القسطنطينية وقاموا عليها فحوا من أربعين يوما يبيعون المرأة منهم والصبي منهم بالخرقة من الثوب من البياض والحمر يرونها السيف فلم يقووا على أحد منهم وربما قتلوا النساء والولدان وأخذوا العارات في تلك الديار فاتصلت غاراتهم أرض القسطنطينية وربما خلصت غاراتهم الى نحو بلاد الاندلس والافرنجة والجلالقة فغارات من ذكرنا من الترك متصلة الى أرض القسطنطينية وسائر ما من الممالك الى هذه الغاية فلنرجع الآن الى ذكر جبل الفتح والدور والباب والبواب اذ كنا قد ذكرنا جملا من أخبار الامم العاصفة في هذا الصقع من ذلك أن أمة تلي بلاد اللان يقال لها الابخاز منقادة الى دين وتسمى

وتسمى هذه القصيدة عند أهل الاندلس كنز الادب وقد أشرنا فى الفصل الأقل الى كثير مما يتعلق بقرطبة أعادها الله تعالى الى الاسلام فاغنى عن اعادته وان كان ذكره هنا أنسب لان ما تقدم انما هو فى ذكرها مع غيرها من بلاد الاندلس وهذا الفصل لها بالاستقلال وأنشد أبو العاصى غالب بن أمية المروزى لما جلس على نهر قرطبة بازاء الربض ملتفتا الى القصر بديهة

يا قصر كم حويت من نعم * عادت لقى بعوارض الكلك
يا قصر كم حويت من ملك * دارت عليه دوائر الملك
ما شئت فابق فكل متخذ * يوما يعود بحال متلك

وقال القاضى أبو الفضل عياض عند ارتحاله عن قرطبة

أقول وقد جد ارتحالى وغردت * حدائى وزمت للفراق ركائبى
وقد عضت من كثرة الدمع مقلتى * وصارت هواء من فؤادى ترائبى
ولم يبق الا وقفة يستحثها * وداعى للاحباب لا للحبائب
رعى الله جيرانا بقرطبة العلا * وحادرياها بالعهاد السواكب
وحيا زمانا بينهم قد ألفته * طليق الحيا مستلان الجوانب
أخوانها بالله فيها تذكروا * مودة جار أو مودة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفالهم * كأنى فى أهلى وبين أقاربى

(وأما) مسجد قرطبة فشهرته تغنى عن كثرة الكلام فيه ولكن نذكر من أوصافه وننشر من أحواله ما لابد منه فنقول قال بعض المؤرخين ليس فى بلاد الاسلام أعظم منه ولا أعجب بناء وأتقن صنعة وكلما اجتمعت منه أربع سوارى كان رأسها واحدا ثم صف رخام منقوش بالذهب واللازورد فى أعلاه وأسفله انتهى وكان الذى ابتدأ بناء هذا المسجد العظيم عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل ولم يكمل فى زمانه وكمله ابنه هشام ثم توالى الخلفاء من بنى أمية على الزيادة فيه حتى صار المثل مضروبا به والذى ذكره غير واحد أنه لم يزل كل خليفة يزيد فيه على من قبله الى ان كمل على يد نحو الثمانية من الخلفاء * وقال بعض المؤرخين ان عبد الرحمن الداخل لما استقر أمره وعظم بنى القصر بقرطبة وبنى المسجد الجامع وأنفق عليه ثمانين ألف دينار وبنى بقرطبة الرصافة تشبيها برصافة جده هشام بدمشق وقال بعض انه أنفق على الجامع ثمانين ألف دينار واشترى موضعه ذكان كنيسة عائة الف دينار فالله تعالى أعلم * وقال بعض المؤرخين فى ترجمة عبد الرحمن الداخل ما صورته انه لما تمهد ملكه شرع فى تعظيم قرطبة فجدد مغانيها وشيد مبانيها وحصنها بالسور وابتنى قصر الامارة والمسجد الجامع ووسع فناءه وأصلح مساجد الكور ثم ابتنى مدينة الرصافة منتزها له واتخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل اليها غرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار انتهى وكانت أخته أم الاصبغ ترسل اليه من الشام بالغرائب مثل الرمان العجيب الذى أرسلته اليه من دمشق الشام كما مر وسيأتى كلام ابن سعيد عما هو أتم من هذا * ولما ذكر ابن بشكوال زيادة المنصور بن أبى عامر فى جامع

موضع يعرف بمسجد ذى القرنين وكانت الاخبار والجزية تؤدى الجزية الى صاحب ثغر تفليس منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون فى أيام المتوكل فانه كان بها رجل يقال له اسحق بن اسمعيل وكان مستظهرا بمن معه من المسلمين على من حوله من الامم وهم معاندون الى طاعته وأداء الجزية اليه وعلا أمره من هنالك من الامم حتى بعث المتوكل بغا فنزل على نهر تفليس وأقام عليها حتى افتتحها بالسيف وقتل اسحق بن اسمعيل لان اسحق بن اسمعيل كان متغلبا على الناحية وكان له أخبار يضون بذكرها وهى مشهورة فى أهل ذلك الصقع وغيرهم ممن عنى بأخبار العالم وأتاه رجل من قريش من بنى أمية أو مولى لاحقا فانخرقت هيبة المسلمين من ثغر تفليس من ذلك الوقت الى هذه الغاية فامتنع من جاورهم من الممالك من الاذعان لهم بالطاعة واقتطعوا الاكثر من ضياع تفليس وانقطع الوصول من بلاد الاسلام الى ثغر تفليس بين هؤلاء الامم من الكفار اذ كانت محيطة بذلك الثغر وأهلها ذو وقوة وباس شديد وان كان ما ذكرنا من الممالك محيطا بهم

فرطسه قال ومن أحسن ما عاينه الناس فى بنيان هذه الزيادة العامرية اعلاج النصارى
من عدن فى الحديد من أرض قشتالة وغيرها وهم كانوا ينصرفون فى البنيان عوضا من
رسالة المسلمين اذ لا لا شرك وعزة للاسلام ولما عزم على زيادته هذه جلس لارباب الدور
التى تقل أصحابها عنها بنفسه وكان يثنى بصاحب المنزل فيقول له ان هذه الدار التى لك باهذا
أريد أن ابتاعها لجماعة المسلمين من مالهم وفيئهم لأزيدها فى جامعهم وموضع صلاتهم فتسط
واطلب ما شئت فاذا ذكر له أقصى الثمن أمر ان يضاعف له وان تشترى له بعد ذلك دار عوضا
منها حتى أتى بابا فقال له هذا دار بحصن الجامع وبها نخلة فقالت لا أقبل عوضا الا دارا بنخلة فقال تبتاع
لهذا دار بنخلة ولو ذهب وبالغ فى المال فاشتريت له دار بنخلة وبولغ فى الثمن وحكى ذلك بن
حيان أيضا وقيل ان انفاق الحكم فى زيادة الجامع كان مائة ألف وواحدا وستين ألف دينار
ونيفا وكله من الاخماس * وقال صاحب كتاب مجموع المعترق وكان سقف البلاط من المسجد
الجامع من القبلة الى الجوف قبل الزيادة مائتين وخمسا وعشرين ذراعا والعرض من الشرق
الى الغرب قبل الزيادة مائة ذراع وخمسة أذرع ثم زاد الحكم فى طوله مائة ذراع وخمسة
أذرع فكمل الطول ثلثمائة ذراع وثلاثين ذراع وزاد محمد بن أبى عامر بأمر هشام بن
الحكم فى عرضه من جهة المشرق ثمانين ذراعا فتم العرض مائتى ذراع وثلاثين ذراعا وكان
عدد بلاطه أحد عشر بلاطا عرض أوسطها ستة عشر ذراعا وعرض كل واحد من اللذين
يليانه غربا وقبلة يليانه شرقا أربع عشرة ذراعا وعرض كل واحد من الستة الباقية
احدى عشرة ذراعا وزاد ابن أبى عامر فيه ثمانية عرض كل واحد عشرة أذرع وكان
العمل فى زيادة المنصور سنتين ونصفا وحدم فيه بنفسه وطول الصحن من المشرق الى
المغرب مائة ذراع وثمان وعشرون ذراعا وعرضه من القبلة الى الجوف مائة ذراع وخمس
أذرع وعرض كل واحد من السقائف المستديرة بصحنه عشرة أذرع فسكسيره ثلاثة
وثلاثون ألف ذراع ومائة وخمسون ذراعا وعدد أبوابه تسعة ثلاثة فى صحنه غربا وشرقا
وجوفا وأربعة فى بلاطه اثنان شرقى واثنان غربى وفى معاصير السقائف
باناث وجميع ما فيه من الاعمدة ألف عمود وستة وثلاثة وتسعون عمودا رخاما كلها
وباب مقصورة الجامع ذهب وكذلك جدار المحراب وما يليه فقد أجرى فيه الذهب على
الفسيفساء وثريات المقصورة قصه محدثة وارتفاع الصومعة اليوم وهى من بناء عبد الرحمن
ابن محمد ثلاث وسبعون ذراعا الى أعلى القبة المنفعة التى يستدبرها المؤذن وفى رأس هذه
القبة تفاحة ذهب وقصه ودور كل تفاحة ثلاثة أشبار ونصف فاثنان من التفاحة ذهب
ابر يروواحدة قصه وتحت كل واحدة منها وفوقها سرسنه فدهندست بأبدع صنعة ورمانة
ذهب صغيرة على رأس الرمح وهى احدى غرائب الارض * وكان بالجامع المذكور فى بيت
منبره مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه الذى خطه بيده وعليه حلية
ذهب مكللة بالدر والياقوت وعليه أعشيه الديباج وهو على كرسى العود الرطب بمسامير
الذهب (رجع الى المنارة) وارتفاع المنارة الى محل الاذان أربع وخمسون ذراعا وطول
كل حائط من حيطانها على الارض ثمان عشرة ذراعا انتهى بحروفه وفيه بعض مخالفة

يقال لها الصومعة نصارى وفيهم جاهلية لا ملك لهم ثم تلى مملكة

هؤلاء الصومعة بين ثغر
طليطلة وقلعة رباح اللان
المقدم ذكرها مملكة يقال
لها الصنبارية وملكهم
يقال له كركوس هذا
الاسم العام لملوكهم
وسعادوس الى من النصرانية
وهؤلاء الصنبارية يزعمون
أنهم من العرب من ولد
ابن معد بن مصر وانهم نحدوا
من عقيل سكنوا هنالك
فى قديم الزمان وهم هنالك
مستظهرون على كثير من
الامم وراثة بالاد مارب
من أرض اليمن أبا عن
عقيل محالفة لمذحج
لا فرق بينهم وبين أحلافهم
لاستقامة كلمتهم فيهم على
كثيرة ومنعة وليس فى
اليمن كلها أجل من ولد
ابن معد غير هذا الفخذ
من عقيل الاماد كرمى
ولد أعفر بن براء بن معد
ردحوا فى اليمن حسب
مورده الخبر وهو ما كان
من خبر جرير بن عبد الله
البجلى مع النبى صلى الله
عليه وسلم وما كان من خبر
بجيله والصنبارية يزعمون
أنهم اقبروا الى قديم الزمان
وهم من سميا من عقيل
بلاد مارب فى خبر طويل
ثم تلى مملكة الصنبارية
مملكة بكين وهم نصارى
وفيهم خلق من المسلمين من الجند وسد ذلك ويعمال لملكهم فى هذا الوقت المؤرخ به كنا نا لما

لما ذكره ابن الفرضي وبعضهم اذ قال في ترجمة المنصور بن أبي عامر ما صورته وكان من أخبار المنصور الداخلة في أبواب البر والقرب بنيان المسجد الجامع والزيادة فيه سنة سبع وسبعين وثلثمائة وذلك انه لما زاد الناس بقرطبة واجلب اليها قبائل البربر من العدوة وافريقية وتناهى حالها في الجلالة ضاقت الارباض وغيرها اوضاق المسجد الجامع عن حمل الناس فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه حيث تمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي بقصر الخلافة فبدأ ابن أبي عامر في هذه الزيادة على بلاطات تمتد طولا من أول المسجد الى آخره وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الاتقان والوثاقة دون الزخرفة ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ما عدا زيادة الحكم وأول ما عمله ابن أبي عامر تطييب نفوس أرباب الدور الذين اشتريت منهم للهدم لهذه الزيادة ما صاهم من الثمن وصنع في صحنه الجليل العظيم قدره اتساع فضاؤه وهو أعني ابن أبي عامر هو الذي رتب احراق الشمع بالجامع زيادة للاضاءة فضاهى بذلك الدوران وكان عدد سواري الجامع الحاملة لسمائه واللاصقة بجدرانه وفنائه ومناره بين كبيرة وصغيرة ألف سارية وأربعمائة سارية وسبع عشرة سارية وقيل أكثر وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة مائتان وثمانون ثريا وعدد الكؤس سبعة آلاف كاس وأربعمائة كاس وخمسة وعشرون كاسا وقيل عشرة آلاف وثمانمائة وخمس كؤس وربما كان ارصاص لكؤس المذكورة عشرة أرباع أو نحوها ورفع ما يحتاج اليه من الكتان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار وجميع ما يجتمع اليه الجامع من الزيت في السنة خمسمائة ربع أو نحوها يصرف منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد ومما كان يختص برمضان المعظم ثلاثة قناطير من الشمع وثلاثة أرباع القنطار من الكتان المعد لاقامة الشمع المذكور والكبير من الشمع التي توجد بجانب الامام يكون وزنها من خمسين الى ستين رطلا لا يحترق بعضها بطول الشهر ويعم الحرق جميعها السلة الختمة وكان عدد من يخدم الجامع المذكور بقرطبة دولة ابن أبي عامر ويصرف فيه من أئمة ومقرئين ومؤذنين وسدنة وموقدين وغيرهم من المتصرفين مائة وتسعة وخمسين شخصا ويوقد من البخور ليلة الختمة أربعة أواق من العنبر الاشهب وثمانية أواق من العود الرطب انتهى * وقال بعض المؤرخين كان للجامع كل ليلة جمعة رطل ودورع رطل عنبر يتحر به انتهى * وقال ابن سعيد نقلا عن ابن بشكوال طول جامع قرطبة الاعظم الذي هو بداخل مدينتها من القبلة الى الجوف ثلثمائة وثلاثون ذراعا العمل المكشوف منه ثمانون ذراعا وغير ذلك مقرر مدوعرضه من العرب الى الشرق مائتان وخمسون ذراعا وعدد أبهائه عددا كما لها بالثمانية التي زادها المنصور بن أبي عامر بعده ذات تسعة عشر بهوا وتسمى البلاطات وعدد أبوابه الكبار والصغار أحد وعشرون بابا الجانب الغربي تسعة أبواب منها واحد كبير للنساء يشرع لهن مقاديرهن وفي الجهة الشرقية تسعة أبواب منها الدخول الرجال ثمانية أبواب وفي الجهة الشمالية ثلاثة أبواب منها الدخول الرجال بابان كبيران وباب لدخول النساء الى مقاصيرهن وليس لهذا الجامع في القبلي سوى باب واحد بداخل المقصورة المتخذة في قبلته متصل بالساباط المفضي الى قصر الخلافة منه كان السلطان يخرج من القصر

حولها من العمائر والضياع بصاري ويقال لملكهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا عنبسة الاعور وهو ملوك الاصوص والصعاليك والدعار ثم تلي هذه المملكة مملكة الموفان وهي التي قدمنا ذكرها وانها ستعلمه عليها وانها مضافة الى مملكة شروان شاه وليس هذا البلد المعروف بالموفان هو الذي على ساحل بحر الخزر وانما كان محمد بن يزيد المعروف بشروان شاه في هذا الوقت ملك الاران ومن سلف من آبائه وكان ملك شروان شاه علي بن الهيثم فلما هلك علي تغلب محمد بن شروان شاه على حسب ما ذكرنا ايضا بعد أن قتل صهره له واحتوى على ما ذكر من الممالك وله قلعة لا بد كر في قلاع العالم أحسن منها في جبل القبق يقال انها في الموضع المعروف بالسعط من المدينة وأما الحجارة والحيطان التي بناها بلاد شروان المعروفة بسور الطين وسور الحجارة المعروف بالرمكي وما يتصل ببلاد بردعة فقد أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا وأما سور الكرج يمتد من بلاد خزران من مملكة جرجيرو بمر ببلاد الخان حتى ينتهي

الى الجامع لشهود الجمعة وجميع هذه الابواب ملبسة بالنحاس الاصفر بالغرب صنعة وعدد
وارى هذا المسجد الجامع الحامل لسمائه والاقصى عمائنيه وقبابه ومناره وغير ذلك من
أحمله بين كبار وصغار ألف وأربع مائة سارية وتسع سوار منها داخل المقصورة مائة
وتسع عشرة سارية وذكر المقصورة البديعة التي صنعها الحكم المستنصر في هذا الجامع وقال
انه حضر بها على خمس الاطات من الزيادة الحكمية وأطلق حفافيها على الستة الباقية ثلاثة
من كل جهة فصار طولها من الشرق الى الغرب خمسا وسبعين ذراعا وعرضها من جدار القبلة
الى ورائها المعد لها الى الصحن ثلاث وعشرين ذراعا وارتفاعها الى السماء الى خمسة أقبية
وارتفاع كل قبة ثلاثة أذرع وهذه المقصورة ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش
شارعة الى الجامع قبلي وغربي وشمالي ثم قال وذرع الجدار في الطول من القبلة الى
الجوف ثمان أذرع ونصف وعرضه من الشرق الى الغرب سبع أذرع ونصف وارتفاع قبوه
في السماء ثلاث عشرة ذراعا ونصف والمنبر الى جنبه مؤلف من أكارم الخشب ما بين آبنوس
وصندل وبقم وشوحط وما أشبه ذلك وملع المقعد فيه خمسة وثلاثون ألف دينار
وسبعمائة دينار وخمسة دنانير وثلاثة دراهم وقيل غير ذلك وعدد درجه تسع درجات صنعه
الحكم المستنصر رحمه الله وذكر أن عدد ثريات الجامع التي تسرج فيها المصابيح هذا داخل
البلاطات خاصة سوى ما منها على الابواب مائتان وأربع وعشرون ثريا جميعها من لاطون
مختلفة الصنعة منها أربع ثريات كبار موضوعة في البلاط الاوسط أكبرها المعلقة
في القبة الكبرى التي في المصاحف حيال المقصورة وهو بها من السرج فيما ذكروا ألف وأربعمائة
واربعة وخمسون تستوقد هذه الثريات المحام في العشر الاخير من شهر رمضان تسعى كل ثريا
منها سبعة ارباع في الليلة وكان ملع ما يعمل من الزيت على جميع المصابيح في هذا المسجد في
السنة أيام عمارة ووجوده في مدة ابن أبي عامر مكملة بالزيادة المنسوبة ألف وبع منها في شهر رمضان
ستمائة وخمسون رطلا وفي بعض التواريخ القديمة كان عدد القومة بالمسجد الجامع
بقرطبة في زمن الحكم وفي زمن ابن أبي عامر ثلثمائة انتهى وفيه مخالفة لبعض ما تقدم ذكره
بعضهم الزيت ولكن قوله أولى بالاتباع لنقله عن ابن بشكوال ولمعرفة ابن سعيد مثل هذا
وتحسينه فيه اكثر من غيره والله سبحانه اعلم ومال ألف ربع وثلاثون ربعا منها في رمضان
خمسمائة ربع وفي الثريات التي من العصه وهي ثلاثة اثنان وسبعون رطلا لكل واحدة ثمانية
عشر في ليلة وقدها وقال في المنبر انه مركب من ستة وثلاثين ألف وصل قام كل واحد
منها سبعة دراهم وصفة وسمرت مسامير الذهب والفضة وفي بعضها ليس الا الحديد واتصل
العمل فيه سبعة اشهر قال ودور الثريا العظيمة خمسون شبرا وتحتوي على ألف كاس وأربعة
وثمانين كلها وشاه بالذهب الى غير ذلك من العرائس ؛ وكتب الفقيه الكاتب أبو محمد
ابراهيم بن صاحب الصلاة الوليدي صف جامع قرطبة مما نصه عمر الله سبحانه بشمول السعادة
وسهل ووفر من جزيل الكرامة قسمك ولا برحت سحائب الانعام تهمي على ثرة
وتأمل الايام تهدي اليك كل مسرة انى كان أعزك الله طريق الوداد بيننا عامرا وسبيل
الخلة عامرا لوجب أن يقص حتمه ويرعى كتمه لاسما وبيننا مدارج الالاف الفضائل ويبرز

الى الجامع لشهود الجمعة وجميع هذه الابواب ملبسة بالنحاس الاصفر بالغرب صنعة وعدد
وارى هذا المسجد الجامع الحامل لسمائه والاقصى عمائنيه وقبابه ومناره وغير ذلك من
أحمله بين كبار وصغار ألف وأربعمائة سارية وتسع سوار منها داخل المقصورة مائة
وتسع عشرة سارية وذكر المقصورة البديعة التي صنعها الحكم المستنصر في هذا الجامع وقال
انه حضر بها على خمس الاطات من الزيادة الحكمية وأطلق حفافيها على الستة الباقية ثلاثة
من كل جهة فصار طولها من الشرق الى الغرب خمسا وسبعين ذراعا وعرضها من جدار القبلة
الى ورائها المعد لها الى الصحن ثلاث وعشرين ذراعا وارتفاعها الى السماء الى خمسة أقبية
وارتفاع كل قبة ثلاثة أذرع وهذه المقصورة ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش
شارعة الى الجامع قبلي وغربي وشمالي ثم قال وذرع الجدار في الطول من القبلة الى
الجوف ثمان أذرع ونصف وعرضه من الشرق الى الغرب سبع أذرع ونصف وارتفاع قبوه
في السماء ثلاث عشرة ذراعا ونصف والمنبر الى جنبه مؤلف من أكارم الخشب ما بين آبنوس
وصندل وبقم وشوحط وما أشبه ذلك وملع المقعد فيه خمسة وثلاثون ألف دينار
وسبعمائة دينار وخمسة دنانير وثلاثة دراهم وقيل غير ذلك وعدد درجه تسع درجات صنعه
الحكم المستنصر رحمه الله وذكر أن عدد ثريات الجامع التي تسرج فيها المصابيح هذا داخل
البلاطات خاصة سوى ما منها على الابواب مائتان وأربع وعشرون ثريا جميعها من لاطون
مختلفة الصنعة منها أربع ثريات كبار موضوعة في البلاط الاوسط أكبرها المعلقة
في القبة الكبرى التي في المصاحف حيال المقصورة وهو بها من السرج فيما ذكروا ألف وأربعمائة
واربعة وخمسون تستوقد هذه الثريات المحام في العشر الاخير من شهر رمضان تسعى كل ثريا
منها سبعة ارباع في الليلة وكان ملع ما يعمل من الزيت على جميع المصابيح في هذا المسجد في
السنة أيام عمارة ووجوده في مدة ابن أبي عامر مكملة بالزيادة المنسوبة ألف وبع منها في شهر رمضان
ستمائة وخمسون رطلا وفي بعض التواريخ القديمة كان عدد القومة بالمسجد الجامع
بقرطبة في زمن الحكم وفي زمن ابن أبي عامر ثلثمائة انتهى وفيه مخالفة لبعض ما تقدم ذكره
بعضهم الزيت ولكن قوله أولى بالاتباع لنقله عن ابن بشكوال ولمعرفة ابن سعيد مثل هذا
وتحسينه فيه اكثر من غيره والله سبحانه اعلم ومال ألف ربع وثلاثون ربعا منها في رمضان
خمسمائة ربع وفي الثريات التي من العصه وهي ثلاثة اثنان وسبعون رطلا لكل واحدة ثمانية
عشر في ليلة وقدها وقال في المنبر انه مركب من ستة وثلاثين ألف وصل قام كل واحد
منها سبعة دراهم وصفة وسمرت مسامير الذهب والفضة وفي بعضها ليس الا الحديد واتصل
العمل فيه سبعة اشهر قال ودور الثريا العظيمة خمسون شبرا وتحتوي على ألف كاس وأربعة
وثمانين كلها وشاه بالذهب الى غير ذلك من العرائس ؛ وكتب الفقيه الكاتب أبو محمد
ابراهيم بن صاحب الصلاة الوليدي صف جامع قرطبة مما نصه عمر الله سبحانه بشمول السعادة
وسهل ووفر من جزيل الكرامة قسمك ولا برحت سحائب الانعام تهمي على ثرة
وتأمل الايام تهدي اليك كل مسرة انى كان أعزك الله طريق الوداد بيننا عامرا وسبيل
الخلة عامرا لوجب أن يقص حتمه ويرعى كتمه لاسما وبيننا مدارج الالاف الفضائل ويبرز

ويجري الى وداج ثم يصب فيه من ماء الصهاريج نهر الرس وينتهي من أقاصي بلاد الروم من بحر مدينة طرابزنده حتى يجيء الى البرزة فيدور حوله نهر ارزن ينصب في نهر الرس ويجري نهر الرس وبلاد الخزر وهي بلاد ملك الخزر ومن أرض آذربيجان ويصل الى موقان من بلاد لاران ويمر ببلاد ورثان وينتهي الى خشوصها وقد أتينا على وصف هذه الانهار أيضا وبها أسماء ورود وجريانه في أرض البديلم بحر طبرستان وهو بحر سلام وهو بحر سوار بحر ملوك البديلم ومرورهذا النهر من البديلم الى الخيل ويصب فيه نهر آخر في بلاد البديلم يقال له داذان رود وينتهي مصب الخيل الى بحر جيل وهو بحر البديلم والخزر وغيرهم على ما ذكرنا وعلى هذا النهر كثير من دور الاعاجم ومن هنالك من ملوكهم في هذا الوقت وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة بينهم أخوهم داوان صاحب مدينة الري وطبرستان وغيرهم من الجيل لما ذكر الآن ملوك السريانيين وهم أول من يعتني كتب الريحان والنجوم والاوزار

أعطاف الشمائل وانى شحصت الى حضرة قرطبة حرسها الله تعالى منشرح الصدر لحضور ليلة القدر والجامع قدس الله تعالى بقعته ومكنه ونبت أساسه وركانه قد كسى ببردة الازدهاء وحل فى معرض البهاء كأن شرفاته فلون وسمان أو أشرفى أسمان وكأنما ضربت على سمائه كالل أوخلعت على أرجائه حلل وكأن الشمس حلقت به ضياءها وسجت على أقطاره اضياءها فترى نهارا قد أحدق به ليل كما أحدق برؤوس ليل دامس ونهار شامس وللذبال تألق كنضنضة الحيات أواشارة السابات فى اللحمات قد أترعت من السليط كؤسها ووصلت بماجن الحديد رؤسها وبسطت بسلاسل كالحة ذوع القائمة أوكالشعابين العائمة عصمت بها اتفاح من الصفر كالاقاح السمر يولع فى صقلها وجلائها حتى يهرب بحسنها ولالائها كأنها جليب بالليهب وأشربت ماء الذهب ان رمت بها طولا رأيت منها سبائك عسجد أو دلائك زبرجد وان أتيتها عرضا رأيت منها أفلاكا ولكنها غير دائرة ونجوما ولكنها ليست بسائرة تتعلق تعلق الغرط من الدفرى وتبسط شعاعها بسط الاديم حين يمرى والشمع قد رفعت على المنار رفع السود وعرضت عليها عرض الجود ليجلى طلاقة وانها القريب والبعيد ويستوى فى هدايته ضاحيها الشقى والسعيد وقد فوق بين مهامها بيض محمر وعوارض مخضر مصفر تحملك سكاتها وتبكى بضحكها وتهلك بحياتها وتحييها بهلكها والطيب تعم أرواحه وتتسم أرواحه وقتام الالنجوح والند يسترجع من روح الحياه ماند وكلما تصاعد وهو حاسر أطال من العمر ما كان تقاصر فى صفوف محاسر كالكعوب مقام وظهور القنا مؤللة وبطونها مهللة كأنها تيجان رصع فيها ياقوت ومرجان وقد قوس محرابها أحكم تقويس ووشح مثل ريش الطواويس حتى كأنه باخرة مقرطق وبفوس قزح ممنطق وكأن اللازورد حول وشومه وبين رسومه سف من فوادم الحمام أو كسف من ظلل الغمام والناس أحياف فى دواعيهم وأوزاع فى اغراضهم ومراميهم بين ركع وسجد ويقاظ وهجد ومردحم على الرقاب يتخطاها ومفحم على الظهور يتمطاها كأنهم برد حلال قطر أوحروف فى عرض سطر حتى اذا قرعت أسماعهم روعة التسليم سادروا بالتكلم وتحاذبوا بالاثواب وتساقوا بالاكواب كأنهم حصور طال عليهم عياب أوسمر أتيحلهم اياب وصعيك مع احوان صدق يسكب العلوم بينهم اسكاب الودق فى مكان كوكر العصور أو تعمر الله أو ككناس المعمور وكأن القلب قد قسم سفنا ساحته بالمواريز وارسطنا فيه ارساط البيادق بالعرارين حتى صار عقدنا لا يحل وحذبا لا يفل بحيث تسمع سور التنزيل كيف سلى وسطع نور التعديل كيف تجلى والهمة نحو الينابيع تجهد فى دفع الصرر ويعمدون الى قرع العمد بالدرر فاذا سمع بها الصبيان قد طقت الخافقين وسرت نحوهم سرى الثقين وتوهموا انها الى أعطافهم واصلة وفى اقعاقهم حاصلة ففروا بين الاساطين كما تفزر من النجوم الشياطين كما ضربهم ابو جهم بعصاه أوحصبهم عين بن صاف بحصاه فاكرم بها من مساع تسوق الى جنة الخلد وتهون فى السعى اليها الطوارف والتلد تعظيما لشعائر الله وتنبيها لكل ساه ولاه حكمة تشهد لله تعالى بالربوبية وطاعة تدل بها كل نفس ابية فلم أر أدام الله سبحانه عزك منظرا منها

ثم تبع ذلك بالفرس الاولى وهم المعروفون بالحدان الى أن ردون ثم الاسكان الى داراين دارا وهم السكون ثم ملوك الطوائف ثم الفرس الثانية ثم البوبانيين ثم الروم وبدكر من يتلوهم من ملوك العرب والاعم والسودان ومصر والاسكندرية وغير ذلك من بقاع الارض ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك السريانيين وملوك من أخبارهم)

ذكر أهل العناية باخبار ملوك العالم ان أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان وقد توزع بهم وفى النمط من الناس من رأى ان السريانيين هم النمط ومنهم من رأى انهم اخوة نوح عليه السلام من نفيلا ومنهم من رأى غير ذلك وكان أول من ملك منهم رجل يقال له سوان وكان اول من وضع التاج على رأسه واتخذ له ملوك الارض وكان ملكه ست عشرة سنة باعالى الارض مفسدا للبلاد سفاكا للدماء ثم ملك ولده يسال له بريدس وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة ثم ملك سماسير بن اول سبع سنين ثم ملك بعده اهريمور عشر سنين فخط الخطوط كورا للارض وجد فى امره واتعبان ملكه وعمارة ارضه فلما ان تمام له

انتهى ولا حبرا أشهى واذا لم تتأمله عيانا فتخيله بيانا وان كان حظ منطقى من الكلام حظ العيى من الاولام لكن ما ينفك من مودة أكدنا وسائلها وذمة تقلدنا حمائلها يوجب قول اقتضائى سميا وغثا وليس الطائى جديدا ورثا لازلت لزناد النيل موريا والى آماد الفضل مجريا والتحية العبقة الريا المشرقة الحيا عليك ما طلع فجر وايفع ثمر ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * (وذكر ابن بشكوال) ان الحكم المستنصر هدم الميضأة القديمة التى كانت بفناء الجامع الذى يستسقى لها الماء من بئر السافية وبنى موضعها أربع ميضآت فى كل جانب من جانبى المسجد الشرقى والغربى منها ثنتان كبرى للرجال وصغرى للنساء اجرى فى جميعها الماء من قناة اجلبها من سفح جبل قرطبة الى أن صبت ماءها فى احواض رخام لا ينقطع جريانه الليل والنهار واجرى فضل هذا الماء العذب الى سقايات اتخذهن على أبواب هذا المسجد بجهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية اجراها هالك الى ثلاث حواب من حياض الرخام استقطعها منقطع المستنير بسفح جبل قرطبة بالمال الكثير والماء الراحميون هالك واحتفروا أجوافها منابعها فيرهم فى المدة الطويلة حتى استوت فى صورها البديعة لاعين الناس فخف ذلك من ثقلها وأسلن من أهباطها الى اماكن نصبها بأكناف المسجد الجامع وأمد الله تعالى على ذلك بمعونته فهيأ حمل الواحدة منها فوق عجلة كبيرة اتخذت من ضخام خشب البلوط على قلل موثقة بالحديد المشتف محموفة بوثاق الجبال قرن لجرها سبعون دابة من أشد الدواب وسهلت قدامها الطرق والمسالك وسهل الله تعالى حملها واحدة بعد أخرى على هذه الصفة فى مدة اثنى عشر يوما فنصبت فى الاماكن المعقودة لها قال وابتنى المستنصر فى غربى الجامع دار الصدقة واتخذها معهد التعريف صدقاته المتوالية وابتنى للقراء البيوت قبالة باب المسجد الكبير الغربى انتهى واعلم انه لعظم أمر قرطبة كان عملها حجة بالمغرب حتى انهم يعولون فى الاحكام هذا مما جرى به عمل قرطبة وفى هذه المسئلة نزاع كثير ولا بأس أن نذكر ما لابد منه من ذلك قال الامام ابن عرفه رحمه الله تعالى فى اشتراط الامام على القاضى الحكم بمذهب معين وان خالف معتقد المشترط اجتهادا وتقيدا ثلاثة أقوال * الصحة للباجى ولعمل أهل قرطبة ولظاهر شرط سحنون على مذهب من ولاه الحكم بمذهب أهل المدينة قال المازرى مع احتمال كون الرجل مجتهدا * الثانى البطلان للطرطوشى اذ قال فى شرط أهل قرطبة هذا جهل عظيم * الثالث تصح التولية ويذهب الشرط تحريجا على أحد الاقوال فى الشرط الفاسد فى البيع للمازرى عن بعض الناس انتهى مختصرا قال ابن عازى ان ابن عرفة نسب للطرطوشى البطلان مطلقا وابن شاس انما نسب له التفصيل انتهى وذكر مولاى أحمد الامام قاضى القضاة بالاندلس ثم انتقل الى المغرب بفاس سيدى أبو عبد الله المقرى التلمسانى فى كتابه القواعد شرط أهل قرطبة المذكور قال بعده ما نصه وعلى هذا الشرط ترتب عمل القضاة بالاندلس ثم انتقل الى المغرب فبسببه نحن ننازع الناس فى عمل المدينة ونصيح بأهل الكوفة مع كثرة من نزل بها من علماء الامة كعلى وابن مسعود ومن كان معهما

ليس التكحل فى العينين كالكحل * سخا لى بعض الجود ومعدن التقلد

الله أخزى مدى فاخوت * حتى رأيت من الزمان عجائبا

الاحوال وانتظم له الملك يحاولون الممالك وقد كان هذا الملك من ملوك الهند عالما بما حوله من ممالك الهند وانفاذه الى سلطانه ودخلت فى أحكامه وقيل ان ملكه كان مما يلى بلاد السند والهند فسار نحو بلاد بسط وعرين ونهير وبلاد الداور على النهر المعروف بنهر ميدو وهو نهر سحستان يدعى جريانه على أربع فراسخ منها وهذا النهر عليه اهل سحستان ودنياعهم ونخلهم وجبالهم وسنزهانهم وهذا النهر يعرف بنهر بسط ويحرن فيه السمن من هناك الى سحستان ومنها الاقوات وغير ذلك ومن بسط الى سحستان نحو من مائة فرسخ وبلاد سحستان هى بلاد الرياح والرمال ونهر البلد الموصوف بان الزرع يدرك الاربعة وتسقى الماء من الآبار وتسقى الجنان وليس فى الدنيا بلد والله أعلم أكثر منه استعمالا للارياح وقد توزع فى مبدأ هذا النهر المعروف بنهر ميدو من الناس من رأى ان مبدأه من سيدا نهر الكيلك وهو نهر الهند ويمر بكثير من جبال السند وهو نهر حاد الانصباب والجريان عليه يعدب اكثر الهند أنهارها بالحديد ونعرفها زهدا فى هذا العالم ورغبة فى المقلة

يا لله وللمسلمين ذهبت قرطبة وأهلها ولم يبرح من الناس جهلها مادام الآن الشيطان يسعى فى محو الحق فينسيه والباطل لا زال يلقنه ويلقيه الا ترى خصال الجاهلية كالنياحة والتفاخر والتكاثر والطعن والتعضيل والكهانة والنجوم والخط والتشاؤم وما أشبه ذلك وأسماؤها كالعتمة ويثرب وكذا التنابز بالالقاب وغيره مما نهى عنه وحذر منه كيف لم تزل من أهلها وانتقلت الى غيرهم مع تيسر امرها حتى كأنهم لا يرفعون بالدين رأسا بل يجعلون العادات القديمة أسا وكذلك محبة الشعر والتلحين والنسب وما انحط فى هذا السلك ثابتة الموقع من القلوب والشرع فينا منذ سبعمائة سنة وسبع وستين سنة لا تحفظه الا قولا ولا تحمله الا كلا انتهى * وقال الحافظ ابن عازى بعد ذكر كلام مولاى الجد ما نصه وحدثنى ثقة ممن لقيت انه لما قدم مدينة فاس العلامة أبو يحيى الشريف التلمسانى وتصدى لاقراء التفسير بالبلد الجديد وأم السلطان أبو سعيد المرينى الحفيد أعيان الفقهاء بحضور مجلسه كان مما ألقاه اليهم مشرع المقرى هذا مما لعوا فى انكاره وراوا انه لا معدل عما عول عليه زعماء الفقهاء كابن رشد وأصحاب الوثائق كالمتيطى من اعتماد عمل أهل قرطبة ومن فى معناهم انتهى * (وقال بعض المؤرخين) حين ذكر قرطبة ما ملخصه هى قاعدة بلاد الاندلس ودار الخلافة الاسلامية وهى مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد وسراة الناس فى حسن المآكل والمشارب والملابس والمراكب وعلو الهمم وبها اعلام العلماء وسادات الفضلاء واجلاد الغزاة وانجاد الحروب وهى فى تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور عظيم حصين حاجز وكل مدينة مستقلة بنفسها وفيها ما يكفى أهلها من الحمامات والاسواق والصناعات وطول قرطبة ثلاثة أميال فى عرض ميل واحد وهى سمع جبل مطل عليها وفى مدينتها الثالثة وهى الوسطى القنطرة والجامع الذى ليس فى معمور الارض مثله وطوله مائة ذراع فى عرض ثمانين وفيه من السوارى الكبار ألف سارية وفيه مائة وثلاثة عشر ثريا للوقود أكبرها تحمل ألف مصباح وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول وعلى فرجة المحراب سبع قسى قائمة على عمد طول كل قوس فوق القامة قد تحير الروم والمسلمون فى حسن وضعها وفى عضادتى المحراب أربعة أعمدة اثنان اخضران واثنان لازورديان ليس لها قيمة لنفاستها وبه منبر ليس على معمور الارض أنفس منه ولا مثله فى حسن صنعته وخشبه ساج وآبنوس وبقم وعود قاقلى ويذكر فى تاريخ بنى أمية انه احكم عمله ونقشه فى سبع سنين وكان يعمل فيه ثمانية صناع لكل صانع فى كل يوم نصف مثقال محمدى فكان جملة ما صرف على المنبر لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالا وفى الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لاجل وقوده وبهذا الجامع مصحف يقال انه عثمانى وللجامع عشرون بابا مصفحات بالنحاس الاندلسى مخرمة تخريما عجيبا بديعا يعجز البشر وبهرهم وفى كل باب حلقة فى نهاية الصنعة والحكمة وبه الصومعة العجيبة التى ارتفاعها مائة ذراع بالملكى المعروف بالرشاشى وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حجر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح وأجمع خلقة ربانية

ورجال جلوس وحدائد وسيوف منذورة على ذلك الشجر وقطع من الخشب فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان الناسية فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتهنين على هذا النهر وما يقولون فى ترهيدهم فى هذا العالم والتغيب فيما سواه فيطرحون أنفسهم من أعالى تلك الجبال العاليه على تلك الاشجار العاديه والسيوف والحدائد المنصوبة فيتقطعون قطعا ويسيرون الى هذا النهر أجزاء وما ذكر ما هو وصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك وهناك شئ من احدى عجائب العالم ونوادره والغرائب مما به فيظهر من الارض أغصان متشبكة من أحسن ما يكون من الشجر والورق فتستقيم فى الجو كما بعد ما يكون من طوال النخل ثم ينحنى جميع ذلك منعكسا فيعود فى الارض منتدسا بها وهى فى قعرها سفلا على المقدار الذى ارتفع به فى الهواء حتى يغيب عن الابصار ثم تظهر أغصان بادئة على حسب ما وصفنا فى الاول فتذهب الصعداء ثم تنقطر

منعكسة ولا فرق بين المقدار الذى يذهب منها فى الهواء ويتسع فى الفضاء وبين ما يغيب منها تحت الارض ويتوارى تحت

وأما ما ذكره الرازي بعرصته فهي بديعة الصنعة عجيبة المرأى فاقت قناطر الدنيا حسنا وعدة سعة عشر وتسعة كل قوس منها خمسون شبرا وبين كل قوسين خمسون شبرا وبالجملة فهذا من غرائب الدنيا فضل الخماس وأعظم من أن يحيط بها وصفا انتهى ملخصا وهو وان تكرر بعضه مع ما سبق يحلو من فائدة زائدة والله الموفق * وما ذكره في طول المسجد وعرضه مخالف لما مر ويمكن الجواب بان هذا الذراع أكبر من ذلك كما أشار اليه هو في أمر الصومعة وكذا ما ذكره في عدد السواري الا أن يقال ما تقدم باعتبار الصغار والكبار وهذا العدد الذي ذكره هنا انما هو للكبار فقط كما صرح به والله تعالى أعلم * وأما التريات فقد خالف في عدها ما تقدم مع أن المتقدم هو قول ثقات مؤرخي الاندلس ونحن جلبنا النقل من مواضعه وان اختلفت صرقه وسمعته وقال في المغرب عند تعرضه لذكر جامع قرطبة ما نصه اعتمدت فيما نقلته في هذا الفصل على كتاب ابن بشكوال فقد استغنى بهذا الشان أتم اعتناء واغنى عن الاستطلاع الى كلام غيره عن الرازي انه لما افتتح المسلمون الاندلس امتثلوا ما فعله أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد عن رأي عمر رضي الله تعالى عنه من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذه صلحا وشاطر المسلمون أعاجم قرطبة كنيستهم العظمى التي كانت داخل مدينتها فحفت السور وكانوا يسمونها بسنت نجحت وابتنوا في ذلك الشطر مسجدا جمعوا فيه الشطر الثاني بأيدي النصارى وهدمت عليهم سائر الكنائس بحضرة قرطبة واتسع المسلمون بما في أيديهم الى أن كثروا وتزيدت عمارة قرطبة ونزلها أمراء العرب فضاق عليهم ذلك المسجد وجعلوا يبتاعون منه سقيفة بعد سقيفة يستكثرون بها حتى كان الناس يحتالون في الوصول الى داخل المسجد الاعظم مشقة لتلاصق تلك السقائف وقصر أبوابها ونظام سقفها حتى ما يمكن أكثرهم القيام على استدال لتقارب سقفها من الارض ولم يزل المسجد على هذه الصفة الى أن دخل الامير عبد الرحمن بن معاوية المرواني الى الاندلس واستقر لي على امارتها وسكن دار سلطانها قرطبة وعمدت به فنظر في أمر الجامع وذهب الى توسعته وان بنيانه فاحصر أعاظم النصارى وساومهم بيع ما بقي بأيديهم من كنيستهم لصق الجامع ليدخله فيه وأوسع قسم البذل وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه فأبوا من بيع ما بأيديهم وسألوا بعد الجهد بهم أن يباحوا بناء كنيستهم التي هدمت عليهم بخارج المدينة على أن يسلم الله ما من عن هذا الشطر الذي طولبوا به فتم الامر على ذلك وكان ذلك سنة ثمان وبرق ثنى عند ذلك عبد الرحمن المسجد الجامع على صفة ذكرها الحاجة الى تغيير الزيادة فيه وانما أتى به في وضعه لكماله وفي بنائه لهذه الزيادة يقول دحية بن محمد البلوي من قصيدة

وأنفق في دين الاله بوجهه * ثمانين ألفا من لجين وعسجد
وتوزعها في مسجد اسه التقى * ومنهجه دين النبي محمد
ترى الذهب النارى فوق سموكه * يلوح كبرق العارض المتوقد

قال وكمل سنة سبعين ثم زيد فيه هشام الرضا وما جدده فيه وابنه بناه من خمس في اربعة ثم زاد فيه عبد الرحمن الاوسط لما رأيد الناس قال وهلك قبل أن يتم الزخرفة فانهما ولده محمد بن عبد الرحمن ثم رم المنذر بن محمد ما وهى منه وذكر ما جدده خليفتهم الناصر ونقضه

للصومعة الاولى وبنيانه للصومعة العظيمة قال ولما ولى الحكم المستنصر بن الناصر وسع نطاق قرطبة وكثر أهلها وتبين الضيق في جامعها لم يقدم شيئا على التظريق الزيادة فبلغ الجهد وزاد الزيادة العظمى قال وبها كملت محاسن هذا الجامع وقد رئي حديثا عصر الزخرف عمه وقد كر حضوره لمشاورة العلماء في تحريف القبلة الى نحو المشرق حسبما فعله والده الناصر في قبلة جامع الزهراء لان أهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجوامع القديمة الى نحو الغرب فقال له الفقيه أبو ابراهيم يا أمير المؤمنين انه قد صلى الى هذه القبلة هذه الامة من أول دولة الائمة وصلحاء المسلمين من علمائهم فذاهب الاندلس الى هذا الوقت ما بين سبعة وثلاثين من التابعين كيحيى بن سعيد حبش التميمي وأمثالهم رحمهم الله تعالى وما زال من فضل بالاتباع وهلك من هلك بالابتداع فأحال الخليفة برأيه وقال نعم ما قلت وأعاد الامر على ما كان قال ابن بشكوال ويعلم من خط أمير المؤمنين الناصر أن الصومعة من حد الرباط وما حولها بها اثنت الى مائتي الف دينار واحد وستين الف دينار وجميعها عشرة آلاف دينار وسبعة وثلاثين دينارا ودرهمين ونصف ثم ذكر الصومعة بعلامة ابن بشكوال وقال أمر الناصر عبد الرحمن بهدم الصومعة الاولى سنة ٣٤٠ وقام هذه الصومعة البديعة لحمرتي أساسها حتى بلغ المقدار ثلاثة واربعين ذراعا وكملت ركب الناصر اليها من مدينة الزهراء وصعد في الصومعة من احد درجيها وبرز من الثاني ثم خرج الناصر وصلى ركعتين في المقصورة وانصرف قال وكانت الاولى ذات مطلع واحد فصير لهذه مطلعين قصر بسببهما ساعة ملا يلتقي الراقون فيها الا أعلاها تربد من اعلى كل مطلع منها على مائة سبعة قال وخبر هذه الصومعة مشهور الارض وليس في مساجد المسلمين صومعة تعدلها . قال ابن سعيد قال ابن بشكوال هذا لانه لم ير صومعة اكثر ولا صومعة اشبيلية اللتين بناهما المنصور من بني عبد المؤمن فهما أعظم واطول لانه ذكر أن طول صومعة قرطبة الى مكان موقف المؤذن أربعة وسبعون ذراعا والى اعلى الرمانة الاخيرة بأعلى الرج ثلاثة وسبعون ذراعا وعرضها في كل ربع ثمانية عشر ذراعا وذلك اثنان وسبعون ذراعا قال ابن سعيد وطول صومعة مراكش مائة وعشر اذرع . وذكر أن صومعة قرطبة بضخام الحجارة العظيمة منضده عليه المحيد وفي على دروبها ثلاث شمسات يصعدها مانه ملتفة في الصعود البارز بأعلى الرج واعلاها من النحاس الثلاث منها هما اربع والثالثة منها وسطى بينهما من قصة كبير وفوقها سوسنة من ذهب مدلية وفوقها رمانة ذهب صغيرة في طرف الرج البارز بأعلى الجوز وكان تمام هذه الصومعة في ثلاثة عشر شهرا . وذكر ابن بشكوال في رواية أن موضع الجامع الاعظم بقرطبة كان حمرة عظيمة يطرح فيها اهل قرطبة قمامتهم وغيرها فلما قدم سليمان بن داود صلى الله وسلم عليهما ودخل قرطبة قال للجن اردموا هذا الموضع وعدلوا مكانه فيكون فيه بيت يعبد الله فيه ففعلوا ما أمرهم به وبنى فيه بعد ذلك الجامع المذكور قال ومن قضائه أن الدارات المائة في براريين سمائه مكتوبة كلها بالذكر والدعاء الى غير ذلك مما صنعه انتهى : وذكر مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي كان في جامع قرطبة وصار الى بني عبد المؤمن وقال هو مصحف امير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه مما خطه بيمينه وله عند أهل الاندلس شأن عظيم انتهى وقد ذكر

وعلى تلك البلاد وهم خلق من وجوه الديار مثل موسى واسحق ابني داود بن علي الهرمة ومحمد بن يبقى بن زرقون

واورد ابن الفرضي في تاريخ الاندلس ان عبد الرحمن الداخل لما استقر بقرطبة واستوطنها وافق ان ابتاع بعض السكة وادار الى ارضه فوجد فيها مودية وشهد بعض الجند عليه انه وجدها وبعث على الماء وهو الاسفنج حتى يكون كالحجر فيكون من حجارة الماء فأحدث ذلك سرورا عظيما وقرئ الخبر على الناس واشتد الكهول والشيوخ والنساء والصبيان فرحا بها وسواها سبع قناطير من ذهب فضرب منها سبعة عشر الف دينار من ذهب فضرب منها الجامع المعروف بجامع قرطبة الذي بناه الداخل وهو الجامع الاعظم الذي بناه الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الداخل وهو الذي أمر بهدم الصومعة الاولى وبنى هذه الصومعة البديعة لحمرتي أساسها حتى بلغ المقدار ثلاثة واربعين ذراعا وكملت ركب الناصر اليها من مدينة الزهراء وصعد في الصومعة من احد درجيها وبرز من الثاني ثم خرج الناصر وصلى ركعتين في المقصورة وانصرف قال وكانت الاولى ذات مطلع واحد فصير لهذه مطلعين قصر بسببهما ساعة ملا يلتقي الراقون فيها الا أعلاها تربد من اعلى كل مطلع منها على مائة سبعة قال وخبر هذه الصومعة مشهور الارض وليس في مساجد المسلمين صومعة تعدلها . قال ابن سعيد قال ابن بشكوال هذا لانه لم ير صومعة اكثر ولا صومعة اشبيلية اللتين بناهما المنصور من بني عبد المؤمن فهما أعظم واطول لانه ذكر أن طول صومعة قرطبة الى مكان موقف المؤذن أربعة وسبعون ذراعا والى اعلى الرمانة الاخيرة بأعلى الرج ثلاثة وسبعون ذراعا وعرضها في كل ربع ثمانية عشر ذراعا وذلك اثنان وسبعون ذراعا قال ابن سعيد وطول صومعة مراكش مائة وعشر اذرع . وذكر أن صومعة قرطبة بضخام الحجارة العظيمة منضده عليه المحيد وفي على دروبها ثلاث شمسات يصعدها مانه ملتفة في الصعود البارز بأعلى الرج واعلاها من النحاس الثلاث منها هما اربع والثالثة منها وسطى بينهما من قصة كبير وفوقها سوسنة من ذهب مدلية وفوقها رمانة ذهب صغيرة في طرف الرج البارز بأعلى الجوز وكان تمام هذه الصومعة في ثلاثة عشر شهرا . وذكر ابن بشكوال في رواية أن موضع الجامع الاعظم بقرطبة كان حمرة عظيمة يطرح فيها اهل قرطبة قمامتهم وغيرها فلما قدم سليمان بن داود صلى الله وسلم عليهما ودخل قرطبة قال للجن اردموا هذا الموضع وعدلوا مكانه فيكون فيه بيت يعبد الله فيه ففعلوا ما أمرهم به وبنى فيه بعد ذلك الجامع المذكور قال ومن قضائه أن الدارات المائة في براريين سمائه مكتوبة كلها بالذكر والدعاء الى غير ذلك مما صنعه انتهى : وذكر مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي كان في جامع قرطبة وصار الى بني عبد المؤمن وقال هو مصحف امير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه مما خطه بيمينه وله عند أهل الاندلس شأن عظيم انتهى وقد ذكر

فيه زيادة على هذا ابهو أما الزهراء فهي مدينة الملك التي اخترعها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله وقد تقدم ذكره وهي من المدن الجليلة العظيمة القدر قال ابن الفرضي وغيره كان يعمل في جامعها حين شرع فيه من هذا الفعلة كل يوم ألف نسمة منها ثلثمائة بناء وسائر الحجارة وخمسمائة من الاجراء وسائر الصناع فاستتم بنيانه واتقانه في مدة من ثمانية وأربعين يوما وجاء في غاية الاتقان من خمسة أبهاء عجيبة الصنعة وطوله من القبلة الى الجوف حائطا المقصورة ثلاثون ذراعا وعرض البهو الاوسط من أبهائه من الشرق الى الغرب ثلاث عشرة ذراعا وعرض كل بهو من الاربعة المكتنفة له اثنا عشرة ذراعا وطول صحنه المكشوف من القبلة الى الجوف ثلاث واربعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب احدى واربعون ذراعا وجميعه مفروش بالرخام الثمري وفي وسطه فوارة يجري فيها الماء وطول هذا المسجد أجمع من القبلة الى الجوف سوى الخراب سبع وتسعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب تسع وخمسون ذراعا وطول صومعته في الهواء أربعون ذراعا وعرضها عشرة أذرع في مثلها وأمر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد فصنع في نهاية من الحسن ووضع في مكانه منه وحصرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة وكان وضع هذا المنبر في مكانه من هذا المسجد عند اكماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلثمائة يقال وفي صدر هذه السنة مكن الناصر بنيان القناة الغربية الصنعة التي أجراها وجرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربي قرطبة في المناهر المهندسة وعلى الحنايا المعقودة يجري ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة الى بركة عظيمة عليها أسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد أبهى منه فيما صور الملوك في غابر الدهر مطلي بذهب ابريز وعيناه جوهرتان لهما وبيص شديد يجوز هذا الماء الى عجز هذا الاسد فيجمعه في تلك البركة من فيه فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وبحاجة صبه فتسقي من مجاجه جنان هذا القصر على سعتها وتستفيض على ساحاته وجنباته ويمد النهر الاعظم بما فضل منه وكانت هذه القناة وبركتها والتمثال الذي نصب فيها من أعظم آثار الملوك في غابر الدهر لبعد مسافتها واختلاف مسالكها وخدامه بنيانها وسموا براجها التي يرقى الماء منها ويتصوب من أعاليها وكانت مدة العمل فيها من يوم ابتدئت من الجبل الى أن وصلت أعني القناة الى هذه البركة أربعة عشر شهرا وكان انطلاق الماء في هذه البركة الى انطلاق الذي اتصل واستمر يوم الخميس غرة جمادى الاخيرة من السنة وكانت للناصر في هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة أفضل فيها على عامة أهل مملكته ووصل المهندسين والقوام بالعمل بصلات حسنة جليلة جزيلة وأما مدينة الزهراء فاستمر العمل فيها من عام خمسة وعشرين وثلثمائة الى أخر دولة الناصر وابنه الحكم وذلك نحو من أربعين سنة ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما وصف كانت أول جماعة صليت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان وكان الامام القاضي أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ومن الغد صلى الناصر فيه الجمعة وأول من خطب به القاضي المذكور ولما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهي في الجلالة والفخامة أطبق الناس على انه لم يبن مثله في الاسلام البتة وما دخل اليه أحد من سائر البلاد النائية والنحل المختلفة من ملك وارد

أحكامهم مصروفة اليه ومعنى دولة البيضاء يريد به من ولد من المسلمين بأرض الهند يعرفون بهذا الاسم واحدهم بيضاء وجمعهم بيضاء رأيت بعض فقيائهم وقد طاف على ما وصفناه في أسواقهم فلما دنا من المنار أخذ الحجر فوضعه على فؤاده فشمه ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها بالحجر فدفعها الى بعض أخوانه فهاب وبا بالموت ولذه بالقتلة ثم هوى بفمه في النار واذا ما ملك من ملوكهم وقتل نفسه حرق خلق من الناس أنفسهم لموته يدعون هؤلاء البراهمة والواحد منهم براهمي والى الجزيرة واحدهم جزيري ومسير ذلك الملك الذي يحرق نفسه ويحيا بعده وللهند أخبار عجيبة تخرج عن سمتها النفس من أنواع الآلام والمثلات التي نالم عهد ذكرها الانسان ويقصر عن ذكرها الانسان وقد آثرنا على كثير من عجائب أخبارهم في كتابنا أخبار الزمان ولمرجع الآن الى خبر ملك الهند ومسيره الى بلاد سجستان وبعده عن مملكة السر بانيين ونعدل عما أحدثه أخبار الهند فنقول كان هذا الملك من ملوك الهند يقال

ان زنبيل وكل ملك يلي هذا البلد من أرض الهند يسمى بهذا الاسم زنبيل الى هذا

ورسول وافد وتاجر وجهبذ وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة الا وكلهم قطع انه لم ير لا شبهها بل لم يسمع به بل لم يتوهم كون مثله حتى انه كان أعجب ما يوصله القاطع الى الاندلس في تلك العصور النظر اليه والتحدث عنه والاخبار عن هذا متسع جدا والاداة عليه تكثر ولو لم يكن فيه الا السطح الممرد المشرف على الروضة الباهي بمجلس الذهب والقمة وعجيب ما تضمنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف وبراعة المدس والحلة ما بين مرمر مسنون وذهب مصون وسمد كالغما أفرغت في الفوالي ونقوش كالرياض وبرك نضخة محكمة الصنعة وحياض رمانيل كجيه الاعحاص لا يهدى الاوهام الى سبيل الى فضاء التعبير عنها فيا لله الذي أقدر هذا المخلوق الضعيف على ابداعها وحيرا بها من أحزاء الارض المنحله كيما يرى العاقل من عباده مثالا لما أعده لاهل السعادة في دار المقامة التي لا يتسلط عليها الفناء ولا يحتاج الى الرمم لا اله الا هو المفرد بالقدم (وذكر المؤرخ) أبو مروان بن حيان صاحب الشرطة أن مباني الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة وسقف هو على ثلثمائة سارية وستة عشر فال منها ما جلب من مدينة رومة ومنها ما اهداه صاحب القسطنطينية وامر مصار يع أبوابها صغارها وكبارها كانت تدف على خمسة عشر ألف بنان وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المموه والله سبحانه أعلم فانها كانت من أهول ما شاهده الانس وأجله خطرا وأعظمه شانا انتهى قلت سر بعضهم ذلك السيف في كلامه بثلاث عشرة والله أعلم (وقال بعض من أرخ الاندلس) كان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبعمائة وخمسين فتى وحاشيتهم من الاتباع كل يوم حاشا أنواع الطير والحوت ثلاثة عشر ألف رطل وعدة النساء بمصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلثمائة امرأة وأربع عشرة انتهى وبين ان عدد الصقالبة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون وجعل بعض سكان الخمسين سبعة وثمانين (وقال آخر) ستة آلاف صقلبي وسبعة وثمانون والمرتب من الحبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر ألف حبزة كل يوم ويقع لها من الحمص الاسود ستة أقفزة كل يوم انتهى ثم قال الاول وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل تقسم من عشرة أرطال لشخص الى ما دون سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وصروب الحيتان انتهى (وقال ابن حيان) الفيت خط ابن دحون الفقيه قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بعمارة الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصحر المحبوت المحور المعدل ستة آلاف صحرة سوى الصحر المصرف في التبليط فانه لم يدخل في هذا العدد وكان يخدم في الزهراء كل يوم ألف وأربعمائة بغل وقيل أكثر منها أربعمائة زوامل الناصر لدين الله ومن دواب الاكرية الراتبة للخدمة ألف بغل لكل منها ثلاثة مثاقيل في الشهر يجب لها في الشهر ثلاثة آلاف مثقال وكان يرد الزهراء من الجير والجص في كل ثالث من الايام ألف ومائة حمل وكان فيها حمامان واحدة للقصر وثانية للعامة يعود لي بعض أهل الخدمة في الزهراء انه قدر النفقة فيها في كل عام بثلثمائة ألف دينار مدة خمسة وعشرين عاما التي بقيت من دولة الناصر من حين ابتدأها الى ان توفي سنة خمسين فحصل جميع

الوقف هو وسنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان بين الهند وبين ملوك السريانيين حروب عظام نحو من سنة فيقتل ملك السريانيين واحتوى ملك الهند على الصفع وملك جميع ما وراءه فصار اليه بعض ملوك العرب فاتى ذلك ملك العراق وزحف ملك السريانيين ما كراعليهم رجلا منهم يقال له (سير) وكان واد المقتول فكان ملكه الى أن هلك ثمان سنين ثم ملك بعده (أهربوس) وكان ملكه اثنتي عشرة سنة ثم ملك بعده ابن يقال له (هوربا) فزاد في العمارة وأحسن في ارعايه وعرس الاشجار وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده (سارث) واستولى على الملك وكان ملكه مدة خمس عشرة سنة ومات ثلاثا وعشرين سنة ثم ملك بعده (أزور) و(حلحاس) ويقال انهما كانا أخوين فاحسنا السيرة وتعاضدا على الملك ويقال ان أحدهذين الملكين كان بالسادان يوما ينظر في أعلى قصره الى طائر فسقط أو خر هناك واذا هو يضرب بجناحيه ويصيح وتامل الملك ذلك

 ل فنظر الى حية تسعى الى الوكر فاعدة لاكل فراخ الطائر فدعا الملك بقوس فرمى الحية فصرعها ولما

ان مبلغه خمسة عشر بيت مال ؛ قال وجلب اليها الرخام من قرطاجنة
وافريقية وتونس وكان الذي حلبوه عبد الله بن يونس عريف المائتين وحسن وعلي بن
جعفر الاكحلي وكان الناصر يصلهم على كل رخامة صغيرة وكبيرة بعشرة دنانير انتهى وقال
بعض ثقات المؤرخين انه كان يصلهم على كل رخامة صغيرة بثلاثة دنانير وعلى كل سارية
ثمانية دنانير قيل وكان عدد السواري المجلوبة من افريقية ألف سارية وثلاث عشرة سارية
ومن بلاد الافرنج تسع عشر سارية وأهدى اليه ملك الروم مائة وأربعين سارية وباثرها
من مقالع الاندلس مركوبها والرخام الاخضر من رية والاصفر من غيرها والوردي
والاحمر من اريشه من قبسها ماقسي وأما الحوض المنقوش المذهب العربي الشكل
العالي البنية خمسة أشبار أحدا وثاني السطح به مع سعة الاعلى الذي الآدم من ابلياء
وأما الحوض الصغير الاخضر المنقوش حمائل الانسان فجلبه احمد بن الامام وقيل من
القبر طنينية مع ربيع الاعلى أيضا وقالوا انه لا قيمة له لغرابة عرايته وجماله وجعل من
مكان الى مكان حتى وصل الى البحيرة بصحن الناصر في بيت المقام في المجلس الشرقي المعروف
بالماوس وجعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الاحمر رصعه بالدر النفيس العالي مما عمل
بدار الصناعة بقرطبة صورة أسد الى جانبه غزال الى جانبه عساج وبيما يقاتله ثعبان وعقاب
وبيل وفي احدى يديه حمامة وشاهين وطاوس ودجاجة وديك وحدأة ونسر وكل ذلك من
ذهب مرصع بالجوهر النفيس ومخرج الماء من أفواهها وكان المتولي لهذا البنيان المذكور
ابنه الحكم ثم تكفل به الناصر على أمين حبره وكان يحبر في أيامه في كل يوم برسم حيتان
البحيرات ثمانمائة حوت وقيل اكثر الى غير ذلك مما يطول تتبعه ؛ وكان الناصر كما قدمنا قسم
الحياة أثلاثا ثلث للصيد وثلث للبناء وثلث لذخرو كانت جباية الاندلس يومئذ نيف المذكور
والعشرين خمسة آلاف ألف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار من السوق والمستغلات
سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار وأما أجناس العين فلا يحصيها ديوان وقد سبق
هذا كله واعاد كرره لقول بعضهم اثر حكايته له ما صوره ويل ان مبلغ تحصيل النفقة في
بناء الزهراء مائة مدي من الدراهم العاسمية بكيل قرطبة وقيل ان مبلغ النفقة فيها بالكيل
المذكور ثمانون مدبا وسبعة أقفزة من الدراهم المذكورة واتصل بنيان الزهراء أيام الناصر
خمسا وعشرين سنة شطر خلافته ثم اتصل بعده وفي خلافة ابنه الحكم كلها وكانت خمسة عشر
عاما وأشهرا مستجان الساني بعد بناء الحلي لا اله الا هو انتهى (وقال ابن الدبيع الشيباني
رحمه الله في المطمح) كان الناصر كلفا بعمارة الارض واقامة معالمها وابتناء مجاهلها
واستجلابها من أبعد مناحيها واشاد المآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان وعلو الهمة
فاقتضى به الاعراق في ذلك الى أن ابتنى مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره الرائد المنتشر صيته
في الارض واستفرغ جهده في تتميمها واتقان قصورها ورحبها مصانعها وانهمك في ذلك
حتى عمل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ثلاث جمع متواليات فاراد القاضي منذر
أن يعظهم بما يتناولهم من الموعظة بفصل الخطاب والحكمة والتذكير بالاناية والرجوع
فاتخذ أول خطبته قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وانتخطى ثم وصله بقوله

فرح الطائر فجاء الطائر
مكان في منقاره
وخلايه والملك برمحه
ووضع الحب بين يدي أفراخه
فتأمل هذا الطائر كيف هذا
الطائر الى الآية
الانسان يكون على نعمة
وضع الحب بين
يديه من غير تعب
الله يعطي من يشاء
الله يحكم ويقضي
بر الملك في الحب بها
الملك يعني ان يودع
الانسان رحام الارض وهو
يخرج كمه ميته ويضع
في العالم منه وما عمل
بحرونه وكسوه دعا
بالاكرة وأمرهم بروح الحب
ومراعاته وما يكون منه
روح ست وابل يلطف
والشجر بحضرهم وهم
وهم بمعونة والملك برأيه
الى ان انتهى في البلوغ
وهم لا يحدون على دوقه
حوان يأوي له لعدم
الملك بعد رماته وان يودع
في وان وارادحه منه
وبركه على حاله لصغار
في الآنية صغيرا هندر
وقت الربيع وفاحت له
رائحة عبقة مثال الملك
على شيخ في بيته فلما رأى
دلك في اناءه آه لو ما يحيا
وسطرا كاملا لو ما يا وما
احمق ما عاينا سعرا
الشيخ فاسر بالشيخ ان وارحمي من مات وهو الصغير ولو حرك رأسه ووضع يرحله على الارض

فمتاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وهي دار القرار ومكان الجزاء ومضى في ذم التشييد والاستغراق في زخرفته والإسراف في الإنفاق عليه بكلام جزل وقول فصل جرى فيه طلقا وانتزع فيه قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون إلى آخرها وأتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت والتحذير من فجأته والدعاء إلى الزهد في هذه الدار الفانية والحض على اعتزالها والرفض لها والندب إلى الإعراض عنها والإقصار عن طلب اللذات ونهي النفس عن اتباع هواها فأسهب في ذلك كله وأضاف إليه من آي القرآن ما يطابقه وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله حتى أذكر من حضره من الناس وخشعوا ورقوا واعترفوا وبكوا وضجوا ودعوا وأعلنوا التضرع إلى الله تعالى في التوبة والابتهال في المغفرة وأخذ خليفتهم من ذلك بأوفر حظ وقد علم أنه المقصود به فبكى وندم على ما سلف من فرطه واستعاذ بالله من سخطه إلا أنه وجد على منذر لغلظ ما قرعه به فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر وقال والله لقد تعمدني منذر بخطبته وما عنى بها غيري فأسرف علي وأفرط في تقريعي ولم يحسن السياسة في وعظي فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني واستشاط غيظا عليه فأقسم أن لا يصلي خلفه صلاة الجمعة خاصة فجعل يلتزم صلاتها وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة ويجانب الصلاة بالزهراء وقال له الحكم فما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال بغيره منه إذ كرهته فزجره وانتهره وقال له أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه لا أم لك يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد هذا ما لا يكون وإني لأستحيي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه ولكنه أحرجني فأقسمت ولوددت أني أجد سبيلا إلى كفارة يميني بملكي بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى فما أظننا نعتاض منه أبدا وقيل إن الحكم اعتذر بما قال منذر وقال يا أمير المؤمنين إنه رجل صالح وما أراد إلا الخير ولو رأى ما أنفقت وحسن تلك البنية لعذرك فأمر حينئذ الناصر بالقصور ففرشت وفرش ذلك المجلس بأصناف فرش الديباج وأمر بالأطعمة وقد أحضر العلماء وغص بهم المجلس فدخل منذر في آخرهم فأومأ إليه الناصر أن يقعد بقربه فقال يا أمير المؤمنين إنما يقعد الرجل حيث انتهى به المجلس ولا يتخطى الرقاب فجلس في آخر الناس وعليه ثياب رثة ثم ذكر القاضي بعد هذا كلام المنذر [illegible] الناس آخر مدة الناصر فأمر القاضي منذر بالخروج إلى الاستسقاء بالناس فتأهب لذلك وصام بين يديه أياما ثلاثة تنفلا وإنابة ورهبة واجتمع له الناس في مصلى الربض بقرطبة بارزين إلى الله تعالى في جمع عظيم وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانعه المرتفعة من القصر ليشارف الناس ويشاركهم في الخروج إلى الله تعالى والضراعة له فأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس وغصت بهم ساحة المصلى ثم خرج نحوهم ماشيا متضرعا مخبتا متخشعا وقام ليخطب فلما رأى بدار الناس إلى ارتقابه واستكانتهم من خيفة الله وإخباتهم له وابتهالهم إليه رقت نفسه وغلبته عيناه فاستعبر وبكى حينا ثم افتتح خطبته بأن قال يا أيها الناس سلام عليكم ثم سكت ووقف شبه الحصر ولم يك من عادته فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه ولا ما أراد بقوله ثم اندفع تاليا قوله تعالى كتب

فشرب ورفع غيره يغني فقال الملك هذا شراب يذهب بالعقل وأخاف أن يكون فاتم الامر الى [illegible] كيف عاشق حال الصبي وسلطان الدم وقوة الشباب فرام الملك [illegible] فقال الملك هلك [illegible] الشيخ أتاه وطلب أن [illegible] من الشراب وقال [illegible] وتكشف من العموم وأراك من ساعتي الامر [illegible] وما أراد الضار الامر [illegible] الشراب [illegible] فقال الملك هذا أعرف شراب أهل أرض وذلك أنه [illegible] حسن وقوي [illegible] في [illegible] وشرب في حال [illegible] الحزن و [illegible] الدم [illegible] [illegible] الملك أن [illegible] [illegible] فقال هذا شراب الملوك وأما [illegible] [illegible] الملك [illegible] أنه [illegible] و [illegible] [illegible] ذكر الرحبين [illegible] المدن [illegible] السميساط واستوى على الجودي في كتاب [illegible] وغيره من الكتب

(ذكر ملوك الموصل ونينوى وملح من أخبارهم)

نينوى هي مقابلة الموصل وبينهما دجلة وهي من [illegible] كور الموصل ونينوى [illegible]

ربكم على نفسه الرحمة الى قوله رحيم ثم قال استغفروا ربكم انه كان غفارا استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ونزلوا بالاعمال الصالحة لديه قال الحاكي فضج الناس بالبكاء وجأروا بالدعاء ومضى على تمام خطبته فشرع النفوس بوعظه وانبعث الاخلاص بتذكيره فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر روى الثرى وطرد المحل وسكن الازل والله لطيف بعباده وكان لمنذر في خطب الاستسقاء استفتاح عجيب ومنه أن قال يوما وقد سرح طرفه في ملا الناس عند ما شخصوا الى الله بابصارهم فهتف بهم كالمنادي يا أيها الناس وكررها عليهم مشيرا بيده في نواحيهم أنتم الفقراء الى الله الى بعزيز فاشتد وجد الناس وانطلقت أعينهم بالبكاء ومضى في خطته وقيل ان الخليفة الناصر خرج مرة للاستسقاء وأسرع عزده عليه حسابي الناس للصلى فقال للرسول وكان من خواص الناس ليت شعري ما الذي دعا هذه الخليفة بنا فقال له ما رأيك أخشع منه في يومنا هذا انه متبدل حائر منفرد بنفسه لابس أخس الثياب مفرش التراب وقد مد يده على رأسه وعلى لحيته وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول هذه ناصيتي بيدك أترالك تعذب بي الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء مني فقال الحاكي فتهلل وجه القاضي منذر عند ما سمع قوله وقال يا غلام احمل المطر معك منذ أذن الله تعالى بالسقيا اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء وكان كما قال فلم ينصرف الناس الا عن السقيا وكان منذر شديد الصلابة في أحكامه والمهابة في أقضيته وقوة الحكومة والقيام بالحق في جميع ما يجري على يده لا يهاب في ذلك الامير الاعظم فمن دونه (وقال ابو الحسن الباهي) وأصله في المطمح وغيره ومن اخبار منذر المحفوظة له مع الخليفة الناصر في انكاره عليه الاسراف في البناء ان الناصر كان اتخذ لطبع القبيبة المصغرة الاسم للخصوصية التي كانت ماثلة على الصرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء من اميد ذهب وفضة انفق عليها مالا جسيما وقرمد سقفها به وجعل سقفها صفراء فافعة الى بياض ناصعة تستلب الابصار باشعة نورها وجلس فيها أثر تمامها يوما لاهل مملكته فقال لقرابته وس حضر من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يتصل به من البدائع الفتانة هل رأيتم او سمعتم ملكا كان قبلي فعل مثل هذا أو قدر عليه فقالوا لا والله يا امير المؤمنين وانك لاوحد في شأنك كله وما سبقك الى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى الينا خبره فاستهجنه قولهم وسر ببيانهم وكذلك اذ دخل عليه القاضي سدر بن سعيد واهما فاكس الرأس فلما أخذ مجلسه قال له كالذي قال لورراته من ذكر السيف المذهب واقتداره على ابدائه ما أبيات نهوع القاضي تتحدر على لحيته وقال له والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن يمكنه من فيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين قال فانفعل عبد الرحمن لقوله وقال له انظر ما تقول وكيف أنزلني منزلتهم قال نعم أليس الله تعالى يقول ولولا أن يكون الناس أمة واحدة الآية فوجم الخليفة وأطرق مليا ودموعه تتساقط خشوعا لله تعالى ثم أقبل على منذر وقال له جازاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين أجل جزائه وكثر في الناس أمثالك فالذي قلت هو الحق وقام عن مجلسه ذلك وهو يستغفر

فيها من أصنام في حجارة مكتوبة على وجوهها وظاهر المدينة من عليه مسجد وهناك عين تعرف بعين يونس النبي عليه السلام ويأوي الى هذا المسجد الناسك والعباد وازهاد وكان أول ملك بنى هذه المدينة وسورها ملك عظيم قد دانت له الملوك ودانت له البلاد ويقال له سيموس بن ماموس فكانت مدة ملكه اثنتين وخمسين سنة وكان بالموصل رجل آخر محاربا لهذا الملك وكانت بينهما حروب ووقائع ويقال ان ملك الموصل كان في ذلك العصر سابق بن مالك رجل من اليمن ثم ملك أهل نينوى عليهم بعده امرأة يقال لها سيمون فأقامت عليهم أربعين سنة فحارب ملوك الموصل بملكها من شاطئ دجلة الى بلاد ربيعة ومن بلاد اربيجان الى حد الجزيرة والجودي وجبل النزل الى بلاد الزوان وغيرها من أرمينية وكان أهل نينوى ممن سمينا بسيطا وسريانيين والجنس واحد واللغة واحدة وانما بان النبط عنها بأخرى يسيرة في لغتهم والمقابلة واحدة ثم ملك بعد هذه المرأة (رسيس) ويقال انه كان ابنها وكان ملكه نحوا

الله تعالى وأمر بنقض سقف القبة وأعاد فرمدها ترابا على صفة غيرها انتهى ما حكاه ابن الحسن النباهى وانذكر هذه الحكاية وغيرها واوان حالف السياق ما سبق وهذا منقول من كلام الحجارى فى المسهب فى أخبار المغرب فانه أتم فائدة اذ قال رحمه الله دخل منذر بن سعيد يوما على الناصر بالزهراء وهو مكب على الاشتغال بالبنيان موعظه فأنشده عبد الرحمن الناصر

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبالس البنيان
أوما ترى الهرمين قد بهياوكم * ملك محاه حوادث الازمان
ان السماء اذا تعاظم شأنه * أمحى يدل على عظيم الشان

قال ما أدرى أهذا شعره أم مثل به فان كان شعره فقد بلغ به غاية الاحسان وان كان مثل به فقد استحسنه بالتمثل به فى هذا المكان وكان منذر يكثر تعييبه على البناء ودخل عليه مرة وهو فى قبة قد جعل قرمدها من ذهب وفضة واحتفل فيها احتفالا ظن أن أحدا من الملوك لم يصل اليه فقام خطيبا والمجلس قد غص بأرباب الدولة فقال وله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية وأتبعها بما يليق بذلك فوجم الملك وأظهر الكآبة ولم يسعه الا الاحتمال لمنذر بن سعيد لعظم قدره فى علمه ودينه * وحضر معه يوما فى الزهراء فعام الرئيس أبو عثمان بن ادريس فانشد للناصر قصيدة منها

سينهد ما أبقيت أنك لم تكن * مصيبا ولا ممكنت للدين والدنيا
فبالجامع المعمور للعلم والتقى * وبالزهرة الزهراء للملك والعلا

فاهر الناصر وابتهج وأطرق منذر بن سعيد ساعة ثم قام منشدا

يا بانى الزهراء مستعرفا * أوقاته فيها أما تعمل
لله ما أحسنها رونقا * لولم تكن زهر بها تذبل

فقال الناصر اذاهب عليها نسيم التذكار والحنين وسقتها مدامع الخشوع يا أبا الحكم لا تذبل ان شاء الله تعالى فقال منذر اللهم اشهد أنى قد بثثت ما عندى ولم آل نصحا انتهى ولقد صدق الماضى منذر رحمه الله تعالى فيما قال فما هى بعد ذلك فى الفتنة وقلما كان بها من صحة محتفل وذلك عند ما ولى الحجابة عبد الرحمن بن المنصور بن أبى عامر الملقب سنجول وتصرف فى الدولة مثل ما تصرف أخوه المظفر وأبوهما المنصور بما ساء التدبير ولم يجر من العقل والسير ودرس الى المؤيد هشام بن الحكم من حوه مسه حتى ولا مهد كما ناص العهد فيما سبق فاطبق الخاصة والعامة على مقته واضمار السوء له وذلك سنة ثمان وتسعين وثلثمائة فعند ذلك خرج عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر سنة تسع وتسعين وتلقب بالمهدى وخلع المؤيد وحبسه وأسلمت الجيوش سنجول فأحدوا أسر وقتل (قال ابن الرقيق) ومن أعجب ما روى انه من نصف نهار يوم الثلاثاء لاربع بقين من جمادى الاخيرة الى نصف نهار يوم الاربعاء فتحت قرطبة وهدمت الزهراء وخلع خليفة وهو المؤيد وولى خليفة وهو المهدى وزالت دولة بنى عامر العظيمة وقتل وزيرهم محمد بن علاجه وأسلمت جيوش من

ما لهم ثم علبوا على أهل نمنوى وكانت الحروب بين أهل أرمينيه وبين ملك الموصل ويقال أن هذا الملك آخر ملوك نمنوى وكان يؤدى الضريبة الى ملك أرمينيه وهؤلاء الملوك أخبار سير وحروب وقد تبقا على جمعها فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط

(ذكر ملوك بابل وهم ملوك السط وغيرهم)

ذكر جماعة من أهل التبصر والبحث ممن روى العناية بأخبار ملوك العالم ان ملوك بابل هم اول ملوك العالم الذين مهدوا الارض بالعمارة وان الفرس الاولى انما أخذت الملك من هؤلاء كما أخذت الروم الملك من اليونانيين وكان أولهم (نمرود) الجبار وكان ملكه نحو من ستين سنة وهو الذى اختط أنهارا بالعراق أحدها من العراة يسمى ان من ملك نهر كوثى بطريق من طرق الكوفة وهو بين مصر ابن هبيرة وبغداد لاحفاد لحفره وشهرته وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كثيرا من أنهار العراق عند ذكرنا لملوك الفرس الاولى

والثانية وغيرهم من ملوك الطوائف وانما الغرض فى هذا الكتاب التلويح باختصار ذكر ملوك العالم والتنبيه على ما سلف من

انقسمت وتملك خلق من الوزراء وولى الوزارة آخرون وكان ذلك كله على يد عشرة رجال حاجبين وحزارين وزياتين وهم جند المهدى انتهى وقد تقدم بعض الكلام على المهدى هذا وقيل انما قام على الدولة

قد قام مهديا ولكن * بغلة الفسق وانجون
وشاركت الناس في حريم * لولاه ما زال بالمصون
من كان من قبل داجما * فاليوم قد صار ذا قرون

ومن شعر المهدى هذا وقد حماه في مجلس شرابه غلام بقضيب آس

أهديت شيء قرا ملك الملاس * غصنا رطيبا ناعما من آس
وكأنما تحكي بنان ركابه * وكأنما تحكيه في الانفاس

وقد ذكرنا ما سبق في الفصل الثالث خبر المهدى هذا وقتله ولقد كان قيامه مشؤما على الدين والدنيا فانه فتح أبواب الفتنة بالاندلس وماحى معالمها حتى تفرقت الدولة واشتد الشان وكسر الرؤساء وتطاول العدو اليها وأخذها شيأ فشيأ حتى محى اسم الاسلام منها أعاده الله تعالى وقد أتم الولى بن خلدون في تاريخه بذكر الزهراء في حملة مبانى الناصر وقال ما نصه ولما استهل ملك الناصر صرف نظره الى تشييد القصور والمبانى وكان جده الامير محمد وأبوه عبد الرحمن الاوسط يجدده الحكم قد احتفلوا في ذلك وبنوا قصورهم على أكمل الاتقان والفخامة وكان فيها المجلس الزاهر والمنهور والكامل والمنيف فبنى هو الى جانب الزاهر قصره العظيم وسماه دار الروضة وجلب الماء الى قصورهم من الجبل واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر ودواعليه حتى من بغداد والقسطنطينية ثم أخذ في بناء المستجدات فاختط مدينة الناعورة خارج القصور وساق لها الماء من أعلى الجبل على بعد مسافة ثم اختط مدينة الزهراء واتخذها لنزله وكرسيا لملكه وأنشأ بها من المبانى والقصور والبساتين ما علا على مبانيهم الاولى واتخذ فيها محلات للوحش فسيحة الفضاء متباعدة السياج ومسارح للطيور مظللة بالشباك واتخذ فيها دور الصناعة الآلات من آلات السلاح للحرب والحلى للزينة ويبرز ذلك من المهن وأمر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقايه للناس من حر الشمس انتهى وأما الزاهرة فهى من مبانى المنصور محمد بن أبى عامر (قال ابن خلدون) أتباع كلامه على المنصور ما صورته وابتنى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة تنزل اليها بأجر أمن الاموال والاسلحة انتهى (وقال غيره) وأطنبه صاحب المطمح ولى بعد عثمان وهو ابن ثمانية أمر المنصور بن أبى عامر ببناء الزاهرة وذلك عندما تكامل واستقل أمره واتسعت دائرته وظهر استبداده وكثر حساده وأضداده وأيداده وخاف على نفسه في الدخول الى قصر السلطان وخشى أن يقع في أشطان فتوثق لنفسه وكشف له ما نزعه في أمره من الاعمار عليه ورفع الاستبداد اليه وسما الى ما سمت اليه الملوك من اختراع قصر ينزل به ويحله بأهله وذويه وينتم اليه رياسته ويتم به تدبيره وسياسته ويجمع فيه عياله وخلصائه فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالقصور الباهرة وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الاعظم ونسق فيها كل اقتدار بمجز ونظم

أو بعين سنة وعزاهم ملك من ملوك فارس من عند داري ثم ملك بعده (مسروق)

وشرع في بنائها في هذه السنة المؤرخة وحشد الصناع والعملة وجلب اليها الآلات الجليلة وسر بلها بها يرد الاعين كليلة وتوسع في احتفاظها وتولع باشارها الى البسيطة وانبساطها وبالغ في رفع أسوارها وتأنق على تسويه انجادها وأسوارها وتسمت هذه المدينة في المدة السريعة وصار نماؤها من الامداء العريقة وهي معظمها في عامين * وفي سنة سبعين وثلثمائة انتقل المنصور اليها برحاله وخاصه وعامه فتبوأ أعلاوتها بجميع أسلحته وأمواله وامتعته واتخذها للدوائر والاعمال ومحل حله الاعز واطلق احبها الارجاء ثم اقطع ما حولها للورزاء وذوي به ويؤاسه الاولياء كالدور وجلايل القصور واتخذ داخلها المستعلا المعد لرياضه وملاعب الاسواق وكثرت فيها الارزاق وراضس الناس بالعدول باكنافه والحذر باصرافها للدنو من صاحب الدوله وساهي العلو في السما حوله حتى اتصلت ارجاسه أرباض قرطبة وكثرت بحوزتها العمارة واستمرت في تحجير حيها الامارة وأفرد الخليفة من كل شئ الامس الاسم الثلاثي وصدد بك هو الرسم المتعالي ورتب فيها لوس وزراءه وروس امرائه وندب اليها كل ذي حظة بحظته ونصب بسابها كرسي شرطته واجلس عليها واليا على رسم كرسي الخليفة وفي صفة ملك المرتبة المنيعة وكتب الى الاقطار بالاندلس والعدوة بأن تحمل الى مدينته تلك أموال الجبايات وتعضدها أحناب الولايات وبنيابها طلب الحوائج وحذر أن يعوج عنها الى دار الخليفة عائج فاقصيت اليها الجبايات والاوطار واشتد الناس اليها من جميع الاقطار ورسم محمد بن أبي عامر ما أراد واقتضمه آماله المراد وعطل قصر الخليفة من جميعه وصيره بمعزل من سامعه ومطيعه وشدد نصره عليه وجد في حسر لا يصل اليه وجعل فيه نفقه من صنائعه يضبط القصر ويبسط فيه النهي والامر ويشرف منه على كل داخل ويميز ما يحذره من الدواخل ورتب عليه الحراس والبراس والسمار والمتناس يلازمون حراسة من فيه ليلا ونهارا ويراقبون حركاتهم سرا وجهارا وقد حجر على الخليفة كل تدبير ومنعه من ملك قليل أو دبير وأقام الخليفة شامخ مهيب الفناء محجوز الغناء حتى ان كر عليل العكر مسدود الباب محجوب الشخص عن الاحباب لا يراه خاص ولا عام ولا يخاف منه باس ولا يرجى منه انعام ولا يعهد فيه الا الاسم السلطاني في السكه والدعوة وقد سحقه وليس أنهه وطمس بهجته وانسى الناس عنه وأزال أطماعهم منه وصيرهم لا يعرفونه وأمرهم لا يذكرونه واشتد ملك محمد ابن أبي عامر مستدرل قصر الزاهره وتوسع مع الايام في تشييدها حتى كملت احسن كمال وجاءه في نهاية الجمال تعاونت ماء وسعه اء واعتدال هواء ورق أديمه وصفا لحواء ل نسيمه ونضره بستان وبهجه للنفوس بها اقتران وفيها يقول صاحب اللعوى

يا أيها الملك المنصور من عمن * والمنتمي سببا عير الذي انتسبا
بعروة في قلوب الشرك وائقة * بين المنايا ما عي السمر والعضبا
أما ترى العين تجري فوق مرمره * هوى فيجري على احشائها الطربا
أحر يها عظما الراهي تحريها * كما طموب سدف الحم والعربا

ملك بعده (بيطعر) نحو سبعين سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (مسعود) نحو ثمان

ملك بعده (بطاوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (صاطرس) نحو ثمانين سنة ثم ملك بعده (اقسوس) نحو اربعين سنة ثم ملك بعده (ربيس) نحو خمس عشرة سنة ثم ملك بعده (اليطوس) نحو ثلاث عشرة سنة ثم ملك بعده (مروطاوس) نحو عشرين سنة ثم ملك بعده (اقريرس) نحو خمس عشرة سنة ثم ملك بعده (مطوروس) نحو عشرين سنة ثم ملك بعده (فولاماس) نحو خمس سنة ثم ملك بعده (سطس) نحو ثلاثين سنة وكان ملوك هذه الامم الذين ذكرناهم من ملوك فارس من عند داري كما ذكر في كتاب التاريخ ثم ملك بعده (سيموجس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (مرذوخ) أربعين سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (خاريس) ثلاثين سنة وهو الذي أسر المقدس ثم ملك بعده (سرا) ثلاثين سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (نخنصر) الجبار نحو اربعين سنة ثم ملك بعده (قرموس) نحو ثمان

تحال فيه جنود الماء راقلة * مستلئمات تريك الدرع واليلبا
تحفه من صور الايك زاهره * قد اورقت فضة آدا وورقت ذهبا
بديعة الملك ما ينفك ناظرها * تتلو على السمع منها آية عجبا
لا يحسن الدهر أن ينشي لها مثلا * ولو تغنت فيها نفسه طلبا

ودخل عليه ابن أبي الحباب في بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامرية والروض قد نفتحت أنواره وترشحت أعذاره وأغواره وتصرف فيها الدهر متواضعا ووقف بها السعد خاضعا فقال

لا يوم كاليوم في أيامنا الاول * بالعامرية ذات الماء والظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل * طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يرى الدهر يحتل ساحتها * بالسعد أن لا تحل الشمس بالحمل

وما زالت هذه المنة رائقه والسعود بلبها متناسقة تراوحها الفتوح وتغاديها ومحاب اليها مكسرة أعاديها لا ترحف عساكرها الا الى فتح ولا يصدر عساكرها بدبير الا الى نجح الى ان حان يومها المحتوم وفيض لها من المكروه أوفر نصيب فقولت فعدة حلت من حجبها كل عميد انتهى (وقد حكى الحميدي في جذوة المقتبس) هذه الحكاية الواقعة لابن أبي الحباب بزيادة فقال بعد ان ذكر هذه المنة العامرية وهي الى جانب الزهراء ان أبا المصرف بن أبي الحباب الشاعر دخل الى المنصور في هذه الغاية ووقف على روضة فيها ثلاث وسبعون ثنية ما منها واحدة فتحا ولم تفتح فقال

لا يوم كاليوم في أيامنا الاول * بالعامرية ذات الماء والظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل * طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يرى الدهر يحتل ساحتها * بالسعد أن لا تحل الشمس في الحمل
كما غرست في ساحه وبدا السوسان من حيه فيها على عجل
ابدت ثلاثا من السوسان مثلثة * اعناقهن من الاعياء والكسل
بعض توارها للبعض منفتح * والبعض معلق عنه في شعل
كأنها راحة ضمت اناملها * من بعد ما لثمت من جودك الخضل
وانها بسطت منها أناملها * ترجو نداك كما تعودتها فصل

وقد ذكر ابن سعيد ان ابن العريف النحوي دخل على المنصور بن أبي عامر وعنده صاعد اللغوي العدادي فأنشده وهو بالموضع المعروف بالعامرية من أبيات

فالعامرية تزهى * على جميع المباني
وأنت فيها كسيف * قد حل في غمدان

فقام صاعد وكان مناقصا له فقال أسعد الله تعالى الحاجب الاجل ومكن سلطانه هذا الشعر الذي قد أعده وتروى فيه أقدر أن أقول أحسن منه ارتجالا فقال له المنصور قل ليظهر صدق دعواك فجعل يقول من غير فكرة كثيرة

يا أيها الحاجب المعتلي * على كيوان

(كمرحوس) عشرين سنة ثم ملك بعده (فحشمت) احدى وار بعين سنة ثم ملك بعده (احرخ) ثلاث سنين وقيل ستتين وثمانية أشهر ثم ملك بعده (شعبا) سبعة وقيل سبعة أشهر ثم ملك بعده (اريوس) عشرين سنة وقيل تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (اطحسب) سبعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (دارا التاسع) خمس عشرة سنة وقيل عشرين (قال المسعودي) فهؤلاء الملوك الذين أتينا على ذكرهم وأسمائهم وبعض أعمالهم وقد رسمت أسماؤهم هكذا في كتب التواريخ السالفة وهم الذين شيدوا البنيان ومدنوا المدن وكوروا الكور وحفروا الانهار وغرسوا الاشجار واستنبطوا المياه وأثاروا الارضين واستخرجوا المعادن من الحديد والرصاص والنحاس وغير ذلك وطبعوا السيوف واتخذوا عدة الحرب وغير ذلك من الحيل والمكايد وصنفوا دواوين للحرب بالقلب والميمنة والميسرة والاحتفة وجعلوا ذلك مثالا الاعضاء جسد الانسان وردوا كل جزء منه على الامة لانواريها غيرها فعلموا

ومن به قد تناهى * فخار كل بمان
العامرية أضحت * كجنة الرضوان
فريدة لعريد * مابين أهل الزمان

ثم مر فى الشعر الى ان قال فى وصفها

انظر الى النهر فيها * ينساب كالثعبان
والطير تحط شزرا * على ذرا الاغصان
والعصب تلتف زرا * من العقيان
والروض عمر رهوا * من منعم الاحوال
والنرجس العين يرنو * برجة النعمان
وراحة الزنجفر * رفعه الريحان
قدم مدى الدهر فيها * فى غبطة وأمن

فانظر المصور ارتجاله وقال لابن العريف ما لك قائدة فى ان تصفه من هذا ارتجاله فكيف تكون وهو يصف ابن العريف اذا انطبه وعرب عليه المأخذ احسانك وقال له صاعدة يخرج من هذا أن لك احسانا لك اسكنك وبعدك على المأخذ فحك المصور وقال غيره هذه المدرعة أليق أدبكما (قلت) وقد ذكر مؤرخو الاندلس فى كثيرة بها مهامية الناعورة السابقة ومنية العامرية هذه ومنية السرور ومنية الزبير منسوبة الى الزبير بن عمر الملثم ملك قرطبة (قال أبو الحسن) بن سعيد حدثنى أبى عن أبيه قال خرج منى الى هذه المنية فى رمان وتخ نوار اللوز أبو بكر بن بقى الشاعر المشهور فجلس تحت سطر لوز وقد نور فقال ابن بقى

سطر من اللوز فى البستان قابلنى * ما راد شئ على ثلج ولا ورد
كأنما كل غصن لم يجاريه * اذا الغصون ثنى أعطافه برد

ثم قال

عجبت لمن أبقى على خرد به * عداه رأى لوز أحد به نورا

(وذكر) بعض مؤرخى الاندلس أن المنصور بن أبى عامر كان يزرع كل سنة ألف مدى من الشعير قصيلا لاندوابه الخاصة به وانه كان اذا قدم من غزواته لا يحل عن ظهره حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم ما مات منها وما عاش وصاحب الابل لما وهى من أسواره ومبانيه وقصوره ودوره قال وكان له دجاجة كل يوم اثنى عشر ألف رطل من اللحم ما بين الضأن والبقر والحيتان وكان يصنع فى كل عام اثنى عشر ألف برنس عامة لعسكر الزاهرة والزهراء قال وابتنى على طريق المارة والقاصة مدينة العامرية وقد ان العسكر والمرتبات الحربية كثيرة السرور وغيرها من منشئاته البديعة (قلت) ومن المطبع ان المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة غزا غزوته وابعد فيها الايغال وعاد بها من عظماء الروم من عال وحل من أرضهم ما لم يطرق وراع منهم ما لم يرع فطول بفرق وصدره درأسمائه على كل حسناء عقيلة وجلابه كل صعبة للحسن صعيله ودخل مرطبة عنوة لا لم يعهد وشهد له

٣٥ ط ل انبساطه فى الحمرة وأن السبب الرابع هو نصر الساطرون بين لون الحمرة والابيض الثوابى السواد

وجعلوا فى الاحمر صور ما لف من السباع كالنمر والذئب وجعلوا السور أعلام الكبير يا على صور الحيات والعقبان وما حمى وطاب من هوام الارض وجعلوا الزاعل نوع منها من السوداوات اما والله عز وجل أعلم وذكروا ان الحمامة ذكروم ان الانسان ثمانية على حسب لموضع المستحق لها ومنعوا أن تكون الحمرة تشرب أحمر لذلك الا ما لف من اجزائها داخلا فى جملة الاكثر من أشباه الحيوان من تلك الاعلام ورعموا ان قضية القياس توجب أن يكون أثر الاعلام الحمر حمراء اذ كانت أدنى وأشكل بلون الدم وأثره ما زعموه اذ كان نوعا واحدا لكن منع من ذلك استعمالها فى مال لزينة والطرب وأوقات السرور واستعمال الدماء والصديان هاوجرت العوس بها وأوجب ترك ذلك وأن حس الاحمر منا شكل للون الحمرة اذ كان من شأنه انه اذا ادركها البصر نوره فى ادراكها واذا وقع البصر على اللون الاسود اجتمع نور ولم ينبسط فى ادراكه

وبنا يوم مشهد لم يشهد وكان ابن شهيد متخلفا عن هذه الغزوة لنقرس عداه عائده وحداه مقعده ورائده وابن شهيد هذا أحد حجاب الناصر وله على ابن أبي عامر أياد محكمة الأواصر وهو الذي نهض به أول انبعاثه وشد أمره زمن التياثه وخاصم المصحفي عنه بلسان من الحماية لد وتوجه بإحسان قلده من الرعاية ما قلد وأسمى رتبته وحلى بإعظام جاهه لبته وكان كثيرا ما يتحفه ويصله ويلطفه فلما صدر المنصور من غزوته هذه وقفل نسي تاحته ونفل فكتب إليه ابن شهيد

أأنسى والشيخ يهوى الصبايا ... وبنفسي أقيك كل الرزايا
ورسول الإله أسهم في الفيء ... لمن لم يخب فيه المطايا
فاجعلني فديت إن كرم رو ... ذلك وابعث بها عذاب الثنايا

فبعث إليه بعقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار كأنهن نجوم سوار وكتب إليه

قد بعثنا بها كشمس النهار ... في ثلاث من المها أبكار
فاتئد واجتهد فإنك شيخ ... سلخ الليل عن بياض النهار
صانك الله عن كلالك فيها ... فمن العار كلة المسمار

فكتب إليه ابن شهيد

قد فضضنا ختام ذاك السوار ... واصطبغنا من النجيع الجاري
ونعمنا في ظل أنعم ليل ... ولهونا بالبدر ثم الدراري
وقضى الشيخ ما قضى بحسام ... ذي مضاء عضب الظبا بتار
فاصطنعه فليس يجزيك كفرا ... واتخذه سيفا على الكفار انتهى

وقد قدمنا هذه الحكاية في أخبار المنصور من الباب الثالث ولكنا أعدناها هنا بلفظ المطمح لما فيه من العذوبة والفائدة الزائدة، وممن كان في أيام المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري قال في المطمح علم من الأعلام فريد الرسائل وعين من أعيان البيان باهر الفصاحة طاهر الجناب والساحة تولى التحبير أيام المنصور والإنشاء وأشعر بدولته الأفراح والانتشاء ولبس العزة مدة ضافية البرود وورد بها النعمة صافية الورود وامتطى من جياد التوجيه وأعنق من لاحق والوجيه وتمادى طلقه ولأمد لحقه إلى أيام المظفر فمشى على سننه وتمادى السعد يترنم على فننه إلى أن قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع صاحب دولته وأميرها المطاع وكان أبو مروان نديم الاصطناع له والانقطاع فاتهمه وكاد أن يذوق حمامه ومصرعه لولا أن إحسانه شفع وباله نفع ودفع حطه عن تلك الرتب وحمل إلى طرطوشة على القتب فبقي هنالك معتقلا في برج من أبراجها نائي المنتهى كأنما يناجي السها قد بعد ساكنه عن الأنس وقعد من النجم بمنزلة الجليس تمر الطير دونه ولا تجوزه ويرى منه الثرى ولا يكاد يحوزه فبقي فيه دهرا لا يرتقي إليه راق ولا يرجى لبثه راق إلى أن أخرج منه إلى ثراه واستراح مما عراه فمن بديع نظمه قوله يصف المعتقل الذي به اعتقل

بين نور البصر ونور السواد ومراتب الأنوار وتفاوتها ذلك من أسرار الطبيعة والحد المشترك بين نوريه حسن السمرة بين الحمرة والبياض والصفرة المائلة بين السواد وبين نور البصر دون الألوان من الحمرة والخضرة والصفرة والبياض وتعليل القوم في هذه المعاني إلى ... من الأجسام الحيوانية من السيرين والخمسة واختلافها في أنواعها إلى غير ذلك من الأشخاص العلوية وقد أتينا على مقولة من ذلك فيما سلف من كتبنا وأتينا على سير هؤلاء الملوك وأخبارهم واختلافهم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الأوسط وقد ذهبت طائفة من الناس إلى أن هؤلاء الملوك كانت من النبط وغيرهم من الأمم وأنه كان يرؤس بعضهم بعضا من ملوك الفرس ممن كان فيها من الأشهر ما قدمنا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من أخبار النبط وأنسابهم

(ذكر ملوك الفرس الأولى وجمل من أخبارهم)

الفرس تحمر مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها وبيانها في ديارها والمدة أبعد فأما من حقق أنسابها نقل ذلك باق عن ماض وصغير عن كبير أن (أول

ياوى اليه كل أعور ناعق * ونهب فيه كل ريش صرصر
ويكاد من برق اليه مرة * من عمره يشكو انقطاع الابهر

ودخل ليله على المنصور والمنصور قد اتكأ وارتفق وتحلى بمجلسه ذلك الافق حكم امانا بمجلسه ذلك مسوقة وأحاديث الامانى به منسوقة فامره بالنزول عنده فنزل فى حلة الاصحاب والقمر يظهر ويحتجب فى السحاب والافق سدوبه أغر ثم يعودبهما والليل يتراءى منه أشقر ثم يعود أدهما وأبو مروان فداء نثى وجال فى ميدان الانس وشى وبرد حاطره قد ديجه السرور وشى فاقلقه ذلك المغيب والانتياح وانصفه ذلك السرور والارتياح فقال

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلحف السحابا
وذلك انه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا فغابا
فقال لونمى عندى اليه * لراجعنى بذا حقا حوبا

وله فى سدة اعتنائه وتردده فى قبيله وفاله

شحط المزار فلا مرار وناصرت * عينى الهجوع فلا خيال يعترى
أزرى بصبرى وهو مشدود العرا * وألان عودى وهو صلب المكسر
وطوى سرورى كله وتلذذى * بالعيش طى صحيفة لم تنشر
هاتا أما ألفى الحبيب نوهما * بصبر يزيد كارى وعين تذكرى
عجبا لقلبى يوم راعتنى النوى * وتداوداع كيف لم ينفطر

(رجع الى المنصور) وكان المنصور اذا ارادامر اسهما شاور ارباب الدولة والاكابر من حدام الدولة الاموية فيشيرون عليه بالوجه الذى عرفوه وجرت الدولة الاموية عليه بخلاف فهم الى المنهج الذى ابتدعه فيتفنون فى انفسهم بالهلاك فى الطريق الذى سلكه والمهيع الذى اخترعه فسفر العاقبة عن السلامة التامة التى اقتضاها سعده فيكثرون التعجب من موارد أموره ومصادرها * وقيل له مرة ان فلانا مشؤم فلا تستخدمه فقال اف لسعد لا يعطى على شؤمه فاستخدمه ولم ينله من شؤمه الذى جرت به العادة شئ * وحكى عنه انه كان فى قصره الذى بالراهرة فتامل محاسنه ونظر الى مياهه المطردة وانصت لاطياره المغردة وملأ عينه من الذى حواه من حسن وجمال والتفت فى الراهرة من اليمين الى الشمال فانحدرت دموعه وتحهم وقال ويل لك يا راهرة فليت شعرى من الخائن الذى يكون خرابك على يديه عن قريب فقال له بعض حاصته ما هذا الكلام الذى سمعناه منك مولانا قط وما هذا الفكر الردى الذى لا يليق بمثله شغل البال سمال والله لترون ما قلت وكانى بمحاسن الراهرة قد نحيت ورسومها قد غيرت وعمرانيها قد هدمت ومحيت وبخزائنها قد نهبت وبساحاتها قد أصرمت بغار الفتنة والهبت (قال الحاكى) فلم يكن الا أن توفى المنصور وتولى المظفر فلم تطل مدته فقام بالامرة أخوه عبد الرحمن الملقب بسجور فقام عليه المهدى والعامة وكانت منهم عليه وعلى قومه الطامة وانقرضت دولة آل عامر ولم يبق منهم آمر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

ولله ومنهم من زعم وهو الاقلون عددا انه أصل الذيل وينبوع الدرع وقد ذهبت طائفة منهم الى أن كيومرث هو ابيم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح لان أمم اوّل من حل بفارس من ولد نوح وكان كيومرث ينزل بفارس والفرس لا تعرف طوفان نوح والقوم الذين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام كان لسانهم سريانيا ولم يكن عليهم ملك بل كانوا فى مسكن واحد والله أعلم بذلك وكان كيومرث اكثر اهل عصره والمقدم فيهم وكان اوّل ملك نصب فى الارض فيما زعموا وكان السبب الذى دعا اهل ذلك العصر الى اقامته ملكا ونصب رئيس لهم رأوا اكثر الناس قد جبلوا على التباغض والحاسد والظلم والعدوان ورأوا ان الشرير منهم لا يصلحه الا الرهبة ثم تأملوا أحوال الحيوانات وتصرف أنواع الجسم وصور الانسان الحساس الدراك فرأوا الجسم فى بنيته وكونه قد رتب بحواس تؤدى الى معنى هو غيرها يوردها ويصدرها ويميزها بما يورده اليه من الملاقى فمدار كها وهو معنى فى

القلب فراوا صلاح الجسم بتدبيره وانه متى فسد تدبيره فسد سائره ولم تظهر افعاله المتقنة الحكمة فلما راوا هذا العالم الصغير

وجه الراحه ومصت كما مص لدابره وحلت منها الدسوت الملوكية والدساكر
واستولى الهرم على ما فيها من العدة والذخائر والسلاح وتلاشى أمرها فلم يرح لعمادها
اصلاح وصارت قاعا صفصفا وتلك ايام المرح عن أيام الفرح والصفا (ويروى) أن
بعض أولياء ذلك الزمان مر بها ونظر الى مصانعها الشامخة الفائقة ومبانيها العالية الرائقة
فقال يا ارضين من كل دار فجعل الله منك فى كل دار (قال الحاكى) فلم تكن بعد دعوة
ذلك الرجل تصانع الا أيام يسيرة حتى هجرت دخائرها وعم بالخراب سائرها فلم تسو دار
فى الاندلس الا وحلها من فيئها حصة كثيرة أو قليلة وحقق الله تعالى دعاء ذلك الرجل
الذى هو منه مع ربه بحلله (ولقد حكى) أن بعض ما هب منها بيع بعد ذو غيرها من البلاد
المشرقية فسبحان من لا يزول سلطانه ولا ينقضى ملكه لا اله الا هو (وتذكرت) هنا ما رآه فى
المنام بعض أهل المغرب بالاندلس التى انتزع فيها ملك الموحدين أن شخصا ينشده

ملكى يؤول تولى ... وكان وهى السمالك سمكه
فاعتبروا واستبصروا وتولوا ... سبحان من لا يبيد ملكه لا اله الا هو

وكان المهدى المذكور ثم على العامريين ما جرى فانه كما قال وقد حياه فى مجلس شرابه بقصيدة آس

أهديت نحوك يا واسك المياس ... عصارة طيبا نامها من آس
وكأنما تحكيك فى حركاته ... وكأنما تحكيه فى الانفاس

وكان لمنصور بن أبى عامر حين تغلب على ملك الامويين سيرة مكتوبة مثل المهدى المذكور
وسلطه الله تعالى على كل ما أسسه المنصور حتى هدمه وأحرق ما قدمه ولم ينفع فى ذلك
احتياط ولا حزم ولا راد للقضاء المبرم الجزم والله يحكم ما يشاء ولا معقب لحكمه متعرضا
وقد قدمنا شيئا من أخبار المنصور ولا بأس أن نسلك هنا بعضها وان حصل منه نوع تكرار
فى بدئه منها لارتباط الكلام بعضه ببعض (قال بعض المحققين من المؤرخين) جر المنصور
ابن أبى عامر على هشام المؤيد بحيث لم يره أحد منذ ولى الخلافة وربما أركبه بعض سنين وجعل
عليه رسلا وعلى جواريه مثل ذلك ولا يعرف منهن ويأمر من يحمى الناس من طريقه حتى
ينتهى المؤيد الى موضع نزهته ثم يعود وغير أنه أركبه ناحية الحلافة فى بعض الايام لعرض له
كما ألمعنا به فحاسبه وكان المنصور اذ ذاك حاجبا ووكل بالمؤيد من يفعل معه ذلك فكان هذا من
فعله سببا لانصياع ملك بنى أمية من الاندلس وأحدث مع ذلك فى نفل من يحشى منه من بنى أمية
حوفا أن يثوروا به ويظهر أنه فعل ذلك شفقة على المؤيد حتى أفنى من صلح منهم للولاية ثم
صرف باقيهم فى البلاد وأدخلهم زوايا الخمول عاريين من الطراف والتلاد وربما سكن بعضهم
البادية وترك مجالس الانبهة ومنادبه حتى قال بعض من ينعم على المنصور ذلك الفعل من
قصيدة

أين أمية اين اذ ... دارا لندى سكم وأين بحومها والكوكب
غابت أسودكم عن عاديها ... فلذاك حاز الملك هذا الثعلب

مع أن للمنصور مفاخر لديها الاوائل والاواخر من المثابرة على جهاد العدو وتكرار الدهاب

ولهم فى وضع الساج على الرأس اسرار قد ذكروها أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك فى كتابنا بغيه

بنفسه فى الرواح والغدو وله مع المحنى وغيره أخبار مرت ويأتى بعضها ولا باس أن نلخص ترجمة المحنى فنقول (قال الفتح فى المطمح) الحاجب جعفر المحنى تجرد للعلياء وتمرد فى طلب الدنيا حتى بلغ المنى وتسوغ ذلك الجنى فسما دون سابقة وارتمى الى رتبة لم تكن لبيته بمطابقة والتاح فى احياء الخلافة وارتاح اليها بعطفه كشوان السلافة واستوزره المستنصر وعنه كان يسمع وبه يبصر فادرك بذلك ما ادرك ونصب لاذنيه الحبائل والشرك واقتنى وادخر وزرى بمن سواه وحقر واستعطفه المنصور بن ابى عامر وتجمله بعد غائر لم يلح وسره مكتوم لم يبح فاعطف ولاجنى وروضه دنياه ولا قطف فاقام فى تدبير الاندلس ما اقام والاندلس متغيرة والاذهان فى تكيف سعده متحيرة فاهلك من ذكر خلد ومن فخر تقلد ومن صعب راض وجناح تنفه فاض ولم يزل يسدد تلك الخلافة معتقلا وفى مطالعها منتقلا الى ان توفى الحكم فانتقض عقد الحكم وابر اليه النوائب وتسددت اليه سهام سوائب واتصل الى المنصور ذلك الامر واحتص به كما نال بيزيد اخوة الغمر وأناف فى تلك الخلافة كما شب قبل اليوم عن طوقه عمرو وانتدب للمحنى بصدر كان أوسره وساءه وصغره فاقتنص من تلك الاساءة وأغص حلقه بأى اساءة فاخمد نكبه وأرجل عما كان الدهر أركبه وألهب حرارحه حربا ونهب له مدخرا ومختزنا ودس عليه ما كان حاط وأحاط به من مكروهه ما أحاط ونبر سفن فى مهوى تلك النكبة وجرائى تلك الكربة ينفيه المنصور معه فى غزواته ويعتقله بين ضبى المضيق ولهواته الى أن تكورت شمسه وفاظ بين أثناء الحن نفسه ومن بديع ما حفظ له فى نكبته قوله يسترجع من كربته

صبرت على الايام لما تولت * وألزمت نفسى صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث تجعلها الفتى * فان طمعت تاقت والا تسلت
فواعجبا للقلب كيف اعتراده * ولا نفس بعد العز كيف استذلت
وكانت على الايام نفسى عزيزة * فلما رأت صبرى على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس موتى كريمة * فقد كانت الدنيا لانعم ولت

وكان له أدب بارع وخاطر الى نظم الشعر يسارع فمن محاسن نظامه واشاده التى بعثها اياس دهره باسعاده قوله

لعينك فى قلبى على عيون * وبين ضلوعى للشجون شؤون
لئن كان جسمى محلسا فى يد الهوى * لقد حل عندى فى الفؤاد مصون

(وله) وقد أصبح عاكفا على حياه هاتفا باجابة دنياه مرتشفا ثغر الانس متسماريا ه والملك يغازله بطرف كليل والسعد قد عقد عليه منه اكليل يصفلون مدامه ومما تعرف له مها دون مدامة

صفراء تطرف فى الزجاج فان سرت * فى الجسم دبت مثل صل لادغ
خفيت على شرابها فكأنما * يحدون رياض اناء فارغ

ومن شعره الذى قاله فى السفر جل مشبها وغدابه لنائم البديع منبها قوله يصف سفرجلة

كيومرث هذا) عن الناس من رأى أن عمره ألف سنة وقيل دون ذلك والمجوس فى كيومرث هذا خطب طويل فى أنه بدأ الذل

بنفسه فى صلح الدين بما يرد اليه من الغذاء وسكن النفس عند ذلك فتدرك كل عضو من الاعضاء ما يرد اليها ما يؤدى الى ما فيه صلاحه من اتخذ صفو الطعام فيكون الذى يرد الى الكبد وغيره من الاعضاء الغاذية للاعضاء ما ينبغى لها وما فيه صلاحها فان الانسان متى شبع عن طعام يضرب من الشروب انصرف وسطا من التدبير وحرمه انتدبر الى حبث انصبار المية وتوزع الى ... ر الك ... ر ذلك بالانفس الحيوانية والهوى الانسانية واذا كان ذلك أدى الى معارفة النفس الناطقة لهذا الجسد المرتى وفى ذلك برك للحكمة وخروج عن الضلال ولهم فى هذا الباب مرامز من أسرار لسبب الذى بين النفس والجسم ليس هذا موضعه وقد أتينا على ذكره فى الكتاب المترجم بسر الحياة وفى ... ر الزلف عدد كريا النفس الناطقة والنفس العلامة والنفس الحسية والحيوانية والتراعيه وما قال الناس فى ذلك من تقدم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم (ة تتوزع فى مقدار عمر

ومصفرة تحتال فى ثوب ورس * وتعبق عن مسك ذكى التنفس
لها رائح محمودة طيب قلبه * ولون محب حلة السهم مكتسى
تمر بها ليلى صفرى مغازة * وأنعامها فى الطيب أنفاس مؤنسى
وكان لها ثوب يمس الرغب أعبر * على جسم مصفر من التبر املس
فلما استمت فى القضيب ثيابها * وحاكت لها الاوراق اثواب سندس
مددت يدى باللطف انى اجتباءها * لاجعلها ريحانتى وسط مجلسى
مررت يدى نحو بالها ثوب جسمها * وأعريتها باللطف من كل ملبس
ولما بقيت فى يدى من برودها * ولم تبق الا فى خلال ورجس
ذكرت بها نفاس لا أبوح بذكره * وأدنيتها فى الكف حر التنفس

وله وقد اعاد المنصور الى الملك والشجون بمرتع الهوى تسقى بعريا النفس وتحيا باسعاد انسه

احازى الزمان على حاله * بجاراة نفسى لانفاسها
اداهمنى صاعد شعها * توارت به دون جلاسها
وان عكمت نكبة للزمان * عطفت بنفسى على راسها

ومما عرض له فى استعطافه و سئواله المنصور واستلطافه قوله

عفا الله عنك الا رحمه * تجود بعفوك أن ابعدا
أتى جل ذنبى ولم اعتمده * فانت اجل واعلى يدا
الم ير عبدا عدا طوره * ومولى عفا ورشيدا هدى
وبعد أمر تلافيه * فعاد فاصلح ما افسدا
فانى فقالك من لم يزل * يقيلك ويصرف عنك الردى

(عود الى انعطاف الى اخبار المنصور بن أبى عامر) رحمه الله تعالى وجازاه عن جهاده افضل الجزاء وكرمه وصله وطوله فنعول وكان له فى كل غزوة من غزواته المشهورة على الخمسين مجموعة من المفاخر الاسلامية منها أن بعض الاجناد سبى رايته مركوزة على جبل بقرب احدى مدائن الروم فأقامت عدة ايام لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العساكر وهذا الخبر مما يغتر به اهل التوحيد على اهل التثليث لانهم لما اشربت قلوبهم خوف ثم سيفه المنصور وحربه وعلم كل من ملوكهم انه لا طاقة له بحربه لجؤا الى الفرار والتحصن بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بعد والاطلاع (ومن مفاخر المنصور) فى بعض غزواته انه مر بين جبلين عظيمين فى طريق عرض يريد بوسط بلاد الافرنج فلما جاور ذلك المحل وهو آخذ فى التخريب والتحريب والعارات والسبى عميا وشعالا لم يجسر احد من الافرنج على لقائه حتى اقفرت البلاد مسافة ايام ثم عاد فوجد الافرنج قد استجاشوا من وراءهم وصعدوا ذلك المدخل الضيق الذى بين جبلين وكان الوقت شتاء فلما رأى ما فعلوه رجع واختار سير الا فى بلادهم اباح به فيمن معه من العساكر وتقدم بدماء

الدوروا المنازل وجمع آلات الحرث ونحوها وبث سراياه فعاثت وغنمت فاسترق الصغار وضرب أعناق الكبار وألقى جثثهم حتى سد بها المدخل الذي من جهته وصارت سراياه تخرج فلا تجد الا بلدا خرابا ولما طال البلاء على العدو ارسلوا اليه في طلب الصلح وأن يخرج بغير أسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك ولم يزل رسلهم تتردد اليه حتى سألوه أن يخرج بغنائمه وأسراه فأجابهم ان أصحابي أبوا أن يخرجوا وقالوا انا لا نكاد نصل بلادنا الا ونحتاج ان نعود في الغزوة الاخرى فنقعد هنا الى وقت الغزاة فنغزو وحينئذ نعود فما زال الأمر بينهم الى أن رضوا أن يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبي وأن يمدوه بالميرة حتى يصل الى بلاده وأن يزيحوا جيف القتلى عن طريقه ففعلوا ذلك كله ومما يحكى من عجائبه انه لم يكن وراء همته مطمح ونصر لا يكاد أن يجود بمثله الدهر ... من الطريق وغصصهم في شرب ذلك الريق ومن مآثره التي في جبين عصره غرة وفي دهره قرة انه لما حتن أولاده ختن معهم من أولاد أهل دولته خمسمائة صبي ومن أولاد الضعفاء عدد لا يحصر فبلغت النفقة عليهم في هذا الاعذار خمسمائة ألف دينار وهذه مكرمة مخلدة ومنة مقلدة فالله سبحانه يجازيه عن ذلك أفضل الجزاء ويجعل للمسلمين في فقد مثله أحسن العزاء ومن مناقبه التي لم تتفق لغيره من الملوك في غالب الظن أن أكثر جنده من سبيه على ما حققه بعض المؤرخين وذلك غاية المنح من الله ولطفه ومن أخباره الدالة على اقبال أمره وخيبة عدوه وادباره انه ما عاد قط من غزوة الا استعد لأخرى ولم تهزم له قط راية مع كثرة غزواته شاتية وصائفة وكفاه ذلك فخرا وسنح له في بعض غزواته امرأة تعرضت عليه بلوعة من أهوالها وقالت له يا منصور استمع ندائي أنت في طيب عيشك وأنا في بكائي فسألها عن مصيبتها التي عمتها وغمتها فذكرت له أن لها ابنا أسيرا في بلاد سمتها وأنها لا تهنأ عيشها لفقده ولا يحوم صبرها قلبها بعد وتذكرت من حالها لذلك الملك العلي وبث الشجي من الحلي فرحب المنصور بها وأظهر الرقة لها وخرج من القابلة الى تلك المدينة التي فيها ابنها وجاس أقطارها وتخللها حتى دوخها وأناخ عليها بكلكله وذللها وأعراها من حماتها وبنود الاسلام المنصورة ظللها وخلص جميع من فيها من الاسرى وجلبت عوامله الى قلوب الكفر كسرا وأعلنت بلسان الاعداء حسرى وتلا لسان حال المرأة فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فهكذا تكون الهمة السلطانية والنخوة الايمانية فالله سبحانه يروح تلك الارواح في الجنان ويرقي درجاتها ويعاملها بمحض الفضل والامتنان وقد تذكرت هنا والحديث شجون وبذكر المناسبات يبلغ الطلاب ما يرجون كتابا كتبه الاديب الكاتب أبو محمد ابن الامام الحافظ محدث الاندلس أبي عمر بن عبد البر النمري الى المنصور بن أبي عامر وهو من ذرية المنصور الكبير الذي كنا نتحدث في أخباره يمت اليه بسلفه ومعاملتهم لمن تقدم من آبائه بتعظيم قدرهم وأكبارهم وهو عمر الله بقاء سيدي ذكرى الساعين في حمد أوصافه والملكة عنان زمانه ومد عليه ظلال أمانه انفي أبي الله الملك الكريم والسيد الرحيم الا انتماءات لي أهله معاليكم في سماء الفخار وأشرقت شموس مكرمكم على مفارق الاحرار وأسمرت

واحتذى به جماعة من ذوي الضعف في الآراء فقال ان هذا الرجل اول من اظهر آراء اصحابه من
... وهذا ... الباطنية ... في بلادهم ... واسط والبصرة من ... العراق ... الى ... (...) ابن ابو جهان وكان ... كان في ... ابن الاشعث ... المعروف بالسري وكان هذا الرجل ... ملوك ... كسرى وكان ... الى ان هلك ... وقيل ... اشهر ... الارض ... ولا ... (... بعده ...) ... ابن طاج بن ... ابن ساهردس بن ... وهرانده ... الحماد ...
من العرب بالضحاك وسماه قوم بهراسب والفرس هو كذلك ... على ما ... ب ... ل ...

ثم بعث لزهر يهدى اليك من الهمم محامدها ومحاسنك الغر توقظ لك من الآمال رواقدها ايمت أنه تحوا عادت لك القلوب باعتها وتهادت البك النفوس بارمتها وعلمت أن لا ألم الا بحمالك ولا أحط رحلا الا عندك علما بانك ثمرة الفخر وغرة الدهر وعممت ساريا في ساطع نورك مسيمما بين طائرك محققا للربح موقنا بالفلح والنجح حتى حللت في دوحة المجد وأنخت بدولة السعد واستشعرت لبسة الشكر والحمد وجعلت أنظم من جواهر الكلام ما ترى على جواهر النظام و أنثر من عطر الثناء ما ترى بارجه العبق وحاشا اللهم أن يعطل ليلى من أنوارك أو يحلى أفقي من أنوارك فاراني مفرطا في سيرطالما كنت ومحطا الى غير ما لكه لاحرم انه من استصفاء الهلال على عين الدلال ومن استمار ناصح الى ضلع المطاع وبالله ما هزت أمالي دوانيها الى سواك ولا حدت أوصاري ركائبها الى من عداك ليكون في أثر الرسمي في المحل وعلى جمال الحلى على العاصل لسيادتك السنية و رياستك الاولية التي يعمر عنها لسان افصاحي و يعيا في بعض صفاتها بياني وايضاحي فالعرأطلس عندنا مناقبك تنمي والاقلام في رسم مآثرك تحبي وما أمل الحسب في حمايتك ولا جذل المذنب برضا المعتب كالمي في التعرر بك وربك و لجمل تحملك والترمع تخدمك فالسعيد من نشأ في دولتك وطهر في ظلك واسعد من عمر بك لقد فاز بالسبق من لحظه عين رعايتك وكفله حوزة حمايتك وقد أمنت بعدله نوائب الايام وتوبيت بسلطانه دعائم الاسلام تحتال بك المعالي احتيال العروس وتخضع لجلالك أنوف النفوس سابغة اشهر من العير وطلعة أنور من النير وهمة أسمو من الدهر

لعفاك من أضحى بكم متمسكا ... يشد على تأميل عرفكم يدا
سلكت سنن الفخر حتى كأنه ... وغيرك لا ألفيه الا مجددا
وتم لواء الدين لا زال فيكما ... مآثركم في طلعة الحظ تهتدى
أبوكم محمد تليد نعيم ... أعاد رسوم الجد في البلاد وأنجدا

ومثله أعاده الله سحابه يستثير ابراده يمرعاه ويسقي مطرا براقه يمطر حياه لا سيما وانى نشأ حبها احسان أوائل الماهرين وألفها أعلم أكارك الاحرار الطيبين وحدير بعولك والمالك و بركك واحمالك من اصله ثابت في أهل محتدكم وفرعه نابت في حاصتكم

وما ربعي في عسجد ان تعدد ... ولكنها في معشر أنا منهم
وكل نوال كان أو هو كائن ... فلحظة طرف منك عندي دهم
فكن في اصطناعي محسنا بحرب ... فان لك تقريب الجواد وسده
اذا كنت في شك من السيف فاله ... فاما سماعيه واما تعده
وما الصارم الهندي الا كغيره ... اذا لم يعاوده الحداد ويغمده

ولا بأس أن يطول مولاي بعرس الصغير فأركى الحرب ووضع الهناء موضع النقب والله سبحانه يحمي مولاي أحد ارمام الفخر ناهضا بأعباء الملك لا عنه الدهر وصنع الله

سبحانه لسيدى أتم الصنع وأجمله وأفضله وأكمله بمنه لا رب سواه انتهى (رجع الى أخبار المنصور الكبير) محمد بن أبى عامر رحمه الله وكما قد ذكرنا انه قبض على الوزير الحاجب المصحفى مع انه كان أحد أتباعه (قال) صاحب كتاب روضة الازهار وبهجة النفوس وبهجة الابصار ولما أمر المنصور بن أبى عامر بسجن المصحفى فى المطبق بالزهراء ودع أهله وودعوه وداع الفرقة وقال لهم لستم ترونى بعدها حيا قد أبى وقت اجابة الدعوة وما كنت أرتقبه منذ أربعين سنة وذلك انى أشركت فى بدن رجل فى عهد الناصر وسألته الاستخارة لى فرأيت لها بأن قيل لى أطلق فلانا فبعد أجبت ذلك دعوته فأطلقته فرأيت ذلك دعوته على فعال دعوت على من شاركك فى أمرك أن عيشه الله فى أضيق السجون فغلب انها قد أجابت فانى كنت ممن شاركك فى أمرك وندمت حين لا ينفع الندم ويروى انه كتب المنصور بن أبى عامر هذه الابيات

هبنى أسأت فأين العفو والكرم ٭ اذ قادنى نحوك الاذعان والندم
يا خير من مدت الاعدى اليه أما ٭ ترثى لشيخ بعاد عبدك العلم
بالعت فى السخط فاصفح صفح معتذر ٭ ان المنوك اذا ما اسرجوا رحموا

فأجابه المنصور بأبيات لعبد الملك الجزيرى

يا من هلا بعد ما زلت به القدم ٭ تعفى الكرم لمن يأتيك بالكرم
ندمت اذ لم تعد منى بطائلة ٭ ولات ينفع الاذعان والندم
نفسى اذا جحت ليست براجعة ٭ ولو تشفع فيك العرب والعجم

فبقى فى المطبق حتى مات نعوذ بالله تعالى من دعوة المظلوم انتهى وقد ذكر بعضهم فى هذه الابيات زيادة حسبما ذكرناه فى غير هذا المحل فان هذه الابيات للمنصور وهذا المرجح مصرح بأنها لعبد الملك الجزيرى وقد يقال لا منافاة بينهما فان المنصور أجاب بالابيات وهل هو قائلها أم لا الامر أعم فين هنا والله أعلم (وقال بعض مؤرخى المغرب) ان الحاجب المصحفى حصل له فى هذه النكبة من الهلع والجزع ما لم يظن انه يصدر من مثله حتى انه كتب الى المنصور بن أبى عامر يطلب منه أن يعهد فى دهليزه معلما لاولاده فقال المنصور بدهائه وحدقه ان هذا الرجل يريد أن يحط من قدرى عند الناس لانهم طالما رأونى بدهليزه حاد ما ومعلما فكيف يرونه الآن فى دهليزى معلما وكان المنصور يذهب به بعد نكبته معه فى غزواته حتى انه حكى بعضهم انه رأى الحاجب المصحفى فى ليلة سهى المنصور فيها الناس عن ايقاد النيران تعميه على العدو الكافر وهو يفخ فحما فى كانون صغير يحميه تحت ثيابه أو كما قال وشاهد ذلك الدليل الدول لا له الا هو فان هذا المصحفى بلغ من الجلالة والعظم والتحكم فى الدولة المدة المديدة أمر الا مريد عليه والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين (ولقد ذكر بعض علماء المغاربة) أن من أعاجيب انقلاب الدنيا بأهلها قصة المنصور بن أبى عامر مع الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى ولم يزل اعداء المنصور بن أبى عامر يتربصون به الدوائر فعلب سعده الذى هو المثل السائر وربما همس بعض الشعراء بهجوه وهجو الدولة جميعا اذ قال

اقترب الوعد وحان الهلاك ٭ وكل ما قدره قد أتاك

عصمة من ردم وهدم و بنيان فصارت كأنها لم تكن وذهب كثير من الناس الى أن بها هاروت وماروت وهما الملكان المذكوران فى القرآن على حسب ما قدمناه عن الله تعالى من جملة ما أنزله على العرب ببابل وكان ملك الفرس يومئذ حسما ذكرناه وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقسم الارض بين ولده وقد قال فى ذلك بعض الشعراء ممن سلف من أبناء الفرس بعد الاسلام بذكر ولد افريدون الثلاثة

وقسما ملكا فى دهرنا قسمة اللحم على ظهر وضم وجعلنا الشام والروم الى مغرب الشمس الى العطرى سلم

وأطوح جعل الترك له وبلاد الترك يحوونها ابن عم ولايران جعلنا عنوة فارس الملك وفزنا بالنعم وللناس فيما ذكرنا أحاديث طويل وأن بلاد بابل أضيفت الى ولد افريدون وهو ايرج وقيل أحواه فى حياة افريدون وهلك ولم يخلص له الملك فيعد فى الملوك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية اضافة هذا الاقليم الى ايرج

واسقاطهم الجيم وجعلهم النون بدلا منها فقالوا ايران شهر والشهر الملك (ثم ملك بعد افريدون

خليفة يلعب فى مكتب * أمه جبلى وقاض ينالك

يعنى بالخليفة هشاما المؤيد لكونه كان صغيرا وأمه صبح البشتكية كان الاعداء يتهمون بها المنصور وذلك بهتان وزور وأقطع منه رميهم القاضى بالفجور والله عالم بسرائر الامور ونعوذ بالله من ألسنة الشعراء الذين لا يراعون الاولا ذمة ويطلقون السنتهم فى العلماء والائمة وأظلم أهل الارض من كان حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب جدير بأن لا يدرك مايؤمل ويتطلب لانه يعترض على الله سبحانه فى أحكامه نعوذ بالله من شر أنفسنا ومن شر كل ذى شر بحاه نبينا عليه أزكى صلوات الله وأفضل سلامه وقد قدمنا أن المنصور بن أبى عامر كان يخدم أولا جعفر بن عثمان المصحفى مدبر مملكة هشام المؤيد ويريه النصيحة وأنه ما زال يستجلب القلوب بجوده وحسن خلقه والمصحفى ينفرها ببخله وسوء خلقه الى أن كان من امره ما كان فاستولى على الحجابة وسجن المصحفى وفى ذلك يقول المصحفى

غرست تضيا خلته عود كرمة * وكنت عليه فى الحوادث قيما
واكرمه دهرى فزاد خبثه * ولو كان من أصل كريم تكرما

ولما يئس المصحفى من عفو المنصور قال

لى مدة لابد أبلغها * فاذا انقضت أيامها مت
لو قابلتنى الاسد ضارية * والموت لم يقرب لما خفت
فانظر الى وكن على حذر * فى مثل حالك أمس قد كنت

ومن أحسن مانعى به نفسه قوله حسبما تقدم

صبرت على الايام حتى تولت * وألزمت نفسى صبرها فاستمرت
فواعجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس بعد العز كيف استذلت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان طمعت ماتت والا تسلت
وكانت على الايام نفسى عزيزة * فلما رأت صبرى على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس موتى كريمة * فقد كانت الدنيا لئاما ولت

وأنشد له الفتح فى المطمح ونسبهما غيره لاحمد بن الفرج صاحب الحدائق

كلمتنى فقلت درسقيط * فتأملت عقدها هل تناثر
فازدهاها تبسم فأرتنى * نظم در من التبسم آخر

وله كامر

صفراء تطرق فى الزجاج فان سرت * فى الجسم دبت مثل صل لادغ
خفيت على شرابها فكأنما * يجدون ريا من اناء فارغ

وله

ياذا الذى أودعنى سره * لاترج ان تسمعه منى
لم اجره بعدك فى خاطرى * كأنه ماء فى اذنى

وأنشد له صاحب بدائع التشبيهات

سالت نجوم الليل هل ينقضى الدجى * فخطت جوابا بالثريا كخط لا

منوجهر) بن ايران بن أفريدون وكان ملكه عشرين سنة وكان ينزل بابل وقد قيل انه فى زمانه كان موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام وكان لمنوجهر حروب مع عمه الذين قتلا أباه وهما أطوج وسلم وقد أتينا على ذكر حروبهم فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد منوجهر سهم ابن ابان) بن أثقبان ابن يودبن منوجهر فنزل بابل وملك ستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكانت له حروب كثيرة وسير وسياسات كثيرة قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان (ثم ملك بعده فراسياب) ابن أطوج بن ياسر بن رامى ابن آرس بن بورك بن ساساسب بن زسست بن نوح بن دوم بن سرور بن أطوج بن أفريدون الملك وكان مولد فراسياب ببلد الترك فلذلك غلط من غلط من أصحاب الكتب والتصنيفات فى التاريخ وغيره فزعم انه تركى وكان ملكه على ما غلب عليه من البلاد اثنى عشر سنة وعمره عند كثير من الناس أربعمائة سنة ولاثنتى عشرة سنة خلت من ملكه ظهر عليه زو بن ياست بن كيهور بن عداست بن داريج بن راع بن ماسر بن بود بن منوجهر الملك فهزمه وقتل أصحابه وكنت

وكنت أرى انى ما خرلي انتى * وأطرف حتى خلته عاد أوّلا
وما عن هوى سامرتها غير انني * أبا فسحها المحرى الى طرق العلا

انتهى (وجع) وكان كما تقدم بقرطبة المصحف العثمانى وهو متداول بين أهل الاندلس قالوا ثم آل امره الى الموحدين ثم الى بنى مرين قال الخطيب بن مرزوق فى كتاب المسند الصحيح الحسن ما ملخصه وكان السلطان أبو الحسن لا يسافر موضعا الا ومعه المصحف الكريم العثمانى وله عند أهل الاندلس شان عظيم ومقام كبير وكيف لا وقد قال ابن بشكوال اخرج هذا المصحف منها أى قرطبة وغرب منها وكان بجامعها الاعظم ليلة السبت ١١ شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فى أيام أبى محمد عبد المؤمن بن على وبامره وهذا احد المصاحف الاربعة التى بعث بها عثمان رضى الله تعالى عنه الى الامصار مكة والبصرة والكوفة والشام وقيل ان فيه دم عثمان بعيد وان يكن أحدها ففعله الشامى قال ابن عبد الملك قال أبو القاسم التجيبى السبتى أما الشامى فهو باق بتصوره جامع بنى أمية بدمشق المحروسة وعاينته هنالك سنة ٦٥٧ كما عاينت المكى بقبة اليهودية وهى قبة التراب قلت عاينتهما مع الذى بالمدينة سنة ٧٣٥ وقرأت فيها قال النخعى لعله الكوفى أو البصرى وأقول اختبرت الذى بالمدينة والذى نقل من الاندلس فالفيت خطهما سواء وما توهموه انه خطه بيمينه فليس بصحيح فلم يخط عثمان واحدا منها وانما جمع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المدنى ونص ما على ظهره هذا ما أجمع عليه جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصى وذكر العدد الذى جمعه عثمان رضى الله تعالى عنه من الصحابة رضى الله تعالى عنهم على كتب المصحف انتهى واعتنى به عبد المؤمن بن على ولم يزل الموحدون يجعلونه فى أسفارهم متبركين به الى أن حمله المعتضد وهو السعيد على بن المأمون أبى العلاء ادريس ابن المنصور حين توجه لتلمسان آخر سنة ٦٤٥ فقتل قريبا من تلمسان وقدم ابنه ابراهيم ثم قتل ووقع النهب فى الخزائن واستولت العرب وغيرهم على معظم العسكر وذهب المصحف ولم يعلم مستقره وقيل انه فى خزانة ملوك تلمسان قلت لم يزل هذا المصحف فى الخزانة الى ان افتتحها امامنا ابو الحسن أواخر شهر رمضان سنة ٧٣٧ فظفر به وحصل عنده الى أن أصيب فى وقعة طريف وحصل فى بلاد برتقال وأعمل الحيلة فى استخلاصه ووصل الى فاس سنة ٧٤٥ على يد احد تجار ازمور واستمر بقاؤه فى الخزانة انتهى باختصار واعتنى به ملوك الموحدين غاية الاعتناء كما ذكره ابن رشيد فى رحلته ولا بأس ان اذكر كلامه لجملته والرسالة فى شأن المصحف لما فيها من الفائدة ونص محل الحاجة منه أنشدنى الخطيب أبو محمد بن برطله من لفظه وكتبته من خطه قال انشدنى الشيخ الفقيه القاضى أبو القاسم عبد الرحمن بن كاتب الخلافة أبى عبد الله بن عياش لابيه رحمهم الله تعالى مما نظمه وقد أمر امير المؤمنين المنصور بتحلية المصحف

ونقلته من كل ملك ذخيرة * كأنهم كانوا برسم مكاسه
فان ورث الاملاك شرقا ومغربا * فكم قد أخذوا جاهلين بواجبه
وكيف يفوت النصر جيشا جعلته * أمام قناه فى الوغى وقواضبه

وأكثر من ذلك وكان مسكنه ببابل وللفرس كلام طويل فى قتل فراسياب وكيفية قتله وحروبه وما كان بين العرس واستولى من الحروب والعمارات وما كان من قتل سياوخش وخبر رستم ابن دستان هذا كله مشروح فى الكتاب المترجم بكتاب السكيكين ترجمه ابن المقفع من الفارسية الاولى الى العربية وحبر اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب وقتل رستم ابن دستان وما كان من قتل بهمن بن اسفنديار رستم وغير ذلك من عجائب الفرس الاولى وأخبارها هذا الكتاب مسند الفرس لم يقدر احد من سير أسلافهم وسيرملوكهم وقد أتممنا بحمد الله على كثير من أخبارهم فيما سلف من كتبنا وقد قيل ان أول من رتل من الملوك بلى وانتقل عن العراق كيكاوس وقد كان سار نحو اليمن بعد أن كان له بالعراق تمرد على الله وبنيان بناه لحرب السماء وكان ملك اليمن الذى سار اليه كيكاوس فى ذلك الوقت شمر بن فريقس فخرج اليه شمر فأسره وحبسه فى أضيق محبس فهويته ابنة لشمر يقال لها سعدى كانت تحسن اليه فى خفيه من أبيها والى

والبسته الياقوت والدرحلية * وغيرك قدرواه من دم صاحبه

وعلى ذكر هذا المصحف الكريم فلنذكر كيفية الامر فى وصوله الى الخليفة امير المؤمنين عبد المؤمن وما أبدى فى ذلك من الامور الغريبة التى لم يسمع بمثلها فى سالف الدهر حسبما أطرفنا به الوزير الاجل ابو زكريا يحيى بن احمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسى حفظه الله تعالى وشكره مما استفاده وافاده لنا مما لم نسمع به قبل عن كتاب جده الوزير ابى بكر محمد ابن عبد الملك بن طفيل المذكور مما تضمنه من وصف قصة المصحف فقال وصل اليهم ادام الله سبحانه تأييدهم فرا الاندلس النيران واميراها المتخيران السيدان الاجلان ابو سعيد وابو يعقوب ايدهما الله وفى صحبتهما مصحف عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وهو الامام الذى لم يختلف فيه مختلف ومازال يتقله خلف عن سلف وقد حفظ شخصه على كثرة المتداولين وذخره الله لخليفته المخصوص بمن سخر لخدمه من المتداولين وله من غرائب الانباء ومتقدم الاشعار بما آل اليه امره من الاعتبار ماملئت به الطروس وتحفظه من أهل الاندلس الرائس والمرؤس فتلقى عند وصوله بالاجلال والاعظام وبودر اليه بما يجب من التبجيل والاكرام وعكف عليه اطول العكوف والتزم أشد الالتزام وكان فى وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر الكرامة ماهو معتبر لاولى الالباب و بلاغ فى الاغراب والاعجاب وذلك ان سيدنا ومولانا الخليفة امير المؤمنين أدام الله له عوائد النصر والتمكين كان قبل ذلك بايام قد جرى ذكره فى خاطره الكريم وحركته اليه دواعى خلقه العظيم وتراءى مع نفسه المطمئنة المرضية وسجاياه الحسنة الرضية فى معنى اجتلابه من مدينة قرطبة محل مثواه القديم ووطنه الموصل بحرمته للتقديم فتوقع ان يتأدى أهل ذلك القطر بفراقه و يستوحشوا الفقدان اضاءته فى أفقهم واشراقه فوقف عن ذلك لما جبل عليه من رحمته واشفاقه فاوصله الله اليه تحفة سنية وهدية هنية وتحية من عنده مباركة زكية دون ان يكدرها من البشر اكتساب أو يتقدمها استدعاء أو اجتلاب بل أوقع الله سبحانه وتعالى فى نفوس اهل ذلك القطر من الفرح بارساله الى مستحقه والتبرع به الى القائم الى الله تعالى بحقه ما اطلع بالمشاهدة والتواتر على صحته وصدقه وعضدت مخايل برقه سواكب وبوادقه وكان ذلك من كرامات سيدنا ومولانا الخليفة معدودا والى أمره الذى هو أمر الله مردودا وجمع عند ذلك بحضرة مراكش حرسها الله تعالى سائر الامناء الكرام والسادة الاعلام بدور الآفاق وكواكب الاشراف وأهل الاستئهال للمقامات الرفيعة والاستحقاق فانتظم عند ذلك هذا القصيد مشيرا الى اجتماع هذه الدرارى الزاهرة والتئام خطوطها على مركز الدائرة ووصول المتقدم ذكره المشهور فى جميع المعمور امره وهو هذا

درارى من نور الهدى تتوقد * مطالعها فوق المجرة أسعد
وانهار جود كلما امسك الحيا * يمدبها طامى الغوارب مزبد
وآساد حرب غابها شجر القنا * ولا بد الا العجاج الملبد
مساعير فى الهيجا مساعير للندى * بايديهم يحمى الهجير و يبرد

من معه من أصحابه وملك فى مجلسه أربع سنين حتى اسر رستم بن دستان من بلاد سجستان سرية فيها أربعة آلاف فقتل ملك اليمن شمر بن فريقس واستغنم كيكاوس ورده الى ملكه وسعدى معه فاعتلت عليه واغرته بولده سياوخش حتى كان من امره مع فراسياب الترکى واستئمانه اليه وزوجه ابنته حتى جات منه بكيخسرو ما كان من قتل فراسياب سياوخش بن كيكاووس وقتل رستم بن دستان لسعدى واخذه بطائلة سياوخش فقتل من قتله من وجوه الترك وعند الفرس على ما فى كتاب السكيكيين ان كيخسرو كان قبله على الملك جده لابيه وهو كيكاووس ولم يعلم من هو ولم يكن لكيخسرو عقب فجعل الملك فى فراسب وهؤلاء القوم كانوا يسكنون بلخ وكانت دار ملكهم وكان يدعى نهر بلخ وهو جيحون لغتهم كالف وكذلك يسميه كثير من اعاجم خراسان فى هذا الوقت بهذا الاسم فلم يزالوا كذلك الى أن (صار الملك الى جماى ابنة بهمن) بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وانتقلت الى العراق وسكنت نحو المدائن (ثم كان بعد كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس الملك الى لهراسب) بن فنوح بن كيمس بن كيناسس بن كيناسه بن كيقباذ الملك فعمر البلاد وأحسن السيرة تشب

تشب بهم نار ان للحرب والقرى * ويجرى بهم سيلان جيش وعسجد
ويستمطرون البرق والبرق عندهم * سيوف على افق العداة تحرد
اذا من سجف السائرات مضاؤها * هناك اندى يغنى الحديد المسرد
ويسترشدون النجم والنجم عندهم * نصول الى حب القلوب تسدد
تزاحم فى جو السماء كانما * عوامل هاف الافق صم يمرد
تحاذر ألحاظ الكواكب دونها * ويقرف منها المر زمان وفرقد
ألم ترها فى الافق خافقة الحشا * كما تطرف العينان والقلب برأد
وليس احمرار الفجر من أثر السنى * ولكنه ذاك الجميع المورد
وما انبسطت كف الثريا فدامعت * ولكنها فى الحرب شلوم سهد
وحط سهيل دعره عن سميه * فاصحى على اثر السيطة يرعد
ولما رأى نسر وقوع أليفه * نظائر من حوف فما زال يحهد
مواقع أمر الله فى كل حالة * يكاد لها رأس الثرى يتمدد
اهاب بأقصى الخافقين فنظمت * وهيب جميع الخفقتين فبددوا
واضفى على الدنيا ملابس رحمة * نضارتها فى كل حين تجدد
وأخضل أرجاء الرباف كأنما * عليها من لنبت النضير زبرجد
فمن طرب ما اصبح البرق باسما * ومن فرح ما انحت المزن ترعد
وغنى على افنان كل اراكة * غناها حيا النعماء حمام مغرد
وكبر دونطق وسبح صامت * وكاد به المعدوم يحيا ويوجد
واسر للادهان ما كان عائبا * فسيان فيها مطلق ومقيد
سلام على المهدى أنما مضاؤه * قسم وأنما أمره مؤكد
امام الورى عم البسيطة عدله * على حين وجه الارض بالجور اربد
بصير رأى الدنيا بعين جلية * فلم يعنه الا المقام المعهد
ولما مضى والامر لله وحده * وبلغ مأمول وأنجز موعد
تردى امير المؤمنين رداءه * وقام بامر الله والناس هجد
بعزمة شجعان الفؤاد مصمم * يقوم به اقصى الوجود ويقعد
مشيئته ما شاءه الله انه * اذا هم فالحكم الالهى يسعد
كتائبه مشموعة بملائك * تزاد بها فى كل حال وترفد
وما ذاك الا نية خلصت له * فليس له فيما سوى الله مقصد
اذا خطبت راياته وسط محفل * ترى هم الاعداء فى الترب تسجد
وان نطقت بالفصل فيهم سيوفه * اقر بامر الله من كان يجحد
معيد علوم الدين بعد ارتفاعها * ومبدى علوم لم تكن قبل تعهد
وباسط انوار الهداية فى الورى * وقد ضم قرص الشمس فى الغرب ملحد
وقد كان ضوء الشمس عند طلوعها * يغاربها كنافى الضلال ويغمد

أقاصيص يطول ذكرها وقد ذكر فى بعض الروايات من أخبار الفرس انه بنى بلخ الحسناء لما فيها من المياه والشجر والمروج وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقد ذكر حرمة له مع الترك وما كان منهم فى حصاره وقد اخذ ثاره بعد قتله فى كتب ندماء الفرس وقد ذكر كثير من علماء أخبار الفرس أن المختصر من زمان العراق والمغرب كان من قبل هذا الملك وهو الذى وطئ الشام وفتح بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل وكان من أمره بالشام والمغرب ما قد اشتهر والعامة تسميه النحت ناصر وأكثر الاخباريين والقصاص يغالون فى أخباره ويبالغون فى وصفه والمحمون فى زيجاتهم وأهل التواريخ فى كتبهم يجعلونه ما كان وانما كان مرزبان على ما وصفنا للملوك من ذكرنا وتفسير مرزبان يراد به صاحب ربع من المملكة وصاحب ناحية وواليها وقد كان جعل سبايا بنى اسرائيل الى الشرق وتزوج منهن امرأة يقال لها دسارد فكانت سبب رد بنى اسرائيل

الى بيت المقدس وقيل ان دينارد أولدها الهراسب بن كشتاسب وقيل غير ذلك من الوجوه وان حسانى من نسل بنى اسرائيل

هذا يجلو عن مطالعها الصدا * ويبرزها بيضاء والجو أسود
جزى الله عن هذا الأنام جليقة * بشروا ماء الحياة فخلدوا
وحاموا دامت محاسن ذكره * على مدرج الايام تتلى وتنشد
لمصحف عثمان الشهيد وجمعه * تبين أن الحق بالحق يعضد
حمامه الدنى الروم بعدا تسامه * وقد كاد لولا سعده ينبدد
هناهو الاأن عترس صارخ * بدعوته العليا فصين المدد
وحاولى الثار يرتب نصره * فلما مضه عزمه المتجرد
رأى أثر المسوح فى صهواته * فقام لأخذ الثار منه مؤيد
وشهد بالسدر قتل جسومه * لله شيعه الشرع يشهد
زمان ربيع العلم كان جسومه * وقد عاد بالمهدى والعود أجد
انتسل امير المومنين ألوكة * من الحرم الاقصى لامرك عهد
سيوف بنى عبلان قامت شهيرة * لدعوتك العلياء مهدى وترشد
وساقت بيت الله تشتد شوقه * اليك ولى منه حجر ومسجد
وجج اليك الراكبان والمروة الصفا * فانت لذاك الحج ومقصد
مقامك هذا الاحسام والروح امركم * ومسكم لمارمى المقام المخلد
فلله جمع ما استمار زرره * انتثاره لم يرحلك بالعرب مشهد
ولله سبع سرات تعبرت * بهامتة الاسلام فحما وتسعد
اذا لم يكن الاقاول عصمه * فاذا الذى يرجو العصى المعمد
فدته لورى بيضا وعراو رحمه * فتربك فى الدارين مجد ومسعد
وراد بك الاعياد حسنا وبهجة * كأنك للاعياد زى محدد
ولازلت للايام يملى حميدها * وعمرك فى زيعابه ليس يعهد

ثم لهم ادام الله سبحانه تاييدهم ووصل سعودهم لما اراد من المبالغة فى تعظيم المصحف المذكور واستخدام النواص والطواهر فيما يحف به من الوقير والتعزير شرعوا فى انتخاب كسوته وأخذوا فى اختيار حليته وتأنقوا فى استعمال أحفظه وبالغوا فى استجادة أصوغه فحشروا له الصناع المعتبرين ممن كان بحضرتهم العلية وسائر بلادهم القريبة والبعيدة فاجمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والصانعين والحلائين والنقاشين والمرصعين والحارين والرواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب الى الحذق فى صناعة لا أحضر للعمل فيه والاشتغال بمعنى من معانيه فاشتغل أهل الحيل الهندسية بعمل امثله مخترعة واشكال مبتدعة وصمموها من عرائب الحركات وخفى امداد الاسباب للمسببات ما بلغوا اليه منتهى طاقتهم واستمر غواصه جهد قوتهم ولهمة العلية أدام الله سموها تترقى ووق معارجهم وتتخلص كالشهاب الثاقب وراء موالجهم وتقيف على ما طنوه الغاية القصوى من لطيف مدارجهم فسلكوا من عمل هذه الامثلة كل شعب ورأبوا من منتشرها

كل شعب وأشرفوا عند تحقيقها وابرازدقيقها على كل صعب فكانت منهم وقعة كادت لها النفس تيأس عن مطلبها والخواطر تكر راجعة عن خفى مذهبها حتى أطلع الله خليفته فى خلقه وأمينه المرتضى لاقامة حقه على وجه انقادت فيه تلك الحركات بعد اعتاصها وتخلصت اشكالها عن الاعتراض على أحسن وجوه خلاصها فقوا ذلك امدهم الله بنصره وامدهم بمعونته وبسره الى المهندسين والصناع فقبلوه احسن القبول وتصوروه بأدهانهم فراوه على مطابقة المأمول فوقفهم حسن تنبيهه على معاجهلوه على طور غريب من موجبات التعظم وعلموا أن الفضل لله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وانى بعد هذا اشاره الى تفصيل تلك الحركات المستغربة والاشكال الموقفة المعجبة ان شاء الله تعالى فى وصف الصحف العظيم من الاصوتة الغريبة والاحفظة العجيبة انه كرسى كله صوان واحد من الذهب والفضة ذى صنائع غريبة من ظاهره وباطنه لا يشبه بعضها بعضا بل تجرى فيه من الوان الزجاج الرومى مالم يعهد له فى العصر الاول مثال ولا غرو فيه بشبهه حاضر ولا مثال وله مفاصل تجتمع اليها اجزاؤه وتلتئم وتتناسق عندها مجانبه وتنتظم فيها مفاصيل للحركة أعطاها واحكم انشاؤها على النغمة وانعطافها ونصم على صحيفته وجوانبه من فاخر الياقوت ونفيس الدر وعضيم الزمرد مالم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية تتنافس فى اقتراده وتتوارثه على مرور الزمن وترداده وتضن العز الانفس والملك الانفس فى ادخاره واعداده وتسمى الواحد منها بعد الواحد بالاسم العلم لشدوذه فى صنعه وانفراده فانتظم عليه منها ماشا كله زهر الكواكب فى تلألئه واتقاده واشبهه الروض المزخرف غب سماء ادلعت عن امداده وانى هذا الصوان الموصوف رائق المنظر آخذ بمجامع القلب والبصر مستوليا بصورته الغريبة على جميع الصور يدهش العقول بهاء وتحير الالباب روعة ويكاد يعشى الناظر تألقا وضياء فحين تمت خصاله واستركبت اوصاله وحان ان اطه بالمصحف العظيم واتصاله رأوا ادام الله تأييدهم واعلى كلمتهم عمارزقهم الله تعالى من ملاحظة الجهات والاشراف على جميع الثنيات ان يلطف فى وجه يكون به هذا الصوان المذكور طورا متصلا وطورا منفصلا ويتأتى به للمصحف الشريف العظيم أن يبرز زيارة للخصوص متبذلا وتارة للعموم متجملا اذ معارج الناس فى الاستبصار تختلف وكل له مقام اليه يهوى وعنده يقف فعمل فيه على مشاكلة هذا المقصد وتلطف فى تتميم هذا الغرض المعتمد وكسى المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الاخضر ذى حلية عظيمة خفيفة تلازمه فى المغيب والحضر ورتب ترتيبا يتأتى معه أن يكسى بالصوان الاكبر فيلتئم به التئاما يغطى على العين من هذا الاثر وكمل ذلك كله على اجل الصفات واحسنها وابدع المذاهب واتقنها وصنع له محمل غريب الصنعة بديع الشكل والصبغة ذو مفاصل يتبوع دقتها الادراك ويشهد بها الارتباط بين المفصلين ويصح الاشتراك معشى كله بضروب من الترصيع وفنون من النقش البديع فى قطع من الآبنوس والخشب الرفيع لم تعمل قط فى زمان من الازمان ولا انتهت قط الى ايسره تواقد الادهان مدار بصفحه قد أحريت فى صفائح الذهب وامتدت امتداد ذوائب الشهب وصنع لذلك المحمل كرسى يحمله عند

لتفسير التفسير وشرحا لسائر ما ذكرناه وسمى هذا التفسير بارده فالجوس الى هذا الوقت يعبرون عن حفظ كتبهم

المعجم وليس فى سائر اللغات أكثر حروفا من هذه اللغة أتينا خضت طويل قد أتينا على ذكره فى كتابنا الزمان والكتاب الاوسط وانى زرادشت بكتبهم هذا بلغة يعبرون عن ابراد منها ولا يذكرون كيفية ما رأوها وقد ذكر بعضهم الموضع من هذا الكتاب سأل بقرزادشت وما عمل ليس التفسير وعمله التفسير وكسى هذا الكتاب فى اثنى عشر الف مجلد بالذهب وعمل عيد وأمر واسى وتنسم سلاله من الشرائع والعلوم لم تزل الملوك تعمل على هذا الكتاب الى عهد الاسكندر وما كان من قبله اوابن دارا باحرق الاسكندر بعض هذا الكتاب فصار الملك بعد الطوائف الى أردشير بن بابك فجمع الفرس على قراءة ورة منه فقال هما الناس فى هذا الوقت لا يعرفون غير هامن الكتاب الاول فنباه ثم عمل زرادشت تفسيرا عند عجزهم عن فهمه وسموا التفسير زندا ثم عمل للتفسير تفسيرا وسماه بازيد ثم عمل علماؤهم بعد وفاة زرادشت تفسيرا

لانسق و بشاركه في أكثر الاحوال مرصع مثل ترصيعه الغريب ومثل كل له في جودة النسج وحسن الترتيب وصنع لذلك كله تابوت يحتوي عليه احتواء المشكاة على الزجاجة والصدر على محفوظ أمكارها مكعب الشكل سام في الطول حسن الجملة والتفصيل بالغ ما أمكن التتميم في اوصاله والتكميل جار مجرى المحمل في التزيين والتجميل وله في أحد جوانبه باب ركبت عليه دفتان قد أحكم ارتجاجهما و يسر بعد الاهتمام انفراجهما ولاقتاح هذا الباب وخروج هذا الكرسي من تلقائه وتركب المحمل عليه مادبرت الحركات الهندسية ونظمت التنبيهات القدسية وانتظمت المحاسب المعنوية والحسية والتأمت الدقائق النفيسة والنفسية وذلك أن باسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه موضع قد اعد له مفتاح لطيف يدخل فيه فاذا ادخل ذلك المفتاح فيه وادير به اليد انفتح الباب بانعطاف الدفتين الى داخل الدفتين من تلقائهما وخرج الكرسي من ذاته بما عليه الى أقصى غايته وفي خلال خروج الكرسي يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة مقترنة بحركته يأتي بها من مؤخر الكرسي رحفا الى مقدمه فاذا كمل الكرسي بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه انعطف الباب برجوع الدفتين الى موضعهما من تلقائهما دون ان يمسهما أحد وترتيب هذه الحركات الاربع على حركة المفتاح فقط دون تكلف شئ آخر فاذا أدير المفتاح الى خلف الجهة التي ادير اليها اولا انفتح اولا الباب وأخذ الكرسي في الدخول والمحمل في التأخر عن مقدم الكرسي الى مؤخره فاذا عاد كل الى مكانه انسد الباب بالدفتين أيضا من تلقائه كل ذلك يترتب على حركة المفتاح كالذي كان في حال خروجه وصحة هذه الحركات اللطيفة على اسباب ومسببات عائمة عن الحس في باطن الكرسي وهي مما يدق وصفها و يصعب ذكرها اظهر بركات هذا الامر السعيد وتنبيهات سيدنا ومولانا الخليفة أدام الله تعالى أمرهم وأعز نصرهم وفي خلال الاشتغال بهذه الاعمال التي هي عرر الدهر وفرائد العمر أمرنا أدام الله تعالى تأييدهم ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرسها الله تعالى فشدئ ببنائه وتأسس قبلته في العشر الاول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وكمل منتصف شعبان المكرم من العام المذكور على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأبعد البناء والحارة وفيه من شمسيات الزجاج ودرجات المنبر والمقصورة ما لو عمل في السنين العديدة لاستغرب عامه فكيف في هذا الامد اليسير الذي لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه فضلا عن بنائه وصليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور ونهضوا أدام الله سبحانه تأييدهم عقب ذلك لزيارة البقعة المكرمة والروضة المعظمة بمدينة تيملل أدام الله رفعها فأقاموا بها بقية شعبان المكرم وأكثر شهر رمضان المعظم وحملوا في صحبتهم المصحف العزيز ومعه مصحف الامام المهدي المعلوم رضي الله تعالى عنه في التابوت الموصوف اذ كان قد صنع له غروه في أعلاه وأحكمت فيه احكاما كمل به معناه واجتمع في مشكاته فعاد النور الى مبتداه وختم القرآن العزيز في مسجد الامام المعلوم ختمات كادت لا تحصى لكثرتها وهنا انتهى ما وجدناه من هذا المكتوب ثم قال ابن رشيد بعد ايراد ما تقدم ما صورته نجزت الرسالة في المصحف العظيم والحمد لله رب العالمين انتهى محل

الحاجة

من جزيه فيلزمه
ويبقى الثاني منه فيلزمه
جزأ آخر والباقي كذلك
الى أن ينتهي الجميع على
هذا الوجه من غير زيادة
ولا نقصان ويكون
ان رجلا ولد ان عند
المائة من شهر محفوظ
هذا الكتاب على الكمال
وكان ملك كشتاسب الى
أن مات خمس ثمانين عشرين
ومائتين سنة وكانت مدة نبوة
زراد شب فيهم خمسة
وثلاثين سنة وهلك وهو ابن
تسع وسبعين سنة ولما هلك
زراد شت (ولي مكانه
جاماس العالم) وكان من
أهل اذربيجان وهذا اول
مولد قام فيهم بعد زراد شت
نصبه لهم كشتاسب الملك
ثم ملك بعده بهمن بن
اسفندبار بن كشتاست بن
بهراسب وكان له حروب
كثيرة مع رستم صاحب
سجستان الى أن قتل رستم
ووالده دستان وقيل ان أم
بهمن كانت من بني اسرائيل
من ولد طالوت الملك وانه
هو الذي بعث بالعنصر
مرزبان العراق الى بني
اسرائيل وكان من أمرهم
ما وصفنا وكان ملك بهمن
الى أن هلك مائة واثنتي
عشرة سنة وقيل انه في ملكه رد بني اسرائيل الى بيت المقدس فكان مقامهم ببابل الى أن رجعوا الى

الحاجة منه * وما أحسن قول الشيخ الامام أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية يستودع أهل قرطبة

أستودع الله أهل قرطبة * حيث وجدت الحياء والكرما
والجامع الاعظم العتيق ولا * زال مدى الدهر مأمنا حرما

وقال أبو الربيع بن سالم حدثنى بذلك أبو الحسن عبد الرحمن بن ربيع الانصارى قال أنشدنى أبو محمد بن عطية لنفسه فذكرهما بعد أن قال انه لما أزمع القاضى أبو محمد بن عطية الارتحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع وأنشدنى البيتين انتهى * وقال ابن عطية أيضا رحمه الله تعالى

بأربع فاقت الامصار قرطبة * وهن قنطرة الوادى وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة * والعلم أكبر شئ وهو رابعها

وقد تقدم انشادنا لهذين البيتين من غير نسبتهما لاحد * ومما يدخل فى أخبار الزاهرة من غير ما قدمناه ما حكاه عن نفسه الوزير الكاتب أبو المغيرة بن حزم قال بادمت يوما المنصور ابن أبى عامر فى منية السرور بالزاهرة ذات الحسن النضير وهى جامعة بين روضة وغدير فلما تصمخ النهار بعفران العشى ورفرف غراب الليل الدجوجى وأسبل الليل جحه وتقلد السماك رمحه وهم النسر بالطيران وعام فى الافق زورق الربرقان أو قدنا مصابيح الراح واشتملنا ملاءة الارتياح وللشجن فوفنا روافى مضروب فغنتنا عند ذلك جارية تسمى أنس القلوب وقالت

قدم الليل عند سير النهار * وبدا البدر مثل نصف السوار
فكان النهار صفحة خد * وكأن الظلام خط عذار
وكأن الكؤس جامد ماء * وكأن المدام ذائب نار
نظرى قد جنى على دنوبا * كيف مما جنته عينى اعتذارى
يا قومى تعجبوا من غزال * حائر فى محبتى وهو حارى
ليت لو كان لى اليه سبيل * فأقضى من الهوى أوطارى

قال فلما أكملت الغنا أحسست بالمعنى فقلت

كيف كيف الوصول للاغيار * بين سمر القنا وبيض الشفار
لو علمنا بان حبك حتف * لطلبنا الحياة منك بثار
واذا ما الكرام هموا بشئ * خاطروا بالنفوس فى الاخطار

قال فعند ذلك بادر المنصور لحسامه وغلظ فى كلامه وقال لها قولى واصدقى الى من تشيرين بهذا الشوق والحنين فقالت الجارية ان كان الكذب أنجى فالصدق أحرى وأولى والله ما كانت الا نظرة ولدت فى القلب فكرة فتكلم الحب على لسانى وبرح الشوق بكتمانى والعفو مضمون لديك عند المقدرة والصفح معلوم منك عند المعذرة ثم بكت فكأن دمعها در تناثر من عقد أو طل تساقط من ورد وأنشدت

أذنبت ذنبا عظيما * فكيف منه اعتذارى
والله قدرهذا * ولم يكن باختيارى

العراق من قبل بهمن وبهمن يومئذ يبلغ وقد قيل ان أم كورس كانت من بنى اسرائيل وكان دانيال الاصغر خاله وكانت مدة ملك كورس ثلاثين وعشرين سنة وفى وجه آخر من الروايات أن كورس كان ملكا برأسه لاعن قبل بهمن وذلك بعد انقضاء ملك بهمن وان كورس من ملوك الفرس الاولى وليس هذا عاما فى كتب التواريخ القديمة ودانيال الاكبر كان بين نوح وابراهيم الخليل عليهما السلام وهو الذى استخرج العلم وما يحدث فى الازمان الى أن تنقضى الارض ومن عليها وعلوم ملوك العالم وما يحدث فى السنين والشهور من الحوادث ودلائل ذلك فى الافلاك ولما رجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس استخرجوا التوراة وغيرها من المواضع التى خبئت فيها من الارض على ما قدمنا (ثم ملكت حاى) بنت بهمن بن اسفنديار ابن كشتاسب بن بهراسب وكانت تعرف بأمها شهرزاد ولهذه الملكة سير وحروب مع الروم وغيرهم من ملوك الارض وكانت

 حسنة السياسة لاهل مملكتها وكان ملكها بعد أبيها بهمن ثلاثين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك

بعدها أخ لها يقال له دارا) ملك دارا) بن دارا ابن بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب والفرس تسمي دارا هذا باللغة الاولى من اغانهم دارا بنوس وهو الذي قتله الاسكندر بن فيلبش المقدوني وكان ملكه الى أن قتل ثلاثين سنة وقد ذكر أن منوجهر حين انهزم من حرب فراسياب التركي سار الى جبل طبرستان فتحصن به ثم تاب بعد ذلك ومعه خيل فحارب فراسياب التركي وقد وطئ العراق وغلب على الاقاليم فهرب الى أرض الترك (وان الملك صار بعد منوجهر الى أخوين) وقيل بل كانا شريكين في الملك متظافرين متعاونين على عمارة الارض وما خربه فراسياب احدهما (بهماست) بن كيجهر بن دوزدف بن هوست بن دابدسك بن دوس بن منوجهر والآخر (كرساسب) ابن غار بن طهماسب بن آسك بن آيرنس بن أدج ابن دوس بن منوجهر وكان كرساسب محاربا لفراسياب ومنازلا له والآخر وهو بهماست لازم بالعراق يعمر ما خربه فراسياب من الارض واحتفر النهرين المعروفين بالزابين الصغير والكبير على حسب ما قدمنا من ذكرهما في اندية

والعمو أحسن شئ * يكون عند اقتدار

قال فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب الى وسل سيف السخط على فقلت أيدك الله تعالى انك كانت هفوة جرها الفكر وصبوة أيدها النظر وليس للمرء الا ما قدر له لا ما اختاره وأمله فأطرق المنصور قليلا ثم عفا وصفح وتجاوز عنا وسمح وخلى سبيلي فسكن وجيب قلبي وغليلي ووهب الجارية لي فبتنا بأنعم ليلة وسحبنا فيها للصبا ذيله فلما شمر الليل غدائره وسل الصباح بواتره وتحاوبت الاطيار بضروب الالحان في أعالي الاغصان انصرفت بالجارية الى منزلي وتكامل سروري * قال بعضهم ذكرتني حكاية أبي المغيرة هذه حكاية قرأتها في النوادر لابي علي القالي البغدادي حدث في الظرف حذوها وزهى في الاغراب زهوها وهي ما أسنده عن منصور البرمكي انه كانت للرشيد جارية علامية وكان المأمون يميل اليها وهو اذ ذاك أمرد فوقفت تصب على يد الرشيد من ابريق معها والمأمون خلف الرشيد فاشار اليها يقبلها فأنكرت ذلك بعينها وأبطأت في الصب على قدر نظرها للمأمون واشارتها اليه فقال الرشيد مه ذا أضحى الابريق من يدك ففعلت فقال لها والله لئن لم تصدقيني لأقتلنك فقالت ياسيدي أشار الي كأنه يقبلني فانكرت ذلك عليه فالتفت الى المأمون فنظر اليه كأنه ميت لما داخله من الجزع والخجل فرحمه وضمه اليه وقال يا عبد الله أتحبها فقال نعم يا أمير المؤمنين قال هي لك فاخل بها في تلك القبة ففعل ثم قال له هل قلت في هذا الامر شيأ فقال نعم ياسيدي وأنشد

ظبي كنيت بطرفي * من الضمير اليه
قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه
ورد أخبث ورد * بالكسر من حاجبيه
فبارحت مكاني * حتى قدرت عليه

وفي هذا المعنى يقول بعض البلغاء اللحظ يعرب عن الالفاظ (وقال آخر) رب كناية تغني عن ايضاح ورب لفظ يدل على ضمير ونظمه الشاعر فقال

جعلنا علامات المودة بيننا * دقائق لحظ هن أمضى من السحر
فأعرف منها الوصل في لين لحظها * وأعرف منها الهجر بالنظر الشزر

(وفي هذا قال بعض الحكماء) العين باب القلب فما في القلب يظهر في العين (وقال الشاعر)

العين تبدي الذي في نفس صاحبها * من المحبة أو بغض اذا كانا
فالعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

انتهى (وأبو المغيرة بن حزم قال في حقه في المطمح ما نصه) الوزير الكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب ابن حزم وأبو حزم فقيه علم وأدب ونبيه مجد وحسب وأبو المغيرة هذا في الكتابة أوحد لا يتعت ولا يحد وهو فارس المضمار حامي ذلك الذمار وبطل الرعيل وأسد ذلك الغيل نسق المعجزات وسبق في المعضلات الموجزات اذا كتب وشى المهارق ودبج وركب من بحر البلاغة الثبج وكان هو وأبو عامر بن شهيد خليلي صفاء وحليفي وفاء لا ينفصلان في رواد ولا مقيل ولا يفترقان كما لا يفترق الشوهقيل وكانا بقرطبة رافعي ألوية الصبوة وعارى

اندية السلوة الى أن اتخذ أبو عامر فى حبالة الردى وعلق وغدا رهنه فيها وغلق فانفرد أبو المغيرة بذلك الميدان واسترد من سبقه ما فاته منذ زمان فلم تذكره مع أبى عامر حسنة ولا سرت له فقرة مستحسنة لتعذر ذلك وامتناعه بشفوف أبى عامر وامتداد باعه وأما شعر أبى المغيرة فمرتبط بنثره ومختلط زهره ببدره وقد أثبت له منه فنونا تجن بها الافهام جنونا فمن ذلك قوله

ظعنت وفى أحداجها من شكلها * عين فضحن بحسنهن العينا
ما أنصفت فى جنب توضح اذ قرت * ضيف الوداد بلابلا وشجونا
أمحى الغرام فطين ربع فؤاده * اذ لم يجد بالرقمتين قطينا

(وله)

لما رأيت الهلال منطويا * فى غرة الفجر قارن الزهره
شبهته والعيان يشهد لى * بصولجان انثنى لضربكره

انتهى (وأبو عامر بن شهيد المذكور قال فى حقه ما صورته) الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد الاشجعى عالم باقسام البلاغة ومعانيها حائز قصب السبق فيها لا يشبهه أحد من أهل زمانه ولا ينسق ما نسق من درر البيان وجمانه توغل فى شعاب البلاغة وطرقها وأخذ على متعاطيها ما بين مغربها ومشرقها لا يقاومه عمرو بن بحر ولا تراه يغترف الا من بحر مع انطباع مشى فى طريقه بأمدباع وله الحسب المشهور والمكان الذى لم يعده ظهور وهو من ولد الوضاح المتقلد تلك المفاخر والاوضاح والضحاك صاحب يوم المرج وراكب ذلك المرج وأبو عامر حفيده هذا من ذلك النسب ونبع لا براش الا من ذلك الزغب وقد أثبت له ما هو بالسحر لاحق ولنور الحاسن ماحق (فمن ذلك) قوله

ان الكريم اذا نابته مخمصة * أبدى الى الناس رياه وهو ظمآن
يخفى الضلوع على مثل اللظى حرقا * والوجه غمر بماء البشر ريان

وهو مأخوذ من قول الرضى

ما ان رأيت كمعشر صبروا * عزا على الازلات والازم
بسطوا الوجوه وبين اضلعهم * حر الجوى وما تم الكلم

(وله أيضا)

كلفت بالحب حتى لو دنا أجلى * لما وجدت لطعم الموت من ألم
كلا الندى والهوى قد ما ولعت به * ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

(وأخبرنى) الوزير أبو الحسن بن سراج الدين وهو بمنزلة ابن شهيد وكان من البلاغة فى مدى غاية البيان ومن الفصاحة فى أعلى مراتب التبيان وكنا نحضر مجلس شرابه ولا نغيب عن بابه وكان له بباب الصومعة من الجامع موضع لا يفارقه اكثر نهاره ولا يخليه من نثر درره وازهاره فقعد فيه ليلة ٢٧ من رمضان فى لمة من اخوانه وأئمة سلوانه وقد حفوا به ليقطعوا تحت ادبه وهو يخلط لهم الجد بهزل ولا يفرط فى انبساط مشتهر ولا انقباض جزل واذا بجارية من أعيان اهل قرطبة معها من جواريها من يسترها ويواريها وهى ترتاد

والحديثة والآخر بلاد الصين وسماه باسمه وحفر بسواد العراق نهرا آخر وسماه بالزاب وجعل على هذا النهر بالعراق ثلاث طواسيم من الضياع والعمائر وأسماها الزوابى وما ذكرنا فهو باق الى هذه الغاية وان مملكتها كانت ثلاث سنين وان كيخسرو ابن سياخوش بن كيكاووس ابن كتيفة بن كيقباذ لما قتل جده ببلاد السن والران من بلاد أذربيجان وهو فراسياب بن سيمك ابن تبت بن ديشهر بن ترك وترك هذا جد سام والترك عند طائفة من الناس من ولد لمش بن ريسب بن أطوح بن أمريدون وقد قدمنا وجها من الرواية فى نسبه فيما سلف من هذا الكتاب سار كيخسرو فى البلاد ووطئ الممالك وانتهى الى بلاد الصين فبنى هنالك مدينة عظيمة وسماها كنكدر وقد نزلها خلق من ملوك الصين كنزولهم انموى وغيرها من مدنهم وقد قيل ان كنكدر هى انموى بعينها وقد قيل ان كيكاووس بنى مدينة قشمير المقدم ذكرها بارض السغد وان سياخوش بنى فى حياة أبيه كيكاووس مدينة القندهار من أرض السند المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب (قال المسعودى) ولنذكر من هؤلاء

على ما سلف من مبسوطها وما نذكره من الوجوه فلاختلاف الروايات وتباين الناس في المصنفات من كتبهم فبما ذكرناه من أخبارهم ليعلم من قرأ كتابنا هذا أنا قد بذلنا المجهود من أنفسنا وذكرنا سائر ما وأنوه فيما وصفناه وبالله التوفيق ومنه الاعانة

(ذكر ملوك الطوائف)

وهم بين الفرس الاولى والثانية (قال المسعودي) وقد تنازع الناس في ملوك الطوائف أمن الفرس كانوا أم من البيط أم من العرب فحكى جماعة من الاخباريين ممن عنى باخبار الماضين انه لما قتل الاسكندر بن فليبش دارا بن دارا تغلب كل رئيس ناحية على ناحيته وكاتبهم الاسكندر فمنهم فرس ونبيط وعرب وكان مراد الاسكندر من ذلك تشتيت كلمتهم وتحزبهم وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذي هو به فينعدم نظام الملك والانقياد الى ملك واحد يجمع كلمتهم الا أن أكثرهم كانوا ينقادون الى الاشغانيين وهم ملوك الجبال من بلاد الديلم ونهاوند وهمذان وماسبذان وأذربيجان وكان كل ملك منهم يلي هذا الصقع يسمى بالاسم الاعم اشغان فقيل لسائر ملوك الطوائف عن

وضعا لما جاء بها وبقي منزلا لاستغفار ذنبها وهي متنقبة حائفة عين يرقبها مترقبة وأمامها طفل لها كانه غصن آس أو ظبي يمرح في كناس فلما وقعت عينها على ابي عامر ولت سريعة وتولت مروعة خيفة أن يشبب بها أو يشهرها باسمها فلما نظرها قال قولا فضحها به وشهرها

وباظرة تحت طي القناع * دعاها الى الله بالخير داعي
سعت خفية تبتغي منزلا * لوصل التبتل والانقطاع
فجاءت تهادى كمثل الرؤم * تراعي غزالا بروض البقاع
وجالت بموضع ناجولة * محل الربيع بتلك البقاع
أتتنا تحذر في مشيها * تخلت بوادي كثير السباع
وربعت حذارا على طفلها * فمادت يا هذه لا تراعي
غزالك تفرق منه الليوث * وتفزع منه كماة المصاع
فولت وللمسك في ذيلها * على الارض خط كظهر الشجاع

انتهى المقصود منه (رجع) ومما يخرط في سلك أخبار الزهراء ما حكاه الفتح في ترجمة المعتمد ابن عباد قال واخبرني الوزير احمد بن سراج انه حضر مع الوزراء والكتاب بالزهراء في يوم غفل عنه الدهر فلم يرمقه بطرف ولم يصرفه بصرف أرحت به المسرات عهدها وأبرزت له الامانى خدها ونهدها وأرشفت فيه لماها وأباحت للزائرين حماها ومازالوا ينتقلون من قصر الى قصر ويتبدلون الغصون بحبى وهصر ويتنقلون في تلك الغرفات ويتعاطون الكؤس بين تلك الشرفات حتى استقروا بالروض من بعد ما قضوا من تلك الآثار أوطارا ووقروا بالاعتبار فطارا فخلوا منها في درانك ربيع محفوفة بالازهار مطرزة بالجداول والانهار والغصون تختال في أدواحها وتتثنى في اكف ارواحها وآثار الديار قد اشرفت عليهم كتكالي ينحن على خرابها وانفراض اترابها واطرابها والوحي بعشيدها الاعب وعلى كل جدار غراب ناعب وقد محت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها وأفياءها وطالما أشرقت بالخلائف وابتهجت وفاحت من شذاهم وتأرجت أيام نزولهم احلالها وتفيؤا ظلالها وعمروا حدائقها وجناتها ونبهوا الآمال من سناتها وراعوا الليوث في آجامها واخجلوا الغيوث في انسجامها فاضحت ولما بالتداعي تلفع واعتجار ولم يبق من آثارها الا نؤى وأحجار قد وهت قبابها وهرم شبابها وقد بلين الحديد وبلى على طيه الجديد فبينما هم يتعاطونها صغارا وكبارا ويديرونها انسا واعتبارا اذا برسول المعتمد قد وافاهم برقعة فيها

حسد النصر فيكم الزهراء * ولعمري وعمركم ما أساء
قد طلعتم بها شموسا صباحا * فاطلعوا عندنا بدورا مساء

فساروا الى قصر البستان بباب العطارين فألفوا مجلسا قد حار فيه الوصف واحتشد فيه اللهو والقصف وتوقدت نجوم مدامه وتأودت قدود خدامه وأربى على الخورنق والسدير وأبدى صفحة البدر من أزرار المدير فقاموا ليلتهم ما عراهم نوم ولا عداهم

عن طيب اللذات سوم وكانت قرطبة منتهى امله وكان روم أمرها أشهى عمله وما زال يخطبها بمداخلة اهليها ومواصلة واليها اذلم يكن في منازلتها فائد ولم يكن لها الاحيل ومكايد لاستمالتهم بدعوة خلفائها وأنفتهم من طموس رسوم الخلافة وعفائها وحين اتفق له تملكها وأطلعه فلكها وحصل في قطب دارتها ووصل الى تدبير رياستها وادارتها قال

من للملوك بشأو الاصيد البطل * هيهات جاءتكم مهدية الاول
خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت * من جاء يخطبها بالبيض والاسل
وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها * فاصبحت في سرى الحلى والحلل
عرس الملوك لنا في قصرها عرس * كل الملوك لها في مأتم الوجل
فراقبوا عن قريب لا أبا لكم * هجوم ليث بدرع البأس متشمل

ولما انتظمت في سلكه واتسمت بملكه اعطى ابنه الظافر زمامها وولاه نقضها وابرامها فاماض فيها نداه وزاد على امده ومداه وجلها بكثرة حبائه واستقل باعبائها على فتائه ولم يزل فيها آمرا وناهيا غافلا عن المكر ساهيا حسن ظن باهلها اعتقده واغترارا بهم ما رواه ولا انتقده وهيهات كم من ملك كفنوه في دمائه ودفنوه بذمائه وكم من عرش قلوه وكم من عز برملك أذلوه الى ان ثار فيها ابن عكاشة ليلا وجر اليها حربا وويلا فبرز الظافر منفردا عن كماته عاريا من حماته وسيفه في يمينه وهاديه في الظلماء نور جبينه فانه كان غلاما قد بله الشباب بانداته والحفه الحسن بردائه فداوعهم اكثر ليله وقد منع منه تلاحق رجله وخيله حتى أمكنتهم منه عثرة لم يقل لها لعا ولا استقال منها ولا سعى فترك ملتحفا في الظلماء تحت نجوم السماء معفرا في وسط اكفاء تحرسه الكواكب بعد المواكب ويستره الحندس بعد السندس فتبصر عنه سحر أحد أئمة الجامع المغلين فرآه وقد ذهب ما كان عليه ومضى وهو أعرى من الحسام المنتضى فخلع رداءه عن منكبيه ونضاه وستره به سترا أقنع الجدب وأرضاه وأصبح لا يعلم رب تلك الصنيعة ولا يعرف فتشكر له بده الرفيعة فكان المعتمد اذا تذكر صرعته وسعر الحزن لوعته رفع بالعويل نداءه وأنشد ولم أدر من ألقى عليه رداءه ولما كان من الغد حز رأسه ورفع على سن رمح وهو يشرق كنارعلى علم ويرشق نفس كل ناظر بالم فلما رمقته الابصار وتحققته الحماة والانصار رموا أسلحتهم وسوّوا للفرار أجنحتهم فمنهم من اختار فراره وجلاه ومنهم من أتت به الى حينه رجلاه وشغل المعتمد عن رثائه بطلب ثاره ونصب الحبائل لوقوع ابن عكاشة وعثاره وعدل عن تأبينه الى البحث عن مفرقه وجبينه فلم تحفظ له فيه قافية ولا كلمة للوعته شافية الا اشارته اليه في تابين اخويه المامون والراضي المقتولين في أول الثائرة والفتنة الثائرة انتهى (وقد رأيت) ان ازيد على ما تقدم مما قصدت جلبه في هذا الموضع نبذة من كلام الفتح في ذكر منتزهات قرطبة وغيرها من بلاد الاندلس ووصف مجالس الانس التي كانت بها مما تنشرح له الانفس ووقع ذكر غير قرطبة والزهراء لمناسبتها ولا يخلو ذلك من عبرة لمحال من جعل في اللهو مصيفا ومربعا ثم طواه الدهر طي السجل ومحا

وغيره من علماء العرب انهم قالوا أول ملوك الدنيا الكينان وهم من سميناهم من ملوك من سلف من الفرس الاولى الى دارا بن دارا ثم الاردوان وهم ملوك النبط وكانوا من ملوك الطوائف وكانوا بارض العراق مما يلي قصر ابن هبيرة وسقى الفرات والجامعين وسوزا وأحمد آباد والبرس الى جبلا وتل فاخر والطفوف وسائر ذلك الصقع وكانت ملوك العرب من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار واياد بن نزار والنصيرية من بني نضر من اليمن وغيرهم من قحطان لهم ملوك وقد نصبت كل طائفة لها ملكا لعدم ملك يجمع كلمتهم وذلك أن الاسكندر أشار عليه معلمه وهو ارسطاطاليس في بعض رسائله اليه بذلك وكاتب الاسكندر ملك كل ناحية وملكه على ناحيته وتوجه وحياه فاستبد كل واحد منهم بناحية فصار ملكه من بعده في عقبه مما نعا عما في يده وطالبا للازدياد من غيره وكان ملك الطوائف عند كثير من الناس ممن عنى باخبار الماضين

ومعرفة سنيهم خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة وذلك من ملك الاسكندر الى أن ظهر اردشير بن بابك بن ساسان فغلب

على ملوك الطوائف وقتل

على شاطئ دجلة فهذا

أول يوم يعتد منه ملك أردشير

لاستيلائه على سائر ملوك

الطوائف وتمهدت له البلاد

واستقامت دعاتها للملكه من

ملوك الطوائف من قتله

أردشير بن بابك ومنهم من

فاده الى ملكه وأجاب دعوته

وملوك الطوائف بين

الفرس الاولى ممن سمينا

وبين الفرس الثانية وهى

الساسانية وقد ذكر أبو

عبيدة معمر بن المثنى التيمى

عن عمر كسرى فى كتاب

له فى أخبار الفرس يصف

فيه طبقات ملوكهم ممن

سلف وخلف وأخبارهم

وحظهم وتشعب أنسابهم

وما بنوه من المدن وكوروه

من الكور واحتفروه من

الانهار وأهل البيوتات

منهم وما وسم به كل فريق

منهم من الشهارجة

وغيرهم أن أول من ملك

من ملوك الطوائف (أسك)

ابن أسك بن أردان بن

أشغان بن آمر الجبار بن

ساوس بن كيكاوس

الملك عشرين سنة ثم ملك

بعد أسك (سابور) بن

أسك ستين سنة وفى احدى

وأربعين من مملكته كان

ظهور السيد المسيح عليه

السلام ببلاد فلسطين بايلياء

ثم ملك (حود) بن ابراهيم بن أدراو بن أشغان عشر سنين ثم ملك (نيرو) بن سابور الملك بن أسك الملك ايدى

آثاره التى كانت تسمو وتجل وما قصدنا علم الله غير الاعتبار بهذه الاخبار لا الحث على الحرام وتسهيل القصد اليه والمرام والاعمال بالنيات والله سبحانه كفيل بفضله وكرمه ببلوغ الامنيات وتعويضنا عن هذه النعم الفانيات بالنعم الباقيات السنيات * (قال الفتح رحمه الله تعالى) فى ترجمة الوزير أبى الوليد بن زيدون ما صورته وأخبرنى الوزير الفقيه أبو الحسن بن سراج رحمه الله تعالى انه فى وقت فراره أضحى غداة الاضحى وقد ثار به الوجد بمن كان يألفه والغرام وتراءت لعينيه تلك الظباء الاوانس والآرام وقد كان القطر وافاه والشقاء قد استولى على رسم عافيته حتى أعفاه فلما عاده منهما ما عاد وأعياه ذلك النكد المعاد استراح الى ذكر عهده الحس وأراح جفونه المسهدة بتوهم ذلك الوسن وذكر معاهد كان يخرج اليها فى العيد ويتفرج بها مع اولئك العيد فقال

خليلى لا فطر بسر ولا أضحى * فحال من أمسى مشوقا كما أضحى
لئن شاقنى شرق العقاب فلم أزل * أخص بمحوض الهوى ذلك السفحا
وما انفك جوى الرصافة مسعرى * دواعى بث تعقب الاسف البرحا
ويهتاج قصر الفارسى صبابة * لقلبى لا يألو زنادا لاسى قدحا
وليس ذميما عهد مجلس ناصح * فأقبل فى فرط الولوع به نصحا
كأنى لم أشهد لدى عين شهده * نزال عتاب كان آخره الفتحا
وقائع جانيها التجنى فان مشى * سفير خضوع بيننا أكد الصلحا
وأيام وصل بالعقيق اقتضيته * فان لم يكن ميعاده العيد فالفحا
وآصال لهو فى مسناة مالك * معاطاة ندمان اذا شئت أو سجحا
لدى راكد تصبيك من صفحاته * قوار برخضر خلتها مردت صرحا
معاهد لذات وأوطان صبوة * أجلت المعلى فى الامانى بها قدحا
ألا هل الى الزهراء أوبة ناصح * تقضت مبانيها مدامعها نرحا
مقاصر ملك شرفت جنباتها * فخلنا العشايا الجون أثناءها صبحا
يمثل قرطبها الى الوهم جمرة * فقبتها فالكوكب الجون فالسطحا
محل ارتياح يذكر الخلد طيبه * اذا عز أن يصدى الفتى فيه أو يضحى
هناك الحمام الزرق تبدى خفافها * ظلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا
تعوضت من شرق القيان خلالها * صدى فلوات قد أطار الكرى صبحا
ومن حلى الكاس المفدى مديرها * تقسم أهوال حملت لها الرمحا
أجل ان ليلى فوق شاطئ نيطة * لأقصر من ليلى ببانة فالبطحا

وهذه معاهد بنى أمية قطعوا بها ليالى وأياما وظلت فيها الحوادث عنهم نياما فهاموا بشرق العقاب وشاموا به برقا يبدو من تقاب ونعموا بجو فى الرصافة وطعموا عيشا تولى الدهر جلاءه وزفافه وابعدوا نصح الناصح وحمدوا انس مجلس ناصح وعموا بالزهراء وصموا عن نباء صاحب الزوراء حتى رحلهم الموت عنها وقوضهم وعوضهم عنها ما عوضهم فصاروا أحاديث وأنباء ولم يتزودوا منها الا حنوطا وكباء وغدت تلك المعاهد تصافحها

أيدى الغير وتناوحها نعبات الطير وراحت بعد الزينة سدى وأمست مسرحا للبوم وملعبا للصدى يسمع الجن بها عزيف ويصرع فيها البطل الباسل والنزيف وكذا الدنيا أعمالها خراب وما آلها آل وسراب أهلكت أصحاب الاخدود وأذهبت ما كان بمأرب من حيازات وحدود انتهى *(وقال الفتح بعد كلام ماصورته) ولما عضته ناب الاعتقال ورضته تلك النوب الثقال وعوض بخشانة العيش من اللين وكابد قسوة خطب لا تلين تذكر عهد عيشه الرقيق ومرحه بين الصفا والعقيق وحن الى سعد زرت عليه جيوبه واستهدى نسيم عيش طاب له هبوبه وتاسى بمن باتت له النوائب بمرصاد ورمته بسهام ذات اقصاد فقال

الهوى فى طلوع تلك النجوم * والمنى فى هبوب ذاك النسيم
سربا عيشنا الرقيق الحواشى * ليوم السرور للمستديم
وطرما انقضى الى أن تقضى * زمن ماذمامه بالدميم
أيها المؤذنى بظلم الليالى * ليس يومى بواحد من ظلوم
ماترى البدران تاملت والشمس هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو * بالمصاب العظيم نحو العظيم

*(وقال الفتح أيضا فى شان ابن زيدون ماصورته) * ولما تعذر انفكاكه وعمر فرقده وسماكه وعادته الاوهام والفكر وخانه من أبى الحزم الصارم الذكر قال يصف ما بين مسراته وكروبه ويذكر بعد طلوع سعده وغروبه ويبكى لما هو فيه من التعذير ويعذوا با الحزم وليس له غيره من عذير ويتعزى باخناء الدهر على الاحرار والحاحه على التمام بالسرار ويخاطب ولادة بوفاء عهده ويقيم لها البراهين على ارقه وسهده

ماجال بعدك لحظى فى سنى القمر * الا ذكرتك ذكر العين بالاثر
ولا استطلت ذماء الليل من أسف * الا على ليلة مرت مع القصر
فى نشوة من شباب الوصل مرهفة * الامسافة بين الوهن والسهر
ياليت ذاك السواد الجون متصل * قد استعار سواد القلب والبصر
يا للرزايا لقد شافهت منهلها * غمرا فغاض شراب المكروه بالغمر
لا يهنأ الشامت المرتاح خاطره * أنى معنى الامانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط أبا الحزم الرضا قدر * عن كشف ضرى فلا عتب على القدر
من لم أزل من تدانيه على ثقة * ولم أبت من تجنيه على حذر

وله يتغزل ويعاتب من يستعطفه ويتنزل

يامستخفا بعاشقيه * ومستغشا لناصحيه
ومن أطاع الوشاة فينا * حتى أطعنا السلو فيه
الحمد لله اذ أرانى * تكذيب ما كنت تدعيه

رومية الى ايليا وذلك بعد ارتفاع المسيح بار بعين سنة فقتل وأسر وسبى وخرب ثم ملك بعد نيرون بن سابور (ابن جودر) بن نيرو تسع عشرة سنة ثم ملك بعده أخوه (هرمز) بن نيرو عشر سنة ثم ملك (أرداوان) بن مرداوان أربعين سنة ثم ملك بعده (كسرى) بن ايلاووس بن كسرى اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (ايلاووس) بن ارداوان ابن ايلاووس ثلاث عشرة سنة (قال المسعودى) فهذا وجه آخر غير ما قدمناه وقد قيل فى تاريخ سنى ملوك الطوائف غير ما وصفناوان مدتهم كانت أقل مما وصفنا والاول أشهر وأصح فى مقدار ما ملكوا من السنين مع تباين التواريخ وتضاد ما فيها غير أن الذى حكيناه هو ما أخذناه عن علماء الفرس وهم يراعون من تواريخ من سلف ما لا يراعيه غيرهم لان الفرس تدين بما وصفنا قولا وعملا وغيرهم من الناس يقول ذلك ولا ينقاد اليه عملا لتباين أهل الشرائع وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على الغرر من أخبار الطوائف وسيرهم وبالله التوفيق

*(ذكر أنساب فارس وما قاله الناس فى ذلك) * تنازع الناس فى الفرس وأنسابهم فمنهم من رأى أن فارس بن ناسوه

من قبل أن يهزم النسلى * ويغلب الشوق ما يليه انتهى

وما أحسن قول ابن زيدون المذكور فى قصيدته النونية الشهيرة

غص العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا

ومن أغرب ما وقفت عليه موشحة لابن الوكيل دخل فيها على أعجاز نونية ابن زيدون وهى

غدا منادينا محكما فينا يقضى علينا الاسى لولا تناسينا

بحر الهوى يغرق * من فيه جهده عام

ونار ه تحرق * من هم اوقدها ام

ورب ما تقلق * فتى عليه نام

قد غير الاجسام وصير الايام سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

ياصاحب النجوى * قف واستمع منى

آيالك أن تهوى * ان الهوى يضنى

لاتقرب البلوى * اسمع وقل عنى

بحاره مره خضنا على غرره حينا فنام بها الناعى ناعينا

من هام بالغيد * لاقى بهم هما

بذلت مجهودى * لاحور ألمى

بهم بالجود * ورد ماهما

وعندما قد جاد بالوصل أو قد كاد أضحى التنائى بديلا من تدانينا

بحق ما بينى * وبينكم الا

أقررتم عينى * فتجمعوا الشملا

فالعين بالبين * بفقدكم أبلى

جد بدما قد كان بالاهل والاخوان وموردا للهوصاف من تصافينا

ياجيرة بانت * عن مغرم صب

لعهده خانت * من غير ما ذنب

ماهكذا كانت * عوائد العرب

لاتحسبوا البعدا بغير العهدا اذ ظالما غير النأى المجفينا

ياناز لا بالبان * بالشفع والوتر

والنمل والفرقان * والليل اذا يسر

وسورة الرحمن * والنحل والحجر

هل حل فى الاديان أن يقتل الظمآن من كان صرف الهوى والود يسقينا

ياسائل القطر * عرج على الوادى

من ساكنى بدر * وقف بهم نادى

عسى صباتسرى * لمغرم صادى

ان شئت تحيينا بلغ تحيينا من لو على البعد حيا كان يحيينا

وغيره من علماء العرب ففارس ونبيط أخوان ابنا ناسور ومنهم من زعم انه من ولد يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله عليهم ومنهم من ذكر أنه من ولد ارم بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانه ولد بضع عشرة رجلا كلهم كان فارسا شجاعا فسموا الفرس بالفروسية وفى ذلك يقول حطان بن المعلى الفارسى وبنا سمى الفوارس فرسا ناومنا مفاجب الفرسان

وكهول طواهم الركض والكر كمثل الكركان يوم الطعان

وقد زعم قوم ان الفرس من ولد لوط من ابنته وهى دعوى ولاصحاب التواريخ فى هذا خبر طويل وذكر آخرون انهم من ولد بوان ابن الاسود بن سام بن نوح وبوان هذا هو الذى ينسب اليه شعب بوان من بلاد فارس وهو أحد المواضع المشهورة فى العالم بالحسن وكثرة الاشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الاشجار وقد ذكره بعض الشعراء فقال

شعيب بوان فدار الراهب ثم تلقى راحة النوائب

ومنهم من راى أن الفرس من ولد ايران بن افريدون وقد قدمنا فى صدر هذا الكتاب أخبار ولد افريدون حين وافت

وافت لنا أيام * كأنها أعوام
وكان لى أعوام * كأنها أيام
عمر كالاحلام * بالوصل لى نوادم
والكاس متعه حثت مشعشعه فيها الشمول وغنانا مغنينا

*(رجع الى ما يتعلق بقرطبة) قال الوزير أبو بكر بن القبطرنة خاطب الوزير أبا الحسن ابن سراج وقد كرله اخوانه بقرطبة

ياسيدى وأبى هوى وجلالة * ورسول ودى ان طلبت رسولا
عرج بقرطبه ولدان جنبها * بابى الحسين وباده يعويلا
فاذا سعدت بنظرة من وجهه * فاهد السلام لكمه تقبيلا
واذكر له شكرى وشوقى مجملا * ولو استطعت سردته تفصيلا
بتحيه تهدى اليه كأنما * جرت على زهر الرياض ذبولا
وتشم منها المصطفى على النوى * نعماينسى السوس المبلولا
والى أبى مروان منه نفحه * تهدى له نورا ونشرا مطلولا
وادالفيت الاخطبى فسقه * من صفو ودى قرقفا وشمولا
وأبر على سق منها رباعه * مسكا بماء غمامة محلولا
واذكرلهم زمنا يهب نسيمه * أصلا كنفث الراقيات عليلا
مولى ومولى نعمه وكرامة * وأحا اخاء خالصا وخليلا
بالخير ما عبست هناك عماسة * الا تضاحك اذ خرا وجليلا
يوما وليلا كان ذلك كله * سحرا وهذا بكرة وأصيلا
لا أدركت تلك الاهلة دهرها * نقصا ولا تلك النجوم أفولا

قال أبو نصر الحيرى الذى ذكرهنا هو حيرالرجالى حاج باب اليهود بقرطبة الذى يقول فيه ابو عامر بن شهيد

لقد اطلعوا عند باب اليهو * د شمسا الى الحسن تكسوها
نراه اليهود على بابها * اسيرا فتسبه بوسها

وهذا الحيز من ابدع المواضع واجلها وانهاها حسنا واكملها محتفه بمرصافى البياض يحتفه جدول كالحية الفضفاض به جانبه كل جنة بها كاتبه قد قربصت بالذهب واللازورد سماؤه وتازرت بهما جوانبه وارجاؤه والروض قداء دلت اسطاره وانسمت من كمائمها ازهاره ومنع الشمس ان ترمق ثراه ونعطر النسيم بهبوبه عليه ومسراه شهدت به لياليا واياما كانما نسورت من لمحات الاحباب اوقدت من صفحات ايام الشباب وكانت لابى عامر بن شهيد به فرج وراحات أعطاه فيها الدهر ماشاء ووالى عليه الصحو والانشاء وكان هو وصاحب الروض المدفون بازائه اليوم صبوة وحليفى نشوة عكفا فيه على جريالهما وتصرفا بين زهوهما واختيالهما حتى رداهما الردى وعداهما الحمام عن ذلك المدى فتجاورا فى الممات تجاورهما فى الحيات وتقلدت عنهما وارفات تلك الفيآت والى

٣٨ ط ل

تنا كر بين الفرس جميعا فى أنهما من ولد ايراج جميعا وأيراج هو ايرا بن افريدون هذا هو المستفيض بينهم والاغلب عليهم أنهم من آل ايراج ومن الناس من ذهب الى ان سائر احماس الفرس وأهل كور الاهواز من ولد سام ولا خلاف بين الفرس فى ان الجميع منهم من ولد كيومرث وهذا هو الاشهر وكيومرث هو قبل ايراج بن افريدون وايراج ابن افريدون هو الذى ترجع اليه فارس من ولد كيومرث ومن الناس من ذهب الى ان الفرس الثانية وهم الساسانيون من سلف من الفرس الاولى هم من ولد منوجهر بن أفريدون ومنهم من ذهب الى أن منوجهر هو ابن منشخر بن أفريرس بن ونرك وونرك هو ابن ضحاك بن ابراهيم الخليل وسار منشخر الى أرض فارس وكان بها امرأة متملكة يقال لها كورك ابنة ايراج فتزوجها فولدت له منوجهر الملك وكثر ولده فملكوا الارض وغلبوا عليها وهابتهم الملوك لما هم عليه من الشجاعة والفروسية ودثر ذكر الفرس الاولى كدثور الامم الماضية والعرب العاربة (قال المسعودى) وأكثر حكماء العرب من نزار بن معد يقول هذا ويعمل عليه فى بدء النسب ويعاد اليه

كثير من الفرس ولا ينكرونه وقد ذكرته شعراء العرب من نزار بن معد وافتخرت على اليمن من قحطان

بالفرس وانها من ولد اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام فقال في ذلك اسحق بن سويد العدوي عدي قريش

اذا افتخرت قحطان يوما بسودد
أبى فخرها أن عاد فيها أسودا
ملوكا هم بدء باسحق سمنا
وصاروا الى آخر ما لى الدهر أعبدا

فان كان منهم تبع وابن تبع
فاملاكهم كانوا الاملاك كابدا
ويجمعنا والعرب ابناء عمارة
أب لا يبالى بعده من تفردا
هم ملكوا شرقا وغربا ملوكهم
وهم منحوهم بعد ذلك سؤددا

وفي ذلك أيضا يقول حرير ابن الخطفى التميمي يفخر على قحطان بان الفرس والروم من اولاد اسحق والانبياء من ولد يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليه السلام من كلمة طويلة يقول فيها

وأبناء اسحق الليوث اذا ارتدوا
جنائل موى لا يسين السنورا
اذا افتخروا عدوا الصهيد منهم
وكسرى وعدوا الهرمزين وقيصرا

وكان كتاب الله فيهم ونوره * وكانوا اصطفى الملوك وتسترا ثم

ذلك العهد أشار بن شهيد وبه عرض وبشوقه صحيح ومرض حيث يقول عند موته يخاطب أمامروان صاحبه أن يدفن بازائه ويكتب على قبره

ياصاحبي قم فقد أطلنا * أنحن طول المدى هجود
فقال لي ان نقوم منها * مادام من فوقنا الصعيد
نذكرك ليله نعمنا * في ظلها والزمان عيد
وكم سرور هممي علينا * سحابه ثره نجود
فحبه مسرعا تعصى * وشؤمه حاضر عتيد
حمله كاتب حفيظ * وضمه صادق شهيد
ياويلنا ان تنكبتنا * رحمة من بطشه شديد
ياربنا عفوا فأنت مولى * قصر في أمرك العبيد انتهى

ثم قال بعد كلام وركب أبو الحسن بن القبطرنة الى سوق الدواب بقرطبة ومعه أبو الحسين بن سراج فنظر الى أبي الحكم بن حرم غلاما كما تعشق غانيه وهو يروق كأنه زهر فارق كأنه فسأل أبا الحسين بن سراج أن يقول فيه فارتجل عليه فثنى عنان القول اليه فقال:

رأى صاحبي عمرا فكلف وصفه * وحملني من ذاك مالبس في الطوق
فقلت له عمرو كعمرو فقال لي * صدقت ولكن ذا أشب على الطوق انتهى

وكان بنو القبطرنة بالاندلس أشهر من نار على علم وقد تصرفوا في البراعة والقلم ولهم الوزارة المذكورة والفضائل المشكورة ولذا قال أبو نصر في حقهم ماصورته هم للمجد كالاثافي ومامنهم الا موفور القوادم والخوافي ان طهروا زهروا وان تجمعوا تضوعوا وان نطقوا صدقوا ماؤهم صعو وكل منهم لصاحبه كفو أنارت بهم نجوم المعالي وشموسها ودانت لهم ارواحها ونفوسها ولهم النظام الصافي الرجاجة المضمحل البجاجة انتهى ثم قال وبات منهم أبو محمد مع أخويه في أيام صباه واستطابة جنوب الشباب وصباه بالمنية المسماة بالبديع وهو روض كان المتوكل يكلف عوافانه ويبتهج بحسن صفاته ويقطف رياحينه وزهره ويوقف عليه اغفاءه وسهره ويستفزه الطرب متى ذكره وينهز فرص الانس فيه روحانه وبكره ويديرحياه على صفة نهره ويخلع سره فيه لطاعة جهره ومعه اخواه فضاردوا اللذات حتى انستوها ولبسوا برود السرور ومانضوها حتى صرعتهم الاعفار وصلحتهم تلك الاوفار فلما هم رداء الفجر أن يندى وجبين الصبح أن يتبدى قام الوزير أبو محمد فغنى

ياشعبني واف الصباح بوجه * سفر الليل نوره وبهاؤه
فاصطبح وانتهم مسرة يوم * ليست تدري بما يجيء مساؤه

ثم استيقظ اخوه أبو بكر فقال

ياأخي قم ترى النسيم عليلا * باكر الروض والمدام شمولا
لا تنم واغتنم مسرة يوم * ان تحت التراب نوما طويلا
في رياض تعانق الزهر فيها * مثل ماعانق الخليل الخليلا

ثم استيقظ اخوهما أبو الحسن وقد هب من غفلة الوسن فقال

يا صاحبي ذرا لومي ومعتبتي * قم نصطبح خمرة من خير ماذخروا
وبادرا غفلة الايام واغتنما * فاليوم خمر و يسدو في غد خبر

وساق صاحب البدائع هذه القصة فقال وذكر أبو الفتح ما هذا معناه انه خرج الوزراء بنو القبطرنة الى المنية المسماة بالبديع وهو روض قد اخضرت مسارح نباته واخضلت مسارى هباته ودمعت بالطل عيون ازهاره وذاب على زبرجده بلور انهاره وتجمعت فيه المحاسن المتفرقة وانحت مقل الحوادث عنه مطرقة خيول النسيم تركض في ميادينه فلا تكبو ونصول السواقي تحسم أدواء الشجر فلا تنبو والزروع قد نقبت وجه الثرى وحجبت عن الارض العيون ما تبصر ولا ترى وكان المتوكل بن الافطس يعده غاية الارب مشهد اللطرب ومدفعا للكرب فما توافيه لبانتهم يديرون لمع لهب يمنون فيه الخلود ويحسون ذوب ذهب لا يصهر به ما بين بطونهم والجلود حتى ترى منهم انية الخابية كانهم أعجاز نخل خاوية فلما هزم روم الصباح زنجي الظلام ونادى الديك حي على المدام انتبه كبيرهم أبو محمد مستعجلا وانشد مرتجلا ياشقيق اخ فانتبه اخوه أبو بكر لصوته وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته وأنبه اياهما أبا الحسن وهو يرتجل يا أخي قم ترى النسيم الى آخره فانتبه أخوه لكلامه وقام من منامه للذة قيامه وارتجل ياصاحبي ذرا الخ انتهى (قال الفتح) ولما أمر المعتمد بن عباد أبا بكر بن القبطرنة السابق الذكر مع الوزير أبي الحسين بن سراج بلقاء ذي الوزارتين أبي الحسن بن اليسع القائد والمشي اليه والنزول عليه نوه بهما بمقدمه وتنبيها على حظوته لديه وتقدمه فصارا الى بابه فوجداه مقفرا من حجابه فاستغربا خلوه من خول وظن كل واحد منهما وتأول ثم أجمعا على قرع الباب ورفع ذلك الارتياب فخرج وهو دهش وأشار اليهما بالتحية ويده ترتعش وأنزلهما حجلا ومشى بين أيديهما عجلا وأشار الى شخص فتوارى بالحجاب وبارى الريح سرعة في الاحتجاب فقعدا ومقلة الخشف ترمق من خلال السجف فانصرفا عنه وعزما أن يكتبا اليه بما فهما منه فكتبا اليه

سمعنا خشفة الخشف * وشمنا طرفة الطرف
وصدقنا ولم نقطع * وكدنا ولم نسف
فأصبنا لا جلا ذلك عن اكروسة الطرف
ولم نقصف وقد جئنا * لك ما ننهض من ضعف
وكان الحكم ان تحمل أو تردف في الردف

فراجعهما في الحين بقطعة منها

أيا أسفي على حالي * سلبت بها من الطرف
ويا لهفي على جهل * بصف كان من نصف

انتهى

ولاهل الاندلس في مغاني الانس الحسان مالا يفي به لسان وقال الفتح في ترجمة الوزير أبي الفضل بن حشداى بعد كلام ما صورته فنها هذه القطعة التي أطلعها نيرة وترك الالباب

أبونا خليل الله والله ربنا
وضبنا ما أعطى الالاه وقدرا
وفي ذلك يقول بشار بن برد
عتى الكرام بنو فارس
قريش وقومي قريش
العجم
وقال أحد شعراء الفرس
يذكر أنه من ولد اسحق
وأن اسحق هو المسمى
وترك على حسب ما تقدمنا
قبل من كلمة له
أبونا وترك وبه أحاجي
اذا فخر المفاخر بالولاده
أبونا وترك عبد رسول
له شرف الرسالة والزهاده
عن مثلي اذا افتخرت قروني
وبيتي مثل واسطة القلاده
ومن الفرس من يزعم أن
وترك هو ابن أبريك وابن
أبريك ابن سبع نسوة تولدن
من غير ذكر الى أن يلحقن
نسبهن بايراج بن أفريدون
وهذا مما يدفعه العقل ويأباه
الحس ويخرج عن العادة

وتنبو عنه المشاهدة الا ما خص الله تعالى به السيد المسيح بن مريم عليه السلام ليؤدي آياته ودلائله الخارجة عن العادة

بها متحيرة في يوم كان عند المقتدر بالله مع علية قد اتحدوا الحد حليه والامل قد سمرلهم عن محياه وعبق لهم عن رياه فصافحه الكل منهم وحياه وشمس الراح دائرة على فلك الافراح والملك ينشر فضله وينشروا بله وطله يسدي العلاء ويهب الغنى والغناء فصدحت الغواني وافصحت المثالث والمثاني بما استنزل من مرقب الوقار وسرى في النفوس مسرى العقار

توريد خدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصلك ان واصلت جنات
كانما الراح والراحات تحملها * بدور تم وايدي الشرب هالات
حشاشة ماتركنا الماء يقتلها * الا التحيا بها منا حشاشات
قد كان في كاسها من قبلها ثقل * نخف اذ مستمنها الزجاجات
عهد للبني تقاضته الامانات * بانت وما قضيت منها البانات
يدني التوهم للمشتاق منزحا * من الامور وفي الاوهام راحات
تقضي عدات اذا هب الكرى واذا * هب النسيم فقد تهدي تحيات
زور يعلل قلب المستهام به * دهرا وقد بقيت في النفس حاجات
لعل عتب الليالي أن يعود الى * عتبى فيبلغ أوطار ولذات
حتى يفوز بما جاد الخيال به * فربما صدقت تلك المنامات

ولما اعرس المستعين بالله ببنت الوزير الاجل أبي بكر عبد العزيز احتفل ابو الوزير في ذلك احتفالا اشهره وأبدع فيه ابداعا راق من حضره وبهره فانه أحضر فيه من الآلات المبتدعة والادوات المخترعة ما بهر الالباب وقطع بذكائه دون معرفتها الاسباب واستدعى اليه جميع أعيان الاندلس من دان وقاص ومطيع وعاص فأتوه مسرعين ولبوه متبرعين وكان مدير تلك الآراء ومدبرها ومنشئ مخاطباتها ومحبرها الوزير الكاتب أبو الفضل وصدرت عنه في ذلك الوقت كتب ظهر اعجازها وبهر افتضابها وايجازها * فمن ذلك ما خاطب به صاحب المظاهر أبا عبد الله بن طاهر محلك أعزك الله في طي الجوانح ثابت وان نزحت الدار وعيانك في احناء الضلوع بادوان شحط المزار فالنفس فائزة منك بتمثل الخاطر بأوفر الحظ والعين نازعة الى أن تمتع من لقائك بنظر اللحظ فلا عائدة أسبغ بردا ولا موهبة أسوغ وردا من تفضلك باللحوق الى ما يتم بمشاهدتك التئامه ويتصل بحاضرتك انتظامه ولك فضل الاجمال بالامتاع من ذلك بأعظم الآمال وانا أعزك الله على شرف سودد كريم وعلى مشرع سنائك حاتم وحسبي ما تحققه من نراعي وتشوقي وتنيقنه من تطلعي وتنوقي وقد تمكن الارتياح باستحكام الثقة واعترض الاقتراح باستحباب الصلة وانت وصل الله سعدك بسماحة شيمك وبارع كرمك تنشئ للمؤانسة عهدا وتورى بالمكارمة زندا وتقتضي بالمشاركة شكرا حافلا وحمدا لازلت مضيئا بالسعود المقبلة مسوغا اجتلاء غرر الامالي المتهللة بمنه انتهى (ثم قال) بعد هذا بيسير مانصه وركب المستعين بالله يوما نهر سرقسطة يريد طرادا لذنه وارتياد نزهته واقتاد احد حصونه المنتظمة بليته

ولد أفريدون ابنت ايراج ووطئه بنت البنت الى ان سبع منوچهر وقد كان بين ملك منوچهر بن منشخر ابن افريرس بن وترك على ماذكرنا وبين ملك أفريدون مدة خلت من الدهر وعدة من الدول لتحرب كان باقليم بابل وعدم ذي همة تنقاد اليه المملكة ويستقيم له الملك وتجتمع عليه الكلمة وانتقل الملك من ولد أفريدون الى ولد اسحق فان هذا ان ماذكرناه هو المعول عليه من قول هذه الطائفة يجب على ما يوجبه الحساب أن من كيومرث الى انتقال الملك الى ولد اسحق ألفا وتسعمائة واثنتين وعشرين سنة كذلك وجدت في كتب توارث هذه الطائفة بارض فارس وبلاد كرمان (قال المسعودي) وقد افتخر بعض أبناء الفرس بعد التسعين والمائتين بعده اسحق بن ابراهيم الخليل على ولد اسمعيل بان الذبيح كان اسحق دون اسمعيل فقال من كلمة له

قل لبني هاجر ما بنت لكم ماهذه الكبرياء والعظمه
ألم تكن في القديم أمكم لامنا سارة الجميل امه
والملك فينا والانبياء منا ان تنكروا ذاك تجدوا أظلمه

واجتمع

واجتمع له من أصحابه من اختصه لاستصحابه وفيهم أبو الفضل مشاهد الافراجهم سالكا مناهجهم والمستعين قد أحضر من آلاته اينا سه وأظهر من أنواع ذلك واجناسه ما راق من حضر وفاق حسنه الروض الانضر والزوارق قد حفت به والتفت بجوانبه ونغمات الاوتار قد حبس السائر عن عدوه وتخرس الطائر المفصح بشدوه والسمك تشيرها المكايد وتغوص اليها المصايد فتبرز منها للعين قضبان در أو سبائك بجين والراح لا يطمس لها لمع ولا يحس منها بصر ولا سمع والدهر قد غضت صروفه واقتص من نكره معروفه فقال

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفتضح مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا * فيه بعتبي وأبدى صفح معتذر
نسير في زورق حف السفين به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به نشرا على ملك * بذ الاوائل في أيامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * عليا مؤتمن عن هدى مقتدر
تحوي السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار في نهر
تصاد من قعره الثعبان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كأن ريق يعذب في ورد وفي صدر
والشرب في مدح مولى خلقه زهر * يذكو وغرته أبهى من القمر

انتهى (وقال) في ترجمة العلامة الكبير الاستاذ أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي شارح أدب الكاتب وسقط الزند وغيرهما ما صورته أخبرني انه حضر مع المأمون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمح اليها المنى ومرآها هو المقترح والمتمنى والمامون قد احتبى وأفاض الحبا والمجلس يروق كالشمس في أفقه والبدر في مفرقه والنور عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب بين كنافة ثرثار الحوار أو كشكلى من حر الاوار والجو قد عنبرته أنواؤه والروض قد رشته أنداؤه والاسد قد فغرت أفواهها وبجت أمواهها فقال

يا منظرا ان فظرت بهجته * أذكرني حسن جنة الخلد
تربة مسك وجو عنبرة * ونسيم ند وطش ماورد
والماء كالللازورد قد نظمت * فيه اللآلي فوائر الاسد
كأنما جائل الحباب به * يلعب في جانبيه بالنرد
تراه بزهو اذا يحل به * المامون زهو الفتاة بالعقد
تخاله ان بدا به قمرا * تما بدا في مطالع السعد
كأنما ألبست حدائقه * ماحاز من شيمة ومن مجد
كأنما جادها فروضها * بوابل من يمينه رغد
لازال في رفعة مضاعفة * متمم الوفد وارى الزند

(وقال) في وصف هذا المجلس بعينه في الكتاب الذي أفرده لترجمة ابن السيد ما صورته في

تلم قريش الاحساب مفخرة
أصل لنا ان كنتم بنوه فه
اما بنو يعرب فليسوا كمن
أسكنه الله آمنا حرمه
ولا كابناء فارس وهم
في الارض مثل الاسود في
الاجمه

وهي قصيدة طويلة ذكر فيها كلاما كثيرا لم يسعنا ذكره وقد أجابه عبد الله ابن المعتز وكان قائل هذه القصيدة في عصره وعمر الى أن مضت الثلثمائة بنيف وقد في أبيات منها عن ذلك قوله

أسمع صوتا ولا أرى أحدا
من ذا الشقي الذي أباح دمه
حاش لاسحق أن يكون لكم
أبا وان كنتم بنوه فه
قولا لكلب يرى لبغشته
قد قعد الليث للفرائس فه
والفرس لا تنقاد الى
القول بان الملك يكون فيها
لاحد غير ولد أفريدون في
عصر من الاعصار فيما
سلف وخلف الى أن زال
عنهم الملك الا أن يكون
دخل عليهم داخل على
طريق التغلب بغير حق
وقد كانت أسلاف الفرس
تقصد البيت الحرام
وتطوف به تعظيما له

وجدها ابراهيم عليه السلام وتمسكا بهديه وحفظا لانسابها وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك جد أردشير بن بابك

الى العباس بن عبد المطلب

ولما قرب الفرس الثانية أحد الامن ولد أزدشير بابك هذا فكان ساسان اذا أتى البيت طاف به وزمزم على بئر اسمعيل فسمى اسمعيل انما سميت زمزم لزمزمة منه عليها هو وغيره من فارس وهذا يدل على تراخى كثرة هذا الفعل منهم على هذا البئر وفى ذلك يقول الشاعر فى قديم الزمان

زمزمت الفرس على زمزم ... وذاك من سالفها الاقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الاسلام بذلك فقال من كلمة

ومازلنا نحج البيت قدما ... ونلقى بالاباطح آمنينا

وساسان بن بابك سار حتى ... أتى البيت العتيق يطوف دينا

فطاف به وزمزم عند بئر ... لاسمعيل تروى الشارب منا

وكانت الفرس تهدى الى الكعبة أموالا فى صدر الزمان وجواهر وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجوهرا ونسوفا وذهبا كثيرا فقذفه فى زمزم وقد ذهب قوم من مستقى الكتب فى التواريخ وغيرها من السير أن ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة وجرهم لم تكن ذات مال فعلى هذا يحتمل أن يكون لغيرها والله أعلم

ذلك انه حضر مع القادر بالله بن ذى النون بمجلس الناعورة بطليطلة فى المنية المتناهية البهاء والاشراف المباهية لزوراء العراق التى يمنع شذاها العطر و يكاد من الغضارة ينحطر والقادر بالله رحمه الله قد الف الوفاء وارتداه وحكم العفاف فى جوده وبداه والمجلس يشرف كالشمس فى الحمل ومن حواه يبهج كالنفس عند منال الامل والزهر عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب يئن كنافقة اثر حوار الى آخر ما سبق (وقال الفضل) فى وصف هذا المجلس حاذيا حذو الفتح ما صورته حضر الاستاذ أبو محمد بن السيد عند المأمون ابن ذى النون فى بعض متنزهاته فى وقت طاب نعمه وسرت بالسعود نجومه والروض قد أجاد وشيه رائقه والماء قد جرت بين الاعشاب أرائقه وثم بركة معلوة كأنها مرآة مجلوة قد انحدرت سباع الصفر بشاطئها غابا ومجت بها من سائغ الماء لعابا فكأنها آساد عين ادلعت ألسنة من لجين وهى لا تزال تقذف الماء ولا تفتر وتنظم لآلى الحباب بعد ما تنثر فلما وصف ذلك الموضع الذى تحدا اليه ركائب القلوب وتوضع فقال بديها يا منظرا الخ انتهى (ثم قال الفتح) فى هذا التصنيف بعد كلام فى المذكور مانصه وما أبدع قوله فى وصف الراح والحض على النبذ للهموم والاطراح بمعاطاة كاسها وموالاة ابناسها ومعاقرة دنانها واهتصار ثمار الفتوة من اغصانها والاعراض عن الايام وانكادها والجرى فى ميدان الصبوة الى أبعد آمادها

سل الهموم اذا نبا زمن ... بمدامة صفراء كالذهب

مرجت من در على ذهب ... طاف ومن حبب على لهب

وكأن ساقيها يشير شذى ... مسك لدى الاقوام منتهب

ولله هو فقد ندب الى المندوب وذهب الى مداواة القلوب من الندوب وابرائها من الآلام واهدائها كل تحية وسلام وابهاجها بآصال و بكر وعلاجها من هموم وفكر فى زمن حلى عاطله وجلى فى أحسن الصور باطله ونفقت محالاته وطبقت أرضه وسماؤه واستحالاته فليثه كاسد وذئبه مستأسد واضغانه تنسر وبغاثه قد استنسر فلا استراحة الا فى معاطاة حميا ومواخاة وسيم المحيا وقد كان ابن عمار ذهب مذهبه وفضه بالابداع وذهبه حين دخل سرقسطة ورأى غباوة أهلها وتكاثف جهلها وشاهد منهم من لا يعلم معنى ولا فصلا ووصل من لا يعرف قطعا ولا وصلا فاقبل على راحه يتعاطاها وعكف عليها ما تعداها ولا تخطاها حتى بلغه أنهم نغموا ما قرنه العقار وجالت ألسنتهم فى توبيخه جهال ذى الفقار فقال

نقمتم على الراح أدمن شربها ... وقلتم فتى راح وليس فتى مجد

ومن ذا الذى فاد الجياد الى الوغى ... سواى ومن اعطى كثيرا ولم يكدى

فديتكموا لم تفهموا السر انما ... قليتكم جهدى فابعدتكم جهدى

ودعى ابن السيد ليلة الى مجلس قد احتشد فيه الانس والطرب وقرع السرور تبعه بالغرب ولاحت نجوم أكواسه وفاح سيم رنده وآسه وأبدت صدور اباريقه اسرارها وضمت عليه المجالس أزرارها وانراح يدبرها أهيف أوطف والامانى تجنى وتقطف فقال

يارب ليل قد هتكت حجابه * بمدامع وفادة كالكوكب
يسعى بها أحوى الجفون كأنها * من خده ورضاب فيه الاشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه * يسعى ببدر جامح للمغرب
فاذا نعمت برشف بدر غارب * فانعم برشفة طالع لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها * حول المجرة زبرج في مشرب
والليل مغبر يطير غرابه * والصبح يطرده بباز أشهب

(ثم قال الفتح) بعد كلام كثير ما صورته ودخل يعني ابن السيد سرقسطة أيام المستعين وهي جنة الدنيا وفتنة الحيا ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف ملك عمر الدشاشة كثير الحشاشة وملك أبهج الغناء أرج الارجاء بروق المجتلى ويهوى النجم المعتلى وحضيرة مغنى ابة الماء منجابة السماء يبسم زهرها ويتساب نهرها وتتفتح خمائلها وتتضوع صباها وشمائلها والحوادث لا تعترضها والكوارث لا تفترضها وبارها من عرس الى موسم وآهلها متصل بالامانى ومتسم فتزل منها في مثل الخورنق والسدير وتصرف فيها بين روضة وغدير فلم يخف على المستعين احتلاله ولم تخف لديه خلاله فذكره معلما به ومعرفا وأحضره منوها به ومشرفا وقد كان غرم من ابن رزين مرارا السرور من نفس الحزين وخلص من اعتقاله حلوص السيف من صقاله فقال يمدحه

هموا سلبوني حسن صبري ادبانوا * باقمار أطواق مطالعها بان
لئن غادروني باللوى ان مهجتي * مسايرة اطعانهم حيثما كانوا
سقى عهدهم بالخيف عهد غمائم * ينازعها نهر من الدمع هتان
ألا حبذا هل ذلك العهد راجع * وهل لي عنكم آخر الدهر سلوان
ولي مقلة عبرى وبين جوانحي * فؤادي الى انقسامكم الدهر حيران
تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم * وحمت بنا من معضل الخطب الوان
أناخت بنا في أرض شنتمرية * هواجس ظن خان والظن خوان
وشمر بروقا للمواعيد أتعبت * نواظرنا دهرا ولم يهتم هتان
فسرنا وما نلوي على متعذر * اذا وطن أقصاك آونة أوطان
ولا زاد الا ما انتشته من الصبا * أنوف وحازته من الماء أجفان
رحلنا سوام الحمر منها لغيرها * فلا ماؤها صد ولا البيت بعدان
الى ملك حاباه بالمجد يوسف * وشاد له البيت الرفيع سليمان
الى مستعين بالاله مؤيد * له النصر حرب والمقادير أعوان
جفتنا بلا جرم كأن مودة * ثنى نحونا منها الاعنة شماس
ولو لم تفدنا سوى الشعر وحده * لحق لنا فيه علينا واحسان
فكيف ولم نجعل بها الشعر مكسبا * فيوجب للمكدي جفاء وحرمان
ولا نحن ممن يرتضي الشعر خطة * وان قصرت عن شأونا فيه أعيان
ومن أوهمته غير ذاك ظنونه * فثم مجال للمقال وميدان

وغيرها مما أودع في زمزم وللناس في الانساب تنازع في بدئها وتشعبها وقد ذكرنا من ذلك جملا وأوردنا منه جوامع يكتفي ذو المعرفة بالاشارات عما وراءها من كثير من مذهبها

(ذكر ملوك الطوائف وهم الفرس الذين ملكوا الاندلس وأخبارهم)

كان أول من تنسب الملوك اليه ملوكهم على حسب ما قدمنا في الباب الذي قبل هذا أردشير بن بابك شاه بن ساسان بن بهمن بن دارا بن ساسان بن بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب ولا خلاف بينهم في أن أردشير من ولد منوجهر وكان مما حفظ من قوله يوم ملك وقتل أردوان وفرغ من ملوك الطوائف ووضع التاج على رأسه أن قال الحمد لله الذي خصنا بنعمه وشملنا بفوائده وفسحه ومهد لنا البلاد وقاد الى طاعتنا العباد بحمده بعد من عرف فضل ما أولاه ونشكره شكر الداري بما منحه واصطفاه الاولى ساعون في اقامة مسازل العدل وادرار الفضل وتشييد المآثر وعمارة البلاد والرأفة بالعباد ورم أقطار المملكة ورد ما انثلم في سائر الايام منها فليسكن طائركم أيها الناس فاني أعم بالعدل القوي والضعيف والدني والشريف وأجعل العدل سنة

(قال المسعودى) واردشير ابن بابك المتقدم فى ترتيب طبقات الندماء وبه اقتدى المتأخرون من الملوك والخلفاء وكان يرى ان ذلك من السياسة ومما يدعم عمود الرياسة فكانت طبقات حاشيته ثلاثا * الاولى الامراء وابناء الملوك وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك على نحو من عشرة اذرع وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم * وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة أذرع من الاولى وهم وجوه المرازبة وملوك الاكرون والمقيمون ببابه أردشير والمرازبة وهم الاصبهبذية ممن كانت مملكة الاكرون فى أيامه والطبقة الثالثة كانت رتبتها على قدر عشرة أذرع من حد مرتبة الطبقة الثانية وأهل هذه الطبقة المضحكون وأهل البطالة والهزل غير أنه لم يكن فى هذه الطبقة الثالثة خسيس الاصل ولا وضيع القدر ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول أو القصر ولا مأوف ولا مرمى بأبنة ولا ابن ذى صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام ولو كان يعلم الغيب أو حوى كل العلوم مثلا وكان أردشير يقول ما شئ أضر على نفس ملك أو رئيس أو ذى معرفة ونحاتها

حليلتى من بعدى على زمن له * اذا ما قضى حيف على وعدوان
وهل رى من قبلى غريق مدامع * يفيض بعينيه الحيا وهو حران
وهل طرفت عين لمجد ولم يكن * لها مقلة من آل هود وانسان
بوجه ابن هود كلما أعرض الورى * صحيفة اقبال لها البشر عنوان
فتى المجد فى برديه بدر وضيغم * وبحر وقدس ذو المضاب وثهلان
من الغر الشم الذين أكفهم * غيوث ولكن الخواطر نيران
ليوث شرى ما زال منهم لدى الوغى * هزبر بمناه من السم ثعبان
وهل دوف ما قد شاد مقتدر لهم * ومؤتمن الله لفياه ايمان
ألا ليس فخر فى الورى غير فخرهم * والا فان الفخر زور وبهتان
فيا مستعينا مستغاثا لمن نبا * به وطن يوما وعضته أزمان
كسوتك من تظمى قلادة مفخر * يباهى بها جيد المعالى ويردان
وان قصرت عما لبست فربما * تحاور در فى النظام وم جان
معان حكمت نضج الحسان كأنني * بهن حبيب أو بطليوس بغدان
اذا غرست كفاك غرس مكارم * بأرضى أجنتك الثنا منه اغصان

(وقال) فى وصف مجلس لابى عيسى بن لبون أحضر اليه ابن السيد منوها بقدره ماصورته وأحضره الى مجلس نام عنه الدهر وغفل وقام لغرط أنسه واحتفل قد بانت صروفه ودنت من الزائر قطوفه وقال هلم بنا الى الاجتماع بمذهبك والاستمتاع بما شئته من براعة أدبك فأقاموا يعملون كاسهم و يصلون اياسهم وباتوا ليلتهم ما طرفهم نوم ولا عداهم عن طيب اللذات سوم ثم قال بعد كلام كثير وحضر ابن السيد عند عبد الرحمن الظافر بن ذى النون مجلسا رفعت فيه المنى لواءها وخلعت عليه اضواءها وزفت اليه المسرات أبكارها وفارقت اليه الطير أوكارها فقال يصف

لم تر عيني مثله ولا ترى * أنفس فى نفسى وأبهى منظرا
اذا تردى وشيه المصورا * من حوك صنعاء وحوك عبقرا
ونسج قرقوب ونسج تسترا * خلت الربيع الطلق فيه نورا
كأنما الابريق حين قرقرا * قدام لثم الكاس حين فغرا
وحشية ظلت تناغى جؤذرا * ترضعه الدر و يرنو حذرا
كأنما مج عقيقا أحمرا * أوفت من رياه مسكا أذفرا
أو عابد الرحمن يوما ذكرا * فنم مسكا ذكره وعنبرا
الظافر الملك الذى من ظفرا * بقربه نال العلاء الاكبرا
لو أن كسرى راءه أو قيصرا * هلل اكبارا له وكبرا
تندى سماء الملك منه قطرا * اذا حجاب المجد عنه سفرا
يا أيها المضنى المطايا بالسرى * تبغى غمام المكرمات الممطرا

انتهى (وقال الفتح) فى ترجمة الاديب أبى القاسم بن العطار ماصورته هو أحد أدباء اشبيلية

ونحاتها العامرين لارجاء المعارف وساحاتها لولا مواصلة راحاته وتعطيل بكره وروحاته ومواتاته للفرج ومعالاته فى عرف الانس والاريحية لايعرج الاعلى صفة نهر ولا يدهج الا بقطفة زهر لم يحفل بملام ولم يشتغل الا فى طاعة غلام ماهيك من رجل محلوع العنان فى ميدان الصبابة مغرم بالحسان غرام بريد بحبابه لاتراه الا ردمة انهماك ولا تلقاه الا فى لمة انهتاك رافع الرايات الهوى قارع الثنيات الجوى لايقمر فؤاده من كاف ولا يبيت الارهن لفة أكثر خلق الله تعالى علاقه وأحصرهم لمشهد حلاقة مع براعة التحرك السكون وضحك الطير فى الوكون وقد أنبت له عذاره محله فى أوقات أنسه وساعاته وهب به أثناء دراته وساعاته من ذلك ما قاله فى يوم ركب فيه النهر على عادات أبكاره وارتصاعه النعور اللدات وارتشاعه

عبر ماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الخيال مخوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس فى سلك الغرود رقوم

وله فيه

مررنا بشاطى النهر بين حدائق * نهادى الازهار تستوقف الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضه * عليه وماء الجو ياقوت لها حلق

وله

هبت الريح بالعشى فحاكت * زرد الغدير ناهيك جمه
واجلى المدير بعد هدا فحاكت * صفحة لم يمنها أسه

وقوله

لله بهجة منزه صربت به * ذوق الغدير رواقها الاسام
مع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلماح منه حسام

وله

لاكالغشية فى رواء حمالها * وبلوغ نفسى منتهى آمالها
ماشئت شمس الارض مشرقة السنى * والشمس قد شدت مطى رحالها
فى حيث تنساب المياه أراقما * وتعيرك الاضياء برد ظلالها

وله

لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالفا ومعاطفا
تحتال فى حلل الربيع وحليه * وتسل الربيع حلائدا ومطارفا

انتهى (وقال الفتح) فى ترجمة ابن عمار أخبرنى ذو الوزارتين الاجل أبو المطرف بن عبد العزيز أنه حضر معه عند المؤمن فى يوم حادت به السماء بهطلها وأسعت وبلها بطلها وارتقب رعدها برقها وانسكب درا كاودقها والازهار قد تحلت من اكمامها وتحلت بدر عمامها والاشجار قد جلى صداها وتوشحت بنداها والكؤس الراح كأنها كواكب تتوقد تدبرها أنامل تكاد من اللطافة تعقد اذا بفتى من فتيان المؤمن أعرس لا يفصح ومسنجم لا يبين ولا يوضح متنمر تنمر الليث متشمر كالبطل المارس عند العيث وقد أفاض على

كذلك تفسد معاشرة الحسيس حتى يقدح ذلك فيها ويزريها عن فضائلها ويثنيها عن محمود شريف أخلاقها وكما أن الرشيد مرت بالطيب حملت طيبا تحيى به النفوس وتقوى به جوارحها كذلك مرت بالبئس حملته ألمت به النفس وأضر بأحلامها اضرارا ناما والفساد أسرع اليها من الصلاح اذ كان الهدم أسرع من البناء وقد يحدد المعرفة فى نفسه عند معاشرة الشقى له الوضعاء شهرا فسادعة له دهرا وكان اردشير يقول يجب على الملك أن يكون قائص العدل فان العدل جماع الخير وهو الحصن الحصين من زوال الملك وتحرمه وان أول تحايل الادبار فى الملك ذهاب العدل منه وانه متى حقت رايات الجور فى ديار قوم كاحتها عقاب العدل بردها على العقب وليس أحد ممن يحب الملوك ويحافظهم أولى باستجماع حماس الاخلاق وفضائل الآداب وطرائف الملح وغرائب النتف من الديم حتى انه لتحتاج أن يكون له مع شرف الملوك تواضع العبد ومع عفاف

نفسه درعا تضيق بها الاسنة ذرعا وهو يريد استشارة المؤمن فى التوجه الى موضع بعثه اليه ووجهه وكل من صده عنه نهره ونجهه حتى وصل الى مكان انفراده ووقف بازاء آسده فلما وقعت عين ابن عمار عليه أشار بيده اليه وقربه واستدناه وضمه اليه كأنه ابناه وأراد أن يخلع عنه ذلك العذير وأن يكون هو الساقى والمدير فأمره المؤمن بخلعه وطاعة أمره وسمعه فنضاه عن جسمه وقام يسقى على حكمه ورسمه فلما دبت فيه الحميا وثبت برامه سهجة ذلك الحيا واستراله سوره العفار من مرهب الوقار قال

وهو وسيم يسقى المدام كأنه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متأرج الحركات لدى ربحه * كالغصن هزته الصبا المتنفس
يسعى بكاس فى أنامل سوسن * ويدير أنوى من محاجر نرجس
باحامل السيف الطويل بجانه * ومصرف الفرس العصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس
جهم وان حسر اللثام فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يضحى ويلعب فى دلال عذاره * كالمهر يمرح فى اللجام المحرس
سلم فقد قصف القناعاص القا * وسطا بليث العاب طى المكنس
عنا بكاسك قد كفتك مقله * حوراء قائمة بسكر المجلس

وأورد هذه القصيدة صاحب البدائع بقوله حضر أبو المطرف بن عبد العزيز عند المؤمن بن هود فى يوم أجرى الجو فيه أشفر برقه ورمى بليل ودقه وتحملت الرياح فيه أوقار السحاب على أعنادها وتمايلت قامات الاغصان فى الحلل الخضر من أوراقها والرياح قد اشرفت بحومها فى بروج الراح وحاكت شمسها شمس الافق فتلاعبت بغيوم الاقداح ومديرها قد دب ظرفا فكاد يسيل من اهابه وأحمل خدها حسنا فتظلل بعرف حبابه اذا بفتى من فتيان المؤمن قد أقبل متدرعا كالبدر اجتاب سحابا والخمر قد كانت حجابا وقد جاء يريد استشارة المؤمن فى الخروج الى موضع قد كان عوّل فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه حين لحقه ابن عمار والسكر قد استحود على لبه وبث سراياه فى ضواحى قلبه حدثنى أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلى عنه سهكه كما يجلى الخبث عن الخلاص وأن يكون هو الساقى فامره المؤمن بمقبول أمره وامتثاله واحتذاء أمثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورميت شياطين النفوس من كمين المدام بشهبها ارتجل ابن عمار وهو يتهالخ الا انه قال ثم قوله اياك بادرة الوغى من فارس ماصورته يصع السنان على العذار الاملس * انتهى ولابن عمار الراتية المشهورة فى مدح المعتضد والد المعتمد وهى

أدر المدامة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره * لما استرد الليل منا العنبرا
والروض كالحسنا كساه زهره * وشيا وقلده بداه جوهرا
أوكالغلام زها بورد خدوده * خجلا وناه بآسهن معذرا
روض كأن النهر فيه معصم * صاف أطل على رداء أخضرا

ونهزه ريح الصبا فتخاله * سيف ابن عباد يدعد عكرا
عباد المخضر نائل كفه * والجود قد لبس الرداء الاغبرا
ملك اذا ازدحم الملوك بمورد * ونحاه لاردون حتى يصدرا
أندى على الاكباد من قطر الندى * وألذ فى الاجفان من سنة الكرى
يختار اديهم الحريدة كاعبا * والطرف أجرد والحسام محوهرا
قداح زند المجد لا تنفك من * نار الوغى الا الى نار القرى
لا خلق أقرأ من شفار حسامه * ان كنت شهب الموا كب أسطرا
أيقنت أنى من دراه بجنة * لما سقانى من نداه الكوثرا
وعلمت حقا أن ربى مخصب * لما سألت به الغمام الممطرا
من لا توازيه الجبال اذا احتبى * من لا يسابقه الرياح اذا جرى
ماض وصدر الرمح يكهم والظبا * سبو وأيدى الخيل بعض ثرى
فادا الكتائب كالكواكب فوقهم * من لا مهم مثل السحاب كهورا
من كل أبيض قد تقلد أبيضا * عضبا وأسمر قد تقلد أسمرا
ملك يروقك خلقه أو خلقه * كالروض يحسن منظرا أو مخبرا
أقسمت باسم الفضل حتى شمته * فرأيته فى برديه مصورا
وجهلت معنى الجود حتى زرته * فقرأته فى راحتيه مفسرا
فاح الثرى متعطرا بثنائه * حتى حسبنا كل ترب عنبرا
وتشوجت بالرعد صلع هضابه * حتى ظننا كل هضب قيصرا
هصرت يدى غصن الغنى من كفه * وجنت به روض السرور مورا
حسبى على الصنع الذى أولاه أن * أسعى بجد أو أموت فأعذرا
يا أيها الملك الذى حاز العلا * وحباه منه بمثل حدى أنورا
السيف أفصح من زياد خطبه * فى الحرب ان كانت بعينك منبرا
مازلت تغشى من عنا لك راجيا * نيلا وتنشى من عتا وتحسرا
حتى حللت من الرياسة محجرا * رحبا وضمت منك طرفا أحورا
شقيت بسيفك أمة لم تعتقد * الا الهود وان تسمت برا
أثمرت رمحك من رؤس ملوكهم * لما رأيت الغصن يعشى مثمرا
وصبغت درعك من دماء كلاهم * لما علمت الحسن يلبس أحمرا
واليكها كالروض زارته الصبا * وحنا عليه الطل حتى نورا
نمقتها وشيا يدكرك مذهبا * وفتحتها مسكا يحمدك أذفرا
من دانيا خفى ودكرك مسدل * أوردته من نار فكرى مجمرا
فلئن وجدت نسيم مدحى عاطرا * فلقد وجدت نسيم برك أعطرا انتهى

*(وقال فى ترجمة عبد الجليل بن وهبون المرسى) ركب باشبيلية زورقا فى نهرها الذى لاتدانيه الصرات ولا يضاهيه الفرات فى ليلة تنقبت فى ظلمتها ولم يبد وضح فى دهمتها

هذا الموقف وتفسير ذلك كن فرحا مسرورا وكان خرم باش هذا اذا جلس الملك لندمائه ومعاقر

ان الى نهر أم جور فانه قرر
مراتب الاشراف وأسماء
الملوك وبنى بيوت الديوان
والمستوفى ورهدوطبقات
العلماء بالدواوين وأنواع
المهن العسكرية على مراتبها
وغير طبقات المغنين رفع
من كان بالصبغة الثوص
الى الطبقة العليا والصبغة
الدنيئة الى الوسطى وغير
المراتب على حسب الكفاءة
بالمطرب له منهم وأسقط مارتبه
أردشير بابك فى طبقات
المغنين فسلك من ورد
بعده من ملوكهم هذا
المسلك حتى ورد كسرى
أنوشروان فرد المغنين الى ما كانت عليه
فى عهد أردشير بن بابك
*وقد كانت ملوك الاعاجم
تلها من عهد أردشير
فجعلت بين الندماء وكان
بين الملك وبين أول
الطبقات عشرون ذراعا الا ان
الستارة التى على الملك
تكون منه على عشرة أذرع
ومن الطبقة الاولى على
عشرة أذرع وكان الموكل
بالستارة رجلا من أبناء
الاساورة يقال له خرم باش
فاذا غاب هذا الرجل وكل
به آخر من ابناء الاساورة
وذوى التحصيل وسمى بهذا
الاسم وهذا الاسم عام لمن
رتب فى هذه المرتبة ووجب

وبين أيديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما في اللجة وزاد في تلك البهجة فقال

كأنما الشمعتان اذ سمتا * جيد غلام محسن الغيد
وفي حشا النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى الى كبدي

وكان معه غلام البكري معاطيا للراح وجاريا في ميدان ذلك المراح فلما جاء عبد الجليل بما جاء وحلى للابداع الجوانب والارجاء حسده على ذلك الارتجال وقال بين البطء والاستعجال

اعجب بمنظر ليلة ليلاء * تجني بها اللذات فوق الماء
في زورق بزهو بغرة أغيد * يختال مثل البانة الغناء
قرنت يداه الشمعتين بوجهه * كالبدر بين النسر والجوزاء
والتاج تحت الماء أضوأ منهما * كالبرق يخفق في غمام سماء

*(وقال الفتح رحمه الله) دعيت يوما الى منية المنصور بن أبي عامر بلنسية وهي منتهى الجمال ومزدهى الصبا والكمال على وهي بنائها وسكنى الحوادث برهة بفنائها فوافيتها والصبح قد ألبسها قميصه والحسن قد شرح بها عويصه وبوسطها مجلس قد تفتحت للروض أبوابه وتوشحت بالازرار الذهبية أثوابه يخترقه جدول كالحسام المسلول وينساب فيه انسياب الايم في الطول وضفاته بالادواح محفوفة والمجلس بروق كالخريدة المزفوفة وفيه يقول علي بن أحمد أحد شعرائها وقد حله مع طائفة من وزرائها

قم فاستقى والرياض لابسة * وشيا من النور حاكه القطر
في مجلس كالسماء لاح به * من وجه من قد هويته بدر
والشمس قد عصفرت غلائلها * والارض تندى ثيابها الخضر
والنهر مثل المحترق به * من الندامى كواكب زهر

فخلت ذلك المجلس وفيهم أخدان كأنهم الولدان وهم في عيش لدن كأنهم في جنة عدن فأنخت لديهم ركائبي وعقلتها وتقلدت بهم رغائبي واعتقلتها وأقمنا ننعم بحسنه طول ذلك اليوم ووافى الليل فذدنا عن الجفون طروق النوم وظللنا بليلة كأن الصبح منها مفقود والاغصان تميس كأنها قدود والمجرة تتراءى نهرا والكواكب تخالها في الجو زهرا والثريا كأنها راحة تشير وعطارد لها بالطرب يشير فلما كان من الغد وافيت الرئيس أبا عبد الرحمن زائرا فأفضنا في الحديث الى أن أفضى بنا الى ذكر متنزهنا بالامس وما القينا فيه من الانس فقال لي ما بهجة موضع قد بان قطينه وذهب وسلب الزمان بهجته وانتهب وبادفلم يبق الا رسمه ومحاه الحدثان فما كاد يلوح وسمه عهدي به عند ما فرغ من تشييده وتنوهي في تنسيقه وتنضيده وقد استدعاني اليه المنصور في وقت حلت فيه الشمس برج شرفها واكتست فيه الارض بزخرفها فخلت به والدوح تميس معاطفه والنور يخجله فاطفه والمدام تطلع به وتغرب وقد حل به قحطان ويعرب وبين يدي المنصور مائة غلام ما يزيد أحدهم على العشر غير أربع ولا يحل غير الفؤاد من مربع وهم يديرون رحيقا خلتها في كاسها دراوعتيقا فأقمنا والشهب تغازلنا وكأن الافلاك منازلنا ووهب المنصور في

مكان في دار الملك فيرفع فلك تجالس في هذا اليوم الملك ثم ينزل وكان ذلك لعلمهم في يوم جلوس الملك للهو وطرب شيء أخذا لندماء مراتبهم مناقته أصواتها غير مشيرة بشيء من جوارحها حتى يطلع الموكل بالستارة فيقول غن أنت يا فلان كذا وكذا واضرب أنت يا فلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من طرائق الموسيقى وقد كانت الاوائل من بني أمية لا تظهر للندماء وكذلك الاوائل من خلفاء بني العباس * وكور أردشير ابن بابك كورا ومدن مدنا وله عهد في أيدي الناس ولما خلا من ملكه أربع عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة واستقامت له الارض ومهدها وصال على الملوك فانقادت الى طاعته زهد في الدنيا وبين عوارها وما هي عليه من الغرور والعناء وقلة المكث وسرعة الغيلة منها الى من أمنها ووثق بها واطمأن اليها وبان له أنها غرارة ضرارة خاتلة زائلة بائدة ما اعذوذب منها جانب لامرئ وحلا الا مر رمنها عليه جانب ورأى أن من بنى قبله المدائن وحصن الحصون وساق الجموع وكان أعظم جيشا وأشد جنودا وأتم عديدا قد صار رميما هشيما وتحت التراب مقيما فاثر التفرد عن المملكة والترك ذلك

ذلك اليوم ما يزيد على عشرين الفا من صلات متصلات وأقطع ضياعا تم توجع لذلك العهد وأفصح بما بين ضلوعه من الوجد وقال

سقيا لمنزلة اللوى وكثيبها * اذ لا أرى زمنا كازمانى بها انتهى

(وما أحسن ما كتب به الفتح الى بعض الملوك) يصف نزهة ببعض سنترهات الاندلس المونقة وبذكر استضافته فيها بشهور المسرة المشرقة وهو أطال الله سبحانه بقاء ناصر الدولة ومحيى الملة الذى حسن بالقياه العيش وبر بمحياه الجيش وراق ناسمه الملك وسر بسعده الملك وأناربه الليل الدامس ولاح له الاثر الطامس وجرى لدهر لسطوته حاسما وغدا السعد بعقوته طائفا والزمان يبرود عليا ه ماتحف ولثغور بداه مرتشف ولازال للسعد يتملكه والسعد يحمله فلكه أما وقد وافقنى أيامه أيده الله سبحانه ووفا ورأيت للبيان عنده نفاقا فلا بد أن أرسل كتائبه أفواجا وأفيض من بحره أمواجا وأصف ما شاهدته من افتداره وعاينته من حسن ايراده واصداره فمثال افصح من شكوى المحزون وأملح من رياض الحزون وقد كنت أيد كم الله تعالى كلفا بالدول وبهائها لهجا بالبلوغ الى انتهائها لاجد دولة أرتضيها وحظوة عليا أقتضيها فكل ملك فاوضته سرا وجهرا وكل ملك قليته بضا وظهرا والنفس تصدعنه صدود الجبان عن الحرب والملائكة الكرام عن الشرب الى أن حصلت لديه ووصلت بين يديه فقلت الآن أمكن من راح البغية الانتشاء وعلمت الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وما زلت أساير ه حيث سار وآخذ اليمين تارة وتارة اليسار وكل ناحية تسفر لى عن خد روض ازهر وعذار نبت أخضر وتبسم عن ثغر حباب فى نهر كالحباب وترفل من الربيع فى ملابس سندسيات وهدى اليها نوافج مسكيات ونرهى بهجتها بأحسن منظر وتتيه بجلباب أينع من برد الشباب الانضر فجلنا فيها يمينا وشمالا واستخبرنا عن أسرارها صبا وشمالا ثم مال بنا أيده الله تعالى عن هذه المسارح السنية والمنازل البهية الى احدى ضياعه الحالية وبقاعه العالية فحللناها والايم قد عرى من جلبابه واليوم قد اكتهل بعد شبابه فنزلنا قصور يقصر عنها جعفرى جعفر وقصور بنى الاصفر تهدى من لبانها بردا محبرا وتندى من شذاها مسكا وعنبرا وقد لاحت من حوانيتها نجوم أكواس لورآها أبو نواس لجعلها شعاره ووقف على نعتها أشعاره ولم يحدث سواها نجعة ولا نبه خماره بعد هجعة فتعاطيناها والسه لناحادم وما غير السرور عليها قادم وخدودستانها قد كنست من سناها وقدودهم تنهيل عليها بجناها ونحن بين سلو وصحو واثبات ومحو واصاحة الى بم وزير والتفاتة الى ملك ووزير الى أن ولى النهار حثيثا وأقبل الليل المميت فاحيانا فوصلنا بلهو وقصف وعيش يتجاوز كل وصف فكأن يومنا مقيم أو كأن ليلنا من الظلام عقيم ولما سل الفجر حسامه وأبدى لعبوس الليل ابتسامه وجاء يختال اختيالا ويعوم من بقايا الليل نبالا قمنا نتنادب للسير وكلنا فى يد النشوة أسير فسرنا والملك الاجل يقدمنا والايام تخدمنا فلازالت الايام به راهية وعن سواه لاهية ما عمر وكر اعقاب وكان للشهور غرر وأعقاب انتهى * (وقال الفتح فى ترجمة الراضى

ابن بابك كتاب يعرف بكتاب الكريا مع فيه ذكر أخباره وحروبه ومسيره فى الارض وسيره * وكان مما حفظ من وصية أردشير

ما جه رسلك أبه رآه أرجح
ولد حلما وأكملهم علما
وأشدهم بأسا وأجرأهم
مراسا فعش بعد ذلك فى
حال ترهده وخلوه بربه
وكونه فى بيوت النيران
ستة وقيل شهرا وقد ذكرنا
أكثر مما ذكرنا * وأقام
أردشير اثنتى عشرة سنة
يحارب ملوك الطوائف
* ومنهم من يكاتبه منقادا الى
طاعته رهبة من صولته
ومنهم من يمتنع عليه فيسير
الى داره ويأتى عليه وكان
آخر من قتل منهم ملكا
للنبط بناحية سواد العراق
اسمه بابك بن برياصاحب
قصر ابن هبيرة ثم أردوان
الملك وفى هذا اليوم سمى
شاهنشاه وهو ملك الملوك
* وأم ساسان الاكبر من سبايا
بنى اسرائيل وهى بنت
ساسان * ولاردشير من
بابك أخبار فى تدبير ملكه
مع زاهد من زهادهم وانتباه
ملوكهم يقال له تنس وكان
افلاطون فى المذهب على
رأى سقراط وافلاطون
أعرضنا عن ذكرها اذ كنا
قد أتينا على جميع ذلك
فى كتابنا أخبار الزمان
وفى الكتاب الاوسط
مع ذكر سيره وفتوحه وما
كان من أمره * ولاردشير

بالله أبي خالد يزيد بن المعتمد بن عباد) بعد كلام ما صورته وأخبرني المعتمد بالله ان أبا المعتمد وجهه يعني الراضي الى شلب والباه كانت ملعب شبابه ومالف أحبابه التي عمر بجردها غلاما وتذكر عهودها أحلاما وفيها يقول يخاطب ابن عمار وقد توجه اليها

الا حي أوطاني بشلب أبا بكر * وسلمن هل عهد الوصال كما أدري

وسلم على نهر الشراجيب من فتى * له أبدا شوق الى ذلك القصر

وقصر الشراجيب هذا متناه في البهاء والاشراف مباه لزوراء العراق ركضت فيه جياد راحاته وأومضت بروق أمانيه في ساحاته وجرى الدهر مطيعا بين بكره وروحاته أيام لم تحل عنه نعمائه ولا خلت من أراهير الشباب كمائمه وكان يعتدها منتهى آماله ومنتهى أعماله الى مهجه جنباها وطيب نفحاتها وهبانها والتفاف خمائلها وتثلدها بنهرها مكان جائلها وفيها يقول ابن اللبانة

أما علم المعتمد بالله انني * بحضرته في جنة شقها نهر

وما هو نهر أعشب النبت حوله * ولكنه سيف حمائله خضر

فلما صدر عنها وقد حسنت آثاره في تدبيرها وانسدلت رعايته على صغيرها وكبيرها نزل المعتمد عليه مشرفا لاوبته ومعرفا بسمو قدره لديه ورتبته وأقام يومه عنده مستريحا وجرى في ميدان الانس بطلا مشيحا وكان واجدا على الراضي لحلت الحمى أفقه ومحت غيظه عليه وحنقه وصورته له عين حنوة وذكرته بعده فتح الى دنوه وبين ما استدعى وأوى مالت بالمعتمد نشوته وأغنى وألفاه صريعا في مبتداه طريحا في منتهى مداه فاقام تحاهه يرتقب انتباهه وفي أثناء ذلك صنع شعرا أتقنه وجوده فلما استيقظ أنشده

الا من تعود حياة الامل * ويدنو شفاء فؤاد معل

ويورق للعز عصن ذوى * ويطلع للسعد نجم أفل

فقد وعدتني سحاب الرضا * بوابلها حين جادت بطل

دعوت فطار بقلبي السرور * اليك وان كان منك الوجل

كما يستطير لك حب الوعي * اليها وفيها اللبا والاسل

أنا ملكا أمره نافذ * فمن شا أعز ومن شا أذل

فلا غرو ان كان منك اغتفار * وان كان منا جميعا زلل

هذا لك وهو الذي لم يجد * ه عاد بحلم على من جهل انتهى

(وقال في ترجمة المتوكل على الله ابن الافطس ما صورته) واخبرني الوزير أبو محمد بن عبدون أن الارض توالى عليها الجدب بحضرته حتى جفت سناهبها واغبرت جوانبها وغرد المكاء في غير روضه وحاض الياس بالناس أعظم خوضه وابدت الخمائل عبوسها وشكت الارض للسماء بوسها فاقلع المتوكل عن الشرب واللهو ونزع ملابس الخيلاء والزهو واظهر الخشوع واكثر السجود والركوع الى ان غيم الجو وانسجم النو وصاب الغمام وترنمت الحمام وسفرت الازهار وزهت النجود والاغوار واتفق ان وصل ابو يوسف المغني والارض قد لبست زخارفها ورقم الغمام مطارفها وتتوجت الغيطان والربا وارجت

أمر الملك والملك حارسه
ومالم يكن له أس فمهدوم
ومالم يكن له حارس فضائع
وكان يحفظه بكفايته
أعني أردشير الى خواص
من تورع عن حمالة من
أردشير بن بهمن ملوك الملوك
الى الآخر الدين بهم
يدبر المالك والفقهاء
الذين هم عماد الدين
والاساورة الذين هم جماد
الحرب والى الحراث الذين
هم عمرة البلاد سلام عليكم
نحن بحمد الله صالحون
وقد رفعنا أناوتنا عن
رعيتنا بعدل رأفتنا
ورحمتنا ونحن كاتبون
البكم بوصية فاحفظوها
لا تستشعروا الحقد فيكم
فيدهمكم عدو ولا تحجروا
الاحتكار فيشملكم القحط
وكونوا لابناء السبيل
مأوى تردوا ندا في المعاد
وتزوجوا في الاقارب فانه
أمس للرحم وأقرب للنسب
ولا تركنوا للدنيا فانها
لا تدوم لاحد ولا تغتروا
بها فلم يكن الا ما شاء الله
ولم ترقدوها مع ذلك فان
الآخرة لا تنال الا بها * وكتب
أردشير الى بعض عماله
بلغني أنك تؤثر اللين على
الغلظة والمودة على الهيبة
والجبن على الجراءة
فلا تفعل أو قال وليس آخرك ولا تجلين قلبك من هيبته ولا تعطلنه من مودة ولا يبعد عليك ما أقول فانهما نفحات

نفحات الصبا والمتوكل ما قاض التوبة ختاما ولا قوّص عن قلبه منها خياما فكتب اليه

ألم ابو يوسف والمطر * فيا نيت شعري ما يقتدر
ولست بآب وانت الشهيد * حضورك ديك فيمن حضر
ولا مطلعي وسط تلك السما * بين النحوم وبين القمر
وركضي فيها جياد المدا * م محثوثة بسياط الوتر

فبعث اليه مركوبا وكتب معه

بعثت اليك جنا حاقطر * على حفية من عيون الدرر
على طلك من نتاج البروق * وفي طال من ربي الشجر
لحسبي ممن نأى من دنا * ومن عاب كان فدام حصر

فوصل الفية المطلة على البطحاء المزرية بمنازل الروحاء فاقام بها حيث قال عدي بن زيد يصف مصنعا

في قباب حول دسكرة * حولها الزيتون قد يعا

ومرلهم من السرور يوم ما مر لدى رعين ولا تصوّر قبل عيونهم لعين وأخبرني انه سايره الى شنترين قاصية أرض الاسلام السامية الذرا والاعلام التي لا يروعها صرف ولا يفرعها طرف لانها متوعرة المراقي معمرة للراقي متمكنة الرواسي والنواعد من ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد قد أطلت على خمائلها اطلال العروس من منصتها واقتطعت من الحوّ اكثر من حصنها هروا بانفس قطر سالت به جداوله واحتالت فيه خمائله ما يحول الطرف منه الا في حديقة أو بقعة أنيقة فتلقاهم ابن مقانا قاضي حضرته وأنزلهم عنده وأورى لهم بالمبرة يده وقدم لهم طعاما واعتقد قبوله منا وانعاما وعند ما طعموا قعد القاضي بباب المجلس رقيبا لا يبرح وعين المتوكل حياء منه لا تجول ولا تمرح فخرج أبو محمد وقد أبرمه بتثقيله وحرمه راحة رواحه ومقيله فلقي ابن خيرون منتظرا له وقد أعدّ لحلوله منزله فسار الى مجلس قد انتسمت ثغور نواره وحجلت خدود ورده من زواره وأبدت صدور أباريقه أسرارها وصمت عليه المحاسن أزرارها ولما حضر له وقت الانس وحينه وأرجت له رياحينه وجه من يرقب المتوكل حتى يقوم جليسه و نزول موحشه لا أنيسه فأقام رسوله وهو بمكانه لا يريمه قد لازمه كأنه غريمه حتى انفصل حتى ظن أن عارض الليل قد نصل فلما علم أبو محمد بانفصاله بعث الى المتوكل فطيع راح وطبق وردو كتب معهما

اليكها فاجتلها منيرة * وقد دجا حتى الشهاب الثاقب
واقفة بالباب لم يؤذن لها * الا وقد كاد ينام الحاجب
بعضها من الخلاف جامد * وبعضها من الحياء ذائب

فقبلها منه رحمه الله تعالى وعفا عنه وكتب اليه

قد وصلت تلك التي زففتها * بكرا وقد شابت لها ذوائب
وهب حتى يسترد ذاهبا * من انسها ان اسرد ذاهب

ومن ملوك العالم الذين كان لهم حروب مع كثير من ملوك العالم الذين كانوا بالعراق ومصر وما سدت اليه منها نسب من انكر ولاية الملوك الى آبائه والعرب ما سبه سابور الجنودي وفي ترجمة طهمرث ما ذكر وقال بالآخرة رجع سابور بن اردشير الخوسيه الى مذهب مانى والقول بالنور والظلمة فمن صاحبه ثم عاد عن ذلك الى المذهب الخوسية والحق مانى بارض الهند بلاد بابل أوجبت سياق هذا الخبر ذكرها فيما سلف من كتابنا وكتب ملك الروم الى سابور بن اردشير أما بعد فقد بلغني من سيرتك لجندك وضبطك ما تحت يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما أحببت أن أسير فيه طريقتك وأركب منهاجك فكتب اليه سابور بلغت ذلك بثمان خصال لم أهزل في أمر ولا نهي قط ولم أحالف وعدا ولا وعيدا قط وحاربت للعدى لا للهوى واجتنبت ملوك الناس مقة بلا كره وخوفا بلا مقت وعاقبت للذنب لا للغضب وحميت بالقوت وحسمت الفضول ويقال ان سابور كتب الى بعض عماله اذا استكمل الرجل أربعا أسس ورفعوا قد

بصائع الاعوان عضده وأطلق بالتدبير يده ففي اثناء رزقه حسم طمعه وفي تقويته بالاعوان تعل وصانه على اهل العدوان

فركب اليه ونقل معه ما كان بالمجلس بين يديه وباتا ليلتهما الاريمان السهر ولا يشيمان برقا الا الكاس والزهر (ثم قال) بعد كلام وأخبرني الوزير الفقيه أبو أيوب بن أبي أمية انه مر في بعض أيامه بروض مفتر المباسم معطر الرياح النواسم قد صقل الربيع حوذانه وأنطق بلبله وورشانه وألحف غصونه برودا مخضرة وجعل اشراقه للشمس ضرة وأزاهره تتيه على الكواكب وتختال في خلع الغمام السواكب فارتاح الى الكون به بقية نهاره والتنعم بنفسجه وبهاره فلما حصل من أنسه في وسط المدى عمد الى ورقة كرنب قد بللها الندى وكتب فيها بطرف نحص يستدعي الوزير أبا طالب بن عاصم أحد ندمائه ونجوم سمائه

أقبل أبا طالب الينا * وقع وقوع الندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى * مالم تكن حاضر الدينا

(وقال في ترجمة المعتصم بن صمادح ما صورته) وأخبرني الوزير أبو حالد بشتعين انه حضر مجلسه بالصمادحية في يوم غيم وفيه أعيان الوزراء ونبهاء الشعراء فقعد على موضع يتداخل الماء فيه و يلتوي في نواحيه والمعتصم منشرح النفس مجتمع الانس فقال

انظر الى حسن هذا الماء في صببه * كانه أرقم قد جد في هربه

فاستبدعوه وتيموه به وأولعوه فأسكب عليهم شآبيب نداه وأعرب بمظاهر من بشره وأبداه ثم قال بعد كلام وخرج الى برجة ودلاية وهما منظران لم يجل في مثلهما ناظر ولم تدع حسنهما الحدود النواضر غصون تثنيها الرياح ومياه لها انسياح وحدائق تهدي الارج والعرف ومنارة تبهج النفس وتمتع الطرف فأقام فيها أياما ينذرج في مسارحها ويتصرف في منازهها وكانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافة وأبدت عليها أي ابادة (وقال في ترجمة بن رزين ما ملخصه) أخبرني الوزير أبو عامر أنه اصطبح يوما والجو سماكي العوارف لازوردي المطارف والروض أنيقة لباته رقيقة هباته والنور مبتل والنسيم معتل ومعه قومه وقد راقهم يومه وصلاته تصافح معتقيهم ومبراته تشافههم وافيهم والراح تشعشع وماء الامانى ينشع فكتب الى ابن عمار وهو ضيفه

ضمان على الايام أن أبلغ المنى * اذا كنت في ودي مسرا ومعلنا
فلو تسأل الايام من هو مفرد * بود ابن عمار لقلت لها أنا
فان حالت الايام بيني وبينه * فكيف يطيب العيش أو يحصل المنى

فلما وصلت الرقعة اليه تأخر عن الوصول واعتذر بعذر مختل المعاني والفصول فقال أحد الحاضرين اني لاعجب من قعود ابن عمار عن هذا المضمار مع ميله الى السماع وكلفه بمثل هذا الاجتماع فقال ذو الرياستين ان الجواب تعذر فلذا اعتذر لانه يعاني قوله وعلله ويرويه ولا يرتجله ويخوله في المدة الممتدة فرأى أن الوصول بلا جواب اجمال لادبه واخلال لمنازله في الشعر ورتبه فلما كان من الغد ورد ابن عمار ومعه الجواب وهو

حصرت لي الآمال طيبة الجنى * وسوغتني الاحوال مقبلة الدنى
وأبستني النعما أغض من الندى * وأجل من وشي الربيع وأحسنا

وفي اطلاقه بالتدبير ما أطلقه فان وقع أمره بما رسمت فاوله عرضك وأوجب زيارته عليك وان حاص عن امرك علقته بحبث واصفت بالعقوبة يدك والسلام * وعهد سابور الى ولده هرمز وهو لذلك الملك بعده فعال اجعلوا طلوا أحلامكم كملوا اخطاركم وارتفاع كرمكم كارتفاع همكم وفضل سعيكم كفضل جدكم وقيل ان ملك سابور كان احدى وثلاثين سنة ونصفا وثمانية عشر يوما (ثم ملك بعد سابور ابنه هرمز) بن سابور الملقب بالطويل وكان ملكه سنة وقيل اثنين وعشرين شهرا وبنى مدينة رام هرمز من كور الاهواز * وكتب الى بعض عماله لا يصلح لهذا الثغور وقود الجيوش وابرام الامور وتدبير الاقاليم الا رجل تكاملت فيه خمس خصال حزم يثيقن به عند مواردة الامور حقائق مصادرها وعلم يحجبه عن التهور في المشكلات الا عند تجلي فرصتها وشجاعة لا تنقصها الملمات بتواتر جوائحها وصدق في الوعد والوعيد يوثق بوفائه بهما وجود يهون عليه تدبير الاموال في حقها (ثم ملك بعد هرمز) ابنه بهرام بن هرمز ثلاث سنين وكانت له حروب مع ملوك الشرق وقد ذكرنا وكم

وكم ليلة أحظيتنى بحضورها * مت سمير النساء والسنى
أعلل نفسى بالمكارم والعلا * وأدنى وكورى بالعلا وبالعلى
سأقرن بالتسويل دركا كلما * تعاورت الاسماء عبرة والنكى
لاوسعتنى قولا وطولا كلاهما * يطوق أعناقا ويخرس ألسنا
وشرهتنى من قصعة الروص بالتى * تثير وبها الطبع ورد اوسوسنا
روف بجيد الملك عقد امصعا * وبرهو على عطفيه بردا مرنما
قدم هكذا يا فارس الدست والوغى * لتطعن طورا بالكلام وبالقنا

(وأخبرنى الوزير ابن سعدون) أنه اطلع وما تحصر به والرداد رش والرتع على وجه الارض نرس وحدد على العمائم الزهار حتى أدهشت عقولها وسماها فارس عضاه كما قال

حتى اذا لا يستطيع الظلم والنشر * فات مليك الارض وائل الامر
مر يقاد الك العمر فانهل صوبه * كما سكبت وطفاء أو سكب البحر
وجاء الربيع الطلق يبدى غضارة * تحيتك منه الشمس والروض والنهر

الى أن قال ثم وجه به الى روضة قد أرجت نسيمها وبدجت ساحاتها وتفتحت كمامها وأضحت حمامها وحردت جداولها كالمواتر ورمت أزهارها كالعيون الحواتر وأقاموا يعملون أكواسهم ويثملون بأنفاسهم فقال ذو الرياستين

وروض كساه الطل وشيا مجددا * فاضحى معيما للنفوس ومسعدا
اذا صافحته الريح حلت عقوده * رواقص فى حصر من القضب ميدا
اذا ما انسكاب الماء عاينت حلته * وقد كسرته راحة الريح مبردا
وان سكتت عنه حسبت صفاءه * حساما صقيلا حاز للماء جردا
وغنت به ورق الحمائم بينما * غناء نسيك العريض ومعبدا
لانحسبن الدهر مادام مسعدا * ومدانى عاد سدحاك به يدا
وخذها مداما من سلاف كأنه * اذا ما سقى بدر تحمل سرمدا

الى أن قال وأخبرنى الوزير ابن سعدون انه كان معه فى مجلس العيون فى يوم مطر الادهم ومجلس معز النديم والانس يعازلهم من كل ثنية ويواصلهم بكل أمنية فسكر أحد الحاضرين سكرا مثل له ميدان الحرب فهل عليه مستوعر الطعن والضرب فطلب مجلس الانس حربا وقتالا وطلب الطعن وحده والنزالا فقال ذو الرياستين

نفس الدليل تعربا بجريال * فيقال الاقران دون قتال
كم من جبان ذى افتخار باطل * بالراح تحسبه من الابطال

*(وقال فى ترجمة ابن طاهر ما صورته) وجئته يوما وقد وقعت بباب الخشن هل لى من أين فأعلمته ووصفت له ما عاينته من حسنه وتأملته فقال لى كنت أخرج اليه فى أكثر الليالى مع الوزير الاجل أبى بكر يعنى ابن عبد العزيز الى روضته التى ودت الشمس أن يكون منها طلوعها وعمى المسك أن تضم عليه ضلوعها والزمان غلام والعيش أحلام والدنيا تحية وسلام

وقال الرؤ ا ابن الحباب
وفى ايام رابى هد سهرا م
الريد قه الذى ا ماضه ف
الزياد قصودنك أن الله ب
حين اباهم زراد ب
ا سمعان ع حصن
قدما من سبعه نيما سلك
من هذا الكتاب كا
المعروف بالسماء ما للعه
الاولى من العرب ه و ل
ا ا ع م وهو الريد ه ل
ا ا ع م ن حاء
ا ور على حسب ما قدمنا
وكان ابن دا التاريل سبر
المقدم المرسل وكان م
اورد فى شعر هم
خلاف المنزل الذى هو
السماء وعدل الى الناو ن
الذى هو الريد فالواهذا
ريدى فاضافوه الى الناو ن
وانه منحرف عن الظواهر
من المرسل الى ناويل هو
بخلاف التنزيل فلما ان
جاءت العرب احدثت هذا
المعنى من العرس وقالوا
ريديق وعربوه والنبوة
هم الزيادنة ونحن نقول
سائر من اعتقد القدم وفى
حدوث العالم (ثم ملك
بعده بهرام بن بهرام)
وكان ملكه سبع عشره
سنة وقيل غير ذلك وأقبل
فى اول ملكه على اللعب
واللذات والصيد وانهمك
لا يفكر فى ملكه ولا يستشير

٤٠ ط ل امور رعيته واضاع الصياع لخواصه ومن لا دبه من خدمه وحاشيته فخربت الضياع وحلت من عمارها

والناس قد انتشروا في جوانبه وقعدوا على مذانبه وفي سافيته الكبرى دولاب يئن كناقة ترحوار أو كثكلى من حر الاوار وكل مغرم يجعل فيه ارتياحه بكرته ورواحه ويغازل عليه حبيبه ويصرف اليه تشبيبه فخرجت عليه ليله والمتنبي الجزيري واقف وأمامه ظبي آنس تهيم به المكانس وفي أذنيه قرطان كانهما كوكبان وهو يتأود تأود غصن البان والمتنبي يقول

معشر الناس بباب الحبش * بدر تم طالع في غبش
على القرط على معصمه * من عليه آفة العين خشي

فلما رآني أمسك وصيح كانه تنسك * (وقال في ترجمة ابن عمار ما صورته) وتنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وحروا من اتقانه الى غاية وأمد وأبدع بناؤه وعمق ساحته وفناؤه واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار الانشراحهم وحكوا به قصرهم بالمشرق وأطلعوه كالكوكب الثاقب المشرق فخله ابو بكر بن عمار على اثر يوسه وابتسم له دهره بعد عبوسه والدنيا قد أعطته عفوها وسنته صفوها وبات فيه مع لمة من أتباعه ومتغيئ رباعه وكلهم يحييه بكاس ويفديه بنفسه من كل باس فطابت له ليلته في مشيده وأطربه الانس ببسيطه ونشيده فقال

كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى وفاح المشم
منظر رائق وماء غدير * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندي * عنبر أشهب ومسك أحم انتهى

وعبر صاحب البدائع عن هذه القصة بقوله تنزه ابن عمار بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده خلفاء بني أمية وزخرفوه ودفعوا صرف الدهر عنه ورصفوه وأجروه على ارادتهم وصرفوه وذهبوا سقفه وفضضوها ورخموا أرضه وروضوها فبات به والسعد يلحظه بطرفه والروض يحييه بعرفه فلما استنفد كافور الصباح مسك الغسق ورصع آبنوس الظلام نضار الشفق قال مرتجلا كل قصر بعد الدمشق يذم الخ انتهى * (وقال في ترجمة ذي الوزارتين أبي عيسى بن لبون) أخبرني الوزير ابو عامر بن الطويل انه كان بقصر مربيطر بالمجلس الشرقي منها والبطحاء قد لبست زخرفها وديج الغمام مطرفها وفيها حدائق نرنو عن مقل نرجسها وتبث طيب تنفسها والجلنار قد لبس أردية الدماء وراع أفئدة الندماء فقال

قم يا نديم أدر على القرقفا * أو ما ترى زهر الرياض مفوفا
وخال محبوبا مدلا وردها * وتظن نرجسها محبا مدنفا
والجلنار دماء قتلى معركة * والياسمين حباب ماء قد طفا

الى أن قال وشرب مع الوزراء الكتاب ببطحاء لورقة في عشية تجود بدمائها ويصوب عليها دمع سمائها والبطحاء قد خلع عليها سندسها ودرها نرجسها والشمس تنفض على الربا زعفرانها والانوار تغمض أجفانها فكتب الى ابن اللبانة

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن تسكب أحيانا وتحدر

زراء خواص الملك وكان
دبير الملك منوضا الى
وزرائه خربت البلاد
وقلت العمارة وقل ما في
بيوت الاموال فضعف
القوى من الجنود وهلك
الصعيف منهم فلما كان في
عض الايام ركب الملك
الى بعض متنزهاته وصيده
حمه الليل وهو بير نحو
المدائن وكانت ليلة قمراء
فدعا بالموبذان لامر حضر
بباله فلحق به وسايره
واقبل على محادثته
مستخبره عن سير أسلافه
فتوسطوا في سيرهم خرابات
كانت من أمهات الضياع
قد خربت في مملكته ولا
انيس بها الا البوم وادا
وم يصيح وآخر يجاوبه
من بعض تلك الخرابات
فقال الملك للموبذان أترى
أحدا من الناس أعطى
فهما منطق هذا الطير المصوت
في هذا الليل الهادي فقال
له الموبذان انا أيها الملك
من قد خصه الله بفهم ذلك
فلم تفهمه الملك عما قال
وعلمه ان قوله صحيح فقال
له ما يقول هذا الطائر وما
الذي يقوله الآخر فقال
الموبذان هذا بوم ذكر
يخاطب بومة ويقول لها
أمتعيني من نفسك حتى يخرج
منا ولاد يسبحون الله ويبنون
والارض

لنا في هذا العالم عقب يكثرون ذكرنا والترحم علينا فاجابته البومة ان الذي

والارض مصفرة بالشمس كاسية * أبصرت تبرا عليه الدر ينتثر

*(وقال فى ترجمة ذى الوزارتين أبى بكر بن رحيم ماصورته) ووصل هو وابن وضاح صهر المرتضى وابن جمال الحلة صاحب صقلية الى احدى جنات مرسية فحلوا منها فى قبة فوق جدول مطرد وتحت أدواح طيرها غرد فأقاموا يتعاطون رحيقهم ويعمرون فى المؤانسة طريقهم اذا بالجنانى قد وقف عليهم وقال كان بموضعكم بالامس صاحب الموضع ومعه شعور منشورة وخدود غير مستورة قد رفعت عنها البراقع وما منها نظرة الا وسمها سهم وافع فاستدعى بحماو كتب فى احدى زوايا القبة

قادنا ودنا اليك فحثنا * بنفوس تفديك من كل بوس

فنزلنا منازل البدور * وحللنا مطالع الشموس

*(وقال فى ترجمة الوزير الكاتب أبى محمد بن عبدون ماصورته) حللت بابره فازانى والها بقصرها ومكننى من جنى الامانى وهصرها فأمت ليلى أجر على الجرة ذيلى وتتطارد فى ميدان السرور خيلى فلما كان من الغد بنا كرنى الوزير أبو محمد مسلما ومن تنكبى عنه متألما ثم عطف على القائد عاتبا عليه فى كونى لديه ثم انصرف وقد أخذنى من يديه فخلت عنده فى رحب وهمت على من البر أمة ارسحب فى مجلس كأن الدرارى فيه مصفوفة أو كأن الشمس اليه مزفوفة فلما حان انصرافى وكثر اللحى الى مالى واستشرافى ركب معى الى حديقة نضرة مجاورة للحضرة فانخنا عليها أبدى عسنا ونلنا منها ما شئنا من تأنيسنا فلما امتطيت عزمى وشددت الى نهض الرحلة سهمى أنشدنى

سلام يناجى منه زهر الرا عرف * فلا سمع الا ودلو أنه أنف

حنينى الى تلك السجايا فانها * لآثار أعيان المساعى التى أقفو

ثم سرد القصيدة الى أن قال وله رحمه الله تعالى

سقاها الحيا من مغان فساح * فكم لى بها من معان نصاح

وحلى أكاليل تلك الربا * ووشى معاطيف تلك البطاح

فلم أنس لم أنس عهدى بها * وجرى فيها ذيول المراح

ونومى على حبرات الرياض * يجاذب بردى مر الرياح

ولم اعط امرا النهى طاعة * ولم أصغ سمعى الى قول لاح

وليل كرجعة طرف المريب * لم ادر له شفعا من صباح

(وقال) فى ترجمة الوزير أبى محمد بن مالك بعد كلام له فيه وانشاده بيتيه البديعين اللذين هما

لا تلمنى بأن طربت لنجو * يبعث الانس فالكريم طروب

ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الشان أن تشق القلوب

ماصورته وخرجت باشبيلية مشيعا لاحد زعماء المرابطين فالفيته معه مسايرا له فى جملة من شيعه فلما انصرفنا مال بنا الى معرس أمير المسلمين أدام الله تعالى تأييده الذى ينزله عند حلوله باشبيلية وهو موضع مستبدع كأن الحسن فيه مودع ماشئت من نهر ينساب أنسياب الاراقم وروض كماوشت البرد يد راقم وزهر يحسد الملك رياه ويتمنى الصبح أن

عليك خصالا ان أنت أعطيتنيها أجبتك الى ما دعوتنى اليه من ذكر وما تلك الخصال قالت أولها ان أنا ضمنت نفسى وصرت الى ما اليه دعوتنى تضمن لى أن تعيينى من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب فى أيام هذا الملك السعيد فقال له الملك وما الذى قال لها الذكر قال الموبذان كان من قوله لها ان دامت أيام هذا الملك السعيد جده أعطيتك مما خرب من الضياع ألف قرية هى نصف عين بها قالت فى اجتماعها ظهور النسل وكثرة الولد فينقطع كل واحد من أولاد قرية من هذه الخرابات قال لها الذكر هذا أسهل أمر أردتيه وأيسر أمر طلبتيه منى وقد مت لك الوعد وأنا ملى بذلك فما هى ما بعد ذلك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان عمل فى نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته ونزجل للناس وخلا بالموبذان وقال له أيها القيم بالدين والناصح للملك المنبه على ما أغفل من أمور ملكه وأضاعه من أمر بلاده ورعيته ماهذا الذى خاطبتنى به فقد حركت منى ما كان ساكنا وبعثتنى على علم ما كنت عنه غافلا قال الموبذان صادفت من الملك السعيد

بهيه خيال ووصف سلام وسيم من علمائه نورة ومد يده الى وهي في كمه فعزم على أن
أدون بقافي وصفه سلب

وبدر بدا والظرف يطلع جفنه * وفي كفه من رائق الدور كوكب

قال أبو محمد

يروح لتعديب النفوس ويغتدي * ويطلع في أفق الجمال ويغرب
ويحسد منه الغصن أي مهفهف * يحيي على مثل الكثيب ويذهب

(وقال في ترجمة الوزير أبي القاسم بن السمط بعد كلام كثير ما صورته) وحملنا الوزير
القاضي أبو الحسن بن أضحى الى احدى ضياعه بخارج غرناطة ومعنا الوزير أبو محمد بن مالك
وجماعة من اعيان تلك الممالك فحللنا بضيعة لم يحت المحل أثلها ولم ترع العيون مثلها
وحللنا بها في أكناف جنات ألفاف فاشتملت من وجه الغداء وعصن تمس كعطف هيفاء
وماء يساري في جداوله ونهر يضمخ بالمسك راحة مناوله ولما قدمنا من تلك الحدائق
أريا واقتطفنا منها أترجا مربا ملما الى سوسنة المقل وريحانا تزري بمنثوره جديلة مع
مالك وسليل وسعد وصولنا بعد الى من أحد الاصحاب تقصير في المبره عرض لي منه تكدير
لتلك العين القرة وأطهرت التثاقل أكثر ذلك اليوم ثم عدلت عنهم الى الاضطباع واليوم
قد استغضت الاوساط تدسخ صحوها وغم حورها والغمام منهمل والثرى من سقياه مثل
فسطاط بحفيه وأنهجي بر لمرتل تممه ويوفيه وأنشدني

يوم تجهم وجه الافق واتشرت * مدامع الغيث في خد الثرى هملا
رأى وجومك فارتدت طلاقته * مضاهيا لك في الاحلاق ممتثلا

(وقال في ترجمة الوزير القاضي أبي الحسن بن أضحى ما نصه) وكان لصاحب البلد الذي كان
يتولى القضاء به ابن من أحسن الناس صورة وكانت محاسن الافعال والاقوال عليه
مصورة مع ما شئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتفاف فحملنا
الى احدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفة نهر أحسن من سادمهر
تشبهها حداول كالسلال ولا ترمتها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من أعيانها
فأحضر لنا من أنواع الطعام وأرانا من فرط الاكرام والانعام ما لا يطاق ولا يحد ويقصر
عن بعضه العدد وفي أثناء مقامنا عدنا الى من ذلك القتى المذكور ما أنكرته مقابلته بكلام
اعتمده وملام أحدده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم أره منه ما عهدته من الاناية
فكتبت اليه مداعبا راجعني بهذه القطعة

أتنسى أبا نصر نشجة خاطر * مريع كرجع الطرف في الخطرات
ما غربت عن وجد كبن طويته * بأهيف طاو فاتر اللحظات
غزال أحم المقلتين عرقته * بحيف مني للحسن أو عرفات
رماك وأصمى والقلوب رميمة * لكل كحيل الطرف دي فتكات
وظن بأن القلب منك محصب . فلبالك من عينيه بالجمرات
تعرب بالسالك في كل منسك * وتحيي غداة النحر بالمهجات

من أرباب الخراج وسمار الضياع وفجلوا عن ضياعهم ورحلوا عن دارهم وأووا الى ما عز من الصياع وكانت

بأربابه فسكنوه فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال فهلكت الجنود والرعية وطمع فى ملك فارس من أصاف بهذه الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد التى بها تستقيم عساكر الملك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان أقام فى موضعه ذلك ثلاثة وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين وأحضر الخرائد فانتزعت الضياع من أيدى الخاصة والحاشية ورتب الى أربابها وجروا على رسومهم السالفة وأخذوا فى العمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد وكثرت الاموال بحسن جباية الخراج وتوبيت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور وأقبل الملك يباشر الامر بنفسه فى كل وقت من الزمان وينظر فى أمر خواصه وعوامه فحسنت أيامه وعظم ملكه حتى كان يدعى أيامه أعياد العالم الناس من الخصب وشملهم من العدل (ثم ملك بعده بهرام ابن الملك ابن بهرام أربع سنين وأربعة أشهر (ثم ملك بعده نرسى بن بهرام) على ما ذكرنا من النسب وكان الملك يدعى البطل وكان ملكه سبع سنين ونصفا (ثم ملك بعده هرمز) بن نرسى بن بهرام على ما ذكرنا من النسب وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر ود

وكانت له جيان مثوى فأصبحت * صلوعك منه كل فلاة
يعز علينا أن تهم فتظعنى * كئيبا على الاشجان والزفرات
فلو قبلت للناس فى الحب فدية * فديناك بالاموال والبشرات

*(وقال فى ترجمة اديب الاندلس وشاعرها أبى اسحق بن خفاجة بعد كلام ما صورته) وقال يندب معاهد الشباب و يتفجع لوفاة الاحوان والاحباب فقد سيل أعاد الديار آثارا وقصى عليها وهيا وانتشارا

ألا عرج الاخوان فى ساحة البلى * ومارتعوا غير العفا ورعاها
وسمع كما شح الغمام ولوعة * كما اضرمت ريح الشمال شهابا
اذا استوطنتنى فى الديار عشية * تلذذت فيها جبأة ودهاها
أكر بطرفى فى معاهد فتية * ثكلتهم بيض الوجوه شبابا
فصال وفوق الوجد وطرفة * أيادى رسوما لا تحير جوابا
وأمحو جميل الصبر طورا بعبرة * أحط بها فى صفحتى كتابا
وقد درست أجسامهم وديارهم * فلم أر الا أعظما ويبابا
وحسبى شجوا أن أرى الدار بلقعا * خلاء وأشلاء الصديق ترابا

ولقد أحلى هذه الديار المندوبة وهى كعهدها فى جودة مبناها وعودة مسناها فى لبنها كتحلها طلامها الثمدا وحوبائها من بوسنا كمدا ولم يزل ذلك الانس يبسطه والسرور يبشطه حتى نشر لى ما طواه و بث مكتوم لوعته وجواه وأعلمنى بليالية بهامع اترابه وما قضى بها من أطرابه انتهى ما وقع عليه اختيارى من كلام أبى نصر الفتح بن عبيد الله رحمه الله تعالى فى وصف بعض منتزهات الاندلس البديعة ورياضها المونقة المريعة وما أحسن رسالته له مختصرة كتبها مهنئا بعض ملوك الاندلس بما منحه الله تعالى من التمكين الذى أيده به ونصره وقد جود أوصافه واستطردها الى ذكر الناصر وولده الحكم الاذن عمر الزهراء والرصافة ونصها أدام الله تعالى أيام الامير للارض يتملكها و يستدر سعده فلكها وقد استبشر الملك أيدك الله وحق له الاستبشار بقدر أوما اليه السعد وأشار بما الفى له من توليتك وحقق عليه من ألويتك فلتندحى منك بملك أمضى من السهم المسدد طويل نجاد السيف رحب المقلد يتقدم حيث يتأخر الذابل و يتكرم اذا تخلل الوابل و يحمى الحمى كربيعة بن مكدم و يسقى الظبا نجيعا كلون العندم فهنيئا للاندلس فقد استردت عهد خلفائها واستجدت رسوم تلك الامامة بعد عفائها فبأن لم تمت أعاصرها ولم يمت حكمها ولا ناصرها اللذان عمرا الرصافة والزهرا ونكعا عقائل الروم وما بذلا لغير المشرفية مهرا والله سبحانه أسأله اظهار أيامك وبه أرجو انتشار أعلامك حتى يكون عصرك أجل من عصرهم ونصرك أغرب من نصرهم بمنه وكرمه وبمنه *(وقال رحمه الله تعالى فى ترجمة الفقيه القاضى الحافظ أبى محمد عبد الحق بن عطية صاحب التفسير الشهير بعد كلام كثير ما صورته) ومررنا فى احدى نزهتنا بمكان مغفر وعن المحاسن مسفر وفيه بكير برجس كانه عيون مراض يسيل وسطه ماء رضراض بحيث لا حس الا اللهام ولا أنس الا ما يتعرض للاوهام فقال

نرجس باكرت فيه روضة * لذ قطع الدهر فيها وعذب
حثت الريح بها خمر حيا * رقص النبت لها ثم شرب
فهذا يسقر عن وجنته * نوره الغض ويهتز طرب
خلت لمع الشمس في مشرفه * لهبا يجمد منه في لهب
وبياض الظل في صفرته * نقط الفضة في خط الذهب

انتهى وسيأتي ان شاء الله تعالى كثير من وصف بلاد الاندلس ومتنزهاتها وما اشتملت عليه من المحاسن في كلام غير واحد ممن يجري ذكره في هذا الكتاب وخصوصا أديب زمانه غير مدافع من اعترف له أهل الشرق بالسبق وأهل المغرب بالابداع المغرب النور أبو الحسن علي ابن سعيد العنسي فانه لما اتصل بمصر ودخلها اشتاق الى تلك المواطن الاندلسية الرائقة ووصفها بالقصائد والمطولات الفائقة وقد أسلفنا أيضا فيما مر من هذا الكتاب بعض ما يتعلق بمحاسن الاندلس فليراجع في محله من هذا الكتاب قلت وماذا عسى أن يذكر من محاسن قرطبة الزاهرة والزهرا ونصف من محاسن الاندلس التي تبسر بكل موضع منها طلاضا وياونهرا وزهرا ويرحم الله تعالى اديبها المشهور الذي اعترف له بالسبق الخاصة والجمهور أبا اسحق بن خفاجة اذ قال

يا أهل أندلس لله دركم * ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم * ولو تخيرت هذا كنت أختار
لا تحتشوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا * فليس تدخل بعد الجنة النار

ويروى مكان قوله ولو تخيرت هذا كنت أختار ما مثاله وهذه كنت لو خيرت اختار ومكان لا تحتشوا الا تحسبوا وكذا رأيت بخط الحافظ الشمني والاول رأيته بخط العلامة الوانشريسي رحمهما الله تعالى * وحكي ان الخليل لما قدم من الاندلس رسولا الى سلطان المغرب أبي عنان فارس ابن السلطان أبي الحسن المريني انشد بحضرة السلطان المذكور أبيات ابن خفاجة هذه كالمفتخر ببلاد الاندلس فقال السلطان أبو عنان كذب هذا الشاعر يشير الى كونه جعلها جنة الخلد وأنه لو خير لاختارها على ما في الآخرة وهذا خروج من ربقة الدين ولا أقل من الكذب والاغراق وان جرت عادة الشعراء بذلك الاطلاق فقال الخليل يا مولانا بل صدق الشاعر لانها موطن جهاد ومقارعة للعدو وجلاد والنبي صلى الله عليه وسلم الرؤف الودود الرحيم العطوف يقول الجنة تحت ظلال السيوف فاستحسن منه هذا الكلام ورفع عن قائل الابيات الملام وأجزل صلته ورفع منزلته ولعمري ان هذا الجواب لجدير بالصواب وهكذا ينبغي ان تكون رسل الملوك في الافتتان روح الله تعالى أرواح الجميع في الجنان وأبو اسحق بن خفاجة كان أوحد الناس في وصف الانهار والازهار والرياض والحياض والرياحين والبساتين وقد سبق بعض كلامه ويأتي أيضا منه بعض في أثناء الكتاب ومن ذلك قوله

وكمامة حدر الصباح قناعها * عن صفحة تندى من الازهار
في أبطح رضعت ثغور أقاحه * أخلاف كل غمامة مدرار

جند نيسابور من بلاد خوارستان وقد كان يعقوب ابن الليث الصفار سكن جند نيسابور وتنقلها من ملوك ساسان الى أن مات هناك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار المعتمدين سكناه أبها ووفوده فيها (ثم ملك بعدهم من نرسي ابنه نيسابور بن هرمز) وهو نيسابور دوالاكتاف وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وسبعين سنة وحمله والده حملا فغلبت العرب على سواد العراق وقام الوزراء بامر التدبير وكانت جمرة العرب ممن غلب على العراق ولد اياد بن نزار وكان ينزل لها ضبق لاطباقها على البلاد وملكها يومئذ الحرث بن الاعرج الايادي فلما بلغ نيسابور من السن ست عشرة سنة أعد أسافنه بالخروج اليهم والايقاع بهم وكانت اياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق وكان في حرس نيسابور رجل منهم يقال له لقيط فكتب الى اياد ينذرهم به ويعلمهم خبر من يقصدهم وهو سلام في الصحيفة من لقيط على من في الجزيرة من اياد بان الليث يأتيكم دلافا فلا يحبكم شوك القتاد أتاكم منهم سبعون ألفا * يجرون الكتائب كالجراد على خيل ستأتيكم فهذا *

نثرت بحجر الارض فيه يد الصبا * درر الندى ودراهم الانوار
وقد ارتدى غصن النقا وتقلدت * حلى الحباب سوالف الانهار
فخلت حيث الماء صفحة ضاحك * جذل وحيث الشط بدء عذار
والريح تنفض بكرة لمم الربا * والظل ينضح أوجه الاشجار
متقسم الالحاظ بين محاسن * من ردف رابية وخصر قرار
وارى كمة سجع الهديل بفرعها * والصبح يسعر عن جبين نهار
هصرت له أغصانها ولربما * حلمت عليه ملاءة الانوار

ودونه

سقيا اليوم قد أحت بسرحة * رياتلاعبها الرياح فتلعب
سكرى يميلها الحمام فتنثني * طربا ويسقيها الغمام فتشرب
يلهو وفرع للشبيبة راية * فيه ويطلع للبهارة كوكب
والروض وجه أزهر والظل قر * ع أسود والماء ثغر أشنب
في حيث أطربنا الحمام عشية * فشدا يغنينا الحمام المطرب
واهتز عطف الغصن من طرب بنا * وافتر عن ثغر الهلال المغرب
فكأنه والحسن مقترن به * طوق على برد الغمامة مذهب
في فتية سرى فينصدع الدجى * عنها ونزل بالحديث فيعصب
كرموا فلا غيث السماحة مخلف * يوما ولا برق اللطافة خلب
من كل أزهر للنعيم بوجهه * ماء يرمرقه الشباب فيسكب

وقال يمدح الامير أبا يحيى بن ابراهيم

سمح الخيال على النوى بمزار * والصبح يسمح عن جبين نهار
فرعت من بارى لصيف طارق * يعشو اليها من خيال طارى
ركب الدجى أحس به من مركب * وطوى السرى أحس به من سارى
وأباح حيث دموع عيني منهل * يروى وحيث حشاى موقد نار
وسقى فأروى غلة من ناهل * أو رى بجانحتيه رند أوار
يلوى الضلوع من الولوع لحرة * من شيم برق أو شميم عرار
والليل قد نصح الندى سرباله * فهمى دمع الطل فوق صدار
منرقب رسل الرياح عشية * بسماء قطط الانواء والانوار
ومجر ذيل عمامة لبسته به * وشى الحباب معاطف الانهار
خفقت ظلال الايك فيه ذوائبا * وارتج ردفا مائل التيار
ولوى القضيب هناك جيدا اتلعا * قد قبلته مباسم الانوار
باكرته والغيم قطعة عنبر * مشبوبة والبرق لفحة نار
والريح تطلع فيه أرداف الربا * لعبا وتلثم أوجه الازهار
ومنابر الاشجار قد قامت بها * خطباء مفصحة من الاطيار

أو يرى الغي في الامور رشادا * لقريب من الهلاك كما أهـ ـلك سابور بالسواد اياد

وقد كان سابور في مسيره

على السواد فلما جهز الروم
نحوهم أعاد اليهم كتابا
يخبرهم أن القوم قد
عسكروا وتحشدوا وهم وشيكون
سائرون اليهم وكتب
اليهم شعرا أوله

يا دار عبلة من بذكارها الحرعا
هيجت لي الهم والاحزان
والوجعا
ألم إياد وحال في سراتهم
أني أرى الرأي ان لم أعص
قد صدعا
الاتحاذون فولا أبا لكم
مشوا اليكم كامثال الدبى
سرعا
لوان جمعهم راعوا وابهتهم
ثم الشمار تحمن ثهلان
لانصدعا
فقادوا أمركم لله دركم
رحب الذراع بأمر الحرب
مضطلعا
فأوقع بهم وعمهم القتل حتى
أوغل منهم الافر لحقوا
بارض الروم وخلع بعد
ذلك أكتاف العرب فسمي
بعد ذلك سابور ذا الاكتاف
وقد كان معاوية بن أبي
سفيان راسل من بالعراق
من عم ليثبوا بعلي بن أبي
طالب رضي الله عنه فبلغ
ذلك عليا رضوان الله
عليه فقال في بعض مقاماته
في كلام له طويل
ان خيبا يرى الصلاح
فسادا

فى فئة جنبوا العجاجة ليلة * ولربما سفروا عن الاقمار
ثار القتام بهم دخانا وارتمى * زند الحفيظة منهم بشرار
شاهدت من هيجانهم وهباتهم * اشراف أطواد وفيض بحار
من كل منتقب بوردة جحلة * كرما ومشتمل بثوب وقار
فى عمة خلعت عليه للمة * وذؤابة قرنت بها لعذار
ضافى رداء المجد طماح العلا * طامى عباب الجود رحب الدار
جرار أذيال المعالى والقنا * حامى الحقيقة والحمى والجار
طرد القنيص بكل قيد طربة * زجل الجماح مورد الاظفار
ماعه أعطافه بحسيره * مكحولة أجفانه بسعار
يرمى به الامل العصى فيشتى * بحضوب درء الضفر والمعار
وبكل بانى النشوط أشدق احرر * طاوى الحشى حالى المفاد مضارى
يفترعن مثل المعال وانما * يمشى على مثل القطا الخطار
مستقريا أثر القميص على الصفا * والليل مشتمل بشملة قار
من كل مسود تلهب طرفه * رميك لحمته بشعلة نار
ومورس السربال يخلع بده * عن نجم رجم فى سماء غبار
يسن فى سطر الطريق وقد عفا * قدما فتقرأ أحرف الآثار
عطف الصمور برابه فكأنه * والنقع يحجبه هلال سرار
وزب رواع هالك أنبطه * حلق المساعم أطلس الاطمار
تجرى على حذر فيجمع بسطه * بهوى فيعطف انعطاف سوار
متدحبل الشأو يعسل راتعا * فيكاد يفلت أيدى الاقدار
متردد يرمى به جوف الردى * كرة نهادنها أكف قمار
ولرب طيار حفيف قد جرى * شلا بجار خلفه طيار
من كل فاصرة الخطا مختالة * مشى الفتاة تجر مسل ازار
محصوبة المنقار يحسب أنها * كرعت على طسما بكاس عقار
ولو استجارت منهما بحمى أتى * يحمى لامنها أعز جوار
حدم القضاء مراده وكلاهما * ملكت يداه أعنة الاقدار
وعنى الزمان لامره فكلاهما * اصغى الزمان به الى أمار
وجلا الامارة فى وفيق نضارة * جلت الدجى فى حلة الانوار
فى حيث وشح لبه بقلادة * منها وحلى معصما بسوار
جذلان يملأ منحه وبشاشه * أيدى العفاة وأعين الزوار
أرج الندى يذكره فكأنه * متنفس عن روضة معطار
بطل حوى الفلك المحيط بسرجه * واستل صارمه يد المقدار
بيمينه يوم الوغى وشماله * ماشاء من نار ومن اعصار

ن البلاد أتى على بلاد
عمرو بن تميم بن مر وله يومئذ
ثلثمائة سنة وكان يعلق
فى عمود البيت فى قبه قد
اتحدت له فراء احمله
فابى عليهم الا أن يتركوه
فى ديارهم وقال أباها لك
اليوم أوعد ومذابى لى
من قبله العمر واعلم الله
بينكم من صولة هذا الملك
المسلط على العرب فحلوا
عنه وتركوه على ما كان
عليه فصبحت خيل سابور
الديار فضروا الى أهلها
فدار فحملوا ونضروا الى
قبه معلقة فى شجرة وسمع
عمرو صهيل الخيل ووقعها
وهمهمة الرجال فاقبل
صبح بصوت ضعيف
فحذره وجاؤا به الى سابور
فلما وضع بين يديه نظر الى
دلائل الهرم ومرور الايام
عليه ظاهرة فقال له
سابور من أنت أيها الشيخ
الفانى قال أنا عمرو بن عم
ان مرو قد بلغت من العمر
ما ترى وقد هرب الناس
منك لاسرافك فى القتل
وشدة سطوتك اياهم
وآثرت الفناء على يديك
لتنجى من منجى من قومى
وأعلم الله ملك السموات
والارض يجرى على يديك
فرجهم ويصرفك عما أنت
بسبيله من قتلهم وأنا
سائلك عن أمر ان أنت اذنت لى فيه فقال له سابور قل يسمع منك فقال له عمرو ما الذى يحملك على والشمس

والشمس خمر والحميا دعارس * والجو كاس والسحاب عوارى
والخيل تعثر في شاشوك القنا * وصداه سمع في الدم المتوار
والبيض تحكي في الطلى وكانما * تلوى عوارضها على أزرار
والسمع يكسر من سنى شمس الضحى * كأنه صدأ على دينار
صحب الحمام النصر صحبة بيطه * في كف صوان به سوار
لو أنه أوفى السماء بطائر * وما اشار ولم يعد ثار
وقضى وقد ملأ الزمان عجائبا * تحت الصفاح وتحت أسد الشار

وقال رحمه الله تعالى

وراكه صرفت سعادة ربها * تندى وأوفاك الكؤس بدار
حفت بدوحها بحر جدول * نثرت على شطوطها الازهار
وكانها وكأن جدول مائها * حسناء قد حضر لها زنار
زف الرجاج بها عروس مدامه * تحلى وزفها العصير بشار
في روضة جمع الندى ظل بها * وتحسمت بزراتها الانوار
سماء يشرق وجهه الزاري * ماء ويقتني مسكه الاعطار
قام الغمام بها وقد نضح الندى * وحمه الثرى واستطاب النوار
والماء في حلى الحباب معلد * زرت عليه حبوبه الانشار

وقال ملهما مالا يلزم

حدها اليك وانها لطيرة * طيرا اليك وليله الديجار
حملت وحبك بهجة من بهجة * عبق العروس وحجله العذراء
من كل وارسه العميص كانما * نشأت بعل بريه الصفراء
تحمت بروض بهائه وماحسنها * بالايكة الخضراء من خضراء
وأتتك تسفر عن وجوه طلعه * وسوى من لثم الشعاع الشعراء
بدى بها وجه الندى ولربما * سطعت هما لك أوجه السراء
فاضحكت وجه الدجى مصبوغة * حملت جمال العبر العبراء

وقال أيضا

وصدر باد ضمنا * ك العرى في عسدا
في مرل قد حبا * بطوله العبر بردا
قد كوبه الشهد حرا * ويعبق الليل ندا
وقد بأرج نور * غص بحالط وردا
كما نعس ثغر * عذب يقبل حدا

وقال من قصيدة يصف مترها

بارد وضاح الجبين كانما * رسم العذار بصفحتيه كتاب
تعرى بطلعته العيون مهابة * وتبيت تعشق عطفه الالباب

بالذي وأهل مملكتي معال عمرو وعلوا ذلك ولست عليهم بتهم طالما بغت بهم وعلى ما كانوا عليه من السعادة بية قال سابور أقتلهم لانا لو فرس نجد في حرون عمنا وما سلف من أحبار أرائنا أن العرب سدار علنا ركون لهم العلب على ما كان عمرو هذا أمر حققه أو تظنه قال بل أتحققه لانه يكون ذلك قال له عمرو وان كنت تعلم ذلك فلم تسر الى العرب والله لئن سرت على العرب جميعا ومحسن اليوم ليكاثرنك عددا ان الدولة لهم على قومك يا سابور وأن أنت طالبتهم المدة كانوا لك عند مصير الملك اليهم يعينون عبيك وعلى قومك ان كان الامر كما تقول وهو الحزم في الرأي والنجع في العاقبة وان كان باطلا لم يستحمل الاثم وتحملت دماء رعيتك معال سابور الامر صحيح وهو كائن لكم وارى ما قلت ولقد صدقت في القول ونجحت في الخطاب فادى مسادى سابور بالامان الناس ورفع السيف والكف عن قتلهم ويقال ان عمرا بقي في هذا العالم بعد هذا الوقت ثمانين سنة وقيل أقل

٤١ ط ل من ذلك والله أعلم وسار سابور نحو بلاد الشام فافتتح المدن وقتل حلائق من الروم ثم طالبته نفسه

خلعت عليه من الصباح غلالة * تندى ومن شفق السماء نقاب
فكرعت من ماء الصبا في منهل * قد شف عنه من القميص سراب
في حيث للريح الرخاء تنفس * أرج وللماء الفرات عباب
ولرب غض الجسم مد بحوضه * سجاكما شق السماء شهاب
ولقد أنخت بشاطئيه يهزني * طربا شباب راقني وشراب
وبكيب دجلته يضاحكني بها * مرحا حبيب شاقني وحباب
تجلى من الدنيا عروس بيننا * حسناء ترشف والمدام رضاب
ثم ارتحلت وللنهار دؤابة * شيباء تحصب والعشار خضاب
تلوى معاطفي الصبابة والصبا * والليل دون الكاشحين حجاب

وقال

مر بنا وهو بدر تم * يسحب من ذيله سحابا
بقامة تثنى قضيبا * وغرة تلتظي شهابا
يقرأ والليل مدلهم * لنورا جلائه كتابا
ورب ليل سهرت فيه * أزجر من جنحه غرابا
حتى اذا الليل مال سكرا * وشق سر باله وجابا
وحام من سدفه غراب * طالت به سنه فشابا
ازددت من لوعتي خبالا * فشمن غلتي شرابا
وماخطا قادسا فوافى * حتى اثنى ناكصا فآبا
وبين جفني بحر شوق * يعب في وجفني عبابا
فدب في وجهه سعاع * وشب عن فابي النهابا
وروضة طلقة حياء * غناء مخضرة جنابا
يحجاب عن نورها كمام * يحط عن وجهه نقابا
بات بها مدمس الافاحي * يرشف من طلها رضابا
ومن خفوق البروق فيها * ألوية حمرت خضابا
كأنها أنمل وراد * تحصر قطر الحيا حسابا

وله

رحلت عنكم ولي فؤاد * تنفض اضلاعه حنينا
أجود ذيكم بعلق دمع * كنت به قبلكم ضنينا
يثور في وجنتي جيشا * وكان في جفنه كمينا
كأني بعدكم شمال * قد فارقت منكم يمينا

وقال

فيا الشجا قلب من الصبر فارغ * ويا لقذى طرف من الدمع ملآن
ونفس الى جو الكنيسة صبة * وقلب الى أفق الجزيرة حنان

بالدخول الى ارض الروم متنكرا ليعرف أخبارهم وسيرهم فتنكر وسار الى القسطنطينية فصاد في ٢

ولمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام منهم فدخل في جملتهم وجلس على موائدهم وقد كان قيصر أمر مصورا أن يصور سابور وصوره له فلما جاء قيصر بالصورة امر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة وأتاه من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدم الى الصورة التي على الكأس وسابور مقابل على المائدة فعجب من اتفاق الصورتين وتقارب الشكلين فقام الى الملك فاخبره فامر به فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور استحقيت العقوبة لامر كان مني فدعاني ذلك الى الدخول الى أرضكم فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فامر بجعله في جلد بقرة وسار فيصر في جنوده حتى توسط العراق وافتتح المدائن وشن الغارات وعضد النخل وانتهى الى مدينة جنديسابور وقد تحصن بها وجوه فارس فنزل عليها وحضر بيلهم في تلك الليلة التي أشرفوا على فتح المدينة في صبيحتها فاغفل الموكلون أمر سابور واحد الشراب منهم وكان بالقرب من سابور جماعة من أسارى الفرس فحاطبهم ان يحل بعضهم بعضا

تعوضت من واها آه ومن هوى * بهون ومن احوان صدق بحوان
وما كل بيضاء بروق بشحمة * وما كل مرعى ترتعيه بسعدان
فيا ليت شعرى هل لدهرى عطفة * فتجمع أوطارى على وأوطانى
ميادين أوطاني ولدة مسعى * ومنشأ أيامى وملعب صبيانى
كان لم يصلى بيه طى يقوم لى * لماه وصدعاه براحى وريحانى
فسقيا لوادبهم وان كنت انما * أبيت لذكراه بغلة ظمآن
فكم يوم لهو قد أدرنا بأفقه * بجوم كؤس بين أعار يدمان
وللقصب والاطيار ملهى بجرعة * هاشمت من رقص على رجع ألحان
وبالحضره العراء عز علقته * فأحببت حبا فيه وصبان نعمان
رقيق الحواشى فى محاسن وجهه * ومنطقه مسلى قلوب وآذان
اعار لحدّيه على الورد كلما * بدا ولعطفيه على أغصن البان
وهيفى أجنى وردخد بساطرى * عن أين لى مسه بتفاح لبنان
يعللنى منه بموعد رشفة * خيال له يغرى بمطل وايمان
حبيب عليه لجة من صوارم * علاها حجاب من أسنة مران
نراءى لنا فى مثل صورة يوسف * براءى لنا فى مثل ملك سليمان
طوى برده منها صحيفة فتنة * قرأنا لها من وجهه سطر عنوان
محبته دينى ومثواه كعبتى * ورؤيته حجى وذكراه قرآنى

وقال

وليل نعاطينا المدام وبيننا * حديث كهاب السيم على الورد
نعاوده والكاس يعبق نفحه * وأطيب منها ما يعيد وما ندى
وتغلى اقاح الثغر أو سوس الطلى * ورجسة الاجفان أو وردة الخد
الى أن سرت فى جسمه الكاس والكرى * ومالا بعطفيه هيال على عضدى
فأقبلت استهدى لما بين اضلعى * من الحر ما بين الضلوع من البرد
وعاينته قد سل من وشى برده * فعاينت منه السيف سل من الغمد
ليان مجس واستقامة قامة * وهزة أعطاف ورونق اغرند
أعازل منه الغصن فى معرس الثنا * وألثم وجه الشمس فى مطلع الغد
فان لم يكنها أو تكنه فانه * أخوها كما قد شرالشمس من الجلد
تسامر كالتمثال حتى تجسمه * فطورا الى حصر وطورا الى نهد
وتهبط من كثيبه كى تهامة * وتصعد من نهديه أحرى الى نجد

وقال أيضا

ورداء ليل بات فيه معانقى * طيف ألم بظبية الوعساء
فجمعت بين رضابه وشرابه * وشربت من ريق ومن صهباء
ولثمت فى ظلماء ليلة وفرة * شفتا هنالك لؤلؤة حمراء

وهم قتلوا اباقا بوس عصبا * وهم احدوا البسيطة من اياد وفى فعل سابور وغيره نفسه فى دخوله الى ارض

الدينور وهم يسايرون على سورها لحفاظهم فعرفوه ورعوه بالجميل ففتح أبواب خزائن السلاح وخرج بهم ففرقهم حول مواضع من الجيش والروم عارون مطمئنون فكبس الجيش عند ضرب الفسطاط فاتوه بقيصر اسيرا فاستحياه وابى عليه وصم اليه من اولئك من العمل من رجاله يعرس فيصير بالعراق الزيتون بدلا مما عضده من النخل وبها ولم يكن يعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك وبنى شاذروان مدينة تسمر لنهرها والشاذروان هو المسناة العظيمة والسكر من الحجر والحديد والرصاص وعمر ما الخرب فى احصار يطول ذكرها وانصرف قيصر نحو الروم وقد ذكر فى بعض الاخبار ان سابور رد فى قيصر وقطع اعصاب عقبيه او ربها وان الروم ترى دواتها ولا تلبس الخفاف المعقبة وفى ذلك يقول الحارث بن جندة المعروف بالمرران شعرا

هم ملكوا جميع الناس طرا
وهم رسوا هرقلا بالسواد

والليل مشمط الدوائب كبرة * خرف يدب على عصا الجوزاء
ثم انثنى والصبح يسحب فرعه * ويجر من طرب فضول رداء
تغدى بقيه اقحوانة أجرع * قد غازلتها الشمس غب سماء
وتميس فى اثوابه وبحانه * كرعت على ظمأ بجدول ماء
تفاحة الانفاس الا انها * حذر المدى خفاقة الاحياء
فلويت معطفها اعتناقا حسبما * فيه بقطر الدمع من انواء

انتهى * (وكان المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى) * كثيرا ما ينتاب وادى الطلح مع زملته وأولى أنسه ومسرته وهو واد بشرق اشبيليه ملتف الاشجار كثير ترنم الاطيار وفيه يقول نور الدين بن سعيد

سائل بوادى الطلح ريح الصبا * هل سخرت لى من زمان الصبا
كانت رسولا فيه ما بيننا * لن تأمن الرسل ولن تكتبا
يا قاتل الله اناسا اذا * ما استؤمنوا خانوا فما أعجبا
هلا رعوا أنا وثقنا بهم * وما اتخذناهم مذهبا
يا قاتل الله الدى لم يثب * من غدرهم من بعد ما جربا
والبين لا يعرف ما طعمه * الا الدى وانى لأن يشربا
دعنى من ذكر الوشاة الالى * ما برل فكرى بهم ملهبا
واذكر بوادى الطلح عهد الصبا * لله ما أحلى وما أطيبا
بجانب العطف وقد مالت الاغصان والزهر يبث الصبا
والطير مازت بين ألحانها * وليس الا مجبا مطربا
وخانى من لا أسميه من * شح أخاف الدهر أن يسلبا
قد أترع الكاس وحيانها * وقلت أهلا بالمنى مرحبا
أهلا وسهلا بالذى شئته * يا بدر تم مهد ما كوكبا
لكننى آليت أسقى بها * أو تود عنها ثغرك الاشنبا
فجع لى فى الكاس من ثغره * ما حبب الشرب وما طيبا
وقالها لثمى نقلا ولا * تشم الا عرفى الاطيبا
واقطف بحدى الورد والآس والنسرين لا تجفل بزهر الربا
أسعفته غصنا غداة شمرا * ومن جناه ميسه قربا
قد كنت ذا نهى وذا امرة * حتى تبدى فملت الحبا
ولم أصن عرضى فى حبه * ولم أطع فيه الذى أنبا
حتى اذا ما قال لى حاسد * ترجوه والكوكب أن يغربا
أرسلت من شعرى سحرا له * يسر المرغب والمطلبا
وقال عرفه بأنى سا * ستال فما أجتنب المكتبا
فزاد فى شوقى له وعده * ولم أزل معتقدا مرقبا

كان بالروم جاسوسا يحول به
حوم المنية من ذى كيد مكار
فاستأسروه وكانت كبوة نجيبا
وزلة بعث من غير عثار
فاصبح الملك الرومى معترضا
أرض العراق على هول واحضار
فراض الفرس بالابواب فافترقوا
كم تحارب أسد الغاب فى الغار
فخذ بالسيف ام الروم فامتحنوا
لله درك من ظلاب أوتار
اذ يغرسون من الزيتون ما عضدوا
من النخيل وما حفوا بمنشار
وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم ونقل خلقا من اهلها واسكنهم بلاد السوس ونستر وغيرها من مدن كور الاهواز فتناسلوا وقطنوا تلك الديار فى ذلك الوقت صار الديباج التسترى وغيره من انواع الحرير يعمل بنستر والخز بالسوس والستور والفرش ببلاد نصيبين وسكت الى هذه الغاية وقد كان من نسلهم من ملوك الساسانية وكثير ممن سلف من فارس الاولى يسكن بطيسبون وذلك بعربى المدائن من ارض العراق فسكن امد

أمذطرفى ثم أثنيه من * خوف أخى التنغيص أن يرقبا
أصدق الوعد وطورا أرى * تكذيبه والحر لن يكذبا
أبى ومن يحسره بعدما * أياس نطاء كاد أن يغصبا
قبلت فى الترب ولم أستطع * من حصر الالماسوى مرحا
هنأت ربى اذ عداها له * وقلت يامن لم يضع أشعبا
بالله ما يعتقها لاثما * قال كالعين ثقة الحبب
فقال ما رغب قلت انتدب * أدركت ادكلتى المرغب
فقلت لا مرغب عن ذكرها * ترغبه قلت ابن مركبا
وكان ما كان فو الله ما * ذكرته دهرى أو أعلبا

وستأتى هذه القصيدة بكمالها فى جملة من نظم ابن سعيد المذكور وقال يشوق الى اشبيلية وهى حمص الاندلس

أن الخليج وعنت الورقاء * هل رجعا اذ هاجت الرجعاء
أناشدكما أولى بحلة عانس * أمنى وسعت فى الصعداء
أحشى الوشاة هما أموه بلفظه * والكتم عند العاشقين عياء
لولا شوق أرض حمص ماجرى * دمعى ولا شمتت بى الاعداء
لم استطع كتمان ما بى كاننى * ما كان لى كتم ولا اخفاء
والدمع مهما رام كتمان سرى * فيه ينم على سراء ضراء
لله منى يخطر له ذكرها * قلبى وحان نصبر وعزاء
من بعده ما الصبح يشرق نوره * عندى ولا تتبدل الظلماء
لله من ذى وفاء لم يحس * عهدى ويعمو بالوداد وفاء
ستراه ادما مرة كرى سائلا * عن حالتى ان قلت الانباء
بمسى ويصبح فى تذكر مدة * يرضى بها الاصباح والامساء
مع كل مبذول الوصال ممنع * من غيرنا تسمو به الخيلاء
كالظبى كالشمس المنيرة كالمنا * كالغصن يثنى معطفيه رخاء
يسعى براح كالشهاب براحة * كالبدر والوجه المنور كاء
مالان تحت الوصل حتى سال منه * المجر واتصلت به البلواء
خبر الحبة ما تأت عن قلى * تدرى بؤس العاقة النعماء
ما زلت أرقى بالقريض جنونه * حتى استكان وكان سهل اباء
فظفرت منه بمدة لو أنها * دامت لدامت لى بها السراء
صفو تكدر بالتحرك ليته * ما زال لكن لا يرد قضاء
ان الفراق هو المنية انما * أهل النوى ماتوا وهم أحياء
لولا تذكر لذة طابت لنا * بذرى الجزيرة حيث طاب هواء
وجرى النسيم على الخليج معطرا * وتبددت فى الدوحة الانداء

وكان أبرويز هو الذى بنى هذا الايوان وقد كان الرشيد نازلا على دجلة بالغرب من الايوان ومع بعض الخدم من وراء السرادق يقول لا حول هذا الذى بنى هذا البناء ابن كذا وكذا أراد أن يصعد عليه الى السماء فامر الرشيد بعض الاستاذين من الخدم أن يضربه مائة عصا وقال لمن حضره ان الملك سمة والملوك اخوة وان الغيرة يغتفى على مثله وعلى أدبه لصيانة الملك وسا يليق الملوك للملوك (وذكر) عن الرشيد بعد هذا الحبس على البرامكة انه بعث الى يحيى بن خالد بن برمك وهو فى اعتقاله يشاوره فى هدم الايوان فبعث اليه لا تفعل فقال الرشيد لمن حضره فى نفسه المحبوسية والحنو عليها والمنع من ازالة آثارها فشرع فى هدمه ثم تضرر فادا لزمه فى هدمه أموال عظيمة لا تضبط كثرة فامسك عن ذلك وكتب الى يحيى يعلمه ذلك فاجابه بان ينفق فى هدمه ما بلغ من الاموال ويحرص على عمله فعجب الرشيد من تمادى كلامه فى أوله وآخره فبعث اليه يسأله عن ذلك فقال

نعم أما اشرت به فى الاول فانى أردت بقاء الذكر لامة الاسلام وبعد الصيت وان يكون من يرد فى الاعصار وبطر أمم الامم

ما كابدت نفسي ألـيم تفكر * ألوى به عن جفني الاغماء
يانهر رجص لاعدتك مسرة * ماء يسيل لديك أم صهباء
كل النفوس تهش فيك كأنما * جمعت عليك شتاتها الاهواء
ودى اليك مع الزمان مجدد * ماان يحول تذكروفاء
ولوانني لم أحى ذكر الذى * أوليته ماكان في حساء
ما كنت أطمع في الحياة لو انني * أيقنت أن لايسترد لقاء
غيري اذا ما بان حان واعما * أبقى في حياتي حين بان رجاء

وسيأتي ان شاء الله تعالى لهذا المعطوعيره مزيد أثناء الكتاب بحسب ما اقتضته المناسبة والله تعالى المرجو في حسن المتاب وهو سبحانه لا اله الا هو الموفق للصواب

(الباب الخامس)

في التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق الزاكية العراق والشام ومدح جماعة من أوائل الاعلام ذوى العقول الراجحة والاحلام لشامة وجنة الارض دمشق الشام وما اقتضته المناسبة من كلام اعيانها وأرباب بيانها ذوى السؤدد والاحتشام وخاطباتهم للفقير المؤلف حين حلها سنة ألف وسبع وثلاثين للهجرة وشاهد برق فضلها المبين وشام

*(اعلم جعلني الله تعالى واياك) ممن له المذهب الحق انتحال أن حصر أهل الارتحال لايمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الاحاطة الا علام الغيوب الشديد المحال ولو اطلعنا عنان الاقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء العلماء الاعلام لطال الكتاب وكثر الكلام ولكنا نذكر منهم لمعا على وجه التوسط من غير اطناب داع الى الملال واختصار مؤد للاخلال فنقول مستمدين من واهب العقول (منهم عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي) وقد عرف به القاضي عياض في المدارك وغيره واحد ورأيت في بعض التواريخ أن تواليفه بلغت ألفا ومن أشهرها كتاب الواضحة في مذهب مالك كتاب كبير مفيد ولابن حبيب مذهب في كتب المالكية مسطور وهو مشهور عند علماء المشرق وقد نقل عنه الحافظ ابن حجر وصاحب المواهب وغيرهما وس نظمه يخاطب سلطان الاندلس

لاتنس لاينسك الرحمن عاشورا * واذكره لازلت في التاريخ مذكورا
قال النبي صلاة الله تشمله * قولا وجدنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسع في انفاق موسمه * ان لايزال بذاك العام مسرورا

وهذا البيت الثالث نسمت لفظه فكتبته بالمعنى والوزن اذ طال عهدي به والله تعالى أعلم

*وقال الفتح في المطمع الفقيه العالم ابو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي اى شرف لاهل الاندلس واى مفخر واى بحر بالعلوم يزخر خلدت منه الاندلس فقيها عالما عاد مجاهل اهلها معالما واقام فيها للعلوم اسواقا نافقة ونشر منها الوية خافقة وجلا عن الالباب صدأ الكسل وشحذها شحذ الصوارم والاسل وتصرف في فنون العلوم وعرف كل معلوم وسمع بالاندلس وتفقه حتى صار أعلم من بها وأفقه ولقي أنجاب مالك وسلك في مناظرتهم أوعر

في الازمان يرى مثل هذا البنيان العظيم فيقول ان أمة قهرت أمة هذا بنيانها فارالت رسومها واحتوت على ملكها لامة عظيمة شديدة منيعة وأما وان الثاني فاخبرت انه قد شرع في هدمه ثم عجز عن ذلك فاقتصر على ما ترى من أثر الاقدام ثم ان هذه الامة انقرضت عن هدم ما بنته وعن رسم ما شيد ذلك من كلامه قال فقلت له ما الله تعالى بما سمعته قال شيأ قط الا صدق فيه واعرض عن هذه وسابور هو الذي بنى نيسابور ببلاد خراسان وغيرها بفارس والعراق (وسلك بعده أخوه اردشير بن هرمز) وكان ملكه الى أن خلع أربعين سنة (ثم ملك بعده سابور) ابن سابور خمس سنين وكانت له حروب كثيرة مع اياد بن نزار وغيرها من العرب فيقول فيه شاعر اياد

على رغم سابور بن سابور أصبحت * قباب اياد حولها الحل والرحم

ويقال ان هذا الشعر قاله نصر بن لخم لوابصة الردم حين وقع بهم سابور ذو الاكتاف على ما ذكرنا ثم تراجعوا الى ديارهم وانضافوا الى ربيعة من ولد بكر بن وائل وان ربيعة كانت قد غلبت على السواد وشتت العمارات في ملك سابور بن سابور فقال شاعر اياد في ذلك ما وصفنا وهم

داخلون فى جملة ربيعة وقيل غير ذلك والله أعلم بالصحيح

(ثم ملك بعده بهرام) بن سابور وكان ملكه

المسالك حتى أجمع عليه الاتفاق ووقع على تفضيله الاصفاق ويقرأ له الى مالك آخر عمره وروى عنه عن سعيد بن المسيب ان سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم كان ركب الى بيت المقدس وتعدى به ثم يعود فتعشى باصطخر وله فى الفقه كتب الواضحة ومن أحاديثه عرائب قد تحلت بها للرمان محور تراثب (وزار محمد بن اسماعيل) بعضه الاندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وراوها يحيى بن يحيى وكان عبد الملك قد جمع الى علم الفقه والحديث علم اللغة والاعراب وصرف فى فنون الآداب وكان له شعر يتكلم به مبتدأ سرى بعضه بذلك معربا وتوفى بالاندلس فى رمضان سنة ٢٣٨ وهو ابن ثلاث وثمانين سنة بعد ما حال فى الارض وضع طوله العرض وحال ما أكافها وانتهى الى أشرافها ومن شعره قوله

قد طاح أمرى والذى أتقى ... هين على الرحمن فى قدرته
ألف من الحمر وأفضل منها ... لعالم أزرى على عالمه
رب ياس قد أعطيها جاهله ... وحرمنى أشرف من حرمه

وكتب الى الرحالى رسالة وصلها بهذه الابيات

كيف تطيق الشعر من أصبحت ... حالاته اللوم لآل العرق
والشعر لا يلبس الا على ... فراع قلب واسع الحلق
فاقنع بهذا القول من شاعر ... يرضى من الحظ بأدنى العلق
وصلك قد ثار عليه كما ... ثار لاهل الارض صوء الشفق
أما ترى الودمى لكم ... وهو من المختوم فيما سبق

ولم يكن له علم بالحديث يعرف به صحيحه من معتله ويفرق مستقيمه من مختله وكان عرضه الاجازة وأكثر رواياته غير مستجازة قال ابن وضاح قال ابراهيم بن المنذر أتى صاحبكم الاندلس يعنى عبد الملك هذا بعرارة مملوءة فقال لى هذا علمك قلت له نعم ما ضر أهلى منه عرفا ولا قر أنه عليه وحكى انه قال فى دخوله المشرق وحضر مجلس بعض الاكابر فأورد رأيه من رآ

لا تنصرن الى جسمى وقلته ... وانظر لصدرى وما يحوى من الدين
فرب ذى منظر من غير معرفة ... ورب من تزدريه العين ذو ثمن
ورب لؤلؤة فى عين مرذلة ... لم يلق مال لها الا الى رمن

انتهى ما فى المطمح الصغير قلت أما ما ذكره من عدم معرفته بالحديث فهو غير مسلم وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين نعم لاهل الاندلس عرائف لم يعرفها كثير من المحدثين حتى ان فى شفاء عياض احاديث لم يعرف أهل المشرق المعاد محرجها مع اعترافهم بجلالة حفاظ الاندلس الذين نقلوها كيحيى بن محلد وابن حبيب وغيرهما على ما هو معلوم: وأما ما ذكره عنه من الاجازة بما فى العرارة فذلك على مذهب من يرى الاجازة وهو مذهب مستفيض واعتراض من اعترض عليه انما هو بناء على القول بمنع الاجازة فاعلم ذلك والله سبحانه الموفق (ومن الراحلين) من الاندلس الفقيه المحدث يحيى بن يحيى الليثى رواى الموطا عن مالك رضى الله تعالى عنه ويعلم ان أصله من برابر مصمودة وحج انه لما ارتحل الى مالك

(ثم ملك بعده بهرام) بن سابور وكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وقيل احدى عشرة سنة (ثم ملك بعده يزدجرد) بن سابور الملقب بالاثيم وكان ملكه الى ان هلك احدى وعشرين سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوما وقيل اثنين وعشرين سنة (ثم ملك بعده) بهرام بن يزدجرد وكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وقيل سبع عشرة سنة وهو الذى سماه ملوك العرب بهرام جور وانما سمى بذلك لانه لما ولى الملك بعث الى ملك الهند يطلب منه الفيل الابيض الذى لم ير مثله فى زمانه وكان قد بلغه عنه انه لا نظير له فى حسنه وقوته وكان ملك الهند قد ضن به على ملوك الارض كلهم فلما بلغه كتاب بهرام بعث اليه بالفيل مع رسول وكتب اليه يعلمه انه لم يبعث اليه بالفيل الا لانه لم ير فى الارض ملكا أحق به منه فلما وصل الفيل الى بهرام ركبه وطاف به على جميع أهل مملكته ليعلموا ان ملك الهند قد بعث اليه بالفيل لانه لم ير فى الارض ملكا أحق به منه فلما رأى الناس ذلك علموا ان ملك الهند قد خضع له وأذعن بطاعته وانقاد لامره فلما رأى بهرام ذلك منه أعجبه وسر به وأمر له بجائزة سنية وكان بهرام هو الذى بنى الخورنق وسدير وهما قصران بظهر الكوفة وكان سبب بنائه لهما ان أباه يزدجرد كان قد عهد اليه عند موته ان يسير الى الحيرة فيقيم بها ويتخذ بها مدينة ويبنى بها قصرين ويسكنهما ففعل ذلك بهرام وبنى الخورنق وسدير وكان بهرام كثير الصيد للحمر الوحشية وكان يتبعها فى الآجام والاودية والقفار وكان يصيد منها صيدا كثيرا وكان له فى ذلك آثار عجيبة وأخبار غريبة وكان بهرام قد أقطع الاساورة الذين كانوا معه فى حروبه بلاد الموصل وكانوا ثمانية آلاف فارس فلما مات بهرام وقام بعده ابنه يزدجرد الاثيم ساءت سيرته فى الاساورة وأراد أن يسلبهم ما كان أبوه أقطعهم فامتنعوا عليه وقاتلوه فقتل منهم خلقا كثيرا فلما رأوا ذلك منه ساروا الى بلاد الروم وانضموا الى ملكها وكان بهرام كثير الاجتهاد وتسكب الطرق فى السير من جزيرة الحيرة حتى أتى على حافات دجلة وسار نحو العراق برأسه فلما تملك الارض وهادنه قيصر وحمل اليه الاموال وقد كان بهرام قبل ذلك دخل الى ارض الهند متنكرا ولاحظ رهم معرفا واتصل بشرمة ملك من ملوك الهند فلما بين يديه فى حرب من حروبه وأمكنه من عدوه فرفع جواده على الفيل فقتله وكان يقول

الملك بعد أبيه وتناوله
الناج والرايه وقد ما
بين يديه بأخبار سيرة ذلك
و يريضول ذكرها ولا يه
عليه سمى بهرام جورو با
أحد من الرعى بالنشاب فى
امه ومن الاصم فى داخل
القوس وخارجها وقد
على سائر ذلك فى
كتابنا اخبار الزمن
و الكتاب الاوسط وما قالت
الفرس والترك فى بنية
العروس وانهام كتبة على
الصنائع الاربع كصنائع
الانسان وما هو الها من
انواع الرمى وكيفيته وما
حفظ من شعر بهرام جور
دوله يوم ظفره بخاقان وقوله
له
أقول له لما قصصت
موعه
كامل لم نسمع به ولا
بهرام
فانى حامى ملك فارس كلها
وما حيره ملك لا يكون له حامى
(وقوله أيضا)
لقد علم الانام بكل أرض
بانهم وقد اصحر الى سبيدا
ملكت ملوكهم وقهرت
منهم
عزيزهم المسود والمسودا
فتلك اسودهم تقضى حذارى
وترهب من مخافتى الورودا

ولازمه فيهما هو عنده فى مجلسه مع جماعة من أصحابه اذ قال قائل حضر الفيل فخرج أصحاب مالك كلهم ولم يخرج يحيى فقال له مالك مالك لم تخرج وليس الفيل فى بلادك فقال انما جئت من الاندلس لانظر اليك واتعلم من هديك وعلمك ولم أكن لانظر الى الفيل فأعجب به مالك وقال هذا عاقل الاندلس ولذلك قيل ان يحيى هذا عاقل الاندلس وعيسى بن دينار فقيهها وعبد الملك بن حبيب عالمها ويقال ان يحيى راويها ومحدثها وتوفى يحيى بن يحيى سنة ٢٠٤ فى رجب وقيل فى شعبان وقيل بقرطبة وقيل ان وفاته فى السنة التى قبلها والله تعالى أعلم ورواية الموطأ مشهورة يعنى ان أهل المشرق الآن يسندون الموطأ من روايته كثيرا مع تعدد رواة الموطا والله أعلم وكان يحيى بن يحيى روى الموطأ بمرطبة عن زياد بن عبد الرحمن اللخمى المعروف بشطون وسمع من يحيى بن مصر الغسانى الاندلسى ثم ارتحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب فى كتاب الاعتكاف شك فى سماعها فاثبت روايته فيها عن زياد وذلك مما يدل على ورعه وسمع بمصر من الليث بن سعد وبمكة من سفيان بن عيينة وتفقه بالمدنيين والمصريين كعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم العتقى وسمع منهما وهما من أكابر أصحاب مالك بعد انصراف مالك وملازمته له وانتهت اليه الرياسة بالاندلس وبه اشتهر مذهب مالك فى تلك الديار ونفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه خلق كثير وأشهر رواة الموطا وأحسنهم رواية يحيى المذكور وكان مع أمانته ودينه معظما عند الامراء يكفى عندهم عفيا عن الولايات متنزها جلت رتبته عن القضاء وكان أعلى من القضاة قدرا عند ولاة الامر بالاندلس لزهده فى القضاء وامتناعه قال الحافظ بن حزم مذهبان انتشرا فى بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبى حنيفة فانه لما ولى القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق الى أقصى عمل افريقية فكان لا يولى الا أصحابه والمنتسبين لمذهبه ومذهب مالك عندنا بالاندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول فى القضاء وكان لا يلى قاض فى أقطار الاندلس الا عن مشورته واختياره ولا يشير الا بأصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع الى الدنيا فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به على أن يحيى لم يل قضاء قط ولا أحب اليه وكان ذلك زائدا فى جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم انتهى: وذكرنا فى غير هذا الموضع قولا آخر فى سبب انتشار مذهب مالك بالاندلس والله سبحانه أعلم بحقيقة الامر وقال ابن أبى الفياض جمع الامير عبد الرحمن بن الحكم الفقهاء فى قصره وكان وقع على جارية يحبها فى رمضان ثم ندم أشد ندم فسألهم عن التوبة والكفارة فقال يحيى تكفر بصوم شهرين متتابعين فلما بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتى خرجوا فقال بعضهم لو لم تعت بمذهب مالك بالتخيير وقال لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة ولكن حملته على اصعب الامور لئلا يعود وقال بعض المالكية ان يحيى ورى بهذا ورأى أنه لم يملك شيأ أذهو مستغرق الذمة فلا عتق له ولا اطعام فلم يبق الا الصيام انتهى ولما انفصل يحيى عن مالك ووصل الى مصر رأى ابن القاسم يدون سماعه من مالك فنشط للرجوع الى مالك ليسمع منه المسائل التى رأى ابن القاسم يدونها فرحل رحلة ثانية وألفى مالكا عليلا فأقام عنده الى أن مات وحضر جنازته فعاد الى ابن القاسم وسمع منه سماعه

وكنت اذا نشارس ملك أرض ... عصانى له الكتائب والجنودا فيعطينى المقادة أو أوافى ... به يشكو السلاسل والقيودا من

وله أشعار كثيرة بالعربية والفارسية اعرضنا عن ذكرها في هذا الموضع

من مالك هكذا ذكره ابن الفرضي في تاريخه وهو مما يرد الحكاية المشهورة الآتي بالمغرب أن يحيى سأل مالكا عن زكاة التبن فقال لا زكاة فيه فعاد يهاتفه عند باب مالك وبدار وصل الى الاندلس أن يرسل اليه مالك سفينة مملوءة تبنا فعل وصل أرسله ردا لمالك فمات انتهى قال ابن الفرضي ولما انصرف يحيى الى الاندلس كان امام وقته بواحد لاده وكان ممن انتهت اليه رياسة الفتيا في وقته الرئيس المشهور فعزا الى طليطلة فاستأمن فكتب له الامير الحكم أمانا وانصرف الى قرطبة وقبل لم يعط أحد من أهل الاندلس من التقدم لها الاسلام ما أعطى يحيى من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر وقال ابن بشكوال ان يحيى بن يحيى كان صاحب الصلاة بقرطبة أحد في وقته وهو معدود في آخر أصحاب مالك وروى عنه أنه قال أحصر بركاب الليث بن سعد ما أراد علماء الاندلس عن مسائل سألهم قال لي الليث حدث العلم فلم يزل في الانام حتى رأيت ما ترى (ومنهم) القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى قال في المطمح من بني يحيى بن يحيى الليثي وهذه شيمة علم وعمل وصحة ضبط وعقل كان علم الاندلس وعالمها المدبر ولي القضاء بقرطبة بعد رحلة رحلها الى المشرق وجمع فيها من الروايات والسماع كل مفترق وحال في آفاق تلك الآفاق لا يستقر في بلد ولا يستوطن في جلد . ثم الى الاندلس فسمت رتبته وعلت بالامانة لديه وتصرف في ولاياته أحمد تصرف بامانته واصالة رأيه فولاه القضاء بقرطبة ولاه نيابة محمودة ورياسة في الدين مبرقة العرى شهودة الذرى مرموقا بالانصراف في تسديد الحدود والحزابة في اقامة الحدود والكشف عن البيان في السر والصدع بالحق في الجهر لم يستمله خادع ولم يكده مخادل ولم يهب صارما ولا اخشى دارة ولا اعصى لاحد من أرباب السلطان وأهله حتى شاهد واحدة طابقه فلم يحسر أحد منهم عليه وكان له صدع واقرون الاذعان وحضر البلاط اذا ظهر اذا كسف ومن ملح شعره ما قاله عند اوبته من سريته

كأن لم يكن بين ولم يك سرية ... اذا كان من بعد العراق تلاقي
كأن لم تزر بالعراقين معشرا ... ولم تعركا السوق ما عاش
ولم أزر الاعراب في جنب أرضهم ... ولا ان الذي من رامهرمز راق
ولم أصطبح باليد من قهوة الندى ... وكاس سقاها في الاراهر ساق

وله أيضا

مادا أكابد من ورق معهده ... على قضب بدار الحي مياس
ردين شجوا شجى قلب الحلي معا ... في عمره رحمة في الحب من باس
ذكرته الرمس الماضي بعرطبة ... بين الاحبة في أمن وايناس
هم الصبابة لولا همة شرفت ... فصيرت قلبه كالمجتدى العاسي

وله أخبار تدل على رقة العراق والبعد بها عن تلك الآفاق : فمنها انه خرج الى حضور جماره بمنبر قريش ورجل من بني جابر كان يواخيه له منزل معروف عليه في الميل اليه وعلى أخيه فنزل عليه فاحضر لهما طعاما وأمر جاريته ان تغني فغنت

طابت بطيب لثاتك الافداح ... وزهت بحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت ارواحه ... طابت بطيب نسيمك الارواح

طاسا للايحار (ثم ملك بعده يزدجرد) بن بهرام وكان ملكه تسع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما وقد كان بنى حصنا باللان والطيلسان باب الابواب على حدة ما وقد ذكرنا فيما ألفناه من هذا الكتاب الذي ذكرنا الباب والابواب وجمل القول وأحصر يزدجرد بن بهرام رجلا من حكماء عصره كان له أقاصي مملكته أحدا من أحلافهم ممن تأنس الرأي منهم وذكر به وعنه فقال له يزدجرد ويحك ما أرى مثل ديارنا أبقاها الحكيم العاصل ما صلاح الملك فقال الرعي بالرعية وأخذ الحق منهم من حقه منعة والمودة لهم بالعدل وأمن السبل واصلاح المظلوم من الظالم فقال ما صلاح أمر الملك فقال ورزاؤه واعوانه فان هم أصلحوا صلح وان فسدوا فسد فقال ليزدجرد الناس بعد كثيرة الى أمثال الصبي فصف لي ما الذي ينبغي ويشبهها وما الذي يكرهها ويدفعها فقال ينبغي لها سعاة تحشها جراة عامة ولدها استخفاف بحاصة واكدها انبساط الالسن بمكاره العلوب واشفاق مورد امل

يزدجرد بن بهرام وكان ملك فيروز الى ان هلك على يدى ملك الهياطلة باحسران عسر والروذ من بلاد خراسان سنة اثنتين وعشرين سنة والهياطلة هم الصغد وهم بنو بخارى وسمرقند (ثم ملك بلاش) بن فيروز الملك ودين ملكه أربع سنين (ثم ملك قباذ) بن فيروز وفى أيامه ظهر مزدق الزنديق واليه تضاف المزدقية وله أخبار مع قباذ وما حدثته فى العامة من النوامس والحيل الى ان قتله أنوشروان فى ملكه وكان ملك قباذ الى ان هلك ثلاثا وأربعين سنة (ثم ملك بعده ولده أنوشروان) بن قباذ بن فيروز ثمانيا وأربعين سنة وقيل سبعا وأربعين سنة وثمانية اشهر وقد كان قباذ خلع من ملكه وأجلس أخاه يقال له جاماست نحوا من سنتين لامر كان من مزدق وأصحابه فظافر أنوشروان بزرجمهر بن بحتكان وحتى اعيد قباذ الى ملكه فى خبر طويل ولما ملك أنوشروان وقتل مزدق وأتباعه بثمانين الفا من أصحابه وذلك بين حادر والنهروان من أرض العراق سمى من ذلك اليوم أنوشروان وتسمى ذلك جديد الملوك وجمع أهل مملكته على دين المجوسية

واذا الخماس ألبست ظلماؤها * وضياء وجهك فى الدجى مصباح

وكتبها القاضى فى ظهر يده وخرج من عنده قال يونس بن عبد الله فلقد رأيته يكبر للصلاة على الخمارة والابيات مكتوبة على ظهر كفه وكان رحمه الله تعالى فى غاية اللطف حكى بعض أصحابه قال ركبنا معه فى موكب حافل من وجوه الناس اذ عرض لناقتى متأدب قد خرج من بعض الازقة سكران يتمايل فلما رأى القاضى هابه وأراد الانصراف فخانته رجلاه فاستند الى الحائط وطرق وما قرب القاضى رفع رأسه وانشأ يقول

ألا أيها القاضى الذى عم عدله * فأضحى به بين الانام سريدا
قرأت كتاب الله تسعين مرة * فلم أر فيه للشراب حدودا
فان شئت جلدا فى قدونك منكبا * صبورا على ريب الزمان جليدا
وان شئت أن تعفو تكن لك منة * تروح بها فى العالمين حميدا
وان انت تختار الحديد فان لى * لسانا على هجو الزمان حديدا

فلما سمع شعره وميز أدبه أعرض عنه وترك الانكار عليه ومضى لشأنه انتهى ملخصا من المطمح

* ورأيت بخطى فى بعض مسودانى ما صورته محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثى قاضى الجماعة بقرطبة سمع عم أبيه عبد الله بن يحيى ومحمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ورحل من قرطبة سنة ٣١٣ ودخل مصر وحج وسمع بمكة من ابن المنذر والعقيلى وابن الاعرابى ومعانى الشعر شاعرا مطبوعا وشاوره القاضى أحمد بن بقى واستقضاه الناصر عبد الرحمن بن محمد على البيرة وبجاية ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة بعد أبى طالب سنة ٣٢٤ وجمعت له مع القضاء الصلاة وكان كثيرا ما يخرج الى الثغور ويتصرف فى اصلاح ما وهى منها فاعتل فى آخر خرجاته ومات فى بعض الحصون المجاورة لطليطلة سنة ٣٣٧ ومولده سنة ٢٨٤ انتهى وأظن ابى نقلته من كتاب ابن الابار الحافظ والله أعلم * (ومنهم) عتيق بن احمد بن عبد الباقى الاندلسى الدمشقى وفاته يكنى أبا بكر نزيل دمشق كان مشهورا بالصلاح وانتفع به جماعة من الفقراء وولد على ما قيل سنة ٥١٦ وتوفى سنة ٦١٤ بدمشق ودفن بمقابر الصوفية فيكون عمره على هذا مائة سنة رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته وبركات أمثاله * (ومنهم) أبو ابراهيم اسمعيل بن محمد بن يوسف الانصارى الاندلسى الابذى الملقب فى البلاد المشرقية ببرهان الدين وأبذة بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وفتحها وبعدها ذال معجمة بلد بالاندلس سمع المذكور بمكة وغيرها من البلاد وبدمشق من الحافظ بن طبرزذ وأم بالصخرة وكان فاضلا صالحا شاعرا توفى سنة ٦٥٦ وأخبر عن بعض الاولياء المجاورين ببيت المقدس انه سمع هاتفا يقول لما خرب القدس

ان يكن بالشام قل نصيرى * ثم خربت واستمر هلوكى
فلقد أثبت الغداة خرابى * سمر العار فى حياة الملوكى

هكذا رأيته بخط الصفدى فى حياة ويحتمل أن يكون فى جباه جمع جبهة والله أعلم * (ومنهم) القاضى منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة وقد قدمنا جملة من أخباره فى الباب الثالث والرابع من هذا القسم وكان لا يخاف فى الله لومة لائم ومن مشهور ما جرى له فى

ذلك قصته فى أيتام أخى نجدة وحدث بها جماعة من أهل العلم والرواية وهى ان الخليفة الناصر احتاج الى شراء دار من قرطبة لخفية من نسائه تلزم عليه فوقع استحسانه على دار كانت لاولاد زكريا أخى نجدة وكانت بقرب المشارين فى الربض الشرقى منفصلة عن دوره ويتصل بها حمام له عليه واسعة وكان أولاد زكريا أخى نجدة أيتاما فى حجر القاضى فارسل الخليفة من قومها له بعد ما طابت نفسه وأرسل ناسا أمرهم عداحله وصى الايتام فى بيعها عليهم فذكر انه لا يجوز الامر القاضى اذ لم يجر بيع الاصل الا عن رأيه ومشورته فارسل الخليفة الى القاضى منذرا فى بيع هذه الدار فقال لرسوله البيع على الايتام لا يدخله الا لوجوه منها الحاجة ومنها الوهى الشديد ومنها العبطة فاما الحاجة فلا حاجة بهذه الايتام الى البيع وأما الوهى فليس فيها وأما العبطة فهذا مكانها فان اعطاهم أسير المؤمنين فيها ما نستبين به العبطة أمرت وصيهم بالبيع والا فلا فنقل جوابه الى الخليفة فاظهر الزهد فى شراء الدار طمعا أن يتوخى رغبته فيها وخاف القاضى ان تنبعث منه عزيمة تلحق الايتام ثورتها فامر وصى الايتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك وباع الانقاض فكانت لها قيمة اكثر مما قومت به للسلطان فاتصل الخبر به فعز عليه حرابها واعرب بتوقيف الوصى على ما احدثه فيها فاحال الوصى على القاضى انه أمره بذلك فارسل عند ذلك للقاضى منذرا وقال له أنت أمرت بنقض دار أخى نجدة فقال له نعم فقال وما دعاك الى ذلك فقال أخذت فيها بقول الله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فاردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا فعيبوها لم يقوموها الا بكذا وبذلك تعلق وهمك فنقض فى أنقاضها اكثر من ذلك وبقيت القاعة والحمام فضل ونظر الله تعالى للايتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك وقال نحن أولى من انقاد الى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيرا فلو كان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة غير ساء ظن من لا يعرفه حتى اذا رام أن يصيب من دينه شعرة ثار له ثورة الاسد الضارى فى ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالى شهر رمضان المعظم مع أبينا للافطار بداره البرانية فاذا سائل يقول أطعموني من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة ويكثر من ذلك فقال القاضى ان استجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا أحد وحكى عنه قاسم بن أحمد الجهنى انه ركب يوما الحيازة أرض محبسة فى ركب من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو ابراهيم اللؤلؤى ونظراؤه قال فسرنا نقفوه وهو أمامنا وأمامه أمناؤه يحملون خرائطه وذووه عليهم السكينة والوقار وكانت الغضاة حينئذ لا تراكب ولا تماشى معرض له فى بعض الطريق كلاب مع مسنوحة والكلاب تلعق هناوندور حولها فوقف وصرف وجهه اليها وقال تروني يا أصحاب اما أبرا الكلاب بالمن الذى تلعقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا وبقينا متعجبين من هزله وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما فى خلد له فى بستان الزهراء على بركة ماء طافحة وسط روضة ناضحة فى يوم شديد الوهج وذلك اثر منصرفه من صلاة الجمعة فشكا الى الخليفة ما هو الحر الجهد ويث منه ما تجاوز الحد فأمره بخلع ثيابه والتخفيف عن جسمه ففعل ولم يقف ذلك ما به فقال له الصواب أن تنغمس فى وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك وليس مع

الفتح لما كان من غارات من هنالك من الملوك على بلاده بنى السور على الزقاق البحرى المنوخة بالصخر والحديد والرصاص فكلما ارتفع البناء ارتفعت تلك الازقاق الى ان استقرت فى قرار البحر وقد ارتفع السور على الماء وغاصت الرجال حينئذ بالحجارة والسكاكين الى تلك الازقاق فشقنها وعكس السور على وجه الماء فى قرار البحر وهو باق الى وقتنا هذا وهو سبعة اثنين وثلاثين وثلثمائة ويسمى هذا الموضع من السور فى البحر الصد مانعا للمراكب فى البحر اذ ورث من بعض الاعداء ثم مد السور فى البحر ما بين جبل الفتح والبحر وجعل فيه الابواب مما يلى الكفار ثم مد السور على جبل الفتح على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لاخبار جبل الفتح والباب وكان لانوشروان جبر مع ملوك الخزر الى ان أتى له هذا البناء وقيل انه بنى ذلك بالرهبة واذعان من هنالك من الامم وانصرف أنوشروان الى العراق ووفدت عليه رسل الملوك وهذا اياها والوفود من الممالك وكان فيمن وفد اليه رسول لملك الروم قيصر بهدايا وألطاف فنظر الرسول الى ايوانه وحسن بنيانه واعوجاجه فقال

فيمن وفد اليه رسول لملك الروم قيصر بهدايا وألطاف فنظر الرسول الى ايوانه وحسن بنيانه واعوجاجه فقال

الخليفة الحاجب جعفر الخادم الصقلبي أمين الخليفة الحكم لا رابع لهم وكانه استحيا من ذلك وانقبض عنه وقارا واقصر عنه اقصارا وأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه الى النزول في الصهريج ليسهل عليه الامر فيه فبادر جعفر لذلك وألقى نفسه في الصهريج وكان يحسن السباحة فجعل يحول يمينا وشمالا فلم يسع القاضي الا الانقياد لأمر الخليفة فقام وألقى بنفسه خلف جعفر ولا دبا للصعود في درج الصهريج ويدرج فيه بعض تدريج ولم يبسط في السباحة وجعفر يمر مصعدا وهو بامره الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العوم وهو يعجزه في احلاده الى الصعود ويعابثه بالماء الملقى عليه والاشارة بالحذب اليه وهو لا ينبعث معه ولا يفارق موضعه الى ان كلمه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب في فعله وتنقبل صنعه فمن أجلك نزل وبسببك تبذل فقال له ياسيدي يا أمير المؤمنين الحاجب سلمه الله تعالى لا هو جل معه وانما هذا الهوجل الذي معي يغلبني ومعنى من أن أجول معه مجال يعني أن الحاجب حصي لا هوجل معه والهوجل الذكر فاستفرغ الحكم ضحكا من بادرته ولطيف تعريضه لجعفر وجعل جعفر من قوله وسبب الاشراف وخرجا من الماء وأمرهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما * وحكي ان الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني انك لا تتعهد للايتام وانك تقدم لهم أوصياء سوءا كانوا أموالهم قال نعم وان أمكنهم ذلك أمهاتهم لم يعدوا بهن قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست أجد غيرهم ولكن أحلني على اللؤلؤي وأبي ابراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا أجبرتهم بالسوط والسجن ثم لا تسمع الا خيرا وقال العاضي منذر أنشدني وأبو جعفر بن النحاس في مجلسه بمصر يملي في اخبار الشعراء شعر قيس الحمون حيث يقول

خليلي هل بالشام عين حزينة * تبكي على نجد لعلي أعينها
قد اسلمها البا كون الا حمامة * سطوقة باتت وبان قرينها
تحاوبها أخرى على حيزارنة * يكاد يدنيها من الارض لينها

فقلت له يا أبا جعفر ما أعرك الله تعالى بالبان بنسعان فقال لي وكيف تقول انت يا أبا لي فقلت له باتت وبان قرينها فكسر وازان يستملي بعد ذلك حتى معنى كتاب العين وكنت ذهبت الى الانتساخ من نسخته فلما قطع بي قيل لي أين أنت من أبي العباس بن ولاد فقصدته فلقيت رجلا كامل العلم حسن المروءة فسألته الكتاب فأخرجه الي ثم ندم أبو جعفر لما بلغه ما جرى بيني وبين أبي العباس الكتاب الي وعاد الى ما كنت أعرفه منه * قال وكان أبو جعفر لشدة العسر شديد التغير على نفسه ورعا وهبت له العمامة فيبيعها بثلاث دراهم وكان يأبى شراء الحوائج له بنفسه ويتحامل منها على أهل معرفته اه * وأبو جعفر هذا يقال ان تواليفه تربو على خمسين منها شرح سبعة دواوين للعرب واعراب القرآن ومعاني القرآن وشرح أبيات الكتاب وغير ذلك * (رجع) * وقال سذر بن سعيد كتبت الى أبي علي البغدادي أستعير منه كتابا من الغريب وقلت

بحق ريم مهفهف * وصدغه المتعطف
ابعث الي بجزء * من الغريب المصنف

كان يحتاج هذا الفحص ان أراد هاعلى بيعه وارتهنها فأبت فلم يكرهها الملك وبقي الاعوجاج من ذلك على ما نرى فقال الرومي هذا الاعوجاج الآن أحسن من الاستواء وسار أنوشروان في بلاده ودار في مملكته فاحكم البنيان وشيد القلاع والحصون ورتب الرجال فعمر الى الشام وافتتح بها المدن وكان مما افتتحه بلاد حلب وقنسرين وحمص وقامية وهي بين انطاكية وحمص وسار الى انطاكية وحاصرها وفتحها أحدث لقيصر فاقتتلا وفتح مدينة عظيمة كبيرة العمران عجيبة البنيان كانت في ساحل انطاكية ورسومها بينة الى هذا العهد وأثرها قائم يدعى سلوقية وأقبل يقتد المدائن بالشام وأرض الروم ويغنم الغنائم والجواهر والاموال ويذل السيف ويسبي ما كره وسر اياه فهادنه قيصر وحمل اليه الخراج والجزية بعد قتال شديد ذلك منه ونقل من الشام المرمر والرخام وأنواع الفسيفساء والاحجار والفسيفساء هي شيء يطبخ من الزجاج والاحجار ذو بهجة والوان يدخل فيما فرش من الارض والبنيان كالفصوص ومنه على هيئة الجامات شاف وحمل ذلك الى العراق فبنى

فقضى حاجتي وأجاب بقوله

وحسن در تألف * بغيلك أي تالف
لأبعثن بماقد * حوى الغريب المصنف
ولو بعثت بنفسي * اليك ما كنت أسرف

فرحم الله تعالى تلك الارواح الطاهرة *(وذكر) ابن اصبغ الهمداني عن منذر انه خطب يوما وأراد التواضع فكان من فصول خطبته أن قال حتى متى والى متى أعظ ولا اتعظ وأزجر ولا أنزجر أدل الطريق الى المستدلين وأبقى مقيما مع الحائرين كلا ان هذا لهو البلاء المبين ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء الآية اللهم رعي لما خلقتني له ولا تشغلني عما تكفلت لي به ولا تحرمني وأنا أسألك ولا تعذبني وأنا أستغفرك يا أرحم الراحمين * وسمع منذر بالاندلس من عبد الله بن يحيى بن يحيى ونظرائه ثم رحل حاجا سنة ثمان وثلثمائة فاجتمع بعدة أعلام وطهرت فضائله بالمشرق وممن سمع عليه منذر بالمشرق ثم بمكة محمد بن المنذر النيسابوري سمع عليه كتابه المؤلف في اختلاف العلماء المسمى بالاشراف * وروى عصر كتاب العين للخليل عن أبي العباس بن ولاد * وروى عن أبي جعفر بن النحاس وكان منذر متفننا في ضروب العلوم وحاملا عليه التعصب لمذهب أبي سليمان داود بن علي الاصبهاني المعروف بالظاهري فكان ينذر بشر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالته ويأخذ به في نفسه ودوبه فاذا جلس للحكومة قضى بمذهب الامام مالك وأصحابه وهو الذي عليه العمل بالاندلس وجعل السلطان أهل مملكته عليه وكان خطيبا بليغا عالما بالجدل حاذقا فيه شديد العارضة حاضر الجواب عتيده ثابت الحجة داشارة نجيبة ومنظر جميل وخلق جم وتواضع لاهل الطلب والحفاظ لهم واقبال عليهم وكان مع وقاره التام فيه دعابة مستملحة وله نوادر مستحسنة وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى وفاته ثم للخليفة الحكم المستنصر الى أن توفي رحمه الله تعالى عقب ذي القعدة من سنة خمس وخمسين وثلثمائة فكانت ولايته لقضاء الجماعة المعبر عنه في المشرق بقضاء القضاة ستة عشر عاما كاملة لم يحفظ عليه فيها جور في قضية ولا قسم بغير سوية ولا ميل لهوى ولا اصغاء الى عناية رحمه الله تعالى ورضي عنه ودفن بمقبرة مربيش بالربض الغربي من قرطبة أعادها الله تعالى جوفي مسجد السدة الكبرى بقرب داره * وله رحمه الله تعالى تواليف مفيدة منها كتاب أحكام القرآن والناسخ والمنسوخ وغير ذلك في الفقه والكلام في الرد على أهل المذاهب تغمده الله تعالى برضوانه وكتب بعض الادباء الى القاضي منذر بقوله

مسئلة جئتك مستفتيا * عنها وأنت العالم المشار
علام تحمر وجوه الظبا * وأوجه العشاق فيها اصفرار

فأجاب منذر بقوله

احمر وجه الظبي اذ لحظه * سيف على العشاق فيه احمرار
واصفر وجه الصب لما رأى * والشمس تبقى للغيب اصفرار

من أنواع الاحجار بحلى بذلك انطاكية وغيرها من المدن الى الشام وهذه المدينة سورها من طين قائم الى هذا الوقت خراب وباب يعرف بباب كريا وروجه حاجان ملك الترك بابنته وابنة أخيه وهاديه ملوك السند والهند والشمال والجنوب وسائر الممالك وحملت اليه الهدايا والوفود من جميع أصوله وكثرة جنوده بما لم يعظم ملك ولما يظهر من فعله بالمماليك وقتله الملوك وانقياد الى العدل وكتب اليه ملك الصين من يعمر ملك الصين صاحب بصر الدر والجوهر الذي يجري من بحر سرمهران بستان العود والكافور والذي نرجد رائحته على مر بحر سرس والذي نخدمه بثمانية آلاف ملك والذي في مربطه ألف فيل أبعض الى أخيه كسرى أنوشروان وأهدى اليه فرسا من درة لم ير الفارس والفرس من ياقوت أحمر وقائم سيفه من نابت منضد بالجوهر وثوب حرير صيني يشتمل فيه صورة الملك جالسا في ايوانه وعليه حليته وتاجه وعلى رأسه الخدم وبايديهم الذهب صورة منسوجة بالذهب وأرض الثوب لازورد في سفط من ذهب تحمله جاريه تعيب في شعرها تتلألأ جمالا

*(ومن رحل الى المشرق من الاندلس فشهد له بالسبق كل أهل المغرب والشرق) الامام العلامة أبو القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني والعقيلة وغيرهما *وهو أبو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي المقرى الفقيه الحافظ الضرير أحد العلماء المشهورين والفضلاء المذكورين خطب ببلده شاطبة مع صغر سنه ودخل الديار المصرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وحضر عند الحافظ السلفي وابن بري وغيرهما وولد بشاطبة آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفي بالقاهرة يوم الاحد الثامن والعشرين وقيل الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة بعد العصر ودفن من الغد بالتربة الفاضلية بسفح المقطم *وحكى ان الامير عز الدين موسك الذي كان والد ابن الحاجب حاجبا له بعث الى الشيخ الشاطبي يدعوه الى الحضور عنده فامر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب اليه

قل للامير مقالة * من ناصح فطن نبيه
ان الفقيه اذا أتى * أبوابكم لاخير فيه

ومن نظمه رحمه الله تعالى

حالفت أبناء الزمان فلم أجد * من لم أرم منه ارتيادي مخلصي
ردا الشباب وقد مضى لسبيله * أهيا وأمكن من صديق مخلص

وكان رحمه الله تعالى قرأ شاطبة القرآت وأتقنها على السفرى ثم انتقل الى بلنسية فقرأ بها التيسير من حفظه على ابن هذيل وسمع الحديث منه ومن ابن النعمة وابن سعادة وابن عبد الرحيم وغيرهم وارتحل الى المشرق فاستوطن القاهرة واشتهر اسمه وبعد صيته وقصده الطلبة من النواحي وكان اماما علامة ذكيا كثير الفنون منقطع القرين رأسا في القرآت حافظا للحديث بصيرا بالعربية واسع العلم وقد سارت الركبان بقصيدتيه حرز الاماني وعقيلة اتراب القصائد اللتين في القرآت والرسم وحفظهما خلق كثير لا يحصون وخضع لهما فحول الشعراء وكبار البلغاء وحذاق القراء ولقد أوجز وسهل الصعب *وممن روى عنه أبو الحسن ابن خيرة ووصفه من قوة الحفظ بأمر عجيب مهجب وممن قرأ عليه بالروايات الامام الشهير محمد ابن عمر القرطبي وتصدر الشاطبي رحمه الله تعالى للاقراء بالمدرسة الفاضلية وكان موصوفا بالزهد والعبادة والانقطاع *وقبره بالقرافة يزار وترجى استجابة الدعاء عنده وقد زرته مرارا ودعوت الله عما أرجو قبوله وترك أولادا منهم أبو عبد الله محمد عاش نحو ثمانين سنة *وقال السبكي في حق الامام الشاطبي انه كان قوي الحافظة واسع المحفوظ كثير الفنون فقيها مقرئا محدثا نحويا زاهدا عابدا ناسكا تقيا وقد ذكره السخاوي أقطع انه كان مكاشفا وانه سأل الله كتمان حاله فما كان أحد يعلم أي شئ هو انتهى وترحمته واسعة رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين *وقال ابن خلكان انه أبدع في حرز الاماني وهي عمدة قراء هذا الزمان في تعلمهم فقل من يشتغل بالقرآت الا ويقدم حفظها ومعرفتها وهي مشتملة على رموز عجيبة واشارات لطيفة وما أظنه سبق الى اسلوبها وقد روى عنه انه كان يقول لا يقرأ أحد قصيدتي هذه الا وينفعه الله عز وجل لاني نظمتها لله تعالى مخلصا وكان عالما بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيرا وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزا فيه وكان اذا قرئ عليه صحيحا البخاري ومسلم والموطا يصحح النسخ

وسيرد ذكرنا من عجائب ما يحمل من أرض الصين وتهديه الملوك الى أكفائها وكتب اليه ملك الهند من ملك الهند وعظيم أراكنة المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدر الى أخيه ملك فارس صاحب البيض والرايات كسرى أنوشروان واهدى اليه الفيلة من عود هندي يدوب في النار كالشمع ويجمد عليه كما يختم على الشمع ويبين فيه الكتابة وجوهر من الياقوت الاحمر فتحه شبر عملوا درا وعشرة امنان كافور كالثلج وأكبر من ذلك وجارية طولها سبعة اشبار تضرب أشفار عينيها حدها وكان بين اجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ودقة تخصيرها واتمان تشكيلها مقرونة الحاجبين لحاظ فاترة بين هدابها وفرشا من جلود النمور أحسن من الموشي والخز وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكادي مكتوب بالذهب الاحمر وهذا الشجر يكون بارض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيب لحاؤه أرق من الورق الصيني تكاتب فيه ملوك الصين والهند وورد عليه وهو في عسكره محاربا بعض اعدائه كتاب ملك اليمن من حاقان ملك تبتان ومشارق الارض المتاخمة للصين والهند الى أخيه

من حفظه ويملى النكت على المواضع المحتاج اليها وكان أوحد فى علم النحو واللغة عارفا بتعبير الرؤيا حسن المقاصد مخلصا فيما يقول ويفعل وكان يجتنب فضول الكلام ولا ينطق فى سائر أوقاته الا بما تدعو اليه الحاجة ولا يجلس للقراءة الا على طهارة فى هيئة حسنة وتخشع واستكانة وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكى ولا يتاوه واذا سئل عن حاله قال العافية لا يريد على ذلك وكان كثيرا ما ينشد هذا اللغز فى النعش وهو لابى زكريا يحيى بن سلامة الخطيب

أتعرف شيأ فى السماء نظيره * اذا سار صاح الناس حيث يسير
تقلها مركوبا وتلحظها ركبا * وكل أمير يعتليه أسير
يحص على التقوى ويكره ربه * وتسمر منه النفس وهو يدير
ولم يسر عن رغبة فى زيارة * ولكن على رغم المزور يزور

وكان يقول عند دخوله الى مصر انه يحفظ وقر بعير من العلوم وكان نزيل القاضى الفاضل ورتبه بمدرسته بالقاهرة وقيل ان كتبته ابو محمد حسبما وجد فى بعض اجازاته رحمه الله تعالى

*(ومن الراحلين الى المشرق من الاندلس) الامام القاضى أبو بكر بن العربى قال ابن سعيد هو الامام العالم القاضى الشهير فخر المغرب أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى المعافرى قاضى قضاة كورة اشبيلية ذكره الحجارى فى المسهب طبق الآفاق بفوائده وملأ الشام والعراق باوابده وهو امام فى الاصول والفروع وغير ذلك ومن شعره وقد ركب مع احد أمراء الملثمين وكان ذلك الامير صغيرا فهز عليه رمحا كان فى يده مداعبا له فقال

تهز على الرمح طيا مهفهفا * لعوبا بألباب البرية عابث
ولو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

وقوله وقد دخل عليه غلام جميل الصورة فى لباس حسن

لبس الصوف لكى أنكره * وأتانا شاحبا قد عبسا
قلت ايه قد عرفناك وذا * جل سوء لا يعيب الفرسا
كل شئ أنت فيه حسن * لا يبالى حسن ما لبسا

وزعم بعض أن الابيات ليست له وانما تمثل بها فالله تعالى أعلم * ومن عرف بابن العربى وذكره ابن الامام فى سمط الجمان والشقندى فى الطرف وكان قد صحب المهدى محمد بن تومرت بالمشرق فأوصى عليه عبد المؤمن وكان مكرما عنده وحكى أنه كتب كتابا وأشار عليه بعض من حضر أن يذر عليه نشارة فقال قف ثم فكر ساعة وقال اكتب

لا تشنه بما تذر عليه * فكماه هبوب هذا الهواء
فكأن الذى تذر عليه * جدرى بوجنة حسناء

ولى أبا بكر الطرطوشى ومابرح معظما الى أن تولى خطة القضاء ووافق ذلك أن احتاج سور اشبيلية الى بنيان جهة منه ولم يكن بها مال متوفر ففرض على الناس جلود ضحاياهم وكان ذلك فى عيد الاضحى فاحضروها كارهين ثم اجتمعت العامة العمياء وثار عليه ونهبوا داره وخرج الى فرطبة وكان فى أحد ايام الجمع قاعدا ينتظر الصلاة فاذا بعلام رومى وصى قد جاء

اليه أنواعا من التحف التى تحمل من أرض تبت منها مائة جوشن تبتية ومائة قطعة تحاليف وماتة برس تبتية وأربعة آلاف من المسك فى نوافج غزلانه وقد كان أنوشروان سار الى ماوراء نهر بلخ وانتهى الى جيلان وقتل الحيوان ملك الجبال الذى يحمل منه المسك ورد كتابه فاجابها الى ملتمسه ورد كان ينقل اليه من الهند كتاب كليلة ودمنة والشطرنج والخضاب الاسود المعروف بالهندى وهو الخضاب الذى يلمع سواده فيما يظهر من أصول الشعر سنة كاملة بصبغة سوداء ولا ينفصل منه شئ (وحكى) ان هشام بن عبد الملك بن مروان كان يخضب بهذا الخضاب وكان لانوشروان مائدة من الذهب عظيمة عليها أنواع من الجواهر مكتوب عليها من جوانبها انه طعامه من أكله من حله وعاد على ذوى الحاجة من فضله ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك وكان له خواتيم أربعة خاتم للخراج فصه من العقيق ونقشه العدل وخاتم للضياع فصه فيروزج نقشه العمارة وخاتم للعونة فصه ياقوت كهلى نقشه التأنى وخاتم للبريد فصه ياقوت أحمر كالنار نقشه الرجاء ووضع

أنو شروان على العراق وضائع الخراج : ٣٣ فأرم كل جريب من السواد من مزارع الحنطة والشعير درهما والارز نصفا وثلثا ولكل أربع نخلات وسبعة دراهم وكل ست نخلات دقل درهما وكل ست أصول ربتر درهم واكرم ثمانية دراهم وارطب سبعة دراهم هذه جميع أنواع من الغلات وترك [illegible] هذا كتاب العشر الكبير والمهائم وكان أنو شروان يدعى كسرى الخير وتذكره الشعراء في أشعارها وفي ذلك يقول عدي بن زيد العبادي من كلمة

ابن كسرى خير المأمول أنو شر
وان ام أبن قبله سابور
به ترب الموس ولي الـ
ملك عنه صابه معجور
حبس ولوا كهم وورى جمـ
ـدري به الساوالدبور
وجلس أنو شروان يوما للحكم فأحضر من آدابهم فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم في مجلسه دلوني على حكمة وهاصنعة تخاصه نفسي وعليه رويتي فتكلم كل واحد بما حضره من الرأي وأنو شروان مطرق يتفكر في اقاويلهم فذهبوا يقول الى بزرجمهر ابن البختكان فقال ايها الملك أباحاضع لك ذلك في اثنتي عشرة كلمة وقال هات فقال اولاهن تقوى الله في الشهوة والرغبة والرهبة والعمل فاجعل ما ترجو من ذلك كله لله لا للناس والثانية الصدق في القول والعمل والوفاء على

يحترق الصوف بشمعة في يده وكتاب معتق فقال

وشمعة تحملها شمعة * يكاد يخفى نورها نارها
لولا هوى نفس سهت غبها * لقبلته واتت عارها

ولما سمعها أبو عمران الراهد قال انه لم يكن يفعل ولكنه هزته اريحية الادب ولو كنت أنا قلت

لولا الحياء وخوف الله يمنعني * وأن يقال صبا موسى على كبره
اذا لمعت لحضي في مواطره * حتى أوفي جموني الحي من نظره

(رجع) الى أخبار ابن العربي يقول انه سمع بالاندلس أباه وخاله أبا القاسم الحسن الحوري وأبا عبد الله المرجيطي وبدانية أبا عبد الله الكتاني وبالمهدية أبا الحسن بن الحداد الحولاني وسمع بالاسكندرية من الاعاطي وبمصر من أبي الحسن الخلعي وغيره وبدمشق جمع واحد كأبي الفتح نصر المقدسي وبمكة أبا عبد الله الحسين الطبري وابن طلحة وابن سمدار وقرأ الادب على التبريزي وعمل رحمه الله تعالى على مدينة اشبيلية سورا بالحجارة والآجر لنوره من ماله وكان كلفي الصلة حريصا على آدابها وسيرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها ويجمع الى ذلك كله آداب الاخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد ونبات الود وذكره ابن بشكوال في الصلة وقال فيه الامام الحافظ ختام علماء الاندلس رحل الى المشرق مع أبيه مستهل ربيع الاول سنة خمس وثمانين وأربعمائة ودخل الشام والعراق وبغداد وسمع بها من كبار العلماء ثم حج في سنة تسع وثمانين وعاد الى بغداد ثم صدر منها وقال ابن عساكر خرج من دمشق راجعا الى مقره سنة ٤٩٠ والمغرب صف عارضه الاحوذي ولي مصر والاسكندرية جمله من العلماء ثم عاد الى الاندلس سنة ثلاث وتسعين وقدم اشبيلية بعلم كثير وكان موصوفا بالعمل والكمال وولي القضاء اشبيلية ثم صرف عنه ومولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة وتوفي بعيله بعقبة من مدينة فاس ودفن بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة انتهى كلام ابن سعيد وغيره ملخصا وما وفى ابن سعيد حافظ الاسلام أبا بكر بن العربي حقه فلعمري ما حصرنا من التعريف به منقول انه لقي ببغداد الشاشي والامام أبا بكر والامام أبا حامد الطوسي العراقي ونقل عنه انه قال كل من رحل لم يأت بشيء ما أتيت به من العلم الا الباجي أو كلاما هذا معناه وكان من أهل التفنن في العلوم متقدما في المعارف كلها متكلما على أنواعها حريصا على نشرها وقام بأمر القضاء حق قيام مع الصرامة في الحق والقوة والشدة على الظالمين والرفق بالمساكين وقد روي عنه انه أمر بشيء أشد أو زاجر ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه وقرأ عليه الحافظ ابن بشكوال باشبيلية وقال ومن الاثار ان الامام الراهد العابد أبا عبد الله بن مجاهد الاشبيلي لازم القاضي ابن العربي نحوا من ثلاثة أشهر ثم تخلف عنه فقيل له في ذلك فقال كان يدرس وبغلته عند الباب ينتظر الركوب الى السلطان انتهى وذكره ابن الزبير في صلته وقال انه رحل مع أبيه أبي محمد عند انقراض الدولة العبادية وسنه نحو سبعة عشر عاما الى أن قال وقيد الحديث وضبط ما روى واتسع في الرواية وأتقن مسائل الخلاف والاصول والكلام

على أئمة هذا الشان ومات أبوه رحمه الله تعالى بالاسكندرية أول سنة ثلاث وتسعين فانصرف حينئذ الى اشدلية فسكنها وسمع ودرس الفقه والاصول وجلس للوعظ والتفسير وصنف فى غير فن تصانيف مليحة حسنة مفيدة وولى القضاء مدة أقلها فى رجب من سنة ثمان فنفع الله تعالى به لصرامته ونفوذ أحكامه والزم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى أوذى فى ذلك بذهاب كتبه وماله فاحسن الصبر على ذلك كله ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه وكان فصيحا حافظا أديبا شاعرا كثير الملح مليح المجالس ثم قال القاضى عياض بعد أن وصفه بما ذكرته ولكثرة حديثه وأخباره وعرب حكاياته وروايته أكثر الناس الكلام وطعنوا فى حديثه وتوفى منصرفه من مراكش من الوجهة التى توجه فيها مع أهل بلده الى الحضرة بعد دخول الموحدين مدينة اشبيلية فحبسوا بمراكش نحو عام ثم سرحوا فادركته منيته وروى عنه خلق كثير منهم القاضى عياض وأبو جعفر بن الباذش وجماعة انتهى ملخصا * ووقع فى عبارة ابن الزبير تبعا لجماعة أنه دفن خارج باب الجيسة بفاس والصواب خارج باب المحروق كما أشبعت الكلام على ذلك فى أزهار الرياض وقد زرته مرارا وقبره هنالك مقصود للزيارة خارج القصبة وقد صرح بذلك بعض المتقدمين الذين حضروا وفاته وقال انه دفن بتربة القائد مظفر خارج القصبة وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن حجاج رحمه الله تعالى ومن بديع نظمه

أتنى تؤنبنى بالبكاء * فأهلا بها وبتأنيبها
تقول وفى نفسها حسرة * أتبكى بعين ترانى بها
فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت جفونى بتعذيبها

وقال رحمه الله تعالى دخل على الاديب ابن صارة وبين يدى نار على اهار ماد فقلت له قل فى هذه فقال

شابت نواصى النار بعد سوادها * وتسترت عما بثوب رماد

ثم قال لى أجز فقلت

شابت كما شبنا وزال شبابنا * فكلانا كما على ميعاد

وقد اختلف حذاق الادباء فى قوله ولكنه رمح وثان وثالث ماهو الثانى والثالث فقيل القدو اللحظ وقيل غير ذلك ولما ذكر رحمه الله تعالى فى كتابه قانون التأويل ركوبه البحر فى رحلته من افريقية قال وقد سبق فى علم الله تعالى أن يعظم علينا البحر بوله ويغرقنا فى هوله فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر وانتهينا بعد خطب طويل الى بيوت بنى كعب بن سليم ونحن من السغب على عنب ومن العرى فى أقبية زى قد قذف البحر زقاق زيت مزفت الحجارة ميئتها ودسمت الادهان وبرها وجلدتها فاحترمناها أزرا واشتملناها افافا فمنعنا الابصار وتخذلنا الانصار فعطف أميرهم علينا فأوينا اليه فآوانا وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا وأكرم مثوانا وكسانا بامر حقير ضعيف وفن من العلم ظريف وشرحه انا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه فعلل الدامد اللاه فدنوت منه فى تلك الاطمار وسمع لى بأذقته اذ كنت من الصغر فى حد يسمح فيه للاغمار

يحدث من الامور والرابعة اكرام العلماء والاشراف وأهل الثغور والفواد والكتاب والخول بقدر منازلهم والخامسة التعهد للقضاة والفحص عن العمال ومحاسبة عادلهم وجائرهم بالحسن منهم بما حسبانه والمسىء على اساءته والسادسة تعهد أهل السجون بالعرض لهم بالايام نستوثق منهم بالمسىء ونطلق البرىء والسابعة تعهد سبيل الناس وأسواقهم واسعارهم ومجاراتهم والثامنة حسن تأديب الرعية فى الجرائم واقامة الحدود والتاسعة اعداد السلاح وجمع آلات الحرب والعاشرة اكرام الولد والاهل والاقارب وتفقد ما يصلحهم والحادية عشرة اذكاء العيون فى الثغور ليعلم ما يخوف فيتوخذ أهبته قبل هجومه والثانية عشرة تفقد الوزراء والخول والاستبدال بذى الغش والفجور منهم فامر أنوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب وقال هذا كلام فيه جوامع أنواع السياسات الملوكية وكان مما حفظ من كلام أنوشروان وحكمته انه سئل ما أعظم الكنوز قدرا وأنفعها عند الاحتياج اليه فقال

معروف أودعته الاحرار وعلم تورثه الاعقاب وقيل لانوشروان من أطول الناس عمرا فقال من

علمه فتأدب به من بعده أو معروف يشرف به عقبه وأنوشروان الذى يقول الانعام لقاح والشكر ولادة والمنعم هو الجاعل الى شكره سبيلا وهو الذى يقول لا تعدن الحرمان فى الامناء ولا اللذيذين فى الاحرار وقال أنوشروان لو سألنى بريد جهة رمن يصلح لى ولدى لملك فأظهر برأيه والايماء اليه وقال لا اعرف ذلك ولكنى أعرف لذلك من يصلح للملك أسماهم للمعالى وأطلبهم للادب وأجمعهم للعامة وأرأفهم بالرعية وأوصلهم للرحم وأبعدهم من الظلم فمن كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى كتاب الزلف الخصال التى يستحق بها الملك من وجدت فيه وقد ذكرنا عن حكماء الفرس وأسلافها فى ذلك وغيرهم من حكماء الرومانيين كافلاطون وما ذكره فى كتاب السياسة المدنية وغيره ممن تأخر عن عصره وذكر عن بزرجمهر انه قال رأيت من أنوشروان خصلتين متباينتين لم أر منهما من جلس يوما للناس فدخل رجل من خاصة أهله فنحاه ووزيره فأمر به ان يقام ويحجب عنه سنة لبعد هذه المرتبة التى رسمت له وازدياده فيها عن مرتبة غيره فى المجلس ثم رأيته يوما وهو يحدث عنده فى سر من تدبير شئ من المملكة وخدمه خلف فرشه وسرير

وقفت بارائهم أنظر الى تصرفهم من ورائهم اذ كان علق بنفسى بعض ذلك من بعض الغرابة فى خلس البطالة مع غلبة الصبوة والجهالة فقلت للبياذقة الامير أعلم من صاحبه فاعجونى شزرا وعظمت فى أعينهم بعد أن كنت نزرا وتقدم الى الامير من نقل اليه الكلام فاستدنانى فدنوت منه وسألنى هل لى بما هم فيه بر فقلت لى فيه بعض نظر سيبدو لك و يظهر حرك تلك القطعة ففعل كما أشرت وعارضه صاحبه فأمرته ان يحرك اخرى وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى حتى هزمهم الامير وانقطع التدبير فقالوا ما أنت بصغير وكان فى أثناء تلك الحركات قد رسم ابن عم الامير منتدبا

وأحلى الهوى ما شك فى الوصل ريبه * وفى الهجر حتف والهوى بين بين

فقال لعن الله أبا الطيب أو شك الريب فقلت له فى الحال ليس كما ظن صاحبك أيها الامير انما أراد بالريب ههنا الصاحب يقول ألذ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال وبلوغ الغرض من الآمال على ريب فهو فى وقته كله على رجاء لما يؤمله وتوقعا لما يقطع به كما قال

اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

وأخذنا نتصيف الى ذلك من الاغراض فى طرفى ابرام وانتقاض ما حرك منهم الى جهتى دواعى الانتهاض وأقبلوا يتعجبون منى و يسألونى كمسنى ويستكشفوننى عنى فبقرت لهم حديثى وذكرت لهم نجيبى وأعلمت الامير بان أبى معى فاستدعاه وأخذنا الثلاثة الى مثواه فخلع علينا خلعه وأسبل علينا أدمعه وجاء كل خوان بألوان وألوان ثم قال بعد المبالغة فى وصف مناقبهم من اكرامه فانظر الى هذا العلم الذى هو الى الجهل أقرب مع تلك الصبابة اليسيرة من الادب كيف أنقذ من العطب وهذا الذكر يرشدكم ان عقلتم الى المطلب وسرنا حتى انتهينا الى بادرمصر انتهى مختصرا والزول العجب ونجيث الخبر ما ظهر من قبيحه يقال بدا نجيث القوم اذا ظهر سرهم الذى كانوا يخفونه فالهما الجوهرى وذكر رحمه الله تعالى فى رحلته عجائب * منها انه حكى فى دخوله بدمشق بيوت بعض الاكابر انه رأى فيه النهر جاريا الى موضع جلوسهم ثم يعود من ناحية اخرى فلم أفهم معنى ذلك حتى جاءت موائد الصعام فى النهر المقبل الينا فاخذها الخدم ووضعوها بين أيدينا فلما فرغنا ألقى الخدم الاوانى وما معها فى النهر الراجع فذهب بها الماء الى ناحية الحريم من غير ان يقرب الخدم تلك الناحية فعلمت السر وان هذا العجيب انتهى بمعناه وقال فى قانون التأويل ورد علينا دانشمند يعنى الغزالى فنزل برباط أبى سعد بازاء المدرسة النظامية معرضا عن الدنيا مقبلا على الله تعالى فشيعناه اليه وعرضنا امنيتنا عليه وقلت له أنت ضالتنا التى كنا ننشد وامامنا الذى به نسترشد فلقينا لقاء المعرفة وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة ونحفقنا ان الذى نقل الينا من ان الخبر على الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم ولو رآه على بن العباس لما قال

اذا ما مدحت امرأ غائبا * فلا تغل فى مدحه واقصد
فانك ان تغل تغل الغلو * ن فيه الى الامد الابعد
فصغر من حيث عظمته * لفضل المغيب على المشهد

انتهى

وكنت نقلت من المطمح في حقه ما صورته علم الاعلام الظاهر الانواب الباهر الايواب الذي انسى ذكاء اياس، وترك التقليد للقياس وانتج الفرع من الاصل وغدا في الاسلام أمضى من النصل سقى الله تعالى به الاندلس بعد ما أجدبت من المعارف ومد عليها منه ظله الوارف وكساها رونق نيله وستاها رونق بله وكان أبوه أبو محمد باشد لية بدر الى فلكها وصدر الى مجلس ملكها واصطفاه معتمد بني عباد اصطفاء المأمون لابن أبي دواد وولاه الولايات الشريفة وبوأه المراتب المنيفة فلما اقفرت حمص من ملكهم وخلت والقتهم منها وتخلت رحل به الى المشرق وحل فيه محل الخائف الفرق فحال في اكنافه واجال قداح الرجاء في استقبال العز واستئنافه فلم يسترد ذاهبا ولم يجد كمعتمده بادلا له وواهبا فعاد الى الرواية والسماع وما استفاده من آمال تلك الاطماع وابو بكر اذ ذاك في ثرى الذكاء قضيب سادوح وفي روض الشباب زهر ما صوح فالزمه مجالس العلم رائحا وغاديا ولازمه سائقا اليها وحاديا حتى استقرت به مجالسه واطردت له متابسه فجد في طلبه واستجد به ابوه متمرق ارنبه ثم ادركه حمامه ووارته هنالك رجامه وبقي ابو بكر متفردا وللطلب متجردا حتى اصبح في العلم وحيدا ولم تجد عنه رياسته محيدا فكر الى الاندلس فحلها والنفوس اليه متطلعة والابائه متسمعة فناهيك من حظوة لقي ومن عزة سقي ومن رفعة سما اليها ورقي وحسبك من مفاخر تلدها ومحاسن انس اثبتها فيها وخلدها وقد اثبت من بديع نظمه ما يهز اعطافا وترده الاتهام نطافا فمن ذلك قوله يتشوق الى بغداد ويخاطب فيها أهل الوداد

أمنك سرى والليل يخدع بالفجر * خيال حبيب قد حوى قصب الفخر
جلا ظلم الظلماء مشرق نوره * ولم يحبط الظلماء بالانجم الزهر
ولم يرض بالارض البسيطة مسجبا * فسار على الجوزا الى فلك يجرى
وحث مطايا قد مطاها بعزه * فأوماً ها قسرا على قنة لنسر
فصارت ثقالا بالجلالة فوقها * وسارت عجالا تتقي ألم الزجر
وجرت على ذيل المجرة ذيلها * فمن ثم يبدو ما هنالك لمن يسرى
ومرت على الجوزاء توضع فوقها * فآثار ما مرت به كلف البدر
وساقت أريج الخلد من جنة العلا * فدع عنك رملا بالانيم يستذرى
فما حذرت قيسا ولا خيل عامر * ولا أضمرت خوفا لقاء بني ضمر
سقى الله مصرا والعراق وأهلها * وبغدادا والشامين منهل العطر انتهى

ومن تآليف الحافظ أبي بكر بن العربي المذكور كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس وكتاب ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك وكتاب أنوار المجر وكتاب أحكام القرآن وكتاب عارضة الاحوذي في شرح الترمذي والاحوذي بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وآخره ياء مشددة وكتاب مراقي الزلف وكتاب الخلافيات وكتاب نواهي الدواهي وكتاب سراج المريدين وكتاب المشكلين مشكل الكتاب والسنة وكتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن وكتاب قانون التأويل وكتاب النيرين في الصحيحين وكتاب

وأخبره بتفاوت ما بين الحالين وقال لي لا تعجل فحر الملوك على رعيتنا وخدمنا الملوك على أرواحنا يتألون مني في خلوتنا ما لا حيلة لنا معه في التحرز منهم وكان أنوشروان يقول الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال واصلاح العمال باستقامة الوزراء ورأس الكل تفقد الملك أمور نفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه وكان يقول صلاح الرعية أنصر من الجنود وعدل الملك أخصب من عدل الزمان وكان يقول أيام السرور كلمح البصر وأيام الحزن تكاد تكون شهورا (قال المسعودي) ولانوشروان سير حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وما كان منه في مسيره في سائر اسفاره وما بنى من المدن والحصون ورتب من المقاتلة في الثغور (ثم ملك بعده هرمز) بن أنوشروان بن قباذ وأمه فاقم بنت خاقان ملك الترك وقيل بل ملك من ملوك الخزر مما يلي الباب والابواب فكان ملكا اثنتي عشرة سنة وكان متحاملا على

خواص الناس مائلا الى عوامهم متويا لهم مؤثرا للرويضة وتوابع العوام مقربا لهم من خواص الناس وقيل انه قتل في مدة

وتداعت أركانه وزحفت اليه الاعداء وكثرت عليه الخوارج وقد كان أزال أحكام الموبذان وغير بذلك السنة المحمودة والشريعة المعهودة وغير الاحكام وأزال الرسوم وكان ممن سار اليه شابة بن شب عظيم من ملوك الترك فى أربعمائة ألف منزل نحو بلاد هراة وبلاد عيسى وبوشنج من أرض خراسان وسار اليه من أطراف أرضه طراخنة من الخزر فى جيش عظيم فشنوا الغارات فيما بين ذلك الصقع بخيل أوقفت وملوك تهادنت وتواهبت ما كان بينهما من الدماء مما يلى جبل الفتح وسار بطريق القيصر فى ثمانين الفا مما يلى الجزيرة وسار مما يلى اليمن جيش عظيم للعرب من قحطان ومعد وعليهم العباس المعروف بالاحول وعمرو الافوه فاضطرب على هرمز امره واحضر الموبذ وذوى الرأى منهم من بعد احتماله بهم وشاورهم فكان من نتيجة رأيهم موادعة الوجوه الثلاثة وارضاؤهم والاقبال على شابة بن شب فانتدب لحربه بهرام جوبين ابن مرزبان الرى وكان بهرام هذا من ولد جرجير بن ميلاد من نسل انوس المعروف بالران فسار

سراج المهتدين وكتاب الامد الاقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا وكتاب فى الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب وكتاب العقد الاكبر للقلب الاصغر وتبيين الصحيح فى تعيين الذبيح وتعديل التفضيل بين التحميد والتهليل ورسالة الكافى فى أن لا دليل على النافى وكتاب السباعيات وكتاب السلسلات وكتاب التوسط فى معرفة صحة الاعتقاد والرد على من خالف السنة من ذوى البدع والالحاد وكتاب شرح غريب الرسالة وكتاب الانصاف فى مسائل الخلاف عشرون مجلدا وكتاب حديث الافك وكتاب شرح حديث جابر فى الشفاعة وكتاب شرح حديث أم زرع وكتاب ستر العورة وكتاب المحصول فى علم الاصول وكتاب أعيان الاعيان وكتاب ملجأة المتفقهين الى معرفة غوامض النحويين وكتاب ترتيب الرحلة وفيه من الفوائد ما لا يوصف * ومن فوائد القاضى أبى بكر بن العربى رحمه الله تعالى قوله قال علماء الحديث ما من رحل يطلب الحديث الا كان على وجهه نضرة لقول النبى صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها الحديث قال وهذا دعاء منه عليه السلام لحملة علمه ولا بد بفضل الله تعالى من نيل بركته انتهى والى هذه النضرة أشار أبو العباس العزفى بقوله

أهل الحديث عصابة الحق * فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم زهر منضرة * لألاؤها كتألق البرق
يا ليتنى معهم فيدركنى * ما أدركوه بهم من السبق انتهى

(ولا بأس أن نذكر هنا بعض فوائد الحافظ أبى بكر بن العربى رحمه الله تعالى) * فمنها قوله فى تصريف المحصنات يقال أحصن الرجل فهو محصن بفتح العين فى اسم الفاعل وأسهب فى الكلام فهو مسهب اذا أطال البحث فيه وأفتح فهو مفتح اذا كان عديما لا رابع لهما والله تعالى أعلم انتهى * ومنها قوله سمعت الشيخ فخر الاسلام أبا بكر الشاشى وهو ينتصر لمذهب أبى حنيفة فى مجلس النظر يقول يقال فى اللغة العربية لا تقرب كذا بفتح الراء أى لا تتلبس بالفعل واذا كان بضم الراء كان معناه لا تدن من الموضع وهذا الذى قاله صحيح مسموع انتهى * ومنها شاهدت المائدة بطور زيتا مرارا وأكلت عليها ليلا ونهارا وذكرت الله سبحانه فيها سرا وجهارا وكان ارتفاعها أشف من الغمامة بنحو الشبر وكان لها درجان قبلى وجنوبى وكانت صخرة صلداء لا تؤثر فيها المعاول وكان الناس يقولون مسخت صخرة اذ مسخ أربابها قردة وخنازير والذى عندى انها كانت صخرة فى الاصل قطعت من الارض محلا للمائدة النازلة من السماء وكل ما حولها حجارة مثلها وكان ما حولها محفوفا بقصور وقد نحتت فى ذلك الحجر الصلد بيوت أبوابها منها ومجالسها منها مقطوعة فيها وحنايا هائلة فى جوانبها وبيوت خدم منها قد صورت من الحجر كما تصور من الطين والخشب فاذا دخلت فى قصر من قصورها ورددت الباب وجعلت من ورائه صخرة مقدار ثقل ثمن درهم لم يفتحه أهل الارض للصوقه بالارض واداهبت الريح وحثت تحته التراب لم يفتح الا بعد صب الماء تحته والاكثار منه حتى يسيل بالتراب وينفرج منفرج الباب وقد بار بها قوم بهذه العلة وقد كنت أخلو فيها كثيرا للدرس ولكنى كنت فى كل حين أكنس حول الباب مخافة مما جرى لغيرى فيها وقد

شرحت أمرها فى كتاب ترتيب الرحلة بأكثر من هذا انتهى * ومنها قوله رحمه الله تعالى تذاكرت بالمسجد الاقصى مع شيخنا أبى بكر الهروى الطرطوشى حديث ابى ثعلبة المرفوع ان من وراءكم أياما للعامل فيها أجر خمسين منكم فقالوا ٣ بل منهم فقال بل منكم لانكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا وتذاكرنا كيف يكون أجر من يأتى من الامة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الاسلام وعضدوا الدين وأقاموا المنار وافتتحوا الامصار وحموا البيضة ومهدوا الملة وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الصحيح لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فتراجعنا القول وتحصل ما أوضحناه فى شرح الصحيح وخلاصته أن الصحابة كانت لهم اعمال كثيرة لا يلحقهم فيها احد ولا يدانيهم فيها بشر واعمال سواها من فروع الدين يساوون بهم فيها فى الاجر من اخلص اخلاصهم وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والاسلام وهو أيضا انتهاؤه وقد كان قليلا فى ابتداء الاسلام صعب المرام لغلبة الكفار على الحق وفى آخر الزمان أيضا يعود كذلك لوعد الصادق صلى الله عليه وسلم بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الباطل واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق وركوب من يأتى سنن من مضى من أهل الكتاب كما قال صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه وقال صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فلا بد والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الاسلام الى واحد كما بدا من واحد ويضعف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى اذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف وباع نفسه من الله تعالى فى الدعاء اليه كان له من الاجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنا منه معانا عليه بكثرة الدعاة الى الله تعالى وذلك قوله لانكم تجدون على الخير اعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا حتى ينقطع ذلك انقطاعا باتا لضعف اليقين وقلة الدين كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله يروى برفع الهاء ونصبها فالرفع على معنى لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل والنصب على معنى لا يبقى آمر بمعرف ولا ناه عن منكر يقول أخاف الله وحينئذ يتمنى العاقل الموت كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى كنت مكانه انتهى وأنشد رحمه الله تعالى لبعض الصوفية

امتحن الله بذا خلقه * فالنار والجنة فى قبضته
فهجره أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنته

*(ومن فوائد ابن العربى) رحمه الله تعالى انه قال كنت بمجلس الوزير العادل أبى منصور بن جهير على رتبة بيناها فى كتاب الرحلة للترغيب فى المسألة فقرأ القارئ تحيتهم يوم يلقونه سلام وكنت فى الصف الثانى من الحلقة بظهر أبى الوفاء بن عقيل امام الحنبلية بمدينة السلام وكان معتزليا فى الاصول فلما سمعت الآية قلت لصاحب لى كان يجلس على يسارى هذه الآية دليل على رؤية الله فى الآخرة فان العرب لا تقول لقيت فلانا الا اذا رأته فصرف وجهه أبو الوفاء سريعا الينا وقال ينتصر لمذهب الاعتزال فى أن الله تعالى لا يرى فى الآخرة فقد قال الله

ترغيب وترهيب وحيل فى الحرب الى أن قتله بهرام واستباح عسكره واستولى على خزائنه وأمواله وبعث الى هرمز برأسه وقد كان برمود بن شابة ولده تخلص فى بعض القلاع من بهرام فنزل عليه بهرام فنزل برمود على حكم هرمز وسار اليه وحمل بهرام جملا من الغنائم مما كان أخذه من شابة مما كان معه من تركات الملوك مثل ما كان فى خزائن أفراسياب من الاموال والجواهر التى كان أخذها من سياوخش وما كان بايدى الترك من تركات هوشنك ملك الترك مما أخذه من خزائن يستأسف من مدينة بلخ وغيرها من ذخائر ملوك الترك السالفة فلما انتهى ما وصفناه من الاموال والجواهر وغير ذلك من الغنائم من قبل بهرام حسده وزيره مرزبان ارتجيس وقد نظر الى اعجاب هرمز بما حمل اليه بهرام وسروره به فقال اعظم هذه زلته وعرض لهرمز بخيانة بهرام واستبداده باكثر الجواهر والاموال والغنائم وأغراه به فعصاه بهرام ثم احتال بهرام بدواهم ضرب عليها اسم كسرى ابرويز ودس أناسا من التجار فأنفقوها بباب هرمز فتعامل بها الناس وكثرت فى أيديهم وعلم بها هرمز فلم يشك أن

تعالى فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى فى الآخرة وقد شرحنا وجه الآية فى المشكلين وتقدير الآية فأعقبهم هو نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه فيحتمل ضمير يلقونه ان يعود الى ضمير الفاعل فى اعقبهم المقدر بقولنا هو ويحتمل أن يعود الى النفاق مجازا على تقدير الجزاء انتهى * ومنها ما نقله عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يقل أحدكم انصرفنا من الصلاة فان قوما قيل فيهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقد أنبأنا محمد بن عبد الملك القيسى الواعظ أنبأنا أبو الفضل الجوهرى سماعا منه كنا فى جنازة فقال المنذر بها انصرفوا رحمكم الله تعالى فقال لا يقل أحدكم انصرفوا فان الله تعالى قال فى قوم ذمهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ولكن قولوا انقلبوا رحمكم الله فان الله تعالى قال فى قوم مدحهم فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء انتهى * ومنها وقد ذكر الخلاف فى شاهد يوسف ما صورته فاذا قلنا انه القميص فكان يصح من جهة اللغة أن يخبر عن حاله بتقدم مقاله فان لسان الحال أبلغ من لسان المقال فى بعض الامور وقد تضيف العرب الكلام الى الجماد اذا تحير عنه بما عاينها من الصفات ومن أحلاه قول بعضهم قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى ما يتركنى ودائى هذا الذى ورائى لكن قوله تعالى بعد ذلك من أهلها فى صفة الشاهد يبطل أن يكون القميص وأما من قال انه ابن عمها أو رجل من أصحاب العزيز فانه يحتمل لكن قوله من أهلها يعطى اختصاصها من جهة القرابة انتهى * ومنها قوله انه كان بمدينة السلام امام من الصوفية وأى امام يعرف بابن عطاء فتكلم يوما على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب اليه من مكروه فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة فقال يا شيخ يا سيدنا فاذن يوسف هم وماتم فقال نعم لأن العناية من ثم فانظروا الى حلاوة العالم والمتعلم وفطنة العامى فى سؤاله والعالم فى اختصاره واستيفائه ولذا قال عالما وأما الصوفية ان فائدة قوله تعالى ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما أن الله تعالى أعطاه العلم والحكمة أيام غلبة الشهوة لتكون له سببا للعصمة انتهى * ومنها قوله كنت بمكة مقيما فى ذى الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمائة وكنت أشرب من ماء زمزم كثيرا وكل ما شربته نويت به العلم والايمان ففتح الله تعالى لى ببركته فى المقدار الذى يسره لى من العلم ونسبت أن أشربه للعمل ويا ليتنى شربته لهما حتى يفتح الله تعالى لى فيهما ولم يقدر فكان صفوى للعلم أكثر منه للعمل وأسأل الله تعالى الحفظ والتوفيق برحمته * ومنها قوله سمعت امام الحنابلة بمدينة السلام أبا الوفاء على بن عقيل يقول انما تبع الولد الام فى المالية وصار بحكمها فى الرق والحرية لانه انفصل عن الاب نطفة لا قيمة له ولا مالية فيه ولا منفعة مبتوثة عليه وانما اكتسب ما اكتسب بها ومنها فلذلك تبعها كما لو أكل رجل تمرا فى أرض رجل وسقطت منه نواة فى الارض من يد الآكل فصارت نخلة فانها ملك صاحب الارض دون الآكل باجماع من الامة لانها انفصلت عن الآكل ولا قيمة لها وهذه من البدائع انتهى * ومنها قوله ومن نوادر أبى الفضل الجوهرى سأخبر ما عنه محمد بن عبد الملك الواعظ وغيره انه كان يقول اذا أمسكت علاقة الميزان بالابهام والسبابة وارتفعت سائر الاصابع كان شكلها مقروءا يقول الله فكأنها اشارة منه سبحانه فى تيسير الوزن الى أن الله سبحانه مطلع عليك فاعدل فى وزنك

ابنه أبرويز بن هرمز بها طيبا فهرب أبرويز من أبيه لتغيره عليه ولحق ببلاد أذربيجان وأرمينية والران والبيلقان وحبس هرمز خالى أبرويز بسجستان ونفذه اليه فأعمل الحيلة فى محبسهما وخرجا فانصف أبرويز ممن الحبش فرحل على هرمز بسلاحه وأحياه فلما نمى ذلك الى أبرويز سار الى أبيه فدخل عليه وأخبره انه لا ذنب له فى ذلك وانما هرب خوفا على نفسه منه فتوجه هرمز وسلم الملك اليه ونمى ذلك الى بهرام جور فسار فى عساكره يوم الباب ودار الملك فخرج اليه أبرويز فالتقيا على شاطئ النهروان والنهر بينهما فتواقعا وكان لهما خطب طويل من تقاذف وتشاتم ثم كانت بينهما حروب انكشف فيها أبرويز فتخلف أصحابه عنه وسيلهم الى بهرام فنام تحته فرسه المعروف بشيداد وهو المصور فى الجبل وهو ببلاد قرمايين من أعمال الدينور هو وابرويز وغير ذلك من الصور وهذا الموضع من احدى عجائب العالم وغرائب ما فيه من الصور العجيبة المنقورة فى الصخر والفرس تذكر فى أشعارها وغيرها من الشعر هذا الفرس المعروف بشيداد وقد كان أبرويز على شيداد فى بعض انتهى

الايام فانقطع عنانه فدعا بصاحب مروجه وتوجه فاراد ضرب عنقه لما لم يتعهد العنان فقال أيها الملك

انتهى * ومنها قوله كان ابن الكازروني يأوي الى المسجد الاقصى ثم تمتعنا به ثلاث سنوات ولقد كان يقرأ في مهد عيسى عليه السلام فيسمع من الطور فلا يقدر أحد أن يصنع شيأ دون قراءته الا الاصغاء اليه انتهى * ومنها قوله في تفسير قوله تعالى في أيام نحسات قيل انها كانت آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء والناس يزهرون السفر يوم الاربعاء لاجل هذه الرواية حتى انى لقيت يوما مع خالي الحسن بن أبي حفص رجلا من الكتاب فودعنا بنية السفر فلما افارقنا قال لي خالي انك لا تراه أبدا لانه مسافر في يوم أربعاء لا يسلم وكذا كان مات في سفره وهذا ما لا أراه لان يوم الاربعاء يوم عجيب بما جاء في الحديث من الخلق فيه والترتيب فان الحديث ثابت بأن الله تعالى خلق يوم السبت التربة ويوم الاحد الجبال ويوم الاثنين الشجر ويوم الثلاثاء المكروه ويوم الاربعاء النور وروى النون وفي غريب الحديث أنه خلق يوم الاربعاء التنين وهو كل شيء تتنين به الاشياء يعني المعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص فاليوم الذي خلق فيه المكروه لا تعافه الناس واليوم الذي خلق فيه النور أو التنين يعافونه ان هذا لهو الجهل المبين وفي المغازي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على الاحزاب من يوم الاثنين الى يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فاستجيب له وهي ساعة فاضلة فالآثار الصحاح تدل على فضل هذا اليوم فكيف يدعى فيه التحذير والنحس بأحاديث لا أصل لها وقد صور قوم أياما من الاشهر الشمسية ادعوا فيها الكراهية لا يحل لمسلم أن ينظر اليها ولا يشغل بالا بها فحسبهم الله انتهى * ومنها وكان يقرأ معنا برباط أبي سعيد على الامام دانشمند من بلاد المغرب خنثى ليس له لحية وله نديان وعنده جارية فربك أعلم به ومع طول الصحبة عقلني الحياء عن سؤاله وبودي اليوم لو كاشفته عن حاله انتهى * ومن شعر ابن العربي مما نسبه له الشيخ أبو حيان قوله

ليت شعري هل دروا * أي قلب ملكوا
وفؤادي لو درى * أي شعب سلكوا
أتراهم سلموا * أم تراهم هلكوا
حار ارباب الهوى * في الهوى وارتبكوا

* (ومن فوائده) * أخبرني المهرة من السحرة بأرض بابل أنه من كتب آخر آيه من كل سورة ويعلقها لم يبلغ اليه سحر نا قال هكذا قالوا والله تعالى اعلم بما نقلوه * وقال رحمه الله تعالى حذقت القرآن ابن تسع سنين ثم ثلاثا لضبط القرآن والعربية والحساب فبلغت ست عشرة وقد قرأت من الاحرف نحوا من عشرة بما يشبهها من اظهار وادغام ونحوه ومرنت في الغريب والشعر واللغة ثم رحل بي أبي الى المشرق ثم ذكر تمام رحلته رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو بكر محمد بن أبي عامر بن هجاج الغافقي الاشبيلي) ومن نظمه بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

لم يبق لي سؤل ولا مطلب * مذ صرت جار اللحبيب الحبيب
لا أبتغي شيأ سوى قربه * وها أنا منه قريب قريب
من عاب عن حضرة محبوبه * فلست عن طيبة ممن يغيب

ما بقي سير يحيد به ملك الانس وملك الخيل فاطلقه وأجاره ولما بلغ هذا الفرس تحت أبروز وقصر طلب الى النعمان في المعركة أن يمس عليه ظهره المعروف بالصبوم فأبى عليه وهجا عليه بقوله ونظر حسان بن حنظلة بن حنة الطائي الى أبروز وقد حازته الرجال وأشرف على الهلاك فاعطاه فرسه المعروف بالصبيب وقال له أيها الملك اشح على رسي فان حياتك للناس خير من حياتي وأعطاه أبروز غيره شيدا فوثب عليه في جملة الناس ومضى أبروز الى أبيه هرمز فشاوره في ذلك يقول حسان بن حنظلة الطائي

أعطيت كسرى ما أراد ولم أكن
لاتركه في الخيل يعثر راجلا
يذللت له ظهر الصبيب وقد بدت
مسومة من خيل تركوا ثلاثا

فكافأه ابروز بعد ذلك وعرف له ما صنع ولما سار أبروز من الهزيمة الى أبيه هرمز أشار عليه أن يلحق بقيصر ويستنجده فان الملوك اذا استنجدت في مثل هذه الحالة انجدت في حطب جرى بينه وبين ابيه فمضى أبروز وتبعه غيره من الخواص وخالاه بسطام ونفديه وعبر دجلة وقطع الجسر خوفا من خيل بهرام

لا تسأل المغبوط عن حاله * جار كريم ومحل خصيب
العيش والموت هناطيب * بطيبة لى كل شئ يطيب

ومن روى عنه هذه الابيات الاشرف بن الفاضل (ومنهم الشيخ الاديب الفاضل البارع جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الخطيب أبى الحسن محمد بن أبى عبد الله بن عيسى بن محمد بن على بن ذى النون الانصارى المالقى) من أشياخ ابى حيان لقيه ببلبيس من ديار مصر قال وأنشدنى لشيخه أبى عبد الله الاستجى من قصيدة

ما للنسيم سرى يهب عليلا * أتراه يشكو لوعة وغليلا
جر الذيول على ديار أحبتى * فأتى يجر من السقام ذيولا

وانشد رحمه الله تعالى لرضوان المخزومى

ان كنت يوسف حسنا * وكنت عبد العزيز
فان يوسف من قبل كان عبد العزيز

وأخذ ابن ذى النون المذكور عن أبى عبد الله بن صالح وقرأ للسبعة على أبى جعفر الفحام وأبى زيد القمارشى وعلى أبى جعفر السهيلى وولد ابن ذى النون سنة ٦١٨ بمالقة ومن تواليفه نفح المسك الاذفر فى مدح المنصور بن المظفر وأزهار الخميلة فى الآثار الجميلة واستطلاع البشير ومحض اليقين وروض المتقين * (ومنهم زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمى المعروف بشبطون ٣) يكنى أبا عبد الله كان فقيه الاندلس على مذهب مالك وهو أول من أدخل مذهبه الاندلس وكانوا قبله يتفقهون على مذهب الاوزاعى وأراده الامير هشام على القضاء بقرطبة وعزم عليه فهرب فقال هشام ليت الناس كلهم كزياد حتى أكفى الرغبة فى الدنيا وأرسل الى زياد فأمنه حتى رجع الى داره ويحكى انه لما اراده للقضاء كلمه الوزراء فى ذلك عن الامير وعرفوه عزمه عليه فقال لهم اما ان أكرهتمونى على القضاء فزوجتى فلانة طالق ثلاثا لئن أتانى مدع فى شئ مما فى أيديكم لاخرجنه منه ثم أجعلكم مدعين فيها فلما سمعوا منه ذلك علموا صدقه فعملوا عند الامير فى معافاته سمع من مالك الموطأ ويعرف سماعه بسماع زياد وسمع من معاوية بن صالح وكانت ابنة معاوية تحته وروى يحيى بن يحيى الليثى عن زياد هذا الموطا قبل أن يرحل الى مالك ثم رحل فأدرك مالكا فرواه عنه الا أبوابا فى كتاب الاعتكاف شك فى سماعها من مالك فابقى روايته فيها عن زياد عن مالك وتوفى سنة اربع ومائتين وقيل سنة ١٩٣ وقيل فى التى بعدها وقيل سنة ١٩٩ والاول أولى بالقبول والله تعالى أعلم ورحل فى ذلك العصر جماعة من امثال شبطون كفرغوس بن العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبى هند وغيرهم ممن رحل الى الحج أيام هشام بن عبد الرحمن والد الحكم فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به صيته بالاندلس فانتشر بومئذ رأيه وعلمه بالاندلس وكان زياد الجماعة فى ذلك شبطون وهو أول من أدخل موطأ مالك الى الاندلس مكملا متقنا فأخذه عنه يحيى بن يحيى كما مر وهو اذ ذاك صدر فى طلاب الفقه فأشار عليه زياد بالرحيل الى مالك ما دام حيا فرحل سريعا وأخذ يحيى عن زياد هذا الكتب العشرة المنسوبة الى يحيى ولقى أيضا عبد الله بن وهب صاحب مالك وسمع منه موطأه ولقى أيضا عبد الله بن نافع المدنى

لما بعث هرمز من شخرائه والخالد فحاولت عادفا خلدوا
ولاسليمان اذ تجرى الرياح له

صاحب

٣ قوله المعروف بشبطون تقدم انه فى نسخه بسطون فى أخرى بشطون فليحرر اه

صاحب مالك وسمع منه ومن الليث بن سعد فقيه مصر ومن سفيان بن عيينة بمكة وقدم يحيى الاندلس أيام الحكم فانتشر به وبزياد وبعيسى بن دينار علم مالك بالاندلس رضى الله تعالى عن الجميع وقد قدمنا الحديث الذى رواه زياد بن عبد الرحمن عن مالك فليراجع فى الباب الثالث (ومنهم سوار بن طارق مولى عبد الرحمن بن معاوية) قرطبى حج ودخل البصرة ولقى الاصمعى ونظراءه وانصرف الى الاندلس وأدب الحكم ومن ولده محمد بن عبد الله بن سوار حج أيضا ولقى أبا حاتم بالبصرة والرياشى وغيرهما وأدخل الاندلس علما كثيرا رحم الله تعالى الجميع (ومنهم بقى بن مخلد الشهير الذكر صاحب التآليف التى لم يؤلف مثلها فى الاسلام ولقى مائتين وأربعة وعشرين شيخا وكانت له خاصة من الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وسنأتى جملة مما يتعلق ببقى بن مخلد فى رسالة ابن حزم فى الباب السابع وبقى على وزن سعدى رحمه الله تعالى ورضى عنه وقد عرف ببقى بن مخلد غير واحد من العلماء كصاحب البراس وغيره * (ومنهم قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف أبو محمد البيانى) وبيانة من اعمال قرطبة وأصل سلفه من موالى الوليد بن عبد الملك وسمع المذكور بقرطبة من بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس وأصبغ بن خليل وابن مسرة وغيرهم وحدث وحل الى المشرق مع محمد بن عبد الملك بن أيمن ومحمد بن زكريا بن عبد الاعلى سنة أربع وسبعين ومائتين فسمع بمكة من محمد بن اسمعيل الصائغ وعلى بن عبد العزيز ودخل العراق فلقى من أهل الكوفة ابراهيم بن أبى العنبس قاضيها وابراهيم بن عبد الله القصاد وسمع ببغداد من القاضى اسمعيل وأحمد بن زهير بن حرب وغيرهما كعبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل والحرث بن أبى اسامة وكتب عن ابن أبى خيثمة تاريخه وسمع من ابن قتيبة كثيرا من كتبه وسمع من المبرد وثعلب وابن الجهم فى آخرين وسمع بمصر من محمد بن عبد الله العمرى ومطلب بن شعيب وغيرهما وسمع بالقيروان من أحمد بن يزيد المعلم وبكر بن حماد التاهرتى الشاعر وانصرف الى الاندلس بعلم كثير فمال الناس اليه فى تاريخ أحمد بن زهير وكتب ابن قتيبة وأخذوا ذلك عنه دون صاحبيه ابن أيمن وابن عبد الاعلى وكان بصيرا بالحديث والرجال نبيلا فى النحو والغريب والشعر وكان يشاور فى الاحكام وصنف على كتاب السنن لابى داود كتابا فى الحديث وسبيله لما قدم العراق سنة ست وسبعين ومائتين مع صاحبه محمد بن أيمن وجدا أبا داود قد مات قبل وصولهما بيسير فلما فاتهما عمل كل واحد منهما مصنفا فى السنن على أبواب كتاب أبى داود وخرجا الحديث من روايتهما عن شيوخهما وهما مصنفان جليلان ثم اختصر قاسم بن أصبغ كتابه وسماه المجتنى بالنون وابتدأ اختصاره فى المحرم سنة أربع وعشرين وثلثمائة وجعله باسم الحكم المستنصر وفيه من الحديث المسند الفان وأربعمائة وتسعون حديثا فى سبعة أجزاء ومولده يوم الاثنين عاشر ذى الحجة سنة سبع وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى وحكى القرطبى فى تفسيره عند قوله تعالى قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا ان قاسم بن اصبغ قال لما رحلت الى المشرق نزلت القيروان فأخذت عن بكر بن حماد حديث مسدد فقرأت عليه يوما فيه حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قدم عليه قوم من مضر مجتابى النمار فقال انما هو مجتابى النمار فقلت انما هو مجتابى

عل الملك ولحق ابرويز بالروم فنزلها وكاتب ملوك الروم وهو موريقش مع خاله بسطام وجماعة ممن كانوا معه يسئله النصرة على عدوه ويضمن له الوفاء بما ينفقه من اموالهم والاحسان الى جنده وانه يؤدى اليه دياتهم من يقتل من رجاله وغير ذلك من الشروط واهدى اليه هدايا كثيرة منها مائة غلام من أبناء أراكنة الترك فى نهاية الحسن والجمال واستقامة الصور فى آذانهم أقراط الذهب فيها الدر واللؤلؤ ومائة من العنبر فتحها ثلاثة أذرع على ثلاث قوائم من الذهب مفصلة بانواع الجواهر أحد الارجل ساعد وكف أسد والآخر ساق وعل بطلعه والثالث كف عقاب بمخلبه فى وسطها جام جزع يمانى فاخر فقعه شبر مملوءة جمارة ياقوت أحمر وسفط ذهب فيه مائة درة وزن كل درة مثقال أربع ما يكون فحمل اليه موريقش ملك الروم الى ألف دينار ومائة ألف فارس بعث بهم مع هديته وألف ثوب من الديباج الخزائى المنسوج بالذهب

٤٤ ص ل الاحمر وغيره من الالوان وعشرين جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة والصقالبة والوشقنس

سد وس واشترط ملك الروم على أبرويز شروطا كثيرة منها النزول عن الشام ومصر مما كان غلب عليه أنوشروان وترك التعرض لذلك فاجابه الى ذلك وقد كانت ملوك الفرس تتزوج الى سائر من جاورهامن ملوك الامم ولا تزوجها الا هم أحرار وانجاد وللفرس فى هذا خطب طويل كفعل قريش وتركها السبق وتحمسها وكانوا يتفون عز دلفة وهو يوم الحج الاكبر ويقولون نحن الحمس وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم للانصار أنا رجل أحمسى ولما اجتمع لابرويز ما وصفنا سار الى بلاد أذربيجان فاجتمع اليه هنالك من كان من العساكر واضاف اليه كثير من الجنود والامم وبلغ بهرام جور ما قد عزم عليه فسار اليه فيمن كان معه من عساكره والتقى الجيشان جميعا فتوجهت على بهرام فانكشف فى نفر من أصحابه وانتهى الى أطراف خراسان وكاتب خاقان ملك الترك فأمنه وسار الى ملكه هو ومن معه من أصحابه وأخته كردية وكانت فى الشجاعة والفروسية نحوه وعليها كان يعول فى كثير من

انما رهكذا اقرأته على كل من لقيته بالاندلس والعراق فقال لى بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا أو نحو هذا ثم قال لى قم بنا الى ذلك الشيخ كان فى المسجد فان له مثل هذا علما فقمنا اليه وسألناه عن ذلك فقال انما هو مجتابى النمار كما قلت وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم والنمار جمع نمرة فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه رغم أنفى للحق وانصرف انتهى وهذه الحكاية دالة على عظيم قدر الرجلين رحمهما الله تعالى ورضى عنهما ونفعنا بهما * (ومنهم قاسم بن ثابت أبو محمد العوفى السرقسطى) رحل مع أبيه فسمع بمصر من احمد بن شعيب النسائى وأحمد بن عمر البزار وبمكة من عبد الله بن على بن الجارود ومحمد بن على الجوهرى واعتنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه فادخلا الى الاندلس علما كثيرا ويقال انهما أول من أدخل كتاب العين الى الاندلس وألف قاسم فى شرح الحديث كتابا سماه الدلائل بلغ فيه الغاية فى الاتقان ومات قبل أكماله فاكمله ابن ثابت بعده وقد روى عن أبى على البغدادى انه كان يقول كتبت كتاب الدلائل وما أعلم انه وضع بالاندلس مثله وكان قاسم عالما بالحديث واللغة متقدما فى معرفة الحديث والنحو والشعر وكان مع ذلك ورعا ناسكا وارتد على القضاء بسرقسطة فأبى ذلك فأراد أبوه اكراهه عليه فسأله أن يتركه ينظر فى امره ثلاثة أيام ويستخير الله تعالى فى هذه الثلاثة الايام فيرون انه دعا لنفسه بالموت وكان مجاب الدعوة توفى سنة ٣٠٣ بسرقسطة رحمه الله تعالى * (ومنهم علم الدين ابو محمد المرسى اللورقى وهو قاسم بن احمد بن موفق بن جعفر) العلامة المقرى الاصولى النحوى ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة وقرأ بالروايات قبل الستمائة على أبى جعفر الحصار وابى عبد الله المرادى وابى عبد الله بن نوح الغافقى وقدم مصر فقرأ بها على ابى الجود غياث بن فارس وبدمشق على التاج بن زيد الكندى وسمع ببغداد من ابى محمد بن الاخضر وأخذ العربية عن ابى البقاء ولقى الجزولى بالمغرب وسأله عن مسئلة مشكلة فى مقدمته فاجابه وبرع فى العربية وفى علم الكلام والفلسفة وكان يقرئ ذلك ويحققه واقرأ بدمشق ودرس وشرح المفصل فى النحو فى اربع مجلدات فاجاد وافاد وشرح الجزولية والشاطبية وكان مليح الشكل حسن البزة موطأ الاكناف قرأ عليه جماعة وتوفى سابع رجب سنة ٦٦١ وكان معمرا مشتغلا بانواع العلوم وسماه بعضهم ابا القاسم والاول اصح * (ومنهم قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار ابو محمد) من اهل قرطبة وجده مولى الوليد بن عبد الملك رحل فسمع بمصر من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمزنى والبرقى والحرث بن مسكين ويونس بن عبد الاعلى وابراهيم بن المنذر وغيرهم ولزم ابن عبد الحكم للتفقه وتحقق به وبالمزنى وكان يذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد ويميل الى مذهب الشافعى ولما قال لابنه محمد بن القاسم يا بنى اوصنى قال اوصيك بكتاب الله فلا تنس حظك منه واقرأه كل يوم جزأ واجعل ذلك عليك واجبا وان اردت ان تأخذ من هذا الامر بحظ يعنى الفقه فعليك برأى الشافعى فانى رأيته اقل خطأ قال ابو الوليد بن الفرضى ولم يكن بالاندلس مثله فى حسن النظر والبصر بالحجة وقال احمد بن خالد ومحمد بن عمر بن لبابة ما رأينا افقه من قاسم بن محمد فيمن دخل الاندلس من اهل الرحلة وقال اسلم بن عبد العزيز سمعت عن ابن عبد الحكم انه قال لم يقدم علينا من الاندلس احد أعلم

من قاسم بن محمد ولقد عاتبته في حين اصراره الى الاندلس وقلت له اقم عندنا فانك تعتقد ههنا رياسة ويحتاج الناس اليك فقال لا يتم لي الوطن وقال سعيد بن عثمان قال لي احمد بن صالح الكوفي قدم علينا من بلادكم رجل يسمى قاسم بن محمد فرأيت رجلا فقيها وألف رحمه الله تعالى كتابا نبيلا في الرد على ابن مزين وعبد الله بن خالد والمتبي يدل على علمه وله كتاب في خبر الواحد وكان يلي وثائق الامير محمد طول ايامه روى عنه ابن لبابة وابن أيمن والاعناقي وابنه محمد بن قاسم في آخرين توفي سنة ست او سبع او ثمان وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى * (ومنهم ابو بكر الغساني وهو محمد بن ابراهيم بن احمد بن اسود) من اهل المرية قدم الى مصر ولقي بها ابا بكر الطرطوشي ثم عاد الى بلده وشوور واستقضي بمرسيه مدة طويلة ثم صرف وسكن مراكش * قال ابن بشكوال توفي بمراكش في رجب سنه ٦٣٦ وقال ابو جعفر بن الزبير ان له كتاب تفسير القرآن وبيته بيت علم ودين * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن حيون) من أهل وادي الحجارة قال ابن الفرضي سمع من ابن وضاح والخشني ونظرائهما بالاندلس ورحل الى المشرق فتردد هنالك نحوا من خمس عشره سنة وسمع بمصر بغداد ومكة ولقي جماعة من اصحاب الامام أحمد بن حنبل منهم عبد الله بن أحمد وسمع بمصر من الخفاف النيسابوري وابراهيم بن موسى وغيرهما وبالمصيصة والقيروان وكان اماما في الحديث عالما حافظا للعلل بصيرا بالطرق ولم يكن بالاندلس قبله أبصر بالحديث منه وهو ضابط متقن حسن التوجه للحديث صدوق ولم يذهب مذهب مالك وممن روى عنه ابن أيمن وقاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة وأحمد بن سعيد بن حزم وقال خالد بن سعيد لو كان الصدق لسانا لكان ابن حيون وكان مزين بالتشيع لشئ كان يظهر منه في حق معاوية رضي الله تعالى عنه وكان شاعرا وتوفي بقرطبه سنه ٣٠٥ سامحه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن غالب المالقي) قال ابن نقطة سمع بالاسكندرية من أبي الحسن بن المقدسي وكان فاضلا رأيت بخطه اجازة بمصر لبعض المصريين في رجب سنة ٦٠٤ وسمع بمصر شيأ من الخلعيات قال ابن فرتون الفاسي في ذيل تاريخ الاندلس روى بمالقة ورحل الى المشرق وحج ولقي أبا الحسن علي بن الفضل المقدسي وأخذ عنه كتاب تحقيق الجواب عمن أجيز له ما فاته من الكتاب من تأليفه ورجع الى الاندلس ثم نهض الى مراكش فتوفي في أقصى بلاد السوس في حدود سنة ٦٢٥ رحمه الله تعالى * (ومنهم اليفوري وهو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) مصنف كتاب اكمال الاكمال للقاضي عياض على صحيح مسلم وكتب على كتاب الشهاب القرافي في الاصول وسمع الحديث وقدم الى مصر ومعه مصحف قرآن حمل بخطه الى ملك المغرب ليوقف بمكة ثم عاد بعد حجه ومات بمراكش سنة ٧٠٧ وقد زرت قبره مرارا قال الحافظ المقريزي واليفوري نسبة الى يفورة بياء آخر الحروف مفتوحة وفاء مشددة وراء مهملة بلد بالاندلس انتهى (ومنهم أبو عبد الله الانصاري وهو محمد بن ابراهيم بن موسى ابن عبد السلام) ويعرف بابن شق الليل من أهل طليطلة سمع بمصر أبا الفرج الصوفي وأبا القاسم الطحان الحافظ وأبا محمد بن النحاس وأبا القاسم بن ميسرة وأبا الحسن بن بشر وغيرهم

والمراكب والكساوي وكان أهم على ما كان منهم في معونته وحمل اليه الى ألف دينار ومن ذلك بهرايا كثيرة وأموال عظيمة من آلات الذهب والفضة ووفى له بكل ما وعده وخرج من كل ما أوجبه على نفسه واحتال ابرويز في قتل بهرام في أرض الترك فقتل هناك غيلة وذكر أن رأسه حمل بعد ان احتيل عليه وأخرجه من الناووس الذي كان حافا فاسلك الترك دفنه فيه وحمله اليه رجل ناحر فارسي فنصب على باب ابرويز في رحبة قصره وخرجت كردية فيمن كان معها من اصحاب بهرام من أرض الترك وقد كان لها أخبار في الطريق مع ابن لخاقان وكتبها ابرويز في قتل خاله بسطام وكان مرزبان الديلم بخراسان فقتلته وقتلت خاله الآخر بابيه هرمز ثم صارت كردية اليه فتزوجها وللفرس كتاب مفرد في أخبار بهرام جور وما كان من سكانه ببلاد الترك حين صارت اليه واستنقاذه لابنة ملك الترك من حيوان اسمه السمع نحو العير الكبير كان قد احتملها من بين جواريها وعلا بها وقد

خرجت لبعض متنزهاتها وما كان من بدء حاله الى مقتله ونسبه وكان وزير ابرويز الغالب عليه والمدبر لامره وحكم

وسمع بطليطلة من جماعة وحدث عن جماعة من المحدثين كثيرة * قال ابن بشكوال وكان فقيها عالما واماما متكلما حافظا للفقه والحديث قائما بهما متقنا لهما الا أن المعرفة بالحديث وأسماء رجاله والبصر بمعانيه وعلله كان أغلب عليه وكان مليح الخط جيد الضبط من أهل الرواية والدراية والمشاركة في العلوم وكان أديبا شاعرا مجيدا الغوياديبا فاضلا كثير التصانيف والكلام على علم الحديث حلو الكلام في تأليفه وله عناية باصول الديانات واظهار الكرامات توفي بطليطلة يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٤٥٥ رحمه الله تعالى * (ومنهم الشيخ الامام الشهير الكبير الولي العارف بالله سيدي أبو عبد الله القرشي الهاشمي الاندلسي) شيخ السالكين وامام العارفين وقدوة المحققين قدم مصر بعد ما صحب ببلاد المغرب جماعة من اعلام الزهاد وكان يقول صحبت ستمائة شيخ اقتديت منهم بار بعة الشيخ أبو الربيع والشيخ أبو الحسن بن طريف والشيخ أبو زيد القرطبي والشيخ أبو العباس الجوزي وسلك على يده جماعة منهم الشيخ أبو العباس القسطلاني فانه أخذ عنه كلامه وجمعه في جزء وخرج سيدي أبو عبد الله القرشي من مصر الى بيت المقدس فأقام به الى حين وفاته عشية الخميس السادس من ذي الحجة سنة ٥٩٩ عن خمس وخمسين سنة ودفن هناك وقبره ظاهر يقصد للزيارة زرته أول قدماتي على بيت المقدس سنة ١٠٣٨ ومن كلامه من لم يدخل في الامور بلطف الادب لم يدرك مطلوبه منها وقوله العاقل يأخذ ما صفا ويدع التكلف فانه تعالى يقول وان يردك بخير فلا راد لفضله وقال من لم يراع حقوق الاخوان بترك حقوقه حرم بركة الصحبة وقال سمعت الشيخ أبا اسحق ابراهيم بن طريف يقول لما حضرت الشيخ أبا الحسن بن غالب الوفاة قال لاصحابه اجتمعوا وهللوا سبعين ألف مرة واجعلوا ثوابها لي فانه يبلغني انها فداء كل مؤمن من النار قال فعملناها واجتمعنا عليها وجعلنا ثوابها له ثم حكى عن شيخه أبي زيد القرطبي ما حكاه السنوسي عنه في أواخر شرح صغراه وقد أنكر غير واحد من الحفاظ كابن حجر وغيره كون ماذكر حديثا ولعل هؤلاء أخذوه من جهة الكشف ونحوه والله تعالى أعلم وقال رحمه الله تعالى دخلت على الشيخ أبي محمد عبد الله المغاوري فقال لي أعلمك شيأ تستعين به اذا احتجت لشئ فقلت بلى واحدا أحد يا واجد يا جوادا نفعنا منك بنفحة خير انك على كل شئ قدير قال فأنا انفق منها منذ سمعتها وقال رحمه الله تعالى ما من حال ذكر في رسالة القشيري الا وقد شاهدته نفسي وتزوج رحمه الله تعالى بنساء حدثن عنه بكرامات ومنهن أم القطب القسطلاني وحكت انها خرجت عنه يوما لحاجتها ثم عادت فسمعت عنده في طبقته حس رجل فتوقفت وتفقدت الباب فوجدته مغلقا فلما انقطع الكلام دخلت اليه فاذا هو وحده كما تركته وسألته عن ذلك فقال هو الخضر دخل علي وفي يده حية فقال هذه حيتك جئتك بها من أرض نجد وفيها شفاء مرضك فقلت لا أريد اذهب أنت وحيتك لا حاجة لي بها ودخل عليه بعض نسائه يوما فوجدته بصيرا نقي الجسم من الجذام فلما نظرته قال لها أتريدين أبقى لك هكذا فقالت له ياسيدي كن كيف شئت انما مقصودي خدمتك وبركتك وقيل له وقد تكاثرت منه رؤية الاشياء واخباره بها مع كونه ضريرا عن ذلك فقال كلي أعين بأي عضو

الزنادقة من الثنوية فأمر بحبسه وكتب اليه كان من ثمرة علمك ونتيجة ما ادالك اليه عقلك أن صرت أهلا للقتل وموضعا للعقوبة فكتب اليه بزرجمهر أما اذا كان معي الجد وكنت أنتفع بثمرة عقلي فالآن اذ لا جد معي فقد انتفع بثمرة الصبر واذ قد فقدت كثير الخير فقد استرحت من كثير من الشر واغرى ابرويز ببزرجمهر فدعاه وامر بكسر انفه وفوه فقال بزرجمهر في لأهل لما هو شر من هذا فقال ابرويز ولم ياعدو الله تخالف فقال لانى كنت اصفك لخواص الناس وعوامهم بما ليس فيك وأقربك من قلوبهم وارفع من محاسن أمورك ما لم تكن عليه اسمع مني ياشر الملوك نفسا واخبثهم فعلا وأسوأهم عشرة لا تقتلني بالشك وترفع به اليقين الذي قد علمته مني بالتمسك بالشريعة من ذا الذي يرجو عدلك ويثق بقولك ويطمئن اليك فغضب ابرويز وامر به فضرب عنقه ولبزرجمهر في ايدي الناس قضايا وحكم ومواعظ وكلام كثير في الزهد وغيره وندم ابرويز على قتله وتأسف ودعا بحبر ارنوس الوزير الثاني وكانت مرتبته دون مرتبة بزرجمهر فلما رأى بزرجمهر

أردت ان انظر به نظرت وقال همت ان أدعو برفع الغلاء فقيل لى لاتدع فما نسمع لاحد منكم فى هذا الامر دعاء فسافرت الى الشام فلما وصلت الى بلد الخليل عليه السلام تلقانى رسول الله الخليل حين ورد وحى عليه فقلت يارسول الله اجعل ضيافتى عندك أهل مصر فدعا لهم ففرج عنهم ومناقبه رحمه الله تعالى وكراماته لايفى بها هذا المختصر وانما قصدنا بذكره البركة وكفارة ماوقع فى هذا الكتاب من الاحماض والله المرجو فى العفو * ومن فوائده ماتقله عن شيخه أبى الربيع المالقى انه قال ألا علمك كنزا تنفق منه ولا ينفد قلت بلى قال قل ياالله ياأحد ياواحد ياموجود ياجواد ياباسط ياكريم ياوهاب ياذا الطول ياغنى يامغنى ياقتاح يارزاق ياعليم ياحى ياقيوم يارحمن يارحيم ياديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحنان يامنان انفحنى منك بنفحة خير تغنينى بها عمن سواك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا نصر من الله وفتح قريب اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود ياذا العرش المجيد ياعالما لما يريد اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك واحفظنى بما حفظت به الذكر الحكيم وانصرنى بما نصرت به الرسل انك على كل شئ قدير فمن داوم على قراءته بعد كل صلاة خصوصا صلاة الجمعة حفظه الله تعالى من كل مخوف ونصره على أعدائه وأغناه ورزقه من حيث لايحتسب ويسر عليه معيشته وقضى عنه دينه ولو كان عليه أمثال الجبال دينا بكرمه واحسانه انتهى نقله عنه العلامة ابن داود البلورى الاندلسى ومن خطه نقلت رحم الله تعالى الجميع ونقله اليافعى كما ذكر رحمه الله تعالى الا انه لم يقل فيه ياودود واتفقا فيما عدا ذلك والله سبحانه أعلم * وقال ابن خلكان فى حقه محمد بن أحمد بن ابراهيم القرشى الهاشمى العبد الصالح الزاهد من أهل الجزيرة الخضراء كانت له كرامات ظاهرة ورأيت أهل مصر يحكون عنه أشياء غارقة ولقيت جماعة ممن صحبه وكل منهم يثنى عليه من بركته وذكروا عنه أنه وعد جماعة ممن صحبوه مواعيد من الولايات والمناصب العلية وأنها صحت كلها وكان من السادات الاكابر والطراز الاول وهو مغربى صحب بالمغرب اعلام الزهاد وانتفع بهم فلما وصل الى مصر انتفع به من صحبه او شاهده ثم سافر الى الشام قاصدا زيارة بيت المقدس وأقام بها الى ان مات وصلى عليه بالمسجد الاقصى وهو ابن خمس وخمسين سنة وقبره ظاهر للزيارة والتبرك * والجزيرة الخضراء فى بلاد الاندلس مدينة تقابل سبتة من بر العدوة ومن جملة وصاياه لاصحابه سيروا الى الله تعالى عز جاه ومكاسير فان انتظار الصحة بطالة انتهى بعض اختصار *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن على بن الحسين بن أبى الحسين القرطبى) سمع من قاسم بن أصبغ وغيره وقدم مصر فسمع بها من ابن الورد وابن أبى الموال والباوردى وابن السكن فى آخرين وسمع بالرملة وبيت المقدس وكان ضابطا بصيرا بالنحو واللغة فصيحا بليغا طويل اللسان ولى الشرطة ببلاد المغرب توفى سنة ٣٧٣ *(ومنهم أبو بكر الجيانى محمد بن على بن خلف التجيبى الاشبيلى الحافظ الكاتب) روى عن ابن الجد وغيره ورحل بمصر حاجا فلقى بمكة أبا حفص الميانشى وأبا الحسن المكناسى ولقى بالاسكندرية السلفى وابن عوف وغيرهما وكان مدرسا للفقه فقيها جليلا متقدما

قتيلا اسف عليه وعلم انه لاينجو فأغلظ لابرويز فى الكلام فأمر به فقتل واغرق فى دجلة فلما غدم هذين الرجلين وما كانا عليه من الكفالة وندبير الملك استوحش من شريعة العدل ووانحة الحق فعدل الى الجور والعسف بخواص رعيته وعوامها وحملها على مالم تكن تعهد وورد هم الى مالم يكونوا يعرفونه من الظلم ووثب بطريق من بطارقة الروم يقال له فانوس فبعث اتبعه على مورينش ملك الروم حوا برويز ومجده فقتلوه وملكوا موادس ومضى ذلك الى ابرويز فغضب لحموه وسير الى الروم الجيوش وكانت له فى ذلك اخبار يطول ذكرها وسير شهريار مرزبان المغرب الى حرب الروم فنزل انطاكيه فكانت له مع الروم وابرويز اخبار ومكاتبات وحيل الى ان خرج ملك الروم الى حرب شهريار وقدم خزائنه فى البحر فى الف مركب فالقتها الريح الى ساحل انطاكية فغنمها شهريار وحملها الى ابرويز فسميت خزائن الريح ثم فسدت الحال بين ابرويز وشهريار ومايل شهريار ملك الروم فسير شهريار نحو العراق الى ان انتهى الى النهروان فاحتال ابرويز فى كتب كتبها مع بعض اساقفة النصرانية ممن كان فى ذمته حتى رده الى القسطنطينية وافسد الحال بينه وبين شهريار وغير ذلك مما قدمنا

فيه عارفا فاضلا سنيا توفي بعد امتحان من منصور بن عبد المؤمن سنة ٥٩٦ وذلك انه وشي به للمنصور أيام عزم على ترك التقليد والعمل بالحديث * (ومنهم أبو بكر الاندلسي الجياني محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن ياسر الانصاري) سافر من بلده ودخل ديار مصر والشام والعراق وخراسان وماوراء النهر ولقي أئمتها وتفقه ببخارى حتى تمهر في المذهب والخلاف والجدل ثم اشتغل بالحديث وسماعه وحفظه وحصل منه كثيرا ثم سكن بلخ مدة وعاد الى بغداد ودخلها سنة ٥٥٩ وتوجه الى مكة فحج ورجع الى الشام واستوطن حلب الى ان توفي بها ووقف كتبه وكان متدينا صدوقا حافظا عالما بالحديث وفيه فضل ولد بجيان سنة ٤٩٢ ومات بحلب سنة ٥٦٣ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي التجيبي الدهان العرناطي) كان حسن السمت بارع الخط والخلق والخلق رحل الى الحج وجال في البلاد في حدود سنة ست وستمائة فاخذ بمكة والشام ومصر والاسكندرية عن جماعة كثيرة وكان مدلا فاضلا على خير ودين وكان متجرا بالتجارة غرناطة ثم حج منها آخر عمره فمات بقوص بعد ما حج سنة ٦٥٠ وصدر من مكة سنة ٦٥٣ فمات قبل منتصف السنة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عمر محمد بن علي بن محمد بن أبي الربيع القرشي العثماني الاندلسي الاشبيلي النحوي ولد سنة ٦١٧ باشبيلية وقدم مصر فسمع الكثير بها وبدمشق وغيرها وكان اماما عالما نحويا فاضلا كتب عنه أبو محمد الدمياطي والقطب عبد الكريم وناهيك بهما علما * (ومنهم أبو بكر بن عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن علي بن هذيل البلنسي) رحل وسمع من السلفي وحج قال أبو الربيع بن سالم هو شيخ صدوق متيقظ سمع أباه وأبا الوليد ابن الدباغ وأبا الحسن بن طارق بن موسى بن يعيش وجماعة وأخذ بمكة سنة ٥٣٩ عن ابي علي الحسن المقرى وقفل الى الاندلس سنة ٥٤٦ فاخذ عنه بها وسمع منه جماعة قال ابن الابار كان غاية في الصلاح وأعمال البر والورع توفي ببعض قرى بلنسية سنة ٥٤٨ ومولده سنة سبع او تسع عشرة وخمسمائة ولحظ من علم التعبير واللغة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله ويقال أبو سلمة محمد بن علي البياسي الغرناطي الانصاري ناصر الدين) روى عن الحافظ أبي جعفر بن الزبير وغيره وقدم الى القاهرة واستوطنها بعد الحج حتى مات بها سنة ٧٠٣ وكان عارفا بعلم الحديث وكتب منه كثيرا ومال الى مذهب الظاهرية وانتفع به جماعة من طلبة الحديث وكان ثقة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن علي الشامي الاندلسي الغرناطي) قدم مصر حاجا وأقام بمكة والمدينة وكان اماما فاضلا عالما متفننا في علوم مابين فقه وأصول ونحو ولغة وقراآت ونظم ونثر ومع معرفته بمذهب مالك ينقل كثيرا من مذهب الشافعي وسمع الموطا بتونس من أبي محمد بن هرون القرطبي ومولده بغرناطة سنة ٦٧١ وتوفي سنة ٧١٥ ومن شعره رضي الله تعالى عنه

اذا كنت جار النبي ومحبه * ومكة بيت الله مني على قرب
فحاضرني أن فاتني رغد عيشة * وحسبي الذي أوتيته نعمة حسبي

وقوله

نزيل الكرام عز يز الجوار * واني نزيل عليكم وجار

على ذكره في الكتاب الاوسط وفي ملك ابرويز كانت حروب ذي قار وهو اليوم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم هذا اول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونصرت عليهم بي وكانت وقعة ذي قار أيام أربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد ان بعث وقيل بعد ان هاجر وفي رواية اخرى انها كانت بعد وقعة بدر بأشهر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت هذه الوقعة بين بكر بن وائل والهامرز صاحب كسرى ابرويز وقد اتينا على هذه الاخبار على الشرح والايضاح في الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن ايراده في هذا الموضع وفي ايام ابرويز كانت حوادث تنذر بالنبوة وتبشر بالرسالة وانفذ ابرويز عبد المسيح بن بقيلة الغساني الى سطيح الكاهن فاخبره برؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وغير ذلك من اخبار فيض وادي السماوة وما كان من بحيرة ساوة وكان لابرويز تسعة خواتم تدور في امر الملك منها خاتم فصه ياقوت احمر تنقش صورة الملك وحوله مكتوب صفة الملك وحلقته ماس ذكر يختم به الرسائل والسجلات والخاتم الثاني فصه عقيق تنقش خراسان حرسها الله دهب يختم به التذكرات والخاتم الثالث فصه جزع تنقش فارس حلات

وحلقته ذهب منقوش فيه الوحا يختم به اجوبة البريد والخاتم الرابع فصه ياقوت مورد نفقته بالمال ينال الفرح وحلقته ذهب يختم به الستر ايك والكتب في التجاوز عن العصاة والمذنبين والخاتم الخامس فصه ياقوت بهرمان وهو احسن ما يكون من الحمرة واصفاها واشرفها نفقته حرز وحزم اي بهجة وسعادة حافتاه لؤلؤ وماس يختم به خزائن الجوهر وبيت مال الخاصة وخزانة الكسوة وخزانة الحلي والخاتم السادس نقشه عقاب يختم به كتب الملوك الى الآفاق وفصه حديد حبشي والخاتم السابع نقشه دباب يختم به الادوية والاطعمة والطيب فصه بادزهر والخاتم الثامن فصه جاهن نقشه رأس خنزير يختم به اعناق من يؤمر بقتله وما يفتدى من الكتب في الدماء والخاتم التاسع حديد يلبسه عند دخول الحمام وفصه الابرن وكان على مربطه خمسون الف دابة وسروج ذهب مكللة بالدر والجوهر على عدد ما لركابه من الخيل وكان على مربطه الف فيل منها اشهب اشد بياضا من الثلج ومنها ما ارتفاعه اثنا عشر ذراعا وفي النادر ما يوجد من الفيلة الحربية ما ارتفاعه هذا القدر واكثر ما يوجد من ارتفاع الفيلة من التسعة أذرع الى العشرة وملوك الهند تبالغ في اثمان ما عظم من الفيلة

حللت ذراك وأنت الكريم * ومن حل مثوى كريم يجار

*(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمار الكلاعي الميورقي) قدم مصر وروى عن ابن الوليد بها وكان عالما وله قصيدة طويلة فيها حكم ومواعظ يوصي ابنه بها منها قوله

وطاعة من اليه الامر فالزم * وان جاروا وكانوا مسلمينا
فان كفروا ككفر بني عبيد * فلا تسكن ديار الكافرينا

واسم ابنه حسن وسمع من المذكور الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي في رحلته سنة ٤١٥ ووصفه بالعلم وعمار بالراء *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن الصفار القرطبي الحافظ) روى عن عيسى الليثي وابن عون الله وابي جعفر التميمي وابي محمد الباجي وقدم مصر وحج وجاور بالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام واقتنى بها وافتخر بذلك على أصحابه وقال لقد شوورت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم دار مالك بن أنس ومكان شواره ولقي جماعة من العلماء وأخذ عنهم وكان من أهل العلم والذكاء والحفظ والفهم عارفا بمذاهب الائمة وأقوال العلماء ذاكرا للروايات يحفظ المدونة والنوادر لابن أبي زيد ويوردها من صدره دون كتاب قال ابن حيان مؤرخ الاندلس توفي الفقيه المشاور الحافظ المستبحر الرواية الطويل الهجرة في طلب العلم الناسك المتقشف بمدينة بلنسية في ربيع الاول سنة ٤١٧ لعشر خلون من الشهر وكان الحفل في جنازته عظيما وعاين الناس فيها آيه من ظهور أشباه الخطاطيف بها تجللت الجمع رافة فوق النعش لم تفارق نعشه الى ان ووري فتفرقت ومكث مدة ببلنسية مصاعا عظيم القدر عند السلطان والعامة وذكر جماهر بن عبد الرحمن حديث الطير وكذا ذكر الحسن بن محمد القيسي خبر الطير قال وكان سنه نحو الثمانين سنة وكان مجاب الدعوة وظهرت في دعوته الاجابة وقال أبو عمرو الداني ان وفاته يوم السبت لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة ودفن يوم الاحد بمدينة بلنسية وبلغ نحو ستين وسبعين سنة وهو آخر الفقهاء الحفاظ الراسخين العاملين بالكتاب والسنة بالاندلس رحمه الله تعالى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر وس القرطبي) سمع علي ابن مفرج وغيره من شيوخ قرطبة وقدم مصر فاخذ بها عن ابن المهندس وغيره وحج ودخل العراق وسمع من أبي بكر الابهري والدارقطني وجماعة وعاد الى الاندلس وشهر بالعلم والمال وولي الاحباس بقرطبة حدث عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره ومات في جمادى الآخرة سنة أربعمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المغافري المعروف بالاعشى القرطبي) رحل سنة ١٧٩ فسمع سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن وهب وجماعة وكان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار وكان صالحا عاقلا سريا جوادا يذهب الى مذهب أهل العراق وتوفي سنة ٢٢١ ذكره ابن يونس وغيره *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن فطيس الغافقي الالبيري الزاهد) قال الحميدي في حقه هو من أهل الحديث والحفظ والفهم والبحث عن الرجال وله رحلة سمع فيها من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومن ابن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب وغيرهما وروى بالاندلس عن جماعة منهم بقي بن مخلد وابن وضاح وسمع بمكة وغيرها من مائة شيخ قال ابن الفرضي كان شيخنا نبيلا ضابطا للكتب ثقة في روايته

صدوق فى حديثه وكانت الرحلة اليه بالبيرة وبها مات فى شوال سنة ٣١٩ وهو ابن تسعين سنة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار القرطبى) من موالى بنى أمية سمع من أبيه ومن يحيى بن مخلد وغيره ورحل سنة ٢٩٤ فسمع بمصر من النسائى ومن أحمد بن حماد رغبة وسمع بمكة والبصرة والكوفة وبغداد ودمياط والاسكندرية والقيروان من مائة وستين رجلا قال أبو محمد الباجى لم أدرك بقرطبة أكثر حديثا منه وكان عالما بالفقه متقدما فى علم الوثائق رأسا فيها وكان مشاورا سمع من الناس كثيرا وكان ثقة صدوقا وغزا سنة ٣٢٧ ومات ثالث ذى الحجة منها ومولده سنة ٢٦٣ وقيل توفى سنة ٣٢٨ قاله ابن يونس والحميدى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم القرشى الفهرى) عرف بابن رمان الغرناطى قرأ على أبى جعفر بن الزبير بها وقدم الى القاهرة سنة ٧٢٢ ومات بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام سنة ٧٢٩ ومن شعره قوله

فديتم خبرونى كيف صحت * فريضة هالك من غير مين
لزيد زوجة ولها ابن ام * هاتت عنهما لا غير ذين
فحاز البعل ما تركته ارثا * وولى غيره صفر اليدين
ولا رق قديت على أخيها * وليس بكافر يرمى بشين
وليس مجملا ارثا بقتل * مخافة أن ينال شقاوتين

* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن لب الشاطبى حدث بالقاهرة وتوفى قريبا من سنة ٦٤٠ وهو أحد أصحاب الشيخ أبى الحسن بن الصباغ ومن كلامه اشتغالك بوقت لم يأت تضييع للوقت الذى أنت فيه ولعمرى لقد صدق * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سراقة الشاطبى ابن محمد بن ابراهيم ابن الحسين بن سراقة محيى الدين ويكنى ايضا أبا القاسم وأبا بكر الانصارى الشاطبى المالكى) ولد بشاطبة سنة ٥٩٢ وسمع من أبى القاسم بن بقى ورحل فى طلب الحديث فسمع ببغداد من الشيخ أبى حفص عمر السهروردى وأبى طالب الغبيطى وابى جعفر الدينورى وجماعة وسمع بحلب من ابن شداد وغيره وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة بعد وفاة ابن سهل القصرى سنة ٦٤٢ وبقى بها الى أن توفى بالقاهرة فى شعبان سنة ٦٦٣ ودفن بسفح المقطم وكان الجمع كبيرا وهو أحد الائمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والنبل وأحد مشايخ الصوفية له فى ذلك اشارات لطيفة مع الدين والعفاف والبشر والوقار والمعرفة الجيدة بمعانى الشعر وكان صالح الفكرة فى حز التراجم مع ما جبل عليه من كرم الاخلاق واطراح التكليف ورقة الطبع ولين الجانب ومن شعره قوله

نصبت ومثلى للكارم ينصب * ورمت شروق الشمس وهى تغرب
وحاولت احياء النفوس باسرها * وقد غرت يا بعد ما أنا أطلب
وأتعب ان لم تعط الحاق راحة * وغيرى ان لم تتعب الخلق يتعب
مرادى شئ والمقادير غيره * ومن عاند الاقدار لاشك يغلب

وقوله

الى كم أمنى النفس مالا تناله * فيذهب عمرى والامانى لا تقضى

ر ارتفع من الارض وقد يكون من ٥٢ م الوحشية فى ارض الزنج ما هو اعظم سمكا مما وصفنا بأذرع كثيرة على حسب ما تحمل

ن قرونها المسماة بالانياب
م وزن الناب خمسون
ومائة من الى المائتين والمن
رطلان بالبغدادى وعلى
قدر عظم الناب عظم جسد
الفيل وقد كان ابرويز
خرج فى بعض الاعياد وقد
صف له الجيوش والعدد
والسلاح وفيما صف له
الف فيل وقد أحدقت به
خمسون ألف فارس دون
الرجالة فلما نظرته الفيلة
سجدت له فلما رفعت رؤسها
وبسطها الخراطيم حتى
حذيت بالمحاجر وراطنها
العيالور بالهندية فلما بصر
بذلك أبرويز تأسف على ما
خص به الهند من فضيلة
الفيلة وقال ليت الفيل
لم يكن هنديا وكان فارسيا
انظروا اليها والى سائر
الدواب وفضلوها بقدر
ما ترون من معرفتها وأدبها
وقد افتخرت الهند بالفيلة
وعظم أجسامها ومعرفتها
وحسن طاعتها وقبولها
الرياضات وفهمها المرادات
وتمييزها بين الملك وغيره
وان غيرها من الدواب
لا يفهم شيأ من ذلك ولا
يفصل بين شيئين وسنورد
فيما يرد من هذا الكتاب
جملا من الفصول فى اخبار
الفيلة وما قالته الهند
وغيرهم فى ذلك وتفضيلها على سائر الدواب فكانت مدة ملك ابرويز الى ان خلع وسملت عيناه وقتل

وقد

وقد مر لى خمس وعشرون حجه * ولم أرض فيها عيشتى فتى أرضى
وأعلم أنى والثلاثون مدتى * حرمغانى اللهو أوسعها رفضا
فاداعسى فى هذه الخمس أرتجى * ووجدى الى أوب من العشر قد أضى
فيارب عجل لى حياة لذيذة * والافبادر بى الى العمل الأرضى

وقال رحمه الله تعالى

وصاحب كالزلال يعدو * صفاؤه الشك باليقين
لم يحص الا الجميل منى * كأنه كاتب اليمين

وهذا عكس قول المتنازى

وصاحب خلته خليلا * وما جرى غدره ببالى
لم يحص الا القبيح منى * كأنه كاتب الشمال

(ومنهم أبو عبد الله محمد بن احمد الفريشى) بكسر الفاء وتشديد الراء المهملة بعدها شين معجمة نسبة الى فريش احدى مدائن قرطبة ولد بغرناطة سنة ٥٥٧ وقرأ بالروايات على أبى القاسم بن غالب وسمع عليه وعلى أبى القاسم بن بشكوال وغيره وسمع بمكة وحدث بمصر وعاد الى الاندلس فمات بقرطبة سنة ٦٣٣ وكان مشهورا بالصلاح معروفا باجابة الدعاء ورعا ثقة زاهدا فاضلا رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن خيرون وقيل محمد بن عمر بن خيرون) أندلسى سكن القيروان ورحل الى المشرق وأخذ القرآت بمصر عن محمد بن سعيد الاغماطى وغيره كعبد الله بن رجاء وأبى الحسن بن اسمعيل بن يعقوب الازرق المدنى ودخل العراق وسمع به من أصحاب على بن المدنى ويحيى بن معين وعاد الى القيروان وسمع بها وبقرطبة وقدم بقراءة نافع على أهل افريقية وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة ولم يكن يقرأ بحرف نافع الا الخواص حتى قدم بها فاجتمع اليه الناس ورحل اليه أهل القيروان من الآفاق وكان يأخذ أخذا شديدا على مذهب المشيخة من أصحاب ورش وتوفى بشعبان سنة ٣٠٦ وكان رجلا صالحا فاضلا كريم الاخلاق اماما فى القرآت مشهورا بذلك ثقة مأمونا واحدا أهل زمانه وأئمتهم فى علم القرآن رحمه الله تعالى

*(ومنهم ضياء الدين أبو جعفر محمد بن محمد بن صابر بن بندار القيسى الاندلسى المالقى) ولد بمالقة سنة ٦٢٥ وسمع الكثير وقدم القاهرة حاجا فسمع بها وبدمشق وكتب بخطه كثيرا وكان سريع الكتابة سريع القراءة كثير الفوائد ديناخيرا فاضلا له مشاركة جيدة فى عدة علوم توفى شابا بالقاهرة سنة ٦٦٢ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو بكر محمد الزهرى المعروف بابن محرز البلنسى) ولد بها سنة ٥٢٩ وقدم مصر فسمع ابن العفل وغيره وروى عنه جماعة ودن أحد رجال الكمال علما وادراكا وفصاحة وحفظا للفقه وتفننا فى العلوم ومتانة فى الادب حافظا للغة والغريب وله شعر رائق ودين متين وأخذ الناس عنه ببلده وبمرسية واشبيلية ومالقة وغرناطة فى اجتيازه عليها وبغيرها من البلاد وعلا صيته وعرف بالدين والعلم والفضل وكان أبو الخطاب يثنى على علمه ودينه توفى ببجاية سنة ٦٥٥ عن سن عالية رحمه الله تعالى

(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق) القاضى أبو الوليد الباجى صاحب التصانيف

ابيه والجانى عليه والقاتل له والفرس تسميه المشؤم وفى ايامه كان الطاعون بالعراق وغيرها من الاقاليم فهلك فيه مائة الف من الناس فالاكثر يقول هلك نصف الناس والمقل يقول الثلث وكان ملك شيرويه الى ان هلك سنة وستة اشهر وقيل اقل من ذلك ولكسرى ابرويز ولابنه شيرويه اخبار عجيبة ومراسلات قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد شيرويه) ولده أردشير ولى عهد الملك وهو ابن سبع سنين فسار اليه من انطاكية من بلاد الشام شهربار مرزبان المغرب المقدم ذكره مع أبرويز وملك الروم فقتله فكان ملكه خمسة أشهر (ثم ملك شهربار) نحو امن عشرين يوما وقيل شهرين وقيل غير ذلك واغتالته ابنة لكسرى أبرويز يقال لها آزرمى دخت فقتلته (ثم ملك كسرى بن قباذ بن أبرويز) وقيل انه ابن لابرويز كان بناحية الترك فسار يريد دار الملك فقتل فى الطريق بعد ملكه ثلاثة أشهر (ثم ملك بعده بوران) بنت كسرى ابرويز فكان ملكها سنة ونصفا

 (ثم ملك رجل) من أهل بيت المملك من ولد سابور بن يزدجرد الاثيم يقال له شيروزخشنس فكان

(ثم ملك فرخزاد خسرو ابن كسرى ابرويز وهو طفل فكان مدة ملكه شهرا وقيل أشهرا (ثم ملك يزدجرد بن شهريار) بن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام بن يزدجرد بن سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان وهو آخر ملوك الساسانية فكان ملكه الى أن قتل بمرو من بلاد خراسان عشرين سنة وذلك لسبع سنين ونصف خلت من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى سنة احدى وثلاثين من الهجرة وقيل غير ذلك فى مقدار ملكه وخبر مقتله (قال المسعودى) وذهب الاكثر من الناس ممن عنى باخبار الفرس وايامهم الى أن جميع من ملك من آل ساسان بن أردشير بن بابك الى يزدجرد بن شهريار من الرجال والنساء ثلاثون ملكا امرأتان وثمانية وعشرون رجلا ووجدت فى بعض التواريخ ان عدد ملوك الساسانية اثنان وثلاثون ملكا وعدد الملوك الاول وهم الفرس الاول من كيومرث الى دارا ابن دارا تسعة عشر ملكا منهم امرأة وهى جانة بنت بهمن واما سياق الترك وسبعة عشر رجلا الف

المشهورة وقال ابن ماكولا فى حقه انه فقيه متكلم أديب شاعر سمع بالعراق ودرس وصنف الى أن مات وكان جليلا رفيع القدر والخطر وقال غيره واحد انه ولد سنة ٤٠٣ وارتحل سنة ٤٠٦ وجاور ثلاثة أعوام ملازما لابى ذر الحافظ يخدمه ورحل الى بغداد ودمشق ولقى فى رحلته غير واحد وتفقه بالقاضى أبى الطيب الطبرى وغيره وقال أبو على بن سكرة ما رأيت مثل أبى الوليد الباجى وما رأيت أحدا أعلى هيئته وسمته وتوقير مجلسه ولما كنت ببغداد قدم ولده أبو القاسم فسرت معه الى شيخنا قاضى القضاة الشاشى فقلت له أدام الله تعالى عزك هذا ابن شيخ الاندلس فقال له ابن الباجى فقلت نعم فأقبل عليه قال القاضى عياض وكثرت القالة فى القاضى أبى الوليد لما خلته الرؤساء وولى قضاء أماكن تصغر عن قدره وكان يعث الى تلك النواحى خاء اء ور بما أتاها المرة ونحوها وكان فى أول أمره مناظرا حتى احتاج الى القصد بشعره واستاجر نفسه مدة مقامه ببغداد فيما سمعته مستفيضا لحراسة درب وفد جمع ابنه شعره قال ولما قدم الاندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة الا أنه كان خارجا عن المذهب ولم يكن بالاندلس من يشتغل بعلمه فقصرت ألسنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه واتبعه على رأيه جماعة من أهل الجهل وحل بجزيرة ميورقة فرأس فيها واتبعه اهلها فلما قدم ابو الوليد كلموه فى ذلك فدخل اليه وناظره وشهر باطله وله معه مجالس كثيرة ولما تكلم ابو الوليد فى حديث الكتابة يوم الحديبية الذى فى البخارى قال بظاهر لفظه فانكر عليه الفقيه ابو بكر الصائغ وكفره باجازة الكذب على الرسول الامى صلى الله عليه وسلم وانه تكذيب للقرآن فتكلم فى ذلك من لم يفهم الكلام حتى اثاروا عليه الفتنة وفجروا عليه عند العامة ما انى به وتكلم به خطباؤهم فى الجمع وقال شاعرهم

برئت ممن شرى دنيا بآخرة * وقال ان رسول الله قد كتبا

فصنف ابو الوليد رحمه الله تعالى رسالة بين فيها ان ذلك غير قادح فى المعجزة فرجع بها جماعة ادليس من عرف ان يكتب اسمه فقط بحارج عن كونه اميا لانه لا يسمى كاتبا وجماعة من الملوك قد امنوا على كتابة العلامة وهم اميون والحكم للغالب لا للصور النادرة وقد قال عليه الصلاة والسلام انا امة اميون اى اكثرهم كذلك لندور الكتابة فى الصحابة وقال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم انتهى و بعضه بالمعنى وذكر ابن بسام ان ابا الوليد الباجى نشأ وهمته فى العلم وابتدا بالادب فبرز فى ميادينه وجعل الشعر بضاعته فنال به من كل الرغائب ثم رحل فحاز بلدا الا وجده ملآن بذكره نشوان من فهوني نظمه ونثره قال الى علم الديانة فمشى بقياس وبنى على اساس حتى صار كثير من العلماء يسمعون منه ويرتاحون للاخذ عنه ثم كر راجعا فقضى فى طريقه بحلب فاقام بها نحوا من عام قال و بلغنى عن ابن حزم انه كان يقول لو لم يكن لاصحاب المذهب المالكى بعد عبد الوهاب الا مثل أبى الوليد الباجى لكفاهم وصنف ابو الوليد كتبا كثيرة منها كتاب التسديد الى معرفة التوحيد وكتاب سنن المنهاج وترتيب الحجاج وكتاب احكام الفصول فى أحكام الاصول وكتاب التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخارى فى الصحيح وكتاب شرح الموطا وهو نسختان نسخة سماها الاستيفاء ثم انتفى منها فوائد سماها المنتقى فى سبع مجلدات وهو احسن كتاب

وعدد ملوك الطوائف الذين قدمنا ذكرهم فى مقتل دارا بن دارا الى أن ظهر أردشير ٥٠٠ بن بابك أحد عشر ملكا وهم ملوك

الف فى مذهب مالك لانه شرح فيه احاديث الموطا وفرع عليها تفريعا حسنا وافرد منه شيأ سماه الايماء وقال بعضهم انه صنف كتاب المعانى فى شرح الموطا فجاء عشرين مجلدا عديم النظير وكان ايضا صنف كتابا كبيرا جامعا بلغ فيه الغاية سماه الاستيفاء وله كتاب الايماء فى الفقه خمس مجلدات انتهى ومن تصانيفه مختصر المختصر فى مسائل المدونة وله كتاب اختلاف الموطآت وكتاب الاشارة فى اصول الفقه وكتاب الحدود وكتاب سنن الصالحين وكتاب التفسير لم يتمه وكتاب شرح المنهاج وكتاب التبيين لمسائل المهتدين فى اختصار فرق الفقهاء وكتاب السراج فى الخلاف ولم يتم وغير ذلك وحج الباجى رحمه الله تعالى أربع حجج وجاور فيها ثلاثة أعوام ملازما لابى ذر بن احمد الهروى وكان يسافر معه للسروات لان اباذر تزوج من العرب وسكن بها وأبو ذر المذكور هو عبد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن عفير الانصارى المالكى ويعرف بابن السماك سمع بهراة وسرخس وبلخ ومرو والبصرة وبغداد ودمشق ومصر وجاور بمكة والف معجما لشيوخه وعمل الصحيح وصنف التصانيف قال الخطيب قدم أبو ذر بغداد وأنا غائب فحدث بها ثم حج وجاور ثم تزوج فى العرب وسكن السروات وكان يحج كل عام ويحدث ثم يرجع وكان ثقة ضابطا دينا وقال الحسن بن بنى المالقى حدثنى شيخ قال قيل لابى ذر من أين تمذهبت بمذهب مالك وأبى الاشعرى مع انك هروى فقال قدمت بغداد وكنت ماشيا مع الدارقطنى فلقينا أبا بكر بن الطيب فالتزمه الدارقطنى وقبل وجهه وعينيه فلما افترقنا قلت من هذا قال هذا امام المسلمين والذاب عن الدين القاضى أبو بكر بن الطيب فمن ذلك الوقت تمذهبت بمذهبه انتهى قلت هذا صريح فى ان القاضى أبا بكر الباقلانى مالكى وهو الذى جزم به غير واحد ولذا ذكره عياض فى المدارك فى جملة المالكية وكذلك شيخ السنة الامام أبو الحسن الاشعرى مالكى المذهب فيما ذكره غير واحد من الائمة وذكر بعض الشافعية انهما شافعيان والله تعالى أعلم * وقال عبد الغافر فى تاريخ نيسابور كان أبو ذر زاهدا ورعا عالما سخيا لا يدخر شيأ وصار كبير مشيخة الحرم مشارا اليه فى التصوف خرج على الصحيح تخريجا حسنا وكان حافظا كثير الشيوخ توفى سنة ٤٣٥ وقال أبو على بن سكرة توفى عقب شوال سنة ٤٣٤ وقال الخطيب فى ذى القعدة من سنة أربع وثلاثين رحمه الله تعالى وأكثر نسخ البخارى الصحيحة بالمغرب اما من رواية الباجى عن أبى ذر عبد بن أحمد الهروى المذكور واما من رواية أبى على الصدفى الشهير المعروف بابن سكرة بسنده واعلم أن هراة المنسوب اليها الحافظ أبو ذر ليست بهراة التى وراء النهر نظيرة بلخ وانما هى هراة بنى شيمانة بالحجاز وبها كان سكنى أبى ذر والله تعالى أعلم * (رجع الى القاضى أبى الوليد الباجى رحمه الله تعالى) ثم انه اعنى الباجى قدم بغداد وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحديث ولقى بها عدة من العلماء كابى الطيب الطبرى والامام الشهير أبى اسحق الشيرازى والصيمرى وابن عروس المالكى وأقام بالموصل سنة مع أبى جعفر السمنانى يأخذ عنه علم الكلام فبرع فى الحديث وعلله ورجاله وفى الفقه وغوامضه وخلافه وفى الكلام ومضايقه وتدبج مع الحافظ أبى بكر الخطيب البغدادى بحيث روى كل واحد منهما عن الآخر رضى الله تعالى عنهما ونفع بهما ورجع الى الاندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلم جم حصله مع الفقر والتعفف

الشعر والران ومن أجلهم سمى سابور ملوك الطوائف الاشعان فجميع الملوك من كيومرث بن آدم وهو أول ملوك بنى آدم على ما ذكرت الفرس الى يزدجرد ابن شهريار بن كسرى ستون ملكا منهم ثلاث نسوة وعدة ما ملكوا من السنين أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وخمسون سنة وقيل ان عدة الملوك من كيومرث الى يزدجرد ثمانون ملكا ورأيت جماعة من الاخباريين وأصحاب السير وأرباب الكتب المصنفة فى التواريخ وغيرها يذهبون الى ان سنى الفرس الى الهجرة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وتسعون سنة منها من كيومرث الى انتقال الملك الى منوشهر ألف وتسعمائة وثنتان وعشرون سنة ومن منوشهر الى زرادشت خمسمائة وثلاث وثمانون سنة ومن زرادشت الى الاسكندر مائتان وثمان وخمسون سنة وملك الاسكندر خمس سنين ومن الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة ومن اردشير الى الهجرة أربعمائة سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم والانبياء والملوك فى باب نفرده لذلك فى الموضع المستحق

ومما يقدر به انه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبو عمر بن عبد البر والخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي وناهيك بهما وهما أسن منه وأكبر وأبو عبد الله الحميدي وعلي بن عبد الله الصقلي وأحمد بن علي بن غزلون وأبو بكر الطرطوشي وأبو علي بن الحسين السبتي وأبو بحر سفيان بن العاصي وممن روى عنه ابنه أبو القاسم أحمد وكان لما رجع الى الاندلس فشا علمه ونبهات الدنيا له وعظم جاهه وأجرلت له الصلات فحات عن مال وافر وترسل للملوك وول القضاء بعدة مواضع رحمه الله تعالى * وأما ما تقدم عن القاضي أبي الوليد الباجي من اجراء حديث الكتابة على ظاهره فهو قول بعض والصواب خلافه قال القاضي أبو الفضل عياض حدثني محمد بن علي المعروف باس الصقل الشاطبي من لفظه قال حدثني أبو الحسن بن مفوز قال كان أبو محمد بن أحمد بن الحاج الهواري من أهل جزيرة شقر ممن لازم الباجي وتفقه عنده وكان يميل الى مذهب الباجي في جواز مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم بيده في حديث المقاضاة في الحديبية على ما جاء في ظاهر بعض رواياته ويعجب به وكنت أنكر ذلك عليه وأما كان بعد مرة أتاني زائرا على عادته وأعلمني أن رجلا من اخوانه كان يرى في النوم أنه بالمدينة وأنه يدخل المسجد فيرى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أمامه فتحدث له شعرير وهيبة عظيمة ثم يراه ينشق ويميد ولا يستقر فيعتريه منه فزع عظيم وسألني عن عبارة رؤياه فقلت أخشى على صاحب هذا المنام أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صفته أو ينتحله ما ليس له باصل أو لعله يفتري عليه فسألني بالله من أين قلت هذا قلت له من قول الله عز وجل تكاد السموات يتفطرن منه الى قوله تعالى ولذا فقال لي لله درك ياسيدي وأقبل يقبل رأسي وبين عيني ويبكي مرة ويضحك أخرى ثم قال لي أنا صاحب الرؤيا واسمع منامها يشهد لك بصحة تأويلك قال انه لما رأيتني في ذلك الفزع العظيم كنت أقول والله ما هذا الا أني أقول وأعتقد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فكنت أبكي وأقول أنا تائب يارسول الله وأكرر ذلك مرارا فاري القبر قد عاد الى هيأته أولا وسكن فاستيقظت ثم قال لي وأنا اشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتب قط حرفا وعامه التي الله تعالى فقلت الحمد لله الذي أراك البرهان فاشكر له كثيرا انتهى وقال ابن الابار حدثني بهذه الحكاية أبو الربيع ابن سالم بقراءتي عليه عن الكاتب ابي بكر عبد الرحمن بن مغاور قراءة عليه عن القاضي ابي جعفر احمد بن عبد الرحمن بن حمدين عن ابي الحسن طاهر بن مفوز قال كان ابو محمد الى آخرها وهي اتم من هذه انتهى * (رجع الى الباجي) ذكر ابو العرب عبد الوهاب البقشاني بسنده الى القاضي ابي الوليد الباجي انه كان يقول وقد ذكرت له صحبة السلطان لولا السلطان لتغلغلت الدرمن الظل الى الشمس أو ماهذا معناه انتهى * (ومن فوائد الباجي) انه حكى ان الطلبة كانوا يتناوبون مجلس ابي علي البغدادي واتفق انه كان يوما مطر ووحل فلم يحضر من الطلبة سوى واحد فلما راى الشيخ حرصه على الاشتغال واتيانه في تلك الحال انشده

ذبت للجد والساعون قد بلغوا * جد النفوس وألقوا دونه الازرا
وكابدوا المجد حتى مل اكثرهم * وعانق المجد من وافى ومن صبرا
لاتحسب المجد تمرا انت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا انتهى

ذكر من هذا الكتاب دون ذكر العباس لانا قد أفردنا لما ذكرنا بابا آخر فيما يرد من هذا الكتاب بعد انقضاء أخبار الامويين والعباسيين ترجمته بذكر البارع الثاني وكانت العرس من بدء الدهر أربعة اجناس الى ان جاء الله تعالى بالاسلام فالصنف الاول يقال له الحداهان وهم الارباب كما يقال رب المتاع ورب الدار وذلك من كيومرث الى أفريدون هم كيان من افريدون الى دارا بن دارا وهم الاشغان وهم ملوك الطوائف بعد الاسكندر على ما ذكرنا في باب ذكر ملوك الطوائف ثم الساسانية وهم العرس الثانية وقد ذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه في اخبار الفرس الذي رواه عن كسرى ان العرس طبقات اربع ممن سلف وخلف فالطبقة الاولى من كيومرث الى كوستاسب والطبقة الثانية كيان من كيقباد الى الاسكندر بن فيلبش وآخرهم داراوا والطبقة الثالثة وهم الاشغانية ملوك الطوائف والطبقة الرابعة سماهم ملوك الاجتماع وهم الساسانية اولهم اردشير بن بابك ثم سابور ثم اردشير هرمز نرسي بن هرمز هرمز بن نرسي

وروى عن القاضي ابي الوليد الباجي رحمه الله تعالى الخطيب البغدادي قوله رحمه الله تعالى

اذا كنت اعلم علم اليقين * بان جميع حياتي كساعه
فلم لا اكون ضنينا بها * واجعلها في صلاح وطاعه

وقد ذكرناهما فيما يأتي قريبا من كلام الفتح لكونه نقلنا كلامه بلفظه رحمه الله تعالى ورضي عنه وقال في القلائد في حق الباجي رحمه الله تعالى ما صورته بدر العلوم اللامع وقطرها الغادي الرائح وثبيرها الذي لا يزحم ومنيرها الذي يتجلى به ليلها الاسحم كان امام الاندلس الذي تقتبس أنواره وتنتجع نجوده وأغواره رحل الى المشرق فعكف على الطلب ساهرا وقطف من العلم أزاهرا وتعنى في اقتنائه وثنى اليه عنان اعتنائه حتى غدا ملء الوطاب وعاد بلح طلبه الى الارطاب فكر الى الاندلس بحر الاتخاض بحجه وبحرا لا يطمس منهجه فتهادته الدول وتلقته الخيل والخول وانتقل من محجر الى ناظر وتبدل من يانع بناضر ثم استدعاه المقتدر بالله فصار اليه مرتاحا وبدا بافقه ملتاحا وهناك ظهرت توليفه وأوضاعه وبداوخده في سبيل الهدى وايضاعه وكان المقتدر يباهي بانحياشه الى سلطانه وايثاره لحضرته باستيطانه ويحتفل فيما يرتبه له ويجريه وينزله في مكانه متى كان يوافيه وكان له نظم يوقف على ذاته ولا يصرف في رقة القول وبذاته (من ذلك) قوله في معنى الزهد

اذا كنت أعلم علم اليقين * بان جميع حياتي كساعه
فلم لا اكون ضنينا بها * واجعلها في صلاح وطاعه

وله يرثي ابنيه موماتا مقترنين وغربا كوكبين وكان ناظري الدهر وساحري النظم والنثر

رعى الله قبرين استكانا ببلدة * هما اسكناها في السواد من القلب
لئن غيبا عن ناظري وتبوآ * فؤادي لقد زاد التباعد في القرب
يقر بعيني أن أزور ثراهما * وألصق مكنون الترائب بالترب
وأبكي وأبكي ساكنيه العلى * سأنجد من صحب وأسعد من سحب
فما عدت ورق الحمام أخا أسى * ولا روحت ريح الصبا عن أخي كرب
ولا استعذبت عيناي بعدهما كرى * ولا طمئت نفسي الى البارد العذب
أحن ويثني اليأس نفسي عن الاسى * كما اضطر محمول على المركب الصعب

وله يرثي ابنه محمدا

أمحمد ان كنت بعدك صابرا * صبر السليم لما به لا يسلم
ورزئت قبلك بالنبي محمد * ولرزؤه أدهى لدي وأعظم
فلقد علمت بأنني بك لاحق * من بعد ظني أنني متقدم
لله ذكر لا يزال بخاطري * متصرفا في صبره متحكم
فاذا نظرت فشخصه متخيل * واذا أصخت فصوته متوهم

بهرام بن يزدجرد فيروز بن يزدجرد بلاش بن يزدجرد قباذ بن فيروز انوشروان ابن هرمز ابرويز شيرويه اردشير شهريار بوران كسرى بن قباذ فيروز خشنس آزرمي دخت فرخ زاد خسرو يزدجرد واغا ذكرنا هؤلاء بعدان قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب للغلاف الواقع وتباين الروايات والتواريخ في أعدادهم واسمائهم فاوردنا ما فاله المتنازعون من الاخباريين وقد أتينا على اخبارهم وسيرهم ووصاياهم وعهودهم ومكاتباتهم وتوقيعاتهم وكلامهم عند عقد التيجان على رؤسهم ورسائلهم وسائر ما كان من الحوادث في اعصارهم وما كتبوه من الكور واحدثوه من المدن وغير ذلك من احوالهم فيما سلف من كتبنا واغا نذكر في هذا الكتاب جوامع من تاريخهم وأعداد ملوكهم ولمع من بعض أخبارهم وكذلك ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان خطب الطبقات الاربع وما حفر كل ملك منهم من الانهار وانفرد ببنائه من المدن وآراء الملوك واحكامها وكثير من قضاياها في خواصها وعوامها وأنساب أصحاب خيل الملك ومن

كان على خيل كل ملك منهم في الحروب وأنساب حكمائهم وزهادهم ممن اشتهر بذلك في اعصارهم وأنساب المرازبة وذكر أولاد الطبقات الاربع ممن تقدم ذكرهم وتشعب انسابهم وتفرق اعقابهم ووصفنا الابيات الثلاثة التي شرفها كسرى على سائر من بالعراق وهم مشهورون في أهل السواد الى وقتنا هذا واشرف السواد هذه الابيات الثلاثة من السهارجة الذين شرفهم ابرج وجعلهم اشراف السواد ثم الطبقة الثانية بعد السهارجة هم الدهاقين وهم ولد هكرت ابن فردال بن بابك بن مرس ابن كيومرث الملك وكان لهكرت عشرة بنين فأبناء هؤلاء العشرة هم الدهاقين وكان وهكرت أول من ندهقن والدهاقين تتفرع على مراتب خمس ومن ذكرنا كانت ملابسهم تختلف على قدر مراتبهم وقتل بردجرد الآخر من ملوكهم على حسب ماذكرناوله خمس وثلاثون سنة وخلف من الولد بهرام وفيروز ومن النساء ادرك وسهاو مرادوز بدوأ كثر عقبه بمرو والاكثر من ابناء الملوك واعقاب الطبقات الاربع بسواد العراق الى الآن يتدارسون انسابهم ويحفظون احسابهم كحفظ العرب من قحطان ومضر ولاحاجة فيما ذكرنا عند ذوي الدراية كما وصفنا (قال المسعودي) بالادب

وبكل أرض لى من اجلك لوعة * وبكل قبر وقفة وتلوم
فاذا دعوت سواك حادعن اسمه * ودعاه باسمك معول بك مغرم
حكم الردى ومناهج قدسنها * لاولى النهى والحزن قبل متمم انتهى

ولعمري انه لم يوف القاضي أبا الوليد الباجي حقه الواجب المفترض ووددت أنه مد الفسر في ترجمته بعبارة يعترف ببراعتها من سلم له ومن اعترض فان ترجمة المذكور مما سطره أفسح مجالا وأفصح رويه وارتجالا وبالجملة فهو أحد الاعلام بالاندلس وهو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي وذكره ابن بسام في الذخيرة وابن خلكان وغير واحد وأصله من بطليوس وانتقل جده الى باجة قرب اشبيلية ولبس هو من باجة القيروان ومولده سنة ٤٠٣ ورحل سنة ٤٢٦ فقدم مصر وسمع بها واجزنسه ببغداد لحراسة الدروب وكان لما رجع الى الاندلس يضرب ورق الذهب ويعقد الوثائق الى أن فشا علمه ونبهت له الدنيا وشهرته تغني عن وصفه ومن نظمه قوله

ماطال عهدي بالديار روانما * أنسى معاهدها أسى وتبلد
لوكنت انبأت الديار صبابتي * ورق الصفا بفنائها والجلمد

وله في المعتضد عباد والد المعتمد

عباد استعبد البرايا * بانعم تبلغا لنعائم
مديحة ضمن كل قلب * حتى نغنت به الحمائم

ومن أشعر نظمه قوله اذا كنت اعلم البيتين وقد سبقا * ومن ذكره ايضا البخاري في المسهب وابن بشكوال في الصلة وانه حج اربع حجج رحمه الله تعالى وتوفي في المرية لاحدى عشرة بقيت من رجب وقيل ليلة الخميس تاسع رجب وقيل تاسع عشر صفر سنة اربع وسبعين واربعمائة ومن تواليفه المنتقى في شرح الموطا ذهب فيه مذهب الاجتهاد وأراد الحجج وهو مما يدل على تبحره في العلوم والفنون ولما قدم من المشرق الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما وجد ملوك الطوائف احزابا مفترقة فشى بينهم في الصلح وهم يجلونه في الظاهر ويستثقلونه في الباطن ويستبردون نزعته ولم يفد شيأ فالله تعالى يجازيه عن نيته ولما ناظر ابن حزم قال له الباجي انا اعظم منك همة في طلب العلم لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وانا اسهر بقنديل بائت السوق فقال ابن حزم هذا الكلام عليك لالك لانك انما طلبت العلم وانت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وانا طلبته في حين ما تعلمه وماذكرته فلم ارج به الا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة فاخمصه قال عياض قال لي اصحابه كان يخرج الينا للاقراء وفي يده اثر المطرفة الى ان فشا علمه ونوهت الدنيا به وعظم جاهه واجزلت صلاته حتى مات عن مال وافر وكان يستعمله الاعيان في ترسلهم ويقبل جوائزهم وولي القضاء بمواضع من الاندلس * (وابن حزم المذكور) هو ابو محمد بن حزم الظاهري قال ابن حيان وغيره كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل وله كتب كثيرة في المنطق والفلسفة لم يخل فيها من غلط وكان شافعي المذهب بناضل الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهريا فوضع الكتب في هذا المذهب وثبت عليه الى أن مات وكان له تعلق

بالادب وشنع عليه الفقهاء وطعنوا فيه واقصاه الملوك وابعدوه عن وطنه وتوفى بالبادية عشية يوم الاحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين واربعمائة قال صاعد في تاريخه كان ابن حزم أجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والاخبار اخبرني ابنه الفضل انه اجتمع عنده بخط ابيه من تواليفه نحو اربعمائة مجلد نقله عن تاريخ صاعد الحافظ الذهبي قال الذهبي وهو العلامة ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الاموي مولاهم الفارسي الاصل الاندلسي القرطبي الظاهري صاحب المصنفات واول سماعه سنة ٣٩٩ وكان اليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسودد والرياسة والثروة وكثرة الكتب قال الغزالي رحمه الله تعالى وجدت في اسماء الله تعالى كتابا لابي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه انتهى باختصار وعلى الجملة فهو نسيج وحده لولا ما وصف به من سوء الاعتقاد والوقوع في السلف الذي أثار عليه الانتقاد سامحه الله تعالى * وذكر الذهبي أن عمره اثنتان وسبعون سنة وهو لا ينافي قول غيره انه كان عمره احدى وسبعين سنة وعشرة أشهر لانه ولد رحمه الله تعالى بقرطبة بالجانب الشرقي من ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الامام من صلاة الصبح آخر ليلة الاربعاء آخر يوم من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة بطالع العقرب وتوفي ليومين بقيا من شعبان سنة ٤٥٦ وكان كثير المواظبة على التاليف ومن جملة تاليفه كتاب الفصل بين أهل الاهواء والنحل وكتاب الصادع والرادع على من كفر أهل التاويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد وكتاب شرح حديث الموطا والكلام على مسائله وكتاب الجامع في حد صحيح الحديث باختصار الاسانيد والاقتصار على أصحها وكتاب التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب والحديث وكتاب منتقى الاجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف وكتاب الامامة والخلافة في سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها وكتاب أخلاق النفس وكتاب الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب كشف الالتباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس انتهى * وقال ابن سعيد في حق ابن حزم ما ملخصه الوزير العالم الحافظ ابو محمد علي ابن الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي وشهرته تغني عن وصفه وتوفي منفيا بقريته من بلده ليلة ووصله من ابن عمه أبي المغيرة رسالة فيها ما أوجب أن جاوبه بهذه الرسالة وهي سمعت وأطعت لقولك تعالى وأعرض عن الجاهلين وأسلمت وانقدت لقول نبيه عليه الصلاة والسلام صل من قطعك واعف عمن ظلمك ورضيت بقول الحكماء كفاك انتصارا ممن تعرض لاذاك اعراضك عنه وأقول

تتبع سواي امرأ يبتغي * سبابك ان هوالك السباب
فاني أبيت طلاب السفاه * ونزهت عرضي عما يعاب
وقل مابدالك من بعدذا * واكثر فان سكوتي خطاب

لكنه فصاحتهم وطلاقة السنتهم والروم انقص في اللسان من اليونانيين وأضعف في ترتيب الكلام الذي علا بهم

اليونانيين ولمعا من أخبارهم وتنازع الناس في بدء انسابهم على الاختصار والايجاز والله ولي التوفيق برحمته ورضوانه

(ذكر ملوك اليونانيين ولمع من أخبارهم وما قاله الناس في بدء أنسابهم)

(قال المسعودي) تنازع الناس في فرق اليونانيين فذهب طائفة من الناس الى انهم ينتمون الى الروم ويضافون الى ولد اسحق وقالت طائفة أخرى ان يونان هو ابن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم من ولد أوراس بن ياوان ابن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم قبيل متقدم في الزمان الاول وانما وهم من وهم ان اليونانيين ينسبون الى حيث تنسب الروم وينتمون الى جدهم ابراهيم لان الديار كانت مشتركة والمقاطع والمواطن كانت متساوية وكان القوم قد شاركوا القوم في السجية والمذهب فلذلك غلط من غلط في النسبة وجعل الاب واحدا وهذا طريق الصواب عند المفتشين وسبيل البحث عند الباحثين والروم قفت في لغتها ووضع كتبها اليونانيين فلم يصلوا الى

(قال المسعودي) وقد ذكر أن يونان أخو قحطان وانه من ولد عابر بن شالخ وان أمره

وأقول

كماني بذكر الناس لي وما أرى * ومالك فيهم يا ابن عمي ذاكر
عدوي وأشياعي كثير كذاك من * غداوهو نفاع المساعي وضائر
واني وان آذيتني وعتقتني * لمحتمل ما جاء مني منك صابر

فوقع له أبو المغيرة على ظهر رقعته قرأت هذه الرقعة العاقة فحين استوعيتها أنشدتني

نحن مع زيد وسعل * لما رأى وقع الاسل

فاردت قطعها وترك المراجعة عنها فقالت لي نفسي قد عرفت مكانها بالله لا قطعتها الا يده فأثبت على ظهرها ما يكون سببا الى صونها فقلت

نعقت ولم ندر كيف الجواب * وأخطأت حتى أتاك الصواب
وأجريت وحدك في حلبة * نأت عنك فيها الجياد العراب
وبت من الجهل مستحجبا * لغير قري فأتتك الذئاب
فكيف تبينت عقبي الظلوم * اذا ما انقضت بالخميس العقاب
لعمري مالي طباع تذم * ولا شيمة يوم مجد تعاب
أنيل المني والظبا سخط * وأعلى الرضا والعوالي غضاب

وأقول

وغاصب حق أو بقته المقادر * يذكرني حاميم والرمح شاجر
غدا يستعير الفخر من خيم حصمه * ويجهل أن الحق أبلج ظاهر
ألم تتعلم يا أخا الظلم أنني * برغمك ناهيك منذ عشر وآمر
تدل لي الأملاك حرنفوسها * وأركب ظهر النسر والنسر طائر
وأبعث في أهل الزمان شواردا * تليهم وهي الصعاب النوافر
فان أثوفي أرض فاني سائر * وان أنا عن قوم فاني حاضر
وحسبك أن الارض عندك حاتم * وأنك في سطح السلامة عاثر
ولا لوم عندي في استراحتك التي * تنفست عنها والخطوب فواقر
فاني للحلف الذي مر حافظ * وللذمة الاولى بحاميم ذاكر
هنيئا لكل ما لديه فاننا * عطية من تبلى لديه السرائر

(ومن شعر أبي محمد بن حزم يخاطب قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن بشير)

أنا الشمس في جو العلوم منيرة * ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع * لجد على ما ضاع من ذكري النهب
ولي نحو آفاق العراق صبابة * ولا غرو أن يستوحش الكاف الصب
فان ينزل الرحمن رحلي بينهم * فحينئذ يبدو التأسف والكرب
فكم قائل أغفلته وهو حاضر * وأطلب ما عنه تجلى به الكرب
هنالك تدري أن للعبد قصة * وأن كساد العلم آفته القرب
فيا عجبا من غاب عنهم تشوفوا * له ودنو المرء من دارهم ذنب

عبيرهم وسنن خطابهم في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب وانه خرج عن أرض اليمن في جماعة من ولده وأهله ومن انضاف الى جملته حتى وافى اقاصي بلاد المغرب فاقام هنالك وانسل في تلك الديار واستحجم لسانه ووارى من كان هنالك في اللغة الاعجمية من الافرنجة والروم فزالت نسبته وانقطع نسبه وصار منسيا في ديار اليمن غير معروف عند النسابين منهم وكان يونان جبارا عظيما وسيما جسيما وكان حسن العقل والخلق جزل الرأي كبير الهمة عظيم القدر وقد كان يعقوب بن اسحق الكندي يذهب في نسب يونان الى ما ذكرنا من أنه أخ لقحطان ويحتج لذلك باخبار نذكرها في بدء الانساب ونوردها من حديث الآحاد والافراد لا من حديث الاستفاضة والكثرة وقد رد عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي في قصيدة طويلة وذكر خلطه نسب يونان بقحطان على حسب ما ذكرنا آنفا في صدر هذا الباب فقال

أبا يوسف اني نظرت فلم أجد * على الفحص رأيا صح منك ولا اعتدا
وصرت حكيما عند قوم ادا المرؤ * بلاهم جميعا لم يجد عندهم غدا وان

وان مكانا ضاق عني لضيق * على انه فسيح مهامهه سهب
وان رجالا ضيعوني لضيع * وان زمانا لم أذل خصبه جدب

ومنها في مدحه لنفسه

ولكن لي في يوسف خير اسوة * وليس على من بالنبي ائتسى ذنب
يقول مقال الصدق والحق انني * حفيظ عليم ما على صادق عتب

وقوله

لا يشمتن حاسدي ان نكبة عرضت * فالدهر ليس على حال بمتركه
ذو الفضل كالتبر يلقى تحت متربة * طورا وطورا يرى تاجا على ملك

وقوله لما أحرق المعتضد بن عباد كتبه باشبيلية

دعوني من احراق رق وكاغد * وقولوا بعلمي كي يرى الناس من يدري
فان تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي * تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي * وينزل ان أنزل ويدفن في قبري

وقوله

لئن أصحت مرتحلا بشخصي * فقلبي عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * لذا سأل المعاينة الكليم

وقوله

وذي عذل فيمن سباني حسنه * يطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن أجل وجه لاح لم ترغيره * ولم تدر كيف الجسم أنت عليل
فقلت له أسرفت في اللوم فاتئد * فعندي رد لو أشاء طويل
ألم تر أني طاهري وأنني * على ما أرى حتى يقوم دليل

وهو أبو محمد علي بن أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن مزيد القرطبي قال ابنه أبو الفضل رافع اجتمع عندي بخط أبي من تواليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة انتهى وأبوه الوزير أبو عمر المذكور كان من وزراء المنصور ابن أبي عامر وتوفي كما قال ابن حيان بذي الحجة سنة اثنتين وأربعمائة وكان منشؤه ومولده بقرية تعرف بالزاوية * وحكي ان الحافظ أبا محمد بن حزم قصد أبا عامر بن شهيد في يوم عزير المطر والوحل شديد الريح فلقيه أبو عامر وأعظم قصده على تلك الحال وقال له يا سيدي مثلك يقصدني في مثل هذا اليوم فانشده أبو محمد بن حزم بديها

فلو كانت الدنيا دوينك لجة * وفي الجو صعق دائم وحريق
لسهل ودي فيك نحوك مسلكا * ولم يتعذر لي اليك طريق

قال الحافظ ابن حزم أنشدني الوزير أبي في بعض وصاياه لي

اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وهذا كاف في فضل الفرع والاصل رحم الله الجميع * قال ابن حزم في طوق الحمامة انه مرض ماه وابو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الحنا بين من مدينة اشبيلية فلقيهما

ولما نشأ ولد يونان وكبر خرج يسير في الارض يطلب موضعا يسكنه فانتهى الى موضع من المغرب فنزل بمدينة اثينا وهي المعروفة بمدينة الحكماء في ديار المغرب في صدر الزمان وأقام بها هو ومن معه من ولده فكثر نسله بها وبنى بها البنيان العظيم الى أن ادركته الوفاة فجعل وصيته الى الاكبر من ولده واسمه حرينوس فقال له يا بني اني قد دنت الاجل وقربت من الحتم الواجب واني راحل عنك ومفارقك ومفارق اخوتك وأهل بيتك وقد كانت احوالكم حسنة النظام بي وكنت كهفا لي الشدائد وعونا على المحن ومجنا في الزمان عليك بالجود فانه قطب الملك ومفتاح السياسة وباب السيادة وكن حريصا على اقتناء الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيدا واياك والحيد عن الطريقة المثلى التي عليها بنى العقل فان من ترك رأي اللب وثمرة العقل تورط في المهالك ووقع في مقابض المتالف ثم مات يونان واستولى ولده حرينوس على مكان أبيه وضم اليه

 أهله وولده ونمى خيرهم وكثر نسلهم فغلبوا على ديار المغرب من بلاد الافرنجة والتوكير وأجناس الامم

شاب حسن الوجه فقال ابو محمد هذه صورة حسنة فقال له ابو عمر لم نرا الا الوجه فلعل ماستر الثياب ليس كذلك فقال ابن حزم ارتجالا اوذى عذل فيمن سباني حسنه الابيات المتقدمة ولابن حزم ايضا قوله

لاتلمني لان سبقة لحظ * فات ادراكها ذوى الالباب
يسبق الكلب وثبة الليث في العد * ويعلو النخال فوق اللباب

ولابي بكر بن مفوز جزء رد فيه على أبي محمد بن حزم وفيه قال معرضا

يامن تعاني امورا لن يعانيها * خل التعاني وأعط القوس باريها
تروى الاحاديث عن كل مسامحة * وانما المعانيها معانيها

وقيل انه خاطب بهما بعض أصحاب ابن حزم * (رجع الى القاضي ابي الوليد الباجي) ومن نظمه قوله من مرثية

احن ويثني الناس نفسي على الاسى * كما اضطر محمول على المركب الصعب

ومن جيد نظمه قوله

اسروا على الليل البهيم سراهم * فمت عليهم في الشمال شمائل
متى نزلوا ثاوين بالخيف من منى * بدت للهوى بالمأزمين مخايل
فلله ماضمت منى وشعابها * وماضمنت تلك الربا والمنازل
ولما التقينا للعسار وابرزت * اكف لتقبيل الحصى وانامل
اشارت الينا بالغرام محاجر * وباحت به مناجسوم نواحل

وقال الباجي ابو الوليد رحمه الله تعالى

مضى زمن المكارم والكرام * سقاه الله من صوب الغمام
وكان البر فعلا دون قول * فصار البر نطقا بالكلام

وذيله بعضهم بقوله

وزال النطق حتى لست تلقى * فتى يسخو برد للسلام
وزاد الامر حتى ليس الا * سخى بالاذى او بالملام

* (ومنهم الفقيه العالم الشهير ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي) صاحب سراج الملوك ويعرف بابن ابي رندقة بالراء المهملة المفتوحة وسكون النون وكنى بسراج الملوك دليلا على فضله ذكره ابن بشكوال في الصلة وتوفي بالاسكندرية في شعبان وقيل جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة وزورت قبره بالاسكندرية وممن اخذ عنه الحافظ القاضي ابو بكر بن العربي وغيره ومن نظم الطرطوشي قوله من رسالة

اقلب طرفي في السماء ترددا * لعلي أرى النجم الذي انت تنظر
واستعرض الركبان من كل وجهة * لعلي بمن قد شم عرفك اظفر
واستقبل الارواح عند هبوبها * لعل نسيم الريح عنك يخبر
وامشي ومالي في الطريق مآرب * عسى نغمة باسم الحبيب ستذكر

من الصقالبة وغيرهم الفرس وقيل ان اسمه ملبص وقيل فيلموس وكانت مدة ملكه سبع سنين وقد قيل ان اليونانيين لما ان سار البختنصر من ديار المشرق نحو الشام ومصر والمغرب وبذل السيف كانوا يؤدون الى عامله ويحملون الخراج الى فارس وكان خراجهم بيضا من ذهب عددا معلوما ووزنا مفهوما وضريبة محصورة فلما ان كان من أمر الاسكندر بن فيلبش وهو الملك الماضي الذي هو أول ملوك اليونانيين على ماذكره بطليموس ما كان من ظهوره وهمته بعث اليه دارانوس ملك فارس وهو دارا بن دارا يطالبه بما جرى من الرسم فبعث اليه الاسكندر اني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض بيض الذهب وأكلتها فكان من حروبهم مادعا الاسكندر الى الخروج الى أرض الشام والعراق فاعظم من كان بها من الملوك وقتل دارا بن دارا ملك الفرس وقد أتينا على خبر مقتله ومقتل غيره من ملوك الهند ومن لحق بهم من

والمح من ألقاه من غير حاجة * عسى لمحة من نور وجهك تسفر

ومن نظمه ايضا قوله

يقولون شكلى ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يشكل
لقد جرعتنى ليالى الفراق * كؤسا امر من الحنظل

ومما ينسب اليه وكان كثيرا ما ينشده

اذا كنت فى حاجة مرسلا * وانت بانجازها مغرم
فارسل باكمه مرسلابة * به صمم اغطش ابكم
ودع عنك كل رسول سوى * رسول يقال له الدرهم

كان كثيرا ما ينشد

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا * انها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

رحمه الله تعالى كنت ليلة نائما بالبيت المقدس اذ سمعت فى الليل صوتا حزينا ينشد

أخوف ونوم آن ذا لعجيب * شكلتك من قلب فانت كذوب
أما وجلال الله لو كنت صادقا * لما كان للاغماض فيك نصيب

أيقظ النوام وأبكى العيون وكان رحمه الله تعالى زاهدا عابدا متورعا متقللا من قوت الالمعق وكان يقول اذا عرض لك أمر دنيا وأخرى فبادر بامر الاخرى يحصل لك أمر الاولى والاخرى وله طريقة فى الخلاف ودخل مرة على الافضل بن أمير الجيوش فوعظه وقال الامر الذى أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن مثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله عز وجل سائلك عن صغير والقطمير والفتيل واعلم ان الله عز وجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها جعل له الانس والجن والشياطين والطير والوحوش والبهائم وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ورفع عنه حساب ذلك أجمع فقال عز من قائل هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فما عد ذلك نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله عز وجل فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ففتح الباب وسهل الطريق وانتصر المظلوم وكان الى جانب الافضل رجل نصرانى فأنشده

ياذا الذى طاعته قربة * وحقه مفترض واجب
ان الذى شرفت من أجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى النصرانى فأقامه الافضل من مكانه والطرطوشى بضم الطاءين نسبة الى طرطوشة من بلاد الاندلس وقد تفتح الطاء الاولى وعبر عنه ابن الحاجب فى مختصره الفقهى فى باب العتق بالاستاذ وكان رحمه الله تعالى صحب القاضى أبا الوليد الباجى رحمه الله تعالى بسرقسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه وأجازه وقرأ الفرائض عليه والحساب بوطنه وقرأ

ابن نوح ونسبه قوم انه من ولد العيص بن اسحق ابن ابراهيم ومنهم من رأى انه الاسكندر بن يونه ابن سرحون بن رومى بن قرمط بن توفيل بن رومى ابن الاصفر بن اليغز بن العيص بن اسحق بن ابراهيم وقد تنازع الناس فيه فمنهم من رأى انه ذو القرنين ومنهم من رأى انه غيره وتنازعوا أيضا فى ذى القرنين فمنهم من رأى انه انما سمى بذى القرنين لبلوغه باطراف الارض وان الملك الموكل بجبل قاف سماه بهذا الاسم ومنهم من رأى انه من الملائكة وهذا قول يعزى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه والقول الاول لابن عباس فى تسمية الملك اياه ومنهم من رأى انه كان بذؤابتين من الذهب وهذا قول يعزى الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد قيل غير ذلك وانما ذكر تنازع الشرعيين من أهل الكتب وقد ذكره تبع فى شعره وافتخر به وانه من قحطان وقيل ان بعض التبابعة غزا مدينة رومية فاسكنها خلقا من اليمن وأن ذا القرنين

وهو الاسكندر من أولئك العرب المتحامين بها والله أعلم وسار الاسكندر بعد أن ملك بلاد فارس فاستولى على ملوكها وتزوج

والخراج وحاربه ملكها فور وكان أعظم ملوك الهند وكان له معه حروب وقتله الاسكندر مبارزة ثم سار الاسكندر نحو بلاد الصين والتبت فدانت له الملوك وحملت اليه الهدايا والضرائب وسار في مفاوز الترك يريد خراسان من بعد أن دلل ملوكها ورتب الرحال والقواد فيما افتتح من الممالك ورتب ببلاد التبت خلقا من رجاله وكذلك ببلاد الصين وكور بخراسان كورا وبنى مدنا في سائر أسفاره وكان معلمه ارسطاطاليس حكيم اليونانيين وهو صاحب كتاب المنطق وما بعد الطبيعة وتلميذ أفلاطون وأفلاطون تلميذ سقراط وصرف هؤلاء همهم الى تقييد علوم الاسماء الطبيعية النفسية وغير ذلك من علوم الفلسفة واتصالها بالالهيات وأبانوا عن الاشياء وأقاموا البرهان على صحتها وأوضحوها لمن استفهم عليه تناولها وسار الاسكندر راجعا من سفره يؤم المغرب فلما سار الى مدينة سهرزور اشتدت علته وقيل ببلاد نصيبين من ديار ربيعة وقيل بالعراق فعهد الى صاحب جيشه وخليفته على عسكره بطليموس فلما مات وغيرة

الادب على أبي محمد بن حزم بمدينة اشبيليه ثم رحل الى الشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة ودخل بغداد والبصرة فتفقه هنالك عند أبي بكر الشاشي وأبي محمد الجرجاني وسمع بالبصرة من أبي علي التستري وسكن الشام مدة ودرس بها وكان راضيا باليسير وقال الصفدي ترجمة الطرطوشي ان الافضل بن أمير الجيوش أنزله في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد وكان يكرهه فلما طال مقامه به ضجر وقال لخادمه الى متى نصبر اجمع لي الجراد فجمعه وأكله ثلاثة أيام فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه رميته الساعة فلما كان من الغد ركب الافضل فقتل وولي بعده المأمون بن البطائحي فأكرم الشيخ اكراما كثيرا وله ألف الشيخ سراج الملوك انتهى ومقامه أعني الطرطوشي مشهور وهذه الحكاية تحكى في ولايته ومن تآليفه مختصر تفسير الثعالبي والكتاب الكبير في مسائل الخلاف وكتاب تحريم جبن الروم وكتاب بدع الامور ومحدثاتها وكتاب شرح رسالة الشيخ ابن ابي زيد وولد سنة احدى وخمسين وأربعمائة تقريبا ولما توفي صلى عليه ولده محمد ودفن رحمه الله تعالى قبل الباب الاخضر باسكندرية وزرت قبره مرارا رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وكان القاضي عياض ممن استجازه فاجازه ولم يلقه وشهرته رضي الله تعالى عنه تغني عن الاطناب فيه *وحكي انه كتب على سراج الملوك الذي أهداه لولي الامر بمصر

الناس يهدون على قدرهم * لكني أهدي على قدري
يهدون ما يفنى وأهدي الذي * يبقى على الايام والدهر

وحكي انه سمع رضي الله تعالى عنه منشدا ينشد للوأواء

فرأى من غير وعد * في ليلة طرقت بسعد
بات الصباح الى الصبا * ح معانقي خد بخد
يتمارى وناظري * ماشئت من خمر وشهد

فقال أو يظن هذا الدمشقي أن أحدا يحسن ينظم الكذب غيره لوشئنا لكذبنا مثل هذا ثم أنشد لنفسه يعارضه

فرأى من غير وعد * حفت شمائله بسعد
قبلته ورشفت ما * في فيه من خمر وشهد
هزجت حزن السلسبيل بزنجبيل مستعد
والثمت فاه من الغرو * ب الى الصباح المستجد
وسكرت من رشفي العقيق على اقاح تحت رند
فنزعت عن فيه في * ووضعت خدا فوق خد
وشممت عرف نسيمه الـ ـجاري على مسك وند
وصحوت من ريا الثغر * فقبلت بين ريحان وورد
وألذ من وصلي به * شكواه وجدا مثل وجدي

ومن نظم الطرطوشي قوله أيضا

كأن لساني والمشكلات * سني الصبح يحر ليلا بهيما

وغيري ان رام مارمته * خصي يحاول فرجا عقيما

وقوله أيضا

اعمل لمعادك يا رجل * فالناس لدنياهم عملوا
وادخر لمسيرك زادتقى * فالقوم بلا زاد رحلوا

*(ومنهم محمد بن عبد الجبار الطرطوشي) وفد الى المشرق وذكره العماد في الخريدة وله في الامد العجلي بمصر وكان يخضب بسواد الرمان قوله

أخلط العفص فيه يا أحوج النا * س الى العفص حين يعكس عفص

ومنهم القاضي الشهيد أبو علي الصيرفي ٣ وهو حسين بن محمد بن فيرة بن خيرون ويعرف بابن بكرة وهو من أهل سرقسطة سكن مرسية وروى بسرقسطة عن الباجي وأبي محمد عبد الله بن محمد بن اسمعيل وغيرهما وسمع ببلنسية من أبي العباس العذري وسمع بالمرية من أبي عبد الله محمد بن سعدون القروي وأبي عبد الله بن المرابط وغيرهما ورحل الى المشرق أول سنة احدى وثمانين وأربعمائة وحج من عامه ولقي بمكة أبا عبد الله الحسن بن علي الطبري وأبا بكر الطرطوشي وغيرهما ثم سار الى البصرة فلقي بها أبا يعلى المالكي وأبا عباس الجرجاني وأبا القاسم بن شعبة وغيرهم وخرج الى بغداد فسمع بواسط من أبي المعالي محمد بن عبد السلام الاصبهاني وغيره ودخل بغداد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة فأطال اقامته بها خمس سنين كاملة وسمع بها من أبي الفضل بن خيرون مسند بغداد ومن أبي الحسين مبارك بن عبد الجبار الصيرفي وطراد الزينبي والحميدي وغيرهم وتفقه عند أبي بكر الشاشي غيره ثم رحل منها سنة سبع وثمانين فسمع بدمشق من أبي الفتح نصر المقدسي وأبي الفرج الشيرازي وغيرهما وسمع بمصر من القاضي أبي الحسن الحلبي وأبي العباس أحمد بن ابراهيم الغزازي وأجازله الجمال مسند مصر في وقته ومكثر ها وسمع بالاسكندرية من أبي القاسم عبد الرزاق وشعيب بن سعيد وغيرهما ووصل الى الاندلس في صفر من سنة سبعين وأربعمائة فصدر مرسية فاستوطنها وقعد يحدث الناس بجامعها ورحل الناس من البلدان اليه وكثر سماعهم عليه وكان عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلله وأسماء رجاله ونقلته وكان حسن الخط جيد الضبط وكتب بخطه علما كثيرا وقيده وكان حافظا لمصنفات الحديث عالما عليها اذا كر المتونها وأسانيدها ورواتها وكتب منها صحيح البخاري في سفر وصحيح مسلم في سفر وكان قائما على الكتابين مع مصنف أبي عيسى الترمذي وكان فاضلا دينا متواضعا ورعا وقورا عالما عاملا واستقضي بمرسية ثم استعفى فأعفي وأقبل على نشر العلم وبثه وقد ذكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه لدخوله الشام قال وبعد أن استقرت به النوى باستمرت افادته بما قيد وروى رفعته ملوك أوانه وشفعته في مطالب اخوانه فأوسعته بشرا وأحسنت فيه رأيا ومن أبنائهم من جعل يقصده لسماع بسنده وعلى وقاره الذي كان به يعرف ندرله مع بعضهم ما يستطرف وهو أن فتى يسمى يوسف لازم مجلسه مطرا ارتحته ومنظفا لملبسه ثم غاب لمرض قطعه أو شغل منعه ولما فرغ أوأبل عاود ذلك النادي المبارك والمحل وقبل افضائه اليه دل طيبه عليه فقال الشيخ على سلامته من

الامم وكان يجمعهم ويستريح الى كلامهم ولا يصدر الامور الا عن رأيهم وجعل بعد أن مات في تابوت من الذهب ورصع بالجوهر بعد أن طلي جسمه بالادهنية المماسكة لاجزائه فقال عظيم الحكماء والمقدم فيهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معز يا ولا عامة واعظا فقام فوضع يده على التابوت وقال اصبح آسر الاسراء اسيرا ثم قام حكيم ثان فقال هذا الاسكندر الذي كان يخبأ الذهب فصار الذهب يخبؤه وقال الحكيم الثالث ما أزهد الناس في هذا الجسد وأرغبهم في هذا التابوت وقال الحكيم الرابع من أعجب العجب أن القوي قد غلب والضعفاء لاهون مغترون وقال الخامس يا ذا الذي جعل أجله ضمانا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من اجلك لتبلغ بعض املك هلا حققت من املك الامتناع عن فوت أجلك وقال السادس أيها الساعي المنتصب جمعت ما خذلك عن الاحتياج فعودت عليك أوزاره وفارقت أيامه فغناه لغيرك وباله عليك وقال السابع قد كفت لنا واعظا وعظتنا وعظة ابلغ عن وفاتك من كان له عقل فليعقل ومن كان

المجون وخلاصه من الفتون انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون وهى من طرف نواده رحمة الله عليه ولما قلد قضاء مرسية وعزم عليه صاحب الامر فيه فر الى المرية فأقام بها سنة خمس وبعض سنة ست وخمسمائة وفى سنة ست قبل قضاءها على كره الى ان استعفى فى آخر سنة سبع فى قصة يطول ايرادها ولطول مقامه بالمرية أخذ الناس عنه بها فلما كانت وقعة كتندة كان ممن حضرها ففقد فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى وقال القاضى عياض ولقد حدثنى الفقيه أبو اسحق ابراهيم بن جعفر أنه قال له خذ الصحيح واذكر أى متن شئت منه أذكر لك سنده أو أى سند شئت اذكر لك متنه انتهى وذكر واحد أنه حدث ببغداد بحديث واحد والله أعلم وهو من أبناء الستين *(ومنهم ابن روح الجزيرى) ومن شعره لما نغرب بالمشرق

أحن الى الخضراء لكل موطن * حنين مشوق للعناق وللضم
وما ذاك الا أن جسمى رضيعها * ولابد من شوق الرضيع الى الام

(ومنهم العالم أبو حفص عمر بن حسن الهوزنى الحسيب العالم المحدث) وسبب رحلته انه لما تولى المعتضد بن عباد خاف منه فاستأذنه فى الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر ثم مكة وسمع صحيح البخارى وعنه أخذ أهل الاندلس ورجع وسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله ستة وأربعمائة ومن شعره يحرضه على الجهاد

أعباد حل الرزء والقوم هجع * على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابى من فراغك ساعة * وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم أبث الداء رب شكاية * أضعت وأهل للالام المضيع

وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها ولا أرجأ الدليل من ناط الامور بأربابها ولرب أمل بين اثناء المحاذير مدمج ومحبوب فى طى المكاره مدرج فانتهز فرصتها فقد لك من غيرك العجز وطبق مفاصلها فقد أمكنك الحز ولا غرو أن يستمطر الغمام الجدب ويستصحب الحسام فى الحرب وله

صرح الشر لكم لايستقل * ان نهلتم جاءكم من بعد عل
بدء صعق الارض من رش وطل * ورياح ثم غيم قد أبل
خفضوا فالداء رزء أو أجل * واعمدوا سيفا عليكم قد يسل

وابنه أبو القاسم هو الذى كان سبب فساد دولة المعتمد بن عباد بسبب قتل المعتضد والده ؛ مر *(ومنهم أبو عمر عثمان بن الحسين أخو الحافظ أبى الخطاب بن دحية الآتى) كان أسن من أخيه ابن أبى الخطاب وكان حافظا للغة العرب تميما بها وعزل الملك الكامل أبا الخطاب عن دار الحديث الكاملية التى أنشأها بين القصرين ورتب مكانه أخاه أبا عمر المذكور ولم يزل بها الى أن توفى سنة ٦٣٤ بالقاهرة ودفن بسفح المقطم كاخيه وكان موت أبى عمر بعد أبى الخطاب بسنة رحمهما الله تعالى *(ومنهم الكاتب أبو بكر محمد بن القاسم) من أهل وادى الحجارة ويعرف باسكنهاذة وارتحل الى المشرق لما نابت به حضرة قرطبة عند تقلب دولها وتحول ملوكها وخولها فحل فى العراق وقاسى ألم الفراق واجتاز بحلب وأقام بها

اتسلع رب حريص على كوتك اذلا سكت وهو اليوم حريص على كذا مك اذلا تتكلم وقال العامر أشرات هذه النفس لئلا تموت وقد مات وقال الحكيم عشر وكان صاحب كليلة ودمنة كتب الحكيمة قد كنت نامرنى ان لا أعد عنك فاليوم لا اقدر على ان أنطق منك وقال الثانى عشر هذا اليوم عضيم العبر أطيل من شهر وكان مدبرا وادبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك وقال الثالث عشر يا عضيم السلطان اضحك سلطانك كما اضحك طل السحاب وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الرباب وقال الرابع عشر يا من ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعرى كيف حالك فيما احتوى عليك مهما وقال الخامس عشر أعجب لمن كانت هذه سبيله كيف شرهت نفسه بجمع الحطام الهائد والهشيم البائد وقال السادس عشر ايها الجمع الحافل والملتقى الفاضل لاترغبوا فيما لايدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغى والفساد وقال السابع عشر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى

مقام غريب لم يصف له حلب وقال

أين أقصى الغرب من أرض حلب * أمل فى الغرب موصول التعب
حن من شوق الى أوطانه * من جفاه صبره لما اغترب
جال فى الارض لجاجا حائرا * بين شوق وعناء ونصب
كل من يلقاه لا يعرفه * مستغيثا بين عجم وعرب
لهف نفسى أين هاتيك العلا * واضيعاه ويا غبن الحسب
والذى قد كان ذخرا وبه * أرتجى المال وادراك الرتب
صار لى أبخس ما أعددته * بين قوم مادروا طعم الادب
يا احبائى اسمعوا بعض الذى * يتلقاه الطريد المغترب
ولكن زجر الكم عن غربة * يرجع الرأس لديها كالذنب
واجعلوا طعنا وضربا دائما * فهو عندى بين قومى كالضرب
ولئن قاسيت ما قاسيته * فبما أبصر لحظى من عجب
ولقد أخبركم ان ألتقى * بكم حتى تقولوا قد كذب

واجتاز بدمشق فقال من أبيات رحمه الله تعالى

دمشق جنة الدنيا حقيقا * ولكن ليس تصلح للغريب
بها قوم لهم عدد ومجد * وصحبتهم تؤول الى حروب

ثم انه ودع الشرق بلا سلام وحل بحضرة دانية لدى ملكها مجاهد العامرى فى بحبوحة عزلا يخشى فيه الملام واستقبل الاندلس بخاطر جديد ونال بها بعده من بلوغ الآمال ما ليس له عليه مزيد وقال

وكم قد لقيت الجهد قبل مجاهد * وكم أبصرت عينى وكم سمعت أذنى
ولاقيت من دهرى وصرف خطوبه * كما جرت الكبراء فى معطف الغصن
فلا تسألونى عن فراق جهنم * ولكن سلونى عن دخولى الى عدن

(وله من كتاب) وحامل كتابى سلمه الله تعالى وأعانه ممن أخنى عليه الزمان وأدار عليه وما صحا الى الآن كؤس الهوان وقد قصد على بعد جنابك الرحيب الخصيب قصد الحسن محل الخصيب ويمم جناب ابن طاهر حبيب وانى لارجو أن يرجع منك رجوع نصب عن سليمان ويستعين فى شكرك بكل لسان وأنت عليم بأن الثناء هو الخلاف وقد قال الاول

أرى الناس أحدوثة * فكونى حديثا حسن

وأنا القائل

فلا تزهدن فى الخير قدمات حاتم * وأخباره حتى القيامة تذكر

ومع هذا فهو عليه بقدر ما يحتمل من التكليف هذا الاوان عارف وجوه الاعذار غير ذى عجل فى العتب قبل البيان وعند سيدى من التصدى للايفاء ما يحقق فيه جميل الرجاء دامت أرجاؤه مؤملة ولا برحت نعمه سابغة مكملة *(ومنهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد ربه المالقى) وقال بعضهم انه من الجزيرة الخضراء له رحلة الى الديار المصرية صنع فيها

يا من كان عضبه انموت هلا غضبت على الموت وقال التاسع عشر قد رأيتم ايها الجمع هذا الملك الماضى فليتعظ به الآن هذا الباقى وقال العشرون هذا الذى دار كثيرا والآن يقر طويلا وقال الحادى والعشرون ان الذى كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت وقال الثانى والعشرون سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال الثالث والعشرون مالك لا تقبل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقبل ملك الارض بل مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذى أنت به وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد وقال الرابع والعشرون وكان من نسالك الهند وحكمائها ان دنيا يكون هكذا آخرها فالزهد أولى ان يكون فى أولها وقال الخامس والعشرون وكان صاحب مائدته قد فرشت النمارق ونضدت الوسائد وهيئت الموائد ولا أرى عميد المجالس وقال السادس والعشرون وكان صاحب بيت ماله قد كنت تأمرنى بالجمع والادخار فالى من أدفع ذخائرك وقال السابع والعشرون وكان خازنا من خزانه هذه مفاتيح خزائنك فمن يقبضها قبل ان أوخذ بما لم آخذ منها وقال الثامن

بنت دارا بن دارا ملك فارس ما كنت أحسب ان غالب دارا الملك يغلب وان كان هذا الكلام الذي سمعت منكم معاشر الحكماء فيه شرابه فقد خلف الكاس الذي شرب به الجماعة القول الثلاثون ما بكى عن أمه أنها قالت حين جاءها نعيه لئن فقدت من ابني أمره فما فقدت من قلبي ذكره وفيه عاش الاسكندر وهو ابن ست وثلاثين سنة وكان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا بن دارا وست سنين بعد قتله لدارا بن دارا وملكه على سائر ملوك الارض وملك وهو ابن احدى وعشرين سنة وذلك بمقدونية وهي مسقط رأسه الى ولي عهده بطليموس بن أذينه ان يحمل نابوته الى والدته بالاسكندرية وأوصاه ان يكتب اليها اذا أتاها نعيه ان تتخذ وليمة وتنادي في مملكتها ان لا يتخلف عنها أحد وأن لا يجيب دعوتها من قد فقد محبوبا أو مات له خليل ليكون ذلك ماتم الاسكندر بالسرور خلاف ماتم الناس بالحزن فلما ورد نعيه اليها ووضع النابوت بين يديها نادت في أهل مملكتها على ما به امرها فلم يجب أحد دعوتها ولا بادر الى ندائها

مقامه بقول فيها

وفي جنبات الروض نهر ودوحة * بروقك منها سندس ونضار
تقول وضوء البدر فيه مغربا * أذراع فتاة دار فيه سوار

ومن شعره

ما كل انسان أخ منصف * ولا الليالي أبدا تسعف
فلا تضع ان أمكنت فرصة * وانصر من الاخوان من ينصف
وانتف من الدهر ولو ريشة * فأنت [illegible] ما تنتسف

وقوله يرثي السيد أبا عمران ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ملك المغرب والاندلس

بجيد المعالي أي عقد تبددا * وصدر العوالي أي رمح تقصدا
ولما دهت خيل الشقي بغاءة * وسال العدا بحرا من الموت مزبدا
شهدت بوجه كالعزائم مشرفا * وان كان وجه الشمس بالنقع مرمدا
عزائم صدق ليس تصرف هكذا * الى الموت يسعى أو على الموت يعتدى

وكان السيد أبو عمران المرثي قتله الميورقي صاحب فتنة أفريقية في الهزيمة المشهورة على تلوت وجمع ابن عبدربه المذكور شعر السيد أبي الربيع بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على وكان ابن عبدربه المذكور كاتبا للسيد أبي الربيع سليمان المذكور ولما أنشد لبعض الشعراء

حاكت يمين الرياح محكمة * في نهر واضح الاسارير
فكلما صنعت به حلفا * قام لها القطر بالمآمير

أنشد لنفسه

بين الرياض وبين الجو معترك * بيض من البرف أو سمر من السمر
ان أوترت قوسها كف السماء رمت * نبلا من الماء في زغف من الغدر
لاجل ذاك اذا هبت طلائعها * تدرع النهر واهتزت قنا الشجر

واجتمع ابن عبدربه المذكور في رحلته بالسيد بن سماء الملك وأخذ عنه شيأ من شعره ورواه بالمعرب * (ومنهم الشاعر الاديب أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان المالقي) ومن نظمه في السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من قصيدة رحمه الله تعالى

وفي صهوات المقربات وفي القنا * حصول حمى لا في هضاب المعاقل

ومنها

ولا ملك يأتي كيوسف آخرا * كما لم يجئ مثل له في الاوائل

* (ومنهم الحافظ أبو الخطاب بن دحية وهو مجد الدين عمر بن الحسين بن على بن محمد بن فرج بن خلف الظاهري المذهب الاندلسي) كان من كبار المحدثين ومن الحفاظ الثقات الاثبات المحصلين استوطن بجاية في مدة أبي عبد الله بن تومرت وروى بها وأسمع وكان من احفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملا غالبا ولا يحفظ الانسان من اللغة

اللغة حوشيها الا وذلك أضعاف اضعاف محفوظه من مستعملها و كان قصده والله تعالى أعلم ان يتفرد بنوع يشتهر به دون غيره كما فعل كثير من الادباء حيث تركوا طريق المعرب وانفردوا بالطريق الآخر ولو سلكوا طريق المعرب لكانوا فيه كآحاد الناس و كذا الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له رسائل ومخاطبات كلها مغلقات مقفلات وكان رحمه الله تعالى اذا كتب اسمه فيما يجيزه او غير ذلك يكتب ابن دحية ودحية معا المشبه به جبريل وجبرائيل و يذكر ما ينيف على ثلاث عشرة لغة مذكورة في جبريل ويقول عند فاطر السموات والارض وهذا فرع انفرد به عن عداه من أهل العلم قال صاحب عنوان الدراية رأيت له تصنيفا في رجال الحديث لا بأس به وارتحل الى المشرق في دولة بني أيوب فرفعوا شانه وقربوا مكانه وجمعوا له علماء الحديث وحضروا له مجلسا أقروا له بالتقدم وعرفوا انه من أولى الضبط والاتقان والتفهم وذكروا أحاديث بأسانيد حولوا متونها فأعاد المتون المحولة وعرف عن تغييرها ثم ذكر الاحاديث على ما هي عليه من متونها الاصلية ومثل هذه الحكاية اتفق لابي عمر ابن عات في كتاب مسلم بمراكش ببيت الطلبة منها ومن شعر أبي الخطاب ما كتب به الى الكامل بن العادل بن أيوب

مالي اسائل برق بارق عنكم * من بعد ما بعدت ديار منكم
فعلكم قلبي وأنتم بالحشا * لا بالعقيق ولا برامة أنتم
وأنا المقيم على الوفاء بعهدكم * يا مالكين وفيتم أو خنتم

وهي طويلة ومنها

رفعت له الاملاك منه سجية * ملك السماك الرمح وهو محرم

ومنها

لذوي النهى والفهم سر حكومة * قد حار فيها كاهن ومنجم
فاقصد مرادك حيث سرت مظفرا * والله يكلأ والكواكب نوم
وليهنك الشهر السعيد تصومه * وتفوز فيه بالثواب وتغنم
فلأنت في الدنيا كليلة قدره * قدرا فقدرك في الملوك معظم

فأجابه السلطان مكافأه بنثر ونظم فمن النظم

وهيجن شوقي للاجارع بالاوى * وأين اللوى مني وأين الاجارع
مرابع لو أن المرابع أنجم * لكان نجوم الارض تلك المرابع
رعى الله أياما بها ولياليا * الى وقد ولى الشباب رواجع
ليالي لا ليلى اذا رمت وصلها * يلوح لها من صبح شيبي مواقع

في جملة أبيات (ومن النثر) الحمد لله ولي الحمد وقف ولده على الابيات التي حسن شعرها وصفا درها وليس من البديع أن يقذف البحر درا أو ينظم الخليل شعرا وقد أخذت الورقة لا تنزه في معانيها واستفيد بما أودعه فيها فالله تعالى لا يخلينا من فوائد فكرته وصالح أدعيته والسلام فأجابه الحافظ أبو الخطاب عن الابيات بقوله من قصيدة

شجتني شواج في الغصون سواجع * ففاضت هوام للجفون هوامع

من فقد محبوبا أو عدم خليلا أو فارق حبيبا وليس فيهم أحدا الا وقد أصابه بعض ذلك فلما سمعت ذلك استيقظت وعلمت ما به سئلت وقالت لقد عزاني ولدي أحسن العزاء وقالت يا اسكندر ما أشبه أواخرك بأوائلك وأمرت به فجعل في تابوت من المرمر وطلي بالاطلية المانعة لاجزائه وأخرجته عن الذهب لعلمها ان من يطرأ بعدها من الملوك والامم لا يتركونه في ذلك الذهب وجعل التابوت المرمر على احجار نضد وصخور نصبت من الرخام والمرمر قدر صفة وهذا الموضع من الرخام والمرمر باق ببلاد الاسكندرية من أرض مصر يعرف بقبر الاسكندر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وسند كر فيما يرد من هذا الكتاب جوامع من أخبار الاسكندرية وعجائبها ومصر وأخبارها وفيها في الموضع المستحق له من ذلك في كتابنا ان شاء الله تعالى

(ذكر جوامع من حروب الاسكندر بارض الهند)

(قال المسعودي) لما قتل الاسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهند وانقاد اليه جميع ملوك الهند على حسب

وانصاف للرعية وانه قد أتى عليه من عمره مئون من السنين وأنه ليس بارض الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله يقال له كنكه وكان قاهرا لنفسه ميتا لصفاته من الشهوة العتيدة وغيرها حاملا لها على خلق كريم وأدب زائن فكتب اليه كتابا يقول فيه أما بعد فاذا اتاك كتابى هذا فان كنت قائما فلا تقعد وان كنت ماشيا فلا تلتفت والا فرحت لما كان وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند فلما ورد عليه الكتاب أجاب الاسكندر باحسن جواب وخاطبه بملك الملوك وأعلمه انه قد اجتمع له قبله اشياء لا تجتمع عند غيره مثلها الا من صارت اليه عنه من ذلك انه لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل ان تسأله لحدة مزاجه وحسن قريحته واعتدال بنيته واتساعه فى علمه وطبيب لا تخشى معه داء ولا شيأ من العوارض الا ما يطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية وحل العقدة التى عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسى وان كانت بنيته الانسان وهيكله قد نصبت فى هذا العالم عرضا

وأكثر فيها من التغزل الى ان قال

ولا حاكم أرضاه بينى وبينها * سوى حاكم دهرى له اليوم طائع
يدافع عنى الضيم قائم سيفه * اذا عز من للضيم عنى يدافع
هو الكامل الاوصاف والملك الذى * تشير اليه بالكمال الاصابع
وبيض أياديه الكريمة فى الورى * قلائد فى الاعناق وهى الصنائع
وبوماه يوماه اللذان هما هما * اذا جمعت غاب الملوك المجامع

ومنها

حيا روضة غناء بها مرت الصبا * ونشر شذاها الطيب النشر ذائع
له من شكى الزهر برد مفوف * أتيح له من أرض صنعاء صانع
فرافك منها اخضر الثوب ناضر * وشافك منها اصفر اللون فاقع
واحمر فان للخدود مورد * وابيض كالثغر المفلج ناصع
بأحسن من توشيع مدحى الذى له * بدائع من وشى البديع وشائع
وما ضائع من نشر شكرى الذى به * تأرجت الارجاء عندك ضائع
ولو لم يقدنى نداك لكان لى * مجال فسيح فى البسيطة واسع
فأنت الذى لى والاعادى كثيرة * فويق مكان النجم فى الافق دافع

ومنها

بقيت لعبد جده دحية الذى * يشابه جبريل له وبضارع
وجدته الزهراء بنت محمد * عليه السلام الدائم المتتابع
ولا عدمت منك الممالك مالكا * يقرب للآمال ما هو شاسع
ومنك عيون للمهمات يقظ * وعنك عيون الحادثات هواجع

وقال المعربزى فى ترجمة الملك الكامل انه كان مشغوفا بسماع الحديث النبوى وتقدم عنده ابو الخطاب بن دحية وبنى له دار الحديث الكاملية بين القصرين بالقاهرة انتهى وقال ابو الخطاب بن دحية انشدنى ابو القاسم السهيلى لنفسه وذكر انه ما سأل الله تعالى بها شيأ الا اعطاه

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع * انت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها * يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه فى قول كن * امنن فان الخير عندك اجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقرى ادفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة * فلئن رددت فأى باب افرع
ومن الذى ادعوه اهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن يقنط عاصيا * الفضل احرل والمواهب اوسع

ومن نظم السهيلى رضى الله تعالى عنه

اسائل عن جيرانه من لقيته * واعرض عن ذكراه والحال تنطق
ومالى الى جيرانه من صبابة * ولكن نفسى عن صبوح ترقق

وله

لما اجاب بلا طمعت بوصله * اذ حرف لا حرفان معتنقان
وكذا نعم بنعيم وصل آذنت * فنعم ولا فى اللفظ متفقان

ولد أبو الخطاب بن دحية فى ذى القعدة سنه سبع أو ثمان وأربعين وخمسمائة وتوفى انفجار الفجر ليلة الثلاثاء رابع عشر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بالقاهرة ودفن بسفح المقطم وتكلم فيه جماعة فيما ذكره ابن النجار وقدره اجل مما ذكروه وقد رؤى رحمه الله تعالى بالمغرب ومصر والشام والعراق وخراسان وعراق العجم وكل ذلك فى طلب الحديث وسمع بالاندلس من ابن بشكوال وابن زرقون فى جمع كثير وببغداد من أبى الفرج بن الجوزى وبأصبهان من ابى جعفر الصيدلانى معجم الطبرانى ومن غيره وبنيسابور من ابى سعيد بن الصفار ومنصور بن الفراوى والمؤيد الطوسى وحصل الكتب والاصول وحدث وأفاد وكان من اعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقنا لعلم الحديث وما يتعلق به عارفا بالنحو واللغة وايام العرب واشعارها وصنف كتبا كثيرة مفيدة جدا منها كتاب التنوير فى مولد السراج المنير صنفه عند قدومه الى اربل سنة اربع وستمائة وهو متوجه الى خراسان لما راى ملك اربل مظفر الدين كوكبرى معتنيا بعمل المولد النبوى فى شهر ربيع الاول كل عام مهتما به غاية الاهتمام وكمله وقرأه عليه بنفسه وختمه بقصيدة طويلة فاجازه بألف دينار وصنف ايضا العلم المشهور فى فضائل الايام والشهور والآيات البينات فى ذكر ما فى اعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وكتاب شرح أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وكتاب النبراس فى أخبار خلفاء بنى العباس وكتاب الاعلام المبين فى المفاضلة بين أهل صفين وولى قضاء بلد أصوله دانية مرتين ثم صرف عن ذلك لسيرة نسبت اليه فرحل عنها وحدث بتونس سنة ٥٩٠ ثم حج وكتب بالمشرق عن جماعة بأصبهان ونيسابور وعاد الى مصر فاستدعاه العادل لولده الكامل وأسكنه القاهرة فنال بذلك دنيا عريضة ثم زادت حظوته عند الكامل وأقبل عليه اقبالا عظيما وكان يعظمه ويحترمه ويعتقد فيه الخير ويتبرك به حتى كان يسوى له المداس حين يقوم وهو بلنسى كما قاله ابن خلكان وغيره وبلنسية مشهورة بشرق الاندلس ثلث سنة بالتصحيف * (ومنهم خلف ابن القاسم بن سهل بن الدباغ الحافظ الاندلسى) رحل الى المشرق وكان حافظا فهما عارفا بالرجال حدث حديث مالك وشعبة وأشياء فى الزهد وسمع بمصر أبا الحسن بن الورد البغدادى ومسلم بن الفضل والحسن بن رشيق وجماعة وسمع بدمشق على بن أبى العقب وأبا الميمون بن راشد وبمكة من بكير الحداد وأبى الحسن الخزاعى والآجرى وبقرطبة من أحمد بن يحيى بن الشاهد ومحمد بن معاوية وتوفى سنة ٣٩٣ * (ومنهم خلف بن سعيد ابن عبد الله بن زرارة أبو القاسم بن المرابط الكلبى من ذرية الابرش الكلبى ويعرف بالمبرقع المحتسب القرطبى) رحل الى المشرق مرتين أولاهما سنة ٣٣٣ وهو ابن ثلاث

الادهاقا وانا منفذ جميع ذلك الى الملك وصائر اليه فلما قرأ الاسكندر الكتاب ووقف على ما فيه قال تكون هذه الاشياء الاربعة عندى ونجاة هذا الحكيم من صولتى أحب الى من أن لا تكون عندى ويهلك فانفذ اليه الاسكندر جماعة من حكماء اليونانيين فى عدة من الرجال وتقدم اليهم ان كان صادقا فيما كتب به فاحملوا ذلك الى ودعوا الرجل فى موضعه وان تبينتم ان الامر بخلاف ذلك وانه اخبر عن الشئ على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه الى فمضى القوم حتى انتهوا الى الملك فتلقاهم باحسن لقاء وانزلهم احسن منزل فلما كان فى اليوم الثالث جلس لهم مجلسا خاصا للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة فقال بعض الحكماء لبعض ان صدقنا فى الاولى صدقنا فيما بعدها ما ذكر فلما اخذت الحكماء مراتبها واستقرت بها مجالسها اقبل عليهم مباحثا لهم فى اصول الفلسفة والكلام فى الطبيعيات وما فوقها من الالهيات وعلى شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته فطال الخطب فى المبادى الاول وتشاحوا القوم ونظروا فى موضوعات

ظهرت لابصارهم رمقوها باعينهم فلم يقع طرف واحد منهم على عضو من اعضائها مما ظهر فامكنه أن يتعدى ببصره الى غيره وشغله تامل ذلك وحسنه وحسن شكلها واتقان صورتها فخاف القوم على عقولهم لما ورد عليهم عند النظر اليها ثم ان كل واحد منهم رجع الى نفسه وقهر سلطان هواه ودواعى طبعه ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به وسيرهم وسير الفيلسوف والطبيب والجارية والقدح معهم وشيعهم مسافة من ارضه فلما وردوا على الاسكندر امر بانزال الطبيب والفيلسوف ونظر الى الجارية فحار عند مشاهدتها وبهرت عقله وامر قيمة جواريه بالقيام عليها ثم صرف همته الى الفيلسوف والى علم ما عنده والى علم الطبيب ومحله من صنعة الطب وحفظ الصحة وقص الحكماء عليه ما جرى لهم من المباحثة مع الملك الهندى ومن احضره من فلاسفته وحكمائه فاعجبه ذلك وتامل اغراض القوم ومقاصدهم والغاية التى اليها كان أصدرهم واقبل ينظر الى مطاردة الهند فى علمها ومعلولاتها وما يصفه اليونانيون من علمها وصحة قياسها على

وعشرين سنة وسمع أبا سعيد بن الاعرابى وابن الورد وأبا بكر الآجرى وروى عنه أبو اسحق بن شنظير وأبو جعفر الزاهرى وقال ابن شنظير انه توفى فى نحو الاربعمائة رحمه الله تعالى ورضى عنه * (ومنهم سابق فضلاء زمانه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الاشبيلى) يقال ان عمره ستون سنة منها عشرون فى بلده اشبيلية وعشرون فى افريقية عند ملوك الصنهاجيين وعشرون فى مصر محبوسا فى خزانة الكتب وكان وجهه صاحب المهدية الى ملك مصر فسجن بها طول تلك المدة فى خزانة الكتب فخرج فى فنون العلم اماما وأمتن علومه الفلسفة والطب والتلحين وله فى ذلك تواليف تشهد بفضله ومعرفته وكان يكنى بالاديب الحكيم وهو الذى لحن الاغانى الافريقية قال ابن سعيد واليه تنسب الآن وذكره العماد فى الخريدة وله كتاب الحديقة على أسلوب يتيمة الثعالبى وتوفى سنة ٥٢٣ وقيل سنة ٥٢٨ بالمهدية وقيل مستهل السنة بعدها ودفن بها وله فيمن اسمه واصل

ياهاجرا سموه عمدا واصلا * وبضدها تتبين الاشياء
أتعيشنى حتى كأنك واصل * وكأننى من طول هجرى الراء

وقوله وهو من بدائعه

لاغرو أن سبقت لمالك مدائحى * وتدفقت جدواك مل ء اناتها
يكسى القضيب ولم يحن اثماره * وتطقطق الورقاء قبل غنائها

وقال فى الافضل

تردى بكل فتى اذا شهد الوغى * نثر الرماح على الدروب كعوبا
قد لوحته يد الهواجر فاغتدى * مثل القناة صفاقة وشحوبا
تخذوا القنا أشطانهم واستبطنوا * فى كل قلب بالطعان قليبا

ومنها

تعطى الذى اعطتكه شمر القنا * أبدا فتغدو سالبا مسلوبا

ومنها

وأنا الغريب مكانه وبيانه * فاجعل صنيعك فى الغريب غريبا

وله

ومهفهف شربت محاسن وجهه * ماجسه فى الكاس من ابريقه
ففعالها من مقلتيه ولونها * من وجنتيه وطعمها من ريقه

أخذه من ابن حيوس وقصر عنه فى قوله

ومهفهف يغنى بلحظ جفونه * عن كاسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

ولابى الصلت فيمن اسمه محسن

أيها الظالم المسى * مدى دهره بنا
مالهم أخطؤا الصوا * ب فسموك محسنا

وله فى لابس قرمزية حمراء

أقبل يسعى أبو الفوارس في * مرأى عجيب ومنظر أنق
أقبل في قرمزية عجب * قد صبغت لون خده الشرق
كأنما جيده وغرته * من دونها اذبدون في نسق
عمود فجر من فوقه فجر * دارت به قطعة من الشفق

وله في ثقيل وقد أجاد

لي جليس عجبت كيف استطاعت * هذه الارض والجبال تقله
أنا أرعاه مكرها وبقلبي * منه ما يقلق الجبال أقله
فهو مثل المشيب أكره مرآ * ه ولكن اصونه وأجله

أخذه من قول أبي الحسن جعفر بن الحاج الميورقي وهما في عصر واحد

لي صاحب عميت على شؤنه * حركاته مجهولة وسكونه
يرتاب بالامر الجلي توهما * فاذا تيقن نازعته ظنونه
اني لاهواه على شرقي به * كالشيب تكرهه وأنت تصونه

وأوصى ان يكتب على قبره ابوالصلت المذكور مما نظمه قبل موته

سكنتك يا دار الفناء مصدقا * بانى الى دار البقاء أصير
وأعظم ما في الامر أني صائر * الى عادل في الحكم ليس يجور
فيا ليت شعري كيف ألقاه عندها * وزادي قليل والذنوب كثير
فان أك مجزيا بذنبي فانني * بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو منه عني ورحمة * فثم نعيم دائم وسرور

وله

اذا كان اصلي من تراب فكلها * بلادي وكل العالمين اقاربي
ولا بدلي ان اسأل العيس حاجة * تشق على شم الذرا والغواربي

وقال

دب العذار بخده ثم انثنى * عن لثم مبسمه البرود الاشنب
لاغرو أن خشي الردى في لثمه * فالريق سم قاتل للعقرب

وقد ذكروا ان من خواص ريق الانسان انه يقتل العقرب وهو مجرب

وقال

لاتدعني ولتدع من شئته * اليك من عجم ومن عرب
فنحن اكلون للسحت في * ذراك سماعون للكذب

وقال

لاتسألي عن صنيع جفونها * يوم الوداع وسل بذلك من نجا
لو كنت املك خدها للثمته * حتى اعيد به الشقيق بنفسجا
او كنت اهجع لاحتضنت خيالها * ومنعت ضوء الصبح ان يتبلجا
و بثثت في الظلماء كحل جفونها * وعقدت هاتيك الذوائب بالدجا

ساخ من الفكر بايقاع معنى يختبره به فدعا بقدح فملأه سمنا وأدهقه ولم يجعل للزيادة عليه سبيلا ودفعه الى رسول له وقال له امض به الى الفيلسوف ولا تخبره بشئ فلما ورد الرسول بالقدح ودفعه الى الفيلسوف قال بفحة فهمه وتبينه للامور المتقنة المحكمة في نفسه لامر ما بعث هذا الملك الحكيم بهذا السمن الى وأحال فكره وتدبير المراد به ثم دعا بنحو ألف ابرة فغرز اطرافها في السمن وأنفذها الى الاسكندر فامر الاسكندر بسبكها كرة مدورة ململمة متساوية الاجزاء وامر بردها الى الفيلسوف فلما نظر اليها الفيلسوف وتامل فعل الاسكندر فيها أمر ببسطها وبان يتخذ منها مرآة بحضرته وصقلها فصارت جسما صقيلا ترد صورة من قابلها من الاشخاص لشدة صفائها وزوال الدرن عنها وامر بردها الى الاسكندر فلما نظر اليها وتامل حسن صورته فيها دعا بطست فجعل المرآة فيه وامر باراقة الماء فيه عليها حتى رسبت وامر بحمل ذلك الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى

ذلك امر بالمرآة فجعل منها مشربة كالطرجهارة وجعلها في الطست فوق الماء فطفت فوقه وامر بردها الى الاسكندر فلما نظر

وقال مهنئا بولود

يلوح فى المهد على وجهه * تجهم الباس وبشرى الندى
والشمس والبدر اذا استجمعا * لم يفترقا ان يلدا فرقدا
فابق له حتى ترى نجله * وان عرا خطب فنحن الفدا

قال ابن سعيد وهذا البيت الاخير من اثقل الشعر ينظير من سماعه وتركه اولى وقال رحمه الله تعالى فى الرصد

وذا عدير وذا روض وذا جبل * فالضب والنون والملاح والحادى

(ومنهم الفقيه ابو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطى) ذكره العماد الاصبهانى فى الخريدة وذكره السمعانى فى الذيل وانه دخل بغداد فى حدود سنة ست عشرة وخمسمائة ومن شعره

اياشمس انى ان اتتك مدائحى * وهن لآلى نظمت وقلائد
فلست بمن يبغى على الشعر رشوة * ابى ذاك لى جد كريم ووالد
وانى من قوم قديما ومحدثا * تباع عليهم بالالوف القصائد

(ومنهم الفقيه المقرى ابو عامر التيارى) من رجال الذخيرة رحل الى المشرق وقرأ على ابى جعفر الدباجى كتابه فى العروض وسائر كتبه ولقى شيخ القيروان فى العربية ابن القزاز واديبها الحصرى * واخبر عن نفسه انه كان بين يديه تلميذا له وسيم فمر به ابو جعفر التجانى بسعاية كتب له فيها وخلاها بين يديه وهو قد غلب النوم عليه

يانائما متعمدا * ابصار طيف حبيبه
هو جوهر فاتقبه ان الطيب فى مثقوبه
او اركبنى ظهره * ان لم تقل بركوبه

فلما قرأها علم انها للتجانى فكتب تحتها

ياطالبا اضحى حجا * بدون ما مطلوبه
لو لم يكن فى ذاك اثم لما كن اسخو به
انى اغار عليه من * اثوابه ورقيبه

وانشد يوما فى حلقته لابن الرومى فى خباز

لم انس لم انس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قورا كالقمر
الا بمقدار ما تنزاح دائرة * فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

فقال بعض تلامذته اما انه لا يقدر على الزيادة على هذا فقال

فكاد يضرط اعجابا برؤيتها * ومن رأى مثل ما ابصرت منه خرى

فضحك من حضر وقال البيت لا تق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان بيتى هذا ليس يعجبكم * فمحلوا محوه او فالعنوه طرى

*(ومنهم الاديب الطبيب ابو الحجاج يوسف بن عتبة الاشبيلى) مطبوع فى الشعر والتوشيح

الاسكندر الى ذلك امر بتراب فاعم فلثت منه وردها الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك تغير لونه وحال وجزع وتغيرت صفاته وأسبل دموعه على خده وكثر شهيقه وطال انينه وظهر حنقه وأقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ثم أفاق من ذلك الحال وزجر نفسه وأقبل عليها كالمعاتب لها وقال ويحك يانفس ما الذى قذف بك فى هذه الهوة وأصارك الى هذه النعمة ووصلك بهذه الظلمة انست وأنت فى النور تسرحين وفى العلوم تمرحين وتنظرين فى الضياء الصادق وتتفسحين فى العالم المشرق أنزلت الى عالم الظلم والمعاندة والغشم والمفاسد تحطفك الحواطف وتنتهرك العواصف قد حرمت علم الغيوب والكون فى العالم المحبوب ورميت بشدائد الخطوب ورصدت كل مطلوب أين مصادرك الطبيعة وراحتك الهوية حللت فى الاجساد فتوى عليك الكون والفساد حللت بانفس بين السباع القاتلة والافاعى المهلكة والنيران المحرقة والريح العاصفة وصيرتك الاعمار فى قرارات الاجسام لا تشاهدى الا غافلا ولا تربن الا جاهلا قد زهدت فى الخيرات ورغبت عن الحسنات ثم رفع طرفه نحو السماء فرأى النجوم تزهر فقال باعلى صوته يالك من نجوم سائرة

قال ابن سعيد اجتمعت به فى القاهرة مرارا بمجلس الامير جمال الدين ابى الفتح موسى بن يغمور بن جلدك وفى غيره وتوفى فى مارستان القاهرة ومن شعره

اما الغراب فانه سبب النوى * لاريب فيه وللنوى اسباب
يدعو الغراب وبعد ذا يجبيه * جمل وتعوى بعد ذاك ذئاب
لاتكذبن فهذه اسبابه * لكن منها بدأة وجواب

*(ومنهم الامام المحدث الحافظ جمال الدين ابو بكر محمد بن يوسف بن موسى الاندلسى المعروف بابن مسدى) وهو من الائمة المشهورين بالمشرق والمغرب قال رحمه الله تعالى أنشدنى رئيس الاندلس واديبها ابو الحسن سهل بن مالك الازدى الغرناطى لنفسه سنة ٦٢٧ فى شوال ببداره بغرناطة

منغص العيش لايأوى الى دعة * من كان دا بلد أو كان ذا ولد
والساكن النفس من لم ترض همته * سكنى مكان ولم يسكن الى احد

*(ومنهم الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الازدى الحميدى نسبة لجده حميد الاندلسى) ولد ابوه بقرطبة وولده هو بالجزيرة بليدة بالاندلس قبل العشرين واربعمائة وكان يحمل على الكتف للسماع سنة ٤٢٥ فاول ماسمع من الفقيه ابى القاسم اصبغ قال وكنت أفصح من يقرأ عليه وكان قد لقى ابن أبى زيد وقرأ عليه وتفقه وروى عنه رسالته ومختصر المدونة ورحل سنة ٤٤٨ وقدم مصر وسمع بها من الضراب والقراعى وغير واحد وكان سمع بالاندلس من ابن عبد البر وابن حزم ولازمه وقرأ عليه مصنفاته واكثر من الاخذ عنه وشهر بصحبته وصار على مذهبه الا انه لم يكن يتظاهر به وسمع بدمشق وغيرها وروى عن الخطيب البغدادى وكتب عنه أكثر مصنفاته وسمع بمكة من الزنجانى وأقام بواسط مدة بعد خروجه من بغداد ثم عاد الى بغداد واستوطنها وكتب بها كثيرا من الحديث والادب وسائر الفنون وصنف مصنفات كثيرة وعلق فوائد وخرج تخاريج للخطيب ولغيره وروى عنه أبو بكر الخطيب اكثر مصنفاته وابن ماكولا وكان اماما من أئمة المسلمين فى حفظه ومعرفته واتقانه وثقته وصدقه ونبله وديانته وورعه ونزاهته حتى قال بعض الاكابر من ائمة لم ترعيناى مثل أبى عبد الله الحميدى فى فضله ونبله ونزاهة نفسه وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم وبثه فى أهله وكان ورعا ثقة اماما فى علم الحديث وعلله ومعرفة متونه ورواته محققا فى علم الاصول على مذهب أصحاب الحديث متبحرا فى علم الادب والعربية ومن تصانيفه كتاب جذوة المقتبس فى أخبار علماء الاندلس وكتاب تاريخ الاسلام وكتاب من ادعى الامان من أهل الايمان وكتاب الذهب المسبوك فى وعظ الملوك وكتاب تسهيل السبيل الى علم الترسيل وكتاب مخاطبات الاصدقاء فى المكاتبات واللقاء وكتاب ماجاء من النصوص والاخبار فى حفظ الجار وكتاب ذم النميمة وكتاب الامانى الصادقة وغير ذلك من المصنفات والاشعار الحسان فى المواعظ والامثال وكان من كثرة اجتهاده ينسخ بالليل فى الحر ويجلس فى اجانة ماء يتبرد به ومن مشهور مصنفاته كتاب الجمع بين الصحيحين وذكره الحجارى فى المسهب

وأجسام زاهرة من عالم شريف طلعت والتى ماوضعت انك من عالم نفيس
اكنافه قاطنة فقد أصبحت
عنه ظاعنة ثم أقبل على
الرسول وقال خذه ورده
الى الملك يعنى الغراب ولم
يحدث فيه حادثة فلما ورد
الرسول على الاسكندر
أخبره بجميع ماشاهد
فتعجب الاسكندر من
ذلك وعلم مرامى الفيلسوف
ومقاصده وغايته مراده فيما
وقع بالنفوس من العلة
مما علا من العوالم الى هذا
العالم ولما كان فى صبيحة
ثالث الليلة جلس له الاسكندر
جلوسا خاصا ودعاه ولم
يكن رآه قبل ذلك فلما
أقبل ونظر الى صورته
وتأمل قامته وخلقته نظر
الى رجل طويل الجسم
رحب الجبين معتدل البنية
فقال فى نفسه هذه بنية
تضاد الحكمة فاذا اجتمع
حسن الصورة وحسن الفهم
كان أوحد زمانه ولست
أشك ان هذا الشخص قد علم
كل ماراسلته به وأجابنى
عليه من غير مخاطبة ولا
موافقة ولا مباحثة فليس
فى وقته أحد يدانيه فى
حكمته ولا يلحقه فى علمه
وتأمل الفيلسوف الاسكندر
فاذا اصبعه السبابة على
وجهه ووضعها على أرنبة
انفه واسرع نحو الاسكندر

وهو جالس على غير سرير ملكه فحياه بتحية الملوك فاشار اليه الاسكندر بالجلوس فجلس حيث أمره فقال له الاسكندر ما بالك

وقال عنه انه أظهر العلم فى طرق ميورقة بعدما كانت عطلا من هذا الشان وتركها فخر اتباري به خواص البلدان وهو من علماء أئمة الحديث ولازم أبا محمد بن حزم فى الاندلس واستفاد منه ورحل الى بغداد وبها ألف كتاب الجذوة ومن شعره قوله رضى الله تعالى عنه

ألفت النوى حتى انست بوحشها * وصرت بها لا فى الصبابة مولعا
فلم احص كم رافقته من مرافق * ولم احص كم خيمت فى الارض موضعا
ومن بعد جوب الارض شرقا ومغربا * فلا بد لى من أن اوافى مصرعا

وقال رحمه الله تعالى

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال

وذكره ابن بشكوال فى الصلة وتوفى ببغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى قال ابن ماكولا أخبرنا صديقنا ابو عبد الله الحميدى وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ لم ار مثله فى عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم وكان أوصى مظفر بن رئيس الرؤساء ان يدفنه عند قبر بشر الحافى فخالف وصيته ودفنه فى مقبرة باب البرز فلما كان مدة رآه مظفر فى النوم كأنه يعاتبه على مخالفته فنقل فى صفر سنة ٤٩١ الى مقبرة باب حرب ودفن عند قبر بشر وكان كفنه جديدا وبدنه طريا تفوح منه رائحة الطيب ووقف كتبه على اهل العلم رحمه الله تعالى ومن مناقبه انه قال لما دخل عليه فوجده مكشوف الفخذ تحديت بعين الى موضع لم ينظره احد منذ عقلت انتهى ومن شعر الحميدى ايضا قوله

طريق الزهد افضل ما طريق * وتقوى الله تالية الحقوق
فثق بالله يكفك واستعنه * يعنك ودع بنيات الطريق

وقوله

كلام الله عز وجل تولى * وما صحت به الآثار دينى
وما اتفق الجميع عليه بدأ * وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذا وهذا * تكن منها على عين اليقين

*(ومنهم الكمال ابو العباس احمد الشريشى وهو احمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى ابن عبد المؤمن القيسى) من اهل شريش روى عن ابى الحسن بن لبال وأبى بكر بن أزهر وأبى عبد الله بن زرقون وأبى الحسين بن جبير وغيرهم وأقرأ العربية وله تواليف أفاد بها حشد فيها منها شرح الايضاح للفارسى والجمل للزجاج وله فى العروض تواليف وجمع مشاهير قصائد العرب واختصر نوادر أبى على القالى قال ابن الابار لقيته بدار شيخنا أبى الحسن بن حريق من بلنسية قبل توجهى الى اشبيلية فى سنة ست عشرة وستمائة وهو اذ ذاك يقرأ عليه شرحه للمقامات فسمعت عليه بعضه وأجاز لى سائره مع رواياته وتواليفه وأخذ عنه أصحابنا ثم لقيته ثانية مقدمه من مرسية انتهى ومن بديع نظمه وهو بمصر يتشوق الى الشام

بنورية عقلى وصفاء مزاجى
فتبينت فكرتك فى وتاملك
لصورتى وأنها قلما تجتمع
مع الحكمة فاذا كان ذلك
كان صاحبها أوحد زمانه
فادرت اصبى مصداقا
لما سنح لك وأريتك مثالا
شاهدا كما انه ليس فى
الوجه الا انف واحد
كذلك ليس فى دار مملكة
الهند غيرى ولا يلحق احد
من الناس لى فى حكمتى
فقال له الاسكندر ما احسن
ما انا فى لك ما ذكرت
وانتظم لك بحسن الخاطر
ما وصفت فدع عنك هذا
ما بالك حين انفذت اليك
قد حاملوا اسما غرزت
فيه ابرا وردته الى قال
الفيلسوف علمت ايها
الملك انك تقول ان قلبى
قد امتلأ وعلمى فد انتهى
كما متلاء هذا الاناء من
السمن فليس لاحد من
الحكماء فيه مستزاد فاخبرت
الملك ان علمى يستزيد فى
علمه ويدخل فيه دخول
هذه الابر فى هذا الاناء
قال فاخبرنى ما بالك حين عمل
من الابر كرة وانفذتها
اليك صيرتها مرآة وردتها
الى صقيلة قال علمت ايها
الملك انك تريد ان قلبك
قد قسا من سفك الدماء
والشغل بسياسة هذا العالم كقسوة هذه الكرة فلا يقبل العلم ولا يرغب فى فهم الغايات والعلوم

ياجيرة الشام هل من نحوكم خبر * فان قلبي بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم * مالذ للعين لانوم ولا سهر
اذا تذكرت أوقاتا نأت ومضت * بقربكم كادت الاحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنيرين نحصى * والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد والاغصان راقصة * والدوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفح أين عشيانى التى سلفت * لى منه فهى لعمرى سندى العمر
سقاك ياسفح سقح الدمع منهملا * وقل لدالدان أعوز المطر

وا رحمه الله تعالى فروح لمقامات الحريرى كبير ووسط وصغير وفى الكبير من الآداب مالا كفاءله وكان رحمه الله تعالى محببا بالشام وقال ابن الابار عند ماذكره انه شرح مقامات الحريرى فى ثلاث نسخ كبراها الادبية ووسطاها اللغوية وصغراها المختصرة انتهى وتوفى بشريش بلده سنة تسع عشرة وستمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الازدى القرطبي الملقب بضياء الدين) أحد الائمة المتأخرين فى القراآت وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك قال القاضى الشمس بن خلكان انه رحل من الاندلس فى عنفوان شبابه وقدم مصر فسمع بالاسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم الرازى وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدنى المصرى وأبا طاهر أحمد بن محمد الاصبهانى المعروف بالسلفى وغيرهم ودخل بغداد سنة ٥١٧ وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبى محمد عبد الله بن على المقرى المعروف بابن بنت الشيخ أبى منصور الخياط وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه وقرأ الحديث على أبى بكر محمد بن عبد الباقى البزار المعروف بقاضى المارستان وأبى القاسم بن الحصين وأبى العز وغيرهم وكان دينا ورعا عليه وقار وسكينة وكان ثقة صدوقا ثبتا نبيلا قليل الكلام كثير الخير مفيدا أقام بدمشق مدة واستوطن الموصل ورحل منها الى أصبهان ثم عاد الى الموصل وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر وذكره الحافظ ابن السمعانى فى كتاب الذيل وقال انه اجتمع به بدمشق وسمع عنه بمشيخة أبى عبد الله الرازى وانتخب عليه أجزاء وسأله عن مولده فقال ولدت سنة ٤٨٦ فى مدينة قرطبة ورأيت فى بعض الكتب ان مولده سنة ٤٨٧ والاول أصح وكان شيخنا القاضى بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضى حلب رحمه الله تعالى يفتخر بروايته وقراءته عليه وقال كنا نقرأ عليه بالموصل ونأخذ عنه وكنا نرى رجلا يأتى اليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم ثم يمد يده الى الشيخ بشئ ما فوق فيأخذه الشيخ من يده ولا نعلم ماهو ويتركه ذلك الرجل ويذهب ثم تفقدنا ذلك فقلنا انها دجاجة مسموطة كانت ترسم للشيخ فى كل يوم يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها واذا دخل الشيخ الى منزله تولى طبخها بيده وذكر فى كتاب دلائل الاحكام انه لازم القراءة عليه احدى عشرة سنة آخرها سنة ٥٦٧ وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور كثيرا مايسند مسندا الى أبى الخير الكاتب الواسطى

جرى قلم القضاء بما يكون * فسبحان المحرك والسكون

صعيلة مؤدية الى الاجسام عند المقابلة لحسن الصفاء قال له الاسكندر صدقت قد أجبتنى عن مرادى فاخبرنى أيها الفيلسوف حين جعلت المرآة فى الطست ورسمت فى الماء جعلها قد حاذى الماء طاهرة ثم رددتها الى قال الفيلسوف علمت انك تريد بذلك أن الايام قد انقضت وقصرت والاجل قد قرب ولا يدرك العلم الكثير فى المهل القليل فاجبت الملك ممثلا انى ساعمل الحيلة فى ايراد العلم الكثير فى المهل القليل الى قلبه وتقريبه من فهمه كاحتيالى للمرآة من بعد كونها راسبة فى الماء حتى جعلتها طافية عليه فقال له الاسكندر صدقت فاخبرنى ما بالك حين ملأت الاناء ترابا رددته الى ولم تحدث فيه حادثة كفعلك فيما سلف قال علمت انك تقول ثم الموت وانه لابد منه ثم لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد اليابس المعتل الذى هو الارض ودثورها وتفرق اجزائها ومفارقة النفس الناطقة الصافية الشريفة اللطيفة لهذا الجسد المرئى قال الاسكندر صدقت

ولا أحسن الى الهند من أجلك وأمر له بجواثر كثيرة وأقطعه قطائع واسعة فقال له الفيلسوف لو

جنون منك أن تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين

وتوفي القرطبي المذكور بالموصل يوم عيد الفطر سنة ٦٧٠ رحمه الله تعالى انتهى كلام ابن خلكان ببعض اختصار * (ومنهم الوزير أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الاجل أبي الحسن بن عبد ربه وهو من حفداء صاحب كتاب العقد المشهور حدث الشيخ الاجل أبو عبد الله محمد ابن علي اليحصبي القرموني رفيقه قال اصطحبت معه في المركب من المغرب الى الاسكندرية فلما قربنا منها هاج علينا البحر وأشفينا على الغرق فلاح لنا ونحن على هذه الحال منار الاسكندرية فسررنا برؤيته وطمعنا في السلامة فقال لي لابد أن أعمل في المنار شيأ فقلت له أعلى مثل هذه الحال التي نحن فيها قال نعم فقلت فاصنع فاطرق ثم عمل بديها

لله در منار اسكندرية كم * يسمو اليه على بعد من الحدق
من شامخ الانف في عرنينه شمم * كأنه باهت في دارة الافق
يكسر الموج منه جانبي رجل * مشمر الذيل لا يخشى من الغرق
لا يبرح الدهر من ورد على سفن * ما بين مصطبح منها ومغتبق
للنشأت الجواري عند رؤيته * كموقع النوم من أجفان ذي أرق

وتقدمت ترجمة الكاتب أبي عبد الله بن عبد ربه وأظنه هذا فليتنبه له بل أعتقد أنه هو لا غيره والله تعالى أعلم * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي) قال في القدح المعلى بيتهم مشهور بقرطبة لم يزل يتوارث في العلم والجاه وعلو المرتبة ونشأ أبو عبد الله هذا حافظا للآداب اماما في علم الحساب مع انه كان أعمى مقعدا مشوه الخلقة ولكنه اذا نطق علم كل منصف حقه ومن عجائبه انه سافر على تلك الحالة حتى غدت بغداد له هالة اجتمعت به بحضرة تونس فرأيت بحرا زاخرا وروضا ناضرا الا انه حاطب ليل وساحب ديل لا يبالي ما أورده ولا يلتفت الى ما أنشده جامعا بين السمين والغث حافظا للمتين والرث وكان يقرئ الادب بمصر اكش وفاس وتونس وغيرها ومن مشهور حكاياته انه لما قال أبو زيد الغازي في أبي علي المستنصر قصيدته التي مطلعها * الحزم والعزم منسوبان للعرب * عارضه بقصيدة ثم قال فيه وفي ابن أخيه يحيى بن الناصر الذي نازعه في ذلك الاوان

وان ينازعك في المنصور ذو نسب * فنجل نوح ثوى في قسمة العطب
وان يقل أنا عم فالجواب له * عم النبي بلا شك أبو لهب

وشاعت القصيدة فبلغت أبا العلاء فحرص على قتله وسلمه الله تعالى منه ومات سنة ٦٣٩ ومن شعره قوله

لا تحسب الناس سواء متى * تشابهوا فالناس أطوار
وانظر الى الاحجار في بعضها * ماء وبعض ضمنها نار

وقوله

يا طالعا في جفوني * وغائرا في ضلوعي
بالغت في السخط ظلما * وما رحمت خضوعي
اذا نويت انقطاعا * فاحسب حساب الرجوع

ولسنا نجد عاقلا من خدم غير ذاته واستعمل غير ما يصلح نفسه والذي يصلح النفس الفلسفة وهي صقالها وغذاؤها وتناول الحيوانية وغيرها من الموجودات ضد لها والحكمة سبيل الى العلو وسلم اليه ومن عدم ذلك عدم القربة من بارئه واعلم أيها الملك ان بالعدل ركب جميع العالم بجزئياته ولا يقوم بالجور والعدل ميزان البارئ جل وعز فكذلك حكمه مبرأة عن كل ميل وزال وأشبه الاشياء من أفعال الناس بافعال بارئهم الاحسان الى الناس وقد ملكت أيها الملك بسيفك وصولة ملكك وتانيك في أمورك وانتظام سياستك اجسام رعيتك فجدير أن تملك قلوبهم باحسانك اليهم وانصافك لهم وعدلك فيهم فهي خزانة سلطانك فانك ان قدرت ان تقول قدرت أن تفعل فاحترز من ان تقول بأني من أن تفعل فالملك السعيد من نمت له رياسة ايامه والملك الشقي من انقطعت عنه فمن تحرى في سيرته العدل استنار قلبه بعذوبة الطهارة

(قال المسعودي رحمه الله) وخلا الاسكندر عن الفيلسوف لا يمكنه المقام معه فلحق بارضه وللاسكندر انتهى

انتهى باختصار يسير * (ومنهم أبو الوليد بن الجنان محمد بن الشرف أبى عمرو بن الكاتب أبى بكر ابن العالم الجليل أبى العلاء بن الجنان الكنانى الشاطبى) قال ابن سعيد توارثوا بشاطبة مراتب تحسدها النجوم الثاقبة وأبو الوليد أشعرهم وقد تجدد به فى أقطار المشرق مفخرهم وهو معروف هنالك بفخر الدين ومتصدر فى أئمة النحويين ومرتب فى شعراء الملك الناصر صاحب الشام ومقطعاته الغرامية قلائد أهل الغرام محبته بمصر ودمشق وحلب وجرت معه طلق الجموح فى ميادين الادب وأنشد فى بدمشق

أنا من سكروا هم مثل * لا أبالى هجروا أم وصلوا
فمشعرى وحديثى فيهم * زمزم الحادى وسمار المثل
ان عشاق الحمى تعرفنى * والحمى يعرفنى والطلل
رحلوا عن ربع عينى فلذا * أدمعى عن مقلتى ترتحل
مالها قد فارقت أوطانها * وهى ليست لجماهم تصل
لا تظنوا أننى اسلوفها * مذهبى عن حبكم ينتقل

وقوله رحمه الله تعالى

بالله يا بانة الوادى اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الشيح والغار
فعانقيها عن الصب الكئيب فما * على معانقة الاغصان انكار
وعرفيها بأنى فيك مكتئب * فبعض هذى لها بالحب أخبار
وأنتم جيرة الجرعاء من اضم * لى فى جمالكم أحاديث وأسمار
وأنتم أنتم فى كل آونة * وانما حبكم فى الكون أطوار
و يا نسيما سرى تحدو ركائبه * لى بالغوير لبانات وأوطار

وله

يا رعى الله أنسنا بين روض * حيث ماء السرور فيه يجول
تحسب الزهر عنده يتثنى * وتخال الغصون فيه تميل

وله

هات المدام فقد ناح الحمام على * فقد الظلام وجيش الصبح فى غلب
وأعين الزهر من طول البكا رمدت * فكحلها يمين الشمس بالذهب
والكاس حلتها حمراء مذهبة * تكن أزرتها من لؤلؤ الحبب
كم قلت للافق لما أن بدا صلفا * بشمسه عند ما لاحت من الحجب
ان تهت بالشمس يا أفق السماء فلى * شمسان وجه ندمى وابنة العنب
قم اسقنيها وثغر الصبح مبتسم * والليل تبكيه عين البدر بالشهب
والسحب قد لبست سود الثياب وقد * قامت لترثيه الاطيار فى القضب

وله

عليك من ذاك الحمى يا رسول * بشرى علامات الرضا والقبول
جئت وفى عطفيك منهم شذى * يسكر من خمر هواه العذول

كان للاسكندر فى أسفاره وتوسطه الممالك وقطعه الاقاليم ومشاهدته الامم وملاقاته الحكماء مع تنائى ديارهم وبعد

كنده ملك الهند قد أتينا على مبسوطها والغرر من معانيها والزهر من عيونها فى كتابنا فى أخبار الزمان وأما القدح فامتحنه حين أدهقه بالماء وأورد عليه الناس فلم ينقص شربهم منه شيأ وكان معمولا بضرب من خواص الهند والروحانية والطبائع التامة والتوهم وغير ذلك من العلم مما يدعيه الهند وقد قيل انه كان لآدم أبى البشر عليه السلام بأرض سرنديب من بلاد الهند مبارك له فيها فورث عنه وتداولته الملوك الى ان انتهى الى كندهذا الملك العظيم سلطانه وما كان عليه من الحكمة وقيل غير ذلك من الوجوه مما قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وللطبيب معه أخبار ظريفة ومناظرات عجيبة فى اوائل المعرفة وصنعة الطب ونرقيه الى مبسوط الصنعة من الطبيعيات وغيرها أعرضنا عن ذكرها خوفا من الاطالة وميلا الى الاختصار فى هذا المكان لتعلق الكلام بالتوهم الذى تدعيه الهند فى صنعة الطب وغيرها وقد

ومنها

أحبابنا ودعنم ناظرى * وأنتم بين ضلوعى نزول
حللتم قلبى وهو الذى * يقول فى دين الهوى بالحلول
انا الذى حدث عنى الهوى * بأننى عن حبكم لا أحول
فليزد العادل فى عذله * وليقل الواشى لكم ما يقول

انتهى كلام النور بن سعيد * وقال غيره ولد المذكور بشاطبة منتصف شوال سنة ٦١٥ ومات ببدمشق ودفن بسمساطين وكان عالما فاضلا دمث الاخلاق كريم الشمائل كثير الاحتمال واسع الصدر صحب الشيخ كمال الدين بن العديم وولده قاضى القضاة مجد الدين فاجتذبوه اليهم وصار حنفى المذهب ودرس بالمدرسة الاقبالية الحنفية بدمشق وله مشاركة فى علوم كثيرة وله يد فى النظم ومن شعره

لله قوم يعشقون ذوى اللحى * لا يسئلون عن السواد المقبل
وبهجتى قوم وابى منهم * جبلوا على حب الطراز الاول

وله أيضا

قم اسقنيها وليل الهم منهزم * والصبح أعلامه محمرة العذب
والسحب قد نثرت فى الارض لؤلؤها * تضمن الشمس فى ثوب من الذهب انتهى

وقد تقدم عن ابن سعيد له ما يقارب هذا وله رحمه الله تعالى فى كاتب

ولى كاتب أضمرت فى القلب حبه * مخافة حسادى عليه وعذالى
له صنعة فى خط لام عذاره * ولكن سها اذ نقط اللام بالخال

(ومنهم أبو محمد القرطبى) قال ابن سعيد لقيته بالقاهرة وكانه لا خبر عنده من الآخرة وقد طال عمره فى أكل الاعراض وفساد الاغراض ومما بقى فى أذنى من شعره قوله

رحم الله من لقيت قديما * فلقد كان بى رؤفا رحيما
أتمنى لقاء حوفد أعوز بختى كما عدمت الكريما

وتوفى بالقاهرة سنة ٦٤٣ انتهى * (ومنهم على بن أحمد القادسى المكنانى) قال ابن سعيد لقيته ببيت المقدس على زى الفقراء وحصلت منه هذه الابيات وندمت بعد ذلك على مافات وهى

ذاك العذار المطل * دمى عليه بطل انتهى
كانما الخد ماء * وقد جرى فيه ظل
عقود صبرى عليه * مذ حل قلبى تحل
جرت دموعى عليه * فقلت آس وطل

(ومنهم أبو عبد الله بن العطار القرطبى) قال ابن سعيد هو حلو المازع ظريف المقاطع والمطالع مطبوع النوادر موصوف بالاديب الشاعر مازجته بالاسكندرية وبهذه الحضرة العلية ومازال يدين بالانفراد والتجول فى البلاد حتى قضى مناه وألقى بهذه المدينة عصاه لا يخطر الهم له ببال ولا يبيت الا على وعد من وصال وله حين سمع ما ارتجلته فى المكين بالاسكندرية حين داعبنى باختلاسها القاضى زين القضاة بن الزيفى وقال مالى اليه

طائر حسن له سلاح وينبغى أن تتزين به الملوك فى مجالسها فامر أن يجمع منها عدة لتكون فى مجلسه سبيل

وفنون من البر وما أحدث من الابنية قد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا مما سمينا وغير ذلك مما عن وصفها أمسكنا وانما ذكرنا اليسير من أخباره لئلا يعرى كتابنا من شئ منها مع ذكرنا لمسيره ووفاته وبالله التوفيق

* (ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر) *

(ثم ملك بعد الاسكندر الملك حايفته بطليموس) وكان حكيما عالما شابا مدبرا وكان ملكه أربعين سنة وقيل بل كان ملكه عشرين سنة وقد كان لهذا الملك وهو التالى لملك الاسكندر حروب مع بنى اسرائيل وغيرهم من ملوك الشام * وذكر جماعة من أهل الدرايات باخبار ملوك العالم انه اول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها وأنه رتب فى بعض الايام فى طريقه الى بعض سيرهاته فنظر الى بازيطير فرآه اذا علا صعب واذا سفل خفق واذا أراد ان يستوى درف فاتبعه حتى اقتنصه بشجرة ملتفة كثيرة الشوك فقاتله فاعجبه صفاء عينيه وصفرتهما وكمال خلقه فقال هذا

سبيل حتى يحضر مصرى نبيل

أياسار قاملكا مصرنا ولم يجب * على يده قطع وفيه نصاب
ستندبه الاقلام عند عثارها * ويبكيه ان بعد الصواب كتاب

فقال

أحاجيك ماشئ اذا ماسرقته * وفيه نصاب ليس يلزمك القطع
على ان فيه القطع والحد ثابت * ولا حد فيه هكذا حكم الشرع

انتهى كلام ابن سعيد من كتابه القدح المعلى فيما أظن ويعنى والله سبحانه أعلم بقوله وبهذه الحضرة العلية حضرة تونس الخ روسة فانها كانت محط رحال الافاضل من الاواخر والاوائل حتى ان قاضى القضاة ابن خلدون أقام بها مدة ومنها ارتحل الى مصر وكذلك الخطيب الجليل سيدى أبو عبد الله بن مرزوق رحمه الله تعالى ومنها خاطب الوزير لسان الدين بن الخطيب وسلطانه فى الشفاعة له عند سلطان المغرب فكتب لسان الدين عن سلطانه فى ذلك ما قصه المقام الذى تؤكد اليه برسله الوداد وتغرى بتخليد ذخره وأمره القلم والمداد ونصل به الاستظهار على عدو الله تعالى والاستعداد ونخطب له من الله بهز أعطافه للخير والتوفيق والسداد والاعانة منه والامداد مقام محل أخينا الذى اشتهر فضله ودينه ووضح سعده متألقة براهينه وحياه الصنع الجميل وسياه مشرقا جبينه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله يرعى الدمم ويسلك من الفضائل المنهج الاهم ويغلى البضائع النافقة عند الله تعالى ويعلى الهمم معظم قدره وملترم بره الحريص على توفير أجره وتخليد ذخره فلان أما بعد حمد الله تعالى ناصر الامرة المطاعة المحافظة على السنة والجماعة وحافظها من الاضاعة الى قيام الساعة الذى جعل المودة فيه أنفع الوسائل النفاعة والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله المخصوص بمقام الشفاعة على العموم والاشاعة متمم مكارم الاخلاق من الفضل والبذل والحياء والشجاعة والرضا عن آله وصحبه الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة وزرعوا الخير فى العاجلة ففازوا فى الآجلة بفائدة تلك الزراعة والدعاء لمقامكم الاعلى بصنع يروى فيه عن الاشمط الباتر خبر النصر المتواتر لسان البراعة وتأييد لا رضى فيه القنا بمقام تلك القناعة فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لثنائكم العاطر بتخليد المفاخر منشور الاذاعة فى أيدى النواسم الضواعة من جراء غرناطة سرها الله تعالى عن خيرها مى السحاب وبشر مفتح الابواب وعز للاسلام ببركة الاعتداد بكم المنصور الاعلام مقتبل الشباب ويمن ضافى الجلباب والحمد لله على تظافر الايدى فى ذاته وتوفر الاسباب وجانبكم الرفيع الامل المتاب اذا حدت الحداة ذوات الاقتاب ومطمع الوسائل المطرزة المسائل بتصحيح الود اللباب والى هذا وصل الله تعالى سعيكم بسوابغ نعمه وآلائه دائمة الانسكاب وجعل ما عجل لكم من نعمه وآلائه كفيلة بالزلفى وحسن المتاب وألهمكم تقييد شواردها بالشكر قولا وعملا فالشكر مستدعى المزيد كما ورد فى الكتاب فان من المنقول الذى اشتهر وراق فضله وبهر قوله اشفعوا تؤجروا وما فى معناه من المعتبر فى الخبر وتنفيس

مما تغضب منه الملوك ثم عرض له بعد أيام ثعلب كان داجنا فوثب عليه البازى فما أفلت الا حريصا فقال الملك هذا ملك جبار لا يحتمل الضيم ثم مر طائر فوثب عليه فاكله فقال الملك هذا ملك يمنع حماه ولا يضيع أكله فلعب بها ثم لعب بها بعده ملوك الامم من اليونانيين والروم والعرب والعجم وغيرهم وفى من بعده من ملوك الروم بلعب الشواهين والاصطياد بها وقد قيل ان الازارقة وهم ملوك الاندلس من الاشبان أول من لعب بالشواهين وصاد بها وكذلك اليونانيون أول من صاد بالعقبان ولعب بها وقد ذكر أن ملوك الروم أول من صاد بالعقبان (قال المسعودى) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل التج والابواب جملا من أخبارها واخبار من لعب بها وقد كان من سلف من حكماء اليونانيين يقولون ان الجوارح أجناس خلقها الله تعالى وانشأها على منازلها ودرجاتها وهى أربع اجناس وثلاثة عشر شكلا فاما الاجناس الاربعة فهى البازى والشواهين والصقر والعقاب وقد ذكرنا هذه الاجناس والاشكال

كربة عن مسلم وسماع شكوى من متظلم ولولا أن مقامكم السنى أغنى بجلبنا الكثير من هذا المعنى ولم تحقق ما أنتم عليه من سلوك سبيل الخير واقامة رسوم الدين والاهتداء بمن هديه بالامور المبين خف علينا أن نقصدكم بالشفاعات مع الساعات ونتجر لكم مع الله بأنفس البضاعات فما أثمر من ذلك شكرنا الله تعالى عليه حقيقة وشكرناكم عليه شريعة وما تأخر أوسعناكم فيه عذرا يسدد ذريعة وعلمنا أن الله تعالى لم يأذن فى تحيله وسألناه فى تيسيره وتسهيله سواء لدينا فى ذلك ما عاد باعانة عامة وامداد وساهم فى قصد جهاد ومالم يعد علينا خصوصا وعلى المسلمين عموما باعانة ولا ارفاد انما علينا أن نجلب الخير الباقى والاجر الراقى الى بابكم وندل عليه كريم جنابكم بمقتضى وداد صحبه باد وجميل ظن فى دينكم المتين واعتقاد سلم مجمله ومفصله من انتقاد وذلك أن الشيخ الخطيب الفقيه الكبير الشهير الصدر الاوحد العلامة سلالة الصالحين وخطيب والدكم كبير الخلفاء والسلاطين ويالها من مزية دنيا ودين أبا عبد الله بن مرزوق جبر الله تعالى على يديكم البرة حاله وسنى من مقامكم السنى آماله جرى عليه من المحن وتباريح الاحن مايعلم كل ذى مروءة وعقل واجتهاد ونقل أن ذلك من الجنايات على والدكم السلطان محسوب والى معقاته منسوب ولو كانت ذنوبه رضوى وثبيرا لاستدعت الى تعمدها عفوا كبيرا رعيا لذلك الامام الصالح الذى نبر خلفه وأحرم وتشهد وسلم وأمن عقب دعائه ونصب كفه لمواهب الله تعالى وآلائه وأنصت لخطبته ووعظه وأوجب المزية لسعة حفظه وعذوبة لفظه فأحبط ذلك من أحبط الاعمال الصالحة وعطل المتاجر الرابحة وأسف الملك المذكور بدم ولده واحراق خزائنه وعدده وتغيير رسومه وحدوده واسخاطه واسخاط الله معبوده الى أن طهر سيفكم المليك من عاره وأخذ منه بثاره وتقرب الى الله والى السلف الكريم بمحو آثاره والحمد لله على ماخصه من ايثاره وتدارك الاسلام باقالة عثاره وانه خاطبنا الآن من حضرة تونس يقرر من حاله مايفت الفؤاد ويوجب الامتعاض له والاجتهاد يطلب منا الاعانة بين يديكم والانجاد ويشكو العيلة والاولاد والغربة التى أحلته الاقطار النازحة والبلاد والحوادث التى سلبته الطارف والتلاد وان نذكركم بوسيلته وضعف حيلته فبادرنا لذلك عملا بالواجب وسلوكا من بره ورعى حقه على السنن اللاحب وان كنا نطوقه فى أمرنا عند الحادثة علينا تقصيرا ولا نشكر الا الله وليا ونصيرا فحقه علينا أوجب فهو الذى لا يجحد ولا يحجب ولا يلتبس منه المذهب وكيف لا يشفع فيمن جعله السلف الى الله تعالى شفيعا وأحله محلا منيعا رفيعا الى وليه الذى جبر ملكه سريعا وصير جنابه بعد المحول مريعا وجدد رسومه تأصيلا لها وتفريعا ومثلكم من اغتنم بره فى نصر مظلوم وسبر مكلوم واعداء كرم على لوم وهى مناذكرى تنفع وحرص على أجر من يشفع واسعاف لمن سال مايعلى من قدركم ويرفع وتادية لحق سلفكم الذى توفرت حقوقه وابلاغ نصيحة دينية الى مجدكم الذى لا يمنعه عن المجد مانع ولا يعوقه ومطلبه فى جنب ملككم الكبير حقير وهو به الى مايفتح الله تعالى به على يد صدقتكم فقير ومنهلكم الاروى وباعكم فى الخير أطول وساعدكم أقوى ومانفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والله

على طريق الخبر فى الكتاب الماثر فى ذلك (ثم ملك بعد بطليموس هيلوس) وكان رجلا جبارا وفى أيامه عملت الطلسمات وظهرت عبادة التماثيل والاصنام اشبه دخلت عليه وانها وسائط بينهم وبين خالقهم يقربهم اليه ويدنيهم منه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وقيل اربعين وقد قيل ان الذى ملك بعد خليفة الاسكندر بطليموس الثانى محب الاخ وغزا بنى اسرائيل ببلاد فلسطين وايلياء من ارض الشام فسباهم وقتل منهم وطلب العلوم ثم ردبى اسرائيل الى فلسطين وحمل معهم الجواهر والاموال وآلات الذهب والفضة لهيكل بيت المقدس وكان ملك الشام يومئذ انطيخس وهو الذى بنى مدينة انطاكية وكانت دار ملكه وجعل بناء سورها احدى عجائب العالم فى البناء على السهل والجبل ومسافة السور اثنا عشر ميلا عدة الابراج فيه مائة وستة وثلاثون برجا وجعل عدد شرافاته اربعة وعشرين ألف شرافة وجعل على كل برج من الابراج بتولة بطريق اسكنه اياه برجاله وخيله وجعل كل برج منها طبقات والطريق فى اعلاه وجعل كل برج منها كالحصن عليها ابواب حديد وآثار الابواب

عز وجل يسلك بكم المسالك التي تخلد بالجميل ذكركم وتعظم عند الله أجركم فما عند الله خير للابرار والدنيا دار الغرور والآخرة دار القرار وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * والسلطان المخاطب بهذا هو أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني وكان ابن مرزوق غالبا على دولة السلطان أبي سالم أخي أبي فارس المذكور فقتله الوزير عمر بن عبد الله الفودودي وتغلب على الملك ونصب أخا لابي سالم معتوها وسجن ابن مرزوق ورام قتله فخلصه الله تعالى منه ثم ان السلطان أبا فارس ثار على الوزير المتغلب وقتله واستقل بالملك فخوطب في شأن ابن مرزوق بما ذكر * (رجع الى ما كنا فيه) من ذكر الراحلين من أعلام الاندلسيين الى البلاد المشرقية المحروسة بالله سبحانه وتعالى فنقول * (ومنهم أبو الوليد وابو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدي القرطبي المعروف بابن الفرضي الحافظ المشهور) كان فقيها عالما عارفا بفنون علم الحديث ورجاله بارعا في الادب وغيره وله من التصانيف تاريخ علماء الاندلس وقفت عليه بالمغرب وهو بديع في بابه وهو الذي ذيل عليه ابن بشكوال بكتاب الصلة وله كتاب حسن في المؤتلف والمختلف وفي مشتبه النسبة وكتاب في أخبار شعراء الاندلس وغير ذلك ورحل من الاندلس الى المشرق سنة ٣٨٣ فحج وسمع من العلماء وأخذ عنهم وكتب من أماليهم وروى عن شيوخ عدة من أهل المشرق ومن شعره

أسير الخطايا عند بابك واقف * على وجل مما به أنت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها * ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الذي يرجى سواك ويتقى * ومالك في فصل القضاء مخالف
فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما * يصد ذوو القربى ويجفو المؤالف
لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي * أرجي لاسرافي فاني لتالف

وكان رحمه الله تعالى حسن الشعر والبلاغة ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى

ان الذي أصبحت طوع يمينه * ان لم يكن فقرا فليس بدونه
ذلي له في الحب من سلطانه * وسقام جسمي من سقام جفونه

وله شعر كثير ومولده في ذي القعدة ليلة الثلاثاء لتسع بقين منه سنة ٣٥١ وتولى القضاء بمدينة بلنسية في دولة محمد المهدي المرواني وقتله البربر يوم فتح قرطبة يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة ٤٠٣ وبقي في داره ثلاثة أيام ودفن متغيرا من غير غسل ولا كفن ولا صلاة رحمه الله تعالى وروى عنه انه قال تعلقت باستار الكعبة وسألت الله تعالى الشهادة ثم انحرفت وفكرت في هول القتل فندمت وهممت أن أرجع فأستقيل الله سبحانه وتعالى فاستحييت وأخبر من رآه بين القتلى ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون دم والريح ريح المسك كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك قال ثم قضى على اثر ذلك وهذا الحديث اخرجه مسلم في صحيحه وقد ساق في المطمح حكايته فقال كان حافظا عالما كافا

واطهر فيها امياها من اعين وغيرها الاسيل الى قطعها من مخارجها وجعل اليها مياها منصبة في قنى محرقة الى شوارعها ودورها ورأيت فيها في هذه المياه ما يستحجر في مجاريها المعمولة من الخزف لترادف الصرف فيها فينزاكم طبقات ويمنع الماء من الجريان بانسداده فلا يعمل الحديد في كسره وقد ذكرنا ذلك في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب وما شاهدناه حسا ونفى الناخبر اما يولده ماء انطاكية في أجساد الحيوان الناطق وأجوافهم وما يحدث في معدهم من الرياح السوداوية الباردة والقولنجية الغليظة وقد اراد الرشيد سكناها فقيل له بعض ما ذكرنا من أوصافها وترادف الصدا على السلاح من السيوف وغيرها بها وعدم نقاء ريح الطيب بها واستحالته على اختلاف أنواعه فامتنع من سكناها (ثم ملك) على اليونانيين بعد هيفلوس بطليموس الصانع ستا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده عليهم بطليموس المعروف بمحب الاب تسع عشرة سنة وكانت له

حروب مع ملوك الشام وصاحب انطاكية الاسكندروس وهو الذي بنى مدينة فامية بين حمص وانطاكية (ثم ملك)

بعده على اليونانيين بطليموس ملك بطليموس محب الام) خمسا وثلاثين سنة (ثم ملك بعده بطليموس الصانع) سبعا وعشرين سنة (ثم ملك) بطليموس المخلص سبع عشرة سنة (ثم ملك بعده بطليموس الاسكندراني) اثنتي عشرة سنة (ثم ملك) بعده بطليموس الحديدي ثمان سنين (ثم ملك) بعده بطليموس الجوال ثمانيا وستين سنة وكانت له حروب كثيرة (ثم ملك) بعده بطليموس الحديد ثلاثين سنة (ثم ملكت) بعده ابنته قلبطره وكان ملكها اثنتين وعشرين سنة وكانت حكيمة متفلسفة مقتدر بها للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب مصنفة في الطب والزينة وغير ذلك من الحكمة مترجمة باسمها منسوبة اليها معروفة عند صنعه أهل الطب وهذه الملكة آخر ملوك اليونانيين الى أن انقضى ملكهم ودثرت أيامهم وامحت آثارهم وزالت علومهم الا ما بقي في أيدي حكمائهم وقد كان لهذه الملكة خبر طريف في موتها وقتلها لنفسها وقد كان لها زوج يقال له انطونيوس مشارك لها في ذلك مقدونيه وهي بلاد مصر من اسكندرية وغيرها فسار اليهم

بالرواية رحل في طلبها وتبحر في المعارف بسببها مع حظ من الادب كثير واختصاص بنفيس ونشر حج وبرع في الزهادة والورع فتعلق باستار الكعبة يسأل الله الشهادة ثم حرك في القتل ومرارته والسيف وحرارته فاراد ان يرجع ويستقيل الله تعالى فاستحيا وآثر نعيم الآخرة على شقاء الدنيا فاصيب في تلك الفتن مكلوما وقتل مظلوما ثم ذكر مثل مامر ومما قال في طريقه يتشوف الى افريقية

مضت لي شهور منذ غبتم ثلاثة * وما خلتني أبقى اذا غبتم شهرا
وما لي حياة بعدكم أستلذها * ولو كان هذا لم أكن في الهوى حرا
ولم يسلني طول التنائي عليكم * بلى زادني وجدا وجددلي ذكرا
بمثلكم لي طول شوقي اليكم * ويدنيكم حتى أناجيكم سرا
سأستعتب الدهر المفرق بيننا * وهل دانى أن صرت استعتب الدهرا
أعلل نفسي بالمنى في لقائكم * وأستسهل البر الذي جبت والبحرا
ويؤنسني طي المراحل عنكم * أروح على أرض وأغدو على أخرى
ونالله ما فارقتكم عن قلى لكم * ولكنها الاقدار تجري كما تجرى
رعتكم من الرحمن عين بصيرة * ولا كشفت أيدي النوى عنكم سترا

وقد عرف به ابن حيان في المقتبس وذكر قصة شهادته رحمه الله تعالى * (ومنهم الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري الشريشي المالكي) ولد بشريش سنة ٦٠١ ورحل الى العراق فسمع به المشايخ كالقطيع وابن زرويه وابن الكثير وغيرهم واشتغل وساد أهل زمانه واشتهر بين أقرانه ثم عاد الى مصر فدرس بالفاضلية ثم انتقل الى القدس الشريف فأقام به شيخ الحرم ثم جاء الى دمشق المحروسة بالله وتولى مشيخة الحديث بتربة أم الصالح ومشيخة الرباط الناصري ومشيخة المالكية وعرض عليه القضاء فلم يقبل وكانت وفاته يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصري ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى وذلك سنة خمس وثمانين وستمائة رحمه الله تعالى وليس هو بشارح المقامات بل هو غيره وقد اشتركا في البلد فبسبب ذلك ربما يقع في الاذهان الوهم في أمرهما وشارح المقامات أحمد وهذا محمد وقد ترجمنا لاحمد شرح المقامات فيما تقدم من هذا الباب فليراجع والله سبحانه وتعالى أعلم

* (ومنهم أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن المغلس القيسي الاندلسي البلنسي) كان من أهل العلم باللغة والعربية مشارا اليه فيهما رحل من الاندلس وسكن بمصر واستوطنها وقرأ الادب على أبي العلاء صاعد اللغوي صاحب الفصوص وعلى أبي يعقوب يوسف بن خرقان بمصر ودخل بغداد واستفاد وأفاد وله شعر حسن فمن ذلك قوله

مريض الجفون ملاعلة * ولكن قلبي به مرض
أعان السهاد على مقلتي * بفيض الدموع فما تغمض
وما زار شوقا ولكن أتى * يعرض لي أنني معرض

وله أشعار كثيرة وتوفي يوم الاربعاء لست بقين من جمادى الاولى سنة ٤٢٧ وقيل سنة ٤٢٩ بمصر وكان استوطنها وصلى عليه الشيخ أبو الحسن علي بن ابراهيم الحوفي صاحب

التفسير

التفسير فى مصلى الصدفى ودفن عند أبى اسحق رحمه الله تعالى ومغلس بضم الميم وفتح الغين وتشديد اللام المكسورة وبعدها سين مهملة وكانت بينه وبين أبى الطاهر اسمعيل بن خلف صاحب كتاب العنوان معارضات فى قصائد ومن شعر ابن المغلس أيضا قوله فى حمام

ومنزل أقوام اذا ما اغتمدوا به * تشابه فيه وغده ورئيسه
يخالط فيه المرء غير خليطه * ويفحى عدو المرء وهو جليسه
يفرج كربى ان تزايد كربه * ويؤنس قلبى ان يعد أنيسه
اذا ما أعرت الجو طرفا تكاثرت * على مائه أفاره وشموسه

*(ومنهم أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الحكيم الأديب المعروف بالمغربى) وهو من أهل المرية وانتقل الى المشرق وكان كامل الفضيلة وجمع بين الادب والحكمة وله ديوان شعر جيد والخلاعة والمجون غالبة عليه وذكر العماد فى الخريدة انه كان طبيب المارستان فى معسكر السلطان السلجوقى حيث حل وخيم وكان السيد يحيى بن سعيد المعروف بابن المرخم الذى صار أقضى القضاة ببغداد فى أيام المقتفى فاصد او طبيبا فى هذا المارستان وأثنى العماد على أبى الحكم المذكور وذكر فضله وما كان عليه وان له كتابا باسم منهج الوضاعة لاولى الخلاعة ثم ان أبا الحكم انتقل الى الشام وسكن دمشق وله فيها أخبار وماجريات ظريفة تدل على خفة روحه قال ابن خلكان رايت فى ديوانه أن أبا الحسين أحمد بن منير الطرابلسى كان عند الامراء بنى منقذ بقلعة شيزر وكانوا مقبلين عليه وكان بدمشق شاعر يقال له ابو الوحش وكانت فيه دعابة وبينه و بين ابى الحكم المذكور مداعبات فسأل منه كتابا الى ابن منير بالوصية عليه فكتب ابو الحكم

أبا الحسين اسمع مقال فتى * عوجل فيما يقول فارتجلا
هذا ابو الوحش جاء ممتدحا * للقوم فاهنأ به اذا وصلا
واتل عليهم بحسن شرحك ما * اثقله من حديثه جملا
وخبر القوم انه رجل * ما ابصر الناس مثله رجلا
تنوب عن وصفه شمائله * لا يبتغى عاقل به بدلا

ومنها

وهو على خفة به ابدا * معترف انه من الثقلا
يمت بالثلب والرقاعة والسخف وامّا يغبر ذاك فلا
ان انت فانحته لتخبرما * يصدر عنه فتحت منه خلا
فنبه ان حل خطة الخسف والهون ورحب به اذا رحلا
وأسقه السم ان ظفرت به * وامزج له من لسانك العسلا

وله اشياء مستملحة منها مقصورة هزلية ضاهى بها مقصورة ابن دريد من جملتها

وكل ملموم فلا بد له * من فرقة لو الزقوه بالغرا

وله مرثية فى عماد الدين بن يحيى بن آق سنقر الاتابكى شاب فيها الجد بالهزل والغالب على شعره الانطباع وتوفى ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة سنة ٤٩٥ وقيل فى السنة التى قبلها

بعده وسنذكر خبره فى ملوك الروم بعد هذا الموضع وكانت له حروب بالشام ومصر مع قلبطره الملكة ومع زوجها انطونيوس الى أن قتله ولم يكن لقلبطره فى دفع أغسطس ملك الروم عن ملك مصر حيلة وأراد أغسطس اعمال الحيلة فيها العلمه بحكمتها ولتعلم منها اذ كانت بقية الحكماء اليونانيين ثم بعدها يقتلها فراسلها وعلمت مراده فيها وما قد وترها به من قتل زوجها وجنودها فطلبت الحية التى تكون بين الجزائر ومصر والشام وهى نوع من الحيات تراعى الانسان حتى اذا تمكنت من النظر الى عضو من اعضائه قفزت اذرعا كثيرة كالرمح فلم تخط ذلك العضو بعينه حتى تثقل عليه سما فتأتى عليه ولا يعلم بها لخموده من فوره ويتوهم الناس انه قدمات فجأة حتف أنفه ورأيت نوعا من هذه الحيات بين بلاد خوزستان من كور الاهواز لما أراد بلاد فارس من البصرة وهو الموضع المعروف بحمار دوية بين مدينة دورق و بلاد الياسيان والعندم فى الماء

٤٩ ظ ل وهى حيات شبرية وتدعى هنالك القبرية ذات رأسين تكون فى الرمل وفى جوف تراب الارض فاذا أحست

بالانسان أوغيره من الى أى موضع من ذلك الحيوان فتلحقه من ساعته شدة الحياة وعدمها الحينه فبعثت قلبطره هذه الملكة فاحتمل لها حية من هذه المقدم ذكرها التى توجد باطراف الحجاز فلما أن كان اليوم الذى علمت أن أغسطس يدخل قصر ملكها أمرت بعض جواريها ومن أحبت فناءها قبلها وأن لايلحقها العذاب بعدها فسمتها فى اناثها فخمدت من فورها ثم جلست قلبطره الملكة على سرير ملكها ووضعت تاجها على رأسها وعليها ثيابها وزينة ملكها وجعلت أنواع الرياحين والزهر والفاكهة والطيب وما يجمع بمصر من عجائب الرياحين وغيرها مما ذكرنا مبسوطة فى مجلسها وقدام سريرها وعهدت بما احتاجت اليه من أمورها وفرقت حشمها من حولها فاشتغلوا بأنفسهم عن ملكتهم لما قد غشيهم من عدوهم ودخوله عليهم فى دار ملكهم وأدنت يدها من الاناء الزجاج الذى كانت فيه الحية فقربت يدها من فيه فتقلت عليها الحية فخفت مكانها وانسابت الحية وخرجت من الاناء ولم تجد بحرا ولا مدة بما تذهب فيه لاتقان تلك المجالس بالرخام وتوفى

بدمشق رحمه الله تعالى * والقاضى ابن المرخم المذكور هو الذى يقول فيه أبو القاسم هبة الله ابن فضل الشاعر المعروف بابن القطان

يا ابن المرخم صرت فينا قاضيا * خوف الزمان تراه أم جن الفلك
ان كنت تحكم بالنجوم فربما * أتاك بشرع محمد من أين لك

وكان أبو الحكم المذكور فاضلا فى العلوم الحكمية متقنا للصناعة الطبية حسن النادرة كثير المداعبة محبا للهو والخلاعة والشراب وكان يعرف صنعة الموسيقى ويلعب بالعود ويجلس فى دكان يجبرون للطب وسكناه بالاباديين وأتى فى ديوانه نهج الوضاعة بكل غريب يدل على انه أريب سامحه الله تعالى وغفر له * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق) * من هو الاحق بالتقديم والسبق الشهير عند أهل الغرب والشرق الحافظ المقرى الامام الربانى أبو عمرو الدانى عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الاموى مولاهم القرطبى صاحب التصانيف التى منها المقنع والتيسير وعرف بالدانى لسكناه دانية وولد سنة ٣٧١ وابتدأ يطلب العلم سنة ٣٨٧ ورحل الى المشرق سنة ٣٩٧ فمكث بالقيروان أربعة أشهر ودخل مصر فى شوالها فمكث بها سنة وحج ورجع الى الاندلس فى ذى القعدة سنة ٣٩٩ وقرأ بالروايات على عبد العزيز بن جعفر الفارسى وغيره بقرطبة وعلى أبى الحسن بن غلبون وخلف ابن خاقان المصرى وأبى الفتح فارس بن أحمد وسمع من أبى مسلم الكاتب وهو أكبر شيخ له ومن عبد الرحمن بن عثمان القشيرى وحاتم بن عبد الله البزار وغيرهما من أهل مصر وسواها وسمع من الامام أبى الحسن القابسى وخلف كتبه بالحجاز ومصر والمغرب والاندلس وتلا عليه خلق منهم مفرج الاقفالى وأبو داود بن نجاح صاحب التنزيل فى الرسم وهو من أشهر تلامذته وحدث عنه خلق كثير منهم خلف بن ابراهيم الطليطلى قال أبو محمد عبيد الله الحجرى ذكر بعض الشيوخ أنه لم يكن فى عصر الحافظ أبى عمرو الدانى ولا بعد عصره أحد يدانيه ولا يضاهيه فى حفظه وتحقيقه وكان يقول ما رأيت شيأ قط الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته فنسيته قال ابن بشكوال كان أبو عمرو أحد الائمة فى علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه واعرابه وجمع فى ذلك كله تواليف حسانا وله معرفة بالحديث وطرقه واعرابه وأسماء رجاله وكان حسن الخط والضبط من أهل الحفظ والذكاء واليقين وكان دينا فاضلا ورعا سنيا وقال بعضهم وأظنه المغامى كان أبو عمرو مجاب الدعوة مالكى المذهب وقال بعض أهل مكة ان أبا عمرو الدانى مقرئ متقدم واليه المنتهى فى علم القراآت واتقان القرآن والقراء خاضعون لتصانيفه واثقون بنقله فى القراآت والرسم والنحو يدو الوقف والابتداء وغير ذلك له مائة وعشرون مصنفا وروى عنه بالاجازة رجلان أحمد بن محمد بن عبد الله الخولانى وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبى حمزة وكانت وفاته رحمه الله تعالى بدانية فى نصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة * (ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن أحمد ابن أبى حبيب الاندلسى) من بيت علم ووزارة صرف عمره فى طلب العلم فى الفقه والحديث والادب وولى القضاء بالاندلس مرة ثم دخل الاسكندرية ومصر وجاور بمكة المشرفة ثم قدم العراق وأقام ببغداد مدة ثم رجع الى خراسان فاقام بنيسابور وبلخ وكانت ولادته ببلاد الاندلس

وتوفى بهراة فى شعبان سنة ٥٤٨ رحمه الله تعالى ورضى عنه (ومنهم أبو العباس احمد بن على بن محمد بن على بن شكر الاندلسى المقرى) رحل وأخذ القراآت عن أبى الفضل جعفر الهمدانى وسمع من أبى القاسم بن عبسى وسكن الفيوم واختصر التيسير وصنف شرحا للشاطبية وتوفى سنة ٦٤٠ رحمه الله تعالى * (ومنهم العلامة ذو الفنون علم الدين القاسم بن أحمد المرينى اللورقى المقرى النحوى) ولد سنة ٥٧٥ وقرأ القراآت وأحكم العربية وبرع فيها واجتمع بالجزولى وسأله عن مسئلة فى مقدمته وقرأ علم الكلام والاصولين والفلسفة وكان خبيرا بهذه العلوم متصودا باترائها وولى شيخة قراءة العادلية ودرس بالعزيزية نيابة وصنف شرحا للشاطبية وشرحا للمفصل فى عدة مجلدات وشرح الجزولية وغير ذلك وكان مليح الشكل حسن البزة وتوفى سنة ٦٦١ رحمه الله تعالى ورضى عنه * (ومنهم أبو عبد الله بن أبى الربيع القيسى الاندلسى الغرناطى) قدم مصر سنة ٥١٥ أو بعدها فسمع على السلفى وقرأ عليه جماعة من شيوخ مصر وكان لديه فقه وأدب ثم سافر الى باب الابواب وكان حيا سنة ٥٥٦ ومن نظمه يمدح كتاب الشهاب

ان الشهاب له فضل على الكتب * بما حوى من كلام المصطفى العربى
كم ضم من حكمة غراء موعظة * ومن وعيد ومن وعد ومن أدب
أما القضاعى فالرحمن يرحمه * كما حباه من التأليف بالعجب

* (ومنهم الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجى القرشى العبدرى) من أهل ميورقة من بلاد الاندلس سكن بغداد وسمع بها من أبى الفضل بن خيرون وطراد الزينبى وأبى عبد الله الحميدى وجماعة ولم يزل يسمع الى حين وفاته وكتب بخطه كثيرا من الكتب والاجزاء وجمع وخرج وكان صحيح العقل معتمد الضبط مرجوعا اليه فى الاتقان وكفاه فخرا وشرفا أن روى عنه الحافظان أبو طاهر السلفى وأبو الفضل محمد بن ناصر وكان فهامة علامة ذا معرفة بالحديث متعففا مع فقره وكان يذهب الى أن المناولة والعرض كالسماع وقال السلفى فيه انه من اعيان علماء الاسلام بمدينة السلام متصرف فى فنون من العلم ادبا ونحوا ومعرفة بانساب العرب والمحدثين وكان داودى المذهب قرشى النسب وقد كتب عنى وكتبت عنه وسمعنا معا كثيرا على شيوخ بغداد ومولده بقرطبة من مدن الاندلس وقبل اجتماعى به كنت أسمع اسمعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يثنى عليه فلما اجتمعنا وجدته فوق ما وصفه انتهى وقال ابن عساكر كان احفظ شيخ لقيته ورد بما حكى عنه بعضهم كابن عساكر امورا منكرة فالله اعلم وتوفى فى ربيع الآخر سنة ٥٢٤ ببغداد رحمه الله تعالى * (ومنهم ابو عبد الله محمد بن سعدون الباجى) سمع بمصر من ابن الوردوابن السكن وابن رشيق وبمكة من الآجرى وكان صالحا فاضلا زاهدا ورعا محدثا ومات ببطليوس فجاة سنة ٥٩٢ ومولده سنة ٥٢٢ * (ومنهم ابو بكر محمد بن سعدون التميمى الجزيرى المتعبد) كانت آدابه كثيرة وحج غير مرة ورابط ببلاد المغرب وكان حسن الصوت بالقرآن سمع بمصر من جماعة وبمكة وصحب الفقراء وطاف بالشام وغزا غزوات وتعرض للجهاد وحرض عليه وساح بجبل المقطم وذكر أنه صلى بمصر الضحى اثنتى عشرة ركعة ثم نام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان

الجلس فنظر اليها جالسة والتاج على رأسها فلم يشك فى انها تنطق فدنا منها فتبين انها ميتة فعجب وأعجب بتلك الرياحين فمد يده الى كل نوع منها بلمسه وتبينه ويعجب خواص من معه به ولم يدر ما سبب موتها فبينما هو كذلك من تناول تلك الرياحين وشمها اذ قفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها فبس شقه من ساعته وذهب بصره الايمن وسمعه فتعجب من فعلها وقتلها لنفسها وايثارها الموت على الحياة مع الذل ثم ما كادته به من القاء الحية بين الرياحين فقال فى ذلك شعرا بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها وأقام بعد ما نزل به ما ذكرنا يوما وهلك ولولا ان الحية كانت قد أفرغت سمها على الحارية ثم على قلبطره الملكة لكان أغسطس قد هلك من ساعته ولم تمهله هذه المدة وهذا الشعر معروف عند الروم الى هذه الغاية يذكرونه فى يومهم ويرثون به ملوكهم وربما ذكروه فى اغانيهم وهو متعالم معروف عندهم وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا سير هؤلاء الملوك وأخبارهم وحروبهم وطوافهم البلاد وأخبار حكمائهم وما أحدثوه من الآراء والنحل ومقالات فلاسفتهم وغير ذلك من أشرارهم وعجيب

أخبارهم والذي يعوّل عليه من عدد ملوكهم واتفق على ذلك أهل المعرفة باخبارهم أن جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكا آخرهم الملكة قلبطره وأن جميع عدد سني ملوكهم ومدة أيامهم وامتداد ساعاتهم ثلثمائة سنة وسنة واحدة وكان كل ملك يملك على اليونانيين من بعد الاسكندر فيلبش يسمى بطليموس وهذا الاسم الاعم الشامل لملكهم كتسمية ملوك الفرس كسرى وتسمية ملوك الروم قيصر وتسمية ملوك اليمن تبع وتسمية ملوك الحبشة النجاشي وتسمية ملوك الزنج وهلمين وقد ذكرنا جملا من مراتب ملوك العالم وسماتهم واسمهم الاعم الشامل لهم فيما سلف من كتابنا وسنورد بعد هذا الموضع بالموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا عن ذكر الملوك والممالك ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الروم وما قاله الناس في أنسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم)

تنازع الناس في الروم ولاية علة سموا بهذا الاسم فمنهم من قال سموا روما لاضافتهم الى مدينة رومية واسمها روماس بالرومية وعرب هذا الاسم فسمي من كان بها روما وكذلك الروم في لغتهم لا يسمون أنفسهم ولا يدعون أهل الثغور

والكلا والليث اختلفا في الضحى فالك يقول ثنتا عشرة ركعة والليث يقول ثمانية فضرب عليه الصلاة والسلام بين وركي ابن سعدون وقال رأي مالك هو الصواب ثلاث مرات قال وكان في وركي وجع فمن تلك الليلة زال عني وكان له براهين من نور يضيء عليه اذا صلى ونحوه وأنشد

سجن اللسان هو السلامة للفتى * من كل نازلة لها استئصال
ان اللسان اذا حلات عقاله * ألقاك في شنعاء ليس تقال

توفي سنة ٣٤٤ *(ومنهم ابو عبد الله محمد بن سعد الاعرج الطليطلي الخطيب) ويقال فيه ابن سعيد سمع بمصر ابن الوردوابن السكن وحدث مولده سنة ٣٠٩ وتوفي في ربيع الآخر سنة ٣٨٤ (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن اسحق بن يوسف الاموي القرطبي) وأصله من بلة ولكن سكن قرطبة وقدم مصر وحج وسمع في طريقه من الشيخ أبي محمد بن أبي زيد صاحب الرسالة وأخذ عن القابسي وعن جماعة من علماء مصر والحجاز ومولده سنة ٣٠٢ ورحلته سنة ٤١٨ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حسان بن الحكم بن هشام القرطبي) سمع من أبيه ويحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب ورحل فسمع من أشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم وعاد الى الاندلس وبها توفي سنة ٢٦٠ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري الشاطبي نزيل اسكندرية ويعرف بابن أبي الربيع) أحد أولياء الله تعالى شيخ الصالحين صاحب الكرامات المشهورة جمع بين العلم والعمل والورع والزهد والانقطاع الى الله تعالى والتخلي عن الناس والتمسك بطريقة السلف قرأ القرآن ببلده بالقراآت السبع على أبي عبد الله محمد بن سعادة الشاطبي وغيره وقرأ بدمشق على الواسطي وسمع عليه الحديث ورحل فسمع من الزاهد أبي يوسف يعقوب خادم أضياف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبره ومنبره سنة ٦١٧ وسمع بدمشق على أبي القاسم بن صصري وأبي المعالي بن خضر وأبي الوفاء بن عبد الحق وغيرهم وانقطع لعبادة الله تعالى في رباط سوار من الاسكندرية بتربة أبي العباس الراسي وتلمذ للشاطبي تلميذ الراسي وصنف كتبا حسنة منها كتاب المسلك القريب في ترتيب الغريب وكتاب اللمعة الجامعة في العلوم النافعة في تفسير القرآن العزيز وكتاب شرف المراتب والمنازل في معرفة العالي في القراآت والنازل وكتاب المباحث السنية في شرح الحصرية وكتاب الخرقة في لباس الخرقة وكتاب المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد وكتاب النبذ الجلية في ألفاظ اصطلح عليها الصوفية وكتاب زهر العريش في تحريم الحشيش وكتاب الزهر الماضي في مناقب الشاطبي وكتاب الاربعين المضية في الاحاديث النبوية ومولده بشاطبة سنة ٥٨٠ ووفاته بالاسكندرية في رمضان سنة ٦٧٢ ودفن بتربة شيخه المجاورة لزاويته رحمهما الله تعالى ونفع بهما *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني الاشبيلي) قدم مصر وسمع بها من ابن نفيس وأبي علي الحسن البغدادي وأبي جعفر النحوي وأبي القاسم بن الطيب البغدادي الكاتب وبمكة من أبي ذر الهروي قال ابن بشكوال كان من جلة المقرئين وخيارهم ثقة في روايته وكانت رحلته الى المشرق سنة ٤٢٣ وولد سنة ٣٩٢ وتوفي سنة ٤٧٦ وعمره

أربع وثمانون سنة الا خمسة وخمسين يوما وروى باشبيلية عن جماعة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح الانصاري المالقي) قال الدلفي هو شاب من أهل الادب له خاطر سمح كان يحضر عندي بالاسكندرية كثير السماع للحديث وذكر أنه قرأ الادب على أبي الحسين بن الطراوة النحوي بالاندلس وعلى نظرائه وأنشدني لنفسه

كم ذا تقلقلني النوى وتسوقني * والى متى أشجى بها وأسام
ألفت ركائبي الفلا فكأنما * للبين عهد بيننا وذمام
ياويح قلبي من فراق أحبة * أبدا تصدعه به الايام

*(ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح القمحطاني المعافري الاندلسي المالكي) رحل الى المشرق وسمع بالشام من خيثمة بن سلمان وبمكة أبا سعيد بن الاعرابي وببغداد محمد بن اسمعيل بن محمد الصفار وسمع بالمغرب بكر بن حماد التاهرتي ومحمد بن وضاح وقاسم بن اصبغ وغيرهم وبمصر جماعة من أصحاب يونس والمزني روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا به بهمذان مات ببخارى سنة ٣٨٣ وقيل سنة ثمان وقيل سنة تسع وسبعين وقال فيه أبو سعيد الادلسي انه كان من أفاضل الناس ومن ثقاتهم وقال غنجار انه كان فقيها حافظا جمع تاريخا لاهل الاندلس وقال السمعاني فيه كان فقيها حافظا رحل في طلب العلم الى المشرق والمغرب رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر علي بن عيسى الخزرجي الدانى النحوي أخو أبي العباس بن عيسى) سمع بدانية من أبي داود المقرى وغيره وقدم دمشق سنة ٥٠٤ حين خرج حاجا وأقرأ بدمشق النحو مدة ثم خرج الى بغداد وأقام بها الى أن مات سنة ٦١٩ وولد سنة ٥١٢ وقدم مصر سنة ٥٧٢ وله من المصنفات كتاب تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب ومن كلامه ليست هيبة الشيخ لشيبه ولا لسنه ولا لشخصه ولكن لكمال عقله والعقل هو المهاب ولو رأيت شخصا جمع جميع الخصال وعدم العقل لما هبته وقال من جهل شيأ عابه ومن قصر عن شئ هابه

*(ومنهم القاضي الشهير محمد بن بشير وهو محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري) وقيل في آبائه غير ذلك كما يأتي ولما أشير على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بتقديم ابن بشير الى خطة القضاء بقرطبة وجه اليه بياجة فأقبل ولا يعلم ما دعي اليه ونزل على صديق له من العباد فتحدث في شأن استدعائه وقدم أنه يعرف فن الكتابة فقال له العابد ما أراه بعث فيك الا للقضاء فان القاضي بقرطبة مات وهي الآن دون قاض فقال ابن بشير فأنا أستشير لك في ذلك ان وقع فقال أسألك عن أشياء ثلاثة وأعزم عليك أن تصدقني فيها ثم أشير بعد ذلك عليك فقال ماهي فقال كيف حبك للاكل الطيب واللباس اللين وركوب الفاره فقال والله لا أبالي ما رددت به جوعي وسترت به عورتي وحملت به رحلي فقال هذه واحدة فكيف حبك للتمتع بالوجوه الحسان والتبطن للكواعب الغيد وماشاكل ذلك من الشهوات فقال هذه حال والله ما استشرفت قط اليها ولا خطرت ببالي ولا اكترثت لفقدها فقال وهذه ثالثة فكيف حبك لمدح الناس لك وثنائهم عليك وكيف حبك للولاية وكراهيتك للعزل فقال والله ما أبالي في الحق من مدحني أو ذمني وما أسر للولاية ولا أستوحش للعزل فقال وهذه

ابن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ومنهم من رأى انهم سموا باسم جدهم روى بن ليطن بن يونان بن يافث بن بربه بن سرحون بن روميه بن مربط بن نوفل بن روبن بن الاصفر بن اليغز بن العيص ابن اسحق بن ابراهيم عليه السلام وتدنى كر جماعة ممن سلف من شعراء العرب قبل ظهور الاسلام ذلك الاشتهار ما وصفنا فيهم منهم عدي بن زيد العبادي حيث يقول

وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

وقد كان العيص بن اسحق وهو عيصو تزوج من بنات الكنعانيين فأكثر أولاده منهم وقد قيل ان العماليق وهم العرب البادية الذين كانوا بالشام من ولد اليغز ابن عيصو وهذا ما لا ينقاد اليه علماء العرب الا في الروم دون ما ذكرنا من العماليق وغيرهم وهذه الانساب كلها تتعلق بما في التوراة وغيرها من كتب العبرانيين (قال المسعودي) وغلبت الروم على ملك اليونانيين لاخبار يطول ذكرها ويتعذر في هذا الكتاب

شرحها وكان أول من ملك من ملوك الروم فيها ساطوحاس وهو جانيوس الاصغر ابن روم بن شماحلين

لثالثة اقبل الولاية فلا باس عليك فتقدم قرطبة فولاه الامير الحكم القضاء والصلاة قال ابن وضاح أخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلا على باب المسجد الجامع يوم الجمعة وعليه رداء معصفر وفي رجله نعل صرارة وله جمة مفرقة ثم يقوم فيخطب ويصلي وهو في هذا الزي وبه كان يجلس للقضاء بين الناس فان رام أحد من دينه شيأ وجده أبعد من الثريا وأتاه رجل لا يعرفه فلما رأى ما هو فيه من زي الحداثة من الجمة المفرقة والرداء المعصفر وظهور الكحل والسواك وأثر الحناء في يديه توقف وقال دلوني على القاضي فقيل له هاهو وأشير اليه فقال اني رجل غريب وأراكم تستهزؤن بي أنا أسالكم عن القاضي وأنتم تدلوني على زامر فحصوا له أنه القاضي فتقدم اليه واعتذر فاداناه وتحدث معه فوجد عنده من العدل والانصاف فوق ما ظنه فكان يحدث بقصته معه وعوتب في ارسال لمته ولبسه الخز والمعصفر فقال حدثني مالك بن أنس أن محمد بن المنكدر وكان سيد القراء كانت له لمة وأن هشام بن عروة فقيه هذا البلد يعني المدينة كان يلبس المعصفر وأن القاسم بن محمد كان يلبس الخز ولقد سئل يحيى بن يحيى عن لباس العمائم فقال هي لباس الناس في المشرق وعليه كان امرهم في القديم فقيل له لو لبستها لاتبعك الناس في لباسها فقال قد لبس محمد بن بشير الخز فاتبعه الناس فيه وكان ابن بشير أهلا أن يقتدى به فلعلي لو لبست العمامة لتركني الناس ولم يتبعوني كما تركوا ابن بشير وكان أول ما نظر فيه محمد بن بشير حين ولي القضاء التسجيل على الخليفة الحكم في ارخلي ٣ القنطرة اذ قيم عليه فيها وثبت عنده حق المدعي وأعذر الى الحكم فلم يكن عنده مدفع فسجل فيها وأشهد على نفسه فامضت مديدة حتى ابتاعها الحكم ابتياعا صحيحا فسر بذلك وقال رحم الله محمد بن بشير فلقد أحسن فيما فعل بنا على كره مما كان في أيدينا شيء مشبه فصححه لنا وصار حلالا طيب الملك في أعقابنا وحكم على ابن فطيس الوزير ولم يعرفه بالشهود فرفع الوزير ذلك الى الحكم وتظلم من ابن بشير فأوما الحكم اليه ان الوزير كره حكمك عليه بشهادة قوم لم تعرفهم بهم ولا اعذرت اليه فيهم وان أهل العلم يقولون ان ذلك له فكتب اليه ابن بشير ليس ابن فطيس ممن يعرف بمن شهد عليه لانه ان لم يجد سبيلا الى تجريحهم لم يخرج عن طلب أذاهم في أنفسهم وأموالهم فيدعون الشهادة هم ومن ائتسى بهم وتضييع أموال الناس وأكثر موسى بن سماعة أحد خواص الامير الحكم في ابن بشير الشكاية وأنه يجور عليه فقال له الحكم أنا أمتحن قولك الساعة فاخرج اليه فورا واستاذن عليه فان أذن لك عزلته وصدقت قولك فيه وان لم يأذن لك دون خصمك ازددت بصيرة فيه فليس هو عندي بجائر على حال وانما مقصده الحق في كل ما يتصرف فيه فخرج يؤم دار ابن بشير وقد أمر الحكم من يثق به من الفتيان الصقالبة أن يقفوا اثره ويعلموا ما يكون منه فلم يكن الا ريثما بلغ ثم انصرف فحكى للحكم أنه لما خرج الاذن الى موسى وعلم القاضي بمكانه عاد اليه فقال له ان كانت لك حاجة فاقصد فيها اذا جلس القاضي مجلس القضاء فتبسم الحكم وقال قد أعلمته أن ابن بشير صاحب حق لا هوادة فيه عنده لاحد * وولي القضاء مرتين فلما عزل المرة الاولى انصرف الى بلده وكان بعض اخوانه يعاتبه في صلابته ويقول له أخشى عليك العزل فيقول له ليته قدران

كان ملك اثنتين وعشرين سنة وقد قيل ان أول من ملك من ملوك الروم قيصر واسمه هالوس ابن افليوس ثمان عشرة سنة وفي نسخة أخرى ان أول من ملك من ملوك الروم بعد اليونانيين بوليس سبع سنين ونصفا وكانت مدينة رومية بنيت قبل الروم باربعمائة سنة (ثم ملك) بعده أغسطس بن قيصر ستا وخمسين سنة وهذا الملك هو الاول من ملوك الروم واسمه قيصر وهو الثاني من ملوكهم وتفسير قيصر أي شق عنه وذلك ان أمه ماتت وهي حامل به فشق بطنها فكان هذا الملك يفتخر في وقته بان النساء لم تلده وكذلك من حدث بعده من ملوك الروم ممن كان من ولده يفتخرون بهذا الفعل وما كان من أنهم صارت سمة لمن طرأ بعده من ملوك الروم والله أعلم * وغزا هذا الملك الشام ومصر والاسكندرية وأزال من بقي من ملوك الاسكندرية ومقدونية وهي مصر وقد قدمنا ان كل ملك كان بلي مقدونية والاسكندرية يسمى بطليموس واحتوى هذا الملك أعني أغسطس على خزائن ملوك الاسكندرية ومقدونية ونقلها الى رومية وكانت له حروب كثيرة في الارض وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وكان يعبد الاوثان وبنى بأرض الروم

الشقراء يعني بغلته تقطع الطريق بي حادة نحو باجة فمضى الايسير حتى عتب عليه الامير في قصة اشتد فيها على بعض خاصته فكانت سببا لعزله وانصرف كما تمنى فلم يمكث الايسيرا حتى أتى فيه رقاص من قبل الامير الحكم والرقاص عند المغاربة هو الساعي عند المشارقة فعاد الى قرطبة وجبره على القعود للقضاء الامير الحكم فلاذ منه باليمين بطلاق زوجته و بصدقة ماله في سبيل الله تعالى ان حكم بين اثنين فلم يعذره وأخرجه من ماله وعوضه من طيب ما عنده ووهب له جارية من جواريه فعاد الى القضاء ثانية * ومما يحكى عنه في العدل ان سعيد الخير ابن السلطان عبد الرحمن الداخل وكل عند ابن بشير وكيلا لخاصم عنه لشئ اضطر اليه وكانت بيده فيه وثيقة فيها شهادات شهود قد ماتوا ولم يكن فيها من الاحياء الا الامير الحكم وشاهد آخر مبرز فشهد لسعيد الخير ذلك الشاهد وضربت على وكيله الآجال في شاهد ثان وجد به الخصام فدخل سعيد الخير بالكتاب الى الحكم وأراه شهادته في الوثيقة وقد كان كتبها قبل الخلافة في حياة أبيه وعرفه مكان حاجته الى ادائها عند قاضيه خوفا من بطلان حقه وكان الحكم يعظم سعيد الخير عمه و يلتزم مبرته فقال له يا عم اما السنا من أهل الشهادات وقد التمسنا من هذه الدنيا ما لا تجهله ونخشى أن توقفنا مع القاضي موقف مخزاة كنا نفديه بملكنا فاصرف في خصامك حيث صيرك الحق اليه وعلينا خلف ما انتقصك فأبى عليه وقال سبحان الله وما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك وأنت وليته وهو حسنة من حسناتك وقد لزمتك في الديانة أن تشهد لي بما علمته ولا تكتمني ما أخذ الله عليك فقال بلى ان ذلك لمن حقك كما تقول ولكنك تدخل علينا به داخلة فان أعفيتنا منه فهو أحب الينا وان اضطررتنا لم يمكنا عقوقك فعزم عليه عزم من لم يشك أن قد ظفر بحاجته وضايقته الآجال فألح عليه فأرسل الحكم عند ذلك الى فقيهين من فقهاء زمانه وخط شهادته بيده في قرطاس وختم عليها بخاتمه ودفعها الى الفقيهين وقال لهما هذه شهادتي بخطي تحت ختمي فاديا ها الى القاضي فأتاه بها الى مجلسه وقت معوده للسماع من الشهود فأديا ها اليه فقال لهما قد سمعت منكما فقوما راشدين في حفظ الله تعالى وجاء وكيل سعيد الخير وتقدم اليه مدلا واثقا وقال له أيها القاضي قد شهد عندك الامير أصلحه الله تعالى فما تقول فأخذ كتاب الشهادة ونظر فيه ثم قال للوكيل هذه شهادة لا نعمل عندي بمثلها عدل فدهش الوكيل ومضى الى سعيد الخير فأعلمه فركب من فوره الى الحكم وقال ذهب سلطاننا وأزيل بها ؤنا يجترئ هذا القاضي على رد شهادتك والله سبحانه قد استخلفك على عباده وجعل الامر في دمائهم وأموالهم اليك هذا ما يجب أن تحمله عليه وجعل يغريه بالقاضي ويحرضه على الايقاع به فقال له الحكم وهل شككت أنا في هذا يا عم القاضي رجل صالح وألله لا تأخذه في الله لومة لائم فعل ما يجب عليه و يلزمه وسد دونه بابا كان يصعب عليه الدخول منه فأحسن الله تعالى جزاءه فغضب سعيد الخير وقال هذا احسبي منك فقال له نعم قد قضيت الذي كان لك علي ولست والله أعارض القاضي فيما احتاط به لنفسه ولا أخون المسلمين في قبض يد مثله ولما عوتب ابن بشير فيما أتاه من ذلك قال لمن عاتبه يا عاجزا ما تعلم أنه لابد من الاعذار في الشهادات فمن كان يجترئ على الدفع في شهادة الامير لو

بساحل فلسطين مدينة قيسارية وكان مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بها وهو بسوع الناصري على حسب ما قدمنا الاثنتين وأربعين سنة خلت من ملك قيصر أغسطس هذا فكان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ورأيت بمدينة انطاكية في بعض تواريخ الروم الملكية في كنيسة القسيان أنه كان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع سنين وكان مولد بسوع الناصري بايليا من بلاد فلسطين وهو أورشليم بالعبرانية في هبوط آدم الى مولد المسيح في تواريخ اصحاب الشرائع من أهل الكتب خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة وخمسون سنة وأقام اغسطس وهو قيصر ملكا بعده ولد المسيح أربع عشرة سنة ونصفا وكان مدة ملكه على الروم برومية وفي سائر أسفاره ستة وخمسين سنة على حسب ما قدمنا من موته ولسع الحية اياه بمقدونية وجفاف نصفه وذهاب سمعه وبصره عند ذكرنا لعل قلبطره بنفسها في الباب الذي قبل هذا الباب

(ثم ملك الروم بعده) طيماريوس وكان مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة وثلاث سنين بقيت من ملكه وقع المسيح

في الملك مائتي سنة وثمانية وتسعين سنة لانظام لهم ولا ملك يجمعهم ولما انقضى ماذكرنا من المدة ملكوا عليهم بطاريس بمدينة رومية فكان ملكه أربع سنين والقوم لا يعرفون غير عبادة التماثيل والصور (ثم ملك بعده) فلوريوس أربع عشرة سنة وذلك برومية وهو أول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى وأتباع المسيح وقيل ان في أيامه قتل برومية بطرس واسمه باليونانية شمعون والعرب تسميه سمعان هو وبولص صلبا منكسين وما كان من خبرهما مع سيمن الساحر برومية وهما ممن أتى الى أنطاكية وأخبر الله عز وجل عنهما في سورة يس ثم كان لهما بعد ذلك نبأ عظيم وذلك بعد ظهور دين النصرانية برومية فجعلا في أجر به من البلور فهما على ذلك بمدينة رومية في بعض الكنائس الى هذه الغاية على حسب ماقدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب واكثر من عنى باخبار العالم وسير ملوكهم وتاريخهم فذهب قوم الى أنهما قتلا برومية في ملك الخامس من ملوك الروم وتفرق تلاميذ يسوع الناصري في الارض فسار مارا الى العراق طريق

قبلتها ولولم أعذر لبخست المشهود عليه حقه * وتوفي القاضي محمد بن بشير سنة ١٩٨ قبل الشافعي بست سنين كما يأتي قريبا ومحاسنه رحمه الله تعالى كثيرة وقد استوفى ترجمته بقدر الامكان القاضي عياض في المدارك فليراجعها من أرادها فان عهدي بها في المغرب * وقال بعض من عرف به مانصه القاضي محمد بن بشير بن شمد المعافري أصله من جند باجة من عرب مصر ولاه الحكم بن هشام قضاء القضاة الذي يعبرون عنه بالمغرب بقضاء الجماعة بقرطبة بعد المصعب بن عمران ثم صرفه وولى مكانه الفرج بن كنانة وعن ابن حارث قال أحمد بن خالد طلب محمد بن بشير العلم بقرطبة عند شيوخ أهلها حتى أخذ منه بحظ وافر ثم كتب لاحد أولاد عبد الملك بن مروان لمظلمة نالته على وجه الاعتصام به وتصرف معه تصرفا لطيفا ثم انقبض عنه وخرج حاجا قال ابن حارث وكتب محمد بن بشير في حداثته للقاضي مصعب بن عمران ثم خرج حاجا فلقي مالك بن أنس وجالسه وسمع منه وطلب العلم أيضا بمصر ثم انصرف فلزم ضيعته في باجة وقال ابن حيان انه استقدم من باجة للقضاء رأى العباس بن عبد الملك وقال ابن شعبان في الرواة عن مالك من أهل الاندلس محمد بن بشير ابن سرافيل ويقال شراحيل ولي القضاء وكان رجلا صالحا وبعدله تضرب الامثال واستوطن قرطبة وتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائة انتهى وبعضه عن غيره ومن شعره قوله

انما أثرى بقدري أنني * لست من بابة أهل البلد
ليس منهم غير ذي مقلية * لذوي الالباب أوذي حسد
يتحامون لقائي مثل ما * يتحامون لقاء الاسد
مطلعي أثقل في أعينهم * وعلى أنفسهم من أحد
لو رأوني وسط بحر لم يكن * أحد يأخذ منهم بيدي

*(ومنهم محمد بن عيسى بن دينار الغافقي) من أهل قرطبة كان فقيها زاهدا ورع وحضر افتتاح اقريطش واستوطنها قاله الرازي *(ومنهم محمد بن يحيى بن يحيى الليثي) خرج حاجا ولقي سحنون بن سعيد بافريقية ولقي بمصر رجالا من أصحاب مالك فسمع منهم وعرف بالفقه والزهد وجاور بمكة وتوفي هنالك *(ومنهم محمد بن مروان بن خطاب المعروف بابن أبي حمزة) رحل حاجا هو وابناه خطاب وعميرة في سنة اثنتين وعشرين ومائتين وسمعوا ثلاثتهم من سحنون بن سعيد المدونة بالقيروان وأدركوا أصبغ بن الفرج وأخذوا عنه *(ومنهم محمد بن أبي قلاعة البواب من أهل قرطبة) كانت له رحلة الى المشرق ولقي فيها جماعة من أهل العلم وأخذ عن أبي اسحق الزجاجي وعن أبي بكر بن الانباري وعن أبي الحسن علي بن سليمان الاخفش وأبي عبد الله نفطويه وغيرهم وسمع من الاخفش الكامل للمبرد وقال الحكم المستنصر لم يصح كتاب الكامل عندنا من رواية الا من قبل ابن أبي قلاعة وكان ابن جابر الاشبيلي قد رواه قبل بمصر بمدة وما علمت أحدا رواه غيرهما وكان ابن الاحمر القرشي يذكر انه رواه وكان صدوقا ولكن كتابه ضاع ولو حضر ضاهى الرجلين المتقدمين *(ومنهم محمد بن حزم بن بكر التوخي) من أهل طليطلة وسكن قرطبة يعرف بابن المديني سمع من أحمد بن خالد وغيره وصحب محمد بن مرة الجبلي قديما واختص بمرافقته في

طريق الحج ولازمه بعد انصرافه وكان من أهل الورع والانقباض وحكى عن ابن مسرة أنه كان في سكناه المدينة يتتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم قال وداس بعض أهل المدينة على دار مارية أم ابراهيم سرية النبي صلى الله عليه وسلم فقصد اليها فاذا هي دويرة لطيفة بين البساتين بشرقي المدينة عرضها وطولها واحد فدشق في وسطها بحائط وفرش على حائطها خشب غليظ يرتقي الى ذلك الفرش على خارج لطيف وفي أعلى ذلك بيتان وسقيفة كانت مقعد النبي صلى الله عليه وسلم في الصيف قال فرأيت أبا عبد الله بعد ما صلى في البيتين والسقيفة وفي كل ناحية من نواحي تلك الدار ضرب أحد البيتين بشبر وشكنفته بعد انصرافي وهو ساكن في الجبل عن ذلك فقال هذا البيت الذي ترائي فيه بنيته على تلك الحكاية في العرض والطول بلا زيادة ولا نقصان انتهى *(ومنهم محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عائش والد أبي زكريا الراوية من أهل طرطوشة يكنى أبا بكر تأدب بقرطبة وسمع بها من قاسم بن أصبغ ومحمد بن معاوية القرشي وأحمد بن سعيد ومندر بن سعيد وأبي علي القالي وغيرهم وكان حافظا للنحو واللغة والشعر يفوت من جاراه على حداثة سنه شاعر مجيد ارسالا بليغا ورحل مع أبيه الى المشرق سنة تسع وأربعين وثلثمائة فسمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وحمزة الكناني وغيرهم وسمع أيضا بالبصرة وبغداد كثيرا وخرج الى أرض فارس فسمع هنالك وجمع كتبا عظيمة وأقام بها الى أن توفي باصبهان مغتبطا مع السنين وثلثمائة ومولده بطرطوشة صدر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ذكره ابن حيان رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن عبدون الجبلي العدوي من أهل قرطبة) أدب بالحساب والهندسة ورحل في سنة سبع وأربعين وثلثمائة فدخل مصر والبصرة وعنى بعلم الطب فبرز فيه ودير مارستان الفسطاط ثم رجع الى الاندلس في سنة ستين وثلثمائة فاتصل بالمستنصر بالله وابنه المؤيد بالله وله في التكسير تاليف حسن رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن الازدي الفراء القرطبي) صحب أبا بكر بن يحيى بن مجاهد واختص به واصف محله منه وقرأ عليه القرآن ورحل صحبته لاداء فريضة الحج وكان رجلا صالحا كثير التلاوة للقرآن والخشوع اذا قرأ يبكي ويرتل ويبين في مهل ويقول أبو بكر علمني هذه القراءة وحكى انه سرد الصوم اثنتي عشرة سنة قبل موت ابن مجاهد مفطرا الكل ليلة وقت الافطار ثم تمادى على ذلك بعد موته مفطرا عقب العشاء الآخرة لالتزامه الصلاة من المغرب اليها نزيد من الخير واجتهادا في العمل *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن صبح المعافري الاندلسي) رحل الى المشرق فسمع خيثمة بن سليمان وأبا سعيد بن الاعرابي واسمعيل بن محمد الصفار وبكر بن حماد التاهرتي وغيرهم روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا بهم ذا سنة احدى وأربعين يعني وثلثمائة فتوجه منها الى أصبهان وكان قد سمع في بلاده وبمصر من أصحاب يونس وبالحجاز وبالشام وبالجزيرة من أصحاب علي بن حرب وببغداد وورد نيسابور في ذي الحجة سنة احدى وأربعين فسمع الكثير ثم خرج الى مرو ومنها الى بخارى فتوفي بها في رجب من سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وروى عنه أيضا أبو القاسم بن حبيب النيسابوري وغيرهما ذكره ابن عساكر وأسند اليه قوله

علي بن عيسى بن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتاب فقبره هنالك في كنيسة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بعظمه أهل دين النصرانية ومضى توما وكان من الاثني عشر الى بلاد الهند داعيا الى شرعه المسيح فمات هنالك وسار آخرا الى آخر مدينة بخراسان فمات هنالك وموضع قبره مشهور يعظمه النصارى ومنهم ارد مات ببلاد قوف وجا البحار وكرخ جران في شوم العراق وموضعه مشهور ومات مارفس بالاسكندرية من أرض مصر وقبره هنالك وهو أحد التلاميذ الاربعة الذين ألفوا الانجيل وقد ذكرنا لمارقس مع أهل مصر خبر ظفر في مقتله قد أتينا على السبب في ذلك في كتابنا الاوسط الذي كتبناه لهذا تال له وأتينا على قصته مع أهل مصر ووصيته لهم حين أراد المسير الى المغرب انه من جاءكم على صورتي فاقتلوه فانه سيرد عليكم بعدي اناس يتشبهون بي فبادروا الى قتلهم ولا تقبلوا منهم ما يقولون ومضى وغاب عنهم برهة من الزمان ولم يلحق بحيث أراد فرجع اليهم فلما هموا بقتله قال لهم ويحكم أنا

ودعت قلبي ساعة التوديع * وأطعت قلبي وهو غير مطيعي
ان لم أشيعهم فقد شيعتهم * بمشيعين تفسي ودموعي

وذكره ابن الفرضي وقال انه استوطن بخارى وجعل وفاته بها سنة ثمان وسبعين والاول قول الحاكم وهو أصح * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري السرقسطي) روى عنه الباجي وابن عبد البر ورحل حاجا فقدم دمشق وحدث بها عن شيوخه الاندلسيين وعن أبي حفص عمر بن أبي القاسم بن أبي زيد القفصي وذكره ابن عساكر وقال سمع عنه أبو محمد الاكفاني وحكى عنه تدليس ضعفه به وتوفي سنة ٤٧٧ * (ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عيسى بن بقاء الانصاري) من بلاد الثغر الشرقي أخذ القراآت بالسبع وأخذ عنه جماعة من أهلها وكان شيخا فاضلا حافظا للحكايات قليل التكلف في اللباس ذكره ابن عساكر وقال رأيته وسمعته ينشد قصيدة يوم خرج الناس للصلى للاستسقاء على المنبر أولها

أستغفر الله من ذنبي وان كبرا * وأستقل له شكرا وان كثرا

وكان يسكن في دار الحجارة ويقرئ بالمسجد الجامع ولد في الثاني والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة وتوفي يوم الاربعاء عند صلاة العصر ودفن يوم الخميس لصلاة الظهر الثاني من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ودفن في مقابر الصحابة بالقرب من قبر أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال وشهدت أنا غسله والصلاة عليه ودفنه وذكره السلفي * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر بن علي بن عيسى الانصاري الخزرجي) من أهل دانية سمع كتاب التفسي لابن عبد البر ولقي أبا الحسن الحصري ثم خرج حاجا فقدم دمشق سنة اربع وخمسمائة وأقام بها مدة يقرئ العربية وكان شديد الوسوسة في الوضوء ذكره ابن عساكر وقال أنشدني أخي أبو الحسن هبة الله بن الحسن الفقيه قال أنشدنا ابن طاهر الاندلسي بدمشق قال انشدني الحصري لنفسه

يموت من في الانام طرا * من طيب كان ومن خبيث
فمستريح ومستراح * منه كما جاء في الحديث

قال وأنشدني الحصري لنفسه

لو كان تحت الارض أو فوق الدرى * حرا يبح له العدو الوذي
فاحذر عدوك وهو أهون هين * ان البعوضة أردت النمروذا

* (ومنهم محمد بن أبي سعيد الفرج بن عبد الله البزاز) من أهل سرقسطة لقي بدانية الحصري وسمع منه بعض منظومه ورحل حاجا فأدى الفريضة ودخل العراق فسمع من جماعة وأجازوا له منهم ابن خيرون والحميدي وأبو زكريا النبريزي وابن المبارك عبد الجبار وثابت بن بندار وهبة الله بن الاكفاني وغيرهم ونزل الاسكندرية وحدث بها وأخذ الناس عنه وتوفي هنالك وانشد للحصري

الناس كالارض ومنهاهم * من خشن اللمس ومن لين
وتشتكي الارجل منها الوجى * واعمد يجعل في الاعين

وروى عنه ابن الخضرمي وابن جارة وغيرهما * (ومنهم أبو بكر محمد بن الحسين) الشهير

تركك ولابد من قتلك فقتلوه وقد كان قبل ذلك سئل في بدء الامر عن البراهين المؤيدة لقوله وطلبوا منه المعجزات وقال له بعضهم ان كنت صادقا فيما أتيتنا به فاعرج الى هذه السماء ونحن نراك فنزع عنه زيه وائتزر بمئزر صوف على أن يصعد الى السماء فتعلق به جماعة من تلامذته وقالوا له ان مضيت فمن لنا بعدك اذ كنت الاب وكان أمره بعد ذلك على ما وصفنا وتلاميذ المسيح اثنان وسبعون تلميذا واثنا عشر من غير الاثنين والسبعين فاما الذين نقلوا الانجيل فهم لوقا ومارقس ويحيى ومتى ومنهم من الاثنين والسبعين لوقا ومتى وقد يعد متى أيضا في غير الاثني عشر ولا أدري ما معناهم في ذلك والاثنان اللذان من الاثني عشر يحيى بن سيداى ومارقس صاحب الاسكندرية والثالث الذي ورد انطاكية وقد تقدمه بطرس وتوما وهو بولس وهو الثالث المذكور في القرآن بقوله تعالى فعززنا بثالث قال وليس في سائر رهبان النصرانية من يأكل اللحم غير رهبان مصر لان مارقس اباح لهم ذلك (ثم ملك الروم) نيرون واستقام ملكه ورغب على حسب

بالميورقى لان أصله منها وسكن غرناطة وروى عن أبى على الصدفى ورحل حاجا فسمع بمكة من أبى الفتح عبد الله بن محمد البياضى وأبى نصر عبد الملك بن أبى مسلم النهاوندى فى شوال وذى القعدة من سنة ٥١٧ وبالاسكندرية من أبى عبد الله الرازى وأبى الحسن بن مشرف وأبى بكر الطرطوشى وغيرهم وعاد الى الاندلس بعد مدة طويلة فحدث فى غير ما بلد ناوله وكان فقيها ظاهريا عارفا بالحديث وأسماء الرجال متقنا لما رواه يغلب عليه الزهد والصلاح روى عنه أبو عبد الله الغيرى الحافظ ويقول فيه الازدى تدليسا لان الانصار من الازد وأبو بكر بن رزق وأبو عبد الله بن عبد الرحيم وابن عبد المنعم وسواهم وصار أخيرا الى بجاية فمات بها من صاحب المغرب حينئذ بعد أن حمل اليه هو وأبو العباس بن العريف وأبو الحكم بن برجان وحدث هنالك وسمع منه فى سنة ٥٣٧ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل العبدى الاشبيلى) ويعرف بابن عظيمة أخذ القراآت عن أبى عبد الله السرقسطى وروى عن أبى عبد الله الحولانى وأبى عبد الله بن فرج وأبى على الغسانى وأبى داود المقرى وأبى جعفر بن عبد الحق وأبى الوليد بن طريف ورحل حاجا فروى بمكة عن رزين بن معاوية ثم بالاسكندرية عن ابن الحضرمى أبى عبد الله محمد بن منصور وأبى الحسن بن مشرف الانماطى وبالمهدية عن المازرى وكانت رحلته مع أبى على منصور ابن الخير الاحدب للقاء أبى معشر الطبرى فبلغه مانعيه بمصر فلما قفلا من وجههما قعد منصور يقول قرأت على أبى معشر واقتصر أبو الحسن فى تصدره للاقراء على التحديث عمن لقى فعرف مكانه من الصدق والعدالة وولى الصلاة ببلده وتقدم فى صناعته واشتهر بها وتلاه أهل بيته فيها فأخذ عنهم الناس وله اوجوزة فى القراآت السبع وأخرى فى مخارج الحروف وشرح قصيدة الشقراطسى وله أيضا كتاب الفريدة الحصية فى شرح القصيدة الحصرية واليه والى بنيه بعده كانت الرياسة فى هذا الشان ومن حلة الرواة عنه أبو بكر محمد بن خير قرأ عليه الشهاب القضاعى وأجازله جميع رواياته وتواليفه فى رجب سنة ٥٣٦ وتوفى فى حدود الاربعين وخمسمائة وروى عنه أبو الفضائل القزارى * (ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن ابراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح الخزرجى) من أهل جيان ويعرف بالبغدادى لطول سكناه اياها روى عن أبى على الغسانى وأبى محمد بن عتاب ورحل حاجا فلقى أبا الحسن الطبرى المعروف بالكيا وأبا طالب الزينبى وأبا بكر الشاشى وغيرهم وكان فقيها مشاورا حدث عنه أبو عبد الله الغيرى وأبو محمد بن عبيد الله وأبو عبد الله بن حميد وأبو القاسم عبد الرحيم بن الملجوم وغيرهم واحد وتوفى بفاس سنة ٥٤٧ * (ومنهم ابو عبد الله محمد بن على ابن ياسر الانصارى الجيانى) ونزل حلب يكنى ابا بكر رحل الى المشرق وادى الفريضة وقدم دمشق قبل العشرين وخمسمائة وسكن قنطرة سنان منها وكان يعلم القرآن ويتردد الى ابى عبد الله نصر الله بن محمد يسمع الحديث منه ثم رحل صحبة ابى القاسم بن عساكر صاحب تاريخ الشام الى بغداد سنة عشرين وكان زميله فسمع بها معه من هبة الله بن الحصين وغيره ثم خرج الى خراسان فسمع بها من حمزة الحسينى وابى عبد الله القراوى وابى القاسم الشحامى وغيرهم وسمع ببلخ جماعة منهم ابو محمد الحسن بن على الحسينى وابو النجم مصباح بن

ملكه أربع عشرة سنة (ثم ملك بعده) طيطش وأسياسيانوس مشتركين فى الملك ثلاث عشرة سنة وذلك بمدينة رومية ولسنة خلت من ملك هذين الملكين سار الى الشام وكانت لهما مع بنى اسرائيل حروب عظيمة وقتل فيها من بنى اسرائيل ثلثمائة ألف وخربا بيت المقدس وأحرقا الهيكل بالنار وحرثاه بالبقر وأزالا رسمه ومحوا أثره وكانت عبادتهما الاصنام ووجدت فى بعض كتب التواريخ ان الله عاقب الروم من ذلك اليوم الذى خربت فيه بيت المقدس ان يسبى كل يوم منهم سبى يفعل ذلك من أطاف ببلادهم من الامم فاليوم من أيام العالم الا والسبى واقع بهم قبل ذلك أو كثر (ثم ملك الروم بعدهما) ذونسطناس خمس عشرة سنة عابدا للتماثيل معظما لها ولتسع سنين من ملكه نفى يوحنا التلميذ أحد الاربعة من أصحاب الانجيل الى بعض جزائر البحر ثم رده بعد ذلك (ثم ملك بعده) بيونوس (ثم ملك بعده) طرنانوس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام ولتسع سنين خلت من ملكه مات يحيى التلميذ (ثم ملك بعده) ادريانيس احدى عشرة سنة يعبد التماثيل وخرب

وسماه ايليا وهو أول من سماه بهذا الاسم ايليا (ثم ملك بعده) مرليس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام (ثم ملك بعده) قرقودس يعبد الاوثان ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) سربوس ثمان عشرة سنة (ثم ملك بعده) ولده يقال له انطونيس يعبد التماثيل سبع سنين (ثم ملك بعده) انطونيس الثانى أربع سنين يعبد التماثيل وفى آخر ملك هذا الملك مات جالينوس الطبيب (ثم ملك بعده) الاسكندر ماماس وتفسير ماماس العاجز وكان يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) مقسمين يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث سنين (ثم ملك بعده) عرديانس يعبد التماثيل ست سنين (ثم ملك بعده) يعرس يعبد الاوثان ستين سنة وأمعن فى قتل النصرانية وطلبهم ومن هذا الملك هرب أصحاب الكهف (١) وقد اختلف الناس فى أصحاب الكهف والرقيم فمنهم من رأى أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم وزعموا أن

محمد المكى وغيرهما وبلغ الموصل فاقام بها مدة يسمع منه ويؤخذ عنه ثم انتهى الى حلب فاستوطنها وسلمت اليه خزانة الكتب النورية واجريت عليه جراية وكان فيه عسر فى الرواية والاعارة معا ووقف كتبه على اصحاب الحديث وله عوال مخرجة من حديثه ساوى بعض شيوخه البخارى ومسلما وابا داود والترمذى والنسائى روى عنه ابو حفص الميانشى وابو المنصور مظفر بن سوار اللخمى وابو محمد عبد الله بن على بن سويدة وابن ابى السفان وغيرهم ذكره ابن عساكر فى تاريخه وقال سمعت منه ومات فى جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وخمسمائة على ما بلغنى وقال ابن نقطة حدث عن جماعة منهم ابو القاسم سهل ابن ابراهيم النيسابورى وابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الهمدانى حدثنا عنه ابو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الحلبى واخوه ابو العباس احمد وحكى عن الحسن بن هبة الله ابن صصرى انه توفى بحلب فى جمادى الاولى سنة ثلاث وستين كما تقدم وقد بلغ السبعين قال ابن الابار * (ومنهم ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة مرسى) سكن شاطبة ودار سلفه بلنسية سمع اباعلى الصدفى واختص به اكثر عنه واليه صارت دواوينه واصوله العتاق وامهات كتبه الصحاح لصهر كان بينهما وسمع ايضا ابا محمد بن ابى جعفر ولازم حضور مجلسه للتفقه به وحمل ما كان يرويه ورحل الى غرب الاندلس فسمع محمد بن عتاب وابا بحر الاسدى وابا الوليد بن رشد وابا عبد الله بن الحاج وابا بكر بن العربى وغيرهم وكتب اليه ابو عبد الله الخولانى وابو الوليد بن ظريف وابو الحسن بن عفيف وابو القاسم بن صواب وابو محمد بن السيد وغيرهم ثم رحل الى المشرق سنة عشرين وخمسمائة فلقى بالاسكندرية ابا الحجاج بن نادر الميورقى وصحبه وسمع منه واخذ عنه الفقه وعلم الكلام وادى فريضة الحج فى سنة احدى وعشرين ولقى بمكة ابا الحسن رزين بن معاوية العبدرى امام المالكية بها وابا محمد بن صدقة المعروف بابن غزال من اصحاب كريمة المروية فسمع منها واخذ عنها وروى عن ابى حسن على بن سند بن عياش الغسانى ما حمل عن ابى حامد الغزالى من تصانيفه ثم انصرف الى ديار مصر فصحب ابن نادر الى حين وفاته بالاسكندرية ولقى اباطاهر بن عوف وابا عبد الله بن مسلم القرشى واباطاهر السلفى وابا زكريا الزناتى وغيرهم فأخذ عنهم وكان قد كتب اليه منها ابو بكر الطرطوشى وابو الحسن بن مشرف الانماطى ولقى فى صدره بالمعدية ابا عبد الله المازرى فسمع منه بعض كتاب المعلم واجازله باقيه وعاد الى مرسية فى سنة ست وعشرين وقد حصل فى رحلته علوما جمة ورواية صحيحة وكان عارفا بالسنن والآثار مشاركا فى علم القرآن وتفسيره حافظا للفروع بصيرا باللغة والغريب ذا حظ من علم الكلام مائلا الى التصوف مؤثرا له اديبا بليغا خطيبا فصيحا يشيء الخطب مع الهدى والسمت والوقار والحلم جميل الاشارة محافظا على التلاوة بالخشوع راتبا على الصوم وولى خطة الشورى بمرسية مضافة الى الخطبة بجامعها واخذ فى اسماع الحديث وتدريس الفقه ثم ولى القضاء بها بعد انقراض دولة الملثمة ونقل الى قضاء شاطبة فاتخذها وطنا وكان يسمع الحديث بها وبمرسية وبلنسية ويقيم الخطب أيام الجمع فى جوامع هذه الامصار الثلاثة متعاقبا عليها وقد حدث بالمرية وهناك أبو الحسن بن موهب وأبو محمد الرشاطى وغيرهما وسمع منه أبو الحسن

(١) فيه أن الملك الذى هرب منه أصحاب الكهف اسمه دقيانوس كما فى القاموس وكتب التفسير ابن

ابن هزيل جامع الترمذي وألف كتابه شجرة الوهم المرقية الى ذروة الفهم ولم يسبق الى مثله ولبس له غيره وجمع فهرسة حافلة ووصفه غير واحد بالتفنن في العلوم والمعارف والرسوخ في الفقه وأصوله والمشاركة في علم الحديث والادب وقال ابن عباد في حقه انه كان صليبا في الاحكام مقتفيا للعدل حسن الخلق والخلق جميل المعاملة لين الجانب فكه المجالسة ثبتا حسن الخط من أهل الاتقان والضبط وحكى انه كانت عنده أصول حسان بخط عمه مع الصحيحين بخط السلفي في سفرين قال ولم يكن عند شيوخنا مثل كتبه في صحتها واتقانها وجودتها ولا كان فيهم من رزق عند الخاصة والعامة من الحظوة والذكر وجلالة القدر مارزقه وذكره أبو سفيان أيضا وأبو عمرو بن عات ورفعوا جميعا بذكره وتوفي بشاطبة مصروفا عن قضائها آخر الحجة سنة خمس ودفن أول يوم من سنة ست وستين وخمسمائة ودفن بالروضة المنسوبة الى أبي عمر بن عبد البر ومولده في رمضان سنة ٤٩٦ *(ومنهم محمد بن ابراهيم بن وضاح اللخمي) من أهل غرناطة ونزل جزيرة شقر يكنى أبا القاسم وأخذ القراءة عن أبي الحسن بن هذيل وسمع منه كثيرا ورحل حاجا فادى الفريضة وأخذ القراآت بمكة عن أبي علي بن العرجاء في سنة ست وأربعين وخمسمائة وسنة سبع بعدها وحج ثلاث حجات ودخل بغداد وأقام في رحلته نحوا من تسعة أعوام وقفل الى الاندلس فنزل جزيرة شقر من أعمال بلنسية وأقرأ بها القرآن نحوا من اربعين سنة لم يأخذ من أحد أجرا ولا قبل هدية وولي الصلاة والخطبة بجامعها وكان رجلا صالحا زاهدا مشاورا يشار اليه باجابة الدعوة معروفا بالورع والانقباض وتوفي في صفر سنة ٥٨٧ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي) نزيل تلمسان من أهل القنت عمل مرسية وسكن أبوه أوريولة ورحل الى المشرق فادى الفريضة وأطال الاقامة هنالك واستوسع في الرواية وكتب العلم عن جماعة كثيرة أزيد من مائة وثلاثين من أعيانهم المشرقيين أبو طاهر السلفي صحبه واختص به وأكثر عنه وحكى عنه انه لما ودعه في قفوله الى المغرب سأله عما كتب عنه فأخبره انه كتب كثيرا من الاسفار ومئتين من الاجزاء فسر بذلك وقال له تكون محدث المغرب ان شاء الله تعالى قد حصلت خيرا كثيرا قال ودعا لي بطول العمر حتى يؤخذ عني ما أخذت عنه وقد جمع في أسماء شيوخه على حروف المعجم تأليفا مفيدا أكثر فيه من الآثار والحكايات والاخبار وقفل من رحلته وله أربعون حديثا في المواعظ وأخرى في الفقر وفضله وثالثة في الحب في الله تعالى ورابعة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسلسلاته في جزء وكتاب فضائل الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان وكتاب فضل عشر ذي الحجة وكتاب مناقب السبطين وكتاب الفوائد الكبرى مجلد والفوائد الصغرى جزء وكتاب الترغيب في الجهاد خمسون بابا في مجلد وكتاب المواعظ والرقائق اربعون مجلسا سفران وكتاب مشيخة السلفي وغير ذلك ومولده بالقنت الصغرى في نحو الاربعين وخمسمائة وتوفي سنة عشر وستمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم الشيخ الاكبر ذو المحاسن التي تبهر سيدي محيي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبد الله الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم اخي عدي بن حاتم الصوفي الفقيه المشهور الظاهري) ولد بمرسية يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة ٥٦٠ قرأ القرآن على أبي بكر بن خلف

أصحاب الرقيم غير أصحاب الكهف وقد ذكرنا كلا الموضعين بارض الروم (وقد حكى) أحمد بن الطيب عن مروان السرخسي تلميذ يعقوب بن اسحق الكندي عن محمد بن موسى المنجم حين أنفذه الواثق بالله من سر من رأى الى بلاد الروم حتى أشرف على أصحاب الرقيم وهو الموضع المعروف من بلاد الروم بحاري وقد ذكرنا في الكتاب الاوسط قصة أصحاب الكهف وموضعهم وكيفية أحوالهم الى هذه الغاية وخبر أصحاب الرقيم وما حكاه محمد بن موسى المنجم من خبرهم وما لحقه من الموكل بهم حين أراد قتله بالسم وقتل من كان معه من المسلمين وأخبرنا عن السد الذي بناه ذو القرنين مانعا ليأجوج ومأجوج (قال المسعودي) وجدت في كتاب صور الارض وما عليها من الابنية المعظمة والهياكل المشيدة قد صور مقدار عرض السد فيما بين الجبلين دون الطول والذهاب في الصعد تسع درج ونصف من درج الفلك فمقدار ذلك من الجبل الى الجبل

خمسون ومائة فرسخ وهذا عند جماعة من أهل النظر والبحث مستحيل كونه وقد أنكر ذلك محمد بن كثير الفرغاني المنجم وتكلم

عليه وبرهن على فساده وأفرد محمد بن الطبيب الذى قتله المعتضد بالله لما ذكرنا من الكهف والرقيم رسائل قد أتينا على ما قبل فى ذلك فى كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط (ثم ملك حابس) ثلاث سنين (ثم ملك بعده) بدنوس نحو امن عشرين سنة وقيل خمس عشرة سنة (ثم ملك بعده) فورس نحو امن عشرين سنة (ثم ملك بعده) ولده يقال له فارس نحو اس سنتين (ثم ملك بعده) فليطا بس عشر سنين (ثم ملك بعده) قسطنطين (قال المسعودى) والذى وجدت فى الاكثر من كتب التواريخ مما اتفقوا عليه ان عدة ملوك الروم الذين ملكوا مدينة رومية وهم الذين قدمنا ذكرهم فى هذا الكتاب تسعة واربعون ملكا وجميع عدد سنى ملكهم من أول ملك ملكهم على حسب ماذكرنا من الخلاف فى صدر هذا الكتاب الى قسطنطين هذا وهو ابن هلانى أربعمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام ونسخ كتب التواريخ فى هذا المعنى مختلفة غير متفقة فى أسماء ملوكهم ومدة ممالكهم وأكثرها بالرومية لخلينا من ذلك ما تاتى وصفه ولهؤلاء الملوك أخبار وسير هى موجودة فى كتب النصارى الملكية قد أتينا على مبسوطها والغرض منها فى كتابنا وفى

باشبيلية وبالسبع بكتاب الكافى وحدثه به عن ابن المؤلف أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعينى عن أبيه وقرأ أيضا السبع بالكتاب المذكور على أبى القاسم الشراط القرطبى وحدثه به عن ابن المؤلف وسمع على أبى بكر محمد بن أبى جمرة كتاب التيسير للدانى عن أبيه عن المؤلف وسمع على ابن زرقون وأبى محمد عبد الحق الاشبيلى الازدى وغير واحد من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم وكان انتقاله من مرسية لاشبيلية سنة ٥٦٨ فأقام بها الى سنة ٥٩٨ ثم ارتحل الى المشرق وأجازه جماعة منهم الحافظ السلفى وابن عساكر وأبو الفرج ابن الجوزى ودخل مصر وأقام بالحجاز مدة ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم ومات بدمشق سنة ٦٣٨ ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ودفن بسفح قاسيون وأنشد لنفسه مؤرخا وفاته الشيخ محمد بن سعد الكلشنى سنة ١٠٣٧ حفظه الله تعالى

انما الحاتمى فى الكون فرد * وهو غوث وسيد وامام
كم علوم أتى بها من غيوب * من بحار التوحيد يا مستهام
ان سألتم متى توفى حميدا * قلت أرخت مات قطب همام

وقال ابن الابار هو من أهل المرية وقال ابن النجار أقام باشبيلية الى سنة ٥٩٨ ثم دخل بلاد المشرق وقال ابن الابار انه أخذ عن مشيخة بلده ومال الى الآداب وكتب لبعض الولاة ثم رحل الى المشرق حاجا ولم يعد بعدها الى الاندلس وقال المنذرى ذكر انه سمع بقرطبة من أبى القاسم بن بشكوال وجماعة سواه وطاف البلاد وسكن بلاد الروم مدة وجمع مجاميع فى الطريقة وقال ابن الابار انه لقيه جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه وقال غيره انه قدم بغداد سنة ٦٠٨ وكان يوما اليه بالفضل والمعرفة والغالب عليه طرق أهل الحقيقة وله قدم فى الرياضة والمجاهدة وكلام على لسان أهل التصوف ووصفه غير واحد بالتقدم والمكانة من أهل هذا الشان بالشام والحجاز وله أصحاب وأتباع ومن تاليفه مجموع ضمنه مناما ت رأى فيها النبى صلى الله عليه وسلم وما سمع منه ومناما ت قد حدث بها عمن رآه صلى الله عليه وسلم قال ابن النجار وكان قد صحب الصوفية وأرباب القلوب وسلك طريق الفقر وحج وجاور وكتب فى علم القوم وفى أخبار مشايخ المغرب وزهادهم وله أشعار حسنة وكلام ملیح اجتمعت به فى دمشق فى رحلتى اليها وكتبت عنه شيأ من شعره ونعم الشيخ هو ذكر لى انه دخل بغداد سنة ٦٠١ فأقام بها اثنى عشر يوما ثم دخلها ثانيا حاجا مع الركب سنة ٦٠٨ وأنشد لنفسه

أيا حائرا ما بين علم وشهوة * ليتصلا ما بين ضدين من وصل
ومن لم يكن يستنشق الريح لم يكن * يرى الفضل للمسك الفتيق على الزبل

وسألته عن مولده فقال ليلة الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ بمرسية من بلاد الاندلس انتهى وقال ابن مسدى انه كان جميل الجملة والتفصيل محصلا لفنون العلم أخص تحصيل وله فى الادب الشأو الذى لا يلحق والتقدم الذى لا يسبق سمع ببلاده من ابن زرقون والحافظ ابن الجد وأبى الوليد الحضرمى وبسبتة من أبى محمد بن عبد الله وقدم عليه اشبيلية أبو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجى فسمع منه وأبو جعفر بن مضاء وذكر انه لقى عبد الحق الاشبيلى

وفي ذلك عندي نظر انتهى قلت لا نظر في ذلك فان سيدي الشيخ محيي الدين ذكر في اجازته للملك المظفر غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ما معناه أو نصه ومن شيوخنا الاندلسيين أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الاشبيلي رحمه الله تعالى حدثني بجميع مصنفاته في الحديث وعين لي من أسمائها تلقين المهتدي والاحكام الكبرى والوسطى والصغرى وكتاب التهجد وكتاب العاقبة ونظمه ونثره وحدثني بكتب الامام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه انتهى وقال ان الحافظ السلفي أجازله انتهى قال بعض الحفاظ وأحسبها الاجازة العامة وكان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات وكان دفنه يوم الجمعة بجبل قاسيون واتفق انه لما أقام ببلاد الروم زكاه دات يوم الملك فقال هذا تدل له الاسود أو كلاما هذا معناه فسئل عن ذلك فقال خدمت بمكة بعض الصلحاء فقال لي يوما الله يذل لك أعز خلقه وامر له ملك الروم مرة بدارتساوي مائة الف درهم فلما نزلها واقام بها مر به في بعض الايام سائل فقال له شئ لله فقال مالي غير هذه الدار خذها لك فتسلمها السائل وصارت له وقال الذهبي في حقه ان له توسعا في الكلام وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيقا في التصوف وتوالي فجهة في العرفان لولا شطحه في كلامه وشعره ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته فيرجى له الخير انتهى وقال القطب اليونيني في ذيل مرآة الزمان عن سيدي الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه ونفعنا به انه كان يقول اني اعرف اسم الله الاعظم واعرف الكيمياء انتهى وقال ابن شوكين عنه انه كان يقول ينبغي للعبد أن يستعمل همته في الحضور في مناماته بحيث يكون حاكما على خياله يصرفه بعقله نوما كما كان يحكم عليه يقظة فاذا حصل للعبد هذا الحضور وصار خلقا له وجد ثمرة ذلك في البرزخ وانتفع به جدا فايهتم العبد بتحصيل هذا القدر فانه عظيم الفائدة باذن الله تعالى وقال ان الشيطان ليقنع من الانسان بان ينقله من طاعة الى طاعة ليفسخ عزمه بذلك وقال ينبغي للسالك انه متى حضر له انه يعقد على امر ويعاهد الله تعالى عليه أن يترك ذلك الامر الى أن يجيء وقته فان يسر الله تعالى فعله وعمله وان لم ييسر الله فعله يكون مخلصا من نكث العهد ولا يكون متصفا بنقض الميثاق ومن نظم الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى

بين التذلل والتدلل نقطة * فيها يتيه العالم النحرير
هي نقطة الاكوان ان جاوزتها * كنت الحكيم وعلمك الاكسير

وقوله أيضا رحمه الله

يا درة بيضاء لاهوتية * قد ركبت صدفا من الناسوت
جهل البسيطة قدرها لشقائهم * وتنافسوا في الدر والياقوت

وحكى العماد بن النحاس الاطروش أنه كان في سفح جبل قاسيون على مستشرف وعنده الشيخ محيي الدين والغيث والسحاب عليه، ودمشق ليس عليها شئ قال فقلت للشيخ اما ترى هذه الحال فقال كنت بمراكش وعندي ابن خوف الشاعر يعني ابا الحسن علي بن محمد القرطبي القيداني وقد اتفق الحال مثل هذه فقلت له مثل هذه المقالة فانشدني

(ذكر ملوك الروم المتنصرة وهم ملوك القسطنطينية وملخ من أخبارهم)

(ملك قسطنطين) بعد أن هلك فليطا ليس برومية وهو يعبد الاوثان وكان أول ملك انتقل من ملوك الروم عن رومية الى بوزنطيا وهي مدينة القسطنطينية فبناها وسماها باسمه الى وقتنا هذا وكان له في بنائها خبر طريف مع بعض ملوك برجان لخوف داخله من بعض ملوك ساسان وكان خروجه من رومية ودخوله في دين النصرانية لسنة خلت من ملكه ولتسع سنين من ملكه خرجت أمه هلانى الى أرض الشام فبنت الكنائس وسارت الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي صلب عليها المسيح عندهم فلما صارت اليها حلتها بالذهب والفضة واتخذت لوجودها عيدا وهو عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من ايلول وفيه تفتح الترع والخلجانات ببلاد مصر على حسب ما نورده عند ذكرنا لاخبار مصر من هذا الكتاب وهي التي بنت كنيسة حمص على أربعة أركان وذلك من عجائب بنيان العالم واستخرجت الكنوز والدفائن بمصر والشام وصرفت ذلك الى بناء الكنائس وتشييد

يطوف السحاب بمراكش * طواف الجميع ببيت الحرم
يروم نزولا فلا يستطيع * لسفك الدماء وهتك الحرم انتهى

وحكى المقريزى فى ترجمة سيدى عمر بن الفارض أفاض الله علينا من أنواره أن الشيخ محيى الدين ابن العربى بعث الى سيدى عمر يستأذنه فى شرح التائية فقال كتابك المسمى بالفتوحات المكية شرح لها انتهى وقال بعض من عرف به انه لما صنف الفتوحات المكية كان يكتب كل يوم ثلاث كراريس حيث كان وحصلت له بدمشق دنيا كثيرة فما ادخر منها شيأ وقيل ان صاحب حمص رتب له كل يوم مائة درهم وابن الزكى كل يوم ثلاثين درهما فكان يتصدق بالجميع واشتغل الناس بمصنفاته ولها ببلاد اليمن والروم صيت عظيم وهو من عجائب الزمان وكان يقول اعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب ومن نظمه رضى الله تعالى عنه

حقيقتى همت بها * ومارآها بصرى
ولو رآها لغدا * قتيل ذاك الحور
فعند ما ابصرتها * صرت بحكم النظر
فبت مسحورا بها * اهيم حتى السحر
ياحذرى من حذرى * لوكان يغنى حذرى
و الله ما هيمنى * جمال ذاك الخفر
فى حسنها من ظبية * ترعى بذات الحمر
اذا رنت اوعطفت * تسبى عقول البشر
كأنما انفاسها * أعراف مسك عطر
كانها شمس الضحى * فى النور أو كالقمر
ان أسفرت أبرزها * نور صباح مسفر
أوسدلت غيها * سواد ذاك الشعر
ياقمرا تحت دجى * خذى فؤادى وذرى
عينى لكى أبصرك * اذكان حظى نظرى

وقال الحوبى قال الشيخ سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه رأيت بعض الفقهاء فى النوم فى رؤيا طويلة فسألنى كيف حالك مع أهلك فقلت

اذا رأت اهل بيتى الكيس معتلئا * تبسمت ودنت منى تمازحنى
وان رأته خليا من دراهمه * تجهمت وانثنت عنى تقابحنى

فقال لى صدقت كذا ذلك الرجل * وذكر الامام العالم بالله تعالى لسان الحقيقة وشيخ الطريقة صفى الدين حسين ابن الامام العلامة جمال الدين أبى الحسن على ابن الامام مفتى الانام كمال الدين أبى منصور ظافر الازدى الانصارى رضى الله تعالى عنه فى رسالته الفريدة المحتوية على من رأى من سادات مشايخ عصره بعد كلام ما صورته ورأيت بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيى الدين بن عربى وكان من أكبر علماء الطريق جمع بين سائر

دين النصرانية وكل كنيسة جعل اسمها مع الصليب فى كل كنيسة لها وليس فى الروم فى أحرفهم هاء وأحرف هلانى خمسة أحرف فالاول امالة وهو بحساب الجمل خمسة والثانى وهو اللام ثلاثون والثالث امالة أيضا وهى خمسة والرابع النون وهى خمسون والخامس ياء وهو فى حساب الجمل عشرة فذلك مائة اختصارا على ماذكرنا هذه صورة الحرف الذى هو مائة بالرومية ولتسع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين بن هلانى اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا بمدينة نيقية بارض الروم فاقاموا دين النصرانية وهذا الاجتماع أول الاجتماعات الستة الرومية السندوسات واحدها سندوس فالاول بنيقية على ما ذكرنا من العدد وكان الاجتماع فيه على أريوس وهذا اتفاق من سائر دين النصرانية من الملكية والمشارقة وهم العباد الذين تسميهم الملكية وعامة الناس النسطورية واتفاق من اليعاقبة على هذا السندوس أيضا والسندوس الثانى بالقسطنطينية على مقدونس وعدة المجتمعين فيه من الاساقفة مائة وخمسون رجلا والسندوس الثالث بافسوس وعددهم مائتا رجل العلوم

العلوم الكسبية وما وقر له من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا يكترث بالوجود مقبلا كان أو معرضا وله علماء أتباع أرباب مواجيد وتصاريف كان بينه وبين سيدى الاستاذ الخراز اخاء ورفقة فى السياحات رضى الله تعالى عنهما فى الاصائل والبكرات ومن نظم سيدى الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه قوله

يامن يرانى ولا أراه * كذا أراه ولا يرانى

قال رحمه الله تعالى قال لى بعض اخوانى لما سمع هذا البيت كيف تقول انه لا يرانى وأنت تعلم أنه يرانى فقلت له مرتجلا

يامن يرانى مجرما * ولا أراه آخذا
كذا أراه منعما * ولا يرانى لائذا

قلت من هذا وشبهه تعلم ان كلام الشيخ رحمه الله تعالى مؤول وانه لا يقصد ظاهره وانما له محامل تليق به وكفاك شاهدا هذه الجزئية الواحدة فأحسن الظن به ولا تنتقد بل اعتقد وللناس فى هذا المعنى كلام كثير والتسليم اسلم والله سبحانه بكلام اوليائه اعلم ومن النظم المنسوب لمحاسن الشيخ سيدى محيى الدين رضى الله تعالى عنه فى ضابط ليلة القدر

وانا جميعا ان تصم يوم جمعة * ففى تاسع العشرين خذ ليلة القدر
وان كان يوم السبت اول صومنا * فحادى وعشرين اعتمده بلا عسر
وان كان صوم الشهر فى احد فخذ * ففى سابع العشرين ما شئت فاستقرى
وان هل بالاثنين فاعلم بانه * يواتيك نيل المجد فى تاسع العشر
ويوم الثلاثا ان بدا الشهر فاعتمد * على خامس العشرين فاعمل بها تدرى
وفى الاربعا ان هل يامن يرومها * فدونك فاطلب وصلها سابع العشر
ويوم خميس ان بدا الشهر فاجتهد * ففى ثالث العشرين تظفر بالنصر
وضابطها بالقول ليلة جمعة * توافيك بعد النصف فى ليلة الوتر انتهى

قلت لست على يقين من نسبة هذا النظم الى الشيخ رحمه الله تعالى فان نفسه اعلى من هذا النظم ولكنى ذكرته لما فيه من الفائدة ولان بعض الناس نسبه اليه فالله تعالى اعلم بحقيقة ذلك ومما نسبه اليه رحمه الله تعالى غير واحد قوله

قلبى قطبى وفالبى اجفانى * سرى خضرى وعينه عرفانى
روحى هرون وكليمى موسى * نفسى فرعون والهوى هامانى

وذكر بعض الثقات ان هذين البيتين يكتبان لمن به القولنج فى كفه ويلمسهما فانه يبرا باذن الله تعالى قال وهو من المجربات وقد تأول بعض العلماء قول الشيخ رحمه الله تعالى بايمان فرعون ان مراده بفرعون النفس بدليل ما سبق وحكى فى ذلك حكاية عن بعض الاولياء ممن كان ينتصر للشيخ رحمه الله تعالى * وولد للشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى ابنه محمد المدعو سعد الدين بملطية فى رمضان سنة ٦١٨ وسمع الحديث ودرس وقال الشعر الجيد وله ديوان شعر مشهور وتوفى ببدمشق سنة ٦٥٦ سنة دخول هولاكو بغداد وقتل الخليفة المستعصم

والسندوس الخامس بقسطنطينية وعددهم مائة وستة وأربعون رجلا

والسندوس السادس كان فى ملكة المدن وعددهم مائتان وتسعة وثمانون رجلا وسنذكر بعد هذا الموضع فى ترتيب ملوك الروم هذه السندوسات وغلبة دين النصرانية وزوال عبادة الاصنام والصور وكان السبب فى دخول قسطنطين بن هلانى فى دين النصرانية والرغبة فيه ان قسطنطين خرج فى بعض حروب برجان وغيرهم من الامم وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة ثم كانت عليه فى بعض الايام فقتل من اصحابه خلق كثير فخاف البوار فرأى فى النوم كأن رماحا نزلت من السماء فيها عذاب وأعلاما على رؤسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب وقيل له خذ هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنصر فجعل يحارب بها فى النوم فرأى عدوه منهزما وقد نصر عليه وولاه الدبر فاستيقظ من رقدته ودعا بالرماح فركب عليها ماذكرنا ودفعها فى عسكره وزحف

الى عدوه فولوا وأخذهم السيف فرجع الى مدينة نيقية وسأل أهل الخبرة عن تلك الصلبان وهل يعرفون

ودفن المذكور عند والده بسفح قاسيون وكان قدم القاهرة وسكن حلبا ومن شعره

لما تبدى عارضاه في غسط * قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل سطر الحسن في خديه خط * وقيل عنبر فوق عاج انبسط
وقيل ملك فوق ورد قد نقط * وقال قوم انها اللام فقط

قلت تذكرت بهذا ما قاله الكاتب ابو عبد الله بن جزي الاندلسي رتب سلطان المغرب ابي عنان حين تنازع الكتاب ارباب الاقلام والرؤساء اصحاب السيوف في تشبيه العذار وقالت كل فرقة لا تشبهه الا بما هو مناسب لصنعتنا فلما فرغوا قال ابن جزي

اتى اولوا الكتب والسيف الاولى عزموا * من بعد سلمي على حربي واسلامي
بكل معنى بديع في العذار على * ما يقتضي منهم افكار احلام
فقال ذو الكتب لا ارضى المحارب في * تشبيهه لا وانقاسي واقلامي
وقال ذو الحرب لا ارضى الكتائب في * تشبيهه ومطلاتي واعلامي
فقلت اجمع بين المذهبين معا * باللام فاستحسنوا التشبيه باللام

وهذه الغاية التي لا تدرك مع البديهة ولزوم ما لا يلزم * (رجع) ومن نظم سعد الدين قوله

سهري من المحبوب اصبح مرسلا * وأراه متصلا بفيض مدامع
قال الحبيب بان ريقي نافع * فاسمع رواية مالك عن نافع

ومن نظمه ايضا قوله

وقالوا قصير شعر من قد هويته * فقلت دعوني لا اري منه مخلصا
محياه شمس قد علت غصن قده * فلا عجب للظل ان يتقلصا

وقوله

ورب قاض لنا ملبح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رمانا بسهم لحظ * فلنا له دائم النفوذ

وقوله

لله والله منظر * قل فيه المشارك
ان يوما نراك فيه * ليوم مبارك

ومن نظمه أيضا ما كتب به الى اخيه عماد الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الاكبر محيي الدين ابن عربي أفاض الله تعالى علينا من فتوحاته

ما للنوى رقة ترثي لمكتئب * حران في قلبه والدمع في حلب
قد أصبحت حلب ذات العماد بكم * وجلق ارم هذا من العجب

وتوفي الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧ ودفن بسفح قاسيون عند والده بتربة القاضي ابن الركي رحم الله تعالى الجميع ومن نظم سعد الدين المذكور في وسيم رآه بالزيادة في دمشق

يا خليلي في الزيادة ظبي * سلبت مقلتاه جفني رقاده
كيف أرجو السلو عنه وطرفي * ناظر حسن وجهه في الزياده

وله

دلك في شيء من الاجراء والنحل فقيل له ان بيت المقدس من أرض الشام مجمع لهذا المذهب وأخبر بما فعل من قبله من الملوك من قبل النصرانية فبعث الى الشام والى بيت المقدس فشد له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فاتوه وهو بنيقية فقص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية فهذا هو السندوس الاول وهو الاجتماع على ما ذكرنا وقد قيل ان أم قسطنطين هلانى كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا وكان ملك قسطنطين الى أن هلك احدى وثلاثين سنة وفي وجه آخر من التاريخ انه ملك خمسا وعشرين وقد أتينا على أخباره وحروبه وخروجه مرتادا الموضع القسطنطينية وورود الى هذا الخليج الآخذ من بحر مانطش ونيطش في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وأن خليج القسطنطينية يأخذ من هذا البحر ويجري الماء فيه جريا ويصب الى بحر الشام ومسافة هذا الخليج ثلثمائة وخمسون ميلا وقيل أقل من ذلك وعرضه في الموضع الذي يأخذ من بحر مانطش نحو من عشرة أميال وهناك عمائر ومدينة للروم تدعى سباه تمنع من يرد في هذا البحر من مراكب الروم وغيرها ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية

علقت صوفيا كبدر الدجى * لكنه فى وصلى الزاهد
يشهد وجدى بغرامى له * فديت صوفيا له شاهد

وله

صوفيا يا من على مليح * تكرر نحو منزله مسيرى
أقول له الذى لصب * عديم للمساعد والنصير
أقام بيابكم خمسين شهرا * فقال كذا مقامات الحريرى

وله

وغزال من اليهود اتانى * زائرا من كنيسه اوكاسه
بت أجنى الشقيق من وجنتيه * واشم العبير من انفاسه
واعتنقنا اذ لم نخف من رقيب * وأمنا الوشاة من حراسه
من رآنى يظننى لخولى * واصفرارى علامة فوق راسه

وله

لى حبيب بالنحو اصبح مغرى * فهو منى بما اعانيه أدرى
قلت ماذا تقول حين تنادى * ياحبيبى المضاف نحوك جهرا
قال لى ياغلام او ياغلامى * قلت لبيك ثم لبيك عشرا

وله ايضا

ساءلتنى عن لفظة لغوية * فاجبت مبتدئا بغير تفكر
خاطبتنى متبسما فرايتها * من نظم ثغرك فى صحاح الجوهرى

وله

وعلمت ان من الحديد فؤاده * لما انتضى من مقلتيه مهندا
آنست من وجدى بجانب خده * نارا ولكن ما وجدت بها هدى

وقال الشيخ محيي الدين افاض الله تعالى علينا من انواره وكسانا بعض حلل اسراره انه بلغنى فى مكة عن امراة من اهل بغداد انها تكلمت فى امور عظيمة فقلت هذه قد جعلها الله تعالى سببا لخير وصل الى فلا كافئتها وعقدت فى نفسى ان اجعل جميع ما اعتمرت فى رجب لها وعنها ففعلت ذلك فلما كان الموسم استدل على رجل غريب فساله الجماعة عن قصده فقال أيت بالينبع فى الليلة التى بت فيها كأن آلافا من الابل اوقارها المسك والعنبر والجوهر فعجبت من كثرته ثم سألت لمن هو فقيل هو لمحمد بن عربى يهديه الى فلانة وسمى تلك المراة ثم قال وهذا بعض ما تستحق قال سيدى ابن عربى فلما سمعت الرؤيا واسم المراة ولم يكن أحد من خلق الله تعالى علم منى ذلك علمت أنه تعريف من جانب الحق وفهمت من قوله ان هذا بعض ما تستحق انها مكذوب عليها فقصدت المراة وقلت اصدقينى وذكرت لها ما كان من ذلك فقالت كنت قاعدة قبالة البيت وأنت تطوف فشكرك الجماعة الذين كنت فيهم فقلت فى نفسى اللهم انى أشهدك انى قد وهبت له ثواب ما أعمله فى يوم الاثنين وفى يوم الخميس وكنت أصومهما وأتصدق فيهما قال فعلمت ان الذى وصل منى اليها بعض ما تستحق فانها

فيه القسطنطينية نحو امن أربعة أميال وعليه العمائر وينتهى فى ضيقه الى الموضع المعروف بالاندلس وهناك جبال وعين ماء كثير ماؤها موصوف تعرف بعين مسلمة بن عبد الملك وكان نزوله عليها حين حاصر القسطنطينية وأتته مراكب المسلمين فى فم هذا الخليج مما يلى بحر الشام ومنتهى مصبه مضيق وهناك برج يمنع من فيه من يرد من مراكب المسلمين فى الوقت الذى للمسلمين فيه مراكب تغزو الروم وأما الآن فمراكب الروم تغزو بلاد الاسلام ولله الامر من قبل ومن بعد وأخبرنى أبو عمير عدى بن حاتم بن عبد الباقى الازدى وهو شيخ الثغور الشامية قديما الى وقتنا هذا وهو من أهل التحصيل انه لما عبر الى القسطنطينية فى هذا الخليج حين دخل لاقامة الهدنة والفداء كان يتبين جرية هذا الماء وبرده مما يلى بحر مانطش ونيطش وربما يتبين فى الماء الجرى مما يلى بحر الشام فيجده فاترا وهذا يدل على اتصال ماء هذين البحر بن وأنه قد دخل فى بحر الروم

الى هذا الخليج أيضا وسمعت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة سلوقية مع غلام ازارقة وقد كانوا

سبقت بالجميل والفضل للمتقدم ومن نظم الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى

يا غاية السؤل والمأمول ياسندى * شوقى اليك شديد لا الى أحد
ذبت اشتياقا ووجدا فى محبتكم * فآه من طول شوقى آه من كمدى
يدى وضعت على قلبى مخافة أن * ينشق صدرى لما خانني جلدى
ما زال يرفعها طورا ويخفضها * حتى وضعت يدى الاخرى تشديدى

وحكى سبط ابن الجوزى عن الشيخ محيي الدين انه كان يقول انه يحفظ الاسم الاعظم ويقول انه يعرف السيميا بطريق التنزل لا بطريق التكسب انتهى والله تعالى أعلم والتسليم أسلم ومن نظم الشيخ محيي الدين قوله

ما فاز بالتوبة الا الذى * قد تاب قدما والورى نوم
فمن يتب أدرك مطلوبه * من توبة الناس ولا يعلم

وله رحمه الله تعالى من المحاسن ما لا يستوفى وأنشدنى لنفسه بدمشق صاحبنا الصوفى الشيخ محمد بن سعد الكلشنى حفظه الله تعالى قوله

أمولاى محيي الدين أنت الذى بدت * علومك فى الافاق كالغيث مذهمى
كشفت معانى كل علم مكتم * وأوضحت بالتحقيق ما كان مبهما

وبالجملة فهو حجة الله الظاهرة وآيته الباهرة ولا يلتفت الى كلام من تكلم فيه ولله در السيوطى الحافظ فانه ألف تنبيه الغبى على تنزيه ابن عربى ومقام هذا الشيخ معلوم والتعريف به يستدعى طولا وهو اظهر من نار على علم وكان بالمغرب يعرف بابن العربى بالالف واللام واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقا بينه وبين القاضى أبى بكر ابن العربى وقال ابن خاتمة فى كتابه مزية المرية ما نصه محمد بن على بن محمد الطائى الصوفى من أهل اشبيلية وأصله من مرسية يكنى أبا بكر ويعرف بابن العربى وبالحاتمى أيضا أخذ عن مشيخة بلده ومال الى الآداب وكتب لبعض الولاة بالاندلس ثم رحل الى المشرق حاجا فأدى الفريضة ولم يعد بعدها الى الاندلس وسمع الحديث من أبى القاسم الخرستانى ومن غيره وسمع صحيح مسلم من الشيخ أبى الحسن بن أبى نصر فى شوال سنة ٦٠٦ وكان يحدث بالاجازة العامة عن أبى طاهر السلفى ويقول بها وبرع فى علم التصوف وله فى ذلك تواليف كثيرة منها الجمع والتفصيل فى حقائق التنزيل والجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة وكتاب كشف المعنى فى تفسير الاسماء الحسنى وكتاب المعارف الالهية وكتاب الاسرا الى المقام الاسرى وكتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم وكتاب عنقاء مغرب فى صفة ختم الاولياء وشمس المغرب وكتاب فى فضائل مشيخة عبد العزيز ابن أبى بكر القرشى المهدوى والرسالة الملقبة بمشاهد الاسرار القدسية ومطالع الانوار الالهية فى كتب أخر عديدة وقدم على المرية من مرسية مستهل شهر رمضان سنة خمس وتسعين وخمسمائة وبها ألف كتابه الموسوم بمواقع النجوم انتهى ولا خفاء أن مقام الشيخ أعظم بعد انتقاله من المغرب وقد ذكر رحمه الله تعالى فى بعض كتبه أن مولده بمرسية وفى الكتاب المسمى بالاغتباط بمعالجة ابن الخياط تأليف شيخ الاسلام قاضى القضاة مجد

الليل والنهار ويكثر كالجزر والمد وعليه العمائر والمدن فلما أحسوا بنقصان الماء بادروا بالخروج منه الى البحر الرومى وان فى مدخله من بحر الروم مدينة تقرب من فم الخليج والخليج يطيف بالقسطنطينية من جهتين مما يلى الشرق ومما يلى الشمال وفى الجانب الجنوبى البر وفيه باب الذهب مطلى على صفائح النحاس وأعلى موضع فى سورها نحو من ثلاثين ذراعا وقد ذكر أنه أقل من ذلك وأن اقصر موضع فيه عشرة أذرع ولها أبواب كثيرة مما يلى البر والبحر وحولها كنائس كثيرة وقد قيل ان لها ثلاثين بابا ومنهم من زعم أن عليها مائة باب صغارا وكبارا وهو بلد عفن مختلف المهاب مرطب للابدان لكونه بين ما وصفنا لهذه البحار (قال المسعودى) ولم تزل الحكمة باقية عالية فى من اليونانيين وبرهة من مملكة الروم تعظم العلماء وتشرف الحكماء وكانت لهم الآراء فى الطبيعيات والجسم والعقل والنفس والتعاليم الاربعة أعنى الارثماطيقى وهو علم الاعداد والجومطريني وهو علم المساحة والهندسة والاسترنوميا وهو علم النجوم والموسيقى وهو علم تاليف

الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازى الفيروزابادى الصديقى صاحب القاموس قدس الله تعالى روحه الذى ألفه بسبب سؤال سئل فيه عن الشيخ محيى الدين بن عربى الطائى قدس الله تعالى سره العزيز فى كتبه المنسوبة اليه ماصورته ما تقول السادة العلماء شد الله تعالى بهم أزر الدين ولم بهم شعث المسلمين فى الشيخ محيى الدين بن عربى فى كتبه المنسوبة اليه كالفتوحات والفصوص هل تحل قراءتها واقراؤها ومطالعتها وهل هى الكتب المسموعة المقروءة أم لا أفتونا مأجورين جوابا شافيا لتحوزوا جميل الثواب من الله الكريم الوهاب وأيدتم والحمد لله وحده * (فأجابه بما صورته) الحمد لله اللهم أنطقنا بما فيه رضاك الذى اعتقده فى حال المسؤل عنه ودين الله تعالى به انه كان شيخ الطريقة حالا وعلما وامام الحقيقة حقيقة ورسما ومحيى رسوم المعارف فعلا واسما

اذا تغلغل فكر المرء فى طرف * من بحره غرقت فيه خواطره

وهو عباب لا تكدره الدلاء وسحاب لا تقاصر عنه الانواء كانت دعواته تخترق السبع الطباق وتفترق بركاته فتملأ الآفاق وانى أصفه وهو يقينا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته وغالب ظنى انى ما انصفته

وما على اذا ما قلت معتقدى * دع الجهول يظن العدل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن * أقامه حجة للدين برهانا
بان ما قلت بعض من مناقبه * ما زدت الا على زدت نقصانا

وأما كتبه ومصنفاته فالبحار الزواخر التى جواهرها وكثرتها لا يعرف لها أول ولا آخر ما وضع الواضعون مثلها وانما خص الله سبحانه بمعرفة قدرها أهلها ومن خواص كتبه أن من واظب على مطالعتها والنظر فيها وتأمل ما فى مبانيها انشرح صدره لحل المشكلات وفك المعضلات وهذا الشان لا يكون الا لانفاس من خصه الله تعالى بالعلوم اللدنية الربانية ووقفت على اجازة كتبها للملك المعظم فقال فى آخرها وأجزته أيضا أن يروى عنى مصنفاتى ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفا وأربعمائة مصنف منها التفسير الكبير الذى بلغ فيه الى سورة الكهف عند قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وتوفى ولم يكمل وهذا التفسير كتاب عظيم كل سفر بحر لا ساحل له ولا غرو فانه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به وثم طائفة فى الغى حائفة يعظمون عليه النكير وربما بلغ بهم الجهل الى حد التكفير وماذاك الا لقصور أفهامهم عن ادراك مقاصد أقواله وأفعاله ومعانيها ولم تصل أيديهم لقصرها الى اقتطاف مجانيها

على نحت القوافى من معادنها * وما على اذا لم تفهم البقر

هذا الذى نعلم ونعتقد وندين الله تعالى به فى حقه والله سبحانه وتعالى أعلم وصورة استشهاده كتبه محمد الصديقى الملتجئ الى حرم الله تعالى عفا الله عنه انتهى وأما احتجاجه بقول شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام شيخ مشايخ الشافعية فغير صحيح بل كذب وزور فقد روينا عن شيخ الاسلام صلاح الدين العلائى عن جماعة من المشايخ كلهم عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه قال كنا فى مجلس الدرس بين يدى الشيخ عز الدين بن عبد السلام فجاء فى باب

النصرانية فى الروم فعفوا معالم الحكمة وأزالوا رسمها وعفوا سبلها وطمسوا ما كانت اليونانية أبانته وغيروا ما كانت القدماء منهم أوضحته وكان من شريف ما تركته المعرفة بعلم الموسيقى لانه غذاء للنفس ومطرب لها وملهيها بمتهج عند سماعه وتحن الى تأليف أوضاعه وقد نطقت الحكمة بشرفه ونبهت على نفاسة محله فقال الاسكندر من فهم الالحان استغنى عن سائر اللذات وقد قالت الفلاسفة ان النغم فضيلة شريفة كانت تعذرت عن المنطق ليست فى قدرته فلم يقدر على اخراجها فاخرجتها النفس ألحانا فلما اظهرتها سرت بها وعشقتها وطربت اليها ورتبت الحكماء الاوتار الاربعة بازاء الطبائع الاربعة فجعلوا الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء السوداء وقد أشبعنا القول فى الموسيقى وأصحاب الملاهى والايقاع وأصناف الرقص والطرب والنغم ونسب النغم وما استعملته كل أمة من الامم من أصناف الملاهى من اليونانيين والروم والسريانيين والنبط والسند والهند والفرس وغيرهم من الامم وذكرنا مناسبة النغم للاوتار ومزاجة

أحاط بذلك من جميع الوجوه فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف وأتينا على تعريف أخبارهم وأنواع لهوهم وتلاهيهم فى كتاب أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن اعادته ههنا اذ هذا الكتاب فى غاية الايجاز وان سنح لنا سانح ذكرنا المعا من هذه الجوامع فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وان تعذر ذلك فقد قدمنا التنبيه على ما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح

(ثم ملك الروم) بعد قسطنطين ابن هلانى الملك المنتصر قسطنطين بن قسطنطين وهو ابن الملك الماضى وكان ملكه أربعا وعشرين سنة وبنى كنائس كثيرة وشدد دين النصرانية (ثم تملك) ابن أخى قسطنطين الاول بوليانس فرفض دين النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان وهو بوليانس المعروف بالحنفى وأهل دين النصرانية لبغضهم فيه لرجوعه عن النصرانية وتغييره لرسومها يسمونه بليانس البرباط وغزا العراق فى ملك سابور ابن اردشير بن بابك فاتاه سهم غرب فذبحه وقد كان سار الى العراق فى جنود لا تحصى ولم يكن لسابور حيله فى دفعه ولقائه لما جأته اياه فانصرف الى

الردة ذكر لفظة الزنديق فقال بعضهم هل هى عربية او عجمية فقال بعض الفضلاء انما هى فارسية معربة أصلها زن دين أى على دين المرأة وهو الذى يضمر الكفر ويظهر الايمان فقال بعضهم مثل من فقال آخر الى جانب الشيخ مثل بول شر بى بدمشق فلم ينطق الشيخ ولم يرد عليه قال الخادم وكنت صائما ذلك اليوم فاتفق أن الشيخ دعانى للافطار معه فحضرت ووجدت منه اقبالا ولطفا فقلت له ياسيدى هل تعرف القطب سعد الدين الذى فى زماننا فقال مالك ولهذا كل فعرفت أنه يعرفه فتركت الاكل وقلت له لوجه الله تعالى عرفنى به من هو فتبسم رحمه الله تعالى وقال لى الشيخ محيى الدين بن عربى فاطرقت ساكتا متحيرا فقال مالك فقلت ياسيدى قدحرت قال لم قلت أليس اليوم قال ذلك الرجل الى جانبك ما قال فى ابن عربى وأنت ساكت فقال اسكت ذلك مجلس الفقهاء هذا الذى روى لنا بالسند الصحيح عن شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام وأما قول غيره من أضراب الشيخ عز الدين فكثير كان الشيخ كمال الدين الزملكانى من أجل مشايخ الشام أيضا يقول ما أجهل هؤلاء ينكرون على الشيخ محيى الدين بن عربى لاجل كلمات وألفاظ وقعت فى كتبه قد قصرت أفهامهم عن درك معانيها فليأتونى لاحل لهم مشكله وأبين لهم مقاصده بحيث يظهر لهم الحق ويزول عنهم الوهم وهذا القطب سعد الدين الحموى سئل عن الشيخ محيى الدين بن عربى لما رجع من الشام الى بلاده كيف وجدت ابن عربى فقال وجدته بحرا زخارا لا ساحل له وهذا الشيخ صلاح الدين الصفدى له كتاب جليل وضعه فى تاريخ علماء العالم فى مجلدات كثيرة وهى موجودة فى خزانة السلطان تنظر فى باب الميم ترجمة محمد بن عربى لتعرف مذاهب أهل العلم الذين باب صدورهم مفتوح لقبول العلوم اللدنية والمواهب الربانية وقوله فى شئ من الكتب المصنفة كالفصوص وغيره انه صنفه بامر من الحضرة الشريفة النبوية وأمره باخراجه الى الناس قال الشيخ محيى الدين الذهبى حافظ الشام ما أظن المحيى يتعمد الكذب أصلا وهو من أعظم المنكرين وأشدهم على طائفة الصوفية ثم ان الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى كان مسكنه ومظهره بدمشق وأخرج هذه العلوم اليهم ولم ينكر عليه أحد شيأ من ذلك وكان قاضى القضاة الشافعية فى عصره شمس الدين أحمد الحوبى يخدمه خدمة العبيد وقاضى القضاة المالكية زوجه بابنته وترك القضاء بنظرة وقعت عليه من الشيخ * واما كراماته ومناقبه فلا تحصرها مجلدات وقول المنكرين فى حق مثله غثاء وهباء لا يعبأ به والحمد لله تعالى انتهى ما نقلته من كلام العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه * وقد حكى الشيخ رضى الله تعالى عنه عن نفسه فى كتبه ما يبهر الالباب وكفى بذلك دليلا على ما منحه الله الذى يفتح لمن شاء الباب وقد اعتنى بتربته بصالحية دمشق سلاطين بنى عثمان نصرهم الله تعالى على توالى الازمان وبنى عليه السلطان المرحوم سليم خان المدرسة العظيمة ورتب له الاوقاف وقد زرت قبره وتبركت به مرارا ورأيت لوائح الانوار عليه ظاهرة ولا يجد منصف محيدا الى انكار ما يشاهد عند قبره من الاحوال الباهرة وكانت زيارتى له بشعبان ورمضان وأول شوال سنة ١٠٣٧ * وقال فى عنوان الدراية ان الشيخ محيى الدين كان يعرف بالاندلس بابن سراقة وهو فصيح اللسان بارع فهم الجنان قوى على الايراد كلما طلب الزيادة يزاد رحل

الى العدوة ودخل بجاية فى رمضان سنة ٥٩٧ وبها لقى أبا عبد الله العربى وجماعة من الافاضل ولما دخل بجاية فى التاريخ المذكور قال رأيت ليلة انى نكحت نجوم السماء كلها فما بقى منها نجم الا نكحته بلذة عظيمة روحانية ثم لما كملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها ثم عرضت رؤياى هذه على من قصها على رجل عارف بالرؤيا بصير بها وقلت للذى عرضتها عليه لا تذكرنى فلما ذكر الرؤيا استعظمها وقال هذا هو البحر الذى لا يدرك قعره صاحب هذه الرؤيا يفتح الله تعالى له من العلوم العلوية وعلوم الاسرار وخواص الكواكب ما لا يكون فيه أحد من أهل زمانه ثم سكت ساعة وقال ان كان صاحب هذه الرؤيا فى هذه المدينة فهو ذاك الشاب الاندلسى الذى وصل اليها ثم قال صاحب العنوان ما ملخصة ان الشيخ محيى الدين رحل الى المشرق واستقرت به الدار وألف تواليفه وفيها ما فيها ان قبض الله تعالى من يسامح ويناول سهل المرام وان كان ممن ينظر بالظاهر فلا مرصعب وقد تقدم عليه أهل الديار المصرية وسعوا فى اراقة دمه فخلصه الله تعالى على يد الشيخ أبى الحسن البجائى فانه سعى فى خلاصه وتأول كلامه ولما وصل اليه بعد خلاصه قال له الشيخ رحمه الله تعالى كيف يحبس من حل منه اللاهوت فى الناسوت فقال له ياسيدى ثلاث شطحات فى محل سكر ولا عتب على سكران * وتوفى الشيخ محيى الدين فى نحو الاربعين وستمائة وكان يحدث بالاجازة العامة عن السلفى رحمه الله تعالى انتهى * ومن موشحات الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه

مطلع

سرائر الاعيان * لاحت على الاكوان * للناظرين
والعاشق الحيران * من ذاك فى حران * يبدى الانين

دور

يقول والوجد * أضناه والبعد * قد حيره
لما دنا البعد * لم أدر من بعد * من غيره
وهيم العبد * والواحد الفرد * قد خيره
فى البوح والكتمان * والسر والاعلان * فى العالمين
أما هو الديان * ياعابد الاوثان * أنت الضنين

دور

كل الهوى صعب * على الذى يشكو * ذل الحجاب
يامن له قلب * لو أنه يذكو * عند الشباب
قد قرب الرب * لكنه افلك * فانو المتاب
وناد يارحمن * يارب يامنان * انى حزين
أضنانى الهجران * ولا حبيب دان * ولا معين

دور

فنيت بالله * عما تراه العين * من كونه

من ذلك وهو الملك الثالث من بعد ظهور دين النصرانية ولما هلك بليانس جزع من كان معه من الملوك والبطارقة والجيوش فنزعوا الى بطريق كان معظما فيهم يقال له مريناس وقيل انه كاتب الماضى فابى عليهم ان يتملك الا ان يرجعوا الى دين النصرانية فاجابوه الى ذلك وضايق سابور القوم وأحاط بعساكرهم فكان لمريناس مع سابور مراسلات ومهادنة واجتماع ومحادثة ومعاشرة ثم افترقوا وانصرف بجيوش النصرانية موادعا لسابور وأخلف عليه ما اتلف من أرضه باموال حملها اليه وهدايا من لطائف الروم وشيدها كل فى دين النصرانية ورددها الى ما كانت عليه ومنع من الاصنام والتماثيل وقتل على عبادتها وكان ملكه سنة (ثم ملك بعده) أوانيس وهو على دين النصرانية ثم رجع عنها وهلك فى بعض حروبه وكان ملكه الى أن هلك أربع عشرة سنة وقيل ان فى ايامه استيقظ أصحاب الكهف من رقدتهم على حسب ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم انهم بعثوا أحدهم بورقهم الى المدينة وهذا الموضع من أرض الروم

فى موقف الجاه * وصحت أين الاين * فى بينه
فقال ياساهى * عاينت قطعين * بعينه
أما ترى عيلان * وقيس أومن كان * فى الغابرين
قالوا الهوى سلطان * ان حل بالانسان * أفناه دين

دور

كم مرة قالا * أنا الذى أهوى * من هو أنا
فلا أرى حالا * ولا أرى شكوى * الا الغنا
لست كن مالا * عن الذى يهوى * بعد الجفا
ودان بالسلوان * هذا هوا لبهتان * للعارفين
سلوهم ما كان * عن حضرة الرحمن * والاكفين

دور

دخلت فى بستان * الانس والقرب * كمثله
فقام لى الريحان * يختال بالعجب * فى سندسه
أنا هو الانسان * مطيب الصحب * فى مجلسه
ياجنان ياجنان * اجنى من البستان * الياسمين
وحلل الريحان * بحرمة الرحمن * للعاشقين

وقال الامام الصفى بن ظافر الازدى فى رسالته رأيت بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيى الدين بن عربى وكان من أكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم الكسبية وما وقر له من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا لا يكترث بالوجود مقبلا كان أو معرضا وله علماء اتباع أرباب مواجيد وتصانيف وكان بينه وبين سيدى الاستاذ الخراز اخاء ورفقة فى السياحات رضى الله تعالى عنهما انتهى * وذكر الامام سيدى عبد الله بن سعد اليافعى اليمنى فى الارشاد أنه اجتمع مع الشهاب السهروردى فأطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام فقيل للشيخ ابن عربى ما تقول فى السهروردى فقال مملوء سنة من قرنه الى قدمه وقيل للسهروردى ما تقول فى الشيخ محيى الدين فقال بحر الحقائق ثم قال اليافعى ما ملخصه ان بعض العارفين كان يقرأ عليه كلام الشيخ ويشرحه فلما حضرته الوفاة نهى عن مطالعته وقال انكم لا تفهمون معانى كلامه ثم قال اليافعى وسمعت أن العز بن عبد السلام كان يطعن عليه ويقول هو زنديق فقال له بعض أصحابه أريد أن ترينى القطب أو قال وليا فاشار الى ابن عربى فقال له فأنت تطعن فيه فقال أصون ظاهر الشرع أو كما قال وأخبرنى بهذه الحكاية غير واحد من ثقات مصر والشام ثم قال وقد مدحه وعظمه طائفة كالنجم الاصبهانى والتاج بن عطاء الله وغيرهما وتوقف فيه طائفة وطعن فيه آخرون وليس الطاعن بأعلم من الخضر عليه السلام اده وأحد شيوخه وله معه اجتماع كثير ثم قال وما ينسب الى المشايخ له محامل الاول أنه لم تصح نسبته اليهم الثانى بعد الصحة يلتمس له تأويل موافق فان لم يوجد له تأويل فى الظاهر

فى الشمال وللناس ممن عنى بعلم الشمال كلام كثير وقد أخبر الله تعالى فى كتابه قال وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم الآية وكانوا من أهل مدينة افسس من أرض الروم (ثم ملك بعد أوانيس) عمر اطنامس خمس عشرة سنة ولسنة من ملكه كان اجتماع النصرانية وهو أحد الاجتماعات باسم القوم فى روح القدس عندهم وأحرقوا مقدونيس بطريق القسطنطينية وهو السندوس الثانى (ثم ملك بعده) بدوسيس الاكبر وتفسير هذا الاسم عندهم عطية الله وقام بدين النصرانية وعظم منها وبنى كنائس ولم يكن من أهل بيت الملك ولا من الروم وانما كان أصله من الاشبان وهم بعض الملوك السالفة وقد كان ممن ملك الشام ومصر والاندلس وقد تنازع الناس فيهم فذكر الواقدى فى كتاب فتوح الامصار أن بداءهم من أهل أصبهان وانهم نافلة من هنالك وهذا يوجب انهم من قبل ملوك فارس الاولى وذكر عبد الله ابن خرداذبه نحو ذلك وساعدهما على ذلك جماعة من أهل السير والاخبار والاشهر من امرهم انهم ولد يافث بن نوح وهم من ملوك فله

قوله تاويل في الباطن لم نعلمه وانما يعلمه العارفون الثالث أن يكون ذلك صدر منهم في حال السكر والغيبة والسكران سكرا مباحا غير مؤاخذ ولا مكلف انتهى ملخصا وممن ذكر الشيخ محيي الدين الامام شمس الدين محمد بن مسدي في معجمه البديع المحتوى على ثلاث مجلدات وترجمه ترجمة عظيمة مطولة اذ كر منها أنه قال انه كان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في اعتقادات حاض بحار تلك العبارات وتحقق بمحياة تلك الاشارات وتصانيفه تشهد له عند أولي البصر بالتقدم والاتمام ومواقف النهايات في مراتب الاقدام ولهذا ما ارتبت في أمره والله تعالى أعلم بسره انتهى : ونقلت من خط ابن علوان التونسي رحمه الله تعالى قال الشيخ محيي الدين

بالمال ينقاد كل صعب * من عالم الارض والسماء
يحسبه عالم حجابا * لم يعرفوا لذة العطاء
لولا الذي في النفوس منه * لم يجب الله في الدعاء
لا تحسب المال ما تراه * من عسجد مشرق الضياء
بل هو ما كنت يا بني * به غنيا عن السواء
فكن بربّ الغنا غنيا * وعامل الخلق بالوفاء

وقال

نبه على السر ولا تفشه * فالبوح بالسر لدى سمعت
على الذي يبديه فاصبر له * واكتمه حتى يصل الوقت

وقال

دع ثائر علما ما علينا * هما لنا في الوجود دهر
أدبا بنا صيرت رؤسا * مالي على ما أراه صبر
هذا هو الدهر يا خليلي * من يقاسيه فهو قهر

ونظم الشيخ محيي الدين هو البحر الذي لا ساحل له ولنختم ما أوردناه منه بقوله

يا حبذا المسجد من مسجد * وحبذا الروضة من مشهد
وحبذا طيبة من بلدة * فيها ضريح المصطفى أحمد
صلى عليه الله من سيد * لولاه لم نعلم ولم نهتد
قد قرن الله به ذكره * في كل يوم فاعتبر ترشد
عشر حفيات وعشر اذا * أعلن بالتأذين في المسجد
فهذه عشرون مقرونة * بأفضل الذكر الى الموعد

*(ومنهم الصوفي الشهير أبو الحسن الششتري وهو علي بن عبد الله العبري) عروس الفقهاء وامام المتجردين وبركة لابسي الخرقة وهو من قرية ششتر من عمل وادي آش وزعاق الششتري معلوم بها وكان مجودا للقرآن فائما عليه عارفا بمعانيه من أهل العلم والعمل جال في الآفاق ولقي المشايخ وحج حجات وآثر التجرد والعبادة *وذكره القاضي أبو العباس الغبريني في عنوان الدراية فقال الفقيه الصوفي من الطلبة المحصلين والقراء المتقطعين

دين المجوس ومنهم من رأى انهم كانوا على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة الاصنام وقد قلنا ان الاشهر من انسابهم انهم ولد يافث بن نوح فكان مدة ملك بدرسيس الى ان هلك عشر سنين (ثم ملك بعده) أوباديس أربع عشرة سنة وكان على دين النصرانية (ثم ملك بعده) ابنه بدرسيس الاصغر ودلك بمدينة افسس وجمع مائتي أسقف وهذا الاجتماع الثالث الذي قدمنا ذكره آنفا لمن فيه نسطورس البطرك وقد ذكر بانى كتابنا أخبار الرمان الحية التي وقعت على نسطورس بطرك القسطنطينية صاحب الكرسي بالاسكندرية وما كان من نسطورس ونفيه ليوحنا المعروف بالراهب وما كان في بدويا زوجة الملك الى أن نفى نسطورس من القسطنطينية الى انطاكية ثم منها الى صعيد مصر والمشار قة من النصارى أضيفوا الى نسطورس لانهم اتبعوه وقالوا بقوله وانما وسمتهم الملكية بهذا الاسم لتغيرهم وتبعيهم بدلك وقد

٥٢ ط ل كانت المشارقة بالحيرة وغيرها من المشرق تدعى بالعبادوسائر نصارى المشرق بابون هذه الاضافة

له علم بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية وتقدم فى النظم والنثر على طريقة التحقيق وأشعاره وموشحاته وأزجاله الغاية فى الانطباع أخذ عن القاضى محيى الدين محمد بن ابراهيم ابن الحسن بن سراقة الانصارى الشاطبى وغيره من أصحاب السهروردى صاحب عوارف المعارف واجتمع بالنجم بن ابراهيم الدمشقى سنة ٦٠٠ فخدم أبا محمد بن سبعين وتلمذ له وكان ابن سبعين دونه فى السن لكن اشتهر باتباعه وعول على ما لديه حتى صار يعبر عن نفسه فى منظوماته وغيرها بعبدالحق بن سبعين وقال له لما لقيه يريد المشايخ ان كنت تريد الجنة فسر الى أبى مدين وان كنت تريد رب الجنة فهلم الى ولما مات أبو محمد انفرد بعده بالرياسة والامامة على الفقراء المتجردين فكان يتبعه فى أسفاره ما ينيف على أربعمائة فقير فيقتسمهم الترتيب فى وظائف خدمته صنف كتبا منها كتاب العروة الوثقى فى بيان السنن واحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعمله ويعتقده الى وفاته وله كتاب المفاليد الوجودية فى اسرار الصوفية والرسالة القدسية فى توحيد العامة والخاصة والمراتب الايمانية والاسلامية والاحسانية والرسالة العلمية وغير ذلك وله ديوان شعر مشهور ومن نظمه قوله رحمه الله تعالى

لقد نهت عجبا بالتجرد والفقر * فلم أندرج تحت الزمان ولا الدهر
وجاءت لقلبى نفحة قدسية * فغبت بها عن عالم الخلق والامر
طويت بساط الكون والقى شخصه * وما القصد الا الترك للطى والنشر
وعمصت عين القلب غير مطلق * فألهيتنى ذاك الملقب بالغير
وصلت لمن لم تنفصل عنه لحظه * ونزهت من أعنى عن الوصل والهجر
وما الوصف الادونه غير أننى * أريد به التشبيب عن بعض ما أدرى
وذلك مثل الصوت أنقطانما * فأبصر أمرا جل عن ضابط الحصر
وقلت له الاسماء تبغى بيانه * فكانت له الالفاظ سترا على ستر

وقال

من لامنى لو أنه قد أبصرا * ما ذقته أضحى به متحيرا
وغدا يقول لصحبه ان أنتمو * أنكرتمونى أتيتم منكرا
شدت أمور القوم عن عاداتهم * فلاجل ذاك يقال سحر مفترى

وقال وهى من أشهر ما قال

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى * بفكر رمى سهما فعدى به عدنا
وطالبنا مطلوبنا من وجودنا * نغيب به عنا لدى الصعق أن عنا

وهى طويلة مشهورة بالشرق والغرب وقد شرحها شيخ شيوخنا العارف بالله تعالى سيدى أحمد زروق نفعنا الله تعالى ببركاته وأشار ابن الخطيب فى الاحاطة الى أنها لا تخلو عن شذوذ من جهة اللسان وضعف فى العربية قال ومع ذلك فهى غريبة المنزع أشار فيها الى مراتب الاعيان الاعلام من أهل هذه الطريقة وكأنها مبنية على كلام شيخه الذى خاطبه به عند لقائه حسبما قدمناه ادا الحسنى الجنة والزيادة مقام النظر وقوله فيها

الى نسطورس ويكرهون ان يقال لهم نسطورية وقد أيد برصوما مطران نصيبين رأى المشارقة فى الثالوث وهو الكلام فى الاقانيم الثلاثة والجوهر الواحد وكيفية اتحاد اللاهوت القديم بالناسوت المحدث وكان ملك بدرسيس الى ان هلك اثنتين وأربعين سنة (ثم ملك بعده) مرديانوس (ثم ملك الروم) بلخاريا زوجة مرديانوس وكانت ملكة معه وفى أيامها كان حبر اليعاقبة من النصارى وقوع الخلاف بينهم فى الثالوث فكان ملكها سبع سنين وأكثر اليعاقبة بالعراق وبلاد تكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها الا اليسير فانهم ملكية والنوبة والارمن يعاقبة ومطران اليعاقبة بتكريت بين الموصل وبغداد وقد كان لهم بالقرب من رأس العين واحدعشر وصاحبهم اليوم بناحية حلب ببلاد قنسرين والعواصم وكرسى اليعاقبة رسمه ان يكون بمدينة انطاكية وكذلك لهم كرسى بمصر ولا أعلم له غير هذين الكرسيين وهما مصر وانطاكية (ثم ملك بعدها) اليون الاصغر ابن اليون وكان ملكه ست عشرة سنة وفى ايامه احرم مسعرة اليعقوبى بطرك الاسكندرية واجتمع له من الاساقفة ستمائة وستون اسقفا واظهر

وأظهر منها الغافقى لما جئ * وكشف عن أطواره العيم والدجنا

هو شيخه أبو محمد بن سبعين لانه مرسى الاصل غافقيه ولما وصل الششترى من الشام الى ساحل دمياط وهو مريض مرض موته نزل قرية بساحل البحر الرومى فقال ما اسم هذه القرية فقيل الطينة فقال حنت الطينة الى الطينة وأوصى أن يدفن بمقبرة دمياط اذا الطينة بمفازة وأقرب المدن اليها دمياط فحملته الفقراء على أعناقهم الى دمياط وكانت وفاته يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ٦٦٨ فدفن بدمياط رحمه الله تعالى ورضى عنه * (ومنهم سيدى أبو الحسن على بن أحمد الحرالى الاندلسى) وحرالة قرية من أعمال مرسية غير أنه ولد بمراكش وأخذ بالاندلس عن أبى الحسن بن خروف وغيره واحد ورحل الى المشرق فأخذ عن أبى عبد الله القرطبى امام الحرم وغيره وفى جملة من المشايخ بمرفا وغربا وهو امام ورع صالح زاهد كان بقية السلف وقدوة الخلف وقد زهد فى الدنيا وتخلى عنها وأقام فى تفسير الفاتحة نحوا من ستة أشهر يلقى فى التعليل قوانين تتنزل فى علم التفسير منزلة أصول الفقه من الاحكام حتى من الله تعالى ببركاته ومواهب لا تحصى وعلى أحكام تلك القوانين وضع كتابه مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل وهو ممن جمع العلم والعمل وصنف فى كثير من الفنون كالاصول والمنطق والطبيعيات والالهيات وكان يقرأ النجاة لابن سينا فينقضه عروة عروة وكان من أعلم الناس بمذهب مالك وناظر فقهاء عصره انه لا يحسن المذهب لاشتغاله بالمعقولات قرأ التهذيب وأبدى فيه العرائب وبين مخالفته للمدونة فى بعض المواضع ووقع بينه وبين الشيخ عز الدين بن عبد السلام شئ وطلب عز الدين أن يقف على تفسيره فلما وقف عليه قال اين قول مجاهد أين قول فلان وفلان وكثر القول فى هذا المعنى ثم قال يخرج من بلادنا الى وطنه يعنى الشام فلما بلغ كلامه الشيخ قال هو يخرج وأقيم أنا فكان كذلك وله عدة مؤلفات فى الفنون وقال رحمه الله تعالى أحت ملازما لمجاهدة النفس سبعة أعوام حتى استوى عندى من يعطينى دينارا ومن يزدرينى وأصبح رحمه الله تعالى ذات يوم ولا شئ لاهله يقيم به أودهم وكانت أم ولده جارية تسمى كريمة وكانت سيئة الخلق فاشتدت عليه فى الطلب وقالت له ان الاصاغر لا شئ لهم فقال لها الآن يأتى من قبل الوكيل ما تقوت به فبينما هم كذلك واذا بالجمال يضرب الباب ومعه ضع مثال لها يا كريمة ما أعجلك هذا الوكيل بعث بالقمح فقالت ومن يصنعه فامرأة تصدق به ثم قال لها يا تيك ما هو أحسن فانتظرت يسيرا وبدا لها فقالت كلمت بما لا يليق فبينما هم كذلك واذا بجمال سميذ فقال لها هذا السميذ أيسر وأسهل من القمح فلم يقبعها ذلك فامر أيضا بصدقته فلما تصدق به زادت فى المقال واذا برجل على رأسه طعام فقال لها يا كريمة قد كفيت المؤنة هذا الوكيل قد لطف بحالك * ومن كراماته أن بعض طلبته اجتمعوا فى نزهة وأخذوا حليا من زينة النساء فزينوا به بعض أصحابهم فلما انقضى ذلك واجتمعوا بمجلس الشيخ صار الذى كان فى يده الحلى يتحدث ويشير بيده فقال الشيخ يد بحعل فيها الحلى لا يشار بها الى المعاد ومنها انه أصاب الناس جدب ببجاية فارسل الى داره من يسوق ماء الى الفقراء فامتنعت كريمة ونهرت رسله فسمع كلامها فقال للرسول قل لها يا كريمة والله لا شربن

من ماء المطر الساعة نرمق السماء بطرفه ودعا الله سبحانه وتعالى ورفع يديه به وشرع المؤذن في الاذان ولم يختم المؤذن أذانه حتى كان المطر كأفواه القرب وتوفي رحمه الله تعالى بحماة من بلاد الشام سنة سبع وثلاثين وستمائة انتهى ملخصا من عنوان الدراية للغبريني * ووقع للذهبي في حقه كلام على عادته في الحط على هذه الطائفة ثم قال ه رأيت شيخنا المجد التونسي يتعالى في تفسيره ورأيت غير واحد معظما له وموقرا وقوما تكلموا في عقيدته وكان نازلا عند قاضي حماة البارزي وقال لناشرف الدين البارزي تزوج بحماة وكانت زوجته تشتمه وتؤذيه وهو يتبسم وان رجلا راهن جماعة على أن يحرجه فقالوا لا تقدر فأتى وهو يعظ وصاح وقال له أنت أبوك كان يهوديا وأسلم فنزل من الكرسي فاعتقد الرجل انه غضب وأنه تم له ما رامه حتى وصل البه فلاطم عليه وأعطاه اياهما وقال له بشرك الله بالخير لانك شهدت لابي انه كان مسلما انتهى وظاهر كلام الغبريني ان تفسير الشيخ الحر الى كامل وقال بعضهم انه لم يكمل وهو تفسير حسن وعليه نسج البقاعي مناسباته وذكر أن الذي وقف عليه منه من أول القرآن الى قوله في سورة آل عمران كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا وكلام الذهبي في الشيخ يرده كلام الغبريني اذهو أعرف به والله تعالى أعلم وحكى الغبريني انه أنشد بين يديه الرجل المشهور

جنان يا جنان * اجن من البستان * الياسمين
واترك الريحان * بحرمة الرحمن * للعاشقين

فسأل بعض عن معناه فقال بعض الحاضرين أراد به العذار وقال آخر انما أشار الى دوام العهد لان الازهار كلها ينقضي زمانها الا الريحان فانه دائم فاستحسن الشيخ هذا ووافق عليه * (ومنهم ولي الله العارف به الشيخ الشهير الكرامات الكبير المقامات سيدي أبو العباس المرسي نفعنا الله تعالى به) وهو من أكابر الاولياء صحب سيدي الشيخ الفرد القطب الغوث الجامع سيدي أبا الحسن الشاذلي أعاد الله تعالى علينا من بركاته وخلفه بعده وكان قدم من الاندلس من مرسية وقبره بالاسكندرية مشهور باجابة الدعوات وقد زرته مرارا كثيرة ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله وقد عرف به الشيخ العارف بالله ابن عطاء الله في كتابه لطائف المنن في مناقب الشيخ سيدي أبي العباس وشيخه سيدي أبي الحسن رضي الله تعالى عنهما وقال الصفدي في الوافي أحمد بن عمر بن محمد الشيخ الزاهد الكبير العارف أبو العباس الانصاري المرسي وارث شيخه الشاذلي تصوفا الاشعري معتقدا توفي بالاسكندرية سنة ٦٨٦ ولاهل مصر ولاهل الثغر فيه عقيدة كبيرة وقد زرته لما كنت بالاسكندرية سنة ٧٣٨ قال ابن عرام سبط الشاذلي ولولا قوة اشتهاره وكراماته لذكرت له ترجمة طويلة كان من الشهود بالثغر انتهى وكان سيدي أبو العباس يكرم الناس على تحورتهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لان ذلك الطائع أبى وهو متكثر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي دخل بكسر معصيته وذل مخالفته وكان شديد الكراهة للوسواس في الصلاة والطهارة ويثقل عليه شهود من كان على صفته وذكر عنده يوما شخص بانه صاحب علم وصلاح الا انه كثير الوسوسة فقال وأين

حين أخرج من ماء المعمودية تنشف به فلم يزل هذا المنديل يتداول الى أن قرر بكنيسة الرها فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها في هذه السنة وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة اعطى هذا المنديل للروم فنحوا الى الهدنة وكان للروم عند تسليمهم هذا المنديل وترح عظيم (ثم ملك بعده) ابن اخيه فرسطيس ثلاث عشرة سنة على رأي الملكية (ثم ملك بعده) طبارس أربع سنين واظهر في ملكه انواعا من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك (ثم ملك بعده) مورقس عشر بن سنة ونصر كسرى ابرويز على بهرام جور فقتل عيلة وبعث ابرويز غضبا له بجيوش الى الروم وكانت لهم حروب على حسب ما قدمنا (ثم ملك بعده) قرماس ثمان سنين الى ان قتل أيضا (ثم ملك هرقل) وكان بطريقا في بعض الجزائر قبل ذلك فعمر بيت المقدس وذلك بعد انكشاف الفرس عن الشام وبني الكنائس وملك سبع سنين من ملكه كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة شرفها الله تعالى

العالم والهياكل المذكورة وقد كان في هذه الكنيسة منديل يعظمه النصارى وذلك ان يسوع الناصري

العلم العلم هو الذى ينطبع فى القلب كالبياض فى الابيض والسواد فى الاسود وله كلام بديع فى تفسير القرآن العزيز فمن ذلك انه قال قال الله سبحانه وتعالى الحمد لله رب العالمين علم الله عز وجل خلقه عن حمده لهم بنفسه فى أزله فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده فقال الحمد لله رب العالمين أى الحمد الذى حمد به نفسه بنفسه هو له لا ينبغى أن يكون لغيره فعلى هذا تكون الالف واللام للعهد وقال فى قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين اياك نعبد شريعة واياك نستعين حقيقة اياك نعبد اسلام واياك نستعين احسان اياك نعبد عبادة واياك نستعين عبودية اياك نعبد فرق واياك نستعين جمع وله فى هذا المعنى وغيره كلام نفيس يدل على عظيم ما منحه الله سبحانه من العلوم اللدنية وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل وهذا الجواب ذكره ابن عطية فى تفسيره ووسطه الشيخ رضى الله تعالى عنه فقال عموم المؤمنين يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين والصالحون يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل لانهم حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهداء والشهداء يقولون اهدنا الصراط المستقيم أى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصلت لهم درجة الشهادة وفاتهم درجة الصديقية والصديق كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم اذ حصلت له درجة الصديقية وفاتته درجة القطبانية والقطب كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم فانه حصلت له رتبة القطبانية وفاتته علم اذا شاء الله تعالى أن يطلعه عليه أطلعه وقال رضى الله تعالى عنه الفتوة الايمان قال الله سبحانه وتعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقال رضى الله تعالى عنه فى قوله سبحانه وتعالى حاكيا عن الشيطان ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لان فوقهم التوحيد وتحتهم الاسلام وقال رضى الله تعالى عنه التقوى فى كتاب الله عز وجل على أقسام تقوى النار قال الله سبحانه وتعالى واتقوا النار وتقوى اليوم قال الله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وتقوى الربوبية قال الله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم وتقوى الالوهية وتقوى الله وتقوى الانية واتقون يا أولى الالباب وقال رضى الله تعالى عنه فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى لا أفتخر بالسيادة وانما الفخر لى بالعبودية لله وكان كثيرا ما ينشد

يا عمرو نادع عبد زهراء * يعرفه السامع والرائى
لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائى

وقال رضى الله تعالى عنه فى قول سمنون المحب

وليس لى فى سوالك حظ * فكيفما شئت فاختبرنى

الاولى أن يقول فكيفما شئت فاعف عنى اذ طلب العفو أولى من طلب الاختبار وقال رضى الله تعالى عنه الزاهد جاء من الدنيا الى الآخرة والعارف جاء من الآخرة الى الدنيا وقال

مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى عصر من كان من ملوك الروم فمنهم من ذهب الى ما قدمناه من مولده وهجرته ومنهم من رأى ان مولده عليه الصلاة والسلام كان فى ملك نوسطورس الاول وكان ملكه تسعا وعشرين سنة (ثم ملك نوسطورس) وكان ملكه عشرين سنه (ثم ملك بعده) هرقل بن منطيوس وهو الذى فى كتب الزيجات فى النجوم وعليه يعمل أهل الحساب وفى تواريخ ملوك الروم ممن سلف وخلف أن ملك الروم كان فى وقت ظهور الاسلام وأيام أبى بكر وعمر هرقل وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب التواريخ وأصحاب الاخبار والسير الا فى السير منها وفى تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن مورق (ثم ملك بعده) قيصر بن قيصر وذلك فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه (ثم ملك على الروم هرقل ابن قيصر) وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الذى حاربه أمراء الاسلام الذين فتحوا الشام مثل أبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ويزيد بن أبى سفيان وغيرهم من أمراء الاسلام حين أخرجوه من الشام

مورق بن مورق فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه وأيام معاوية بن أبى سفيان (ثم ملك بعده) قلفط بن مورق بقية أيام معاوية وكانت بينه وبين معاوية مراسلات ومهادنات وكان اختلف بينهما نيابى الرومى غلام كان لمعاوية وقد كان معاوية هادن اباه مورق بن مورق حين سار الى حرب على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان بشره بالملك واعلمه ان المسلمين تجتمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعنى عثمان ثم زال الملك الى معاوية وقد كان معاوية يومئذ اميرا على الشام لعثمان فى خبر طويل قدمنا على ذكره فى الكتاب الاوسط وان ذلك من علم الملاحم تتوارثه ملوك الروم عن أسلافهم وكان ملك قلفط بن مورق فى الآخرين أيام معاوية وأيام يزيد بن معاوية وأيام معاوية بن يزيد وأيام مروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك بن مروان (ثم ملك لاون) بن قلفط فى أيام عبد الملك بن مروان وكان الملك بعده بجيرون بن لاون فى أيام الوليد بن عبد الملك وأيام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر وتلا

رضى الله تعالى العارف لا دنياه لان دنياه لآخرته وآخرته لربه وقال الزاهد غريب من الدنيا لان الآخرة وطنه والعارف غريب فى الآخرة قال بعض العارفين معنى الغربة فى كلام الشيخ رضى الله تعالى عنه أن الزاهد يكشف له عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه ومعشر روحه فيكون غريبا فى الدنيا اذ ليست وطنا لقلبه عاين الآخرة فاخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها وفيما شهد من عقوبتها ونكالها فتغرب فى هذه الدار وأما العارف فانه غريب فى الآخرة اذ كشف له عن صفات معروفة فاخذ قلبه فيما هناك فصار غريبا فى الآخرة لان سره مع الله تعالى بلا أين فهؤلاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون فان تنزلوا الى سماء الخلق أو أرض الخصوص فبالاذن والتمكين والروح فى اليقين لم ينزلوا الى الخصوص لشهوة ولم يصعدوا الى الخلق بسوء الادب والغفلة بل كانوا فى ذلك كله بآداب الله تعالى وآداب رسله وأنبيائه متأدبين وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين * وكلام سيدى الشيخ أبى العباس رضى الله تعالى عنه بحر لا ساحل له وكراماته كذلك ولنراجع كتاب تلميذه ابن عطاء الله فان فيه من ذلك ما يشفى ويكفى وما بقى أكثر * ومن كراماته رضى الله تعالى عنه انه عزم عليه انسان وقدم اليه طعاما يختبره به فاعرض عنه ولم يأكله ثم التفت الى صاحب الطعام وقال له ان الحافظ المحاسبى رضى الله تعالى عنه كان فى اصبعه عرق اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك عليه وأنا فى يدى سبعون عرقا تتحرك على اذا كان مثل ذلك فاستغفر صاحب الطعام واعتذر الى الشيخ رضى الله تعالى عنه ونفعنا به *(ومنهم أبو اسحق الساحلى المعروف بالطويجن) بضم الطاء المهملة وفتح الواو وسكون التحتية وكسر الجيم وقيل بفتحها العالم المشهور والصالح المشكور والشاعر المذكور من أهل غرناطة من بيت صلاح وثروة وأمانة وكان أبوه أمين العطارين بغرناطة وكان مع أمانته من أهل العلم فقيها متقنا متفننا وله الباع المديد فى الفرائض وأبو اسحق هذا كان فى صغره موثقا بسماط شهود غرناطة وارتحل عن الاندلس الى المشرق فحج ثم سار الى بلاد السودان فاستوطنها ونال جاها مكينا من سلطانها وبها توفى رحمه الله تعالى انتهى ملخصا من كلام الامير ابن الاحمر فى كتابه نثير الجمان فيمن نظمنى واياه الزمان * وقال أبو المكارم منديل بن آجروم حدثنى من يوثق بقوله ان أبا اسحق الطويجن كانت وفاته يوم الاثنين ٢٧ جمادى الاخيرة سنة ٧٤٧ بتنكتو موضع بالصحراء من عمالة مالى رحمه الله تعالى ثم ضبط الطويجن بكسر الجيم قال وبذلك ضبطه بخط يده رحمه الله تعالى قال ومن نسبه للساحلى فانه نسبه لجده للام انتهى *(ومنهم الشيخ الاديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن على بن محمد بن يوسف بن عفيف الخزرجى الساعدى) من أهل غرناطة ويشهر بالخزرجى مولده ببيغة ورحل عن الاندلس قديما واستقر أخيرا بالاسكندرية وبها لقيه الحافظ ابن رشيد غير مرة وقد اطال فى رحلته فى ترجمته الى أن قال وذكره صاحبنا أبو حيان وهو أحد من أخذ عنه ولقيه فقال تلا القرآن بالاندلس على أبى الوليد هشام بن واقف المقرى وسمع بها من أبى زيد الرازى العشر ينيات وسمع بمكة من شهاب الدين السهروردى صاحب عوارف المعارف

وتلا بالاسكندرية على أبى القاسم بن عيسى ولا يعرف له نظم فى أحد من العالم الا فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شعره يعارض الحريرى

أهن لاهل البدع * والهجر والتصنع * ودن بترك الطمع
ولذ باهل الورع
وعد عن كل بذى * لم يكترث بالنبذ * والهج بسير جهبذ
وعالم متضع
واندب زمانا قد سلف * ولم تجد منه خلف * وابعث بانواع الاسف
رسائل التضرع

وهى طويلة فلتراجع فى ملء العيبة لابن رشيد رحمه الله تعالى (ومنهم الفقيه الجليل العارف النبيل الحاذق الفصيح البارع أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الشهير بابن سبعين العكى المرسى الاندلسى) ويلقب من الالقاب المشرقية بقطب الدين قال الشيخ المؤرخ ابن عبد الملك درس العربية والآداب بالاندلس ثم انتقل الى سبتة وانتحل التصوف وعكف برهة على مطالعة كتبه والتكلم على معانيها فمالت اليه العامة ثم رحل الى المشرق وحج فجاور وشاع ذكره وعظم صيته وكثر أشياعه وصنف أوضاعا كثيرة تلقوها منه ونقلوها عنه ويرمى بأمور الله تعالى أعلم بها وبحقيقتها وكان حسن الاخلاق صبورا على الاذى آية فى الايثار انتهى وقال غيره احد ان اغراض الناس فيه متباينة بعيدة عن الاعتدال فمنهم المرهق المكفر ومنهم المقلد المعظم الموقر وحصل بهذين الطرفين من الشهرة والاعتقاد والنفرة والانتقاد ما لم يقع لغيره والله تعالى أعلم بحقيقة أمره وذكر الشريف الغرناطى عنه أنه كان يكتب عن نفسه ابن هيه يعنى الدارة التى هى كالصفر وهى فى بعض طرق المغاربة فى حسابهم سبعون وشهر لذلك بابن دارة ضمن فيه البيت المشهور محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا * حسبما ذكره الشريف فى شرح مقصورة حازم وقد طال عهدى به فليراجعه من ظفر به وقال صاحب درة الاسلاك فى سنة ٦٦٩ ما صورته وفيها توفى الشيخ قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن سبعين المرسى صوفى متفلسف متزهد متقشف يتكلم على طريق أصحابه ويدخل البيت ولكن من غير أبوابه شاع أمره واشتهر ذكره وله تصانيف واتباع وأقوال يميل اليها بعض القلوب وغلها بعض الاسماع وكانت وفاته بمكة المشرفة عن نحو خمسين سنة نغمده الله تعالى برحمته انتهى وقال بعض الاعلام فى حق ابن سبعين انه كان رحمه الله تعالى عزيز النفس قليل التصنع يولى خدمة الكثير من الفقراء والسفارة أصحاب العبادات والدفاقيس بنفسه ويحفون به فى السكك ولما توفرت دواعى النقد عليه من الفقهاء كثر عليه التأويل ووجهت لالفاظه المعاريض وقلبت موضوعاته وتعاورته الوحشة وجرت بينه وبين الكثير من أعلام المشرق والمغرب خطوب يطول ذكرها ووقع فى رسالة لبعض تلامذة ابن سبعين المذكور وأظن اسمه يحيى ابن محمد بن أحمد بن سليمان وسماه بالوراثة المحمدية والفصول الذاتية ما صورته فان قيل ما الدليل على أن هذا الرجل الذى هو ابن سبعين هو الوارث المشار اليه قلنا عدم

من أهل مرعش يقال له جرجيس وكان ملكه تسع عشرة سنة ولم يزل ملك الروم مضطربا الى ان ملكهم قسطنطين بن اليون وذلك فى خلافة أبى العباس السفاح وأبى جعفر المنصور واخيه (ثم ملك بعده) اليون بن قسطنطين وذلك فى أيام المهدى والهادى (ثم ملك بعده) قسطنطين بن اليون وكانت أمه أريني ملكة معه مشاركة له فى الملك لصغر سنه فى أيام هرون الرشيد هلك قسطنطين بن اليون وسملت عينا أمه بعد ذلك لاخبار يطول ذكرها (ثم ملك على الروم) يعفور بن اسدراى وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات ونزاه الرشيد فاعطى القود من نفسه بعد بغى كان منه فى بعض مراسلاته فانصرف الرشيد عنه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد وكتم عن الرشيد أمره لعارض علة كان وجدها بالرقة وفى انتياد يعفور الى الرشيد وحمله الاموال والهدايا والضريبة اليه يقول أبو العتاهية

امام الهدى أصبحت بالدين معنيا
وأصبحت تسقى كل مستمطر ريا
لك اسمان شقا من رشاد ومن هدى * فانت الذى يدعى رشيدا ومهديا

النظر واحتياج الوقت اليه وظهور الكلمة المشار اليها عليه ونصيحته لاهل الملة ورحمته
المضافة للعالم المطلق ومحبته لاعدائه وقصده لراحتهم مع كونهم يقصدون أذاه وعفوه
عنهم مع قدرته عليهم وجذبهم الى الخير مع كونهم يطيبون هلاكه وهذه كلها من علامات
الوراثة والتبعية المحضة التي لا يمكن أحدا أن يتصف بها الا بمجد أزلي وتخصيص الهي
وها انا أصف لك بعض ما خصه الله سبحانه وتعالى به من الامور التي هي خارقة للعادة وتلقي
عن الامور الخفية التي لا نعلمها ونقصد الامور الظاهرة التي نعلمها والتي لا يمكن أحدا أن
يستريب فيها الا من أصمه الله تعالى وأعماه ولا يجحدها الا حسود قد أتعب الله تعالى قلبه
وأنساه رشده ونعوذ بالله ممن عاند من الله تعالى ساعده وأيده وهو معه بنصره وعونه
وما أتعب معانده وما أسعد مواده وما أكبت مراده فنبدأ بذكر ما وعدنا فنقول
الاول في شرفه واستحقاقه لما ذكرنا كونه خلقه الله تعالى من أشرف البيوت التي في بلاد
المغرب وهو بنو سبعين قرشيا هاشميا علويا وأبواه وجدوده يشار اليهم ويعول في الرياسة
والحسب والتعيين عليهم والثاني كونه من بلاد المغرب والنبي عليه السلام قال لا يزال
طائفة من أهل المغرب ظاهرين الى قيام الساعة وما ظهر من بلاد المغرب رجل أظهر منه
فهو المشار اليه بالحديث ثم نقول أهل المغرب أهل الحق وأحق الناس بالحق وأحق المغرب
بالحق علماؤه لكونهم القائمين بالقسط وأحق علمائه بالحق محققهم وقطبهم الذي يدور الكل
عليه ويعول في مسائلهم ونوازلهم السهلة والعويصة عليه فهو حق المغرب والمغرب حق
الله تعالى والمسئلة حق العالم فهو المشار اليه بالوراثة ثم نقول أهل المغرب ظاهرون على
الحق أي على الدين والحق سر الدين والمحقق سر الحق فالمحقق سر الدين فهو المشار اليه
بالوراثة ثم نقول أهل الله خير العالم وأهل الحق هم خير أهل الله والمحقق خير أهل الحق
فالمحقق خير العالم فهو المشار اليه ثم نقول انظر في بدايته وحفظ الله سبحانه له في صغره
وضبطه له من اللهو واللعب واخراجه من اللذة الطبيعية التي هي في جبلة البشرية وتركه
للرياسة العرضية المعول عليها عند العالم مع كونه وجدها في آبائه وهي الآن في اخوته
وخروجه عن الاهل والوطن الذي قرنه الحق مع قتل الانسان نفسه وانقطاعه الى الحق
اعطاه صحيحا تعلم تخصيصه وخرقه للعادة ثم انظر في تأييده وفتحه من الصغر وتأليف كتاب
بدء العارف وهو ابن خمس عشرة سنة وفي جلالة هذا الكتاب وكونه يحتوي على جميع
العلوم العلمية والعملية وجميع الامور السنية والسنية تجده خارقا للعادة وفي نشأته
في بلاد الاندلس ولم يعلم له كثرة نظر وظهوره فيها بالعلوم التي لم تسمع قط تعلم أنه خارق للعادة
وفي تواليفه واشتمالها على العلوم كلها ثم انفرادها وغرابتها وخصوصيتها بالتحقيق الشاذ
عن أفهام الخلق تعلم أنه مؤيد بروح القدس وفي شجاعته وقوته تو كله في عزمه ونصره
لعقائده وظهور حجته على خصمائه واقامة حقه وبرهانه وفصاحة كلامه وبيان سلطانه
تعلم أن ذلك بقوة الهية وعناية ربانية وفي اذعان أهل المغرب له واجتماعهم عليه في كل
بلد معتبر للمناظرة ويظهر الله تعالى حجته ويقمع خصمه ويكبت عدوه ويعجز معارضه
ويفحم معترضه وفي غيرة الحق عليه وهلاك من تعرض بالاذى اليه يعلم العاقل المخصوص

اذا ما سخطت الشيء كان مسخطا * وان ترض شيأ كان في الناس مرضيا بسطت لنا شرقا وغربا يد العلا
فاوسعت شرقيا وأوسعت غربيا
وغشيت وجه الارض بالجود والندى
فاصبح وجه الارض بالجود مغشيا
وأنت أمير المؤمنين فتى التي
نشرت من الاحسان ما كان مطويا
قضى الله أن صفى لهارون ملكه
وكان قضاء الله في الخلق مقضيا
تحببت الدنيا لهارون بالرضا
واصبح يغفور لهارون داعيا
فلما عوفي الرشيد من علته
دخل عليه بعض الشعراء
وقد هاب به الناس ان يخبروه بغدر يغفور فقال
نقض الذي أعطاكه يغفور
فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فانه
فتح أتاك به الاله كبير
وفتح يزيد على الفتوح يؤمنا
بالنصر فيه لواؤك المنصور
فلقد تباشرت الرعية أن أتى
بالغدر عنه واغدر بشير
ورجت بيمنك أن تجول غزوة
تشفي النفوس نكالها مذكور
يغفور انك حين تغدر أن نأى * عنك الامام لجاهل مغرور

انه عند الله مخصوص وفي خلقه وقهره لقواه النزوعية والعضبية واسلام قرينه وجلالة قوته الحافظة التي لا تنسى شيأ والمفكرة التي تتصور الذوات المجردة والمعلومة سرعين الطيف وكذلك الذاكرة وسرعة ظهوره وانتشار آيته واستجلاب ثنائه في الجهات كلها وبالجملة جميع ما ذكرت فيه هو خارق للعادة البشرية ومعجز لمعارضه من كل الجهات ولولا خوف التطويل لكنت أفصل كل صفة ذكرت فيه بالكلام الصناعي وتقيم الادلة القطعية على تجويزها ولكن اعطيت الانموذج وعرفت ان النبيه يعرف فكره ويجد ذلك كله كما قلته وبالجملة جميع جزئياته اذا تأملت توجد خارقة للعادة وتشهد لها ماهية الوجود بالتخصيص فصح انه هو المشار اليه والمعول في جملة الامور عليه وانما أعطيت الامر المشهور وبركت ما يعلم منه من حرق العوائد وظهور الطعام والشراب والسمن والتمر وأخذ الدراهم من الكون واخباره عن وقائع قبل وقوعها بسنين كثيرة وظهرت كما أخبر فصح انه هو المذكور انتهى ما تعلق به الغرض مما في الرسالة في شان الشيخ ابن سبعين وقد ذكر غير واحد من المؤرخين ومنهم لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة كما سيأتي قريبا أن ابن سبعين عاده الخوف من أمير المدينة عن القدوم اليها وعظم عليه بذلك الحمل وقبحت الاحدوثة عنه انتهى لكن قال شهاب الدين بن أبي جملة التلمساني الاديب الشهير وهو صاحب كتاب السكردان وديوان النسيابة ومنطق الطير والاعتراض على العارف بالله تعالى ابن الفارض ما معناه أخبرني الشيخ الصالح أبو الحسن بن برغوش التلمساني شيخ المجاورين بمكة وكانت له معرفة تامة بهذا الرجل أنه صده عن زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرب من باب من أبواب مسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام يهراق منه دم كدم الحيض والله تعالى أعلم بحقيقة أمره انتهى وقال غيره ثم زار النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا على طريق المشاة حدث بذلك أصهاره بمكة انتهى وقال لسان الدين أما شهرته ومحله من الادراك والآراء والاوضاع والاسماء والوقوف على الاقوال التعمق في الفلسفة والقيام على مذاهب المتكلمين فما يقضى منه بالعجب وقال الشيخ أبو البركات بن الحاج البلفيقي رحمه الله تعالى حدثني بعض أشياخنا من أهل المشرق أن الامير أبا عبد الله بن هود سالم طاغية النصارى فسكت به ولم يف بشرطه فاضطره ذلك الى مخاطبة القس الاعظم برومية فوكل أبا طالب بن سبعين أخا أبي محمد عبد الحق بن سبعين في التكلم عنه والاستظهار بين يديه قال فلما بلغ ذلك الشخص رومية وهو بلد لا يصل اليه المسلمون ونظر الى ما بيده وسئل عن نفسه فاخبر بما ينبغي كلم ذلك القس من دنا منه بكلام مبهم ترجم لابي طالب بما معناه اعلموا ان أخاهذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه انتهى وقال غير واحد انه ظهر منه واشتهرت عنه أشياء كثيرة الله تعالى أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه منها فنها قوله فيما زعموا وقد جرى ذكر الشيخ ولي الله سيدي أبي مدين نفعنا الله تعالى ببركاته شعيب عبد عمل ونحن عبيد حضرة ومن حكى هذا لسان الدين في الاحاطة وقد ذكر ابن خلدون في تاريخه الكبير في ترجمة السلطان المستنصر بالله تعالى أبي عبد الله محمد ابن السلطان زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص ملك

قربت ديارك أم نأت بك دور
ليس الامام وان غفلنا غافلا
عما يسوس بحزمه ويديره
ملك يجود الى الجهاد بنفسه
فعدوه أبدا به مقهور
يا من يريد رضا الاله بسعيه
والله لا يخفى عليه ضمير
لا نصح ينفع من يغش امامه
والصحب من نصحائه مشكور
نصح الامام على الانام فريضه
ولاهله كفارة وطهور
وهي طويلة فلما أنشده اياها قال الرشيد أو قد فعل وعلم ان الوزراء قد احتالوا فتجهز وغزاه ونزل على هرقلة وذلك في سنة تسعين ومائة واخبرني أبو عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي الازدي ان الرشيد لما أراد النزول على هرقلة وكان معه أهل الثغور وفيهم شيخا الثغور الشامية مخلد بن الحسين وأبو اسحق الفزاري صاحب كتاب السير فخلا الرشيد بمخلد بن الحسين فقال أي شئ تقول في نزولنا على هذا الحصن

فقال هذا أول حصن لقيت من حصون الروم وهو في نهاية المنعة فان نزلت عليه وسهل الله فتحه

المؤمنين هذا حصن بنته الروم في بحر الدروب وجعلته ثغرا من الثغور وليس بالآهل فان أنت فتحته لم يكن فيه ما يعم المسلمين من الغنائم وان تعذر فتحه كان ذلك نقصا في التدبير والرأي عندي ان يسير أمير المؤمنين الى مدينة عظيمة من مدن الروم فان فتحت عمت غنائمها المسلمين وان تعذر ذلك قام العذر فقال الرشيد الى قول مخلد فنزل على هرقلة ونصب حولها الحرب تسعة عشر يوما فاصيب خلق كثير من المسلمين وفنيت الازواد والعلوفات وضاق صدر الرشيد من ذلك فاحضر أبا اسحق الفزاري فقال يا ابراهيم قد ترى ما نزل بالمسلمين فما الرأي الآن عندك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت أشفقت من هذا وقد مت القول فيه ورأيت ان يكون الجد والحرب من المسلمين على غير هذا الحصن والآن فلا سبيل الى الرحيل عنه من بعد المباشرة فيكون ذلك نقصا في الملك ووهنا في الدين واطماعا لغيره من الحصون في الامتناع عن المسلمين والمصابرة لهم لكن الرأي يا أمير المؤمنين ان تامر بالنداء في الجيش ان أمير المؤمنين مقيم على انتدب

افريقيه وما اليها ان أهل مكة بايعوه وخطبوا له بعرفة وأرسلوا له ببيعتهم وهي من انشاء ابن سبعين وسردها ابن خلدون بجملتها وهي طويلة وفيها من البلاغة والتلاعب باطراف الكلام ما لا مطمع وراءه غير أنه يشير فيها الى أن المستنصر هو المهدي المبشر به في الاحاديث الذي يحثو المال ولا يعده وحمل حديث مسلم وغيره عليه وذلك ما لا يخفى ما فيه فليراجع كلام ابن خلدون في محله ولابن سبعين من رسالة سلام عليك ورحمة الله سلام عليك ثم سلام مناجاتك سلام الله ورحمته الله الممتدة على عوالمك كلها السلام عليك يا أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته وصلى الله عليك كصلاة ابراهيم من حيث شريعتك وكصلاة أعز ملائكتك من حيث حقيقتك وكصلاته من حيث حقه ورحمانيته السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا قياس الكمال ومقدمة العلم ونتيجة الحمد وبرهان المحمود ومن اذا نظر الدهن اليه قرأ نعم العبد السلام عليك يا من هو الشرط في كمال الاولياء وأسرار مشروطات الاذكياء الاتقياء السلام عليك يا من جاوز في السموات مقام الرسل والانبياء وزاد رفعة واستعلا عن ذوات الملا الاعلى وذكر قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى * وقال بعضهم عند ايراده جملة من رسائله التي منها هذه انها تشتمل على ما يشهد له بتعظيم النبوة وايثار الورع انتهى * وقال بعض العلماء الا كابر عند تعرضه لترجمة الشيخ ابن سبعين المترجم به ما نصه ببعض اختصار هو أحد المشايخ المشهورين بسعة العلم وتعدد المعارف وكثرة التصانيف ولد سنة ٦١٤ ودرس العربية والادب بالاندلس ونظر في العلوم العقلية وأخذ عن أبي اسحق بن دهاق وبرع في طريقه وجال في البلاد وقدم القاهرة ثم حج واستوطن مكة وطار صيته وعظم أمره وكثر أتباعه حتى انه ترجم له أمير مكة فبلغ من التعظيم الغاية وله كتاب الدرج وكتاب الدرة وكتاب الابوية اليمية وكتاب الكد وكتاب الاحاطة ورسائل كثيرة في الاذكار وترتيب السلوك والوصايا والمواعظ والغنائم ومن شعره

كم ذا نموه بالشعبين والعلم * والامر أوضح من نار على علم
وكم تعبر عن سلع وكاظمة * وعن زرود وجيران بذي سلم
طالت تسأل عن نجد وأنت بها * وعن تهامة هذا فعل متهم
في الحي حي سوى ليلى فتسأله * عنها سؤالك وهم جر للعدم

ونشاء رحمه الله تعالى ترفا مبجلا في ظل جاه ونعمة لم تفارق معها نفسه الباؤوكان وسيما جميلا ملوكي البزة عزيز النفس قليل التصنع وكان آية من الآيات في الايثار والجود بما في يده رحمه الله تعالى * وقال في الاصحة للناس في أمره اختلاف بين الولاية وضدها ولما وجه الى كلامه سهام الرد من قصر أكثرهم عن مداه في الادراك والخوض في تلك البحار والاطلاع وساءت منهم في الممازجة له السيرة فانصرفوا عنه مكلومين ينذرون عنه في الآفاق من سوء المقالة بالاشئ فوقه وجرت بينه وبين اعلام المشرق خطوب وعاقه الخوف من أمير المدينة عن الدخول اليها الى ان توفي فعظم بذلك الحمل عليه ونبحت الاحدوثة عنه ولما وردت على سبتة المسائل العقلية وكانت جملة من المسائل الحكمية وجهها علماء الروم تبكيتا للمسلمين

انتدب للجواب المقنع عنها على فتاء من سنه وبديهة من فكره رحمه الله تعالى انتهى * وقال بعض من عرف به انه من أهل مرسية وله علم وحكمة ومعرفة ونباهة وبراعة وفصاحة وبلاغة * وقال فى عنوان الدراية رحل الى العدوة وسكن ببجاية مدة ولقى من أصحابنا ناسا وأخذوا عنه وانتفعوا به فى فنون خاصة له مشاركة فى معقول العلوم ومنقولها وله فصاحة لسان وطلاقة قلم وفهم جنان وهو أحد لعلماء الفضلاء وله أتباع كثيرة من الفقراء ومن عامة الناس وله موضوعات كثيرة هى موجودة بايدى أصحابه وله فيها ألغاز واشارات بحروف أبجد وله تسميات مخصوصة فى كتبه هى نوع من الرموز وله تسميات ظاهرة هى كالاسامى المعهودة وله شعر فى التحقيق وفى مرامى أهل الطريق وكتابته مستحسنة فى طريق الادباء وله من الفضل والمزية ملازمته لبيت الله الحرام والتزامه الاعتمار على الدوام وحجه مع الحجاج فى كل عام وهذه مزية لا يعرف قدرها ولا يرام ولقد مشى به للغاربة فى الحرم الشريف حظ لم يكن لهم فى غير مدته وكان أهل مكة يعتمدون على أقواله ويهتدون بافعاله * توفى رحمه الله تعالى يوم الخميس تاسع شوال سنة ٦٦٩ انتهى ببعض اختصار وذكر رحمه الله تعالى فى ترجمة تلميذه الشيخ أبى الحسن الششترى السابق الذكر ان أكثر الطلبة يرجحونه على شيخه أبى محمد بن سبعين واذا ذكر له هذا يقول انما ذلك لعدم اطلاعهم على حال الشيخ وتصوروا عهم * ومن تاليف ابن سبعين الفتح المشترك ومما حكاه صاحب عنوان الدراية فى ترجمة الششترى عالم نذكره فى ترجمته الماضية ورأينا ذكره هنا تبركا أن الششترى كان فى بعض أسفاره فى البرية وكان رجل من أصحابه قد أسر فسمعه الفقراء يقول الينا يا أحمد فقيل له من أحمد الذى نادیته یاسیدی فى هذه البرية فقال لهم من تسرون به غدا ان شاء الله تعالى فلما كان من الغد ورد الشيخ وأصحابه بلد قابس فعند دخولهم اذا بالرجل المأسور فقال الشيخ للفقراء هنيئا لنا باقتحام العقبة صافحوا أخاكم المنادى به ومن مناقبه نفع الله تعالى به أنه لما نزل بلدة قابس برباط البحر المعروف بالصهريج جاءه الشيخ الصالح أبو اسحق الزرناتى نفع الله تعالى به بجميع أصحابه برسم الزيارة فوافق وصوله وصول الشيخ الصالح الفاضل الولى أبى عبد الله الصنهاجى نفع الله تعالى به مع جملة أصحابه للزيارة فوجدوا الشيخ أبا الحسن قد خرج الى موضع بخارج المدينة برسم الخلوة فجلسوا لانتظاره فلم يكن الا قليل اذ أقبل الشيخ على هيئة معتبر متفكر فلما دخل الرباط سلم على الواصلين برسم الزيارة وحيا المسجد وأقبل على الفقراء وأثر العبرة على وجنته فقال اثنونى بمداد فلما أحضر بين يديه تناوه تناوها شديدا كاد أن يحرق بنفسه جليسه وجعل يكتب على اللوح هذه الابيات

لا تلتفت بالله ياناظرى * لا هيف كالغصن الناضر
ياقلب واصرف عنك وهم البقا * وخل عن سرب حمى حاجر
ما السرب والبان والعلع * ما الخيف ماظبى بنى عامر
جمال من سميته دائر * ما حاجة العاقل بالدائر
وانما مطلبه فى الذى * هام الورى فى حسنه الباهر

وبناء مدينة بازاء هذا الحصن الى أن يفتحه الله عز وجل ولا يكون هذا الخبر ينمو الى أحد من الجيش الاعلى المقام فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الحرب خدعة وهذه حرب حيلة لا حرب سيف فامر الرشيد من ساعته بالنداء فحملت الاحجار وقطع الخشب من الشجر وأخذ الناس فى البناء فلما رأى اهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون فى الليل ويدلون أنفسهم بالحبال وفى خبر أبى عمير بن عبد الباقى زيادات منها خبر الجارية التى سباها الرشيد من هذا الحصن وهى ابنة بطريقه وكانت ذات حسن وجمال فزاد فيها صاحب الرشيد فى المغنم وبالغ فيها حتى اشتراها له فبلغت من قلبه و بنى لها نحو الرافقة باميال على طريق بالس حصنا سماه هرقلة تحاكى به حصن هرقلة ببلاد الروم فى خبر طويل قد أتينا على جميعه فى كتابنا الاوسط وهذا الحصن باق الى هذه الغاية هنالك خراب يعرف بهرقلة وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد قال أخبرنى أبو العيناء قال أخبرنى شبل الترجمان قال كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة وفتحها فرأيت بها حجرا منصوبا

أفاد للشمس سنى كالذى * أعاره للقمر الزاهر
أصبحت فيه مغرما حائرا * لله در المغرم الحائر

وكانوا يوما ببلدمالقة وكثيرا مايحتوى عليه القرآن العزيز فقرأ طالب قوله تعالى انى أنا الله لااله الا أنا فاعبدنى فقال مجملا رضى الله تعالى عنه وفهم من الآية مالم يفهم وعلم منها مالم يعلم

انظر للفظ أنا مغرما فيه * من حيث نظرتنا لعل تدريه
خل ادخارك لاتفتخر بعارية * لايستعير فقير من مواليه
جسوم أحرفه للسر حاملة * ان شئت تعرفه جرب معانيه

ودخل عليه شخص ببجاية من أهلها يعرف بابى الحسن بن علال من أهل الامانة والديانة فوجده يذاكر بعض أهل العلم فاستحسن منه ايراده للعلم واستعماله لحاضرة الفهم فاعتقد شيأ اختسبه وتقديمه ثم نوى أن يؤثر الفقراء من ماله بعشرين دينارا شكرا لله تعالى وياتيهم بما كول فلما يسر جميع ما اهتم به أراد أن يقسمه فيعطيه شطره ويدع الشطر الثانى الى حين انصراف الشيخ ليكون للفقراء زادا فلما كان فى الليل رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعلى رضى الله تعالى عنهما قال الرجل فنهضت اليه بسرور رؤية النبى صلى الله عليه وسلم وقلت يارسول الله ادع الله تعالى لى فالتفت لابى بكر رضى الله تعالى عنه وقال يا ابا بكر أعطه فاذا به رضى الله تعالى عنه قسم رغيفا كان بيده وأعطانى نصفه ثم أفاق الرجل من منامه وأخذه وحمد من هذه الرؤيا المباركة فأيقظ أهله واستعمل نفسه فى العبادة فلما كان من الغد سار وأتى الشيخ ببعض الطعام ونصف الدراهم المحتسب بها فلما دفعها للشيخ قال له الشيخ ياعلى اقرب فلما قرب قال له ياعلى لو أتيت بالكل لاخذت منه الرغيف بكماله انتهى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الشهير بابن غصن الاشبيلى) من ولد شداد بن أوس الانصارى الجزيرى نسبة الى الجزيرة الخضراء الامام المقرى الزاهد عرض على الاستاذ ابن أبى الربيع الموطأ من حفظه وأخذ عنه النحو وكان من أولياء الله تعالى الصالحين وعباده الناصحين آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر قوالا بالحق لاتأخذه فى الله لومة لائم عارفا بمتون الحديث وأحكامه نقيها عارفا متقنا لمذاهب الأئمة الاربعة والصحابة والتابعين لايقبل من أحد شيأ مخلصا لله تعالى يتكلم على المنبر على عادة أهل العلم من تعليم المسائل الدينية وأقرأ القرآن بمكة مدة بالقراآت وبالمدينة وبيت المقدس وممن قرأ عليه خليل امام المالكية بالحرم والشهاب الطبرى امام الحنفية بالحرم وله مصنفات فى القراآت منها مختصر الكافى وكتاب فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ومولده سنة ٦٣١ تخمينا وتوفى ببيت المقدس آخر سنة ٧٢٣ رحمه الله تعالى * (ومنهم الشيخ الفقيه الاستاذ النحوى التاريخى اللغوى أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهرى اللبلى يكنى أبا العباس وأبا جعفر) قرأ بالاندلس على مشايخ من أفضلهم الاستاذ أبو على عمر الشلوبين ثم ارتحل الى العدوة وسكن بجاية وأقرأ بها مدة وارتحل الى المشرق فحج ثم رجع الى حضرة تونس واتخذها وطنا واشتغل بها بالاقراء الى أن مات كان يتبسط لاقراء سائر كتب العربية وله علم جليل باللغة وله

مكتوبا عليه باليونانية آدم عاقص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولايحملنك افراط السرور على المأثم ولا تحمل نفسك هم يوم لم يأت فانه ان يك من أجلك وبقية عمرك يأت الله فيه برزقك ولاتكن من المغرورين بجمع المال فكم قد رأينا جامعا لبعل حليلته ومنترا لنفسه موفرا لخزانة غيره وقد كان تاريخ هذا الكتاب فى ذلك اليوم زائدا على ألفى سنة وباب هرقلة مطل على وادوخندق يطيف بها وذكر جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور أن اهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار وعضتهم الحرب بالحجارة والسهام والنار فتحوا الباب فاستشرف المسلمون لذلك فاذا رجل من اهلها كاجمل الرجال قد خرج فى اكمل السلاح فنادى يامعشر العرب قد طالت مواقفتكم ايانا فليخرج الى منكم الرجل والعشرة الى العشرين مبارزة فلم يخرج اليه من الناس أحد ينتظرون اذن الرشيد وكان الرشيد نائما فلما استيقظ أخبر بذلك فتاسف ولام خدمه على تركهم ايقاظه فقيل له ياامير المؤمنين ان امتناع الناس منه يطمعه ويطغيه ويجرئه أن يخرج فى غد

تواليف كثيرة منها على الجمل وبمرح الفصيح لثعلب ولم يشذ فيه شئ من فصيح كلام العرب قال الغبريني رحمه الله تعالى لو رأيت له تأليفا في الاذكار وله عقيدة في علم الكلام ورأيت له مجموعا سماه الاعلام بحدود قواعد الكلام تكلم فيه على الكلم الثلاث الاسم والفعل والحرف وله تواليف أخر وكان من أساتيذ افريقية في وقته وممن أخذ عنه واستفيد منه انتهى * وذكر الشيخ أبو الطيب بن علوان التونسي عن والده أحمد التونسي الشهير بالمصري أن للذكور تأليفا سماه التجنيس وله شرح أبيات الجمل سماه وشي الحلل رفعه للملك المستنصر الحفصي بتونس فدفعه المستنصر للاستاذ أبي الحسن حازم وأمره أن يتعقب عليه ما فيه من خلل وجده فحكى أبو عبد الله القطان المسفر وكان يخدم حازما قال كنت يوما بدار أبي الحسن حازم وبين يديه هذا الكتاب فسمعت نقر الباب فخرجت فاذا بالفقيه أبي جعفر فرجعت وأخبرت أبا الحسن فقام مبادرا حتى أدخله وبالغ في بره واكرامه فرأى الكتاب بين يديه فقال له يا أبا الحسن قال الشاعر * ومن الرضا عن كل عيب كليلة * فقال له يا فقيه أبا جعفر أنت سيدي وأخي ولكن هذا أمر الملك لا يمكن فيه الا قول الحق والعلم لا يحتمل المداهنة فقال له فأخبرني بما عثرت عليه قال له نعم فأظهر له مواضع فسلمها أبو جعفر وبشرها وأصلحها بخطه وأصل هذا اللبلي من لبلة بالاندلس اجتمع في رحلته للشرق بالقاضي ابن دقيق العيد وكان نحويا فلما دخل عليه اللبلي قال له القاضي خير مقدم ثم سأله بعد حين بم انتصب خير مقدم فقال له اللبلي على المصدر وهو من المصادر التي لا تظهر أفعالها وتذكره سيبويه ثم سرد عليه الباب من أوله الى آخره فانه كان يحفظ أكثره فاكرمه القاضي وعظمه ثم قال ابن علوان وذكر والدي أيضا رحمه الله تعالى ومن خطه المبارك نقلت ان الاستاذ أبا جعفر اللبلي المذكور رحمه الله تعالى قرأ عليه يوما قول امرئ القيس

حي الحمول بجانب العزل * اذ لا يلائم شكلها شكلي

فقال لطلبته ما العامل في هذا الظرف يعني اذ فتنازعوا القول فقال حسبكم قرئ هذا البيت على استاذنا أبي علي الشلوبين فسألناه هذا السؤال وكان أبو الحسن بن عصفور قد برع واستقل وجلس للتدريس وكان الشلوبين يغض منه فقال لنا اذا خرجتم فاسألوا ذلك الجاهل يعني ابن عصفور فلما خرجنا سرنا اليه بجمعنا ودخلنا المسجد فرأيناه قد دارت به حلقة كبيرة ولم يتكلم بغرائب النحو فلم نجسر على سؤاله لهيبته وانصرفنا ثم جئنا بعد على عادتنا الاولى على فنسي حتى قرئ عليه قول السابغة * فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له * فتذكر وقال ما فعلتم في سؤال ابن عصفور فصدقناه الحديث فاقسم أن لا يخبرنا ما العامل فيه ثم قال اللبلي لطلبته وأنا أقول لكم مثل ذلك فانظروا لانفسكم قالوا فنظرنا فاذا المسئلة مسئلة فحص ونظر كلما حكمنا بحكم صدتنا عنه قوانين نحوية حتى مضت مدة طويلة فوفد علينا بتونس المحروسة أحد طلبة ابن أبي الربيع وكان ابن أبي الربيع هذا ساكنا بسبتة وهو أحد طلبة الشلوبين أيضا ومن كبار هذه الطبقة التي نشأت بعده قالوا فتذاكرنا مع هذا الطالب في مسائل نحوية فمرت هذه المسئلة

فاذا الفارس قد خرج وعاد الى كلامه فقال الرشيد من له فابتدر جلة القواد فعزم على اخراج بعضهم فضج أهل الثغور والمتطوعة بباب المضرب فاذن لبعضهم وفي مجلسه مخلد بن الحسين وابراهيم الفزاري فدخلوا فقالوا يا أمير المؤمنين قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت ومباشرة الحروب ومتى خرج واحد منهم وقتل هذا العلج لم يكبر للنوان قتله العلج كانت وضيعة على العسكر عظيمة وثلمة لا تنسد ونحن عامة لا يرتفع لاحد مناصيت فان رأى امير المؤمنين أن يختار رجلا منا يخرج اليه فعل فصوب الرشيد رأيهم وقال مخلد وابراهيم صدقوا يا أمير المؤمنين فأومئوا الى رجل منهم يعرف بابن الجزري مشهور في الثغور موصوف بالنجدة فقال له الرشيد أتخرج اليه فقال نعم وأستعين بالله عليه فقال أعطوه فرسا وسيفا ورمحا وترسا فقال يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق ورمحي في يدي اشد ولكن قد قبلت السيف

والترس فلبس السلاح واستدناه الرشيد وأتبعه بالدعاء وخرج معه عشرون من المتطوعة فلما انقض في الوادي قال لهم العلج

في قوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين فقال هذا الطالب ان هذا الظرف وقع موقع لام العلة فعلمنا أن هذا هو الذي أراد الاستاذ أبو علي ثم ناقشنا الطالب وقلنا له اذا جعلته ظرفا فلا بد من العامل واذا جعلته واقعا موقع الحرف كان هذا على شذوذ قول الكوفيين والذي يجوز عكسه على مذهب الجميع وانما الاولى أن يقال اذ حرف معناه التعليل نشترك فيه الاسماء كما اشتركت في عن والله أعلم بغيبه انتهى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي) قال الحافظ المقريزي وفرح بسكون الراء وقال الحافظ عبد الكريم في حقه انه كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشتغلين بما يعنيهم من أمور الآخرة فما بين توجه وعبادة وتصنيف جمع في تفسير القرآن كتابا خمسة عشر مجلدا وشرح أسماء الله الحسنى في مجلدين وله كتاب التذكرة في أمور الآخرة في مجلدين وشرح التفصي وله تآليف غير ذلك مفيدة وكان مطرح التكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية سمع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم بعض هذا الشرح وحدث عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي وعن الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد البكري وغيرهما وتوفي بمنية ابن خصيب ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ ودفن بها رحمه الله تعالى * وفي تاريخ الكتبي في حقه ما نصه كان شيخا فاضلا وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه منها تفسير القرآن مليح الى الغاية اثنا عشر مجلدا انتهى * وكتب بعض تلامذته على الهامش ما صورته قد أجحف المصنف في ترجمته جدا وكان متفننا متبحرا في العلم انتهى * وكتب بعض باثر هذا الكلام ما نصه قال الذهبي رحل وكتب وسمع وكان يقظا فهما حسن الحفظ مليح النظم حسن المذاكرة ثقة حافظا انتهى * وكتب آخر اثر ذلك الكلام ما صورته مشاحة شيخنا المصنف في هذه العبارة ما لها فائدة فان الذهبي قال في تاريخ الاسلام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الامام القرطبي امام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله ثم ذكر موته وقال بعده وقد سارت بتفسيره العظيم الشان الركبان وله الاسنى في شرح الاسماء الحسنى والتذكرة وأشياء تدل على امامته وذكائه وكثرة اطلاعه انتهى * وكتب آخر باثر هذا الكلام ما نصه غفر الله لك اذا كان الذهبي ترجمه بما ذكرت وهو والله فوق ذلك فكيف نقول ان مشاحة شيخك لا فائدة فيها وتسيء الادب معه وتقول ان كلامه لا فائدة فيه فالله يستر عليك انتهى * (ومنهم أبو القاسم بن حاضر الجزيري الخزرجي محمد بن أحمد) من جزيرة شقر قدم مصر وسكن قوص بعد ما كان من عدول بلنسية وكان فصيحا عالما بصناعة التوريق وله نظم لم يحضر في الآن شيء منه ومات بالقاهرة سنة تسع وثلاثين وستمائة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو القاسم النجيبي محمد بن أحمد التجيبي) من أهل بلش قرأ على ابن مفرج وابن أبي الاحوص ورحل فاستوطن القاهرة وكان شيخا فاضلا خيرا له أدب وشعر منه قوله من أبيات

أحوى الجفون له رقيب أحول * الشيء في ادراكه شيآن

وهو عدهم واحدا واحدا للثمانية الارجل واحد فلما فصل منهم ابن الجزري تاملوه العلج وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتاملون صاحبهم فقال له الرومي أتصدقني عما أسألك عنه قال نعم قال أنت ابن الجزري بالله قال اللهم نعم قال فكفؤوه قال بلى كفؤوني ثم أخذا في شأنهما فتطاعنا حتى طال الامر بينهما وكادا لفرسان أن يقوما تحتهما وليس واحد منهما خدش صاحبه ثم رميا رمحيهما هذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه وانتضيا سيوفهما وقد اشتدت الحرب عليهما وتبلد جوادا هما فجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي ظن انه قد بالغ فيها يتقيها الرومي وكانت درقته حديدا فيسمع لها صوت منكر ويضربه الرومي فيغوص سيفه لان ترس ابن الجزري كانت يمانية وكان العلج يخاف أن يغوص السيف فيعطب فلما يئس كل واحد منهما من صاحبه انهزم ابن الجزري فدخلت الرشيد والمسلمين من ذلك كآبة لم يصبهم مثلها وعطف المشركون من حصنهم وانما كانت حيلة من ابن الجزري فاتبعه العلج وعلا عليه فلما تمكن منه ابن الجزري رماه

بوهق فاختطفه من سرجه ثم عطف عليه فقاوصل الى الارض حتى فارفسه رأسه وكبر المسلمون وانكسر المشركون وبادروا الباب ليغلقوه واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد أن يجعلوا فى حجارة المجانيق النار فليس عند القوم دفع بعدها وعاجلهم المسلمون الى الباب فدخلوها بالسيف وقبل انهم بادوا بالامان فاستواوا فاتحها عنوة أشهر من قول من قال انها فتحت صلحا فقال فى ذلك الشاعر المكى

هوت هرقلة لما ان رأت عجبا
خواتما ترعى بالنقط والنار
كأن نيرانها من جنب قلعتهم
مصقلات على ارسان قصار

وهذا كلام ضعيف ولكن قد عظم قدره فى ذلك الوقت للمعنى وعظمت لصاحبه الجائزة وصبت الاموال على ابن الجزرى وقود وخلع عليه فلم يقبل شيأ من ذلك وسأل أن يعفى ويترك على ماهو عليه ففى ذلك يقول الشاعر أبو العتاهية

ألا نادت هرقلة للخراب
من الملك الموفق للصواب
غداهرون يرعد بالمنايا
ويبرق بالمذكرة العضاب
وأبشر بالغنيمة والايابا

يا ليته ترك الذى أنا مبصر * وهو المخبر فى الغزال الثانى

ولد ببلش سنة ٦٢٣ وتوفى بالخسينية خارج القاهرة سلخ المحرم سنة ٦٩٥ وممن روى عنه نحوى الزمان اثير الدين أبو حيان وغيره رحمه الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو بكر الخزرجى محمد بن أحمد بن حسن وقيل محمد بن عيسى المالقى المالكى) قال الشريف أبو القاسم انه كان أحد الزهاد الورعين وعباد الله المتقين مشتغلا بنفسه متخليا عما فى أيدى الناس يأكل من كسب يده ولا يقبل لاحد شيأ مع وجد وعلم وعمل وفضل وأدب ولم يكن فى زمانه من اجتمع فيه ما اجتمع له وقال الحافظ عبد الكريم انه دخل اشبيلية واشتغل بالعربية على الشلوبين وقرأ القراآت السبع ثم قدم مصر واشتغل بمذهب مالك وكان والده تجارا وكان لا يأكل الا من كسب يده يخيط الثياب فازدحم الناس عليه تبركا به فترك ذلك وصار يدق القصدير ويأكل منه ويتصدق بما فضل عنه وكان شديد الزهد كثير العبادة لا يسلم يده الى أحد ليقبلها وجاءه شخص قد زيد عليه فى أجرة مسكنه ليشفع الى صاحب الدار أن لا يقبل الزائد فمضى الى صاحب الدار وأعطاه الزائد مدة أشهر فعلم بذلك الساكن بعد مدة فقال له يا سيدى ما سألت الا شفاعة وأنت تزن عنى فقال له رجل له دار يأخذ أجرتها يجىء اليه الخزرجى يقطع عليه حقه والله ما يدفع هذا الا أنا فلم يزل يدفع الزائد الى أن انتقل الساكن الى غيرها ومات ليلة الاثنين الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٥١ عن خمس وأربعين سنة ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى ونفعنا به * (ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن خليل بن فرج الهاشمى مولاهم) لان ولاءه لبنى العباس من أهل قرطبة ولد فى شهر رمضان سنة ٣٢٢ بقرطبة وسمع بها من وهب بن مسرة وخالد بن سعيد وغيره ورحل فحج وأدرك بمصر ابن الورد وابن رشيق وأبا على بن السكن ونظراءهم فى سنة ٣٤٩ وعاد الى بلده وبها مات فى شهر رمضان سنة ست وأربعمائة قال ابن بشكوال كان رجلا صالحا فاضلا من أهل الاجتهاد فى العبادة مائلا الى التقشف والزهادة قديم الطلب حسن المذهب متبعا للسنن * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سلمان بن أحمد بن ابراهيم الزهرى الاندلسى الاشبيلى) ولد بمالقة وطاف الاندلس وطلب العلم وحصل طرفا صالحا من علم الادب ودخل مصر قبل التسعين وخمسمائة فسمع الحديث بها ودخل الشام وبلاد الجزيرة وقدم بغداد سنة ٥٠٩ وعمره ثلاثون سنة وأقام بها مدة وسمع من شيوخها كابى الفرج بن كليب ونحوه وقرأ ونسخ بخطه وسافر الى أصبهان وبلاد الجبل وكان فاضلا حسن المعرفة بالادب يقول الشعر وينشئ المقامات وصنف كتاب البيان والتبيين فى انساب المحدثين ستة أجزاء وكتاب البيان فى أبهم من الاسماء فى القرآن مجلد وكتاب أقسام البلاغة واحكام الصناعة فى مجلدين وكتاب شرح الايضاح لابى على الفارسى فى خمسة عشر مجلدا وكتاب شرح المقامات مجلد وكتاب شرح اليمينى فى مجلد قال المنذرى توفى شهيدا قتله التتار فى رجب وقال ابن النجار فى سابع عشر رجب ٦١٧ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الاعلى ابن القاسم القرطبى المقرى المعروف بالورشى) نسبة الى قراءة ورش لاشتهاره بها وهو أحد القراء المعروفين قال الحاكم هو من الصالحين المذكورين بالتقدم فى علم القراآت سمع بمصر

وروايات يجل النصر فيها * تمر كأنها سرر السحاب امير المؤمنين ظفرت فاسلم *

والشام والحجاز والعراقين والجبل وأصبهان وورد نيسابور ودخل خراسان فسمع على ابن المرزبان باصبهان وبالاهواز عبدالواحد بن خلف الجنديسابورى وبفارس أحمد بن عبدالرحمن بن الجارود الرقى وقال ابن النجار قدم بغداد وحدث بها توفى بسجستان فى ربيع الاول سنة ٣٩٣ * (ومنهم أبو عبدالله محمد بن أحمد الباجى اللخمى) قال ابن بشكوال مولده فى صفر سنة ٣٠٦ وسمع عن جده ورحل الى المشرق وقال ابن غلبون فى مشيخته انه كان من أهل العلم والحديث والرواية والحفظ للمسائل قائما بها واقفا عليها قاعدا للشروط محسنا لها عارفا وبيتهم بيت علم ونشأ فيه هو وأبوه وجده وكان جميعهم فى الفضل والتقدم على درجاتهم فى السن وعلى منازلهم فى السبق وكانت رحلته مع أبيه وروايتهما واحدة وشركه فى السماع والرواية عن جده وسمع بمصر من أبى الحسن أحمد بن عبدالله بن حميد بن زريق المخزومى وقال ابن بشكوال كان من أجل الفقهاء عندنا دراية ورواية بصيرا بالعقود ومتقدما على أهل الوثائق عارفا بعللها وألف فيها كتابا حسنا وكتابا فى السجلات الى ما جمع فيه من أقوال الشيوخ والمتأخرين مع ما كان عليه من الطريقة المثلى ونوفية العلم حقه من الوفاء والتصون توفى فى المحرم سنة ٤٣٤ لعشرين بقين منه * (ومنهم أبو عبدالله محمد ابن أحمد بن عبدالعزيز العتبى الاندلسى القرطبى الفقيه المالكى المشهور صاحب العتبية) سمع بالاندلس من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وغيرهما ورحل الى المشرق فسمع من سحنون وأصبغ بن الفرج وغيرهما وكان حافظا للمسائل جامعا لها عالما بالنوازل وهو الذى جمع المستخرجة من الاسمعة المسموعة غالبا من مالك بن أنس وتعرف بالعتبية وأكثر الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة وكان يؤتى بالمسئلة الغريبة فاذا سمعها أدخلوها فى المستخرجة ولذا روى عن ابن وضاح انه كان يقول المستخرجة فيها خ كذا قال ولكن الكتاب وقع عليه الاعتماد من علماء المالكية كابن رشد وغيره * قال يونس توفى بالاندلس سنة ٢٥٥ والعتبى نسبة الى عتبة بن أبى سفيان بن حرب وقيل الى جد للذكور يسمى عتبة وقيل الى ولاء عتبة بن يعيش * (ومنهم أبو عبدالله محمد بن أحمد بن زكريا المعافرى المقرى الفرضى الاديب) ولد بالاندلس سنة ٢٩١ ونشأ ببلنسية وأقام بالاسكندرية وقرأ القرآن على أصحاب ابن هذيل ونظم قصيدة فى القراآت على وزن الشاطبية لكن اكثر أبياتا وصرح فيها بأسماء القراء ولم يرمز كما فعل الشاطبى وكانت له يد فى الفرائض والعروض مع معرفة القراآت والادب ومن شعره

اذا ما اشترت بنت أباها فعتقه * بنفس الشراشرعا عليها تأصلا
وميراثه ان مات من غير عاصب * ومن غير ذى فرض لها قد تنائلا
لها النصف بالميراث والنصف بالولا * فان وهب ابنا أو شراه تعضلا
وأعتق شرعا ذلك الابن مالها * سوى الثلث والثلثان للاخ أصلا
وميراثها فيه اذا مات قبلها * كميراثها فى الاب من قبل يجتلى
ومولى أبيها مالها الدهر فيه من * ولاء ولا ارث مع الاب فاعتلى

وهذه المسئلة ذكر الغزالى فى الوسيط انه قضى فيها أربعمائة قاض وغلطوا وصورتها ابنة

اشترت

وللرشيد مع يعفور هذا بعد فى ارساله ليحيى بن الشخير حين أمره ان يتطارش على يعفور وما كان من يعفور واخباره لبطارقته أن الرشيد بعث بهذا متصاما وماطا له ابن الشخير بدينار أو درهم عليه صورة الملك حين عرضت عليه الخزائن وما كان من انقياد يعفور بعد ذلك الى طاعة الرشيد وشرطه عليه ان يحمل اليه اينما كان من ماء عين العشيرة وهى عين البدبدون وهى فى نهاية الصفاء والرقة وغير ذلك مما عنه امسكنا طلبا للاختصار

(ثم ملك بعد يعفور) استراق بن يعفور بن استراق فى أيام محمد الامين فلم يزل ما كا حتى غلب على الملك قسطنطين قلعط وكان ملك قسطنطين هذا فى خلافة المامون (ثم ملك بعده) نطر نوفيل وذلك فى خلافة المعتصم وهو الذى فتح زبطرة وغزاه المعتصم بالله ففتح عمورية وسنورد خبره فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المعتصم ان شاء الله تعالى (ثم ملك بعده) ميخائيل بن نوفيل وذلك فى خلافة الواثق والمتوكل المنتصر والمستعين ثم كان بين الروم تنازع فى الملك فملكوا عليهم نوفيل بن ميخائيل بن نوفيل (ثم غلب على الملك نسيل)

اشترت أباها فعتق عليها ثم اشترى الاب ابنا فعتق عليه ثم اشترى عبدا فأعتقه ثم مات الاب فورثه الابن والبنت للذكر مثل حظ الانثيين ثم مات العبد المعتق فلمن يكون ولاؤه وفرضها المالكية على غير هذا الوجه وهي مشهورة * (ومنهم محمد بن أحمد بن محمد بن سهل أبو عبد الله الاموي الاندلسي الطليطلي المعروف بالنقاش) نزل مصر وقعد للاقراء بجامع عمرو بن العاصي وأخذ عنه جماعة وتوفي بمصر سنة ٣٥٩ (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي القبري القرطبي المؤدب) رحل من الاندلس سنة ٣٤٢ فسمع بمصر من أبي محمد بن الورد وأبي قتيبة سالم بن الفضل البغدادي وغيره وكان صالحا خيرا مؤدبا سمع من الناس وتوفي سنة ٣٦٢ والقبري بفتح القاف وسكون الباء الموحدة ثم راء مهملة نسبة الى قبرة بلد بالاندلس بقرب قرطبة بنحو ثلاثين ميلا * (ومنهم جمال الدين أبو بكر الوابلي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سجمان الشريشي المالكي) ولد بشريش سنة ٦٠٠ ورحل فسمع بالاسكندرية من ابن عمار الحراني وبدمشق من مكرم بن أبي الصقر وبحلب من أبي البقاء يعيش بن علي النحوي وسمع باربل وبغداد وأقام بالمدرسة الفاضلية من القاهرة مدة يفيد الناس فتخرج به جماعة وولي مشيخة المدرسة بالقدس ومشيخة الرباط الناصري بالجبل وأقام بدمشق يفتي ويدرس وكان من العلماء الزهاد كثير العبادة والورع والزهد أحد الائمة المبرزين المتبحرين في العربية والفقه على مذهب الامام مالك والتفسير والاصول وصنف كتابا في الاشتقاق وشرح ألفية ابن معطي وأخذ عنه الناس وطلب للقضاء بدمشق فامتنع منه زهدا وورعا وبقي المنصب لاجله شاغرا الى أن مات برجب سنة ٦٨٥ ودفن بقاسيون وسجمان بسين مهملة مضمومة ثم جيم ساكنة بعدها ميم مفتوحة ونون * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القرطبي المعروف والده بالقنتوري) وكان جد أبيه مفرج صاحب الركاب للحكم بن عبد الرحمن الداخل وكان أبوه أحمد بن يحيى رجلا صالحا وولد هو سنة ٣٢٨ وكان سكناه بقرطبة بقرب عين قمت أوربة وسمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ كثيرا ومن ابن دليم والحشني ورحل سنة ٣٣٧ وسمع بمكة من ابن الاعرابي ولزمه حتى مات وسمع بها من جماعة غيره وسمع بجدة وبالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام ودخل صنعاء وزبيد وعدن وسمع بها من جماعة وسمع بمصر من البرقي صاحب احمد البزار وسمع من السيرافي وجماعة كثيرة وسمع بغزة وعسقلان وطبرية ودمشق وطرابلس وبيروت وصيدا والرملة وصور وقيسارية والقلزم والفرما والاسكندرية فبلغت عدة شيوخه الى مائتين وثلاثين شيخا وروى عنه ابو عمرو الطلمنكي وجماعة وكتب تاريخ مصر عن مؤلفه ابي سعيد بن يونس وروى عنه ابن يونس وهو من اقرانه وعاد الى الاندلس من رحلته سنة ٣٤٠ واتصل بالحكم المستنصر وصار له عنده مكانة والف له عدة كتب واستضاءه على استجة ثم على المرية ومات برجب سنة ٣٤٨ قال الحميدي هو محدث حافظ جليل صنف كتبا في فقه الحديث وفي فقه التابعين فيها فقه الحسن البصري في سبع مجلدات وفقه الزهري في اجزاء كثيرة وسمع مسند ابن الفرضي وحديث قاسم بن اصبغ قال ابن الفرضي وكان عالما بالحديث بصيرا برجاله صحيح النقل حافظا جيد الكتابة على كثرة ما جمع وقال ابن عفيف في حقه انه كان من اعنى الناس بالعلم واحفظهم

(ثم ملك بعده) ابنه اليون ابن نسيل بقية ايام المعتمد وصدرا من ايام المعتضد (ثم هلك) فملكوا عليهم ابنا له يقال له الاسكندروس فلم يحمدوا امره فخلعوه وملكوا عليهم اخاه لاوى ابن اليون بن نسيل الصقلبي وكان ملكه بقية ايام المعتضد والمكتفي وصدرا من أيام المقتدر (ثم هلك) وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فملك وغلب على مشاركته في الملك ارميوس بطريق البحر وصاحب غزوه وحروبه فزوج قسطنطين الصبي بابنته وذلك في بقية ايام المقتدر وايام القاهر والراضي والمتقي الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في خلافة ابي اسحق المتقي بن المقتدر وملوك الروم في هذا الوقت المؤرخ ثلاثة والاكبر منهم والمدبر للامور ارميوس المتغلب ثم الثاني وهو قسطنطين ابن لاوى بن اليون بن نسيل والملك الثالث ابن لارميوس يخاطب بالملك اسمه اصطفانوس وجعل ارميوس ابنا له آخر صاحب الكرسي

٥٤ ط ل بالقسطنطينية وهو البطرك الاكبر الذي ياخذون عنه دينهم وقد كان خصاه قبل ذلك وقربه الى

الروم على حسب ماذكرنا والله أعلم مايكون من أمرهم في المستقبل من الزمان فعدد سني ملوك الروم المتنصرة من قسطنطين ابن هلانى وهو المظهر لدين النصرانية على ما ذكرنا الى هذا الوقت خمسمائة سنة وسبع سنين والذى أجمع عليه من عدد ملوكهم من قسطنطين الى هذا الوقت المؤرخ أحد وار بعون ملكا ولم يعد ابن أرميوس ووقع العدد على قسطنطين وأرميوس اللذين هما ملكا الروم في هذا الوقت المؤرخ وان أدخلنا في هذا العدد ابن أرميوس فعدد ملوك الروم من بدء النصرانية وهو الملك قسطنطين بن هلانى اثنان وأربعون ملكا في مدة هذه السنين المذكورة وقد ذهب جماعة ممن عنى باخبار العالم الى أن من حين هبط آدم عليه السلام الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ستة آلاف سنة ومائتين وتسعا وخمسين سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ سني العالم والانبياء والملوك في باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى *(ذكر مصر وأخبارها ونيلها وعجائبها وأخبار من

للحديث وأبصرهم بالرجال مارايت مثله في هذا الفن من أوثق المحدثين بالاندلس وأصحهم كتبا وأشدهم تعبا لروايته وأجودهم ضبطا لكتبه وأكثرهم تصحيحا لها لم يدع فيها شبهة رحمه الله تعالى *(ومنهم ابو عبد الله القيسي الوضاحي محمد بن احمد بن موسى) رحل الى المشرق وسمع من السلفي وغيره جملة صالحة ثم عاد الى الاندلس بعد الحج وسكن المرية مدة وبها مات سنة ٥٣٩ وقيل في التي بعدها وكان من أظرف الناس وأحسنهم أدبا فقيها فاضلا ثقة ذا فوائد جمة عفيفا معتنيا بالعلم *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدري البلنسي) ولد سنة ٥١٩ وسمع من أبيه وجماعة ورحل حاجا فسمع من السلفي وابن عوف والحضرمي والتنوخي والعثماني وغيرهم ورجع بعد الحج الى الاندلس فحدث وكان غاية في الصلاح والورع وأعمال البر وله حظ من علم العبارة ومشاركة في اللغة وكتب بخطه على ضعفه كثيرا رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نوح الاشبيلي) ومولده سنة احدى وثلاثين وستمائة باشبيلية وجال في بلاد المغرب والمشرق وقرأ على الشيوخ الفضلاء وحصل كثيرا في علم القراآت والادب وله نظم ونثر وكان كثير التلاوة للقرآن جيد الاداء له وأقام بدمشق حتى مات بها سنة ٦٩٩ رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن أيوب المخزومي القرطبي) روى عن يحيى بن يحيى وقدم مصر فسمع من الحرث بن مسكين وكان حافظا للفقه عالما توفي سنة ٣٧٩ *(ومنهم أبو بكر محمد بن اسحق الشهير بابن السليم قاضي الجماعة بقرطبة) مولده سنة ٣٠٦ روى عن قاسم بن أصبغ وطبقته ورحل سنة ٣٣٢ فسمع بمكة من ابن الاعرابي وبمصر من الزبر وابن النحاس وغيرهما وعاد الى الاندلس فاقبل على الزهد ودراسة العلم وحدث فسمع منه الناس وكان حافظا للفقه بصيرا بالاختلاف حسن الخط والبلاغة متواضعا وتوفي بجمادى الاولى سنة ٣٦٧ وسلم بن السين مكبرا *(ومنهم موسى بن بهيج المغربي الاندلسي الواعظ الفقيه العالم) من أهل المرية نزل مصر يكنى أبا عمران كان من أهل العلم والادب وله في الزهد وغيره أشعار رحلت عنه وحدث المرشاني عنه بخمسة في الحج وأعماله كلها ولقيه بمصر وقرأها عليه ولابن بهيج هذا قوله

انما دنياك ساعه * فاجعل الساعة طاعه
واحذر التقصير فيها * واجتهد ما قد رساعه
واذا أحببت عزا * فالتمس عز القناعه

*(ومنهم أبو عمران موسى بن سعادة مولى سعيد بن نصر) من أهل مرسية سمع صهره أبا علي ابن سكرة الصدفي وكانت بنته عند أبي علي ولازمه وأكثر عنه وروى عن أبي محمد بن مفوز الشاطبي وأبي الحسن بن شفيع قرأ عليهما الموطأ ورحل وحج وسمع السنن من الطرطوشي وعني بالرواية وانتسخ صحيحي البخاري ومسلم بخطه وسمعهما على صهره أبي علي وكانا أصلين لا يكاد يوجد في الصحة مثلهما حكى الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد أنه سمعهما على أبي علي نحو ستين مرة وكتب أيضا الغريبين للهروي وغير ذلك وكان أحد الافاضل الصلحاء والاجواد السمحاء يؤم بالناس في صلاة الفريضة ويتولى القيام بمؤن صهره أبي علي وبما يحتاج اليه

من كتابه فقال عز وجل وقال الذي اشتراه من مصر وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وقوله تعالى وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه ووصف بعض الحكماء مصر فقال ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة أشهر مسكة سوداء وثلاثة أشهر زمردة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة حمراء *فاما اللؤلؤة البيضاء فان مصر في شهر أبيب وهو تموز ومسرى وهو آب وتوت وهو ايلول يركبها الماء فتحيي الدنيا بيضاء وضياعها

واب وتلال مثل
واكب قد أحاطت
بها من كل وجه فلا
سبيل لبعض البلاد الى
بعض الا في الزوارق واما
المسكة السوداء فان في
شهر بابه وهو تشرين الاول
وهاتور وهو تشرين الثاني
وكيهك وهو كانون
الاول ينكشف الماء عنها
وينضب عن أرضها فتصير
أرضا سوداء وفيها تقع
الزراعات وللارض روائح

من دقيق الاشياء وجليلها واليه أوصى عند توجهه الى غزوة كندة التي فقد فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة وكانت له مشاركة في علم اللغة والادب وقد حدث عنه ابن أخيه القاضي أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سفادة بكتاب أدب الكتاب لابن قتيبة وبالفصيح لثعلب (ومنهم أبو محمد عبد الله بن طاهر الازدي) من أهل وادي آش له رحلة الى المشرق أدى فيها الفريضة وسمع بدمشق من أبي طاهر الخشوعي مقامات الحريري وابن عساكر وغيرهما ثم قفل الى بلده انتهى ملخصا من ابن الابار *وحكى الصفدي أن ابن المستكفي اجتمع بالمتنبي بمصر وروى عنه شيأ من شعره ومما روى عنه انه قال أنشدني المتنبي لنفسه

لاعبت بالخاتم انسانة * كمثل بدر في الدجى الفاحم
وكلما حاولت أخذي له * من البنان المطرف الناعم
ألقته في فيها فقلت انظروا * قد خبأت الخاتم في الخاتم

*(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق أبو عبد الله بن مالك) صاحب التسهيل والالفية وهو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الامام العلامة الاوحد الطائي الجياني المالكي حين كان بالمغرب الشافعي حين انتقل الى المشرق النحوي نزيل دمشق ولد سنة ستمائة أو في التي بعدها وسمع بدمشق من مكرم وأبي صادق الحسن بن صباح وأبي الحسن بن السخاوي وغيرهم وأخذ العربية عن غير واحد فمن أخذ عنه بجيان أبو المظفر وقيل أبو الحسن ثابت ابن خيار عرف بابن الطيلسان وأبي رزين بن ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعي من أهل لبلة وأخذ القراآت عن أبي العباس أحمد بن نوار وقرأ كتاب سيبويه على أبي عبد الله ابن مالك المرشاني وجالس بعيش وتلميذه ابن عمرون وغيره بحلب وتصدر بها لاقراء العربية وصرف همته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين وكان اماما في القراآت وعالما بها وصنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية وأما اللغة فكان اليه المنتهى فيها قال الصفدي أخبرني أبو الثناء محمود قال ذكر ابن مالك يوما ما انفرد به صاحب المحكم عن الازهري في اللغة قال الصفدي وهذا أمر معجز لانه يحتاج الى معرفة جميع ما في الكتابين وأخبرني عنه أنه كان اذا صلى في العادلية لانه كان امام المدرسة يشيعه قاضي القضاة ابن خلكان الى بيته تعظيما له وقد روى عنه الالفية شهاب الدين محمود المذكور ورواها الصفدي خليل عن شهاب الدين محمود قراءة ورواها اجازة عن ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر وعن شهاب الدين بن عائم بالاجازة عنهما عنه وأما النحو والتصريف فكان فيهما ابن مالك بحرا لا يشق لجه وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو واللغة فكان أمرا عجيبا وكان الائمة الاعلام يتحيرون في أمره في الاطلاع على الحديث فكان فيه آية لانه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن فان لم يكن فيه شاهد عدل الى الحديث وان لم يكن فيه شيء عدل الى أشعار العرب هذا مع ما هو عليه من الدين والعبادة وصدق اللهجة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال العقل وأقام بدمشق مدة يصنف ويشتغل بالجامع وبالتربة العادلية وتخرج به جماعة وكان نظم الشعر عليه سهلا رجزه وطويله وبسيطه وصنف كتاب تسهيل الفوائد قال الصفدي ومدحه

طيبة تشبه روائح المسك وأما الزمردة الخضراء فان في شهر طوبه وهو كانون الثاني وأمشير وهو شباط وبرمهات وهو آذار

سعد الدين محمد بن عربي بأبيات مليحة الى الغاية وهي

ان الامام جمال الدين جمله * رب العلا ولنشر العلم أهله
أملى كتابا له بسمى الفوائد لم * يرل معيدا الذى لب تأمله
وكل مسئلة فى النحو يجمعها * ان الفوائد جمع لا نظير له

قال وفى هذه الابيات مع حسن التورية فيها ما لا يخلو من ايراد ذكرته فى كتابى فص الخاتم انتهى قلت أجاب العجيسى عن ذلك بان الابيات ليست فى التسهيل وانما هى فى كتاب له بسمى الفوائد وهو الذى لخصه فى التسهيل فقوله فى اسم التسهيل تسهيل الفوائد معناه تسهيل هذا الكتاب وذكر أيضا أنه مثل التسهيل فى القدر على ماذكره من وقف عليه وقال واليه شير سعد الدين محمد بن عربى بقوله ان الامام الى آخره وسعد الدين ابن الشيخ محيى الدين صاحب الفصوص وغيرها ثم قال العجيسى وذكر غير واحد من أصحابنا أن له كتابا آخر سماه بالمقاصد وضمنها تسهيله فسماه لذلك تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد وعلى هذا الاصح قول الصفدى ان المدح المذكور فى التسهيل الابار تكاب ضرب من التاويل انتهى كلام العجيسى قلت وذكر غيره أن قوله فى الالفية مقاصد النحو بها محويه اشارة لكتاب المقاصد وتعقب بقوله محويه فانه لو كان كما ذكر لقال محوى واجاب بعضهم بانه من باب الاستخدام وفيه نعسف (رجع) ومن تصانيف ابن مالك الموصل فى نظم المفصل وقد حل هذا النظم فسماه سبك المنظوم وفك المختوم ومن قال ان اسمه فك المنظوم وسبك المختوم فقد خالف النقل والعقل ومن كتب ابن مالك كتاب الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها والخلاصة وهى مختصر الشافية والكمال الاعلام بمثلث الكلام وهو مجلد كبير كثير الفوائد يدل على اطلاع عظيم ولامية الافعال وشرحها وفعل وأفعل والمقدمة الاسدية وضعها باسم ولده الاسد وعدة اللافظ وعمدة الحافظ والنظم الاوجز فيما يهمز والاعتضاد فى الظاء والضاد مجلد واعراب مشكل البخارى وتحفة المودود فى المقصور والممدود وغير ذلك كشرح التسهيل وروى عنه ولده بدر الدين محمد ومحب الدين بن جعوان وشمس الدين بن أبى الفتح وابن العطار وزين الدين أبو بكر المزى والشيخ أبو الحسين اليونينى وأبو عبد الله الصيرفى وقاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وشهاب الدين محمود وشهاب الدين بن غانم وناصر الدين بن شافع وخلق كثير سواهم ومن نظمه فى الحلبة

خيل السباق الحلى بتقفيه مصل والملى وقال قيل مرتاح
وعاطف وحضى والمؤمل والملطيم والفسكل السكيت ياصاح

وله من هذه الضوابط شئ كثير وكان يقول عن الشيخ ابن الحاجب انه أخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل ونحوه صغيران وناهيك بمن يقول هذا فى حق الزمخشرى وكان الشيخ ركن الدين بن القويع يقول ان ابن مالك ماخلى للنحو حرمة وحكى عنه أنه كان يوما فى الحمام وقد اعترل فى مكان يستعمل فيه الموسى فهجم عليه فتى فقال ما تصنع فقال اكنس لك الموضع للقعود قال بعضهم وهذا مما يستبعد على دين ابن مالك والعهدة على

بلح ويكثر عشبها ونباتها قصير كالرمرذة الخضراء وأما السبيكة الحمراء فان فى شهر برموده وهو نيسان وبشنس وهو أيار وبؤنه وهو حزيران يبيض الزرع فيه وتورد العشب فهو كسبيكة الذهب مخضرا ومنفعة وستذكر هذه الشهور بالسريانية والعربية والفارسية ونسمى كل شهر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على جميع ذلك فى الكتاب الاوسط ووصف آخر مصر فقال تلها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب وملكها لمن سلب وماؤها رغب وفى أهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامهم تعب وحروبهم حرب وهى لمن غلب ونهرها النيل من سادات الانهار وأشراف البحار لانه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به خبر الشريعة ان النيل وسيحان وهو نهر اذنة بين طرسوس والمصيصة وجيحان ومخرجه من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام من مدينة مرعش و بطرح الى البحر الرومى فليس للمسلمين عليه من المدن الا المصيصة وكفر ياد ومجراه بينهما والفرات وقد قدمنا الاخبار عنه وعن النيل ومبدأهما ومقدار جريانهما على وجه الارض ومصبهما فيما سلف من هذا الكتاب وأنه يخرج من الجنة وكذلك الدجلة ناقله

غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزيادانها من غيضه وغيضه من زياداتها قال البصرى يغيض ان زالت له الانهار فى الارض ذات العرض والمقدار

وقالت الهند زيادته ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالى الانواء وتوالى الامطار وركود السحاب وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثرت واتصلت

وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون فى شاطئه يراها من سافر ولحق باعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت به فتحبسه فيفيض على وجه الارض وقد ذكرنا التنازع فى النيل وزيادته عن سلف وخلف على الشرح والايضاح وغيره من الانهار الكبار والبحار والبحيرات الصغار فى أخبار الزمان فى الفن الثانى فأغنى ذلك عن اعادتها فى هذا الكتاب * ومصر من سادات القرى ورؤساء المدن قال الله تعالى حاكيا عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون

وقال عز وجل حاكيا عن يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا

ناقله قال الصفدى ولا يستبعد ذلك من لطف النحاة وطباع اهل الاندلس وتوفى ابن مالك بدمشق سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقال بعضهم من أحسن شعر ابن مالك

اذا رمدت عينى تداويت منكم * بنظرة حسن او بسمع كلام
فان لم اجد ماء تيممت باسمكم * وصليت فرضى والديار امامى
واخلصت تكبيرى عن الغير معرضا * وقابلت أعلام السوى بسلام
ولم ار الا نور ذاتك لائحا * فهل تدع الشمس امتداد ظلام

وقدم رحمه الله تعالى القاهرة ثم رحل الى دمشق وبها مات كما علم * وقال الشرف الحصنى يرثيه

ياشتات الاسماء والافعال * بعد موت ابن مالك المفضال
وانحراف الحروف من بعد ضبط * منه فى الانفصال والاتصال
مصدرا كان للعلوم باذن الله من غير شبهة ومحال
عدم النحو والتعطف والتو * كيد مستبدلا من الابدال
ألم اعتراه اسكن منه * حركات كانت بغير اعتلال
بالماسكته لهمز قضاه * اورثت طول مدة الانفصال
رفعوه فى نعشه فانتصبنا * نصب تمييز كيف سير الجبال
نخموه عند الصلاة بدل * فاميلت اسراره للدلال
صرفوه باعظم ما فعلوه * وهو عدل معرف بالجمال
أدغموه فى الترب من غير مثل * سالما من تغير الانتقال
وقفوا عند قبره ساعة الدفن وقوفا ضرورة الامتثال
ومددنا الاكف نطلب قصرا * مسكنا للنزيل من ذى الجلال
آخر الآى من سبا الحظ منه * حظه جاء اول الانفال
يابيان الاعراب ياجامع الاغ راب يامفهما لكل مقال
ياقريد الزمان فى النظم والنث ر وفى نقل مسندات العوالى
كم علوم بثثتها فى اناس * علموا ما بثثت عند الزوال

انتهت ملخصة قال الصفدى وما رأيت مرثية فى نحوى أحسن منها على طولها انتهى ودفن ابن مالك بسفح قاسيون بتربة القاضى عزالدين بن الصائغ وقال العجيسى بتربة ابن جعوان ورثاه الشيخ بهاء الدين بن النحاس بقوله

قل لابن مالك ان جرت بك أدمعى * حمرا يحاكيها النجيع القانى
فلقد جرحت القلب حين نعيت لى * وتدفقت بدمائه أجفانى
لكن يهون ما اجن من الاسى * علمى بنقلته الى رضوان
فسقى ضريحا ضمه وصوب الحيا * يهمى به بالروح والريحان

وابن النحاس المذكور احد تلامذة ابن مالك وهو القائل يخاطب رضى الدين الشاطبى الاندلسى وقد كلفه ان يشترى له قطرا

يظهر من تأثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام فى البدء والمحاق وقد روى عن زيد بن أسلم فى قوله تعالى قال لم يصبها وابل فطل قال هى مصر ان لم يصبها وابل زكت وان أصابها مطر ضعفت وقال بعض الشعراء يصف مصر ونيلها

مصر ومصر شانها عجيب ... ونيلها يجرى به الجنوب
وهى مصر واسمها كمعناها ... وعلى اسمها سميت الامصار
ومنها اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين وقد قال عمرو بن معد يكرب ما النيل أصبح واحدا بعدوده ... وجرت له ريح الصبا فجرى لها

عودت كندة عادة محمودة ... فاصبر نجاها لها ورو سجالها

(قال المسعودى) ويبتدئ نيل مصر بالتنفس والزيادة بقية يؤنه وهو حزيران وأيب وهو تموز ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زائدا زاد شهرتون كله وهو ايلول الى انتهائه فاذا انتهت الزيادة الى ست عشرة ذراعا ففيه تمام الخراج وخصب الارض وربيع للبلد عام وهو ضمار للبهائم لعدم المرعى والكلا وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعا شيئا

ايها الاوحد الرضى الذى طا ... ل علاء وطاب فى الناس نشرا
انت بحر لا غرو ان نحن وافيـ ... ـناك راجين من ندالك القطرا

وابن النحاس المذكور له نظم كثير مشهور بين الناس وهو بهاء الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن نصر الحلبى الاصل المعروف بابن النحاس وهو شيخ ابى حيان ولم يأخذ أبو حيان عن ابن مالك وان عاصره بنحو ثلاثين سنة * وقال بعض من عرف بابن مالك انه نصد بحلب مدة وأم بالسلطانية ثم تحول الى دمشق وتكاثر عليه الطلبة وحاز قصب السبق وصار يضرب به المثل فى دقائق النحو وغوامض الصرف وغريب اللغات وأشعار العرب مع الحفظ والذكاء والورع والديانة وحسن السمت والصيانة والتحرى لما ينقله والتحرير فيه وكان ذا عقل راجح حسن الاخلاق مهذبا ذا رزانة وحياء ووقار وانتصاب للافادة وصبر على المطالعة الكثيرة تخرج به أئمة ذلك الزمان كابن النجى وغيره وسارت بتصانيفه الركبان وخضع لها العلماء الاعيان وكان حريصا على العلم حتى انه حفظ يوم موته ثمانية شواهد * وقال بعض الحفاظ ممن عرف بابن مالك يقال ان عبد الله فى نسبه مذكور مرتين متواليتين وبعض يقول مرة واحدة وهو الموجود بخطه أول شرحه لها وهو الذى اعتمده الصفدى وابن خطيب داريا محمد بن أحمد بن سليمان الانصارى وعلى كل حال فهو مشهور بجده فى المشرق والمغرب * وحكى بعضهم أن ولادته سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وعليه عول شيخ شيوخنا ابن غازى فى قوله

قد خبع ابن مالك فى خبعا ... * وهو ابن عه كذا وعى من قد وعى

وقيل كما تقدم ان مولده سنة ستمائة أو بعدها بيان الحرير مدينة من مدن الاندلس جبر الله كسرها وهى مفتوحة الجيم وياؤها مشددة تحتانية وتصدر ابن مالك بحماة مدة وانتفد بعضهم على ابن خلكان اسقاطه من تاريخه مع كونه كان يعظمه الى الغاية وقدم رحمه الله تعالى لصاحب دمشق قصة يقول فيها عن نفسه انه أعلم الناس بالعربية والحديث ويكفيه شرفا أن من تلامذته الشيخ النووى والعلم الفارقى والشمس البعلى والزين المزى وغيرهم ممن لا يحصى * وكان رحمه الله تعالى كثير المطالعة سريع المراجعة لا يكتب شيأ من محفوظه حتى يراجعه فى محله وهذه حالة المشايخ الثقات والعلماء الاثبات ولا يرى الا وهو يصلى أو يتلو أو يصنف أو يقرئ وكذا كان الشيخ أبو حيان ولكن كان جده فى التصنيف والاقراء * وحكى أنه توجه يوما مع أصحابه للفرجة بدمشق فلما بلغوا الموضع الذى أرادوه غفلوا عنه سويعة فطلبوه فلم يجدوه ثم فحصوا عنه فوجدوه منكبا على أوراق وأغرب من هذا فى اعتنائه بالعلم ما ذكر أنه حفظ يوم موته عدة أبيات حدها بعضهم بثمانية وفى عبارة بعض أو نحوها لقنه ابنه اياها وهذا مما يصدق ما قيل بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى فجزاه الله خيرا عن هذه الهمة العلية * وذكر أبو حيان فى الجوازم من تذييله وتكميله أنه لم يحجب من اد البراعة فى علم اللسان ولذا تضعف استنباطاته وتعقباته على أهل هذا الشان وينفر من المنازعة والمباحثة والمراجعة قال وهذا شان من يقرأ بنفسه ويأخذ العلم من الصحف بفهمه ولقد طال فحصى وتفتيشى عمن قرأ عليه واستند فى العلم اليه فلم أجد من يذكر لى

شيأ من ذلك ولتدجرى يوما مع صاحبنا تلميذه علم الدين سليمان بن أبى حرب الفارقى الحنفى فقال ذكر لنا أنه قرأ على ثابت بن خيار من أهل بلده جيان وأنه جلس فى حلقة الاستاذ أبى على الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما وثابت بن خيار ليس من أهل الجلالة والشهرة فى هذا الشان وانما جلالته وشهرته فى اقراء القرآن هذا حاصل ماذكره أبو حيان * قال بعض المحققين وهو العلامة يحيى العجيسى وليس ذلك منه بانصاف ولا يحمل على مثله الا هوى النفس وسرعة الانحراف فنفيه المسند عنه والمتبع شهادة نفى فلا تسمع ولا تسمع ويكفى ماسطر فى حقه فوله فى أثناء نظم فى هذا العلم كثيرا ونثر وجمع باعتكاف على الاشتغال به ومراجعة الكتب ومطالعة الدواوين العربية وطول السن من هذا العلم غرائب وحوت مصنفاته منها نوادر وعجائب وان منها كثيرا استخرجه من أشعار العرب وكتب اللغة اذهى مرتبة الاكابر النقاد وأرباب النظر والاجتهاد وقوله فى موضع آخر من تذييله لا يكون تحت السماء أنحى ممن عرف ما فى تسهيله وقرنه فى بحره بمصنف سيبويه فما ينبغى له أن يغمصه ولا أن يحط عليه ولا أن يقع فيما وقع فيه فانه مما يجرئ على أمثاله الغبى والنبيه والحليم والسفيه وما هذا جزاء السلف من الخلف والدر من الصدف والجيد من الخشف أو ما ينظر الى شيخه أبى عبد الله بن النحاس فانه لا بد كره الا بأحسن ذكر كما هو دأب خيار الناس ومن كلامه فى نقله عنه وهو الثقة فيما ينقل والفاضل حين يقول والى تلميذه أبى البقاء الحافظ المصرى حيث يقول فيه أعنى فى أبى حيان

هو الاوحد الفرد الذى تم علمه * وسار مسير الشمس فى الشرق والغرب

ومن غاية الاحسان مبدأ فضله * فلا غرو أن يسمو على العجم والعرب

ومن غاية الاحسان فى هذا الشان التصانيف التى سارت بها الركبان فى جميع الاوطان واعترف بحسنها الحاضر والبادى والدانى والقاصى والصديق والعدو فتلقاها بالقبول والاذعان فسامح الله تعالى أبا حيان فان كلامه يحقق قول القائل كما تدين تدان ورحم الله تعالى ابن مالك فلقد أحيا من العلم رسوما دارسة وبين معالم طامسة وجمع من ذلك ما تفرق وحقق ما لم يكن منه تبين ولا تحقق ورحم شيخه ثابت بن الخيار وهو ابو المظفر ثابت بن محمد بن يوسف بن الخيار الكلاعى بضم الكاف على ما كان يضبط بيده فيما حكاه ابن الخطيب فى الاحاطة وأصله من ابلة وبعدى أهل جيان وتوفى بغرناطة سنة ٦٢٨ وكان أبو حيان يغض من هذا الكتاب ويقول ما فيه من الضوابط والقواعد حائد عن تتبع الصواب والسداد وكثيرا ما يشير الى ذلك فى شرحه المسمى بنهج السالك ومن غضه منه بالنظم فى ملامى الناس من جملتهم شيخه بهاء الدين بن النحاس والاقسرائى يجاريه مقتفيا له ومتاسيا فى تسويد القرطاس

الفية ابن مالك * مطموسة المسالك

وكم بها مشتغل * أوقع فى المهالك

ولا تغتر أنت بهذا الغرر فانه ما كل سحاب أبرق ممطر ولا كل عود أورق مثمر وقيل معارضة للقوم وتنبيها لهم مما فيه من النوم

واذا تم خمس عشرة ودخل فى ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك نقصا من خراج عشرة ذراعا وغلفها استبحر من أرض مصر الربيع وفى ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من وجه الاستبحار وغير ذلك وان كانت الزيادة ثمان عشرة ذراعا كانت العاقبة فى اصرائه حدوث وباء بمصر وأكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعا وقد كان النيل بلغ فى زيادته تسع عشرة ذراعا وذلك سنة تسع وتسعين فى خلافة عمر بن عبد العزيز ومساحة الذراع الى أن تبلغ اثنى عشر ذراعا ثمان وعشرون أصبعا ومن اثنى عشر ذراعا الى ما فوق يصير الذراع اربعا وعشرين اصبعا واقل ما يبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع وفى نيل تلك السنة يكون الماء قليلا والادرع التى يستسقى عليها بمصر هى ذراعان تسميان مكرا ونكيرا وهما الذراع الثالثة عشرة والذراع الرابعة عشرة فاذا انصرف الماء عن هاتين الذراعين أعنى ثلاث عشرة وأربع عشرة وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة واستسقى الناس بمصر كان الضرر شاملا لكل البلدان الا أن يأذن الله عز وجل فى زيادة الماء

ألفية ابن مالك * مشرقة المسالك
وكم بها مشتغل * علا على الارائك

وما أحسن قول ابن الوردى فى هذا المعنى

يا عائبا ألفية ابن مالك * وغائبا عن حفظها وفهمها
أما تراها قد حوت فضائلا * كثيرة فلا تجر فى ظلمها
وازجر لمن جادل من يحفظها * برابع وخامس من اسمها

يعنى صه فانه عند الاستقلال بمعنى اسكت انتهى ملخصا وقال أيضا عند ذكره مصنفات ابن مالك وهى كما قيل غزيرة المسائل ولكنها على الناظر بعيدة الوسائل وهى مع ذلك كثيرة الافادة موسومة بالاجادة وليست هى لمن هو فى هذا الفن فى درجة ابتدائه بل للمتوسط يترقى بها درجة انتهائه انتهى * واعلم ان الالفية مختصرة الكافية كما تقدم وكثير من أبياتها فيها بلفظها ومتبوعه فيها ابن معطى ونظمه أجمع وأوعب ونظم ابن معطى أسلس وأعذب وذكر الصعدى عن الذهبى أن ابن مالك صنف الالفية لولده تقى الدين محمد المدعو بالاسد واعترضه العلامة الحمصى بأن الذى صنفه له عن تحقيق المقدمة الاسدية قال وأما هذه يعنى الالفية فذكر لى من أثق بقوله أنه صنفها برسم القاضى شرف الدين هبة الله بن نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدين بن ابراهيم بن عفيف الدين هبة الله بن مسلم بن هبة الله بن حسان الجهنى الحموى الشافعى الشهير بابن البارزى ويقال ان هذه النسبة الى باب أبرز أحد أبواب بغداد ولكن خفف لكثرة دوره على الالسنة انتهى مختصرا وقال بعض من عرف بابن مالك هو مقيم أود وقاطع لدد ومزين سماء مؤهلات الاصائل ديباجتها وشعشعت البكر زجاجتها وجاءت أيامه صافية من الكدر ولياليه وما بها شائبة من الكبر قد ذاقها العشى بردعه وخلفها الاصباح بربعه فكان كم حول مسجده وكل عين فاخرة بمسجده هذا وزر الطلاب وطلبة الاحلاب لا تزال اليه القلاص وتكثر بسربه الاقتناص كان أوحد وقته فى علم النحو واللغة مع الديانة والصلاح انتهى وقال بعض المغاربة

لقد مزقت قلبى سهام جفونها * كما مزق اللخمى مذهب مالك
وصال على الاوصال بالقد قدها * فأضحت كأبيات بتقطيع مالك
وقلدت اذ ذاك الهوى لمرادها * كتقليد أعلام النحاة ابن مالك
وملكتها رقى لرقة لفظها * وان كنت لا أرضاه ملكا لمالك
ونادتها يا منيتى بذل مهجتى * ومالى قليل فى بديع جمالك

ويعنى بقوله بتقطيع مالك مالك بن المرحل السبتى رحمه الله تعالى ولما سئل ابن مالك عن قول النبى صلى الله عليه وسلم الحور بعد الكور هل هو بالراء أو بالنون أنكر النون فقيل له ان فى الغريبين للهروى رواية بالنون فرجع عن قوله الاول وقال انما هو بالنون انتهى وقد ذكر فى المشارق النون والراء فقال الحور بعد الكور بالراء رواه العذرى وابن الحذاء وللباقين بالنون معناه النقصان بعد الزيادة وقيل من الشذوذ بعد الجماعة وقيل من الفساد

بعد

السلطان والترع التى بغيضة مصر أربع امهات اسماؤها ترعة ذنب التمساح وترعة بلقينة وخليج سردوس وخليج ذات الساحل وتفتح هذه الترع اذا كان الماء زائدا فى عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من توت وهو أيلول وقد قدمنا خبر تسمية هذا اليوم بعيد الصليب فيما سلف من هذا الكتاب والنبيذ الشيرازى يتخذ بمصر من ماء طوبه وهو كانون الآخر بعد الغطاس وهو لعشر تمضى من طوبه واصفى ما يكون النيل فى ذلك الوقت واهل مصر يفتخرون بصفاء النيل فى هذا الوقت وفيه تختزن المياه أهل تنيس ودمياط وتونه وسائر قرايا البحيرة ولليلة الغطاس بمصر شان عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهى ليلة احدى عشرة تمضى من طوبه وستة من كانون الثانى ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج فى داره المعروفة بالمختارة فى الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل فى تلك الليلة مئو آلاف من الناس المسلمين والنصارى منهم فى الزوارق ومنهم فى الدور الدانية

بعد الصلاح وقيل من القلة بعد الكثرة كان عمامته اذا لفها على رأسه واجتمعت وحارها اذا نقضها فافترقت و يقال حار اذا رجع عن أمر كان عليه ووهم بعضهم رواية النون وقيل معناها رجع الى الفساد بعد النقص أى بعد أن كان على خير مما رجع اليه وقال عياض في موضع آخر بعد الكور كذا للعذرى والكون للفارسى والسجزى وابن ماهان وقول عاصم في تفسيره حار بعد ما كار وهى روايته و يقال ان عاصما وهم فيه انتهى والسائل لابن مالك عن اللفظة هو ابن خلكان لان ابن الأبرسال ابن خلكان عنها فقال هو ابن مالك رحم الله تعالى الجميع وقد عرف الحافظ الذهبى بابن مالك في تاريخ الاسلام وذكر فيه ترجمة لولده بدر الدين محمد وأنه كان حاد الذهن ذكيا اماما في اللغة وعلم المعانى والمنطق جيد المشاركة في الفقه والتدريس وأنه صدر بعد والده للتدريس ومات شابا قبل الكهولة سنة ٦٨٦ ومن أجل تصانيفه شرحه على ألفية والده وهو كتاب في غاية الاغلاق ويقال انه نظير الرضى في شرح الكافية وللناس عليه حواش كثيرة رحمهم الله تعالى أجمعين

* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر القيسى التدمرى و يعرف بالشهيد) كان عظيم القدر جدا بالاندلس بعيد الاثر في الخير والصلاح والعلم والنسك والانقطاع الى الله تعالى وكان من وجوه أهل كورة تدمير ذوى البيوت الرفيعة و برع بخصاله المحمودة فكان في نفسه فقيها عالما زاهدا خيرا ناسكا متبتلا نشأ على الاستقامة والصلاح والاقتداء والدعة وطلب العلم في حدثان سنه ورحل الى قرطبة فروى الحديث وفقه وناظر وأخذ بحظ وافر من علم المسئلة والجواب وكان أكثر عامه وعمله الورع والتشدد فيه والتحفظ بدينه ومكسبه ورسخ في علم السنة ثم ارتحل الى المشرق فحج حاجا فأقام بالحرمين ثمانية أعوام يتعيش فيهما من عمل يده بالنسخ ثم سار الى العراق فلقى أبا بكر الابهرى وأخذ عنه وأكثر من لقاء الصالحين وأهل العلم ولبس الصوف وقنع وتورع جدا وأعرض عن الشهوات وكان اذا سئم من النسخ الذى جعل قوته منه آجر نفسه في الخدمة رياضة لها فاصبح عابدا متقشفا صبيا محبتا عالما عاملا منقطع القرين قد جرت منه دعوات مجابة وحفلت له كرامات ظاهرة ثم عاد الى بلده تدمير سنة ست أو سبع وسبعين وثلثمائة وبها أبوه أبو الحسام طاهر حيا فنزل خارج مدينة مرسية تورعا عن سكناها وعن الصلاة في جامعها فاتخذ له بيتا سقفه من حطب السدر يأوى اليه واعتمر جنينة بيده يقتات منها وصار يغزو مع المنصور محمد بن أبى عامر ثم تحول من قريته بعد عامين الى الثغر وواصل الرباط ونزل مدينة طليرة وكان يدخل منها في السرايا الى بلد العدو فيغزو و يقوت من سهمانه و يعول على فرس له ارتبطه لذلك وكان له ياس وشدة وبطاعة وثقافة يحدث عنه فيها بحكايات عجيبة الى أن استشهد مقبلا غير مدبر سنة ٣٧٩ أو في التي قبلها عن اثنتين وأربعين سنة وأبوه حى رحمهم الله تعالى أجمعين

*(ومنهم أبو عبد الله القيجاطى محمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن جهور) مولده سنة ٥٩٠ بقيجاطة وكتب عنه الحافظ المنذرى ومن شعره قوله

اذا كنت تهوى من نأت عنك داره * فحسبك ما تلقى من الشوق والبعد
فيا ويح صب قد تضرم ناره * وواحر قلب ذاب من شدة الوجد

يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب و يغطس أكثرهم في النيل و يزعمون أن ذلك أمان من المرض ومبرئ للداء (قال المسعودى) وأما المقاييس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه فانى سمعت جماعة من أهل الخبرة يخبرون أن يوسف النبى صلى الله عليه وسلم حين بنى الاهراء اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه وأن ذلك كان بمنف ولم يكن بى الفسطاط يومئذ وأن دولة الملكة العجوز وضعت مقياسا آخر بالصعيد أيضا بلادا خيم فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجيء الاسلام ثم ورد الاسلام واقتحت مصر وكانوا يعرفون زيادة النيل بما ذكرنا ونقصانه بما وصفنا الى أن ولى عبد العزيز بن مروان فاتخذ مقياسا بالجزيرة التى تدعى جزيرة الصناعة وهى الجزيرة التى بين الفسطاط والجيزة والمعبر عليها من

٥٥ ط ل الفسطاط على الجسر ثم منها على جسر آخر الى الجيزة وهو بين الجانب الغربى من الفسطاط

*(ومنهم أبو عبد الله ويقال أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازنى القيسى الغرناطى) ولد سنه ٤٧٣ ودخل الاسكندرية سنة ٥٠٨ وسمع بها من أبى عبد الله الرازى وبمصر من أبى صادق مرشد بن يحيى المدينى وأبى الحسن الغراء الموصلى وأبى عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوى وغيرهم وحدث بدمشق وسمع أيضا بها وببغداد وقدمها سنه ٥٥٦ ودخل خراسان وأقام بها مدة ثم رجع الى الشام وأقام بحلب سنين وسكن دمشق وكان يذكر أنه رأى عجائب فى بلاد شتى ونسبه بعض الناس بسبب ذلك الى مالا يليق وصنف فى ذلك كتابا سماه تحفة الالباب وكان حافظا عالما أديبا واوكلم فيه الحافظ ابن عساكر وزنه بالكذب وقال ابن النجار مات سنه الاثنين وثمانين وخمسمائة ومن شعره قوله

نكتب العلم ولهى فى سفط * ثم لا نحفظ لا نعلم قط
انما نفلح من يحفظه * بعد فهم وتوق من غلط

وقوله العلم فى القلب ليس العلم فى الكتب * فلا تكن مغرما باللهو واللعب
فاحفظه وافهمه واعمل كى تفوز به * فالعلم لا يجتنى الا مع التعب

توفى بدمشق فى صفر سنة ٥٦٥ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبى من ذرية أبى ثعلبة الخشنى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) رحل قبل الاربعين ومائتين فحج وسمع بالبصرة من محمد بن بشار وأبى موسى الزمن ونصير بن على الجهضمى ولقى أبا حاتم السجستانى والعباس بن أبى العرج الرياشى وسمع ببغداد من أبى عبيد القاسم بن سلام وبمكة من محمد بن يحيى العدنى وبمصر من سلمه بن شبيب صاحب عبد الرزاق والبرقى وغيرهما وأدخل الاندلس علما كثيرا من الحديث واللغة والشعر وكان فصيحا جزل المنطق صارما أنوفا منقبضا عن السلطان أراده على القضاء فابى وقال اباية اشفاق لا اباية عصيان فأعفاه وكان ثقة مأمونا توفى فى رمضان سنة ٢٨٦ عن ثمان وستين سنة رحمه الله تعالى* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبى) سمع من محمد بن وضاح وأكثر عنه وأخذ عن محمد الخشنى وقاسم بن أصبغ وابراهيم بن قاسم بن هلال ورحل سنة ٢٧٤ فسمع بمصر المطلب بن شعيب والمقدام بن داود الرعينى وأدرك بالعراق اسمعيل القاضى وعبد الله بن أحمد بن حنبل قال الحميدى حدث بالمغرب وبالمشرق وصنف السنن وممن روى عنه خالد بن سعد وقال لنا أبو محمد بن حزم مصنف ابن أيمن مصنف رفيع احتوى من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس فى كثير من المصنفات وتوفى فى ذى القعدة سنة ٣٣٠ بقرطبة رحمه الله تعالى* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن صيفون اللخمى الرصافى القرطبى الحدادى) سمع بقرطبة من عبد الله ابن يونس وقاسم بن أصبغ وحج سنة ٣٣٩ سنة رد القرامطة الحجر الاسود الى مكانه وسمع بمكة من ابن الاعرابى وبمصر من ابن الورد وأبى على بن السكن وعبد الكريم النسائى وغيرهم وسمع باطرابلس والقيروان من جماعة وكان رجلا صالحا عدلا محدثا وكتب عنه الناس وعلت سنه وتوفى بشوال سنة ٣٩٤ وولد فيما أظن سنة ٣٠٢ وكانت وفاته بقرطبة وقد اضطرب فى أشياء قرئت عليه وممن أخذ عنه الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى الجميع (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الخزرجى السعدى القرطبى) روى عن أبى الحسن على بن

والجانب الشرقى وهذا أيام سليمان بن عبد الملك ابن مروان وهو المقياس الذى يعمل عليه فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائه بالاسطاط وقد كان من سلف فسون بالمقياس الذى عنف تم ترك استعماله وعمل على مقياس الجزيرة المعمول فى أيام سليمان ابن عبد الملك وفى هذه الجزيرة مقياس آخر لاحمد بن طولون والعمل عليه عند كثرة الماء وترادف الرياح واختلاف مهابها وكثرة الموج وقد كانت أرض مصر كلها تروى من ست عشره ذراعا عامرها وغامرها لما احكموا من جسورها وبناء مناظرها وتنقية حلجانها وكان بمصر سبع حلجانات فيها حليج الاسكندرية وحليج سخا وحليج دمياط وحليج منف وحليج الفيوم وحليج سردوس وحليج المنهى وكانت مصر فيما يذكر أهل الخبرة أكثر البلاد جنانا وذلك أن جنانها كانت متصلة بحافتى النيل من أوله الى آخره من حد أسوان الى رشيد وكان الماء اذا بلغ فى زيادته تسع أذرع دخل حلجان المنهى وحليج الفيوم وحليج سردوس وحليج سخا وكان الذى ولى حفر حليج

شام وروى عنه أبو القاسم بن بشكوال وقدم مصر وحدث بها وممن سمع منه بها ابن وردان وأبو الرضا القيسراني في آخرين واستوطن مصر وتوفي سنة ٥٨٨ * (ومنهم أبو بكر بن السراج النحوي) بتشديد الراء وهو محمد بن سعيد الملك بن محمد بن السراج الشنتمري أحد أئمة العربية المبرزين فيها ويكفيه فخرا انه استاذ أبي محمد عبد الله بن برى المصري اللغوي النحوي وحدث عن أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد التفطي وقرأ العربية بالاندلس على ابن أبي العافية وابن الاخضر وقدم مصر سنة ٥١٥ واقام بها وأقرأ الناس العربية ثم انتقل الى اليمن وروى عنه أبو حفص عمر بن اسمعيل وأبو الحسن علي والد الرشيد العطار وله تواليف منها كتاب تنبيه الالباب في فضل الاعراب وكتاب في العروض وكتاب مختصر العمدة لابن رشيق وتنبيه اغلاطه قال السلفي كان من أهل الفضل الوافر والصلاح الظاهر وكانت له حلقة في جامع مصر لاقراء النحو وكثيرا ما كان يحضر عندي رحمه الله تعالى مدة مقامي بالفسطاط وتوفي بمصر سنة ٥٤٩ وقيل سنة خمس وأربعين وقيل خمسين وخمسمائة برمضان والاول أثبت * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي بن سعيد العنسي) ويكنى أيضا أبا القاسم الغرناطي سمع من الجلة بمصر والاسكندرية ودمشق وبغداد منهم الحراني أبو عبد الله وأبو محمد عبد الصمد بن داود بدمشق وكتب الحديث وعني بالرواية أتم عناية وفقد باصبهان حين استولى عليها التتار قبل الثلاثين وستمائة * (ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن الدفاع) بالدال وقيل بالراء قرطبي سمع عبد الملك بن حبيب ورحل فسمع بمصر من الحرث بن مسكين وغيره وكان زاهدا فاضلا وتوفي سنة ٢٨١ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافري القرطبي) ولد بقرطبة سنة ٣٠٨ ودخل مصر فسمع من أبي بكر بن المهندس وأبي بكر البصري وروى عن أبي عبد الله بن مفرج وأبي محمد الاصيلي وجماعة ولقي الشيخ أبا محمد بن أبي زيد في رحلته سنة ٣٨١ فسمع منه رسالته في الفقه وغيرها وحج من عامه ثم عاد من مصر الى المغرب سنة ٣٨٢ وكان معتنيا بالاخبار والآثار ثقة فيما رواه وعني به خيرا فاد لا دينا متواضعا متصاونا مقبلا على ما يعنيه صاحب حظ من الفقه وبصير بالمسائل ودعي الى الشورى بقرطبة فابى ومات سنة ٤٣٩ وعابد جده بالباء الموحدة رحمه الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجر الانصاري البلنسي) أخذ القراآت عن جماعة من أهل بلده وخرج حاجا سنة ٥٥٦ فجاور بمكة وسمع بها وبالاسكندرية من السلفي وعاد الى بلده سنة ٥٧١ وحدث وكان من أهل الصلاح والفضل والورع كثير البر ومفاداة الاسرى ويحترف بالتجارة ومولده بعد سنة ٥٣٠ ومات سنة ٥٩٨ بمرسية رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة القرطبي المالكي الحافظ) ولد سنة ٤٧٩ وأخذ الفقه عن القاضي أبي الوليد بن رشد والحديث عن ابن عتاب وروى الموطأ عن أبي بحر سفيان بن العاص بن سفيان وأخذ الادب عن أبي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج الاموي وعن مالك بن عبد الله العتبي وخرج من قرطبة في الفتنة بعد ما درس بها وانتفع الناس به في فروع الفقه وأصوله وأقام بالاسكندرية خوفا من بني عبد المؤمن بن علي ثم قال كأني والله بمراكبهم قد وصلت الى الاسكندرية ثم سافر الى مصر

يجري عجيج الى نحب

فراهم ويعطوه على ذلك ما أراد من المال وكان يعمل ذلك حتى اجتمعت له أموال عظيمة فحمل تلك الاموال الى فرعون فلما وضعها بين يديه سأله عنها فاخبره بما فعل فقال انه ينبغي للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم معروفه ولا يرغب فيما في أيديهم ونحن أحق من فعل هذا بعبيده فاردد على أهل كل قرية ما أخذته منهم ففعل ذلك هامان ورد على أهل كل قرية ما أخذ منهم فليس في الخلجان التي بأرض مصر أكثر عطوفا وعراقيل من خليج سردوس وأما خليج المعيوم وخليج المنهى فان الذي حفرهما يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما وسلم وذلك ان الريان بن الوليد ملك مصر لما رأى رؤياه في البقر والسنابل وعبرها يوسف عليه السلام استعمله على ما كان بلي من أرض مصر وقد أخبر الله بذلك عند اخباره عن نبيه يوسف بقوله اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (قال المسعودي) وقد تنازع أهل الملة في تصرف المؤمنين مع الفاسقين فمنهم من رأى ان الملك كان مؤمنا ولولا ذلك ما وسع يوسف معاونة الكفار والتصرف في أوامرهم ونواهيهم

ومنهم من رأى ان ذلك جائز على ما يوجبه وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وأما أخبار الفيوم من صعيد مصر وحلحائها من المرتفع والمطاطئ ومطاطئ المطاطئ وهذه عبارة أهل مصر يريدون بذلك المنخفض وكيفية فعل يوسف فيها وعمارته أرضها بعد كونها خربة ومصفاة لمياه الصعيد وهي جزيرة قد أحاط الماء حينئذ بأكثر أقطارها فقد أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط فاغنى عن اعادته في هذا الكتاب وكذلك في تسمية الفيوم فيوما وان ذلك الفيوم وما كان من خبر يوسف مع الوزراء وحسدهم اياه وقد كانت مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية باخبار شان العالم يركب أرضها ماء السيل وينبسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض موضع الفسطاط في وقتنا هذا وقد كان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل من اسوان الحمشة وقد قدمنا ذكر هذا الموضع فيما سلف من هذا الكتاب الى ان عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما ينقل من النوبة بتياره من موضع الى موضع فنضب من بعض المواضع من بلاد مصر على حسب ما وصفنا عن صاحب المنطق من عمران فاتبع

بعد ما روى عنه السلفي وأقام بها مدة ثم قال والله ما بمصر والاسكندرية بعتبا عدين ثم سافر الى الصعيد وحدث في قوص بالموطا ثم قال والله ما يرحلون الى مصر ويتأخرون عن هذه البلاد بعضي الى مكة وأقام بها ثم قال وتصل الى هذه البلاد ولا تحج ما أنا الاهرب منه اليه ثم دخل اليمن فلما رآها قال هذه أرض لا يتركها بنو عبد المؤمن فتوجه الى الهند فأدركته وفاته بها سنة ٥٥١ وقيل بل مات بزبيد من مدن اليمن وكان من جلة العلماء الحفاظ متفننا في المعارف كلها جامعا لها كثير الرواية واسع المعرفة حافل الادب من كبار فقهاء المالكية يتصرف في علوم شتى حافظا للآداب عارفا بأشعار الاندلس وكان علمه أوفر من منطقه ولم يرزق فصاحة ولا حسن ايراد قال ابن نقطة خبرة بكثر الخاء المعجمة وفتح الياء المنقوطة من تحتها باثنتين * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي) قال ابن النجار ولد بمرسية سنة ٥٧٠ وقال غيره في التي قبلها وخرج من بلاد المغرب سنة ٦٠٧ ودخل مصر وسار الى الحجاز ودخل مع قافلة الحجاج الى بغداد وأقام بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والاصلين بالمظامية ثم سافر الى خراسان وسمع بنيسابور وهراة ومرو وعاد الى بلاد بغداد وحدث بكتاب السنن الكبرى للبيهقي عن منصور بن عبد المنعم الفراوي وبكتاب غريب الحديث للخطابي وقدم الى مصر فحدث بالكثير عن جماعة منهم أم المؤيد زينب وأبو الحسن المؤيد الطوسي وخرج من مصر يريد الشام فمات بين الزعقة والعريش من منازل الرمل في ربيع الاول سنة ٦٥٥ ودفن بتل الزعقة وكان من الائمة الفضلاء في جميع فنون العلم من علوم القراآت والحديث والفقه والخلاف والاصلين والنحو واللغة وله فهم ثاقب وتدقيق في المعاني مع النظم والنثر المليح وكان زاهدا متورعا حسن الطريقة متدينا كثير العبادة فقيها محررا متعففا نزه النفس قليل المخالطة لاوقاته طيب الاخلاق متوددا كريم النفس قال ابن النجار ما رأيت في فنه مثله وكان شافعي المذهب وله كتاب تفسير القرآن سماه ري الظمآن كبير جدا وكتاب الضوابط الكلية في النحو وتعليق على الموطا وكان مكثرا شيوخا وسماعا وحدث بالكثير بمصر والشام والعراق والحجاز وكانت له كتب في البلاد التي ينتقل اليها بحيث لا يستصحب كتبا في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر اليه وكان كريما قال أبو حيان أخبرني الشرف الجزائري بتونس انه كان على رحلة وكان ضعيفا فقال له خذ ما تحت هذه السجادة أو البساط فرفعت ذلك فوجدت تحته أكثر من أربعين دينارا ذهبا فأخذتها قال الجمال اليعمري أنشدني لنفسه بالقاهرة

قالوا فلان قد أزال بهاءه * ذاك العذار وكان بدر تمام
فأجبتهم بل زاد نور بهائه * ولذا تضاعف فيه فرط غرامي
استقصرت ألحاظه فتكاتها * فأتى العذار يمدها بسهام

ومن شعره قوله

من كان يرغب في النجاة فماله * غير اتباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم وغيره * سبل الغواية والضلالة والردى

فاتبع كتاب الله والسنن التي * صحت فذاك اذا اتبعت هو الهدى
ودع السؤال بكم وكيف فانه * باب يجر ذوي البصيرة للعمى
الدين ما قال النبي وصحبه * والتابعون ومن مناهجهم قفا

*(ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله البنتي الاندلسي الانصاري) قدم مصر واقام بالقرافة مدة وكان شيخا صالحا زاهدا فاضلا وتوجه الى الشام فهلك قال الرشيد العطار كان من فضلاء الاندلسيين ونبهائهم ساح في الارض ودخل بلاد العجم وغيرها من البلاد البعيدة وكان يتكلم بألسنة شتى ومن شعره قوله

اذا قل منك السعي فالعزم ناشد * وكل مكان في مرائك واحد
توجه بصدق واتق المين واقتصد * تحثك رهينات النجاح المقاصد

والبنتي بضم الباء وسكون النون نسبة الى بنت حصن بالاندلس ويقال بونت بزيادة واو

*(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحولاني الباجي ثم الاشبيلي المعروف بابن القوق) سمع بقرطبة من جماعة ورحل الى المشرق سنة ٢٦٦ فسمع بمكة من علي بن عبد العزيز وغيره و بمصر من محمد بن عبد الحكم ومن أخيه سعد وكان فقيها في الرأي حافظا له عاقدا للشروط قال ابن الفرضي كان رجلا صالحا ورعا ثقة وكان خالد بن سعيد قد رحل اليه وسمع منه وكان يقول اذا حدث عنه كان من معادن الصدق توفي سنة ٣٠٨ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللوشي الطبيب) اشتغل بالطب وبرع فيه واقام بمصر مدة و بها مات في عشر الستين وستمائة *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبدون العذري القرطبي) رحل سنة ٣٣٧ فدخل مصر والبصرة وعني بعلم الطب ودبر مارستان مصر ثم رجع الى الاندلس سنة ٣٦٠ واتصل بالحكم المستنصر وابنه المؤيد وله في التفسير كتاب حسن قال صاعد تمهر في الطب ونبل فيه وأحكم كثيرا من أصوله وعاني صنعة المنطق معاناة صحيحة وكان شيخه فيه أبو سليمان محمد ابن محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي وكان قبل أن يتطبب مؤدبا للحساب والهندسة وأخبرني أبو عثمان سعيد الطليطلي أنه لم يلق في قرطبة من يلحق محمد بن عبدون في صناعة الطب ولا يجاريه في ضبطها وحسن دربته فيها واحكامه لغوامضها رحمه الله تعالى

*(ومن الراحلين الى المشرق من أهل الاندلس أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر الايادي الاندلسي) صاحب البيت الشهير بالاندلس رحل المذكور الى المشرق وتطبب به زمانا وتولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم القيروان ثم استوطن مدينة دانية وطار ذكره فيها الى أقطار الاندلس والمغرب واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى فاق أهل زمانه ومات في مدينة دانية رحمه الله تعالى ووالده محمد بن مروان كان عالما بالرأي حافظا للادب فقيها حاذقا بالفتوى متقدما فيها متقنا للعلوم فاضلا جامعا للدراية والرواية وتوفي بطليرة سنة ٤٢٢ وهو ابن ست وثمانين سنة حدث عنه جماعة من علماء الاندلس ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل رحمه الله تعالى، وأما أبو العلاء زهر بن عبد الملك المذكور فقال ابن دحية فيه انه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه وتوفي ممتحنا من نغلة بين كتفيه سنة ٥٢٥ بمدينة قرطبة انتهى

ولم يزل الماء ينضب عن ارضها قليلا قليلا الى ان امتلأت ارض مصر من المدن والعمائر وطرقوا للماء وحفروا له الخلجانات وعقدوا في وجهه المسناة الا أن ذلك خفي على سائر كنهها لان طول الزمان اذهب معرفة اول سكناهم كيف كان ذلك ولم نتعرض في هذا الكتاب لذكر العلة الموجبة لامتناع المطر بمصر ولا لكثير من اخبار الاسكندر به وكيفية بنائها والامم التي تداولتها والملوك التي سكنتها من العرب وغيرها لانا قد أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط وسنذكر بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وجوامع من كيفية بنائها وما كان من امر الاسكندر فيها (قال المسعودي) وقد كان احمد بن طولون بمصر بلغه في سنة نيف وستين ومائتين ان رجلا بأعالي بلاد مصر من ارض الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الانباط ممن يشار اليه بالعلم من لدن حداثته والنظر والاشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من اهل الملل وانه علامة بمصر وارضها على برها وبحرها واخبارها واخبار ملوكها وانه ممن سافر في الارض وتوسط الممالك وشاهد الامم من انواع البيضان والسودان وانه

ومعرفة بهيئات الافلاك والنجوم واحكامها فبعث احمد بن طولون برجل من قواده فى اصحابه فحمله فى الن
ـه مكرما وكان قد انفرد
ـن الناس فى بنيان
حـذه وسكر فى اعـلاه
وقد رأى الرابع عشر من
ولد ولده قائما مقامه بحضرة
احمد بن طولون نظر الى
رسل دلائل الهرم
بينه وشواهد ما بنى عليه
من الدهر وذوى الحواس
ـليمة والفضيلة فائمة
والعقل صحيح يفهمهم عن
مخاطبه ويحسن البيان
والجواب عن نفسه فاسكنه
بعض مقاصيره ومهد له
وحمل اليه جميع المآكل
والمشارب فى ان لا يتواطأ
على شئ من لا تتغذى الا
بغذائه كان حمله معه من
كعك وغيره وقال هذه بنية
قوامها يعترون من هذا
الغذاء وهذا الملبس فان
انتم سمتموها الثقلة عن
هذه العادة وتناول
ما او ردتموه عليها من
المآكل والمشارب
والملابس كان ذلك سبب
انحلال هذه البنية وتفريق
هذه الصورة فترك على ما
كان عليه وما جرت به عادته
وأحضر له احمد بن طولون
من حضره من اهل الديار
وصرف همته عليه واخلى
نفسه له فى ليال وايام كثيرة
يسمع كلامه وايراداته
وجواباته فيما سئل عنه فكان مما سئل عنه الخبر عن بحيرة تنيس ودمياط فقال كانت ارضا لم يكن بمصر ووقفنا

وكانت بينه وبين الفتح صاحب القلائد عداوة ولذلك كتب فى شأنه الى أمير المسلمين على
يوسف بن تاشفين ما صورته أطال الله تعالى بقاء الامير [illegible] الاجل سامعا للنداء داعيا للتظا
والاعتداء ثم ينضم الله تعالى بلبتك الملك عقدا وجعل [illegible] لك حلالا للاموو وعقدا وأوطا
عتبا وأصار من الناس لعونك منتظرا ومرتقبا الان [illegible] ويكون للبرية حائطا وللعدل فيه
باسطا حتى لا يكون فيهم من يضام ولا ينال أحدهم اهتضام [illegible] ولتقصر يد كل معتد
الصلام وهذا ابن زهر الذى أجرته رسنا وأوضحت له الى الا [illegible] ندا ستطالة سننا لم يتعده
الاضرار الا حيث انتهيته ولا عادى على عبد الا حين لم تنهه [illegible] أو نهيته ولما علم أنه
لا تنكر عليه نكرا ولا تغير له متى ما مكر فى عباد الله مكرا جرى فى ميدان الاديم فمل عنانه
وسرى الى ما شاء بعد وانه ولم يراقب الذى خلقه وأمد فى الخطوة عندك طلقه وأنت
بذلك مرتهن عند الله تعالى لانه مكنك لئلا يتمكن الجور ولتسكن بك الفلاة والغور
فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل فى كل طريق وأخفق به كل فريق وقد علمت
ان خالقك الباطش الغيور يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وما تخفى عليه نجواك ولا
يستتر عنه بقلبك ومثواك وستقف بين يدى عدل حاكم يأخذ بيد كل مظلوم من ظالم قد
علم كل قضية قضاها ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فبم تحتج معى لديه اذا وقفت
أنا وأنت بين يديه أترى ابن زهر يخيلك فى ذلك المقام أو يحميك من الانتقام وقد
أوضحت لك المحجة لتقوم عليك الحجة والله سبحانه النصير وهو بكل خلق بصير لا رب
غيره والسلام انتهى * وقد تذكرت هنا بذكر الفتح ما كتبه قدمات بعض اخوانه غريقا

أتانى ورحلى بالعراق عشية * ورحل المطايا قد قطعن بنا نجدا
نعى أطار القلب عن مستقره * وكنت على قصد فأغلطنى القصدا

نعوا والله باسق الاخلاق لا يخلف ورماقلبى بسهم أصاب صميمه فما أخلف لقد سام
الردى منه حسنا وجمالا ووسامة وطوى بطيه نجده وتهامه فعطل منه الندى والندى
وأثكل فيه الهدى والهدى كم فل السيوف طول قراعه ودل عليه الضيوف موقد ناره
بقاعه وكم تشوف اليه المزير والمغبر وتصرف فيه الثناء والمخبر وكم راع البدر ليلة
ابداره وروع العدو فى قعر داره وأى فتى غداله البحر ضريحا وأعدى عليه الحين ماء وريحا
فبدل من ظلل على ومفاخر بقعر بحر طامى اللجج زاخر وبدل من صهوات الخيل بلهوات اللجج
والليل غريق حكى مقلتى فى دمعها وأساء نفسى فى سمعها ولى حزن لا أستقى له الغمام
غاله قبر تجوده ولا ثرى تروى بدمائه ونجوده وقد آليت أن لا أودع الريح تحية ولا
يورثنى هبوبها أريحية فهى التى أثارت من الموج حنقا ومشت عليه خبا وعنقا حتى
أعادته كالكثبان وأودعته قضيب بان فيا اسفا لزلال غاض فى أجاج واسلسال فاض
عليه بحر عجاج وما كان الاجوهرا دأب الى عنصره وصدفا بان عن عين مبصره لقد آن
للحسام أن يغمد فلا يشام وللحمام أن تبكيه بكل اراكة وبشام وللعذارى أن لا يجبهن
الخفر والاحتشام ينحن فتى ماذرت الشمس الا ضر أو نفع ويبكين من لم يدع فقده فى العيش
من منتفع فكم نعمنا بدنوه ونسمنا نسيم الانس فى رواحه وغدوه واقتنا بروضة موشية

مثلها استواء وطيب تربة وثراوة وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع

ووقفنا بالمسرات عشية وأدرنا هاذهبا سائلة ونظرناها وهي شائلة لم نرم السهر ولم نشم برقا الا الكاس والزهر ولو غيرا لهام زحف اليه جيشه أو غير البحر رجف به ارتجاجه وطيشه لفداه من أسرته كل أروع ان عاجله المكروه تثبطه أو جاءه الشر تابعه ولكنها المنايا لاترد ها الصوارم والاسل ولا تفوتها ذئاب الفضاء العسل قد فرقت بين مالك وعقيل وأشرقت بعدهما جذيمة بالحسام الصقيل انتهى وقد عزونا بالفتح في غير هذا الموضع فليراجع (رجع الى بيت بني زهر رحمهم الله تعالى) وأما أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر المذكور فهو من ذلك البيت وان كانوا كلهم أعيانا علماء رؤساء حكاما وزراء وقد نالوا المراتب العالية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في المطرب من أشعار أهل المغرب كان شيخنا الوزير أبو بكر بن زهر بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثالث لغة العرب مع الاشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العليا عند أصحاب المعرب مع سمو النسب وكثرة الاموال والنشب صحبته زمانا طويلا واستفدت منه أدبا جليلا وأنشدني من شعره المشهور قوله

وموسد بن على الاكف خدودهم * قد غالهم نوم الصباح وغالني
مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم ما نالني
والخمر تعلم كيف تأخذ ثارها * اني أملت اناءها فأمالني

ثم قال ابن دحية وسألته عن مولده فقال ولدت سنة سبع وخمسمائة قال وبلغتني وفاته آخر سنة ٥٩٥ رحمه الله تعالى انتهى وزعم ابن خلكان ان ابن زهر ألف الابيات المذكورة بقول الرئيس أبي غالب عبد الله بن هبة الله

عاقرنهم مشمولة لوسالمت * شرابها ما سميت بعقار
ذكرت حقائدها القديمة اذغدت * صرعى تداس بأرجل العصار
لانت لهم حتى انتشوا وتمكنت * منهم وصاحت فيهم بالثار

ومن المنسوب الى أبي بكر بن زهر قوله في كتاب جالينوس المسمى بحيلة البرء وهو من أجل كتبهم وأكبرها

حيلة البرء صنعة لعليل * يترجى الحياة أو لعليله
فاذا جاءت المنية قالت * حيلة البرء ليس في البرء حيله

ومن شعره رحمه الله تعالى يتشوق ولده صغيرا باشبيلية وهو بمراكش

ولي واحد مثل فرخ القطاة * صغير تخلفت قلبي لديه
وافردت عنه فياوحشتا * لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته * فيبكي علي وأبكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا * فنفسه الى ومني اليه

وأخبرني الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدي أبو القاسم بن محمد الوزير الغساني الاندلسي الاصل الفاسي المولد والنشأة حكيم حضرة السلطان المنصور بالله الحسني صاحب المغرب رضي الله تعالى عنه ان ابن زهر لما قال هذه الابيات وسمعها أمير المؤمنين

وكانت فيها مجار على ارتفاع من الارض وقرى على قرارها ولم ير الناس بلدا احسن من هذه الارض ولا احسن اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا الفيوم وأحسب وأكثر فاكهة ورياحين من الاصناف الغريبة وكان الماء منحدرا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون منه جنانهم اذا شاؤا وكذلك زروعهم وسائره يصب الى البحر من سائر خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر وبين هذه الارض نحو مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوكة الى قبرس تسلكها الدواب يبسا ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرس الا مخاضة وجزيرة قبرس اليوم بينها وبين العريش في البحر سير طويل وكذلك فيما بينها وبين ارض الروم وقد كان بين الاندلس في الموضع الذي يسمى الخضراء وهو قريب من فاس المغرب وطنجة قنطرة مبنية بالحجارة والطوب عمر عليها الابل والدواب من

ساحل المغرب من بلاد الاندلس الى المغرب وماء البحر تحت تلك القنطرة منقطع خلجانا صغارا تجري تحت قناطرها

وما عقد من الطافات تحتها على صخور صم وقد عقد من كل جانب جبر الى جبر طاق وهو مبدأ بحر الروم الا خذ من اوقيانوس وهو البحر المحيط الاكبر فلم يزل البحر يزيد ماؤه و يعلوا ارضا فأرضا فى طول على مر السنين يرى زيادته اهل كل زمان و يتبينه اهل كل عصر و يقفون عليه حتى علا الماء الطريق الذى كان بين العريش وبين فرس وعلا القنطرة التى كانت بين الاندلس وبر طنجة وما وصفت فبين ظاهر عند اهل الاندلس واهل فاس من بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة وربما بدا الموضع لاهل المراكب تحت الماء فيقولون هذه القنطرة وكان طولها نحو اثنى عشر ميلا وعرض واسع وسمو بين فلما مضت لدقلطيانوس من ملكه مائتان واحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التى تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه وصار يزيد فى كل عام حتى أغرقها باجمعها فما كان من القرى التى فى قرارها غرق وأما التى كانت على ارتفاع من الارض فبقيت منها تونة وسيمود وغير ذلك مما هى باقية الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان أهل القرى التى فى هذه البحيرة ينقلون موتاهم الى تنيس فيعبونهم واحدا فوق واحد وهى الاكوام ورأيت

يعقوب المنصور سلطان المغرب والاندلس أواخر المائة السادسة أرسل المهندسين الى اشبيلية وأمرهم أن يحتاطوا علما بدبيوت ابن زهر وحارته ثم يبنوا مثلها بحضرة مراكش ففعلوا ما أمرهم فى أقرب مدة وفرشها بمثل فرشه وجعل فيها مثل آلاته ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه الى تلك الدار ثم احتال عليه حتى جاء الى ذلك الموضع فرآه أشبه شئ ببيته وحارته فاحتار لذلك وظن أنه نائم وأن ذلك احلام فقيل له ادخل البيت الذى يشبه بيتك فدخله فاذا ولده الذى تشوق اليه يلعب فى البيت فحصل له من السرور مالا مزيد عليه ولا يعبر عنه هكذا هكذا والا فلا لا ومن نظم ابن زهر المذكور حيث شاخ وغلب عليه الشيب

انى نظرت الى المرآة قد جليت * فأنكرت مقلتاى كل ما رأتا
رأيت فيها شويخا لست أعرفه * وكنت أعهده من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذى بالامس كان هنا * متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهى معجبة * ان الذى أنكرته مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادى يا أخى وقد * صارت سليمى تنادى اليوم يا أبتا

والبيت الاخير ينظر الى قول الاخطل

واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا
واذا دعونك يا أخى فانه * أدنى وأقرب خلة ووصالا

وقال ابن دحية فى حقه ايضا والذى انفرد به شيخنا وانقاد لطباعه وصارت النبهاء فيه من خوله واتباعه الموشحات وهى زبدة الشعر ونسبته وخلاصة جوهره وسفوته وهى من الفنون التى اغرب بها اهل المغرب على اهل المشرق وظهروا فيها كالشمس بطالعة والضياء المشرق انتهى ومن مشهور موشحات ابن زهر قوله ما للوله من سكره لا يفيق وهذا مطلع موشح يستعمله اهل المغرب الى الآن ويرون انه من احسن الموشحات ومن موشحاته قوله

سلم الامر للقضا * فهو للنفس انفع
واغتنم حين اقبلا * وجه بدر تهللا * لا تقل بالهموم لا
كل ما فات وانقضى * ليس بالحس يرجع
واصطبح بابنة الكروم * من يدى شادن رخيم * حين يفتر عن نظيم
فيه برق قد اومضا * ورحيق مشعشع
انا افديه من رشا * اهيف القد والحشا * سقى الحسن فانتشى
من تولى وأعرضا * ففؤادى يقطع
من لصب غدا مشوق * ظل فى دمعه غريق * حين امواجى العقيق
واستقلوا بدى الغضا * اسوى يوم ودعوا
ما ترى حين اظعنا * وسرى الركب موهنا * واكتسى الليل بالسنا
نورهم ذا الذى اضا * ام مع الركب يوشع

ورايت مع هذا موشحا آخر لا ادرى هل هو لابن زهر ام لا وهو

فتق المسك بكافور الصباح * ووشت بالروض اعراف الرياح
فاسقنيها قبل نور الفلق * وغناء الورق بين الورق * كاحمرار الشمس عند الشفق
نسج المزج عليها حين لاح * فلك اللهو وشمس الاصطباح
وغزال سامنى بالملق * وبراجسمى واذكى حرقى * اهيف مندل سيف الحدق
قصرت عنه انابيب الرماح * وثنى الذعر مشاهير الصفاح
صار بالدل مؤادى كلفا * وجفون ساحرات وطفا * كلما قلت جوى الحب انطفا
أمرض القلب بأجفان صحاح * وسبى العقل بجد ومراح
يوسفى الحسن عذب المبتسم * درى الوجه ليلى اللمم * عنترى الباس علوى الهمم
غصنى القد مهضوم الرشاح * مادرى الوصل صابى السماح
قد بالصد فؤادى هيفا * وسباعقلى لما انعطفا * ليته بالوصل أحيا دنفا
مستطار العقل مقصوص الجناح * ماعليه فى هواه من جناح
ياعلى أنت نور المقل * جد بوصل منك لى يا أملى * كم أغنيك اذا ما لحت لى
طرقت والليل ممدود الجناح * مرحبا بالشمس من غير صباح

* (ومنهم أبو الحجاج الساحلى يوسف بن ابراهيم بن محمد بن قاسم بن على الفهرى الغرناطى)
قال فى الاحاطة صدر من صدور حملة القرآن على وتيرة الفضلاء والصالحين حج ولقى الاشياخ بعد أن قرأ على الاستاذ أبى جعفر بن الزبير وطبقته ومن نظمه يخاطب الوزير ابن الحكم وقد أصابته حمى تركت على شفته بثورا

حاشاك أن مرض حاشا كا * قد اشتكى قلبى اشكوا كا
ان كنت محموما ضعيف القوى * فانى أحسد حما كا
ما رضيت حماك اذ باشرت * جسمك حتى قبلت فاكا

قال أبو الحجاج رحمه الله تعالى وكتب الى شيخنا محمد بن محمد بن رشيق فى الاستدعاء الذى أجازنى فيه ولما ذكرنى

أجرت لهم أبقاهم الله كل ما * رويت عن الاشياخ فى سالف الدهر
وما سمعت أذناى من كل عالم * وما حاد من نظم وما راق من نثر
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم * برىء عن التصحيف عار عن النكر
كتبت لهم خطى واسمى محمد * أبو القاسم المكى ما فيه من نكر
وجدى رشيق شاع فى الغرب ذكره * وفى الشرق أيضا فادر ان كنت لا تدرى
ولى مولد من بعد عشرين حجة * ثمان على الست المئين ابتدا عمرى
وبالله توفيقى عليه توكلى * له الحمد فى الحالين فى العسر واليسر

ومولد أبى الحجاج المذكور سنة ٦٦٢ وتوفى سنة ٧٠٢ رحمه الله تعالى انتهى باختصار

* (وممن ارتحل من الاندلس الى المشرق شاعر الاندلس يحيى بن حكم البكرى الجيانى)
الملقب بالغزال لجماله وهو فى المائة الثالثة من بنى بكر بن وائل قال ابن حيان فى المقتبس

وقد مضى لبطليانوس الملك ثمانون واحدى وخمسون سنة وذلك قبل ان تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان لملك من ملوك الامم كانت داره اليوم مع اركون من اركان البابنا وما اتصل بها من الارض خروق وخنادق وحلحالات فحفت من النيل الى ان اشرع كل واحد من الآخر وكان ذلك داعيا لتشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض وسئل عن ملوك الاحابش على النيل ومما لكهم فقال لقيت من ملوكهم ستين ملكا فى ممالك مختلفة كل ملك منهم ينازع من يليه من الملوك وبلادهم حارة يابسة مسودة ويبسها لحرارتها ولاستحكام النار فيها تغيرت الفضة ذهبا لطبخ الشمس اياها لحرارتها ويبسها وتارينها فتحولت ذهبا وقد طبخ الذهب الذى يؤتى به من المعدن خالصا صافيا بالملح والزاج والطوب فيخرج منه فضة خالصة بيضاء وليس بدفع هذا الامر الامن لا معرفة له بما وصفنا ولا قارب شيأ مما ذكرنا قيل له فما منتهى النيل فى أعاليه قال البحيرة

٥٦ ط ل التى لا يدرك طولها وأرضها ارض سخ والارض التى النيل والنهار منها سواء ياى طول الدهر

وهى تحت الموضع الذى

عن بناء الاهرام فقال انها قبور الملوك كان الملك منهم اذا مات وضع فى حوض حجارة ويسمى بمصر والشام الجرن واطبق عليه ثم يبنى من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان والاقباء ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذى ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق فى الارض بعقد أزج فيكون طول الازج تحت الارض مائة ذراع واكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب يدخل منه على ما وصفت فقيل له فكيف بنيت هذه الاهرام المملسة وعلى أى شئ كانوا يصعدون ويبنون وعلى أى شئ كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التى لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحركوا الحجر الواحد الا بجهد ان قدروا فقال كان القوم يبنون الهرم مدرجا اذا فرغ من كالدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى أسفل فهذه كانت حيلتهم وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة لملوكهم ديانة فقيل له ما بال هذه الكتابة التى على الاهرام والبرابى لا تقرأ فقال دثر الحكماء فان

كان الغزال حكيم الاندلس وشاعرها وعمر افيها عمرا أربعا وتسعين سنة ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالاندلس أولهم عبد الرحمن بن معاوية وآخرهم الامير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم ومن شعره

أدركت بالمصر ملوكا أربعه * وخامسا هذا الذى نحن معه

وله على أسلوب ابن أبى حكيمة راشد بن اسحق الكاتب

خرجت اليك ونور بها مقلوب * ولقلبها طربا اليك وجيب
وكانها فى الدار حين تعرضت * ظبى تعلل بالفلا مرعوب
ونبسمت فأتتك حين تبسمت * بجمان در لم يشنه ثقوب
ودعتك داعية الصبا فتطربت * نفس الى داعى الضلال طروب
حسبتك فى حال الغرام كعهدها * فى الدار اذ غصن الشباب رطيب
وعرفت ما فى نفسها فضممتها * فتساقطت بهنانة رعبوب
وقبضت ذاك الشئ قبضة شاهن * فنزا الى لعضه حلبوب
بيدى الشمال ولا شمال لطافة * ليست لاخرى والاديب أريب
فأصاب كفى منه حين لمسته * بلل كماء الورد حين يسيب
وتحللت نفسى للذة رشحه * حتى خشيت على الفؤاد يذوب
فتقاعس الملعون عنه وربما * ناديته خيرا فليس يجيب
وأبى فحقق فى الاباء كأنه * جان يقاد الى الردى مكروب
وتغضنت جنباته فكأنه * كير تقادم عهده منقوب
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * قبساوحان من الظلام ذهوب
ساءلتها خجلا أما لك حاجة * عندى فقالت ساخر وحروب
قالت حرامك اذ أردت وداعها * قرن وفيه عوارض وشعوب

وذكرها ابن دحية بمخالفة لما سردناه قال عتبة التاجر وجهنى الامير الحكم وابنه عبد الرحمن الى المشرق وعبد الله بن طاهر أمير مصر من قبل المأمون فلقيته بالعراق فسألنى عن هذه القصيدة هل أحفظها للغزال قلت نعم فاستنشدنيها فانشدتها اياها فسر بها وكتبها قال عتبة وقلت بها حظا عنده والبهنانة المرأة الطيبة النفس والارج كما فى الصحاح وقيل اللينة فى منطقها وعملها وقيل الضحاكة المتهالة والرعوب السبطة البيضاء والسبطة الطويلة وقال سامحه الله تعالى

سألت فى النوم أبى آدما * فقلت والقلب به وامق
ابنك بالله أبو حازم * صلى عليك الملك الخالق
فقال لى ان كان منى ومن * نسلى فخوا أمكم طالق

وقال رضى الله تعالى عنه

أرى أهل اليسار اذا توفوا * بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا الا مباهاة وفخرا * على الفقراء حتى فى القبور

فان يكن التفاضل فى ذراها * فان العدل فيها فى القصور
رضيت بمن تانق فى بناء * فبالغ فيه تصريف الدهور
ألما يبصر واما خبرته * الدهور من المدائن والقصور
لعمر أبيهم لو أبصروهم * لما عرف الغنى من الفقير
ولا عرفوا العبيد من الموالى * ولا عرفوا الاناث من الذكور
ولا من كان يلبس ثوب صوف * من البدن المباشر للحرير
اذا أكل الثرى هذا وهذا * فما فضل الكبير على الحقير

وقال رضى الله تعالى عنه

لا ومن أعمل المطايا اليه * كل من يرتجى اليه نصيبا
ما أرى ههنا من الناس الا * ثعلبا يطلب الدجاج وذيبا
أو شبيها بالقط ألقى بعينيه * الى فارة يريد الوثوبا

وقال رضى الله تعالى عنه

قالت أحبك قلت كاذبة * غرى بذا من ليس ينتقد
هذا كلام لست أقبله * الشيخ ليس يحبه أحد
سيان قولك ذا وقولك ان الربح تعقدها فتنعقد
أو أن تقولى النار باردة * أو أن تقولى الماء يتقد

وحكى أبو الخطاب بن دحية فى كتاب المطرب ان الغزال ارسل الى بلاد المجوس وقد قارب الخمسين وقد وخطه الشيب ولكنه كان مجتمع الاشد فسألته زوجة الملك يوما عن سنه فقال مد اصبعها عشرون سنة فقالت وما هذا الشيب فقال وما تنكرين من هذا ألم ترى قط مهرا ينتج وهو اشهب فاعجبت بقوله فقال فى ذلك واسم الملكة تود

كلفت يا قلبى هوى متعبا * غالبت منه الضيغم الاغلبا
انى تعلقت مجوسية * تابى لشمس الحسن ان تغربا
اقصى بلاد الله فى حيث لا * يلقى اليه ذاهب مذهبا
يا تود يا ورد الشباب الذى * تطلع من ازرارها الكوكبا
يا أبى الشخص الذى لا ارى * احلى على قلبى ولا اعذبا
ان قلت يوما ان عينى رأت * مشبهه لم اعد أن أنا كذبا
قالت ارى فوديه قد نورا * دعابة توجب ان ادعبا
قلت لها مالك انه * قد ينتج المهر كذا اشهبا
فاستضحكت عجبا بقولى لها * وانما قلت لكى تعجبا

قال ولما فهمها الترجمان شعر الغزال ضحكت وأمرته بالخضاب فغدا عليها وقد اختضب وقال

بكرت تحسن لى سواد خضابى * فكأن ذاك أعادنى لشبابى
ما الشيب عندى والخضاب لواصف * الا كشمس جللت بضباب

القبط والروم بأحرفها على حسب ما ولدوه من الكتابة بين الرومى والقبطى الاول فذهب عنهم كتابة آبائهم فقيل له نحن أول من سكن مصر قال أول من نزل هذه الارض مصر بن بيصر بن حام بن نوح ومر فى انساب ولد نوح الثلاثة وأولادهم وتفرقهم فى الارض فقيل له أتعرف بمصر مقاطع رخام قال نعم فى الجبل الشرقى من الصعيد جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها وكانوا يحملون ما عملوا بالرمل بعد النقر فمنها العمد والقواعد والرؤس التى تسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون بعد حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمد التى بالاسكندرية والعمود بها الفخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رأيت فى جبل اسوان أخا هذا العمود قد هندس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحك ما ظهر منه وانما كانوا ينتظرون أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم وسئل

عن مدينة العقاب فقال هى غربى اهرام بوصير الجيزة وهى على خمسة ايام بلياليها للراكب الهدة

تحفى قليلا ثم يقشعها الصبا * فيصير ما استترت به لذهاب
لا تنكرى وضح المشيب فانما * هو زهرة الافهام والالباب
فلدى متهوين من زهو الصبا * وطلاوة الاخلاق والآداب انتهى

وحكى ابن حيان فى المقتبس ان الامير عبد الرحمن بن الحكم المروانى وجه شاعره الغزال الى ملك الروم فاعجبه حديثه وخف على قلبه وطلب منه ان يناديمه فامتنع من ذلك واعتذر بتحريم الخمر وكان يوما جالسا عنده واذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها ازيتها وهى كالشمس الطالعة حسنا فجعل الغزال لا يميل طرفه عنها وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه فانكر ذلك عليه وامر الترجمان بسؤاله فقال له عرفه أنى قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه فانى لم أر قط مثلها وأخذ فى وصفها والتعجب من جمالها وانها شوقته الى الحور العين فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده وسرت الملكة بقوله وأمرت الترجمان أن يساله عن السبب الذى دعا المسلمين الى الختان وتحشم المكروه فيه وتغيير خلق الله مع حلوه من الفائدة فقال للترجمان عرفها ان فيه أكبر فائدة وذلك ان الغصن اذا زبر قوى واشتد وغلظ ومادام لا يفعل به ذلك لا يزال رقيقا ضعيفا فضحكت وفطنت لتعريضه انتهى ومن شعر الغزال قوله

يا راحما ودا لغوانى ضلة * وفؤاده كلف بهن موكل
ان النساء كالسروج حقيقة * فالسرج سرجك ريثما لا تنزل
فاذا نزلت فان غيرك نازل * ذاك المكان وفاعل ما تفعل
أو منزل المختار أصبح غاديا * عنه وينزل بعده من ينزل
أو كالثمار مباحة أغصانها * تدنو لاول من يمر فياكل
أعط الشبيبة لا أبالك حقها * منها فان نعيمها متحول
واذا سلبت ثيابها لم تنتفع * عند النساء بكل ما تستبدل

وقال

قال لى يحيى وصرنا * بين موج كالجبال
وتولتنا رياح * من دبور وشمال
شقت القلعين وانبت * عرا تلك الحبال
وعطى ملك الموت * تالينا عن حيال
فرأينا الموت رأى العين حالا بعد حال
لم يكن للقوم فينا * يا رفيقى رأس مال

ومنها

وسليمى ذات زهد * فى زهيد فى وصال
كلما قلت صلينى * حاسبتنى بالخيال
والكرى قد منعته * مقلتى اخرى الليالى
وهى ادرى فلماذا * دافعتنى بمحال

لما سميت مدينة العقاب ووصف مدينة أخرى غربى الخيم من أرض الصعيد ذات بنيان عجيب اتخذتها الملوك السالفة وذكر من شان هذه المدينة الاخرى عجائب من الاخبار وزعم ان بينها وبين أخيم من أرض الصعيد مسيرة ستة أيام وسئل عن النوبة وأرضها فقال هم أصحاب ابل وبخت وبقر وغنم وملكهم يستعد الخيل العتاق والاغلب من ركوب عوامهم البراذين ورميهم بالنبل عن قسى عربية وعنهم أخذ الرمى أهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب وهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة وارضهم كانها جزء من أرض اليمن وللنوبة أترج كاكبر ما يكون بارض الاسلام وملوكهم تزعم انها من حمير وملكهم يتولى على مقراو نوبة وعلوة وورا علوة أمة عظيمة من السودان تدعى بكنه وهم عراة كالزنج وأرضهم تنبت الذهب وفى مملكة هذه الامة يخترق النيل فينشعب منه خليج عظيم ثم يحصر الخليج من بعد انفصاله من النيل ويغدر الاكثر الى بلاد النوبة وهو لا يتغير فاذا

اترى انا اقتضينا * بعد شيأ من نوال

وله

من ظن ان الدهر ليس يصيبه * بالحادثات فانه مغرور
فالرزق الزمان مهونا لخطوبه * وانجر حيث يجرك المقدور
واذا تقلبت الامور ولم تدم * فسواء المحزون والمسرور

ش الغزال اربعا وتسعين سنة وتوفي وحدود الخمسين والمائتين ساحه الله تعالى وكان
ل اقزع في هجاء علي بن نافع المعروف بابن زرياب فذكر ذلك لعبد الرحمن فامر بنفيه
ل العراق وذلك بعد موت ابي نواس بمدة يسيرة فوجدهم يلهجون بذكره ولا يساوون
أحد بشعره فجلس يوما مع جماعة منهم فازروا باهل الاندلس واستهجنوا أشعارهم
كهم حتى وتعوا في ذكر ابي نواس فقال لهم من يحفظ منكم قوله

ولما رأيت الشرب اكدت سماؤهم * تابطت زقي واحتبست عنائي
فلما اتيت الحان ناديت ربه * فثاب خفيف الروح نحو ندائي
قليل هجوع العين الا تعلة * على وجل مني ومن نظرائي
فقلت ادقنيها فلما ادقها * طرحت عليه ريطتي وردائي
وقلت اعرني بذلة استتربها * بذلت له فيها طلاق نسائي
فوالله ما برت يميني ولا وفت * له غير اني ضامن بوفائي
فابت الى صحبي ولم آك آيبا * فكل يفديني وحق فدائي

وا بالشعر وذهبوا في مدحهم له فلما افرطوا قال لهم خفضوا عليكم فانه لي فانكروا ذلك
دهم قصيدته التي اولها

تداركت في شرب النبيذ خطائي * وفارقت فيه شيمتي وحيائي

النصدة بالانشاد فجلوا وافترقوا عنه * (وحكي) ان يحيى الغزال أراد أن يعارض سورة
والله أحد فلما رام ذلك أخذته هيبة وحالة لم يعرفها فاناب الى الله فعاد الى حاله * (وحكي)
اس بن ناصح الثقفي قاضي الجزيرة الخضراء كان يفد على قرطبة ويأخذ عنه أدباؤها
عليهم قصيدته التي أولها

لعمرك ما البلوى بعار ولا العدم * اذا المرء لم يعدم تقى الله والكرم

انتهى القارئ الى قوله

تجاف عن الدنيا فانك حازها * ولا عاجزا الا الذي خط بالقلم

ه الغزال وكان في الحلقة وهو اذذاك حدث نظام متأدب ذكي القريحة أيها
. وما الذي يصنع مفعل مع فاعل فقال له كيف تقول فقال كنت أقول فليس لعاجز
زم فقال له عباس والله يا بني لقد طلبها عمك فما وجدها وأنشد يوما قوله من قصيدة

يقرت بطون الشعر فاستفرغ الحشى * بكفي حتى آب خاويه من بقري

ه بكر بن عيسى الشاعر أما والله يا أبا العلى لئن كنت بقرت الحشى لقد وسخت يديك
.. وملأتهما بدمه وخبثت نفسك بتنه وحشمت أنفك بعرفه فاستحيا عباس

الاكثر واخضر الاقل فمشى ذلك الخليج أودية وخلجان واعماق مانوسة حتى يخرج الى جلاسق والجنوب وذلك ساحل الرنج ومصبه في بحرهم ثم سئل عن الفيوم والمنهى وحجر اللاهون فذكر كلاما طويلا في امر الفيوم وان جارية من بنات الروم وابنها نزلا الفيوم وكانا البدء في عمارتها وعمارة ارضها وانما كان الماء باقي الفيوم من المنهى أيام جرى النيل ولم يكن حجر اللاهون بني وانما كان مصب الماء من المنهى من الموضع المعروف بدمونة ثم بني اللاهون على ماهو اليوم عليه ويقال ان يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام بناه أيام العزيز ودبر من امر الفيوم ماهو اليوم قائم بين من الخليج المرتفعة المطاطئة وهو خليج فوق خليج فوق خليج وهي القنطرة المعروفة بسفونه واقام العمود الذي في وسط الفيوم وهو غائص في الارض لا يدرك منتهاه منها وهو احد عجائب الدنيا مربع الشكل قد جهد اناس من الامم ممن ورد بعد يوسف عليه السلام ان ينتهوا الى

في الارض حفرا فلم يتأت لهم ذلك وغلبهم الماء فعجزهم ورأس هذا العمود مساو الارض المنهى فان وأما حجر

وأخم عن جوابه * (ومنهم الشهير بالمغارب والمشارق المحلى بجواهره صدور المهارق ابو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسى) مقم كتاب المغرب فى اخبار المغرب قال فيه وأنا اعتذر فى ايراد ترجمتى هنا بما اعتذر به ابن الامام فى كتاب سمط الجمان وبما اعتذر به الحجارى فى كتاب المسهب وابن القطاع فى الدرة الخطيرة وغيرهم من العلماء فى نظمه عند ما ورد الديار المصرية

أصبحت أعترض الوجوه ولا أرى * ما بينها وجها لمن أدريه
عودى على بدئى ضلالا بينهم * حتى كأنى من بقايا التيه
ويح الغريب توحشت ألحاظه * فى عالم ليسوا له بشبيه
ان عادلى وطنى اعترفت بحقه * ان التغرب ضاع عمرى فيه

وله من قصيده يمدح ملك افريقية أبا زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى جعفر

الافق طلق والنسيم رخاء * والروض وشت برده الانداء
والنهر قد مالت عليه غصونه * فكأنما هو مقلة وطفاء
وبدا ثمار الجلنار بصفحه * فكأنما هو حية رقطاء
والشمس قد رقمت طرازا فوقه * فكأنما هى حلة زرقاء
فأدر كؤسك كى يتم لك المنى * واسمع الى ما قالت الورقاء
تدعوك حى على الصبوح فلا تنم * فعلى المنام لدى الصباح عفاء

وله

لم جفانى ورمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت قائل
لاشفى الله لحظه من سقام * وأرانى عذاره وهو سائل

وله من قصيدة كتب بها الى ملك سبتة الموفق أبى العباس أحمد بن ابى الفضل النيشتى شافعا لشخص رغب فى خدمته

بالعدل قمت وبالسماح فدن وجد * لافارقتك كفاية وعطاء
ما كل من طلب السعادة نالها * وطلاب ما يابى القضاء شقاء

ومنها

وقد استطار باسطرى نحو الندى * من أنهضته لنحوك العلياء
طلب النباهة فى ذراك فماله * الا لديك تامل ورجاء
وهو الذى بعد التجارب أحمدت * أحواله وجرى عليه ثناء
لايقرب الدنس المريب كواصل * هجرته خوفا أن يشان الراء
قد مارس الحرب الزبون زمانه * وجرت عليه شدة ورخاء
وعلاك تقضى أن يسود بأفقها * لاغرو أن يعلى الشهاب بهاء

وقوله من قصيدة

ألف التغرب والتوحش مثل ما * ألف التوحش والنفور ظباء
حجابه ألفوا التجهم والجفا * فهم لكل أخى هدى أعداء

اللاهون فان من سطح بعينها ففيما من السطح الى القرية ستون ذراعا وربما قل الماء فى المنهى وظهر بعض الدرج وفى حائط الحجر فوارات بعضها اليوم يخرج منه الماء وبعض لايرى وفيما بين سطح الحجر الذى ما بين القبتين وبين القرية شاذروان وهو أسفل من الدرج وانما يدخل الماء الفيوم بدرب الحجر وجهات الاسنا الدو وهى القناطر ليخرج الماء منها ولا يعلو الماء الحجر أيام سده قبل التقدير ببناء حجر اللاهون وبقدر ما يكفى الفيوم من الماء يدخل اليها وبناء حجر اللاهون من أعجب الامور ومن أحكم البنيان ومن البناء الذى يبقى على وجه الارض لايتحرك ولا يزول بالهندسة عمل وبالفلسفة أتقن وفى السعود نصب وقد ذكر كثير من أهل بلدنا أن يوسف عليه السلام عمل ذلك بالوحى والله أعلم ولم تزل سلوك الارض اذا غلبت على بلادنا واحتوت على أرضنا صارت الى هذا الموضع فتأملته لما قدمنى اليها من أخباره وسار فى الخليقة من عجائب بنيانه واتقانه وكان هذا الرجل من أقباط مصر ممن يظهر دين النصرانية ورأى اليعقوبية فامر أحمد بن طولون فى مهما

ض الايام وقد أحضر مجلسه بعض أهل النظر أن يساله عن الدليل على صحة دين النصرانية فساله عن ذلك فقال دليلي على صحتها وجودي اياها متناقضة متنافية تدفعها العقول وتنفر منها النفوس لتباينها وتضادها الانظر يقويها ولا برهان يعضدها من العقل والحس عند التامل لها والفحص عنها ورأيت مع ذلك أمما كثيرة وملوكا عظيمة ذوى معرفة وحس قد انقادوا اليها وتدينوا بها فعلمت انهم لم يقبلوها ولم يتدينوا بها مع ماذكرت من تناقضها في العقل الا لدلائل شاهدوها وآيات علموها ومعجزات عرفوها أوجبت انقيادهم اليها والتدين بها قال له السائل وما التضاد الذي فيها قال وهل يدرك أو يعلم غايته منها قولهم بان الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ووصفهم الاقانيم والجوهر [illegible] وهل الاقانيم قادرة عالمة أم لا وفي اتحاد ربهم القديم بالانسان المحدث وما جرى في ولادته وقتله وصلبه وهل في التشنيع أكبر وأفحش من اله صلب وبصق في وجهه ووضع على رأسه الاكليل من الشوك وضرب رأسه بالقضيب

مهما يرم طلب اليه تغربا * بعدت بذاك البدر عنه سماء
لكنني مازلت أخدع حاجبا * وأراقبا حتى ألان حباء
والارض لم تظهر مجبب نبتها * حتى حبتها الديمة الوطفاء

يل وهذا معنى لم يسمع من غيره وقوله في خسوف البدر

شان الخسوف البدر بعد جماله * فكأنه ماء عليه غشاء
أو مثل مرآة تخود قد قضت * نظرا بها فعلا الجلاء غشاء

وله من قصيدة عتاب يقول فيها

ولقد كسبت بكم علا لكنها * صارت باقوال الوشاة هباء
فغدوت ما بين الصحابة أجربا * كل يحاذرني الاعداء
ولقد أرى ان النجوم تقل لي * حجبا وأصغر أن أحل سماء
فليهجروا هجر الفطيم لدره * ويساعدوا الزمن الخؤون جفاء
فلقد شكوت لهم احالة ودهم * اذ لم أكن أرضى بهم خدماء
ايه فذكرهم أقل وانما * أومي اليك فتفهم الايماء
لو لم يكن قيدا لما فتكت ظبا * أنت الذي صيرتهم أعداء
ولوانني أرجو ارتجاعك لم أطل * شكوى ولم أستبعد الاعضاء
لكن رايتك لا تميل سجية * نحوى ولا تتكلف الاصغاء
ان لم يكن عطف فنوا بالنوى * ان الكريم اذا اهين تناءى

وقوله ولكم سريت في متون ضوامر * تثني أعنتها من الخيلاء
من ادهم كالليل جل بالضحى * فتشق غرته عن ابن ذكاء
او اشهب يحكي غدائر اشيب * خلعت عليه الشهب فضل رداء
او اشقر قد فقته بشعلة * كالمزج ثار بصفحة الصهباء
او اصفر قد زينته غرة * حتى بدا كالشمعة الصفراء
طارت ولكن لا يهاض جناحها * هبت ولكن لم تكن برخاء

وقوله من ابيات في اقتضاض بكر

وخريدة ما ان رأيت مثالها * حيت من الالحاظ بالايماء
فسالتها سمع الشكاة فأفهمت * ان الرقيب جهينة الانباء
وتبعتها وسالت منها قبلة * في خلوة من اعين الرقباء
فثنت على قوامها بتعانق * أحيا فؤادا مات بالبرحاء
ووجدتها لما ملكت عنانها * عذراء مثل الدرة العذراء
جاءت الى كوردة محمرة * فتركتها كعرارة صفراء
وسلبتها ما احمر منها صفوه * فجرى مذابا منجعا الرجاء

وقوله من أبيات

أحبابنا عودوا علينا عودة * ما منكم بعد التفرق مرغب

وسمرت يداه ونخس بالاسنة والخشب جنباه وطلب الماء فسقي الخل في طبق الحنظل فامسكوا عن مناظرته وانقطعوا

كم ذا أداريكم بنفسي جاهدا * وكأنما أرضيكم كي تغضبوا
وأزيد بعدا ما اقتربت اليكم * كالسهم أبعد ما يرى اذ يقرب
وأجوب نحوكم المنازل جاهدا * ومع اجتهادي فاتني ما أطلب
كالبدر أقطع منزلا في منزل * فاذا انتهيت الى ذراكم أغرب

وقوله من أبيات

سألتك يا من يستلان فيصعب * ومن يترضى الحياة فيغضب
أما خذلك البدر المنير فلم غدت * تحل به ضدا القضية عقرب

وقوله وقد داعبه أحد الفقهاء وسرق سكينه من حرز

أيا سارقا ملكا مصونا ولم يجب * على يده قطع وفيه نصاب
ستندبه الاقلام عند عثارها * ويبكيه ان يعدا الصواب كتاب

وقوله في تفاحة عنبر أهديت للملك الصالح نجم الدين أيوب

أما لون الشباب والخال أهديت لمن قد كسا الزمان شبابا
ملك العالمين نجم بني أيوب لازال في المعالي شهابا
جئت ملآى من الثناء عليه * من شكور احسانه والثوابا
لست ممن له خطاب ولكن * قد كفاني أريج عرفي خطابا

وقوله من قصيدة

فالحمد لله على ساعة * قد فر بني من علا الصاحب
وليعذر المولى على انني * قد كنت من عليا في جانب
كنت في نافله أولا * ثم أتى من بعد بالواجب

وقوله من أبيات

فان كنت في أرض الغرب غاربا * فسوف ترانى طالعا فوق غارب
فصمصام عمرو حين فارق كفه * رموه ولا ذنب لعجز المضارب
وما عزة الضرغام الا عرينه * ومن ملكة سادت لؤى بن غالب

وقوله في فرس أصفر أغر أحل الحلية

وأجرد تبرى أثرت به الثرى * وللفجر في خصر الظلام وشاح
له لون ذي عشق وحسن معشق * لذلك فيه ذلة ومراح
عجبت له وهو الاصيل بعرفه * ظلام وبين الناظرين صباح
يقيد طير اللحظ والوحش عندما * يطير به نحو النجاح جناح

وقوله من أبيات

اذا ما غراب البين صاح مقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظرا * وأكره في الابصار من ظلمة اللحد
تصيح بنوح ثم تعثر ماشيا * وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى تحت صوح البين وانقطع الرجا * كانك من وشك الفراق على وعد

المجلس أيأذن لي الامير في مخاطبته قال شأنك فقبل على القبطي مسائلا له فقال له القبطي وما أنت أيها الرجل وما تحلتك قال له يهودي فقال له مجوسي اذا قال له كيف ذلك وهو يهودي قال لانهم يرون نكاح البنات في بعض الحالات اذ كان في دينهم ان الاخ يتزوج بنت أخيه وعليهم ان يتزوج جوانساء اخوتهم اذا ماتوا فاذا وافق اليهودي أن تكون امرأة أخيه ابنته لم يجد بدا من ان يتزوجها وهذا من اسرارهم وما يكتمونه ولا يظهرونه فهل في المجوسية اشنع من هذا فانكر اليهودي ذلك وجد ان يكون في دينه او يعرفه احد من اليهود فاستخبر ابن طولون صحة ذلك فوجد الامر كما قاله اليهودي قد تزوج [illegible] ثم

[illegible] ابن طولون فقال أيها الامير هؤلاء يزعمون وأشار الى اليهودي ان الله خلق آدم على صورته وعن نبي من انبيائهم سماه قال في كتابه انه رآه في قديم الزمان أبيض الرأس واللحية وأن الله تعالى قال اني انا النار المحرقة والحمى الآخذة وأنا الذي أخذ الابناء بذنوب الآباء ثم في توراتهم ان بنات لوط سقينه الخمر حتى

وقوله

وقوله فى غلام جميل الصورة أهدى تفاحة

ثاب ما أهديت عن عر * فوعن ريق وخد
جد تفاحة قد * أشبهت أوصاف مهدى
بت منها فى سرور * فكأن قد بت عندى

وقوله من قصيدة

هذا الذى يهب الدنيا بأجمعها * وبعد ذلك لا فى وهو يعتذر
ان هزه المدح فالاموال فى بدر * والغصن ما هز الا بدد الثمر
فعلت لما بدا لى حسن منظره * لكنه زاد اشراقا هو القمر
متع لحاظك فى وجه بلا ضرر * ان كان شمسا تراها تحتها مطر

وقوله من أبيات

لى جيرة ضنوا على وجاروا * فنبت بى الاوطان والاوطار
ومن العجائب انى مع جورهم * ما قر لى بعد الفراق قرار

وقوله

أنا شاعر أهوى التخلى دون ما * زوج لكيما تخلص الافكار
لو كنت ذا زوج لكنت منغصا * فى كل حين رزقها أمتار
دعنى أرح طول التغرب خاطرى * حتى أعود ويستقر قرار
كم قائل قد ضاع شرخ شبابه * ماضيعته بطالة وعقار
اذ لم أزل فى العلم أجهد دائما * حتى تأتت هذه الايكار
مهما أرم من دون زوج لم أكن * كلا ورزقى دائما مدرار
واذا حجت لفرجة هنيتها * لا ضيعة ضاعت ولا ند كار

وقوله من قصيدة

ما كنت أحسب أن أضيع وأنت فى الدنيا وأن أمسى غريبا معسرا
أنا مثل سهم سوف يرجع بعدما * أقصاه راميه المجيد ليخبرا

وقوله سامحه الله تعالى

وافى على لما بسيف * والبين نذحان والوداع
فقال شبه فقلت شمس * قد مدمن نورها شعاع

وقوله من قصيدة فى ملك اشبيلية الباجى وقد هزم ابن هود

لله فرسان غدت رياتهم * مثل الطيور على عداك تحلق
السمر تقط ما تسطر بيضهم * والنقع يسترب والدماء تخلق

وقال ارتجالا بمحضر زكى الدين بن أبى الاصبع وجمال الدين بن أبى الحسين الجزار المصرى الشاعر ونجم الدين بن اسرائيل الدمشقى بظاهر القاهرة وقد مشى أحدهم على بسيط برجس

ياواطئ الترجس ما تستحى * أن تطأ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن أبى الاصبع مجيزا

هرون صنع العجل الذى عبده بنو اسرائيل وأن موسى أظهر معجزات لفرعون وفعلت السحرة مثلها ثم قالوا فى ذبائح الحيوان والتقرب الى الله بدمائها ولحومها وتحكمهم على العقل ومنعهم من النظر بغير برهان وهو قولهم ان شريعتهم لا تنسخ ولا يقبل قول أحد من الانبياء بعد موسى اذا انحرف عما جاء به موسى ولا فرق فى قضية العقل بين موسى وغيره من الانبياء اذا أتى ببرهان وبان بحجة ثم الاكبر من كفرهم قولهم فى يوم عيد الكفور وهو يوم الاستغفار وذلك لعشر تخلو من نشر بن الاول ان الرب الصغير وسمونه منتظرون يقوم فى هذا اليوم قائما وينتف شعور رأسه ويقول ويلى ادخربت بيتى وأيتمت بنتى فامشى منكسة لا أرفعها حتى آتى بنتى وذكر عن اليهود أقاصيص وتخاليط كثيرة وضافضات واسعة ولهذا القبطى مجالس كثيرة عن أحمد ابن طولون مع جماعة من الفلاسفة والديصانية والثنوية والصابئة والمجوس

٥٧ ط ل وعدة من متكلمى الاسلام وقد أتينا على ما احتمل منها ايراده فى كتابنا فى أخبار الزمان

عندنا من قوله يذهب الى فساد النظر والقول بتكافؤ المذاهب وأقام عندنا بطولون نحو سنة فاجازه وأعطاه فابى قبول شئ من ذلك ترده الى بلده مكرما وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ثم هلك وله مصنفات تدل من كلامه على ما ذكرنا عنه والله أعلم بكيفية ذلك

(قال المسعودى) وفى نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من أنواع الحيوان مما فى البر والبحر من ذلك السمك المعروف بالرعاد وهو نحو الذراع اذا وقعت فى شبكة الصياد وعندت يداه وعضداه فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها عن شبكته ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وأنها ان جعلت على راس من به صداع شديد أو شقيقة وهى فى الحياة هدأ من ساعته والفرس الذى يكون فى نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم أهل مصر ان النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه عيرزائد عليه ولا مقصر عنه لايختلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب وفى ظهوره من الماء ضرر بارباب الارض والعلاة لزعه الزرع وذلك انه يظهر من

فطرب

فقلت دعنى لم أزل محرجا * على لحاظ الرشا الاكحل

وكان أمثل ما حضرهم ثم أبوا أن يجيزه غيره فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

وقوله فى الجزيرة الصالحية بمصر وهى الشهيرة الآن بالروضة

تأمل لحسن الصالحية اذ بدت * مناظرها مثل النجوم تلالا

وللقلعة الغراء كالبدر طالعا * تفجر صدر الماء عنه هلالا

ووافى اليها النيل من بعد غاية * كما زار مشعوف يروم وصالا

وعانقها من فرط شوق تحننا * فذ بيننا نحوها وشمالا

جرى فادما بالسعد فاختط حولها * من السعد اعلاما بذلك دالا

وقوله من أبيات فى ملك أفريقية وقد جهز ولده الامير أبا يحيى بعسكر

وقد أرسلته نحو الاعادى * كما جردت من غمد حساما

وقوله فى فوس

أما مثل الهلال فى ظلم النقع سهاما تنقض مثل النجوم

تقصر القضب والقنا عن مجالى * عندرجى بها الكل رجيم

قد كستها الطيور لما رأتها * كاف لات لها برزق عميم

وقوله من أبيات

وأشقر مثل البرق لونا وسرعة * قصدت عليه عارض الجود فانهمى

(ولنذكر ترجمته من الاحاطة ملخصة) * فنقول قال لسان الدين على بن موسى بن عبد الملك ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر ابن كنانة بن قيس بن الحصين العنسى المذحجى من أهل قلعة يحصب غرناطى قلعى سكن تونس أبو الحسن بن سعيد وهذا الرجل وسطى عقد بيته وعلم أهله ودرة قومه المصنف الاديب الرحالة الطرفة الاخبارى العجيب الشان فى التجول فى الاقطار ومداخلة الاعيان المتمتع بالخزائن العلمية وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية أخذ من اعلام اشبيلية كابى على الشلوبين وأبى الحسن الدباج وابن عصفور وغيرهم وتواليفه كثيرة منها المرقصات والمطربات والمقتطف من أزاهر الطرف والطالع السعيد فى تاريخ بنى سعيد تاريخ بيته وبلده والموضوع عن الغريبان المتعددا الاسفار وهما المغرب فى حلى المغرب والمشرق فى حلى المشرق وغير ذلك مما لم يتصل الينا فلقد حدثنى الوزير أبو بكر بن الحكيم انه تخلف كتابا يسمى المرزمة يشتمل على وقر بعير من رزم الكراريس لايعلم ما فيه من الفوائد الادبية والاخبارية الا الله تعالى وتعاطى نظم الشعر فى حدث السن فنبه فيه من مثله فيذكر أنه خرج مع أبيه الى اشبيلية وفى صحبته سهل بن مالك فجعل سهل ابن مالك يباحثه عن نظمه الى أن أنشده فى ضفة نهر والنسيم يردده والغصون تميل عليه

كأنما النهر صفحة كتبت * أسطرها والنسيم ينشئها

لما أبانت عن حسن منظرها * مالت عليها الغصون تقرؤها

فطرب وأثنى عليه ثم ناب عن أبيه فى أعمال الجزيرة ومازج الادباء ودوّن كثيرا من نظمه ودخل القاهرة فصنع له أدباؤها صنيعا فى ظاهرها وانتهت بهم الفرجة الى صنو نرجس وكان فيهم أبو الحسن الجزار فجعل يدوس النرجس برجله فقال أبو الحسن

ياواطئ النرجس ما تستحى * أن تطأ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن أبى الاصبغ

فقال دعنى لم أزل محنقا * على لحاظ الرشا الاكحل

وكان أمثل ماحضرهم ثم أبوا أن يجيزه غيره فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

ثم استدعاه سيف الدين بن سابق الى مجلس بضفة النيل مبسوط بالورد وقد قامت حوله شماريخ نرجس فقال فى ذلك

من فضل النرجس فهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ برأس

اما ترى الورد غدا قاعدا * وقام فى خدمته النرجس

ووافق ذلك مماليك التركمان وقوفا فى الخدمة على عادة المشارقة فطرب الحاضرون ولقى بمصر أيدمر التركى والبهاء زهيرا وجمال الدين بن مطروح وابن يغمور وغيرهم ورحل صحبة كمال الدين بن القيم الى حلب فدخل على الناصر صاحب حلب فأنشده قصيدة أولها

جدلى بما ألقى الخيال من السكرى * لابد للضيف الملم من القرى

فقال كمال الدين هذا رجل عارف وري بمقصوده من أول كلمة وهى قصيدة طويلة فاستحلبه السلطان وسأله عن بلاده ومقصوده برحلته وأخبره أنه جمع كتابا فى الحلى البلادية والعلى العادية المختصة بالمشرق وأخبره أنه سماه المشرق فى حلى المشرق وجمع مثله فسماه المغرب فى حلى المغرب فقال نعينك بما عندنا من الخزائن ونوصلك الى ما ليس عندنا بخزائن الموصل وبغداد وتصنف لنا لخدم على عادتهم وقال أمر مولاى بذلك انعام وتأنيس ثم قال له السلطان مداعبا ان شعراءنا يلقبون باسماء الطيور وقد اخترت لك لقبا يليق بحسن صوتك وايرادك للشعر فان كنت ترضى به والا لم نعلم به أحدا غيرنا وهو البلبل فقال قد رضى المملوك ياخوند فتبسم السلطان وقال له أيضا ايداعبه اختر واحدة من ثلاث اما الضيافة التى ذكرتها أول شعرك واما حائرة القصيدة واما حق الاسم فقال ياخوند المملوك مما لا يختفق بعشر لقم لانه مغربى أكول فكيف بثلاث فطرب السلطان وقال هذا مغربى ظريف ثم أتبعه من الدنانير والخلع والتواقيع بالارزاق مالا يوصف ولقى بحضرته عون الدين الحمى وهو بحر لا ينزفه الدلاء والشهاب النلعفرى والتاج بن شقير وابن نجيم الموصلى والشرف بن سليمان الاربلى وطائفة من بنى الصاحب ثم تحول الى دمشق ودخل الموصل وبغداد ودخل مجلس السلطان المعظم بدمشق وحضر مجلس خلوته وكان ارتحاله الى بغداد فى عقب سنة ثمان وأربعين وستمائة فى رحلته الاولى اليها ثم رحل الى البصرة ودخل أرجان وحج ثم عاد الى المغرب وقد صنف فى رحلته مجموعا سماه بالنفحة المسكية فى الرحلة المكية وكان نزوله بساحل مدينة أقليبة من أفريقية فى احدى جمادى سنة

المساء فى الليل فينتهى الى موضع من الزرع ثم يولى عائدا الى الماء فيرعى فى حال ٤٥١ رجوعه من الموضع الذى انتهى اليه مسيره ولا يرعى من ذلك شيأ فى مسيره كأنه يحدد مقدار ما يرعاه فيها اذا رعت وورد الى النيل فشربت ثم تقذف ما فى أجوافها فى مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية فاذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بارباب الضياع طرح له النرمس فى الموضع الذى يعرف خروجه منه مكاكى كثيرة سددا منبسوطا فيأكله ثم يعود الى الماء فيربو جوفه ويزداد فى انتفاخه فيشق جوفه فيموت ويطفو على الماء وتقذف به الى الساحل والموضع الذى يكون فيه لا يكاد يرى فيه تمساح وهو على صورة الفرس الا ان حوافره والذنب بخلاف ذلك والجبهة اوسع (قال المسعودى) وقد ذكر جماعة من الشرعيين ان بيصر بن حام بن نوح لما انفصل عن ارض بابل بولده وكثير من أهل بيته غرب نحو مصر وكان له أولاد أربعة مصر بن بيصر وقوف بن بيصر وساح وباح فنزل بموضع يقال له منف وبذلك يسمى الى وقتنا هذا وكان عددهم ثلاثين فسميت بهم كما سميت مدينة ثمانين من ارض الجزيرة وبلاد الموصل من بلاد بنى حمدان وانما نسبت الى عددها كنيها من كان مع نوح فى السفينة

وكان بيصر بن حام قد كبر سنه فاوصى الى الاكبر من ولده وهو مصر واجتمع الناس اليه وانضافوا الى جملتهم وأخصبت البلاد فملك عليهم مصر بن بيصر وملك من حد رفح من أرض فلسطين من بلاد الشام وقيل من العريش وقيل من الموضع المعروف بالشجرة وهو آخر أرض مصر والفرق بينها وبين الشام وهو الموضع المشهور بين العريش ورفح الى بلاد اسوان من أرض الصعيد طولا ومن ايلة وهى تخوم الحجاز الى برقة عرضا وكان لمصر أولاد أربعة وهم قبط واشمون واتريب وصا فقسم مصر الارض بين أولاده الاربعة أرباعا وعهد الى الاكبر من ولده وهو قبط وأقباط مصر يضافون فى النسب الى أبيهم قبط ابن مصر وأضيفت المواضع الى ساكنيها وعرفت باسمائهم فمنها أشمون وقبط وصا واتريب وهذه أسماء هذه المواضع الى هذه الغاية واختلطت الانساب وكثر ولد قبط وهم الاقباط فغلبوا على سائر الارض ودخل غيرهم فى انسابهم لما ذكرنا من الكثرة فقيل لكل قبط مصر وكل فريق منهم يعرف نسبه واتصاله

بمصر بن بيصر بن حام بن نوح الى هذه الغاية ولما هلك قبط بن مصر ملك بعده أشمون بن مصر كواكبها

اثنتين وخمسين وستمائة واتصل بخدمة الامير أبى عبد الله المستنصر فنال الدرجة الرفيعة من حظوته حدثنى شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ان المستنصر جفاه فى آخر عمره وقد أسن لجراءة خدمة مالية أسندها اليه وقد كان بلاه منه قبل جفوة أعقبها انتشال وعناية فكتب اليه بنظم من جملته لاترعنى بالجفا ثانية فرق له وعاد الى حسن النظر اليه الى ان توفى تحت بر وعناية مولده بغرناطة ليلة الفطر سنة عشر وستمائة ووفاته بتونس فى حدود خمسة وثمانين وستمائة انتهى باختصار * وذكرت حكاية اجازة بيته فى النرجس وان تقدمت لاتصال الكلام قلت قد كنت وقفت على بعض ديوان شعره المتعدد الاسفار ونقلت منه قوله من قصيدة يهنى ابن عمه الرئيس أبا عبد الله بن الحسين بقدومه من حركة هوّارة

أما واجب أن لايحول وجيب * وقد بعدت داروحان حبيب
وليس أليف غير ذكر وحسرة * ودمع على من لابرق صبيب
وخفق فؤاد ان هفا البرق خافقا * وشوق كما شاء الهوى ونحيب
ويعذلنى من ليس يعرف ما الهوى * وعذل مشوق فى البكاء عجيب
الا تعس اللوام فى الحب قد عموا * وصموا وداتى ليس منه طبيب
يرومون أن يثنى الملام صبابتى * ولست الى داعى الملام أجيب
وفائى اذا ماغبت عنكم مجدد * وغيرى ذو غدر أوان يغيب
ولو لم يكن منى الوفاء سجية * لكنت لغير ابن الحسين أنيب
سموا أل هذا العصر حاتم جوده * مهلبه ان مارسته حروب
فتى سير الامداح شرقا ومغربا * أبو دلف من دونه وخصيب
اذا رقم القرطاس قلت ابن مقلة * وان نظم الاشعار قلت حبيب
وان نثر الاسجاع قلت سمية * وان سرد التاريخ قلت غريب
وما أحرز الصولى آدابه التى * اذا ماتلاها لم يجبه أديب

ومنها

وأما اذا ما الحرب أخمد نارها * ففيه تلظى ماوج ولهيب
فكم قارع الابطال فى كل وجهة * نحاها وكم لفت عليه حروب
وكائن له بالغرب من موقف له * حديث اذا يتلى تطير قلوب
بمراكش سل عنه تعلم غناءه * وقد ساءهم يوم هنالك عصيب
اذا ماثنى الرمح الطويل كانه * مدر لغصن الخيزران لعوب
وان جرّه أبصرت نجما مجررا * ذؤابته منه الكماة تذوب
يهيم به ما ان يزال معانقا * لهرا كعات ماتحوز كعوب
محمد لاتبد الذى أنت قادر * عليه وخف عينا علاك تصيب
نفوذ سهام العين أودى بصعب * وطاح به بعد الشبوب شبيب
ألا فهنيأ أن رجعت لتونس * فاطلعت شمسا والشفار غروب

(ثم ملك بعده) صا بن مصر وملك بعده أريب بن مصر (ثم ملك بعده) ماليق بن ٤٥٣ دارس (ثم ملك بعده) حرايا بن ماليق (ثم ملك بعده) كالى بن حرايا وأقام فى الملك نحو امن مائة سنة (ثم ملك بعده) أخ له يقال له باليا بن حرايا (ثم ملك بعده) لوطيس ابن باليا نحو امن سبعين سنة (ثم ملكت بعده) ابنة له يقال لها حور يا بنت لوطيس نحو امن ثلاثين سنة (ثم ملكت بعدها) امرأة اخرى يقال لها مأموم وكثر ولد بيصر ابن حام بارض مصر فتشعبوا وملكوا النساء فطمعت فيهم ملوك الارض فسار اليهم من الشام ملك من ملوك العماليق يقال له الوليد بن دومع فكانت له حروب بها وغلب على الملك فانقادوا اليه واستقام له الامر الى أن هلك (ثم ملك بعده) الريان ابن الوليد العملاقى وهو فرعون يوسف وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرهما فى كتابه العزيز وقد أتينا على شرح ذلك فى كتابنا الاوسط (ثم ملك بعده) دارم بن الريان العملاقى (ثم ملك بعده) كامس بن معدان العملاقى (ثم ملك بعده) الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى وقد تنوزع فيه فمن الناس من رأى انه من العماليق ومنهم من رأى انه من لخم من بلاد الشام ومنهم من رأى انه من الاقباط من ولد مصر

كوا كبها تبدو اذا ما تركتها * وقد جعلت مهما حصرت تغيب
اذا سدت فى أرض فغيرك تابع * علاك ومهما ساد فهو مريب

ومنها

كفانى أنى استظل بظلكم * ومن هاب ذاك المجد فهو مهيب
فاصلك أصلى والفروع تباينت * بعيد على من رامه وقريب
وحسبى فخرا أن أقول محمد * نسيب على جل عنه نصيب
تركت جميع الاقربين لقصده * على حين حانت فتنة وخطوب
رأيت به جنات عدن فلم أبل * اذا وصلتنا للخلود شعوب
فقبلت كفا لا أعاب بلثمها * وأيدى الايادى لثمهن وجوب
وكيف وليس الرأس كالرجل فرقت * شيات لعمرى بيننا وصروب
ولو كان قدرى مثل قدرك فى العلا * لحق بان يعلو الشباب مشيب
ولولا الذى أسمعت من مكر حاسد * أتالك بقول وهو فيه كذوب
لما كنت محتاجا لقولى آنفا * تخليت من ذنب وجئت أتوب
اذا كنت ذا طوع وشكر وغبطة * فمن أين لى يا ابن الكرام ذنوب
لقد كنت معتادا ببشر فالذى * تقلدته حتى يزال قطوب
أان رفع السلطان سعيى بقربكم * أأخلأ عن وردكم وأخيب
وفاحسب ذنبى ذنب صخر بدارها * الى البر عند الخابرين معيب
وحاشاك من جور على وانما * أخاطب من أصغوله فيشوب
صحاب هم الداء الدفين فليتنى * ولم أدن منهم للذئاب صحوب
كلامهم شهد ولكن فعلهم * كسم له بين الضلوع دبيب
سأرحل عنهم والتجارب لم تدع * بقلبى لهم شيأ عليه أئيب
اذا اغترب الانسان عن يسوءه * فما هو فى الابعاد عنه غريب
فدارك برأب منك ما قد خرقته * ليحسن منى مشهد ومغيب
ولا تستمع قول الوشاة فانما * عدوهم بين الانام نجيب
فياليت أنى لم أكن متأدبا * ولم يك لى أصل هناك رسوب
وكنت كبعض الجاهلين محببا * فما أنا اللوم المسلم حبيب
وما ان ضربت الدهر زيدا بعمره * ولم يك لى بين الكرام ضريب
أأشكوك أم أشكو اليك فاعدت * عداتى حتى حان منك وثوب
سأشكر ما أولى وأصبر للذى * توالى على أن العزاء سليب
فدم فى سرور ما بقيت فانى * وحقك مذ ذب الوشاة كئيب

قال وكان سبب التغير بينى وبين ابن عمى الرئيس المذكور أن ملك أفريقية استوزر لاشغال الموحدين اباالعلى ادريس بن على بن أبى العلى بن جامع فاشتمل على وأولانى من البر ما قيدنى وأمال قلبى اليه مع تأكيد ما بينه وبين ابن عمى من الصحبة فلم يزل ينهض بى ويرفع أمداحى للملك

ويوصل اليه رسائلي منبها على ذلك مرشحا الى أن قبض الملك على كاتب عسكره وكان يقرأ بين يديه كتب المظالم فاحتيج الى من يخلفه في ذلك فنبه الوزير على وارتهن في مع انى كنت من كتاب الملك فقلدني قراءة المظالم المذكورة وسفرا الى الوزير عنده في دار الكاتب المؤخر فانهم بها فوجد الوشاة مكانا متسعا للقول فقالوا وزوروا من الاقاويل المختلقة ما مال بها حيث مالوا وظهر منه مخايل التغير فجعلت ادار يه وأستعطفه فلم ينفع فيه قليل ولا كثير الى أن سعى في تاخيري والدي عن الكتب للامير الاسعد أبي يحيى بن ملك الغرب ثم سعى في تاخيري فاخرت عن الكتابة وعن قراءة المظالم فانفردت بالكتابة للوزير المذكور وفوض الى جميع اموره وأولاني من التانيس ما أنساني تلك الوحشة ومن العزما أنقذني من تلك الذلة

فردعلى العيش بعد ذهابه * وآنسني بعد انفرادي من الاهل
وقالوا اذا ما الويل فاتك فاقنع * بما قد تسنى عندك الآن من طل
ووالله ما نعماه طل وانما * تادبه غيث يجود على الكل
رآني ظمأ في الهجيرة ضاحيا * فرق وآواني الى الماء والظل

ولم أزل عنده في أسر حال ما لها تكدير الا ما يلغثني من أن ابن عمي لا يزال يسعى في حقي بما اخشى مغبته وخفت أن يطول ذلك فيسمع منه ولا ينفع دفاع الوزير المذكور عني فرغبت له في أن يرفع للملك أني راغب في السراح الى المشرق برسم الحج

ومن بله الغيث في بطن واد * وبات ملايا من السيول

فلم يسعفني في ذلك ولامني على تخوفي وقلة ثقتي بحمايته فرفعت له هذه القصيدة

هل الهجر الا أن يطول التعتب * و يبعد من قد كان منه التقرب
وتقطع رسل بيننا ورسائل * و يمنع لقيانا نوى وتحجب
ولو أنني أدري لنفسي زلة * جعلت لكم عذرا ولم أك أعتب
ولكنكم لما ملكتم هجرتم * وذنبتم في الحب من ليس يذنب
الى الله اشكو غدركم وملالكم * وقلباله ذاك التعذب يعذب
فلو أنه يجزيكم بفعالكم * لكان له عنكم مراد ومطلب
ولكن أبى أن لا يحن لغيركم * وأن لا يرى عنكم مدى الدهر مذهب
فهلا رعيتم أنه في ذراكم * غريب وليس الموت الا التغرب
لرمتك لما ان رأيتك كاملا * جمالا واجلالا وذاك يجب
واني لاخشى أن يطول اشتكاؤه * لمن ان اتى مكرا فليس يثرب
فلم أسع الا الارتياح وراحة * وغيري وقد آواه غيرك يتعب
فانت الذي آويتني ورحمتني * وذو الرحم الدنيا الناري يحطب
فما ريوم لا يريد مصيبة * عليك وبالتدبير منك يجب
وهبه نبوتا لا يحيل أماترى * بحر حبال في الحجارة يرسب
وهبه لسدادكم أنت حاضر * أحاذر خرقا منه أن يتسببوا

ابن يدمر وكان يعرف بظلما وقد أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط وهلك فرعون غرقا حين خرج في طلب بني اسرائيل حين اخرجهم موسى بن عمران وجعل الله لهم طريقا في البحر يبسا ولما نرى فرعون ومن كان معه من الجنود وخشي من بقي بارض مصر من الدراري والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب فملكوا عليهم امرأة ذات رأي وحزم يقال لها دلوكة فبنت على بلاده سرحا ئطا تحيط بجميع البلاد وجعلت عليه الحراس والاجراس وارجال متصلة أصواتهم يقرب بعضهم من بعض وأثر هذا الحائط باق الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بحائط العجوز وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادي بخوطت الحائط من التماسيح وغيرها وذهبت في ذلك من الوجوه غير ما ذكرنا فملكتهم ثلاثين سنة واتخذت بمصر البرابي والصور وأحكمت الآلات السحرية وجعلت في البرابي صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت أم خيلا وصورت ما يرد في البحر من المراكب من بحر المغرب والشام وجعلت في هذه البرابي وما

وما ان أرى الا الفرار مخلصا * وما راغب فى الضيم من عنه يرغب
فأنهى الى الامر العلى شكيتى * وأن خطوب الدهر نحوى تحطب
ولا تطمعونى فى الذى لست نائلا * فلا أنا مرقوب ولا انا أشعب
ألا فلتمنوا بالسراح فانه * لراحة من يشقى لديكم وينصب
سلوا الكاس عنى اقتدارا فانى * لاتركها هما ودمعى أشرب
ولا أسمع الالحان حين تهزنى * ولو كان نوحا كنت أصغى وأطرب
فديتكم كم ذا اهون بارضكم * أهذا جزاء للدى يتغرب
أبخل على أن ماسواك يصح لى * فهل لى مما كدر العيش مهرب
تفلص عنى كل ظل ولم أجد * كما كنت ألفى من أود وأصحب
أدوطمع فى العيش يبقى وحوله * مدى الدهر أفعى لاتزال وعقرب
أجزنى أنجز بالفرار فانه * وحقك من نعمالك عندى يحسب
فلازلت ياخير الكرام مهنأ * فعيشى منه الموت أشهى وأطيب
وصانك من قد صنت فى حقه دمى * وغيرك من ثوب المروءة يسلب

ولم يزل الوزير لا أزال الله عنه رضا يحمى جانبى الى أن اصابتنى فيه العين فاصابه الحين

وطيب نفسى أنه مات عندما * تناهى ولم يشمت به كل حاسد
ويحكم فيه كل من كان حاكما * عليه و يعطى الثار كل معاند

وقلت أرثيه

بكت لك حتى الهاطلات السواكب * وشقت جيوبا فيك حتى المحارب
فكيف بمن دافعت عنه ومن به * أحاطت وقد بوعدت عنه المصائب
ألا فانظروا دمعى فاكثره دم * ولا تذهبوا عنى فانى ذاهب
وقولوا لمن قد ظل يندب بعده * وفاؤك لو قامت عليك النوائب
لعمرك ما فى الارض وافى بذمة * أيصمت ادريس ويشكى يخاطب
دعونك يامن لا أقوم بشكره * فهل أنت لى بعد الدعاء مجاوب
أياسيدا قد حال بينى و بينه * تراب حوت ذكراك منه التراثب
لمن أشتكى ان جار بعدك ظالم * على وان نابت جبابى النوائب
لمن أرتجى عند الامير بمنطق * تحف به حولى المنى والمواهب

وهى طويلة ومنها قبيل الختم

وقد كنت أختار الترحل قبل أن * يصيبك سهم للمنية صائب
ولكن قضاء الله من ذا يرده * فصبرا فقد يرضى الزمان المغاضب

ومنها وهو آخرها

وانى لادرى أن فى الصبر راحة * اذا لم تكن فيه على مثالب
وان لم يؤب من كنت أرجو انتصاره * عليك فلطف الله نحوى آيب

وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها أنواع الصور مما اذا صورت فى بعض الاشياء احدثت اعمالا على حسب ما رسمت له

ذلك فى أوقات حركات فلكيه واتصالها بالمؤثرات العلويه وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عوّرت تلك الصور التى فى البرابى من الابل وغيرها فيعور ما فى ذلك الجيش ويقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل فى تلك الصورة التى من تلك الجهة التى أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث فى ذلك الجيش من الآفات فى ناسه وحيوانه ما صنع فى تلك الصور التى من تلك الجهة وكذلك ما ورد من جيوش الغرب وما ورد فى البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهابتهم الملوك والامم وصنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانها الروم اقطار هذه المملكة وأحكامها السياسية وقد تكلم الناس فيما سلف وخلف فى هذه الخواص واسرار الطبيعة التى كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل العجوز عند المصريين مستفيض لا يشكون فيه والبرابى بصعيد مصر من صعيدها

ووضعت من أجله على حسب قولهم فى الطباع ٤٠٥٦ التام والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودى) وأخبرنى غير واحد من بلاد

قال رحمه الله تعالى ولما قدمت مصر والقاهرة أدركتنى فيهما وحشة وأثار تذكرما كنت أعهد بجزيرة الاندلس من المواضع المبهجة التى قطعت بها العيش غضا خصيبا وصحبت بها الزمان غلاما ولبست الشباب بردا قشيبا فقلت

هذه مصر فأين المغرب * مذ نأى عنى فعينى تسكب
فارقته النفس جهلا انما * يعرف الشئ اذا ما يذهب
أين حمص أين أيامى بها * بعدها لم ألف شيأ يعجب
كم بعيش لى بها من لذة * حيث للنهر خرير مطرب
وحمام الايك تشدو حولنا * والمثانى فى ذراها تحجب
أى عيش قد قطعناه بها * ذكره من كل نعمى أطيب
ولكم بالمرج لى من لذة * بعدها ما العيش عندى يعذب
والنواعير التى تذكارها * بالنوى عن مهجتى لا تسلب
ولكم فى شنتبوس من منى * قد قضيناه ولا من يعتب
حيث ها تيك الشراجيب التى * كم بها من حسن بدر معصب
وغناء كل دى فقر له * سامع غصبا ولا من يغصب
بلدة طابت ورب غافر * ليتنى ما زلت فيها أذنب
أين حسن النيل من نهرها * كل نعمات لديه تطرب
كم به من زورق قد حله * قرساق وعود يضرب
لذة الناظر والسمع على * شم زهر وكؤس تشرب
كم ركبناها فلم تجمع بنا * ولكم من جامع اذ يركب
طوعنا حيث اتجهنا لم نجد * تعبا منها اذا ما نتعب
قد أثارت عثيرا يشبهه * نثر سلك فوق بسط ينهب
كلما رشنا لها أجنحة * من قلاع ظلت منها تجب
كطيور لم تجد يالها * فيد اللعين منها مشرب
بل على الخضراء لا تنفك من * زفرة فى كل حين تلهب
حث للبحر ثئيرا حولها * تبصر الاغصان منه ترهب
كم قطعنا الليل فيها مشرقا * بحبيب ومدام يسكب
وكأن البحر ثوب أزرق * فيه للبدر طراز مذهب
والى الحوز حنينى دائما * وعلى شنيل دمعى صيب
حيث سل النهر عضبا واثنت * فوقها القضب وغنى الربرب
وتشفت أعين العشاق من * حور عين بالمواضى تحجب
ملعب للهو مذ فارقته * ما ثنانى تحولى وملعب
والى مالقة يهفو هوى * قلب صب بالنوى لا يقلب
أين ابراج بها قد طالما * حث كاسى فى ذراها كوكب

اخيم من صعيد مصر عن أبى الفيض ذى النون بن ابراهيم المصرى الاخميمى الزاهد وكان حكيما وكان له طير يقة يأتيها ونحلة يعتنى بها وكان ممن يقرأ عن أخبار هذه البرابى ودارها وامتحن كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور قال رأيت فى بعض البرابى كتابا تدبرته فاذا هو احذر العبيد المعتقين والاحداث المقربين والجند المتعبدين والنبط المستعربين قال ورأيت فى بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر المقدور والقضاء يضحك وزعم انه راى فى آخره كتابة وتبينها فى ذلك القلم الاول فوجدها

تدبر النجوم ولست تدرى ورب النجوم يفعل ما يريد

وكانت هذه الامة التى اتخذت هذه البرابى لهجة بالنظر فى أحكام النجوم مواظبين على معرفة أسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه أحكام النجوم أن طوفانا سيكون فى الارض ولم يقطع بان ذلك الطوفان ما هو انار تاتى على الارض فتحرق ما عليها أو ماء فيغرقها أو سيف يبيد أهلها فاتخذت هذه البرابى واحدها بربى ورسمت

حفت الاشجار عشقا حولنا * تارة تنأى وطورا تقرب
جاءت الريح بها ثم انثنت * أتراها حذرت من ترقب
وعلى مرسية أبكي دما * منزل فيه نعيم معشب
مع شمس طلعت في ناظري * ثم صارت في فؤادي تغرب
هذه حالي وأما حالتي * في ذرى مصر ففكر متعب
سمعت اذني محالا ليتها * لم تصدق ويحها من مكذب
وكذا الشئ اذا غاب انتهوا * فيه وصفا كي يميل الغيب
ها أنا فيها فريد مهمل * وكلامي ولساني معرب
وأرى الالحاظ تنبو عندما * أكتب الطرس أفيه عقرب
واذا أحسب في الديوان لم * يدر كتابهم ما أحسب
وأنادي مغربيا ليتني * لم أكن للغرب يوما أنسب
نسب يشرك فيه خامل * ونبيه أين منه المهرب
أتراني ليس لي جدله * شهرة أوليس يدري لي أب
سوف أثني راجعا الاغربي * بعد ما جربت برق خلب

وقال يقرمونه متشوقا الى غرناطة

أغثني اذا غنى الحمام المطرب * بكاس بها وسواس فكري يذهب
ومل ميلة حتى أعانق أيكة * وألثم ثغرا فيه للصب مشرب
ولم أر مرجانا ودر اخلافه * يطيف به ورد من الشهد اعذب
فديتك من غصن تحمله نقا * تطلع أعلاه صباح وغيهب
وجنته جنات عدن وفي لظى * فؤادي ومالي من ذنوب تعذب
ويعذلني العذال فيه وانني * لاعصى عليه من يلوم ويعتب
لقد جهلوا هل عن حياتي أنثني * اذا غقروا أقوالهم وتأليوا
يقولون لي قد صار ذكرك مخلقا * وأصبح كل في هواه يؤنب
وعرضك مبذول وعقلك تالف * وجسمك مسلوب ومالك ينهب
نقلت لهم عرضي وعقلي والعلا * وفخري لا أرضى بها حين يغضب
جفون أبت أن لا تلين لعازم * بسحر بآيات الرقى ليس يذهب
فقالوا الا قد خان عهدك قلت لم * يخن من اذا قربته يتقرب
وكم دونه من صارم ومثقف * فيا من رأى بدرا بهذين يحجب
على أنه يستسهل الصعب عندما * يزور فلا يجدي حمى متر قب
ولم حيلة تترى على اثر حالة * وذو الود من يحتال أو يتسبب
على انه لو خان عهدي لم أزل * له راعيا والرعي للصب أوجب
فاين زمان لم يخني ساعة * به وهو مني في التنعم أرغب
ولا فيه من بخل ولا بي قناعة * كلانا بلذات التواصل مجدب

وحجرا وفرزت ما يبني بالطين عما يبني بالحجر وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر ما يبني من الطين وانحرق وبقيت هذه العلوم وان كان الطوفان الوارد ماء اذهب ما يبني بالطين وبقي ما يبني بالحجارة وان كان الطوفان سيفا بقي كلا النوعين ماهو بالطين وما هو بالحجر وهذا ما قيل والله أعلم كان قبل الطوفان وان الطوفان الذي كانوا يرقبونه لم يعينوه أنار هو أم ماء أم سيف وكان سيفا أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيها وملك ينزل عليها فاباد أهلها ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المنضدة من الناس من صغير وكبير وذكر وانثى كالجبال العظام وهي المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر ذوات الكوم وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المنكسين بعضهم على بعض في كهوف وغيران ونواويس ومواضع كثيرة من الارض لا يدري من أي الامم هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود تقول عنهم انهم من أوائلهم ولا

 المسلمون يدرون من هم ولا تاريخ ينبئ عن حالهم عليهم أثوابهم وكثيرا ما يوجد في تلك الروابي

ويارب يوم لا أقوم بشكره * على أنني مازلت أثني وأطنب
على نهر شنيل ولقصب حولنا * منابر مازالت بها الطير تخطب
وقد قرعت منه سنابك فضة * خلال رياض بالاصيل تذهب
شربنا عليها قهوة ذهبية * غدت تشرب الالباب أيان تشرب
كأن ياسمينا وسط درتفتحت * أزاهره أيان في الكاس تسكب
اذا ماشربناها النيل مسرة * تبسم عن درلها فتقطب
أتت دونها الاحقاب حتى تخالها * سرابا بأفاق الزجاجة يلعب
نعمنا بها واليوم قد رق برده * الى أن رأينا الشمس عنا تغرب
فقالوا الاهاتوا السراج فكل من * درى قدر ما في الكاس أقبل يحجب
وقال ألا ندرون ما في كؤسكم * فلا كاس الا وهو في الليل كوكب
كواكب أمست بين شرب ولم تحل * بان النجوم الزهر تدنو وتغرب
ظللنا عليها عاكفين وليلنا * نهار الى أن صاح بالايك مطرب
فلم نثن عن دين الصبوح عنانا * الى أن عدا من ليس يعرف يندب
صرعنا فاما سي يحسب السكر قد قضى * علينا وذاك السكر أشهى وأعجب
وكم ليلة في اثر يوم وعذلي * وعذل من يصغي لقولي خيب
فيا ليت ما ولى معاد نعيمه * وأي نعيم عند من يتغرب

قال وقلت باشبيلية ذاكرا الوادي الطلح وهو بشرق اشبيلية ملتف الاشجار كثير مترنم الاطيار وكان المعتمد بن عباد كثيرا ما يفتتابه مع رميكته وأولى أنسه ومسرته

سائل بوادي الطلح ريح الصبا * هل سخرت لي في زمان الصبا
كانت رسولا فيه ما بيننا * ان نأمن الرسل ولن نكتبا
يا قاتل الله اناسا اذا * ما استؤمنوا خانوا فما أعجبا
هلا رعوا أنا وثقنا بهم * وما اتخذنا عنهم مذهبا
يا قاتل الله الذي لم يتب * من غدرهم من بعد ما جربا
والهم لا يعرف ما طعمه * الا الذي وافى لأن يشربا
فدعني من ذكر الوشاة الالى * لما يزل فكري بهم ملهبا
واذكر بوادي الطلح عهد الصبا * لله ما أحلى وما أطيبا
بجانب العطف وقد مالت الاغصان والزهر يبث الصبا
والطير ما زالت بين ألحانها * وليس الا مجيبا مطربا
وخانني من لا أسميه من * شح أخاف الدهر أن يعجبا
قد أترع الكاس وحيا بها * وقلت أهلا بالمنى مرحبا
أهلا وسهلا بالذي شئته * يا بدر تم مهديا كوكبا
لكنني آليت أسقي بها * أو تودعها ثغرك الاشنبا
هج لي في الكاس من ثغره * ما حبب الشرب وما طيبا

والجبال من حليهم والبرابي وهو أحد الموصوفين منها والبربا التي ببلاد أخميم والبربا التي ببلاد سمنود وغير ذلك والاهرام وطولها عظيم وبنيانها عجيب عليها أنواع من الكتابات بأقلام الامم السالفة والممالك الدثرة لا يدرى ما تلك الكتابة ولا ما المراد بها وقد قال من عنى بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع ذهابها في الجو نحو من أربعمائة ذراع أو أكثر وكلما علا به الصعداء دق ذلك والغرض مما وصفنا عليها من الرسوم ما ذكرنا وان ذلك علوم وخواص وسحر وأسرار للطبيعة وان من تلك الكتابة مكتوب انا بنيناها هن يدعي موازاتنا في الملك وبلوغنا في القدرة وانتهاءنا من السلطان فليهدمها وليبزل رسمها فان الهدم أيسر من البناء والتمزيق أيسر من التأليف وقد ذكر أن بعض ملوك الاسلام شرع في هدم بعضها فاذا خراج مصر وغيرها لا يفي بقلعها وهي من الحجر والرخام والغرض في كتابنا هذا الاخبار عن جمل الاشياء وجوامعها لا عن تفصيلها وبسطها وقد أتينا على سائر ما شاهدناه حسا في مطافات الارض والممالك وما نمى الينا خبره من الخواص وأسراره فقال

فقال هاتي نقلا ولا * تشم الا عرفي الاطيبا
فاقطف بخدي الورد والآس والنسرين لا تحفل بزهر الربا
أشفقته غصنا غدا مثمرا * ومن جناه ميسه قربا
قد كنت ذا نهي وذا امرة * حتى تبدى خللت الحبا
ولم أصن عرضي في حبه * ولم أطع فيه الذي أتبا
حتى اذا ما قال لي حاسدي * ترجوه والكوكب أن يغربا
أرسلت من شعري شعراله * يسير المرغب والمطلبا
وقال ترفه باني ساحتال فما اجتنب المكتبا
فزاد في شوقي له وعده * ولم ازل معتقدا مرقبا
امد طرفي ثم اثنيه من * خوف اخي التنغيص أن يرقبا
أصدق الوعد وطورا أرى * تكذيبه والحر لن يكذبا
اني ومن سخره بعدما * أيأس بطأكاد أن يغضبا
قبلت في التراب ولم استطع * من حصر اللثام سوى مرحبا
هنات ربي اذ غداها له * وقلت يا من لم يضع اشعبا
بالله مل معتنقا لاثما * فمال كالغصن ثنته الصبا
وقال ما ترغب قلت اتئد * ادركت اذ كلمتني المرغبا
فقال لا مرغب عن ذكرما * ترغبه قلت اذا مركبا
فكان ما كان فوالله ما * ذكرته دهري أو أغلبا

قال وقلت باقتراح الملك الصالح نور الدين صاحب حمص ان اكتب بالذهب على تفاحة عنبر قدمها لابن عمه الملك الصالح ملك الديار المصرية

انا لون الشباب والخال اهديت لمن قد كسا الزمان شبابا
ملك العالمين نجم بني ايوب لازال في المعالي مهابا
جئت ملاي من الثناء عليه * من شكورا حسانه والثوابا
لست ممن له خطاب ولكن * قد كفاني اريج عرفي خطابا

قال ولما انشد ابو عبدالله بن الابار كاتب ملك افريقية لنفسه

لله دولاب يدور كانه * فلك ولكن ما ارتقاه كوكب
هامت به الاحداق لما نادمت * منه الحديقة ساقيا لا يشرب
نصبته فوق النهر أيد قدرت * ترويحه الارواح ساعة ينصب
فكانه وهو الطليق مقيد * وكانه وهو الحبيس مسبب
للماء فيه تصعد وتحدر * كالمزن يستقي البحار ويسكب

حلف أبو عبدالله بن أبي الحسين ابن عمي أن يصنع في ذلك شيأ فقال

وبحنية الاضلاع تحنو على الثرى * وتسقي نبات الترب در الترائب
تعد من الافلاك أن مياهها * نجوم لرجم المحل ذات ذوائب

بكتاب النصايا والتجارب ولا تمانع بين ذوي الفهم ان في مواضع من الارض مدنا وقرى لا يدخلها عقرب ولا حية مثل مدينة حمص ومعرة وبصرى وانطاكية وقد كان ببلاد انطاكية وقد اخرج انسان يده خارج السور وقع عليه البق فاذا جذبها الى داخل لم يبق على يده من ذلك شيء الى أن كسر عمود من الرخام في بعض المواضع بها فاصيب في أعلاه حق من نحاس في داخله بق مصور من نحاس نحو كف فما مضت أيام أو على الفور من ذلك حتى صار البق في وقتنا هذا يعم الا كثر من دورهم وهذا حجر المغناطيس يجذب الحديد ولقد رأيت بمصر حية مصورة من حديد أو نحاس توضع على شيء ويدنى منها حجر المغناطيس فيحدث فيها حركة تباعد منه وحجر المغناطيس اذا أصابته رائحة الثوم يبطل فعله في الحديد واذا غسل بشيء من الخل أو ناله شيء من عسل النحل عاد الى فعله الاول من جذب الحديد وللمغناطيس في الحديد خواص عجيبة غير ما ذكرنا كالحجر الماص للدم والله عز وجل قد استأثر بعلم الاشياء وأظهر للعباد ما شاء مما لهم فيه الصلاح على قدر الوقت وحاجتهم فيه اليه وأشياء استأثر

وأعجبها رقص الغصون ذوابلا * فدارت بأمثال السيوف القواضب
ونحسبها والروض ساق وقينة * فبارحا ما بين شادوشارب
وما حملتها تشكو بتحنانها الصدا * ومن فوق مثنيها اطراد المذانب
فخذ من مجاريها ودمعة لونها * بياض العطايا في سواد المطالب

ثم كلفت في أن اقول في ذلك وأنا أعتذر بأن هذين لم يتركا لي ما أقول

وذات حنين لا تزال مطيقة * تئن وتبكي بالدموع السواكب
كأن اليفابان عنها فأصبحت * بمربعه كالصب بعد الحبائب
اذا ابتسمت فيها الرياض شماتة * ترعها بامثال القسي القواضب
فكم رقصت أغصانها فرمت لها * نثارا كما بدرت حلى الكواعب
لقد سخطت منها الثغور وأرضت الـ * ـقدود ولم تحفل بتثريب عائب
شربت على تحنانها ذهبية * ذخيرة كسرى في العصور الذواهب
فهاجت لي الكاس ادكار مغاضب * فهاجتها وجدا بذاك المغاضب
فلا تدع التبريز في كثرة الهوى * فلولاي كانت فيه احدى العجائب

قال وقلت بغرناطة

يا كرام اللهو ومن شاء عتب * لا يلذ العيش الا بالطرب
ما توانى من رأى الزهر زها * والصبا تمرح في الروض خبب
وشذاه صانه حتى اغتدى * بين أيدي الريح غصنا ينتهب
يا نسيما عطر الارجاء هل * بعثوا ضمنك ما يشفي الكرب
هم أعلوه وهم يشفونه * لا شفاه الله من ذاك الوصب
خلع الروض عليه زهره * حين وافى من ذرا كم فعل صب
فأبى الاشذاه فاثنى * حاملا من عرفه ما قد غصب
لست ذا نكر لان يشبهكم * من بعثتم غير ذا منه العجب
غالب الاغصان في بدأته * ثم لما زاد أعلته الغلب
فبكى الظل عليها رحمة * أو بكى من وعظ طير قد خطب
كل هذا قد دعاني للتي * ملكت رقي على مر الحقب
قهوة أبسم من عجب لها * عند ما تبسم عجبا عن حبب
حاكت الخمر فلما شعشعت * قلت ما للخمر بالماء التهب
وبدت من كاسها في فضة * ملئت اذ خدت ذوب الذهب
استقيها من يدي مشبهها * بالذي نحويه طرف وشنب
لا جعلت الدهر نقلي غيرما * لذلي من ريق ثغر كالضرب
لا جعلت الدهر ريحاني سوى * ما تخدديه من الورد انتقب
لم أزل أقطع دهري هكذا * وكذا أقطع منه المرتقب
حبذا عيش قطعناه لدى * معطف الخابور ما فيه نصب

بعضها لم يظهرها لخالقه غيرها كما يحدث من ماء العفص والزاج عند الاجتماع من شدة السواد وكحدوث جوهر الزجاج عند جمعنا بين الرمل والمغنيسيا والقلي عند الصهر والسبك لذلك وكذلك لو جمع بين ماء القلي وماء المرتك وهو المردا سنج خرج الحادث من مزاجيهما كالزبد بياضا واذا مزج ماء القلي بماء الزاج خرج من مزاجيهما لون أحمر كالعصفر وكجمعنا في النتاج بين الفرس الانثى والحمار فتحدث بغلا ولو نتج دابة على اتان لخرج منها بغل افعس ذو خبث ودهاء يسمى الكودن وقد ذكرنا النتاج الذي كان بصعيد مصر مما يلي الحبشة وما كان ينتج من الثيران على الاتن والحمير على البقر وما كان يحدث من ذلك من الدواب العجيبة التي ليست بحمير ولا بقر كالبغل الذي ليس بدابة ولا حمار وقد ضربنا ضروب التوليدات في أنواع الحيوان والنبات من تطعيمهم الغروس والاشجار وما تولد من الطعوم في المذاق في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب في أنواع الفلاحات وغيرها وذكرنا باب خواص الاشياء ومعرفتها والطلسمات

مـــع من لم يدر يوما ما الجفا * من أراح الصب فيه من تعب
كل ما يصـــدر منـــه حســـن * لم يذقنى فى الهوى مر الغضب
اى عيـــش سمح الدهـــر به * كل نعـــمى ذهبت لما ذهب

قال ودخلت بتونس مع أبى العباس الغسانى حماما فنظرنا الى غلمان فى نهاية الحسن ونعومة الابدان فقلت مخاطبا له

دخلت حماما وقصدى به * تنعيم جسم فعد الى عـذاب
قلت لظبى فاعترضت حوره * وقلت عـــدن فنهانى النهاب
وأنت فى الفضل امام فكن * فى الحكم ممن حاز فصل الخطاب

فقال

لا تامن الحمام فى فعـــله * فليس ما ياتيه عنـــدى صواب
فما أرى أخـــدع منه ولا * أكذب الا أن يكون السراب
يبدى لك الغيد كحور الدمى * ويلبس الشـــيخ برود الشباب
ظن به النار فلا جنـــــة * للحســـــن الا ما حوته الثياب

(ومن فوائده) أعنى ابن سعيد رحمه الله تعالى فى كتابه المحلى بالاشعار نقلا عن القرطبى قضية بناء الهودج بروضة مصر وهو من منتزهات الخلفاء الفاطميين العظيمة البهجة البناء البديعة وذلك أنه يقال ان البانى له الخليفة الآمر باحكام الله للبدوية التى غلب عليه حبها بجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثيرا وقتل وهو متوجه اليه ومازال منتزها للخلفاء من بعده * وقد أكثر الناس فى حديث البدوية وابن مياح من بنى عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر حتى صارت رواياتهم فى هذا الشان كحديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الآمر قد كان بلى بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون فى البوادى فبلغه أن بالصعيد جارية من أكمل العرب وأظرفهم شاعرة جميلة فقال انه تزيا بزى بناة الاعراب وكان يجول فى الاحياء الى أن انتهى الى حيها وبات هنالك وتحيل حتى عاينها هنالك فاملك صبره ورجع الى مقر ملكه وأرسل الى أهلها يخطبها وتزوجها فلما وصلت اليه صعب عليها مفارقة ما اعتادت وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبنيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه من قصر الآمر

يا ابن مياح اليك المشتكى * مالك من بعـــدكم قد ملكا
كنت فى حيى طليقا آمرا * نائلا ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر موصـــد * لا أرى الا خبيثا ممسكا
لم تثنينا كاغصان النقا * حيث لا نخشى علينا دركا

فاجابها فقال

بنت عمى والتى غذيتها * بالهوى حتى علا واحتبكا

والكثير منه يدل على الكثير ويمكن والله أعلم أن تكون هذه الخواص والطلسمات والاشياء المحدثة فى العالم للحركات مما وصفنا والدافعة والمانعة والمنفردة والجاذبة والفاعلة فى الحيوان وغير ذلك مثل الطرد والجذب كانت دلالة لبعض الانبياء فى الامم الخالية جعلها الله كذلك لذلك النبى دلالة ومعجزة تدل على صدقه وتنبيهه من غيره ليؤدى عن الله أمره ونهيه وما فيه من الصلاح لخلقه فى ذلك الوقت ثم رفع الله ذلك الشئ وبغيت علومه وما أبانه الله عز وجل مما ذكرنا فى أيدى الناس وأصل ذلك الهى كما وصفنا اذ كان ما ذكرناه ممكنا غير واجب ولا ممتنع فى القدرة (قال المسعودى) فلنرجع الى ما كنا فيه من أخبار ملوك مصر وكان الملك بعد انقضاء ملك دلوكة الهوز دركوش بن ملوطس (ثم ملك بعده) نورش بن دركوش (ثم ملك بعده) امس بن نورش نحوا من خمسين سنة (ثم ملك بعده) دسا بن نورش نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده) ابنه ملوطس عشرين سنة (ثم ملك بعده) مكا كيل وكانت له حروب ومسير فى الارض وهو فرعون الاعرج الذى غزا بنى اسرائيل وخرب

بحث بالشكوى وعندى ضعفها * لو غدى ينفع منا المشتكى
مالك الامر اليه يشتكى * هالك وهو الذى قد هلكا

قال ولناصر فى طلب ابن مناح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طيئ فى عصر الآمر مراد بن مهلهل فقال وقد بلغته هذه الابيات

ألا بلغوا الآمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الاليفين عن ألفة * بهاسمر الحى جول الرحال
كذا كان آباؤك الاكرمون * سألت فقل لى جواب السؤال

فقال الخليفة الآمر لما بلغته الابيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله فطلب فى أحياء العرب فلم يوجد فقيل ما أخسر صفقة طراد باع عدة أبيات بثلاثة أبيات وكان بالاسكندرية مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسين بن حديد له مروءة عظيمة ويحتذى أفعال البرامكة وللشعراء فيه أمداح كثيرة ومدحه ظافر الحداد وأمية أبو الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة واحدة ينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره وكان يرى فى نفسه برؤيته زيادة على أهل التنعم والمباهاة فى عصره فوشى به للبدوية محبوبة الآمر فسألت الآمر فى حمل الجرن اليها فارسل الى ابن حديد فى احضار الجرن فلم يحدد امر حمله من البستان فلما صار الى الآمر أمر بعمله فى الهودج فقلق ابن حديد وصارت فى قلبه حرارة من أخذ الجرن فاخذ يخدم البدوية وجميع من يلوذ بها بانواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد فى الكثرة حتى قالت البدوية هذا الرجل أخجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط أمرا نقدر عليه عند الخليفة مولانا فلما قيل له عنها هذا القول قال مالى حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها فى عز غير رد السقية التى قلعت من دارى التى بنيتها فى أيامهم من نعمتهم ترد الى مكانها فتعجبت من ذلك وردتها عليه بقيل له قد حصلت فى حد أن خبرتك البدوية فى جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب فى أخذ ذلك الحجر من مكانه وقد بلغها الله تعالى أملها وكان هذا المكين متولى قضاء الاسكندرية ونظرها فى أيام الآمر وبلغ من علو همته وعظيم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المامون بن البطائحى لما قلده الآمر ولاية ثغر الاسكندرية سنة سبع عشرة وخمسمائة وأضاف اليها الاعمال البحرية ووصل الى الثغر وصف له الطبيب دهن الشمع بحضرة القاضى المذكور فامر فى الحال بعض غلمانه بالمضى الى داره لاحضار دهن الشمع فما كان من أكثر من مسافة الطريق الا وقد أحضر حقا مختوما ففك عنه فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب شبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن بمسك وبيت دهن بكافور وبيت دهن بعنبر طيب ولم يكن فيه شئ مصنوع لوقته فعندما أحضره الرسول تعجب المؤتمن والحاضرون من علو همته فعندما شاهد القاضى ذلك بالغ فى شكر انعامه وحلف بالحرام ان عاد الى ملكه وكان من جواب المؤتمن وقد قبلته منك لا لحاجة اليه ولا نظر فى قيمته بل لاظهاره هذه الهمة واذاعتها وذكر ان قيمة هذا المداف وما عليه خمسمائة دينار فانظر رحمك الله تعالى

مريوس ثمانين سنة (ثم ملك بعده) قومس بن نفاس عشرين سنة (ثم ملك بعده) كامل وكانت له حروب مع ملوك المغرب ونزاده المختصر مرزبان المغرب من قبل ملوك الروم بخرب أرضه وقتل رجاله وسار المختصر نحو المغرب وقد اتينا على أخباره فى كتاب راحة الارواح لان هذا الكتاب رسمناه باخبار سير الملوك للارض واخبارها مقابلتهم دون ما ذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان ولما زال أمر المختصر ومن معه من جنود فارس ملكت الروم مصر وغلبت عليها فتنصر أهلها فلم يزالوا على ذلك الى ان ملك كسرى أنوشروان فغلبت جيوشه على الشام وسارت نحو مصر فملكوها وتغلبوا على أهلها نحوا من عشرين سنة وكانت بين الروم وفارس حروب كثيرة فكان أهل مصر يؤدون خراجين خراجا الى فارس وخراجا الى الروم عن بلادهم ثم انجلت فارس عن مصر والشام لامر حدث فى دار مملكتهم فغلب الروم على مصر والشام وأشهروا النصرانية فشمل ذلك من بالشام ومصر الى ان أتى الله بالاسلام وكان من أمر

الى من يكون دهن الشمع عنده فى اناء قيمته خمسمائة دينار ودهن الشمع لا يكاد اكثر الناس يحتاج اليه فماذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التجملات وهذا انما هو حال قاضى الاسكندرية ومن قاضى الاسكندرية بالنسبة الى اعيان الدولة بالحضرة ومانسبة اعيان الدولة وان عظمت احوالهم الى امراء الخلافة وابهتها الا يسير حقير وما زال الخليفة الآمر يتردد الى الهودج المذكور الى ان ركب يوم الثلاثاء رابع القعدة سنة ٥٢٤ يريد الهودج وقد كن له عدة من التراتيب على راس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه واثخنوه بالجراحة وحمل فى العشارى الى الاثاوة فمات بها وقيل قبل ان يصل اليها وقد خرب هذا الهودج وجهل مكانه من الروضة ولله عاقبة الامور نقل ذلك كله الحافظ المقريزى رحمه الله تعالى قال النور بن سعيد ومن خطه نقلت لما نزلنا بتلعفر حين خرجنا من سنجار الى الموصل سالت أحد شيوخنا عن والد شهاب الدين التلعفرى فقال انا أدركته وكان كثير القبول وأنشدنى لنفسه فى عيد أدركه فى غير بلده

يبتهج الناس اذا عيدوا * وعندما ئهم أكد
لانى ابصر احبابهم * ومقلتى محبوبها تفقد

قال وخرج ابنه الشهاب أجول منه شخصا وشعرا وصدق فيما قاله وانشد ابن سعيد للشهاب التلعفرى

لك ثغر كلؤلؤ فى عقيق * ورضاب كالشهد او كالرحيق
وجفون لم يمتشق سيفها الا لمغرى بقتلنا لمشوق
تهت عجبا بكل فن من الحسن جليل وكل معنى دقيق
وتفردت بالجمال الذى خلاك مستوحشا بغير رفيق
بالحاظ التى لها لم تزل تر * شق قلبى و بالقوام الرشيق
لا تغر بالغو يراذ تثنى * فيه اعطاف كل غصن وريق
واثن محمورد خديك واستر * وه والا ينشق قلب الشقيق

قال ابن سعيد وحظى الشهاب التلعفرى بمنادمة الملوك وكونهم يقدمونه ويقبلون على شعره وعهدى به لا ينشد أحد قبله فى مجلس الملك الناصر على كثرة الشعراء وكثرة من يعتنى بهم ولما جمعت للملك الناصر كتاب ملوك الشعر جعلت ملك شعرا الشهاب البيت الرابع من المقطوعة المتقدمة فانه كان كثيرا ما ينشده و ينوه به والتشفى من ذكر الشهاب ومحاسن شعره له مكان بكتاب الغرة الطالعة فى فضلاء المائة السابعة وهو الآن عند الملك المنصور صاحب حماة قد علت سنه وما فارقه غرامه ودنه انتهى ولما اجرى ابن سعيد فى بعض مصنفاته ذكر الملك العادل بن ايوب قال ما نصه وكان من اعظم السلاطين دهاء وحزما وكان يضرب به المثل فى افساد القلوب على اعدائه واصلاحها له و يحكى انه بشر شخص بان اميرا من امراء الافضل بن صلاح الدين فسد عليه فاعطاه مالا جزيلا وارسل مستخفيا الى المذكور يزيده بصيرة فى الانحراف عن الافضل و يعده بما يفسد الصالح فكيف الفاسد قال وكان يمنع حتى يوصف بالبخل ويجود فى مواضع الجود حتى يوصف بالسماح وكان صلاح

ومن كان معه فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبنى عمرو بن العاص الفسطاط وهو قصبة مصر فى هذا الوقت وكان ملك مصر وهو المقوقس صاحب القبط ينزل اسكندرية فى بعض فصول السنة وفى بعضها مدينة منف وفى بعضها قصر الشمع وهو اليوم يعرف بهذا الاسم فى وسط مدينة الفسطاط ولعمرو بن العاص فى فتح مصر اخبار وما كان بينه و بين المقوقس ونحته لقصر الشمع وغير ذلك من أخبار مصر والاسكندرية وما كان من حروب المسلمين فى ذلك ودخول عمرو ابن العاص الى مصر والاسكندرية فى الجاهلية وما كان من خبره مع الراهب والكرة الذهب التى كانوا يظهرونها للناس فى اعيادهم ووقوعها فى حجر عمرو بن العاص وذلك قبل ظهور النبى صلى الله عليه وسلم قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا فى أخبار الزمان والكتاب الاوسط (قال المسعودى) والذى اتفقت عليه أهل التواريخ ممن تباين ما فيها أن عدة ملوك مصر من العراعنة وغيرها اثنان وثلاثون فرعونا ومن ملوك بابل ممن تملك على مصر خمسة ومن ملوك بابل وهم العماليق

الذين ظهروا اليها من بلاد الشام أربعة ومن الروم سبعة ومن اليونانيين عشرة وذلك قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام وملكها أناس من الفرس من قبل الاكاسرة وكان مدة من ملك مصر من الفراعنة والروم والعمالية واليونانيين ألفا وستة وثلثمائة سنة (قال المسعودي) وسألت جماعة من اقباط مصر بالصعيد وغيره من بلاد مصر من أهل الخبرة عن تفسير مرعون فلم يخبروني عن معنى ذلك ولا تحصل لي في لغتهم فيمكن والله أعلم ان هذا الاسم كان سمة لملوك تلك الاعصار وأن تلك اللغة تغيرت كتغير الفهلوية وهي الفارسية الاولى الى الفارسية الدرية وكاليونانية الى الرومية وتغير الحميرية وغير ذلك من اللغات ولمصر أخبار عجيبة من الدقائق وما يوجد من الدفائن من ذخائر الملوك التي استودعوها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا فمن جميع أخبارها ما ذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاخيه عبد الملك ابن مروان فاتاه رجل متنصح فسأله عن نصحه فقال بالقبة الحمراء كنز عظيم قال عبد العزيز وما مصداق ذلك قال هو أن يظهر لنا ومن

الدين وهو السلطان يأخذ برأيه وقدم له احد المصنفين كتابا مصورا في مكايد الحروب ومعرفة المدن وهو حينئذ على عكا محاصرا للفرنج فقال له ما نحتاج الى هذا الكتاب ومعنا اخونا ابو بكر وكان كثير المداراة واللزوم ومن حكاياته في ذلك ان احد الاشياخ من خواصه قال له يوما وهو على بساطه يا كل ياخوند ما وقيت معي ولا رعيت سابق خدمتي وكلمه بدالة السن وقدم الصحبة قبل الملك فقال لمماليكه انظروا وسطه فحلوا الكمران وقال خذوا الصرة التي فيه فوجدوا صرة فقال انتحوها ففتحوها فاذا فيها ذرور فقال العادل كل من هذا الدرور فتوقف وعلم أنه مطلع على انه سم فقال كيف نسبتني الى قلة الوفاء وأنا منذ سنين لم أنك نريد أن سمني بهذا السم وقد جعل لك الملك الفلاني على ذلك عشرة آلاف دينار فلم أنا أمكنتك من نفسي ولا أشعرتك لئلا يكون في ذلك ما لا اخفاه به وتركتك على حالك وأنا مع هذا لا أغير عليك نعمة ثم قال ردوا سمه الى مكرانه لا أبقى الله تعالى عليه ان قدر وأبقى على لحفل يقبل الارض ويقول هكذا والله كان وأنا تائب لله تعالى ثم ان الشيخ جدد توبة واستأنف أدبا آخر وخدمة أخرى وكانت هذه الفعلة من احدى عجائب العادل قال وكان كثير المصانعات حتى انه يصوغ الحلي الذي يصلح لنساء الفرنج ويوجهه في الخفية اليهن حتى يمكن أزواجهن عن الحركة وله في ذلك مع ملوك الاسلام ما يطول ذكره ولما خرج ابن أخيه العزاسمعيل بن طغركين باليمن وخطب لنفسه بالخلافة وكتب له أن يبايعه ويخطب له في بلاده كان في الجماعة من أشار الى النظر في توجيه عسكر له في البر والبحر وانفاق الاموال قبل أن يتفاقم أمره فضحك وقال من يكون عقله هذا العقل لا يحوج خصمه الى كبير مؤنة أنا أعرف كيف أفسد عليه حاله في بلاده فضلا عن أن يتطرق فساده لبلادي ثم انه وجه في السر لاصحاب دولته بالوعد والوعيد وقال لهم أنتم تعلمون بعقولكم ان هذا لا يسوغ لي فكيف يسوغ له وقد أدخل نفسه في أمر لا يخرج منه الا بهلاكه فاحذروا ان تهلكوا معه واتعظوا بالآية ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لهذا عقل يدبر به نفسه فكيف يفضل عن تدبير خاصته اليكم ولتعلمن نبأه بعد حين فعند ما وعت اسماعهم هذا وتدبروه بعقولهم قبضوا عليه وقتلوه وعادت البلاد للعادل وقال للمشيرين عليه في أول الامر بتجهيز العسكر قد كفينا المؤنة بأيسر شئ من المال ولو حاولناه بما اشرتم به لم تقم خزائن ملكنا بالبلوغ الى غايته وكان على ما بلغه من عظمة السلطان واتساع الممالك يحكى ما جرى له من زمان خلوه من ذلك ويحب الاستماع لنوادر أنذال العالم واشتهر في خدمته مساخر أشهرهم خضير صاحب البستان المشهور عند الربوة بغوطة دمشق ومن نوادره الحاضرة منه انه سمعه يوما وهو يقول في وضوئه اللهم حاسبني حسابا يسيرا ولا تحاسبني حسابا عسيرا فقال له ياخوند على أي شئ يحاسبك حسابا عسيرا اذا قال لك أين أموال الخلق التي أخذتها فقل له تراها بامانتها في الكرك وكان قد صنع بهذا المعقل الحسرات سميت بذلك لان من رآها يتحسر اذا نظرها ولا يستطيع على شئ منها بحيلة وهي خراب مفروغة من ذهب وفضة تركت بمرأى من الناظرين ليشتهر ذلك في الآفاق وقال العادل مرة وقد جرى ذكر البرامكة وامثالهم مر ذكره في كتاب المستجاد في حكايات الاجواد انما هذا كذب مختلق من الوراقين

ومن المؤرخين يقصدون بذلك ان يحركوا هم الملوك والاكابر للسخاء وتبذير الاموال فقال خضير ياخوند ولاى شئ ما يكذبون عليك قال ابن سعيد من وقف على حكايات ابى العيناء مع عبيد الله بن سليمان يجد مثل هذه الحكاية قال ابن سعيد ووجدت الشهاب القوصى قد ذكر السلطان العادل فى كتاب المعاجم وابتدأ الكتاب المذكور بمحاسنه والثناء عليه وخرج عنه الحديث النبوى عن الحافظ السلفى وتمثل فيه عند وفاته

ألام على بكائى خير ملك * وقل له بكائى بالجميع
به كان الشباب جميع عمرى * ودهرى كله زمن الربيع
فمن يرق بيننا رمن خؤون * له شغف بتمزيق الجميع

قال ابن سعيد ودفن العادل بمدرسته العادلية بدمشق وكان انشاها للشافعية وهى فى نهاية الحسن وبها خزانة كتب فيها تاريخ ابن عساكر وذيل هذا التاريخ واختصره ابو شامة سمعت عليه منه هنالك ما تيسر ايام اقامتى بدمشق واولاد العادل ملوك البلد فى صدر هذه المائة السابعة منهم الكامل والمعظم والاشرف وهؤلاء الثلاثة شهروا بالفضل وحب الفضلاء وقول الشعراء انتهى وقال ابن سعيد فى ترجمة الرئيس صفى الدين احمد بن سعيد المردعانى وهو من بيت وزارة ورياسة بدمشق ان من شعره قوله

كيف طابت نفوسكم بفراقى * وفراق الاحباب مر المذاق
لو علمتم بلوعتى وصبابا * تى ووجدى وزفرتى واحتراقى
لرثيتم للمستهام المعنى * ووفيتم بالعهد والميثاق

قال ابن سعيد وقفت على ذكر هذا الرئيس فى كتاب تاج المعاجم ووجدت صاحبه الشهاب القوصى قد قال أخبرنى بدمشق أنه قد كان عزم على السفر منها الى مصر لامر ضاق به صدره فهتف به هاتف فى النوم وأنشده

يا أحمد اقنع بالذى أعطيته * ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها
ودع التكاثر فى الغنى لمعاشر * أضحوا على جمع الدراهم ولها
واعلم بأن الله جل جلاله * لم يخلق الدنيا لاجلك كلها

فانثنى عزمه عن الحركة ثم بلغ ما أمله دون سفر وقال ابن سعيد فى ترجمة المنتخب أحمد بن عبد الكريم الدمشقى المعروف بدفتر خوان وهو الذى يقرأ الدفاتر بين أيدى الملوك والاكابر انه كان يقرأ الدفاتر بين يدى العادل بن أيوب وكان يكتب له بالاشعار فى المواسم والفصول فينال من خيره وكتب له مرة وقد أطل الشتاء فى دمشق فقال

مولاى جاء الشتاء * والكيس منه خلاء
لا زال يجرى بماطر * تضى علاك القضاء
وكل كاف اليه * يحتاج فيه التواء

فقال له العادل هذا الضمير الذى فى البيت الاول على ماذا يعود قال بحسب مكارم السلطان ان شئت على الدراهم وان شئت على الدنانير فضحك وقال هات كيسك فاخرج له كيسا يسع قدر مائة دينار فملأه له وقال أظنه كان معدا عندك فقال مثل السلطان من يكون جوده

من الذهب على أعلاه ديك عيناه ياقوتتان ساويتان ملك الديك وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد على رأسه صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود فامر له عبد العزيز بضعفة ألوف من الدنانير لاجرة من حفر من الرجال فى ذلك ويعمل فيه وكان هنالك تل عظيم فاحتفروا حفرة عظيمة فى الارض والدلائل المتقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك وأوسع فى النفقة وأكثر من الرجال ثم انتهوا فى حفرهم الى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما فى عينيه من الياقوت وشدة نوره ولمعان ضيائه ثم بان جناحاه ثم بانت نواحيه وظهر حول العمود عمود من البنيان بانواع من الاحجار والرخام وقناطر مقنطرة وطاقات على أبوابه معقودة ولاحت منها تماثيل وصور أشخاص من أنواع الصور والذهب وأجربة من الاحجار قد اطبقت عليها أغطيتها وسبكت وقد ذلك بأعمدة

الذهب فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر الى ما ظهر من ذلك فاسرع بعضهم

عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها فاتقفا على الرجل فلم يدرك حتى جرآه قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك صفيرا عجيبا سمعه من كان بالبعد من هنالك وحرك جناحيه فظهرت من تحته أصوات عجيبة قد عملت بالكواكب والحركات اذا ما وقع على بعض تلك الدرج شئ أو ماسها تهافت من هنالك من الرجال الى أسفل تلك الحفيرة وكان فيها ممن يحفر ويعمل وينقل التراب ويصور ويحرك ويأمر وينهى نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فجزع عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النيل نعوذ بالله منه وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من هنالك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبر الهم (قال المسعودي) وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قد اغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض لاده صروضع الهرم كتاب ببعض الاقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على أذرع بسيرة من ليت

مضنونا وكتب اليه مرة وقد أملق

انظر الى بعين جودك مرة * فلعل محروم المطالب يرزق
طير الرجاء على علاك محلق * وأظنه سيعود وهو محلق

فاعطاه حملة دنانير وقال له اشتر بهذه ما تحلق به طير رجائك انتهى وأنشد ابن سعيد رحمه الله تعالى لبعض المغاربة وهو أبو الحسن علي بن مروان الرباطي الكاتب

أنس أخي الفضل كتاب أنيق * أو صاحب يعني بودي وثيق
فان تعره دون رهن به * تخسره أو تخسر ودا الصديق
وربما تخسر هذا ارذا * فاسمع رعاك الله نصح الشفيق

قال وأجابه المخاطب بهذه الابيات وهو ابن الربيب بشر نصه مثلك بفيد تجربة قد نفق عليها عمر وضل عن فوائدها غر غمر وقد أنفذت رهنا لا سمح باخراجه الا لديك فتفضل بتوجيه الجزء الاول فانا اعلم أنه عندك مثل ولدك قال فوجهه ومعه بطاقة صغيرة فيها يا أخي ان عرضت بولدي فكذلك كنت مع والدي وقد توارثنا العقوق كابرا عن كابر فكن شاكرا فاني صابر ثم قال ابن سعيد وتفاقم أمر ولده فقيده بقيد حديد وقال فيه

لي ولد يا ليته * لم يك عندي يخلق
يجهدني كل الذي * يرغم وهو يعشق
وان أكن قيدته * دمي عليه مطلق

وذكر ابن سعيد أن الكاتب أبا الحسن المذكور وكان كثيرا ما يستعير الكتب فاذا طلبت منه فكأنها ما كانت فذكر لبعض أصحابه وهو ابن الربيب المؤرخ أن عنده نسخة جليلة من تاريخ غريب الذي لخص فيه تاريخ الطبري واستدرك عليه ما هو من شرطه وذيل ما حدث بعده فأرسل اليه في استعارتها فكتب اليه يا أخي سدد الله آراءك وجعل عقلك أمامك لا وراءك ما يلزمني من كونك مضيعا أن أكون كذلك والنسخة التي رمت اعارتها هي مؤنسي اذا وحشني الناس وكاتمة سري اذا خانوني فما أعيرها الا بشئ اعلم أنك تتأذى بفقده اذا افتقدته من النسخة وأنا الذي أقول

أنس أخي الفضل كتاب انيق * الى آخره وأنشد للكاتب أبي الحسن المذكور

ان ذاك العذار قام بعذري * وفشا بيه للعواذل سري
ما رأينا من قبل ذلك مسكا * صاع منه الا له هالة بدر
أي آس من حول جنة ورد * ليس منه آس مدى الدهر يبري

ولما اشتد مرضه بين تلمسان وفاس قال هذه الابيات وأوصى أن تكتب على قبره

الا رحم الله حيا دعا * لميت تضى بالعلا نحبه
عمر السواقي على قبره * فتهدي لاحبابه تربه
وليس له عمل يرتجى * ولكنه يرتجي ربه انتهى

*(رجع الى نظم ابن سعيد المترجم به) فنقول وقال لما سار المعظم من حصن كيفا وآل أمره الى الملك ثم القتل والهلاك

ليت المعظم لم يسر من حصنه * يوما ولا وافى الى أملاكه
ان العناصر اذ رأته مكملا * حسدته فاجتمعت على اهلاكه

* ومما نقلته من ديوانه الذى رتبه على حروف المعجم قوله رحمه الله تعالى وقلت بالقاهرة على لسان من كلفنى ذلك

شرف الدين أين لى ما السبب * فى انقلاب الدهر لى عند الغضب
فلتدم غضبان أظفر بالمنى * ليسر لى فى غيرها من أرب
انما ظهرك عندى قبلة * ووضوئى الدهر من ذاك الشنب

وأستغفر الله من قول الكذب قال وقلت باشبيلية

قد جاء نصر الله والفتح * والصبح لما رضيت صبح
فهنئونى بارتجاع المنى * لولا الرضا ما برح البرح
يا أورفا يا غصننا بانقا * يا ظبية يا ليل يا صبح
يمحو جميع الناس من سكرهم * ولست من سكر كما أصحو
بلغت فيه غاية لم يبن * غايتها التفسير والشرح
وينصح العذال من لى بأن * يعذلنى عن غيك النصح

وقلت باشبيلية

وضح الصبح فأين القدح * يعرف اللذات من يصطبح
ما ترى الليل كطرف أدهم * وضياء الفجر فيه وضح
والثرى ديجه دو الندى * وعلى الاغصان منه وشح
ومدير الراح لم يعد المنى * كل ما يأتى به مقترح
فى بطاح المرج قد نادمنى * رشا من سكره ينبطح
جعل المسواك ستر اللمى * فكأن قبل فاه قزح
كلما شئت الذى قد شاءه * فحشى لى كاسه أقتدح
ما أبالى ان رأنى كاشح * أم رأنى من لديه نصح
هكذا العيش ودع عيش الذى * خاف من نقد اذا انتقضح

وقلت بشريش

طاب الشراب لمعشر * سلبوا المروءة فاستراحوا
لا يعرفون تسترا * السكر عندهم مباح
متهتكون لدى المنى * وفسادهم فيها صلاح
ساقيهم متبذل * هل يمنع الماء القراح
غصن يميل به الصبا * ردته طوع الراح راح
طوع الامانى كل ما * يأتى به فهو اقتراح
ما ان يبالى ان بدا * أن لا يلوح لنا الصباح
مازلت أرشف ثغره * وعليه من عضدى وشاح

محمد بن طغج بذلك. فاذن لهم فى حفره وأباحهم استعمال الحيلة فى اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى ارج وأبناء وحجارة مجوفة فى صخر منقور فيه تماثيل قائمة على أرجلها من أنواع الخشب قد طليت بالاطلية المانعة من سرعة البلى وتفرق الاجزاء والصور مختلفة منها صورة شيوخ وشبان ونساء وأطفال أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرذ والفيروزج والزبرجد ومنها ما وجوهها ذهب وفضة فكسر بعض تلك التماثيل فوجدوا فى أجوافها رمم بالية وأجسام فانية والى جانب كل تمثال منها نوع من الابنية كالبرابى وغيرها من الآلات من المرمر والرخام وفيه نوع من الطلاء الذى قد طلى منه ذلك الميت الموضوع فى تمثال الخشب وما بقى من الطلاء متروك فى ذلك الاناء والطلاء دواء مسحوق واخلاط معمولة لا رائحة لها فاذا جعل منه على النار ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف فى نوع من الانواع التى للطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة تمافيه من الناس على اختلاف أسنانهم ومناديرأعمارهم وتباين صورهم وبازاء كل تمثال من تلك التماثيل تمثال من الحجر

والقلب يهفو طائرا * ولعاولا يخشى افتضاح
ولربما نخشاه كا * ن للامن الظلما جناح
لكننا فى عصبة * ما فى تهتكهم جناح
لا ينكرون سوى ثقيـ * ـل لا يميـ * ـل به مزاح
أفنى الذى قد جمعو * ه الكاس والحدق الملاح

وقلت بمراكش

قم هاتها لاح الصباح * ما العيش الا الاصطباح
مع فتية ماذبهم * الا المروءة والسماح
جرينهم فوجدتهم * ما للغنى عنهم براح
تثنيهم نحو الصبا * نشر المثانى والمراح
ما دموا تخصافكا * ن لهم بخدمته اسراح
بل يعرفون مكانه * فله اذا شاء افتراح
هم ينعمون وضيفهم * مادام عندهم يراح
ما ان يملون التزيـ * ـل وبالرضا منه السراح
يدعونه بأجل ما * يدعى به الحر الصراح
حتى اذا ما بان كد * ر عيشهم منه انتزاح
يعلى مثالهم بما * ء المدامع والنواح
كرها فقدتهم فما * لى بعد بعدهم ارتياح
لله شوقى ان هفت * من نحو أرضهم الرياح
فهنالك قلبى طائر * لهم ومن شوقى جناح

قال وقلت بمدينة ابن السليم فى وصف كلب صيد أسود فى عنقه بياض

وأدهم دون حلى ظل حالى * كأن ليلا يقلده صباح
يطير وما له ريش ولكن * متى يهفو فاربعه جناح
تكل الطير مهما نازعته * وتحسده اذا مر الرياح
له الالحاظ مهما جاء سلك * ومهما سار فهى له وشاح

وقلت فى نيل مصر

يا نيل مصر أين حمص ونهرها * حيث المناظر أنجم تتلاح
فى كل شط للنواظر مسرح * تدعو اليه مسارح وبطاح
واذا سجعت فلست أسمع خائفا * ما فيه تياح ولا نمساح

قال وقلت وقد حضرت مع اخوان لى بموضع يعرف بالسلطانية على نهر اشبيلية وقد مالت الشمس للغروب

رق الاصيل فواصل الاقداحا * واشرب الى وقت الصباح صباحا
وانظر لشمس الافق طائرة وقد * ألقت على صفح الخليج جناحا

الزمر أو من ارحام الاخضر
الكتابات لم تقف على
الخبر أحد أحد من اهل
الملك وزعم قوم من ذوى
الدراية منهم أن ذلك
العلم من حنز فقد من
الارض اعنى أرض مصر
أربعة آلاف سنة وفيما
ذكرناه دلالة على ان هؤلاء
ليسوا اليهود ولا النصارى ولم
يؤدهم الحفر الا الى ما ذكرنا
من هذه التماثيل وكان
ذلك فى سنة ثمان وعشرين
وثلثمائة وقد كان لمن
سلف وخلف من ولاة
مصر الى أحمد بن طولون
وغيره الى هذا الوقت
وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة أخبار عجيبة فيما
استخرج فى أيامهم من
الدفائن والاموال والجواهر
وما أصيب فى هذه المطالب
من القبور والخزائن وقد
أتينا على ذكرها فيما تقدم
من تصنيفنا وبالله التوفيق
*(ذكر الاسكندرية وبنائها
وملوكها وعجائبها وما ألحق
بهذا الباب)*
ذكر جماعة من أهل
العلم أن الاسكندر
المقدونى لما استقام
ملكه فى بلاده سار يختار
أرضا صحيحة الهواء والتربة
والماء حتى انتهى الى
موضع الاسكندرية
فاصاب فيها أثر بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفى وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند (وهو

فاظفر بصفو الافق قبل غروبها * واستنطق المثنى وأحث الراحا
متع جفونك فى الحديقة قبل أن * يكسو الظلام جمالها أمساحا

وقلت بمرسية

أقلقه وجده فباحا * وزاد تبريحه فناحا
ورام يثنى الدموع لما * جرت فزادت له جماحا
يا من جفا فارفق عليه * مستعبدا لا يرى السراحا
يكابد الموت كل حين * لو أنه مات لاستراحا
يا نزوا ذا ما الرياح هبت * كأنه يعشق الرياحا
يا الماء عن ربوع حمص * لما عرفها وفاحا
كم قد بكى للحمام كيما * يعيره نحوها جناحا

قال وخرجت مرة مع أبى اسحق ابراهيم بن سهل الاسرائيلى الى مرج الفصة بنهر اشبيلية فنثار كنا فى هذا الشعر

غيرى يميل الى كلام اللاحى * ويمد راحته لغير الراح
لا سيما والغصن يزهر زهره * ويميل عطف الشارب المرتاح
وقد استطار القلب ساجع ايكه * من كل ما أشكوه ليس بصاحى
قد بان عنه جناحه بجماله * من جانح للعجز حلف جناح
بين الرياض وقد غدا فى مأتم * وتخاله قد ظل فى افراح
الغصن يمرح تحته والنهر فى * قصف تزجيه يد الارواح
وكأنما الانسام فوق جناته * أعلام خز فوق سمر رماح
لا غرو أن قامت عليه أسطر * لما رأته مدر عالكفاح
فاذا تتابع موجه لدفاعه * مالت عليه فظل حلف صياح

قال وقلت بمالقة متشوقا الى الخزيرة الخضراء

يا نسيما من نحو تلك النواحى * كيف بالله نورة تلك البطاح
استقتها الغمام ريا فلاحت * فى رداء ومئزر وشاح
أم جفته فصيرته هشيما * تركته تذروه هوج الرياح
يا زمانى بالحاجبية انى * لست من سكر ما سقيت بصاحى
آه مما لقيت بعدك من هم وشوق وغربة وانزاح
أين قوم ألفتهم فيك لما * قرب الدهر آذنوا بالرواح
تركونى أسير وجد وشوق * ما لقلبى من الجوى من سراح
أسلمونى للويل حتى تولوا * وأصاخوا لما لقول اللواحى
أعرضوا ثم عرضونى لشوق * ترك القلب منخنا بجراح
أسهر الليل لست أغفا لصبح * أترى النوم ذاهبا بالصباح
قد بدا يظهر النجوم خليا * وهو من لبسة الصبا فى براح

عظيم العماد من الجبال والاطواد وأنا بنيت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد أردت أن ابنى ههنا كارم وأنقل اليها كل ذى اقدام وكرم من جميع العشائر والامم وذلك اذ لا خوف ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فاصابنى ما أعجلنى وعما أردت قطعنى ومع وقوعه طال همى وشجنى وقل نومى وسكنى فارتحلت بالامس عن دارى لا تقهر ملك جبار ولا لخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار لكن لتمام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فمن رأى أثرى وعرف خبرى وطول عمرى ونفاذ بصرى وشدة حذرى فلا يغترن بالدنيا بعدى فانها غرارة غدارة تأخذ منك ما تعطى وتسترجع ما تولى وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون اليها ونزل الاسكندر بتدبر هذا الكلام ويعتبره ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها أميالا وحشد اليها العمد

والرخام وأتته المراكب فيها أنواع الرخام وأنواع المرمر والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد أفريقية واقريطش واقاصى بحر

مسبلا ستره منعم بال * وجفوني من سهده في كفاح
أيها الليل لا تؤمل خلودا * عن قريب يمحو ظلامك ماحي
ويلوح الصباح مشرق نور * فيه للمستهام بدء نجاح
ان يوم الفراق بدد شملي * طائر اليته بغير جناح
حالك اللون شبه لونك فاعرف * عن عياني يا شبه طير النواح
واذا ما بدا الصباح فما يشبه الا لون الخدود الملاح

وقلت بالجزيرة الخضراء

قد رفعت راية الصباح * تدعو الندامى للاصطباح
فبادروا للصبوح اني * قد بعت في غيبه صلاحي
ولا تميلوا عن رشف ثغر * وسمع شدو وشرب راح
وأنت يا من بروم نصحي * قد يئس القوم من فلاحي
لست أصغي الى نصيح * ما نهضت بالكؤس راحي

قال وقلت أمدح ملك افريقية وأهنيه بقتل ثائر من زناتة يدعى أنه من نسل يعقوب المنصور

برح بي من ليس عنه براح * ومن رأى قتلي حلالا مباح
من صرح الدمع بحبي له * وما لقلبي عن هواه سراح
ظبي عدمت الصبح مذ صدني * وكيف لا يعدم وهو الصباح
مورد الخد شهي اللمى * منع الردف جذيب الوشاح
تظنه من قلبه جلمدا * ومنه للماء يجفى انسياح
لردفه أضعف من صبه * ولم أزل من لحظه في كفاح
نشوان من ريقته عربدت * أجفانه بالمرهفات الصفاح
فها أنيني خافت مثل ما * أنا أسير مثخن بالجراح
يا قاتلي صدا أما تتقي * أن تلزم البخل بارض السماح
من ذا الذي يبخل في تونس * والملح فيها صار عذبا قراح
واصبحت ارجاؤها جنة * مبيضة الابراج خضراء البطاح
لولا ندى يحيى وتدبيره * ما برحت تعبر منها النواح
لكن يداه سحب كلما * حلت بارض حل فيها النجاح
هذا وقد آمن من حلها * وحقها من غربة وانتزاح
كم شتتوا من قبل تدميره * وحكمت فيهم عوالي الرماح
يا سائرا يرجو بلوغ المنى * يا كرذري يحيى وقل لا رواح
وحيه بالمدح فهو الذي * يهتز كالهندي حين امتداح
بالشرق والغرب غدا ذكره * يحث من حمد وشكر جناح
ساعده السعد وانحت له الآ * مال تجري بغير اقتراح

انزوى على سفينة من سفن الاسكندرية على ليلة منها في البحر وهي أول بلاد الافرنجة وهذه الجزيرة هي وقتنا هذا هو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة دار صناعة الروم وبها تنشأ المراكب الحربية وبها خلق كثير من الروم ومراكبهم تطرق بلاد الاسكندرية وغيرها من بلاد مصر بتغير وتاجر وتسبي وأمر الاسكندر الفعلة والصناع ان يدوروا بمدينتهم من أساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة فاثقة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبلا منوطة بعضها ببعض وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان أمام مضربه وعلق على العمود جرسا عظيما مصوتا وأمر الناس والتوام على البناشين والفعلة والصناع أنهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا على ان يدعوا اساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب الاسكندر ان يجعل ذلك في وقت يختاره ذو طالع سعيد فاتفق الاسكندر برأسه فوافق ذلك سنة في حال ارتقاب الوقت المحمود المأخوذ فيه الطالع فجاء غراب فجلس على حبل

ويسر الله له ملكه * من غير أن يشهر فيه السلاح
وكل من كان على غيره * ذا منعة امسى به مستباح
وكم جموح عندما قام بالامر رأى القهر فخلى الجماح
كف بكف للندى والردى * بهامعان وهى خرس فصاح
حتى لقد أحسن من سعده * تحرى على ما ترتضيه الرياح
قولوا ليعقوب فما ذا جنى * وابن أبى حمزة ماذا استباح
قد أصبحا من فوق جذع عن لا * يؤنسهم غير هبوب الرياح
واسال عن الداعى الذى ان دعى * حاول امرا كان عنه الصراح
أكان من صيره والدا * بزعمه أمل فيه فلاح
شكرا لسعد لم يدع فرقة * قد صير الملك كضرب القداح
راموا بلا جاه ولا محتد * ما حزت بالحق فكان افتضاح
زبانة يهنيكم فعلكم * عاجلكم ثائركم باجتياح
كفى ما قدمتم آخرا * والخير لن يبرح للشر ماح
عهدى به فى موكب الملك ما * بينكم نشوان من غير راح
يحسب أن الارض ملك له * وروحه ملك نسمر الرماح
غدا بعز الملك لكنه * أهون مملوك على الارض راح
جاؤا به يمرح فى عزه * وهم أزالوا عنه ذاك المراح
توقعوا فى القرب منه الردى * من صحبة الاجرب يخشى الصحاح
فأسرعوا نحوك يبغون ما * عودتهم من عطفة والتماح
فغادروه جانيا غدره * لطائر البين عليه ينماح
فالحمد لله على كل ما * سنى لك السعد برغم اللواح
مثلك لا ينقد ما شاءه * فلست تاتى الدهر الا صلاح
لازلت فى عز وفى مكنة * وفى سرور دائم وانفساح

قال وقلت يبنيونش موضع الفرجة بسبتة

اشرب على بنيونش * بين السوانى والبطاح
مع فتية مثل النجو * م لهم اذا مروا جماح
ساقيهم متبدل * لا يمنع الماء القراح
كل يمد يمينه * ما فى الذى يأتى جناح
هبوا عليه كلما * هبت على الروض الرياح
طوع الامانى كل ما * ياتى به فهو اقتراح
عانقته حتى تر * كت يحصره أثر الوشاح

وقلت باشبيلية

أوجه صبح أم الصباح * ولحظها أم ظبا الصفاح

من الاجراس الصغار وكان ذلك معمولا بحركات فلسفية وحيل حكمية فلما رأى الصناع تحرك تلك الجبال وسمعوا تلك الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسال عن الخبر فاخبر بذلك فعجب وقال أردت أمرا وأراد الله غيره وما شاء الله الا ما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك اياها وان الاسكندر لما أحكم بنيانها وأثبت اساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب من البحر فأتت على جميع ذلك البنيان فقال الاسكندر حين أصبح هذا بدء الخراب فى عمارتها وتحقق مراد البارئ فى زوالها وتطيير من فعل الدواب فلم يزل البناء يبنى فى كل يوم ويحكم ويوكل به من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصيحون ويدخرب البنيان وقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رأى فاقبل يفكر ما الذى يصنع وأى حيلة يوقع فى دفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة فى ليلته عند خلوته بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما أصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع

وبليلة الاسراحبالك وسمى الصديق من اضحى بقولك يسعد
وحباك بالخلق العظيم ومعجز الكلام الذي يهدى به اذ يورد
وبعثت بالقرآن غير معارض * فيه وامسى من نحاه يعدد
فتوالت الاحقاب وهو ميسرا * من ان يكون له مثال يوجد
ولكم بليغ جال فصل خطابه * والسرج في ضوء الغزالة تهمد
ورثت تلك الارض التي لازال يو * م الحشر ربك في ذراها يعبد
ونصرت بالرعب الذي لم نزل * يرى كأن ماعين شخصك تفقد
حتى تعرض طامس أو حادث * حرم الهداية فالحسام مجرد
يا من يحير من دؤابة هاشم * نعم المخار لها ونعم المحتد
لسفالك حسن بدا بآدم اقبلت * رعيا لاخراه الملائك تسجد
لم استطع حصرا لما اعطيته * فذكرت بعضا واعتذاري منشد
ماذا اقول اذا وصفت محمدا * نفد الكلام ووصفه لا ينفد
فعليك يا خير الخلائق كلها * مني التحية والسلام السرمد

قال وقلت باشبيلية

هل يمنع النهود * ما ابدت الخدود
نعم وكم طعين * بطعنها شهيد
يا ربة الخبا * حفت به السعود
لم تسر الحيا * بل ريق البرود
لله يا عدولي * ماتكسم البرود
مازلت فيه أمي * والوجد مستزيد
يا عدل ترى زمانا * مضى لنا يعود
لدى الغروس سقت * جنابها العهود
حيث الغصون مالت * كأنها قدود
وزهرها نظيم * كأنه عقود
حمامها تغنى * اعطافها تميد
وبا لنسيم شعت * لنهرها برود
فروعه سيوف * وسوره بنود
هناك لم دعتني * الى الورود رود
فقلت كل سؤل * يفنى به الحسود
قضيت فيه عيشا * ما بعده مزيد
اضحى به وامسى * مرتحا اميد
كأنني يزيد * كأنني الوليد
يجري الزمان طوعي * بكل ما أريد

الاسكندر بذلك اتحد الطلسمات على أحمدة هنالك تدعى المسال وهي باقية الى هذه الغاية كل الخمر

الزمان من الآفات والعمران والخراب ومئول اليه الى وقت دثور العالم وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مغطرة كما تدور المدينة سرتحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور وجميع تلك الاوزاج والقناطر التي تحت المدينة وبدخل لذلك العمود والاوزاج مخاريق ومعسات للضياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر واسراقها وشوارعها وارضها مفروشة به فلا يصيب أهلها شئ من المطر وقد كان عليها بعمة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة ألوانها بينها حدائق وبين كل حدق وسور فصول ورمما علق على المدينة شفاف الحرير الاحضر لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناؤها وسكنها أهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخبارية من المصريين والاسكندريين تختطف بالليل أهل المدينة فيصبحون وقد فقدمنهم العدد الكثير ولما علم

الخمر ملكتني * فانخلى لى عبيد
يحق لى اذا ما * أبصرتها تجود
فيها انا اذا ما * فقدتها فقيد
يامن يلوم بغيا * العذل لا يفيد
اذا عدمت كاسى * فليس لى وجود

قال وقلت باشبيلية

أوما نظرت الى الحمامة تنشد * والغصن من طرب بها يتأود
ونثاره تلقاه جائزة لها * لم يزل بيد النسيم يبدد
ألقى عليها الطل برداً سابغا * فثناؤه طول الزمان يردد
أترى الحمامة من محب مخلص * أولى بشكر حين تغمره يد
فلاثنين عليك ما أثنى باعلى الغصن جنان الهذبل مغرد
كم نعمة لى فى جنابك كم أكا * بدجهدها أبان برك يجهد

وقال

أرى العين منى تحسد الاذن كلما * جرت مدحة للعلم والفضل والمجد
أحقق أنباء ولم أر صورة * كتحقيقى الاخبار عن جنة الخلد
من على عينى بلقياك انى * أخذت لها أمنا بدالك من السهد

قال وقلت أمدح ابن عمى وأشكره على ما أذكره

آه مما تكن فيك الجوانح * ودموعى على نواك سوافح
واشتفاء من العدو مبين * كدر العيش اى عيش لنازح
يا أتم الانام حسنا أما تحسن حتى يتم اطراء مادح
يا رمان الوصال عودا فانى * طوحت بى لما غدرت الطوائح
أين عيش العروس اذ بسط البكر حبيبى ما بين تلك الاباطح
والامانى تترى ولا أحد ينصح اذ لا يصغى الى قول ناصح
وزمان السرور سمح مطيع * ورسول الحبيب غاد ورائح
ولكم ليلة أتانى بلا طيب ولكن نزرى بأذكى الروائح
هو ظبى وليس يحتاج طيبا * قد كفاه عرف من المسك فائح
مثل عليا محمد لم تكن كسبا ومالا يكون فى الطبع فاصح
يا كريما أنى من الجود مالا * كان يدرى فوجدته المدائح
وعلا كل ذى علا وأضحى * نحو مالا يرومه الناس طامح
قد أتانى احسانك الغمر فى اثر سواه فكنت أكمل مادح
فاض بحر النوال منك ولاسا * حل يبدو ولم أزل فيه سابح
حل مثل ما كسوتك فى المد * ح تميت العدا ومال وسائح
أورد الورد منطقى كل شهر * حين أضحى طوع البنان مسامح

على عمد من نحاس وجعل بحتها صورا وأشكالا وكتابة وذلك عند انخفاض درجة من درج الفلك وقربها من هذا العالم وعند أصحاب الطلسمات المنجمين والفلكيين أنه اذا ارتفع من الفلك درجة وانخفض أخرى فى مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تأتى فى هذا العالم فعل الطلسمات الدافعة المانعة والدافعة وقد ذكر هذا جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفى الكتب فى هذا المعنى ولهم فى ذلك سر من أسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعا له ولغيرهم ممن ذهب الى أن ذلك لاطف قوى الطبائع التام وغير ذلك مما قاله الناس وما ذكرنا من درج الفلك هو موجود فى كتب من تأخر من علماء المنجمين والفلكيين كأبى معشر البلخى والخوارزمى ومحمد بن كثير الفرغانى وما شاء الله وحسن والنزيدى ومحمد ابن جابر البتانى فى زيجه الكبير وثابت بن قرة وغيرهؤلاء ممن تكلم فى علوم هيأت الفلك والنجوم (قال المسعودى) فاما منارة الاسكندرية فذهب الاكثر من المصريين والاسكندرانيين ممن عنى باخبار بلدهم الى أن الاسكندر بن

فيلبس المقدونى هوالذى بناها على حسب ماقدمنا فى بناء المدينة ومنهم من رأى أن ذلوكة الملكة هى التى بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومنهم من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هوالذى بناها وقد قدمنا ذكر هذا الملك فيما سلف من هذا الكتاب ومنهم من رأى أن الذى بنى مدينة رومية هوالذى بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وانما أضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته بالاستيلاء على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا فى ذلك أخبارا كثيرة يدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه فى هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه فى بلده ويغزوه فى داره فيكون هوالذى جعلها مرقبا وان الذى بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان فى جوف البحر وعلى طرف اللسان الذى هوداخل فى البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره فيها تمثال قد أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك واذا علت فى الفلك فاصبعه مشيرة نحوها فاذا انخفضت انخفضت يده سفلا يدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا صار العدو منه على

لون خد الحبيب حين كسوه * حلة الحسن بالعيون اللوامح
شفق سال بين عينيه صبح * حسنه قيد اللحاظ السوارح
لم أجد فيه من جماح ولكن * ثنائى عليك مازال جامح
لك يا ابن الحسين ذكر جميل * صير الكل نحو بابك جانح
قد هدى نحوك الثناء كما يهدى الى الروض باسمات النوافح
فاعذر الناس ان أتوالك أفوا * جافكل يقصد فضلك رابح
ماهدتهم اليك الا الامانى * لم تحلهم الا عليك القرائح
قل لذى المفخر الحديث تأخر * ليس مهرى شأوه مثل قارح
أى أصل وأى فرع أفاما * شرفا ظل للنجوم يناطح
قد حوت مذ جمعن من الفخر لما * كنت منها ما ليس يحويه شارح
أفق مجد قد زانه منك بدر * فى ظلام الخطوب مازال لائح
بدر تم حفت به هالة من * بيت مجد علا وها الدهر واضح
ياسماكا أمسكه العلم الاعلى بدا بين أنجم الملك رامح
رفع الله للكتابة قدرا * بعدما كابدت توالى الفضائح
يا أعز الانام نفسا وأعلا * هم محلا لازال أمرك راجح
أين أعداؤك الذين رعى سيفك فيهم فاشبهوا قوم صالح
أفسد الدهر حالهم ليرى حا * لك رغما بمن يناويك طائح
دمت فى عزة وسعد مدى الده * ر ولازال طائر منك سانح

وابن عمه المذكور قال فى حقه فى المغرب ما ملخصه انه الرئيس الاعلى ذو الفضائل الجمة أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبى الحسين سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف بن سعيد قال واجتماع نسبنا مع هذا الرئيس فى سعيد بن خلف وهو الآن قد اشتمل عليه ملك افريقية اشتمال المقلة على انسانها وقدمه فى مهماته تقديم الصعدة لسنانها وأقام لنفسه مدينة حذاء حضرة تونس واعتزل فيها بعسكر الاندلس الذين صيرهم الملك المنصور الى نظره وهو كما قال الفتح صاحب القلائد فقد جاء آخرهم لحد مفاخرهم ومن نظمه وقد نزل على من قدم له مشروبا أسود اللون غليظا وخروباوز بيبا أسود وزبيبا كثيرا لغصون جاءت به عجوز فى طبق

ويوم نزلنا بعبد العزيز * فلاقدس الله عبد العزيز
سقانا شرابا كلون الهناء * وتقلنا بقرون العنوز
وجاءت عجوز فأهدت لنا * زبيبا كغيلان خد العجوز

انتهى ونزل السلطان أبو يحيى فى بعض حركاته لموضع فيه نهر وعلى شطه نور فقال الرئيس أبو عبد الله بن الحسين يصفه أو أمر بذلك

ونهر يرف الزهر فى جنباته * ويثنى النسيم قضبه ويقنطر
يسيل كما عن الصباح بأفقه * والاكما شيم الحسام المجوهر

عليه

عليه ليحيي قبة هل سمعتم * بترصة شمس حل فيها عضفر
فان قلت هذي قبة لعفاتها * فقل ذلك الوادي الذي سال كوثر

وقال أبو عمرو أحمد بن مالك بن سعيد المير اللخمي الشاطبي في ذلك

وأرض من الحصباء بيضاء قد جرت * جداول ماء دونها تتعثر
كما سبحت تبغي الحياة أراقم * على روضة فيها الاقاح المدور
والا كما شقت سبائك فضة * بساطا على حافاته الدر ينثر

وقال أبو علي يونس

انظر الى منظر يسبيك منظره * ويزدهيك بأذن الله مخبره
ومعجب معجب لاشئ يشبهه * خرير ماء غزير تم مزهره
كأنما فرشت بالدر صفحته * فالماء ينظمه طورا وينثره
كأن حلجانه قدت على قدر * بمائها قسم بحرى مفجره
أحل سيدنا المامون قبته * بحوزه فغدا يردان جعفره

*(رجع) الى ما كنا فيه من أخبار الرئيس بن الحسين وقول رأيت بالمغرب آخر كتاب روح السحر من نسخة ملوكية كتبت له أبيات علق بحفظي منها الآن ما نصه

تم روح السحر نسحا فأتى * معجبا باليمن والفخر البعيد
لابي عبد الاله المرتضى * ذي المجد الرئيس بن سعيد

ولم أحفظ تمام الابيات وقال أبو الحسين علي بن سعيد كتبت اليه من أبيات بحضرة تونس وقد نقل اليه بعض الحساد ما أوجب تغيره

ومن بعد هذا قد أتيت بزلة * أما حسن أن لا تضيق به صدرا
وعلمك حسبي بالامور فانني * عهدتك تدري سر أمري والجهرا
وقد أصلح الله الامور بسعيكم * ونيتكم صلحا على البشر والبشرى
ولم يبق لي الا رضاك فان به * كتبت ولوحرفا أطبت به العمرا
فبقيت لفا للجميع وموئلا * ولازلت مادام الزمان لنا سترا

فكتب الي هذه الابيات وكان متمرضا وبعث الي بما يذكر

أكف الصبا حفت جنى زهر الربا * سؤالك عن مضني يسامي بك الزهرا
بعثت بمثل الزهر في مثل صفعة * لذلك ما قلدتها الشذر والدرا
معان لها أعنو وأعني بها فكم * وقفت عليها العين والسمع والفكرا
فلو عرضت للبحر لم يلفظ الدرا * ولو عارضت هاروت لم ينفث السحرا
أباحسن هنيت ما قد منحته * ضروبا من الآداب تحلى بها الدهرا
ودونك بحرا من ودادي تلاطمت * به زاخرات المد لا يعرف الجزرا
فان خطرت في جانب منك هفوة * فلا تحسبن أني أضيق بها صدرا
يزل جواد عند ما يبلغ المدى * ويعثر بالرمث النسيم اذا اسرى
فدع ذا وخذها شائبات قرونها * عرو بالعوباجائر احكمها بكرا

صوت هائل يسمع من ميلين أو ثلاثة فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم ويرمقونه بابصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل والنهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت في الساعة التي قبلها وصوته مطرب وقد كان ملك الروم في مدة الوليد بن عبد الملك بن مروان أهدى هدايا من خواص خدمه فرأى ودها وجاء مستأمنا الى بعض الثغور وورد بآلة حسنة ومعه جماعة فجاء الى الوليد فاخبره أنه من خواص الملك وأنه اراد قتله بموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل وانه استوحش منه ورغب في الاسلام فاسلم على يد الوليد وتقرب من قلبه ونصح اليه في دفائن اشار اليها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفائن فلما رأى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان ههنا أموالا وجواهر ودفائن للملوك فساله الوليد عن الخبر فقال تحت منارة الاسكندرية أموال الارض وذلك أن الاسكندر احتوى على الاموال والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك العرب بمصر والشام

ولو عادت أوصافها مترددا * لشنفت من أشعارها اذن الشعرا
ألا فاحجبنها عن صديق معمم * فان قصارى العمر أن يبكي العمرا
ومن كان ذا سحر وسل ورقة * فلا يخلون الاعلى الحمرة الحمرا
قرنت بها صفراء لم يعرف الهوى * ولا الفت وصلا ولا عرفت هجرا
ولا ضمخت نضخ العبير وان غدت * تؤخره لونا وتفضحه نشرا
فان حلتها بيت الظليم أظلها * فقد فرش الاذخر من تحتها تبرا
لها سبب بين الثريا وأختها * وسل برياها المزن والغصن النضرا
فشر بادها قاوانتشافاولاترم * عن البيت فنرا أوتقيم به شهرا

وله في الخشكلان

هوا لاهلة لكن * تدعونه خشكلانا
فان تفاءلت صحف * تجد حبيبك لانا

انتهى باختصار

وحظي المذكور جدا عند السلطان ملك افريقية أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ولما مات السلطان المذكور وحدثت فتنة بموته واختلاف ثم استقرت الدولة لابنه الشهير الكبير الغدر أبي عبد الله المستنصر محمد وح حازم بالمقصورة وقاتل ابن الابار القضاعي سخط على الرئيس بن الحسين المذكور وقبض على داره وأمواله وصيره كالمحبوس فكتب اليه رقعة يطلب الاجتماع به في مصلحة للدولة فأحضره وسأله فأخبره بان أباه صنع دارا عظيمة تحت الارض وأودع فيها من أنواع المال والسلاح ما جعله عدة وذخيرة لسلطانه ولم يترك على وجه الارض من له علم بهذا الموضع الذي أودعه نفائس أمواله غيري وأوصاني أنه اذا انتقل الى جوار ربه اذ توقع أن تقع فتنة بين أقاربه انه اذا انقضت سنة واستقر الامر لاحد من ولدي أو من يتيقن انه يصلح لامور المسلمين فاطلعه على هذه الذخائر فربما فنيت الاموال بالفتنة فلا يجد القائم بالامر ما يصلح به الدولة اذا تفرغ للتدبير والسياسة ففرح السلطان وبادر الى تلك الدار فرأى ما ملأ عينيه وسر قلبه وخرج الرئيس بن الحسين والخيل تحتب أمامه وبدر الاموال بين يديه وأعاده الى أحسن أحواله وجعله وزيرا لديه كما كان أبوه مفوضا أموره اليه وقال السلطان ان من أوجب شكر الله على ان افتتح المال بان أؤدي منه للرعية الدين نهبت دورهم واحترقت في الفتنة التي كانت بيني وبين أقاربي ما خسروه وأمر بالنداء فيهم وأحضرهم وكل من حلف على شئ قبضه وانصرف وكان السلطان المستنصر المذكور في بعض متصيداته فكتب لابي عبد الله الرئيس المذكور يامره باحضار الاجناد لاحذ أرزاقهم بقوله

ليحضر كل ليث ذي سنال * زكافر عالاسداء النوال
غدا يوم الخميس فما شغلنا * باسد الوحش عن أسد الرجال

وحكي ان السلطان المذكور عرض مرة أجناده وقيل بل سلم عليه الموحدون يوم عيد بنونس وفيهم شاب وسيم اسم جده النعمان فسأله السلطان عن اسمه وأعجبه حسنه فجعل واحمر وجهه وازداد حسنا فقال السلطان هذا المصراع * كلمته فكملت صفحة خده * وسال

وحلى المنارة وكان طولها في الهواء ألف ذراع والمرآة تعلى علوها وابادية جلوس حولها فاذا نظروا الى العدو في البحر في ضوء النهار رأوه وصوتوا عليه فيهرب منهم وصنعوا ونشروا أعلاما فيراها من بعدهم فيحذر الناس وينذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش وأناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلاها وأزالت المرآة وصيح الناس من أهل الاسكندرية وغيرها وعلموا انها مكيدة وحيلة في أمرها فلما علم الخادم استفاضة ذلك وأنه سينمي الى الوليد وانه قد بلغ من يحتاج اليه هرب في الليل في مركب كان أعده وواصل وما على ذلك من أمره فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وكان حوالي منارة الاسكندرية في البحر معاص يخرج منه قطع من الجواهر فتخذ منه فصوص للخواتم أنواعا من الجواهر منه الكركهن والادرلث والشبادجشم ويقال ان ذلك من الآلات التي كان اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها من

من الحاضرين الاجازة فلم يأتوا بشئ فقال السلطان عجزا شطره
* فتقتحت فيها شقائق جده * وهذا من البديع مع ما فيه من التورية والتجنيس ومما نسبه له أبو حيان بسنده اليه

مالى عليك سوى الدموع معين * ان كنت تغدر فى الهوى وتخون
من منجدى غير الدموع وانها * لمغيثه مهما استغاث حزين
الله يعلم أن ما حملتنى * صعب ولكن فى رضاك يهون

وكان للسلطان المذكور سعد يضرب به المثل حتى انه كتب له السلطان صاحب مكة البيعة من اثناء ابن سبعين المتصوف كما ذكر ذلك ابن خلدون فى تاريخه الكبير وردتها وهى من العجائب ومن سعده أن الفرنسيس الذى كان أسر بمصر وجعل فى دار ابن لقمان والطواشى صبيح يحرسه لما خرج جاء من أمم النصرانية للاد المسلمين بما لم يجتمع قط مثله حتى قيل انهم كانوا ألف ألف فكتب اليه أهل مصر من نظم ابن مطروح القصيدة المشهورة التى منها

قل للفرنسيس اذا جئته * مقالة من دى لسان فصيح

الى أن قال

دار ابن لقمان على حالها * ومصر مصر والطواشى صبيح

والقصيدة مشهورة فلذلك لم أسردها فصرف الفرنسيس جيوشه الى تونس فكتب اليه بعض أدباء دولة المستنصر

افرنسيس تونس أخت مصر * فتأهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكر ونكير

فقضى الله سبحانه وتعالى انه مات فى حركته لتونس وغنم المستنصر غنيمة ما سمع بمثلها قط ويقال انه دس اليه سيفا مسموما من سله أثر فيه سمه وقلده رسولا اليه بعد أن جعل عليه من الجواهر النفيسة ما لم ير مثله عند غيره وقال للرسول ان الفرنسيس رجل كثير الطمع ولولا ذلك ما عاود بلاد المسلمين بعد أسره وانه سيرى السيف ويكثر النظر اليه فاذا رأيته فعل ذلك فانزعه من عنقك وقبله وقل له هذا هدية منى اليك لان من آداب نامع ملوكنا أن كل ما وقع نظر الملك عليه وعاود النظر اليه بالقصد فلابد أن يكون له ويحرم علينا أن نمسكه لان ما أحبه المولى على العبيد حرام وتكرار النظر اليه دليل على حبه له ففرح النصرانى بذلك وأسرع الرسول العود الى سلطانه فسل النصرانى السيف فتمكن فيه السم بالنظر فمات فى الحين وفرج الله تعالى عن المسلمين * (رجع) الى أخبار أبى الحسن على بن سعيد قال ابن العديم فى تاريخ حلب أنشدنى شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيماشى بالقاهرة فى أبى الحسن على بن موسى بن سعيد الغرناطى يشير الى كتاب أبى الحسن الذى جمعه فى محاسن المغرب وسماه المغرب

سعد الغرب وازدهى الشرق عجبا * وابنها جا بمغرب ابن سعيد
طلعت شمسه من الغرب تجلى * فاقامت قيامة التقييد

انتهى ذلك النوع من الجوهر وغرته حول الامارة الكيلا تخلو من الناس حولها الان من شان الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا فى كل عصر فى معدنه ان كان أو بحرا فيكون الموضع على دوام الاوقات بالناس معمورا والا كثر مما يستخرج من الجوهر حول منارة الاسكندرية الاشياء جشم وقد رأيت كثيرا من أصحاب التلويحات يعنى بأشكال الجواهر المشبهة بالمعدنية يعمل هذه الجواهر المعروفة بالاشناد جشم ويتخذ منه الفصوص وغيرها وكذلك الفصوص المعروفة بالباقلمون هى ترى ألوانا مختلفة من حمرة وصفرة تتلون فى المنظر ألوانا مختلفة على حسب ما قدمنا والتلون من ذلك على حسب الجوهر فى صفائه واختلاف نظر البصر فى ادراكه وتلون هذا النوع من الجوهر اعنى الباقلمون نحو تلون ريش صدور الطواويس فانها تتلون ألوانا مختلفة اذا نابها واجتحنها أعنى الذكور دون الاناث وقد رأيت منها بارض الهند ألوانا تظهر بحس البصر عند تاملها لا تدرك ولا تحصى ولا تشبه بلون من الالوان لما يتراءى من تموج الالوان فى ريشها ويتأتى ذلك منها لعظم خلقتها وكبر أجسامها وسعة

ريشها الان للطواويس بارض الهند شاناً عجيباً والذي يحمل منها الى أرض الاسلام ويخرج عن أرض الهند فبيض ويفرخ تكون صغيرة الاجسام كدرة الالوان لاتخطف أنوار الابصار بادراكها وانما تشبه بالهندية بالشبه اليسير هذا في الذكور منها دون الاناث وذلك نحو النارنج والاترج المدوّر وحمل إلى أرض الهند الى أرض غيرها بعد الثلثمائة فزرع بعمان ثم نقل الى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور والشامية وانطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان بعهد ولا يعرف فعدمت منه الروائح الخمرية الطيبة واللون الحسن الذي يوجد فيه بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصية البلد ويقال ان هذه المنارة انما جعلت المرآة في أعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر على الاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة ترى من يرد في البحر من عدوهم الا ان من يدخلها يتيه فيها الا ان يكون عارفا بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها ومماراقها وقد ذكر ان المغاربة حين وافوا لئن

لم يدع للمؤرخين مقالا * لاولا للرواة بيت نشيد
ان تسلاه على الحمام تغنت * ماعلى ذا في حسنه من مزيد

وأنشد أبو العباس التيفاشي لنفسه فيه

ياطيب الاصل والفرع الزكي كما * يبدو جنى ثمر من أطيب الشجر
ومن خلائقه مثل النسيم اذا * يهفو على الزهر حول النهر في السحر
ومن محياه والله الشهيد اذا * يبدو الى بصري أبهى من القمر
أثقلت ظهري بر لا أقوم به * لو كنت أتلوه قرآنا مع السور
أهديت للغرب مجموعا بعالمه * في قاب قوسين بين السمع والبصر
كأنني الآن قد شاهدت أجمعه * بكل من فيه من بدو ومن حضر
نعم ولافيت أهل الفضل كلهم * في مدتي هذه والاعصر الاخر
ان كنت لم أرهم في الصدر من عمري * فقد رددت على الصدر من عمري
وكنت لي واحدا فيهم جميعهم * ما يجمز الله جمع الخلق في بشر
جزيت أفضل ما يجزى به بشر * مفيد عمر جديد الفضل مبتكر انتهى

ومن نظم أبي الحسن بن سعيد قوله

وعشية بلعت بنا أيدي النوى * منها محاسن جامعات للنخب
خدائق ما بينهن جداول * وبلابل فوق الغصون لها طرب
والنخل أمثال العرائس لبسها * خز وحليتها قلائد من ذهب

ومن نظمه رحمه الله تعالى في حلب قوله

حادي العيس كم تنيخ المطايا * سق فروحي من بعدهم في سياق
حلب انها مقر غرامي * ومرامي وقبلة الاشواق
لاخلا جوسق وبطياس والسعـ * ـداء من كل وابل غيداق
كم بها مرتع لطرف وقلب * فيه يسقى المنى بكاس دهاق
وتغنى طيوره لارتياح * وتثنى غصونه للعناق
وعلو الشهباء حيث استدارت * أنجم الافق حولها كالنطاق

وقوله أيضا في حماة

حمى الله من شطى حماة مناظرا * وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغنى حمام أو تميل خمائل * وتزهى مبان تمنع الواصف الوصفا
يلومون أن أعصى التصون والنهى * بها وأطيع الكاس واللهو والقصفا
اذا كان فيها النهر عاص فكيف لا * أحاكيه عصيانا وأشربها صرفا
وأشدو لدى تلك النواعير شدوها * وأغلبها رقصا وأشبهها عرفا
تئن وتذرى دمعها فكأنها * تهيم بمرآها وتسالها العطفا

وقوله في وداع ابن عمه وكتب بهما اليه

وداع كما ودعت فصل ربيع * يفيض ضلوعي أو يفيض دموعي

لئن قيل فى بعض بفارق بعضه * فانى قد فارقت مثلك جيشى

قال فارسل الى احسانا واعتذر ولسان الحال ينشد عنه

أحبك فى البتول وفى أبيها * ولكنى أحبك من بعيد

وقوله وقد أفلت المركب الذى كان فيه من العدو

انظر الى مركبنا منقذا * من العدا من بعد احراز

أفلت منهم مثل ما طائرا * كطائر أفلت من بازى

وقال رحمه الله تعالى لما خرج من حدود افريقية

رمتنى حاور باحدود مواطن * صحبنا بها الايام طلقا محياها

وما ان تركناها لجهل بقدرها * ولكن ثنت عنا أعنة سعياها

صريعا تحث السير عنها لغيرها * الى أن بعين الله يوما ملقياها

وكان وصوله الاسكندرية فى السابع والعشرين من ربيع الاول سنة تسع وثلاثين وستمائة * وقال رحمه الله تعالى أخذت مع والدى يوما فى اختلاف مذاهب الناس وانهم لا يسلمون لاحد فى اختياره فقال متى أردت أن يسلم لك أحد فى هذا التأليف أعنى المعرب ولا يعترض أتعبت نفسك باطلا وطلبت غاية لا تدركها وأنا أضرب لك مثلا يحكى ان رجلا من عقلاء الناس كان له ولد فقال له يوما يا أبى ما للناس ينتقدون عليك أشياء وأنت عاقل ولو سعيت فى مجانبتها سلمت من نقدهم فقال يا بنى انك غر لم تجرب الامور وان رضا الناس غاية لا تدركها وأنا أوقفك على حقيقة ذلك وكان عنده حمار فقال له اركب هذا الحمار وأنا أتبعك ماشيا ففعل ما هو كذلك اذ قال رجل انظر ما أقل هذا العلام يأدب يركب ويمشى ابوه وانظر ما اشد تخلف والده لكونه يركبه فقال له انزل أركب انا وامش انت خلفى فقال شخص آخر انظر هذا الشخص ما اقل شفقته ركب وترك ابنه يمشى فقال له اركب معى فقال شخص أشقاهما الله تعالى انظر كيف ركبا على الحمار وكان فى واحد منهما كفاية فقال له انزل بنا وقدماه وليس عليه راكب فقال شخص لاخف الله تعالى عنهما انظر كف تركا الحمار فارغا وجعلا يمشيان خلفه فقال يا بنى سمعت كلامهم وعلمت ان احدا لا يسلم من اعتراض الناس على اى حالة كان اعتبر امنهم انتهى وقال فى اثناء خطبة المغرب ما نصه والحمد لله الذى جعل الادب افضل ما اكتسب وافضل ما انتخب اذ هو ذخر لا يخاف كساده وكنز لا يخشى انتقاصه وان كثر مناده ولله در القائل

رأيت جميع الكسب ينقده الفتى * وتبقى له اخلاقه والتأدب

اذا حل فى ارض اقام لنفسه * بآدابه قدرا به يتكسب

واوما كل تحوه ولعله * الى غيره من للنباهة ينسب

وقال فى اثناء الكلام لبعض المعاربة

فأثبت فى كل المواطن همة * الى طلب العلم الذى كان مطرحى

وصرت من قد كان بالنظم جاهلا * يحاوله فيما يجود لك المدح

وقال ايضا فى الخطبة وبعد فهذا كتاب راحة قد تعبت فى جمعه الاسماع والابصار الى المبارة فتاهوا فيها وفيها طرق تفضى الى مهاو تهوى الى السرضاء الزجاج وفيها مخاوف الى البحر فتهور وابدوا بهم ومعد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان تهورهم كان فى كرة بها اعدابها وهم معدد فى هذا الوقت يرابط فيه فى الصيف متوعة المصريين وغيرهم ولبلاد مصر والاسكندرية وبلاد الاندلس وروميه وما فى الشرق واليمن والمغرب أخبار كثيرة فى عجائب البلدان والابنية والآثار وخواص البقاع وما يؤثر فى ساكنيها وقصاتها أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على الاخبار منها فيما سلف من كتبنا من عجائب العالم من دوابه وبره وبحره فاغنى ذلك عن اعادة ذكره ولم نتعرض فيما سلف من هذا الكتاب لذكر بيوت النيران والهيا كل المعظمة والبيوت المشرفة وغير ذلك مما ليس بمعناها بل نذكرها فى الموضع المستحق بها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

* ذكر السودان وأجناسهم واختلاف أجناسهم

وأنواعهم ونبايتهم فى ديارهم وأخبار ملوكهم * (قال المسعودى) لما تفرق ولد نوح فى الارض سار

ولد كوش بن كنعان بن حام
وهما النوبة والحبش ولزنج
وسار فريق منهم نحو المغرب
وهم أنواع كثيرة منهم
البربر والفزاز والزغاوة
وكوكو والحي وغيرهم
فمن أنواع الحبش
الزنج ثم الزغاوي
مصر وابن المغرب
والبربر وغيرهم
من أنواع الزنج وقد
تقدم فيما سلف عند
ذكر البحر الحبشي والحبش
البربر وما عليه من أنواع
السودان واتصالهم في
ديارهم الى بلاد الدهلك
وابر بلغ وصنغ وهؤلاء
القوم هم أصحاب جلود
النمور والحمير وهي
لباسهم ومن أرضهم تحمل
الى بلاد الاسلام وهي
أكثر ما يكون من
جلود النمور وأحسنها
للسروج وبحر الزنج والحبش
هو من يمين بحر الهند
وان كانت بينهما
متصلة ومن أرضهم تحمل
الفيل من طهور والسلاحف
وهو الذي تتخذ منه
الامشاط كالقرن والكثر
ما يكون ابتداء المعمورة
بالزراعة في أرضهم وان
كانت عامة لوجودي
أرض النوبة دون سائر
بلاد الحبش وقد سبق في أول هذا النوع من الدواوين المعمورة بالزراعة فمنهم من رأى أن بدء ان

والاذكار وكل عدد سهل اذا أجمع القصد والمدى فيه من سبعة ثلاثين وخمسمائة
ومن بعد الى غرة سنة احدى واربعين وستمائة قال واول من كان السبب في ابتداء هذا
الكتاب جد والدي عبد الملك بن سعيد وهو والد الملك صاحب قلعة بني سعيد تحت طاعة
علي بن يوسف بن تاشفين امير المسلمين ملك البربر الى أن استبدها سنة تسع وثلاثين
وخمسمائة وقصده في سنة ثلاثين وخمسمائة حافظ الاندلس أبو محمد عبد الله بن ابراهيم بن
الحجاري وصنف له كتاب المسهب في غرائب المغرب في نحو ستة أسفار وابتدأ فيه من
وصف الاندلس الى الاسفار التي ابتداؤه وهو سنة ثلاثين وخمسمائة ثم ثار في خاطر عبد
الملك أن يضيف اليه ما أعده له الحجاري وولع عماله العلماء أبو محمد عبد الله وأصحابه
ما تمناه ولم يزل يريد الى أن ابتدأ محمد فاني به أثناء الكتاب ثم استبد به والدي وكان
علمهم بهذا الشأن وبلغ من اجتهاده في هذا الكتاب أني أذكره يوما وقد نزوه به ابن هود
وهو ملك الاندلس وولاه الجزيرة الخضراء فأعلمه شخص ان عند أحد المسوفين الى بيت
بياعة كراريس من شعر شعرائها وأخبار رؤسائها الذين تحجري عليهم دولة بني عبد
المؤمن فأرسل اليه راغبا في استعارتها فأبى وقال على يمين أن لا تخرج عن منزلي وقال ان
كنت له حاجة أتى لي رأسه وكان جاهلا فلما سمع والدي بحلف قال لي سر معي اليه فقلت
له ومن يكون هذا حتى يمشي له على هذه الصورة فقال اني لا أمشي له ولكن أمشي للعصلاء
الذي ضمنت لكراريس أشعارهم وأخبارهم أبراهم وكانوا أحياء محتجبين في موضع أنفت
أن أمشي اليه فلما قال فان الاثر يغيب عن العين فمشينا الى منزل الرجل فوالله
ما أنصفني الا بعد ضمانها العرض صرفها اليه الذي وشكره وقال هذه فائدة لم أجدها
عند غيرك فجزاك الله تعالى خيرا ثم انفصل وقال ألم تعلم يا بني اني سررت بهذه الفائدة
اكثر من الولاية وان هذا والله أول السعادة وعنوان نجاحها والقلعة التي كان بها بنو سعيد
تعرف بهم فيقال لها قلعة بني سعيد وكانت تعرف قبل بقلعة اسطير وهو عين لها وقال الملاحي
في تاريخه انها تعرف بقلعة يحصب قيل من اليمن نزل بها عند فتح الاندلس وبها كما مر صنف
الحجاري كتاب المسهب اصاحبها عبد الملك بن سعيد فقال في بني سعيد يعول الحجاري

قوم لهم في فخرهم * عرف الحديث مع القديم
درر الندى واليأس والـ ـعليا كريما عن كريم
من كل وضاح به * يجلى دجى الليل البهيم

وكان اول من دخل الاندلس من ولد عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه عبد الله بن سعيد بن
عمار وقد ذكره ابن حيان في جملته واخبر ان يوسف بن عبد الرحمن الفهري صاحب
الاندلس آخر دولة بني امية بالمشرق كتب الله ان يدافع عبد الرحمن بن معاوية المرواني
الداخل للاندلس وكان ابن الامير الى اليمانية من جند دمشق وانما ركن اليه في
محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبني امية من الثار بسبب قتل عمار بصفين على يد عسكر
معاوية رضي الله تعالى عنه وكان عمار من شيعة علي رضي الله تعالى عنهما وقال الحجاري
انشدني بكر بن محمد بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة المئتين لنفسه فيما يليق بجنسه

ان لم اكن للعلاء أهلا * بما تراه من يكون
وكل ما أتغيه دوني * ولي على همتي ديون
ومن برم ما يقل عنه * ذاك من فعله جنون
فرع بافق السماء سام * وأصله راسخ مكين

ومن نظمه قوله أيضا

الله يعلم اني * أحب كسب المعالي
وانما أتوانى * عنها لسوء المآل
فتحتاج للكد والبذ * ل واسطفاف الرجال
دع كل من شاء يسمو * فما بكل احتيال
لحالهم بانعكاس * فيها وحالي حالي

ولما ذكر ابن سعيد في المغرب ترجمة الكاتب الرئيس المجد أبي العباس أحمد الغساني كاتب ملك افريقية قال بماذا أصفه ولو أن النجوم تصير لي نثر الملكت أنصفه وكفاك أني اختبرت الفضلاء من البحر المحيط الى حضرة القاهرة فما رأيت أحسن ولا أفضل عشرة منه ولما فارقته لم أشعر الا برسالته قد وافتني بالاسكندرية من تونس وفيها قصيدة فريدة منها

ايه أبا الحسن اسمع شدوي فقد * يصغي الحمام اذا الحمام ترنما

ثم سرد بعضا من القصيدة وستأتي قريبا ان شاء الله تعالى بزيادة على ما ذكرته في المغرب

*(رجع) وجد بخطه رحمه الله تعالى آخر الجزء من كتاب المغرب ما نصه أجزت الشيخ القاضي الاجل أبا الفضل أحمد ابن الشيخ القاضي أبي يعقوب التيفاشي أن يروي عني مصنفي هذا وهو المغرب في محاسن المغرب ويرويه من شاء ثقة بفهمه واستنامة الى علمه وكذلك أجزت لفتاه اللبيب جمال الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن حطلح الفارسي الارموي أن يرويه عني ويرويه من شاء وكتبه مصنفه علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد في تاريخ الفراغ من نسخ هذا السفر انتهى وقال في وسيم من أبناء العجم صحبه في الطريق من حلب الى بغداد دهات وكان ظريفا أديبا

لهي على غصن ذوى * أوقدته لما استوى
ريان من ماء الصبا * ومن المدامع ما ارتوى
لا تعذلوني ان نطقـ * ـت الدهر فيه عن الهوى
لمضل صاحبه بسحـ * ـر اللحظ منه ولم غوى
أنا لا أعين الدهر فيـ * ـه من الصبابة والجوى
ان الهوى حيا ومي * ـتا لا يزال به سري
كم قد نويت به النعيـ * ـم فقد رأى الله النوى
دار السلام حويت من * كل المحاسن قد حوى
مجموع حسن قد توى * في جنة وبها ثوى

وولد ابو الحسن علي بن موسى بن محمد يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر رمضان عام

وأن النمور ظهرت من ذلك ومنهم من زعم أنه نوع من الحيوان فاشم بدأته كفخام الخيل والحمير والبغال وأن لبنها كسبيل البغل المولد من الخيل والحمير وتدعى الزرافة بالفارسية اشتراكا وقد كانت تهدى الى ملوكهم من أرض النوبة كما تحمل الى ملوك العرب ومن مضى من خلفاء بني العباس وولاة مصر وهي دابة طويلة اليدين والرجلين قصيرة الرجلين لا ركبتين لرجليها واما الركبتان لليدين وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان عند ذكر الزرافة كلاما كثيرا في نتاجها وأن في أعالي بلاد النوبة مجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حمارة القيظ الى شرائع المياه فتتساند هنالك فيلتقع منها ما لم يلتقع ويتمنع ما يمتنع فنجئ من ذلك خلق كثير مختلفة في الصور والاشكال منها الزرافة ذات الاظلاف وهي دابة سنية الى خلقها مصبوبة الظهر الى مؤخرها وذلك لقصر رجليها وللناس في الزرافة كلام كثير على حسب ما قدمنا في بد نتاجها وان النمور ببلاد النوبة عظيمة الخلق وأن الابل صغيرة الخلق قصيرة النواسم وان ذلك لاتساع أرحام الفلاص العربية لحوائج الزمان

عشرة وستمائة وهو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد ابن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه وقال في المغرب لما عرف بوالده الكاتب الشهير أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ما ملخصه لولا أنه والدي لاطنبت في ذكره ووفيته من الوصف حق قدره لكن كفاه وصفا ما أثبت له في هذه الترجمة وما مر له ويمر في أثناء هذا الكتاب وكون كل من اشتغل بهذا التأليف نهرا وهو بحرا واشتهاره في حفظه التاريخ والاعتناء بالآداب في بلاده بحيث لا يحتاج الى تنبيه ولا اطناب وله من النظم والنثر ما تضج الاقلام من كثرته ويستمد القطر من درته ومما شاهدت من عجائبه أنه عاش سبعا وستين سنة ولم أره يوما تخلى عن مطالعة كتاب أو كتب ما يخلده حتى ان أيام الاعياد لا يخليها من ذلك ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكتب نقلت له يا سيدي أفي هذا اليوم لا تستريح فنظر الي كالمغضب وقال أظنك لا تفلح أبدا أترى الراحة في غير هذا والله لا أحسب راحة تبلغ مبلغها ولوددت ان الله تعالى يضاعف عمري حتى أتم كتاب المغرب على غرضي قال فأثار ذلك في خاطري أن صرت مثله لا ألتذ بنعيم غيره. ألتذ به من هذا الشان ولولا ذلك ما بلغ هذا التأليف الى ما تراه وكان أولع الناس بالتجول في البلدان ومشاهدة الفضلاء واستعادة ما يرى وما يسمع وفي تولعه بالتقييد والمطالعة للكتب يقول

يا مقنيا عمره في الكاس والوتر * وراعيا في الدجى للانجم الزهر
يبكي حبيبا جفاه أو ينادمه * يهفو لديه كغصن باسم الزهر
منعما بين لذات بحقها * ولا يخلد من فخر ولا سير
وعاذلا لي فيما ظلت أكتبه * يبدي التعجب من صبري ومن فكري
يقول مالك قد أفنيت عمرك في * حبر وطرس عن الاغصان والحبر
وظلت تسهر طول الليل في نعب * ولاتني أمد الايام في ضجر
أقصر فاني أدري بالذي طمحت * لافقه همتي واسأل عن الاثر
واسمع لقول الذي تتلى محاسنه * من بعد ما صار مثل الترب كالسور
جال ذي الارض كانوا في الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير انتهى

وولد أبو عمران موسى بن محمد في الخامس من رجب عام ثلاثة وسبعين وخمسمائة وتوفي بثغر الاسكندرية يوم الاثنين الثامن من شوال عام أربعين وستمائة وولد أبوه محمد بن عبد الملك صاحب أعمال غرناطة وأعمال اشبيلية عام أربعة عشر وخمسمائة وتوفي بشعبان عام تسعة وثمانين وخمسمائة بغرناطة وكان محمد بن عبد الملك وزيرا جليلا بعيد الصيت عالي الذكر رفيع الهمة كثير الاموال وذكره ابن صاحب الصلات في كتابه تاريخ الموحدين ونبه على مكانته منهم في الحظوة والاخذ في أمور الناس وأثنى عليه وذكره السهيلي في شرح السيرة الشريفة حيث ذكر الكتاب الموجه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وان محمد بن عبد الملك عاينه عند أدفونش مكرما مفتخرا به والقصة مشهورة ومدحه الرصافي بقصيدة أولها

هذا النوع من الابل بين نواتج الابل وهي ذات السنامين وبين قلاص الابل وهي النوق العربية وكنتاج البخت بين الجاموسة والمهرية وللزرافة أخبار كثيرة قد ذكر ذلك صاحب المنطق في كتابه الكبير ومنافع أعضائها وغير ذلك من أعضاء سائر الحيوان وقد أتينا على جميع ما يحتاج اليه من ذلك في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب والزرافة عجيبة الفعل في الفهاوتر دد ها الى أهلها وهي كالفيل منها وحشية ومنها مستأنسة أهلية مع من قدمنا ذكره من الزنوج والاجناس من الحبشة الذين صبروا عن عين النيل وتحقوا باسافل البحر الحبشي وقطعت الزرافة دون سائر الاحابش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذي نصب الى بحر الزنج فسكنت الزرافة في ذلك الصقع واتصلت مساكنهم الى بلاد سفالة وهي أقاصي بلاد الزنج واليه يقصد مراكب العمانيين والسيرافيين وهي غاية مقاصدهم في بحر الزنج كما أن أقاصي بحر الصين متصل ببلاد السيلي وقد تقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكذلك أقاصي بحر الزنج هو بلاد سفالة وأقاصيه بلاد ذهنا

دهنا يفيض وخاطرا متوقدا * ماذا عسى نثنى على علم الندى

ولما أنشده قصيدته فيه التى أولها

لمحلك الترفيع والتعظيم * ولوجهك التقديس والتكريم

حلف لا سمعها وقال على احازتك ولكن طباعى لا تحمل مثل هذا فقال له الرصافى ومن مثلك يستحق هذا فى الوقت غيرك فقال له دعنى من خداعك أنا وما أعلمه من قلبى وأنشده له فى المطالع السعيد

فلا تظهرن ما كان فى الصدر كامنا * ولا تركبن بالغيظ فى مركب وعر

ولا تجعلن فى عذر من جاءنا ئبا * وليس كريما من يباحث فى العذر

وولى للموحدين أعمالا كثيرة بمراكش وسلا واشبيلية وغرناطة واتصلت ولايته على أعمال غرناطة وكان من شوخها وأعيانها وكتب عليه عقد ان فى داره من الحلى وأصنافه مالا يمكن الا فى دار الملك وأنه اذا ركب فى صلاة الصبح شوش عليه نبح الكلاب فأمر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب أعمال امر بتيه أبى الحسين سنة ٥٩٣ ثم رضى عنهما وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بحطه كل ما أخذ منه فصرفه عليه ولم ينقص منه شيأ وغرم له مافات منه وهذا مما يدل على قوة سعد محمد بن عبد الملك المذكور ونباهة قدره وحسبه من الفخر مدح أديب الاندلس وشاعرها أبى عبد الله الرصافى له وهو ممن يمدح الخلفاء فى ذلك العصر رحمه الله تعالى وولد أبو عبد الملك بن سعيد عام ستة وتسعين وأربعمائة وتوفى بحضرة مراكش عام اثنين وستين وخمسمائة قال الحجارى لما مات يحيى بن غانية الملثم ملك الاندلس بحضرة غرناطة وكان وزيره ومدبر دولته عبد الملك بن سعيد بادر الفرار لغرناطة عند ما سمع بموته الى قلعته وثاربها وطلبه خليفة يحيى بن غانية طلحة بن العنبر فوجده قد فاته وقد قدمنا أن عبد الملك هذا هو السبب فى تاليف كتاب المغرب فى أخبار المغرب ثم عممه ابنه محمد بن عبد الملك ثم نمم ما بقى منه ابنه موسى بن محمد ثم أربى على الكل فى اتمامه أبو الحسن على بن موسى الذى قصدناه بالترجمة فى هذا الكتاب وقد ذكرنا من أحواله جملة كافية * ومن فوائد ابن سعيد أبى الحسن ما حكاه عن صاحب كتاب الكمائم وهو فاما فسطاط مصر فان مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وهو الذى عليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما قحطها قسم المنازل على القبائل ونسب المدينة اليه فقيل فسطاط عمرو وندا ولت عليها بعد ذلك ولاة بمصر فاتخذوها سرا لسلطنة وبضاعت عمارتها فاقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا أمانيهم عليها الى أن رسخت بها دولة بنى طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذى هو الآن الى جانب القاهرة وهى مدينة مستطيلة بمر النيل مع طولها وتحط فى ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بانواع الفوائد وبها منتزهات وهى فى الاقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر الا فى النادر وترابها بين الاحمر وهو قبيح اللون تستكدر منه ارحاؤها ويسوء بسببه هواؤها ولها أسواق ضخمة الا انها ضيقة وبنيانها بالقصب والطوب طبقة على طبقة

وانحدث الرشيد دار مملكة وملكوا عليهم ملكا سموه لوقليمن وهى سمة لسائر ملوكهم فى سائر الاعصار على ما قدمنا آنفا وبركب لوقليمس وهو يلك ملوك سائر الزنوج فى ثلثمائة ألف فارس وبوابهم النفر وليس فى أرضهم جمل ولا بغال ولا ابل ولا يعرفونها وكذلك لا يعرفون الثلج ولا البرد ولا غيرهم من الاحابش وبهم أجناس محددة الاسنان يأكل بعضهم بعضا وسيأتى الرحمن حد الحاب المتشعب من أعلى النيل الى بلاد سعالة والواف واف وبعد ما بين مسافة مساكنهم واتصال مقاطعهم فى الطول والعرض نحو سبعمائة فرسخ أودية وجبال ورمال والفيل فى بلاد الزنج فى نهاية الكثرة وحشيه كلها غير مستأنسة والزنج لا يستعمل منها شيأ فى حروب ولا غيرها بل تسلمها وذلك أنهم يطرحون لها نوعا من ورق الشجر ولحائه وأغصانه يكون بأرضهم فى الماء ويختفى رجال الزنج فترد الفيلة لتشربها فاذا وردت وشربت من ذلك الماء أكرها فتقع

ولا مفاصل لقوائمها ولا تركب على حسب ما قدمنا فيخرجون اليها باعظم ما يكون من الحراب مبيتة لمنها الاحد

وسميت القاهرة لصغر مدينة الفسطاط وقرب الاعتناء بها بعد الافراط وبينهما نحو ميل وأنشدت فيها للشريف العقيلي

أحن الى الفساط شوقا وانني * لادعوها أن لا يحل بها القطر
وهل في الحيا من حاجة لجنابها * وفي كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

وقال في كتاب اجارو الفسطاط هو قصبة مصر والجبل المقطم شرقيها وهو متصل بجبل الزمرد وقال في كتاب ابن حوقل الفسطاط مدينة عظيمة بقسم النيل لديها وهي كبيرة ومقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والطيب واللذة ذات رحاب في محالها وأسواق عظام فيها ضيق وفنادق حمام ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومتنزهات على مر الايام خضرة وفي الفسطاط مجاعل وخطط للعرب تنسب اليها كالكوفة والبصرة الا انها أقل من ذلك وهي سحة الارض غير نقية التربة وتكون الدار بها سبع طبقات وخمسا وستا وربما يسكن في الدار الواحدة ثمانون من الناس ومعظم بنيانهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان للجمعة هي أحدهما لعمرو بن العاص في وسط الفسطاط والآخر على الموقف بناء ابن طولون وكان حارج الفسطاط أبنية بناها أحمد بن طولون ميلا في ميل سكنها جنده وتعرف بالقطائع كما بنى بنو الاغلب حارج القيروان رقادة وقد خربتا في وقتنا هذا وأخلف الله بدل الفسطاط بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة قال ابن سعيد ولما استقرت بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط فسار معي اليها أحد أصحاب القرية فرأيت عند باب زويلة من الخير المعدة لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لي بمثلها في بلد فركب منها حمارا وأشار الى أن اركب حمارا آخر فأنفت من ذلك جريا على عادة ما خلقته في بلاد المغرب فأخبرني أنه غير معيب على أعيان مصر وعاينت الفقهاء وأصحاب البرة والشارة الظاهرة يركبونها فركبت وعندما استويت راكبا أشار المكاري الى الحمار فطار بي وأثار من الغبار الاسود ما أعمى عيني ودنس ثيابي وعاينت ما كرهته ولقلة معرفتي بركوب الحمار وشدة عدوه على فانون لم أعهده وله وهي المكاري وقعت في تلك الظلمة المثارة من ذلك الهجاج فقلت

لعنت بمصر أشد البوار * ركوب الحمار وكحل الغبار
وحلي مكار يفوق الزيا * ح لا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهلا فلا يرعوي * الى ان سجدت سجود العثار
وقد مد فوق رواق الثرى * وألحد فيها ضياء النهار

فدمعت الى المكاري أجرته وقلت له احسانك أن تتركني أمشي على رجلي ومشيت الى أن بلغنا وأدركت في الطريق بين الفسطاط والقاهرة وحقته بعد ذلك نحو ميلين ولما أقبلت على الفسطاط أدركت عين المسرة وتأملت أسوارا مظلمة سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون ذلك يفضي الى خراب مغمور بمكان مشتة الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الصوب الاركن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة وحول أبوابها من التراب الاسود والارذال ما ينبغض نفس النظيف ويغض طرف الظريف فسرت وأنا معاين لاستصحاب

تلك الحال الى أن صرت فى أسواقها الضيقة وسيت من ازدحام الناس فيها الحوانيت السوق والروايا التى على الجمال مالا يفى به الامثل هذه ومعاسلته الى ان انتهيت الى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الاسواق التى حول ما ذكرت به منذه فى جامع اشبيلية وما مع مراكش ثم دخلت اليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مرخرف ولا محتفل فى حصره التى يدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه وأصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه سعيا لوظيفة أقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق والبيعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والكعك وما سوى ذلك والناس يأكلون فى عدة أكلة مصنوعة محدثة من لحوم العادة عندهم بذلك وعدة صوان باوانى ما يطوفون على من يأكل وقد جعلوا ما يحصل لهم منه رزقا وصلات من كاهم مطروحة فى صحن الجامع وفى رواياه العكبوت قد نظم نسجه فى السقف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون فى صحنه وحيطانه منه بالعصم والحمرة خطوط مختلفة من كتب قراءة العامة الا أن مع ذلك على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده فى جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذى فى صحنه ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت أن ذلك سر مودع وقوف الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى ساحته عند بابه واستحسنت ما أصرته من حلق المتصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو فى عدة أماكن وسألت عن مواد أرزاقهم فاخبرت انها من فروض الزكاة وما أشبه ذلك ثم أخبرت أن اقتضاء ذلك يصعب الا بالجاه والتعب ثم انفصلت من هنالك الى ساحل النيل فرأيت ساحلا كدر النزه غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستطالة ولا عليه سور أبيض الا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الارزاق التى تصل من جميع أقطار النيل ولئن ملت انى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فانى أقول حقا والنيل هنالك ضيق لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعة قد توسطت الماء ومالت الى جهة الفسطاط وبحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البر العربى المعروف ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه وأكثر ما يجوز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب لان هذين الجسرين قد احترما لحصولهما فى حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الفسطاط والجزيرة راكبا احتراما لموضع السلطان وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بعمارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

نزلنا من الفسطاط احسن منزل * بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب سحرة * كسرت قطا أضحى يرف على ورد
وأصبح يطفو الموج فيه ويرتمى * ويطرب أحيانا ويلعب بالنرد
حلا ماؤه كالريق ممن أحبه * فقلت عليه حله من حلى الخد
وقد كان مثل البحر من قبل مده * فأصبح لما زاده المد كالورد

وقلت هذا انى لم أذق فى المياه أحلى من مائه وانه يكون قبل المد الذى يريده ويفيض على

أرضها ليس فيها وحشيه وانما هى حربية ومستعملة كاستعمال البقر الاصل وأكثرها باوى الى المرعى الصباح

وشبيه هم على قدماء من الشطرنج كالشطرنج عرض ذلك كما ذكرنا الى الاكثر فاد العلوا بها فنا يعمهم الواحد فانما يشتغل فى بيوتها والاعلب عليهم فى لعبهم القمار بالشطرنج والنرد على النقد والجواهر وربما انفرد الى أحدهم ما معه يلعب فى مقطع أصابعه من غير وهو أن يجعلوا بحصيرهم مدرا من النحاس صغيرا على مقدار حجم يهادهن لهم أحد مغلى ذلك الدهن المدمل للجرح والمانع لسيلان الدم وقد العب فى أصبع من أصابعه ويقطعها بتلك الحجرة ومثل القمار عندهم حمس يدفع فى ذلك الدهن فيكوا هم عليه الى العظم فاذا توجه عليه اللعب أبان احد بعد ثانية وربما ترجه عليه اللعب فى قطع أعضائه كلها من الاصابع والكف ثم الى الذراع والزند وسائر الاطراف وكل ذلك يستعمل فيه الكى بذلك الدهن وهو دهن عجيب يعمل من الحلاطوغفا نير بارض الهند عجيب المعنى ما ذكرنا وما ذكرنا عنهم هو من فعلهم والعهد عند العيلة فى بلادها وتتابع فى

أقطاره أبيض ما دام كان عباب النيل صار أحمر وأنشدني علم الدين فخر الترك أيده عتيق وزير الجزيرة في مدح الفسطاط

حبذا الفسطاط من والدة * جنبت أولادها دار الجفا
رد النيل إليها كدرا * فإذا مازج أهليها صفا
لصفوا فالمزن لا نالفهم * خجلا لما رأتهم ألطفا

ولم أر في أهل البلاد ألطف من أهل الفسطاط حتى انهم الطف من أهل القاهرة وبينهما تحوم ميلين والحال ان أهل الفسطاط في نهاية من اللطافة واللين في الكلام وتحت ذلك من المداراة وذله المسالاة ورعاية قدر المحبة وكثرة الممازجة والالفة ما يطول ذكره وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندراني والبحر الحجازي فانه فوق ما يوصف وبه مجمع ذلك إما بالقاهرة ومنها يجهز إلى القاهرة وسائر البلاد وبالفسطاط مصانع السكر والصابون ومعظم ما يجري هذا المجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زي الجند بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الاشياء الرفيعة السلطانية والخراب في الفسطاط كثير والقاهرة أجد وأعمر وأكثر زحمة باعتبار انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ روح الاعتناء والنمو في مدينة الفسطاط الآن بمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثرة من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبني على سورها جماعة منهم مناظر بهيج الناظر انتهى قال المقريزي يعني ابن سعيد ما بني على شقة مصر من جهة النيل انتهى وقال ابن سعيد المذكور في المغرب من حلى المغرب ما ملخصه الروضة أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة وبها مقياس النيل وكانت منزها لاهل مصر فاختارها الملك الصالح ابن الملك الكامل سرير السلطنة وبنى فيها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالي السمك لم ترعيني أحسن منه وفي هذه الجزيرة كان الهودج الذي يباهي الخليفة الآمر لزوجته البدوية التي هام في حبها واختار بستان الاحشيد وقصره وقد ذكر في شعر نميم بن المعز وغيره ولشعراء مصر في هذه الجزيرة أشعار منها قول أبي الفتح بن قادوس الدمياطي

أرى سرج الجزيرة من بعيد * كاحداق تغازل في المغازل
كأن مجرة الجوزاء حطت * وأثبتت المنازل في المنازل

قال وكنت أبيت بعض الليالي بالفسطاط فيزدهني بحلك البدر في وجه النيل مع سور هذه الجزيرة الدري اللون ولم أنفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين في البناء وأبصرت بهذه الجزيرة أبوابا لجلوسه لم ترعيني مثاله ولا يقدر ما انفق عليه وفيه من صحائف الذهب والرخام الابنوسي والكافوري والمرمر ما يدهل الافكار ويستوقف الابصار ويفصل عما أحاط به السور أرض طويلة في بعضها مناظر حصر فيه أصناف الوحوش التي يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج تنقطع فيها مياه النيل فتنظر فيها احسن منظر قال وقد تفرجت كثيرا في طرق هذه الجزيرة مما يلي أثر الفسطاط فقطعت به عشيات مذهبات لم تزل لاحزان

قدمنا للانزعي في موضع يتم فيه رائحة الذكر كدن
ويعمر النيل بارض الهند نحوا من ثريعائة سنة
كذلك يذكر ابن نح لانها
تعرف في دورها وموزها
والفيل العظيم مما يلي
دياره وفيه الاود
والابيض والاسود والاحمر
وفي ارض الهند منها
ما يعمر المائة سنة والمائتين
ويضع حمله في كل سبع
سنين وفي بارض الهند
دابة عظيمة من نوع من
الحيوان يعرف بالزرافا
وهي دابة أسرع من الفهد
أحمر روزغب وعينين
براقتين عيونه سريعة
لونه يبلغ في ونبته الثلاثين
والاربعين والخمسين
ذراعا وأكثر من ذلك فاذا
أشرف على الفيل وثب
عليه بوله بدنه فيحرقها
ورعما لحق الانسان فاتى
عليه وفي الهند من اذا
اشرفت عليه هذه الدابة
تعلق باكبر ما يكون من
الساج وهي اكبر من النخل
وأكبر من شجر الجوز لكن
الشجرة منه اغصانها الكثير
من الناس وغيرهم من
الحيوان على حسب ما تحمل
الى البصرة والعراق
ومصر من حسب الساج في
طوله واذا تعلق الانسان بأعلى تلك الشجرة وتحرهذا الحيوان عن ادراكه اضغى بالارض ووثب

الى أعلى الشجرة فان لم يلحق الانسان فى وثبته رشش من بوله الى أعلى الشجرة والا وضع رأسه فى الارض وصاح

الغربية مذهبات واد زاد النيل فصل برها عن بر الفسطاط من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر تكون فيه المراكب انتهى وأورد الصفدى فى تذكرته لابن سعيد المذكور فى هذه الجزيرة

انظر الى سور الجزيرة فى الدجى * والبدر يلثم منه ثغرا أشنبا
تتصاعد الانوار فى جنباته * فتريك فوق الماء أمرا معجبا
بينا تراه معرضا فى جانب * أبصرت منه فى سواه مذهبا
لله مرأى ماوراه باطرى * الاحلعت له المدام بطربا

وقال فى المغرب نقلا عن بعضهم ماصورته وأما مدينة القاهرة فهى الحادثة الباهرة التى بناها القاطميون وأبدعوا فى بنائها واتخذوها قطبا لحلالهم ومركزا لارحائها فسميت الفسطاط ورهدوا فيه بعد الاغتباط وسميت القاهرة لانها تقهر من شذ عنها ورام مخالفة أميرها قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها أعظم منها وكان ينبغى أن تكون فى ترتيبها ومبانيها على خلاف ماعاينته لانها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيديين وكان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من أول الديار المصرية الى البحر المحيط

وسارت مسير الشمس فى كل بلدة * وهبت هبوب الريح فى البر والبحر

لاسيما وقد عاين مبانى أبيه المنصور فى مدينة المنصورية الى جانب القيروان وعاين المهدية مدينة جده عبيد الله المهدى لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهى ناطقة الى الآن بالسن الآثار ولله در القائل

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شانه * أضحى يدل على عظيم الشان

ونهم من بعده الخلفاء المصريون فى الزيادة فى تلك القصور وقد عاينت فيها ايوانا يقولون انه بنى قدر ايوان كسرى الذى بالمدائن وكان يجلس فيها خلفاؤهم ولهم على الخليج الذى بين الفسطاط والقاهرة مكان عظيمة جليلة الآثار وأبصرت فى قصورهم حيطانا عليها طاقات عديدة من الكلس والجبس ذكر لى أنهم كانوا يجددون تبييضها فى كل سنة والمكان المعروف بالقاهرة بين المصرين هو من الترتيب السلطانى لان هنالك ساحة متسعة للعسكر والمتمرجين مابين القصرين ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولكن ذلك أمد قليل ثم تسير منه الى أمد ضيق وممر فى ممر كدرج بين الدكاكين اذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان مما يضيق به الصدور وتسخن منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه الامراء وهو فى موكب جليل وقد لقى فى طريقه بغلا يحمل حجارة وقد سدت جميع الطرق بين يدى الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان فى موضع طباخين والدخان فى وجه الوزير وعلى ثيابه وتدكاد يهلك المشاة وكدت أهلك فى جملتهم وأكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمبانى عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسالك الهواء والضوء بينها ولم أر فى جميع بلاد المغرب أسوأ منها حالا فى ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدرى وتدركنى وحشة عظيمة حتى اخرج الى بين

صيادا عجميا فجرح من فيه قطع دم وبموته من ساعته وأى موضع من الشجر سقط عليه بوله احرقه وان أصاب الانسان شئ من بوله أتلفه وكذلك سائر الحيوان وملوك الهند تتخذ فى حرائمها مرارة هذه الدابة ومداده ومواضع من أعضائه وهو السم القاتل من ساعته ومنه ما يسقى به السلاح فيتلف من فوره ومذاكير هذه الدابة كمذاكير كلب الماء الذى يخرج منه الجندبادستر وهذا الكلب أمره مشهور عند الصيادلة وغيرهم وهو اسم فارسى معرب وانما هو كند وتفسير ذلك الحصنة عرب فعل جند بادستر والدابة المتقدم ذكرها المعروفة بالرفان لانها تأوى الى موضع يكون فيه النوشان وهو الكركدن وتهرب منه كما يهرب منه الفيل أنصاوا الفيل : هرب من السنانير وهى القطاط ولا تقف لها البتة اذا أبصرها وقد ذكر عن ملوك الفرس أنها كانت تزين الفيلة بالرجالة المقاتلة حولها ومراعاة حيل الاعداء عند الحرب

٦٢ ط ل بتغلبة السنانير عليها وكذلك أفعال ملوك السند والهند الى هذه الغاية وقد ذكر أن الحمار يرعى

المصرين ومن عيوب القاهرة انها فى أرض الفيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها واذا احتاج الانسان الى فرجة فى نيلها مشى فى مسافة بعيدة بظاهرها بين المبانى التى خارج السور الى موضع يعرف بالمقس وجوها لايبرح كدرا مما تثيره الارض من التراب الاسود وقد قلت فيها حين أكثر على رفاقى من الحض على العود فيها

يقولون سافر الى القاهره * ومالى بها راحة ظاهره
زحام وضيق وكرب وما * تثيره بها أرجل سائره

وعند ما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا وجوا مغبرا فتنقبض نفسه و يفر انسه وأحسن موضع فى ظواهرها للفرجة أرض الطبالة لاسيما أرض القرط والكتان وقلت

سقى الله أرضا كلما زرت روضها * كساها وحلاها بمنظره القرط
تجللت عروسا والمياه عقودها * وفى كل قطر من جوانبها قرط

وفيها خليج لايزال يضعف بين حضرتها حتى يصير كما قال الرصافى

مازالت الاحمال تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم

وقلت فى نوار الكتان على جانبى الخليج

انظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه بأجفان لها حدق
رأته سيفا عليه للصباشطب * فقابلته باحداق بها أرق
وأصبحت فى يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فلم تزرها ووجه الارض مصطبح * أو عند صفوته ان كنت تغتبق

وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرج أصحاب المناظر على قدرهم وقدرتهم فيكون لها بذلك منظر عجيب وفى ذلك قيل

انظر الى بركة الفيل التى اكتنفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كأنما هى والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدوة فقلت

انظر الى بركة الفيل التى فخرت * لها الغزالة فخرا من مطالعها
وخل طرفك مجنونا ببهجتها * يهيم وجدا وحبا فى بدائعها

والفسطاط أكثر أرزاقا وأرخص أسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط والمراكب التى تصل بالخيرات تحط هنالك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك فى ساحل القاهرة لانه يبعد عن المدينة والقاهرة هى أكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط لانها أجل مدارس وأضخم خانات وأعظم ديار السكنى الامراء فيها لانها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فامور السلطنة كلها فيها أيسر وأكثر وبها الطراز وسائر الاشياء التى تتزين بها الرجال والنساء الا أن فى هذا الوقت لما اعتنى السلطان ببناء قلعة الجزيرة التى امام

تهرب منها الفيلة وقد كان شاعر اتخذ عاذارياسة فى قومه ومنعة بأرض السند مما يلى أرض المولتان وكان فى حصن له فالتقى مع بعض ملوك الهند وقد قدمت الهند أمامها الفيلة فبرز هرون بن موسى أمام الصف وقصد لعظيم الفيلة وقد حبا تحت ثوبه سنورا فلما دنا فى حملته من الفيل خلى القط عليه فولى الفيل منهزما لما بصر بذلك الهر وكان ذلك سبب هزيمة الجيش وقتل الملك وغلبت المسلمون عليهم ولهرون ابن موسى قصيدة يصف فيها ماذكرناه وهى

أليس عجيبا بأن تلقه
له قطن الاسد فى جرم فيل
واطرف من قشعز وله
بحلم يجل عن الخفة ليل
أليس عجيبا بأن باعها
غليظ الدراك لطيف
الحويل
وأوقص مختلف خلقه
طويل الغيوب قصير
النصيل

ويخضع لليث ليث العرين بأن ناشب الهر من رأس
ميل
وبلمى العدو بناب عظيم
وجوف رحيب وصوت
صئيل

وأشبه شئ اذا قسته * بخنزير بر وجاموس غيل * ينازعه كل ذى أربع * فما فى الانام له من عديل

ويعصف بالنسر بعد النسور * كما يعصف الريح للعندبيل وشخص يرى بده أنفه فان وصلوه فسيف صقيل

الفسطاط وصيرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وضخمت أسواقها وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قيسارية عظيمة فنقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التى يباع فيها الفراء والجوخ وما أشبه ذلك الى أن قال وهى الآن عظيمة آهلة يجبى اليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال مالا يحيط بجملته وتفسيره الا خالق الكل جل وعلا وهى مستحسنة للفقير الذى لا يخاف طلب زكاة ولا ترسيما ولا عذابا ولا يطالب برفيق له اذا مات فيقال له ترك عندك ما فربما حسن فى شانه أو ضرب وعصر والفقير المجرد فيها يستريح بجهة رخص الخبز وكثرته ووجود السماع والفرج فى ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما يذهب اليه نفسه يحكم فيها كيف شاء من رقص فى وسط السوق أو تجريد وسكر من حشيشة أو صحبة مردان وما أشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر الفقراء لا يتعرضون اليهم بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة الحرب والبحر وقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم فى القدوم عليها بين حالين ان كان المغربى غنيا طولب بالزكاة وضيق عليه وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يحين وقت الاسطول وفى القاهرة أراهر كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشان فى الديار المصرية بفضل كثير من البلاد وفى اجتماع النرجس والورد فيها أقول

من فضل النرجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اديرأس
أما ترى الورد غدا فاعدا * وقام فى خدمته النرجس

وأكثر ما فيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز أما التفاح والاجاص فقليل غال وكذلك الخوخ وفيها الورد والنرجس والنسرين والنيلوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال ولكثرة ما يعصرون العنب فى أرياف النيل لا يصل منه الا القليل ومع هذا فشرابه عندهم فى غاية الغلاء وعامتها يشربون المزر الابيض المتخذ من الحنطة حتى ان الحنطة يطلع سعرها بسبب ذلك فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه وكسر أوانيه ولا ينكر فيها اظهار أوانى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر وتعظم عمارته فيما بلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق عليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم التهكم والطرب والخلاعة حتى ان المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب وللسرج فى جانبيه بالليل منظر وكثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر فى الليل وفى ذلك أقول

لا تركبن فى خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام
فقد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طغام
صفان للعرب قد أطلا * سلاح ما بينهم كلام
يا سيدى لا تسر اليه * الا اذا هوم النيام

وأنبل كالطود هادى الخميس
بصوت شديد أمام الرعيل
فريسيل كسيل الابى
بخطم خفيف وجرم ثقيل
فان شمته زاد فى هوله
بشاعة أذنين فى رأس فيل
وقد كنت أعددت هرا له
قليل التهيب للزندبيل
فلما أحس به فى المحاج
أتانا الاله بفتح جليل
وطار وراغم فيا له
بقلب نجيب وجسم ثقيل
فسبحان خالقه وحده
اله الانام ورب الفيول

الزندبيل طائر صغير يكون بارض السند والهند ذكره الشعراء فى أشعارها تمثلا به لصغره والزندبيل هو العظيم من الفيلة والمقدم فيها وقد قيل ان الزندبيل هو اسم لما اشتد فى الحرب من انياب الفيلة وقد ذكر بعض الشعراء فى هذا المعنى الزندبيل عند ذكره للفيل فقال ذاك الذى مشفره طويل وهو من الافيال زندبيل

وقال آخر

وفيله ذو الطول زندبيل

وقد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب الحيوان هذه القصيدة وفسر بعض أبياتها وذكر فى معنى الخنشليل وتفسيره قول الانصارى فى صفة الخيل

والليل سترعلى التصابى * عليه من فضله لثام
والسرج قد بددت عليه * منهاد نانير لا ترام
وهو قد امتد والمبانى * عليه فى خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا * هناك أثمارها الاثام

قال المقرىزى وفيه تحامل كثير انتهى ومن نظر بعين الانصاف علم ان التحامل فى نسبة التحامل اليه والله تعالى الموفق * (قال ابن سعيد) ومعاملة الفسطاط والقاهرة بالدراهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلاث من الدراهم الناصرية وفى المعاملة بها شدة وخسارة فى البيع والشراء ومخاصمة بين الفريقين وكان بها قديما الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الآن متقطوعة منها وهى فى الاقليم الثالث وهواؤها ردىء لا سيما اذا هب المريسى من جهة القبلة وأبصار مدد العين فيها كثير والمعايش فيها متعذرة نزرة لا سيما أصناف الفضلاء وجوامك المدارس قليلة كدرة وأكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى فى كتابة الطلب والخراج والنصارى بها يمتازون بالزنار فى أوساطهم واليهود بعمائم صفر ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجليلة ويأكل اهل القاهرة البطارخ ولا تصنع حلاوة القمح الا بها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طباخات اصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين ولهن فى الطبخ صنائع عجيبة ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمواضع التى يصنع بها الورق المنصورى مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة انتهى المقصود من هذا الموضع من كلام ابى الحسن النور بن سعيد رحمه الله تعالى وقال رحمه الله

لم ذا تقيم بمصر * معذبا بذويها
وكيف ترجو نداهم * والسحب تنحل فيها

وقال رحمه الله تعالى

لابن الزبير مكارم أضحت بها * طير المدائح فى البلاد تغرد
ان قيدوه وبالغوا فى عصره * فالكرم يعصر والجواد يقيد

ولنذكر بعض اخبار والده فانه ممن رحل الى المشرق وتوفى باسكندرية وقد ذكر ابنه ابو الحسن فى المغرب وغيره من أخباره العجائب ولا باس بان نلم بشىء من ذلك سوى ما تقدم فنقول من اخباره أنه لما اجتاز بمالقة ومشرفها اذ ذاك ابو على بن يقى وجه اليه من نقل اسبابه الى داره وأقبل عليه منشدا

أكذا يجوز القطر لا يثنى على * ارض توالى جدبها من بعده
أللّٰه يعلم انها ما انبتت * زهرا ولا ثمرا بعدة فقده
عرج عليها ساعة يا من له * حسب يفوق العالمين بمجده
وانثر عليها من ازاهرك التى * تشفى المتيم من لواعج وجده
والله ما ذاكرت فكرك ساعة * الا واقبس خاطرى من زنده

قال موسى فارتجلت للعين

انت الذى تعرف كيف العلا * وتهتدى فى سبل المجد

قال وهذا غير فوله قد علمت جارية عطبول أنى بنصل السيف خنشيلى

والفيلة لا تسمع ولا تولد الا بارض الزنج والهند ولا تعضه أنياب بارض السند والهند على حسب ما بعضم بارض الزنج وانما تختلف من جلود الفيلة الدرق وكذلك الهند ولا يلحق ذلك فى المعنة بشىء من الدرق الصينى والتبتى والناطى والجاوى ولا ما يقع من اللين وغير ذلك من أنواع الدرق وخرطومه أنفه وبه يوصل الطعام والشراب الى جوفه وهو شىء من الغضروف واللحم والعصب وبه يقاتل ويضرب ومنه يصيح ولبس صوت الفيل على مقدار عظم جسمه وكبر خلقه وقد كان المنصور على يجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة اياها واقتنائها لها واعدادها للحروب والزينة فى الاعياد وغيرها فانها أوطأ مراكب الملوك وأسهدها وأخبرنى بعض الكتاب ممن يرجع الى أدب وعقل ومعرفة بايام الناس بمدينة السلام انه اشترى بغلة فى غاية الفراهة والحسن فكان يركبها فى مهماته وتصرفاته وكانت اذا رأت الجمال بدأت

بدأت بالفضل المنير الذي * اكمل بدر الشكر واحمد
والله ما ابصرتكم ساعة * الا بدا لي طالع السعد

وانصرفت معه الى منزله قال

فلم ازل في كرامه * ليست كظل غمامه

ولما كان ابو عمران موسى بن سعيد بالجزيرة الخضراء مقدما على اعمالها من قبل ابن هود وصله كتاب من الفقيه القاضي ابي عبد الله محمد بن عسكر قاضي مالقة مع احد الادباء منه

افاتح من قلب بعلياه واثق * وان كانت الابصار لم تنسخ الودا
وثبت عالي من دعائم شرفي * بآل سعيد وابتعيت به السعدا
وبالحب بدنو كل من اقصت النوى * برغم حجاب للنوى بيننا مدا

ياسيدي الذي حملني ما امال أسماعي من الثناء عليه ان اهجم على مفاتحته شافعا في موصلها اليه واثقا بالفرع لعلم الاصل مؤملا للزلفى نال بتحقق الفضل ان لم تقض باجتماع بيننا الايام فلا تحرى بالمشافهة بيننا الا ألسن الاقلام ويوحي بعضنا الى بعض بسود الوداد والحمد لله الذي اطلعك في ذلك الافق بدرا وادناك من هذه الدار فصرنا القرب من بردعنك لا نعدم لك ذكرا فكل يثني بالذي علمت سعد وبصف من خلالك ما يقضي ذلك المجد ولما كان احسانك يبشر به الصادر والوارد ويحرص عليه الغائب والشاهد مد أمله نحوك موصل هذه الفاتحة وليس له وسيلة ولا بضاعة الا الادب وهي عند بيتك الكريم رابحة وهو من شتت خطوب هذا الزمان شمله وابانت نوائبه صبره وفضله وما اطمع بصره الا الى أفقك ولا وجه رجاءه الا نحو طرقك والرجاء من فضلك أن يعود وقد أثنت حقائبه وأعقبت من الحمد كمائمه دمت غرة في الزمن البهيم مخصوصا بافضل التحية والتسليم انتهى * وابن عسكر المذكور عالم بالتاريخ متبحر في العلوم وله كتاب في أنساب بني سعيد أصحاب هذه النرجمة ومن شعره

أهواك يا بدر وأهوى الذي * يعذلني فيك وأهوى الرقيب
والجار والدار ومن حلها * وكل من مر بها من قريب
وكل مبد شبها منكم * وكل من يلفظ باسم الحبيب

*(رجع) قال ابنه على لما أردت النهوض من ثغر الاسكندرية الى القاهرة أول وصولي الى الاسكندرية رأى أن يكتب لي وصية أجعلها امامي في الغربة تبقى فيها اياما الى ان كتبها عنه وهي هذه وكفى بها دليلا على ما اختبر وعلم

اودعك الرحمن في غربتك * مرتقبا رحماه في اوبتك
وما اختياري كان طوع النوى * لكنني أجرى على بغيتك
فلا تطل حبل النوى انني * والله أشتاق الى طلعتك
من كان مفتونا بأبنائه * فانني امعنت في خبرتك
فاختصر التوديع اخذا بما * لي ناظر يقوى على فرقتك

وكان يلقى منها جهدا جهيدا فيصبر على ذلك المكروه لما هي عليه من الفراهة والحسن وأنه لا يحمله غيرها لعظم جسمه وكبر بطنه وسمنه فلما كان في بعض الايام اجتازت بباب الطاق وذلك في أيام المقتدر وقد أخرج الفيلة للرياضة والتمهيد ليحمل عليها الليث بن علي الصفار وأصحابه وقد كان مؤنس المظفر الخادم أسره بلاد فارس حين خرج على السلطان قال فأشرف على قطار من الجمال البخت منهزمة حائفة من الفيل تحمز في مشيتها لا سبيل لمن عليها أن يحبسها لما قد لحقها من الجزع فلما رأت البغلة ذلك شبت وولت على عقبها ورمت بي الارض فوقعت كجلد ثور منفوخ ودخلت الجمال الى درب لا ينفذ وقد كانت البغلة حين رمتني ونفرت من الجمال دخلت ذلك الدرب وجاءت الفيلة على اثرها فلما نظرت البغلة الى الفيلة وعظم خلقتها لحقت بالجمال ودخلت بينها كأنها لم تزل معها وذلت كذلك الجمال اذ رأتني جماعة من الناس فرفعوني ودخل الغلام فاخرج البغلة وما استطاع اخراجها حتى مضت الفيلة وأخرجت من وسط تلك الجمال فوالله ما نفرت بعد ذلك

واجعل وصالى نصب عين ولا * تبرح مدى الايام من فكرتك
خلاصة العمر التى حنكت * فى ساعة وقت الى فطنتك
فللتجارب امور اذا * طالعتها تشحذ من غفلتك
لاتنم عن وعيها ساعة * فانها عون الى يقظتك
وكل ما كابدته فى النوى * اياك أن يكسر من همتك
وليس يدرى اصل ذى غربة * وانما نعرف من شيمتك
وكل ما يقضى لعذر فلا * تجعله فى الغربة من اربتك
ولا تجالس من فشا جهله * واقصد لمن يرغب فى صحبتك
ولا تجادل ابدا حاسدا * فانه ادعى الى هيبتك
وامش الهوينى مظهرا عفة * وابع رصا الاعين عن هيئتك
أفش التحيات الى اهلها * وبه الناس على رتبتك
وانطق بحيث العى مستقبح * واصمت بحيث الخير فى سكتتك
ولا ترل مجتمعا طالبا * من دهرك الفرصة فى وثبتك
وكلما ابصرتها امكنت * ثب واثقا بالله فى مكنتك
وبح على رزقك من بابه * واقصد له ما عشت فى بكرتك
وأيس من الود لدى حاسد * ضد ونافسه على خطتك
ووفر الجهد على قصده * فضدك لا تغلبه فى بغضتك
ووف كلا حقه ولتكن * كسر عند الفخر من حدتك
ولا تكن تحقر ذا رتبة * فانه انفع فى غربتك
وحيثما حمت فاقصد الى * صحبة من ترجوه فى نصرتك
وللمروات وثبة عالها * الا الذى يدخر من عدتك
ولا تقل أسلم لى وحدتى * فقد تقاسى الذل فى وحدتك
والدهر الاحوال وزاولا * ترجع الى ما قام فى شهوتك
ولتجعل العقل محكا وخذ * كلا بما يظهر فى نقدتك
واعتبر الناس بالفاظهم * واصحب اخا رغب فى صحبتك
بعد اختبار منك يقضى بما * يحسن فى الآخذ من خلطتك
كم من صديق مظهر نصحه * وفكره وقف على عثرتك
اياك ان تغتر به انه * عون مع الدهر على كربتك
وانتفع اذا ما لم تجد مطمعا * واطمع اذا أنعشت من عسرتك
وانم عوالى النبت قد زاره * غيث الندى واسم الى قدرتك
وان با دهر فوطن له * جأشك وانظره الى مدتك
وكل ذى امرة دولة * فوف ما وافاك فى دولتك
ولا تضيع زمنا ممكنا * تذكاره بذكى لظى حسرتك

... ذى لسان ما ... ساله الى
... الجمل ... صريحه الى صريح
الاالفيل دون صرف اسانه
الى ... خس وأصله الى
حارح و ... ر ... انه ولا
ان لسانه ... مقلوب تمنس
... الكلام ... كلم والهمد
... ب الفيل و ... عضه على
... ائر الحيوان لما اجتمع
... ه من الحصان الشهوة
... من عتو سمكه وعظم
... صوره وسعة منخره
... الحصان صهوته وطول
... خطوه وسعة أدبه وكبر
... مواله مع حمقه وطيشه
... وطول عمره وثقل جسمه
... وعدم كبره بما وضع
... الله سبحانه في كبر هذا
... الجسم وعظمه هذه الصورة
... بر بالانسان فلا تحس
... بوطئه ولا شعر به لحس
... طوتموا قامته ...
... وقد وصف عمرو بن بحر
... الجاحظ الفيل في كتاب
... الحيوان ... رق في وصفه
... وأكثر في ... وقد
... معاني كثيرة في صفة
... الفيل وهيئته وما هو عليه
... من عجيب التركيب
... وغريب التأليف والمعاني
... الحسنة والاحساسات
... اللطيفة وفي قبولها التأديب
... وتحمل ... وسرعتها الى
... التلقين والتفهم وساق
... أبدانها من الاعضاء الرحمة والاجراء الشريفة وكم مقدار منافعها ومبلغ مضارها وبكم فضيلة تلك والشر

والشر مهما استطعت لاتأته * فانه حوز على مهجتك

يابنى الذى لاناصح له مثلى ولامنصوح لى مثله قد قدمت لك فى هذا النظم ما ان اخطرته بخاطرك فى كل أوان رجوت لك حسن العاقبة ان شاء الله تعالى وان احفظ منه للحفظ واعلق بالذكر وأحق بالتقدم قول الاول

بزين الغريب اذا ما اغترب * ثلاث فهن حسن الادب

وثانيه حسن اخلاقه * وثالثة اجتناب الريب

واذا اعتبرت هذه الثلاثة وجدتها مجتمعة فى الغربة وأنها جامعة نافعة لا لمحتك ان شاء الله تعالى مع اسعد الحادثات ولا يعارقك برولا كرم لله در القائل

مدرفع القوم من كان عاقلا * وان لم يكن فى قومه بحسب

اذا حل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل فى بلدة بغريب

وما صدر العاقل حيث قال

واصبر على خلق من تعاشره * وداره فالاريب من دارا

واتخذ الناس كلهم سكنا * ومثل الارض كلها دارا

واصغ يابنى الى البيت الذى هو بغية الدهر وسلم الكرم والصبر

ولو أن أوطان الديار نبت بكم * لسكنتم الاخلاق والآدابا

احسن الخلق أكرم نزيل والادب أرحب منزل ولتكن كما قال بعضهم فى أديب متغرب وكان كلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد واليه قصد عم مسرب بدهره ولا منكر شيأ من أمره واذا دعاك فابك الى صحبة من أخذ بجوامع هواه فاجعل التكلف له سلما وهب فى روض أخلاقه هبوب النسيم وحل بطرفه حلول الوسن وانزل بقلبه نزول المسرة حتى يتمكن لك وداده ويخلص فيك اعتقاده وطهر من الوقوع فيه لسانك وأغلق سمعك ولا ترخص فى جانبه لحسود لك منه يريد ابعادك عنه لمنفعته أو حسود له يغار تجمله بمحبتك ومع هذا فلا تغتر بطول صحبته ولا تتمهد بدوام رفدته فقد ينبهه الزمان ويغير منه القلب واللسان ولذا قيل اذا أحببت فاحبب هونا ما فى الممكن أن يقلب الصديق عدوا والعدو صديقا وانما العاقل من جعل عقله معيارا وكان كالمرآة يلقى كل وجه بمثاله وجعل نصب ناظره قول أبى الطيب

ولما صار ود الناس خبا * جزيت على ابتسام بابتسام

وفى أمثال العامة من سبقك بيوم فقد سبقك بعقل فاحتذ بامثلة من جرب واستمع الى ما خلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الاقوال فانها خلاصة عمرهم وزبدة تجاربهم ولا تتكل على عقلك فان النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم وابتاعوه غاليا بتجاربهم يربحك ويقع عليك رخيصا وان رأيت من له مروءة وعقل وتجربة فاستفد منه ولا تضيع قوله ولا فعله فان فيما تلقاه تلقيحا لعقلك وحثا لك واهتداء وايالك أن تعمل بهذا البيت فى كل موضع * والحر يخدع بالكلام الطيب * فقد قال احدهم ما قيل أضر من هذا البيت على اهل الدغل وليس كل ما تسمع من اقوال الشعراء يحسن بك ان تتبعه حتى تتدبره فان كان

والله لامانى اليراع الذى
حلاها العيون خلقه وفرق بينها
وبين حمول عاداتها وتبدها
عليهم وحصها المبين بكثير
لهم ونر يدبهم اخوحسن
المحمد ونشكرهم نعم
النعمة ونذكر الله فى
الكتاب الناطق والحكم
الصادق وفى الآثار
المعروفة والامثال السائرة
فى الدار ين انه سميع قريب
قالت الشعراء فيه وطفقوا
يه الصحاح ومدحه العلماء
وكتب منه الحكماء
وحلاها عند الملوك وموضع
نعمها عند الحروب وسيلتها
فى العسر وجلائها فى
الصدور وفى طول أعمارها
وقوة أبدانها وفى اعمارها
وسمعها واحقادها وشدة
اكمرانها وطلبها بضوائنها
وارتعاشها عن مكان
السقاط واقتناء السلاح
والادراع وعن ارتخاصها
فى الثمن وارتباطها على
الخسف وابتذالها وازالتها
عن امتناع طباعها ومنع
عزائزها ان تصلح أبدانها
وتنبت أنيابها وتعظم
جوارحها وتشتد وتتلاقح
الابل معادنها وبسلادها
ومغارس اعراقها مع
التماس الملوك دلائل
وطبع القوم عليها بالفطرة
بذلك منها حتى أجمع من
الخيل وأخرجت عن حد الطمع وعن الاختبار عن حملها وضعها وواضع أعضائها والذى

الاول من صورته وشما يتمازعه من شبه الحيوان وما يخالف فيه جميع الحيوان وعن الدود في شدة قلبه وأسره وفي حذقه على ما هو أعظم بدنا وأشد قلبا وأحد ظفرا وأدرب لسانا وأظهر به مما هو أصغر جسما وأكل حدا وأضعف أسرا وأجل ذكرا وعن الاحبار عن خصاله المذمومة وأموره المحمودة وعن القول في لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه وعظمه وبوله ونحوه وعن لسانه وفمه مع غير ذلك من المرافق العديدة الكثيرة التي تخص ابرادها فلما انتهى الى موضع بطنها وايراد وضعها وما أسلفه من القول في هذه المعاني التي قدمها أورد جوامع متفرقة ولمعا غير متسقة في الفيلة وغيرها وأعرض عن ايراد خواص أعضائها وأكثر منافعها وعجيب خصالها وذكر من أسرار الطبيعة وما فاتته فلاسفة الهند في بدنها وما أثرته عن تقدم من حكمائها في تداولها وعلة تكونها في أرض الرنج والسند دون سائر البقاع من الارض والسبب المانع لتكونها في غيرها والتضاد الذي بينها وبين الدر تدن مع عظم جثتها وقرارها من السنور مع صغر حجم جسمه ولطافة وقول

موافقا لعقلك مصلحا لحالك فراع ذلك عندك والا فانبذه بنذ النواة فليس لكل أحد يتبسم ولا كل شخص يكلم ولا الجود مما يعم به ولا حسن الظن وطيب النفس مما يعامل به كل احد ولله در القائل

ومالي لا أوفي البرية قسطها * على قدر ما يعطى وعقلي ميزان

واياك ان تعطي من نفسك الا بقدر فلا تعامل الدون بمعاملة الكفء ولا الكفء بمعاملة الاعلى ولا تضيع عمرك فيمن يعاملك بالمطامع ويشبك على مصلحة حاضرة عاجلة بغائبة آجلة واسمع قول الاول * وبع آجلا منك بالعاجل * وأقلل من زيارة الناس ما استطعت ولا تجعلهم بالجملة ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه ملل ولا ضجر ولا جفاء ولا نقل ايضا أبعد في كسر بهجتي ولا ارى احدا واستر بجمع الناس فان ذلك كسل داع الى الذل والمهانة واذا علم عدوك او صديق منك ذلك عاملك بحسبه فاز درك الصديق وجسر عليك العدو واياك ان يعرك صاحب واحد عن ان تذخر غيره للزمان وتطيعه في عداوة سواه ففي الممكن أن يتغير عليك فتطلب اعانته عليه او استغناءه عنه فلا تجد ذخيرة قدمتها وكان هو في أوسع حال واعلى راى بما دبره بحيلته في انقطاعك عن غيره فلو اتفق لك ان تحب من كل صناعة وكل رياسة من يكون لك عدة لكان ذلك اولى واصوب وسلني فاني خبير طال والله ما صحبت الشخص اكثر عمري لا اعتمد على سواه ولا اعتد الا اياه منخدعا بسرابه موثوقا في حبائل خصابه الى ان لا يحصل لي منه غير العض على البنان وقول لو كان ولو كان ولا يحملك ايضا هذا القول ان تظنه في كل احد ونجعل المكافأة وليكن حسن الظن بمقدار ما واصبر بمقدار ما والفضل لا تخفى عليه مخايل الاحوال وفي الوجوه دلالات وعلامات واصغ الى القائل

ليس ذا وجه من يضيف ولا يقـ ـرى ولا يدفع الاذى عن حريم

فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه فرل وجهك عنه قبلة نرضاها ولتحرص جهدك على أن لا تحب أو تخدم الارب حشمة ونعمة ومن نشأ في رفاهية ومروءة فانك تنام معه في مهاد العافية وان الجياد على أعراقها تجرى وأهل الاحساب والمروآت يتركون منافعهم متى كانت عليهم فيها وصمة وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان أشرب مصعب الخمر فقال عبد الملك وهو عدو له محارب له على الملك لو علم مصعب ان الماء يفسد مروءته ما شربه * والفضل ما شهدت به الاعداء * يا بني وقد علمت ان الدنيا دار مفارقة وتغير وقد قيل اصحب من شئت فانك مفارقه متى فارقت احدا فعلى حسني في القول والفعل فانك لا تدري هل انت راجع اليه فلذلك قال الاول * ولما مضى سلم بكيت على سلم * واياك والبيت الساتر

وكنت اذا حللت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

واحرص على ما جمع قول القائل ثلاثة تبقى لك الود في صدر اخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب الاسماء اليه واحذر كل ما بينه لك القائل كل ما تغرسه تجنيه الا ابن آدم فانك اذا غرست له يقلعك وقول الآخر ابن آدم يتمسكن حتى يتمكن

وقول الآخر ابن آدم دئب مع الضعف اسدمع القوه واياك ان تثبت على صحبة احد قبل أن تطيل اختباره فيحكى ان ابن المقفع خطب من الخليل صحبته فحاوبه ان الصحبة رق ولاضع رقى فى يدك حتى اعرف كيف ملكتك واستمل من عين من تعاشره وتفقد فى فلتات الانفس وصفحات الاوجه ولاتحملك الحياء على السكوت عما تبصرك ان لاتبينه فان الكلام سلاح السلم والانين يعرف الم الجرح واجعل لكل امر اخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك وآكد ما اوصيك به ان تطرح الانكار وتسلم للاقدار واقسل من الدهر ما آتاك بمن ترعينا بعيشه فعهد الانكار محلب الهموم وتضاعف العموم وملازمه العيوب عنوان المصائب والحطوب تستريب به الصاحب ويشمت العدو الحاسب ولاتصبر بالوساوس الانفسك لايك يصربها الدهر عليك ولله در القائل

اذا ما كنت للاحزان عونا * عليك مع الزمان من تلوم

مع انه لايرد عليك الفائت الحزن ولايرعوى بطول عتبك الزمن ولقد شاهدت بعرباطة شخصا قد الفته الهموم وعشقته العموم من صغره الى كبره لاتراه ابدا خليا من فكره حتى لقب بصدر الهم ومن العجب ماراينه منه انه يتسكد فى الشدة ولايتعلل بان يكون بعدها فرج ويتسدد فى الرخاء خوفا من أن لايدوم ويشد توقع زوالا اذا قيل تم ويشد وعند الساهى يقصر المتطاول وله من الحكايات فى هذا الشان عجائب ومثل هذا عمره محسور بمرضياعا ومتى رفعك الزمان الى قوم يذمون من العلم ماتحسنه حسدالك وقصدا لتصغير قدرك عندك وترهيدا لك فيه فلايحملك ذلك على ان ترهد فى علمك وتركن الى العلم الذى مدحوه فتكون مثل الغراب الذى أعجبه مشى الحجله فرام ان تتعلمه فصعب عليه ثم أراد أن يرجع الى مشيه فنسيه فبقى يخبل المشى كما قيل

حسد القطا وأراد يمشى مشيها * فأصابه ضرب من العسال

فأضل مشيته وأخطأ مشيها * فلذاك سموه أبا مرقال

ولايفسد خاطرك من جعل يذم الزمان وأهله ويقول مابقى فى الدنيا كريم ولافاضل ولا مكان يرتاح فيه فان الدين تراهم على هذه الصفة أكثر مايكونون ممن صحبه الحرمان واستخفت طلعته للهوان وأرموا على الناس بالسؤال فقنطوهم وعجزوا عن طلب الامور من وجوهها فاستراحوا الى الوقوع فى الناس واقامة الاعذار لانفسهم مع أسبابهم وتعذير أمورهم ولانزل هذين البيتين من فكرك

لئن اذا ما نلت عزا * فاحر العزيزين

فاذا نابك دهر * فكما كنت تكون

وقول الآخر

تهوار تفع ان قيل أقتر واخفض ان قيل اثرى

كالعص يعمل ما اكتسى * ثمرا ويعلو ما تعرى

ولاقول الآخر

الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

احواله والدهاء والخبث والتمير وقد ذكر صاحب المنصوفى كتاب الحيوان جملا كثيرة من خصال الفيل ومنافع أعضائه وسلك طريقه مالم يسلكها من تقدم من حكماء الهند من أن العالم عنده من الاجسام على جهات ثلاث متفق ومختلف ومضاد وان ذلك فى الجملة هو حماد وتام واحراجهم عن العالم الافلاك والنجوم والبروج وغير ذلك من الاجسام السماوية وليست بحماد ولا تام وانها أجساما طاقة

(قال المسعودى) ولنرجع الآن الى ماكنا فيه آنفا فى صدر هذا الباب من ذكر الزنج وبلادهم وغيرهم من أنواع الاحابش فالزنج مع كثرة اصطيادها لما ذكرنا من الفيله وجمعها لعاجها غير منتفعة بشئ من ذلك فى آلاتها واما تعلى الزنج بالحديد بدلا عن الذهب والفضة وما ذكرنا من دوابهم انها بغر وأنهم عليها يتقاتلون بدلا من الابل والخيل وهى بقر تجرى كالخيل بسروج ولجم ورأيت بالرى نوعا من هذا البقر يجول كما تجول الخيل ويثور بحمله كما تثور الابل

اذا استقلت باحمالها وهذا النوع من البقر يحمل عليه الميتة من الحيوان كالخيل والابل والخمير

واعتمدى الناس ساقات القائل

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

وقريب منه قول القائل

بقدر الصعود يكون الهبوط * فيا بالك والرتب العاليه

وكن فى مكان اذا ما سقطت * تقوم ورجلاك فى عافيه

ويحضرنى بما نصه قول الآخر

ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل

ولله در القائل

ما كل ما فوق البسيطة كافيا * فاذا قنعت فكل شئ كافى

والامثال ضربها الذى اللب أكيم ودو البصيرة يمشى على الصراط المستقيم والفطن يقنع بالقليل ويستدل باليسير والله سبحانه خليفتى عليك لا رب سواه * تجزت الوصية ويكفيك عنوانا على طبقته فى النثر قوله رسالة كتب بها الى ملك المغرب أبى محمد عبد الواحد ابن أبى يعقوب بن عبد المؤمن مهنئا له بالخلافة حين بويع بها بمراكش وكان اذذاك باشبيلية وكان قبل ذلك كاتبا له ومختصا به الحضرة العلية السامية السنية الطاهرة القدسية حضرة الامامة وجنة دار الاقامة مد الله على الاسلام ظلالها وأنمى فى سماء السعادة عمامها وكمالها وهنأ المؤمنين باستقبال امارتها وأدام لهم بركة خلافتها عبد آبادتها وخديم نادتها المتوسل بقديم الخدمة المتوصل بعميم النعمة وكريم الحرمة المشيد لسان المسرة حين أطلع الزمان هذه الغرة

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

موسى بن محمد بن سعيد بن محمد لا زال هذا الامر العلى محمودا سعيدا ولا برح يستزيد ترقيا وصعودا

يا عصمة الله زيدى * ان كان فيك مزيدى

سلام الله الكريم يخص حضرة الاجلال والتعظيم والتقديس والتفخيم ورحمته وبركاته وبعد حمد الله الذى بلغ الاسلام بهذه الخلافة آماله وحلى بهذه الولاية السعيدة أحواله والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الكريم الذى أدحض الله تعالى به الكفر وضلاله وعلى آله وصحبه الطاهرين الذين سمعوا أقواله وامتثلوا افعاله والرضا عن الامام المهدى المعلوم الذى أفاء الله به على الدين الحنيفى ظلاله وأذهب عنه طواغيته وضلاله والدعاء للمقام العالى الكريم بالسعد المتوالى والنصر الجسيم وكتب العبد وحد ملائن هذه البشرى المسرة أفقه ووسعت عليه هذه المرتبة العلية طرقه

فهذه رتبة ما زلت أرقبها * فاليوم أبسط آمالى واحتكم

ولا افتخ منى ان اقتصرت على السماء دارا والهلال للبشير سوارا والنجوم عقدا والصباح بندا حتى اسر كل احد بشكله واقابل كل شخص بمثله

والعروس لا كها نوع من أوقزو بن شئ عماد كرنا من البهائم وراء الواحد منهم مع ثوره فاناخه رحل عليه تلك الجيفة وسار بها الى قريته فاكلهم منها وبياعهم من عظامها ومجعوب من شعرها عندهم وبه تلك البهائم فاكثر اتلافهم واكل بعضهم من لحوم اللحمان رطب ويابس وهذا النوع من البقر العاب عليه حمره تحذف وسائر البقر تنفر وهرب من هذا البقر ورأيت باصبهان ونم منها فى انوفها حلق الحديد واصفر قد حرم فيها الحمل وحصت بها كما يفعل بالجمال البخت وكذلك بالرى رأيت ثورا منها قد عد الحوز من غير هذا النوع لما رآه قصده فقام فزعا من هذا الجنس وليس فى سائر أنواع البقر ما وى الماء والجزائر والنجيرات الا البقر المعروف بالحبشية التى يكون ببلاد مصر واعمالها وبحيرة تنيس ودمياط وما اتصل بتلك الديار واما الجواميس فانها بالشعر الشامى فى بحر اكبر ما يكون من الجمل فى انوفها حلق الحديد والصفر على ما ذكرنا من البقر وكذلك منها ببلاد انطاكية وا كثر من ذلك ببلاد السند والهند وطبرستان وقرون تلك البقر اكبر من قرون هذه ومن

ومن خدم الاقوام يرجو نوالهم * فاني لم اخدمك الا لأحمدا

وما بعد الخلافة رتبة ودون ثبير تحط كل هضبة فالحمد لله رب العالمين وهنيأ لعباده المؤمنين حيث نظرهم نظر رحمة فاقبل عليهم سر هذه النعمة

ولقد علمت بان ذلك معهم * ما كان يتركه بغير سوار

والله اعلم حيث يجعل رسالاته والى من يشير بآياته فلله صباح ذلك اليوم السعيد وليلته لقد سفر عن وجه من البشرى اضاءت الآفاق شرقا وغربا غرته ولقد اجتمعت آراء السداد حتى أتت الاسلام بالمراد فاحذ القوس باريها وحل بالدار بانيها هنيأ زادك الرحمن اصطفاء وخيرا ولا برحت المعالي بسرادقك سرا وجهرا وهل سلك الدور الا مثل وهل يليق بالحسن الا الحلال فالآن مهد الله البرين واقاص العدل على العدوين وقدم للنظر من لا يعزب عن حفظه مكان ولا يحتبس بحفظه انسان دون انسان خليفة له النفس العمرية والآراء العمرية والفراسة الاياسية ولا تنبئك مثل خبير فلقد شاهد العبد ما لا يحصره تفسير ولعمري لقد صار الصباح في اشراق النهار ولم يحف عنا ما زاد الدنيا من البهجات والمسار وشملت الناس هذه البشائر وعمت كل بادو حاضر وأصاخوا لتاليها اصاخة المجدبين لمرادهم وأهطعوا لها مهللين ومكبرين اهطاع الناس لاعيادهم وأما العبد فقد أخذ حظه حتى خاف أن يغلب السرور على قلبه وحظه (ومن فرح النفس ما يقتل) وهذه نعمة يقصر عنها النثر والنظم ويحسد عليها الهلال والنجم بل سلمان لما استحقته من المراتب ويخضعان اليها خضوع المفترض الواجب أقر الله بها عيون المسلمين وأفاض سجها على الناس أجمعين وحفظها بعينه التي لا تنام ووقف على خدمتها الليالي والايام * ولما قدم من الاندلس على توسر سدح سلطانها أبا زكريا بقوله

بشرى ويسرى قد أنار المظلم * نجما وقد وضح الصباح المعلم
ورنت عيون الاس وهي قريرة * وبدت ثغور السعد وهي تبسم
فارحل لتونس واعتقد أعلام من * قوى الضعيف به وأثرى المعدم
حيث المعالي والمعالي والندى * والفضل والقوم الذين هم هم
أجروا الى العلياء مل عنانهم * سبقا وبذهم الجواد المنعم
ساد الامام الملك يحيى سادة * أعطى الورى لهم القياد وسلموا
ان الامارة مذ غدا اقتادها * يقظى وأجفان الحوادث نوم
لله منك مبارك دوفطنة * برعت فاحجم عندها من يقدم
يقظان لاوان ولا متقاعس * كالدهر يبني ما يشاء ويهدم
ان صال فالليث الهصور المقدم * أو سال فالغيث المثجم
أعلى منار الحق حين أماله * قوم تبرأت المنابر منهم
أعلى الاله مكانه وزمانه * والنصر يقدم والسعادة تحدم

*(وقال يخاطب ملك المغرب مامون بني عبد المؤمن حين أخذ البيعة لنفسه باشبيلية وكان

بأرض العراق على صفوف الكوفة والبصرة والبطائح وما اتصل بهذه الديار والناس يذكرون عنقاء مغرب ويصورون العنقاء في الحمامات وغيرها ولم أجد أحدا في هذه المسالك ممن شاهدته أوفى الى خبره وذكره رآها ولست أدري كيف ذلك ولعله اسم لا مسمى له ولنرجع الآن الى أخبار الزنج وأخبار ملوكها فاما تفسير اسم ملك الزنج الذي هو وقليمن فمعنى ذلك ابن الرب الكبير لانه اختاره لملكهم والعدل فيهم فمتى جار الملك عليهم في حكمه وحاد عن الحق قتلوه وحرموا عنبه الملك ويزعمون انه اذا فعل ذلك فحقيق ان يكون ابن الرب الذي هو ملك السموات والارض ويسمون الخالق عز وجل بكلمجلو وتفسيره الرب الكبير والزنج ألوف صياحة في ألسنتهم ووجوههم حمراء بلغتهم يقف الرجل منهم الراهد فيخطب على الخلق الكثير منهم ويرغبهم في القرب من بارئهم ويبعثهم على طاعته ويرهبهم من عقابه وصولته ويذكرهم من مضى من ملوكهم

وأسلافهم وليس لهم شريعة يرجعون اليها في رسوم ملوكهم وأنواع من السياسات يسوسون بها رعاياهم وأكلهم الارز وهو

الارض كالكمأة والراسن ومنه ماهو كثير ببلاد عدن وما اتصل بها من أرض اليمن ويشبه هذا الكلارى التلفاس الذى يكون بالشام ومصر ومن غذائهم أيضا نعسل والنحم ومن هوى منهم شيأ من نبات أو حيوان اوجماد يجده وحرائرهم فى البحر لاتحصى كثرة وفيها النارجيل يعم أكله سائر الزنج ومن بعض تلك الجزائر جزيرة بينها وبين ساحل الزنج نحو من يوم أو يومين فيها خلائق من المسلمين يقال لهم قنبلو ويتوارثها المسلمون على حسب ماذكرنا من أمرها فى هذا الكتاب وأما النوبة فافترقت فرقتين فرقة فى شرق النيل وغربه وأناخت على شاطئه فاتصلت ديارها بديار القبط من أرض مصر والصعيد من بلاد اسوان وغيرها واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا بتريب من أعاليه وبنواد ار مملكة وهى مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفريق الآخر من النوبة يقال لهم علوه وبنوا مدينة عظيمة وسموها سرة به (قال المسعودى) وانتهيت فى تصنيفى الى هذا الموضع من كتابنا هذا فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يانائيا

المذكور بمراكش ولبنى سعيد بهذا الملك اختصاص قديم)

الحزم والعزم موجودان والنظر * واليمن والسعد مضمونان والظفر
والنور فاض على أرجاء أندلس * والزور ليس له عين ولا أثر
حث الركاب الى هذا الجناب فقد * ضلوا فما تنفع الآيات والنذر
واعزم كما عزم المأمون اذ نشرت * أرض العراق فزال البؤس والضرر

* (ولما قدم العادل القائم بمرسية المتولى على مملكة البرين الى اشبيلية كان فى جملة من خرج للقائه ورفع له قصيدة منها)

لتلقه للبر والشكر مجمع * الى يومه كنا نخب ونوضع
لقد يسر الرحمن صعب مرامه * فابصرت أضعاف الذى كنت أسمع

وله

يامنعما قد جاء فى بره * من غير ان أجرى له ذكرا
ان أحب الخير ما جاءنى * عفوا ولم أعمل به فكرا

وله فى غلام واعظ وهو من حسناته

وشادن ظل للوعظ تاليا بين جمع
متعت طرفى بمرآ * ه فى خفارة سمعى

وله من أبيات

ومن عجب أن الليالى تغيرت * ولكنها ماغيرت منى العهدا

ومن الفضلاء الذين أدركهم وأخذ عنهم الحافظ أبو بكر بن الجد وأبو بكر بن زهر وغيرهما وحضر حصار طليطلة مع منصور بن عبد المؤمن وكتب لملك البرين أبى محمد عبد الواحد وكتب أيضا عن مامون بنى عبد المؤمن وكتب أخيرا عن ملك بجاية والغرب الاوسط الامير ابى يحيى ابن ملك افريقية رحم الله تعالى الجميع * (رجع الى أبى الحسن بن سعيد) قال رحمه الله تعالى حضرت ليلة أنس مع كاتب ملك افريقية أبى العباس أحمد الغسانى فاحتاجت الشمعة أن نقط فتناول قطها غلام بنانه فقلت

ورحص البنان تصدى لأن * يقط السراج بمثل العنم

فقال

ولم يهب النار فى لمسه * ولا احتاج فى قطه للعلم

فقلت

وماذاك الا لسكناه فى * فؤادى على ماحوى من ضرم

فقال

تعود حر لهيب به * فليس به من أوار ألم

وأنشدنى المغرب للغسانى المذكور فى خسوف القمر مما قاله ارتجالا

كأن البدر لما أن علاه * خسوف لم يكن يعتاد غيره
يعجل غادة قلبته لما * أراها شبهها حسدا وغيره

وخاطبه المذكور برسالة يقول فى آخرها وعند حامل هذه الاحرف سلمه الله تعالى كنه خبرى واستيعاب ماقصر عنه قلمى فضاقت بحمله أسطرى لتعلم ما أجده وأفقده من تشوق وتصبرى وانى لا أزال أنشد حيث تذكرى وتفكرى

فاخبرت أن الملك فى مدينة دنقلة الى النوبة ليرفى بن سدرو هو ملك ابن ملك ابن ملك فصاعدا وملكه يحتوى على أم

يا مائيا قد نأى عنى بمصطبرى * وثاويا بسواد القلب والبصر
اذا تناسيت عهدا من أخى ثقة * فاذكر عهودى بها خليك من فكرى
وارددعلىّ تحيانى بها نسها * تردد الروح فى حيا الى آخر العمر

ولنمسك العنان عن الجرى فى ميدان اخبار ابن سعيد فانها لا يشق غبارها ومنها قوله رحمه الله تعالى سمعت كثيرا من السماع المشرقى فلم يهزنى مثل قول الشرف الشمسى المكى

مثلى بالدمع غرقى * وفؤاد طار خفقا
وتحسن وتئن * شق جيب الصبر شقا
يا لقاك خبرونى * عن حديث اليوم حقا
أكذا كل محب * فارق الاحباب شقى
لا وعيش قد تقضى * ونعيم قد تبقى
ونعم فى داركم * قد صفا دهرا وراقا
ونسيم من حماكم * حمل الوجد فرقا
برسالات صبابا * تعلى المشتاق تلقى
وغصون ناعمات * بمياه الدن تسقى
ووجوه تقتنى حسنا * ملأن الارض عشقا
لو رضيم فى عبدا * ما رضيت الدهر عتقا

وقال ما سمعت ولا وقفت على شئ أبدع من قول الجزار وقد تردد الى جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية فلم يقدر له الاجتماع به

أسأل الله أن يديم لك العز ويبقيك ما أردت البقاء
كل يوم أرجو النعيم بلقيا * ك فألقى بالبعد عنك شقاء
علم الدهر أننى أشتكيه * لك اذ تلتقى فعاق اللقاء

فبعث له بما أصلح حاله من الاحسان وكتب فى حقه الى ولاة الصعيد كتبا أغنته مدة عن شكوى الزمان انتهى. وقال أيضا ولم أسمع فى وضع الشئ موضعه أحسن من قول المتنبى

وأصبح شعرى منهما فى مكانه * وفى عنق الحسناء يستحسن العقد

ولم اسمع فى وضع الشئ غير موضعه أحسن من قول أبى الفرج

مر مدحى ضائعا فى لؤمه * كسماع السيف فى كف الجبان

ومن تأليف النور بن سعيد كتاب عدة المستوفز وعقلة المستوفز وذكر فيه انه ارتحل من تونس الى المشرق رحلته الثانية سنة ٦٦٦ وأورد فى هذا الكتاب غرائب وبدائع وذكر فيه أنه لما دخل الاسكندرية لم يكن عنده آكد من السؤال عن الملك الناصر فاخبر بحاله وما جرى له مع التطر حتى قتلوه بعد الامان ثم ساق فيه دخول هولاكو حلب فقال بعد كلام كثير وارتكب فى أهل حلب التطر والمرتدون ونصارى الارمن ما تصم عنه الاسماع وكان فيمن قتل بتلك الكائنة البدر بن العديم الذى صدر عنه من الطبقة العالية فى الشعر مثل قوله واها لعقرب صدغه * لو لم تكن للماء تحمى

وملكه يحتوى على أم

ريبة وعلوه والبلد المتصل مملكته بارض اسوان يعرف بعريس واليه تضاف الرماح المريسية ومحل هذا الملك متصل باعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة أسوان وأما البجه فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملكا وفى أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرذ وتتصل سراياهم ومناسرهم على النجب الى بلاد النوبة فيغيرون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجه الى أن قوى الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقى وعيذاب وسكن فى تلك الديار حلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا فى البجه فقويت البجه عن صاهرهم من ربيعة وقويت ربيعة بالبجه على من ناوأهما وجاورهما من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار عن سكن تلك الديار وصاحب المعدن فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بشر بن مروان بن اسحق وهو من ربيعة يركب فى ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافهم من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجه

ولعقل خط عذاره * لوبت أعجمه بلثمى

وابن عمه الافتخار بن العديم الذى وقع له مثل قوله

والعص فيه الماء مطرد * والماء فيه العص منعكس

ثم قال لما ذكر أحوال الناصر بعد استيلاء الطغرى على بلاده حلب والشام وما يليهما ما نصه قال من دخل على الملك الناصر وقد نزل بميدان دمشق قبلت يده وجعلت أدعو له وأظهر عزيته على ما جرى من تلك المصائب العظيمة فأضرب عن ذلك وقال لى فيم تتغزل اليوم ثم أنشدنى وله فى مملوك فقده فى هذه الكائنة

والله ما أبكى لملك مضى * ولا لحال زال أو مسهم

وانما أبكى وقد حن لى * لفقد من كنت به فى نعيم

يطلع بدرا ينثنى بانه * بمرهفات منه كالنسيم

فى ناظرى أبصره خاطرا * فألتوى مثل التواء السقيم

ياعاذلى دعنى وما حل بى * فما سوى الله بحالى عليم

ان مت من حزن له أسترح * وان أعش عشت بهم عظيم

قال ثم انه سار نحو هولاكو فلما مر بحلب ونظر الى معاهده على غير ما يعهد قال

مررت بجرعاء الحمى فتلفتت * لحاظى الى الدار التى رحلوا عنها

ولو كان عندى ألف عين وقفت فى * معالمها عمرى لما شبعت منها

وصنع فى نعيها أشعارا يغنى بها المسمعون ثم رحل الى صحراء بوشن فى جهة طريق أرمينية فوجد هولاكو هنالك فى تلك المروج المشهورة بالخصب فأنزله وأقام يشرب معه الى أن وصل الخبر بوقعة عين جالوت على الظاهر للملك المظفر قطز صاحب مصر سنة ٦٥٨ فقتلوه وخلعوا ابنه كتفه وجعلوه فى أحد الاعلام على عادته فى اكتاف الملوك انتهى باختصار

*(رجع ومن الوافدين من الاندلس الى المشرق الاديب الحسيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن سعيد) وكان صعب الخلق شديد الانفة جرى بينه وبين أفاربه ما أوجب خروجه الى أقصى المشرق وفى ذلك يقول وكتب به اليهم

من لصب يرعى النجوم صبابه * ضيع الصبر فى الهموم شبابه

زدت بعدا فزدت فيه اقترابا * يودادى كذا حكم القرابه

منزلى الآن سمرقند و بالقلعة ربع وطئت طفلا ترابه

شد ما أبعد الفراق انتزاحى * هكذا الليث ليس يدرى اغترابه

لاولا أرتجى الاياب لامر * ان يكن يرتجى غريب ايابه

وكتب لهم من بخارى

اذا هبت رياح الغرب طارت * اليها مهجتى نحو التلاقى

وأحسب من تركت به يلاقى * اذا هبت صباها ما ألاقى

فيالبت التفرق كان عدلا * فحمل ما يطيق من اشتياقى

وليت العمر لم يرح وصالا * ولم يختم علينا بالفراق

ربجف الشافعية وهم الحدارب وهم مسلمون ٥٠٢ من بين سائر البجه والدار حلاس من البجه كفار يعبدون صنما

هم وأما الحبشة فاسم دار ملكهم كعمى وهى مدينة حبشة وهى دار مملكة النجاشى وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة يتصل ملك النجاشى بالبحر الحبشى ولهم ساحل لهم فيه مدن كثيرة وهو مقابل لبلاد اليمن فمن مدن الحبشة على الساحل انزيلع والدهلك وباصع وهذه مدن فيها خلق من المسلمين الا أنهم فى ذمة الحبشة وبين ساحل الحبشة ومدينة علافقة وهى ساحل زبيد من أرض اليمن ثلاثة أيام عرض البحر بين الساحلين ومن هذا الموضع عبرت الحبشة البحر حين ملكت اليمن فى أيام ذى نواس وهو صاحب الاخدود المذكور فى القرآن وصاحب زبيد وتيتا هذا ابراهيم بن زياد صاحب الحرملى ومراكبه تختلف الى ساحل الحبشة وبركب فيها التجار بالامنة وبينهم مهادنة وهذا الموضع من البحر بين هذين الشطين أعنى ساحل اليمن وساحل الحبشة أقل المواضع فيه عرضا وهنالك جزائر بين هذين الساحلين منها

جزيرة العقل يقال ان فيها ماء يعرف بماء العقل تسقى منه أرباب المراكب ويعمل فى القرائح والدكاء

اذا

اذا كان الشوق فوق كل صفة فكيف تعبر عنه الشفة لكن العنوان دليل على بعض ما في الصحيفة والحاجب قد ينوب في بعض الامور مناب الخليفة وما ظنكم بشوق طرح في يد الاشواق طلاع يقطع مسافات الآفاق يتقلب تقلب الاقياء ويتلون تلون الحرباء حتى كانه يخبر مساحات الارض ذات الطول والعرض ويجوب أهوية الاقاليم السبع خارجا عما أدخله فيه اللجاج عن السمع فكانه خليفة الاسكندر لكن ما يجيش من هموم الغربة بفكري قائمة مقام الجيش والعسكر جزت الى بر العدوة من الغرب الاقصى ثم اشوقت نفسي وطمحت الى مشاهدة العرب الاوسط فلاقيت في ابهامها من المشاق ما لا يحصى ثم شوقت الى افريقية درب بلاد الشرق فاستشعرت من هناك ما بينها وبين بلادي من الفرق واحتطفت من عيني ملك الطلاوة وانزعت من قلبي ملك الحلاوة

فلله عين لم تر العين مثلها * ولا تلقى الابجنات رضوان

ثم نازعتني النفس التواقة الى الديار المصرية فكابدت في البحر ما لا يوصف الا المشاهدة الى أن ابصرت منار الاسكندرية فيالك من استئناف عمر جديد بعد اليأس من الحياة بما لقيناه من الهول والتنكيد ثم صعدت الى القاهرة قاعدة الديار المصرية لمعاينة الهرمين وما فيهما من المعالم الازلية وعاينت القاهرة المعزية وما فيها من الهمم العلية الملوكية غير أني أنكرت مبانيها الواهية على ما حوت من أولى الهمم العالية وكونها حاضرة العسكر الجرار وكرسي الملك العظيم المقدار وقلت أصداف فيها جواهر وشوك محدق بأزاهر ثم ركبت النيل وعاينت نماسيحه وجزت بحر جدة وذقت بارزحه وقضيت الحج والزيارة وملت الى حاضرة الشام دمشق والنفس بالسوء أمارة فهنالك بعت الزيارة بالاوزار وآلت تلك التجارة الى ما حكمت به الاقدار اذهى كما قال أحد من عاينها

أما دمشق فجنات مجللة * للطالبين بها الولدان والحور

فلله ما تضمن داخلها من الحور والولدان ومازن به خارجها من الانهار والجنان وبالجملة فانها حمى تتقاصر عن ادراكها أعناق الفصاحة وتقصر عن مناولتها في ميدان الاوصاف كل راحة ولم أزل أسمع عن حلب أنها دار الكرم والادب فاردت أن يحظى بصري بما حظي به سمعي ورحلت اليها وأفت حاربا المذاكرة والمطايبة صدعي ثم رحلت الى الموصل فالفيت مدينة عليها رونق الاندلس وفيها الطافة وفي مبانيها طلاوة ترتاح لها الانفس ثم دخلت الى مقر الخلافة بغداد فعاينت من العظم والصخامة ما لا يفي به الكتب ولو أن البحر مداد ثم تغلغلت الى بلاد العجم بلدا بلدا غير متمنع بغاية ولا قاصد امدا الى أن حللت بخارى قبة الاسلام ومجمع الانام فالقيت بها عصا التسيار وعكفت على طلب العلم واصلا في اجتهاده سواد الليل وبياض النهار انتهى * وكتب اليهم أيضا من هذه الرسالة كتبت وقد حصلت لي السعادة وحظ الامل والارادة بحضرة بخارى قبة الاسلام * وأجابه أهله من الغرب بكلام من جملته وان كنت قد تحصنت بقبة الاسلام فقد عجلت لنا ولك الفقد قبل وقت الحمام وأتبعوا ذلك بما دعاه لان خاطبهم بشعر منه

عتبتم على حتى المنى وقلتم * تعجلت فقدا قبل وقت حمام

وقد أتينا على الجزء الذي كتبناه في اخبار الزمان عند ذكرنا الاحبار المتطببين في تجاربهم وما كان من قصاباهم في علاجاتهم ممن سلف قبل ظهور الاسلام وبعده ممن اتصل بالملوك والخلفاء بعد ظهور الشرع وقد غلب ابن بادعلي هذه الجزيرة وله في هذا الوقت رجال مرتبون بها من أصحابه وفي هذا البحر مما يلي بلاد عدن جزيرة تعرف بسطرة واليها يضاف الصبر السطري ولا يوجد الا فيها ولا يحمل الا منها وقد كان ارسطاطاليس بن عمرياجين كتب الى الاسكندر فيلبش حين سار الى الشام في أمر هذه الجزيرة يوصيه بها وأن يبعث اليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من أجل الصبر السقطري الذي يقع في الاباريات وغيرها فبعث الاسكندر الى هذه الجزيرة خلقا من اليونانيين أكثرهم من مدينة ارسطاطاليس بن عمرياجين وهي مدينة اسطاغورى المراكب باهليهم في بحر القلزم فغلبوا على من كان بها من ملوك الهند وملكوا الجزيرة وكان للهند بها صنم عظيم فنقل ذلك الصنم في أخبار يطول ذكرها وتناسل من بالجزيرة من اليونانيين ومضى الاسكندر

يحفظون انسابهم تم يداخلهم في أنسابهم روم ولا غيرهم غير أهل هذه الجزيرة وهم في هذا الوقت ناوى اليهم بوارج لهذا الدين يصعون على المسلمين في هذه البوارج وهي المراكب على من أراد الصين والهند وما يقطع الروم في الشواني على المسلمين في البحر الرومي من ساحل الشام ومصر ويحمل من جزيرة سطرة الصبر وغيره من العقاقير ولهذه الجزيرة اخبار عجيبة ولما فيها من خواص النبات والعقاقير قد اتينا على كثير من ذكرها فيما سلف من كتبنا واما غير هؤلاء من الحبشة الذين قدمنا ذكرهم من أمم في المغرب مثل ارغاوة والكركر والعراقر ومرندة والمرويين والمديين واللالة والعرماطن وزوزله والعرمد فلكل واحد منهم من هؤلاء وغيرهم من أنواع الاحابش ملك ودار مملكة وقد اتينا على ذكر جميع اجناس السودان وانواعهم ومساكنهم ومواضعها من الفلك ولا بد له تعلقت شعورهم واسودت الوانهم وغير ذلك من اخبارهم واخبار ملوكهم وغير ذلك مما ذكرهم وشعوبهم في انسابهم في كتابنا في اخبار الزمان في الف الاول ومن

اذا لم يكن حالي مهما لديكم * سواء عليكم رحلتي ومقامي

وقتل المذكور بحاري حسين دخلها الططر وهو عم علي بن سعيد الشهير وكان لعبد الرحمن المذكور أخ سمي يحيى قد عاني الجندية فلما بلغه أن أبا القاسم عبد الرحمن قتل بحاري قال لا اله الا الله كان أبدا يسفه رأيي في الجندية ويقول لو اتبعت طريق النجاة كما صنعت أنا لكان خيرا لك فها هو ورب فلم قد قتل شر قتلة بحيث لا ينتصر وسلب سلاحه وأنا ما زلت أغازي في عباد الصليب وأخلص ما يقدر أحد أن يحسن لنفسه عاقبة انتهى * قال أبو الحسن علي بن سعيد ثم ان يحيى المذكور بعد حوطته في الحروب صرعه في طريقه غلام كان يخدمه قد تجمع على بعض المال أخذه فانظر الى تقلب الاحوال كيف يجري في أنواع الامور لا على تدبر ولا احتياط انتهى * ومن شعر أبي القاسم عبد الرحمن المذكور ما خاطب به عيب الاشراف بحاري وقد أهدى اليه فاختا مع زوجه

أيا سيد الاشراف لازلت عاليا * معاليك تنبو الدهر عن كل ناعت
من الفضل اقبال على ما بعثته * لغناك من شاد دعوه بفاخت
الا حبذا من فاخت سادجنسه * وأصبح مقرونا بست الفواخت
لئن فاتني منه الانيس فكل ما * يحل الى عيالك ليس بفائت انتهى

(ومنهم الشيخ الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن عبد الله بن يوسف بن حمزة القرطبي الانصاري المعروف بابن العائد) نزيل رباط الصاحب الصفي بن شكر قال بعض المشارقة عنه انما سميت الخمر بالعجوز لانها بنت ثمانين يعني عدد حدها وأنشد له

عدلنا فلاما على فعله * ولمناه في شربه للعجوز
فقال دعوني من أجلها * أمال أباه وأخي والعجوز

(ومنهم الشيخ الفاضل المتعبد أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف الانصاري) الشاطبي الاصل البلنسي المولد في أحد ربيعي سنة احدى وستمائة ولقبه المشارقة برضي الدين وتوفي بالقاهرة في جمادى الاولى سنة ٦٨٤ رحمه الله تعالى ومن نظمه لما حضر أجله وقد أمر خادمه أن ينظف له بيته وأن يغلق عليه الباب ويفتقده بعد زمان ففعل ذلك فلما دخل عليه وجده ميتا وقد كتب في رقعة

حان الرحيل فودع الدار التي * ما كان ساكنها بها بمخلد
وافزع الى الملك الجواد وقل له * عبد ببابك الجود أصبح يجتدي
لم يرض غير الله معبودا ولا * دينا سوى دين النبي محمد

ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

أقول لنفسي حين قابلها الردى * تراءت فرارا منه يسرى الى يمنى
ترى تحملي بعض الذي تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهنى

أنشده له تلميذه أبو حيان امام عصره في اللغة حدث عن ابن المنير وغيره واشتغل الناس عليه بالقاهرة وله تصانيف مفيدة وسمع من الحافظ أبي الربيع بن سالم وكتب على صحاح الجوهري وغيره حواشي في مجلدات وأثنى عليه تلميذه أبو حيان رحم الله تعالى الجميع

ومن فوائده قوله نقلت من خط أبي الوليد بن خيرة الحافظ القرطبي في فهرست أبي بكر بن مفوز قد أدركته بسبتي ولم آخذ عنه واجتمعت به أنشدني له أبو القاسم بن الابرش يخاطب بعض أكابر أصحاب محمد بن حزم والاشارة لابن حزم الظاهري

يا من تعنى أمورا لن يعانيها * خل التعاني وأعط القوس باريها
تروى الاحاديث عن كل مسامحة * وانما المعانيها معانيها

وقد سبق في ترجمة القاضي أبي الوليد الباجي ذكر هذين البيتين عند ما جرى ذكر ابن حزم قال وانما قال هذا الشعر في ذكر رواية ادعيت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم ان حالد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله وصح رواية من روى أعبده وجمع عبد وعلى رواية من روى اعتده بالتاء مشاة باثنتين من فوق جمع عتد وهو الفرس قال ابن حزم الاحاطة عتنعة وهذه الرواية قد رواها جماعة من الاثبات والعلماء المحدثين فهو انكار غير معروف والله تعالى أعلم * ومن فوائده ما نقله تلميذه ابو حيان النحوي عنه قال انشدنا المعري ونقلته من خطه

اذا ما شئت معرفة * لما حار الورى فيه
فذ خمسا الاربعة * ودع للثوب راعيه

وهو لعزي وردقال وانشدنا لبعضهم

لا رعى الله عزمة ضمنت لي * سلوة الصبر والتصبر عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت * مثل قلبي تقول لا بد منه

قال وانشدنا لغيره

وكان غريب الحسن دبل التحائه * فلما التحى صار الغريب المصحفا

وانشد لغيره

طب على الوحدة نفسا * وارض بالوحشة انسا
ما عليها من يساوي * حين يستحبر ملسا

وقرأ الرضي بيده على ابن صاحب الصلات آخر اصحاب ابن هذيل وسمع منه كتاب التلخيص للواني وسمع بمصر من ابن المقير وجماعة وروى عنه الحافظ المزي واليونيني والظاهري وآخرون وانتهت اليه معرفة اللغة وغريبها وكان يقول أحرف اللغة على قسمين قسم اعرف معناه وشواهده وقسم اعرف كيف انطق به فقط رحمه الله تعالى * ومن فوائد الرضي الشاطبي المذكور ما ذكره ابو حيان في البحر قال وهو من غريب ما انشدنا الامام اللغوي رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي لزينب بنت الحجف النصراني الرسعيني

عدي وتيم لا احاول ذكرهم * بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه * اذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم * وهل زنهي من اعرب واعاجم
فقلت لهم اني لاحسب حبهم * سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

في تركه ابراءه فيه ولا تعريته منه (قال المسعودي) وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح عمرو ابن العاص مصر كتب اليه بمحاربة النوبة وغزاهم المسلمون فوجدوهم يرمون الحدق وأبى عمرو ابن العاص أن يغزوهم حتى يعرف خبر مصر وولاها عبد الله بن سعد فصالحهم على رؤس من السبي معلومة مما يسبى هذا الملك الجاور لها لمن من غيرهم من ممالك النوبة المتقدم ذكرها فيما سلف من هذا الباب المدعو بملك مريس وغيرها من أرض النوبة فصار ما قبض منه من السبي سبة جارية في كل سنة الى هذه الغاية يحمل الى صاحب مصر ويدعى هذا السبي في العربية بارض مصر والنوبة بالبقط وعدد ذلك ثلثمائة رأس وخمسة وستون رأسا وأداه وهم على عدد أيام السنة هذا لبيت مال المسلمين بشرط الهدنة بينهم وبين النوبة وللامير بمصر غير ما ذكرنا من عدد السبي أربعون رأسا ولخليفته المقيم ببلاد اسوان المجاورة

لارض النوبة وهو المتولي لقبض هذا البقط وهو السبي عشرون رأسا غير الاربعين وللعالم المقيم

ومن نظم الرضى المذكور

مغص العيش لا ياوى الى دعة * من كان فى بلد أو كان ذا ولد
والساكن النفس من لم ترض همته * سكنى بلاد ولا سكنى الى احد

وله

لولا بناتى وشيئانى * لطرت شوقا الى الممات
لانى فى جوار قوم * يغضنى قربهم حيانى

وقرأ عليه ابو حيان كتاب التيسير واثنى عليه ولما توفى انشد رحمه الله

حى لى الرضى فقلت لقد * نعى لى شيخ العلا والادب
من للغات ومن للثغات * ومن للنحاة ومن للنسب
لقد كان للعلم بحرا فعار * وان غور البحار العجب
فقدس من عالم عامل * اثار اشجوى لما ذهب

وتحاكم الى رضى الدين المذكور الجزار والسراج الوراق ايهما أشعر وارسل اليه الجزار شيأ فقال هذا شعر رجل من نمط شعر العرب فبلغ ذلك الوراق فارسل اليه شيأ فقال هذا شعر سلس وآخر الامر قال ما أحكم بينكما رحمه الله تعالى * قلت رأيت بخطه كتبا كثيرة بمصر وحواشى مفيدة فى اللغة وعلى دواوين العرب رحمه الله تعالى * (ومنهم حميد الزاهد وهو الاديب الفاضل الزاهد أبو بكر حميد بن أبى محمد عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الانصارى القرطبى نزيل مالقة) قال الرضى الشاطبى المذكور قريبا أنشدنى حميد بالقاهرة لابيه أبى محمد وقد تاخر شيبه مع علو سنه

وهل نافعى أن أخضبا الشيب مفرقى * وقد شاب أترابى وشاب لدانى
اذا كان خط الشيب يوجد عينه * بترنى فعناه يقوم بدانى

والدات من ولد معه فى زمان واحد انتهى وفى ذكرى أنه قال هذين البيتين لما قال له القاضى عياض شبنا ولم تشب وقال الرضى أيضا انشدنى حميد لابيه فيمن يكتب فى الورق بالقص وهو غريب

وكاتب وشى طرسه حبره * لم يشها حبره ولا قلمه
لكن بقراضه يغنمها * غنمة الرص وجاده رهمه
يوجد بالقضع أحرفا عدمت * فاعجب لشئ وجوده عدمه

والرهم المطر قال وتوفى حميد الزاهد هذا بمصر قبيل الظهر من يوم الثلاثاء وصلى عليه حارج مصر بجامع راشدة بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء المذكور ودفن بسفح المقطم بتربة الشيخ الفاضل الزاهد أبى بكر محمد الخزرجى الذى يدفى الرصاص حذاء رجليه فى الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وستمائة ومولده سنة ست وستمائة انتهى * (ومنهم البسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن البسع بن عبد الله الغافقى) من اهل بلنسية واصله من جيان وسكن المرية ثم مالقة يكنى أبا يحيى كتب لبعض الامراء بشرقى الاندلس وله تاليف سماه المغرب فى أخبار محاسن أهل المغرب جمعه للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

ولاثنى عشر شاهدا عدولا من أهل اسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثنا عشر رأسا من السبى على حسب ماجرى به الرسم فى صدر الاسلام فى بدء اجماع الهدنة بين المسلمين والنوبة والموضع الذى سلم فيه هذا البقط ويحضره من سميناه وغيرهم من النوبة من ثقات الملك يعرف بالقصر وهو على ستة أميال من مدينة اسوان بالقرب من جزيرة بلاق وبلاق هذه مدينة فى الموضع المعروف بالجنادل من الجبال والاحجار وهذه المدينة فى هذه الجزيرة يحيط بها ماء النيل كاحاطة ماء الفرات بالمدن التى فى الجزائر بين رحبة مالك بن طوق وبين الرسة وناوسة وعانة والحديثة وفى مدينة بلاق خلق كثير من الناس ومنبر ونخل كثير فى كلا الشطين وهذه المدينة اليها ينتهى سفن النوبة وسفن المسلمين من بلاد مصر واسوان ومدينة اسوان يسكنها خلق كثير من العرب من نهطان ونزار بن معد من ربيعة ومضر وخلق من قريش وأكثرهم ناقلة من الحجاز

وهو البلد كثير النخل خصيب كثير الخير تودع النواة الارض وتنبت نخلة

ويؤكل من ثمرها بعد سنتين وليست تربتهم كتربة البصرة ولا الكوفة ... ولا غيرهما من أرض النخل لان النخل بالبصرة

بالديار المصرية بعد أن رحل اليها من الاندلس سنة سنين وخمسمائة وبها توفي يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم محمد بن عبد الرحمن ابن علي بن محمد التجيبي يكنى أبا عبد الله من أهل اشبيلية) تحول في بلاد الاندلس طالبا للعلم ثم حج ولقي الحافظ السلفي وغيره واستوطن بلنسان وبها توفي في جمادى الاولى سنة عشر وستمائة وله تواليف كثيرة (ومنهم أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي الباجي) من أهل اشبيلية ولي القضاء بها وأصله من باجه افريقية دخل المشرق لاداء الفريضة فحج وتوفي بمصر بعد ما دخل الشام في ليلة الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وستمائة ومولده عام أربعة وستين وخمسمائة وكانت رحلته من المغرب أول يوم من المحرم عام أربعة وثلاثين وستمائة (ومنهم وليد بن بكر بن محلد بن زياد العمري) من أهل سرقسطة يكنى أبا العباس له كتاب سماه الوجازة في صحة النقول بالاجازة وله رحلة لقي فيها ألف شيخ ومحدث وفقيه توفي بالديبول سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة يروي عنه أبو ذر الهروي وعبد الغني الحافظ وكفاه فخرا بهذين الامامين العظيمين رحمهما الله تعالى أجمعين * (ومنهم عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعيني الرندي يكنى أبا محمد) استوطن مالقة ورحل الى المشرق وحج ولقي جماعة من العلماء وقفل الى المغرب أواخر عام واحد وثلاثين وستمائة وولي الامامة بالمسجد الجامع بمالقة وبها توفي في ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ولقب في المشرق برشيد الدين وولد في ربيع الاول سنة احدى وثمانين وخمسمائة بقرية من قرى الاندلس يقال لها بلمالتين كورة بشتعبر ذكر ذلك ابن المستوفي في تاريخ اربل * (ومنهم أبو الربيع سليمان بن أحمد اليمني) من أهل الاندلس استوطن المشرق ومدح الملك الكامل وسن شعره رحمه الله تعالى قوله

لولا تحدثه بآية سحره * ما كنت ممتثلا شريعة أمره
رشأ أصدقه وكاذب وعده * يبدي لعاشقه أدلة عذره
ظهرت نبوة حسنه في فترة * من جفنه وضلالة من شعره

(ومنهم أبو جعفر أحمد بن يحيى الصبي) رحل حاجا فلقي ببجاية عبد الحق الاشبيلي وبالاسكندرية أبا الطاهر بن عوف ولقي غيرهما في رحلته كالغزنوي وأبي الثناء الحراني وأبي الحسين الخريشي والعريشي أحاديث سماها بها الخاري ومسلما ولقي جماعة ممن شارك السلفي في شيوخه (ومنهم أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني صاحب الرحلة) وهو من ولد صعرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة أندلسي شاطبي بلنسي مولده ليلة السبت عاشر ربيع الاول سنة أربعين وخمسمائة ببلنسية وقيل في مولده غير ذلك وسمع من أبيه بشاطبة ومن أبي عبد الله الاصيلي وأبي الحسن بن أبي العيش وأخذ عنه القراآت وعني بالادب فبلغ الغاية فيه وتقدم في صناعة القريض والكتابة ومن شعره قوله وقد دخل الى بغداد فاقتضع غصنا نضرا من أحد بساتينها فذوى في يده

لا تغترب عن وطن * واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن اذا * ما فارق الاصل ذوى

لا ينبت من النوى بل ينبت من انتال والفسيل وهو النخل الصغير وما يخرج من النواة فليس يثمر ولا يفلح ولبس باسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخله بارض النوبة يزدون خراجها الى ملك النوبة واتبعت هذه الضياع من النوبة في صدر الزمان في دولة بني أمية وبني العباس وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه ان ناسا من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من أهل اسوان وأنها ضياعه والقوم عبيد لا املاك لهم وانما ملكهم على هذه الضياع ملك العبيد العاملين فيها فرد المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل اسوان انها ستنزع من أيديهم فاحتالوا على ملك النوبة بان تقدموا الى من ابتيع منهم من أهل النوبة أنهم اذا حضروا حضرة الحاكم ان لا يقروا لملوكهم بالعبودية وأن يقولوا سيدنا معاشر المسلمين سيدكم مع ملككم تجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم أنتم

وقال رحمه الله تعالى يخاطب الصدر الجندى

يا من حواه الدين فى عصره * صدرا يحل العلم منه فؤاد
ما دارى سيدنا المرتضى * فى زائر يخطب منه الوداد
لا يبتغى منه سوى أحرف * يعتدها أشرف ذخر يفاد
ترسمها أنامله مثل ما * رق زهر الروض كف العهاد
فى رقعة كالصبح أهدى لها * يد المعالى مسك ليل المداد
اجازة يورثها العلا * جائزة تبقى وتفنى البلاد
يستصحب الشكر حديثها * والشكر للاجواد أسنى عتاد

فاجابه الصدر الجندى

لك الله من خاطب حلتى * ومن فابس يجتدى سقط زندى
اجزت له ما أجازوه لى * وما حدثوه وما صح عندى
وكاتب هذى السطور التى * تراهن عبد اللطيف الجندى

ورافق ابن جبير فى هذه الرحلة أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن التضاعى وأصله من أندة من عمل بلنسية رحل معه فأديا الفريضة وسمعا بدمشق من أبى الطاهر الخشوعى وأجاز لهما أبو محمد بن أبى عصرون وأبو محمد القاسم بن عساكر وغيرهما ودخلا بغداد وتجولا مدة ثم قفلا جميعا الى المغرب فسمع كل منهما به بعض ما كان عندهما وكان أبو جعفر هذا صحيح القراءة طيب النغمة وله فيه تقييد مفيد مع المشاركة الكاملة فى فنون العلم ومنهم السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن وجده لامه القاضى أبو محمد عبد الحق بن عطية وتوفى أبو جعفر هذا بمراكش سنة ثمان أو تسع وتسعين وخمسمائة ولم يبلغ الخمسين فى سنه رحمه الله تعالى

(رجع الى ابن جبير) قال لسان الدين فى حقه انه من علماء الاندلس بالفقه والحديث والمشاركة فى الآداب وله الرحلة المشهورة واشتهرت فى السلطان الناصر صلاح الدين بن ايوب له قصيدتان احداهما أولها

أطلت على أفنان الزاهر * سعود من العلك الدائر

ومنها

رفعت معارم مكس الحجاز * بانعامك الشامل الغامر
وأمنت أكناف تلك البلاد * مهامه السبيل على العابر
وسحب أياديك فياضة * على وارد وعلى صادر
فكم لك بالشرق من حامد * وكم لك بالغرب من شاكر

والاخرى منها فى الشكوى من ابن شكر الذى كان أخذ المكس من الناس فى الحجاز

ومانال الحجاز بكم صلاحا * وقد نالته مصر والشآم

ومن شعره

الا هذا الزمان الخؤون * توالت عليهم حروف العلل
قضيت التعجب من بابهم * فصرت أطالع باب البدل

أو نحوه عليه من هذا المعنى
هى البيع لعدم اقرارهم
بالرق للمكهم الى هذا
الوقت وتوارث الناس ذلك
الضيع بارض النوبة من
بلاد مرقس وهذه النوبة
أهل مملكة هذا الملك
نوعين نوع من وصفنا
احوالهم عبيد والنوع
الآخر من أهل مملكته
عبيد وهم من سكن من
النوبة فى غير هذه البلاد
المجاورة لاسوان وهى
بلاد مرقس ومعدن الزمرد
فى عمل الصعيد الاعلى من
أعمال مدينة قفط ومنها
يخرج الى هذا المعدن
والموضع الذى فيه الزمرد
يعرف بالحزنة معازة
وجبال والنجه تحمى هذا
المكان المعروف بالحزنة
والبها يؤدى الحفارات من
برد الى حفر الزمرد والزمرد
الذى يقتلع من هذا المعدن
يتنوع أربعة أنواع النوع
الاول منها يعرف بالمرو وهو
أجودها وأغلاها ثمنا وهو
شديد الخضرة كثير الماء
تشبه خضرته باشد ما يكون
من السلق خضرة وهذا
اللون غير كدر ولا ضارب
الى السواد والنوع الثانى
يدعى بالبحرى ومعناهم
فى هذه التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والزانج والصين ترغب فى هذا النوع من

وقوله

غريب تذكر أوطانه * فهيج بالذكر أشجانه
يحل مراصره بالاسى * ويعقد بالنحم أجفانه

انتهى

وقال رحمه الله تعالى لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفا وهابة وتعظيما

بدت لى أعلام بيت الهدى * بمكة والسور بادعليه
فاحرمت شوقا له بالهوى * وأهديت قلبى هديا اليه

وقوله يخاطب من أهدى اليه موزا

يامهدى الموز تبقى * وميمه للك فاء
وزايه عن قريب * لمن يعاديك تاء

وقال رحمه الله تعالى

قد ظهرت فى عصرنا فرقة * ظهورها شؤم على العصر
لا تقتدى فى الدين الا بما * سن ابن سينا وأبو نصر

وقال

ياوحشة الاسلام من فرقة * شاغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها * واتبعت الحكمة والفلسفه

وقال

ضلت بافعالها الشنيعه * طائفة عن هدى الشريعه
ليست ترى فاعلا حكيما * يفعل شيأ سوى الطبيعه

وكان انفصاله رحمه الله تعالى من غرناطة يقصد الرحلة المشرقية أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشوال سنة ٥٧٨ ووصل اسكندرية يوم السبت التاسع والعشرين من ذى القعدة الحرام من السنة المذكورة فكانت اقامته على متن البحر من الاندلس الى الاسكندرية ثلاثين يوما ونزل البر الاسكندرانى فى الحادى والثلاثين وحج رحمه الله تعالى وتجول فى البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة وغيرها وكان رحمه الله تعالى كما قال ابن الرقيق من أعلام العلماء العارفين بالله كتب فى أول أمره عن السيد أبى سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة فاستدعاه لان يكتب عنه كتابا وهو على شرابه فمد يده اليه بكاس فاظهر الانقباض وقال ياسيدى ماشربتها قط فقال والله لتشربن منها سبعا لما رأى العزمة شرب سبعا فوس له الكاس السيد من دنانير سبع مرات وصب ذلك فى حجره فحمله الى منزله وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ثم رغب الى السيد وأعلمه أنه حلف بأيمان لا خروج له عنها أنه يحج فى تلك السنة فاسعفه وباع ملكه له تزود به وأنفق تلك الدنانير فى سبيل البر ومن شعره فى جارية نركها بغرناطة

طول اغترابى وبرح شوق * لاصبر والله لى عليه
اليك أشكو والدى الاقى * ياخير من يشتكى اليه
ولى بغرناطة حبيب * قد غلق الرهن فى يديه

فسمى البحرى لما ذكرنا وهو ثانى المدر فى الجودة ونشبه حمر به بالاول والمدكتدراح ورق الآس الذى يتهرى فى أوائل أغصان الآس وأطرافه والنوع الثالث يعرف بالمغربى ومعناهم فى هذه التسمية واضافتهم اياه الى المغرب هو أن سلوك المغرب من الافرنجة والنورمان والاندلس والجلالسة والوسكنس والصقالبة والروس وان كان أكثر هؤلاء الامم متصلين بالجوف وهو ما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من ديار ولد ياشث بن نوح يتنافسون فى هذا النوع من الزمرد كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والصين فى النوع المعروف بالبحرى والنوع الرابع هو المسمى بالاصم وهو أدنى الانواع وأقلها ثمنا لغلبة مائه وخضرته وهذا النوع تتفاوت فى اللون من الخضرة والقلة وجعله الوصف بهذه الانواع الاربعة فى الجودة والمبالغة فى الثمن هو أكثرها ماء وأصفاها وأكثرها خضرة وأنقاها من السواد والصفرة وغير ذلك من الالوان مع تعرى هذا الجوهر من النموشة فاذا سلم مما ذكرنا كان فى نوعه غاية فى الجودة ونهاية فى الوصف وفى جملته ما يبلغ

ودعته وهو بارتحاض * يفيض على بعض مالديه
فلو نرى طل نرجسيه * يهل فى ورد وجنتيه
أبصرت دراعلى عقيق * من دمعه فوق صفحتيه

وله رحلة مشهورة بايدى الناس ولما وصل بغداد ذكر بلده مقال

سقى الله باب الطاق صوب غمامة * وردا لى الاوطان كل غريب انتهى

وقال فى رحلته فى حق دمشق جنة المشرق ومطلع حسنه الموشى المشرق هى خاتمة بلاد الاسلام التى استتر بناها وعروس المدن التى اجتلباها التى قد تحلت بازاهر الرياحين وتجلت فى حلل سندسية وحلت من موضع الحسن بمكان سكين وتزينت فى منصتها أجمل تزيين وشرفت بان آوى الله تعالى المسيح وأمه منها الى ربوة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسبيل تنساب مذانبه انسياب الاراقم بكل سبيل و رياض يحيى النفوس نسيمها العليل تتبرج لناظريها بمجتلى صقيل وتناديهم هلموا الى معرس للحسن ومقيل قد سمت أرضها كثرة الماء حتى اشناقت الى الظما فتكاد تنادى بها الصم الصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فد أحدقت بها البساتين احداق الهالة بالقمر واكتنفتها اكتناف الكمامة للزهر وامتدت بشرقيها نوطتها الخضراء امتداد البصر فكل موقع لحفة بجهاتها الاربع نظرته اليانعة قيد النظر ولله صدق القائلين فيها ان كانت الجنة فى الارض فدمشق لاشك فيها وان كانت فى السماء فهى بحيث تسامتها وتحاذيها * قال العلامة ابن جابر الوادى آشى بعد ذكره وصف ابن جبير لدمشق ما نصه ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد وتوق الانفس للتطلع على صورتها بما أفاد هذا ولم تكن له بها اقامة فيعرب عنها بحقيقة علامة وما وصف ذهبات أصيلها وقد حان من الشمس غروب ولا ارمان فصولها المنوعات ولا أوفات سرورها المهناآت ولقد أنصف من قال ألفيتها كما تصف الالسن وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين انتهى *(رجع الى كلام ابن جبير)* فنقول ثم ذكر فى وصف الجامع أنه من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال نميق وتزيين وشهرته المتعارفة فى ذلك تغنى عن استغراق الوصف فيه ومن عجيب شانه أنه لا تنسج به العنكبوت ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف ثم مد النفس فى وصف الجامع وما به من العجائب ثم قال بعد عدة أوراق ما نصه وعن يمين الخارج من باب جيرون فى جدار البلاط الذى أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدبر فيه طيقان صفر وقد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار دبرت تدبيرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فى بازيين مصورين من صفر قائمين على طاسى صفر تحت كل واحد منهما أحدهما تحت أول باب من تلك الابواب والثانى تحت آخرها والطاسان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازيين يمدان أعناقهما بالبندقتين فى الطاسين يسمع لهما دوى و ينغلق الباب الذى هو لتلك الساعة للعين بلوح من الصفر لا تزال كذلك عند انقضاء كل ساعة من النهار حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضى الساعات ثم تعود الى حالها الاول ولها بالليل

وآفات هذا الجوهر المنوع كثيرة منها السم والحجارة وقد روى البيطار أن من ركب هذا الجوهر ونوحد فيه ولا سيما كريه دوى الدرابة فهذا الجوهر ومن لم يعرفه أن الحيات والافاعى وسائر أنواع الحيات من الثعابين وغيرها اذا أبصرت الزمرد الخالص ماتت أحداقها وأن الملسوع اذا سقى من الزمرد الخالص وزن دانقين على الفور أمن على نفسه من سرى السم فى جسده ولا يوجد شئ من أنواع الحيات بقرب من معدنه وأرضه وهو حجر لين رخو بسكاس اذا ورد على الماس وقد كانت ملوك اليونانيين ومن تلاهم من ملوك الروم تعظم شان هذا الجوهر وتفضله على غيره من سائر الجواهر لما يجتمع فيه من الخواص العجيبة والمنافع الكثيرة وخفته فى الوزن دون سائر الجواهر المعدنية وأكثر ما يوجد من هذه الانواع المعروف فى الارض وهو المتداول فيه اذا سلم من الاعوجاج والتشقق واستقام سلكه واستطال ما استدار وأدناه ما نحل فى

معدنه من التراب والتقط من الطين وقد يوجد على ظهر الارض فى هذا المعدن فى وهاده وجباله

تدبير آخر وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة مدبر ذلك كله خلف منها الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة أمامها شعاعها فلاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها يعيد فتح الابواب وصرف الصبح الى موضعها وهي التي تسميها الناس المجانة انتهى المقصود عنه قلت كل ما ذكر رحمه الله تعالى في وصف دمشق الشام وأهلها فهو في نفس الامر كما ذكر ومن داير وم بدمشق ما شاهدها الى اذا رجع البصر فيها انقلب وهو حسير وقد أطنب الناس فيها وما بقي أكثر مما ذكروه وقد دخلتها أواخر شعبان من سنة سبع وثلاثين والف للهجرة واحت بها الى أوائل شوال من السنة وارتحلت عنها الى مصر وقد تركت القلب فيها رهنا وملك هواها مني فكراودهنا فكأنها بلدي التي بها بيت وقراري الذي لي به اهل وبيت لان اهلها عاملوني بما ليس لي بشكره يدان وها أنا الى هذا التاريخ لا ارتاح لغيرها من البلدان ولا يشوقني ذكر أرض بابل ولا بغداد فالله سبحانه وتعالى يعطر منها بالعافية الاردان * وقد عن لي أن أذكر رجلة مما قيل فيها من الامداح الرائقة وأسرد ما حاط بني به اهلها من القصائد الفائقة فاقول قال البدر بن حبيب

يمم دمشق وصل الى غربيها * والمح محاسن حسن جامع بلغا
من قال من حسد رأيت نظيره * بين الجوامع في البلاد فقد لغا

وقال في كتاب شنف السامع بوصف الجامع

لله ما أحلى محاسن جلق * وجهاتها اللاتي تروق وتعذب
بين يدربوتها الفرات وجنكها * ياصاح كم كنا نخوض ونلعب

وقال فيه أيضا

لله ما أجمل وصف جلق * وما حوى جامعها المنفرد
قد أطرب الناس بصوت صيته * وكيف لا يطرب وهو معبد

وقال في ذكر باب الجامع المعروف بالزيادة

يا راغبا في غير جامع جلق * هل يستوي الممنوع والممنوح
أقصر عنا لثوفي غلوائك لا ترد * ان الزيادة بابها مفتوح

وقال في منارته المعروفة بالعروس

معبد الشام يجمع الناس طرا * واليه شوقا عيل النفوس
كيف لا يجمع الورى وهو بيت * فيه تجلى على الدوام العروس

ومنه في ذكر بانيه الوليد

تالله ما كان الوليد عابثا * في صرفه المال وبذل جهده
لكنه أحرز ملك معبد * لا ينبغي لأحد من بعده

الهند من بلاد سغدان وبحر كنايت من مملكة النهر صاحب الناكور المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب نوع من الزعفران يلحق بوصف ما ذكرناه من الزور والحصرة والشعاع الا أنه عرضا ليس بما وصفناه ولعل ما ذكرناه ولا فرق بين هذا النوع المحمول من ارض الهند وبين الانواع الاربعة المتقدم ذكرها الا ودرايته فطن أو ماهر ظريف وهذا النوع الهندي يعرفه اصحاب الجوهر بالمكي لانه يحمل من أرض الهند الى بلاد عدن وعمرها من سواحل اليمن ويؤتى به مكة فاشتهر بهذا الاسم لما وصفنا وبهذا النعت لما ذكرنا وجدا تماما على منسوما اختيار الجواهر الشعاعية وغيرها ووصف معادنها على الشرح والايضاح في كتابنا في اخبار الزمان ووجدت جماعة بصعيد مصر من ذوي الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من الجوهر الذي هو الزعفر يخبرون أن هذا الزعفر يكثر ويقل في فصول من السنة وفي نزر من مواد الهواء وهو من نوع الشعر وادلة الشاهد من

من الرياح الاربع وتقوى الخضرة فيه والشعاع النوري في أوائل الشهر والزيادة في نور

ومن أبياته فى آخره

بجامع جلق رب الزعامه * أقم تلق العنايه والكرامه
ويمم نحوه فى كل وقت * وصل به تصل دارا لاقامه
مصلى فيه للرحمن ذكر * ومثوى للقبول به علامه
محل كل البارى حلاه * وبيت أبدع البارى نظامه
دمشق لم ترل للشام وجها * ومسجدها الوجيه الشام شامه
وبين معابد الآفاق طرا * له أمر الامارة والامامه
ادام الله بهجته وأبقى * محاسنه الى يوم القيامه انتهى

ولم أقف على كل هذا الكتاب المذكور بل على بعضه ومن قصيدة القاضى المهذب بن الزبير

بالله يا ريح الشمال * اذا اشتملت الريد بردا
وحملت من عرف الحرا * مى ما اغتدى للمندا
ونسجت ما بين العصو * ن اذا اعتنقن هوى وودا
وهززن عند الصبح من * أعطافها قدا فقدا
ونثرت فوق الماء من * أجيادها للزهر عقدا
هلات صفحته وجهه * حتى اكتسى آسا وورد
وكأنما ألقيت فيـ * ـه منهما صدعا وخدا
مرى على بردى عسا * ويزيد فى مسراك بردا
نهر كصل السيف تكـ * ـسر متنه الازهار عمدا
صفلته أنفاس النسيـ * ـم بمزهرن فليس يصدا

ومنها

أحبابنا ما بالكم * فيما من الاعداء أعدى
وحياة حبكم وحر * مة أصلكم ما خنت عهدا

وقال الكمال الشريشى

ياجيرة الشام هل من نحوكم خبر * فان قلبى بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم * ما لد للعين لانوم ولا سهر
اذا ند كرت أوقاتا مضت * بغر بكم كادت الاحشاء تنفطر
كأننى لم أكن بالقيرين ضحى * والغيم يبكى ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد والاغصان راقصة * والدوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفح أين عشياتى التى ذهبت * لى فيه فهى لعمرى عندى العمر
سقاك بالسفح سفح الدمع منهمرا * وقل ذاك له ان أعوز المطر

*(وحكى ابن سعيد وغيره) أن غرناطة تسمى دمشق الاندلس لسكنى أهل دمشق الشام بها عند دخولهم الاندلس وقد شبهوها بها لما رأوها كثيرة المياه والاشجار وقد أطل عليها جبل

معدن الزمرد وتتصل ديارها بالعلاقى وهى معدن الذهب على حسب ما قدمناه فى هذا الباب وبين العلاقى والنيل خمس عشرة مرحلة وماء أهل العلاقى ما النهل

النيل

الثلج وفى ذلك يقول ابن جبير صاحب الرحلة

يادمشق العرب هانيك لقد ردت عليها
تحتك الانهار تجرى * وهى مصب اليها

قال ابن سعيد أشار ابن جبير الى ان غرناطة فى مكان مشرف وعلوطها تحتها تجرى فيها الانهار ودمشق فى وهدة تنصب اليها الانهار وقد قال الله تعالى فى وصف الجنة تجرى من تحتها الانهار انتهى * وقال الصفدى فى ذكره أنشدنى المولى الفاضل البارع شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله الحياط بقلعة الجبل من الديار المصرية حرسها الله تعالى لنفسه فى شعبان المكرم سنة ٧٣٣

قصدت مصر من باجلى * بهمة تجرى تجر بى
فلم أر الضرة حتى حرت * دموع عينى بالمريين

وأنشد لنفسه أيضا

خلفت بالشام حبيبى وقد * عمت مصرا لعا طارق
والارض قد طالت فلا بعدى * بالله يامصر على العاشق

وأنشد لنفسه أيضا

ياأهل مصر أنتم للعلا * كواكب الاحسان والفضل
لوأنكم تكونوا لى سعود الما * وافيتكم أضرب فى الرمل انتهى

وذكره رحمه الله حسن معزاه وقال الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد المعروف بابن الطهر الحنفى الاربلى

لعل سنى برق الحمى يتألق * على النأى أوطيف الاسماء يطرق
فلا نارها تبدو لمرتعب ولا * وعود الامانى الكواذب تصدق
لعل رياح الهوج بدفى لنازح * من الشام عرفا كاللطيمة تعبق
ديار قضينا العيش فيها منعما * وأياما محمودة وتشوق
سحبنا بها برد الشباب وشربنا * لذيذ كما شئنا الذ وأرفق
مواطن فيها السهم سهمى وطله * تحب مطابا اللهو فيه وتعشق
جلا جانبيه معلم متجعد * من الماء فى اطلاله يتدفق
اذا الشمس حلت متنه فهو مذهب * وان جنبها دوحه فهو أزرق
وان فرح الاوراق جادت بنورها * فرقم اجادته الا كف مونق
يطل عليه فاسيون كانه * غمام معلى أونعام معلق
يسافر عنه الشمس قبل غروبها * وترجف اجلالا له حين تشرق
وتصفر من قبل الاصيل كانها * محب من البين المشتت مشفق
وفى النيرب الميمون للب سالب * من المنظر الزاهى وللطرف مونق
بدائع من صنع القديم رصائع * تأنق فيها المحدث المتأنق
رياض كوشى للبرود يشقها * حداولها فالنور بالماء يشرق

ومهما يعتمد العلاقى والوته حله محاذاتهما وهما لهما مدينة اسوان وأهل اسوان مختلطون بالنوبة (قال المسعودى) واما بلاد الواحات وهى بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر المغربية وأرض الحابس من النوبة وبينهم عدد كثير لا يحصى من أحجارها وكثيبه العمران بها والحواص فى أرضها بما سلف من كثبانها ولها أرض شديدة وزاجة وعيون حامضة وغير ذلك من السموم وصاحب الواحات فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك ابن مروان وهو رجل من لواتة الا انه مروانى المذهب وركب فى ألوف من الناس حيلا ورجلا وجيشا وبينه وبين الاحابش نحو من سبعة أيام وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا من العمائر هذا المعدار من المسافة وفى أرضه حواص وعجائب وهو بلد دفائن نفسه غير منفصل بغيره ولا معتقر اليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعناب وقد رأيت صاحب هذا الرجل الذى بالواحات بباب الاخشيد

 محمد بن طغج وذلك سنة ثلاثين وثلثمائة وسألته عن كثير من أخبار بلدهم وما احتجب أن أعامه من

من يحس بحشى فراق يزيفه * ترى الدمع فى أجفانه يترقرق
ومن كل ريحان مغشم ورائر : يضاحك رياه الرياض فتعبق
كأن قدود السرو فيه مواشيا * قدود عذارى ميلها متوسق
اذا ماتندت للشمائل صدها * عيون من النور المفتح ترمق
وقصر بكل الطرف عنه كأنه * الى النسر نسر فى السماء معلق
وكم جدول جار يطارد جدولا وكم جوسق عال يوازيه جوسق
وكم بركة دهما صاحك بركة ، وكم مسطل للماء فيه مدفق
وكم مرسل عين العيون كأنها ألا يا ورقا يا ورق ألا يا ورق
وفى الروض للعلماء حاضر : وللهم مسلاة وللعين مرتع
عروس جلاها الدهر فوق منصة * من الدهر والاعصار ترمى وترمق
فهام بها الوادى فاضت عيونه * فكل قراره منه بالدمع مشرق
تكمل من دون الجداول شربها : يريد نصفيه لها ويروق

وقال أبو عمام فى دمشق

لولا جدائتها وأنى لا أرى * عرشا هنالك طيفها للعيسا
وأرى الزمان غدا عليك بوجهه : جذلان بساما وكان عبوسا
قد سورت تلك الحصون وقد سمت * تلك الظهور ودست تقديسا

وقال البحترى

أما دمشق فقد أبدت محاسنها * وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا أردت ملاء العين من بلد : مستحسن وزمان يشبه البلدا
تشى السحاب على أجبالها فرقا * وتصبح الدور فى محراثها بددا
دانست نصرا لاوا كما حصلا * أوبا ما حصرا أوطارا ردا
دعا الغيث ولى بعد جيئته * أو الربيع دعا من بعدما بعدا

وفى دمشق يقول بعضهم

سرت دمشق نزارى أوطانها * من كل ناحيه بوجه أزهر
لو أن انسانا يعمد أن يرى ، معنى حلا من برهه لم يعذر

وقال الغيراطى فى قصيدته التى أولها يا للصب بعدك حالة لا تعجب

لله ليل كالنهار قطعته * بالوصل لا أخشى به ما يرهب
وركبت منه الى الصباح أدهما * من جبل أن يبدو الصباح أشهب
أدهم لاماء الحدود يشوبه : كدر العذار ولا عذار أشهب
كم فى محال اللهو لى من جولة * أصحت برقص بالشباب وتطرب
وأهت للندمان سوق حلاعة * تحنى المجون الى قفيه وتحلب
وذكرت فى معنى دمشق معشرا * أم الزمان بمثلهم لا نخجب
لا يسأل القصاد عن بادبهم * لكن يدلهم الثناء الطيب

قوم يحسن صنائعهم وفعالهم * قد حاذ عتذر الزمان المذنب
يا من لحران الفؤاد وطرفه * بدمشق أدمعه غدت تتحلب
اشتاق فى وادى دمشق معهدا * كل الجبال الى حماه يسبب
ما فيه الا روضة أرجوانة * أو جدول أو بلبل أو رئب
وكأن ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب
واذا بكر ماؤه أبصرته * فى الحان بين رياضه يتشعب
وشدت على العيدان ورق أطربت * غناتها من عاف عنه المطرب
فالورق تنشد والنسيم مشبب * والنهر يسقى والحدائق تشرب
وضياعها ضاع النسيم بهائم * أضحى له من بين روض مطلب
وحلت بقلبى من عساكر حسنه * ما لا ربا بالخلاعة ملعب
ولكم رقصت على السماع بحكمها * وغدا ربوها اللسان يشبب
عجبا أزور معالما أبوابها * سماحها كتب السماح يؤوب

وقال الصفى الحلى عند وروله بدمشق سمط القصيدة السموأل بالحمانة

تبيح بمن ضافت عن الرزق أرضه * وصول الملا رحب له وعرضه
ولم يبل سربال الدجى نبه ركضه * اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

اذا المرء لم يجبب عن العين نومها * ويعل من النفس النفيسة سومها
أضيع ولم يأمن معاليه لومها * وان هو لم يحمل على النفس شهمها
فليس الى حسن الثناء سبيل

رفعنا على هام السماك محلنا * فلا ذلك الا تغشاه طلنا
لقد هاب جيش الاكرمين أقلنا * ولا قل من كانت بقايا مثلنا
شباب تسامى للعلا وكهول

يوازى الجبال الراسيات وقارنا * ويبنى على هام المجرة دارنا
ويأمن من صرف الزمان جوارنا * وعاصرنا أن قل ذل وجارنا
عزيز وجارالا ذين ذليل

ولما حللنا الشام عمت أموره * لنا وحبانا ملكه ووزيره
وبالبيرب الاعلى الذى عز طوره * لنا جبل يحتله من نجيره
منيع يرد الطرف وهو كليل

يريك الثريا من خلال شعابه * وتحدق شهب الافق حول هضابه
ويقصر خطو السحب دون انتكابه * وراس أصله تحت الثرى وسحابه
الى النجم فرع لا ينال طويل

وقصر على الشعراء قد فاض نهره * وفاق على سمر الكواكب نخره
وقد شاع ما بين البرية شكره * هو الابلق العرد الذى سار ذكره

وتشعب بنا القول الى وصفها وكل ماد كرناه من بلاد الحاشية ما كان من غير بلاد الصين وحدة والحار مما يبرد

الماء البارد يشد الاعضاء ويقطع العطش وان الزيادة منه تضر بالجسد وتميته وان الماء الاجاج ينفع من سدد الكبد الطحال وان الماء الكبريتى ينفع الجراح والقروح العتيقة والحكة والزوفى ينفع للعكة والجرب وان ماء الصار نافع من اوجاع الصلب والعسب وماء الحديد نافع من الاسترخاء فى الاحشاء ويابس من الاوعية وماء النحاس نافع من الرطوبة والبلغم الكائنة فى المعدة والامعاء وماء الجص يشد المعدة ويقبضها ويكرنها وماء الراج يحبس الدم وماء البحر نافع من البرص وقد ذكر جماعة أنه ينفع من الاخلاط الفاسدة اذا شرب منه البسير مع دهن اللوز وله فى البصر اتعاب فظيع وأن ادمن المشاه للاجساد الابيض الزراق الذى يخرج من جبال الصين من مشرق الشمس نحو سمرقند بها السابل بسرعة بارد اليه من الحر والبرد واللباس فيما ذكرنا كلام كثير فى أنواع المياه وأوصافها ومنافعها ومضارها ليس كتابنا هذا موضعه ولو اتعلل بما الكلام الى ذكرها

يعز على من رامه و يطول

اذا ما غضبنا فى رضا المجد غضبة * لتدرك ثارا أو لتبلغ رتبة
نزيد غداة الكر فى الموت رغبة * وانا لقوم لا نرى الموت سبة

اذا مار أته عامر وسلول

وكتب الشيخ محب الدين الحموى ترجمة للشيخ اسمعيل النابلسى شيخ الاسلام من مصر

لواء التهانى بالمسرة يخفق * وشمس المعالى فى سما الفضل تشرق
وسعد واقبال ومجد مخيم * وأيام عز بالوفا تتعلق
فيا أيها المولى الذى جل قدره * ويا أيها الحبر اللبيب المدقق
أرى الشام مذ فارقتها زال نورها * وثوب بهاها والنضارة يخلق
اذا غبت عنها غاب عنها جمالها * ونفس بدون الروح لا تتحقق
وان عدت فيها عاد فيها كمالها * وصار عليها من بهائك رونق
فيا ليت كنى وادى دمشق مزاركم * بعيد وباب الوصل دونى مغلق
وليس على هذا النوى لى طاقة * فهل من قيود البين والبعد أطلق
وانى الى أخباركم منشوف * وانى الى لقياكم منشوق
أو داذا هب النسيم لنحوكم * بأنى فى أذيالة أتعلق
وأصبو لذكراكم اذا هبت الصبا * لعلى من أخباركم أتنشق
ولى أنة أودت بجسمى ولوعة * ونار جوى من حرها أتقلق
فحنوا على المضنى الذى ثوب صبره * اذا مسه ديل الهوى يتمزق
غريب باقصى مصر أضحت دياره * ولكن قلبى بالشام معلق
وقد نسخ التبريح جسمى فهل الى * غبار ثرى اعتاب وصلكم يحقق
فيا ليت شعرى هل أفوز بروضة * وفيها عيون النرجس الغض تحدق
وأنظر واديها وأدنو لربوة * وماء معين حولنا يتدفق
ويحلو لى العيش الذى مر صفوه * وهل عائد ذاك النعيم المروق
وأنظر ذاك الجامع الفرد مرة * وفى صحنه تلك الحلاوة تشرق
وأصحابنا فيه نجوم زواهر * ونور محيا وجههم يتألق
فلا برحوا فى نعمة وسعادة * وعز ومجد شاوه ليس يلحق

وقال ابن عنين

ماذا على طيف الاحبة لو سرى * وعليهم لو ساعدونى بالكرى
جنحوا الى قول الوشاة وأعرضوا * والله يعلم أن ذلك مفترى
يا معرضا عنى بغير جناية * الا لما تقل العذول وزورا
هبنى أسأت كما تقول وتفترى * وأتيت فى حبك شيأ منكرا
ما بعد بعدك والصدود عقوبة * يا هاجرى هما آن لى أن تغفرا
لا تجمعن على عتبك والنوى * حب الحبيب عقوبة أن يهجرا

ألزم فى بلاد قشفة لا خير فى أرضها ولا شئ يحمل من ساحلها الا ما وصفنا من الذبل والتمور وغيرهما وكذلك ما عليه من ساحل الشحر وبلاد الاحقاف من ساحل حضرموت الى عدن فبلاد لا خصب لاهله فيه ولا تحمل من أرضهم الا اللبان وقشار الكندر وهذا البحر اتصاله بالقلزم وهو عن يمين بحر الهندوان كان الماء متصلا وليس فى البحار وما ذكرنا من الخلجان مما احتوى عليه البحر الحبشى اصعب ولا اكثر جبالا ولا اسهل رائحة ولا اقحط ولا اقل خيرا فى بطنه وظهره من بحر القلزم وسائر البحر الحبشى يقطعه المراكب فى ابان سيرها فيه بالليل والنهار الا بحر القلزم فان المراكب تسيره بالنهار فاذا جن الليل ارست فى مواضع معروفة كالمراحل المشهورة والمناذل المعروفة لكثرة جباله وظلمته ووحشته وليس هذا البحر مما اتصل به من بحر الهند والصين وغيره فى شئ وهو بالضد من ذلك لان بحر الهند والصين فى قعره اللؤلؤ وفى جباله الجواهر ومعادن الذهب والفضة والرصاص القلعى وفى افواه دوابه العاج وفى منابته الآبنوس والخيزران والقنا والبقم والساج والعود واجار الكافور والجوز والقرنفل والصندل والافاويه والطيب والعنبر

عبء الصدود أخف من عبء النوى * لو كان لي في الحب أن أتخيرا
فسقى دمشق ووادييها واحمى * متواصل الارهام معتصم العرا
حتى يرى وجه الرياض نعارض * أحوى وفود الدوح زهر يرا
تلك المنازل لا ملاعب عاتك * ورمال كاظمة ولا وادي لقرى
أرض اذا مرت بها ريح الصبا * حملت على الاغصان مسكا اذفرا
فارقتها لا عن رضا وهجرتها * لا عن ملال ورحلت لا مستبدلا
أسعى لرزق في البلاد مشتت * ومن العجائب أن يكون مقترا

وابن عين المذكور كان هجاء وهو صاحب مقراض الاعراض تجاوز الله تعالى عنه عن ذلك قوله

أرح من مرح ماء البئر يوما * وعد أقصى الى نعمونتي
مر القاضي بوضع يده فيه * وقد أضحى كراس زبرجي

يعني أقرع وسبب قوله البيتين أن المعظم أمر مرحه بغلاة دمشق فاجتاهم لذلك ومن هجوه قوله

شكا شعري الى وقال هجو * يمثلي عرض ذا الكلب اللئيم
فقلت له تسل قرب نجم * هوى في اثر شيطان رجيم

وقال فيمن خرج حاجا فسقط عن الهجين وتخلف

اذا ما دام فعل السوق يوما * فاني شاكر فعل الياق
أراد الله بالحجاج خيرا * فسقط عنهم أهل العاق

وقال

وراحل سرت في ركب أودعه * بارك الله ما أحلى تلاجيها
جئنا الى باله لاحين نسأله * وليتنا عاقنا موت ولاجيها
راجين نسأل ميتا لا حراك به * مثل النصارى الى الاصنام لاحيها

وقال

وصلت ملك رقعة أم أمتي * صمت صمي الخيل قالا
كنهار المصيف حرا وكربا * وطويل الشتاء بردا وطولا

وأول مقراض الاعراض قوله

أضالع تطوى على كرب * ومسلة مسها العرب
شوقا الى ساكني دمشق ملا * عدت رباها مواطر السحب
مواطن مادعا توطنها * الا ولبى نداءها لحبي

ثم ذكر من المحو ما تصم عنه الآذان وهو القائل في دمشق

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * وظلك يا مصري على ظليل
وهل أرين بعد ما شطت النوى * ولي في دراريض هواك منازل

ومنها

صورها اما الاجهاد في السفر والبكاء وهما يكونان دفعة كثيرا وحثيثا أرض الهند الربيع كالسابري كثيره بارض الاسلام قليله كالسمور وأكثر ما يخرج من حدودها الطيلسان المعروف بابن الرماد وهو نوع من الطيلسان يجلب من الصعيد وقت من السنة من جهاة الهند وارض الفنذورة وما من العراق انما هو كالملك والهند راعي ظهور هذا الطيلسان في الفصل من الزمان الذي يكون فيه تأخذه وتجعله على عين أرهبها الطيلسان يكون أعلى صيها المستطرف عنده والذي تسميه ملوكها وحواشيها لسروب من المتاع من صيب الرائحة والتحمير اذا قد فاق على سائر الطيلسان وما يؤثر في الانسان عند لبسه اياه وامعاله من طهور النتن من الرجال والنساء والطيلسان للماء والاغتسال والطرب والنشاط والارتياح وكثير من قتال الهند وشجعانهم يستعمل هذا الطيلسان عند الاعياء والحرب وذلك عندهم مما يجلب الغلب ويقوي النفس

وبعضها على الاقدام وأكثر ما يظهر هذا النوع من العرق في جباه الفيلة في ذلك الفصل من السنة في حال انها

دمشق ياشوف اليك مبرح * وان لج واش اوأى عذول
ملاديها الحصباء درتربها * عبير وانفاس الشمال شمول
سلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وقد تقدم المثل بهذه الابيات الثلاثة فى خطبة هذا الكتاب ومن هذه القصيدة

وكيف اخاف الفقر او احرم العلى * ورأى ظهير الدين فى حمل
من القوم أما الحنف فسعه * لدهم واما حاتم فبخيل
فتى المجد أتاحاره فمنع * عزيزا وامضده فذليل
واما عطايا كفه فبباحه * حلال واما ماله فطليل

وظهير الدين الممدوح هو طغتكين بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين وكان ملك اليمن واحسن الى ابن عنين احسانا كثيرا وافرا وخرج ابن عنين من اليمن بمال جم وطغتكين بضم الطاء المهملة وبعدها غين معجمة ثم تاء مثناة من فوقها مكسورة ثم كاف مكسورة أيضا ثم ياء مثناة تحتية ثم نون وكان يلقب بالملك العزيز ولد لذلك قال ابن عنين لما رجع من عنده الى مصر ايام العزيز عثمان صلاح الدين فارم ارباب الديوان ابن عنين بدفع الركاة من المتاخرات التى وصلت صحبته

ما كل من يسمى بالعزيز فما * أهل وما كل برق صحبه عدقه
بين العزيزين بون فى فعالهما * هذا يعطى وهذا ياخذ الصدقه

ومن هجو ابن عنين قوله فى فقيهين يلقب أحدهما بالبعل والآخر بالجاموس

البعل والجاموس فى حالهما * قد أصبحا مثلا لكل مناظر
قعدا عشية يومنا فتناظرا * هذا يقر نبه وذا بالحافر
ما أحكما غير الصياح كلاهما * لقيا جدال المرتضى بن عساكر
حلفا رسالهما شبيه ثالث * الا أحادع مدلو به الشاعر
لعط طول فحت معنى قاصر * كالعقل فى عبد اللطيف الناظر

(رجع الى دمشق) وقال العز الموصلى

البك حياض حمامات مصر * ولا تتكثرى عندى بعين
حياض الشام أحلى منك ماء * وأطهر وهى دون القلتين

وهذان البيتان جواب منه عن قول ابن نباتة

أحواض حمام الشآ * م ألا اسمعى لى كلمتين
لا تذكرى أحواض مصـ * ـر فانت دون القلتين

وأما قول السراج رحمه الله تعالى

مصر قالت دمشق لا * تفخرى قط باسمها
لو رأت قوس روضتى * منه راحت بسهمها

فهو من باب تفضيل الوطن من حبه ومنه قول الوداعى

وبمصر وبسكانها * شوقى وجدد عهدى الخالى

وارولنا ياسعد عن ميلها * حديث صفوان بن عسال
فهو مرادي لا يريدولا * ثور وان رقى ورقى لي

ومن ذلك النمط قول الشهاب الحجازي

فالوادمشق قد رمت لزهرها * فمض وشد حورها ونورها
قلت لا أبدل بدى بها * ولست أرضى زهرها ونورها

وقول الحماحي قاضي مصر وان لم يكن في ديوانه ولكن ذكره في الخطط

ديوان العاص حين زارها طله * سعد الهلال أزهرها
طرز لها بارض له * كأنه في الأرض طرزها

وقول الآخر

بدمشق وادي حاني للخيل اذ * كبروه عيد حسن لك ترفع
فاحاب بحر الميل لما أن طغى * عندي مقابل ذلك عيد اصبع

وقد ذكرت هذا قول بعضهم

مادام يعيد المعنى * من الادى لتتابع
فمصر دات الادادى * وميلها دى الاصابع

وقد شبع الخلاف قديما وحديثا في المفاضلة بين مصر والشام وقد قال بعضهم

في حلب وشامها * ومصر طال اللعط
وقلت قول منصف * خير الامور الوسط

وأما قول بعضهم

حب دمشق ولا ماها * وان رافقك نجاح الجامع
فسوق العسوق بها قائم * وشعر الغدير بها طالع

ولا يلتفت اليه ولا يعول عليه اذ هو محرد دعوى خالية عن الدليل وهي من دعاب بعض الهجائين الذين يعمدون الى قبيح الحسن الجميل ومرارات الاشراف الى ممدح ولا يعادل ألف مثل هذا قول بعضهم

وفي عجب من يحسد الشمس نورها * ويأمل أن يأتي لها بنظير

وأحمق من هذا قول بعض الاندلسيين وهو الكاتب أبو محمد بن قاسم

دمشق جنة الدنيا جميعا * ولكن ليس يعلم للعريب
بها قوم لهم عدد ومجد * وتحسبهم بنون الى الحروب
ترى أنهارهم دات انسجام * وأوجههم تولع بالقطوب
أحب ديارهم سكنى بوعا * فلم أطعم بها عيشا أريب

والجواد واحد ولا يصر الحق الثابت انكار الجاحد وأحمق من الجميع قول العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه

حلى جنة من تاهى وباهى * وراها أربى لولاوراها
قال عال بردا كوثرها * قلت عال بردا هاردا ها

كثيرا من ذكر الامم مع اختلاف ألوانهم وتباينهم في ديارهم واختلافهم في أحوالهم

وطني مصر وفيها وطري * ولنفسي مشتهاها مشتهاها
ولعيني عصرها ان سكنت * ياحليلي سلاها اماسلاها

وأخف منه قول ابن عبد الظاهر

لاتلوموا دمشق ان جئتموها * وهي ود أوصحت لكم مالديها
انها في الوجوه تنحل بالرهـ * ـران جاء في الربيع اليها
وبراها بالثلج تبصق في الحـ * ـشية من مرى الشتاء علاها

وقول ابن نباته وهو بالشام يشوق الى المقياس والنيل

أرى له بالشام كل مدامع * يحرره ذكر منازل المقياس
ـه المصر منازلا معموره * نحوم أفي أوطان كناس
وطني سهرت له وشاب لمتي * وهم على عيني هواه وراسي
من لي به والحال ليس بآنس * كدر وعطف الدهر ليس بقاسي
والطرف مسدل عبرة الا آسا * بالنيل لم يعتد على بأناس

*(رجع الى مدح دمشق) وقال الناصر داود بن المعظم عيسى

اذا غابت عيناي أعلام جلق * وبان من العصر المشيد قبابه
تيممت أن البين قد بان والنوى * نأى شخصه والعيش عاد شبابه

وقال أيضا رحمه الله تعالى

يارا كبا من أعالي الشام يحدبه * الى العراقين ادلاج واسحار
حدثني عن ربوع سالما خصيب * للنفس فيها لذات وأوطار
لدى رياض سقاها المزن ديمته * وزانها زهر غض ونوار
شجع الندى أن يسقيها بحاجته * جادها مفعم الشؤبوب مدرار
بكت عليها العوادي وهي ضاحكة * وراحت الربح فيها وهي معطار
ياحسنها حين زانتها جواسقها * وأينعت في أعالي الدوح أثمار
فهي السماء احمرارا في حوابيها * كواكب زهر بدو وأحمار
حدثني وأنا الظامي الى نبأ * لاغض فوك هني الري عمتار
فهو الزلال الذي طابت مشاربه * وفاقه غشاآت وأكدار
كم رر على بارح شط المرار به * حديث العذب لاشطت بك الدار
وعلل النفس عنهم بالحديث بهم * ان الحديث عن الاحباب أسمار

وهذا الملك الناصر له ترجمة كبيرة وهو ممن أدركته الحرفة الادبية ومنع حقه بالجبهة والعصبية وأنشرت حقوقه وأظهر عقوده حتى قضى نحبه ولقي ربه *(رجع) وقال سيف الدين المشد رحمه الله تعالى

بشرى لاهل الهوى عاشوا به سعدا * وان ماتوا فهم من حلة الشهدا
شعارهم رفه الشكوى ومذهبهم * أن الصلالة فيهم في الغرام هدى
عيونهم في ظلام الليل ساهره * عبرى وأنفاسهم تحت الدجى صعدا

اما أجناس الصقالبة وهم يعدون في أنسابهم حسبما يقول كثير من أهل الدراية ممن عنى بهذا الشأن ومساكنهم بالحراء الى أن تنتهي بالمغرب وهم جنس كثير الوجود وهم صنوف منهم روس وهم أصناف ومنهم من يعادل في العراء الى راى العين وهو وهم من لا يعرف له أب ولا أم يعدل في غير جنسه وهم جاهليه لا يعرفون شيأ من الشرائع وهؤلاء أجناس جنسهم جنس كان الملك فيهم قديما في جنس صقلب لزمان وكان ملكهم يدعى ماجل وهذا الجنس يدعى وليمانا وكان في هذا الجنس في قديم سائر أجناس الصقالبة يكون الملك فيهم وفي سائر ملوكهم اليهم ثم تنوهذا الجنس من أجناس الصقالبة اصغر ابدانا وملكهم في هذا الوقت يدعى اصطلاح وجنس يقال لهم ياخيو وملكهم يدعى عرابه وهذا الجنس أشجع أجناس الصقالبة وأفرس وجنس يدعى ماين وملكهم يدعى ريبه ثم جنس عند الصقالبة مهم يقال طول لهم ذنب وأوصاف بكثرة شرحها ونفرهم من مله ينقادون اليها ثم جنس تجرعوا

تجرعوا كاس خمر الحب مترعة * ظلوا سكارى وظنوا غيهم رشدا
وعاسل القد معسول مقبله * كالغصن لما انثنى والبدر حين بدا
رقيم عارضه كهف لعاشقه * يأوى اليه وكم فى حبه شهدا
نادمته وثغور البرق باسمة * والغيث ينزل منحلا ومنعقدا
كأن جلق حيا الله ساكنها * أهدت الى الغور من أزهارها مددا
فاسترسل الجو منها لا يزيد على * ثرى ويعقد محلول الندى بردا

وقال أيضا

فؤادى الى بانات جلق مائل * ودمعى على أنهارها متحدر
يحنى لوادى ابن كلاب مرهرا * ويهمى أغصانه وهو مثمر
وانى الى زهر السفرجل شيق * اذا ما بدا مثل الذى اذراهم يسر
غياض يفيض الماء فى عرصاتها * فمنزهها جالا عدالك وبهر
ترى بردى فيها يجول كأنه * وحصباءه سيف صقيل مجوهر
وبى أحور لاح العذار بخده * يسامح قلبى فى هواه ويعذر
يحاورنى فيه على الصبر صاحبى * وكيف أطيق الصبر والطرف أحور
اذا اشتفت وادى السرين بخده * فأنظره معناها به وهو أنضر
حوى الشرف الاعلى من الحسن حده * على أن ميدان العوارض أخصر

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

وادبه حى الحبيب برول * حيا معاهده الحيا والنيل
وادى فوح المسك من جباته * ونصيح فيه للنسيم عليل
يشتاقه وبودلثم ترابه * شوقا ولكن ما اليه سبيل
متعلقل الاحشاء مسلوب الكرى * طلق الدموع فؤاده مبلول
يصبو الى الاثلات من وادى الغضى * ويحن ان خطرت هناك شمول
فالوا تبدل ملت يا أهل الهوى * والناس فيهم عاذر وجهول
هل بعد قطع الاربعين مسافة * للعمر فيها يحسن التبديل
ولقد هفا لى فى دمشق مهفهف * يسبى العقول رضابه المعسول
يهتز ان مر النسيم بقده * ويميل فى نحو الصبا وأميل
أبدى لنا بردا تبسم ثغره * واذا انثنى فقوامه المجدول
لزم التسلسل من ذوى وعذاره * فانظر الى المهجات كيف تسيل
وسقمت من سقم الجفون لانها * هى علة ودوادى المعلول
لا تعجبوا ان راعنى بذوائب * فالليل هول والمحب ذليل
ماصح لى أن الذؤابة حية * حتى سعت فى الارض وهى تجول

وقال يأطر الجيش عون الدين بن العجمى

ياسائقا يقطع البيداء معتسفا * بضامر لم يكن فى سيره وانى

جنس يقال له حانين وما سمياه من أسماء بعض ملوك هذه الاجناس فسمة معروفة لملكهم والجنس الذى سماه المعروف بسريق يحرقون أنفسهم بالنار اذا مات فيهم الملك الرئيس ويحرقون دوابهم ولهم أفعال مثل أفعال الهند وقد قدمنا ما ألف من هذا الكتاب طرفا من ذكرهم عند ذكرنا لجبل القمر والخزر وأن فى بلاد الخزر مع الخزر جنسا من الصقالبة والروس وأنهم يحرقون أنفسهم بالنيران وهذا الجنس من الصقالبة وغيرهم متصلون بالشرق ويعدون من الغرب فالاول من ملوك الصقالبة ملك الدبر وله مدن واسعة وعمائر كثيرة وتجار المسلمين يعتمدون دار ملكه بأنواع التجارات ثم يلى هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الافرنج وله مدن وعمائر كثيرة وجيوش واسعة وعدد كثير ومحارب الروم والافرنج والبوكبرد وغير هؤلاء من الامم والحرب بينهم سجال ثم يلى هذا الملك من بلاد الصقالبة ملك الترك وهذا الجنس

ان جزت بالشام شم تلك البروق ولا * تعدل بلغت المنى عن دير مران
واقصد أعالى تلاليه فان بها * ماتشتهى النفس من حور وولدان
من كل بيضاء هيفاء القوام اذا * ماست فوانجل المران والبان
وكل أسمر قد دان الجمال له * وكل الحسن فيه فرط احسان
و رب صدع بدا فى خدمرسله * فى فترة فتنت من سحر أجفان
ملیت ريقته وردى ووجنته * وردى ومن صدغه آسى وريحانى
وعج على دير متى ثم حى تبدا الربان بطرس فالربان ربانى
فهمت منه اشارات نهضت بها * وصنت منشورها فى طى كتمان
وادخل بدير حنين وامتهز فرص الشاذات ما بين قسيس ومطران
واستجل راحها تحيا النفوس اذا * دارت براح شماميس ورهبان
حمراء صفراء بعد المزج لم قذفت * بشبهها من هموم كل شيطان
كم رحت فى الليل تسقيها وأشربها * حتى انقضى وندمى غير ندمان
سألت توماس عمن كان عاصرها * أجاب رمزا ولم يسمع بتبيان
وقال أخبرنى معمون ينقله * عن ابن مريم عن موسى بن عمران
بانها سمرت بالطور مشرفة * أنوارها فكنوا عنها بنيران
وهى المدام التى كانت معتقة * من عهد هرمس من قبل ابن كنعان
وهى التى عبدتها فارس فكسى * عنها بشمس الضحى فى قومه مانى
سكرت منها ثلاثا ثم وجدت بها * على الندامى وليس الشح من شانى
وسوف أمنحها أهلا وأنشده * ماقيل فيها بسر حيث والحان
حتى غيل لها أعطافه طربا * وينثنى الكون من أوصاف نشوان

وهذه وان لم تكن فى دمشق على الخصوص فلا نخرج عما نحن بصدده والاعمال بالنيات وقد باجة هذه القصيدة على نسج طائفة من الصوفية وممن حاك هذه البرود الشيخ الاكبر رحمه الله تعالى وقيل انه الشيخ شعبان النحوى *(رجع)* وقال بعضهم

شوقى يريد وقلب الصب ما بردا * وبان يأسى من المعشوق حين غدا
ومدمعى قنوات والعذول حكى * ثورى يلوم الفتى فى عشقه حسدا
على معنية بالجنك جاوبها * شبابة كم بها من عاشق سهدا
فالبدر جبهتها والردف ربوتها * وخلهامات فى حلخالها كمدا

ولنذكر نبذة مما خوطبت به من علماء الشام وأدبائه حفظ الله تعالى كمالهم وبلغ آمالهم *(من ذلك قول شيخ الاسلام مفتى الانام سيدى الشيخ عبد الرحمن العمادى الحنفى حفظه الله تعالى وكتبه لى بخطه)*

شمس هدى أطلعها المغرب * وطار عنقاء بها مغرب
فأشرقت فى الشام أنوارها * ولينها فى الدهر لاتغرب
أعنى الامام العالم المقرى * أحمد من يكتب أو يخطب

لا مانى كتبناه هنا على كان ينقاد اليه ملوكهم فى قديم الزمان وهو ماجل ولينا ما وهذا الجنس أصل من أصول الصقالبة معظم فى أجناسهم وله قدم فيهم ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم فزال نظامهم وتحزبت أجناسهم وملك كل جنس منهم ملكا على حسب ما ذكرنا من ملوكهم لامور نطول بذكرها وقد اتينا على حل من شرحها وكثير من مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة

(ذكر الافرنجة والجلالقة وملوكها)

الافرنجة والصقالبة والنوكبرد والاسنان ويأجوج ومأجوج والترك والخزر وبرجان والالان والجلالقة وغيرهم ذكرنا من حل الجزاوه والشمال لاخلاف بين أهل البحث والنظر من الشرعيين أن جميع من ذكرنا من هؤلاء الامم من ولد يافث بن نوح فالافرنجة أشد هؤلاء الاجناس باسا وأمنعهم هيئة وأكثرهم عدة وأوسعهم ملكا وأكثرهم مدنا وأحسنهم نظاما وانقيادا لملوكهم وأكثرهم طاعة الان الجلالقة اشد من الافرنجة باسا واعظم منهم نكاية والرجل من الجلالقة يقاوم

شهاب علم ثاقب فضله * ينظم عقدا وهو لا يثقب
فرع علوم بالهدى مثمر * وروض فضل بالندى معشب
قد ارتدى ثوب علا وامتطى * غارب مجد وزها المركب
درس غريب كل يوم له * يملى ولكن حفظه أغرب
محاضرات مسكر لفظها * بكاس سمع راحها تشرب
رياض آداب سقاها الحيا * ففاح مسكا نشرها الاطيب
فضائل عمت وطمت فقد * قصر فيها كل من يطنب
قلوبنا قد جذبت نحوه * والحب من عادته يجذب
ان بعدت عن غربه شرقنا * فالفضل فينا نسب أقرب
كم طلبت تشريفه شامنا * بشرى لها فليهنها المطلب
قد سبغت لى معه صحبة * فى حرم بؤمن من برهب
اخوة فى الله من زمرم * رضاعها طاب لها المشرب
أنهلنى ثم وداد اقلى * بالشام منه علل أعذب
أهديت ذا النظم امتثالا له * وقد هجرت الشعر مذ أحنب
نشط قلبى لطفه فانثنى * والقلب فى أهل الهوى قلب
ضاء دجى العلم به للورى * مالاح فى جنح الدجى كوكب

تحية الفقير الداعى عبد الرحمن العمادى انتهى وأجبته بما نصه

ما تبر راح كاسها مذهب * ما للنهى عن حسنها مذهب
تستدفع الاكدار من صفوها * وتقهل الافراح أو تسهب
تسعى بها هيفاء من ثغرها * أوشعرها النور أو الغيهب
فتانة الاعطاف نفاثة * سحرا بألباب الورى يلعب
فى روضة قد كللت بالندى * والزهر راس الغصن اذ يعصب
برودها بالنور قد غمت * كالوشى من صنعا على أعجب
والماء يجرى تحت جناتها * والنار من بارنجها تلهب
والظل ضاف والنسيم انبرى * والجو ذاكى العرف مستعذب
والطير للعشاق بالعود قد * غنت فهاجت شوق مربطرب
أبهى ولا أبهج فى منظر * من نظم من تقدمه الاصوب
مفتى دمشق الشام صدر الورى * من فى العلا تم به المطلب
علامة الدهر ولا مرية * وملجأ الفضل ولا مهرب
لله ما امتاز به من حلى * بغير من الله لا تكسب
أبدى به الرحمن فى عبده * مظاهر المح التى تحسب
جود بلا من وعلم بلا * دعوى به التحقيق يستعلب
وبيت مجد مسند ركنه * الى عماد الدين اد ينسب

الى علم المنطق وهذا الكتاب بهذا الرجل يعرف وكذلك أتينا على ذكر سائر آطام الارض كاطمة وادى برهوت

ذلك ولا يحزب واسم دار مملكتهم فى وقتنا هذا نومره وهى مدينة عظيمة ولهم من المدن نحو خمسين ومائة مدينة غير العمائر والكور وكان أوائل بلاد الافرنجة قبل ظهور الاسلام فى البحر جزيرة رودس وهى الجزيرة التى ذكرنا أنها مقابلة للاسكندرية وأن فيها دار صناعة المراكب فى وقتنا هذا للروم ثم جزيرة اقريطش وقد كانت للافرنجة أيضا ففتحها المسلمون ونزلوها الى هذه الغاية وكانت بلاد أفريقية وجزيرة صقلية للافرنجة أيضا وقد أتينا على أخبار هذه الجزائر وخبر الجزيرة المعروفة بالبركان وهى الاطمة التى يخرج منها أجسام من النار كاجساد الناس بلا رؤس فتعلو فى الهواء بالليل ثم تسقط فى البحر تتطفو على الماء وهى الحجارة التى يحك بها الكتابة من الدفاتر وهى خفاف بيض على هيئة الشهدوا كوار الزنابير الصغار وهى الاطمة المعروفة باطمة صقلية وفيها هلك مرتونوس الحكيم الذى صنف كتاب ايساغوجى وهو المدخل

من بلاد حضرموت وبلاد بلاد فارس وهذه النار ترى بالليل من نحو عشرين فرسخا وهى مشهورة بارض الاسلام وتفسير أطمة هى عين النار التى تعرض من الارض ولم تتعرض فى هذا الكتاب لذكر الخاصة الكبيرة والزاجية ولا الحمامات التى تظهر من مائها النار كالخاصة التى ببلاد ماسبذان من أرض أذربيجان والنهروان والصيمرة وهذه الخاصة فى قرية من قرى أذربيجان يقال لها القومان وهى أطمة تظهر من وسط مائها النار وهى أطمة عجيبة تمنع ورود الماء عن اطفائها وتدفعه بشدة قوتها وسلطان لهبها وهى احدى عجائب العالم اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وقد أتينا على منافع أنواع المياه بجوامع ذكرناها وقد اوحينا بها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الواحات من بلاد مصر وان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما تقدم من كتبنا

(ذكر النوبرد وملوكها)

قد تقدم ذكرنا للنوبرد وأنهم من ولد يافث بن نوح وبلادهم متصلة بالمغرب ومحلهم بالجزاولهم فانت

برقه الشامى من شامه * نال مراما والسوى خلب
وما عسى أبديه فى مدحه * أو وصف أبناءه أنجبوا
تسابقوا للمجد حتى حووا * سبقا لما فى مثله يرغب
أعيذهم بالله من شرما * يخشى من الاغيار أو يرهب
وأسأل الله لهم عزة * بادية الاضواء لاتحجب

ولما حللت دمشق المحروسة وطلبت موضعا للسكنى يكون قريبا من الجامع الاموى الذى بجزالبلوع وصفه وان ملاطروسه أرسل الى أديب الشام فرد المرالى المدرسين ساحب أذيال الفخار المولى أحمد الشاهينى حفظه الله تعالى بفتاح المدرسة الجقمقية وكتب لى معه مانصه

كف المقرى شيخى مقرى * واليه من الزمان مفرى
كف مثل صدره فى اتساع * وعلوم كالدر فى ضمن بحر
أى بدر قد أطلع الغرب منه * ملأ الشرق نوره أى بدر
أحمد سيدى وشيخى وذخرى * وسمى ووفق ذا كوفخرى
لو بعير الاقدام يسعى مشوق * جئته زائرا على وجه شكرى

العبد الحقير المستعين المخلص أحمد بن شاهين انتهى فاجبته بقولى

أى نظم فى حسنه حار فكرى * وتحلى بدره صدر ذكرى
طائر الصيت لابن شاهين يمنى * من بروض الندى له خير وكر
أحمد المستطين ذروة مجد * لعوان من المعالى وبكر
حل مفتاح فضله باب وصل * من مغانى تعريفه دون نكر
بابديع الزمان دم فى ازدياد * بالعلا وازدياد تجنيس شكر

وكتب الى ما وقف على كتابى فتح المتعال فى مدح النعال بمانصه لكاتبه الحقير أحمد بن شاهين الشامى فى تقريظ تأليف سيدى ومولاى وقبلتى ومعتقدى شيخ الدنيا والدين وبركة الاسلام والمسلمين حفظ الله تعالى وجوده آمين

أأحمد فخرا يا ابن شاهين سامیا * باحمد ذاك المقرى المسدد
بمن راح حمدا للنعال محمد * وناهيك فى العليا بارفع سودد
فان أنا اخدم نعله لطالما * غدا خادما نعل النبى المعبد
بتاليفه فى وصف نعل تكرمت * كتابا حوى اجلال كل موحد
ويكفيك فخرا يا ابن شاهين أن ترى * خدوما لخدام لنعل محمد
فقلت له طوبى بخدمة أحمد * فقال كذا طوبى بخدمة أحمد
فلا زال يرقى للمعالى مكرما * وينتقل العيوق فى رغم فرقد

فاجبته بقولى

أأحمد وصف بالعوارف يرتدى * وأشرف مولى للعارف يهتدى
فهومك اذ أنت الخليل توقدت * فأنى أجار بها بحر المبرد
أتانى نظام منك حير فكرتى * على انه أعلى مرامى ومقصدى

فانت ابن شاهين الذى طار صيته * بجو العلا والصدر ضل بفرقد
فبرك موصول وشانيك منكر * وقدرك مرفوع على رغم حسد
وعنك حديث الفضل أسند عاليا * بشام فهم يروون مسند أحمد
فوجهك عن بشر ويمناك عن عطا * وفرك يروى فى الهدى عن مسدد
فلازلت ترقى أوج سعد ورفعة * ودمت بتوفيق وعز مخلد

ولما خاطبته بقولى

بصيد ابن شاهين بجو بلاغه * سواح فى وكر البدائع تفرخ
وما كان ديك الجن مدرك نيلها * اذا صر صر البازى فلا ديك يصرخ
ولو جاد فكر البحترى بمثلها * لكان على الطائى بالانف يشمخ
ولو أن نظم ابن الحسين أتيحها * لما از بسبق حكمه ليس ينسخ
فلازال ملحوظا بعين عناية * وكتب النهانى عن علاه تؤرخ

أجابنى بما نصه

أأنفاس عيسى ما بروعى ينفخ * أم الطرس أنحى بالعبير يضمخ
وهذى قوافٍ أم هى الشمس انى * أراها على الجوزاء بالانف تشمخ
بلى هى نص من ودادك محكم * تزول الرواسى وهى لم تك تنسخ
أتثنى بمدح مخجل فكانها * لفرط حيائى قد أتتنى توبخ
وهل انا الا خادم نعل سيدى * وبينى وبين المدح فى الحق برزخ
وماهى الا غرة حزت نحرها * وانى بها بادى الحاسن أشدخ
فلا در درى وانحرفت عن العلا * اذا كان ودى عن معاليك يفسخ
وحبلك مهما طار شرقا ومغربا * بوكر ابن شاهين الوفى يفرخ
وانى وان ارخت مجد الماجد * فانى باسم المقترى أؤرخ
سمى ومولاى الذى راح مدحه * لرأس الاعادى بالمهار يض يرضخ
ودم يا نظير البدر ترقى باوجه * ولازلت فى طرفى وقلبى ترسخ

وكنت يوما أروم الصعود لموضع عال فوقعت وانفكت رجلى وألمت فكتب الى

لا ألمت رجلك ياسيدى * وصانها الله من الشين
ماهى الاقدم للعلا * لاحتاج ذاك النعل للقين
زانت دمشق الشام فى حلها * فلا رأت فيها سوى الزين
بانت عن الاهل لتشريفنا * لاجمعت أينا الى بين
عجبت من راسخة فى العلا * والعلم اذ زاغت من العين
انى أعاف المين بين الورى * ولست والله أخا مين
للقرى المجتبى أحمد * دين الهوى والمدح كالدين
وأحمد الله على أننى * رأيته حاز الفريقين
فلا أراه الله فى عمره * بينا يؤديه الى أين

كثيرة يجمعهم ملك واحد وأسماء ملوكهم فى سائر الاعصار أركس والمدمة العضمى من مدنهم ودار مملكتهم هى تيت ويخترقها نهر عظيم وهى جانبان وهذا النهر أحد أنهار العالم الموصوفة بالكبر والعجائب يقال له سانيط قد ذكره جماعة ممن سمى بهذا المعنى ممن تقدم وكان المسلمون من حاورهم من بلاد الاندلس والمغرب نلبوهم على مدن كثيرة من مدنهم مثل مدينة نارطارينو (قال المسعودى) وجدت فى كتاب وقع الى انقسطاط مصر سنة ست وثلاثين وثلثمائة اهداه عرمار الاسقف بمدينة زهرة من مدن الافرنجة فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة الى الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ولى عهد أبيه عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت فى عهده يا أمير المؤمنين ان أول ملوك افرنجة قلوزويه وكان مجوسيا

فتنصر هو وابنه لدريق وابنه دغشرت ثم ولى بعده ابنه لدريق ثم ولى بعده قركمان بن دغشرت ثم ولى بعده ابنه تنين ثم ولى

ولابنه ستاوعشرين سنة وكان فى أيام الحكم صاحب الاندلس وقد تواقع أولاده

بعده نازلة بن تفنين وكانت ووقع الاختلاف بينهم حتى تغلبت الافرنجة بسببهم وصار لذريق بن نازلة صاحب ملكهم هلك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر وهو الذى أقبل الى طرطوشة فحاصرها ثم ولى بعده ابنه نازلة وهو الذى نهادى مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا وثلاثين سنة وستة اشهر ثم ولى بعده ابنه لذريق ستة اعوام ثم وثب عليه قائد الافرنجة المسمى رشة وملك افرنجة فاقام فى ملكهم ثمان سنين وهو الذى صالح المجوس عن بلده سبع سنين بستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يؤديها صاحب الافرنج اليه ثم ولى بعده نازلة بن بغر برة أربع سنين ثم هلك بعد نازلة اخوه ومكث احدى وثلاثين سنة وثلاثة اشهر ثم ولى بعده لذريق بن نازلة وهو ملك افرنجة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة واستولت مملكته عشرسنين الى هذا التاريخ على حسب ما نمى الينا من خبره (قال المسعودى) هى

لعريد احب العبد الحقير الداعى أحمد بن شاهين انتهى * وأهديت اليه حفظه الله تعالى صحة وحاما وكتبت اليه

يانجل شاهين الذى * أحيا المعالى والمعالم
يامن به ريشت سن الـ ـمجد الخوافى والقوادم
يامن دمشق بطيب ما * يبديه عاطرة النواسم
فالنهر منها ذوصفا * والزهر مفتر المباسم
والغصن يثنى عطفه * طربا لتغريد الحمائم
ياأحمد الاوصاف يا * من حاز أنواع المكارم
أنت الذى طوقتنى * منناله تعنو الاعاظم
فمتى أؤدى شكرها * والعجز لى وصف ملازم
والعذر بادأن بعثت اليك من جنس الرتائم
بنتيجة الذكر التى * جاءت بتحقيف ملائم
وبخاتم صادالى * فيض الندى من كف حاتم
فامدد على جهد المقل رواق صفح ذادعائم
واقبل عقيلة فكرمن * هوفى بحار الحى عائم
لازلت سابق غاية * بين الاعارب والاعاجم

فاجابنى بما صورته

ياسيد اشعرى له * ماان يقاوى أويقاوم
كلا ولاقدرى له * يوما يساوى أو يساوم
يامن رأيت عطاردا * منه بدا فى شخص عالم
يامن بنفحة خلقه * وبظامه السامى الملائم
أضحى يرينى معجزين من النواسم والمباسم
مازلت أبصر منهما * حسن المعامى والنعائم
بهما زمانى حاسدا * أضحى وبالتنغيص حاسم
قلمى وقلبى بينهما * م فى الثناء له وهائم
حبى لاحمد سيدى * شيخ الورى فرض ملازم
المقرى المعتلى * شرف المعالى والمعالم
مالى اليه وسيلة * الاهوى فى القلب دائم
قد جاء ماشرفتنى * بخصوصه دون الاعاظم
من خاتم كفى به * ورثت سليمان العزائم
وجعلتنى لاأحسب السـ ـعوق لى فى فص خاتم
وبسبحة شبهتها * بالشهب فى أسلاك ناظم
فلتحسد الجوزاء ما * أحرزت من تلك المكارم

هى آلة للذكر لكن ليس ذكرى فى الحيازم
فهواك فى قلبى وما * فى القلب جل عن الرتائم
ماذى رتائم سيدى * بل انها عندى نمائم
لو انها من جسم ما * يطوى غدت فوق العمائم
لكنها قد زينت * كى وأزرت بالخواتم
يا من يريش اذا رمى * نسر السماء بلحظ حازم
ان ابن شاهين حوى * منك الخوافى والقوادم
هذى نوافل يا اما * م الدهر ليست باللوازم
العذر منها محجل * عبد العلا جد حادم
بل انت فوق العذر قد * أصبحت للشعرى نمادم
لازال دهرك سيدى * يلقاك منه ثغر باسم
يهدى اليك من المرا * حم والمكارم والغنائم
مالا يساوم مثله * ذو الحظ فى أسنى المواسم

العبد الحقير الداعى لاستاذه ومولاى الاجل بالتمكين أحمد بن شاهين حامدا مصليا مسلما انتهى وقال مستجيزا

الشيخ يشرب ماء * ونحن نشرب قهوه

فقلت

لانه ذو قصور * فغط بالعذر سهوه

ولما أزمعت العود الى مصر اوائل شوال سنة ١٠٣٧ حاطبنى بقوله

ابدا اليك تشوقى وحنينى * والى جنابك ما علمت سكونى
ولديك قلبى لا يزال رهينة * علقت وتعلم ذمة المرهون
وعليك قد حبست شوارد مدحتى * لما رأيتك فوق كل قرين
قلبى كقلبك فى المحبة والهوى * اذ كان فى الاشواق دينك دينى
وليته بهواك أرفع رتبة * وغدوت تعزل عنه كل خدين
واطاع أمرك فى الوداد فلواشا * منه وحاشا سلوة تعصينى
ما كنت أحسب قبل طبعك ان أرى * يوما عطاردنا طقا بفنون
حتى رأيتك فاستبنت بانه * يروى أحاديث العلا بشجون
ويفيد سمعى معجزا بهر النهى * ويرى عيونى آية التكوين
يا من غدا يحيى القلوب بلفظه * ويرد الانفاس عن جبرين
أحييت بالوحى المبين قلوبنا * وحلى لعمر الله جد مبين
هذى دمشق لعمر خلقك روضة * قد جاد طبعك دوحها بعين
قد زارها غيث الندى فبهارها * أضحى يلوح بحلة النسرين
لولم تكن بدر الما أحرزت ما * قد خص فى الانوار بالتلوين

ان الجلالقة اشد باسا وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الاندلس فى هذا الوقت وزير من ولد امية يقال له احمد بن اسحق فقبض عليه عبد الرحمن لامر كان منه استحق عليه فى الشريعة العقوبة فقتله عبد الرحمن وكان للوزير اخ يقال له امية فى مدينة من ثغور الاندلس يقال لها سيرين فلما اتى اليه ما فعل باخيه عصى على عبد الرحمن فصار فى حير ردمير ملك الجلالقة فاعانه على المسلمين وولاه على عورانهم ثم خرج امية فى بعض الايام من المدينة يتصيد فى بعض متنزهاتها فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكتب الى عبد الرحمن ومضى امية بن اسحق اخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره وصيره فى حملته وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس بثورة مملكة الجلالقة المتقدمه صفة بنيانها واسرارها فى باب جمل الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك واخبار الاندلس وغير ذلك وكان عبد الرحمن فى مائة الف اويزيدون

فكانت وقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة فى شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة بعد الكسوف الذى كان فى هذا

عليهم ثم أنابوا بعد أن حوصروا وأوجسوا الى المدينة فقتلوا من المسلمين

بعد عبورهم الخندق خمسين ألفا وقيل ان الذى منع ردمير من طلب نجاص المسلمين أمية بن اسحق وخوفه الكمين ورغبه فيما كان فى معسكر المسلمين من الاموال والعدد والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان أمية بعد ذلك استأمن الى عبد الرحمن ونجاص من ردمير فقبله عبد الرحمن أحسن قبول وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكر مع عدة من قوّاده الى الجلالقة وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين فى الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى هذه الغاية وردمير ملك الجلالقة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان تبله على الملك اردون الفرس والجلالقة والافرنجة تدين بدين النصرانية على رأى الملكية (رجع الحديث) ومدينة طاريوه مدينة سيرين وغيرهما من مدنهم الكبار سكنها المسلمون مدة من الزمان ثم ان الوبر أنابوا ورجعوا على من كان فى تلك المدن من المسلمين فاخرجوهم عنها بعد حرب طويل وماذكرنا من المدن فى وقتنا هذا قد

حققت ما قد قيل حين حللتها * ان المكان مشرف بمكين
هى عادة حليتها فتزينت * ماكان أحوجها الى التزيين
مولاى أحمد ياسليل بنى العلا * يافوق مدحى فيك أو تحسينى
اغنى وجودك وهو عين الدين عن * علامة الدنيا لسان الدين
انظره تستغنى به عن غيره * والى العيان ارغب عن المظنون
تلقى علوم الناس فى أوراقهم * وعلومه فى صدره المشحون
فبعلمه اعبر كل بحر زاخر * وبفهمه اسبر غامض المخزون
وبحلمه اوعب عن حلم أحنف * وبعزمه اصحب باس ليث عرين
لما رأيتك فاستعمت لفعلتى * أدعو واشكر واردات شؤنى
ألفيت قطرك يمنتى فافادنى * فضل اليمين على اليسار يقينى
حسنى الحيا للقرى أخى العلا * بلدا باقصى الغرب جد هتون
بلد اتينت الهلال بافقه * ورأيت منه قرة لعيونى
لولا هلال الغرب نور شرقنا * بتنا بليل الحدس والتخمين
يا راحلا رحل الفؤاد بعزمه * رفقا بقلب للوفاء ضمين
أستودع الله العظيم وانى * مستودع منه أجل أمين
أنى اودع يوم بينك مهجتى * وشبيبتى وتصبرى وسكونى
وأعود من توديع وجهك عودة * خلطت يقينى فى الهوى بظنون
حتى كأنى قد فقدت تمائما * تقضى على بحالة المجنون
وتود نفسى انها لو حرمت * ابدا سكونى للهوى وركونى
اوشكت أقتل بين معترك الهوى * نفسى ومعترك الهوى بيمينى
ولقد وددت بانى متحمل * تلك الخطايجاجرى وجفونى
كيف السبيل الى الحياة ومهجتى * فى قبضة الاشواق كالمسجون
ما أنت الا البدر لاح بافقنا * شهرا وكان ضياؤه يهدينى
والله يا شيخ دهرى غادة * غنيت عن التحسين والتزيين
جاءتك تعرض فى الوداد كمالها * واذا لحظت جمالها بكفينى
هى بنت لحظتك التى تؤوى النهى * لا بنت ليلاتى التى تؤوبنى
ما الفخر فى دعوى البديهة عندها * الفخر قولك انها ترضينى
حسبى ابا العباس منك اصاحة * تقضى بموت عداى أو تحيينى
بالله نفسى كيف أبلغ مدحة * أضمرتها فى سرى المكنون
فلسان حبى بالغ اقصى المدى * ولسان مدحى فى القصور يلينى
ما الشعر يستوفى حقوقكم ولو * أهديت من نظمى عقود سنينى
حلقت أعاظم النجوم وانها * تزهو بعقدى فى علاك ثمين
فرأيت فى العيوق طبعك سيدى * نسرا أسف لعجزه شاهينى

قد خف شعرى من قصور طبيعتى * وربما قد كان جد ركين
يكفيك أحمد يا ابن شاهين بان * أحرزت خصل السبق دون الدون
واذا عجزت عن الفرائض جاهدا * فاذأب عساك تفوز بالمسنون
هو قبلتى فلأعتدى متمسكا * منه بحبل فى النجاة متين
واسلم فديتك زائرا ومشرفا * أفدى مواطئ نعله بجبينى
وكذاك عمرى فى هواك مقسم * بين الدعاء الجد والتأمين

وقال حفظه الله تعالى فى ذلك

حنانيك ان الدمع بالود معرب * وانى فى نثرى وأنت معرب
ورحماك فى انى فتى ل صبابة * بمن هو أوفى فى الوداد وأحبب
ووعدك لى بالعود انى معلل * به مهجة قد أوشكت تتصوب
وهبتك قلبى ما حييت ولم أقل * ولكن من الاشياء ليس يوهب
فلو كنت شيئا واحدا هد صده * فكيف بشيخ لم يكن مثله أب
وانا بحمد الله لما خصصتنا * بزورة ذى ود دعاه التحبب
فرشناله منا الخدود مواطئا * وعدنا به شوقا نجىء ونذهب
وقلنا دمشق أنت فيها محكم * وأشرافها ودوا وجدوا ورحبوا
وأنت لها روح ومولى ومفخر * وقد زنت شرقا مثل ما ازدان مغرب
ونحن اعظيما يا ابن شاهين انه * غداة وكرنا نسر السما فيه يرغب
فنحن ونحن الناس خدام نعله * فلا غرو أن يقلى الغضنفر أكلب
وما نقموا منه سوى أنه امرؤ * ليأكل فيما قدروه ويشرب
هو الشيخ شيخ الدهر أحمد من غدت * دمشق ومن فيها بعلياه تخطب
هو المقرى العالم العلم الذى * اليه تناهى الفضل والمجد ينسب
وما هو الا الشمس أزمع رحلة * وانا لفى ليل اذا هى تغرب
أو الغيث قد وافى فأمرعت النهى * به وانثنى والصدر بالرد معشب
أو الطائر العنقاء جاء مشرقا * فأغرب والعنقاء فى الطير معرب
وانك للفضل الوفى وانه * هو الواحد المملوء ان عز مطلب
وانك بالتحقيق فى كل حالة * لاسنى وأندى ثم أوفى وأعرب
رعى الله وجها أنت ترغب نحره * وأى أخى جد له أنت ترغب
وحيا الحيا أرضا وطئت ترابها * فأصبح مسكا وهى بالمجد تخضب
ولا فارقت يوما علاك كلاءة * من الله انى كنت والله أغلب
مدى الدهر ما حنت جوانح واله * مشوق فامسى للعقيقة يطرب

ولما قرأ على أدام الله تعالى عزته وحرس حوزته عقيدتى المسماة باضاءة الدجنة فى عقائد أهل السنة سألنى أن أجيزه فيها وفى غيرها فكتبت اليه بما نصه

أحمد من أطار فى جو العلا * صيت ابن شاهين الذى زان الحلى

الجلالقة والافرنجة والصقالبة والنو برد وغيرهم من الامم فديارهم متقاربة والاكثر منهم حرب لاهل الاندلس فى هذا الوقت ذو منعة وقوة عظيمة على ما قد منا من سببه وأخباره وقد كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سار الى الاندلس فى أول دولة بنى العباس وله أخبار كثيرة فى كيفية وصوله الى الاندلس ودار مملكة الاندلس قرطبة على ما ذكرنا ولهم مدن كثيرة وثغور واسعة وثغور فى أطراف أرضهم وربما يجتمع عليهم من جاورهم من الامم من ولد يافث من الجلالقة وبرجان والافرنجة وغيرها من الامم وصاحب الاندلس فى هذا الوقت يركب فى مائة ألف وهو ذو منعة بالرجال والمال والكراع والعدد والله أعلم

(ذكر عاد وملوكها)

ذكر جماعة من ذوى العناية باخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح فى عاد الاولى التى بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله عز وجل وأنه أهلك عادا الاولى فانه يدل على

تقدمهم وأن هنالك عادا ثانية وأخبر الله عن ملكهم ونطق بشدة بطشهم وما بنوه من الابنية المنيفة

التي يدعى على مر الدهور
اياهم أتبنون بكل ريع
آية تعبثون وتتخذون
مصانع لعلكم تخلدون
واذا بطشتم بطشتم جبارين
وعاد أول من ملك في
الارض من هذه الطائفة
بعد أن أهلك الله عز وجل
الكفار من قوم نوح
وذلك لقوله تعالى واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم
نوح وزادكم في الخلق بسطة
وذلك أن هؤلاء القوم
كانوا في هامات النخل
طولا وكانوا في الاصل
الاعمار وطولها بحسب
ذلك من القدر وكانت
قوتهم قوية وأكبادهم
غليظة ولم يكن في الارض
أمة هي أشد بطشا وأكثر
آثارا وأدوى عقولا وأكثر
أحلاما من قوم عاد ولم
يكن الهلك يعرض
في أجسامهم لقوة آثار
الطبيعة فيها وما أوتوه من
الزيادة الى تمام البنية
وكمال الهيئة على حسب
ما أخبر الله عز وجل وكان
عاد رجلا جبارا عظيم
الخلقة وهو عاد بن عوص
ابن ارم بن سام بن نوح
وكان عاد يعبد القمر
وذكروا أنه رأى من
صلبه أربعة آلاف ولد
وأنه تزوج ألف امرأة
وكانت بلاده متصلة باليمن وهي بلاد الاحقاف وبلاد سنجار وبلاد عمان الى حضرموت على حسب

العادية وقد أخبر الله تعالى عن قول نبيه هود عليه السلام وخطابه

وراش منه للعالي أجنحه * نال بها فضلا غدا مستمنحه
وأسكن البيان من أوكار * أفهامه بقنة الافكار
فاصطاد كل شارد بمخلب * أبحاثه ومن يعارض يغلب
والصقر لا يقاس بالبغاث * والحق ممتاز عن الاضغاث
نشكر من بلغه مناه * على نواله الذي سناه
ونتحى نهج صلاة باديا * لخير من جاء الانام هاديا
مبادلا ئل الوحيد * وموضحا طرائق التسديد
محمد خير البرايا المتقى * أجل من خاف الاله واتقى
صلى عليه الله مع أصحابه * وآله الراوين عن سحابه
ما استرفد العبد الفقير ذو العدم * للرب باستغنائه و بالعدم
و بعد فالعلوم والعوارف * من أمها يأوي لظل وارف
وروضة أزهارها تصوعت * لانها أفنانها تنوعت
وليس يحتاط بها تبدل * اذ ذاك أمر ماله سبيل
فليصرف القول الى ما ينفعه * دنيا وفي أوج الاجور يرفعه
وان في علم أصول الدين * هدى وخير اجل عن تبيين
لانه أصل سم النفع * به وكل ما سواه فرع
وكيف يعبد الاله من لا * يعرفه وعن رشاد ضلا
فهو الذي لا تقبل الاعمال * الا به وتجمع الآمال
واني كنت نظمت فيه * لطالب عفيدة تكفيه
سميتها اضاءة الدجنه * وقد رجوت أن تكون جنه
و بعد أن أقمر أيها بمصر * وكنة بعضا من اهل العصر
درسنها لما دخلت الشاما * بجامع في الحسن لا يسامى
وكان في المجلس جمع وافر * من جلة بدورهم سوافر
منهم فريد الدهر ذو المعالي * فخر دمشق الطيب الفعال
أحمد من راح لعلم واغتدى * وشام أنوار الفهوم فاهتدى
العالم الصدر الاجل المولى * من وصفه الممدوح يعيي الغولا
وهو ابن شاهين وما أدراكا * من بذ جنس العرب والاتراكا
ورام من مثلي بحسن الظن * اجازة فيما رواه عني
لحرت في أمر بن قد تناقضا * بالنفي والاثبات اذ تعارضا
ترك الاجابة لوصي بالحظل * وبالخطا والجيد مني ذو عطل
وكم فرائض بعجز سقط * فكيف غيرها وهذا أحوط
أو فعلها بحسب الامكان * رعيا لود محكم الاركان
منه وماله من الحقوق * ولا يجازى البر بالعقوق

وابعد

و بعد مامر من الشرداد * أسعفته بمقتضى الوداد
وسرت فى طرف من التساهل * معترفا بالجهل لا التعاهل
مع انه الاهل لأن يحبرا * لا أن يجاز ادحوى التبرزا
ومن رأى عبى بعين الرضا * لم يقف حيث من غد امعترضا
فليروعنى كل ما أسمعته * اياه بالشرط وما جمعته
مع القصور راجيا للاجر * من العنون نظمها والنثر
كهذه القصيدة السديده * والنعل ذات المدح العديده
كذاك ما ألفت فى عمامه * من خص بالاسراء والامامه
والفقه والحديث والنحو وفى * أسرار وفى وهو بالقصد وفى
وغيرها مما به الوهاب من * على فقير عاجز فى غير فن
وما أخذت فى بلاد المغرب * عن كل فذ فى العلوم مغرب
ولى أسانيد اذا سردتها * طالت وفى كتبى قد اوردتها
وقد أخذت الجامع الصحيحا * وغيره ممن حوى الترجيحا
حمى سعيد عن سفين وهو عن * القلقشندى عن الواعى السنن
العسقلانى الشهاب بن حجر * بماله من الروايات اشتهر
وقد اجزته بكل مالى * يصح من ذاك بلا احتمال
على شروط قرروها كافيه * ليست على افكاره بخافيه
وقال هذا المقرى الخطا * والى عم لفظه والخطا
عام ثلاثين وألف بعدها * سبع أتمت فى السنين عدها
وكان ذا فى رمضان السامى * بحضرة السعد دمشق الشام
والله نرجو أن يتيح الختما * بالخير كى نعطى القبول حتما
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله ما طال المدى
وآله وصحبه ومن زكا * فنال من حسن الختام مدركا

وتذكرت بهذه الاجازة نظيرتها التى سألنى فيها مولانا عين الاعيان مفتى الانام فى مذهب النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادى مفتى الشام حفظه الله تعالى لاولاده الثلاثة وكتب لى اصغرهم سنا استدعاء لذلك

أحمد من شيد بالاسناد * بيت العلوم السامى العماد
وعم من خص بالروايه * بنورها النا فى دجى الغوايه
وزان صدر النبها كل زمن * بجوهر الاجازة الغالى الثمن
نحمده سبحانه أن عرفا * من الحديث مابه قد شرفا
ونسأل المزيد من صلاته * لمن أتيح القصد من صلاته
ملجؤنا المعصوم أعلى سند * لنا بغير جاحد مفتقد
كهف الضعيف والقوى المرتجى * باب الهدايات وليس مرتجا

جماعة من الاخباريين ممن عنى باخبار العرب أن عاد الماتوسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وطهور الكثرة مع تشييد الملك واستقامة الامر غمر احسانه الناس وقرى الضيف وأحواله منتظمة والدنيا عليه مقبلة فعاش ألف سنة ومائتى سنة ثم مات وكان الملك بعده فى الاكبر من ولده وهو شديد بن عاد وكان ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده) أخوه شداد بن عاد وكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه استولى على سائر ممالك العالم وهو الذى بنى مدينة ارم ذات العماد على حسب ماقدمنا فيما سلف من كتبنا عند اخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس فى كيفيتها وماهيتها وفى اى بلاد هى وهذه عماد الثانية التى ذكرها الله تعالى فقال الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد والى هذه المدينة انتهى البطش ولشداد بن عاد سير فى الارض وطواف فى البلاد عظيم فى ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب وحروب كثيرة اعرضنا عن ذكرها الشرط الاختصار ومعولنا فى ذلك على ما بسطناه من اخبارهم فى كتاب

من جاءنا بالجامع الصحيح من * كلامه الهادى الى نهج أمن
من فضله ماشئت فيه مسلم * من حبه بكل خير معلم
نبينا المرسل ذو الخلق الحسن * والمعجز المفحم أرباب اللسن
محمد المرفوع قدره على * سائر خلق الله جل وعلا
صلى عليه ربنا وسلما * أزكى صلاة تنتحيها معلما
مع آله وصحبه ومن روى * آثاره عن صحة وما غوى
وبعد فالعلم عظيم القدر * وليس من يدرى كمن لا يدرى
ولم تزل همة أهل المجد * منوطة بنيل علم مجدى
وسنة علم السنة الشريفه * لانه ظلاله ورديفه
فمن درى الاخبار والشمائل * لم يك عن صوب الهدى بمائل
ولم يمد ع لاجله رفض * أوطانه وثوب ترحال نفض
وكيف لا وهو أجل ما طلب * موفق يروم حسن المنقلب
لانه وسيلة السعاده * والعز فى الابداء والاعاده
وانني لما انتحيت المشرفا * سميما بدا راهتداء مشرفا
ألقيت فى مصر عصا التسيار * بعد بلوغى أشرف الديار
وبعد ذا جئت دمشق الشام * مسكن من يزدان باحتشام
فشاهدت عيناى فيها ماملا * قلبي سرورا اذ بلغت مأملا
مدينة فياضة الانهار * فضفاضة الاثواب بالازهار
أرجاؤها زاكية العبير * ومدحها يجل عن تعبير
وجل أهليها بحبي دانوا * مع أن مثلى منهم يزدان
فلاحظوا بالاعين الكليله * عبدا غدا تقصيره دليله
وقابلوا عيبي بما اقتضاه * فضل لهم رب الورى ارتضاه
خصوصا المولى الكبير المعتبر * قرة عين من رآه واختبر
مفتى الورى فى مذهب النعمان * بها الوجيه عابد الرحمن
ابن عماد الدين من تعيي القلم * أوصافه اللاتى كنور فى علم
حاوى طراف المجد والتلاد * نال المنى فى النفس والاولاد
وكنت فى مكة قد أبصرت * منه علا عن مدحه قصرت
جلالة ومحتدا وعلما * ورفعة وسودد وحلما
مع التواضع الذى قد زانه * حسن اعتقاد مثقل ميزانه
فحثنى من فى الشام من أخيار * لم يسلكوا مناهج الاغيار
أن يأخذوا بعض الفنون عنى * بما اقتضاه منه حسن الظن
مع أننى والله لست أهلا * لذاك والتصدير ليس سهلا
وكان من جملتهم أبناؤه * عماد دين قد علا بناؤه

عند ذكرنا تعرق الناس قبائل وتشعب الانساب وما قالوا فى ذلك من الاشعار جملا من اخبار عاد وتبيانها هود فاما تنازع الناس من سلف وخلف فى العلة التى بها عظمت اجسامهم وطالت اعمارهم فقد اتينا على ذكر ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الروس السبيعية من السياسة الملوكية وكذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الرائف

(ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها)

قد ذكرنا فيما سلف ذكر ثمود فى غير هذا الكتاب وكان ملك ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشى وديارهم بفج الناقة وبيوتهم الى وقتنا هذا ابنية منحوتة فى الجبال ورسمهم بانية وآثارهم بادية وذلك فى طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادى القرى وبيوتهم منحوتة فى الصخر بابواب صغار ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا وهذا يدل على ان أجسامهم على قدر أجسامنا دون ما يخبر به القصاص من بعد اجسامهم وليس هؤلاء كعاد اذ كانت آثارهم وواضح مساكنهم وبنيانهم بارض الشحر تدل على بعد اجسامهم وضنوه

وصنوه الشهاب دن توقدا * فهما وابراهيم سباق المدى
وهو الذى قد ابتغى الاجازه * لهم بوعد طالبا انجازه
وكتب القصيدة الطنانه * فى ذالك مختصرا أفنانه
وانهم كلفة قد أغرغت * دامت لهم آلاء فيض دوغت
فلم أجد بدا من الاجابه * مع كون جهلى سادلاحبابه
فقد أجتهم بما رويته * طرا وما ارتجلت اذ رويته
وكل ماصنفت فى الفنون * مؤمل التحقيق للظنون
وما أخذت عن شيوخ المغرب * وغيرهم من كل حبر معرب
ولى أسانيد بطول شرحها * شيء على تقوى الالة صرحها
ولو سردت كل رواياتى * هنا لطار القول فى الابيات
وكل طول غالبا مملول * وحد من يعنى به ممله ول
فلتقتصر اذن على القليل * تبركا بالمطلب الجليل
وقد أخذت جامع البخارى * عن عمى الحائز للفخار
المقرى سعيد الامام عن * محمد يحيى خر يفاحين عن
التونسى الطيب الانفاس * نزيل حضرة الملوك فاس
عن الكمال القادرى المرتضى * عن الجارى عن الحبر الرضا
نجل ابى المجد عن الجارى * عن الزبيدى بنقل جارى
عن سند الاسلام عبد الاول * عن الشهير الداودى المعتلى
عن السرخسى عن الفربرى * عن البخارى الامام الحبر
وفضله أظهر من أن يذكر * وعلمه المعروف غير المنكر
ومسلم بدأ الى الكمال * عن علم الدين أخى الجلال
منسوب بلقين عن النووى * عن ابن حزة عن الشيوخ
كابن المقير عن ابن ناصر * عن ابن منده اللبيب القاصر
عن جوزق قد روى عن مكى * عن مسلم نافى دياجى الشك
فليخبروا عنى بذا والباقى * من ستة حائزة السباق
كذا موطأ الامام مالك * امامنا منير كل حالك
ومسند الفذ الرضا ابن حنبل * والدارمى ذى الثناء الاجمل
والطبرانى وما أرويه * من المعاجيم بما تحويه
وكلها تشمله الاجازه * بشرطها عند الذى أجازه
فلتقبلوها فهى من جهد المقل * اذ لست بالمطلوب منى أستقل
ومن أسانيدى عن القصار * مفتى الانام بهجة الاعصار
عن شيخه خروف الراقى الدرج * عن الشريف الغطمطانى فرج
قال سمعت المصطفى فى النرم * صلى عليه الله كل يوم

جندع بن عمرو بن الدليل
ارم بن عوص بن عاد بن
ارم بن سام بن نوح وكان
ملكه الى ان هلك مائتى
سنة وتسعين سنة وملك
جندع هذا بعد أن كان
من أمر صالح النبى صلى
الله عليه وسلم ما كان على
ماذكرنا أربعين سنة
فجميع ما ملك هذا الملك
وهو جندع ثلثمائة وسبع
وعشرون سنة وهو آخر ملوك
ثمود وبعث الله صالحا نبيا
وهو غلام حدث لثمود على
فترة كانت بينه وبين هود
نحو من مائة سنة فدعاهم
الى الله وملكهم يومئذ
هو جندع بن عمرو على ما
ذكرنا فيحب صالحا من
قومه الا نفر يسير وكبر
صالح ونهى رددا ومعه من
الايمان الا بعدا فلما تواتر
عليهم انذاره وابداره
ووعده ووعيده سألوه
المعجزات واظهار العلامات
ليمنعوه من دعائهم
وليجزوه عن حثهم
لحضر عيدهم وقد ظهروا
اوثانهم وكان القوم
أصحاب ابل فسألوه الآية
من جنس أموالهم وما الفوه
مما هو جانس لاملاكهم
من بعد اتفاق آرائهم
فقال لهم زعيم من زعمائهم

يا صالح ان كنت صادقا فى قولك وأنك مبعوث عن ربك فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن وبراء سوداء عشراء وجاحا الكلة

يقول من أصبح يعنى آمنا * فى سربه الحديث فاعرف كامنا
ولنمسك العنان فى هذا الارب * مصليا على الذى زان العرب
وآله وصحبه الاعلام * ومن تلا من أنجم الاسلام
وخط هذا المقرى العاصى * أجير يوم الاخذ بالنواصى
سنة سبع وثلاثين نلت * ألفا لهجرة بياسين علت
عليه أزكى صلوات تستنم * نرجو بها الزلفى وحسن المختتم

ونص الاستدعاء المشار اليه هو

فزت دمشق الشام بالمقرى * الالمعى اللوذعى العبقرى
علامة العصر بلا مفترى * وواحد الدهر بلا مرى
كم سمعت أخبار أوصافه * فقصر الخبر عن منظر
جامع علم بث املاءه * بالشام ملء الجامع الاكبر
يقرى فتقرى السمع أنفاسه * أنفس ما يقرى وما قد قرى
مولاى يا من درألفاظه * صحاحها تزرى على الجوهرى
اجازة نرفل من فضلها * فى ثوب عز وردا معفر
مسبلة الذيل على أكبر * وأوسط الاخوة والاصغر
أطل لنا انشاءها بل أطب * وانظم لنا من درها وانثر
لازلت فى نفع الورى دائبا * تجود جود العارض الممطر

العبد الداعى ابراهيم العمادى انتهى ومن الاجازات التى قلتها بدمشق الشام ما كتبته للاديب الحسيب سيدى يحيى المحاسنى حفظه الله تعالى

أحمد من زين بالمحاسن * دمشق ذات الماء غير الآسن
وأطلع النجوم من أعيان * بافقها السامى مدى الاحيان
فكل أيامهم مواسم * من الصفا ثغورها بواسم
وذكرهم قد شاع بين الاحيا * اذ قطرهم به الكمال يحيى
وبشرهم حديثه لا ينكر * ومسند الجامع عنهم يذكر
وقد حكت جوارح الذى ارتحل * اليهم صحيح ماله انتحل
فسمعه عن جابر والعين عن * قرة تروى واللسان عن حسن
فجل من أتاحهم آلاءه * حتى أبان نورهم لألاءه
نحمده سبحانه أن أسدى * من الامان ما أنال القصدا
ونقتفى صوب صلاة باهره * الى الرسول ذى السجايا الطاهره
أجل من خاف الاله واتقى * محمد الهادى الرسول المنتقى
صلى عليه الله طول الابد * مع آله وصحبه والمقتدى
وبعد فالعلم أساس الخير * وكيف لا وهو مزيح الضير
وهو الموصل الى منهاج * هدى ورشد ماله من هاجى

وناصية وشعروو برفاستغاث بربه فتحركت الصخرة وانفلقت وبدا منها

صاحبه اللون ذات عرف
حنين وانين ثم انصدعت
من بعد تمخض شديد
كتمخض المرأة حين
الولادة وظهر منها ناقة
على ما طلبوه من الصفة
ثم تلاها من الصخرة سقب
لها نحو ما فى الوصف
فأمعنا فى رعى الكلا وطلب
المرعى فآمن حلق من
عشيره وزعيمهم الذى
سأله وهو جندع بن عمرو
وأقامت الناقة يحلبون
من لبنها ما يعم شربه ثمودا
كلها وضايقتهم فى الكلا
والماء وكان فى ثمود
امرأتان ذوات حسن وجمال
فزارهما رجلان من ثمود
وهما دادر بن سالف ومصدع
ابن مفرج والمرأتان عنيزة
بنت زعيم وصدوف بنت المحيا
فقالت صدوف لو كان
لنا فى هذا اليوم ماء
لاسقينا لم نخمر وهذا
يوم الناقة وورودها ولا
سبيل لنا الى الشرب فقالت
عنيزة بلى والله لوان لنا
رجالا لكفونا اياها وهل
هى الا بعير من الابل فقال
دادر يا صدوف ان انا
كفيتك أمر الناقة فما لى
عندك فقالت نفسى
وهل حائل دونها عندك
فاجابت الاخرى صاحبها
بنحو ذلك فقالا سيلا علينا
بالخمر فشربا حتى توسطا السكر ثم خرجا فاسقوا ناقة رهط وهم التسعة الذين أخبر الله تعالى عنهم

وما

في كتابه بقوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون وقصدوا طريق

وما بغير العلم يسود العلم * وليس من يدري كمن لا يعلم
خصوصا الحديث عن خير البشر * فان فضله على الكل انتشر
ولم يزل يعنى به كل زمن * من الرواة كل صدر مؤتمن
وانني عند دخول الشام * لقيت من بها من الاعلام
وشاهدت عيناي من اوصافهم * ما حقق المحكي عن اوصافهم
وان من جملتهم أوج الذكا * والنير المزري سناه بذكا
ابن المحاسن الذي قد طابقا * منه مسمى الاسم اذ سابقا
اللوذعي الالمعي يحيى * لازال رسم المجد منه يحيا
وهو الذي أغراه حسن الظن * على التمائه لاخذ عني
وكان قارئ الحديث النبوي * لدى في الجامع أعني الاموي
بمحضر الجمع الغزير الوافر * ممن وجوه فضلهم سوافر
وبعد ذاك استطمر الاجازه * من نوه وعدي واقتضى انجازه
فلم أجد بدا من الاجابه * مع أنني لست بذي النجابه
وان اكن أجبت أمر ممتثل * منه ففي ذلك تصديق المثل
فيمن درى شيأ وغابت أشيا * عنه ومن أهدى لصنعا وشيا
فليرو عني كل ما يصح لي * بشرطه الذي يزين كالحلي
وقد أخذت جامع البخاري * عن عمي الامام ذي الفخار
سعيد الذي نأى عن دنس * عن شيخه الحبر الشهير التنسي
أعني أبا عبد الاله وهو عن * والده محمد راوي السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضا * عن جده الخطيب عن بدر أضا
الفارقي عن امام يدعى * بابن عساكر الجميل المسعى
بماله من الروايات التي * على علو قدره قد دلت
وليروعني ما انتمى للنووي * بذا الى السابق ذي النهج السوي
أعني ابن مرزوق الخطيب الراوي * عن شيخه يحيى الرضى المغراوي
وهو روى عن صاحب التمكين * النووي الشيخ محيي الدين
وخط هذا أحمد البادي الوجل * المقري المالكي على خجل
في عام ألف وثلاثين خلت * من هجرة الهادي وسبعة تلت
ألبسه الله البرود الضافيه * من منه وعفوه والعافيه
بجاه سيد البرايا طرا * ملجا من الى الكروب اضطرا
عليه أسنى صلوات تسدى * حسن الختام ببلوغ القصد انتهى

وسأل مني بعض سا كني دمشق المحروسة أن أقرظ له على شرحه لرسالة العارف بالله تعالى سيدي الشيخ آرسلان فكتبت ما صورته

أحمده من خص بالاسرار * قدما من الصوفية الابرار

الناقة في حال صدورها فضرب قدار عرقوبها بالسيف فعرقبها وأتبع صاحبه الآخر العرقوب الآخر فخرت الناقة لوجهها ووجأ قدار لبتها فنحرها ولاد السقب بصخرة فلحقه بعضهم فعقره وورد صالح فنظر الى ما فعلوه فوعدهم العذاب وكان ذلك في يوم الاربعاء فقالوا له مستهزئين يا صالح متى يكون ما وعدتنا به من العذاب عن ربك فقال تصبح وجوهكم يوم مونس وهو يوم الخميس مصفرة ويوم العروبة محمرة ويوم شيار مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أسماء الشهور والايام بلغتهم فهم التسعة بقتل صالح وقالوا ان كان صادقا كنا قد عاجلناه قبل أن يعاجلنا وان كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا فخالت الملائكة بينهم وبينه وأمطرتهم الحجارة ومنعه الله منهم فلما أصبحوا نظروا الى وجوههم كما وعدهم صفراء كأنها الورس قد حالت الالوان وتغيرت الاجسام وتيقن القوم صدق الوعيد وأن العذاب واقع بهم وخرج صالح في ليلة الاحد من بين ظهرانيهم مع من خف من المؤمنين فنزل

ولايته ستا وعشرين سنة وكان فى أيام الحكم صاحب الاندلس وقد تواقع أولاده

زهويد المحب لعبد الحقير الداعى أحمد بن شاهين انتهى * وأهديت اليه حفظه الله تعالى صحة وحاشا وكتبت اليه

يانجل شاهين الذى * أحيا المعالى والمعالم
يامن به ريشت من الـ * ـجهد الخوافى والقوادم
يامن دمشق بطيب ما * يبديه عاطرة النواسم
فالنهر منها ذوصفا * والزهر مفتر المباسم
والغصن يثنى عطفه * طربا لتغريد الحمائم
ياأحمد الاوصاف يا * من حاز أنواع المكارم
أنت الذى طوقتنى * منناك تعنو الاعاظم
فتى أؤدى شكرها * والعجز لى وصف ملازم
والعذر بادأن بعثـ * ـت اليك من جنس الرتائم
بنتيجة الذكر التى * جاءت بتحييف ملائم
وبخاتم صادالى * فيض الندى من كف حاتم
فامدد على جهد المقل رواق صفح ذادعائم
واقبل عقيلة فكرمن * هوفى بحار النى عائم
لازلت سابق غاية * بين الاعارب والاعاجم

فاجابنى بما صورته

ياسيد اشعرى له * ماان يقاوى أويقاوم
كلا ولاقدرى له * يوما يساوى أو يساوم
يامن رأيت عطاردا * منه بدا فى شخص عالم
يامن بنفحة خلقه * وبظامه السامى الملائم
أحيى يريبى معجزيـ * ـن من النواسم والمباسم
مازلت أبصر سهما * حسن النعامى والنعائم
بهما زمانى حاسدا * أنحى وبالتنغيص حاسم
قلمى وقلبى بينهما * م فى الثناء له وهائم
حبى لاحمد سيدى * شيخ الورى فرض ملازم
المقرى المعتلى * شرف المعالى والمعالم
مالى اليه وسيلة * الاهوى فى القلب دائم
قد جاء ماشرفتنى * بخصوصه دون الاعاظم
من خاتم كفى به * ورثت سليمان العزائم
وجعلتنى لاأحسب الـ * ـعيوق لى فى فص خاتم
وبسجعة شبهتها * بالشهب فى أسلاك ناظم
فلتحسد الجوزاء ما * أحرزت من تلك المكارم

ووقع الاختلاف بينهم حتى تغلبت الافرنجة بسببهم وصار لذريق بن نازلة صاحب ملكهم هلك ثمانى وعشرين سنة وستة أشهر وهو الذى أقبل الى ظهر طوشة فعمرها ثم ولى بعده ابنه نازلة وهو الذى يهادى مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر ثم ولى بعده ابنه لذريق سنة اعوام ثم وثب عليه قائد الافرنجة المسمى برشة وملك افرنجة فاقام فى ملكهم ثمان سنين وهو الذى صالح الخوص عن بلده سبع سنين بستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يزدهما صاحب الافرنج اليه ثم ولى بعده نازلة بن بغرة أربع سنين ثم ملك بعد نازلة أخوه ومكث احدى وثلاثين سنة وثلاثة اشهر ثم ولى بعده لذريق بن نازلة وهو ملك افرنجة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

واستولت مملكته عشرين الى هذا التاريخ على حسب ماانتهى الينا من خبره (قال المسعودى) هى

هى آلة للذكر ليس ذكرى فى الحيازم
فهواك فى قلبى وما * فى القلب جل عن الرنائم
ماذى رنائم سيدى * بل انها عندى غمائم
لو انها من جنس ما * يطوى غدت فوق العمائم
لكنها قد زينت * كفى وأزرت بالخواتم
يامن يريش اذا رمى * نسر السماء بلحظ حازم
ان ابن شاهين حوى * منك الخوافى والقوادم
هذى نوافل يا اما * م الدهر ليست باللوازم
العذر عنها محجل * عبد العلا جد حادم
بل انه فوق العذر قد * أصبحت للشعرى نفادم
لازال دهرك سيدى * يلقاك منه ثغر باسم
يهدى اليك من المرا * حم والمكارم والعنائم
مالا يساوم مثله * ذو الحظ فى أسنى المواسم

العبد الحقير الداعى لاستاذه مولاى الاجل بالتمكين أحمد بن شاهين حامدا مصليا مسلما انتهى وقال مستجيرا

الشيخ يشرب ماء * ونحن نشرب قهوه

فقلت

لانه دو قصور * فغط بالعذر سهوه

ولما أزمعت العود الى مصر اوائل شوال سنة ١٠٣٧ خاطبنى بقوله

ابدا اليك تشوقى وحنينى * والى جنابك ما علمت سكونى
ولديك قلبى لا يزال رهينة * غلقت وتعلم ذمة المرهون
وعليك قد حبست شوارد مدحتى * لما رأيتك فوق كل قرين
قلبى كقلبك فى المحبة والهوى * اذ كان فى الاشواق دينك ديني
وليته بهواك أرفع رتبة * وغدوت تعزل عنه كل خدين
واطاع أمرك فى الوداد فلواشا * منه وحاشا سلوة يعصينى
ما كنت أحسب قبل طبعك ان أرى * يوما عطارد ناطقا بفنون
حتى رأيتك فاستبنت بانه * يروى أحاديث العلا الشجون
ويفيد سمعى معجزا بهر النهى * ويرى عيونى آية الكوين
يامن غدا يحيى القلوب بلفظه * ويرد الانفاس عن جبرين
أحييت بالوحى المبين قلوبنا * وحلى لعمر الله جد مبين
هذى دمشق لعمر خلقك روضة * قد جاد طبعك دوحها بعين
قد زارها غيث الندى فبهارها * أضحى يلوح بحلة النسرين
لولم تكن بدر الما أحرزت ما * قد خص فى الانوار بالتلوين

ان الجلالقة اشد باسا وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الاندلس فى هذا الوقت وزير من ولد امية يقال له احمد بن اسحق فقبض عليه عبد الرحمن لامر كان منه استحق عليه فى الشريعة العقوبة فقتله عبد الرحمن وكان للوزير اخ يقال له امية فى مدينة من ثغور الاندلس يقال لها سيرين فلما اتى اليه ما فعل باخيه عصى على عبد الرحمن وصار فى حصن ردمير ملك الجلالقة فاعانه على المسلمين وولاه على ثغورهم ثم خرج امية فى بعض الايام من المدينة يتصيد فى بعض متنزهاتها فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكتب الى عبد الرحمن ومضى امية بن اسحق اخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره وصيره فى جملته وعزا عبد الرحمن صاحب الاندلس ثورة مملكة الجلالقة المتقدمة صفة بنيانها واسوارها فى باب جمل الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك واخبار الاندلس وغير ذلك وكان عبد الرحمن فى مائة الف أو يزيدون

فكانت وقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة فى شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة بعد الكسوف الذى كان فى هذا

حسنت ما قد قيل حين حليتها * ان المكان مشرف بمكين
هي عادة حليتها فتزينت * ماكان أحوجها الى التزيين
ولاى أحمد ياسليل بني العلا * يافوق مدحي فيك أو تحسيني
اغنى وجودك وهو عين الدين عن * علامة الدنيا لسان الدين
انظره تستغني به عن غيره * والى العيان ارغب عن المظنون
تلقى علوم الناس في أوراقهم * وعلومه في صدره المشحون
وعلمه اعبر كل بحر زاخر * وبفهمه اسبر غامض المخزون
وبحلمه ارسى عن حلم أحنف * وبعزمه اصحى باس ليث عرين
لما رأيتك فاستمعت لعبلتي * أدعو واشكر واردات شؤني
ألفيت قطرك منتي فوادني * فضل اليمين على اليسار يقيني
حسني الحيا المعسري أخي العلا * بلدا باقصى الغرب حد هتون
بلد اتيت الهلال بافقه * ورأيت منه غرة اعيوني
لولا هلال العرب نور شرفنا * بتنا بليل الحدس والتخمين
يارا حلا رحل الفؤاد بعزمه * رفقا بقلب للوفاء ضمين
أستودع الله العظيم وانسي * مستودع منه أجل أمين
أني اودع يوم بينك مهجتي * وشبيبتي وتصبري وسكوني
وأعود من توديع وجهك عوده * خلطت يقيني في الهوى بظنون
حتى كاني قد وقفت على غنا * نقضي على بحالة الحزون
وتود نفسي انها لو حرمت * ابدا سكوني للهوى وركوني
او ملكت أمرك بين معترك الهوى * نفسي ومعترك الهوى بيميني
ولقد وددت بانني متحمل * ملك الخطايا جاجري وجفوني
كيف السبيل الى الحياة ومهجتي * في قبضة الاشواق كالمسجون
ماكنت الا البدر لاح بافقنا * شهرا وكان ضياؤه يهدي
والبدر ياشيخ دهري عادة * غنيت عن التحسين والتزيين
حاشا نعرض في الوداد كمالها * واذا لحظت جمالها بكميني
هي بنت لحظتك التي تؤوي النهى * لا بنت ليلاتي التي تؤويني
ما الفخر في دعوى البديهة عندها * الفخر قولك انها ترضيني
حسبي ابا العباس منك اصاحة * تقضي بود عداي أو تحييني
بالله نفسي كيف أبلغ مدحه * أصمرتها في سري المكنون
ولسان حبي بالغ اقصى المدى * ولسان مدحي في القصور يلبني
ما الشعر يستوفي حقوقكم ولو * أهديت من نظمي عقود سنيني
خلقت أيدي الجود والنهوض وانها * لترهو بمعقد في علاك ثمين
فرأيت في العيوق طبعك سيدي * نسرا أسف لعجزه شاهيني

قد حف شعرى من قصور طبيعتى * ولربما قد كان جد ركين
لكنه أحمد يا ابن شاهين بان * أحرزت حصل السبق دون الدون
واذا عجزت عن المرائص جاهدا * فادأب عند ذلك موزبالمسنون
هو قبلتى فلا عتدى متمسكا * مم بحبل فى الخناء متين
واسلم فديتك زائرا ومشرفا * أيدى سواطئ نعله تحيى
وكذاك عمرى فى هواك مقسم * بين الدعاء الحمد والتأمين

وقال حفظه الله تعالى فى ذلك

حنانيك ان الدمع بالود معرب * وانى فى شرق وأنت مغرب
ورحمانك لى انى قتيل صبابة * ومن هو أوفى فى الهوى منه أعذب
ووعدك لى بالعود انى معلل * به مهجة قد أوشكت تتصوب
وهبك على ما حبيت ولم أقل * ولكن من الاشياء ليس يوهب
فلو كنت شيئا واحدا هذه صده * فكيف شيع لم يكن مثله أب
وانا نحمد الله لما حصبتنا * بروره دى ود دعاه الحب
فبرشناه مما الحدود مو طئه * وعدنا به شوقا نجىء ونذهب
وقلنا دمشق أنت مهاجركم * وأشرافها ودراوحدوا ورحبوا
وأنت لها روح ومولى ومفخر * وقد رنت شرفا مثل ما رداس معرب
وفخرا عظيما يا ابن شاهين انه * غدا ذكرنا نثر السماء فيه يرغب
فنحن ونحن الناس حداما له * فلا عدوان على العنصر أكلب
وما نقموا منه سوى انه امرؤ * الى كل ديما تقدروه يشرب
هو الشيخ شيخ الدهر أحمد غدت * دمشق ومن فيها بعلياه تطنب
هو المقرى العالم العلم الذى * اليه تناهى الفضل والمجد ينسب
وما هو الا الشمس أزمع رحله * فيا ليل ليل اداهى تغرب
أو العيث قد وافى وأمرعت الربى * به وانثنى والصدر بالرد معشب
أو الطائر العنقاء جاء مشرقا * فأعرب والعنقاء الطائر معرب
وانك للفضل الوفى وانه * هو الواحد المطلوب ان عز مطلب
وانك بالتحقيق فى كل حالة * لاسنى وأندى ثم أوفى وأحرب
رعى الله وجها أنت ترعب نحوه * وأى أخ حدله أنت ترعب
وحيا الحيا أرضا وطئت ترابها * فأصبح مسكا وهى بالحمد تخضب
ولا فارقت يوما علاك كلاءة * من الله انى كنت والله أعلب
مدى الدهر ما حنت جوانح واله * مشوق فاسى للعقيقة يطرب

ولما قرأ على أدام الله تعالى عزه وحرس حورته عقيدتى المسماه باضاءة الدجنه فى عقائد أهل السنة سألنى أن أجيزه فيها وفى غيرها فكتبت اليه ما نصه

أحمد من أطارفى جو العلا * صيت ابن شاهين الذى راق الحلى

الجلالقة والافرنجة والصقالبة والنوكبرد وغيرهم من الامم وديارهم متقاربة والاكثر منهم حرب لاهل الاندلس فى هذا الوقت وسعة وقوة عظيمة على ما تقدم من ان هؤلاء انما ملكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سار الى الاندلس فى أول دولة بنى العباس ولده أحد وكثيرة فى كيفية دخوله الى الاندلس ودار مملكة الاندلس قرطبة على ما ذكرنا وفيها مدن كثيرة وعمائر واسعة وثغور فى أطراف أرضهم وربما يجتمع على حربهم من جاورهم من الامم ولهم بأس من الجلالقة ورجال والافرنجة وغيرهم من الامم وصاحب الاندلس فى هذا الوقت يركب فى مائة ألف وهو دونه فى الرجال والمال والكراع والعدد والله أعلم

(ذكر عاد وملوكها)

ذكر جماعة من ذوى العناية بأخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح فى عاد الاولى التى بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله عز وجل وأنه أهلك عادا الاولى بانه مر على

بعدهم وأن هلاك عاد ثابتة وأخبر الله عن ملكهم وطول شدة بطشهم وسأموه من الاذية الما

وراش منه للعالى أجنحه * نال بها فضلا غدا مستمنحه
وأسكن البيان من أوكار * أفهامه بقنة الافكار
فاصطاد كل شارد بمخلب * أبحاثه ومن يعارض يغلب
والصفر لا يقاس بالبغاث * والحق ممتاز عن الاضغاث
نشكر من بلغه مناه * على نواله الذى سناه
ونتحى بهج صلاة باديا * لخير من جاء الانام هاديا
محمد خير البرايا المتقى * أجل من حاف الاله واتقى
صلى عليه الله مع أصحابه * وآله الراوين عن سحابه
ما اعترف العبد المقصر ذو العدم * للرب باستغنائه و بالعدم
وبعد فالعلوم والعوارف * من أمها يأوى الظل وارف
وروضة أزهارها تصوعت * لانها أفنانها تنوعت
وليس يحتاط بها بذل * اذ ذاك أمر ماله سبيل
فليصرف القول الى ما ينفعه * دنيا وفى أوج الاجور يرفعه
وان فى علم أصول الدين * هدى وخير اجل عن تبيين
لانه أصل جم النفع * به وكل ماسواه فرع
وكيف يعبد الاله من لا * يعرفه وعن رشاد ضلا
وهو الذى لا تقبل الاعمال * الا به وتجمع الآمال
ولما كنت نظمت فيه * لطالب عيدة تكفيه
جمعتها اصاغه الجنه * وقد رجوت أن تكون جنه
وبعد أن اقرأ بها بمصر * وملكة بعصا من اهل العصر
درسها لمادخات الشاما * بجامع فى الحس لا يسامى
وكان فى المجلس جمع وافر * من جلة بدورهم سوافر
منهم فريد الدهر ذو المعالى * فخر دمشق الطيب الفعال
أحمد من راح لعلم واقتدى * وشام أنوار الفهوم فاهتدى
العالم الصدر الاجل المولى * من وصفه المدوح يعيى القولا
وهو ابن شاهين وما أدراكا * من بذ جنس العرب والاتراكا
ورام من مثلى بحسن الظن * اجازة فيما رواه عنى
فحرت فى أمرين قد تناقضا * بالنفى والاثبات اذ تعارضا
ترك الاجابة لوصمى بالخطل * وبالخطا والجد منى ذو عطل
وكم قرائض بجز سقط * فكيف غيرها وهذا أحوط
أو فعلها بحسب الامكان * رعيا لود محكم الاركان
منه ومال من الحقوق * ولا تجازى الخير بالعقوق

التى يدعى على مر الدهور
ياهم أتبنون بكل ريع
آية تعبثون وتتخذون
مصانع لعلكم تخلدون
واذا بطشتم بطشتم جبارين
وعاد أول من ملك فى
الارض من هذه الامة
وذلك أن أهل الله عز وجل
الكفار من قومه
وذلك قوله تعالى واذكروا
جعلكم خلفاء من بعد قوم
نوح وزادكم فى الخلق بسطة
ويدل أن هؤلاء القوم
كانوا فى هذه النخل
طوالا كانوا فى أصل
الاعمار وطولها بحسب
ذلك من المدر وكانت
قوتهم قوية وبأسهم
عليه ولم يكن فى الارض
أشد بطشا وأكثر
عددا ولا أقوى عقولا وأكثر
كمالا من قوم عاد ولم
يكن الهلاك يعرض
فى أجسامهم لقوة آثار
الطبيعة فيها وما أوتوه من
البنية
وكمال الهيئة على حسب
ما أخبر الله عز وجل وكان
عاد رجلا جبارا عظيم
الخلقة وهو عاد بن عوص
ابن ارم بن سام بن نوح
وكان عاد بعيد القعر
وذكروا أنه رأى من
صلبه أربعة آلاف ولد
وأنه تزوج ألف امرأة
وكانت بلاده منه باليمن وهى بلاد الاحقاف وبلاد نجار وبلاد عمان الى حضرموت على حسب

وابعد

وبعد مام من الميرداد * أسعفتـــه بمقتضى الوداد
وسرت فى طرف من التساهل * معترفا بالجهل لا العاهل
مع انه الاهل لأن بحرا * لا أن يجاز ادحوى التبرا
ومن رأى عبى بعين للرضا * لم يقف حرج من غد امعترضا
فليروعنى كل ما أسمعه * اياه بالشرط وما جعتـــه
مع القصور راجيا للاجر * من المنون نظمها والنثر
كهذه القصيدة السديده * والنعل ذات المدح العديده
كذاك ما ألفت فى عمامه * من خص بالاسراء والامامه
والفقه والحديث والصوفى * أسرار وفق وهو بالفضل دونى
وغيرها مما به الوهاب من * على فقير عاجز فى عيرمن
وما أخذت فى بلاد المغرب * عن كل فذ فى العلوم مغرب
ولى أسانيد اذا سردتها * طالت وفى كتبى قد اوردتها
وقد أخذت الجامع الصحيحا * وغيره عمن حوى الترجيحا
سمى سعيد عن سفين وهو عن * الفاقشندى عن الوانى السنن
العسقلانى الشهاب بن حجر * بماله من الروايات اشتهر
وقد اجزته بكل مالى * صح من ذاك بلا احتمال
على شروط قرروها كافيه * ليست على افكاره بخافيه
وقال هذا المقرى الخطا * والى عم لفظه والخطا
عام ثلاثين وألف بعدها * سبع أتمت فى السنين عدها
وكان ذا فى رمضان السامى * بحضرة السعد دمشق الشام
والله نرجو أن يتيح الختما * بالخير كى نعطى القبول حتما
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله ما طال المدى
وآله وصحبه ومن ركا * فنال من حسن الختام مدركا

وتذكرت بهذه الاجازة نظيرها التى سألنى فيها مولانا عين الاعيان مفتى الانام فى مذهب النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادى مفتى الشام حفظه الله تعالى لاولاده الثلاثة وكتب لى اصغرهم سنا استدعاء لذلك

أحمد من شيد بالاسناد * بيت العلوم السامى العماد
وعم من خصص بالروايه * بنورها النا فى دجى الغوايه
وزان صدر النبها كل زمن * بجوهر الاجارة الغالى الثمن
نحمده سبحانه أن عرفا * من الحديث مابه قد شرفا
ونسأل المزيد من صلاته * لمن أبيح القصد من صلاته
ملجؤنا المعصوم أعلى سند * لنا بر غم حاسد مفند
كهف الضعيف والقوى المرتجى * باب الهدايات وليس مرتجا

جماعة من الاخبار بين من عنى باخبار العرب أن عاد الماتوسط المعمر واجتمع له الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وظهور الكثرة مع تشييد الملك واستقامة الامر عمر احسابه الناس وقرى الضيف وأحواله منتظمة والدنيا عليه مقبلة فعاش ألف سنة ومائتى سنة ثم مات وكان الملك بعده فى الاكبر من ولده وهو شديد بن عاد وكان ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده) أخوه شداد بن عاد وكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه استولى على سائر ممالك العالم وهو الذى بنى مدينة ارم ذات العماد على حسب ماقدمنا فيما سلف من كتبنا عند اخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس فى كيفيتها وماهيتها هل هى اى بلاد هى وهذه عما الثانية التى ذكرها الله تعالى فقال الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد والى هذه المدينة انتهى الاطش وشداد بن عاد سير فى الارض وطواف فى البلاد عظيم فى ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب وحروب كثيرة اعرضنا عن ذكرها الشرط الاختصار ومعولنا فى ذلك على ما بسطناه من اخبارهم فى كتاب

من جاء بالجامع الصحيح من * كلامه الهادي الى نهج أمم
من فضله ما شئت فيه مسلم * من حبه بكل خير معلم
ندما المرسل ذو الخلق الحسن * والمعجز المفحم أرباب اللسن
محمد المرجوع قدره على * سائر خلق الله جل وعلا
صلى عليه ربنا وسلما * أزكى صلاة تنتهي ما علما
مع آله وصحبه ومن روى * آثاره عن صحة وما غوى
وبعد فالعلم عظيم القدر * وليس من يدري كمن لا يدري
ولم يزل همة أهل المجد * موطئة بنيل علم مجدي
وسنه علم السنة الشريفه * لانه ظلاله ورديفه
من درى الاخبار والشمائل * لم يك عن صوب الهدى بمائل
ولم يضع لاجله وقض * أوطانه وثوب نرحال نهض
وكيف لا وهو أجل ما طلب * موفق يروم حسن المنقلب
لانه وسيلة السعاده * والعز في الابداء والاعاده
ومنى لما انتحيت المشرفا * ميممات بدر اهنداء مشرفا
ألقيت في مصر عصا التسيار * بعد بلوغي أشرف الديار
وبعد ما حثت دمشق الشام * مسكن من بردان باحتشام
شاهدت من بهجائها ما سلا * قلبي سرورا اذ بلغت مأملا
مدينة فيحاء ذات الانهار * فضفاضة الاثواب بالازهار
أرجاؤها زاكية العبير * ومدحها يحل عن تعبير
وحسن أهليها يحير دانوا * مع أن مثلي منهم بزدان
ولاحظوا بالاعين الكليله * عمداء ما تقصره دليله
وقابلوا عيبي بما اقتضاه * فضل لهم رب الورى ارتضاه
خصوصا المولى الكبير المعتبر * قرة عين من رآه واحتبر
مفتي الورى في مذهب النعمان * بهاء الوجيه عابد الرحمن
ابن عماد الدين من تعنى العلم * أوصافه اللائي كنور في علم
حاوي طراف المجد والتلاد * مال المنى في النفس والاولاد
وكنت في مكة قد أبصرت * منه علا عن مدحه قصرت
جلالة ومحتدا وعلما * ورفعة وسودد وحلما
مع التواضع الذي قد زانه * حسن اعتماد مثقل ميزانه
حدث من في الشام من أخيار * لم يسلكوا مناهج الاغيار
أن يأخذوا بعض الفنون عني * بما اقتضاه منه حسن الظن
مع أنني والله لست أهلا * لذاك والتصدير ليس سهلا
وكان من جملتهم أبناؤه * عماد دين قد علا بناؤه

احبار الزمن من الامم الماضيه عدد كما تعرف الناس قبائل وشعب الانسان ومن تواتر في ذلك من الاشعار جملا من اخبار عاد وثمود وهود وصالح وغيرهم من الامم السالفة ممن سلف وخلف في العلة التي بها عظمت اجسامهم وطالت اعمارهم فقد تساءلوا في ذكر ذلك في كتابنا المترجم بكتاب الروض المريع في السياسة الملوكية وكذلك في كتابنا المترجم بكتاب الزلف

(ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها)

قد ذكرنا فيما سلف ذكر ثمود في غير هذا الكتاب وكان ملك ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح بن الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشي وديارهم بين لبانة وبيوتهم الى وقتنا هذا البية محوتة في الجبال ورسومهم باديه وآثارهم باديه ودلك في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالعرب من وادي القرى وبيوتهم محوتة في الحجر بالواب صغار وما كانوا عليه من قدر ما كان أهل عصرنا هو دليل على ان أجسامهم على قدر أجسامنا دون ما يخبر به القصاص من بعد اجسامهم وليس هؤلاء كعاد اذ كانت آثارهم وواضح مساكنهم وبنيانهم بارض الشحر تدل على بعد اجسامهم وضخمها

وصنوه الشهاب من توقدا * فهما وابراهيم سباق المدى
وهو الذى قد ابتغى الاجازه * لهم بوعد طالبا انجازه
وكتب القصيدة الطنانه * فى ذلك لى مقتصرا أفنانه
وانهم لخلقة قد أفرغت * دامت لهم آلاء فيض سوغت
فلم أجد بدا من الاجابه * مع كون جهلى سادلا هجابه
فقد أجبتهم بما رويته * طرا وما ارتجلت اذ رويته
وكل ما صنفت فى الفنون * مؤمل التحقيق للظنون
وما أخذت عن شيوخ المغرب * وغيرهم من كل حبر مغرب
ولى أسانيد يطول شرحها * شيد على تقوى الاله صرحها
ولو سردت كل مروياتى * هنا لطال القول فى الابيات
وكل طرل غالبا مملول * وحد من يعنى به مفلول
فلنقتصر اذن على القليل * تبركا بالمطلب الجليل
وقد أخذت جامع البخارى * عن عمى الحائز للفخار
المقرى سعيد الامام عن * محمد يدعى خريفا حين عن
التونسى الطيب الانفاس * نزيل حضرة الملوك فاس
عن الكمال القادرى المرتضى * عن الحجازى عن الحبر الرضا
نجل ابى المجد عن الحجارى * عن الزبيدى بنقل جارى
عن مسند الاسلام عبد الاول * عن الشهير الداودى المعتلى
عن السرخسى عن الفربرى * عن البخارى الامام الحبر
وفضله أظهر من أن يذكر * وعلمه المعروف غير المنكر
ومسلم بدأ الى الكمال * عن علم الدين أخى الجلال
منسوب بلقين عن التنوخى * عن ابن حمزة عن الشيوخ
كابن المقير عن ابن ناصر * عن ابن منده اللبيب القاصر
عن جوزق قد روى عن مكى * عن مسلم نافى دياجى الشك
فليخبروا عنى بذا والباقى * من ستة حائزة السباق
كذا موطأ الامام مالك * امامنا منير كل حالك
ومسند الفذ الرضا ابن حنبل * والدارمى ذى الثناء الاجمل
والطبرانى وما أرويه * من المعاجيم بما تحويه
وكلها تشمله الاجازه * بشرطها عند الذى أجازه
فلتقبلوها فهى من جهد المقل * اذلت بالمطلوب منى أستقل
ومن أسانيدى عن القصار * مفتى الانام بهجة الاعصار
عن شيخه خروف الراقى الدرج * عن الشريف الطنطائى فرج
قال سمعت المصطفى فى النوم * صلى عليه الله كل يوم

جندع بن عمرو بن الديل
ابن ارم بن ثمود بن عابر بن
ارم بن سام بن نوح وكان
ملكه الى ان هلك مائتى
سنة وتسعين سنة وملك
جندع هذا بعد أن كان
من أمر صالح النبى صلى
الله عليه وسلم ما كان على
ما ذكرنا أربعين سنة
فجميع ما ملك هذا الملك
وهو جندع ثلثمائة وسبع
وعشرون سنة فهؤلاء ملوك
ثمود وبعث الله صالحا نبيا
وهو غلام حدث لثمود على
فترة كانت بينه وبين هود
نحو من مائة سنة فدعاهم
الى الله وملكهم يومئذ
هو جندع بن عمرو على ما
ذكرنا فيجيب صالحا من
قومه الا نفر يسير وكبر
صالح ولم يرد قومه من
الايمان الا بعدا فلما تواتر
عليهم اعذاره وانذاره
ووعده ووعيده ساموه
المعجزات واظهار العلامات
ليمنعوه من دعائهم
وليجزوه عن خطابهم
لحضر عيدهم وقد اظهروا
اوثانهم وكان القوم
أصحاب ابل فساموه الآية
من جنس أموالهم وطالبوه
بما هو مجانس لاملاكهم
من بعد اتفاق آرائهم
فقال له زعيم من زعمائهم

يا صالح ان كنت صادقا فى قولك وأنك معبر عن ربك فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن وبراء سوداء عشراء تموجا كالكة

يقول من أصبح يعني آمنا * في سربه الحديث فاعرف كامنا
والحمد لله المنان في هذا الارب * مصليا على الذي زان العرب
وآله وصحبه الاعلام * ومن تلا من أنجم الاسلام
وخط هذا المقري العاصي * أحيروم الاخذ بالنواصي
سنة سبع وثلاثين الت * الفالهجرة بياسين علت
عليه أزكى صلوات تسنم * نرجو بها الزلفى وحسن المختم

ونص الاستدعاء المشار اليه هو

فازت دمشق الشام بالمقرى * الالمعي اللوذعي العبقري
علامة العصر بلا مفترى * وواحد الدهر بلا ممترى
كم سمعت أخبار أوصافه * فقصر الخبر عن منظر
جامع علم بث املاءه * بالشام مل الجامع الاكبر
يغري بتعري السمع أنفاسه * أنفس ما يشرى وما قد قرى
مولاي يا من در ألفاظه * يحاجها ر يزري على الجوهري
اجازة ترفل من فضلها * في ثوب عز زوردا مغفر
منيله الدليل على أكرم * وأوسط الاخوة والاصغر
أطول لنا انشاءها بل أطب * وانظم لنا من درها وانثر
لازلت في نفع الورى دائبا * تحكي جود العارض الممطر

العبد الداعي ابراهيم العمادي انتهى ومن الاجازات التي قلتها بدمشق الشام ما كتبته للاديب الحسيب سيدي يحيى المحاسني حفظه الله تعالى

أحمد من زين بالمحاسن * دمشق ذات الماء غير الآسن
وأطلع النجوم من أعيان * بأفقها السامي مدى الاحيان
وكل أيامهم مواسم * من الصفا ثغورها بواسم
وذكرهم قد شاع بين الاحيا * اذ فطرهم به الكمال يحيى
ونشرهم حديثه لا ينكر * ومسند الجامع عنهم يذكر
وقد حكت جوارح الذي ارتحل * اليهم صحيح ماله انتحل
فسمعه عن جابر والعين عن * قرة تروي واللسان عن حسن
حل من أناخهم آلاءه * حتى أبان نورهم لألاءه
نحمده سبحانه أن أسدى * من الامان ما أنال القصدا
ونهدي صوب صلاة باهره * الى الرسول ذي السجايا الطاهره
أجل من خاف الاله واتقى * محمد الهادي الرسول المنتقى
صلى عليه الله طول الابد * مع آله وصحبه والمقتدي
وبعد فالعلم أساس الخير * وكيف لا وهو مريح الضير
وهو الموصل الى منهاج * هدى ورشد ماله من هاجي

تساده الملوك داعرب حمير ومن ماصدعت من بعد عصر شديد بمعض المراة حين انبرات ووصفه ر من اته على ما طلبوه من الناقة ثم لا هينز الذي سب لها نحوه في الوصف فأمه الى رعي الكلا وطلب المرعى و ... رحلو عن حضره ورد ... الذي الدهو ... بن عمرو وأو ... الساية يحلبون من لبنها ... شربه عودا ... هاوضا ... الكلا ونما و ... كان في ثمود امرأتان ... وجمال درارهما رجلان من ثمود وهما قدار بن سالف ومصدع ابن مهرج ... امرأتان عنيزه بنت ... وصدوف بنت احيا فقالت صدوف لو كان لنا في هذا اليوم ... لا ... وهذا يوم ... وورودها ولا سبيل لنا الى الشرب فقالت عنيزه لي والله لو ان لنا رجالا لكفونا ماها وهل هي الا بعير من الابل فقال قدار يا صدوف ان انا كفيتك أمر الناقة فما لي عندك فقالت نفسي وهل حائل دونها اعطيك فاجابت الاخرى صاحبها ... وذلك فقالا سبيلا عليها وباصيله وشعر وبرها استغاث بربه فتحت كت الصخرة وعملت وبدا منها بالحجر فشربا حتى تو ... ثم خرجا فاستغويا تسعة رهط وهم التسعة الذين أخبر الله تعالى عنهم وما

في كتابه بقوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون وقصدوا طرق

وما غير العلم سد والعلم * وليس من يدري كمن لا يعلم
خصوصا الحديث عن خير البشر * فان فضله على الكل انتشر
ولم يزل يعنى به كل زمن * من الرواة كل صدر مؤتمن
واني عند دخول الشام * لقيت من هاتيك الاعلام
وشاهدت عياني من اضافهم * ما حقق الحكي عن اوصافهم
وان من جلتهم أولاد كا * والد المروي سماه بذكا
ابن الحاسن الذي قد طالما * ما بينهم في الاسم اذ سابقا
الاودي الالمعي محمد * لازال رسم المجد منه تجددا
وهو الذي أغراه حسن الظن * على التصدي لاحد دعوتي
وكان قاري الحديث السوي * لدى في الجامع أعني الاموي
محصر الجمع العزيز الوافر * من وجوه فضلهم سوافر
وبعد ذاك استصرت الاجازه * من بوء وعدي واقتضى انجازه
فلم أجد بدا من الاجابه * مع أني لست بدي الاصابه
وان اكن أجبت أمرا يمثل * منه في ذلك قصدي المثل
فيمن درى شيأ وعلمت أشيا * عنه ومن أهدى اصطفاوشيا
فليرو عني كل ما صح لي * شرطه الذي به يرى كالحلي
وقد أجزت جامع البخاري * عن شيخي الامام ذي الفخار
سعيد الذي نأى عن دنس * عن شيخه الحبر الشهير القدسي
أعني أبا عبد الاله وهو عن * والده محمد راوي السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضا * عن جده الخطيب عن بدر أصا
الغارقي عن امام بدعي * بابن عساكر الجميل المسعى
بماله من الروايات التي * على علوها زده دلت
ولترو عني ما انتمى للسوري * بدا الى السابق ذي النهج السوي
أعني ابن مرزوق الخطيب الراوي * عن شيخه محيي الرضى المعراوي
وهو روى عن صاحب التمكس * النووي الشيخ محيي الدين
وحط هذا أحمد الهادي الوجل * المقري المالكي على جل
في عام ألف وثلاثين حلت * من هجرة الهادي وسعد تلت
أسعده الله الورود الصافيه * من منه وعفوه والعافيه
نجاه سيد البرايا طرا * ملجأ من الى الكروب اضطرا
عليه أسنى صلوات تسدى * حسن الختام ملزع العضد الى

وسأل مني بعض سراكي دمشق المحروسة أن أخرط له على شرحه لرسالة العارف بالله تعالى سيدي الشيخ آرسلان حكمت ما صورته

أحمده من خص بالاسرار * قدماء من الصوفية الابرار

وقصدوا طرق له فقتل حال صدورها مصرعا قدارهم موتهم بالسيف مصرعها وسع صاحبه الآخر العرقوب الآخر حيرت المنيه لوجهها ووجه أقدار لها صورها ولاد السيف عرد فلحقه عصيهم مصيره ورد صائح مطرا الى الاعلى وعدهم العذاب وكان ذلك في يوم الاربعاء وقد توالت عليهم ثلاثة ايام يتساءلون متى يكون ما وعدنا به من العذاب عن ذلك قال صبحوا وجوهكم يوم موسى وهو يوم الخميس مصفرة ويوم العروبة محمرة ويوم شاره وده ثم صبحهم العذاب يوم أول وسيذكر فيما يرد من هذا الكتاب أسماء هؤلاء الاشقياء والاثام لعنهم الله عز وجل صباح وقالوا لنا نادوا صاحبكم ليدعو لنا عجلناه قبل ان يعاجلنا وان كان كاذبا كما قد أخطأ في قياسه فاتوها الاخذ الملائكة بهم وبنيه وأعصرهم فجاءه رسله الله منهم لما أحاط بهم صوابا الى وجوههم كما وعدهم صعراء كأنها الورس قد حالت الالوان وتغيرت الاجسام وشقي

اليوم صدق الوعد وأن العذاب واقع بهم وصرخ صائح في ليلة الاحد من بين ظهرانيهم مع من خلف من المؤمنين هذا

أتاهم عوارف المعارف * والحكم السابعة المطارف
بهم تستمطر الانواء * وتظهر الانوار والاضواء
ومن أجلهم سناء وسنى * من دادعن عين المعالى الوسنا
شيخ الشيوخ العارف الكبير * الشيخ آرسلان الشهير
كم اشار له أبانا * بها علوما من حلاها ازدانا
كم عبارات بلا آياتها * تعيا الفحول عن مدى غاياتها
ومن رأى رسالة التوحيد * له انتحى مناهج التسديد
فهى منادى من أتى أن سلكا * يامعرضا تركك حتى كلكا
ومن أصل العصد فى مهامه * هديه للعروج عن أوهامه
وكم لها من باب معنى معلق * بمن يعيد الوجد المطلق
فما يغير الفتى درى الباطن * وواردالفيض له مواطن
وقد رأيت فى دمشق الشام * شرحالها أبهى عن الهام
له كلشى دى الوفا بالوعد * شمس العلا محمد بن سعد
لازال فى أوج العلى صاعدا * وعون رسالة مساعدا
ومد أجلت باطرى فى حسنه * ألسنة مستدعاة فى فنه
وكم ما أبداه من معانى * على شهود بالهدى معانى
لانه أحاد فى تقرير * ما اعتاص بالاتقان والتحرير
وأبرز الابكار من حدور * أفكاره حالية الصدور
فالله يجزيه الجزاء الاوفى * فى يوم تندى الانبياء الحوفا
وخط هذا المعترى من وجل * مرتجيا من ربه عزوجل
كشف كروب عقد صرحلت * منه وغفران ذنوب جلت
بجاه طه الهاشمى أحمدا * عليه أزكى صلوات سرمدا
عاطره النشر بلا اكتتام * تأرجت بالمسك فى الختام

وحاضبى السرى الحسيب الماجد بحر المدرسين الاعيان مولانا الشمس محمد ابن الكبير الشهير مولانا يوسف بن كريم لدين الدمشقى حفظه الله تعالى بقوله

شمس المحاسن شرقى أوسرى * سعد منازلنا بشمس المغرب
شمس لنا منها شموس وصائل * وسنى هدى قدراح غير محجب
لقرى العالم الندب الذى * لسوى اسمه درج الحجالم يكتب
بدر ولم يبد البدر ويشرق * الابدت من قبل ذاك بمغرب
لسوى اكتساب سناه ثم تعرب دكا * فلواها شعرت به لم تعرب
علامة ملا البلاد بفضله * وأفاده لمشرق ومغرب
عمرى هو البحر المحيط فضائلا * ان قيس بالعذب الذى لم يعذب
مولى له سند قوى فى العلا * فعن الجدود روى العلا عن الاب

نسب له المجد المؤثل في الورى * والحمد يكسب اذا لم يوهب
هو في جبين الفضل أضحى غرة * يجلى بها للجهل ظلمة عيهب
آمالنا قطعت ببشر جبينه * أن لا ترى للدهر وجه مقطب
بدر به زهيت دمشق وأهلها * أحبب ببدر حيث حل محبب
طود الفضائل باركت أرجاءه * ديم الحيا وعدا كروض محصب
بحر الهدى والعلم الا انه * صعب من الاكدار عذب المشرب
هو قطب دائرة الفضائل في الورى * فيكاد يحسبه بكل معجب
في الفضل ما حاولت يوما مثله * كلا ولا قصب البدور بكوكب
أني يباري في الفضائل من له * انقاد الزمان بأدهم وأشهب
سبق المدى العير تسقط عندنا * فله العلا تعصي بقرص أوجب
ما روضة حلى أزاهرها الحيا * فاعرف فيها كل نعر أشنب
ومشت بها حود الصبا فتعطرت * أذيالها من كل عرف طيب
للغور فيها جدول أحدثته * شهب المجرة حيرة المتعجب
يا حبذا متشاشدني بها ذكر الهوى * ورق الاراك بكل صوت مطرب
تشكو الى بمثل ما أشكو لها * شكوى المعذب في الهوى المعذب
فعلمت ما قد حل من وجدها * وجهل وهو الفرق ما قد حل بي
لم تلق فيها من عليل يشتكي * الا النسيم وذا الهوى ان يطلب
أغض حسنا من ربا آداب من * حيا رياض حياه ألطف صيب
طبع أرق من النسيم ومنطق * مستعذب وكذاك كل مهذب
لو حاد صوب حياه قفر أجدبا * لنعمت منه بكل روض معشب
مولاي عذرا ان الزمان يعوقني * عن سعيي والآن مدحك مطلبي
عفوا اذا أخرت مدحك سيدي * فعوائق الايام عذر المذنب
وكذاك يفعل بالاديب زمانه * فلذا يصول على الزمان عتي
لم ألق يوما من يدنيه مهربا * الا نالك وجدا من مهرب
لولاك ما حال العريض بخاطري * فالدهر يوجب للقريض تحنبي
لولاك لم يهض جواد قريحتي * في كل واد للصلاة متعب
فاسمع ولست بآمر نظما غدا * في عقد مدحك لولو المتعب
كالراح يلعب بالعقول لاصقه * لكن بعصر مساعح لم يشرب
من كل قافية عدمت من حسنها * مثلا لعيرك في العلا لم يضرب
حود فلذ من ثمالك قلائدا * بكرا لعيرك في الورى لم تحطب
غنيت بمدحك زينة ولربما * يعيي الجمال عن الوشاح المذهب
هي بعض أوصاف لذاتك قد غدت * كالبحر عن ذم الماء لم يحسب
جاءتك تسألك القبول وحسبها * فخرا قبولك وهو جل المطلب

على شرح ذلك على الكمال
بعد عدم لما من كتابنا
اخبار الزمان والله الموفق
(ذكر مكة واخبارها وبناء
البيت ومن تداوله من
جرهم وغيرها وما لحق بهذا
البيت)
ولما أسكن ابراهيم ولده
اسمعيل مكة مع هاجر
واسودعه حالهما على حسب
ما أخبر الله عنه انه أسكنه
بواد غير ذي زرع وكان موضع
البيت ربوة حمراء أمر ابراهيم
هاجر أن تحذ عليه عريشا
يكون لهما مسكنا وكان من
طلب اسمعيل وهاجر ما كان
الى أن أنبع الله لهما زمزم
وانحط الشجر واليمن
تعرق العمالقي وجرهم
في البلاد ومن هلك من
بقايا عاد فبعثت العمالقي
نحو تهامة يطلبون الماء
والمرعى والدار الخصيبة
وعليهم السميدع بن هود
ابن لاقي بن مصور ابن
كركر بن حيدان فلما
أمعنت بتوكر في المسير
وقد عدمت الماء والمرعى
واشتد بها الجهد أرسل
السميدع بن هود يتجسس
له في السير في شعب لا
يشجعهم عاد ولا جرهم
وهو

٦٨ ط ل سير وابني الكرك في البلاد * اني أرى ذا الدهر في فساد قد سار من نعمان ذي الرشاد جرهم لما هددها العمالقي

وتروم مثلك اجازة فانت بما * ترويه بالسند القوى عن النبى
حسن الاجازة مثلك حائزة ولم * ألك قبل غير الفضل بالمتطلب
لابدع والابجاز اطنابا غدا * فى مدحه ان لم أطل أو أسهب
هيهات لاتحصى مآثر فضله * بالمدح ان أطنب وان لم أطنب

خدمة الداعى محمد بن يوسف الكريمى انتهى فاجزته بما نصه

أحمد من أطلع شمس الدين * فى أفق الرواية المبين
وخص فضلا منه بالاسناد * أمثلة مذهب العباد
ولم يكن عصر من الاعصار * الا وفيه أهل الاستبصار
يصون عن حرز دين الله ما * يروم من عليه رشد أبهما
وأتقى سبيل صلاة كامله * على الذى له العطايا الشامله
محمد المرسل بالشرع الحسن * دوا المعجز المفحم أرباب اللسن
مع حزبه من صحبه وعترته * ومن نلا مؤملا لاثرته
وبعد فالعلم أجل ما اعتمد * موفى من فيض مولاه استمد
خصوصا الحديث عن خير الورى * صلى عليه الله ما رندى ورى
ولم يزل ذوو النهى يسعون فى * تحصيله اذ فضله غير خفى
وان مولانا الشهير السامى * الماجد المولى نبيه الشام
سالك نهج السنة القويم * محمد بن يوسف الكريمى
لازال فى عز وفى أمان * مبلغا من قصده الامانى
وجه لى ما حللت الشاما * وبرق حسن الظن منى شاما
قصيده بليغة مستعذبه * غريبة فى فنها مهذبه
يسأل من مثلى بها الاجازه * بشرطها عند الذى أجازه
مستمسكا بعروة الصواب * ولم أجد بدا من الجواب
طلبوه منى ما سمعت نقله * وما جمعت فى العيون جمله
على شروط قررت فى المتن * مرتجيا حصول كل من
وصوه الاكمل قد أبحنه * دالك على الوجه الذى شرحته
وان أكن فيما ابتغى مقصرا * فذو الرضا للمرء يعيب مبصرا
ولى أسايد أبى وقتى عن * تحصيلها لما من الرحله عن
والعذر باد والكريم يعذل * والصفح نهج يقتفيه الانبل
وحط هذا المعرى الجانى * أمنه الله من الاشجان
فى عام ألف وثلاثين قفا * سبعا لهجرة النبى المصطفى
عليه أزكى صلوات تغتنم * نرجو بها مفتتح ومختتم

وكتب الى الفاضل الخطيب الفهامه الاديب وارث الفضل عن الاعلام ذوى اللسن سيدى الشمس محمد الحاسنى سبط شيخ الاسلام مولانا البورينى حسن حفظه الله

شرف رواده وهم وظروا الى العريش على الربوة الحمراء وفيها هاجر واسمعيل وتدزمت حول الماء بالاحجار وهيئته من الجريان وتدروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أم اسماعيل لولا أنها عجلت وسعت ماء زمزم أن يكون عينا جارية وظهر من الاحجار يجرى الماء على وجه الارض سيل الروادعليها واستادنوها فى نزولهم وشربهم من الماء فأذنت لهم فى النزول فلما أمن كان وراءهم من أهليهم فأخبروهم بخبر الماء فمروا الوادى مضمخين مستبشرين بالماء وبما أضاء الوادى من نور النبوة وموضع البيت الحرام وبكلام اسمعيل بالعربية خلاف لغة أبيه وقد ذكرنا فى هذا الكتاب وغيره ما قاله الناس فى ذلك من قعطان ومرار ويرد ج اسمعيل بالحذاء بنت سعد العمليقى وقد كان ابراهيم استأذن ساره فى زيارة اسمعيل فأذنت له فوافى مكة واسمعيل فى الصيد ومعه أمه هاجر فسلم على الحذاء زوجة اسمعيل فلم ترد عليه السلام فقال لها اذا ورد على زوجك فقولى له غير عتبة الباب فلما ورد قالت له ذلك فقال لها الله قال لك هذا فمن أنت قالت هو عاتب فقال لها اذا ورد تعالى

تعالى

ياسيدى ومولاى * وعالم الثقلين
ومن غدا بكاس * علا على النيرين
أجزت بالدرس وما * فاقوا به الفرقدين
مزين العبد أيضا * من مثل ذاك يزين
وان يكن فى ختام * فذاك قرة عينى

ماخرته بما نصه

أحمد من أطلع من محاسن * دمشق ما أربى على المحاسن
وزانها بالجلة الاعيان * الراقمين فى حلى التبيان
الراغبين فى الحديث النبوى * السالكين فى الهدى النهج السوى
وبعد فاعلم أجل زينه * وسبله فى الرشد مستبينه
وان علم السنة الشريفه * ظلاله ضافية ورفيفه
لذاك كان باعتناء أحدرا * من كل ما يليه من تصدرا
وان افضل الادب البارع * سابق ميدان الذكا المسارع
الماجد المسدد السامى الحسب * محمد من للمحاسن انتسب
ابن الشهير الصدر تاج الدين * لازال فى عز وفى تمكين
وحده لامه الشيخ الحسن * وذاك بوريديهم معطى اللسن
سألنى اجازة بكل ما * أروى به عنوانا بحالى معلما
وها أنا أجبته غير بطل * مستغفرا من خطا ومن حطل
فلم روعنى كل ناصح * على شروط غيثها يسح
وهى عن الشروط لن تريما * ولبس يخفى علمه الكريما
وكل ما ألفت أو جمعت * نظما ونثرا مثل ما أسمعت
ولى أسانيد يضيق الوقت * عن سردها وبعضها قد فات
فى غير هذا فيحقق ذلك * مقتفيا لاوضح المسالك
وقد أخذت جامع البخارى * وسلم عن حاتر الغبار
عمى سعيد وهو عمن يدعى * بالتقى قد أفاد الجمعا
عن حافظ الغرب الرضا أبيه * عن ابن مرزوق عن النبيه
الحافظ المجل العراقى * وقد سما فى سلم المراقى
وماله من الروايات علم * من كتبه التى حوت خير الكلم
وخط هذا المقرى عن عجل * مؤملا من ربه عز وجل
غفران ماجنى من الذنوب * والصفح عن معرة العيوب
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله دأبا سرمدا
وآله وصحبه الاخيار * ومن تلاه حزبا الاحصار

غيرها وانصرف ابراهيم من فوره نحو الشام وراح اسمعيل وهاجر فنظر الى الوادى قد أشرق وأنار والاغنام تتنسم الاثار فقال لزوجته الجداء هل كان لك بعدى من خبر قالت نعم شيخ ورد على وأخبرنى بالقصة فقال ذاك أبى خليل الرحمن وقد أمرنى بتخليتك فالحقى باهلك فلا خير فيك وتسامعت جرهم بنى كركر ونزولهم الوادى وماهم فيه من الخصب وادرار الضرع وهم فى حال يحط فما درا نحو مكة وعليهم الحرث بن مضاض ابن عمرو بن سعد بن الريث ابن طارم بن يحالة بن هنى ابن نبت بن جرهم حتى أتوا الوادى ونزلوا مكة واستوطنوها مع اسمعيل ومن تقدمهم من العماليق من بنى كركر وقد قيل فى كركر انه من العماليق وقيل انه من جرهم والاشهر انه من العماليق وتزوج اسمعيل زوجته الثانية وهى عامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هنى بن نبت واستاذن ابراهيم عليه السلام فى زيارة اسمعيل فاستحلفته غيرة على اله اذا أتى الموضع لاينزل من

ركابه وقد تنازع الناس على أى شئ كان ركوبه منهم من قال كان راكبا على البراق ومنهم من قال على انان وقيل غير ذلك

ولما سألني في الاجازة الفاضل الاديب سيدي محمد بن علي ابن مولانا عالم الشام الشهير الذكر شيخ الاسلام سيدي ومولاي الشيخ عمر القاري حفظه الله تعالى وأنا مستوفز للسفر كتبت له عن عجل ما صورته

أحمدك من زين بالآثار * جيدا من الراوي البديه القاري
وشاد للعلياء في أوج السند * منازلا لم يبلها طول الامد
ومنزل الواعين للحديث * بالفضل في القديم والحديث
وزان منهم سماء الدين * فاشرقت بالحفظ والتبيين
فهم بها للمهتدي نجوم * وانها للمقتدي رجوم
فكم أزاحوا عن حديث المجتبى * صلى عليه الله ما هبت صبا
تحريف ذي غل ومضل غالي * شان لمنهاج الرشاد قالي
وبعد فالاسناد للرواية * وسيلة لزحزح الغواية
والله قد خص هذي الامه * به امتنانا وأزاح الغمه
هذا ولولا ذاك قال من شا * ما شاء فهو بحق منشا
فلم يزل أهل النهى كل زمن * يسعون في تحصيله عن مؤتمن
وان من جمله من تحرى * جمله من العلوم غررا
الفاضل المسدد النجيب * الواصل الممجد الاريب
محمد سليل ذي المجد علي * ابن الامام العالم الحبر الولي
عمر الشيخ الشهير القاري * طود السكون هضبة الوقار
شيخ الشيوخ في دمشق الشام * لازال مخفوقا بعز سامي
فكان من جملة من عي روى * بعض الصحيح ظافرا بما نوى
وبعد ذاك اقترح الاجازه * مني ووعدها اقتضى انجازه
فانجحت نفسي عن الاجابه * اذ لست في ذا الامر في انجابه
مع أنني مقصر ذو عي * في مثل هذا المطلب المرعي
وخفت أن آتيها شنعاء * يحملي الوشي الى صنعاء
وبعد ذا أحببت قصد الاجر * مرتجيا بذاك رتب الفجر
وقد أجبته وانى اعلم * أني من خوف الخطا لا أسلم
فليروها بالغ التمنى * جميع ما يصح لي وعني
من ذلك الجامع للبخاري * عن عمي الشهير ذي الفخار
سعيد الآخذ عن سفين * عن قلنشندي مزيح المين
عن حافظ الاسلام أعني ابن حجر * بما له من الروايات اشتهر
وبعضها في صدر فتح الباري * مبين لطالب الاخبار
ولي أسانيد يطول شرحها * والروضة الغناء يكفي نفحها
ومن رواياتي عن القصار * مفتي البرايا بهجة الاعصار

من الحيوان فلما أتى ابراهيم الوادي سلم على زوجة اسمعيل الحجر همية فسلمت عليه ورحبت به وأهلته بأحسن لقاء وسألها عن اسمعيل وهاجر فأخبرته بخيرهما وأنهما في رعيهما وعرضت عليه النزول فأبى وقال ان هاجر كانت قدمت لها من السنين سنة وألحت الحجر همية على ابراهيم في النزول فأبى فقدمت اليه لبنا وشيئا من لحم الصيد فدعا لها بالبركة وجاءته بحجر كان في البيت فمال عن ركابه وجعلته تحت قدمه اليمنى ثم رجلت شعره ودهنته ثم حولت الحجر الى شماله فوضع رجله اليسرى عليه أيضا ومال برأسه نحوها فرجلته ودهنته فأثرت قدماه في الحجر على ما وصفنا من ترتيب اليمين والشمال فلما رأت الحجر همية ذلك أكبرت ما شاهدته وهذا الحجر هو مقام ابراهيم فقال لها ابراهيم ارفعيه فسيكون له شأن وسأبعد حين ثم قال لها اذا جاءك اسمعيل فقولي له ان ابراهيم يقرأ عليك السلام ويقول لك احتفظ بعتبة بيتك فنعمت العتبة هي وسار ابراهيم راجعا نحو الشام وقيل انما سمي اسمعيل لان الله سمع دعاء هاجر ورحمها حين هربت من سيدتها سارة أم اسحق وقيل ان الله سمع دعاء ابراهيم وقبض اسمعيل حدثنا

حدثنا خروف الذاكى الارج * عن الشريف الطيطحانى نرج
سمعت فى المنام طه يملى * حديث من أصبح وهى العقل
أى آمنا فى سربه معافى * فى جسمه مع قوت يوم وافى
وكل ما ألفت فى الفنون * أرجوبه التحقيق للظنون
فليروه عنى بشرط معتبر * وربما يصدق الخبر الخبر
ولى تأليف على العشرينا * زادت ثمانيا حوت تعنينا
فليروها ان شا بلا استثناء * والله أرجو نيل قصدباتى
بجاه من شرف بالادناء * صلى عليه الله فى الآناء
أحمد خير المرسلين الهادى * غوث البرايا ملجأ الاشهاد
عليه أسنى صلوات زاكيه * مع صحبه ذوى المزايا الزاكيه
ومن تلا من أطاب عمله * فنال من رجائه ما أمله
وشم من عرف قبول أرجا * فنال من حسن الختام ما رجا

وخاطبنى من أهلها أيضا خادم الشيخ الاكبر بن عربى محيى الدين وهو الشيخ الاكرمى سيدى ابراهيم سلك الله بى وبه سبل المهتدين بقوله

فكرت فى فضل الاما * م المقرى الحبر حينا
فوجدته بكر الزما * ن وواحد الدنيا يقينا
ما ان رأيت ولا سمعـ * ـت بمثله فى انعالمينا
وافى دمشق زائرا * ألوانه أضحى قطينا
وأتى عجيب الاتفا * ق بفطر شهر الصائمينا
فكأن غرته الهلا * ل ونحن كنا ناذرينا
والعلم قال مؤرخا * أدى بها فضلا مبينا

وخاطبنى أيضا منهم الفقيه النبيه سيدى مصطفى بن محب الدين حفظه الله تعالى بقوله

فضائل قطب الغرب فى العلم والفصل * هو المقرى الاصل حائزة الخصل
حوى كل علم كل عن بعضه السوى * فلا غرو أن اضحى فريدا بلا مثل
وحاز فنونا من ضروب معارف * ومن فضل تحقيق ومن منطق فصل
توخى دمشق الشام فافتر ثغرها * سرورا به وازينت سن حلى الفضل
وشرف مصر اقبلها فاكتست به * ملابس فخر زانها كرم الاصل
لقد أشرقت من أفق غرب شموسه * وناهيك أفقا نوره قدره يعلى
نفاسته فيها تنا فتت الورى * بما قد غدا من درر ألفاظه يملى
ملى من التحقيق ان عن مشكل * تكفل بالتبيان والشرح والحل
اذا ما أدار الدر من كاس لفظه * سقانا عقار الفضل علا على نهل
نظام له يحكى قلائد عسجد * وثغر مليح فائق الحسن والدل
وأسجاعه ان حاك وشى نسيجها * حكت حبرا حيكت غارق من غزل

الحجر الاسود * وولد له اسمعيل اثنا عشر ولدا ذكراوهم نابت وقيذار وادبل ومسيم ومسمع ودوما ود وام ومنى وحداد ونبم و بطور وناپسر وكل هؤلاء قد أسلم وقد كان ابراهيم قدم الى مكة ولاسمعيل ثلاثون سنة حين أمره الله تعالى ببناء البيت فبناه وكان اسمعيل يأتى بالحجر من حيث شرتجيبان كرب وطوله ثلاثون ذراعا وعرضه اثنان وعشرون ذراعا وسمكه تسعة أذرع وجعل له بابا ولم يسقف ووضع الركن موضعه وألصق المقام بالبيت وذلك قوله عز وجل واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل الآية وأمر الله تعالى ابراهيم ان يؤذن فى الناس بالحج ولما قبض اسمعيل قام بالبيت بعده نابت بن اسمعيل ثم قام من بعده الناس من جرهم الغالبة جرهم على ولد اسمعيل وكان ملك جرهم يومئذ الحرث بن مضاض وهو أول من ولى البيت وكان ينزل هنالك فى الموضع المعروف بقعيقعان فى هذا الوقت وكان كل من دخل مكة بتجارة عشرها

عليه وذلك فى أعلى مكة وملك العمالق السميدع بن هود بن حدور بن مازن بن لاوى بن قنطور او كان ينزل أحيادا من اسفل

إذا العلم الأعلى بشرق ومغرب * له الموضع الأسمى على الكل فى الكل
سيدا حاز المفاخر والعلا * وفاقت حلى الآداب منه على الحلى
ألا من لمن العدا الحقير محبة * لقد نشأت عن خالص الود من خل
موال لو الى الحب والقرب منكم * بظاهر غيب لا يحيد عن الوصل
فلا زلت محفوّ ابسابغ نعمة * وفضل نعيم وافر وارف الظل
ودمت لدى الاسعاد فى كنف أوبة * وجمع لشمل بالمواطن والاهل

وخاطبنى أيضا الشيخ سيدى محمد بن سعد الكاشنى بقوله

شهر شعبان جاءنا لهنى * بقدوم الاستاذ كنز الفضائل
بهجة الكون روض علم وحلم * وهو معنى اللبيب ان جاء سائل
مصابيح فضله قد أضاءت * ساحة الجامع الكبير لآمل
ومختار لفظه صار محوى * لحديث مسلسل عن أفاضل
ومن العرب حين وافى لشرف * فاق بدرا لتمام وسط المنازل
حل منى فى القلب والطرف لما * لاح سعد السعود لى غير آفل
وعدا بالامان والسعد أرخ * أحمد المقرى فى الشام فائل

وقال أيضا شكر الله مسعاه ونيته ونفعه أمته

أتاك دمشق الشام أكرم وارد * ففرى به عبا وللحسن شاهدى
وهرى دلالا فى أراهر روضه * معاطف لين كالغصون الاماله
لك البشر ياعنى ظفرت بماجد * رفيع الذرى من فوق فرق الفراقد
لقد شاع بين الناس واسع فضله * فكم قاصد سعى لنيل الفوائد
من العلم الفرد المفيد الذى له * أيادسمت بالجود تولى لقاصد
وذاك أبو العباس أحمد من صفت * مناهله دوما الى كل وارد
تراه اذا وافيته متهللا * ويسم حبانى وجوه الاماجد
امام سما قدرا على النجم رفعة * أرى وصفه فى بيت نظم شاهد
لديه ارتفاع المشترى وسعوده * وسطوة بهرام وظرف عطارد
شهدت بان الله أولاه منحة * بنقل حديث فى جميع المساجد
ومدخل فى وادى دمشق ركابه * وسوددده وافى باعدل شاهد
حوى كل افضال وكل فضيلة * بها يهتدى حقا لنيل المقاصد
وما داعسى فى مدحه انا قائل * اذا رمت أن اتى نظيرا لمثله
عجزت ورب الناس عن عد واحد
فكم من معان حزتها ببيانه * وفكرته قد قيدت للشوارد
ومنطقه حاوى الثنا بجواهر * صحاح بها بردان عقد القلائد
من العرب وافى نحو شرق فاشرقت * شموس علوم أسفرت عن محامد
فمادیته یاسیدی من تفضله * تواترت الاخبار عن غير واحد

عسى عطفة منكم على بنظرة * فانت لموصول الحداح عائد
وأنت على ريب الزمان مساعدى * وأنت يمينى للجدود عدى
ولازلت تولى كل من هو آمل * لبغيته من صادر ثم وارد
وتبقى مدى الايام فى المجد اولا * بثوب الهناء تكسى شرور الحواسد
وهالك عروسا تجتلى فى حليها * اليك أتت فى رى عذراء ماجد
هى بعيد الفطر من بعد صومكم * بحسبك جبريل من لدن الواحد
وترجو جبريل السرار هى مثلث * بحضرتك العلياء يا حبر ماجد
وعشر فى أمان الله بالعز دائما * مدى الدهر ما ناح الحمام فى العذارد
وما دارت الافلاك من حولك بها * وما زغت شمس الضحى للشاهد

وقال أيضا زاده الله تعالى من فضله

صبى بوسط الفؤاد قائل * أعجز بالوصف كل قائل
ظبى باجفانه سبانى * وسحرها فتنى لبابل
يرمى سهام اللحاظ الا * برنو فيصمى الفؤاد عاجل
خدمت العقل مذ تحكنى * على حتى غدوت داهل
له قوام كخوط بان * أو كالقنا السمهرى عادل
بدر بدا كامل المعانى * فى القلب والطرف عاد نازل
قد أسر القلب فى هواه * بقيد حسن ودمع سايل
وما بقى منه لى خلاص * سوى مديحى رضا الافاضل
أعنى به المقرى من قد * سما على البدر فى المنازل
أحمد مولى له أياد * كالغيث يغنى لكل سائل
علامة حاز كل فضل * سبقا ومن بالعلوم عامل
من قد نشا فى العلوم طرا * وحاز علم البيان كامل
طويل باع بسيط فضل * مديد جود لكل آمل
ووافر العقل راح يهدى * سريع فضل لكل فاضل
وجامع العلم فى ابتهاج * بمنطقى فى الاصول حاذل
وهكذا الكلام مهما * أفاد فى الدروس ثامل
يروى صحيح الحديث دأبا * بالسند الواصل الدلائل
وكم علوم أفاد من قد * أتاه فى مشكل المسائل
وحل ابهام كل شكل * من ذى وفى الى الوسائل
وعاص فى لجة المعانى * واستخرج الدر فى المحافل
وفى فنون البديع أضحى * جناسه قد حوى رسائل
وكم دليل أقام لما * برهانه أبهت المعاول
ان كان وافى لنا أخيرا * فهو الذى فاز الاوائل

فاتاهم فى بعض الليالى السيل فذهب بهم وكان الموضع يعرف باضم وقد ذكر ذلك أمية بن أبى الصلت الثقفى فى شعره فقال

وجرهم شنوا بها من الدهر فالت شعوبهم الميم
(وفى دلا) ذل الحرمين مصاص الاصغر المجرهمى
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا
صروف الليالى والجدود العوائر
وكا الاسمعيل سهرا ووصله
ولما بدا منه البوائر
وذلك ولاه الله من بعد نابت
نصوف بذاك الله سوائح
صاهر
ذلك ان بها دار جرهم
بها الذئب يعوى والعدى الخواطر
وبها ذكر ان أخا جرهم
يقول عمرو بن الحرثين
مصاص الاصغر المجرهمى
وكنا ولاة البيت
والعاطن الذى
اليه تؤدى نذره كل محرم
سكانها قبل التفاوت رهطه
فسحوا فى الحرام بعد فناهم

لما عن بنى هى بن بيت بن جرهم وفى ذلك يقول لهم صاحبهم وأية كهف ووالاة لبيته والحجاب

بحر محيط فيض منه * على رياض بكل ساحل
واتى من العرب نحو شرق * يجوب من فوق متن نازل
فى مهمه مصحح سهول * وحزنه كم به عوا ئل
وحث فيه المسير حتى * خلفه من وراء كاهل
وجاء باليمن فى أمن * وصحة الجسم والشمائل
وحل فى الشام عند قوم * من أكرم الناس فى القبائل
دالت ابن ماهير دولة العالى * رب الندى للالوف نادل
كانه الشمس جاء يهدى * للبدر نورا وليس آئل
ان كان عيشا لهم وكانوا * روضا أريضا الشكر وابل
حلوه وعظموه * وادخروه اعجلا لا آجل
جزاهم الله كل خير * وصانهم من جدال جاهل
وأحسد دام فى أمان * المقسرى الرضا المعامل
لربه فى دجى الليالى * ويرشد الناس فى الاصائل
لا زال فى نعمة وخير * وفى أمان يعود عاجل

وخاطبنى الاديب الفاضل الشيخ أبو بكر العمرى شيخ الادباء بدمشق حفظه الله تعالى بقوله

ناهت لسان على مدن الدنى * بعالم فى العالمين يحمد
المقسرى أحمد رب الحجا * الكامل الحر الحضرم المزبد
مالك هذا العصر شافعه * أحمده نعمائه المسدد
مذ حل مصر ادعت أعلامها * لفضله وبجلوا ومجدوا
وفى دمشق الشام دام سعدها * كان لها المعام الاسعد
العلماء أجمعوا جميعهم * على معاليه التى لا تجحد
أقام شهرا أو يزيد وانثنى * وفى الحشا منه المهم المقعد
سالت على مراقه دموعنا * وفى القلوب جمره لا تخمد
لو قيل من يحمدنى بأريحه * ما قلت الا المقسرى أحمد
لا برحت أوفاء به معيده * ما صاح فوق عوده معرد

قلت وذكرى لكلام أعيان دمشق حفظهم الله تعالى ومدحهم لى ليس علم الله لاعتقادى فى نفسى فضلا بل أثبته دلالة على فضلهم الباهر حيث عاملوا مثلى من العاصرين بهذه المعاملة وكسوه حال تلك المحاملة مع كونى لست فى الحقيقة له اهلا لما اتاعليه من الخطا والخطل والجهل ولقد خاطبت من مصر مفتى الشام صدر الاكابر وارث المجد كابرا عن كابر صاحب أذيال الكمال صاحب الحلال المبلغه الآمال مولانا شيخ الاسلام الشيخ عبد الرحمن العمادى الحنفى بكتاب لم يحضرنى منه الآن غير بيتين فى أوله وهما

ياحادى الاظعان نحو الشام * بلغ تحياتى لتلك الشام
وابد أشفتها العهادى الرضا * دام بها شمل الهنا فى الدوام

فاجابنى بما نصه

الى أهالى مصر أهدى السلام * مبتدئا بالمقرى الهمام
من ضاع نشر العلم من عرفه * ولم يضع منه الوفا للذمام

أهدى تحف التحية الى حضرته العلية وذاته ذات الفضائل السنية الاحمدية التى من صحبها لم يزل موصولا بطرائف الصلات والعوائد الاوحدية الجامعة الى لها منها ما شواهد

ولله عبد سره * أن يجمع العالم فى واحد

فيا من جذب قلوب أهل عصره الى مصره وأعجز عن وصف فضله كل بليغ ولو وصل الى الثريا بنثره أو الى الشعرى بشعره ومن زرع حب حبه فى القلوب فاستوى على سوقه وكاد كل قلب يذوب بعد بعده من حر شوقه وظهرت شمس فضله من الجانب العربى فبهرت بالشروق وأصبح كل صب وهو الى بهجتها مشوق زار الشام ثم ما سلم حتى ودع بعد أن فرغ بروضها افنان الفنون فابدع وأسهم لكل من أهلها نصيبا من وداده فكان أوفرهم سهما ذا الحب الذى رفع بمحبته سمك عماده وعلى بمحبته شغاف فؤاده فانه دنا من قلبه فتدلى وفاز من حبه بالسهم المعلى أدام الله تعالى لك البقا وأحسن لنا بك الملتقى ومن علينا منك بنعمة قرب اللقا آمين عنه وعنه هذا وقد وصل من ذلك الجناب الوفى كتاب كريم هو اللطف الخفى بل هو من عزيز مصر القميص اليوسفى جاء به البشير ذو الفضل السرى الخل الاعز الاجل التاج الحماسى مشتملا على عقود الجواهر بل النجوم الزواهر بل الآيات البواهر تكاد تقصر البلاغة من حواشيه و يشهد بالوصول الى طرفها الاعلى لو شيه فليت شعرى باى لسان أثنى على فصوله الحسان العالية الشان الغالية الاثمان التى هى أنفس من قلائد العقيان وأبدع من مقامات بديع الزمان فطفقت أرتع من معانيها فى أمتع رياض وأقطع بان فى منشئها اعتياضا لهذا العصر عن عياض

ليت الكواكب تدنو لى فانظمها * عقود مدح فلا أرضى لها كلمى

ولا سيما فضل التعزية والتسلية المشتمل على عقد التخلية بل عقود التحلية لتلميذكم الولد ابراهيم فانه كان له كرقية السليم بمدأن كاد يهيم جاء والله درة فى أحسن الحال ووقع الموقع حتى كأن الولد نشط بركته من عقال

واذا الشئ انى فى وقته * زاد فى العين جمالا وجمال

جزاكم الله تعالى عنا احسن الجزاء ثم احسن لكم جميل العزاء فيمن ذكرتم من كرمتى الاصل والفرع وابقى منكم ما كنا فى الارض من به للناس اعم النفع واما مصيبة من كان ولى وسمى ومجدى الشهيد السعيد المرحوم الشيخ عبد الرحمن المرشدى فلها وان اصابت منا ومنكم الاحوين فقد عمت الحرمين بل طمت الثقلين ولقد عد

من لحق بولد عملاق وغيرهم فمن ذكرنا ولد عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وأن علماء العرب تنسبهم الى غير هذا النسب وهو الاشهر فى الناس وقد رثاهم الشعراء فقال بعض من رثاهم

مضى آل عملاق فلم يبق منهم * خبير ولا نخوة منأوس
عتوا فأدال الله منهم وحكمه * على الناس هدا وعده وهو سائس

وأما طسم وجديس فتقانت فى نحو من سبعين سنة فى الدهر على ما كان بينهم من الشقاء وطلب الرياسة حتى دثروا ولم يبق لهم باقية فصربت بهم العرب المثل وصربت بهم الشعراء المثل فمن ذلك ما قاله بعض الشعراء ممن رثاهم فى قوله

فويلى من جوى هم رسيس * من اللاء أوا لطسم أو جديس
بموعم عانوا المذاكى وباليوم الاحم العيطموس

وأما الرس وأصحابه فقد قدمنا ذكرهم فيما سلف من كتابنا وهم قوم حنظلة ابن صفوان النبى بعثه

 الله اليهم فكذبوه وقد ذكرنا من خبره لمعا وقد قيل فى أصحاب الرس أوجه كثيرة غير ما نزيادى هذا

الكتاب وقد ذكرت هذه القبائل في التوراة وكل ٤٦ يرجع الى ولد سام بن نوح من بني ارم بن سام ومن ولده عوص بن ارم ومن

ولده عابر بن ارم ومن ولده
عاش بن ارم فولد عوص
عاد بن ... رص وولد عابر
ثمود بن عابر وولد عاش بن
ارم ... ص ... فولد
... ر كما ... في
... الى ...
جل عاد بن عوص بن ارم
ابن ... بن نوح وولده
الاحقاف من بلاد
حضر موت وجبل ثمود بن
عابر بن ارم بن سام بن نوح
وولده الكرك فجار وجبل
جديس بن عابر بلاد جو
وهي بلاد اليمامة بين
الحرمين والحجاز وهذا الملك
وهذا الوقت وهو سنة
ثلاثين وثلاثمائة وثمانمائة
بعد الالف من العصر العلوي
وهو من ولد العباس بن علي
ابن أبي طالب رضي الله
عنهما وهو يجاور بالحرمين
ومن حينئذ الى هذا الوقت
وجبل طسم بن لوذ بن سام بن
نوح وولده اليمامة مع بني
جديس وجبل عملوق بن
لاذ بن سام بن نوح الحجاز
وورد كر ولد سام فيما
لخص من هذا الكتاب
أنهم حلوا الاهواز وفارس
وهو عيلام بن سام بن نوح
وجبل بيت بن عاش بن ارم
ابن سام بن نوح بابل وعلموا
على العراق وهم البيط
منهم ملوك بابل الذين قدم ذكرهم وأنهم الملوك الذين عمروا الارض ومهدوا البلاد وكانوا لم

دعا له في الاسلام تلمه وفعد به في حرم الله تعالى من كان يدعي للعلمه ولم يبق بعده الا من يدعي ايتاس الجيس واستق ان ينشد في حفه وان لم نقس به قيس

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

فالله تعالى يرفع درجاته في عليين ويبقي وجودكم للاسلام والمسلمين وتلامذتكم الاولاد يرجون من بركات أدعيتكم أعظم الامداد ويهدون أكمل التحية الى حضرتكم العليه ويطلبكم دعاء صاحب السعادة أدام الله تعالى اسعادكم واسعاده ومحل من محبته الشريفه في رياض فنون أدبية أنهاها المعالي محاضره في ذكر شمائلكم الجليله تتورد المجالس وأنهاها النسمات محاورة بنشر خصائلكم الجليله تعطر المجالس وسلام جليل الاصحاب من أهل الشام وعامة الخواص والعوام والدعاء على الدوام المخلص الداعي عبد الرحمن العمادي مفتي الحنفية بدمشق المحمية (وورد) على مع المكتوب المذكور مكتوبات جماعة من أعيان الشام حفظهم الله تعالى وهام الصديق الحميم الفاضل في حلل الحمد الصميم الخطيب الاديب سيدي الشيخ الخاسني محيي أسمى الله تعالى قدره في الدين والدنيا كتابان نص أولهما باسمه سبحانه

لئن حكمت أيدي النوى أو تعرضت * حوارض بيني بيننا وتعسرف
صرفي الى رؤياكم متشوف * وقلبي الى لقياكم متشوق

يعلل الارض الشريفة لازال مركز الدائرة الهالي وقطب الفلك تجري المحرة على حضرته على الدوائر والثواني ولا برحت ألسن البلاغة عن عبر براعة براعه حامي حماها معربة او بلال الآداب على الانصاف رياض فضله عثاني الثناء صادحه والحسان سجعها مطربه

أرض بها فلك المعالي دائر : والشمس تشرق والبدور تحوم
ولها من الزهر المضيء تجمع : ولها على افق السماء نجوم

حمر الله تعالى بالمسرات محلها وعم بالخيرات من حلها وتغدى بسلام يحرس صحن وده السالم ويريد حرام تؤكد حبه الذي هو للولاء حارم ويبعث شوقا يحرك ماسكن صميم الصميم من صدق حب سلم جمعه من التكسير ويؤكد السلام سوابغ المدح والثناء ويعرب عن محبة مخلصة بدماء الولاء ويهني ان السبب في سلمها والباعث على تحريرها أشواق اصرم نارها في الفؤاد وحمله لو محسمت لالتهبت البلاد

شوق لذاتك شوق لا زال اراى * اجدد يا امام العصر ادمه
ولي هم كاد دكر الشوق يحرقه * لو كان من قال نار أحرقت فمه

هذا وان يسأل المولى بالسؤال عن حال هذا العبد فهو باق على ما شهد به الذات اللطيفه العليه من صدق المحبه وورق العبودية ولم يزل يزين افق المجالس بذكركم ولا تقطف يد الخاصرة الا من زهركم ولم يمس حلاوة العيش في تلك الاوقات التي مضت في خدمتكم الحروسه بعمامة الملك المفضال وليالي الانس التي قيل فيها وكانت بالعراق لنا ليال

وهل لها من ليال هل تعود كما * كانت وأي ليال عاد ماضيها

لم انسها مذ بانت عنى بهجتها * واى انس من الايام يبقيها

ونسال الله تعالى ان يمن بالتلاق ويفصل متعة الجميع بولى شيعة العراق ان ذلك على الله يسير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وبعد فالمعروض على مسامع سيدى الكريمة لازالت من كل سوء سليمة انه وصلنا مكتوبكم الكريم محبة العم الحب القديم فحصل لهذا العبد به جبر عظيم وانس جسيم كما شهد بذلك السميع العليم فعزمت على ترك الاجابة لعدم الاجادة ومتى تبلغ الالفاظ المذمومة ما بلغته الالفاظ المقربة وأين يصل صاحب الرمح كما قيل الى الدفات الحليلية ولكننى خشيت من ترك الاجابة توهم بعض ما أبنيه من رق العبودية وصحة الوداد ومن انقطاع برق شيخى الذى هو لبيت شرفى العمدة والعماد فلم من ذلك أن كتبت لجنابه الشريف الجواب وان كان خطؤه أكثر من الصواب وأرسلته قبل ذلك بعشرة أيام ومكتوب هذا العبد صحبته مكتوبان أحدهما من محبكم شيخ الاسلام المفتى العمادى والآخر من محبكم أحمد افندى الشاهينى وهما وبقية أكابر البلدة وأعيانها سلغونكم السلام التام ولا تؤاخذونا فى هذا المكتوب فانى كتبته عجلا ومن جنابكم خجلا دام خيركم على الدوام الى قيام الساعة وساعة القيام وحرر يوم الاثنين ١١ جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ الفقير الداعى يحيى الحاسنى انتهى * (ونص الكتاب الثانى من المذكور أسماء الله) باسمه سبحانه مخلصك الذى محض لك وداده ومحبك الذى أسلم لمحبتك قياده بل عبدك الذى لا يروم الخروج عن رقك وتمليدك الذى لم يزل مغترفا من فيض علومك معترفا بحقك من أسكنك لبه وأخلص لك حبه واتخذك من بين الانام ذخرا نافعا وكهفا مانعا ومولى رفيعا وشهما باسطا وتشبث باسباب علومك وتمسك يهدى اليك سلاما كما تعطر بمسك ثنائك وتمسك وا كتسب من لطف طبعك الرقة واستعار من سنى وجهك حلة مستحقة وتحية لم يكن منها الا أن تكون بالمواجهة والمحاضرة والمشافهة على أن فؤاده لم يبرح لك مسكنا واحشاءه لك موطنا ويبدى دعوات بحقوق الفضل انها من القضايا المنتجة وأن أبواب القبول لها غير مرتجة مقبلا أياديك التى وكفت بوابل جودها وكمت المهم بنتائج سعودها وحاكت الوشى المرقوم وسلكت الدر المنظوم فهذا يرفل فى حللها وهذا يتحلى بعقودها

فهى التى تعنو الرياض لرقها * ويغار منها الدر فى تنضيدها

وبحار أرباب البيان لنظمها * فهم يحضرنها كبعض عبيدها

متمسكا من ولائك بوثيق العرا متمسكا من ثنائك الذى لا يزال الكون منه معنبرا متشوقا للقائك الذى بالمهج يستام وبالنفوس يشترى منشوقا الى ما يرد من أنبائك التى تسر خبرا وتحمد أثرا أغنى بذلك المولى الذى أقام بفناء الفسطاط مخيما وانتجع جاه راند الفضل مسهما وشدت لفضائله الرحال ووقفت عندها بل دونها فحول الرجال وطلعت شموس علومه فى سماء القاهرة فاختفت نجوم فضلائها والاشعة باهرة

هو الشمس علما والجميع كواكب * اذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

فهو العالم الذى سرى ذكره فى الآفاق مسير الصبا جاذب ذيلها النسيم الخفاق الذى أطلع

الوقت بالعراق وغيرها وقد زعم جماعة من المتكلمين منهم ضرار بن عمرو بن ثمامة بن الاشرس وعمرو بن بحر الجاحظ أن النبط خير من العرب لان من جعل الله تبارك وتعالى النبى صلى الله عليه وسلم منهم لم يدع أكثر شرف فى الدنيا الا وقد أعراهم منه وسلبهم اياه ولا نعمة على من جعل الله تعالى النبى عليه السلام منهم أكبر من النبى صلى الله عليه وسلم ولا بلوى على من لم يجعل الله عز وجل النبى صلى الله عليه وسلم منهم أكبر من خروج النبى صلى الله عليه وسلم عنهم الا انهم مع هذا كله لهم عند الله فضل ما بين النعمة والبلاء (قال المسعودى) ولما لم يسأل من قدمنا ذكره من تشريف النبط وتفضيلهم على ولد قحطان وعدنان وفيهم الفضل والشرف من النبوة والملك والعزة قال لهم الخبر عن قحطان ونزارا ذا كان النبط قد صاروا أفضل من العرب لما امتحن الله به النبط من سلبه النبوة منهم وأنعم على العرب بكون النبى صلى الله عليه وسلم منهم فللعرب أيضا التعلق بهذه العلة التى احتل بها النبط فنقول قد صرنا بعد أفضل من النبط لما

شمس الدهر من أفق بيانه وأضاء بدر التدقيق من تبيانه فلهذا انعقدت عليه الخناصر وشرع عصره وانصفت اليه الاواصر من فضلاء مصره فلا يضاهيه أحد في زمانه وينسق [illegible] فهو المعول عليه في مشكلات العلوم معقولها ومنقولها والمنطوق والمفهوم الذي لم يصح بمثله الازمان والعصور ولم يات بنظيره تتابع الاعصار والدهور من عجز لسان القلم عن الصريح باسمه الشريف في هذا الرقم لازالت المدارس مشرقة بالاستفادة فيها الدروس ولا برحت البقع عامرة بوجوده بعد الدروس ما سطرت آيات الاشواق في الصحائف والطروس وأرسلت من تلميذ الى أستاذ بسبب نسبته اليه فحصل على المطلوب من شرف النفوس هذا والذي يبدي لحضرتكم وينهي لاطلاعتكم أن الراقم لهذه الصحيفة المسرفة ببعض أوصافكم اللطيفة المرسلة لساحة فضائلكم المنيفة هو تلميذكم من تشرف بدرسكم وافتخر باحازتكم يبدي لكم تلهفه لنيران أشواقه التي التهبت وواصلت على الايام السالفة مذهبة في خدمتكم لاذهبت وتوجعه لهذه الازمان التي استرجعت بالبعد عنه من ذمته ما وهبت وتطلعه الى ما يشنف به الاسماع من فضائله التي سلبت العقول والتهبت فلا يزل يسأل الرواة عنها ليلتقط منها وقد تحقق ان فرائدها لا تلقى لها ناظر ولا يدرك كنهها وكيف لا ومنها يتعلم الفاضل اللبيب واليها يفتقر السعيد ويتودد الحبيب وعليها يعتمد ابن العميد ولم تنفك راقية في درج المزيد وعبد الحميد عبد الحميد وعلم شيخي محيط بصدق محبتي واخلاصها وشدة حرصي على تحصيل فوائدها وافتناصها وانني لا أزل اذكر اخاسنه التي ليست في غيره مجموعة ومتطفلا على ثمار أفكاره التي هي لا مقطوعة ولا ممنوعة وخاطره الشريف على الحقيقة يشهد بذلك فلا تحتاج هذا العبد الى بينة لدى مولانا الاستاذ المالك وحقيق على من فارق تلك الاخلاق الغر والشمائل الزهر والعشرة المعشوقة والسجايا الموموقة والفضائل الموفورة والمآثر المشهورة أن يشفي جيب الصبر ويجعل النار حشو الصدر

وانى لتعروني لذكراك هبرة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

ولو ملكت مرادي لما أحضر الا في ذراء مرادي بل لو دار الفلك على اختياري لما انقضت الاعوام الا ليلي ونهاري

ولو تعطى الخيار لما افترقنا * ولكن لا خيار مع الزمان

وتحت ضلوعي لوعة لو كشفتها * لخفت على الاحشاء أن تتضرما

ولو بحت في كتبي بما في جوانحي * لانطفتها نارا وأبكيتها دما

وأنا الا أقترح على الدهر الا الغناء ولا أطمع حاضر الوقت الا بذكراه وما أعد أيامي التي سعدت فيها بلقائه الا صفحات السرور ومطالع السعود والحبور ولست أعيبها الا بقلة البقاء وسرعة الانقضاء وكذلك عمر السرور قصير والدهر بتفريق الاحبة بصير وربما نضر العود بعد الذبول وطلع النجم بعد الافول وأديل الوصال من الفراق وعاد العيش المترحل المذاق

وما أماني أن يجمع الله شملنا * كاحسن ما كنا عليه بأيس

اهـ من [illegible] جعل الله للسيد من الفضل نجله امامهم بسلب النبي صلى الله عليه وسلم عنهم والنبط أيضا قد صار يطلق على العرب اه العرب من فضل النبي صلى الله عليه وسلم مما جعله الله لهم شعرة من رحل الناقة التي ركبها ثم نحاها ثم تعريفه لنسابتهم الذي صلى الله عليه وسلم ليس لفظ تحرير العرب أيضا حيرا من النبط وهذا لا يدعيه لنفسه الا كل جاهل بالعلم والكلام متوجه عليه فيما قاله ومكان تعليمهم فيما أوردوه من تحصيل النبط على العرب وقد ذكر ما نازع الناس في الانساب والتفضيل بها وبالاعمال دون الانساب ومن قال ان العمل دون النسب وما قالته الشعوبية وغيرها في كتابنا المقالات في أصول الديانات وقد ذكر أبو الحسن أحمد ابن يحيى في كتابه في الرد على الشعوبية عللا كثيرة وقد ذكر من اختصه الله تعالى من عباده واصطفاه من خلقه انذاك على طريق الثواب أم على طريق التفضيل قال ومن زعم زاعم أن ذلك ثواب خرج من معقول كلام العرب ومفهوم خطابها لانه لا يقال لمن أعطى الاجير أجرته ووفى العامل ثوابه قد اختص فلانا بعطيته وانما يقال ذلك اذا تطوع عليه بالعطية بغير عمل ومنعها فاما

فما الآن وما أرجى الوقت الا يقلب شديد الاضطراب وجوانح لا يفيق
والا التهاب وكيف لا وحال حالي من ودع صفو الحياة يوم وداعه وانصدع
انقطاعه وطوى الشوق جوانحه على عليل وحل أصلاده على كمد جميل وأعرابي
فلا مني ولرمته وأعب بيني وبين الوحدة لهي والعبه فلا أسلك للعراء سبيلا الا وجدته
مسدودا ولا أقصد للصبر بابا الا ألفيته موصدا ولا أعد اليوم بعدوا في سيدي الا شهرا
والشهر دون لقائه الا دهرا ولست بناس أيامنا التي هي تاج ليالي وعصر الامالي اذ
ماء الاجتماع عذب وغصن الاوقات رطب وأنيس الحواشد رافده وأسوق سروف
الدهر كاسده وما كانت الا لحظة الطرف وومضة الطرف ولمحة الخاطف وزورة
الخيال الطائف وما مذكرة تلك الايام في أكناف فضائله وحضرها رياض علومه في صحبه
وخضرها الا أوجب على عينه أن تدمع وأنى على كمده حشاه أن يصدع فلما ورد
على عبدكم مكتوبكم الكريم صحبته حضرة العلم الجحفل القديم فكان كالهضبة للصب
السقيم كما يشهد بذلك لسميع العليم فوقفت منتصبا وحفت سمعه مرؤته وصحبا
وذكر أيام الجميع فهام وجدا بها وصبا فاستغفله الاعجاب طربا وشاهد صدوره فقال هكذا
يكون الرياض وعاين لطفه فقال هكذا تكون الصبا وتأمل كل حرف منه ووضعه على
الراس وحصل له بعد ترقبه غاية المخابرة والاستئناس فعند ذلك أنشد قول بعض الناس

وردا الكتاب فكان عند ورودة ... عندا ولكن هيج الاشواقا
نوباته حد عانقت صاداته ... كعناق مشتاق يحاف فراقا
فكأنما الدوبات فيه أهله ... وكأنما صاداته أحداقا
فعسى الاله كما قضى بفراقنا ... يقضي لنا يوما بأن نلاقي

فجعلته نصب عيني أتسلى به عند استيلاء الشوق على دلي وأطفئ بتأمله نار وجدي اذا
التهبت في صدري وسررت به سرور من وجد صالة عمره وأدرك جميع أمنيه من دهره
وأنست بتصفحه أنس الرياض بانهلال القطر والساري بطلوع البدر والمسافر بتعريسة
العير وكيف لا وقد أصبح في وجه الامالي حدا بل في خدها وردا وصار حسنة من
حسنات دهري لا يعدو مرور الايام موضعها من صدري وطلعت طوالع السرور وكانت
آفله واهمرت عصون الفرح وكانت ذابله لاسيما لما تضمن من البشارة السارة بصحة
المولى وسلامته وحلوله في منازل عزه وكرامته وموعده الكريم بعوده الى دمشق الشام
كساها ثوب العمار مرة ثانيه ونسم اقتفارها على سيرها فاله ترال معاجرة مباهية سأل الله
تعالى أن يحقق ذلك وان يسلك بسيدي أحسن المسالك انه سبحانه وتعالى سامع
الاصوات ومجيب الدعوات فان عودكم يا سيدي والله مرة أخرى هو الحياة الشهية
والامنية التي ترتجى المس بلوغها قبل المنية وما أماس الله بآيس من أن يتيح سببا يعيد
لمزاره قربا والشمل مجتمعا وحبل البين منقطعا ثم ليعرض على مسامع سيدي الرغبة
لازالت من كل سوء سليمة أنا أوصلنا مكاتبكم كما أمرتم لاربابها لا سيما مكتوب شيخ الاسلام
سيدي عبد الرحمن افندي المفتي بالشام ومكتوب المولى الاعظم والهمام الافخم احمد افندي

اشعار الناس منثور وكلامهم منظوم وقد قال الله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار

ل لا سيما وهو سيد العلماء لا
جوز أن يشركهم فيما سواهم
وان لم تكن الانسانية من
أجلها هي فالرياسة من
العدل أن شرفهم بغير
أجلها هم لما فيهم أداء
ان عارضكم معارض فقد
أنه ليس من العدل ان من
ما هم وحده دون غيرهم
بغير عمل كان منهم وبه
معصية كانت من غيرهم
ولا يكون الفضل لهم
بعاشم الشعر وبيوته
وقد أحب الله تعالى اصطفاء
من خلقه وقال ان الله
اصطفى آدم ونوحا وآل
ابراهيم وآل عمران على
العالمين ذرية بعضها من
بعض والله سميع عليم
والواجب على ذي لب
الشريف والخطير الرفيع
أن لا يجعل ذلك سلما الى
الدرجة من الاعمال
المواضعة لنسبه والا دل
على آبائه فان شرف
الاسباب شرف على شرف
الاعمال والشرف ابدا
أولى اذا كان الشرف
يدعو الى الشرف ولا يشط
عنه كما ان الحسن يدعو
الى الحسن ويجر اليه
واكثر الممدوحين انما
مدحوا بما لهم من
اسلافهم وهذا كتاب

ولا عذل كيف لا ومطالع البيان مشرقها من أفلاك فهومه وجوانب التبيان مغربها من بحار علومه وهو بحر العلم الذى لا تقحمه سفن الافكار رجل الحلم الذى وسع بالهيبة والوقار

لو اقتسمت أخلاقه الغر لم تجد * معيبا ولا خلت الناس عائبا

وماذا عسى أصف به مولانا وقد عجز عن وصفه لسان كل واصف وحارت فى فضائله أرباب المعارف والعوارف

فلو نظمت الشعرى والشعر يرثى * وكاهل الارض صرعى * وشعب رضوى عروضا
وصعت للروض ندا * وللهواء نعيضا

ولكنى أقول الثناء مخ أبى سلمك والسخى جوده عما ملك وان لم يكن خمر خل وان لم يصبها وابل فطل هذا وقد أوصلنا مكاتبكم الشريفة لاربابها فكانت لديهم أكرم قادم وأشرف منادم وقد تداولها الافاضل وشهدوا انها من بنات الافكار التى لم يكشف عنها الغبر سيدى بحجب الاستتار وقد وجدنا كلامهم ملتهبا بجمرات الشوق مجاوزا حد الصبابة والتوق ليس لهم شغل الا ذكر أوصافكم الحميدة وبث ما أبدتموه بدر وسلم المفيدة ومامنهم الا ويرجو بل الصدى ونفع الصدا برؤية ذلك المحيا والتملى بتلك الطلعة العليا وان سأل سيدى عن أخبار دمشق المحروسة دامت ربوعها المأنوسة فهى ولله الحمد منتظمة الاحوال أمنها الله من الشر ورواد هوال ولم تجدد من الاحمار ما علم به ذلكم الجناب لازال ملحوظا بعين عناية رب الارباب وأنا أسأل الله تعالى أن يديم وجود جوهر تلك الذات من عوارض الحدثان وأن يحمى تلك الحضرة العلية من طوارق حكم الدوران

آمين آمين لا أرضى بواحدة * حتى أضيف اليها ألف آمينا

* وهذا دعاء للبرية شامل * العبد الداعى بجميع البواعث والدواعى ناج الدين الحاسنى عفا الله تعالى عنه انتهى وبالهامش ما صورته وكاتب الاحرف العبد الداعى محمد الحاسنى يقبل يدكم الشريفة ويخصكم بالسلام الوافر ويبث لديكم الشوق المتكاثر غير انه قد نازعته نفسه فى تلك المعانية لسيده الذى لم يسعد عبيده بالمكاتبة على انها محكمة بحكم عقد العبودية ولا تخرج رقبته من طوق الرقية وانظلوم أن يخصه سيده بدعوته المستطابة التى لا شك أنها مستجابة كما هو عليه فى سائر أوقاته وحسبان ساعاته ودمتم فى رابع جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ انتهى * وكتب سيدى التاج المذكور لى ضمن رسالة من بعض الاصحاب ما صورته

يا فاضل العصر يا من * للشرق والعرب شرف
يا أحمد الناس طرا * فى كل ما ينصرف
بهدى اليك محب * دموعه تنذرف
شوقا ووداد قديما * منكرا تعرف

ولتحم محاطبات أهل دمشق لى بما كتبه لى أوحد الموالى الكرام السرى عين الاعيان صدر

فاعطوه منها ما طلبه على الكيفية ودويت ... راعة وهم الناس ظلم عمرو بن لحى وفى ذلك يقول رجل من جرهم كان على دين الحنيفية

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام
... ال ... ا ... ر
وكذا الى ... م الرام
... العم اليوم الذى ... لهم بها كان السوام
ونساء كنا نحسبهن لحى
من نصب الاصنام حول الكعبة وطاف على العرب عباد بها واعتقاد ... فيه منهم الانعام قال فى ذلك
... من حلف الجرهمى
يا عمرو ... ذا احدث ... ه
... شى بكم ... ن ... ب
أنصابا
وكان للبيت ... وحده
أربابا
فجعلت ابنى انعما ...
أربابا
لتعرفن بان الله فى مهل
سيصطفى دونها نبيا
حجابا
وتعمرون بحى ثم تبعثه
ونحن أول عمر ... منه
وكانت ولاية البيت فى خزاعة وفى مضر ثلاث خصال الاجازة بالناس من عرفة والافاضة من المزدلفة النسى

غداة النحر الى منى فانتهى ذلك منهم الى أبى سيارة فدفع أبو سيارة من مزدلفة الى منى أربعين سنة على حمار له لم يعمل

أرباب اللاغة والبيان مولانا أحمد الشاهيني السابق الذكر في هذا التاليف مرات ضاعف الله تعالى لديه أنواع المبرات والمسرات آمين ليكون مسكا للختام اذ محاسنه ليس بها خفاء ولا فما اكتتام ونص محل الحاجة منه هو الفياض

ياسيدا أحرز خصل العلا * بالباس والرأي الشديد السديد
ومن على أهل النهى فدعلا * بطبعه السامي المجيد المجيد
ومن بزين الدهر منه حلى * قول نظيم كالفريد النضيد
ومن صداه فكري منه جلا * نظم له القلب عميد حميد
ومن له من يوم قالوا بلى * في مهمتي حب جديد مريد
ومن غدا بين جميع الملا * بالعلم والحلم الوحيد الفريد
أفديك بالنفس مع الاهل لا * بالمال والمال عتيد عديد

أقسم بالله الذي عمت كلمته وعمت رحمته وسخرت القلوب والعقول رأفته ومحبته وجعل الارواح جنودا مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف انني أشوق الى تقبيل أقدام شيخي من الضمآن للماء ومن الساري لطلعة ذكاء وليس تقبيل الاقدام مما يدفع عن المشوق الاوام وقد كانت الحال هذه وليس بيني وبينه حاجز الا الجدار اذ كان حفظه الله تعالى جار الدار فكيف الآن بالغرام وهو حفظه الله تعالى بمصر وأنا بالشام وليس غيبة مولانا الاستاذ عنا الا غيبة العافية عن الجسم المضنى بل غيبة الروح عن الجسد البالي فما من روح ولا عيشة بعد فراقه وهجر أحبابه ورفاقه الا كما قال بديع الزمان عيشة الحوت في البر والتلج في الحر وليس الشوق اليه بشوق وانما هو العظم الكسير والريح العسير والسم يسري ويسير وليس الصبر عنه بصبر وانما هو الصاب والمصاب والكمد في يد الغصاب والنفس رهينة الاوصاب والحين الحائن وأين يصاب ولا أعرف كيف أصف شرف الوقت الذي ورد فيه كتاب شيخي بخطه مريناً يصطه بل قد كان شرف عصارد حتى اجتمع من أنواع البلاغة عندي كل شارد وأما خطه فكما قال الصاحب ابن عباد أهد احظ فابوس أم جماح الطاوس أو كما قال أبو الطيب

من خصه في كل قلب شهوة * حتى كأن مداده الاهواء

وأما قوله وأبدع وأبرع وفي هذا الباب أنف وأجمع بل هو حط أماء من الرمان والله اعتمر طوارق الحدثان والحرز الحريز والكلام الحر الابريز والجوهر النفيس العربر وأما الكتاب نفسه فقد حسدني عليه اخواني واستبشر به أهلي وخلاني وكان تقبيلي لاماليه أكثر من نظري فيه شوقا الى تقبيل يد وشته وحشته واعتياد اللثم أنامل جسته ومسته وأما البراعة فلاشك انها ينبوع البراعة حتى جرى من سحر البلاغة منها ما جرى فجاء الكتاب كسحر العيون * بما راح يسبي عقول الورى ويناى باحراز حصل السبق من الثريا الى الثرى ولم أر كتابا قبل تكون محاسنه متداخله مترادفة ولطائفه وبدائعه متضاعفة متراصفة وذلك لانه سرد من غرر درره الاحاسن وورد على يد رأس أحبابنا ماج بني محاسن

عن دعاء عن أبي سيارة حتى أقص محل حاجاره مستقبل القبلة يدعو حوله

وليس هذا مشهور الحكم وكانت اسد أبي بني ذلك الى كنانة وكان أول من عمل العمائم حذيفة بن عبد مولده مولع بن حذيفة وورد الا لم موآخرهم أبو عمامة ودلك أن العرب كانت اذا قدمت من الحج وأرادت قصد اجتمعت اليه فيقوم فيهم فيقول اللهم اني قد أحببت قد الصغير بين الصغار ونول وأنسأت لا خر لنعام المفصل وضع الاسلام وقد عادت الشهور الحرم الى يدنهب على ما كانت عليه في اصلها وذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وما ذكر عليه السلام في هذا الحديث الى آخره فخبر الله عز وجل عنهم بذلك بقوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر الآية وقد فخر بذلك عمرو بن قيس المراسي وقال

ألسنا الناسئين الى معد شهور الحل نجعلها حراما
وكان قصي بن كلا

وقد كان عمرو بن لحي حين عمر ماذكرنا من السنين مات وله من الولد وولد الولد ألف ٣٠٠ ونيف وعشرون ملكا الوفاة وهو آخر من ولي

أولئك قوم أحرزوا الحسن كله * فما منهم الا فتى فاق فى الحسن

وكما قلت فيهم أيضا

فبنو المحاسن بيننا * كبنى النجوم فى السحابه
فهم القرابة ان عدد * ت من الانام هوى العرابه
فيهم محاسن جمة * منها الخطابه والكتابه

ثم لم يكتف سيدى وشيخى بما أنعم به وأحسن بكتبه من كتابه المرين بحلله المبين بضبطه المسمى بين أهل الوفاء كتاب الاكتفاء والاصطفاء حتى أضاف اليه كتاب الشفاء فى بديع الاكتفاء كأنه لم يرض طبعه الشريف المفرد المستقل الا أن تكون حسناته لدى أحبابه مثنى مثنى حتى كأن مراده بتضعيف هذا الاكرام والاحسان مجرد العبد عن أداء خدمة المجد بحصر البيان وعقد اللسان اذ لست دائنين حتى أؤدى شكر احسانين وغاية البليغ فى هذا المضمار الخطير أن يعرف بالقصور ويلزم بالتقصير ومن فضول هذا الكتاب ما نصه ومن باب ادخال السرور على سيدى وشيخى وبركتى حبر المدرسة الداخلية التى نصدى لها ذلك المولى العظيم والسيد الحكيم صدر الموالى ورونق الايام والليالى سيدى وسندى وعمادى ومعتمدى الفهامة شيخى أفندى المعروف بالعلامة حفظه الله ووقاه وأبقاه الذى صدق عليه وعلى قول الاول

ولى صديق ما مسنى عدم * منه وقعت عينه على عدمى
أغنى وأقنى هما يكلفنى * تقبيل كفه ولا ندم
قام بأمرى لما قعدت به * ونمت عن حاجتى ولم ينم

وقول الثانى

صديق لى له أدب * صداقة مثله نسب
رعى لى وفق ما يرعى * وأوجب فوق ما يجب
فلو نقدت خلائقه * لبهرج عندها الذهب

ولعمرى انه كذلك قد تصدى لحاجتى فقضاها ولجئى فأمضاها ولم يكن لى فى الروم سواه وسواها وما أصنع بالروم اذا تخلف عنى ما أروم أبى الله الا أن تنعى ذلك الحر الكريم بنهيه وأمره وأن يكون سالى وبنانى مرتبطين بحمده وشكره وهذه حاجة فى نفسى قضيتها وأمنية رضيت بها وأرضيتها ولله الحمد ولست أحصى ولا استقصى ياسيدى ومولاى شوق أخيكم سيدى ومولاى المفتى العمادى حفظه الله تعالى وايا كم وقد بلغ به شوقه وغرامه وتعطشه وهيامه وأوامه أن أفرد لجناب مولانا كتابا يستجلب مفخرا وجوابا اذ الشام كما رأيتم عبارة عن وجوده الشريف والسلام وكذلك أولاده الكرام تلامذتكم يقبلون الاقدام وأما محبكم وصديقكم الشيخ البركة شيخ الاسلام مولانا عمر القارى فقد بلغته سلام سيدى وكان جوابه الدعاء والثناء مع العزيمة على بان أبالغ لجنابكم الكريم فى تادية سلامه وتبليغ ما يتضمنه من المحبة الخالصة فصح كلامه وأما الكريمان ولدكم محمد أفندى وأخوه سيدى أكمل الدين فهما لتقبيل أقدامكم من المستعدين وكذلك

البيت من خزاعة وقد كان عمرو على ماذكرنا جعل ولاية البيت الى ابنته روح قصى بن كلاب فقال انها لا تقوم بفتح الباب وغلقه فجعل ولاية البيت اليها وجعل الباب وغلقه الى رجل من خزاعة يعرف بابى غبشان الخزاعى فباعه ابو غبشان من قصى وزق خمر فارسلت العرب فلك مثل هذه الكلمات احمر من صفقة ابى غبشان فى بيعه ولاية البيت بعير وزق من الخمر وتعلل ولاية البيت من قومه من خزاعة الى قصى بن كلاب وفى ذلك قول الشاعر

أبو غبشان أظلم من قصى * وأظلم من بنى فهر خزاعه
فلا الحجوا قصيا فى شراه * ولو مرسوا بحبلكم اذ كان باعه

وقال فى ذلك آخر

اذا افتخرت خزاعة فى قديم * وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهرا * برطل بئس مفتخر الفخور

وقد كانت ولاية البيت فى خزاعة ثلثمائة سنة واستقام أمر قصى وعشر

 على من دخل مكة من غير قريش وبنى الكعبة ورتب قريشا على منازلها فى السبع مكة وبنو الابطح

لا أحصى ما عليه من الدعاء والثناء لجنابكم الكريم العالي تلميذا كم بل عبدا كم ولدنا الشيخ يحيى ابن سيدى أبى الصفاء وولدنا الشيخ محمد ابن سيدى تاج الدين الحسنيان وأما عبدا كم وتلميذا كم ولداى الشيخان الداعيان الاخوان الشيخ عبد السلام والقاضى نعمان فليس لهما وظيفة الا الدعاء والثناء فى كل صباح ومساء لان كلا منهما خليفتى والاشتغال بالدعاء لسيدى وظيفتى ولا يقنعان بتقبيل اليدين الكريمتين ولابد من تقبيل القدمين المباركتين وبعد فلا ينقضى عجبى من بلاغة كتابكم الشريف الوارد لجناب أخيكم المفتى الحمادى حفظكم الله تعالى واياه ولا كان من يشاكك ويشناه وعجبه أعظم وأكبر اذ وحفظه الله بفهم كلام سيدى أحق وأجدر فلا عدمنا تلك الانفاس الملكية الفلكية من كل مسكما دهى والله البغية والامنيه كما قلت

ليس فخرى ولا اعتدادى بدهر * غير دهرا را كما من بنيه

اللهم اختم هذا الكلام للقبول التام بالصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين * ومن فضول هذا الكتاب ما صورته أطال الله باسيدى بقاءك ولا كان من يكره لقاءك ورعاك بعين عنايته ووقاك وأدامك وأبقاك وضمن لك جزاء الصبر وعوضك عن مصايبك الخير والاجر ولقد كنت عزمت على أن أجعل فى مصاب سيدى بامه متعه الله تعالى بعمره وعلمه ودفع عنه سوره همه وغمه قصيدة تكون مرثية تتضمن تعزية وتسلية فنظرت فى مرثية أبى الطيب المتنبى لامه وا كتفيت بنظمها ونثرها وعقدها وحلها وانتخبت قوله منها

لك الله من مفجوعة بحبيبها * قتيله شوق غير مكسبها وصما
ولو لم تكونى بنت أكرم والد * لكان أباك الضخم كونك لى أما
لئن لذ يوم الشامتين بيومها * لقد ولدت منى لا فهم رغما

فقلت هذه حال مولانا الراغم لانوف الاعداء المجدد لاسلافه مجدا ومجدا القائل بشوقه لاحظ ولا عمدا ثم لما رأيت قوله فى مرثية أخت سيف الدولة

ان يكن صبر ذى الرزية فضلا * تكن الافضل الاعز الاجلا
انت يا فوق أن تعزى عن الاحـ ـباب فوق الذى يعزيك عقلا
وبالحاظك اهدى فاذا عزاك قال الذى له قلت قبلا
قد بلوت الخطوب حلوا ومرا * وسلكت الايام حزنا وسهلا
وقتلت الزمان علما فما يغـ ـرب قولا وما يجد فعلا

قلت هذه والله حلى مولانا الاستاذ الذى عرف لازمان فعله وفهم قوله قد استعارها أبو الطيب وحلى بها مخدومه سيف الدولة وكيف استطيع ارشاد شيخى لطريق الصبر وأذكره بالثواب والاجر وكيف وأنا الذى استقيت من دبه واهتديت الى سبيل المعروف بشيمه وسلكت جادة البراعة بهداية ألفاظه وارتقيت الى سماء البلاغة برعاية ألحاظه وهل يكون التلميذ معلما وهل يرشد الفرخ قشعما وكيف يعضد الشبل الاسد وهو ضعيف المنة والمدد ومن يعلم الثغر الابتسام والصدر الالتزام ويختبر الحسام وهو

من قريش وهم الاباطح وجعل الدار و بنى عبد العزى ابى قصى وزهرة ومخزوم وتيم بن مرة وجمح وسهم وعدى وهم لعقة الدم وبنو عتيك بن عامر بن لؤى وقريش الظواهر بنو شارب والحرث بن فهر و بنو الادرم بن غالب بن فهر و بنو هصيص بن عامر بن لؤى وفى ذلك يقول ذكوان مولى عبد الدار للضحاك ابن قيس الفهرى

تطاولت للضحاك حتى رددته
الى نسب فى قومه متقاصر
فلو شاهدتنى من قريش عصابة
قريش بطاح لا قريش الظواهر
ولكنهم غابوا وأسمعت شاهدا
بعثت من حامى ذمار وناصر
قريبان منهم ساكن بطن يثرب
ومنهم قريش ساكن بالمشاعر
والاحلاف من قريش بنو عبد الدار بن قصى وسهم وجمح وعدى ومخزوم والمطيبون بنو عبد مناف و بنو أسد بن عبد العزى وزهرة وتيم وبنو الحرث بن لؤى وفى ذلك يقول عمر بن أبى ربيعة المخزومى فى امرأة

مجرب صمصام وهل تفتقر الشمس فى الهداية الى مصباح وهل يحتاج البدر فى سراه الى دلالة الصباح ذلك مثل شيخى ومثل من يرشده الى فلاح أو نجاح وانما أخذ عنه ماورد فى ذلك من الكتاب والسنه ونحذو حذوه فى الطريق الموصلة الى الجنة ثم لما وصلت فى هذه القصيدة الى قول أبى الطيب

ان خير الدموع عينا لدمع * بعثته رعاية فاستهلا

رأيته قد أبدع فيه كل الابداع ونظم مايكاد يجرى الدمع من طريق السماع فقلت اما الله وأكثرت الاسترجاع وقلت فى نفسى ان ذلك الدمع الذى بعثته رعاية الحقوق هو دمع شيخى الذى حمى الله قلبه الشفوق من العقوق للصبية فى الام التى حزنها يغم ومصابها يعم وكيف لا يعم مصابها وقد كل للصبية كفاها الله بموتها نصابها هذا مع الفقد للسليلة الجليلة والكريمة الخليلة وأى دمع لم تبعثه تلك الرعاية وأى نفس لا تتمنى أن تكون لسيدنا من كل مايكره وقاية وأى كبد فاسية لم تكن لاحبابها مواسية وأنى يتسنى للعبد المعنى تسلية شيخه وهو الصبور الشكور العارف بالامور العالم بتصاريف الدهور وماظننت أن بنانى يساعدنى على تحرير بيانى لتعزية شيخى حفظه الله تعالى فى أصله وفرعه وضرعه وزرعه وقرعه ونبته وأمه وبنته أما الوالدة الماجدة فانى ان أمسكت عن بيان كرم أصلها سموبها كرم فرعها ونسلها فرحم الله تعالى سلفها وأبقى خلفها ولاحرم سيدى غمرة رضاها ورضى عنها وأرضاها وأما الخدرة الصغيرة فالمصيبة بها كبيرة اذ العمومة مغربة والخؤلة وفائية فهى ذات الخمار بن وحائرة الغمارين كأن سيدى أعزه الله تعالى لم يرض لها كفؤا ومهرا فاختار لها أن يكون له صهرا وخطبة الحمام لا يمكن ردها وسطوة الايام لا يستطاع صدها كما قال أبو الطيب المتنبى أيضا

خطبة للحمام ليس لها رد وان كانت السماء شكلا
واذا لم تجد من الناس كفوا * ذات خدر أرادت الموت بعلا

أسال الله تعالى أن تكون هذه الخطبة فاتحة الخطوب وهذا الندب المبرح آخر الندوب وأن يعوض سيدى عن حبيبه المبرقع المقنع حبيبا معمما تحرى النجابة منه المصنع وأن يبدله عن ذات الخمار والحصاب بمن يصول بالحراب ويسطو بالبراع ويشتعل بالكتاب

شعر وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال
ولو كان النساء كمن فقدنا * لفضلت النساء على الرجال

اللهم يا أرحم الراحمين انى أتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين الطاهرين أن تأخذ بيد عبدك شيخى المقرى فى كل وقت وحين آمين * ومن فصول هذا الكتاب ماصورته ولما وصلنى سيدى بهديته التى أحس بها من كتاب الاكتفاء داخل طبعى الصفاء ونشطت الى نظم بيتين فيهما التزام عجيب لم أر مثله وهو أن يكون اللفظ المكتفى به بمعنى اللفظ المكتفى منه فان الاحتفاء والاحتفال بمعنى الاعتناء كما أفاده شيخى فيكون على هذا الاكتفاء وعدمه على حد سواء اذ لو قطع النظر عن لفظ الاحتفال لاغنى عنه لفظ الاحتفاء

حين ندعى وبين عبد مناف
وأخذت قريش الايلاف من الملوك وتفسير ذلك الامن وتعرشت والتقريش التجمع ومنه قول ابن حمزة البشكرى
اخوة قرشوا الذنوب علينا
فى حديث من دهرنا وقديم
ورحلت قريش حين أخذ لها الايلاف من الملوك الى الشام والحبشة واليمن والعراق وفى ذلك يقول مطرف الخزاعى
يا أيها الرجل المحول رحله
هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذين العهد من آفاقنا
والراحلين برحلة الايلاف
ولقريش أجار كثيرة وكذلك لجرهم وخزاعة وغيرهما من معتقد آبائنا على جميعها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعانيه بها على ماسلف وسنورد عند ذكرنا تفرق الناس من بابل جملا من أخبار ملكة وعبد المطلب والحبشة وسيرد ذلك معالحق بهذا المعنى ان شاء الله تعالى

* (ذكر جوامع الاخبار ووصف الارض والبلدان وتعيين النفوس للاوطان) *

(ذكر) ذو الدرابة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الارض كتب الى حكيم من حكماء العصر

مع تسمية النوع فيهما وهما

ان احتفال المرء بالمرء لا * أحبه الامع الاكتفا
مبالغات الناس مذمومة * فاسلك سبيل القصد فى الاحتفا

ولقد انقطع الثلج أيام الخريف وكانت الحاجة اليه شديدة بعد غيبة سيدى حفظه الله تعالى عن دمشق فتذكرت شغف شيخى به فزاد على فقده غرامى وفاض عليه تعطشى وأوامى فجعلت فى ذلك عدة مقاطيع وأحببت عرضها على سيدى أولها

ثلج يا ثلج يا عظيم الصفات * أنت عندى من أعظم الحسنات
ما بياض بدا بوجهك الا * كبياض بدا بوجه الحياة

ثانيها

قد قلت لما ضل عنى رشدى * وما رأيت الثلج بوما عندى
لا تقطع اللهم عن ذا العبد * أعظم أسباب الثنا والحمد

ثالثها

ثلج يا ثلج أنت ماء الحياة * مثل من قال ضر ذا الثلجانى
ما بياض بدا بوجهك الا * كبياض قد لاح فى المرآة
قد رأى الناس وجههم فى المرايا * وأنا فيك شمت وجه حياتى

وما علمت سيدى هذا التعليل الا لاشوقه الى نسيم دمشق الذى خلفه سيدى حفظه الله عليلا وهو على الصحة عين عليل ولم يشف أعزه الله تعالى منه الغليل ولسيدى الدعاء بطول البقاء والارتقاء وهذه أبيات أحدثها العبد فى وصف القهوة طالبا من سيده أن يغفر خطأه فيها وسهوه

وقهوة كالعنبر السحيق * سوداء مثل مقلة المعشوق
أتت كمسك فاح فتيق * شبهتها فى الطعم بالرحيق
تدنى الصديق من هوى الصديق * وتربط الود مع الرفيق
فلا عدمت مزجها بريق

وما زالت أهجم بما أفادنيه شيخى من أماليه وأتصفح الدهر الذى جمعته فيه من أسافله الى أعاليه وأستشكل على الاحباب والاصحاب فى اثناء المسامرة ما أفادنيه سيدى من تسمية المرحوم القاضى التوخى كتابه نشوار المحاضرة حتى ظفرت باصلها فى القاموس فى مادة نشر وهى عربية محضة فانه قال ونشورت الدابة نشوارا أبقت من علفها ولقد تعجبت من بلاغة هذه التسمية وعذوبتها وحسن المجاز فيها مع سلاستها وسهولتها وأحببت عرضها على شيخى حفظه الله تعالى ليفرح لى بين تلامذته كما فرح طبنى به حفظه الله تعالى بين أساتذته وليعلم أنى لم أنس ما أفادنيه فى خلال المحاورة أيام المؤانسة والمجاورة فوالله انه سمرى فى ضميرى وكلمى ما بين عظمى وأدمى

يدير ونى عن سالم وأديرهم * وجلدة بين العين والانف سالم
الطرس طما وما مضت قصتنا * لا ذنب لنا حديثنا الذ فطال

العربية وتغضب العقول والشام يا امير المؤمنين وان كانت على ما وصفت لك فهى مسرح خصب وحرد

وأوابل سكب كثرت أشجاره واطردت أنهاره وعمرت أعشاره وبه منازل الأنبياء ٥٥٧ والقدس الحتى وفيه جل أشراف خلق الله تعالى من الصالحين والمتعبدين وجماله مساكن المجتهدين والمعتزلين (وأما أرض مصر) فأرض قرار الغور ودار الفراعنة ومنازل الجبابرة تحمد فضل نيلها وتذم أكثر من حمدها هواؤها راكد وحرها زائد وشرها وارد تكدر الألوان وتغير الأبدان وتكثر الأحن وهي معدن الذهب والجوهر والزمرد واللؤلؤ ومغارس العلات غيرانها تسمن الأبدان وتسود الأشعار وتنمو فيها الأعمار وفي أهلها مكر وريا وخبث ودهاء وحديعة الا انها بلد مكسب لا بلد مسكن لمرادف سهلها واتصال شرورها (وأما اليمن) فيضعف الأجسام ويذهب الأحلام ويذهب بالرطوبة في أهله هم كثار ولهم احساب وأطهار ومعايشه خصبة وأطرافه جدبة وفي هوائها علات وفي سكانه اغتيال وبهم قطعة من الحسن وشعبة من الرقة وتقرفه من الفصاحة (وأما الحجاز) فأجر بين الشام واليمن والهائم هواؤه مزور وليله سهور يخف الأجسام ويحف الأدمغة ويشحم القلوب ويبسط الهمم وسعت على الأحن وهو بلد محل قحط جدب ضنك (وأما المغرب) فبقية العمل

ويوم السبت المبارك عشرة جمادى الآخرة من شهور سنة ثمان وثلاثين بعد الألف أحسن الله ختامها بحرمة محمد وآله الطيبين الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير والحمد لله وحده عبده الفقير الحقير المشتاق المذنب المقصر لسيده عن اللحاق الذي لم يبرح عن العهد المتين أحمد الشامي بن شاهين انتهى ولو تتبعت ماله حفظه الله تعالى من النظم والنثر اللذين علب فيهما بلغاء أهل العصر بالشام ومصر وغيرهما من الأقطار لازال مقامه مقضي الأوطار لاستوعبت الأسفار * وفي الاشارات ما يغني عن الكلام وقد تقدم في خطبة هذا التأليف ذكر شيء من نظمه ونثره وأنه هو السبب الداعي الى جمع هذا التصنيف والله سبحانه يديم جنابه السري الشريف ويبوئه من العز الظل الوريف فلقد أولى من الحقوق ما لا تؤدى بعضه فضلا عن كله وناهيك عما جلاه من كلامه دليلا على شرفه وفضله ورسالته هذه الى كانت جوابا عن مكتوب كتبه اليه من جملته

يا مسلما له طائر صيت عالا * في الجو قاصطاد الشريد الشديد
يا بحل شاهين البديع الحلى * نمل بالعز الطويل المديد
وفز بخصل السبق بين الملا * وسر بنهج للمعالي سديد
وردع الاحباب عذبا حلا * سظما من الامالي السديد
وارفل على طول المدى في ملا * مسرة راقت وعمر حديد
والوالد المحروس بالله لا * بعدد الخلى ولا بالعديد

ومن نثرها سيدي الذي في الاجياد من عوارفه أطواق وفي البلاد من معارفه ما شهد به الفطر السليمة والاذواق وتشتد الى مجده المطنب الذي لا يحط له رواق الاشواق وتعمر بفوائده وفرائده من الآداب الاسواق وتنقطع دون نداه السحب السواكب وتقصر عن مداه في السمو الكواكب والله سبحانه له واق المولى الذي ألقت اليه البلاغة افلاذها واتخذت البراعة طاعته عصمتها وملاذها ادبذ أفرادها وأفذاذها وأمطرت سماء أفكاره على كل محب أو كاره طائر في جو أو مستقر في أو كاره صيبها ورذاذها وفاخرت دمشق بعلاه وحلاه أفطار البسيطة وبغدادها * ومنها أبناه الله تعالى وحقيقة وعوده ينمقها النجاز وحقيقة سعوده لا طرقها الجار * ومنها فانت الذي نفست عني محنتي وأصفيت مشربي وكان مرنقا وكاثرت عليه آثرت وما استأثرت رمل النعا فلورآك المأمون ابن الرشيد اعلم أنك المتمنى بيتي الغناء الذي غنى به والنشيد

وانى لمشتاق الى قرب صاحب * يروق ويصفو ان كدرت لديه
عذيري من الانسان لان جفونه * صفالي ولا ان كنت طوع يديه

ولم يقل أعطني هذا الصديق وخدمني الخلافة وأنا أقول قد ظفرنا به بحمد الله ولم أجد أحدا في دهره وافق الغرض فلم يرخ لافه * ومنها هذه يا ابن شاهين أيادي البيض تفرح لك الشكر ونبيض فلا دليل على ولائي كاملائي ولا شاهد لما في أحنائي كتنائي ولا حجة على ودادي كتكراري ذكرك وترادادي * وهي طويلة لا يحضرني الآن منها سوى

مباركيه والمعتصرين من مكانات أعيان العصر من أهل دمشق المحروسة على هذا المقدار
وفقهم الله تعالى أن يحفظهم جميعا في الايراد والاصدار ، وفي تاريخ ورود هذه المكاتيب
الى هذه الساحة على ما مر ورود كتب من المغرب وجهها جماعة من أعيانه الى مولى
ذلك كتابه كتبه الى الاستاذ المؤدب الاديب الفهامة معلم الملوك سيدي الشيخ محمد بن يوسف
المراكشي التاملي نصه الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد تتوالى من المحب
الخالص المشتاق الى السيد الذي وقع على محبته الاتفاق وطلعت شموس معارفه في غاية
الاشراق وسارله في ميدان الكمال حسن الاسباق الصدر الكامل والعالم العامل
العديم الندي المهتدي الفهامة علمه البليغ الذي سيدي الملعاء بيراعه وقلمه ناشر ألوية
المعارف ومسدي أنواع العوارف العلامة امام العصر بجميع أدوات الحصر سيدي
أحمد بن محمد المقري قدس الله السلف كما بارك في الخلف سلام من النسم أرق وألطف
من الزهر ناعم ويعد فان أخباركم دائما ترد علينا ونصل الينا بما يسر الخاطر ويقر
الناظر مع كل وارد وصادر والعبد يحمد الله تعالى على ذلك ويدعو الله بالاجتماع معكم
هنالك ويرحم الله عبدا قال آمينا ، كتبته اليكم أيها السيد من الحضرة المراكشية
مع كثرة أشواق لاسعها أوراق كتبكم الله سبحانه فيمن عنده كما جعلكم ممن أخلص
في موالاة الحق قصده وودي اليكم نص الحدائق مستجل في مطلع الوفاء بمنظر رائق
لا يحيله عن مركز الثبوت عائق وحقيق بمودة ارتبطت في الحق وللحق معاقدها
وأسست على احكم في الله قواعدها أن يريد عقدها على مر الايام شدة وعهدها وان شط
المزار جدة وان تدخل للاخرى عدة وابى ويعلم الله تعالى لمن يعتقد محبتكم وموالاتكم
في الله الخير كل من الله تعالى ويرتاح اليه ويعتمد هما وزرا يعول في الآخرة يوم لا ظل
الا ظله عليكم والسلام فاخلصكم في الولا وعرفتم الله تعالى فقهم بحقوق الخصة على الولا
معرضين في كلكم الآخرة عن عرض الدنيا وعرضها موفين شروط نعلها ومقترضها الى
أن قضى الله تعالى باقترامها وحتوكم المتاكدة دين عليها والايام تطل بقضائها عنا
وتوحه الالام اليه فاتوبه أقف فاقرع السن على التعضيد ما وآوبة استيم الى فصلكم
فيعدم قدما وفي انتماءهذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق الاوقد كرعليه مسكم آخره
لاحق حتى وقعت موقف الحجر وضاقت على العبارة عن حقيقة مقامكم في النفس فكدت
لا أتكلم الا بامركم احلالا لحقكم الرفيع واشعارا من التقصير المطبع وقد كنت كتبت أعزكم
الله على اليكم بل هذا مكتوب أربعة أو خمسة وباعالي قصائد كالعصائد لا كالثريد من الكلام
كلامكم السلس الكثير الفوائد بعد ما كان أحرس من سمكة وأشد تحاما من طائر في
سكة فاعرف أوصل شيء من ذلك أم حصل في أيدي المعاطب والمهالك وما رأيت غير
رجل من صعاليك الحجاج التقيت به يوما بالحضرة المراكشية فقال لي الشيخ الامام المقري
يسال عنك وقد أرسل معي كتابا اليك فوقع في التحريج حمله ما وقع فقلت له لاعرابه في ذلك قد
رجع الى أصله ومن ظلمة النهار سيحرح الدرر وقد جاءني كتاب من بعض الاخلاء الصديقين
وهو الحاج الصالح السيد أبو بكر من مكة المكرمة شرفها الله تعالى وذكر لي فيه أنه متعه الله تعالى

بلقائكم وأخبرني بسؤالكم عني كثيرا والى الآن يانعم السيد اما عرفته عما كتبته لسيادتكم تعريف ندكر لا تعريف منه فانصفونا في الحكم عليكم في عدم الجواب عما الفته الادباء شريعة وسنة وبالجملة فقؤادي لجدكم صحيح لا سقيم واعتدادي بودكم متين غير عقيم والله تعالى يجعل الحب في ذاته الكريمة ويقضي عن الاحبة دين المحبة فيوفي كل غريم غريمه ويصلكم ان شاء الله تعالى هذا المرقوم وبه سؤال منظوم لتتفضلوا بالجواب عنه بعد حمد الله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى المعرى الحبر صدر الائمه ... من الخلص الوداد أرجى تحيه
فدلك ياصدر الصدور بحاله * لتسمع بالجواب عما أكتب
فتى قد رأى عبد العذالى فتية * محرمة عند الرواح تحلب
وعادت حراما عند عصر فعندما * عشاء أتى عادت حلالا لاثمات
وفي صبح ثانى اليوم عادت محرما * وزالت زوالا منه من غير ريبه
وفي طهره حلت فطابت قريرة ... وفي عصره محرما قد تبدت
وعند العشاء بالضرورة حللت * ودلك بعد غرم مال كفديه
وفي صبحه عادت حراما ترى به * بروف سيوف لامعات بسنة
وكان يضيق حسرة وتاسفا * وحلت له وقت العشاء ومت
وعن أمة ايضا يموت سريها ... قد اولدها في ملكه بعد وطاة
وعادت لمملوك السرى حليله * بعقد نكاح بعد من غير شبهة
فجاءت ببنت هل لها من تزوج ... بنجل السرى بنوالى فتى
فان السيورى مانع من تزوج * له بابنة منها بتلك القضية
وما الفرق بينها وبين التى أتى * بها ابن أبى زيد باوضح حجة
وعن مشتر مملوكه غير محرم * ومسلمه شرا صحيحا شرعة
وليس بملكه لها وطؤها يرى * جوازا على التابيد من حين حلت
وما طالق من عدة خرجت ولا * يجوز على التابيد في خدمله
نكاح لها من واحد ومطلق * له غير معصوم ترى في الشريعه
وتم بحمد الله مبدية لكم * سلاما كما أبدته في صدر طلعة

وتقرير السؤال الثاني أمة أولدها سيدها فصارت حرة فمات عنها السيد ثم تزوجها عبد سيدها فانت بنت أم الولد لسيدها أن تزوج هذه البنت فان الرجل له أن يزوج بنت زوجه أبيه من رجل غيره وهذه سرية أبيه فان الامام السيوري يمنع هذه المسئلة وما الفرق بينهما وتصلكم ان شاء الله تعالى عجالة وجيزة في ما تركم السنية ضمنتها أشطارا من الالفية فتفضلوا بالاغضاء وحسن الدعاء أن يجمع الله شملنا بكم في تلك الاماكن المشرفة ثم المأمول من سيدنا ومولانا أن يتفضل علينا بكتاب طبقات القراء للامام الحافظ الداني اذ ليس عندنا منه نسخة وأمانا لديكم الكثير الفوائد المسمى بازهار الرياض في أخبار عياض ومايناسبهما مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فقد انتشر في هذه الاقطار المراكشية وانتسخت منه

ودمعه الآفات عن قطانه وسماحة المثوى وعذب الماء وصحة المتنسم وارتفاع الاكدار ودهاء الاصرار وأعلم يا أيها المؤمن

وص ... ل هواؤه ... وطف غذاؤه كانت ... صور اهله وخلائقهم ... تناسب البلد وفحاءه ... وتشاكل ما بينه وبين ... وما أسس عليه بنيانه وكل ... بلد يزول عن الاعتدال ... انتسب أهله الى ... الحمأ ... وكثرة الطعام ... الاجسام ونقص الاذهان ... ولاهنها يقول وهم ساكنه ... رهم بوص وعلله ... ورأى يقدر (وأما البلد ... فارس) لحسن الفضاء ... رقة أهواء ... عتدل بالاحمار كثير ... الثمار وفي أهله شجاعة ... حب وعبارهم سهله ... وهممهم بعيده ... مكرر حداع (وأما البلد ... جوزستان) فهي لدور ... الاهواء تفسد الافهام ... وبلد الافهام وتتعب ... الهمم وتستأصل القوم ... ساق أهله سوق الانعام ... وهم الصبح الصمام (وأما ... أرض الجزيرة) ... العرب بالهواء الذي هو ... حب وسرح ولاهنهم ... باس ومراس والبر بالاهل ... المؤمنين أفضل قطع الارض ... وأسناها وأشرفها وأعلاها ... حر الاتحاد والبراءة ... الهواء الاقذاء عن كثب

نسخ عديدة من نسخة المرحوم سيدى أحمد بن عبد العزيز ابن الولى سيدى أبى عمرو وكساه الله سبحانه تأييدكم المذكور بجناب القبول فما رآه أحد الا نسخه وعدى النسخة التى كتبها بخطه السيد أحمد المذكور بخط حسن وعلى هامشها فى بعض الاماكن خطكم الرائق وبعض التنبيهات من كلامكم الفائق وأعلمونا بتاليفكم الذى سميتموه قطف المهتصر من أفنان المختصر هل خرج من المبيضة أم لا وودنا لو اتصلنا منه نسخة وقد اشتاق فقهاء هذا الاقليم اليه غاية كالفقيه قاضى القضاة محبكم سيدى عيسى وغيره من أخلاء خليل فى كل محفل جليل الى أن قال وأنا أمثل بكلام مولانا على كرم الله وجهه حيث يقول تبركا به

رضيت بما قسم الله لى * وفوضت أمرى الى خالقى
كما احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

ولى حفظكم الله تعالى تخميس على البيتين وذلك انه نزلت بى شدة لا يمكن الخلاص منها عاد ما درجت من تخميسهما الا وجاء الفرج فى الحين ونصه

اذا أزمة نزلت قبلى * وضقت وضاقت بها حيلى
تذكرت بيت الامام على * رضيت بما قسم الله لى
وفوضت أمرى الى خالقى
لان الاله اللطيف قضى * على خلقه حكمه المرتضى
فسلم ولا تقل من فوضا * كما احسن الله فيما مضى
كذلك يحسن فيما بقى

فعذرا أعزكم الله سبحانه ونفع باحائكم عن اجابة المراسلة بالمكاتبة عذرا وصبرا على بعد اللقاء صبرا فان يقدر فى هذه الدار تلاقيها ما تتمنى والا فلن نعدم بفضل الله جزاء الحسنى ولقاء لا يبيد ولا يفنى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ايقانا بالوعد وتحقيقا لمن أوجب له محبته أدخله جنته واحضره مائدته وكمل له أمنيته جعلنا الله من المتحابين فى جلاله بكرمه واتصاله وكتبه محبكم ومعظمكم الواصل حبل وده بردكم المشرف لعهدكم المنوه بفخركم ومجدكم العبد الفقير الحقير المشفق على نفسه من التقصير والذنب الكبير محمد بن يوسف التاملى غفر الله ذنبه وستر عيبه وجبر قلبه وجمعه بمن أحبه بالنبى صلى الله عليه وسلم فى عاشوراء المحرم فاتح سنة ثمانية وثلاثين وألف انتهى وصحبة هذا المكتوب ورقة نصها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لله در العالم الجيانى * كأنما ينظر بالعيان
للغرى العالم الفضال * منظرا باحسن المثال
وعالم بانى من بعده * أشير فى نظامنا لفرده
وها أنا بالله أستعين * مصمما وربنا المعين
بالشطر من ألفية ابن مالك * أيدنا الله لنسج ذلك
قال محمد عبيد المالك * وسالك الاحسن من مسالك

وقد سكنه أجيال وأمم ذوو كمال (واما الهند والصين وبلاد الروم) فلا حاجة بى الى وصفها لك لانها من ولى شاسعة وبلدان نائية كافرة طاغية وفى الذى ذكرته لك ما انتهى بك الى ما شمرت الى علمه وكل ما وصفته فى هذه البلدان فهو لاعم من امور اهلها والاعلم على احوالهم فان وجد فيهم أحد بخلاف ذلك فهو لبس در يا أمير المؤمنين والحكم للاعلب (قال المسعودى) وذكر جماعة من اهل العلم بالسير والاخبار ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما اراد التخوص الى العراق حين بلغه ما عليه الاعاجم من اجتماع بلادهم سأل كعب الاحبار عن العراق فقال يا امير المؤمنين ان الله لما خلق الاشياء ألحق كل شئ بشئ فمثال العمل الاالحق بالعراق فمثال العلم وامامعك فمثال المال وامالاحق بالشام فمثالث الفتن وامامعك فمثال الخصب وامالاحق بمصر فمثال الذل وامامعك فمثال الفقر وامالاحق بالحجاز فمثالث العماء وامامعك فمثال الشعاء وامالاحق باليوادى فمثالث الصحة وامامعك

نشير بالتصمين للتحرير * المقرى الفاضل الشهير
ذاك الامام ذو العلا والهمم * كعلم الاشخاص لفظا وهو عم
فان ترى في علمه مثيلا * مستوجبا ثنائي الجميلا
ومدحه عندي لارم أبى * في النظم والنثر الصحيح مثبتا
أوصاف سيدي بهذا الزجر * تقرب الاقصى بلفظ موجز
فهو الذي له المعالي تعزى * وتبسط الدل بوعده نزر
رتبته فوق العلا ناس دهم * كلا ما العظم مدكاس نعم
وكم أفاد دهره من تحف * مبدي تأوين لا كاف
لعدوني على المقام الظاهر * كظاهر العلب جميل الظاهر
وفضله للطالبين وجدا * على الذي في رعه قد عهدا
قد حصل العلم وحز السير * وما بالا أو باعا الحصر
في كل فن ماهر صرفه ولا * كون الاعانة الذي بلا
سيرته جرت على نهج الهدى * ولا يلي الا اختيارا أبدا
وعلمه وفضله لا ينكر * عما به عنه مسا مخبر
يعول دائما بصدر انشرح * اعرف بما قائما نلما المنح
يقول مرحبا لقاصد به من * يصل الينا يستعين بما نعين
صدق مقالاتي وكن متبعا * ولم يكن تصريفه ممتنعا
وانهض اليه فهو بالمشاهده * الخبر الجزء المهم الفائده
والزم جنابه واياك الملل * ان يسطل وصل وان لم يستطل
واقصد جنابه ترى ما تؤثره * والله يقضي بهبات وافره
وانسب له فانه ابن معطى * ويقتضي رضا بغير سخط
واجعله نصب العين والعلب ولا * تعدل به فهو يضاهي المثلا
قد طالما افاد علم مالك * أحمد ربي الله خير مالك
وحاسد له ومبغض رمى * وهالك ومات به ضنى
وليس يشفي مبغضا له أمل * عماوني مثل هراوة جعل
بقول عبد ربه محمد * في تحو خير القول اني أحمد
وهو بدهره مضم الامل * مرتع العلب قليل الحيل
فادع له وساده قد حضرا * وافعل أوامي بغتبطا شكرا
واجبره بالدعا عساه يغتنم * أجره ونم عينه الهرم
انشدت فيكم وقال قائل * في تحو هم ما يقول الفاضل
أدعو لكم بالخير في كل زمن * لكونه يحسم الرفع اقترن
ما أثر لكم كثيرة سوى * ما مر قابل منه ما قد روى
قد انتهى تعريف ذا المعرف * وهو عام ما رفع يكتفي

أت بنفسا و بينه وساحت
مسافتها عنه وولدت في
قلو بما الحنين اليه اذ
كان وطنا ومسقطنا وهو
اقليم بابل وقد كان هذا
الاقليم عند ملوك الفرس
جليلا وقدره عظيما
وكانت عمايتهم اليه مصروفة
وكانوا يسمون العراق
وأكثرهم يضيفون بابل ال
و يجعلون في الفصول الى
الصرود من الارض
والحرور وقد كان أهل
المروآت في الاسلام كالذي
دلف العاصم بن علي العجلي
وغيره يسمون في الحرور
وهو العراق و يضيفون
في الصرود وهي الجبال
وفي ذلك يقول أبو دلف
وأبي امرؤ كسروى الفعال
أصيف الجبال وأشتو
العراقا

ولما خص به هذا الاقليم
من كثرة مراعيه واعتدال
أرضه وعذوبة عذبه
ومادة الوافدين اليه وهي
دجلة والفرات وعموم
الامن فيه و بعد الخوف
عنه وتوسطه الاقاليم
السبعة كانت الاوائل
تنسبه من العالم بالعلب
من الجسد لان ارضه من
اقليم بابل الذي شعبت
الحكمة واذعن أهله بحكمة
الامور كما قيل ذلك عن

العلب وبذلك اعتدلت ألوان أهله وأجسامهم فسلموا من شعرة الروم والصقالبة وسوداد الحدقة

لائم تاج الائمة الاول * ومابجمعه عنيت فدكل
فالله يبقيكم لدنيا وكي * مصليا على الرسول المصطفى
ترى على آله دائما منعما * وآله المستكملين الشرفا انتهى

ومن ذلك ما كتبه لي بعض الاصحاب ممن كان يقرأ على بالمغرب وصورته سيدنا وسيد أهل الاسلام حامل رايه علوم الامة الاحمدية على صاحبها الصلاة والسلام آية الله في المعاني والمعالي وحسنة الايام والليالي وواسطة عقود الجواهر واللآلي امام مذهب مالك والاشعري والداري والوادي والخليل العلامة العدوة السيد الكبير الشهير الجليل ذو الاخلاق العديمة المذاق والشمائل المعجمة عن طيب الاصول والاعراق كبير زمانه دون مدافع وعالم أوانه من غير ممازع ولا مدافع شيخنا ومعلمنا ومفيدنا وحبيب قلوبنا مولانا شيخ الشيوخ ابو العباس أحمد بن محمد المقري المغربي اللمطاني نزيل فاس ثم الديار المصرية حفظه الله تعالى في مواطن استقراره ورفع درجه باشاده فخاره على مناره عن شوق يوده الكاتب أن لو كان في طي كتابه وتوق الى مشاهدتكم هو العاتبة في بابه بعد اهداء السلام المحفوف بانواع التحيات والاكرام والبركات الدائم مادامت في الوجود السكنات والحركات لمعالمكم الاكبر ومحاسنكم الاشهر ومن تعلق باديالكم أو كان مسعطر النوالكم أوصبت عليه شآبيب اصطنائكم من أهل ومحب وصاحب وخديم هذا وانه ينهي الى الوداد القديم أن اهل العرب الادنى والاقصى حاضره وبادية كلهم يتفكهون بل يتقوتون بذكركم ويتشاقون لرؤية وجهكم ويتسابقون بطيب اخباركم وان كان المغرب الآن في تفاقم احوال وتراكم اهوال في العاية من بوادي لاسيما مدينة فاس وهو في شر عظيم وامرها مولاي عبد الملك مات في السنة السابعة والثلاثين بل في ذي الحجة قبلها وفي المحرم من سنة سبع وثلاثين توفي ملك المغرب السلطان ابو المعالي زيدان وبويع من بعده ابنه مولاي عبد الملك وتعامل مع اخويه الامين الوليد واحمد وهو رمهما والى الله عاقبة الامور واهل داركم بفاس بخير وعافية ونعم ما فيه سوى ما أدركهم من طول العيشة سأل الله تعالى أن يعلأ قدومكم العيشة ومحبكم الاكبر وليهم الاصغر سيد أهل المغرب اليوم وشيخ الطريقة والمربي في سلوك أهل الحقيقة العارف بالله الشيخ الرباني ذو الكرامات والمقامات سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي يحييكم ويعظم قدركم لسانه لكم ذاكر وناشر شاكر وهو على خير وقد اجتمعت من بركتكم في مدينة لاعلى جماعة من طلاب العلم ومع الله تعالى على بنا أليف عديدة منها كفاية الطالب النبيل في حل الفاظ مختصر خليل ومنها شرح على المنهج المنتخب للرفاق في قواعد مالك ومنظومة في اكثر من ألف بيت في السنة والشمائل ومنها في رجال البخاري ولا كمنع الكلا باذي ومنها خطب وغير ذلك والكل من بركتكم ونسبه اليكم في صحيفة كم والسلام من ولدكم المعترف بفضلكم نراب بعالكم علي بن عبد الواحد الانصاري لطف الله تعالى به وحامله كبير كبراء قومه ممن يحبكم ويعترف بمقامكم وما تفعلوا معه من خير فلن تكفروه والسلام انتهى * ومنها كتاب وافي من عالم مسعطبة وصالحها وكبيرها ومفتيها سلالة العلماء الاكابر ووارث المجد كابرا عن كابر المؤلف العلامة سيدي الشيخ عبد الكريم المكون حفظه الله نصه بسم الله الرحمن

لصوان العطف والتمليك
عمار الامور واشرف
هذا الاقليم مدينة السلام
ويعرف على ما صارت اليه
الاعصار من فراق هذا
المصر الذي عن بقعته
فضلا وفي قطعه جمعا
الكره الزمن الاسي من
يده النشيت والدهر
الذي من شروطه الابانه
ونسد أحسن أبو دلف
العجلي حيث يقول
ان مكنة الدهر التي
صرحت به
أدنى سجاياي ترقها
والمعارب
في بالتي سهرت وقد طرت
بالتي
ليها ماهت راجعات
المطالب
وقد ذكر الحكماء وما
مرجعا اليه من هذا المعنى
ان سلامه وفاء المرء
ودوام عهده حنينه الى
حواله وشوقه الى
أوطانه وتكتفي على ما
ضمن من زمانه وأن من
علامة الرشد أن يكون
المعروس الى مولدها
مشتاقه والى مسعطر أسها
توأقه ولا غرو والعادة
وضع الرجل بغير اصله
وطنه وقال ابن الرومي ليس
الناس شيء من أقسامهم
مع منهم بأوطانهم وقال بعض حكماء العرب عمر الله البلدان بحب الاوطان وقالت الهند حرمه بلدك الرحم

الرحيم وصلى الله على من أنزل عليه في القرآن وإنك لعلى خلق عظيم وآله وصحبه وسلم أفضل التسليم من مدنس الاذار المتسربل بسرابيل الخطايا والاوزار الراجي التفضل منه برحمة العزيز الغفار عبد الله سبحانه عبد الكريم بن محمد الفكون أصلح الله بالتقوى حاله وبلغه من متابعة السنة النبوية آماله الى الشيخ الشهير الصدر الكبير ذي الفهم الثاقب والحفظ الغزير الاحب في الله المؤاخى من أجله سيدي أبي العباس أحمد المعروف بزروق عاقبني وعاقبته وأسبل على الجميع عافيته أما بعد فاني أحمد الله اليك وأصلي على نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولازائد الاصباح الدعاء وطلبه منكم فاني احوج الناس اليه وشدهم في ظمأ الحاجة عليه لما تحققت من أحوال نفسي الامارة واستبطنت من دخيلاتها المثابرة على حب الدنيا الغرارة كانها خميت من الاهوال التي أشابت رؤس الاطفال وطعنت اعناق كل الرجال فتراه في لجج هواها حائصة وفي ميدان شهواتها راكضة طعنت في غيها ومالانت وحمحت فما انقادت ولا استقامت فويلي ثم ويلي من يوم تبرز فيه السرائر وتنشر الفضائح ومنادي العدل قائم بين العالمين وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فالله أسأل حسن الالطاف والسر عما ارتكبناه من التعدي والاسراف وان يجعلنا من اهل الحمى العظيم وممن يحشر تحت لواء حلاصته الكريم سيدنا ومولانا وشفيعنا النبي الرؤف الرحيم ولنكف من القلم عنانه لما أرجو من اجله ثواب الله سبحانه وقد اتصل بيدي جوابكم اطال الله في العلم بقاءكم فرأيت من عدوبة الفاظكم وبلاغة خطابكم ما يذهل من العلماء حولها وينيلها الدنو لسماعه سؤلها وعاموا لها بيد ما فيه من اوصاف من امره فاصر وعن الطاعة والاجتهاد فاتر واصدق قول فيه عند مخبره ومرآه أن يسمع بالمعيدي خير من ان تراه لكن صاريكم المولى بحسن النية البلوغ في محبوحة الجنان غاية الامنية وعند ذلك بابيات أما أقل من أن أوصف بمثلها على أني غير قائم بفرضها ونفلها فالله تعالى يمدكم بمعونته ويجعلكم من اهل مناجاته في حضرته ويسقيكم من كاسات القرب ما تتمتع به بلذيذ مادته وقد ساعد البنان الجنان في اجابتكم بوزنها وفائيها والعذر لي أني لست من أهل هذا الشان والاعتراف بانتي جبان وأي جبان والكمال لله في الرضا والقبول والكريم يغضي عن عورات ذوي الجهول وظننا حققه الله تعالى أن نجعل على منظوماتكم الكلامية يعني اضاءة الدجنة شهيدا أرجو من الله توفيقا وتسديدا بحسب قدري لا على قدركم وعلى مثل فكري القاصر لا على عظيم فكركم وان ساعد الاوان وقضى بتيسيره رب الزمان فآتي بدان شاء الله الاجل معنى لاني بالاشواق الى حضرة راكب البراق ومخترق السبع الطباق وكنت عازما على أن أبعث لكم من الابيات أكثر من الواقع الا أن الرفقة أعجلت وصاد فتى أيام موت قعيدة البيت فلم يتيسر عاجلا الا ما ذكر وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل

يا نخبة الدهر في الدراية * علما تعاضده الرواية
لازلت بحرا بكل فن * يروى به الطالبون غايه

أحرأولى البلدان بصيانة تلك بلاد رحبت ماءه وطعمت غذاءه وقال آخر مبلك الى وسع مولدك من كرم محتدك وقال بقراط يداوى كل عليل بما ظهر أرضه فان الطبيعة تنطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها وقال أفلاطون غذاء الطبيعة من أنفع أدويتها وقال جالينوس نزوح العليل بنسيم أرضه كما تمنت الحمة بأهل النطر وللعوس في علة حنينها الى الاوطان كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في كتابنا المترجم بسر الحياة وفي كتاب طب النفوس ولولا تفييد العلماء خواطرهم على الدهر لطل أكثر العلم وضاع آخره اذ كان كل علم من الاخبار يستخرج وكل حكمة منها تستنبط والفقه منها يستثار والفصاحة منها تستفاد وأصحاب القياس عليها يبنون وأهل المقالات بها يحتجون ومعرفة الناس منها تؤخذ وامثال الحكماء فيها توجد ومكارم الاخلاق ومعالمها منها تقتبس وآداب سياسة الملك والحرم منها تلتمس وكل غريبة منها تعرف وكل عجيبة منها تستظرف وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل ويستعذب موقعه الاحمق والعاقل ويأنس بحكايته ويزع

لقد صدرت فى المعالى * كما تعاليت فى العنايه
من فيك تنتظم المعانى * بلغت فى حسنها النهايه
رفالك مولاك كل مرقى * تحوى به القرب والولايه
الحوية مالها نظير * فى الحفظ والفهم والهدايه
يا أحمد المقرى دامت * بشراك تصحبها الرعايه
بجاه خير العباد طرا * والآل والصحب والنقايه
صلى عليه الاله تترى * تكفى بها الشر والغوايه

وأحكم كتابى بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب بغاتة عجلة يوم السبت سابع اوثمن رجب من عام ثمانية وثلاثين وألف للهجرة على صاحبها الصلاة والسلام انتهى والمذكور عالم المغرب الاوسط غير مدافع وله سلف علماء ذو وشهرة ولهم فى الادب الباع المديد غير أن المذكور مائل الى التصوف ونعم ما فعل نقبل الله تعالى عنى وعمله وبلغ كلا منا أمله ولا أشهر أسلافه العلامة الشيخ حسن بن على بن عمر الفكون القسمطينى احد اشياخ العبدرى صاحب الرحلة قصيدة مشهورة عند العلماء بالمغرب وهى من درر النظم وحر الكلام وقد ضمنها ذكر البلاد التى رآها فى ارتحاله من قسمطينة الى مراكش وأولها

الا نزل للسرى بن السرى * ابى البدر الجواد الاريحى

ومنها

وكنت اظن ان الناس طرا * سوى زيد وعمرو غير شى
فلما جئت بلده خير دار * اماليها بكل رشا ابى
وكم اورت طباء بى أوار * اوار الشوق بالرمق الشهى
وحثت بجاية فخلت بدورا * تضيق بوصفها حرف الروى
وفى ارض الجزائر هام قلبى * بمعسول المراشف كوثرى
وفى تلمسان جيل صبرى * وهمت بكل ذى وجه وضى
وفى مرورية مارلت صبا * بوسنان المحاجر لودعى
وفى وهران قد امسيت رهنا * بظامى الحصر دى ردف ورى
وابدت لى تلمسان بدورا * جلين الشوق للقلب الحلى
ولما جئت وجدة هجت وجدا * بمنحنث المعاطف معنوى
وحل رشا الرباط رشا ربا طى * وتيمنى بطرف بابلى
وأطلع قطر فاس لى شموسا * معاربهن فى قلب الشجى
وما مكناسة الاكناس * لاحوى الطرف ذى حسن سنى
وان تسأل عن ارض سلا ففيها * طباء كاسرات للكمى
وفى مراكش ياوبح قلبى * ابى الوادى فطم على القرى

اليه الخاصى والعامى ويميل الى روايه العربى والعجمى وبعد فانه يوصل به كل كلام ويزين به فى كل مقام ويتجمل به فى كل مشهد ويحتاج اليه فى كل محفل لتضمنه علم الاخبار بينة على كل علم وشرف مبرلسه يحتج فى كل فهم فلا يصدر على فهمه ويبس سره واسراره واصداره الا انسان قد تجرد له وفهم معناه وذاق ثمرته واستسفر من غرره وبان من سره وقد قالت الحكماء الكتاب نعم الجليس ونعم الذخران شئت التمتع نوادره وأضحكتك بوادره وان شئت اشجتك مواعظه وان شئت بهجت من غرائب فوائده وهو يجمع لك الاول والآخر والعائب والحاضر والناقص والوافر والبادى والحاضر والشكل وخلافه والحسن وضده وهو يبت بنطق عن الموتى وينزجم عن الاحياء وهو مؤنس ينشط بنشاطك ويقام بقومك ولا ينطق بعلك الا بما هوى ولا تعلم حارا أمر ولا خليطا أنصف ولا رد عليا أطوع ولا معلما أجمع ولا صاحبا أظهر كفايه وأقل خيانة ولا أبدى معا ولا أحمد أخلاقا ولا أدوم سرورا ولا أسكت خيسه ولا احسن موافاة ولا اعجل مكافاة ولا اخف مؤنة منه ان نظرت اليه اطال امتاعك وشحذ طباعك وايد فهمك واكثر بدور

بدور بل شموس بل صباح * بهى فى بهى فى بهى
أبحن مصارع العشاق لما * سعين به فكم ميت وحى
بقامته كل أسمر سمرى * ومقله كل ابيض مشرفى
اذا أنسيني حسنا فانى * اسيهم هوى غيلان مى
فها انا قد تخذت الغرب دارا . وادعى اليوم بالسرا كشى
على أن اشتيافى نحو زيد * كشوقك نحو عمرو بالسوى
تقسمنى الهوى شرقا وغربا * فيا للمشرق المغربى
فلى قلب بارض الشرق عان * وجسم حل بالغرب القصى
فهذا بالغدو يهيم غربا * وذاك بهيم شرقا بالعشى
فلولا الله مت هوى وشوقا * وكم لله من لطف خفى

وقد خرجنا بالاستطراد الى الطول وذلك منا اسعاف سائل مع حاذب الادب فلعسك العنان والله المستعان وما عدد ناه من القصائد والمقطعات فى مدح دمشق الشام هو نقص من فيض وفى نيتى ان اجمع فى ذلك كتابا حافلا اسميه نشق عرف دمشق اومشق قلم المدح لدمشق ولسان حالى الآن ننشد قول بعض الاكابر

نحن فى مصر رهن شوق اليكم * هل لدكم بالشام شوق الينا
نحن زيادة ان تروا لدينا * وابيعم عن ان نراكم لدينا
حفظ الله عهد من حفظ العهد ووفى به كما قد وفينا

وقول ابن الصائغ

وددت لو أن عينى * مكان كتبى اليكم
حتى أراكم وأملى * أخبار شوقى عليكم

*(رجع الى ابن جبير) رحمه الله تعالى ومن شعره قوله

اياك والشهرة فى ملبس * والبس من الاثواب أسلمها
تواضع الانسان فى نفسه * أشرف للنفس وأسمى لها

وقال

تنزه عن العوراء مهما سمعتها * صيانة نفس فهو بالحر أشبه
اذا أنت حاولت السعيد مشاءما * وعن يتلقى الشيم بالشيم أسفه

وقال

اقول وقد حان الوداع واسلمت * قلوب الى حكم الاسى ومدامع
أيارب أهلى فى يديك وديعة * وما عدمت صونا لديك الودائع

وقال أبو عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات بمدح ابن جبير المذكور

لابى الحسين مكارم لو أنها * عدت لما فرغت ليوم المحشر
وله على فضائل قد قصرت * عن بعض نعماها عظام الابحر

وقال ابن جبير من قصيدة مطلعها

فداء شيرهم للسوء يرتقب وقد كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس ويراول غيره

الخضوع لمن انت اثبت منه اصلا واوسع مرعى وهو المعلم الذى لا يجهولك وان قطعت عنه المائدة لم تقطع عنك الفائدة وهو الذى يصعدك بالليل طاعته لك بالنهار وطيعك فى اليسر كطاعته لك فى العسر وقد قال الله تعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كفاه بهذا عن نفسه بالكرم وفى ذلك يقول بعض اهل الادب

لما علمت بانى لست اعلمهم
جريا ولاهر بما قدمت أحتجب
قصرت بالبيت سرورا به جذلا
حاوى البراءة لا شكوى ولا شغب
فردا يحدثنى حفاوظ لى
عن علم ما غاب عنى منهم الكتب
المؤنسون هم اللاتى حميت بهم
فليس لى فى جليس غيرهم ارب
لله در جليسى لا جليس هم

يا وفود الله فزتم بالمنى * فهنيئا لكم أهل منى
قد عرفنا عرفات بعدكم * فلهذا برّح الشوق بنا
نحن فى الغرب ومجرى ذكركم * مغرب الدمع يجرى هتنا

ومنها

فينادينا على شحط النوى * من لنا بوما فقلت ملنا
سرينا يا حادى الركب عسى * أن نلاقى يوم جمع سربنا
مادعا داعى النوى لما دعا * غير صب شفه برح العنا
ثم لنا البرق اذا لاح وقل * جمع الله بجمع شملنا
علمانا فى خيالا سكم * باسديد الذكر وهنا عانا
لو حنى الدهر علينا لقصى * باجتماع بكم بالمنحنى
لاح برق موهنا من نحوكم * فلعمرى ماهنا العيش هنا
أنتم الاحباب نشكو بعدكم * هل شكوتم بعدنا من بعدنا

وله رحمه الله تعالى من قصيدة مطولة أولها

لعل بشير الرضا والقبول * يعال بالوصل قلب الخليل

وله أخرى أنشدها عند استقباله المدينة المشرفة وهى ثلاثة وثلاثون بيتا من الغر أولها

أقول وآنست بالليل نارا * لعل سراج الهدى قد أنارا
والاهابال أفق الضحى * كأن سنى البرق فيه استطارا
ونحن من الليل فى حندس * فاباله قد تجلى نهارا

* وكان أبو الحسين بن جبير المترجم به قد نال بالادب دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها وقال صاحب الملتمس فى حقه الفقيه الكاتب أبو الحسين بن جبير ممن لقيته وجالسته كثيرا ورويت عنه وأصله من شاطبة وكان أبوه أبو جعفر من كتابها ورؤسائها ذكره أبو اليسع فى تاريخه ونشأ أبو الحسين على طريقة أبيه وتولع بغرناطة فسكن بها قال ومما أنشدنيه لنفسه قوله يخاطب أبا عمران الراهد باشبيلية

أبا عمران قد خلفت قلبى * لديك وأنت أهل للوديعه
صحبت بك الزمان أحاوفاه * فهاهو قد تمر للقطيعه

قال وكان من أهل المروآت عاشقا فى قضاء الحوائج والسعى فى حقوق الاخوان والمبادرة لاينساس الغرباء وفى ذلك يقول

يحسب الناس بانى متعب * فى الشفاعات وتكليف الورى
والذى يتعبهم من ذاك لى * راحة فى غيرها ان أفكرا
وبودى لو أفضى العمر فى * خدمة الطلاب حتى فى الكرى

قال ومن أبدع ما أنشده رحمه الله تعالى أول رحلته

طال شوقى الى بقاع ثلاث * لاتشد الرحال الا اليها
ان للنفس فى سماء الامانى * طائرا لايحوم الا عليها

من كتاب ولا نشأ اسلم من الرحدة قيل له قد طاف فى الوحدة سنة فصار من افرادها للحامل وقد من بعض الشعراء فيمن جمع الكتب ولا يعلم منها رواسل تلامذة لا له بعدهم

بيدها الا كعلى الباغ عمرك لعمرك ما يدرى البعير اذا ما حاله اوراح مالك العراتر

(ذكر نزاع الناس فى المعنى الذى من أجله سمى اليمن يمنا والعراق عراقا والشام شاما والحجاز حجازا): تنازع الناس فى اليمن وتسميته فمنهم من زعم أنه انما سمى يمنا لانه عن يمين الكعبة وسمى الشام شاما لانه عن شمال الكعبة وسمى الحجاز حجازا لانه حاجز بين اليمن والشام نحو ما أخبر الله عز وجل من الفرق الذى بين بحر القلزم وبحر الروم بقوله عز وجل وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا فجعل بحر القلزم والبحر الرومى حاجزا واما سمى العراق عراقا لقرب المياه اليه كالدجلة والفرات وغيرهما من الانهار وأصله ماخوذ من عراقى الدلو وعراقى القربة ومنهم من زعم أن اليمن انما

سمى يمنا لانه عن يمين الشام شاما لانه عن شماله وهذا قول يعزى الى قطرب النحوى فى آخرين من الناس ومنهم

قص منه الجناح فهو مهيض * كل يوم يرجو له وقوع لديها

وقال

اذا بلغ العبد أرض الحجاز * فقد نال أقصى مرام له
فان زار قبرى نبى الهدى * فقد أكمل الله ما أمله

وعاد رحمه الله تعالى الى الاندلس بعد رحلته الاولى التى حل فيها دمشق والموصل وبغداد وركب الى المغرب من عكا مع الافرنج فعطف فى حال صقلية الصقلى وقاسى شدائد الى أن وصل الاندلس سنة ٥٨١ ثم اعاد المسير الى المشرق عدمده الى ان مات بالاسكندرية كما تقدم ومن شعره أيضا

لى صديق خسرت فيه ودادى * حين صارت سلامتى منه خسرا
حسن القول سيئ الفعل كالجمر أرسمى واسع القبول دخانا

وحدث رحمه الله تعالى بكتاب الشفا عن أبى عبد الله محمد بن عيسى التميمى عن القاضى عياض ولما قدم مصر سمع منه الحافظان أبو محمد المنذرى وأبو الحسين يحيى بن على القرشى وتوفى ابن جبير بالاسكندرية يوم الاربعاء السابع والعشرين من شعبان سنة ٦١٤ والدعاء عند قبره مستجاب قاله ابن الرفيق رحمه الله تعالى وقال ابن الرقى فى السمط بعدها وقال أبو الربيع بن سالم أنشدنى أبو محمد عبد الله بن التميمى الحنائى ويعرف بابن الحطب لابى الحسين ابن جبير وقال وهو مما كتب به الى من الديار المصرية فى رحلته الاخيرة فلما بلغه ولاتى قضاء سبتة وكان ابو الحسين سكنها قبل ذلك وتوفيت هنالك رحمه الله بنت أبى جعفر الوقشى قد فنها بها

بسبتة لى سكن فى الورى * وحبل كريم الهوا أتى
فلو أستطيع ركبت الهوا * مررت بها الحين والساعا

وانشد ابن جبير رحمه الله تعالى لنفسه عند صدوره عن الرحلة الاولى الى عرناطة أولى طريعها قوله

لى نحو أوض الحمى من نحو اندلس * شوق يرافقنى فى الماء والنفس

الى آخرها ومن شعره قوله

يا خير مولى دعاه عبد * أمل فى الباطل اجتهادى
هب لى ما قد علمت منى * يا عالم الغيب والشهادة

وقال رحمه الله تعالى

رأى لا دثر من أصطفى * وأنخصص عن ربه العاثر
واهوى الزيارة ممن أحب * لأعتقد الفضل للزائر

وقال رحمه الله تعالى

عجبت للمرء فى دنياه طمعه * فى العيش والاجل المحتوم يطمعه
يمسى ويصبح فى عشواء يخبطها * أعمى البصيرة والآمال تخدعه
يغتر بالدهر مسرورا بخدعته * وقد تيقن أن الدهر يصرعه

وفيهم زعم قوم له هذا الاسم وسنذكر عرف هذه القبائل من أرض بابل بعد هذا المرتع وبعض ما قالوه فى دلك من الشعر عند ذكرهم فى الارض واخبارهم الشائعة وقيل انما سمى الشام شاما لانه فى أرض بابل وودود دلك فى العرب والبعاع وأنواع النبات والانهار وهذا قول الكلبى وقال الشرقى ابن القطامى انما سمى الشام شاما لانه أول من نزل به أوس بن لاوذ فسمى شاما لانه أخذ يمينا وشمالا وشام يمينه وشماله أى نظر ويقال ان سام بن نوح لما قسم الارض بين ولده قسم له ما بين العريش والفرات فسمى الشام لانه أخذ يمينا وشمالا ثم قيل ان سام هذا سمى بذلك لاضافته الى الشام وقيل ان اول من سكنها من العماليق سمى بها لانه أول من سماها بهذا الاسم والله أعلم وقد ذكرنا أسماء هذه القبائل والبقاع والامصار ووجوه خبر ما ذكرنا قديما وحديثا مما تألف من كتابنا (ذكر اليمن وأسمائها وما قاله الناس فى ذلك) اختلف الناس فى أسماء قحطان فقال هشام الكلبى عن أبيه والسدى ابن العاصى انهما كانا يذهبان الى أن قحطان ابن الهميسع بن نبت وهو نابت بن اسمعيل بن ابراهيم الخليل وهذا يدل على وجوه من الاخبار

ومحمع المال حرصا لا يفارقه * وقد درى انه للغير يجمعه
يراه يشفق من تضييع درهمه * وليس يشفق من دين يضيعه
وأسوأ الناس تدبيرا لعاقبة * من أنفق العمر فيما ليس ينفعه

وقال

صبرت على غدر الزمان وحقده * وشاب لى السم الدعاف بشهده
وجربت اخوان الزمان فلم أجد * صديقا جميل الغيب فى حال بعده
ولم صاحب عاشرته وألفته * فدام لى يوما على حسن عهده
وكم عرنى تحسين طنى به فلم * يضئ لى على طول اقتداحى لزنده
وأعرب من عنقاء فى الدهر مغرب * أحوشه يسعيك صافى وده
بنفسك صادم كل أمر تريده * فليس مضاء السيف الا بحده
وعزمك جرد عند كل مهمة * فما نافع مكث الحسام بغمده
وشاهدت فى الاسفار كل عجيبة * فلم أر من قد نال جدا بجده
فكن ذا اقتصاد فى امورك كلها * فأحسن أحوال الفتى حسن قصده
وما حرم الانسان رزقا لعجزه * كما نال رزق يومه بكده
حظوظ الفتى من شقوة وسعادة * جرت بقضاء لا سبيل لرده

وقال

الناس مثل ظروف حشوها صبر * وفوق افواهها شئ من العسل
تغر دائقها حتى اذا كشفت * له تبين ما تحويه من دخل

وقال

تغير احوال هذا الزمان * وكل صديق عراه الخلل
وكانوا ادبما على صحة * فقد داحلهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم * فصرت أطالع باب البدل

وقد تقدم بيتان من هذه الثلاثة على وجه آخر أول ترجمة المذكور ورأيت بخط ابن سعيد البيتين على وجه آخر وهو قوله

شكلت أخلاء هذا الزمان * فعندى مما جنوه خلل
قضيت التعجب من شانهم * فصرت أطالع باب البدل

انتهى

ولابن جبير رحمه الله تعالى

من الله فاسال كل أمر تريده * فما ملك الانسان نفعا ولا ضرا
ولا تتواضع للولاة فانهم * من الكبر فى حال يموج بهم سكرا
واياك أن ترضى بتقبيل راحة * فقد قيل عنها انها السجدة الصغرى

وهو نحو قول القائل

قل لنصر والمرء فى دولة السلطان اعمى ما دام يدعى اميرا
فاذا زالت الولاية عنه * واستوى بالرجال عاد بصيرا

منها ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ما رواه هشام عن أبيه عن ابن عباس ورواه الهيثم عن الكلبى عن أبى صالح ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على فتية من الانصار يتناضلون فقال ارموا يا بنى اسمعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع ابن الادرع رجل من خزاعة فرمى القوم بأسهم وقالوا يا رسول الله من كنت معه فقد فضل فقال ارموا وانا معكم جميعا (قال المسعودى) وسائر ولد قحطان من حمير وكهلان يابى هذا القول وينكره وقد ثبت أن قحطان هو يقطن واسمه عرب فقيل له قحطان (وحكى ابن الكلبى) أن اسم يقطن فى التوراة الجاثر بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن نوح والواضح من أنساب اليمن ومن يدين به كهلان وحمير ابنا قحطان الى هذا الوقت قولا وعملا ويغلب الباقى عن الماضى والصغير عن الكبير والذى وجدت عليه التواريخ القديمة للعرب وسيرها سلف الامم وعليه وجدت الاكثر من شيوخ ولد قحطان من حمير وكهلان بارض اليمن والتهائم والانجاد و بلاد حضرموت والشحر والاحقاف وبلاد عمان وغيرها من الامصار أن الصحيح فى نسب قحطان أنه قحطان بن عابر بن شالخ وهو قيذان وقال

وقال ابن جبير رحمه الله تعالى

أيها المستطيل بالمعى امصر * ربما طأطأ الزمان الرؤسا
وبذكر قول الله تعالى * ان قارون كان من قوم موسى

وقال وقد شهد العيد بطنجة من قرى مصر

شهدنا صلاة العيد في ارض غربة * باحوز مصر والاحبة قد نأوا
فعلت تخلى في الهوى جد بدمع * فليس لما لا المداما مع دربان

وقال

قد احدث الناس امورا لا * عمل بها في ايرهناك
فما جماع الخير الا الذي * كان عليه الف الصالح

وقال

رب ان لم تؤتني سعة * فاطوعني فصله العمر
لا أحب اللبث في رمس * حاجتي فيه الى الدثر
فهو كسر لم يجبر * ما مسه جبر لمكسر

ولما وصل ابن جبير رحمه الله تعالى الى مكة ١١ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ أنشد قصيدته التي أولها

بلغت المنى وحللت الحرم * فعد شاكرا لمن بعد الهرم
فاهلا بمكة أهلا بها * وشكرا لمن شكره لم يرم

وهي طويلة وسيأتي بعضها وقال رحمه الله تعالى عند تركه للرحلة الحجازية

أقول وقد دعا للخير داع * حدت له حسين المسهام
حرام أن لمثلي اعتماض * ولم أرحل الى البيت الحرام
ولا طاف في الآمال ان لم * أطف ما بين زمزم والمقام
ولا طابت حياتي لي اذا لم * أرو في طيبة حسو الامام
وأهديه السلام وأقتضيه * رضا ديني الى دار السلام

وقال

هنيئا لمن حج بيت الهدى * وحط عن النفس أوزارها
وان السعادة مضمونة * لمن حج طيبة أوزارها

ولنختم ترجمته بقوله

أحب النبي المصطفى وابن عمه * عليا وبضيه وفاطمة الزهرا
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم * وأطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم * وحبهم أسنى الذخائر للاخرى
وما أنا للعصب الكرام ببعض * فاني أرى النصاب في حبهم كفرا
هم جاهدوا في الله حق جهاده * وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم * لدى الملا الاعلى وأكرم به ذكرا

والحصر عليه السلام من ولد ملكان في قول كثير من الناس، وولد لقحطان أحد وثلاثون ذكرا وأمهم حنى بنت روق بن زارد ابن سعد بن سويد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح فولد قحطان يعرب ابن قحطان وولد يعرب يشجب وولد يشجب والد أحدهما عبد شمس وهو سبأ يشجب وانما سمي سبأ لسبيه السبايا فولد سبأ حميرا وكهلان أبي سبأ والسابي لم يعقبوا وانما العقب من ولد هذين وهما حمير وكهلان وهذا المنوه عليه عند أهل الخبرة بهما ولم يتبق لهم وقال الهيثم بن عدي الطائي يقول اسمعيل لم يلعقهم لان اسمعيل كان سرياني اللسان على لغة أبيه خليل الرحمن حين أسكنه هو وأمه هاجر بمكة على ما ذكرنا وصاهر جرهم ونشأ على لغتها ونطق بكلامها وبرا بابي أن يكون اسمعيل شاعلى لغة جرهم ويقولون ان الله عز وجل أحداه هذه اللغة وذلك ان ابراهيم خلفه هو وأمه هاجر واسمعيل ابن عشر سنة وقال ابن اسحاق

٧٢ ط ل عشرة سنة في واد غير ذي زرع ولا أنيس يحفظهما الله تعالى واتبعه ما مزم وعلم اسمعيل هذه

وقوله في آخر الميمية

نبي شفاعته عصمة * فيوم التنادي به يعتصم
عسى أن تجاب لنا دعوة * لديه فنكفى بها ما أهم
ويرعى لزوّاره في غد * ذماما فما زال يرعى الذمم
عليه السلام وطوبى لمن * ألم بتربته فاستلم
أخي كم تتابع أهواءنا * وتخبط عشواءنا في الظلم
رويدك حتى تعي واقتصد * أمامك نهج الطريق الاعم
وتب قبل عض بنان الاسى * ومن قبل فرعك سن الندم

ومنها

وقل رب هب رحمة في غد * لعبد بسيما العصاة اتسم
جرى في ميادين عصيانه * مسيئا ودان بكفر النعم
فيارب صفعك عما جنى * ويارب عفوك عما اجترم

*(ومن الراحلين الى المشرق من الاندلس الاديب أبو عامر بن عيشون) قال الفتح رحل المشيدات والبلاقع وحكى النسرين الطائر والواقع واستدرخلق البؤس والنعيم وقعد مقعد البائس والزعيم فآونة في سماط وأخرى بين درابك وأغماط ويوما في ناووس وأخرى في مجلس مانوس رحل الى المشرق فلم يحمد رحلته ولم يعلق بآماله نخلته وارتد على عقبه وارتد من حبالة الفوت الى مقتضره ومرتقبه ومع هذا فله تحقق في الادب وتدفق طبع اذا مدح أو سب وقد أثبت له ما تعلم حقيقة نقاده ونرى سرعة وخذه في طرق الاحسان واغذاذه ثم قال وأخبرني انه دخل مصر وهو سار في ظلم البوس عار من كل لبوس قد حلا من النقد كيسه وتخلى عنه الا بعذره وتكيسه فنزل بأحد ثوارعها لا يفترش الا نكده ولا يتوسد الا عصده وبات بذيلة ابن عبدل نهب عليه صرصر لا ينفع منها عنبر ولا مندل فلما كان من السحر دخل عليه ابن الطوفان فاشفق لحاله وفرط امحاله وأعلمه أن الافضل بن أمير الجيوش استدعاه ولو ارتاد جوده بقطعة يغنيه الله لاخصب مرعاه فصنع له في حينه

قل للملوك وان كانت لهم همم * تأوي اليها الاماني غير متئد
اذا وصلت بشاهنشاه لي سببا * فان أبالي بمن منهم نفضت يدي
من واجه الشمس لم يعدل بها قمرا * يعشو الى ضوئه لو كان دارمد

فلما كان من الغد وافاه فدفع اليه خمسين مثقالا مصرية وكسوة وأعلمه انه غناه وجود الاظهار للفظه ومعناه وكرره حتى أثبته في سمعه وقرره فساله عن قائله فأعلمه بقلته وكله في رفع خلته فامر له بذلك وله أيضا رحمه الله تعالى

قصدت على أن الزيارة سنة * يؤكدها فرض من الود واجب
فالفيت بابا سهل الله اذنه * ولكن عليه من عبوسك حاجب
مرضت ومرضت الكلام تثاقلا * الى أن خلت أنك عائب

اللغة العربية فالوا ولغة يقضي بابطال قول من قال ان اسمعيل أعرف باللغة جرهم ولوجب أن يكون اسمعيل عربي اللسان لاجل جرهم وجب أن تكون لغته موافقة للغة جرهم أو لغير جرهم ممن نزل مكة ومن دانها قحطان سريانى اللسان وولده يعرب بخلاف لسانه وليس منزلة يعرب عند الله أعلى من منزلة اسمعيل ولا منزلة قحطان أعلى من منزلة ابراهيم وعقبه فضيلة اللسان العربي التي أعطيها يعرب ابن قحطان ولولد نزار وولد قحطان خطب طويل ومناظرات كثيرة لا أماني لديها كتابنا هذا في التنازع والتفاخر بالانبياء والملوك وغير ذلك مما دأبنا على ذكر جل من حجاجهم وما أدلى به كل فريق منهم ممن سلف وخلف وكذلك مناظرات السودان والبيضان والعرب والعجم ومناظرات الشعوبية في كتابنا أخبار الزمان *وزعم الهيثم بن عدي ان جرهم بن عابر بن سبأ بن يعصب هو قحطان وتأول الهيثم قول النبي صلى الله عليه وسلم حين قال للرماة من الانصار ارموا بابني اسمعيل أنه عليه السلام نسبهم الى اسمعيل من جهة الامهات وما لهم من الولايات من ولد فلا

فلا تتكلف للعروس مشعة ... سأرصيك بالهجران اذ أنت عاضب
فلا الارض تبقيه ولا أنت أهلها * ولا الرزق ان أعرضت عني جانب

وله يستعينني

كتبت ولو وهبت ترك حقه ... لما اعتصرت كفي على رقم قرطاس
وبابت عن الخط الخطاوة سادرت ... قطورا على عيني وطورا على راسي
سل الكاس عني هل أدرت فلم أصع ... مدى حبك الحسا سوع بها كاسي
وهل ناضح الآس الندامى فلم ادع ... ثمانى اذكى من سلافة الآس

*(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق أبو مروان الطبني وهو سعيد المثنى بن زياد الله) قال في الذخيرة كان أبو مروان هذا أحد حماة سرح الكلام وحملة ألوية الاقلام من أهل بيت اشتهروا بالشعر اشتهار المنازل بالبيدر أراهم طرقوا على قرطبة قبل افتراق الجماعة وانتشار شمل الطاعة وأناخوا في طلها وحققوا سرواب أهلها وأبو مصر أبوه زيادة الله بن علي التميمي الدنبي هو أول من بنى بيت شعر فهم ورفع في الاندلس صوته بمناهة سلفهم قال أبو حيان وكان أبو مصر يدعى محمد بن أبي عامر أمتع الناس حديثا ومشاهدة وانصفهم طرفا وأحدهم بانواب الشحد والملاطفة وآخذهم بسلوب الملوك والجلة وأضمهم لشمل افادة وجمعة انهى المقصود منه ثم قال في الذخيرة فاما ابنه أبو مروان هذا فكان من أهل الحديث والرواية ورحل المشرق وسمع من جماعة من المحدثين بمصر والحجاز وقتل بقرطبة سنة سبع وخمسين وأربعمائة انتهى وقد ذكر قتله المستشعة وانهم باغتياله انسه ومن نظم أبي مروان الصبي المذكور وما وجده صاحب الذخيرة في بعض التعاليق بخط بعض أدباء قرطبة قال لما عد أبو عامر أحمد بن محمد ابن أبي عامر على الحدلمي في مجلسه وضربه صربا موجعا وأقر بذلك أحمد بن مطالبه قال أبو مروان الطبني فيه

شكرت للعامري ما صنعا * ولم أقل للحدلمي لعا
ليث عرين عدا بعزته * معترسا في وجاره ضبعا
لا برحت كفه ممكنة ... من الاساءة منهم ما صنعا
وددت لو كنت شاهدا لهما ... حتى يرى العين ما حضعا
ان طال مسجوده فلا عجب * طال لعمر السجود ما ركعا

قال ابن بسام وابن رشيق القائل قبله

كم ركعة ركع الصمعان تحت يدي ... ولم يقل سمع الله لمن حمده

ثم قال ابن بسام في الذخيرة ما نصه والعرب تقول فلان يركع لغير صلاة اذا كنوا عن عهر الحلوة ومن ملح الكناية لبعض المتقدمين يخاطب امرأته

قلت التشيع حب أصلع هاشم ... فترفضي ان شئت أو تشيعي
قالت أصلع هاشم ونفست * بأبي وأمي كل شئ أصلع

ولما صنت كتابي هذا من شين الهجاء وكبرته أن يكون ميدانا للسفهاء أجريت فيها

قوم الى نمير آباؤهم وفد
سلوا ذلك سهلا وعملا وقد
روى عنه صلى الله عليه
وسلم أن سائلا سأله من
مراد عن سبا أرجلا كان
أو امرأة أو واديا أو جبلا فقال
له كان رجلا وولد له عشرة
فتشاءم اربعة وتيامن ستة
فالذين تشاءموا لخم وجذام
وعاملة وغسان وولد بن
تيا منهم حمير والازد
ومذحج وكندة
والاشعريون وانمار الذين
هم بجيلة وخثعم وقال ابن
المدرهو أنمار بن اياس
ابن نزار بن معد بن
نبت بن مالك بن زيد بن
كهلان بن سبا (قال
المسعودي) وقد تفرع
في سبا نمار فذهب
الاكثر الى ان أنمارا وايادا
وربيعة ومضر بنو نزار بن
معد بن عدنان وانمار
دخلوا في اليمن فاضافوا
اليهم وما ذكرناه عن النبي
صلى الله عليه وسلم يعضد
تاميم وتشاءم في اخبار
الآحاد وليس بحجة على
الاسقاط مما يعضد بها
العدد ويشد بها الحكم
والناس في هؤلاء كلام
كثير وقد ذكر هشام بن
أبيه الكلبي قال كان يقال
لسائر ولد سبا البشون ولم
يكن لهم قبائل تجمعهم

دون سبا وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر طريفة الكاهنة وخبر حمران الكاهن وهو

صاحب مليح التعريض في ايجاز الفريض عما لا أدب على قائله ولا وصمة عظمى على من قيل فيه والهجاء ينقسم قسمين فقسم يسمونه هجو الاشراف وهو ما لم يبلغ أن يكون سبابا مقذعا ولا هجوا مستشنعا وهو ما أطلق قديما من الاوائل وثل عرش القبائل اعلاهو توبيخ وتعيير وتقديم وتأخير كقول النحاشي في بني علان وشهرة شعره مغنية عن ذكره واستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأنشدوه قول النحاشي فيهم فدرأ الحد بالشبهات وعمل ذلك بالزبرقان حين شكا بالحطيئة وسأله أن ينشد ما قال فيه فانشده قوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فقال عن ذلك كعب بن زهير فقال والله ما أود بما قال له حمر النعم وقال حسان لم يهجه ولكن سلح عليه بعد أن أكل الشبرم فهم عمر رضي الله تعالى عنه بعقابه ثم استعطفه بشعره المشهور * وقال عبد الملك بن مروان يوما احسابكم يا بني أمية فما أود ان يكون لي ما طلعت عليه الشمس وان الاعشى قال في

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ولما سمع علقمة بن علاثة هذا البيت بكى وقال أنحن نفعل هذا بجاراتنا ودعا عليه فاطلق شيئ يبكي علقمة بن علاثة وقد كان عندهم لو ضرب بالسيف ما قال حس وقد كان الراعي يقول هجوت جماعة من الشعراء وما قلت فيهم ما يستحيي العذراء أن تنشده في خدرها ولما قال جرير

غض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

أطفأ مصباحه ونام وقد كان بات ليلته يتململ لانه رأى أنه قد بلغ حاجته وشفى غيظه قال الراعي لخرجنا من البصرة حتى وردنا ماء من مياه العرب الا وسمعنا البيت قد سبقنا اليه حتى أتينا حاضر بني نمير فخرج الينا النساء والصبيان يقولون بحكم الله وقبح ما جئتمونا به والقسم الثاني هو السباب الذي أحدثه جرير أيضا وطبقته وكان يقول اذا هجوتم فاضحكوا وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتا ولا عيرت به قبيلة وهو الذي صاه هذا المجموع عنه وأعفياه أن يكون فيه شئ منه فان أبا منصور الثعالبي كتب منه في يتيمته ما شانه اسمه وبقي عليه اثمه * ومن مليح التعريض لاهل أوقات قول بعضهم في غلام كان يهجر جلا يسمى باليعوضه

أقول لشادنكم قولة * ولكنها رمزة عاضة
لزوم اليعوضة له دائما * بدل على انها حامضة

وأنشدت في مثله قول بعض أهل الوقت

بيني وبينك سر لا أبوح به * الكل يعلمه والله غافره

وحكى أبو عامر بن شهيد عن نفسه قال عابت بعض الاخوان عتابا شديدا عن أمر أوجع فيه قلبي وكان آخر الشعر الذي خاطبته به هذا البيت

وابى على ما هاج صدري وغاظني * لياميني من كان عندي له سر

من يعرب ومن لحق بهما من شنوءة والسراة والشام وغير ذلك من بقاع الارض

(ذكر الملوك وسلوكها وعدادهم)

أول من عد من ملوك اليمن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه عبد شمس وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا الا أنه علة سمي سبا على ما قيل والله أعلم وكان ملكه أربعمائة سنة وأربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده ولده حمير بن سبا ابن يشجب بن يعرب وكان أشجع الناس في وقته وأعرسهم وأكثرهم جمالا وكان ملكه خمسين سنة وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل وكان يعرف بالمتوج وكان أول من وضع على رأسه تاج الذهب من ملوك اليمن ثم ملك بعده أخوه كهلان ابن سبا فطان عمره وكبر سنه واستقامت له الامور وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل غير ذلك ثم عاد الملك بعد أن هلك كهلان الى ولد حمير لاخبار يطول ذكرها وتنازع في الملك ولد حمير وكهلان ثم ملك أبو مالك عمرو بن سبا

وأصل ملكه وعمر الناس عدله وشملهم احسانه وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل ان أول من ملك وكان

بعد كهلان الرائش وهو الحرث بن ذى سدد ثم ملك جبار بن عالب بن

ذ كان هذا البيت أشد عليه من عض الحديد ولم يزل يعلو به حتى بكى منه بالدموع وهذا الباب ممتد الاطناب وبكى مادره ومزمه فى أضعاف هذا الكتاب انتهى كلام ابن بسام فى الذخيرة بلفظه ولاخفاء انه عارض بالذخيرة قمة الاعالى ولذا قال فى خطة الذخيرة أما بعد حمد الله ولى الحمد وأهله والصلاة على سيدنا محمد خاتم رسله فمن شهد هذا الادب العالى الرتب رسالة تستثير رسل وأبيات تنظم وتفصل تتمثال تلك التيجان العطار على صفحات الازهار وتتصل هذه اتصال القلائد فحور الخرائد ومازال فى أفقنا هذا الاندلسى القصى الى وقتنا هذا من فرسان الامين وأئمة الموسمين قوم هم سهم طيب مكاسر وصفاء جواهر وعذوبة موارد ومصادر لعبوا باطراف الكلام المشغف لعب الدجن بجون المؤزف وجدوا بفنون السحر الممتع جد الاعشى بمسامات الخلى وصبوا على قوالب النجوم سرائب المنثور والمنظوم وباهوا بتحرير النحى والاصائل بعجائب الاشعار والرسائل تثر لولوء البديع لسبى اسمه أو اجتلاء ابن هلال لولاه حكمه ونظم لوسمه كثير من انس ولا مدح أو تتبعه جزول ماعوى ولا نبح الا أن أهل هذا الافق أبوا الامتابعة أهل المشرق يرجعون الى أخبارهم المعادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أوطن باقصى الشام والعراق دباب لحموا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما وأخبارهم الباهرة وأشعارهم السائرة مرمى القصية ومناط المزية لا يعمر بها جنان ولا خلد ولا يصرف فيها لسان ولا يد معاطى منهم ذلك وأنفت مما هنالك وأخذت نفسى تجمع ما وجدت من حساب دهرى وتتبع محاسن أهل بلدى وعصرى غيرة لهذا الافق الغريب أن يعود بدوره أهلة وتصمح بحوره عبادا مصمحلة مع كثرة أدبائه ووفور علمائه وقديما ضيعوا العلم وأهله ورب محسن مات احسانه قبله وليت شعرى من قصر العلم على بعض الزمان وخص أهل المشرق بالاحسان وقد كتبت لارباب هذا الشان من أهل الوقت والزمان محاسن تبهر الالباب وسحر الشعراء والكتاب ولم أعرض لشئ من أشعار الدولة المروانية ولا المدائح العامرية اذ كان ابن فرج الجيانى قد رأى رأيى فى الصفقة وذهب مذهبى من الانفة فاملى فى محاسن أهل زمانه كتاب الحدائق معارضا الكتاب الزهرة للاصبهانى فاصرمت أنا هما ألف ولم أعرض لشئ مما صنف ولا تعديت أهل عصرى مما ناهد نه بعصرى او لحمه أهل دهرى اذ كل مردد سيل وكل متكرر مملول وقد مجت الاسماع

* بادارميه بالعليا فالسند * الى أن قال بعد ذكره انه سوى حمله من المشارقة مثل الشريف المرتضى والقاضى عبد الوهاب والوبرى المغربى وغيرهم ممن يطول ماصورته واعاد كرت هؤلاء انتباها بالى منصور فى تاليفه المشهور المترجم بيتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر انتهى المقصود منه قلت وقد ذكرت مما أنشده فى الهاء قول الباقعة الشاعر المشهور أبى العباس أحمد الغفجومى الشهير بالجدامى وعامة المغرب يقولون الجراوى نسبة لوطنه بنى غفجوم وهم بربر تادلا متوصلا بذلك الى هجو اصلاء فاس بنى المليح ومستطرد الى ذلك ماهو فى اطراده كالماء السجوم وهو

التبريزى بن صيفى بن ثعلب بن سعد وكان ملكه ثمانية وثلاثين سنة ويقال ان هذا الملك هو ابرهة بن الرائش المعروف بذى المنار ثم ملك بعده الرائش بن شداد بن يلطاط وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده ابرهة ابن الرائش وهو ذو منار وكان ملكه مائة وثمانى سنة ثم ملك بعده أخوه المعتمد ابن ابرهة وهو ذو الاذعار وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده الهدهاد ابن شرحبيل بن تبروس الرائش وهو ذو رعين مقدار ملكه فيهم من رأى أنه عاش عشرين ومنهم من ذكر انه عاش ثم ملك الريش ثم ملك الاول وكان ملكه أربعمائة سنة وذكر كثير من الناس أن بلقيس قتلته وقيل غير ذلك والاشهر ما تقدم ثم ملك بعده بلقيس بنت الهدهاد وكان لمولدها خبر طريف ذكره الرواة فيما روى أنه تصور لابيها فى بعض فتنه حيات سوداء وبيضاء فاقتتل السوداء منهما وباظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب

من الجن وان الشيخ زوجها بنته واشترط عليه شروطا وعاهدته بلقيس وتعلقت تلك الشروط المأخوذة عليها

يا ابن السبيل اذا مررت تبادلا * لا تنزلن على بني عفجوم
أرض أغارها العدو فان ترى * الا مجاوبة الصدى للبوم
قوم طووا ذكر السماحة بينهم * لكنهم نشروا لواء اللوم
لا حصن في أموالهم ونوالهم * للسائل العافي ولا المحروم
لا يملكون اذا استبيح حريمهم * الا الصراح بدعوة المظلوم
يا ليتني من غيرهم ولوانني * من أرض فاس من بني الملجوم

وقد ذكر غير واحد من المؤرخين ان أحد بني الملجوم قضاة فاس وأصلائها بيعت أوراق كتبه التي هي غير مجلدة بل متفرقة بستة آلاف دينار ويكفيك ذلك في معرفة قدر القوم ومع ذلك فعاقبتهم معلومة والله سبحانه يغفر الزلات *(رجع) الى ما كنا فيه من ذكر من ارتحل من علماء الاندلس الى البلاد المشرقية المحروسة فنقول *(ومنهم حبيب بن الوليد بن حبيب الداخل الى الاندلس ابن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان) من أهل قرطبة ويعرف بدحون رحل الى المشرق وكان ففيها عالما أديبا شاعرا محسنا ورحل الى المشرق أيام عبد الرحمن بن الحكم وحج ولقي أهل الحديث فكتب عنهم وقدم بعلم كثير وكانت له حلقة بجامع قرطبة يجمع الناس فيها وهو يلبس الوشي الشامي الى أن أوصى اليه الامير عبد الرحمن بترك ذلك فتركه وتوفي بعد المائتين ومن شعره قوله

قال العذول وأين قلبك كلما * رمت اهتداءك لم يزل متحيرا
دلت اتئادا القلب أول خائن * لما تغير من هويت تغيرا
وناى فبان الصبر عني جمله * وبقيت مسلوب العزاء كما ترى

ومن ولده سعيد بن هشام وكان أديبا عالما فقيها رحمه الله تعالى الجميع ودخل دمشق وطنهم الاقدم وعاملها يومئذ للمعتصم بن الرشيد عمر بن فرج الرخجي فوافق دخوله اياها غلاء شديدا ومجاعة أشكت أهلها فصبحوا الى الرخجي أن يخرج عنهم من عندهم من الغرباء القادمين عليهم من البلاد فأمر بالنداء في المدينة على كل من بها من طارئ وابن سبيل ليخرجوا عنها وضرب لهم أجلا ثلاثة أيام أو عدمن تخلف منهم بعدها بالعقاب فابتدر الغرباء الخروج عنها وأقام دحون لم يتحرك فجيء به الى الرخجي بعد الاجل فقال له ما مالك عصيت أمري أو ما سمعت نداتي فقال له دحون ذلك النداء الذي وقفني فقال له وكيف فانتحى له فقال له الرخجي صدقت والله انك لاحق بالاقامة فيها مما فاقم ما أحببت وانصرف اذا شئت وكان لدحون هذا ابن يقال له بشر بن حبيب ويعرف بالحبيبي وهو من المشهورين بغرطبة وأبوه المدنية الراوية عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وبنته عبدة بنت بشر مشهورة وهما رواية عنه رحمه الله تعالى الجميع (ومنهم بهلول بن فتح) من أهل اقليش له رحلة حج فيها وكان رجلا صالحا خيرا حكى عن نفسه انه رأى في منامه بعد قدومه من الحج كأنه بمكة وقائل يقول انطلق بنا نصل مع النبي صلى الله عليه وسلم قال فكنت أقول لرجل من جيراني يا فليش يا أبا فلان انطلق بنا نصل مع النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لي لست أجد الى ذلك سبيلا فكنت أتوجه واصلي مع الناس والنبي صلى الله عليه وسلم امامنا فلما سلم من الصلاة

ثابت عنه في حبر ظريف وهو موجود في كتب التبابعة وانما نحكي هذه الاخبار على حسب ما وجدناه في كتب الاخباريين وعلى حسب ما ترجمه الشعر بعنه والله سبحانه لما وليس بصدد ما من ذلك وصف اوائل اصحاب الندم لانهم يدورون هذا ويمنعونه وانما نحكي في هذا الكتاب اوائل اصحاب الحديث المتقادمين للشرع والمسلمين للحق واخبار الشيطين على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبي المرسل وسائر دلك من الدلائل الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم واعجاز الخليقة أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكان ملك بلقيس عشرين وستة سنة وكان من أمرها مع سليمان عليه السلام مذكر الله عز وجل في كتابه وما اقتص من خبر الهدهد وما اقتص من أمرهم فملكت سبأ اليمن ثلاثا وعشرين سنة ثم عاد بعد ذلك الملك الى حمير فملكهم ناشر النعم بن عمرو ابن يعفر وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ثم ملك بعده ذو شراح يرعش وكان ملكه ثلاثا وستة وعشرين سنة وكان يوسف ذو النواس من بلاد تراسان والتبت والصين وسجستان ثم ملك بعده حسان بن تبع فاستقام له الامر ثم وقع بعد ذلك في ملكه تنازع

رجع

رجع الى وقال لى من اين انت قلت له من الاندلس فكان يقول من اى موضع فكنت اول من مدينة اقليش فيقول لى اتعرف ابا اسحق البوانى فكنت اقول هو جارى وكيت وكيت لا اعرفه فيقول لى أقرئه منى السلام (ومنهم ابو الحسن ثابت بن احمد بن عبد الولى الشاطبى) روى عن ابى زيد عبد الرحمن بن يعيش المهروى ورحل لما سمع منه بالاسكندرية ابو الحسن بن المفضل المقدسى وحدث عنه بالحديث المسلسل فى الاخذ باليد عن ابن يعيش المذكور عن أبى محمد عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد بن خالف الانصارى عن أبى الحسن ظاهر بن مهروز وعليه مداره بالاندلس عن نصر السمرقندى باسناده وهو عند فقهاء الحفاظ ابن الابار وقد رويته مسلسلا من طرق بعضها عن ابن المفضل وأبى بكر بن أبى حمرة عن أبى بحر الاندلسى عن نصر السمرقندى وصار ابن المفضل عنرانه من جملة من سمعه منى والحمد لله تعالى انتهى (ومنهم أبو أحمد جعفر بن اياب بن محمد بن عبد الرحمن بن يونس بن ميمون الحصى) سكن شاطبة وأصله من أنشيان عملها ويكنى أبا الفضل أبو صالح وسمع أبا طاهر بن عوف والحافظ السلفى وأبا عبد الله بن الحضرمى وأبا الثناء الحرانى وبدر بن عبد الله الحبشى والحسن بن المفضل وغيرهم وكان من أهل العناية بالرواية مع الصلاح والعدالة حسن الخط جيد السماع سماه النجيبى فى معجم مشيخته وهو فى عداد أصحابه لاشتراكهما فى السماع بالاسكندرية وتركه هالك ثم قدم عليه تلمسان من شاطبة فى أحد سنة ست وثمانين وخمسمائة وحكى مما أفاده عن ابن المفضل أن أبا عبد الله الكرانى وكان شاعرا مجيدا أتته امرأة ولدها فسألته أن يرثيه فقال

بكى عليه بشجو * فقلت لا تندبيه
هذا رمان عجيب * قد عاش من مات فيه

وأخذ عنه الحافظ أبو الربيع بن سالم وقال انه توفى بعد التسعين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعى العابد) من أهل قطيعة عمل دانية أخذ القراآت عن ابن هذيل وسمع منه ومن ابن العفنة ببلنسية ورحل حاجا فادى الفرضة ودخل الاسكندرية مرارا فلم سمع من السافى ولم سمع منه هو شأفال ابن الابار فيما علمت وقفل الى بلده مائلا الى الزهد والاعراض عن الدنيا وكان شيخ المتصوفة فى وقته وعلا ذكره وبعد صيته فى العبادة الا انه كانت فيه غفلة قال ابن الابار رأيته قدم بلنسية لاحياء ليلة النصف من شعبان سنة احدى عشرة وستمائة وتوفى عن نيف عالية تقارب المائة منتصف ذى القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة وشهد جنازته بشر كثير من جهات شتى وانتاب الناس قبره دهرا طويلا يتبركون بزيارته الى حين اجلاء الروم من كان يشار كهم من المسلمين ببلاد شرق الاندلس التى تغلبوا عليها وذلك فى شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة (ومنهم ابو جعفر النحوى) أندلسى نزل مصر وكان من رؤساء اهل العلم بالنحو ومن له حال جليلة ذكره الطبنى فيما حكاه ابن الابار (ومنهم ابو الحسن جابر بن أحمد بن عبد الله الحررجى العرطنى) وكناه بعضهم ابا الفضل سمع ببلده من ابى محمد بن عتاب وغيره ورحل حاجا فادى الفريضة وكان اديبا ناظما كتب عنه ابو محمد العثمانى بالاسكندرية بعض شعره (ومنهم ابو الحسن

وهو الذال لاخيه حسان الملك الماضى وكان ملكه أربعا وستين سنة ويقال بل عدم القوم لما كان من فعله فى قتل أخيه ثم ملك بعده تبع بن حسان بن كليكرب وهو الملك الظافر من اليمن الى الحجاز وكان له مع الاوس والخزرج حروب وأراد هدم الكعبة فمنعه من كان معه من أحبار اليهود فملكها الصعب اليمانى فسار نحو اليمن وقد تهود وغلب على الامر اليهودية ورجعوا عن عبادة الاصنام وكان ملكه نحو مائة سنة ثم ملك عمرو بن تبع بعد حروب ومدارع كان بينهم فى الملك ثم خلع عن الملك وملك ابنه مرثد بن كلال وكان فى اليمن تنازع وحروب وكان ملكه أربعين سنة ثم مات بعده وكعة بن مرثد وكان ملكه سبعا وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح ابن وكيعة بن مرثد وهو الذى يدعى شبة الحمد وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة وقيل أقل من ذلك وكان علامة وله سير مدونة ثم ملك بعده عمرو بن ذى يزن وكان ملكه تسع عشرة سنة ثم ملك بعده دوشنا ترولم يكن من أهل بيت الملك فغدرى بالاحداث من أبناء الملوك ويقال انهم يطالب بدار وأظهر

الجمهور بن خلف بن ابى عمرو بن قاسم بن ثابت المعافرى) رحل حاجا الى المشرق فادى الفريضة وسمع بالاسكندرية من ابى طاهر السلفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وسمع ايضا من غيره وطال مكثه هنالك وهو فيما رجحه بعضهم من اهل غرب الاندلس *(ومنهم ابو على الحسن بن حفص بن الحسن البهرانى الاندلسى) رحل وتجول ببلاد المشرق فسمع اباعبد الله بن حويه واباحامدا احمد بن محمد بن رجاء بسرخس واباعمد بن ابى شريح بهراة وابا عبد الله الحسين بن عبد الله المفلحى بالاهواز وابابكر احمد بن جعفر البغدادى واباحامد احمد بن الخليل واباحاتم حامد بن العباس واباعمد الحسن بن رشيق بمصر وقدم دمشق فروى عنه مراهلها تمام بن محمد ونيسابور احمد بن منصور بن خلف المغربى وغيره وذكره ابن عساكر وقال اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن احمد بن على بن فطيمة وابو القاسم زاهر بن طاهر قالا انا ابوبكر احمد بن منصور انا ابو على الحسن بن جعفر القضاعى انا الحسن بن رشيق بمصر انا المفضل بن محمد الجندى أنا ابو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى قال سمعت مالك بن أنس يقول لايحمل العلم عن أهل البدع كلهم ولايحمل العلم الا عمن يعرف بالطلب ومجالسة أهل العلم ولايحمل عمن يكذب فى حديث الناس وان كان فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقا لان الحديث والعلم اذا سمع من العالم فقد جعل حجة بين الذى سمعه وبين الله تبارك وتعالى وانما قال فيه القضاعى لان بهران من قضاعة *(ومنهم أبو على الحسن ابن خلف بن يحيى بن ابراهيم بن محمد الاموى) من أهل دانية ويعرف بابن برنجال سمع من أبى بكر بن صاحب الاحباس وأبى عثمان طاهر بن هشام وغيرهما وله رحلة حج فيها وسمع من أبى اسحق ابراهيم بن صائغ القروى وببيت المقدس من أبى الفتح نصر بن ابراهيم سنة خمس وستين وأربعمائة وبعسقلان من أبى عبد الله محمد بن الحسن بن سعيد التجيبى وأخذ عنه كتاب الوقف والابتداء لابن الانبارى بسماعة من عبد العزيز الشعيرى عن مؤلفه وكان فقيها على مذهب مالك وولى الاحكام ببلده وحدث وأخذ عنه وسمع الناس منه باسكندرية سنة تسع وستين ثم بدانية سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وتوفى فى نحو الخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو على الحسن بن ابراهيم بن محمد بن بقى الجذامى المالقى) روى بقرطبة عن أبى محمد بن عتاب وعن أبى سكرة الصدفى بمرسية سنة ثمان وخمسمائة وصحب أبا مروان بن مرة وكان من أهل الرواية والتقييد وكانت له رحلة سمع فيها من أبى الطاهر السلفى مجالسه التى أملاها بسلماس برجب سنة خمس عشرة وخمسمائة حسبما ألفى بخط السلفى وفى رحلته لقيه أبو على الحسن بن على البطليوسى نزيل مكة وحدث عنه أبو طالب أحمد بن مسلم المعروف بالتنوخى من أهل الاسكندرية بكتاب الاستيعاب لابن عبد البر وأجازله اجازة عامة فى السنة السابقة وقال ابن عساكر فى تاريخه وذكر أبا ذر الهروى سمعت أبا الحسن على بن سليمان المرادى الحافظ الاندلسى بنيسابور يقول سمعت أبا على الحسن بن على الانصارى البطليوسى قال ابن عساكر وقد لقيته ولم أسمعها منه قال سمعت أبا على الحسن بن ابراهيم بن بقى الجذامى المالقى يقول سمعت بعض الشيوخ يقول قيل لابى ذر الهروى أنت من هراة فمن أين عذهبت لمالك والاشعرى

التعس باليمن واللواط وعدل مع ذلك فى الرعية وأنصف المظلوم وكان ملكه ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وقتله يوسف ذونواس وكان من أبناء الملوك خوفا على نفسه وانفة أن يفسق به ثم ملك بعده يوسف ذونواس بن زرعة بن تبع الاصغر بن حسان بن كليكرب وقد ذكرنا خبره فى غير هذا الموضع من كتابنا وما كان من أمره مع أصحاب الاخدود وتحريقه اياهم بالنار وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه فقال قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود وليه عبرت الحبشة من بلاد ناصع والزلع وهو ساحل الحبشة على حسب ماذكرنا الى بلاد زبيد من أرض اليمن فغرق يوسف نفسه بعد حروب طويلة خوفا من العار وكان ملكه مائتى سنة وستين سنة وقيل أقل من ذلك وذلك أن النجاشى ملك الحبشة لما بلغه فعل ذى نواس باتباع المسيح عليه السلام وما يعد بهم به من أنواع العذاب والتحريق بالنار بعث اليه الحبشة وعليهم رياط بن اصحمة فملك اليمن عشرين سنة ثم وثب عليه ابرهة الاشرم بن يكسوم فقتله وملك اليمن فلما بلغ ذلك من فعله الى النجاشى غضب عليه وحلف بالمسيح أن يطأ ناصيته ويريق دمه ويطأ تربته يعنى أرض اليمن فبلغ ذلك ابرهة فقال

فقال انى قدمت بغداد أطلب الحديث فلزمت الدارقطنى فلما كان فى بعض الايام كنت معه فاجتاز به القاضى أبو بكر بن الطيب فاظهر الدارقطنى من اكرامه ما تعجبت منه فلما فارقه قلت أيها الشيخ الامام من هذا الذى أظهرت من اكرامه ما رأيت فقال أوما تعرفه قلت لا فقال هذا سيف السنة أبو بكر الاشعرى فلزمت القاضى منذ ذلك واقتديت به فى مذهبه انتهى (ومنهم أبو على الحسن بن على بن الحسن بن عمر الانصارى البطليوسى) رحل الى المشرق فادى الفريضة وتحول هناك ولقى أبا الحسن بن الفرج الصقلى وأبا عبد الله الغراوى فسمع منهما الصحيحين بعلو وسمع من ابى الفتح ناصر بن أبى على الطوسى سنن أبى داود وحدث بالموطأ عن أبى بكر الطرطوشى وله أيضا رواية عن زاهر بن طاهر الشحامى وعبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى وأبى محمد الحريرى سمع منه مناولة الحسين بن بستانة من بغداد ونزل بمكة وجاور بها وحدث فيها وفى غيرها وأسن وكان ثقة مسندا روى عنه أبو عبد الله بن أبى الصيف اليمنى وابو حفص بن شراحيل الاندلسى وابو عبد الله محمد ابراهيم الاربلى وسمع منه فى صفر سنة ست وستين وخمسمائة وقد لقيه أبو القاسم بن عساكر الحافظ وروى عنه * (ومنهم أبو على الحسن بن محمد بن الحسن الانصارى) من أهل المرية عمل بلنسية ويعرف بابن الرهبيل سمع من أبى الحسن بن النعمة كثيرا واختص به وعنه أخذ القراآت وسمع من ابن هذيل أيضا ثم رحل حاجا فلقى بالاسكندرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أبا طاهر السلفى وابا عبد الله بن الحضرمى وسمع منهما وجاور بمكة واخذ بها عن ابى الحسن على بن حميد الطرابلسى صحيح البخارى وكان يرويه عن ابى مكتوم عيسى بن ابى ذر الهروى عن ابيه وسمع ايضا من ابى محمد المبارك بن الصباح البغدادى واجازله ابو المعالى سعيد بن الحسين الهاشمى وابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلى بجايه عند صدره فى ربيع الاول سنة سبع وسبعين وقفل الى بلده فلزم الانقطاع والانقباض عن الناس والاقبال على ما يعنيه وكان قد خطب به قبل رحلته وحكى التجيبى ان طلبة الاسكندرية راجعوا عليه لسماع التيسير لابى عمرو المقرى منه بروايته عن ابن هذيل سماعا على سنة ثلاث وخمسين وصار له بذلك عندهم وجاهة وبعد قفوله اصابه خدر منعه من التصرف وكان الصلاح غالبا عليه وتوفى غدوة الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وكانت جنازته مشهودة رحمه الله تعالى * (ومنهم الحسين بن احمد بن الحسين بن حى التجيبى القرطبى) اخذ علم العدد والهندسة عن ابى عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن برغوث وكان كلفا بصناعة التعديل وله زيج مختصر ذكره القاضى صاعد ونسبه وحكى انه خرج من الاندلس فى سنة اثنتين واربعين واربعمائة بعد ان نالته بها وبالبحر محن شداد ولحق بمصر ثم رحل عنها الى اليمن واتصل بامرها فحظى عنده وبعثه رسولا الى القائم بامر الله الخليفة ببغداد ونال هناك دنيا عريضة وتوفى باليمن بعد انصرافه من بغداد سنة ست وخمسين واربعمائة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو يوسف حماد بن الوليد الكلاعى) اخذ بقرطبة عن ابى المطرف القنازعى وغيره ورحل الى المشرق وحدث بالاسكندرية فسمع منه بها يحيى بن ابراهيم بن عثمان بن شبل شرح الاعتقاد من تاليفه ورسالة نصح الحرص وقصر

اليمن فى جراب وانفذ ذلك الى النجاشى ملك الحبشة وضم الى ذلك هدايا كثيرة وألطافا وكتب اليه يعترف بالعبودية ويحالفه له بدين النصرانية أنه فى طاعته وأنه بلغه أن الملك حلف بالمسيح أن يحسر ناصر ويريق دمه ويطأ أرضه وقد انعمت الى الملك ناصر فى فايجزها بيده ويدمى فى فاروره فليهرقه وبجراب من تربة بلادى فليطأه بقدميه وليطفئ الملك عنى غضبه فقد أبررت يمينه وهو على سرير ملكه فلما وصل ذلك الى النجاشى استصوب رأيه واستحسن عقله وصنع عمه * وأبرهة بن الصوم هو الذى سار باصحاب الفيل لاخراب الكعبة وذلك لاربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان فعدل الى الطائف فبعثت معه ثقيف بابى رغال ليدله على الطريق السهل الى مكة فهلك أبو رغال فى الطريق بموضع فقال له المغمس بين الطائف ومكة فرجم قبره بعد ذلك وفى ذلك يقول جرير بن الخطفى فى الفرزدق اذا مات الفرزدق فارجموه كما رجموا قبر ابى رغال

 (قال المسعودى) رحمه الله وقيل ان أبا رغال رجمه صالح النبى صلى الله عليه وسلم على ما ذكره

الامل والحث على العمل وذلك فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ولقيه هنالك أبو مروان الطبنى فسمع منه بعض فوائده * (ومنهم أبو القاسم خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير) من أهل طرطوشة يعرف بالجبيرى وهو والد أبى عبيد القاسم بن خلف الجبيرى الفقيه وكانت له رحلة الى المشرق ومعه رحل ابنه وهو صغير وكان من أهل العلم والنزاهة وعليه نزل القاضى منذر بن سعيد بطرطوشة فى ولايته قضاء الثغور الشرقية قال ابو عبيد نزل القاضى منذر بن سعيد على أبى بطرطوشه وهو يومئذ يتولى القضاء فى الثغور الشرقية قبل أن لى قضاء الجماعة بقرطبة فانزله فى بيته الذى كان يسكنه فكان اذا تفرغ نظر فى كتب أبى ذر على يديه كتاب فيه ارجوزة ابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر بلياتهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بنى مروان الى عبد الرحمن بن محمد فلما رأى ذلك منذر غضب وسب ابن عبد ربه وكتب فى حاشية الكتاب

أوما على لا برحت ماعنا * يا ابن الحبيثة عندكم يا مام
رب الكساء وخير آل محمد * دانى الولاء مقدم الاسلام

قال ابو عبيد والابيات مخطوطة فى حاشية كتاب ابى الى الساعة وكانت ولاية منذر للثغور مع الاشراف على العمال بها والنظر فى المختلفين من بلادها فرجع اليها سنة ثلاثين وثلثمائة (ومنهم أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف الغرناطى) له رحلة روى فيها بالاسكندرية عن مهدى بن يوسف الوراق وحدث عنه أبو العباس بن عيسى الدالى بالتلمين للقاضى عبد الوهاب * (ومنهم أبو القاسم خلف بن فرج بن خلف بن عامر بن خلون القنطرى) من قنطرة السيف وسكن بطليوس ويعرف بابن الروبة رحل حاجا فادى الفريضة ولقى بمكة رزين ابن معاوية الاندلسى فحمل عنه كتابه فى تجريد الصحاح سنة خمس وخمسمائة وفيها حج وقفل الى بلده بعد ذلك وكان حيا بها مشاورا وحدث عنه ابن خير فى كتابه اليه من بطليوس فى نحو الثلاثين وخمسمائة (ومنهم زرارة بن محمد بن زرارة الاندلسى) رحل حاجا الى المشرق وسمع بمصر أبا محمد الحسن بن رشيق سنة سبع وستين وثلثمائة وأبا بكر مسرة بن مسلم الصدفى حدث وأخذ عنه (ومنهم ظاهر الاندلسى من أهل مالقة يكنى أبا الحسين) رحل الى قرطبة وخرج منها لما دخلها البربر عقوة سنة ثلاث وأربعمائة فلم يزل بمكة الى حدود الخمسين وأربعمائة وكان من أصحاب أبى عمر الطلمنكى وملازميه لقراءة القرآن وطلب العلم مع أبى محمد الشنجانى وأبى أيوب الزاهد امام مسجد الكوائين بقرطبة وجاور بمكة طويلا وأقرأ على مقربة من باب الصفا وكان الشيبيون يكرمونه ويفرجون له لضعفه عند دخوله البيت الحرام ذكره الطبنى قال ابن الابار وأحسبه المذكور فى برنامج الحرانى والذى قرأ لهم أكثر المدونة على أبى عمر أحمد بن محمد الرياحى انتهى * (ومنهم أبو الطاهر الاندلسى من أهل لبلة) نزل مصر وكانت له حلقة بجامع عمرو بن العاص وكان رحمه الله تعالى نحويا له شعر وترسيل وتعلق بالملوك للتاديب بالنحو ثم ترك ذلك * (ومنهم أبو محمد طارق بن موسى بن يعيش المنصفى المخزومى) والمنصفى نسبة الى قرية بغربى بلنسية ويكنى أيضا أبا الحسن رحل قبل العشرين وخمسمائة فادى الفريضة وجاور بمكة وسمع بها من أبى عبد الله الحسين بن على الطبرى ومن

الاموال فخالف أمره سيرته فى أهل الحرم فقتال غيلان بن سلمة وذكر قسوة أبيهم ثقيف على أبى رغال

نحسر قيسى وساأبونا وفى ذلك يقول أمية بن أبى الصلت الثقفى

عواعن أرضهم عدمان طرا

وكانوا للعساتل فاهربنا

وهم قتلوا الرئيس ابا رغال

بمكة اذ سوف بها الوضينا

وفى ذلك يقول عمرو بن ذرالك العبدى

ترانى ان نضحت حبال نفس

وخالفت المرور على بهم

لاعظم من حمار أبى رغال

وأجور فى الحكومة من سدوم

وقال مسكين الدارمى

وأرجم قبره فى كل عام

كرجم الناس قبر أبى رغال

وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب قصة الحبشة وورودهم الحرم وما كان من أمرهم فى ذلك قال وفى طريق العراق الى مكة وذلك بين الثعلبية والهند نحو الخمسين موضع يعرف بقبر العبادى نرجعه المارة الى هذه الغاية كما ترجم قبر أبى رغال وللعبادى خبر طريف قدمنا على ذكره فى كتاب أخبار الزمان وفى كتاب حدائق الشريف

الشريف أبى محمد عبد الباقى الزهرى المعروف بشقران أخذ عنه كتاب الاحياء للغزالى لمؤلفه وسمع بالاسكندرية من أبى بكر الطرطوشى وأبى الحسن بن مشرف وأبى عبد الله الرازى وأبى طاهر السلفى وغيرهم ثم قفل الى بلده فحدث وأخذ الناس عنه وسمعوا منه وكان شيخا حافظا عالى الرواية ثقة قال ابن عباد لم ألق أفضل منه وكان مجاب الدعوة وحدث عنه بالسماع والاجازة جماعة منهم أبو الحسن بن هذيل وأبو محمد القلتى وأبو مروان بن الصيقل وأبو العباس الاقليشى وأبو بكر بن حمرو ابن سعد الخير وأبو محمد عبد الحق الاشبيلى وأبو بكر ابن جزى وغيرهم ثم رحل ثانية الى المشرق مع صهره أبى العباس الاقليشى وأبى الوليد بن حيرة الحافظ سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وقد نيف على السبعين فاقام بمكة مجاورا الى أن توفى بها عن سن عالية رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وخمسمائة : (ومنهم محمد بن ابراهيم ابن مزين الاودى) من أهل الكثونية غربى الاندلس يكنى أبا مصر ولاه عبد الرحمن بن معاوية قضاء الجماعة بقرطبة وذلك فى المحرم سنة سبعين ومائة وأقام أشهرا ثم استعفى فاعفاه ورحل حاجا فادى الفريضة وسمع فى رحلته امامنا مالك بن أنس وانصرف ومات عن سن عالية سنة ثلاث وثمانين ومائة وذكره ابن شعبان فى الرواة عن مالك وحكى انه روى عنه من قطع لسانه استثنى به عاما وأن مالكا قال له قد بلغنى أن بالاندلس من نبت لسانه فان لم ينبت أفيدا انتهى : (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد حياز الشاطبى الاوسى) قدم مصر وكان أخذ عن ابن برطله وابن البراء وغيرهما وعمل فهرست شيوخه على حروف المعجم وحج وعاد الى بلده ومات يوم الجمعة حادى عشر رجب سنة ثمانى عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى وغفر له (ومنهم القاضى أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن على بن شريعة بن رفاعة من صخر بن سماعة اللخمى الاندلسى الاشبيلى) قال أبو شامة هو من بيت كبير بالاندلس يعرف بنى الباجى مشهور كثير العلماء والعلماء وأصلهم من باجة القيروان وليس منهم القاضى أبو الوليد الباجى الفقيه فانه من بيت آخر من باجة الاندلس وقدم ابو مروان حاجا من بلاده فى البحر الى عكا من ساحل دمشق ثم دخل دمشق سادس شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة ونزل عند بابا المدرسة العادلية وجده لامه على أحمد بن عبد الله بن محمد بن على قدم الى الديار المصرية وحج منها ومعه ولده محمد أخو عبد الملك ويعرف بصاحب الوثائق وسمعا بها من جماعة من العلماء وذكر أبو عبد الله الحميدى أحمد بن عبد الله هذا فى المقتبس وكناه أبا عمر وذكر انه سكن اشبيلية وأثنى عليه كثيرا وقال مات فى حدود الاربعمائة وروى عنه ابن عبد البر وغيره وأبوه عبد الله بن محمد ابن على يعرف بالرواية ذكره الحميدى أيضا وذكر ابن بشكوال فى الصلة عبد الملك بن عبد العزيز جد هذا الشيخ القادم وأثنى عليه وقال توفى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وكان هذا الشيخ أبو مروان حسن الاخلاق فاضلا متواضعا محتشما وسمعته يقول وقد سئل اعارة شئ فبادر اليه ثم قال عندى فى قوله تعالى ويمنعون الماعون هو كل شئ واستفدت من هذا الشيخ فائدة جليلة وهى معاينة قبر محمد النبى صلى الله عليه وسلم وهو عندهم متوارث وقد أخبر عن ذلك أبو محمد بن حزم فى كتابه المحلى وعاينت بذلك المدد المدى لمابد مشق حيث ذ

اليمن الى أن هلك بعد أن رجع من الحرم وقد سنطت أنامله وتقطعت أوصاله حين بعث الله عليه الطير الابابيل ثلاثا وأربعين سنة وكان قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين سنة للاسكندر وست عشرة سنة ومائتين من تاريخ العرب الذى أوله حجة العدد وسنذكر بعد هذا فى الموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم وتاريخ الانبياء والملوك فى باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى (ثم ملك اليمن بعد ابرهة الاشرم ولده يكسوم) فعم اداه سائر اليمن وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة (ثم ملك بعده مسروق ابن ابرهة) فاشتدت وطأته على اليمن وعم اذاه سائر الناس وزاد على أبيه وأخيه فى الاذى وكانت أمه من آل ذى يزن وكان سيف بن ذى يزن قد ركب البحار ومضى الى قيصر ملك الروم فلم يسمع به سمع سنين وابى أن يفعله وقال أنتم يهود والحبشة نصارى وليس فى الدنيا به

أن بمصر المخالف على المواعى فمضى الى كسرى أنوشروان واستنجده ومت اليه بالقرابة وسأله النصرة فقال له كسرى وما

وهو الكيل الكبير فوجد مدنا سع صاعين الا يسيرا ووجدته مسوحا يسع صاعا ونصفا وشيأ فيكون مدان ممسوحان ثلاثة آصع زائدة وقرأت فى كتاب المحلى لابن حزم قال أبو محمد وخرجت لى مدا على تحقيق المد المتوارث عند آل عبد الله بن على الباجى وهو عند أكثرهم لا يفارق داره أخرجه الى ثقتى الذى كلفته ذلك على بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن على المذكور وذكر انه مد أبيه وان جده أخذه وخرطه على مد أحمد بن خالد وأخبره أحمد بن خالد انه خرطه على مد يحيى بن يحيى على مد مالك قال أبو محمد ولا شك ان أحمد بن خالد صححه أيضا على مد محمد بن وضاح الذى صححه بن وضاح بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام قال ابو محمد ثم كلته بالقمح الطيب ثم وزنته فوجدته رطلا واحدا ونصف رطل بالفلفلى لا يزيد حبة وكلته بالشعير الا انه لم يكن بالطيب فوجدته رطلا واحدا ونصف أوقية وسألت عن الرطل الفلفلى فقيل لى هو ستة عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم وفى تقدير ابن حزم نظر وتوفى هذا الشيخ بالقاهرة سنة خمس وثلاثين وستمائة بعد رجوعه من الحج رحمه الله تعالى انتهى كلام أبى شامة وبعضه بالمعنى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الواعظ الاشبيلى ثم المصرى) فاضل شرح الصدور بلفظه ومتكلم أحيا القلوب بوعظه أحواله مشهورة ومجالسه بالذكر معمورة وله معرفة بالادب وخبرة بالشعر والخطب وكلام وجيه حسن ونظم بمتازيه على كثير من أرباب اللسن قاله ابن حبيب الحلبى قال وهو القائل

من أنت محبوبه من دابعيره * ومن صفوت له من دايكدره
هيهات عملك ملاح المكون تشعلى * والكل أعراض حسن أنت جوهره

وقال

اكشف البرقع عن بكر العقار * واخل لى ليلك مع شمس النهار
وانهب العيش ودعه غلطا * ينقضى ما بين هتك واستتار
ان تكن شيخ خلاعات الصبا * فالس الصبوة فى خلع العذار
وارض بالعار وقل قد آن لى * فى هوى خمار كاسى لبس عار

وقال

حثوا الى نجد نياق الهوى * ثم واد جتوه معشب
وانتظروا حتى يلوح الحمى * فالعيش فيه طيب طيب

وتوفى سنة أربع وثمانين وستمائة هكذا ذكر ترجمته ابن حبيب ثم بعد كتبها حصل لى شك هل هو ممن ارتحل بنفسه من الاندلس أو ولد بمصر وانما ارتحل اليها بعض سلفه والله تعالى أعلم وكذا ذكر آخر يقول فى سنة سبع وثمانين وستمائة وبها توفى الامام زكى الدين أبو اسحق ابراهيم بن عبد العزيز بن يحيى بن على الاشبيلى المالكى محدث عالم زاهد فيما ليس بدائم كثير الخير جزيل المبر كان حسن المناهج قاضيا للحوائج محسنا الى الصامت والمعرب مقصدا لمن يرد من الحجاز والمغرب سمع بمصر ودمشق وحلب وأفتى ودرس مفيد الذوى الطلب ولم يبرح يعين بإياديه ويغيث وهو أول من باشر بظاهرية دمشق مشيخة الحديث وكانت وفاته بدمشق عن نيف وسبعين سنة انتهى * (ومنهم الاحق بالسبق والتقدم تقى بن

هذه الغرابة التى أدليت بها الى فقال أيها الملك الجبلة وهى الجلدة البيضاء اذ كنت أقرب اليك منهم فوعده أنوشروان بالنصرة على السودان وشغل بحرب الروم وغيرها من الامم ومات سيف بن ذى يزن فأتى ابنه معديكرب بن سيف فصاح على باب الملك فلما سئل عن حاله قال لى قبل الملك ميراث فوقف بين يدى أنوشروان فسأله عن ميراثه فقال أنا ابن الشيخ الذى وعده الملك بالنصرة على الحبشة فوجه معه وهرز اصهيد الديلمى فى أهل السجون فقال ان نجوا قتلناوان هلكوا قتلنا وكلا الوجهين فتح فحملوا فى السفن ومعهم خيولهم وعددهم وأموالهم حتى اتوا ايله البصرة وهى برج البحر ولم يكن حينئذ بصره ولا كوفة وهذه مدن اسلامية فركبوا فى سفن البحر وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت بموضع يقال له مثوب فخرجوا من السفن وقد كان أصاب بعضهم فى البحر آفات منهم وهرز أن يحرقوا السفن ليعلم والله الموت ولا وجه يؤملون المير اليه يجهدون أنفسهم وفى ذلك يقول رجل من حضرموت

أصبح من مثوب ألف فى الجبن * من رهط ساسان ورهط مهرسن

لم يسرجوا السودان من أرض اليمن * لهم قصد السبيل ذو يزن

في شعره طويل وغير ما خبرهم الى ملك اليمن مسروق بن ابرهة فاتاهم في مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ومن سائر من سكن اليمن من الناس وتصاف القوم وكان مسروق على فيل عظيم فقال وهرز لمن كان معه من الفرس اصدقوهم الحبر واستشعروا الصبر ثم قال لهم وقد نزل من الفيل ركب جملا ثم نزل عن الجمل فركب فرسا ثم انف أن يحارب على فرس فركب حمارا استصغارا لاصحاب السفن وقتال وهرز ذهب ملكه وتنقل من كبير الى صغير وكان بين عيني مسروق ياقوتة حمراء معلقة في ناجيه معلاة من الذهب تضيء كالنار فرمى وهرز ورمى القوم وقال وهرز لاصحابه قد رميت ابن الحمارة فانظروا ان كان القوم يجتمعون عليه ويتفرقون عنه فقد هلك فنظروا اليهم يجتمعون ويتفرقون عنه فاخبروه بذلك فقال احملوا على القوم واصدقوهم فانكشفت الحبشة واخذهم السيف ورفع رأس مسروق ورؤس خواص الحبشة ورؤسائهم وقتل منهم نحو ثلاثين الفا وقد كان ابو شروان اشترط على معد يكرب شروطا منها ان الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها وفي ذلك يقول الشاعر

المخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن القرطبي الاندلسي الحافظ أحد الاعلام وصاحب التفسير والمسند) أخذ عن يحيى بن يحيى الليثي ومحمد بن عيسى الاعشى وارتحل الى المشرق ولقي الكبار وسمع بالحجاز مصعبا الزهري وابراهيم بن المنذر وطبقتهما وبمصر يحيى بن بكير وزهير بن عباد وطائفة وبدمشق ابراهيم بن هشام الغساني وصفوان بن صالح وهشام بن عمار وجماعة وببغداد أحمد بن حنبل وطبقته وبالكوفة يحيى بن عبد الحميد الحماني ومحمد بن عبد الله بن نمير وأبا بكر بن أبي شيبة وطائفة وبالبصرة أصحاب حماد بن زيد وعني بالاثر عناية عظيمة لا مزيد عليها وعدد شيوخه مائتان وأربعة وثلاثون رجلا وكان اماما زاهدا صوّاما صادقا كثير التهجد مجاب الدعوة قليل المثل مجتهدا لا يقلد بل يبني بالاثر ولد في رمضان سنة احدى ومائتين وتوفي في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين قال ابن حزم أقطع انه لم يؤلف في الاسلام مثل تفسيره لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره وكان محمد بن عبد الرحمن الاموي صاحب الاندلس محبا للعلوم عارفا بها فلما دخل بقي بن مخلد الاندلس بمصنف ابن أبي شيبة وقرئ عليه أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف واستبشعوه وقام جماعة من العامة عليه ومنعته من قراءته فاستحضره الامير محمد واياهم ونصفح الكتاب جزأ جزأ حتى أتى على آخره ثم قال لخازن كتبه هذا الكتاب لا تستغني خزائننا عنه فانظر في نسخه لنا وقال لبقي انشر علمك وارو ما عندك ونهاهم أن يتعرضوا له قال ابن حزم مسند بقي روى فيه عن ألف وثلثمائة صاحب ونيف ورتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه فهو مسند ومصنف وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وله مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين ممن ذكرهم أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة وعلى مصنف عبد الرزاق وعلى مصنف سعيد بن منصور ثم ذكر تفسيره فقال وصارت تصانيف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان مخيرا لا يعلد أحدا وكان جاريا في مضمار البخاري ومسلم والنسائي وذكر القشيري أن امرأة جاءته فقالت له ان ابني قد أسرته الفرنج واني لا أنام الليل من شوقي اليه ولي دويرة أريد أن أبيعها لافتكه بها فان رأيت ان تشير الى من يأخذها ويسعى في فكاكه فليس لي ليل ولا نهار ولا صبر ولا قرار فقال نعم انصرفي حتى تنظري في ذلك ان شاء الله تعالى وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله عز وجل لولدها بالخلاص فذهبت فما كان غير قليل حتى جاءت وابنها معها فقالت اسمع خبره يرحمك الله تعالى فقال كيف كان أمرك فقال اني كنت فيمن يخدم الملك ونحن في القيود فبينا انا ذات يوم أمشي اذ سقط القيد من رجلي فأقبل على الموكل بي مشتمني وقال فككت القيد من رجليك فقلت لا والله ولكن سقط ولم أشعر فخاؤا بالحداد فاعاده وسمر مسماره وأبده ثم قمت فسقط أيضا فسألوا رهبانهم فقالوا ألك والدة فقلت نعم فقالوا انه قد استجيب دعاؤها له فأطلقوه وأطلقوني وخفروني الى أن وصلت الى بلاد الاسلام فسألته بقي عن الساعة التي سقط القيد من رجليه فيها فاذا هي الساعة التي دعا له فيها فرحمه الله تعالى: (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق يوسف بن يحيى بن يوسف الازدي المعروف بالمغامي) من أهل قرطبة وأصله من طليطلة وهو من ذرية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه سمع من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وروى عن عبد الملك

ابن حبيب بمصنفاته وارتحل الى مصر وسمع من يوسف بن يزيد القراطيسي وعاد الى الاندلس وكان فقيها نبيلا فصيحا بصيرا بالعربية ثم بعد عوده من مصر أقام بقرطبة أعواما ثم عاد الى مصر وأقام بها وسمع الناس منه وعظم أمره بالبلاد المشرقية ثم انه عاد الى المغرب وتوفي بالقيروان سنة ثمان وثمانين ومائتين وبين بمصر الواضحة لابن حبيب وصنف شيأ في الرد على الشافعية في عشرة أجزاء وألف كتاب فضائل مالك رضي الله تعالى عنه والذي يرتضى أن من قلد اماما من المجتهدين لا ينبغي له أن يغض من قدر غيره وان كان ولا بد من الانتصار لمذهبه وتقوية حجته فليكن ذلك بحسن أدب مع الائمة رضي الله تعالى عنهم فانهم على هدى من ربهم وقد حمل بعض الناس فحمله التعصب لمذهبه على التصريح بما لا يجوز في حق العلماء الذين هم نجوم الملة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد حكى أبو عبد الله الوادي آشي حسبما رأيته بخطه أن القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي ألف كتابا بالبصرة مذهب مالك على غيره من المذاهب في مائة جزء وسماه النصرة لمذهب امام دار الهجرة فوقع الكتاب بخطه بيد بعض قضاة الشافعية بمصر فغرقه في النيل فقضى الله تعالى أن السلطان فرج بن برقوق سافر الى الشام ومعه القضاة الاربعة وغيرهم من الاعيان لدفع تيمورلنك عن البلاد فلم يستطع شيأ وهزم الى مصر وتفرقت العساكر وأخذ القضاة والعلماء أسارى ومن جملتهم ذلك القاضي فبقي في أسر تيمورلنك الى أن ارتحل عن الشام فأخذه معه أسيرا الى أن وصل الى الفرات فغرق فيه أعني القاضي فرأى بعض الناس أن ذلك بسبب تغريقه الكتاب المذكور والجزاء من جنس العمل والله تعالى أعلم وقد نجى الله تعالى من هذه الورطة قاضي القضاة أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المالكي صاحب كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر فانه كان من جملة القضاة الحاضرين في الهزيمة فلما أدخلوا على تيمورلنك قال لهم ابن خلدون قدموني للكلام تكلموا ان شاء الله تعالى والا فأنتم أخبر فقدموه وعليه زي المغاربة فلما رآه تيمورلنك قال له ما أنت من هذه البلاد وتكلم معه بلسانه فاذا ابن خلدون بلسانه وكان آية الله الباهرة ثم قال لتيمورلنك اني ألفت كتابا في تاريخ العالم وحليته بذكرك أو كما قال وتقال ان تيمورلنك هو الذي قال له بلغني انك ألفت كتابا في تاريخ العالم ثم قال له تيمورلنك كيف ساغ لك أن تذكرني فيه وتذكر بختمصر مع أناخوبنا العالم بفتح اللام ابن خلدون أفعالكما العظيمة الحقة تكما بالذكر مع ذوي المراتب الجسيمة أو نحو هذا من العبارات فاعجبه ذلك وقيل انه لما أنس بابن خلدون قال له ياخوند ما أسفي الا على كتاب ألفته في التاريخ وأنفقت فيه أيام عمري وقد تركته بمصر وان عمري الماضي ذهب ضياعا حيث لم يكن في خدمتك وتحت ظل دولتك والآن أذهب فآتي بهذا الكتاب وأرجع سريعا حتى أموت في خدمتك ونحو هذا من الكلام فاذن له فذهب ولم يعد اليه وقال بعض العلماء انه لم ينج من يد ذلك الجبار أحد من العلماء غير ابن خلدون ورجل آخر وقد ذكر ذلك ابن عرب شاه في عجائب المقدور وقد طال عهدي به فليراجع وحكى غير واحد أن تيمورلنك لما أخذ حلب على الوجه المشهور في كتب التاريخ جمع العلماء فقال لهم على عادته في التعنت قتل

حمير اسم بلغة السودان
بليوت من آل ساسان
ثوس
يمنعون الحريم بالمران
و يعفر بواتر تتلالا
كسي البرق في ذرا الابدان
مثلما مسروق اذ تاه لما
أن تداعت قبائل الحبشان

وقلما ما قوته بين عديسه بذ شابه العتي الساساني وهرز الديلمي لما رآه برابط الجأش ثابت الاركان

منا ومنكم جماعة فمن الذى فى الجنة قتلانا أو قتلاكم وكان مراده ابراز سبب نقتلهم لانهم ان قالوا أحد الامرين هلكوا فقال بعض العلماء وأظنه ابن الشحنه دعونى اجيبه والا هلكتم فتركوه فقال له ياخوند هذا السؤال أجاب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه فغضب وقال كيف يمكن أن يجيب عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن لم نكن فى زمانه أو كلاما هذا معناه فقال العالم المذكور رونا فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ليذكر ويرى مكانه من الذى فى الجنة فقال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو الذى فى الجنة أو كما قال صلى الله عليه وسلم فعجب مورلنك من هذا الجواب المفحم الملكت رحوله أن يعجب منه فان هذا لا حوجه الى يعمل بظاهره وبها الخلاص على كل حال بالاعتراف وبدوى الله تعالى هذا العالم الجزاء حتى يخلص على يده أولئك الاقوام من الطاعية الجبار العنيد الذى جعل الله تعالى فتنته فى الاسلام وفتنه جنكزخان وأولاده من أعظم الفتن التى وهى بها المسلمون وذكر بعض العلماء أن ابن خلدون لما أقبل على يمورلنك قال له دعنى أقبل يدك فقال ولم فقال له لا بها معالم الاقاليم يشير الى انه فتح خمسة أقاليم وأصابع يده خمسة فلكل أصبع اقليم وهذا أيضا من دهاء ابن خلدون وقد كدنا نخرج عن المقصود فى هذه الترجمة لمصرف العنان والله سبحانه المستعان * (ومن الراحلين من الاندلس الامام الحافظ أبو بكر بن عطيه رحمه الله تعالى) قال الفقيه شيخ العلم وحامل لوائه وحفظ حديث النبى صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه شرح الله تعالى لحفظه صدره وطاول به عمره مع كونه فى كل علم وافر النصيب ياسر اما المعلى والرفيع رحل الى المشرق لاداء الفرض لانس بردمن العمر العض وروى وقيد ولى العلما واسند وأبى تلك المآثر وحلد شأفى نبذة كريمه وأروته من الشرف عيرومه لم يرل فيها على وجه الزمان أعلام علم وارباب مجد صخم قد قيدت مآثرهم الكتب واطلعهم التواريخ كالشهب ومارح الفقيه ابو بكر يتسم كواهل المعارف وغوارها و يقيد شوارد المعانى وسرائرها لا تصلاعه بالادب الذى احكم اصوله وفروعه وعمر برهه من شبيبته ربوعه و رزقيه تبر الحراد المسنولى على الامد وجلى من نفسه به كما جلى الصمال عن النصل البرد وشاهد ذلك ما اثبته من نظمه الذى يروق جله وتفصيلا ويقوم على قوة المعارضة دليلا من ذلك قوله محذرا من حظا الزمان وميله على المحفظ من الانسان

كن بدئب صائده نائما ... واذا ابصرت اذا ما عثر
انما الانسان بحسن الله ... ساحل فاحذره اياك الغرر
واجعل الناس كشخص واحد ... ثم كن من ذلك الشخص حذر

وله فى الزهد

ايها المطرود من باب الرضا ... كم يراك الله تلهو وتعرضا
كم الى كم انت فى جهل الصبا ... قد مضى عمر الصبا والغرض
ثم اذا الليل دجت ظلمته ... واستلد الجفن ان يغتمضا

ومساعلى بنى قحطان
وفى ذلك يقول الشعرى
عند مدح اثناء العجم ويذكر
فضل العرس على اخلافه
لانه من قحطان
فكم لكم من يدبر كواثناء
بها
وعهد زهاها فى على
الزمن
ان معلوها ملتب : ز
احمكم
ولابد كانا بلم على اليمن
نام جلى الوشرون حدكم
ساعة الدل عن سيف بن
ذى يزن
اذ لا يزال حون العرس
داعيه
بالصبر والصعن عن سمعا
وعن عدن
اذ هو المسعم الجسدى
ونحو هو
من فارسكم بفصل القول
والمس
(قال المسعودى) وان
معدى كرب ابن عبد من
العرب يهديه عود الملك
اليه وأشراف العرب
وزعماؤها وهو يومئذ عند المطلب
ابن هاشم فلما
وجه اليه
عبد المطلب من قصى وبعد
امية بن ابى الصلت الثقفى
وقيل ابو الصلت ابنه
فحملوا اليه وهو فى
قصره بمدينة صنعاء

المعروف بغمدان وهو مصمخ بالعنبر وسواد المسك يلوح على مفرقه وسيفان بين يديه وعلى عينه ويسار الملوك وابناء

جل جلاله قد احلك ايها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وانتك منبتا طابت اروماته وعزت جرومته ونبتت اصوله وبسق فرعه في اكرم معدن واطيب موضع وموطن فانت ابيت اللعن راس العرب وبيعتها الذي يخضب له وانت ايها الملك ذروة العرب الذي اليه السعاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي يلتجئ اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنسلهم خير خلف فلن يحمد ذكرك ولن يهلك من انت حامله ايها الملك نحن اهل الله وسدنة بيته أتيناك يا ايها الملك الذي ايدته من كشف الكرب فرحا ونحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة فقال له الملك وانهم انت أيها المتكلم فقال انا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فعجل الملك معد يكرب بن سيف ابن اختنا قال نعم قال أدنوه مني فادناه ثم اقبل عليه وعلى الوفد فقال لهم مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا مجللا يعطي عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف فرابتكم فانتم اهل الليل والنهار لكم الكرامة ما اقمتم

فضع الخد على الارض ونح * واقرع السن على ما قد مضى

وله في هذا المعنى

قلبي يا قلبي المعنى * كم أنادي فلا اجيب
كم أعادي على ضلال * لا أرعوي لا ولا أنيب
ويلاه من سوء ما دهاني * يتوب غيري ولا أتوب
وأسي كيف برء دائي * دائي كما شاءه الطبيب
لو كنت ادنو لكنت أشكو * ما أنا مس بابه قريب
أبعدني منه سوء فعلي * وهكذا يبعد المريب
مالي قدر وأي قدر * لمن أحلت به الذنوب

وله في هذا المعنى أيضا

لا تجعلن رمضان شهر سكاهة * تلهيك فيه عن التقى ذنوبه
واعلم بانك لا تنال قبوله * حتى تكون تصومه وتصونه

وله في مثل ذلك

ان لم يكن في السمع مني تصاون * وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي اذا من صومي الجوع والظما * وان قلت اني صمت يوما فما صمت

وله في المعنى الاول

جعلت أياسا كنت آلف وصلهم * وما في الجفا عند الضرورة من باس
بلوت فلم أحمد وأصبحت آيسا * ولا شيء أشفى للنفوس من اليأس
فلا تعدلوني في العباس فاني * رأيت جميع الشر في خلطة الناس

وله يعاتب بعض اخوانه

وكنت أظن أن جبال رضوى * تزول وأن ودك لا يزول
ولكن الامور لها اضطراب * وأحوال ابن آدم تستحيل
فان يك بيننا وصل جميل * والا فليكن هجرا طويلا

وأما شعره الذي اقتدحه من مرخ الشباب وعفاره وكلامه الذي وشحه بعارف العزل وأوضاره فانه نسبي الى ما تناساه ونركه حين كساه العلم والورع من ملابسه ما كساه وما وقع من ذلك قوله

كيف السلو ولي حبيب هاجر * فاسى الفؤاد يسومني تعذيبا
لما درى أن الخيال مواصلي * جعل السهاد على الجفون رقيبا

وله أيضا

يا من عهودي له تراعى * اني على عهدك الوثيق
ان شئت أن تسمعي غرامي * من مخبر عالم صدوق
فاستخبري قلبك المعنى * يخبرك عن قلبي المشوق

انتهى كلام الفتح وأبو بكر بن عطية المذكور هو والد الحافظ القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية صاحب

والحياء اذا طعنتم ثم قام أبو زمعة جد أمية بن أبي الصلت الثقفي فانشأ يقول

صاحب التفسير الشهير رحمه الله تعالى الجميع قال في الاحاطة في حقه ما ملخصه الشيخ الامام المفسر عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي فقيه عالم بالتفسير والاحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والادب حسن التقييد له نظم ونثر ولي قضاء المرية سنة تسع وعشرين وخمسمائة في المحرم وكان غاية في الذكاء والدهاء والتهمم بالعلم سري الهمة في اقتناء الكتب توخى الحق وعدل في الحكم وأعز الخطة روى عن أبيه وأبوي علي الغساني والصدفي وطبقتهما وألف كتابه الوجيز في التفسير فاحسن فيه وأبدع وطار بحسن نيته كل مطار وبرنامجاه ضمنه مروياته وأسماء شيوخه فحرر وأجاد ومن نظمه يندب عهد شبابه

سقيا لعهد شباب ظلت أمرح في * ربعاته وليالي العيش أمحار
أيام روض الصبا لم نذو أغصنه * ورونق العمر غض والهوى جار
والنفس تركض في تضمير شهرتها * طرفا له في زمان اللهو احضار
عهدا كريما لبسنا فيه أردية * كانت عيانا وحت فهي آثار
مضى وأبقى بقلبي منه نار أسى * كوني سلاما وبردا فيه يا نار
أبعد أن نعمت نفسي وأصبح لي * ليل الشباب لصبح الليل اسعار
وفارعتني الليالي فانثنت كسرا * عن ضيغم ماله ناب وأظفار
الاسلاح خلال أخلصت فلها * في منهل المجد ابرادا واصدار
أصبو الى روض عيش روضه خضل * أو يثني بي عن العلياء اقصار
اذا فعطمات كفي من شبا قلم * آثاره في رياض العلم أزهار

مولده سنة احدى وثمانين وأربعمائة وتوفي في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنه ست وأربعين وخمسمائة بلورقة قصد ميورقة يتولى قضاءها فصد عن دخولها وصرف منها الى لورقة فتقلد عليه رحمه الله تعالى انتهى وقال الفتح في حقه ما نصه وفي العمر لهل العلاء حديث السن قديم السناء لبس الجلالة برداء ضافيا وورد ماء الاصالة صافيا وأوضح للفضل رسما عافيا وثنى من ذهنه للاغراض فننا فصدا وجعل فهمه شهابا رصدا سما الى رتب الكهول صغيرا وشب كتيبة ذهنه على العلوم مغيرا فسباها معنى وفصلا وحواها فرعا وأصلا وله أدب يسيل رضراضا ويحيل الغاطا مبتدعة وأغراضا وقال فيه أيضا نبعة دوح العلاء ومحرز ملابس الثناء ذو الجلالة وواحد العصر والاصالة وفارس الهضب وأدب كما اطرد السلسل العذب وشيم تتضاءل لها قطع الرياض وتبادر الظن به الى شرف الاغراض سابق الاجداد فاستولى على الامد بعبابه ولم ينض ثوب شبابه أدمن التعب في السؤدد فجاهدا فتى تناول الكواكب فاعددا وما اتكل على أوائله ولا سكن الى راحات بكره وأصائله أثره في كل معرفة علم في رأسه نار وطوالعه في آفاقها صبح أو منار وقد أثبت من نظمه المستبدع ما ينفع عبيرا وينفح منيرا فمن ذلك قوله من قصيدة

وليلة جبت فيها الجذع مرتديا * بالسيف أسحب أذيالا من الظلم

الوتر أمثال ابن ذي يزن
في لجة البحر اجوالا وأحوالا
حتى أتى بني الاحرار محملهم
تخالهم في سواد الليل أجمالا
لله درهم من عصبة خرجوا
ما ان رأيت لهم في الناس أمثالا
أرمت اسداعلى سود الكلاب وقد
أمسى شريدهم في الارض ضلالا
فاشرب هنيئا بأعلى التاج مرتفعا
في رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ شالت نعامتهم
وأسبل اليوم في ترديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ولمعد يكرب بن سيف بن ذي يزن كلام كثير مع عبد المطلب وكوائن أخبره بها في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وبدء ظهوره بشر به عبد المطلب وأخبره عن أحواله وما يكون من أمره وحيا جميع الوفد وانصرفوا وقد أبينا على ما كان من اخبارهم في

والنجم حيران فى بحر الدجى غرق * والبرق فى طيلسان الليل كالعلم
كأنما الليل زنجى بكاهله * جرح فيشعب أحيانا له بدم انتهى
المقصود منه وهو اعنى ابا بكر احد مشايخ عياض حبما المعتب به فى ازهار الرياض
* (ومنهم شهاب الدين ابو العباس احمد بن فرح) بالحاء المهملة ابن احمد بن محمد الامام
الحافظ الزاهد بقية السلف اللخمى الاشبيلى الشافعى أسره الافرنج سنة ست واربعين
وستمائة وخلص وقدم مصر سنة بضع وخمسين وقيل انه تمذهب للشافعى وتفقه على الشيخ
عز الدين بن عبد السلام قليلا وسمع من شيخ الشيوخ شرف الدين الانصارى الحموى
والمعين أحمد بن زين الدين واسمعيل بن عزوز والنجيب بن الصيقل وابن علان
وبدمشق من ابن عبد الدائم وحلق وعنى بالحديث واتقن ألفاظه وعرف رواته
وحفاظه وفهم معانيه وانتقى لبابه ومبانيه قال الصفدى وكان من كبار أئمة هذا
الشان وممن يجرى فيه وهو طلق اللسان هذا الى ما فيه من ديانة وورع وصيانة
وكانت له حلقة اشتغال بكرة بالجامع الاموى يلازمها ويحوم عليه من الطلب حوائمها
سمع عليه الشيخ شمس الدين الذهبى واستفاد منه وروى فى تصانيفه عنه وعرضت
عليه مشيخة دار الحديث النورية فاباها ولم يقبل حباها وكان برى الصوفية ومعه فقاهة
بالشافعية ولم يزل على حاله حتى أخزن الناس ابن فرح وتقدم الى الله وسرح وشيع
الخلق جنازته وتولوا وضعه فى القبر وحيازته وتوفى رحمه الله تعالى تاسع جمادى الآخرة
سنة تسع وتسعين وستمائة ومولده سنة خمس وعشرين وستمائة وله قصيدة غزلية فى
ألقاب الحديث سمعها منه الدمياطى واليونينى وسمع منه البرزالى والمقاتلى والنابلسى
وأبو محمد بن الوليد وماتت بتربة أم الصالح بالاسهال والقصيدة المذكورة هى

غرامى صحيح والرجا فيك معضل * وحزنى ودمعى مطلق ومسلسل
وصبرى عنكم يشهد العقل أنه * ضعيف ومتروك وذلى أجمل
ولا حسن الاسماع حدثكم * مشافهة يملى على فانقل
وأمرى موقوف عليك وليس لى * على أحد الا عليك المعول
ولو كان مرفوعا اليك لكنت لى * على رغم عذالى تروق وتعدل
وعذلى عذولى منكرا أسيغه * وزور وتدليس يردد يهمل
أقضى زمانى فيك متصل الاسى * ومنقطعا عما به أتوصل
وها أنا فى أكفان هجرك مدرج * تكاد فى مالا أطيق فأجدل
وأجريت دمعى بالدماء مدبجا * وما هو الا مهجتى تتحلل
تخفق سهدى وجفنى وعبرتى * ومفترق صبرى وقلبى المبلبل
ومؤتلف شجوى ووجدى ولوعتى * ومختلف حظى وما منك آمل
خذ الوجد عنى مسندا ومعنعنا * فغيرى موضوع الهوى يتحيل
وذى نبذ من مبهم الحب فاعتبر * وغامضه ان رمت شرحا أحوّل
عزيز بكم صب ذليل لغيركم * ومشهور أوصاف المحب التذلل

على اليمن واصطنع عبيدا قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء فلما صار الى رحبتها عطفت عليه الحرابة من الحبشة فقتلوه بحرابهم وكان ملكه أربع سنين وهو آخر ملوك اليمن من قحطان فعدد ملوكهم سبعة وثلاثون ملكا ملكوا ثلاثة آلاف سنة ومائة وسبعين سنة (قال المسعودى) وأما عبيد بن شرية الجرهمى حين وفد على معاوية وساله عن أخبار اليمن وملوكها وتواريخ سنيها فانه ذكر ان أول ملوك اليمن على حسب ما قدمناه فى هذا الكتاب سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملك مائة سنة وأربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده الحرث ابن شداد بن ملخاط بن عمرو مائة وخمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الرائش وهو ابرهة ذو المنار مائة وثلاثا وثلاثين سنة ثم ملك بعده افريقس ابن ابرهة مائة وأربعا وستين سنة ثم ملك بعده أخوه الهدهاد بن شرحبيل ابن عمرو وهو ذو الصرح سنة ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد سبع سنين ثم ملك سليمان بن داود عليهما السلام ثلاثا وعشرين سنة على حسب ما قدمناه من أمر بلقيس ثم ملك بعده رحبعم بن

غريب يقاسي البعد عنك وماله * وحق الهوى عن داره متحول
فرفقا بمقطوع الوسائل ماله * اليك سبيل لا ولا عنك معدل
فلا زلت في عز منيع ورفعة * وما زلت تعلو بالتحيي فأنزل
أورى بسعدى والرباب وزينب * وأنت الذي تعني وأنت المؤمل
فخذ أولا من آخر ثم أوّلا * من النصف منه فهو فيه مكمل
ابرا ذا أقسمت أني بحبه * اهيم وقلبي بالصبابة يشعل

وقد ذكرت شرحها في الجزء الثلاثين من تذكرتي انتهى كلام الصفدي وظاهر كلامه انه ابن فرج بفتح الراء والذي تلقيناه عن شيوخنا انه بسكون الراء وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم وهي وحدها دالة على تمكن الرجل رحمه الله تعالى * (ومنهم عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر أبو الاصبغ الاموي الاندلسي) سمع بمكة وبدمشق ومصر وغيرها وحدث عن سليمان بن أحمد بن يحيى بسنده الى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل بني أب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وأنا عصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وحدث عن أبي العباس أحمد بن محمد البرذعي بسنده الى عبد الله بن المبارك قال كنت عند مالك بن أنس وهو يحدثنا فجاءت عقرب فلدغته ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبد الله قد رأيت منك عجبا قال نعم أنا صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد أبو الاصبغ المذكور بقرطبة وتوفي بخارى سنة ٣٦٥ قال الحاكم أبو عبد الله رأيت ابا الاصبغ في المنام في بستان فيه خضرة ومياه جارية وفرش كثيرة وكأني أقول انها له فقلت يا أبا الاصبغ بماذا وصلت اليه أبالحديث فقال اي والله وهل نجوت الا بالحديث قال ورأيته أيضا وهو يمشي يرى أحسن ما يكون فقلت أنت أبو الاصبغ فقال نعم قلت ادع الله تعالى ان يجمعني واياك في الجنة فقال ان أمام الجنة اهوالا ثم رفع يديه وقال اللهم اجعله معي في الجنة بعد عمر طويل انتهى * (ومنهم القاضي أبو البقاء خالد البلوي الاندلسي رحمه الله تعالى) وهو خالد بن عيسى بن أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد البلوي ووصفه الشاطبي بانه الشيخ الفقيه القاضي الاعدل انتهى وهو صاحب الرحلة المسماة بناح المفرق في تملية أهل المشرق ومما أنشده رحمه الله تعالى فيها لنفسه

ولقد جرى يوم النوى دمعي دما * حتى أشاع الناس أنك فاني
والله ان عاد الزمان بقربنا * لكففت عن ذكر النوى وكفاني

وهذه الرحلة المسماة بتاج المفرق مشحونة بالفوائد والفرائد وفيها من العلوم والآداب مالا يتجاوزه الرائد وقد قال رحمه الله تعالى فيها في ترجمة الولي نجم الدين الحجازي رضي الله تعالى عنه ما نصه وذكر لي رضي الله تعالى عنه قال مما وصى به الجد الاكبر أبو الحجاج يوسف المذكور يعني سيدي أبا الحجاج يوسف بن عبد الرحيم الاقصري القطب الغوث رضي الله

بن يعفر بن نمرودي الادعار خمسا وثلاثين سنة وقد قيل في تسميته ذا الادعار خبر تأباه العقول وتنكره النفوس كون مثله في العالم ويجوز كون ذلك في المقدور وانما سمي ذا الادعار لانه وصل الى قوم في اقاصي حضرموت مشوهي الخلقة عجيبي الصورة وجوههم في صدورهم فلما رأى أهل اليمن ذلك ادعرهم ما شاهدوا من ذلك وجزعت منه نفوسهم فسمي ذا الادعار وقيل غير ذلك والله أعلم بكيفيته ثم ملك بعده عمرو ابن شمر بن افريقس ثلاثا وخمسين سنة ثم ملك بعده من ولده كليكرب ابن تبع وهو تبع أبو كرب أسعد كليكرب أربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده كلال بن سويب أربعا وسبعين سنة ثم ملك بعده ربيع بن حسان بن تبع ثم ملك بعده مرثد سبعا وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح ثلاثا وسبعين سنة ثم ملك بعده ذو شناتر بن زرعة ويقال يوسف ويقال بل اسمه عريب بن قطن تسعا وثمانين سنة ثم ملك بعده حنيفة ويعرف

بذي الشناتر أربعا وثمانين سنة فذلك ألف وتسعمائة وسبع وعشرون سنة وانما ذكرنا ما حكيناه عن عبيد بن شرية

تعالى عنه وعادنا بنا من بركاته وخواصه وأصدقائه قال اذا أدركتم الضرورة والعافية فقولوا حسبي الله ربي الله يعلم اني في ضيق قال وذكر لي أيضا رضي الله تعالى عنه قال رأى هذا الجد يوسف المذكور النبي صلى الله عليه وسلم في النوم بعد ان سأل الله تعالى ذلك وقد كان اصابته فاقة فشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يارب يارحيم يارب يارحيم الطف بي في قضائك ولا تول أمري أحدا سواك حتى انالك فلما قالها اذهب الله تعالى عنه فاقته قال وكان رحمه الله تعالى يوصي بها أصحابه وأحبابه انتهى ونسب بعضهم القاضي خالدا المذكور الى انتحال كمال العماد في البرق الشامي لا ن خالدا أكثر في رحلته من الاسجاع التي للعماد فلذا قال لسان الدين بن الخطيب فيه

خليلي ان بقض اجتماع بخالد * فقولا له قولا ولن تعدوا الحقا
سرقت العماد الاصبهاني برته * وكيف ترى في شاعر سرق البرقا

وأظن أن لسان الدين كان منحرفا عنه ولذلك قال في كتابه خطرة لطيف ورحلة الشتاء والصيف عند ما جرى ذكر فتورية وفاضيها خالد المذكور ما صورته لم يخلف ولدا عن والد وركب فاضيها ابن أبي خالد وقد شهرته النزعة الجازية ولبس من خشن الجازية وأرخى من البياض طيلسانا وتشبه بالمشارقة شكلا ولسانا والبداوة تسمه على الخرطوم وضبع الماء والهواء يقوده قود الجمل المخطوم انتهى ومن نظم أبي البقاء خالد البلوي المذكور قوله

الى العيد واعتاد الاحبة بعضهم * ببعض وأحباب المتيم قد بانوا
وضحى وقد ضحوا بقربانهم وما * لديه سوى حمر المدامع قربان

وقال في رحلته انه قال هذين البيتين بديهة بمصلى تونس في عيد النحر من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ومن نظمه أيضا قوله رحمه الله تعالى

ومستنكر شيبي وماذهب الصبا * ولاجف ايناع الشبيبة من غصني
فقلت فراقي للاحبة مؤذن * بشيبي وان كنت ابن عشرين من سني

ومحاسنه رحمه الله تعالى كثيرة وفي الرحلة منها جملة (ومنهم برهان الدين أبو اسحق ابن الحاج ابراهيم النميري الغرناطي) وهو أيضا مذكور في ترجمة ابن الخطيب بما يغني عن تكرير اسمه هنا وقال رحمه الله تعالى في رحلته أخبرني شيخنا يعني الشيخ الامام الصالح أبا عبد الله محمد المعروف بخليل السروزي امام المالكية بالحرم الشريف رضي الله تعالى عنه قال اعتكفت بجامع عمرو بن العاص كما اشترى عن الناس خصوصا أذى الغيبة نحو خمسين ليلة أردت أن أدعو لطائفة من أصحابي بمطالب مختلفة كل بحسب ظني فيه يومئذ فادركتني حيرة في التمييز والتخصيص فالهمت أن قلت بديهة

شهدنا بتقصير ألبابنا * فحسن اختيارك أولى بنا
وأنت البصير بأعدائنا * وأنت البصير بأحبابنا

قال ثم أردفتها بدعاء وهو اللهم يا من لا يعلم خيره الا هو أنت أعلم بأعدائنا وأودائنا فافعل بكل

قتلت الحبشة معد يكرب ابن سيف بن ذي يزن على حسب ما قدمنا في أرجحة بحر ابهم كان بصنعاء خليفة لوهرز في جماعة من العجم ممن كان ضمهم وهرز الى معد يكرب فركب وانى على من كان هنالك من الحبشة وضبط البلد وكتب بذلك الى وهرز وهو بباب أنوشروان الملك وذلك بالمدائن من أرض فارس فاعلم وهرز بذلك الملك فسيره في البر في أربعة آلاف من الاساورة وأمره باصلاح اليمن وأن لا يبقي على أحد من بنايا الحبشة ولا على حد قط قد شرك السودان في نسبه فاني وهرز اليمن ونزل صنعاء فلم يترك بها أحدا من السودان ولا من انسابهم وملك انوشروان وهرز على اليمن الى أن هلك بصنعاء ثم ملك بعده رجل من فارس يقال له سيجان ثم ملك بعده حوراد الشهر ثم ملك بعده ابن سيجان ثم ملك بعده المرزبان حرحسوا وكان من أهل بيت مملكة فارس ثم ملك بعده حرحس وكان مولده باليمن ثم ملك بعده باذان بن ساسان (قال المسعودي) فهؤلاء جميع من ملك اليمن من قحطان والحبشة والفرس وقد ملك اليمن منهم

منهم ما يناسب حسن اختيارك لما حسبما علمته مني وكفى بك عليما وكفى بك قديرا وكفى بك بصيرا وكفى بك لطيفا وكفى بك خبيرا وكفى بك نصيرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا كثيرا * وقال ابن الحاج المذكور في الرحلة المذكورة اذا التقى الرجل بعدوه وهو على خوف منه فليقرأ هذه الحروف لكيعص حمعسق وليعقد بكل حرف منها اصبعا يبدأ بابهام يده اليمنى ويختم بابهام يده اليسرى فاذا قرب من عدوه فليقرأ في نفسه سورة الفيل فاذا وصل الى قوله ترميهم فليذكرها وكلما كررها فتح اصبعا من اصابعه المعقودة تجاه العدو فيذكرها عشر مرات ويفتح جميع اصابعه فاذا فعل ذلك امن من شره ان شاء الله تعالى وهو مجرب انتهى ومن بديع نظم ابي اسحق بن الحاج النميري المذكور قوله

يارب كاس لم يسح شمولها * فاعجب لها جسما بغير مراح
لما رأينا السحر من أشكالها * حملانسبناه الى الزجاج

وله فيما اظن

له شفة اضاعوا الشرفيها * بثغر حين سدت ثغر بدري
فما اشهى لمبي ما اضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

وهو تضمين حسن * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق امام النحاة اثير الدين ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفري الاثري الغرناطي) قال ابن مرزوق الخطيب في حقه هو شيخ النحاة بالديار المصرية وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية انتهت اليه رياسة التبريز في علم العربية واللغة والحديث سمعت عليه وقرأت وانشدني الكثير واذا انشدني شيأ ولم اقيده استعاده مني فلم احفظه وانشدني وكتبت اظنه لنفسه ارتجالا الى ان اخبرني أحد اصحابنا عنه انه اخبره انهما لابي الحسن النجاني انشدهما له بمنيته بالمدرسة الصالحية رحمه الله تعالى

ان الذي يروى ولكنه * يحفظ ما يروى ولا يكتب
كصخرة تنبع امواجها * تسقي الاراضي وهي لا تشرب

قال وروينا عنه تآليف ابن أبي الاحوص منها التبيان في أحكام القرآن والمعرب المفهم في شرح مسلم ولم أقف عليه والوسامة في أحكام القسامة والمشرع السلسل في الحديث المسلسل وغير ذلك وحدثني بسنن أبي داود عن ابن خطيب المرة عن أبي حفص بن طبرزد عن أبي البدر الكروخي ومفلح الرومي عن أبي بكر بن ثابت الخطيب عن ابي عمر الهاشمي عن اللؤلؤي عن أبي داود وبسنن النسائي عن جماعة عن ابن باقا عن أبي زرعة عن أبي حميد الدوسي عن ابي نصر الكسار عن ابن السني عن النسائي وبالموطأ عن ابي جعفر بن الطباع بسنده وشكوت اليه يوما ما يلقاه الغريب من اذاية العداة فانشدني لنفسه

عداتي لهم فضل علي ومنة * فلا أذهب الرحمن عني الاعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها * وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وأنشدني أيضا من مداعباته وله في ذلك النظم الكثير مع طهارته وفضله

واسمه هينية بن أميم بن بدل بن مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان له شان عظيم في اليمن وطالت أيامه وذكره امرؤ القيس في شعره فقال وهينية الذي زادت قواه على زيدان ادحان الزوال عدان فانثنى وبى طريقا الى زيدان اعظم لا تمان ويقال انه مثبه بن اميم بن بدل بن لسان بن ابراهيم الخليل وقد كانت ملوك اليمن تنزل بمدينة ظفار مثل آل ذي شحر وآل ذي الكلاع وآل ذي أصبح وآل ذي يزن الا اليسير منهم فانهم نزلوا دهما وكان على باب ظفار مكتوب بالعلم الاول في حجر اسود

يوم شيدت ظفار قيل لمن أنت فقالت خير الاحبار
ثم سيلت من بعد ذلك فقالت
ان ملكي للاحبش الاشرار
ثم سيلت من بعد ذلك فقالت
ان ملكي لفارس التجار
وقليلا ما يلبث القوم فيها منذ شيدت مشيدها للبوار
من اسود يلقبهم البحر فيها

٣ قوله فلم احفظه هكذا بالاصل ولعله محرف والاصل حتى احفظه اولا احفظه او نحو ذلك تامل

عاقته سحى اللون فادحه * ما ابيض منه سوى ثغر حكى الدررا
فدصاغه من سواد العين خالقه * فكل عين اليه تدمن النظرا

وانشدني في حاهل لبس صوفا وزهى فيه

أيا كاسيا من جيد الصوف نفسه * ويا عاريا من كل فضل ومن كيس
أنزهى بصوف وهو بالامس مصبح * على نجعة واليوم أمسى على تبس

انتهى ما اختصرته من كلام الخطيب بن مرزوق وأنشد الرحالة بن جابر الوادي آشي لابي حيان قوله

وقصر آمالي ما آلى الى الردى * وأني وان طال المدى سوف أهلك
فصنت بماء الوجه نفسا أبية * وجادت بمني بالذي كنت أملك

ووقفت على أعيان العصر وأعوان المصر للصفدي فوجدت فيه ترجمة أبي حيان واسعة فرأيت أن أذكرها بطولها لما فيها من الفوائد وهي الشيخ الامام العالم العلامة الفريد الكامل حجة العرب سالك أزمة الادب أثير الدين أبو حيان الاندلسي الجياني بالجيم والياء آخر الحروف مشددة وبعد الالف نون كان أمير المؤمنين في النحو والشمس السافرة شتاء في اليوم الصحو والمتصرف في هذا العلم فاليه الاثبات والمحو لو عاصر أئمة البصرة ليصرهم او أهل الكوفة لكف عنهم اتباعهم السواد وحذرهم نزل منه كتاب سيبويه في وطنه بعدان كان طريدا وأصبح به التسهيل بعد تعقيده مفيدا وجعل سرحة شرحه جنة راقت النواظر توريدا ملأ الزمان تصانيف وأمال عنق الايام بالتأليف تخرج به أئمة في هذا الفن ورقى لهم في عصره منه سلافة الدن فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغيضا غير محبب او عيسى بن عمر لاصبح من تقصيره وهو محدب او الخليل لكان بعينه قذاه او سيبويه لما تردى من مسئلته الزنبورية برداه او الكسائي لاعراه حلة جاهه عند الرشيد واساه او الفراء لفرسه ولم يقتسم ولدا المأمون تقديم مداسه او اليزيدي لما ظهر نقصه من مكامنه او الاخفش لاخفى حلة من محاسنه او أبو عبيدة لما ترك له يتصب لشعب الشعوبية او أبو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التعلق بعربية او السكري لما راق كلامه في المعاني ولا حلا او المازني لما زانه قوله ان مصابكم رجلا او قطرب لما طرب في العربية ولا درج او ثعلب لاستكن بمكره في وكره ولما نزح او المبرد لاصبحت كواه مقفرة او الزجاج لامست قواريره مكسرة او ابن الوزان لعدم نقده او الثمانيني لما تعاونا عقده او ابن باب العلم ان تياسه ما اطرد او ابن دريد ما بلع ريقه ولا ازدرد او ابن قتيبة لاضاع رحله او ابن السراج لمشى اذ رأى وحله او ابن الخشاب لاضرم فيه نارا ولم يجد معه نورا او ابن الجباز لما سجر له تنورا او ابن القواس لما أغرق في نزعه او ابن يعيش لاوقعه في نزعه او ابن خروف لما وجد له مرعى او ابن اياز لما وجد لاوازه وقعا او ابن الطراوة لم يكن نحوه طريا او الدباج لكان من حلته الرائعة عريا وعلى الجملة فكان امام النحاة في عصره شرفا وغربا وفريد هذا الفن الفذ بعدا وقربا وفيه قلت

سلطان علم النحو استاذنا الشيخ اثير الدين حبر الانام

شعل النار في اعالي الديار
الملوك على حسب ما وصفنا
وينتظر في المستقبل من
الزمان ما ذكرناه من وقود
النيران في اعالي الديار
وعد اهل اليمن ان
ديارهم سيغلب عليها
الاحابش في آخر الزمان
بعد هنات وكوائن
واحداث وبعث النبي صلى
الله عليه وسلم وعلى
الا من شمال كسرى ثم
عند الاسلام مصر بحمد
الله وقد بينا على أخبار
من ذكرناه من الملوك
وسيرهم وسقاطهم في
البلاد وحروبهم وابنيتهم
في سائر مضافاتهم في
الكتاب الاوسط فلتنظر
ذلك عن اعادته في هذا
الكتاب وجملة اليمن
طويل عريض حده شمالي
جملة الموضع المعروف
بجبة المشبح مراحل
الى صنعاء ومن صنعاء
الى عدن وهو آخر عمل
اليمن مع مراحل ومراحله
من نجرانه ابتداء الى ستة
والحد الثاني من حكم
درجاته الى ما بين مفاوز
عشرون وثمان عشرون
مرحلة ويلي الوجه الثالث
بحر اليمن على ما ذكرناه
انه بحر القلزم والصين
والهند فجميع ذلك عشرون
مرحلة في ست عشرة مرحلة واسماء ملوك اليمن كذي يزن وذي نواس وذي منار وغير ذلك مضافة الى

فلا تقل زيد وعمرو فا * فى الحو معه لسواه كلام

خدم هذا العلم مدة تقارب الثمانين وسلك من غرائبه وغوامضه طرفا مشعبة الافانين ولم يزل على حاله الى أن دخل فى خبر كان ونبذات حركاته بالاسكان وتوفى رحمه الله تعالى بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة فى يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وستمائة ودفن من الغد بقبرة الصوفية خارج باب النصر وصلى عليه بالجامع الاموى بدمشق صلاة الغائب فى شهر ربيع الآخر ومولده بمدينة مطخشارس فى أخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة وقلت أما أرثيه رحمه الله تعالى

مات أثير الدين شيخ الورى * فاستعر البارق واستعبرا
ورق من حزن نسيم الصبا * واعتل فى الاسحار الماسرى
وصاد حان الابل فى نوحها * رثته فى السجع على حورا
ياعين جودى بالدموع التى * يروى بها ما ضمه من ثرى
واجرى دما فالخطب فى شانه * قد اقتضى أكثر مما جرى
مات امام كان فى فنه * يرى اماما والورى من ورا
أمسى منادى اللبلى مفردا * فصمه القبر على ما يرى
ياأسفا كان هدى ظاهرا * فعاد فى ربقته مصمرا
وكان جمع الفضل فى عصره * صحر فلما أن قضى كسرا
وعرف الفضل به برهة * والآن لما أن مضى نكرا
وكان ممنوعا من الصرف لا * يطرق من وافاه خطب عرا
لا أفعل التفضيل ما بينه * وبين من أعرفه فى الورى
لا يبدل عن نعته بالتفى * ففعله كان له مصدرا
لم يدعم فى اللحد الا وقد * فك من الصر وثيق العرا
بكى له زيد وعمرو فمن * أمثلة النحو ومن سرا
ما أعقد التسهيل من بعده * فكم له من عسره يسرا
وجسر الناس على خوضه * اذ كان فى النحو هداس بحرا
من بعده قد حال غيره * وحظه قد رجع القهقرى
شارك من قد ساد فى فنه * وكم له فن به استأثرا
دأب بنى الآداب أن يغسلوا * بدمعهم فيه بقايا الكرى
والنحو قد سار الردى نحوه * والصرف للتصريف قد غيرا
واللغة الفصحى غدت بعده * يلعى الدى فى ضبطها قررا
تفسيره البحر المحيط الذى * يهدى الى وارده الجوهرا
فوائد من فضله جمة * علمه فيها نعد الحصرا
وكان تبتا نقله حجة * مثل ضياء الصبح ان أسفرا
ورحلة فى سنة المصطفى * أصدق من يسمع ان أخبرا

ان اذى حتفى فقبلى ذاقه * طسم عاد وجديس ذو السبع وابو مالك القيل الذى * قتلته بنت مرو باحدع

ولما مات حدعة الرماح
ات عليه الزبا بنت مرو
ابن ظرب بن حسان بن
أديه بن السميدع ب
هر بن وقد كان ملك من
مشارق الشام الى المغرب
من قبل الروم وكان داره
بالموضع المعروف بالمصيخ
بين بلاد الجزيرة وقرقيسيا
وقد كانت الزباء ملكت
بعد أبيها واصمت جذيمة
فى نفسها الى ان قتلته
واقام جذيمة ما كان زمن
ملوك الطوائف خمسا
وسبعين سنة وفى ملك
أردشير بابك وسابور الجنود
ابن اردشير ثلاثا وعشرين
سنة فكان ملكه مائة
سنة وثمان عشرة سنة
وكان يكنى بابى مالك وفيه
يقول بعض شعراء
الجاهلية وهو من
كاهل اليشكرى

وكان الملك قبل جذيمة دوس بن الازد بن الغوث ابن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان * وكان سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو بن عامر ماء فيما فسار بنو جفنة نحو الشام وانفصل مالك نحو العراق فملك على مضر بن نزار اثنتي عشرة سنة ثم هلك بعده ابنه جذيمة على ما ذكرنا ثم ملك بعد جذيمة ابن أخته عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحرث ابن مالك بن غنم بن عمارة ابن لخم وهو أول من نزل من الملوك الحيرة واتخذها منزلا ودار ملكه واليه ينسب ملوك النصرية وهم ملوك الحيرة فكان ملك عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة مائة سنة (قال المسعودي) وقد ذكر غير واحد ممن عني باخبار العرب وايامها ان جذيمة اول من ملك من قضاعة وهو جذيمة بن مالك بن فهم التوحي وانه قال ذات يوم لندمائه لقد ذكر لي عن غلام من ايادله ظرف وادب فلو بعثت اليه فوليته كاسي والقيام على راسي لكان الراي قالوا الراي ما راى الملك فليبعث اليه ففعل فلما قدم عليه قال من انت قال انا عدي بن نصر بن ربيعة فولاه مجلسه

اباه وهو اول من ملك الحيرة والله اعلم * وكان يقال له مالك بن فهم بن

له الاسانيد التي قد علت * فاستفلت عنها سوامي الذرا
ساوى بها الاحفاد اجدادهم * فاعجب لماض فاته من طرا
وشاعرا في نظمه مفلقا * كم حرر اللفظ وكم حبرا
لها معان كلما خطها * نستر ما رقم في تسترا
أفديه من ماض لام الردى * مستقبلا من ربه بالقرى
مامات في أبيض أكفانه * الا وأضحى سندسا أخضرا
تصادع الحور له راحة * كم تعبت في كل ما سطرا
ان مات فالذكر له خالد * يحيا به من قبل أن ينشرا
جاد ثرى واقاه عيث ادا * مساه يا لسقى له بكرا
وخصه من ربه رحمة * توردة في حشره الكوثرا

وكان قد قرأ القرآن على الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله نحو من عشرين ختمة افرادا وجماعة على الخطيب الحافظ أبي جعفر احمد الغرناطي المعروف بالطباع بغرناطة ثم قرأ السبعة الى آخر سورة الحجر على الخطيب الحافظ ابي علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن ابي الاحوص بمالقه ثم انه قدم الاسكندرية وقرأ القرآن على عبد النصير بن علي بن يحيى المربوطي ثم قدم مصر فقرأ بها القرآن على ابي الطاهر اسمعيل بن هبة الله المليجي وسمع الكثير على الجم الغفير بجزيرة الاندلس وبلاد افريقية والاسكندرية وديار مصر والحجاز وحصل الاجازات من الشام والعراق وغير ذلك واجتهد في طلب التحصيل والتقييد والكتابة ولم أر في أشياخي اكثر اشتغالا منه لاني لم أره قط الا يسمع أو يشتغل أو يكتب ولم أره على غير ذلك وله اقبال على الطلبة الاذكياء وعنده تعظيم لهم وتفهم ونثر وله الموشحات البديعة وهو ثبت فيما ينقله محرر لما يقوله عارف باللغة ضابط لالفاظها وتام النحو والصرف فهو امام الناس كلهم فيهما لم يذكر معه في أقطار الارض غيره في حياته وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم خصوصا المغاربة وتقييد أسمائهم على ما ينلفظون به من اماله وترقيق وتفخيم لانهم يجاورون بلاد الافرنج وأسماؤهم قريبة من لغاتهم وألقابهم كذلك وقيده وحرره وسألته شيخنا الذهبي أسئلة وما يتعلق بذلك وأجابه عنها وله التصانيف التي سارت وطارت وانتشرت وما انتشرت ودرست ودرست ونسخت وما فسحت أخملت كتب الاقدمين والهت المقيمين بمصر والقادمين وقرأ الناس عليه وصاروا أئمة وأشياخا في حياته وهو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك رحمه الله تعالى ورغبهم في قراءتها وشرح لهم غامضها وخص بهم لجمها وفتح لهم مقفلها وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب هذه نحو الفقهاء وكان الملزم أن لا يقرئ أحدا الا ان كان في كتاب سيبويه أو في التسهيل لابن مالك أو في تصانيفه ولما قدم من بلاده لازم الشيخ بهاء الدين رحمه الله تعالى كثيرا وأخذ عنه كتب الادب وكان شيخا حسن العمة ملح الوجه ظاهر اللون مشرب الحمرة منور الشيبة كبير اللحية مسترسل الشعر فيها ولم تكن كثيفة عبارته فصيحة بليغة الاندلس يعقد

القاف قريبا من الكاف على انه لا ينطق بها فى القرآن الا فصيحة وسمعته يقول ما فى هذه البلاد من يقدر حرف القاف وكانت الخصوصية بالامير سيف الدين أرغون كافل المماليك ينبسط معه ويبيت عنده فى قلعة الجبل ولما توفيت ابنته نضا رطلع الى السلطان الملك الناصر محمد وسأل منه أن يدفنها فى بيته داخل القاهرة فى البرقوقية وذلك له فى ذلك وكان أولا يرى رأى الظاهرية ثم انه تمذهب للشافعى رضى الله تعالى عنه بحث على الشيخ علم الدين العراقى المحرر للرافعى ومختصر المنهاج للنووى وحفظ المنهاج الاصيرا وقرأ أصول الفقه على أستاذه أبى جعفر بن الزبير بحث عليه من الاشارة للباجى ومن المستصفى للغزالى وعلى الخطيب أبى الحسن بن قصيلة وعلى الشيخ علم الدين العراقى وعلى الشيخ شمس الدين الاصبهانى وعلى الشيخ علاء الدين الباجى وقرأ شيأ من أصول الدين على شيخه ابن الزبير وقرأ له شيأ من المنطق وقرأ أشياء من المنطق على بدر الدين محمد بن سلطان البغدادى وقرأ عليه شيئا من الارشاد للعميدى فى الخلاف ولكنه برع فى النحو وانتهت اليه الرياسة والمشيخة فيه وكان خاليا من الفلسفة والاعتزال والتجهم وكان أولا معتقدا فى الشيخ شمس الدين بن تيمية وامتدحه بقصيدة ثم انه انحرف عنه لما وقف على كتاب العرش له قال الفاضل كمال الدين الادفوى وجرى على مذهب كثير من النحويين فى تعصبه للامام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه التعصب المتين قال حكى لى انه قال للقاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ان عليا رضى الله تعالى عنه عهد اليه النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق أتراه ما صدق فى هذا فقال صدق فقال فلان له فالذين سلوا السيوف فى وجهه يبغضونه أو يحبونه وغير ذلك قال وكان يسىء الظن بالناس كانه فاذا نقل له عن أحد خبر لا يكيف به ويثنى عنه حتى عمن هو عنده مجروح فيقع فى دم من هو بالسنة العالم ممدوح وبسبب ذلك وقع بين نفس جمع كبير منه ألم كثير انتهى قلت أما لم أسمع منه فى حق أحد من الاحياء والاموات الاخير اوما كنت أنقم عليه شيئا الا ما كان يبلغنى عنه من الحط على الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد على أنى أنا ما سمعت فى حقه شيئا نعم كان لا يثنى بهؤلاء الدين يدعون الصلاح حتى قلت له يوما ياسيدى وكيف تعمل فى الشيخ أبى مدين فقال هو رجل مسلم دين والامر كان يطير فى الهواء ولا صلى الصلوات الخمس فى مكة كما تدعى فيه هؤلاء الاعمار وكان فيه رحمه الله تعالى خشوع يبكى اذا سمع القرآن ويجرى دمعه عند سماع الاشعار الغزلية وقال كمال الدين المذكور قال لى اذا قرأت اشعار العشق اميل اليها وكذلك اشعار الشجاعة تستميلنى وغيرهما الا اشعار الزهد ما تؤثر فى انتهى قلت كان يفتخر بالبخل كما يفتخر غيره بالكرم وكان يقول لى اوصيك احفظ دراهمك ويقال عنك بخيل ولا تجمح الى السفل وانشدنى من لفظه لنفسه

رجاؤك فلسا قد عدا فى حبائلى * فنيصار جاء للنتاج من العقم
أأتعب فى تحصيله واضيعه * اذن كنت معنا فى امن البر بالسقم

قلت والذى اراه فيه انه طال عمره وتغرب ووردا له لا ولا شىء معه وتعب حتى حصل المناصب تعبا كثيرا وكان قد جرب الناس وحلب اشطر الدهر ومرت به حوادث فاستعمل

الحزم منه واخطبنى منه فانه يزوجك فأشهد القوم ان فعل ففعل الغلام ذلك فزوجه فاشهد عليه وانصرف الغلام اليها فانباها فمكثت عشرين ليلة ثم قالت لابيها ما فعل فلما أصبح غدا متضرجا بالحلوى فقال له جذيمة ما هذه الآثار ياعدى قال آثار العرس قال أى عرس قال عرس رقاش فخروا كبكى على الارض ورفع عدى جرامزه وهرب وأسرع جذيمة فى طلبه فلم يجده وقال بعضهم بل قتله وبعث اليها يقول

حدثينى رقاش لا كذبينى
اخبرتنى أم بعد وشك اهل
أم بدون فاتك اهل ادون
فاجابته رقاش تقول
أنت زوجتنى وما كنت أدرى
وأتانى الغلام يسبى دالى
من شريك المدامة صرفا
وعادتك فى الصبا والجنون
وبقلها جذيمة اليه وحصنها فى قصره واشتمل على جمل وولدت غلاما فسمته عمرا ووشحته حتى اذا نزع حلقه وعظمه والبسته كوة فاخرة ثم

اصابها عمرو وخباها هاشم اقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم وهو يقول هذا جنائى وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه فالرمه جذيمة وخباه ثم ان الجن استطارته فضرب له جذيمة فى الاوفاق زمانا فلم يسمع له بخبر فكف عنه اذا قبل رجلان يقال لاحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا فالج وهما يريدان الملك بهدية فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها ام عمرو فنصبت قدرا واصلحت لهما طعاما فبينما هما يأكلان اذا قبل رجل اشعث اغبر الرأس قد طالت اظفاره وساءت حاله حتى جلس مجر الكلب ومد يده فناولته القينة طعاما فاكل ثم لم يغن عنه شيئا فمد يده فقالت القينة ان يعط العبد كراعا يطلب ذراعا فارسلتها مثلا ثم تناولت صاحبيها من ثمرا بها وأوكت زقها فقال عمرو بن عدى عدلت الكاس عدالم عمرو وكان الكاس مجراها اليمنا

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لا تصحبينا

فقال له الرجلان من أنت فقال ان تنكراني فلن تنكرا حسبي أنا عمرو بن عدى فقاما اليه فلثماه اعذروه

الحزم وسمعته غير مرة يقول يكفى الفقير فى مصر اربعة أفلس يشترى له باثنتة بفلسين وبفلس زبيبا وبفلس كوزما ويشترى ثانى يوم ليمونا بفلس ياكل به الخبز وكان يعيب على مشترى الكتب ويقول الله يرزقك عقلا تعيش به انا اى كتاب اردته استعرته من خزائن الاوقاف واذا اردت من احد ان يعيرنى دراهم ما اجد ذلك وانشدنى له اجازة

ان الدراهم والنساء كلاهما * لا تأمنن عليهما انسانا
ينزعن ذا اللب المتين عن التقى * فترى اساءة فعله احسانا

وانشدنى له من ابيات

أبى بشفيع ليس يمكن رده * دراهم بيض للجروح مراهم
يصير صعب الامر اهون ما يرى * وتقضى لبانات الفتى وهو ناعم

ومن حزمه قوله عدانى لهم فضل البيتين وقد مدحه كثير من الشعراء والكبار الفضلاء فمنهم القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر بقوله

قد قلت لما ان سمعت مباحثا * فى الذات قررها اجل مفيد
هذا ابو حيان قلت صدقتم * وررتم هذا هو التوحيدى

وكان قد جاء يوما الى بيت الشيخ صدر الدين بن الوكيل فلم يجده فكتب بالجص على مصراع الباب فلما راى ابن الوكيل ذلك قال

قالوا أبو حيان غير مدافع * ملك النحاة فقلت بالاجماع
اسم الملوك على النقود دراهم * شاهدت كنيته على المصراع

ومدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطولة أولها

اليك أبا حيان أعملت أينقى * وملت الى حيث الركائب تلتقى
دعانى اليك الفضل فانقدت طائعا * ولبيت أحدوها بلفظى المصدق

ومدحه نجم الدين اسحق بن ألمى التركى وسأله تكملة شرح التسهيل وأرسلها اليه من دمشق وأولها

تبدى لنا وجهه تلوى الصبيح * وكمله باليمن فيه و بالجمع
ومهلت تسهيلى الفوائد محسنا * فكن شارحا صدرى بتكملة الشرح

ومدحه مجير الدين عمر بن المليسى بقصيدة أولها

يا شيخ أهل الادب الباهر * من ناظم يلقى ومن ناثر

ومدحه نجم الدين يحيى الاسكندرى بقصيدة أولها

ضيف ألم بنا من أبرع الناس * لا ناقض عهدا يا مى ولا ناسى
عار من الكبر والادناس دو شرف * لكنه من سرابيل العلا كاسى

ومدحه نجم الدين الطوفى بقصيدتين اول الاولى

أتراه بعد هجران يصل * ويرى فى ثوب وصل مبتذل
هو جار على أحلامنا * اذ تولاها بقد معتدل

وأول الثانية

اعذروه فكريم من عذر * قرنته ذات وجه كالقمر

ومدحه بهاء الدين محمد بن شهاب الدين الخيمي بقصيدة أولها

ان الاثير اباحيان أحيانا * بنشره طي علم مات احيانا

ومدحه القاضي ناصر الدين بن شافع بقصيدة أولها

فضضت عن العذب النمير ختامها * ففتحت عن زهر الرياض كمامها

ومدحه جماعة آخرون يطول ذكرهم وكتبت أنا اليه من الرحبة سنة ٧٢٩

لو كنت أسلك من دهري جناحين * لطرت لكنه فيكم جنى حيني

ياسادة نلت في مصر بهم شرفا * أرتى به شرفا ينأى عن العين

وان جرى لسماكين ذكر علا * احلى مضاجعهم فوق السماكين

وليس غير أثير الدين آثله * فسادما شاد لي حقا بلا مين

حبر ولو قلت ان الماء رتبتها * من قبل صدق ذلك الاقوام في ذين

احيا علوما أماتت الدهر اكثرها * من جلدت خلدت ما بين دفين

ياواحدا لعصر ما قولي بمتهم * ولا احاشي امرأ بين الفريقين

هذي العلوم بدت من سيبويه كما * قالوا وفيك انتهت يا ثاني اثنين

قدم لها وبودي لو أكون فدى * لما ينالك في الايام من شين

ياسيبويه الورى في الدهر لا عجب * اذا الخليل غدا يغدو بك بالعين

يقبل الارض وينهي ما هو عليه من الاشواق التي برحت بألمها واجرت الدموع دما وهذا الطرس الاحمر يشهد بدمها واربت سحبها على السحائب وان دوام هذه من دمها وفرقت الاوصال على الرقم لوجود عدمها

فيا شوق ما ابقى ويا لي من النوى * ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبى

ويذكر ولاءه الذي تسجع به في الارض اطمائم ويسير تحت لوائه مسير الرياح بين الغمائم وثناءه الذي يضوع كالزهر بين الكمائم ويتنسم تسنم هامات الربا اذا لبست من الربيع ملوثات العمائم ويشهد الله على ما قد قلته والله سبحانه نعم الشهيد فكتب هو الجواب عن ذلك ولكنه عدم مني وأنشدته يوما لنفسي

قلت للكاتب الذي ما اراه * قط الا ونقط الدمع شكله

ان تخط الدموع في الخط شيأ * ما يسمى فقال خط ابن مقله

وانشدني هو من لفظه لنفسه

سبق الدمع بالمسير انطلاقا * ادنوى من احب عني تنله

واجاد الخطوط في صنعة الخد ولم لا يجيد وهو ابن مقله

وأنشدني في مليح نوتي

كلفت بنوتي كأن قوامه * اذا ينثني خوط من البان ناعم

مجاذفه في كل قلب مجاذب * وهزاته للعاشقين هزائم

وأنشدته أنا لنفسي

ما لي الهدى الى القلب
هدية غير أنفس عنده ولا
هو عليها أحرص من ابن
أخته قد رده الله اليه
فخر حابه حتى اذا وقفا على
باب الملك بشراه به فصرمه
الى أمه وقال لها حكمك كما
فقالا حكمنا ما دمت لك
ما بقيت وبقيا فقال ذلك
لكما هما بدما ناجذيه
المعروفان واياهما عنى
متمم بن نويرة الربوعي في
مرثيته لاخيه مالك حين
قتله خالد بن الوليد بن
المغيرة يوم البطاح
وكنا كندماني جذيمة
حقبة
من الدهر حتى قيل لن
يتصدعا
فلما تفرقنا كاني ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة
معا
وقال أبو خراشة الهذلي
ألم تعلمي ان قد تفرق
قبلنا
خليلا صفاء مالك وعقيل
وان ام عمرو عمدت الى
مبعثت معه حفدة يقومون
عليه في الحمام حتى اذا
خرج ألبسته من طرائف
ثياب الملوك وجعلت في
عنقه طوقا من ذهب لنذر
كان عليها ثم امرته بزيارة
خاله فلما رأى خاله لحيته
والطوق في عنقه قال شب
عمرو عن الطوق واقام عمرو مع جذيمة خاله قد حمل عنه عامة امره وان الزباء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن اذينة من

كانت رومية وكانت متكلم بالعربية مدائنها على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي والعربي وهي اليوم خراب وكانت فيما ذكر قد ستقت الفرات وجعلت من فوقه ابنية رومية وجعلته أبعادا بين مدائنها وكانت تغدو بالجنود لخطها جذيمة الابرش فكتبت اليه انى فاعلة ومثلك من رغب فيه فاذا شئت فاشخص الى وكانت بئر الجمع عند ذلك جذيمة أصحابه فاستشارهم فاشاروا عليه بالمضي وخالفهم قصير بن سعد تابع كان له من لخم فامره أن لا يفعل ويكتب اليها فان كانت صادقة أقبلت اليك والا لم تمنع في حبالها معصاه وأضاءهم حتى اذا كان بثنية من دون هيت الى الانبار جمعهم وشاورهم فامروه بالشخوص اليها لما علموا من رأيه في ذلك وقال قصير تقصر ودعك في وجهك فقال جذيمة بثنية قضى الامر فارسلها مثلا وقال قصير بن سعد حين رآه قد عزم لا تطاع لقصير رام فارسلها مثلا وطعن جذيمة حتى اذا عاين مدينتها وهي بمكان دون الحانوقة ونظر الى الكنائب دونها ماله ما رأى فقال أي قصير ما الرأى فقال قصيراني والجماميع

ان نوني مركب نحن فيه * هام فيه صب الفؤاد جريحه
أقلع القلب عن سلوى لما * أن بدا ثغره وقد طاب ريحه

وأنشدته لنفسي أيضا

نوتينا حسنه بديع * وفيه بدر السماء مغرى
ما حك برا الا وقلنا * ياليت أنا نحك برا

فاعجباه رحمه الله تعالى وزهزه لهما وأنشدني هو لنفسه في ملبح احدب

تعشقته احدبا كبسا * يحاكي نحيما حنين النعام
اذا كدن اسقط من فوقه * تعلقت من ظهره بالسنام

فانشدته لنفسي

واحدب رحت به مغرما * اذ لم تشاهد مثله عيني
لا غروان هام فؤادي به * وخصره ما بين دين

وانشدني من لفظه لنفسه في اعمى

ما ضر حسن الذي اهواه أن سنى * كر بعتيه بالاشين قد احتجبا
قد كان تازهرني روض وقد ذوتا * لكن حسنهما الفتان ماذهبا
كالسيف قد زال عنه صقله فعدا * انكى وآلم في قلب الذي ضربا

وانشدته لنفسي في ذلك

ورب اعمى وجهه روضة * تنزهي فيها كثير الديون
في خده ورد غنينا به * عن نرجس ما فتحته العيون

وانشدته ايضا لنفسي في ذلك

فما حسن اعمى لم يخف حد طرفه * محب سدا سكران فيه وماصحا
اذا صد دخل بات يرعى خدوده * غدا آمنا من مقلتيه الجوارحا

وكتبت اليه استدعاء وهو المسؤل من احسان سيدنا الامام العالم العلامة لسان العرب ترجمان الادب جامع الفضائل عمدة وسائل السائل حجة المقلدين زين المتقدمين قطب المؤملين أفضل الآخرين وارث علوم الاولين صاحب اليد الطولى في كل مكان ضيق والمصانيف التي تاخذ بمجامع القلب في كل ذي لب الهاشيق والمباحث التي أثارت الادلة الراجحة من مكامن أماكنها وقنصت أوابدها الجامحة من مواطئ مواطنها كشاف معضلات الاوائل سباق غايات قصر عن شأوها سحبان وائل فارع هضبات البلاغة في اجتلاء اجتلابها وهي في مرقى مرقدها سالب تيجان الفصاحة في اقتضاء اقتضابها من فوق فرقدها حتى أبر كلامه جنان فضل جنان من بعده عن الدخول اليها جبان وأتى ببراهين وجوه حورها لم يطمثهن انس قبله ولا جان وأبدع خمائل نظم ونثر لا تصل الى أغنان فنونها يد جان أثير الدين أبي حيان لازال ميت العلم يحييه وهل عجيب ذلك من أبي حيان

حتى ينال بنو العلوم مرامهم * ويحلهم دار المنى بامان

اجازة كاتب هذه الاحرف ما رواه نسح الله تعالى في مدته من المسانيد والمصنفات والسنن

والجاميع الحديثية والتصانيف الادبية نظما ونثرا الى غير ذلك من أصناف العلوم على اختلاف أوضاعها وتباين أجناسها وأنواعها عما تلقاه ببلاد الاندلس وافريقية والاسكندرية والديار المصرية والبلاد الحجازية وغيرها من البلدان بقراءة أو سماع أو مناولة أو اجازة خاصة أو عامة كفيما تادى ذلك اليه واجازة ما لا زال الله افاده من التصانيف فى تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثية والادبية وغيرها وما له من نظم ونثر اجازة خاصة وان يثبت بخطه تصانيفه الى حين هذا التاريخ وان يجيره اجازة عامة لما يتجدد له من بعد ذلك على رأى من يراه ويجوزه منعما متفضلا ان شاء الله تعالى (فكتب الجواب رحمه الله تعالى) أعزك الله ظننت بانسان جميلا فعاليت وأبديت من الاحسان جزيلا وما باليت وصفت من هو القتام يظنه الناس سماء والسراب يحسبه الظمآن ماء يا ابن الاكرم وأنت ابصر من يشيم امع الروض النضير يرعى الهشيم أما اغنتك فضائلك وفواضلك ومعارفك وعوارفك عن نغبة من دأماة وتربة من بهماة لقد تبلجت المهارق من نور صفحاتك وتارت الاكوان من أريج نفحاتك ولانت اعرف من يقصد للدراية وانسد من يعتمد عليه فى الرواية لكنك اردت ان تكسو من مطارفك وتتفضل من تالدك وطارفك وتجلو الحامل فى منصة النباهة وتنقده من لكن الفهاهة فتشيد له ذكرا وتعلى له قدرا ولم يمكنه الا اسعافك فيما طلبت واجابتك فيما اليه ندبت فان المالك لا يعصى والمتفضل الحسن لا يقصى وقد أحوجت لك أيدك الله تعالى جميع ما رويته عن أشياخى بجزيرة الاندلس وبلاد افريقية وديار مصر والحجاز وغير ذلك بقراءة او سماع او مناولة واجازة بمشافهة ومكاتبة ووحادة وجميع ما أجيز لى أن أرويه بالشام والعراق وغير ذلك وجميع ما صنفته واختصرته وجمعته وأنشأته نظما ونثرا وجميع ما سألت فى هذا الاستدعاء من مرويانى الكتاب العزيز قرأته بقراءة السبعة على جماعة من اعلاهم الشيخ المسند المعمر فخر الدين أبو الظاهر اسمعيل بن هبة الله بن على بن هبة الله المصرى المليحى آخر من روى القرآن بالتلاوة على أبى الجود والكتب الستة والموطأ ومسند عبد بن حميد ومسند الدارمى ومسند الشافعى ومسند الطيالسى والمعجم الكبير للطبرانى والمعجم الصغير له وسنن الدارقطنى وغير ذلك وأما الاجزاء فكثيرة جدا ومن كتب النحو والآداب فاروى بالقراءة كتاب سيبويه والايضاح والتكملة والمفصل وجمل الزجاجى وغير ذلك والاشعار الستة والحماسة وديوان حبيب والمتنبى والمعرى وأما شيوخى الذين رويت عنهم بالسماع أو القراءة فهم كثير وأذكر الآن منهم جماعة فمنهم القاضى أبو على الحسن بن عبد العزيز بن أبى الاحوص القرشى والمقرى أبو جعفر أحمد بن سعيد بن أحمد بن بشير الانصارى واسحق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك ابن درباس وأبو بكر بن عباس بن يحيى بن غريب القواس البغدادى وصفى الدين الحسين ابن أبى منصور بن ظافر الحزرجى وأبو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الاشعرى ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الازدى بن الدهان وقطب الدين محمد بن أحمد بن على بن محمد بن القسطلانى ورضى الدين محمد بن على بن يوسف الانصارى الشاطبى اللغوى ونجيب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمذانى ومكى بن محمد بن أبى القاسم بن حامد

واسرعوا أمامك فالمرأة صادتنه وان هم أخذوا بخنيلك ووقفوا دونك فالقوم منعطفون عليك فيما بينهم وبين جنودهم فاركب العصا فانها لا تدرك ولا تسبق يعنى فرسا كانت نعت معه فاستقبل القوم وأحاطوا به فلم يركب العصا فعند ذلك اقصر فركبها وجعل يطعن والتقت جذيمة فاذا هو بالعصا على ظهرها قصير أمام خيلهم حتى توارت به فسأل جذيمة ساخل من شعر ذنب العصا فادخل على الزباء فاستقبلته وقد كشفت عن كبعثرانها (أى عظمها) وتصنعت بانها وقالت يا جذيمة أى متاع عروس ترى قال أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر فقالت أما والله ساذا لك من عدم مواس ولا قلة أواس ولكن شيمة ما أباس ثم أجلسته على بطع ودعت له بطست من عسجد فقطعت رواهشه واستنزفته حتى اذا نعست ثم واه ضرب بيده فقطرت قطرة على دعامة من رخام وقد قيل لها انه ان وقع من دمه قطرة فى غير طست طلب بدمه فقالت أى جذيمة لا تضيعن من دمك شيأ فانى انما بعثت اليك لانه بلغنى أن دمك شفاء من الخبل فقال جذيمة وما بغنيك من دم

الاصبهاني السفار ومحمد بن عمر بن محمد بن علي السعدي الضرير بن الفارض وزين الدين أبو بكر محمد بن اسمعيل بن عبد الله الانماطي ومحمد بن ابراهيم بن ترحم بن حازم المازني ومحمد بن الحسين بن الحسن بن ابراهيم الدارمي بن الحليلي ومحمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف الانصاري بن الخيمي ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر العنسي عرف بابن التين وعبد الله ابن محمد بن هرون بن عبد العزيز الطائي القرطبي وعبد الله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان ابن فتيان بن كامل الخزرجي وعبد الله بن أحمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن فارس النميمي وعبد الرحمن بن يوسف بن يحيى بن يوسف بن خطيب المزة وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي المصري السكري وعبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصيقل الحراني وعبد العزيز بن عبد القادر بن اسمعيل الغنيمي الصالحي الكناني وعبد المعطي بن عبد الكريم ابن أبي المكارم بن منجى الخزرجي وعلي بن صالح بن أبي علي بن يحيى بن اسمعيل الحسيني البهنسي بنجاو روغازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلاوي والفضل بن علي بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة الخزرجي ويوسف بن اسحق بن أبي بكر الطبري المكي والمسربن عبد الله بن محمد بن خلف بن المسرا القشيري ومؤنسة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي وشامية بنت الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد التيمية وزينب بنت عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي وممن كتبت عنه من مشاهير الادباء أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن الفرج المالقي بن المرحل وأبو الحسن بن حازم بن محمد بن حازم الانصاري القرطاجني وأبو عبد الله بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الله الهذلي التطيلي وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن زيتون المالقي وأبو عبد الله محمد بن عمر بن جبير الجليانى العكي المالقي وأبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الانصاري الخزاز وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولوا القرشي وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي علي الحسن المصري الوراق وأبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن ياسين الكومي التلمساني وأبو العباس أحمد بن أبي الفتح نصر الله بن باتكين القاهري وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد ابن حماد بن محسن الصنهاجي البوصيري وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم الغرزي *وممن أخذت عنه من النحاة أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشني الابذي وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي بن الضائع وأبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللبلي وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن نصر الحلبي بن النحاس وممن لقيته من الظاهرية أبو العباس أحمد بن علي بن خالص الانصاري الاشبيلي الزاهد وأبو الفضل محمد بن محمد بن سعدون الفهري الشنتمري وجملة الذين سمعت منهم نحو من اربعمائة شخص وخمسين وأما الذين أجازوني فعالم كثير جدا من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار افريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام وأما مصنفته فمن ذلك البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم اتحاف الاديب بما في القرآن من الغريب كتاب الاسفار الملخص من كتاب الصفار شرح الكتاب سيبويه كتاب التجريد لاحكام سيبويه كتاب التذييل والتكميل

أضاعه أهله وفي ذلك يقول واستصفت دمه وجعلته في بريه وقال بعضهم دخل عليها جذيمة في قصرها ليس فيه الا الحواري وهي على سريرها فقالت للاماء خذن بيد سيدكن ثم دعت بمطرح فجلسته عليه فعرف الشر وكشفت عن عورتها فاذا هي قد عدمت شعر استها من وراء فقالت أشوار عروس ترى فقال بل شوار أمة بئرا فقالت أما والله مذ الثمن عدم مواس ولاس فله أواوس لكنها شيمة ما آناس ثم أمرت برواهشه فقطعت فملت دمه بشغب في الضع كراهة أن يفسد مفعدها فقال جذيمة لابحرمك ثم أراقه أهله ومحا قصيرا ورد الخبر على عمرو بن عبد العدي التنوخي بالحيرة فاشفق لذلك فقال له قصير اطلب بثارك جملك والا ستلئن العرب فلم يجعل بذلك أن عنده خبرا فخرج قصير الى عمرو بن عدي فقال له هل لك الى أن أصرف الجنود اليك على أن تطلب ثأر خالك فجعل له ذلك فصرف وجوه الجنود اليه وساهم بالمال والحال فانصرف اليه منهم بشر كثير فالتقى هو والتنوخي فلما حاقوا الفتى بايعه التنوخي وتم الامر لعمرو بن عدي فقال له قصير انظر ما وعدتني به

في شرح التسهيل كتاب التحبير الملخص من شرح التسهيل كتاب التذكره كتاب المبدع في التصريف كتاب الموفور كتاب التقريب كتاب التدريب كتاب غاية الاحسان كتاب النكت الحسان كتاب الشذا في مسألة كذا كتاب الفضل في أحكام الفصل كتاب اللمعة كتاب الشذرة كتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء كتاب عقد اللآلي كتاب نكت الامالي كتاب النافع في قراءة نافع الاثير في قراءة ابن كثير المورد العمر في قراءة أبي عمرو الروض الباسم في قراءة عاصم المزن الهامر في قراءة ابن عامر الزهرة في قراءة حمزه نعريب الباقي في قراءة الكسائي غاية المطلوب في قراءة يعقوب قصيدة النير الجلي في قراءة زيد بن علي الوهاج في اختصار المنهاج الانور الاجلى في اختصار المحلى الحلل الحاليه في أسانيد القرآن العالية كتاب الاعلام بأركان الاسلام نثر الزهر ونظم الزهر نظر الحسبي في جواب أسئلة الذهبي فهرست مسموعاتي نوافث السحر في دمائث الشعر تحفة الندس في نحاة الاندلس الابيات الوافية في علم القافية جزء في الحديث مشيخة بن أبي المنصور كتاب الادراك للسان الاتراك زهر الملك في نحو الترك نفحة المسك في سيرة الترك كتاب الافعال في لسان الترك منطق الحرس في لسان الفرس وعالم يكمل تصنيفه كتاب مسالك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد كتاب منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك نهاية الاعراب في علمي التصريف والاعراب رجز معاني العصر في آداب وتواريخ لاهل العصر خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان رجز نور العيش في لسان الحبش المحبور في لسان الفجور قاله وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان وأنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه في صفات الخمر وقد

انا هاولمستطيـــل أعـــن * كلما اشتد صار النفس رحوه
أهمس القول وهو يجهر سري * واذا ما الختم صت أطهر علوه
فتح الوصل ثم أطبق هجرا * بصفير والعلب قلقل شكوه
لان دهرا ثم اعتدى ذا انحراف * وعشا السر مدبكر رق نحوه

وأنشدني أيضا لنفسه

يقول لي العذول ولم أطعه * تسل عديد اللعب لحبه
تحيل أنها شانت حبيبي * وعندي أنها زانت وحليه

وأنشدني لنفسه أيضا

شوقي لذاك المحيا الزاهر الراهي * شوق شديد وجسمي الواهن الواهي
أسهرت طرفي ووهت الفؤاد هوى * فالطرف والقلب مني الساهر الساهي
نهبت قلبي ونهبي أن أبوح بما * يلقاه واشوقه للساهب الساهي
بهرت كل ملح بالبهاء فما * في البشر بين شبيه الباهر الباهي
لهجت بالحب لما ان لهوت به * عن كل شئ سوى اللاهج اللاهي

وأنشدني من لفظه لنفسه

فاني جادع أنفي وأذني
وحتمال لقتلها جهدي
فاني وخلاك ذم ما لله
عمرو أنت أبصر ولي
معونتك لجدع أنفه فقيل
لام ما جدع قصير أنفه ثم
انطلق حتى دخل على أبرهة
فقالت مالك فقال أيتها
قصير لا ورب المذري ما
كان على وجه الارض
بشر كان أصح لحما ودما ولا
أحسن لك مني حين جدع
عمرو أنفي وأذني وعرفت
أني لا أكون مع أحد هو
أثقل علي مني فعلت فعالت
أي قصير قبل منا لك
وصرفت في بساعدها
فأعطته مالا للتجارة في
بلاد اليمن الخبره فأسف
ما فعله بأمر عمرو بن عدي
وانصرف به الى بلاده فلما
رأى ما جاء به قومه
بذلك وراده مالا الى ما جاء
به وقال انه ليس من ملك
الا وهم يتخذون في
مدائنهم أبهاتا تكون لهم
عددا فقالت له أما اني قد
علمت ذلك فذهبت سريا
وبنته من نحت سرير
هذا حتى خرج من تحت
الفرات الى سرير الخضر
دخله وخرج بذلك قصير
ثم طعن حتى أتى عمرا
فركب عمرو في الف رجل
على الف بعير في الف أدهم

حتى صار اليها فقدم قصير وسبق الاخبره فقال لها اصعدي حائط مدينتك وانظري الى مالك وتقدمي الى بوابك لا يعرض

راض حبيبي عارض قديدا * ياحسنه من عارض رائض
وظن قوم ان قلبي سلا * والاصل لا يعتد بالعارض

وأنشدني من لفظه لنفسه

تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
أحا العقل يدري مايراد من الهوى * أمنت عليه من رقيب ومن صد
وقالوا الورى قد مان في شرعة الهوى * لسود اللحى ناس وناس الى المرد
ألا انني لو كنت اصبو لامرد * صبوت الى هيفاء مائسة القد
وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركا * فاحببتان أبغي بابيضهم وحدي

وأنشدني من لفظه لنفسه

الا ان الحاظا بقلبي عوابثا * أظن بها هاروت أصبح نافثا
اذا رام ذو وجد سلوا منعه * وكن على دين التصابي بواعثا
وقيد من أضحى عن الحب مطلقا * وأسر عن للبلوى بمن كان رائثا
بروحي رشا من آل خاقان راحل * وان كان مابين الجوانح لابثا
غدا واحدا في الحسن للفضل ثانيا * وللبدر والشمس المنيرة ثالثا

وأنشدني لنفسه ومن خطه نقلت

أسحر لتلك العين في القلب أم وخز * ولين لذاك الجسم في اللمس أم خز
وألمود ذاك القد أم أسمر غدا * له أبدا في قلب عاشقه هز
وقاد كساها الحسن أفخر حلة * فصار عليها من محاسنها طرز
وأهدى اليها الغصن لين قوامه * فماس كأن الغصن حاره العز
يروع أديم الارض من نشر طيبها * ويحضر من آثارها تربه الجرز
ويختال في برد الشباب اذا مضت * نهضتها تذويقعدها عجز
أصابت فؤادا الصب منها بنظرة * فلا رقية تجدي المصاب ولا حرز

وأنشدني اجازة في مليح أبرص ومن خطه نقلت

وقالوا الذي قد صرت طوع جماله * ونفسك لاقت في هواه نزاعها
به وضحنا باه نفس أولي النهى * وأفظع داء ماينال طباعها
فقلت لهم لاعيب فيه يشينه * ولا علة فيه يروم دفاعها
ولكنها شمس الضحى حين قابلت * محاسنه ألقت عليه شعاعها

وأنشدني من لفظه لنفسه في حمام

وعلقته مسود عين ووبرة * وثوب يعاني صنعة الفحم عن قصد
كأن خطوط الفحم في وجناته * لماخة مسك في جنى من الورد

وأنشدني اجازة ومن خطه نقلت

سال البدر هل تبغي أخوه * قلت يابدر لن تطيق طلوعا
كيف يبدو وأنت يابدر باد * أو بدران تطلعان جميعا

شي من اموالذاوني قدجئت
فلما نظرت الى ثقل مشي
الجمال قالت
ما للجمال مشيها وئيدا
اجندلا يحملن أم حديدا
ام صرفانا باردا شديدا
ام الرحال جشمت قعودا
ودخلت الابل المدينة
حتى اذا بي آخرها جملا
جميل صبر البواب نضعن
عنه كانت في يده حاصرة
رجل صرط فقال البواب
شتا بشتابا البطيحة اي في
الجسر والى شروشار الرحال
من الجوالين ضربا باسيافهم
فخرجت الرباء هاربة الى
بيتها فصرت قصبة عند
عنقها مصلتا بسيفه
فانصرفت راجعة ولقاها
عمرو بن عدي فصربها وقال
بعضهم مصت حانيها
وكان فيه سم ساعة وقالت
يدي لا يد عمرو وهربت
المدينة وسبيت الدراري
فقالت الشعراء في امرها
وامر قصرها كثرت في ذلك
قول المتلمس
ومن طلب الآثار ما جد
انه
قصير ورام الموت بالسيف
بيرس
تعاميت لما صرع القوم
رهطه
تبين في اثرابه كيف يلمس
ومن ذلك قول عدي بن
زيد التميمي يصف ذلك من امرهم الا ايها الملك المرجى * الم تسمع بخطب الاولينا

وانشدني

وأنشدني من لفظه لنفسه موشحة عارض بها شمس الدين محمد بن التلمساني

عادلي في الاهيف الآنس * لو رآه الآن قد عذرا
وشاقد زانه الحور
غص من فوقه قمر
فر من سحبه الشعر
ثغر من فيه أم درر
حال بين الدر واللعس * خبره من ذاقها سكرا
رحه بالرد أم كسل
ريقه بالثغر أم عسل
ورده بالخد أم خجل
كحل بالعين أم كحل
يا لها من أعين نعس * جلبت لنا طرى سهرا
مذ نأى عن مقلتي سنى
ما أعد قالدة الوسن
طال ما أشجاه من شجن
فجاضدان في بدن
بفؤادي جذوة القبس * وبعيني الماء منحدرا
فدا تاني الله بالفرج
اذ دنا مني أبو الفرج
فرد دخل في المهج
كيف لا يحشى من الوهج
غيره لو صانه نفسي * طبه من حره شررا
نصب العينين لي شركا
فاتني والقلب قد ملكا
فرأى لي قلبه ملكا
قال لي يوما وقد ضحكا
أتحى من أرض دلس * نحو مصر تعشق القمرا

وأما موشحة ابن التلمساني فهي

قمر تحلو دجى الغلس * بهر الابصار مذ ظهرا
أمن من شدة الكلف
ذبت من حبه بالكلف
لم يزل يسعى الى بلبي
بركاب الدل والصلف

وكان يقول لو وقع اليقين لحطته التي غدرت وخانت

وهن ذوات عائلة لحيا مع أشعار كثيرة قيلت في ذلك وكانت الرباب لاتاني حصنا الا ضفرت شعر اسها من حلقه ثم قاعست وتعلقه حتى تعلم ذلك عارد حصن دومة الجندل وبالاولى حصن بماء الفرد حصين منيعين سألت عمر دينارا دوعر الاولى وهما الحصنان اللذان يذكرهما العرب في أشعارها فان الاعشى في ذلك

بالابان الفرد من بماء
مرله
حصن حصين وجار غير مغدار
وجدته لوضاح الذي يعمل به
ماست مودعه الحديد ثم وجد منهم وغائر
أن ماء أحور دوعين لنا وأحوى دوأناعر
والملك كان لدى نوا س حوله من دى بحائر
بالسفعات وبالعسا والبيض تعرق والمغافر
أرمان سملاق وعا دهم منهم وبادوحاضر
وانما سمى جذيمة الابرص الوضاح لانه كان به برص

 وكنى به اعظاما له (قال المسعودي) هذا بد وحبر بني عدي وقد تقدم ان مذهبا كان سنه

آه لولا أعين الحرس * نلت منه الوصل مقتدرا
يا أمير الجار مذوليا
كيف لا ترثي لمن بليا
قد بثغر منك قد جليا
قد حلا طعما وقد حليا
وبما أوتيت من كيس * جدفا أبقيت مصطبرا
بدر تم في الجمال سنى
ولهذا لقبوه سنى
قد سبانى لدة الوسن
بمحيا باهر حسن
هو خشى وهو مفترسى * فاروعن أعجوبتى خبرا
لك خدنا أبا الفرج
زين بالتوريد والضرج
وحديث عاطر الارج
كم سبى قلبا بلا حرج
لو رآك الغصن لم يمس * أو رآك البدر لا ستترا
يا مذيبا مهجتى كمدا
فقت في الحسن البدور مدى
يا كميلا كحله اعتمدا
عجبا أن تبرى الرمدا
ويسقم الناظرين كسى * جفنك السحار وانكسرا

وأنشدني من لفظه لنفسه ايضا

ان كان ليل داج * وخاننا الاصباح * فنورها الوهاج * يغنى عن المصباح
سلافة تبدو * كالكوكب الازهر
مزاجها شهد * وعرفها عنبر
وجبذا الورد * منها وان اسكر
ذابي بها قد هاج * فما راني صاح * عن ذلك المنهاج * وعن هوى ياصاح
وبي رشا أهيف * قد لج في بعدى
بدر فلا يخسف * منه سنى الخد
بلحظه المرهف * يسطو على الاسد
كسطوة الحجاج * في الباس والسفاح * فما تري من ناج * من لحظه السفاح
عال بالمسك * قلب رشا أحور
منعم المسك * ذي مبسم أعطر

ولك بعده ولده امرؤ القيس العرب خمسا وعشرين سنة وكانت امه ماوية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان وملك النعمان بن امرئ القيس قاتل الفرس خمسا وستين سنة وكانت أمه الهجابه بنت سلون من مراد ويقال من اياد وملك المنذر بن النعمان فارس حليمة وهو الذي بنى الخورنق وكرد س الكاديس خمسا وثلاثين سنة وكانت أمه هند بنت الهجانة من آل بكر وملك المنذر بن الاسود ابن النعمان بن المنذر أربعا وثلاثين سنة وكانت امه ماء السماء بنت عوف بن الحمر بن قاسط بن أفصى بن دعمى بن خويلد بن أسد بن ربيعة ابن نزار وانما سميت ماء السماء لحسنها وجمالها هاشم ملك بعده عمرو بن المنذر أربعا وعشرين سنة وكانت أمه اخت عمرو بن قابوس من آل نصر ثم ملك قابوس بن المنذر ثلاثين سنة وكانت أمه بنت الحرث من آل معاوية ابن معديكرب وملك النعمان بن المنذر وهو الذي يقال له أبيت اللعن اثنتين وعشرين سنة وكانت أمه سلمى بنت واثل بن عطية من كاب (وذكر عدة من الاخبار بين) أن النابغة

رياه كالمسك * وريقه كوثر
غصن على درجاج * طاعت له الارواح * فحبذا الاراج * ان هبت الارواح
مهلا أبا القاسم * على ابى حيان
ما ان له عاصم * من لحظك الفتان
وهجرك الدائم * قد طال بالهيمان
فدمعه أمواج * وسره قد باح * لكنه ما عاج * ولا أطاع اللاح
يارب ذى بهتان * يعذل فى الراح
وفى هوى غزلان * دافعت بالراح
وقلت لاسلوان * عن ذاك يالاح

سبع الوجوه والتاج * هى منية الافراح * فاختر لى يازجاج * فعال وزوج اقداح

وأنشدنى من لفظه لنفسه القصيدة الدالية التى نظمها فى مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها الى مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه وأولها

هو العلم لا كالعلم شئ تراوده * لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

وهى قصيدة جيدة تزيد على مائة بيت وحكى لى أن الشيخ أثير الدين رحمه الله تعالى ضعف فتوجه اليه جماعة يعودونه وفيهم شمس الدين بن دانيال فأنشدهم الشيخ رحمه الله تعالى القصيدة المذكورة فلما فرغت قال ابن دانيال ياجماعة اخبركم ان الشيخ قد عوفى وما بقى عليه باس لانه لم يبق عنده فضلة قوموا باسم الله وأنشدنى من لفظه لنفسه رحمه الله تعالى قصيدته السينية التى أولها

أهاجك ربع حائل الرسم دارسه * كوحى كتاب أضعف الخط دارسه انتهى

نص الصفدى وماذكره رحمه الله تعالى فى موضع ولادة أبى حيان غير مخالف لما ذكره فى الوافى انه ولد بغرناطة الا ان قوله بمدينة مطخشارش فيه نظر لانه يقتضى انها مدينة وليس كذلك وانما هى موضع بغرناطة ولذا قال الرعينى ان مولد أبى حيان بمطخشارش من غرناطة ونحوه لابن جماعة انتهى وهو صريح فى المراد وصاحب البيت ادرى بالذى فيه على انه يمكن ان يرد كلام الصفدى لذلك والله تعالى اعلم وذكر فى الوافى انه تولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية والاقراء بالجامع الاعظم قال الصفدى وقال لى لم أر بعد ابن دقيق العيد أفصح من قراءتك وكان ذلك حين قرأت عليه المقامات الحريرية بمصر جماعة انتهى وما وقع فى كلام كثير من أهل المغرب ان ابا حيان توفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة غير ظاهر لان اهل المشرق أعرف بذلك اذ توفى عندهم وقد تقدم انه توفى سنة خمس وأربعين وسبعمائة فعلى كلام اهل المشرق فى هذا المعول والله اعلم وكانت نضار بنت ابى حيان حجت وسمعت بقراءة العلم البرزالى على بعض الشيوخ وحدث بشئ من مروياتها وحضرت على الدمياطى وسمعت على جماعة وهى بضم النون وتخفيف الضاد وأجازها من المغرب أبو جعفر ابن الزبير وحفظت مقدمة فى النحو ولما توفيت عمل والدها فيها كتابا سماه النضار فى المسلاة عن نضار وكان والدها يثنى عليها كثيرا وكانت تكتب وتقرأ قال الصفدى

الملق تقبله الافئدة وهو
جذل للرحيق فان تلق تلق
انجدا عن غرر مواهبه
فانت قسيم ما أفدت قال
له الحاجب ما تبقى عنا تى
بدون شكرك فكيف
أرغب فيما وصفت ودون
ما طلبت رهبة التعدى
قال النابغة ومن عنده قال
الحاجب خالد بن جعفر
الكلابى نديمه فقال
النابغة هل لك الى ان
تؤدى الى خالد عنى ما
اقول لك قال وما هو قال
تقول ان من بدرك وفاء
الدرك بك وتاديتى من
الشكر ما قد علمت فلما
صار خالد الى بعض ما تبعثه
موارد الشراب عليه نهض
فاعترضه الحاجب فقال
ليهنك التمام حادث النعيم
قال وما ذاك فاخبره الخبر
وكان خالد رفيقا باتى
الاشياء بلطف وحسن
بصيرة فدخل متبسما وهو
يقول

الا لا ملك أو من أنت سابقه
سبق الجواد اذا استولى
على الامد
واللات لكانى انظر الى
ذى رعين وقد مدت لهم
تضبان المجد الى معالم
أحسابكم ومناقب أنسابكم
فى حلبة أنت أبيت اللعن
غرتها فجئت سابقا منهملا

وجاؤا يلمهم سعى قال النعمان لانت فى وصفك أبلغ احسانا من النابغة فى نظام قافيته فقال خالد ما أبلغ فيك حسنا

قال لى ولدها انها خرجت جزالة نفسها وأنها تعرب جيدا وأظنه قال لى انها تنظم الشعر وكان يقول دائما ليت أخاها حيان كان مثلها وتوفيت رحمها الله تعالى فى جمادى الآخرة سنة ٧٣٠ فى حياة والدها فوجد عليها وجدا عظيما ولم يثبت وانقطع عند قبرها بالبرقوقية ولازمه سنة وولدها فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٢ قال الصفدى وكنت بالرحبة لما توفيت فكتبت لوالدها بقصيدة أولها

بكينا باللجين على نضار * فسيل الدمع فى الخدين جارى
فيا لله جارية تولت * فنبكيها بأدمعنا الجوارى انتهى

وقال الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعينى الاندلسى فى برنامجه عند ذكره شيخه أبا حيان زيادة على ما قدمناه ما ملخصه ان أبا حيان قال سمعت بغرناطة وما لقة وبلش والمرية وبجاية وتونس والاسكندرية ومصر والقاهرة ودمياط والمحلة وطهرمس والجيزة ومنية ابن خصيب ودشنا وقنا وقوص وبلبيس ويعيذاب من بلاد السودان وينبع ومكة شرفها الله تعالى وجدة وأيلة ثم فصل من لقيه فى كل بلد الى أن قال وبمكة أبا اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن عبد الله بن عساكر الى أن قال فهذه نبذة من شيوخى وحملة من سمعت منهم نحو خمسمائة والمجيزون أكثر من ألف وعدد كتب القراآت التى أخذت سبعة عشر كتابا وقال فى حق المليحى انه أعلى شيوخى فى القراآت وان آخر من روى عنه السبع أبو الجود غياث بن فارس المنذرى اللخمى واجازته منه سنة ٦٠٤ قال وقرأت البحارى على جماعة أقدمهم اسنادا فيه أبو العز الحرانى قرأته عليه بلفظى الا بعض كتاب التفسير من قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض الى قوله سبحانه ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى سورة النور فسمعته بقراءة غيرى قال أنبأنا به أبو المعالى أحمد بن يحيى بن عبيد الله الخازن البيع سماعا عليه سنة ستمائة ببغداد أنبانا أبو الوقت بسنده وكل له رحمه الله تعالى جامع الترمذى بين قراءة وسماع على ابن الزبير بغرناطة وسمعه على محمد بن ترحم أنبانا ابن البناء أنبانا الكروخى بسنده وقرأ السنن لابى داود بغرناطة على أبى زيد عبد الرحمن الربعى عرف بالتونسى أنبانا به سهل بن مالك وقرأه بالقاهرة على أبى الفضل عبد الرحيم بن خطيب المزة عن أبى حفص بن طبرزذ عن أبى بدر الكروخى ومفلح الرومى عن أبى بكر بن ثابت الخطيب أنبانا أبو عمر الهاشمى أنبانا اللؤلؤى أنبانا أبو داود وقرأ الموطأ على أبى جعفر ابن الطباع عن أبى القاسم بن بقى عن ابن عبد الحق عن ابن الطلاع بسنده وهذا أعلى سند يوجد عن يونس بن مغيث فى عصره وسمع أبو حيان الاجزاء الخلعيات والغيلانيات والقطيعيات والنهروانيات والمحاملیات والثقفيات وسداسيات الرازى بعلو وقرأها على صفى الدين عبد الوهاب بن الفرات عن أبى الطاهر اسمعيل بن ياسين الجيلى وهو آخر من حدث عنه عن أبى عبد الله الرازى سماعا وقرأ جزء الانصارى على أبى بكر بن الاغاطى بسماعه حضورا فى الرابعة على أبى اليمن زيد بن الحسن الكندى أنبانا أبو بكر محمد بن عبد الباقى البزار سنة ٥٣٢ أنبانا ابراهيم بن عمر بن أحمد البرمكى قراءة عليه فى رجب سنة ٤٤٥ أنبانا عبد الله بن ابراهيم بن ماس أنبانا أبو مسلم الكشى البصرى أنبانا محمد بن عبد الله

نحاجب وقال قد أذن بفتح الباب ورفع الحجاب ادخل فدخل ثم انتصب بين يديه وحياه بتحية الملك وقال أبيت اللعن أتمازحونى وأنت سائد العرب وتيرة الحسب واللات لأمسك أيمن من يومه ولقفاك أحسن من وجهه ولساقك أسمع من بمبه ولوعدك أصلح من رفده ولعبيدك أكثر من خوله ولاسمك أشهر من قدره ولنفسك أكبر من جده وليومك أشهر من دهره ثم قال

أحلاق مجدك جاب مالها خطر
فى الجود والباس بين العلم والخبر
متوج بالمعالى فوق مفرقه
وفى الوغى ضيغم فى صورة البشر

فتهلل وجه النعمان بالسرور ثم أمر لخثعمى بوهر ثم قال بمثل هذا يمدح الملوك وقد كان النعمان قتل عدى بن زيد التميمى وكان يكتب لكسرى ابروير ويرجم اذا وفد عليه زعماء العرب لموجدة وجدها عليه النعمان فى خبر طويل الشرح ولما قتل صار زيد بن عدى مكان أبيه وقد كر لابرويز جمال نساء آل المنذر ووصفهن له فكتب الانصارى

الانصارى وقرأ جميع كتاب سيبويه على البهاء بن النحاس المشهور بالنحوى فى مصر والشام بقراءته على علم الدين أبى محمد القاسم بن أحمد بن الموفق بقراءته على التاج أبى اليمن الكندى أنبانا أبو محمد عبد الله بن على بن أحمد البغدادى مؤلف كتاب المبهج أنبانا أبو الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب عرف بابن الدباس أنبانا أبو القاسم عبد الواحد ابن على بن عمر بن برهان الاسدى أنبانا القاسم على بن عبيد الله الرقيني أنبانا على بن عيسى بن عبد الله الرمانى أنبانا أبو بكر بن السراج أنبانا أبو العباس المبرد أنبا أبو عمر الجرمى وأبو عثمان المازنى قالا أنبانا أبو الحسن الاخفش أنبانا سيبويه قال الشيخ أبو حيان ولا أعلم راويا له بمصر والشام والعراق واليمن والمشرق غيرى وروايته عن الاساتيذ أبوى على بن الضائع وابن أبى الاحوص وأبى جعفر اللبلى عن أبى على الشلوبين وسنده مشهور بالمغرب ووقع لابى حيان تساعيات كثيرة وأغرب ماوقع له ثلاثة أحاديث بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثمانية أخبره المحدث نجيب محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمدانى بقراءته عليه والجليلة السلطانية مؤنسة بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى قراءة عليه وهو يسمع قالا أنبانا أبو المفاخر اسعد بن سعيد بن روح فى كتابه أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجوزوانية أنبانا ابو بكر محمد بن عبد الله بن رندة الضبى الاصبهانى انبانا الحافظ ابو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب بن مطر اللخمى الطبرانى انبانا عبيد الله بن رماحس القيسى برمادة الرملة سنة ٢٧٤ أنبانا ابو عمر زياد بن طارق وقد أتت عليه عشرون ومائة سنة قال سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمى يقول لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم هوازن اتيته فقلت

امنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه ونتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر * مشتت شملها فى دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن * علا قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها * يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك تملؤه من محضها الدرر
اذ أنت طفل صغير كنت ترضعها * واذ يزينك ما تأتى وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته * واستبق منا فانا معشر زهر
انا نشكر للنعماء اذ كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من امهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به * عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هذى البرية اذ تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عما أنت راهبه * يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله قال أبو القاسم الطبرانى لا يروى عن زهير الا بهذا الاسناد وتفرد به عبيد الله بن رماحس وبالاسناد الى

ريد بن عدى يا زيد أما لكسرى فى مهاد السواد كفاية حتى يتخطى الى العريات فقال ريدا نما أراد الملك اكرامك أبيت اللعن بصهرك ولو علم ان ذلك يشق عليك لما فعله وساحسن ذلك عنده واعذرك بما يقبله فقال النعمان وافعل فقد تعرف ماعلى العرب فى تزويج العجم من الغضاضة والشناعة فاذى اليه قوله فى مهاد السواد على اقبح الوجوه واوجده عليه وقال ساهافقال البشر فاخذ عليه وقال رب عبد قد صار فى الطعان الى اكثر من هذا فاما بلغت كلمته الى النعمان تخوفه فخرج هاربا حتى صار الى طيئ لصهر كان له فيهم ثم خرج من عندهم حتى أتى بنى رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس فقالا له أقم معنا فانا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا فخزاهم الخير ورحل عنهم يريد كسرى ليرى فيه رأيه وذلك قول زهير بن أبى سلمى

الم تر للنعمان كان بحوزة * من الدهر لوان امرأ كان ناجيا

وغير عنه ملك عشر بن حجة * من الدهر يوما واحدا كان غاويا * فلم ار مسلوبا له مثل ملكه * اقل صديقا معطيا ومواسيا

الطبرانى أنبأنا جعفر بن حميد بن عبد الكريم بن فروخ بن دينار بن بلال بن سعد بن بلال بن
سعد الانصارى الدمشقى قال حدثنى جدى لامى عمر بن أبان بن مفضل بن أبان المدنى قال
أرانى أنس بن مالك الوضوء ثم أخذ ركوة فوضعها عن يساره وصب على يده اليمنى فغسلها
ثلاثا ثم أدار الركوة على يده اليمنى فغسلها ثلاثا وثلاثا ومسح برأسه وأخذ ماء جديدا لصماخيه
فقلت له قد سمعت أنك فقال يا غلام هل رأيت وفهمت أو أعيد عليك فقلت قد كفانى
وقد فهمت قال فكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ قال الطبرانى لم يروعمر بن
أبان عن أنس حديثا غير هذا وبالاسناد الى الطبرانى حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد القصاص
المصرى أنبأنا دينار بن عبد الله مولى أنس بن مالك حدثنى أنس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى لمن رأى من رآنى وآمن بى ومن رأى
من رآنى ثم قال الرعينى ونصا تيف أبى حيان نزيد على خمسين مابين طويل وقصير ثم قال
الرعينى وخرج أبو حيان من الاندلس مفتتح سنة ٦٧٩ واستوطن القاهرة بعد حجه وأنشد
لشيخه أبى الحسن الدباج

رضيت كفافى رتبة ومعيشة * فلست أسامى موسرا ووجيها
ومن جر أثواب الزمان طويله * فلا بد يوما أن يسيء فيها

وأنشد بإسناده لموسى بن أبى تليد

حالى مع الدهر فى تقلبه * كطائر ضم رجله شرك
همه فى خلاص مهجته * يروم تخليصها فتشتبك

ثم أورد الرعينى جملة من نظم أبى حيان منها قوله

أريد من الدنيا ثلاثا وانها * لغاية مطلوب لمن هو طالب
تلاوة قرآن ونفس عفيفة * وإكثار أعمال عليها أواظب

وقوله

أرحت روحى من الاناس بالناس * لما غنيت عن الاكياس بالياس
وصرت فى البيت وحدى لا أرى أحدا * بنات فكرى وكتبى هن جلاسى

وقوله

وزهدنى فى جمع المال انه * اذا ما انتهى عند الفتى فارق العمرا
فلا روحه يوما أراح من العنا * ولم يكتسب حمدا ولم يدخر أجرا

وقوله

يظن الغمر أن الكتب تجدى * أخا ذهن لادراك العلوم
وما يدرى الجهول بان فيها * غوامض حيرت عقل الفهيم
ادارمت العلوم بغير شيخ * ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الامور عليك حتى * تصير أضل من توما الحكيم

وله لغز فى قبراط زاعما انه لا يفك

وما اسم خماسى اذا ما فككته * يصير لنا فعلين أمرا وماضيا

بعكس وهو كل وجزء وجمعه * بابدال عين حار فيه الاهما
ومع كونه فردا وجمعا فأول * وآخره أضحى لشخص معاديا
وفي عكسه صوت فتبنيه صيغة * وبني بمعناه وما أنت باميا
فكم فيه من معنى خفي وانما * عنيت بذكرى الذي ليس خافيا

ثم قال الرعيني وهو شيخ فاضل ما رأيت مثله كثير الضحك والانبساط بعيد عن الانقباض جيد الكلام حسن اللقاء جميل المؤانسة فصيح الكلام طلق اللسان دمث الفؤاد وهبه فاخره له وجه مستدير وقامته معتدلة التقدير ليس بالطويل ولا بالقصير انتهى ما لخصته من كلام الرعيني * ولما قدم الاستاذ أبو حيان الى مصر أوصى أهله بقوله ينبغي للعاقل أن يعامل كل أحد في الظاهر معاملة الصديق وفي الباطن معاملة العدو في التحفظ منه والتحرز وليكن في التحرز من صديقه أشد في التحرز من عدوه وأن يعتقد أن احسان شخص الى آخر وتودده اليه انما هو لغرض قام له فيه يتعلق به يبعثه على ذلك لا لذات ذلك الشخص ومعنى أن يترك الانسان الكلام في ستة أشياء في ذات الله تعالى وما يتعلق بصفاته وما يتعلق بأحوال أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفي التعرض لما جرى بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وفي التعرض لأئمة المذاهب رحمهم الله تعالى ورضي عنهم وفي الطعن على صالحي الامة نفع الله بهم وعلى أرباب المناصب والرتب من أهل زمانه وأن لا يقصد أذى أحد من خلق الله سبحانه وتعالى الا على حسب الدفع عن نفسه وأن يعذر الناس في مباحثهم وادراكهم فان ذلك على حسب عقولهم وأن يضبط نفسه عن المراء والاسترسال والاستخفاف بأبناء زمانه وأن لا يبحث الا مع من اجتمعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث وأن لا يعجب على من لا يفهم مراده ومن لم يدرك ما يدركه وأن يلتمس لمخرج جاهل ظاهر كلامه الفساد وأن لا يقدم على تخطئة أحد بمبادئ الرأي وأن يترك الخوض في علوم الاوائل وأن يجعل اشتغاله بعلوم الشريعة ولا ينكر على القراء وليسلم لهم أحوالهم وينبغي للعاقل أن يلزم نفسه التواضع لعبيد الله سبحانه وتعالى وأن يجعل نصب عينيه أنه عاجز مفتقر وأن لا يتكبر على أحد وأن يعد من الضحك والمزاح والحرص فيما لا يعنيه وأن يتظاهر لكل بما يوافقه فيما لا معصية لله تعالى فيه لا لحرم مروءة وأن يأخذ نفسه باجتناب ما هو قبيح عند الجمهور وأن لا يظهر الشكوى لاحد من خلق الله تعالى وأن لا يعرض بذكر أهله ولا يجري ذكرهم بحضرة جليسه وأن لا يلمح أحدا على عمل خير يعمله لوجه الله تعالى وأن يأخذ نفسه بحسن المعاملة من حسن الخلق وجميل التغاضي وأن لا يركن الى أحد الا الى الله تعالى وأن يكثر من مطالعة التواريخ فانها تلقح عقلا جديدا والله سبحانه وتعالى أعلم انتهت وصية أبي حيان الجامعة النافعة وقد نقلتها من خط الشيخ العلامة أبي الطيب بن علوان التونسي المالكي الشهير بالمصري وهو ممن أخذ عن تلامذة الشيخ أبي حيان رحمه الله تعالى قلت وبمعنى هذه الوصية من نهيه عن الطعن في صالحي الامة نفع الله تعالى بهم وأمره بالتسليم لاحوالهم وعدم الانكار عليهم علم أن ما نقله الصفدي عنه فيما تقدم من قوله ان الشيخ أبا مدين الى آخره كلام فيه نظر لان

وقال هانئ بن مسعود الشيباني
اذا التاح لا ألفاك أضحى
في الورى رأسه محسود
القبول
ان كسرى عداعلى ا
البعد سان حي
الابل
رعاري به النعمان
لم يلقه هو ولا احد
حرفاوا بعدهم باعبه
بن بول الهند تحسبه
محنطا دمى نواحيه
(وقد كان النعمان)
حر أراد لمن الخ
مستسلما مرعى ق
فارد عه
عبد هانئ بن مسعود
هانئ الشيباني لما
كسرى على النعمان بعث
الى هانئ بن مسعود
وطالبه بمكتبه فامتنع
والى أن أمر الدهر فكان
ذلك السبب الذي أهاج
حرب ذي قار قال ابن
ذلك فيما تقدم من هذا
الكتاب فاغنى عن اعادته
ههنا (وقد كان) مولد
بيت النعمان بن المنذر انه
خرجت الى بيعتها
لما نظر فيها بالحرير والديباج
معنى بالحرير والديباج
تعمل من حرير
حل الى
منزلها تلك النعمان لكنها الزمان فانزلها من الرفعة الى الذلة ولما وفد سعد بن أبي وقاص الى

أبا حيان رضى الله تعالى عنه لا ينكر كرامات الاولياء كيف وقد ذكر رحمه الله تعالى منها كثيرا فمن ذلك ما حكى عنه تلميذه الرعينى بسنده الى الفقيه المقرى الصالح أبى تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيد بونة الخزاعى حدث انه زار قبر أبى الحسن بن جالوت ولم يكن زاره قبل فاشتبه عليه فتركه فسمع النداء من قبر معين يا غالب أتمشى ومازرتنى فزار ذلك القبر وقعد عنده ثم جاء ابن أبى الحسن المذكور فسأله عن القبر فقال هو الذى قعدت عنده وغالب هذا وابن جالوت هما من أصحاب الشيخ أبى احمد بن سيد بونة الخزاعى وهو من اصحاب الشيخ ابى مدين انتهى فكيف ينكر ابو حيان كرامات الصالحين وهو ينهى عن الطعن فيهم ويحكى كراماتهم نعم قول الصفدى قبل ذلك الكلام انه كان ينكر على قراء الوقت كلام صحيح فى الجملة لكثرة الدعاوى الباطلة ممن ليس من اهل الصلاح واما انكار الكرامات مطلقا فمقام ابى حيان يجل عن ذلك والله تعالى اعلم وقد اورد ابن جماعة له من قطعة قوله فى اهل عصره

ومن يك يدعى منهم صلاحا * فزنديق تغلغل فى الضلال

واول هذه القطعة

حلبت الدهر اشطره زمانا * واغنانى العيان عن السؤال
فما ابصرت من خل وفى * ولا الفيت مشكور الخلال
ذئاب فى ثياب قد تبدت * لرائيها باشكال الرجال
ومن يك يدعى منهم صلاحا * فزنديق تغلغل فى الضلال
ترى الجهال تتبعه وترضى * مشاركة بأهل أو بمال
فينهب مالهم ويصيب منهم * نساءهم بقبوح الفعال
ويأخذ حاله زورا فيرمى * عمامته ويهرب فى الرمال
ويجرون التيوس وراء رجس * تقرمط فى العقيدة والمقال

اى اعتقدوا راى القرامطة ومذهبهم مشهور فلا نطيل به فظهر بما ذكر ان ابا حيان انما انكر على اهل الدعاوى لا على غيرهم والله تعالى أعلم وقد اورد قاضى القضاة بن جماعة للشيخ ابى حيان من النظم غير ما قدمنا ذكره قوله

امانه لولا ثلاث احبها * تمنيت أنى لا اعد من الاحيا
فمنها رجائى ان افوز بتوبة * تكفر لى ذنبا وتنجح لى سعيا
ومنهن صونى النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشى الى بابه مشيا
ومنهن أخذى بالحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرأيا
أتترك نصا للرسول وتقتدى * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا

وقوله

سال فى الخد للحبيب عذار * وهو لاشك سائل مرحوم
وسألت التمامه فتجنى * فأنا اليوم سائل محروم

وقوله

الفرس وقتل رستم فانت
والمقطعات السود مترهبات
تطلب صلته فلما وقفن
بين يديه أنكرهن سعد
فقال أيكن خرفاء فالت
ها أناذه قال أنت خرفاء
قالت نعم فما تنكر اولئك
السفهاء ثم قالت ان
الدنيا دار زوال ولا تدوم
على حال تنقل أهلها
انتقالا وتقلبهم بعد حال
حالا كنا ملوك هذا
المصر يجبى لنا خراجه
ويطيعنا أهله مدى المدة
وزمان الدولة فلما أدبر
الامر وانقضى صاح بنا
صائح الدهر فصدع عصانا
وشتت شملنا وكذلك
الدهر يا سعد انه ليس بابى
قوما بعسرة الا ويعقبهم
بيسرة ثم انشأت تقول
بينا نسوس الناس والامر
أمرنا
اذا نحن فيهم سوقة ليس
نعرف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها
تقلب تارات بنا وتصرف
فقال سعد قاتل الله عدى
ابن زيد كانه ينظر اليها
حيث يقول
ان للدهر صولة فاحذرنها
لا يغرنك قد أمنت
الدهورا
قد يبيت الفتى معافى
فيردى
ولقد كان آمنا مسرورا
قال فبينما هى واقفة بين يدى سعد اذ دخل عمرو بن معديكرب وكان زوارا لابيها فى الجاهلية

أمدعيا

أمدعيا علما ولست بقارئ * كتابا على شيخ به يسهل الحزن
أترعم أن الدهن يوضح مشكلا * بلا موضح كلا لقد كذب الذهن
وان الذى تبغيه دون معلم * كموقد مصباح وليس له دهن

وقوله عداتى البيتين قال وأخذ هذا المعنى من قول الطغرائى

من خص بالود الصحاب فانى * أحبو بخالص ودى الاعداء
جعلوا التنافس فى المعالى بيدنى * حتى وطئت بأخمصى الجوزاء
ونعوا الى مثالى حزنها * ونفيت عن أحلانى الاصداء
ولربما انتفع الفتى بعدوه * كالسم أحيانا يكون دواء

ومن نظم أبى حيان

يا ماضى الطرف فى ميدان لدنه * وماضى الطرف بين الراح والرود
تشرب الروح راح الوقت كارهة * ويذهب الجسم بين الترب فى الدود

وله رحمه الله تعالى قصيدة سماها بالمورد العذب فى معارضة قصيدة كعب وقصيدة فى مدح الامام الشافعى مطلعها * غذيت بلبان النحو اذ در لى ثديا * وله رحمه الله تعالى من قصيدة فى مدح أم ولده حيان

جننت بها سوداء لون وناظر * ويا طالما كان الجنون بسوداء
وجدت بها برد النعيم وان بدا * فؤادى منها فى جحيم ولا واء
وشاهدت معنى الحسن فيها مجسدا * فأعجب لمعنى صار جوهر أشياء
أطاعنه من قده بمثقف * أدبت وما أغنى الفتى لبس حصداء
لقد طعنت والقلب ساه وغادرى * أبا القدمنها أم بقدمة سمراء

ثم غير البيت الاول وأنشد

جننت بها سوداء شعر وناظر * وسمراء لون نزدرى كل بيضاء

وقال يهنى قال ابن جماعة حاطبى به ارتجالا عند ولادة ابنى عمر بعد بنتين

حبيت بر بحانتى روضة * وبعدهما جاء نجل اغر
وسميته اسم امام اذا * رآه ابو مرة منه فر
ولا عجب منك عبد العزيز * اذا كان نجلك سمى عمر
تفرعتما من امام الهدى * وبدر الدجى ورئيس البشر
فلا زال يوضح سبل الهدى * ولا زلتما تقفوان الاثر

وقال

لقد زادنى بالناس علما تجاربى * ومن جرب الايام مثلى تعلما
وانى وتطلابى من الناس راحة * لكالمبتغى وسط الجحيم تنعما
سأزهد حتى لا أرى لى صاحبا * وأنجد حتى لا ألاقى منهما

قال ابن جماعة وقال فى املاكه على بن قاضى القضاة شمس الدين السروجى الحنفى وكان جميل الصورة على أختى شقيقتى فاطمة

شيمك أين تتابع نعمتك وسطوات نقمتك فقالت يا مروان للدهر عثرات وعبرات تعثر بالملوك وأنعائهم فتنقضهم بعد رفعة وتفردهم بعد منعة وتدلهم بعد عز ان هذا الامر كما تنتظره فاما حصل بما لم تنتظره قال فما كرهها بعد وأحسن جائزتها فلما أرادت فراقه قالت حتى أحنك بخيبة ملك كما بعضهم لبعض لانتزع الله من عبد صالح نعمة الا جعلك سببا لردها عليه ثم خرجت من عنده وقفيرا ساءة المدينة فقال لها ما فعل بك الامير قالت أكرم وجهى انما يكرم الكريم الكريم (قال أبو الحسن على بن الحسين المسعودى) فهؤلاء ملوك الحيرة الى أن ظهر الاسلام فاظهره الله وأذل الكافرين فخمسة من سميناهم من هؤلاء الملوك من ولد عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الابرص على حسب ما قدمنا آنفا فى صدر هذا الباب ثم جاء الاسلام وملك الفرس كسرى أبروز بن هرمز فملك على العرب بالحيرة اياس بن قبيصة الطائى فكان ملكه تسع سنين وثمانية أشهر

مضت من ملك اياس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس وقد

هيأ بتاليف غريب نظامه * لقد حار فى أوصافه نظم عارف
غدت شمس حسن بنت بدر سيادة * ترف لبدر نجل شمس معارف
سميان للزهرا البتول وللرضا * على ونجلا الاكرمين الغطارف
فدام على عالى الجد سيدا * ولازال فى ظل من العيش وارف

وقال يخاطب شيخه ابن النحاس وقد أغب زيارته

أعين حيانى والذى ببقائه * بقائى لقد اصبحت نحوك شيقا
اعنى بفلبى غير أن لمقلتى * برؤيتك الحظ الذى يذهب الشقا
وما كان ظنى أيها الدهر تاركى * ولو أنى اصبحت بين الورى لقا
لطائف معنى فى العيان ولم تكن * لتدرك الا بالنزاوره واللقا

وقال يخاطب قاضى القضاة شمس الدين السروجى الحنفى وقد اعيد الى منصب القضاء وكان يتطلع اليه رجل يدعى نجم الدين

ذوو العلم فى الدنيا نجوم زواهر * وانك فيها الشمس حقا بلا لبس
اذا لحت أخفى نورك كل نير * الم تر أن النجم يخفى مع الشمس

وقال

لم أوثر عن أحب كتابى * اقلى فيه أو لترك هواه
غير أنى اذا كتبت كتابا * غاب الدمع مقلتى فمحاه

وقال

يذكرنى البلى فى قعر مظلمة * اصارنى زاهدا فى المال والرتب
أنى أسير بحال سوف أسلبها * عما قريب وأبنى رمة الترب

وقال

أتيت وما ادعى وأقبلت سامعا * فوائد مولى سيد ماجد ندب
وأحضر جمعا انت فيه جماله * أشنف سمعى منك باللؤلؤ الرطب

وقال

لما غرام شديد فى هوى السود * نختارهن على بيض الطلا الغيد
لون به أشرقت أبصارنا وحكى * فى اللون والعرف نفح المسك والعود
لاشئ أحسن من آس تركبه * فى آبنوس ولا أشهى لمبرود
لا تهو بيضاء لون الجص واسم الى * سوداء حسناء لون الاعين السود
فى جيدها غيد فى قدها ميد * فى خدها صيد من سادة صيد
من آل حام حمت قلبى بنار جوى * من هجرها وابتلت عينى بتسهيد

وقال فى عكسه

اذا مال الفتى للسود يوما * فلا رأى لديه ولا رشاد
أنهوى خنفساء كأن زقتا * كساجلدها وهو السواد
وما السوداء الا در فرن * وكانون وفحم أو مداد

كان كذلك قبل عمرو بن وعشرين ملكا من بنى نصر وغيرهم من العرب والفرس وكان مدة ملكهم ستمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر وقد قيل ان عمران الحيرة وبدأه الى أن خربت فى وقت بناء الكوفة كان خمسمائة سنة وبضعا وثلاثين سنة (قال المسعودى) ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذى ذكرنا الى صدر من أيام المعتضد فانه استولى عليها الخراب وقد كان جماعة من خلفاء بنى العباس كالسفاح والمنصور والرشيد وغيرهم ينزلونها ويطلبون المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوهرها وصحة تربتها وصلابتها وقرب الحورنق والنجف منها وقد كان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان فلحقوا بغيرها من البلاد لتداعى الخراب اليها واقفرت فى هذا الوقت ليس بها الا الصدى واليوم وعند كثير من أهل الدراية بما يحدث فى المستقبل من الزمان أن سعدها سيعود بالعمران وأن هذا النحس عنها سيزول وكذلك الكوفة (قال المسعودى) ولنسمها من ملوك الحيرة أخبارهم وسيرهم وحروبهم قد أتينا على ذكرها والغرض مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان وما

وما البيضاء الا الشمس لاحت * تنير العين منها والفؤاد
سبيكة فضة حشيت بورد * يلذ الشهد معها والرقاد
وبين البيض والسود ان فرق * ندى عقل به اتضح المراد
وجوه المؤمنين لها ابيضاض * ووجه الكافرين به اسوداد

وقال رحمه الله تعالى

أعاذل ذرني وانفرادي عن الورى * فلست أرى فيهم صديقا مصافيا
نداماي كتب أستفيد علومها * أحاي تغني عن لقائي الاعاديا
وآنسها القرآن فهو الذي به * نجاتي اذا فكرت أو كنت تاليا
لقد جلت في غرب البلاد وشرقها * أنقب عمن كان لله داعيا
فلم أر الا طالبا لرياسة * وجماع أموال وشيء غمائيا
قبضت يدي عنهم وآثرت عزلة * عن الناس واستغنيت بالله كافيا

قال العز بن جماعة وخاطب والدي وقد أبل من ضعف أشيع فيه موته سهنئاله

أدام الاله لك العافيه * وصير دور العدا عافيه
اذا لاح من بدركم نوره * فكل النجوم به حافيه
تخدت كلام الاله الدوا * فآياته كانت الشافيه
تشوف ناس لمنصبكم * ورتبتهم للعلا نافيه
فاين العلوم وأين الحلوم * وخلق موارده صافيه
هم عصبة لا تنال العلا * ولو أنها قد سعت حافيه
اذا كان خرق ندار كته * وليست لما مزقت رافيه
فان عن خطب ثبت له * وآراؤهم عنده هافيه
سجاياك لين ورفق بنا * واخلاقهم كلها حانيه
تصلي على سبعة منهم * وثامنهم نفسه طافيه
يقيمون في تربهم همدا * وتسفي على قبرهم سافيه
فلازلت في صحة دائما * تحرز ذيول السنى ضافيه
ويورد ك الله عين الحياة * فتحيا بها مائة وافيه
فان زاد عشرا فذاك المنى * وعشرون أيضا هي الكافيه
وهذي القوافي أتت كلا * فلم تبق لي بعدها قافيه

وقال رحمه الله تعالى أيضا

خلق الانسان في كبد * بوجود الاهل والولد
كل عضو فيه نافعه * غير عضو ضر للابد
منتج ذلا وفقد غنى * وفراخا جة العدد
من يمت منهم يذقه أسى * او يعش ألفاه في نكد
عاش في أمن فتى عزب * مستريح الفكر والجسد

كان أول من ملك الشام من اليمن فالغ بن هور ثم ملك بعده سومات وهو أيوب بن رزاح وقد ذكر الله عز وجل في كتابه ما كان من خبره على لسان نبيه وما اقتص من أمره ثم غلبت الروم على ديارها فتفرقوا في البلاد وكانت قضاعة من مالك بن حمير أول من نزل الشام وانضافوا الى ملوك الروم فملكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية ثم من حوى الشام من العرب وكان أول من ملك من نسوخ النعمان بن عمرو بن مالك ثم ملك بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ثم ملك بعده الحوارى بن النعمان ولم يملك من نسوخ الا من ذكرنا وهو نسوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن الازد بن دبرة بن ثعلب بن حلوان بن الحاف ابن قضاعة بن مالك بن حمير وقد تنوزع في قضاعة أمن معد كان أم من قحطان فقضاعة تابى أن تكون من معد وتزعم أنها من قحطان على ما ذكرنا وقد قيل في نسب قضاعة واتصالها بمضر ما ذكرنا من النسب ثم ورد نسليح

الشام فغلبت على نسوخ وتنصر من ملكته الروم على العرب الذين بالشام وتفرقت قبائل العرب لما كان بمارب وقصة

وقال رحمه الله تعالى أيضا

جن غيري بعارض فترجى * أهله أن يفيق عما قريب
وفؤادي بعارضين مصاب * فهو داء أعيا دواء الطبيب

وقال

سعت حية من شعره نحو صدغه * وما انفصلت من خده ان ذا عجب
وأعجب من ذا أن سلسال ريقه * برود ولكن شب في قلبي اللهب

وقال

طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا * تجد خطوبا تسلى عنك ما تجد
تجد أكابرهم قد جرعوا غصصا * من الرزايا بها كم فتتت كبد
عز ونهب وضرب بالسياط وحبس ثم قتل وتشريد لمن ولدوا
واذ وقيت بحمد الله شرتهم * فلتحمد الله في العقبى كمن جحدوا

وقال رحمه الله تعالى يمدح البخاري وكتابه الصحيح

أسامع أخبار الرسول لك البشرى * لقد سدت في الدنيا وقد فزت في الاخرى
تشنف آذانا بعقد جواهر * تود الغواني لو تقلده النحرا
جواهر كم حملت نفوسا نفيسه * فحلت بها صدرا وجلت بها قدرا
هل الدين الا ما روته أكابر * لنا نقلوا الاخبار عن طيب خبرا
وأدوا أحاديث الرسول مصونة * عن الزيف والتحريف فاستوجبوا الشكرا
وان البخاري الامام لجامع * بجامعه منها اليواقيت والدرا
على مفرق الاسلام تاج مرصع * أضاء به شمسا وناهيك بدرا
وبحر علوم بلفظ الدر لا الحصا * فأنفس بها درا وأعظم به بحرا
تصانيفه نور ونور لناظر * فقد اشرقت زهرا وقد أينعت زهرا
نحا سنة المختار ينظم شتها * يلخصها جمعا ويحلصها تبرا
وكم بذل النفس المصونة جاهدا * فجازلها بحرا وجاب لها برا
فطوراً عراقيا وطورا يمانيا * وطورا حجازيا وطورا أتى مصرا
الى أن حوى منها الصحيح صحيحه * فوافى كتابا قد غدا الآية الكبرى
كتاب لا من شرع أحمد شرعة * مطهرة تعلو السماكين والسرا

قلت وتتصل روايتي عن الامام أبي حيان من طرق عديدة منها عن عمي ولي الله العارف به شيخ الاسلام مفتي الانام الخطيب الامام ملحق الاحفاد بالاجداد سيدي سعيد بن أحمد المقري التلمساني عن شيخه العالم أبي عبد الله النسي عن والده حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل النسي ثم التلمساني الاموي عن عالم الدنيا أبي عبد الله بن مرزوق عن جده الرئيس الخطيب سيدي أبي عبد الله محمد بن مرزوق عن الأثير أبي حيان بكل مروياته فمنها أن أبا حيان قال حدثنا ابن أبي الاحوص عن قاضي الجماعة أبي القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي

عمرو بن عامر بن سبا فسارت
وبد بن كهلان بن سبا بن
يشجب بن يعرب بن قحطان
ابن مازن واليه ترجع
جميع قبائل غسان
وانما غسان ساء شربوا منه
فسموا بذلك (وفي ذلك)
يقول حسان بن ثابت
الانصاري
اما سألت فانا معشر نجب
الازد نسبتنا والماء غسان
وسنذكر بعد هذا الموضع
خبر عمرو بن عامر حين خرج
من مأرب لم يزل مقيما على
هذا الماء الى أن أدركه
الموت وكان عمره
ثمانمائة سنة أربعمائة
سوقة وار بعمائة ملكا
وغلبت غسان على من
بالشام من العرب وملكها
الروم على العرب فكان
أول من ملك من ملوك
غسان بالشام الحرث بن
عمرو بن عامر بن حارثة بن
امرئ القيس بن ثعلبة بن
ماس بن غسان بن الازد بن
الغوث ثم ملك بعده الحرث
ابن ثعلبة بن جفنة بن عمرو
ابن عامر بن حارثة وأمه ماريه
ذات القرطين بنت أرقم

ابن ثعلبة بن جفنة بن عمرو ود كرانها سارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية بن ثور بن كندة ابن

ابن مخلد بن يزيد القرطبي عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن الامام نبي بن مخلد عن أبي بكر المقدمي عن عمر بن علي وعبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين أحدهما يدعون الله ويدعون اليه والآخر يتعلمون العلم ويعلمونه فقال كل المجلسين خير وأحدهما أفضل من الآخر أما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل فهم أفضل وأما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم وانا بعثت معلما ثم جلس معهم قال ابو حيان قلت لا اعرف حديثا اجتمعت فيه رواية الابناء عن الآباء بعدد ما اجتمع فى هذا الا ما اخبرنابه ابو الحسن محمد بن محمد بن الحسن بن مئة قراءة عليه انبانا ابو المعالى الابرموى انبانا ابو بكر بن عبد الله بن محمد بن سابور المقدسى انبانا ابو المبارك عبد العزيز ابن محمد بن منصور الشيرازى انبانا رزق الله بن عبد الوهاب التميمى قال سمعت ابى ابا الفرج عبد الوهاب يقول سمعت ابى ابا الحسن عبد العزيز يقول سمعت ابى ابا بكر الخرث يقول سمعت ابى اسدا يقول سمعت ابى الليث يقول سمعت ابى سليمان يقول سمعت ابى الاسود يقول سمعت أبى سفيان يقول سمعت ابى يزيد يقول سمعت ابى الكيمة يقول سمعت ابى الهيثم يقول سمعت ابى عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اجتمع قوم على ذكر الا حفتهم الملائكة وعمتهم الرحمة انتهى قلت قال الحافظ بن حجر فى فوائده ما اجتمع حديث فيه من عدد الآباء اكثر من هذا انتهى ورايت بخط الحفاظ على قول ابى الكيمة ما صورته صوابه الكيمة انتهى فليحرر ومنها ان ابا حيان قال انبانا الاستاذ ابو جعفر الزيبق صاحب الصلة انبانا القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد الازدى انبانا عبد الله بن محمد بن حسن بن عطية ح قال ابو حيان وانبانا الاصولى ابو الحسين بن القاضى ابى عامر بن ربيع الاشعرى عن ابى الحسن احمد بن على العافى قال انبانا عياض ح وكتب لنا الخطيب ابو الحجاج يوسف بن ابى ركانة عن القاضى ابى القاسم احمد بن عبد الودود بن سمعون بن عبد الله بن عطية قال هو وعياض انبانا القاضى ابو بكر بن العربى انبانا ابو محمد هبة الله الاكفانى انبانا الحافظ عبد العزيز الكتانى الدمشقى انبانا ابو عصمة نوح بن الفرغانى قال سمعت ابا المظفر عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن قيس الخزرجى وابا بكر محمد بن عيسى الحارى قالا سمعنا ابا دجانة بن محمد بن مخلد التميمى يقول سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد بن الفضل الحارى يقول لما عزل أبو العباس الوليد بن ابراهيم بن يزيد الهمدانى عن قضاء الرى ورد بخارى سنة ٢١٨ لتجديد مودة كانت بينه وبين أبى الفضل البلخمى فنزل فى جوارنا فحملنى معلمى أبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم الختلى اليه فقال له أسألك أن تحدث هذا الصبى ما سمعته من مشايخك فقال مالى سماع فقال وكيف وأنت فقيه محدث قال لانى لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسى لى طلب الحديث ورواية الاخبار وسماعها فقصدت محمد بن اسمعيل البخارى صاحب التاريخ والمنظور اليه فى علم الحديث وأعلمته مرادى وسألته الاقبال على ذلك فقال لى يا بنى لا تدخل فى أمر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره فقلت عرفنى رحمك الله

(وذكر) عدة من الاخبار بين أن حسان بن ثابت الانصارى زار الحرث بن أبى شمر الغسانى وكان النعمان بن المنذر

بعده النعمان بن الحرث
ابن ثعلبة بن جبلة بن جفنة
ابن عمرو ثم ملك بعده
عوف بن أبى شمر وكان
ملكه حين بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ثم ملك جبلة بن الايهم بن
جبلة بن الحرث بن ثعلبة
ابن مازن وهو غسان بن الازد
ابن غوث وهو الملك
الذى امدح حسان بن
ثابت الانصارى حيث
يقول فى شعر طويل
أشهر بها فى ملكنا يا ابن
م الى الروم فخر كل غسان
(وفيه يقول أيضا)
لمن الديار أقفرت بعماني
بين أعلى اليرموك
والقيعان
من قريبات من ثلاثين
عدت
ما بكت منه بالغصون
الدوانى
قيدنا الفصح والولائد
تنظمه
بين مراعاة نكلة المرجان
ذا الشعر لآل جفنة فى
الدهر
وروحنا تصرف الازمان
صلوات المسيح فى ذلك
الدير
ورد عاء القسيس والرهبان
وهذه مواضع وقرى من
غوطة دمشق وأعمالها
بين الجولان واليرموك

تعالى حدود ما قصدتك له ومقادير ما سألتك عنه فقال لي اعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه الا بعد أن يكتب أربعة مع أربعة كاربعة مثل اربعة في اربعة عند اربعة باربعة على اربعة عن اربعة لاربعة وكل هذه الرباعيات لا تتم الا باربعة مع اربعة فاذا تمت له كلها هان عليه اربعة وابتلي باربعة فاذا صبر على ذلك اكرمه الله تعالى في الدنيا باربعة واثابه في الآخرة باربعة قلت له فسر لي رحمك الله تعالى ما ذكرت من احوال هذه الرباعيات من قلب صاف بشرح كاف وبيان شاف طلبا للاجر الوافي فقال نعم اما الاربعة التي تحتاج الى كتبها فهي اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وشرائعه والصحابة رضي الله تعالى عنهم ومقاديرهم والتابعين واحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع اسماء رجالهم وكناهم وامكنتهم وازمنتهم كالتحميد مع الخطب والدعاء مع التوسل والبسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات في صغره وفي ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند فراغه وعند شغله وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبراري على الاحبار والاخراف والجلود والاكتاف الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب ابيه بتيقن أنه بخط ابيه دون غيره لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله عز وجل منها ونشرها بين طالبيها ومحبيها والتاليف في احياء ذكره بعده ثم لا تتم له هذه الاشياء الاربعة هي من كسب العبد اعني معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو مع اربعة هي من اعطاء الله تعالى اعني القدرة والصحة والحرص والحفظ فاذا صحت له هذه الاشياء كلها هان عليه اربع الاهل والولد والمال والوطن وابتلي باربع بشماتة الاعداء وملامة الاصدقاء وطعن الجهلاء وحسد العلماء فاذا صبر على هذه المحن اكرمه الله جل وعلا في الدنيا باربع بعز القناعة وبهيبة النفس وبلذة العلم وبحياة الابد واثابه في الآخرة باربع بالشفاعة لمن اراد من اخوانه وبظل العرش حيث لا ظل الا ظله وبسقي من اراد من حوض نبيه صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين في اعلى عليين في الجنة فقد اعلمتك يا بني بجملات جميع ما سمعت من مشايخي متفرقا ففي هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتني له اودعه فهما لما قوله فسكت متفكرا واطرقت مليا فلما رأى ذلك مني قال وان لم تطق حمل هذه المشاق كلها فعليك بالفقه يمكنك تعلمه وانت في بيتك فارسا كن لا تحتاج الى بعد الاسفار ووطء الديار وركوب البحار وهو ذا ثمرة الحديث وليس ثواب الفقيه دون ثواب المحدث في الآخرة ولا عزه باقل من عز المحدث فلما سمعت ذلك نقص عزمي في طلب الحديث واقبلت على دراسة الفقه وتعلمه الى أن صرت فيه متقدما ووقفت منه على معرفة ما أمكنني من علمه بتوفيق الله تعالى ومنته فلذلك لم يكن عندي ما أمليه لهذا الصبي يا أبا ابراهيم فقال له ابو ابراهيم ان هذا الحديث الواحد الذي لا يوجد عند غيرك خير للصبي من الف حديث يجده عند غيرك انتهى وجاء أبو حيان الى ابن تيمية والمجلس غاص فقال يمدحه ارتجالا

لما أتينا تقي الدين لاح لنا * داع الى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الالى صحبوا * خير البرية نور دونه القمر

اللهم يا من هو غنى له وهو عنده
والله لنفالك أحسن من
وجهه ولا لك أشرف
من أبيه ولا لبوك أشرف
من جميع قومه ولك ما لك
أحد من يمينه ولا شمالك
أربع من يداه ولا لليلك
أكثر من كثيره ولا شمالك
أشرع من غديره ولا كرسيك
أرفع من سريره ولا لحدولك
أنور من قمره ولا يومك
أطول من شهره ولا شهرك
أمتد من حوله ولا حولك
خير من حبه ولا ربك
أوري من زنده ولا جندك أعز
من جنده وانك من
نسان وابه من نحم فكيف
اعدله عابث واعدله بك
فقال يا ابن الفريعة هذا
لا يسمع الا في شعر فقال
نبئت أن ابا منذر
ساءك نعرث الاصعر
فقلت أحسن من وجهه
وابك خير من المنذر
و يسرد يديك على عسرها
كيمني يديه على المعسر
(وكانت ديار ملوك
غسان) باليرموك والجولان
وغيرهما من عوطة
دمشق واعمالها ومنهم
من يزل الاردن من ارض
الشام وجبلة بن الايهم هو
الذي اسلم وارتد عن دينه
خوف العار والسود من
اللطمة وخبره واضح
مشهور وقد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وسائر اخبار ملوك تنوخ وسليح وغيرهما من ملك

حبر تسربل منه دهره حبرا * بحر تعادف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا * مقام سيدنا نعم ادعصت مضر
فأظهر الحق اذ آثاره درست * واخمد الشر اذ طارت له الشرر
كما نحدث عن حبر يجيء فيها * انت الامام الذي قد كان ينتظر

ثم انحرف أبو حيان فيما بعد عن ابن تيمية ومات وهو على انحرافه ولذلك أسباب منها انه قال له يوما كذا فقال سبحانه تعالى بل كذب سبحانه فانحرف عنه رحمه الله تعالى اجمعين وحضر الشيخ ابو حيان مع ابن بنت الاعز في الروضة فكتب الى ابي حيان ووجه مع بعض غلمانه

حييت أثير الدين شيخ الادبا * أقصى له حسبا كما قد وجبا
حييت فتى بضاف آس نضر * كالغدير بداء لمست منه طربا

قال فانشدته

أهدى لنا عصنا من ناضر الآس * أقضى القضاة حليف الجود والباس
لما رأى سقمي أهداه مع رشا * حلو التثني فكان الشافي الآسي

ولما أنشد الشيخ ابو حيان قول نور الدين القصري في روضة مصر

دارت وجهين فيهما قسم الحسن فأصحت بها القلوب تهيم
ذا لي مصر فهو مصر وهذا * يتولى وسيم فهو وسيم
قد أعادت عصر الصبا لي صباها * وأبادت فيها الهموم الغيوم

زاد فيها بيتا وهو

فيك للحار يسحرون * وبعيج الغمار يسعرونهم

قال أبو حيان وكنت ماشيا بين القصرين مع ابن النحاس فعبر علينا صبي يدعى شهريه جان وكان مصارعا فقال البهاء ليعظم كل منا فيه ثم قال

مصارع تصرع الآساد شهرينه * نيها كل ملح سوبه سمج
لما غدا راجيا الحسنى قلت لهم * عن حسنه حدثوا عنه ولا حرج

فنظمت أنا

سباني حال من ملح مصارع * عليه دليل للملاحة واضح
لئن عزمه المثل فالكل دونه * وان خف منه الحصر فالرد راجح

وسمع العزازي نظمنا فقال وأنشدنيه

هل حكم ينصفني في هوى * مصارع يصرع أسد الشرى
مذ مرعني الصبر في حبه * حكى عليه مدمعي ما جرى
أباح قتلي في الهوى عامدا * وقال كم لي عاشق في الورى
رميته في أسر حبي ومن * أجفان عينيه أخذت الكرى

وقال لسان الدين في الاحاطة كان أثير الدين أبو حيان نسيج وحده في نفوذ الذهن وصحة الادراك والاضطلاع بعلم العربية والتفسير وطريق الرواية امام النحاة في زمانه غير مدافع

وندما على حبره وما كان من اسلامه واخباره مع النبي صلى الله عليه وسلم في كتابنا اخبار الزمان فيما بعد (وفي اسمه) قول النابغة

هذا غلام حسن وجهه
مستقبل الخير سريع التمام
الخير لا كدر الخير الا
أصغر والشر مع الاثام
ثم هذوهم وعد
اسرع في الخير اسمه هم
وخسة انا وهم وانهم
اكرم من يشرب صوب الغمام

جميع من ملك من ملوك غسان بالشام احد عشر ملكا وقد كان بالشام ملوك بلاد مارب من ارض اليمن من الازد بعد سيل العرم ولوطس ارض الاردن وبلاد فلسطين وكانت خمس مدن وكانت دار المملكة منها والمدينة العظمى مدينة سدوم وكانت سعد كل ملك عليها فارعار كذا الدار في التوراة وذكر انها هذه المدن التي عرضنا منها ان كان فيه خروج عن شرط الاختصار وذكر ان الكندة وغيرهم من العرب من بعد ملوك

كثيرة لم نتعرض لذكرها اذ كان لا أسماء لهم نعمهم وتشهرهم لطولنا الخليفة وقصر وكسرى ملوك الفرس وما لا طول

سائر الامم الخالية والممالك الماضية من البيضان والسودان ممن أمكن ذكره وتأتى لنا الاخبار عنه واعتماد كرنا فى هذا الكتاب من الملوك ما اشتهر ملكه وعرفت مدته ميلا الى الاختصار وصانا اللاخبارون بنا الى من أخبارهم فى كتاب المبتدأ ذكرها من شاء منا والله الموفق

(ذكر) وادى من العرب وغيرهم من الامم وعلى سكناها الى ووصل من أخبار العرب وغيرهم دلائل على هذا المعنى)

وقد تقدم ذكر بنى قحطان وأن من عداهم من العرب العاربة دون من عاد وطسم وجديس وعملاق وجرهم وثمود وعاد وبوار وسائر من سيأتى ممن ذكر بادوا فى العصر البادية الى هذا الوقت وهم قحطان ولا علم أن قبيلا فى شارك فى الارض من العرب الاول غير معد وقحطان وقد ذكرنا من طاف البلاد من التبابعة والاذواء وتيد البنيان فى الشرق والغرب ومصر الامصار وبنى المدن الكبار كشريح أبرهة وما بنى بالمغرب من المدن كمدينة أمريقية وصقلية

شأ بلد عرباطه مشارا اليه فى التعريف بميدان الادراك وتعسر السوابق فى مضمار التحصيل وبالله بيوفق لحق به بها بالمشرق واستقر به مقرفال بها ما شاء من عز وشهرة وتأثل وامر وحضرة وأحيى لمن حل بساحته من المعارف ملحا وعدة وكان شديد البسط مهيبا جهوريا مع الدعابة والهزل وطرح التسمت شاعرا مكثرا ملح الحديث لا يمل وان أطال وأسهب جدا فاتفق به قال لى بعض أصحابنا دخلت عليه وهو يتوضأ وقد استقر على احدى رجليه لعسل الاخرى كما تفعل البرك والاوز فقال لى وكنت الوم حارس ما تركى لهذا العمر فى هذا الدين ثم قال لى بعد كلام حدثنا عنه الجلة الاثبات من أصحابنا كالحاج أبى يزيد خالد بن عيسى والمقرى الخطيب أبى جعفر الشعورى والشريف أبى عبد الله بن راجح وشيخ الخضر أبى عبد الله بن مرزوق قال حدثنا شيخنا أبو حيان فى حجه لسنة ٧٣٥ بالمدرسة الصالحية من العصر بن عبرله حدثنا الاستاذ أبو جعفر بن الزبير سماعا من لفظه وكتبه من خطه بعرباطة عن الكاتب أبى اسحق ابراهيم الهمذانى الطوسى بفتح الطاء حدثنا أبو عبد الله بن محمد العتبى المرطى وهو آخر من حدث عنه سماعا أبو على الحسن بن محمد الحافظ الجيانى أن أبا الحكم بن محمد أنبأنا أبو بكر بن المهندس أبا عبد الله بن محمد أنا ابن ماصاوت بن عباد بن نصال بن جعفر سمعت أبا امامة الباهلى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اكفلوا لى ستا أكفل لكم بالجنة اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذا ائتمن فلا يخن واذا وعد فلا يخلف غضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم ثم قال ابن الحصين ان أبا حيان حلته حدة الشيعة على التعرض للاستاذ أبى جعفر الطباع وقد وقعت بينه وبين أستاذه ابن الزبير الوحشة فقال معه وصدى للتأليف فى الرد عليه وتكذيب رواياته مع أمره للسلطان فامتعض له وبعد الامر بتنكيله فاختفى ثم أجاز البحر مختفيا ولحق بالمشرق بلدته حلفه ثم قال وشعره كثير يتصف بالاجادة ونذكر هنا من مقول له قوله

لا تعذلا معادوا الحب معذول * العذل مختبل والعتب مسئول
هو رد له أسهم ان حد فامنها * ما الشئ الصلب الا وهو مفتول
جملة فصل الحسن البديع لها * حكم لها حل منه ومعقل
والشعر مرمره والنثر عسجده * والشعر جوهره والرق مصقول
والطرف ذو غنج والعرف دوأرج * والخصر معطف والمتن مجدول
هيفاء يسبى فى الحصر الوشاح لها * درعا متحرس فى الساق الخلاخيل
من اللواتى عداهن التعمم لها * شغفين آباؤها الصيد الهاليل

الى أن قال وقوله

نور يخدك أم نور يوقد نار * وضنى يحفنك أم ذو رعقار
وشذا بريقك أم بأرج مسكة * وسنى بثغرك أم شعاع درارى
جمعت معانى الحسن فيك وعددت * فيد القلوب وفتنة الابصار
متصاون خفرا اذا ما طفته * أغضى حياء فى سكون وقار

في وجهه زهر اب روض تجتلى * من برحس مع وردة وبهار
حاف اقتطاف الورد من وجناتها * مادار من آس سياح عذار
وتسللت نمل العذار بخده * ابردن شهد بر نقه المعطار
وبخده نار جنته وردها * فوقفن بين النور والاصدار
كم داأوارى في هوأ محبتي : ولعذولي في فيه رط أوارى

وقال الرشيد حدثنا أبو حيان قال حدثنا التاجر ابو عبدالله الرجوني عند مقدمه من بلاد السودان ورجونة قرية من قرى اراك السلام قال كنت نجامع لوامن لاداله د وهما رحل معرفي اسمه يوسف وقال لي اذا كرلما نشد فعلا قال علي رضي الله تعالى عنه اذا وضع الاحسان في كريم أثمر خيرا واذا وضع في اللئيم أثمر شرا كالغيث يقع في الاصداف فيثمر الدر ويقع في فم الافاعي فيثمر السم فارتجلا الاديب يوسف المعربي فأنشدني معه

صنائع المعروف ان أودعت * عند كريم دك المعنما
وان تكن عند لئيم غدت : مكفوره وجبه اثما
كالغيث في الاصداف درفي : فم الافاعي يثمر السما

قال أبو حيان فلما سمعت هذه الابيات نظمت معناها في بيتين وهما

اذا وضع الاحسان في الحب لم تفد . سوى كفره والحر يجزى به شكرا
كغيث سقى أفعى فخاءت بسمها . وصاحب أصداف فاثمر الدرا

قال أبو حيان وأنشدنا الامير بدر الدين أبو الحاسن يوسف بن سيف الدولة أبي المعالي بن رماح الهمداني لنفسه بالقاهرة

فلا تعجب لحسن المدح مني . صفاتك أطهرت حسن الوادي
وقد تبدي لك المرآة شخصا . و سمعك الصدى بادي بادي

وبعد كتبي ما نقله ابن رشيد عن أبي حيان رأيت لبعضهم أن أبا حيان هذا الذي ذكره ابن رشيد ليس هو أبو حيان النحوي الاندلسي وانما هو شخص آخر وفيه عندي نظر لا يخفى والذي أعتقده ولا أرتاب فيه انه أبو حيان النحوي وقال ابن رشيد وأنشدني أبو حيان لنفسه

اذا عاب عني أول سلوته . وان لاح حال اللون فاضطرب الثوب
يهجي عيماه والمسم الذي . به المسك منظوم به اللؤلؤ الرطب

وقال الشريف بن راجح رأيت ان ما وضعه الشيخ أبو حيان في تعديم لسان الاراك صديع لعمره وقلت

نفائس الاعمار أنفقتها * أباوأمثالي على غير شي
شيوخ سوء ليس يرضى بما * ترضى به من الحماري صبي

ومن نظم أبي حيان قوله

ان طال ما عبت فيه زمانتي * بادلاله طارقي ولادي
لجدير بان يكون عزيزا * ومصونا الاعلى الاجواد

وبنيابه سمرقند ومن حلف هنالك من جميع بها وبلاد التبت والصين وقد ذكر ذلك جماعة من شعراتهم من ناس وخلف (وقد اذكر) دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته التي يرثي بها الاكاسرة وفرد بيل بن خلف من ملوكهم وفي الارض وأن لهم من الفضل ما ليس لعدنان معال في شعره هم كتبوا الكتاب بباب مرو

وباب الصين كانوا الاكاسرة
وهم جمعوا الجموع بسمرقند
وهم سرسوا هلك التتار
(وبذكان) من بلاد الصين ملوك لا يدعون بالتبابعة من بعدهم وباحرمهم حتى ينقادوا الى ملكه اهل الشحر وحضرموت فحينئذ يستحق ان يسمى تبعا ومن تخلف عن ملكه ممن ذكرنا سمي ملكا ولم يسم له اسم تبع وقد قال الله عز وجل في قصة سبا وتعاقبها بقولها وعدها أهم خير أم قوم تبع الآية حين دخل الحرم وبعث الله عليه الظلة وانما سمي تبعا بين عد

وقوله

ومالك والانعاب نفسا شريفة * وتكليفها فى الدهر ما ليس يعذب
أريحها فعن قريب تلاقى حمامها * فتنعم فى دار البقا أو تعذب

واستشكل هذان البيتان بان ظاهرهما خلاف الشرع واجيب بان مراده أمر الرزق لا أمر التكليف وأفاد غير واحد ان سبب رحلة الشيخ أبى حيان عن الاندلس انه نشأ شر بينه وبين شيخه احمد بن على بن الطباع فالف أبو حيان كتابا سماه الالماع فى افساد اجازة الطباع فرفع ابن الطباع أمره للامير محمد بن نصر المدعو بالفقيه وكان ابو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه فنشأ شر عن ذلك وذكر أبو حيان انه لم ينم بفاس الا ثلاثة أيام وادرك فيها ابا القاسم المزيانى وخرج ابو حيان من الاندلس سنة تسع وسبعين وستمائة وكان جماعة من اعلام الاندلس رحلوا منها فلما وصلوا الى العدوة اقاموا بها ولم يذهبوا الى البلاد المشرقية منهم الشيخ النحوى الناظم الناثر ابو الحسن حازم بن محمد القرطاجنى وهو القائل يمدح امير المؤمنين المستنصر بالله صاحب تونس

أمن بارق اورى بجنح الدجى سقطا * تذكرت من حل الاجارع فالسقطا
وبارق لكن لم يبن عنك ذكره * وشط ولكن طيفه عنك ماشطا
حبيب لواى البدر جاراه فى مدى * من الحسن لا ستدنى مدى البدر واستبطا
اذا التجعت مرعى خصيب ركابه * غدا الحظ عينى يشتكى الجدب والقحطا
مداسرعت عنى المنى بشادن * تسرع فى قتل النفوس وما أبطا
طنت الفلا دار ابن ذى يزن بها * وخلت المحاريب الهوادج والغبطا
وكم دمية للحسن فيها وصورة * تروق وغزال من الحسن قد حطا
حمائل لاحت كالخمائل بهجة * سقيط الحيا فيهن لا يسأم السقطا
توسد غزلان الاوانس والمها * به الوشى والديباج لا السدر والارطى
ولم يسب قلبى غير ابهر هاشمى * واطول لها جيدا وأحفقها قرطا
اياربة الاحداج سيرى فتعلمى * وما بك جهل أن سهمك ما أخطا
قفى تسمعينى ما يعيذك من عنا * بجسمى وعنوان الهوى فيه مختطا
فلم أر أعدى منك لحظا وناظرا * لقلبى ولا اعدى عليه ولا اسطا
سقى الله عيشا قد سعدنا من الهوى * كؤسا بمعسول اللمى حلطت حلطا
وكم جنة قد رتعت فى ظل كافر * فلم أجرما اولاه كرما ولا نمطا
وكم ليلة قاسيتها بعيسة * الى أن بدت شيبا دوائبها شمطا
وبت اطن الشهب مثلى لها هوى * وأغبطها فى طول الفتها غبطا
على انها مثلى عزيزة مطلب * ومن ذا الذى ماشاء من دهره يعطى
كان الثريا كاعب ازمعت ثرى * وامت باقصى الغرب منزلة تخطى
كان نجوم الفحمة الزهر هودج * لها عن ذرا الحرف المباحة قد حطا
كان رشاء الدلو رشوة خاطب * لها جعل الاشراط فى مهرها اشرطا

ووطئ ارض العراق فى من الطوائف يقال له قتاد وليس بقتاد بن فيروز من السامانية فانهزم قتاد وأتى مع أبو كرب حتى ملكه ملك العراق والشام والحجاز وكثيرا من الشرق وفى ذلك يقول تبع ويذكر ما صنع

ورد الملك تبع وبنوه
ورثوهم جدودهم والجدودا
ادحبينا جيادنا من ظفار
ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
فاستعنا بالخيل ملك قتاد
وابن أقلود قائما مصفودا
وكسونا البيت الذى حرم الله
ملاء مقصبا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا
وجعلنا لبابه اقليدا
ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا
ونحرنا عند المقام سجودا

(وقال أيضا فيه)

لست بالتبع اليمانى ان لم
اركض الخيل فى سواد العراق
أو تؤدى ربيعة الحراج
عسرا
او تعفى عوائق العواق

(وقد كانت) لنزار بن معد بعده وقائع وحروب كثيرة واجتمعت عليه معد بن ربيعة ومضر واياد واكسار وتداعت بجدهما نزار ونواهبت ما كان بينهما من الدماء والثارفكانت لهم غلبة وفى ذلك يقول ابو دواد الايادى

كان السها قد دق من فرط شوقه * اليها كما قد دق الكاتب القطا
كان سهيلا اذ تناءت وأنجدت * غداة بأسا منها فأنهم وانحطا
كان خفوق القلب قلب متيم * تعدى عليه الدهر في البين واشتطا
كان كلا النسرين قد ريع اذ رأى * هلال الدجى يهوى له مخلبا سلطا
كان الذي ضم القوادم منهما * هوى واقعا للارض أو قص او قطا
كان أخاه رام فونا أمامه * فلم يعد أن مد الجناح وأن مطا
كان بياض الصبح معصم غادة * جنت يدها أزهار زهر الدجى لقطا
كان ضياء الشمس وجه امامنا * اذا ازداد بشرا في الوغى واذا أعطى
محمد الهادي الذي أنطق الورى * ثناء بما أسدى اليهم وما أعطى
امام غدا شمس المعالي وبدرها * وقد أصبحت زهر النجوم له رهطا
جميل المحيا مجمل طيب ذكره * يعاطي سرورا كلما ويستعطى
اذا ما الزمان الجهد أبدى نجهما * أرانا الحيا الطلق والخلق السبطا
كلا أبوى حفص عماه الى العلا * فاصبح عن مرقاته النجم منحطا
بسماه تدري أن كعبا جدوده * وان هو لم يذكر رزاحا ولا فرطا
اذا قبض الروع الوجوه فوجهه * يزيد لكون النصر نصلاله بسطا
به تترك الابطال صرعى لدى الوغى * كان قد سقوا من خمر بابل اسفنطا
تراه اذا يعطي الرغائب باسما * له جذل يربى على جذل المعطى
وكم عنق قد قلدت بنواله * فريدا وقد كانت فلادنها لطا
متى ما تقس جود الكرام بجوده * فما البحر فايست الوقيعة والوقطا
يشف له عن كل غيب حجابه * فتحسبه دون الحجب مالطا
تطيع الليالي أمره في عصاته * وتردي أعاديه اساودها نشطا
وتمضي عليهم سيفه وسنانه * فتبرى الكلى طعنا وتفرى الطلى قطا
فكيف ترجت غرة منه فرقة * غداة عزها ذلا ورفعتها هبطا
وكم بالنهى والحلم غطى عليهم * الى ان جنوا ذنبا على العلم قد غطى
فأمطاهم دهم الحديد وطالما * أنالهم دهم الحيا دوما امطى
ورام لهم هديا ولكنهم أبوا * بغيهم الا الضلالة والخبطا
وكان لهم يبغي المثوبة والرضا * ولكن أبوا الا العقوبة والسخطا
ولو قوبلت بالشكر منه مآرب * لما اعتاض منها أهلها الاثل والخمطا
هو الناصر المنصور والملك الذي * أعاد شباب الدهر من بعد ما اشمطا
أصاخت له الايام سمعا وطاعة * وأحكمت الدنيا له عهد ها ربطا
فلابد من أن يملك الارض كلها * وان تملأ الدنيا اياته قسطا
ويغزو في آفاق اندلس العدا * بجيش يخط الارض من قبله خطا
وكل جواد خف سنبكه فما * يمس الثرى الا مخالسة فرطا

وكان بها ما كثير الرهب وأتبعته فهوى للجبين وكان العزيز بها من غلب (وقد ذكرنا) فيما بعد بدء النسب من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وولده اسمعيل وتفرق النسب الى نزار بن معد بن عدنان فنذكر الآن في هذا الموضع خبر ولد نزار الاربعة مع الافعى بن الافعى الجرهمي ثم نعقب ذلك بما اليه قصدنا في هذا الباب من هذا الكتاب مع علة سكنى البوادي من العرب البدو وغيرهم ممن سكن الجبال والاودية وسائر البراري والقفار (ذكر) عدة من أخبار بني العرب أن نزار بن معد ولد أربعة أولاد اياد وبه كان يكنى وأنمار وبجيلة وخثعم من ولده على ما قيل اذ كان فيما ذكر ما تنازع لان من الناس من ألحقهم باليمن ومن الناس من ذكر فيهم ما وصفنا أنهم من ولد انمار بن نزار وربيعة ومضر فلما حضرت نزار الوفاة دعا بنيه ودعا بجارية له شمطاء فقال لاياد هذه الجارية وما أشبهها من مالي فلك ثم أخذ بيد مضر فادخله قبة له حمراء من أدم ثم قال هذه القبة وما أشبهها من مالي فلك ثم أخذ بيد ربيعة وقال له هذا الفرس الادهم والجارية الاسود وما أشبههما من مالي فلك ثم أخذ

يوم بها الاعداء ملك أمامه * من الرعب جيش يسرع السير ان ابطا
ويرمى جبال الفتح من شدا سبتة * بها فتوانى سبقا ذلك الشطا
بحيث التقى بالخضر موسى وطارق * وموسى به رحلا لغزو العداحطا
وسعيك ينسى ذكر سعيهما به * ويوسع سعى المشركين به حبطا
ويوقع فى الاعداء أعظم وقعة * بها املأ الاسماع طيرا لها لغطا
تجاوب سحم الطير فيه وشهبها * كما راطن الزنج النبيط أو القبطا
وتسرف فيها الجو والارض أعين * ترى الجو نارا والصعيد دماعبطا
فتخضب منهم من أشابت بخوفها * نصول ترى منها بفود الدجى وخطا
ويحسم أدواء العدا كل صارم * حسام اذا لاقى الطلى حده قطا
وكل كمى كلما خط صفحة * بسيف غدا بالرمح يقط ماخطا
شجاع اذا التف الرماحان مثل ما * تقلقل فى أسنان مشط يدمشطا
اذا ما رجت منه أعاديه غرة * رأت دون ما ترجو القتادة والخرطا
ويجدع آناف العداة بسيفه * وينشتها بالرمح ربع الردى قسطا
يبيد الاعادى سطوة ومكيدة * فيحكى الاسود الغلب والاذؤب الملطا
سرى فى طلاب المعلوات فلم يزل * يمد يدا مبسوطة وندى بسطا
ولو نازعت يمناه جذبا شماله * لبوسا من الماذى لانفق وانعطا
يصول بخطى لكل مرشة * به أثر يعزوه للحية الرقطا
متى تبصر الاكام فرعا كواسيا * بهن وقد أبصرن عاربة مرطا
اذا نسبت للخط أول دينة * نسبن الى العليا ردينة والخطا
كماة حماة مايزال الى الوغى * حنين لهم ماحن نصو وما أطا
عليهم نسيج السابغات كانها * جلود عن الحمات قد كشطت كشطا
اذا لمع للشمس لاحت عليهم * رأيت صلالا ألبست حللا رقطا
ترشح كالزاروق لينا ومثله * ترى نقطة من بعد ما طرحت خطا
جيوش اذا غطى البلاد عبابها * وأمواجها غطت نفوس العداغطا
فكم قد حكمت فى حصر حصن ومعقل * وشاحا على خصر فاسغفه ضغطا
وخيل كامثال النعام تخالها * لافراط لوك اللجم تبغى لها سرطا
تميلها فخفا اذا ارتعت وان * سجن بما حلتها خفة بطا
ينعق منها مرطل عجاجة * موارع لا يسأمن مراولا مرطا
وكم خالطت سمر الرماح وأوردت * مياها غدت حمر الدماء لها خلطا
تحرونها ليل السرى فاذا دعوا * نزال امتطوا منهن أفضل مايعطى
فكم جنبوها خلف معتادة السرى * عوارف لم تسمع لها أذن نحطا
وقد وسمت أعناقهن أزمة * بطول السرى حتى تظن لها علطا
اذا أوقدت نارا بقذف الحصا حكت * وبحر الدجى طام سفينا رمت نقطا

يد اغمار وقال له هذه البدرة والمجلس وما أشبهها من مالى فلك فان أشكلت عليكم هذه القسمة فاتوا الافعى بن الافعى الجرهمى وكان ملك نجران حتى يقسم بينكم وترضوا بقسمته فلم يلبث نزارا الا قليلا حتى هلك وأشكلت القسمة على ولده فركبوا رواحلهم ثم قصدوا نحو الافعى حتى اذا كانوا منه على يوم وليلة من أرض نجران وهم فى مفازة اذا هم بأثر بعير فقال اياد ان هذا البعير الذى نرون أثره أعور فقال أنمار وانه لا يتر فقال ربيعة وانه لا زور قال مضر وانه لشرود فلم يلبثوا ان رفع اليهم راكب يوضع بين راحلتيه فلما تشيهم قال لهم هل رأيتم من بعيرى شيأ فى وجوهكم قال اياد بعيرك اعور قال فانه لا عور قال أنمار بعيرك أتر قال فانه لا يتر قال ربيعة بعيرك أزور قال فانه لا زور قال مضر كان بعيرك شرودا قال انه لشرود ثم قال لهم فاين بعيرى دلونى عليه فقالوا والله ما حسبنا لك بعير ولا رأيناه قال أنتم أصحاب بعيرى وما أخطأتم من نعته شيأ فقالوا ما رأينا بعيرا قط يتبعهم حتى قدموا نجران فلما أناخوا بباب الافعى استأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا وصاح الرجل من وراء الباب أيها الملك هؤلاء أخذوا بعيرى ثم حلفوا أنهم ما رأوه فدعا به الافعى فقال ما تقول امام

امام الهدى أعليت للدين معلما * وسمت العدا من بعد رفعتهم حطا
وألحفتهم عقم المنى عن خيالها * فما ولدت عقما ولا نتجت سقطا
وصيرتم في عقلة سارح العدا * وسرحتم الآمال من عقلها نشطا
ومن كان يشكو سطوة الدهر قد غدا * بعدلك لا يعدى عليه ولا يسطى
فني كل حال تؤثر القسط جاريا * على سنن التقوى وتحتف القسطا
فبورك سبطا جده عمر الرضا * وبورك من حد غدوت له سبطا
تلوت الامام العدل يحيى فلم ترل * تزيد أمور الخلق من بعده ضبطا
فزدتم وضوحا بعده واستقامة * وتوطئة نهج السبيل الذي وطا
وما كان أبقى غاية غير أنه * حميت بما لم يحم خلق ولم يعطا
اذا درر الاملاك في الفخر نظمت * على نسق بعد افدو لذلك الوسطى

وله أيضا فيه

في كل أفق من صباح دجا كم * نور جلا خيط الظلام بخيطه
راقت محاسن مجدكم فبهرن ما * كسيت من حبر المديح وربطه

وله رحمه الله تعالى عدة تآليف وولد سنة ٦٠٨ وتوفي ليلة السبت ٢٤ رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة بتونس وممن أخذ عنه الحافظ بن رشيد الفهري وذكره في رحلته وأثنى عليه كما أثنى عليه العبدري في رحلته فقال حازم وما أدراك ما حازم وقد عرفت به في أزهار الرياض بما يغني عن الاعادة وكان هو والحافظ أبو عبد الله بن الابار فرسي رهان غير أن ابن الابار كان أكثر منه رواية وهو الامام الحافظ الكاتب الناظم الناثر المؤلف الراوية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الاندلسي البلنسي كتب ببلنسية عن السيد أبي عبد الله ابن السيد أبي حفص ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ثم عن ابنه السيد أبي زيد ثم كتب عن الامير أبي مردنيش ولما نازل الطاغية بلنسية بعثه الامير زيان بن مردنيش مع وفد أهل بلنسية بالبيعة للسلطان أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص وفي ضمن ذلك استصرخه لدفع عادية العدو فأنشد السلطان قصيدته السينية التي مطلعها

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وقد ذكرناها في غير هذا الموضع ثم لما كان من أمر بلنسية ما كان رجع بأهله الى تونس غبطة باقبال السلطان عليه فنزل منه بخير مكان ورشحه لكتب علامته في صدور مكاتباته فكتبها مدة ثم أراد السلطان صرفها الى العباس الغساني لكونه يحسن كتابتها فكتبها مدة بالخط المشرقي وكان آثر عند السلطان من المغربي فسخط ابن الابار نقمة من ايثار غيره عليه وافتات على السلطان في وضعها في كتاب أمر بانشائه لقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه وأن يبقى موضع العلامة منه لكاتبها فجاهر بالرد ووضعها استبدادا وأنفة وعوتب على ذلك فاستشاط غضبا ورمى بالقلم وأنشد متمثلا

اطلب العز في لظى وذر الذل ولو كان في جنان الخلود

فقالوا رأينا في شفرنا هذا الملك أثر بعير فقال ابادانه لا أعور قال وما يدريك أنه أعور قال رأيته مجتهدا في رعي الكلا من شق قد لحسه والشق الآخر واف كثير الالتفاف لم يمسه فعلمت انه أعور وقال انما رأيته يرعى بعيره مجتمعا ولو كان أهلب لمصع به فعلمت انه أبتر وقال ربيعة رأيت أثر احدى يديه ثابتا والآخر فاسدا فعلمت انه أزور وقال مضمر رأيته يرعى الشقة من الارض ثم يتعداها فيمر بالكلا الملتف الغض فلا يمسه حتى يأتي ما هو دونه منه فيرعى فيه فعلمت انه شرود فقال الاعمى صدقتم قد اصابوا أثر بعيرك ولسوا بأصحابه التمس بعيرك ثم قال الاعمى للقوم من أنتم فأخبروه بحالهم وانتسبوا فرحب بهم وحياهم ثم قال ما خطبكم فقصوا عليه قصة ابلهم قال الاعمى وكيف تحتالون الى وانتم على ما ترى قالوا أمر بذلك ابونا ثم أمر بهم فانزلوا وأمر خادما له على دار الضيافة أن يحسن اليهم ويكرم مثواهم والطافهم بافضل ما يقدر عليه ثم أمر وصيفا له من بعض خدمه فطر دما أديبا فقال انظر كل كلمة تخرج من أفواههم فاتني بها فلما نزلوا بباب الضيافة أتاهم النهرماني فتفرس من

فمضى ذلك الى السلطان فلم يلزمه ببيته ثم استعتب السلطان بتاليف رفعه اليه عدة فيه من عيوب من الكتاب وأعتبه وسماه اعتاب الكتاب واستشفع فيه بابنه المستنصر فغفر السلطان له وأقال عثرته واعاده الى الكتابة ولما توفى السلطان رفعه أمير المؤمنين المستنصر الى حضور مجلسه ثم حصلت له أمور معه كان آخرها انه تقبض عليه وبعث الى داره فرفعت اليه كتبه أجمع وألفى أثناءها فيما زعموا رقعة بابيات أولها

طغى بتونس خلف * سموه ظلما خليفه

فاستشاط السلطان لها وأمر بامتحانه ثم بقتله فقتل قعصا بالرماح وسط محرم سنة ٦٥٨ ثم أحرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فاحرقت معه وكان مولده ببلنسية سنة ٥٩٠ وقال فى حقه ابن سعيد فى المغرب ما ملخصه حامل راية الاحسان المشار اليه فى هذا الاوان ومن شعره قوله يصف الياسمين

حديقة ياسمين لا * نهيم بغيرها الحدق
اذا جفن الغمام بكى * تبسم ثغرها الیقق
فاطراف الاهلة سا * ل فى أثنائها الشفق

وكتب الى الوزير أبى عبد الله بن أبى الحسين بن سعيد يستدعى منه منشورا

لئن الخبر أخفى بحيرى روضة * لانفاسه عبد الهجوم هبوب
ألبس أديب الروض يجعل ليله * نهارا فيذكو تحته ويطيب
وطوى مع الاصباح منشور نشره * كما بان عن ربع المحب حبيب
أهيم به من نسبة أدبية * ولاغرو أن يهوى الاديب أديب

وقوله فى الخسوف

نظرت الى البدر عند الخسوف * وقد شين منظره الازين
كما سفرت صفعة للحبيب بحبها برقع أدكن

وقوله فى المعنى

ألم تر للخسوف وكيف أبدى * ببدر التم لماع الضياء
كمرآة جلاها الفين حتى * أنارت ثم ردت فى غشاء

وقوله

والثريا بجانب البدر تحكى * راحة أومأت لتلطم خدا

وقوله

من عاذرى من بابلى طرفه * ولعمره ما حل يوما بابلا
أعتده خوطا لعيشى ناعما * فيعود خطيا القتلى ذابلا

وهو حافظ متقن له فى الحديث والادب تصانيف وله كتاب فى مختصر الاشعار سماه قطع الرياض وتكملة الصلة لابن بشكوال وهداية المعترف فى المؤتلف والمختلف وكتاب التاريخ وبسببه قتله صاحب افريقية وأحرقت كتبه على ما بلغنا رحمه الله تعالى وله تحفة القادم فى شعر الاندلس والحلة السيراء فى أشعار الامراء ومن شعره قوله

فهدا أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه فقال اياد صدقتم لولا أن نحله

فى همة جبار فوعاها
العلام فلما حصر غذاؤهم
وحى بالكواء فاذا شاة
مشوية فاكلوها وقالوا
ما رأينا كواء أجود يأ
ولا رخيص ثمنا ولا أسمن
منه وقال العمار صدقتم
لولا انه عدى بن نهبة
شجاعهم بالشراب فلما
شربوا قال لهم ايسا تخبرا
ارى ولا اعذب ولا اصفى
ولا اطيب رائحة منه
فقال ربيعة صدقتم لولا
ان كرمه بت على تمر ثم
قال عمار ايها مضر لا اكرم
قرى ولا اخصب رجلا من
هذا الملك قال مضر صدقتم
لولا أنه غدر أبيه فذهب
العلام الى الاعشى فخبره بما
كان منهم فدخل الاعشى
على امه فقال اقسمت
عليك الا ما اخبرتنى من أنا
ومن ابى فقالت يا بنى
ومادعاك لى هذا انت
ابن الاعشى الملك الاكبر
قال حملتنى وانا
عليها قالت يا بنى ان ابا
الاعشى الذى تدعى له كان
شاعرا قد ثمل فخشيت ان
يخرج هذا الملك عنا اهل
البيت وقد كان قدم الينا
شاب من ابناء الملوك
مدسوته الى نفسى فعلقت
به منه ثم بعث الى
النعمان فقال اخبرنى عن الشهد الذى بعثت به الى هؤلاء النفر ما خطبه قال انا اخبرك بدير فى طنف

أمرى عجيب فى الامور * بين التوارى والظهور
مستعمل عند المغيب * ومهمل عند الحضور

وسبب هذا أن ملك تونس كان اذا اشكل عليه شئ أو ورد عليه لغز أو معمى أو مترجم بعث به اليه فيحله واذا حضر عنده لا يكلمه ولا يلتفت اليه ووجد فى تعاليقه مابين يدى دولة صاحب تونس فامر بضربه فضرب حتى مات وأحرقت كتبه رحمه الله تعالى وكان أعداؤه يلقبونه بالفار وحصلت بينه وبين أبى الحسن على بن شلبون المعاصر البلنسى مهاجاة فقال فيه

لا تعجبوا لمضرة نالت جميع الناس صادرة عن الابار
أو ليس فار الحفرة وخليفة * والفار مجبول على الاضرار
فاحذروا بن الابار

قال لابن شلبون مقال تيره * غيرى يجار بك الهجاء يجار
انا اقتسمنا خطتينا بيننا * فحملت برة واحتملت بحار

وهذا مضمن من شعر النابغة الذبيانى انتهى ما لخصناه من كلام أبى سعيد فى حقه ومن شعر ابن الابار أيضا

لو عن لى عون من المقدار * هجرت للدار الكريمة دارى
وحللت أطيب طيبة من طيبة * حارا لمن أوصى بحفظ الجار
حيث استبان الحق للابصار * لما استشار حمائط الانصار
يا زائرين القبر قبر محمد * بشرى لكم بالسبق فى الزوار
أوضعتم لنجاتكم ووضعتم * ماقاد كم من فادح الاوزار
فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذى * جلتم شوقا الى اختيار
أدوا السلام سلمتم وبرده * أرجوا الاجارة من ورود النار

اللهم أجرنا منها يا رحيم يا رحمن يا كريم ولنختم ترجمته بقوله

رجوت الله فى اللأواء لما * بلوت الناس من ساه ولاهى
من بك سائلا عنى فانى * عبيت بالافتقار الى الهى

وقد جودت ترجمته فى ازهار الرياض فى اخبار عياض فليراجع ذلك منه من شاء (رجع لى ما كنا فيه من ذكر المرتحلين من الاندلس الى المشرق) (ومنهم الحافظ ابو المكارم جمال الدين بن مسدى وهو ابو بكر محمد ويقال ابو المكارم ابن ابى احمد يوسف بن موسى بن يوسف بن موسى بن مسدى المهلبى الازدى الاندلسى) شيخ السنة وحامل رايتها ومريد الفنون ومحكم آياتها عرف الاحاديث وميز بين شهرها وغرايبها وكان المتلى لراية السنة بيمين عرايتها طلع بغربه شمسا قبل بروغه بافق المشرق وملأ جريرته الحضراء من بحر علومه المتدفق وأنعمها بموثه المشرق وطاف البلاد الاسلامية المعربية والمشرقية فعقدت على كماله الخناصر وجعله أرباب الدراية لمقلة الدين الباصر ولقى اعيان الشيوخ فى القطرين وأخذ عنهم ما تقر به العين ويدفع به عن العلم الرين مع فصاحة لسان وطلاوة بيان وبنان وخلال حسان وبلاغة سحبته على سحبان وطهر أزهار بيان

وعجله وما اشبههما من ماله قال ذلك ماترك ابوك من الرقة والحرقى والارض فقال ربيعة ان ابى جعل لى فرسا ادهم بيضا

وفوضت اليه خطابة الحرم الشريف بمكة فكان كما يقال هذا السوار لمثل هذا المعصم فكم وشى بها من مطارف للبلاغة وكم عنم حتى يظن الرائي عود منبره من وعظه مائسا ولئن مال من سجع الحمام رطبا فقد مال من سجع هذا الامام يابسا وترجم على من لقي من الاعيان بسحر البيان وفصل أحوالهم باحسن تبيان وعدتهم أربعة آلاف شيخ وناهيك بهذه مرتبة نفادلها الفضائل في أرسان وأرى تحقيق قول القائل جمع الله تعالى العالم في انسان وله موضوعات مفيدة من حديث وفقه ونظم ونثر وله مسند غريب جمع فيه مذاهب العلماء المتقدمين والمتاخرين وهو أشهر من نار على علم وكان يكتب بالقلمين المغربي والمشرقي وكلاهما في غاية الجودة ومثل هذا بعد نادر اتوفي شهيدا طعونا من اناس كانوا يحسدونه فختم الله تعالى له بالشهادة وبوئ بها دار السعادة وتوفي سنة ٦٦٣ بمكة ومولده سنة ٥٩٨ رحمه الله تعالى ونفعنا بما منحه * (ومنهم الكاتب أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقي القبتوري) بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح التاء ثالثة الحروف وسكون الواو وبعدها راء الاشبيلي المولد والمنشا ولد في شوال سنة ٦١٥ وقرأ على الاستاذ الدباج كتاب سيبويه والسبع وله باع مديد في الترسل مع التقوى والخير وله اجازة من الرضي بن برهان والنجيب بن الصيقل وكتب لامير سبتة وحدث بتونس عن العراقي وجاور زمانا وتوفي بالمدينة سنة ٧٠٤ وحج مرتين قال أبو حيان قدم القاهرة مرتين وحج في الاولى وأنشد من لفظه لنفسه

أسيلي الدمع يا عيني ولكن * دماو يقل ذلك لي أسيلي
فكم في الترب من طرف كحيل * لترب لي ومن خد أسيل

وقال

ما داجنيت على نفسي بما كتبت * كفى جياو بح نفسي من اذى كفي
ولو يشاء الذي أجرى على يدا * قصاءه الكف عني كنت ذا كف

وقال

واحسرتا لامور ليس يبلغها * مالي وهن مني نفسي وآمالي
أصبحت كالآل لا جدوى لدي وما * الوت جهدا ولكن جدي الآلي

وقال العلامة فخر الدين بن سيد الناس انه انشده لنفسه بالحرم الشريف النبوي سنة ثلاث وسبعمائة

رجوتك يا رحمن انك خير من * رجاه لغفران الجرائم مرتجي
فرحمتك العظمى التي ليس بابها * وحاشا لك الحسنى وجهك المسي بمرتج

وقد أنشد له أبو حيان كثيرا من نظمه رحمه الله تعالى (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبي الخليل الاموي الاشبيلي النباتي المعروف بابن الرومية) كان عارفا بالعشب والنبات صنف كتابا حسنا كثير الفائدة في الحشائش ورتب فيه أسماءها على حروف المعجم ورحل الى البلاد ودخل حلب وسمع الحديث بالاندلس وغيرها وقال البرزالي في حقه انه كان يعرف الحشائش معرفة جيدة وسمع الحديث بدمشق من ابن الخرستاني وابن ملاعب

الفرس فقال مضر ان ابي جعل لي قبة حمراء من ادم وما اشبهها من ماله فقال ان ابالك ترك ابلا حمراء فهي لك وما اشبهها من ماله فصارت لمضر الابل والقبة الحمراء والذهب فسمي مضر الحمراء وكانوا على ذلك مع اخوانهم حرم بمكة فاصابتهم سنة فاهلكت الشاء وعامة الابل وبقيت الخيل وكان ربيعة يغزو عليها واصل اخوته ودهب ما كان لانمار من شاء في تلك السنين ثم عاود الناس الخصب والغيث فرجعت الابل وثابت اليها انفسها ومشت فتناسلت وكثرت وقام مضر بامر اخوته فبينما هم كذلك وقد قدم الرعاء بابلهم فتشعبوا الملا وعشوا رعاءهم فقام مضر يوصي الرعاء وفي يد انمار عظم يتعرقه فدجا به في ظلمة الليل وهو لا يبصر فضرب في عنق مضر فقاؤه مضر وصاح عيني عيني وتشاغل به اخوته فركب انمار بعدان اكرم ابله فلحق بديار اليمن وكان في عقبه ما ذكرنا من التنازع فهؤلاء ولد نزار الاربعة اليهم يرجع سائر ولد نزار على حسب ما قدمنا مضر الحمراء لما ذكرنا من امر القبة وكذلك تفخر مضر في كلامها المنثور وابن

وابن العطار وغيرهم وقال بعضهم اجتمعت به وتفاوضت معه في ذكر الحشائش فقلت له قصب الذريرة قد ذكر في كتب الطب وذكروا انه يستعمل منه شئ كثير وهذا يدل على انه كان موجودا كثيرا واما الآن فلا يوجد ولا يخبر عنه بخبر فقال هو موجود وانما لا يعلمون أين يطلبونه فقلت له واين هو فقال بالاهواز منه شئ كثير انتهى واجاز البحر بعد سنة ٥٨٠ للقاء ابن عبيد الله بسنة فلم يتهيأ ذلك وحج رحمه الله تعالى في رحلته الاولى ولقي كثيرا وروى عن عدد من الرجال والنساء ضمنهم الذكر له وله مختصر كتاب الكامل لاحمد بن عدي في رجال الحديث وله كتاب المعلم بمارادة البخاري على كتاب مسلم ويعرف بالباجي لمعرفته بالبيات ومولده في حوسنة ٥٦١ وتوفي رحمه الله تعالى باشبيلية منسلخ ربيع الثاني سنة ٦٣٧ وبدرثاه اناس من تلامذته وألف بعضهم في التعريف به وسمع من ابن زرقون وابن الجد وابن عفير وغيرهم واحد كأبي ذر الخشني وسمع ببغداد من جماعة وحدث بمصر أحاديث من حفظه ويقال له الخزمي بفتح الخاء نسبة الى مذهب ابن حزم لانه كان ظاهري المذهب وكان زاهدا صالحا وحكى بعضهم عنه انه كان جالسا في دكانه باشبيلية يبيع الحشائش وشيخ فاجتاز به الامير أبو عبد الله بن هود سلطان الاندلس فسلم عليه فرد عليه السلام واشتغل بشغله ولم يرفع اليه رأسه فبقي واقفا منتظرا أن يرفع اليه رأسه ساعة طويلة فلما لم يحفل به ساق فرسه ومضى وله كتابان حسنان في علم الحديث أحدهما يقال له الحافل في تكملة الكامل لابن عدي وهو كتاب كبير قال ابن الابار سمعت شيخنا أبا الخطاب بن واجب يثني عليه ويستحسنه والثاني اختصر فيه الكامل لابي أحمد بن عدي كما سبق في مجلدين وسمع بدمشق والموصل وغيرهما جماعة من اصحاب الحافظ أبي الوقت السجزي وابي الفتح بن البطي وأبي عبد الله الغراوي وغيرهم من الائمة وله فهرسة حافلة أفرد فيها روايته بالاندلس من رواياته بالمشرق وكان متعصبا لابن حزم بعد أن تفقه في المذهب المالكي على ابن زرقون أبي الحسين وطالت صحبته له وكان بصيرا بالحديث ورجاله كثير العناية به واختصر كتاب الدارقطني في غريب حديث مالك وغيره أضبط منه وفاق أهل زمانه في معرفة البيات وقعد في دكان لبيعه قال ابن الابار وهنالك رأيته ولقيته غير مرة ولم آخذ عنه ولم أستجزه وسمع منه جل أصحابنا ومولده في شهر المحرم سنة ٥٦٧ وتوفي باشبيلية ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر سنة ٦٣٨ وقال ابن زرقون منسلخ شهر ربيع الاول وحكى ذلك عن والده أبي المؤرخ محمد بن أحمد انتهى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغافقي الاشبيلي الشهير بالمسيلي) رحل حاجا وقفل الى بلده وحدث عنه أبو بكر بن خير بوفاة القاضي ابن أبي حبيب وروى عن أبي محمد بن أبي السعادات المروزي الحراساني وأنه أنشده بثغر الاسكندرية عند وداعه اياه قال أنشدني أبو تراب جندل عند الوداع لبعضهم

السم من ألسن الافاعي * أعذب من قبلة الوداع
ودعتهم والدموع تجري * لما دعا للوداع داعي

* (ومنهم أبو العباس ويقال أبو جعفر أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل النجيبي الزاهد ويعرف

والنحدة والعز وش العارات لما ذكرنا من أمر العرس واياد وقد ذكرنا ما لحق عقبه وأعمارهم وقد بينا الخلاف في تفرع نسله وما قاله النسابون في عقبه (ولكل واحد) من هؤلاء وما أعقب أخبار كثيرة يطول ذكرها ويتسع شرحها من ذكر ما لهم من الديار وتتعقب أنسابها وتسلسلها فالى الناس على ذكرها وقد قدمنا فيما سلف من كتابنا السير من مبسوطها ما فيه مقنع لذلك من اعادته في هذا الكتاب (فلنذكر) الآن العرض من هذا الباب الذي به ترجم وإليه نسب من سكن من حل البدو من العرب وغيرهم من الامم المتوحشة كالترك والخزر والحبشة والبربر وسوس تنقض بالبراري وقطن الجبال والعلة الموجبة لذلك من فعلهم * فنبين الناس في السبب الموجب لما وصفنا فذهب كثير من الناس الى أن الجيل الاول من سكن الارض سكنوا حينما من الزمان لم يتخذوا بناء ولا شيدوا مدنا وكان سكناهم في شعب الاكواخ والمظال ثم ان نفرا منهم أخذوا في ابتناء المساكن

 وخلف بعدهم خلف فابتنوا الابنية وثبتت فرقة منهم على سجيتها الاولى في البيوت والاطلال

بابن الاقليشي) صاحب كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم عارض به كتاب القضاعي وأصل ابيه من اقليش وضبطها بعضهم بضم الهمزة وسكون ثانية وبها ولد ونشأ سمع أباه وابا بكر وابا العباس بن عيسى وتلمذله ورحل الى بلنسية فاخذ العربية والآداب عن ابي محمد البطليوسي وسمع الحديث من صهره ابي الحسن طارق بن يعيش والحافظ ابي بكر بن العربي وابي الوليد بن خيرة وابن الدباغ ولقي بالمرية ابا القاسم بن ورد وابا محمد عبد الحق بن عطية وولي الله سيدي ابا العباس بن العريف ورحل الى المشرق سنة اثنتين واربعين وخمسمائة وجاور بمكة سنين وسمع من ابي الفتح الكروخي جامع الترمذي برباط ام الخليفة العباسي سنة سبع واربعين ثم كر راجعا الى المغرب فقبض في طريقه وحدث بالاندلس والمشرق وكان عالما عاملا متصوفا شاعرا مجودا مع التقدم في الصلاح والزهد والعزوف عن الدنيا واهلها والاقبال على العلم والعبادة وله تصانيف منها كتاب العرر من كلام سيد البشر وكتاب ضياء الاولياء وهو اسفار عدة وحمل الناس عنه معشراته في الزهد وكتبها الناس وكان يضع يده على وجهه اذا قرأ القارئ فيبكي حتى يجب الناس من بكائه وكان الناس يدخلون عليه بيته والكتب عن يمينه وشماله وقد وصف غير واحد امامته وعلمه وورعه وزهده وروى عنه ابو الحسن بن كوثر وابن بيش وغيرهما ومن شعره قوله

اسير الخطا ياعند بابك واقف * له عن طريق الحق قلب مخالف
قديما عصى عمدا وجهلا وغرة * ولم ينهه قلب من الله خائف
تزيد سنوه وهو يزداد ضلة * فهاهو في ليل الضلالة عاكف
تطلع صبح الشيب والقلب مظلم * فما طاف منه من سنى الحق طائف
ثلاثون عاما قد تولت كانها * حلوم تقضت او بروق خواطف
وجاء المشيب المنذر المرء أنه * اذا رحلت عنه الشبيبة تالف
فيا أحد الخوار قد أدبر الصبا * وناداك من سن الكهولة هاتف
فهل أرقن الطرف الزمان الذي مضى * وأبكاه ذنب قد تقدم سالف
فجد بالدموع الحمر حزنا وحسرة * فدمعك ينبي أن قلبك آسف

وقد وافق في أول هذه القطعة قول أبي الوليد بن الفرضي او أخذه منه نقلا وتوفي في صدوره عن المشرق بمدينة قوص من صعيد مصر في عشر الخمسين وخمسمائة ودفن عند الجميزة التي في المقبرة التالية لسوق العرب وقال ابن عباد انه توفي سنة خمسين أو احدى وخمسين بعدها رحمه الله تعالى وفد نيف على الستين * (ومنهم أبو العباس أحمد بن عمر المعافري المرسي) واصله من طليرة ويعرف بابن افرند روى عن أبي الحسين الصفدي وغيره كالقاضي الحافظ أبي بكر بن العربي وأبي محمد الرشاطي وأبي اسحق بن حبيش وغيرهم وله رحلة حج فيها ولقي أبا الفتح بن الرند انقاني بلد بين سرخس ومرو من أصحاب أبي حامد الغزالي وأنشد عنه عما قاله في وداع اخوانه بالبيت المقدس

لئن كان لي من بعد عود اليكم * قضيت لبانات الفؤاد لديكم

يتبعون الاماكن الرفيعة (وذكرت) طائفة ان أول ذلك أن الناس لما نضب عنهم الطوفان الذي أهلك الله به الارض من زمن نوح على نبينا وعليه السلام تفرق من نجا في طلب البقاع الخصبة المنيرة وانفرد من انفرد بانجاع الارضين وحلول البيداء وآخرون بقاعا تحيروا فيها كان ابني افليم بابل من النبط ومن سلم من ولد حام بن نوح عليه السلام مع نمروذ بن كنعان ابن سنجارب بن نمروذ الاول ابن كوش بن سام بن نوح وذلك حين تملك على افليم بابل من قبل الضحاك وهو بيوراست وكان حل بلاد مصر من ولد حام على حسب ما ذكرنا في باب مصر وأخبارها في هذا الكتاب وكان عمر الشأم من الكنعانيين وكان حل بوادي البربر وهم هوارة وزناته وضريسة ومعولة ورحولة ونفزة وكتامة ولواته ومراتة ورلوبه ونفوسه ولعطه وصدسة ومعموره وعفاره وفاطه ووراته واسمه وبنو اسحين وارلته وهي مورمانه وبنو ووكلان وبنو نصران وبنو نووعس وبنو ومنوسا وصنهاجة ومن سكن من أنواع الاجناس من الاحابش وغيرهم الغالبة المعروفة بغابة المبربرية سون وان

وان تكن الاخرى ولم تك أوبة * وحان حمامي فالسلام عليكم

وقد روى هذين البيتين أبو عمر بن عبد ربه هذا وكان صالحا زاهدا متصوفا رحمه الله تعالى (ومنهم أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى الضبي) من أهل لورقة رحل حاجا وكان منقبضا زاهدا صواما قواما واقرأ القرآن وأسمع الحديث وممن حدث عنه الحافظان أبو سليمان وابو محمد بن حوط الله ولقيه أبو سليمان بلورقة سنة ٥٧٠ وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٥٧٧ وقد قارب المائة * (ومنهم أبو عمر بن عات وهو أحمد بن هرون بن أحمد بن جعفر بن عات النفري) من أهل شاطبة سمع أباه وأبا الحسن بن هذيل وأبا عبد الله بن سعادة وابن حبيش وغيرهم واحد وطائفة كثيرة ورحل الى المشرق فادى الفريضة وسمع أبا الطاهر السلفي وأبا الطاهر بن عوف وغيرهما ممن يطول ذكره وأجازله ابو الفرج بن الجوزي وغيره ممن أخذ عنه وسمع منه وقد ضمن ذكر أشياخه وجلة صالحة من مروياته عنهم برنامجيه اللذين سمى أحدهما بالنزهة في التعريف بشيوخ الوجهة وهو كتاب حافل جامع والآخر بمجانة النفس وراحة الانفس في ذكر شيوخ الاندلس قال ابن عبد الملك المراكشي في الصلة حدثنا عنه شيخنا أبو محمد حسن بن علي بن القطان وكان من أكابر المحدثين وجلة الحفاظ المسندين للحديث والآداب بالمدافعة بسرد الاسانيد والمتون ظاهرا فلا يخل بحفظ شيء منها متوسط الطبقة في حفظ فروع الفقه ومعرفة المسائل اذلم يعن بذلك عنايته بغيره فكان اهل شاطبة يفاخرون بابوي عمر بن عبد البر وابن عات وكان على سنن السلف الصالح في الانقباض ونزارة الكلام ومتانة الدين واكل الخشف ولزوم التقشف والتقلل من الدنيا والزهد فيها والمثابرة على كثير من افعال البر كالاذان والامامة وبذل المعروف والتوسع بالصدقات على الضعفاء والمساكين وحكي انه حضر في جماعة من طلبة العلم لسماع السير على بعض شيوخهم فغاب الكتاب او القارئ بكتابه فقال ابو عمر انا اقرأ لكم فقرأ لهم من حفظه وقال ابو عمر عامر بن نذير لازمته مدة ستة اشهر فلم ار احفظ منه وحضرت اسماع الموطا وصحيح البخاري منه فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشر اوراق عرضا بلفظه كل يوم عقب صلاة الصبح لا يتوقف في شيء من ذلك انتهى وقال بعض المؤرخين انه كان آخر الحفاظ للحديث بسرد المتون والاسانيد ظاهرا لا يخل بحفظ شيء منها موصوفا بالدراية والرواية غالبا عليه الورع والزهد على منهاج السلف يلبس الخشن ويأكل الخشف وربما اذن في المساجد وله تآليف دالة على سعة حفظه مع حظ من النظم والنثر وشهد وقعة العقاب التي افضت الى خراب الاندلس بالدائرة على المسلمين فيها وكانت السبب الاقوى في تحيف الروم بلادها حتى استولت عليها فقد حينئذ ولم يوجد حيا ولا ميتا وذلك يوم الاثنين منتصف صفر سنة تسع وستمائة ومولده سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة قال ابن الابار وهو ممن أجاز له المذكور فيما رواه وألفه رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن تميم بن هشام بن أحمد بن جنون البهراني) من ساكني اشبيلية وأصله من لبلة روى عن أبيه وابن الجد وابن زرقون وابن جهور وغيرهم من أعلام الاندلس ثم رحل الى المشرق فسمع ببغداد من أبي حفص عمر بن طبرزذ وبخراسان من المؤيد الطوسي وبهراة من أبي روح عبد المعز

البلاد من المغرب (وقد ذكرنا) ان أرض البربر خاصة كانت أرض فلسطين من بلاد الشام وأن ملكهم كان جالوت وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم الى أن قتل داود عليه الصلاة والسلام ملكهم جالوت فلم يتملك عليهم بعده ملك وأنهم انتهوا الى ديار المغرب الى موضع يعرف بلونيه فانتشروا هنالك فنزل منهم زناتة ومغيله وضريسه الجبال من تلك الديار وبطن الاودية ونزلوا أرض برقة ونزلت هوارة بلاد اياس وهي بلاد طرابلس المغرب الى الثلاث المدن وقد كانت هذه الديار للافرنجة والروم فانجلوا عن البربر حين أوطنوا أرضهم الى جزائر البحر الرومي فسكن الاكثر منهم جزيرة صقلية وتفرقت البربر ببلاد افريقية وافاصي ديار المغرب في نحو من مسافة الني ميل من بلاد القيروان وتراجعت الروم والافرنجة الى مدنهم وذلك على مواعدة وصلح من البربر واختارت البربر سكنى الجبال والاودية والرمال والدهاس واطراف

البراري والقفار (ومن بحر أفريقية) وصقليه يخرج المرجان وهو المتصل ببحر الظلمات المعروف ببحر اقيانس وغير

بقاعها على الايام اشبه بالعز واليق بذى الانفة وقالوا لا نكون محكومين فى الارض نسكن حيث شاء اصلح من غير ذلك فاختاروا سكنى البدو من اجل ذلك (وذكر آخرون) ان القدماء من العرب لما باركهم الله سن سموا الاخطار ونيل الهمم والاقدار وشدة الانفة والحمية من العرة والهرب من العار بدأت التعسكر فى المنازل والقدير للمواطن فتاملوا شاسع المدن والابنية فوجدوا فيها معرة ونقصا وقال ذو المعرفة والتمييز ان الارضين تمرض كما تمرض الاجسام وتلحقها الآفات والواجب تخير المواضع بحسب احوالها من الصلاح اذ الهواء بما هوى واضر بالاجسام سكانه واحال امزجة قطانه وقال ذو الآراء منهم ان الابنية والتحويط حصر عن التصرف فى الارض ومنطعة عن الجولان وتقييد لاهمم وحبس لما فى الغرائز من المسابقة الى الشرف ولا خير فى اللبث على هذه الحالة وزعموا ايضا ان الابنية والاظلال تحصر الغذاء وتمنع اتساع الهواء وتسدر وجهه عن المرور ونذاه عن السلوك فسكنوا البر الافيح الذى لا يخافون فيه من حصر ومنازلة وابن

وبمرو من عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعانى ومن جماعة غيرهؤلاء وسمع أيضا بدمشق من ابى القضل الخرستانى وسواه وبها توفى قبل العشرين وستمائة فيما نقل ابن الابار عن ابن نقطة وقال غيره انه مات سنة خمس وعشرين وستمائة * (ومنهم أبو جعفر أحمد بن ابراهيم ابن محمد بن أحمد المخزومى) من أهل قرطبة ويعرف أبوه بكوزان روى عن أبيه وغيره من مشيخة بلده ورحل حاجا فلقى بالاسكندرية أبا الحسن بن المقدسى وسمع منه وأنشد من لفظه بعض أصحاب الآثار قال أنشدنى شرف الدين أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال انشدتنى نقية بنت غيث بن على الارمنازى لنفسها

لا خير فى الخمر على انها * مذكورة فى صفة الجنه
لانها ان خامرت عاقلا * خامره فى عقله جنه
يخاف أن تقذفه من علا * فلا تنى مهجته جنه

* (ومنهم أبو جعفر احمد بن محمد بن احمد بن عياش الكنانى المرسى) سمع من ابن بشكوال موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى والقعنبى وابن بكير بقراءة محمد بن حوط الله ورحل الى المشرق سنة تسع وسبعين وخمسمائة فحج سنة ثمانين بعدها وأقام بالحجاز والشام مدة ولقى أبا الطاهر الخشوعى بدمشق فسمع منه مقامات الحريرى وأخذها الناس عنه ومما أفاد زاد فى قول الحريرى * اذا ما حويت جنى نحلة * الابيات قوله

ولا تأسفن على خارج * اذا ما خلت سنى الداخل
ولا تكثر الصمت فى معشر * وان زدت عيا على باقل

وسمع من أبى القاسم بن عساكر السنن للبيهقى ومن ابى حفص الميانشى جامع الترمذى وقفل الى الاندلس فى سنة سبع وتسعين وحدث ببيسير وكان يحسن عبارة الرؤيا وكف بصره سنة ثمان وعشر بن وستمائة أو نحوها وتوفى على اثر ذلك ومولده سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن حصن بن أحمد بن حزم الغافقى) ويقال فيه ابراهيم بن حصن بن عبد الله بن حصن الاندلسى سكن دمشق وولى الحسبة بها وكنى أبا اسحق سمع ببغداد من ابى بكر بن مالك القطيعى وطبقته وبدمشق من عبد الوهاب الكلابى ويوسف بن القاسم الميانجى وبمصر من أبى طاهر الذهلى وأبى أحمد العطريفى وله أيضا سماع بالرملة وطرابلس والدينور وغيرها من البلدان وحدث ببيسير روى عنه أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الوهاب بن عبد الله الجيانى من شيوخ عبد العزيز بن أحمد الكنانى وكان مالكيا وقيل انه يذهب الى الاعتزال وكان صارما فى الحسبة وولها سنة خمس وتسعين وثلثمائة فى أيام الحاكم العبيدى وتوفى بدمشق فى ذى الحجة سنة أربع وأربعمائة قيل ثانى عيد الاضحى وقيل غير ذلك ذكره ابن عساكر رحمه الله تعالى قلت ما سمعت بمالكى معتزلى غيره هذا واله كان مالكيا بالمغرب فلما دخل فى خدمة الشيعة حصل منه ما حصل من نسبته لمذهب الاعتزال فالله تعالى أعلم * (ومنهم أبو أمية ابراهيم بن منه بن عمر بن أحمد الغافقى) من أهل المرية ونزل مرسية سمع ببلده من ابن شفيع وأخذ عنه القراآت ومن الحافظ ابن سكرة وابن رغيبة وعبد القادر بن الخناط وبقرطبة من ابن عتاب

وابن طريف وأبي بحر الاسدي وأبي مغيث وغيرهم ورحل حاجا فسمع بمكة من أبي علي بن العرجاء أحاديث جعفر بن نسطور وغيرها في شعبان سنة ست وعشرين وسمع أيضا من أبي الفتح سلطان بن ابراهيم المقدسي وقفل الى بلده وانتقر بعد الحادثة عليه الى مرسية وولي القضاء والخطبة هنالك وحدث وأخذ عنه وكان فقيها مشاورا وقيل ان ابن حبيش سمع منه الاحاديث النسطورية وأسمع صحيح البخاري آخر الحجة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان يحدث به عن سلطان بن ابراهيم عن كريمة المروزية وحكى رحمه الله تعالى عن أبي ذر الهروي أنه قال عند موته عليكم بكريمة فانها تحمل كتاب البخاري من طريق أبي الهيثم رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو القاسم بن فورتش وهو اسمعيل بن يحيى بن عبد الرحمن السرقسطي) وأخوه ا[illegible] بن يحيى وكانا جميعا زاهدين لهما رحلة سمعا فيها من ابي ذر الهروي بمكة وعادا [illegible] محمد منهما القضاء وقد لقيهما القاضي الحافظ أبو علي بن سكرة ولم يسمع منهم [illegible] عن أبي عمر الطلمنكي وأبي الحزم بن درهم وتوفي أبو القاسم في نحو الخمسمائة * (ومنهم أبو الطاهر اسمعيل بن أحمد بن عمر القرشي العلوي الاشبيلي) رحل حاجا ودخل العراق والموصل وبلد الكثير ورواه وسمع من أبي حفص الميانشي بمكة [illegible] الحسن علي بن هابيل الانصاري عن ابي الوليد الباجي [illegible] انه كان يخلط ولا يضبط وكذلك قال أبو الصبر كان ابو ذر [illegible] حدثه ينقص منه رجل واحد فاستريبت في الرواية عنه [illegible] لان ابن هابيل وغيره من شيوخه مجهولون وأبو الصبر [illegible] عمر روى عن المذكورين وهو ابو الصبر السبتي والله تعالى أعلم بحقيقة حال الرجل * (ومنهم أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن خليل التغري الحميري التاكرني) قال في تاريخ اربل كان شابا متأدبا فاضلا قدم مصر وله شعر حسن وقال الحافظ عبد العظيم المنذري انشدنا المذكور لنفسه

* أوما يقربك الزمان قرار
* ولكل عهد سالف تذكار

لم ترع في البيد الا الشمس والقمرا
فهي الغداة كزنجي اذا كفرا

هي من قطر قرطبة وتوفي بأرزن من ديار بكر [illegible] بديع شعره

* أبدى لعينيك أزهارا وأشجارا
* بث السرية آجالا وأعمارا

وتاكرنا بضم الكاف والراء وتخفيفها وشد النون وورد المذكور اربل سنة سبع وعشرين وستمائة وله ابيات اجاز فيها ابيات شرف الدين عمر بن الفارض في غلام اسمه بركات قال الاسدي الدمشقي ومن خطه نقلت كنت حاضرا هذه الواقعة بالقاهرة بالجامع الازهر اذ قال

في هذه المواطن ونحاء القرائح في التقل ... المساكن مع صحة الامزجة وقوة الفطنة وصفاء الالوان وصيانة الاجسام فان العقول والآراء تتولد من حيث تولد الدماء وطبع الهواء الفضاء ... هذا الامن من العدا والاسقام والعلل والآلام فاكثر العرب يسكن البوادي والجبلون ... البداة فهم اقوى الناس همما واشدهم احلاما وأصحهم أجساما واعزهم جارا واجاهم نصرا وافضلهم جوارا وأجودهم فضلا لما كسبهم باعداء الجوع ونقاء الهواء لان الابدان تحتوي اجزاءها على ما تكاثف ... كدار وعناء الاقذار عما يرفع اليه ويتلاطم في عرصاته وأفئدته من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه في اكنافه جميع ما ... يعد اليه ولذلك ترا كثر الاقذاء والادواء العارضة في أهل المدن وتركبت في أجسا[illegible] أشعا[illegible] فضل[illegible] ما عد[illegible] المعتر[illegible] تغيره

الموطن (قال المسعودي) ولذلك جانبوا فظاظه الاكراد وسكان الجبال من الاجيال الجافية وغيه

ابن الفارض

بركاتي يحكي البدر عند تمامه * حاشاه بل شمس الضحى تحكيه

فقال أبو الروح وانشدني ذلك

هذا الكمال فقل لمن قد عابه * حسدا وآية كل شئ فيه
لم يذو احدى زهرتيه وانما * كملت بذاك ملاحة التشبيه
وكأنه رام يغلق جفنه * ليصيب بالسهم الذي يرميه

وقال ابن المستوفي في تاريخ اربل انشدني ابو الروح

اوصيت قلبي ان يفر عن الصبا * ظنا بأني قد دعوت سميعا
فاجابني لا تخش مني بعدما * افلت من رتوعا
حتى اذا نادى الحبيب رايته * آوى الى منيعا
كذبالة اخمدتها فاذا دنا * منها الضرام رجيعا

قال وانشدني

وزائر زارني والليل معتكر * والطيب شهره
أمسكت قلبي عنه وهو مطرب * والشو
قمت اصدي الى من لا يحلاني * والور
تراه عيني وكفي لا تلامسه * حتى طره

قال وانشدني قال انشدني الامام ابو عمرو بن غياث الشريشي لعمر رحمه الله تعالى

صبوت وهل عار على الحب ان صبا * وقيد شعر الاربعين الى الصبا
وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم * أينكر صبح قد تخال غيبها
وليس مشيبا ما ترون وانما * كميت الصبا لما جرى عاد اشهبا

وتوفي أبو عمرو سنة ٦٢٠ عن تسعين سنة قال ابن المستوفي وأنشدني المذكور قال انشدني أبو عمرو أيضا لنفسه

أودع فؤادي حسرة أودع * نفسك تؤذي أ
أ لحظ أوقارمها * أنت بما ترمي
نعها القلب وأنت الذي * مكنه في ذا

قال و ال انشدني مطرف الغرناطي

أناصب كما تشاء وتهوى * شاء
سنة سنها قديما جميل * وأنى

قال وأنشدني أيضا لمطرف

وفي فروع الايك ورق اذا * بل الندى أعطافها تسجع
أوهزها نفح نسيم الصبا * شاقك منها غرد شزع
كأنما يطنها مزبر * وهي خطيب فوقه مصقع
ان شببها في طرف لوعة * جرى لما في طرف مدمع

ني انخفاضها وارتفاعها
لعدم استقامة الاعتدال
ن رضها فاذلك أخلاق
انها على ما هي عليه من
لغلظ (وذكر) الهاشمي
ندي والشرقي النطامي
غيرهما من الاخبارين
وقد على كسرى
شروان بعض خطباء
رب فسأله كسرى عن
ن العرب وسكنها
ختيارها البدو فقال
الملك ملكوا الارض
غلبة وهوانوا من
قصدين بالاسوار
عتمدوا على المرهفات
انزة والرماح السامرة
ساوحصنوا من ملك
لعة من الارض فكانها
له يردون منها خيارها
قصدون اطافها فاذا
ن حضنوهم من الفلك
من تحت الغرف دين
أس الجرة وسعد الجدي
رفين دلي الارض بحسب
ثم قال فما رأيها فاذا
كثرها الذكاء بالليل
صنيا

مس ح
أر ت
حد اه
ب ف
ا

بلهما

ماجاء من وراء الكعبة فهي دبور وما جاء من قبل ذلك فهي صبا قال فما أكثر اخذه

أخذه من قول عبد الوهاب بن علي الخطيب

كان فؤادي وطرفي معا ... حين أطارا فاغتصبت الخصر
إذا اشتعل النار في حاطب ... جرى الماء في الجانب الآخر

ثم طبع الجزء الأول ويليه من طبعة الاعتماد والمؤلف من
كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
وذكر وزراء لسان الدين بن الخطيب

ويليه الجزء الثاني أوله ومن الذين تعلبوا على الأندلس في الحين
الإمام الدوي اللغوي نور الدين أبو الحسن

غذائهم قال اللحم واللبن
والسيد والتمر قال فما
خلا أنفسهم قال العسل
والماء قلت فأين الكروم
الخ قد أدمان الخمر واجارة
الخائف وإدامة الحب
وبدل المهج في الدماء
وهم سراة الأزد بالبر
أصل وعمار وأنس
وسموا السرية
الإحاطة بالأرض والأمن
الجار والجاية
من تقدم صفحة
الحين لم
أول بحا الأشهر
بعد بالعرق الذي
والمهمات والبصر
أنهم أبعد
تكون نعوذ الأرض
بأرض لا
الشعر لا در در من
العرب المتعربة
ملكيه
يرجون
والمساوية
الأرض